

العدد ٧٨٣ — الاثنين ٥ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

091

16 em Année No. 783 — Lundi — 5 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٥ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

نقـــلة مســـتحبة
في تاريخ البلاد الأمريكية

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كان الأستاذ محمود الخفيف يطيب له أن يعود إلى حديث لنكولن فنحن لا نكره العودة إليه ، ولا نظن أحداً في هذا الزمن يكرهه ، أو يكره العودة من أحاديث أمريكا الحاضرة إلى أحاديث أمريكا في أي عهد من العهود ، فضلا عن العهد الذي كان رئيسها فيه أعظم رئيس تولى أمورها ، أو كان على الأقل واحداً من ثلاثة على الأكثر بين أعظم هؤلاء الرؤساء .

إنها نقلة مستحبة ؛ لأنها بغير شك نقلة من أصغر رئيس تولى أمور الولايات المتحدة أو يمكن أن يتولاها فيما نظن ، إلى رجل من أكبر رؤسائها ومن أكبر ولاة الأمر في أمم العالم الحديث .

أخذنا على كتاب الأستاذ الخفيف عن إبراهام لنكولن بعض ملاحظات ، وقلنا إن الملاحظة على كتاب يؤلف عن لنكولن أمر لامناص منه كائناً ما كان الكاتب ، وكائنا ما كان منهج الكتاب . لأن آفاق الحياة الفردية وآفاق الحياة الاجتماعية التي تتصل بسيرة هذا الرجل العجيب أوسع من أن تستوعب في كتاب واحد ، ولا سيما كتاب يوضع بالعربية ويحتاج المؤلف فيه إلى اطلاع القراء في لغتنا على مراجع ومناسبات تعد من تحصيل الحاصل في عرف الأكثرين من القراء الأمريكيين والأوربيين .

وكانت خلاصة ملاحظتنا أن الكتاب خلا من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التي ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه يشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها في تاريخ الإجرام عامة وفي تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص » .

وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان الكافي عن أسلاف لنكولن غير ميسور لأن الرجل كان كما هو معلوم عصاميا خامل الآباء والأجداد . ولكن الواقع أن اللغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم المعروف . وقد قال الأستاذ الخفيف إن ثمة شيئا كان يجذب الصبي إبراهام إلى أمه: «وذلك هو معرفتها القراءة والكتابة ثم رغبتها في أن يتعلم الصبي على الرغم من مجادلة زوجها إياها في ذلك ؛ إذ كان يرى الصبي أحوج إلى الفأس منه إلى القلم ، وحجته أنه لا يعرف من الكتابة إلا أن يرسم اسمه ومع ذلك فهو يكسب بفأسه ما يقيم أود أسرته » ...

وربما كان تاريخ لنكولن كله رهنا بسر هذا الاختلاف بين نزعة المعرفة في أمه ، ونزعة المرح في أبيه ، ولا شك أننا نعرف

الشيء الكثير عن هذا السر متى عرفنا أن هذه النزعة فى أمه موروثة متأصلة ، لأنها من سلالة غير شرعية لفتاة نسيت فى سبيل المعرفة نفسها ومستقبلها . وقد أشار هرندون — وهو حجة فى تاريخ لنكولن — إلى هذه القصة وظهر بعد ذلك كتاب «لنكولن المجهول » لديل كارنيجى فزادها تفصيلا وجاء فيها بما يغنى فى هذا المقام (Lincoln the Unknown by Dale Carnegie)

***

أما مصرع لنكولن فالكلام فيه عن القاتل أهم من الكلام عن الحادث ؛ لأن حادث القتل قد يقع فى كل قطر من أقطار الأرض ، وقد تكون الخصومة السياسية سبباً لاغتيال الساسة فى كل ثورة من ثورات الأمم ، ولكن الدوافع التى نزعت بقاتل لنكولن إلى فعلته لا تمهد فى غير الحياة الأمريكية وفى غير بدوات المغامرة التى اشتهر بها طلاب الظهور فى القارة الجديدة ولا يزالون يشتهرون بها إلى الآن .

فقد كان للرئيس العظيم أعداء كثيرون يودون قتله لتحقيق مطالب أهل الجنوب ، ولكن الممثل الفاشل الذى قتله — وهو جون ويلكز بوث — لم يكن صاحب رأى ولا صاحب غيرة وطنية ، ولا كان من همه فض الاتحاد الجمهورى أو توسيع حقوق الولايات ؛ ولكنه كان فتى وسيما ابن ممثل عظيم ، وكان أبوه جونيوس بروتس أقدر الممثلين لأدوار شكسبير ، وكان إلى جانب ذلك مثلا فى الصلاح والاستقامة والرحمة بجميع خلائق الله ، وكان من أجل ذلك يحرم أكل اللحوم ويتجنب إزهاق الحياة ولو كانت حياة أفعى أو حشرة مؤذية . فإذا بولده يقتل أعظم رجل فى بلاده لأن وسامته جنت عليه وصرفته عن اتقان التمثيل على المسرح إلى اتقان التمثيل فى مواقف الغرام ، فتخلف عن زملائه وأخطأته الشهرة فى ميدانه وأحب أن يعوض ما فاته منها بمسرحية تاريخية تطغى على كل مسرحية فنية ينبه بها شأن نابغة من نوابغ التمثيل . ولم يكن من قصده فى بادىء الأمر أن يزهق حياة الرئيس ، وإنما خطر له أنه يستطيع أن يختطفه ويحمله إلى الجنوب ويسلمه إلى الولايات الجنوبية لتملى شروطها على ولايات الشمال كما تريد .

وما هو إلا أن فرغ من تدبير هذه المسرحية حتى فوجىء بتسليم قادة الجنوب وضاع كل رجائه فى مؤامرة الاختطاف فخطر له يومئذ أن يقتل الرئيس فى دار من دور التمثيل ثم يلوذ بالهرب لعلمه بمخارج هذه الدور ومداخلها وخبرته بمواضع النور والظلام فيها .

ولولا أنه ممثل فاشل لما خطرت له هذه المؤامرة ، ولولا اعتماده على معرفته بمسارح التمثيل لما اختار المسرح لتنفيذها . فهل يكثر على تفصيل هذا الحادث صفحتان من كتاب عن حياة الرئيس القتيل ؟ وهل يكون مصرع هذا الرئيس مفهوما وموقعه من طبيعة الحياة الأمريكية واضحاً بغير هاتين الصفحتين ؟

***

ويأبى الأستاذ الخفيف أن يصدق أنه أهمل بعض المصادفات التى كان لها الأثر الأكبر فى ارتقاء لنكولن إلى رئاسة الجمهورية فيكفى أن نذكر له فى هذا الصدد أن مصادفة واحدة من هذه المصادفات كانت سبباً لتحول الحزب الجمهورى من وليام سيوارد إلى لنكولن فى المؤتمر الكبير الذى عقده الحزب بمدينة شيكاغو سنة ١٨٦٠ لاختيار مرشحه لرئاسة الجمهورية .

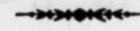
فقد حدث الاجتماع فى يوم ميلاد سيوارد ، وكاد الإجماع بين المندوبين أن ينعقد على اختياره . ولكن مصادفة واحدة غيرت مجرى التاريخ فى ذلك اليوم ... لماذا ؟ ... بسبب بسيط ، غاية فى البساطة ... وهو أن عامل المطبعة لم ينجز إعداد الأوراق التى كانت لازمة للاقتراع ، فاتفقوا على تأجيل البدء بالاقتراع ، وتم التأجيل فعلا ، وحدث الانقلاب المفاجىء فى هذه الأثناء . فإن الصحفى النابه هوراس جريلى — عدو سيوارد اللدود — تمكن فى هذه الفترة من تحويل معظم المندوبين عن رأيهم ، فرجحت كفة لنكولن على غير قصد من جريلى ومن شيعته ، لأنهم لم يكونوا مع لنكولن على وفاق .

ولولا أننا لا نستطيع أن نعيد تاريخ لنكولن وتاريخ ترشيحاته فى مقال واحد لفصلنا الكثير من أمثال هذه المصادفات .

ولم يكن نصيب المصادفات التى كان لها أكبر الأثر فى الترجيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أو فى نصيباً من هذه المصادفات التى صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية ؛ فإن كثيراً من الأحداث التى ارتفعت بحزب على حزب ونصرت جيشاً على جيش ، ترجع إلى مصادفات لم تذكر فى الكتاب .

حجة خيط العنكبوت
وقد فات وقتها

للأستاذ نقولا الحداد



يدعى اليهود أن أهيه (ومعناه : اكون الذى أكون) وما لبث أن سمى أيضاً يهوه (أى يكون) وهو اسم علم لإله الإسرائيليين كما هو مذكور فى سفر الخروج الاصحاح الثالث والعدد ١٤ — يدعون أن يهوه وعدهم وهم خارجون من مصر أنه يملكهم من بحر سوف (أى البحر الأحمر) إلى بحر فلسطين (أى البحر الأبيض)، ومن الجزيرة (برية سينا) إلى النهر (الأردن). انظر خروج ص٢٣ عد٣١، كذا قال يهوه الذى لقبوه بعدئذ رب الجنود، خروج ص ٣ عد ١٤، وقد وعد موسى قائلاً إن ملاكى يسير أمامك (وملك شعبك طبعاً) ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والفزيين والكنعانيين والحوبيين واليبوسيين فأبيدهم. خروج ص ٢٣ عد ٢٣

بعد أن خرج موسى بشعبه من أرض مصر إلى برية سينا صعد إلى جبل سينا لكى يتقبل وصايا الرب. وتأخر طويلا إلى أن نفد صبر شعب إسرائيل، فاضطروا هرون أخا موسى أن يصنع لهم عجلا من الذهب الذى كان فى أعناق نسائهم مما استلفته من المصريات قبل أن يخرجوا من مصر لأنهم يريدون إلهاً من ذهب لا من حجر ولا من خشب، فهم عبدة المال المعبر عنه بالذهب، فغضب يهوه لأنهم تركوه وعبدوا العجل الذهبى. وقد اقتبسوا هذه العبادة من مصر، وهددهم أن يبيدهم. فعاد موسى يسترضيه ويذكره بوعده لأجداده : إبراهيم وإسحق ويعقوب بقوله لهم : أنه يجعل نسلهم كنجوم السماء بالكثرة، وأنه يعطيهم تلك الأرض فيملكونها إلى الأبد. خروج ص ٣٢ عد ١٣، ١٤ فاستعطفه موسى إلى أن ندم على الشر الذى قالوا إنه يفعله بشعبه. خروج ص ٣٢ عد ١٣ ١٤ — هذا ما ورد فى التوراة التى كتبها اليهود.

فاليهود يقدمون اليوم هذه النصوص حججاً مسجلة لهم فى التوراة بملكية فلسطين كما نعرفها اليوم، ويزيدون على هذا الميراث الأملاك التى بين النيل والفرات.

والأنكى أن هناك فريقاً مغفلاً من النصارى يستشهدون بالتوراة فى إثبات هذا الميراث لليهود. فلنر ما هى قيمة هذه الحجة.

ألا يقولون لنا من أعاظم هذه الحجة، ومن سجلها لهم

ومن الطريف أننا نأخذ على الأستاذ الخفيف أن ميزانه المشترك بين أبطال كتبه ناقص، فيقول فى مناقشة هذا النقد : « إنى لست أذكر أنى عنيت بالميزان المشترك. فقد كنت أصف كل شخص على حدة، ولم أصدر حكما على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره ... »

وهذه هى المقدة وليس هذا هو حل المقدة كما رأى الأستاذ الخفيف. وإلا فهل يرى أن تاريخا يقوم على الكفاح بين الشخصيات والقادة ثم لا يصدر فيه حكم على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره يمكن أن يقال إنه وافى الميزان من جميع الوجوه؟

وإنى أنتهز فرصة الكلام على الميزان المشترك فأصحح هنا خطأ مطبعيا عرض لجملة من مقالى حيث جاء فيه : « من أمثلته فى تاريخ أحمد عرابى أنه لم يحرر الميزان كل التحرير عند الحكم على عرابى ومن يعده مثلا » وصوابها « على عرابى ومحمد عبده » لأن المقصود هنا هو الأستاذ الأمام رحمه الله.

***

وبعد فلست أظن أن الأستاذ الخفيف يرى أن كتاباً يوضع فى تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة فى عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات.

فإذا كان كلام كهذا لا يقال فى مثل هذا الكتاب فهل هنالك من ملاحظات على تاريخ لنكولن الذى كتبه الأستاذ الخفيف أهون من هذه الملاحظات!

عباس محمود العقاد

فى التوراة ؟ ومن كتب التوراة ؟

خرج موسى بالإسرائيليين من مصر في سنة ١٢٥٠ تقريباً قبل المسيح أى منذ ٣٢ قرناً . وفى ذلك الوقت لم يكن فن الكتابة بالحروف قد اخترعه الفينيقيون . كان الكهنة والحكام فى مصر ينقشون على الحجارة بالرسوم الهيرغليفية أسماء الملوك وسنى حكمهم ونحو ذلك . وكان البابليون ينقشون على الآجر النيء مثل ذلك بالحرف المسمارى ثم يحرقونه . فلم يكن لا فى الخط الهيرغليفى الذى هو رسوم أشياء تدل على الأشياء ، ولا فى الحرف المسمارى الذى ليس أرق من الخط الهيرغليفى ، ما يحتمل أن تكتب به أسفار التوراة الضخمة . والذين بحثوا فى هذا الموضوع وصلوا إلى نتيجة لا تقبل الشك وهى : أن الأسفار الخمسة التى أسندت إلى موسى لم يكتبها موسى ولا كُتبت فى زمن موسى لأن حروف الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد .

والمجمع عليه الآن فى هذا الموضوع : أن اليهود الذين عادوا من سبى بابل سنة ٥٢٧ قبل المسيح أى منذ ١٧٧٣ سنة من خروج موسى بشعبه من أرض مصر ، يعنى بعد نحو ١٨ قرناً هم الذين شرعوا يكتبون تلك الأسفار الخمسة مقتبسين فيها أساطير البابليين وشرائعهم وخرافاتهم وعاداتهم . وقد طبقوها على ملتهم من أسطورة الخليقة إلى أسطورة الطوفان إلى غيرها . وشريعتهم فى سفر تثنية الاشتراع تكاد تكون حرفاً بحرف من شريعة حورابى العربى الذى غزا أشور وبابل ، وحكم هو وخلفاؤه فيهما نحو مائة سنة .

فهذه الحجة التى يتمسك بها اليهود لم يكتبها موسى ولا كتبها أحد لعهد موسى ، بل هم اليهود الذين عادوا من السبى كتبوها فى سنين بعد موسى بثمانية عشر قرناً . وليس عندهم سند واحد يثبت أن ما نسبوه إلى موسى هو قول موسى ، ولا سند واحد يؤيد أن ما نسبوه إلى يهوه قاله يهوه . فهم كتبوا ماشاءوا مما تسلسل إليهم من أقوال الأجداد ومما تصوروه مناسباً لهم من تقاليد ما بين النهرين وما تخيلوه يؤيد عقائدهم الدينية والاجتماعية ووعدوا أنفسهم ما شاءوا أن يكون ميراثاً لهم وملكا وفى إمكانى أنا أن أكتب حجة لى بفندق شبرد أو ميناهوس وغيرهما حتى إنه يمكننى أن أكتب حجة بملكية سراى عابدين وبعد قرن أو قرون يقوم حفدائى يطالبون بهذه الأملاك بموجب هذه الحجج . فمن يقبلها ؟

وهب أنى أخذت حجة من صاحب فندق ميناهوس ، فمن يقبلها بعد ثلاثة آلاف سنة ؟

فالتوراة كما وصلت إلينا على يد اليهود ليست حجة بأن يهوه قالها وموسى كتبها إذ ليس عندنا إسناد بهذا .

ولما رأى اليهود أن حجة التوراة أصبحت واهية بعد تشتتهم وخيبة آمالهم فى أرض الميعاد ودولة إسرائيل ولا سيما بعد أن صارت بين أيدى النصارى والمسلمين تنكبوا عنها كأساس لدينهم واخترعوا التلمود فصار أساساً لدينهم ، ونقحوه مراراً حسب مقتضيات الزمن . وأخيراً لما رأوا أن التلمود ليس أقوى حجة من التوراة جمعوا أساطينهم فى مؤتمرات متعاقبة ووضعوا « مواثيق شيوخ صهيون » (البروتوكولات) التى كتبت بعضها فى (الرسالة) وعقبت عليها .

والغريب أنه ليس فى تاريخ مصر ولا فى غير مصر أن شعباً غريباً يدعى شعب إسرائيل خرج من مصر بقيادة زعيم اسمه موسى أقنع فرعون بمعجزاته أن يسمح لهم بالخروج .

ليس لهذا الحادث ذكر فى تاريخ من تواريخ الأمم ولا أشارت إليه إلا ما ورد فى التوراة التى كتبت بعد ١٨ قرناً لخروجهم كما زعموا .

مع ذلك لم تطبق حوادث اليهود على تلك الوعود المنصوصة فى التوراة .

فأولا لم يفتح اليهود بعد دخولهم أرض الميعاد إلا بعض بقاع منها بعد حروب عنيفة . فلماذا لم يطرد يهوه من أمامهم الكنعانيين والجرزيين الخ كما وعدهم ؟

ثانياً : لم يقيموا فى أرض كنعان أكثر من قرنين ثم سُبوا مراراً إلى بابل وغيرها . فما أقاموا فيها مدة تملكهم البلاد بحق وضع اليد .

ثالثاً : أن نسلهم لم يكثر كنجوم السماء . والمعروف الآن أن نجوم المجرة تبلغ نحو ثلثمائة ألف مليون نجم وهم لا يبلغون بعد ٣٦ قرناً أكثر من ١٦ مليوناً

رابعاً : أن اليهود منذ خرجوا من مصر ودخلوا أرض كنعان (إن كانوا دخلوا وخرجوا) ما كفوا عن عبادة البعل (الذهب) وأغضبوا يهوه مراراً . هرون صنع لهم عجلاً من ذهب وهم يصنعون كل يوم ألف عجل . سلهم هل حفظوا شيئاً من وصايا الله ؟ هل يوجد الربا الفاحش عند غيرهم ؟ هل هم إنسانيون كما يريد الله ؟

خامساً : تشتتوا على وجه الأرض . فلماذا تشتتوا إذا كانت أرض كنعان لهم بموجب صك من الله ؟ لماذا لم يبقوا فيها فلا ينازعهم أحد عليها ؟ أصبحوا حيثما نزلوا كانوا رغم أنوفهم من مواطني ذلك المهجر مكروهين لأنهم كارهون لكل من ليس يهوديا وأبوا أن ينتموا إلا لدولة يهودية وإلا أن يكونوا من رعايا دولة صهيون القائمة في الهواء .

فهل بعد مرور هذه القرون كتبت لهم ملكية في فلسطين ؟ وهل تقوم لهم حجة بملكيتها ؟

اليهود يفهمون هذا كما نفهمه نحن ، وإنما يريدون أن يتمحكوا بهذه السخافات ما دام بين نصارى أمريكا المغفلين من يقولون إن الكتاب المقدس يعطيهم هذا الحق ، ومن قدس هذا الكتاب . ومن كذب عن لسان الله غيرهم ؟ وقد حقق الله وعده لهم فأدخلهم أرض كنعان فلماذا هجروها ؟

واليهود أنفسهم لم تبلغ بهم السخافة أن يقدموا هذه « الحجة التاريخية المقدسة » لقضاة هيئة الأمم لأن هؤلاء يتورعون أن يكونوا أضحوكة الأمم وإن لم يتورع بعض سخفاء نصارى أمريكا عن الاعتراف بهذه السخافات .

ولكن هل يجسر هؤلاء اليهود الأفاكون أن يقدموا هذه « الحجة الكتابية » للكونت برنادوت ؟ وهل يعيرها أذنا إلا بالتحقير لقائليها ؟

إن أهل فلسطين الحاليين هم سكانها الأصليون . كانوا منذ عهد موسى إلى عهد المسيح يهوداً ووثنيين . ولما جاء المسيح تنصر بعضهم . ولما جاء الإسلام أسلم معظمهم فما خرجوا من أرضهم . وأما القادمون من الغرب فما كانوا إلا وثنيين ، فلما احتكوا باليهود المشتتين ورأوا أن اليهود يعبدون إلهاً غير منظور رأوا أن عبادة الأصنام سخافة فتهود بعضهم ، ومنهم أسلاف الغزاة البولونيين وأمثالهم

إن هؤلاء اليهود لا يعرفون غير إله المال فلا تنتظر منهم صدق وعد ولا حفظ عهد ، فقد مضى على الهدنة نصف عمرها وهم يصلبونها كل يوم عشرين صليباً

ولا ندري ماذا يعني برنادوت بقوله لهيئة الأمم إنه مرتاح إلى تنفيذ الهدنة كل الارتياح ، إلا إذا كان مسروراً من استغلال اليهود لها

ولا ندري لماذا يطلب سفناً وطائرات إلا إذا كان ينوي أن يمكن اليهود من الاستغلال ، وإدخال بعض اليهود إلى البلاد وحفظهم في المعتقل إلى أن يتدربوا ثم يطلق سراحهم لكي ينضموا إلى الهاجاناه

وما معنى أن يستعد لاستلام حيفا من الجيش البريطاني ؟ هل وطد العزم على الإقامة في فلسطين لكي يحرس دولة إسرائيل؟

إن هذه الألاعيب إذا جازت على الدول العربية فلا تجوز على الشعوب العربية ، الشعوب العربية تغلي الآن وتفور ، لا على اليهود ؛ بل على الجامعة العربية الصابرة حتى الآن على رذالة اليهود فقد ردت انتصار العرب عدة فراسخ إلى الوراء

(القاهرة) نقولا الحداد

العلاج بالطرق النفسية

للدكتور فضل أبو بكر

بدأت الظواهر النفسية منذ بدء خلق الإنسان فهى جزء منه صادرة عنه ، وكانوا يطلقون عليها فيما مضى العلوم الروحانية « Spiritualisme » وهى عبارة عن بعض الظاهرات النفسانية والروحانية مثل الوساطة وهى المصدر من وسيط « Médium » وهو شخص موهوب يملك القدرة بأن يكون حلقة الاتصال بين الموتى والأحياء ، إذ يناجى الحى روح ذوى قرابته وأصدقائه ممن توفاهم الله عن طريق ذلك الوسيط . ومنها ازدواج الشخصية التلقائى « Dédoublement Spontané de Personnalité » ومثال ذلك أن ترى رأى العين شخصاً بعيداً عنك بمناسبة حادث خطير وقع لذلك الشخص ، وتسمع صوته تماماً ، وهى رؤية وسمع يختلفان كل الاختلاف عما يراه ويسمعه بعض المجانين والمصابين بهُصاب أو ذُهان أو باختصار فإن تلك الظاهرة ليست « بالهلوسية » البصرية أو السمعية وإنما هى ظاهرة ازدواج الشخصية التلقائى .

وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة بعض الإنجليز مثل « جيرنى » « gurney » و « ميرز » « Myers » وهما عضوان فى جمعية الأبحاث النفسية (البسيكولوجية) الإنجليزية ، ومن الفرنسيين « فلاماريون » و « لانسلن » « Lancelin » .

كل هذا كان معروفاً لدى القدماء ولا سيما الشرقيين مثل الهنود والصينيين وقدماء المصريين كما كانوا يطلقون على تلك العلوم التى تختص بدراسة مثل هذه الظاهرات الروحانية والنفسية العلوم المحجوبة « Les Sciences Occultes » حيناً ، والعلوم اللدنية العلوية فى بعض الأحيان . وكانت فى متناول فئة قليلة موهوبة تأتى من الأعمال فى بعض الأحيان ما يشبه المعجزات وتستشف حجب الغيب الكثيفة .

وظهر فى مستهل فجر النهضة العلمية بعض الفلاسفة ممن انقطعوا لدراسة الظواهر النفسية والروحية مثل « بلين » « Pline » و « بازيل » « Basile » والفيلسوف ابن سينا و « باراسلز » « Paracelse » وزعم هذا الأخير بأن من الممكن أن يؤثر عقل فى عقل آخر بوساطة ما سماه وقتئذ « بالسائل المغناطيسى » .

وفى عام ١٧٧٠ جاء « مزمر » « Mesmer » بنظرية المغناطيسية « Magnetisme » ولقيت استعداداً فى النفوس ضمن لها نجاحاً باهراً . وفحوى « المغناطيسية » أو « المزمرية » كما كانوا يسمونها ، أن كل جسم من الأجسام جماداً كان أو حيواناً تنبعث منه موجات مغناطيسية تكون فى الحيوان أشد مما هى فى الجماد ، وفى الإنسان أشد مما هى فى الحيوان . وكلما كان الإنسان قوياً سليماً كانت قوة الأشعاع عنده أكبر ، وما الأمراض إلا اضطراب يعترى توازن تلك المغناطيسية فى الإنسان ، كما أن لبعض الناس المقدرة — بواسطة اللمس — على أن يعيدوا توازن مغناطيسية المريض ومن ثم يحدث الشفاء .

وقد سادت نظرية المغناطيسية العالم أكثر من نصف قرن ، وكانت تستعمل فى التنويم وفى علاج بعض الأمراض . وظهر من بعد « مزمر » « لافونتين » الذى نسج على منوال مزمر إلى أن جاء فى سنة ١٨٤١ الطبيب الإنجليزى « بريد » « Braid » وحضر ذات يوم جلسة خاصة بعمليات المغناطيسية التى يقوم بها « لافونتين » فقام « بريد » بدوره بعدة عمليات ووصل إلى نتائج مشابهة مع أنه لم يستخدم الطرق التى استعملها لافونتين ، وأنكر فى الوقت نفسه وجود السائل المغناطيسى والمغناطيسية الحيوانية التى كان يعتقد فيها من سبقوه كمزمر ولافونتين ، والتى سادت العالم مدة طويلة . وسمى بريد تلك الظاهرة بالنوم « Hypnose » وطريقة الحصول عليها «بالتنويم» « Hypnotisme » واعتنق مذهب بريد كل المشتغلين بعلم النفس والروحانيات فى ذلك الحين ، كما أقرته الجامعات رسمياً وأدخلت دراسته فى كليات طبها ولا سيما فى باريس .

ثم جاء العالم الفرنسى الأستاذ « شاركو » « Coarcàt » ومساعده الأستاذ « بيتر » « Pitres » فى كلية الطب بباريس ومستشفى « السالبتريير » الخاص بالأمراض العصبية ، كما أن شاركو ومدرسته استعملوا ظاهرة التنويم فى الكثير من مرضاهم واستعانوا بها فى العلاج وخاصة لمن كان مصاباً بالهستريا والصرع

وبعض الأمراض العصبية والذهنية الأخرى .

وقد برزت فى الميدان مدرسة « نانسى » بفرنسا تزاحم مدرسة باريس وكان على رأسها الأستاذ «ليبول» « Liebeault » الذى خطا بهذا النوع من الدراسات النفسية خطوات واسعة ودعمه بأسس ثابتة متينة كما طبعه بطابع علمى وأثبت أن التنويم ما هو إلا وليد الإيحاء المباشر وهو ما سماه « بالتنويم النفسى » « Hypnotisme Psychique » ليميزه بذلك عن تنويم شاركو « الحسى » أى الذى يؤتى به عن طريق الحواس مثل البصر والسمع واللمس .

والأيحاء كما يعرفه « برنهايم » « Bernheim » هو عبارة عن ظاهرة نفسية يوحى فيها للانسان بفكرة أو رأى يقبله عقله فيستولى على نفسه ومشاعره . ولكى نعطى القارىء فكرة أوضح نقول إن النشاط النفسى (البسيكولوجى) يشمل عاملين مختلفين متضادين هما عامل « الشعور » « Conscience » أو الوعى ، و« اللاشعور» « Sub - Conscience » . فالأول هو عامل التفكير والتمييز والحكم على الناس والأشياء ، وهو طوعى إرادى يتغلب على الثانى فى حالة الصحو ، وأما الثانى أى اللاشعور فهو آلى غير إرادى ، وهو أداة للحب والهوى ومكمن للعواطف والمخاوف والخيال والذاكرة .

أما أثر الأيحاء فى النشاط البسيكولوجى أى فى الشعور واللاشعور فهو إضعاف الأول وشل نشاطه مع إيقاظ الثانى وإثارته لأكبر درجة ممكنة. وهذا مايحدث تماماً فى النوم العادى الطبيعى إذ يضعف مفعول الشعور رويداً رويداً حتى إذا ما وصل النائم إلى سبات عميق زال أثر الشعور بتاتاً ، أما اللاشعور فيكون فى هذه الحالة فى حالة نشاط عظيم ويقظة تامة .

وإثارة الأيحاء ومداه والانتفاع من ذلك فى الملاج ، كل ذلك يتوقف على عوامل كثيرة من جانب الموحى والموحى إليه ، فيجب على الأول أن يكون ملماً بأوليات علم النفس ، كما يجب أن يكون بارز الشخصية قوى الإرادة صبوراً ، كما يتوقف على مبلغ حساسية الموحى إليه واعتقاده بل ثقته بمقدرة الموحى . ويتفاوت الناس فى درجة الحساسية . وكان « شاركو » يعتقد بأن مرضى الهستريا والعُصاب والذُّهان هم الذين يسهل تنويمهم . والواقع أنهم أشد حساسية من غيرهم . وإن كان الأصحاء — إذا توفرت فى الموحى والموحى إليه الشروط المذكورة — قلما يخرجون عن محيط سلطانه ويقعون تحت براثنه .

أما تطبيق هذه الظاهرات على الملاج فقد اهتدى الإنسان إليه بالسليقة منذ عصور عريقة فى القدم ، وما زالت تلك الطرق بدائية لدى الشعوب البدائية مثل التمائم والتماويذ لجلب النفع ودفع الأذى وقضاء الحاجة ، والسحر والحسد لجلب الأذى وإلحاق الضرر ، والعرافة للكشف عما يخبئه الغيب وعما يتمخض عنه المستقبل ، كل ذلك عوامل وطرق نفسية من غير صقل ولا تهذيب وإن كان من المغالاة أن ننكر على تلك الطرق بعض النتائج الباهرة التى يحصل عليها بعض من يمارسونها .

هذا ، وقد ثبت عملياً وأصبح فى حكم البدهيات معرفة الصلات الوثيقة التى تربط الانفعالات النفسية بالظواهر الفسيولوجية وتأثيرها تأثيراً مادياً عضوياً ؛ ومع ذلك فليسمح القارىء بأن نضرب له بعض الأمثلة : إذا فوجىء إنسان بخبر محزن وصدمة عنيفة ، فقد يشعر بجفاف فى حلقومه إذ يغيض معين سائله اللعابى ويقف إفرازه ؛ أو فى حالة الفزع والخوف يصاب بإسهال ويشعر بحاجة ملحة إلى التبول ؛ أو أن يسيل فيض من الدمع على خده فى حالة الحزن ، كل هذه الأمثال المعروفة المألوفة وكثير غيرها يؤيد سلطان العوامل النفسانية على الجسم وفسيولوجيته .

والآن أذكر للقارىء بعض الأمثلة التى تستعمل فيها الظواهر النفسية كعوامل للملاج .

١ — استخدامها فى التخدير الجراحى :

هنالك بعض الحالات الجراحية لا يمكن فيها استعمال مخدر كيمائى ؛ إذ أن بعض المرضى لا يتحملون تخديراً كلياً ولا موضعياً لأن أجسامهم من حيث القلب والرئة مريضة هزيلة ، وقد كنت شاهد عيان سنة ١٩٣٥ ، فى إحدى مستشفيات مونبلييه حين أريد إجراء عملية فى الحال لفتاة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها أصيبت بالتهاب حاد فى مصيرها الأعور ، وكانت ضعيفة القلب هزيلة الرئتين لحد لا يسمح بتنويمها بالمخدر ، ولابد من إجراء العملية فى الحال لانقاذ حياتها المهددة ، فلم ير الأستاذ إتيين « Etienne » وكان أستاذاً لجراحة الأطفال ، بداً من الالتجاء إلى التنويم النفسانى عن طريق الأيحاء والخطوات التى وصل بها إلى ما أراد هى :

حدج الفتاة بنظرات قوية ثاقبة لمدة لا تتجاوز بضع ثوان ، ثم صاح بها في صوت جهوري متزن مطمئن ثلاث مرات بأنها سوف لا تشعر بأقل ألم ، ومن ثم وضع على وجهها القناع الخاص بالتخدير العادي لإيهامها فقط ، ولم يصب عليه نقطة واحدة من المخدر وأمرها أن تعد من واحد إلى عشر . وما إن وصلت إلى الرقم السادس حتى اختفى صوتها ، ووقعت في نوع هادىء عميق ، وأجريت العملية في ظروف مؤاتية وأنقذت حياتها . وقد قرأت عن بعض حالات مشابهة في جراحة طب الأسنان

٢ — استخدام الأيحاء في تخدير الآلام الجسدية :

نجحت طرق الأيحاء عن طريق التنويم أو بدونه في تخدير الآلام المبرحة بل في إزالتها نهائياً في بعض الأحيان . ويذكر الأستاذ « جاجو » « Jagot » وهو من المشتغلين بعلم النفس أنه دعى ذات ليلة في ساعة متأخرة لرجل كان يسكن الطابق الأعلى من البيت الذي كان يقطنه ، وكان الرجل يتلوى من ألم مبرح في ضرسه لم يقو على احتماله إلى حد أن سمح لنفسه بإزعاج الأستاذ في مثل تلك الساعة مع علمه بأنه ليس بطبيب أسنان ، ولكنه كان يؤمن بمقدرته النفسانية ، فهب الأستاذ إلى نجدة الرجل وأمكنه إزالة آلامه وإعادة الطمأنينة إلى نفسه عن طريق الأيحاء

٣ — العلاج النفساني لعضو فقد وظيفته :

مثل هذه الحالات كثيرة . وسأذكر مثلا شاهدته هنا بنفسي في هـذه الأيام وهو ما أثارني إلى كتابة هذا البحث ، وقد وقع في إحدى مستشفيات بوردو مع الأستاذ العالمي الـكبير « جورج بورتمان » « G . Portmann » وهو يعد أكبر حجة في العالم أجمع لأمراض الأنف والأذن والحنجرة — أتت صباح يوم سيدة تصحب ابنتها وكانت تشعر ببحة في الصوت على أثر صدمة نفسية غراميـة أفضت إلى قبض الصوت وفقدانه تماماً « Aphonie Complète » وقد فحصها الأستاذ بدقة تامة شأنه مع كل المرضى كما فحصناها من بعده فلم نر غير حنجرة سليمة ، ليس بها علامة لمرض أو أثر لالتهاب ؛ وأوتار الحنجرة كذلك في حالة طبيعية ، فأدركنا أن هذا النوع ليس عضوياً وإنما هو وظيفي أو هستيري كما يسمونه ؛ فاستعمل معها طريقة الأيحاء ، وكانت دهشتنا شديدة إذ رأينا الفتاة وقد تم شفاؤها وعاد صوتها في اليوم الثالث إلى حالته الأولى .

وأظن القارىء قد سمع شيئاً عن مدينة لورد « Lourdes » بفرنسا وهي مدينة صغيرة يقال إن العذراء مريم ابنة عمران قد ظهرت فيها . وقد يكون ذلك عن ظاهرة ازدواج الشخصية كما أسلفنا في مستهل المقال . وقد حدثت الرؤية لفتاة سميت فيما بعد بالقديسة « برنادوت » وكانت في حالة تامة من اليقظة متمتعة بقواها العقلية . فأصبحت مدينة « لورد » على أثر هذا الحادث أرضاً مقدسـة وموطناً للحج يؤمه الزوار و « الحجاج » من المسيحيين من كل حدب وصوب بقصد التبرك وقضاء الحوائج وشفاء الأمراض ، وإن بعض الحالات المرضية قد تم علاجها في تلك المدينة — والمريض هنالك يحضر تحضيراً خاصاً قبل ذلك بأيام وتعرض عليه الصور الفوتوغرافية للمرضى الذين شفوا من مرضهم ولا سيما من كان منهم مصاباً بداء المريض الذي ينشد الشفاء . كما تلقى عليه دروس خاصة وكل ما من شأنه أن يضاعف اعتقاده ويقوى إيمانه ، ومن ثم يسمح له بالاستحمام في حوض يحوى « الماء المبارك » . وقد دلت الإحصائيات على أن بعض المرضى قد تحسنت حالتهم ، كما تم شفاء البعض — وإني من غير أن أتعرض للناحية الدينية من الموضوع أقول بأن العامل النفساني من إيحاء وغيره يلعب دوراً هاماً في مثل هذه الأحوال .

٤ — العلاج البسيكولوجي في التربية :

وهو ما يسمونه بالثقافة النفسية . استعملت هـذه الطرق في تربية الناشئين بل والكبار لعلاج الـكثير من الأمراض النفسية مثل ضعف الأرادة والتردد وفرط الحياء والجبن والتهور وضعف الذاكرة ، وغير ذلك من الأمراض والنقائص النفسية ؛ وقد أتت بنتائج مشجعة كما استخدمت في عالم الفن والتمثيل ، وخلقت من البعض فنانين تبدلت شخصياتهم تماماً عما كانوا عليه من قبل مما أدى إلى نجاحهم وشهرتهم في مهنتهم .

وخلاصة ما تقدم أن العلاج النفسي حقيقة لا ريب فيها ، وليس نوعاً من الدجل والشعوذة كما كان يظن البعض ؛ وهو يزداد أهمية يوماً بعد يوم ، ويتطور بتطور علم النفس والوصول إلى غوامضه ، كما أنه من المعقول أن نعقد عليه آمالا كبيرة في المستقبل القريب .

(باريس) **فضل أبو بكر**

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

مخطوط لم يعرف من قبل

ابن سينا والبعث

للأستاذ سليمان دنيـــا

عرض الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » لفكرة البعث عند الفارابي وابن سينا وروى عنهما أنهما يقولان باستحالة البعث الجسماني ، لأنه لا يمكن في نظرهما إلا على واحدة من صور ثلاث :

الأولى : « أن يقال : الإنسان عبارة عن البدن ، والحياة — التي هي عرض — قائمة به » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « وهذا ظاهر البطلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن ، فاستئناف خلقهما إيجاد لمثل ما كان ، لا امين ما كان »

الثانية : « أن يقال : النفس موجودة ، وتبقى بعد البدن ، ولكن يرد البدن الأول بجمع تلك الأجزاء بعينها » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « لا يخلو : إما أن يجمع الأجزاء التي مات عليها فقط ، فينبغي أن يعاد الأقطع ومجدوع الأنف والأذن وناقص الأعضاء كما كان ، وهذا مستقبح ، ولا سيما في أهل الجنة . وإن جمع جميع أجزائه التي كانت موجودة في جميع عمره ، فهو محال من وجهين :

أحدهما : أن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان ، وقد جرت العادة به في بعض البلاد ، ويكثر وقوعه في أوقات القحط ، فيتعذر حشرهما جميعاً ، لأن مادة واحدة كانت بدناً للمأكول ، وصارت بالغذاء بدناً للآكل ، ولا يمكن رد نفسين إلى بدن واحد . بل لا يحتاج في تقرير هذه الاستحالة إلى أكل الناس الناس ، فإنك إذا تأملت ظاهر التربة المعمورة علمت بعد طول الزمان أن ترابها جثث الموتى قد تربت وزرع فيها وغرس ، وصارت حباً وفاكهة ، وتناولتها الدواب فصارت لحماً ، وتناولناها فصارت أبداناً لنا ، فما من مادة يشار إليها إلا وقد كانت بدناً لأناس كثير ، فاستحالت وصارت تراباً ، ثم نباتاً ، ثم لحماً ، ثم حيواناً .

والثاني : أنه يجب أن يعاد جزء واحد ، كبداً وقلباً ، ويداً ورجلا ، فإنه ثبت بالصناعة الطبية أن الأجزاء العضوية يتغذى بعضها بفضلة غذاء البعض ، فيتغذى الكبد بأجزاء القلب ، وكذلك سائر الأعضاء » .

الثالثة : « أن يقال : المعاد هو رد النفس إلى بدن إنساني ، من أي مادة كانت ، وأي تراب اتفق » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « وهو محال من وجهين :

أحدهما : أن المواد القابلة للكون والفساد محصورة في مقعر فلك القمر ، لا يمكن عليها مزيد ، وهي متناهية ، والأنفس المفارقة للأبدان غير متناهية — أي بناء على نظرية قدم العالم عندهم — فلا تفي بها .

والثاني : أن التراب لا يقبل تدبير النفس ، ما بقي تراباً ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجاً يضاهي امتزاج النطفة . ومهما استعد البدن والمزاج لقبول نفس ، استحق من المبادئ الواهبة للنفوس حدوث نفس ، فيتوارد على البدن الواحد نفسان — إحداهما هي نفسه الأصلية ، والأخرى هي التي استحقها حين صار من جديد بدناً ذا مزاج ؛ فإن من شأن العقل الفعال عندهم أن يفيض على المادة ، حين تصبح ذات مزاج ، نفساً مناسبة لذلك المزاج : نباتية ، أو حيوانية ، أو إنسانية — وبهذا بطل مذهب التناسخ . وهذا المذهب هو عين التناسخ ، فإنه رجع إلى اشتغال النفس ، بعد خلاصها من البدن ، بتدبير بدن آخر غير البدن الأول ، فالمسلك الذي يدل على بطلان التناسخ ، يدل على بطلان هذا المذهب » .

***

هذا ما يرويه الغزالي عن الفارابي وابن سينا ، ولكنا إذا رجعنا إلى « الشفاء » لابن سينا وجدناه يقول فيه : الفن الثالث عشر ، إلهيات ص ٦٣٤ ط الهند : « يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع — وفي نسخة : مقبول في الشرع — ولا طريق إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبي ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن .

ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالقياس اللتان للأنفس ، وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن لما نوضح من العلل والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك .

فلنعرف حال هذه السعادة ، والشقاوة المضادة لها ؛ فإن البدنية مفروغ منها فى الشرع ... »

وورد كذلك فى النجاة ص ٤٧٧ ط الكردى هذا النص بلفظه وحروفه .

***

ومن كل هذه النصوص يظهرلنا تناقض واضح بين ما يقوله ابن سينا عن نفسه فى « الشفاء » و« النجاة » وما يقوله الغزالى عنه فى كتابه « التهافت » ، فهو يقول عن نفسه : إن البعث الجسمانى ممكن وواقع ؛ والغزالى يقول عنه : إن البعث الجسمانى مستحيل .

وهنا يطرأ على بال الباحث المتفحص سؤال لا بد منه ، هو :

هل الغزالى متقول على الفلاسفة غير أمين فى نقله عنهم ؟ !

أم أن لهذه المسألة عند ابن سينا سراً خفياً يتطلب الصبر والأناة حتى يوقف على غوره ودخيلته ؟ أعنى : هل للمسألة عنده ظاهر وباطن ، ظاهر يكشفه للعامة ، وباطن يحتفظ به لنفسه ، ولمن يؤهلهم استعدادهم لفهمه ، وعن هذا الظاهر تحدثت الشفاء والنجاة ، وعن هذا الباطن نقل الغزالى ؟ !

كلا الأمرين جد خطير ، لا ينبغى أن يصار إليه عن طريق الظنون والتخمينات ، فإن الظنون والتخمينات لا توصل إلى العلم الصحيح ، وإنما ينبغى أن يصار إليه عن طريق التثبت واليقين

***

قد يحتال لإزالة هذا التعارض فيقال : إن ابن سينا نفسه نزع الوثوق من كتاب « الشفاء » ، ولم ير فيه معبراً عن أفكاره ومعتقداته ، بل يراه معبراً عن أفكار المشائين ونزعاتهم . ومتى صح ذلك لم يجدر بنا اعتبار ما ورد فيه مصوراً لأفكار ابن سينا وذلك حيث يقول فى مقدمة « منطق المشرقيين » :

« ... وبعد ، فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى ، أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم !

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى المشائين من اليونانيين كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا إليهم وتعصبنا للمشائين ، إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم ، وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه ، وأغضينا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجهاً ومخرجاً ونحن بدخلته شاعرون ، فإن جاهرنا بمخالفتهم ، فنى الشيء الذى لم يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل .

فن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح ؛ وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عقول هؤلاء الذين فى العصر ...

وما جمعنا هذا الكتاب — يعنى فلسفة الإشراقيين — لنظهره إلا لأنفسنا ، أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاولة هذا الشأن ، فقد أعطيناهم فى كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم »

وكتاب النجاة صورة مصغرة لكتاب الشفاء وتلخيص له أثبت ذلك البحث والتمحيص ، فالوثوق به من نوع الوثوق بكتاب الشفاء وفى درجته .

وأكثر من ذلك أن ابن سينا فى نفس الشفاء ص ٦٤٧ ، والنجاة ص ٥٠١ ، صرح بأن نصوص الشرع فى مسألة المعاد يجب أن تتلقى بحيطة وحذر ، إذ أنها تنزلت عند مستوى عقول العامة ، فصورت لهم أمر المعاد بالصورة التى يستطيعون فهمها ، لا بالصورة التى هو عليها فى نفس الأمر ، استمع إليه يقول :

« وكذلك يجب أن يقرر عندهم — أى يجب أن يقرر النبي عند العامة — أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن إليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه إلا أمر مجملا ، وهو

أن ذلك شيء لا عين رأته ولا أذن سمعته ، وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم » .

والنص بنفس هذه الحروف والكلمات وارد في الكتابين .

أضف إلى ذلك أن ابن سينا صرح في الإشارات بما يفيد أن المعاد بالروح وحده دون الجسم ، قال في ص ١٩٥ ط ليدن : « والعارفون المتنزهون إذا وضع عنهم درن مقارنة البدن وانفكوا عن الشواغل ، خلصوا إلى عالم القدس والسعادة ، وانتعشوا بالكمال الأعلى ، وحصلت لهم اللذة العليا » .

وفي ص ١٩٦ : « وأما البله فإنهم إذا تنزهوا خلصوا من البدن إلى سعادة تليق بهم ، ولعلهم لا يستغنون فيها عن معاونة جسم يكون موضوعاً لتخيلات لهم ، ولا يمتنع أن يكون ذلك جسما سمائياً أو ما يشبهه ، ولعل ذلك يفضي بهم آخر الأمر إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين » .

وفي ص ١٩١ : « فلا ينبغي لنا أن نستمع إلى من يقول : إنا لو حصلنا على حالة لا نأكل فيها ولا نشرب ولا ننكح ، فأية سعادة تكون لنا ؟ ! والذي يقول هذا ، فيجب أن يبصّر ويقال له : يا مسكين ! لعل الحالة التي للملائكة وما فوقها ألذ وأبهج وأنعم من حال الأنعام ، بل كيف يمكن أن تكون لإحداهما إلى الأخرى نسبة يعتد بها ؟ »

بل إنه صرح في « الشفاء » و « النجاة » بمثل ما جاء في الإشارات . قال في النجاة ص ٤٨٥ : « فإذا فارقت — يعني فارقت النفس البدن — ولم يحصل معها ما تحصل به بعد الانفصال إلى التمام ، وقعت في هذا النوع من الشقاء الأبدي ، لأن أوائل الملكة العلمية إنما كانت تكتسب بالبدن لا غير ، وقد فات » .

وقال في ص ٤٨٨ : « وإن كانت مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، وليس عندها هيئة غير ذلك ، ولا معنى يضاده وينافيه ، فتكون لا محالة ممنوة بشوقها إلى مقتضاها ، فتتعذب عذاباً شديداً بفقد البدن ومقتضيات البدن من غير أن يحصل المشتاق إليه ، لأن آلة ذلك قد بطلت ، وخلق التعلق بالبدن قد بقي » .

ونفس هذا النص قد ورد في الشفاء .

***

من كل هذا يخلص لنا :

أولا : إمكان اعتبار ابن سينا قائلا بالبعث الروحاني فقط ، وفي هذه الدائرة يصدق نقل الغزالي عنه .

ثانياً : أن ابن سينا غير متناقض في حديثه عن البعث ، ولكن له فيه ظاهر وباطن ، ومن لم يفطن لهذين الجانبين فيه ظنه متناقضاً ، وليس الأمر من التناقض في شيء .

ولكن ليس هذا هو كل ما يهم الباحث المتفحص في هذا المقام ، فليست إزالة التناقض بين نصوص ابن سينا المختلفة وإزالة التناقض بين حديث الغزالي عن ابن سينا وحديث ابن سينا عن نفسه — وإن أدخلت على تاريخ الفلسفة تكميلا كان يتطلبه — هي كل شيء في هذا المقام .

ذلك أن الغزالي لم يدع في كتابه « التهافت » أن ابن سينا منكر للبعث الجسماني وكفى ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان في إزالة التناقض على الوجه السابق — وهو نتيجة بحثنا الخاص — غناء وأي غناء ، ولكن الغزالي أضاف إلى ابن سينا مع هذه الدعوى أدلة شققها تشقيقاً وفرعها تفريعاً ، فكان لا بد لتاريخ الفلسفة أن يعرف أمرين على جانب كبير من الأهمية :

أحدهما يتصل بابن سينا نفسه ليعرف التاريخ هل هذه الأدلة المعزوة إلى ابن سينا في كتاب (تهافت الفلاسفة) صحيحة النسبة إليه ؟ فإنه إن صحت نسبتها إليه ، جاز للتاريخ أن يقول على وجه القطع — استمداداً من هذه الأدلة وحدها — إن ابن سينا قائل باستحالة البعث الجسماني .

وثانيهما يتصل بالغزالي ، إذ قد عرض لكثير من الفرق المختلفة وناقشها وساق أدلة ودعاوى عزاها إليها ، وقد لا يتيسر الآن الرجوع إلى المصادر الأصلية لهذه الفرق . فهل الغزالي ثقة فيما ينقل ويروي ؟ أم تتسرب إلى نقله الريب وتحوم حوله الشكوك ؟ وهذا جانب هام يعني تاريخ الفلسفة أن يقف على وجه الحق فيه .

***

هذه ثغرة لم أجد — فيما قرأت — من حاول سدها في تاريخ ابن سينا وتاريخ الغزالي على السواء .

ابن سينا : هل قال ما نسب إليه الغزالي من أدلة إنكار البعث الجسماني ؟ !

والغزالى : من أين استقى هذه المعلومات ؟ !

وممـا يزيد الأمر خطورة أن المسألة لم تقف عند ابن سينا والغزالى ، بل جاوزتهما إلى من أخذ عن الغزالى من علماء الـكلام وإلى من دافع عن ابن سينا ، كابن رشد . فـكان على علماء الـكلام أن يعرفوا — قبل أن يرددوا — من أى المصادر استقى الغزالى هذه الأدلة التى يعزوها إلى ابن سينا ، فهل عرفوا ؟! . . وكان على ابن رشد أن يعرف — قبل أن يناضل ويدافع — هل ما نسب إلى ابن سينا صحيح النسبة إليه ، فهل عرف ؟! . .

***

ثغرة أدركتها أول الأمر ضـيقة ، ثم ما زالت تتسع أمامى حتى وصلت إلى ما رأيت . ولشعورى القوى بحاجة تاريخ الفكر الإسلامى إلى سدها ، حاولت أن أسدها على أى وضع كان ، فقلت معلقاً على هـذه الأدلة التى يعزوها الغزالى إلى ابن سينا ، وأنا أخرج كتاب « تهافت الفلاسفة » « هذا المثال — أعنى قوله : إن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان ... الخ — وغيره ، نجده موجوداً فى كتب الـكلام بنصه وفصـه ، فلعل علماء الـكلام لم يرجعوا إلى كتب الفلاسفة نفسهـا — نظراً لأنى لم أجد فيما لدى من كتب الفلاسفة وقتذاك شيئاً من هـذا الـكلام — وإنما عولوا على هذا التصوير الذى اضطلع به الغزالى . على أنى أكاد أجزم بأن الغزالى فى تصوير وجهة نظر الفلاسـفة ما كان يقف عنـد الحد المنصوص عليه فى كتبهم ، وإنما كان يفترض افتراضات ويذكر احتمالات ويناقشها ليخلص له : أن كل ما يمكن أن يقال على لسانهم فهو مدفوع مردود » .

وظل الأمر واقفاً عند هذا الحد : ثغرة تتطلب سداً محـكماً من الفولاذ ، وضمت فيها لفافة من الخيش إلى أن تـكفل هذا المخطوط بهذا السد الفولاذى .

وإلى اللقـاء فى مقال تال — إن شـاء الله — نحلله فيه ونتعرف محتوياته .

سليمان دنيا

مدرس الفلسـفة وعلم العقيدة
بكلية أصول الدين

نداء الفـــداء

أو أنشودة الجهاد فى حومة فلسطين

نص الغنائية الحماسية التى هتف بها الشاعر على محمود طه وألف منها الموسيقار محمد عبد الوهاب لحنه الجديد « أنشودة فلسطين »

أخى ! جاوز الظالمون المـدى   فحق الجهاد وحق الفـدا
أنتركهم يغصبون العروبـ   ـة مجـد الأبوة والسؤددا
وليسوا بغير صليل السيوف   يجيبون صوتاً لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده   فليس له بعدُ أن يغمدا
أخى ! أيهـا العربى الأبى   أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخى ! أقبل الشرق فى أمة   ترد الضلال وتحيى الهدى
أخى ! إن فى القدس أختاً لنا   أعدَّ لها الذابحون المُدى
صبرنا على غدرهم قادرين   وكنـا لهم قدراً مرصدا
طلعنا عليهم طلوع المنون   فطاروا هباء وصاروا سدى
أخى ! قم إلى قبلة المشرقين   لنحمى الـكنيسة والمسجدا
« يسوع » الشهيد على أرضها   يعانق فى جيشه « أحمدا »
أخى ! قم إليها نشق الغمار   دماً قانياً ولظى مرعدا
أخى ! ظمئت للقتال السيوف   فأورد شَباها الدم المصعدا
أخى ! إن جرى فى ثراها دمى   وأطبقت فوق حصاها اليـدا
ونادى الحمـام وجن الحسام   وشب الضرام بهـا موقداً
ففتش على مهجة حـرة   أبت أن يمر عليها العدا
وخـذ راية الحق من قبضة   جلاها الوغى ونماها الندى
وقبل شهيداً على أرضها   دعا باسمها الله واستشهدا
فلسطين يفدى حماك الشباب   وجـل الفدائى والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور   فأما الحياة وإما الردى !

على محمود طه

السـيدة غريغورى

للأسـتاذ نجاتى صدقى

قال لى أحد معارفى ذات يوم : أذكر أننى قرأت لك منذ سنة تقريباً قصة بعنوان (الأب غريغورى)(١) وقد ختمتها بأن (كلاره) كانت تذهب كل يوم أحد إلى مقبرة صهيون بالقدس لتبكى القسيس الراحل . .

قلت — نعم ... وهل من عيب فى هذه الخاتمة ؟

قال — كلا . .

قلت — إذن ما هى رغبتك ؟

قال — أتشوق إلى معرفة مصير هـذه السيدة . وهل هى باقية على قيد الحياة ؟ . وهل تزوجت أم لا تزال على عهدها الذى قطعته لزوجها الشيخ وهو على أبواب الأبدية ؟ .

قلت — أتريد أن أضع ملحقاً للقصة ؟ .

قال — كلا ، ولـكنى أحس رغبة ملحة فى معرفة ما تم لهذه السيدة التى وصفتها بأنها السحر الحلال ، والأنوثة المغرية

قلت — لا تزال السيدة غريغورى مقيمة على عهدها ألا تتزوج أحداً بعـد الأب غريغورى ، فتمثاله ما فتىء معلقاً فى صدر غرفتها ، وصورة السيد المسيح لم تتزحزح عن مكانها منذ خمس سنوات ، وقنديل الزيت يواصل إضاءة أيقونة العذراء ليلا ونهاراً . أما خُطاب السيدة غريغورى فـكثيرون ، وأعرف منهم أربعة ، وإليك قصصهم :

الخاطب المثال :

جاءها فى بادىء الأمر مثال وقال لها : أتسمحين أيتها السيدة أن أصنع تمثالا نصفياً لزوجك الراحل ؟

فأظهرت كلاره ارتياحها لهذا العرض الـكريم ، وأذنت له بصنع التمثال ، فصنعه ، وكان أبرز شىء فيه لحية الأب غريغورى ، ونصبته فى صدر غرفتها ... ثم قال لهـا المثّال : أتسمحين أن أصنع تمثالا جانبيا (بروفيل) لوجهك الجميل ؟ ... فأبدت ارتياحها وموافقتها ، وأخذت تزوره كل يوم فى ستوديو عمله إلى أن تم له صنعه ، وقد ظهرت فيـه السيدة غريغورى بوجهها النحيف الـكئيب ، وقد تدلى شعرها الشمث على صدغيها ، وكان تمثالا أخاذاً مما حدا بأحد السياح الأمريكيين أن يبتاعه بثمن باهظ .

وقال لها المثال يوماً : أتسمحين لى أن أصنع تمثالا لجسمك بأكمله ليـكون مثالا حياً لصنع الخالق جل جلاله ؟ .

قالت — هذا لن يكون . . فالمرحوم الأب غريغورى هو الشخص الوحيد الذى كنت أظهر أمامه كما خلقت ، وكثيراً ما كان يتحسس جسمى كالضرير ويقول : « سبحانك ربى على قدرتك فى تـكوين الجمال ! » ... أما الآن فما قيمة هذا التمثال الذى تود صنعه لى ؟ . . كلا ، دع عنك هذه الفـكرة .

قال التمثال وقد ركع على ركبتيه : وهل لفنان مثلى أن يحتفظ بتمثالك الحى لنفسه ؟ ! . . إنك ضرورية لى لأستوحى منك الفن الرفيع ... هاك يدى يا كلاره فلا ترفضيها ، أتوسل إليك . . .

فأنهضته كلاره قائلة : لن أتزوج بعد الأب غريغورى أحداً . أما أنت فـكفاك فخراً أنك صنعت تمثالا نصفياً للأب غريغورى حاز إعجاب . وصنعت لى تمثالا جانبيا (بروفيل) حاز إعجاب أحد الأمريكيين . وهذا وذاك أحسن دعاية لك كفنان كبير ... فاذهب الآن ترافقك السلامة ، وخير لك ألا تعـود إلى بعد هذا اليوم .

الخاطب كاتب العرائض :

أما الخاطب الثانى الذى تردد على السـيدة غريغورى فـكان أحد كتاب العرائض وهو من معارف المرحوم زوجها ، فـكان يزورها بين حين وآخر معزياً فيحمل لهـا بعض الهدايا ويجلس صامتاً لا يجرؤ على الأفصاح عما يخالج نفسه نحوها ، خشية أن تصده وتجرح شعوره ، إلا أن عينيه كانتا تتحدثان عن أمر ما .

وفى فجر أحد الأيام اقترب كاتب العرائض خلسة من مسكن السيدة غريغورى وأسقط رسالة فى صندوق رسائلها وفر . . ولما التقطتها قرأت فيها ما يلى :

« كلاره !

(١) راجع (الرسالة) العدد ٦٦٢

لدى ما أقوله لك ولكنى لم أجرؤ ، حينما كنت أتردد إلى بيتك ، على مفاتحتك بما كنت أفكر فيه من خطط ومشاريع .

والذى كنت أريد أن أبوح به إليك دون موارية هو أننى أهيم بك يا فتاة أحلامى ... إننى أعجبت بك فى حياة المرحوم الأب غريغورى ، ثم أحببتك بعد وفاته . كم يؤلمنى أن أراك دائماً مطرقة حزينة ... فا الداعى إلى حزنك هذا ؟ وهل تتوقعين أن يعود القس إلى قيد الحياة ؟ أنسيه كما نسى هو زوجته وابنته من قبلك ! . فكرى فى مستقبلك وفى شبابك ونضارتك .

كلاره ! .

أنت وحيدة وأنا وحيد ... فلماذا لا نعمل معاً على إزالة آلام وحدتنا هذه ؟ . . أنا أكسب من عملى شهرياً خمسة عشر جنيهاً ، وأنت تكسبين من عملك شهرياً عشرة جنيهات . فلماذا لا تصير معاً خمسة وعشرين جنيهاً ؟!..

أجيبى أيتها العزيزة ... أجيبى هذا القلب الكسير ... وآمل أن أتلقى ردك بالبريد حتى أتحمل الصدمة ، السارة أو المؤلمة ، برباطة جاش » .

من المخلص لك أبداً

« ... »

وبعد أن قرأت السيدة غريغورى هذه الرسالة ذهبت بنفسها إلى حيث يعمل مرسلها وقالت له : تلقيت رسالتك ، أما جوابى فها كه ... وعركت الرسالة بيديها ، ثم قذفت بها فى الهواء ، وانصرفت تاركة كاتب العرائض فى حيرة وذهول شديدين .

الخاطب القيصرى :

وكان الخاطب الثالث ضابطاً روسياً من ضباط القيصر نيقولا الثانى ، يدعى إيفان بوغاتيرسكى ، وهو رجل فى حدود عمر الأب غريغورى تقريباً ، له عينان ناقبتان ، وشاربان طويلان ، ولحية متدلية من الخدين دون الذقن .

فبينا كانت السيدة غريغورى فى عصر يوم تجلس إلى جانب النافذة تقلب ما تركه المرحوم زوجها من آثار أدبية ، إذ بباب دارها يقرع قرعاً خفيفاً . ولما فتحته وجدت نفسها أمام ضابط روسى قديم ، يحمل بيد علبة حلوى وباقة زهور ، ويحمل باليد الأخرى قبعته ومنديله ... وبادر السيدة غريغورى قائلاً : إننى أحد أصدقاء المرحوم الأب غريغورى ، وقد اشتركت معه فى معركة تاننبرغ سنة ١٩١٨ ، وتذوقنا البؤس معاً فى أزقة مونمارتر بباريس سنة ١٩٢٥ ... ورحلنا إلى فلسطين فى باخرة واحدة ، فصار هو قساً ، وبقيت أنا أمنى النفس بالعودة إلى روسيا .

فاضطربت السيدة غريغورى قليلا ، وأذنت لهذه الشخصية الغامضة بالدخول .

وبعد أن قدم الزائر الزهور وعلبة الحلوى لصاحبه البيت ، أطرق قليلا ، ثم انحدرت دمعة على خده فسحها بمنديله وقال وهو يتنهد : رحمك الله يا غريغورى ! لقد كنت أعز صديق لى ، ثم قضى علينا أن نفترق ولا مرد لقضاء الله وقدره ... ولكن ثق يا أخى بأننى لن أنساك وستبقى ذكرياتك الطيبة عالقة فى خاطرى ما حييت .

وســاد الغرفة صمت ، ثم قطعه الزائر بمخاطبته السيدة غريغورى قائلاً : بلغنى يا سيدتى أن عندك غرفة تودين تأجيرها ، فهل تجدين مانعاً يحول دون تأجيرى إياها ؟ ... أنت بحاجة إلى رجل ليدافع عنك ويعينك على تخطى مصاعب الحياة ... أنت بحاجة إلى مال ، وما من ريب فى أن معاشك لا يسد بعض نفقاتك . أرجو أن تأذنى لى باستئجار غرفة فى مسكنك وسأدفع أى مبلغ تطلبينه ، يضاف إلى ذلك أنك ستجدين إلى جانبك من يحدثك باللغة الروسية التى كان يعلمك إياها المرحوم غريغورى .

وساد الغرفة صمت مرة ثانية ... ثم نهضت السيدة غريغورى وأحضرت باقة الزهور وعلبة الحلوى وأعادتهما إلى السيد إيفان قائلة : إذهب وضع هذه الباقة على قبر صديقك إذا كنت توده حقاً ، ووزع هذه الحلوى بين الفقراء ليترحموا على روحه .

وشيعته إلى باب الدار الخارجى ...

الخاطب الفاسق :

أما الخاطب الرابع فكان يهوديا بولونيا صاحب خطة جهنمية ... فقد طرق بيت السيدة غريغورى عصر يوم وبرفقته امرأة وفتاة فى الثانية عشرة من عمرها ... فاستقبلتهم ربة البيت مرحبة بهم ، وبعد لحظات تبودلت فيها النظرات والابتسامات

استهل الرجل كلامه بأن ترحم على روح المرحوم زوجها ، وذكر محامده ومآثره ، ووصفه بأنه كان مثالا للنزاهة والاخلاص بين الناس ، غير أن الموت الذى اختطف روحه لا يتردد فى اختطاف روح أى إنسان إذا ما حانت ساعته .

ولما قدمت السيدة جريجورى الشاى لضيوفها قال لها الرجل وهو يحرك الملعقة فى قدحه : تجول فى خاطرى فكرة أود عرضها عليك ، وربما تجدين فيها بعض الغرابة أو الجرأة ، ولكنها مبنية على شعور عاطفى ، ولا تتنافى مع ناموس الاجتماع ... أنظرى إلى هذه السيدة فهي زوجتى ، وانظرى إلى هذه الفتاة فهى ابنتى ... إلا أننى غير راض عن حياتى الزوجية هذه ، وقد عقدت النية على أن أطلق زوجتى طلاقاً لا رجعة فيه ، وزوجتى توافقنى على هجرى إياها ، أليس كذلك يا راحيل ؟...

فطأطأت راحيل رأسها وأومأت بالإيجاب ...

ثم إن ابنتى سونيا تفضل طلاق أمها على أن يظل سوء التفاهم سائداً فى منزلنا ... أليس كذلك يا سونيا ؟ ...

فطأطأت الفتاة رأسها وأومأت بالإيجاب أيضاً .

وهكذا ترين أيتها السيدة أننى آت لأطلق زوجتى أمامك ، ولأخطبك أمامها وابنتى شاهدة ... وقد انتهجت هذه الخطة لأختصر الطريق ، ولأزيل كل العقبات التى يمكن أن تعترض سبيل زواجنا .

وتناول الرجل جرعة كبيرة من الشاى ، ولعق ما علق على شاربيه من قطرات وتابع حديثه قائلاً : لقد أدركت مقدماً أنك ستقولين لى إنك متزوج ... وإن لك ابنة لا ترضى عن هجرك لأمها ، فقررت أن أحضرهما أمامك لأضع النقاط على الحروف كما يقول المثل ... فما أنا إلا طالب حلال ، وبيتك الجديد فى انتظارك ، والقول الفصل لك .

كانت السيدة جريجورى تستمع إلى كلام هذا الزائر وهى تقرض شفتيها بأسنانها وقد انفعلت انفعالا شديداً ، لكنها تمالكت نفسها وقالت للرجل بهدوء ورزانة أنها غير مستعدة لسماع مثل هذا الهذيان ، ونصحت الرجل أن يبحث عن عريس لابنته وأشارت إليهم بالإنصراف .

وقد اتضح للسيدة جريجورى فيما بعد أن هذا الخاطب هو صاحب بيت للدعارة السرية ، وأن زوجته وابنته تمينانه على نصب حباله وشباكه ... وإن « البيت الجديد » الذى كان فى انتظارها ليس إلا بيت الفسق والموبقات .

***

قلت لمحدثى — هؤلاء هم الخطاب الأربعة الذين توددوا إلى السيدة جريجورى ، وكانت تصدهم الواحد تلو الآخر ... ولعلك ترى فيهم نماذج بشرية مختلفة .

قال — أود سماع كلمة منك تفسر لى سلوك هذه المرأة من نفسها ، وسلوك هؤلاء الخطاب الشاذين منها .

قلت — السيدة جريجورى هذه مشكلة سيكولوجية ، فهى صبية متقفة ، وفاتنة ، وفيها الشيء الكثير من الجاذبية الجنسية ، عاشرت قساً أكبر من أبيها ومات .

فهل وقعت هي فريسة الأب جريجورى عندما كانت فى حالة من اللاشعور الجنسى ؟ ...

هل ثابت هى إلى رشدها بعد أن مات القس ورأت أنها ارتكبت حماقة بمعاشرتها إياه ، لكنها تكابر وتحاول أن تظهر بمظهر المرأة المخلصة للزوجية المثالية ؟

هل تشعر هى بأنها فشلت فى هذا الزواج الذى أثار حولها الكثير من اللغط وتخشى السقوط مرة ثانية فى زواج مماثل له ؟ هل تتوقع هى زوجاً يكون له من القوة ، والذكاء ، والجمال ، ما يعوض عليها معاشرتها لذلك الرجل الضعيف ، الخامل ، البشع

وأخيراً ما الذى يحدو بها إلى الإحتفاظ حتى يومنا هذا ، بتمثال القس النصفى ، وبصورة المسيح معلقة على الحائط ، وإلى جانبها أيقونة يعلوها قنديل زيت مضىء ...

هذه أسئلة محيرة حقاً ...

أما خطابها فقد تكونت عندهم فكرة محدودة عنها ، مصدرها القس الراحل ، وهى أنها تميل إلى معاشرة الكهول والشاذين من الرجال ...

من تاريخ الطب الاسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني

سفير إيران بمصر

(تتمة)

قد استنبط الأستاذ براون من بيان هذه الحالة أن ابتلاء المريض بالحميات المخاطة مع وجود قشعريرة تتقدم الحمى كان سبباً فى أن ظن الرازى فى بادىء الأمر مرضه حمى (الملاريا) ولا سيما أنه كان فى بلاد تكثر فيها هذه الحمى . والحال أن هذه الأعراض لم تكن أعراض حمى الملاريا بل كانت نتيجة لمرض عفن ، وإن الرازى غير رأيه عند ما شاهد المدة فى بول المريض وتحقق لديه أن المرض خراج فى الكلى .

والغرض من استشهادنا بهذه الحادثة هو أن نبرهن على أن الأطباء كانوا يدرسون حالة المريض وأعراض المرض درساً وافيا دقيقاً وبهذه الطريقة كان طلاب الطب يتلقون من أساتذتهم درساً عمليا تجريبياً عن الطب وعلاج الأمراض المختلفة وفى نفس الوقت كان الطبيب يداوى المرضى ويزداد تجربة ومهارة فى عمله وكان الجميع يخدمون صناعة الطب ويساهمون فى ترقيتها بالدرس والبحث والتجارب المنظمة وفى القسم الداخلى من البيمارستانات عند ما كان يصعب تشخيص مرض مريض فى قاعة من القاعات وتدعو الحال استدعاء طبيب أو أكثر من القاعات الأخرى غير القاعة التى فيها المريض للاستشارة كان يدعى عدد منهم فيتداولون فى الأمر(١) .

وكان الأطباء يشتغلون فى البيمارستان بالنوبة ، فجبرئيل ابن بختيشوع كانت نوبته فى الأسبوع يومين وليلتين(٢)

وكانت دروس الطب تعطى على الأغلب فى البيمارستانات فيجلس الطبيب لفحص المرضى ومعاينتهم فيصف العلاج اللازم للمريض ويكتب له ويشرح كيفية استدلاله على المرض للحاضرين ، وكان بين يديه الشارفون والعوامل لخدمة المرضى وكان كل ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير ونوع الطعام يوضع بجانب فراشه للرجوع إليه فى تنفيذه وإجرائه .

وكان الطبيب يدور على المرضى بالبيمارستانات ويتفقد أحوالهم ويصف لكل منهم علاجه وبعد فراغه من ذلك يأتى فيجلس فى مجلس خاص فى البيمارستان ويحضر كتب الاشتغال وكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه ثم يجرى مباحث طبية ويقرئ التلاميذ ولا يزال معهم فى اشتغال ومباحثة ونظر فى الكتب مدة ثم يركب إلى داره(١) .

وكانت هذه الطريقة فى التدريس هى للمبتدئين من التلاميذ ؛ أما المشتغلون بالطب والمطلعون على كتبه ومن لهم بعض الاختبارات فى البيمارستانات فكانوا يحضرون مجلس درس الأستاذ ساعات كل يوم فيجرى البحث عن المواضيع الطبية المشكلة أو النادرة ويتداولون فيها علميا وفنيا بكل حرية .

وقد كان النظر فى بول المريض ، وكانوا يسمونه (القارورة) ، والاستنتاج من نظره ويسمونه (التفسرة) ، من الأمور الشائعة ولم يكن الأطباء يغفلون عنه .

وكانت للأطباء العرب فى هذا الباب مهارة كبيرة تدل على قوة استدلالهم وحسن استنتاجهم .

يقول ابن أبى أصيبعة : (أراد الرشيد أن يمتحن بختيشوع الطبيب أمام جماعة من الأطباء فقال الرشيد لبعض الخدم : « أحضره ماء دابة حتى نجربه » فمضى الخادم وأحضر قارورة الماء ، فلما رآه قال « يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان » قال له أبو قريش وقد كان حاضراً : « كذبت هذا ماء حظية الخليفة » فقال له بختيشوع (لك أقول أيها الشيخ الكريم ، لم يبل هذا إنسان البتة ، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة) فقال له الخليفة « من أين علمت أنه ليس ببول إنسان ؟ » قال بختيشوع « لأنه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه » ثم التفت الخليفة إلى بختيشوع فقال له (ما ترى أن نطعم صاحب هذا الماء) فقال « شعيرا جيداً » فضحك الرشيد ضحكا شديداً وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة ووهب له مالا وافراً وقال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »(٢)

---

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الثانى صفحة ١٧٩
(٢) تاريخ الحكماء للقفطى صفحة ١٤٨

(١) طبقات الأطباء الجزء الثانى صفحة ١٥٥
(٢) طبقات الأطباء الجزء الأول صفحة ١٢٦

والخلاصة أن البيمارستانات لم تكن أعمالها قاصرة على معالجة المرضى فحسب ، بل إنها كانت أيضاً تقوم مقام مدارس الطب يتخرج منها الأطباء والكحالون والجراحون والمجبرون .

وكان لكل بيمارستان خزانة كتب أو مكتبة تحوى كثيراً من الكتب كانت فى متناول كل طالب علم ؛ وكان طالب الطب فى أول عهد الدولة الإسلامية بعد أن يتلقى أصول الطب على بعض مشاهير الأطباء ويقوم باختبارات شخصية وتجارب عملية كافية ويجد فى نفسه القدرة على مزاولة الطب يباشرها بعد أن يجيزه بعض الأطباء النابهين فى زمانه أو رئيس أطباء البيمارستان الذى كان يشتغل فيه .

ولم تكن هناك فى أول الأمر قيود خاصة أو امتحانات منظمة لإعطاء أجازة التطبب ؛ وإن أول من نظم هذه الصناعة وأخضعها لنظام خاص فى تأدية امتحان للحصول على أجازة التطبب هو المقتدر الخليفة العباسى ، وكان ذلك فى سنة ٣١٩ هـ . والسبب الذى دعا الخليفة إلى هذا العمل حسب رواية ابن أبى أصيبعة هو أنه اتصل به أن غلطا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل ، فأمر الخليفة المحتسب بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة رئيس الأطباء وطبيب الخليفة الخاص ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة . وبلغ عدد من ترددوا إلى سنان وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح له التصرف فيه من الصناعة ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلا فى جانبى بغداد سوى من استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم فى صناعته وسوى من كان فى خدمة السلطان[1] .

وكان سنان بن ثابت يمتحنهم فيسأل كلا منهم بعض الأسئلة الطبية ويعرف معارفه ودرجة تمكنه فى الصناعة ، فيحدد له حدوداً يجيزه أن يتصرف ضمنها لا يتجاوزها .

وكانت الامتحانات الطبية فى ذلك العهد بسيطة جداً فيها كثير من التسامح والتساهل . يروى أنه دخل يوما فى مجلس سنان بن قرة كهل موقر مهيب الطلعة عليه سيماء أهل العلم ولباسهم فأخذ مكانه فى جانب من المجلس ، وكان مظهره يدل على أنه من أجلة العلماء . وبعد أن انتهى سنان من درسه ومعالجة المرضى خاطب تلاميذه قائلا : « علينا الآن بالاستفادة من فضائل مولانا الشيخ ، ولنستمع لجوامع كلمه لتبقى لدينا تذكاراً لتشريفه هذا المجلس » . ثم سال الشيخ عن اسم أستاذه فاخرج الشيخ من جيبه بدرة من المال وضعها أمام سنان وقال لست يا سيدى من العلماء ؛ لكنى رب أسرة أريد أن أعيلها عن طريق التطبب . فاشترط عليه سنان أن يكون محتاطاً فى عمله فلا يفصد أحداً ولا يعطى من المسهلات إلا الأنواع الساذجة البسيطة منها . فقال الشيخ كانت هذه ولا تزال طريقتى فى التطبب فانى لم أعط أحداً غير السكنجبين والجلاب ، فأعطاه سنان أجازة التطبب فى هذه الدائرة المحدودة التى ذكرناها .

وجاءه غداة ذلك اليوم ضمن جماعة حضرت مجلسه لأخذ إجازات التطبب — شاب سأله سنان عن اسم أستاذه كما هى العادة فذكر اسم أبيه ، وكان الشيخ الذى ذكرنا قصته ، فسأله سنان عما إذا كان يسير على نهج والده . ولما رد عليه بالايجاب أجازه أيضاً للتطبب فى نفس تلك الحدود .

كان هذا فى بادئ الأمر لكن الحال لم تستمر على هذا المنوال وصار النظام بعد ذلك أن الطالب بعد أن يتم دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء برسالة فى الفن الذى يريد الحصول على الأجازة فى الاشتغال به له أو لأحد مشاهير الأطباء قد أجاد دراستها فيختبره فيها الطبيب ويسأله أسئلة عدة عن هذا الموضوع ، فإن استطاع اجتياز الامتحان أعطاه أجازة تطلق له التصرف فى حدودها .

ويذكر المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك مؤلف كتاب (تاريخ البيمارستانات فى الاسلام) فى كتابه القيم المذكور الذى نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق سنة ١٣٥٧ هجرية أنه عثر فى خزانة كتب المرحوم العلامة أحمد زكى باشا على صورتين لإجازتين طبيتين من القرن الحادى عشر من الهجرة منحت أحداها لفصاد والأخرى لجراح[1] وها نحن أولاء نذكر هنا ملخصهما : —

(وهذه صورة ما كتبه الشيخ الأجل عمدة الأطباء ، ومنهاج الألباء ، الشيخ شهاب الدين ابن الصائغ الحنفى رئيس الأطباء بالديار

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٢٢٢ .

(١) كتاب تاريخ البيمارستانات فى الاسلام صفحة ٤٣٠

المصرية إجازة للشاب المحصل محمد عزام أحد تلامذة الشيخ الأجل والكهف الأحول الشيخ زين الدين عبد المعطى رئيس الجراحين على حفظه لرسالة الفصد كما سنبينه : —

الحمد لله ومنه أستمد العناية .

الحمدلله الذي وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين وهدى من شاء للطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الأوقات والأزمان إلى يوم الدين . وبعد فقد حضر عندى الشاب المحصل شمس الدين محمد بن عزام ... بن ... بن ... على المؤذن الجرداني (أو الجرداءاني نسبة إلى جرداءان وهى محلة بمدينة أصبهان بإيران)(١) المتشرف بخدمة الجراح ، والتقيد بخدمة الشيخ الصالح بقية السلف الصالحين العارفين وشيخ طائفة الجراحين بالبيمارستان المنصوري وهو الشيخ عبد المعطى المشهور بابن رسلان نفعنا الله ببركاته ، ورحم أسلافه العارفين الصالحين ، وعرض على جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة الفصد وأوقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة . والرسالة المذكورة للشيخ الإمام العلامة التمام شمس الدين محمد بن ساعد الانصاري(٢) شكر الله سعيه ورحمه وأسكنه بحابيح جناته بمنه وكرمه ، عرضاً جيداً دل على حسن حفظه للرسالة المذكورة ، وقد أجزته أن يرويها عنى بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية (وباقى الأجازة مفقود)

والإجازة الأخرى أيضاً من القرن الحادى عشر الهجرى وهى صادرة من رئيس الجراحين بدار الشفا المنصورى (قلاوون)

وخلاصتها بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على آله وصحبه أنه وقف على الرسالة الموسومة (بيرء الآلام فى صناعة الفصد والحجام) نظم لوذعى زمانه وألمعى عصره وأوانه ، الشمس شمس الدين القيم شهرة ، الجراح صنعة ومهرة ، التى أصلها للشيخ الفاضل حاوى الفضائل الشيخ شمس الدين الشربينى الجراح الموسومة (بنهاية القاصد فيما يجب على المفصود والفاصد) وقد قرأها عليه قراءة اتقان وإمعان فلم ير بدا من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد. وقد أجاد ناظمها فى تحقيقها ، وبذل الجهد فى تحريرها وتدقيقها ... إلى أن يقول استحق راقم وشيها وناسج بردها أن يتوج بتاج الإجازة فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ، ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح ، وهو أن يعالج الجراحات التى تبرأ بالبط ، ويقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط ، وأن يفصد من الأوردة ويبتر الشرائين ، وإن يقلع من الإسنان الفاسد المسوسين (كذا) إلى أن يقول ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال فى كل حال ومآل) .

وإمضاء هذه الإجازة كما يأتى : —

(رقمه بقلمه أحقر عباد الفتاح ، الفقير للحق على بن محمد بن محمد ابن على الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفا بمصر المحروسة ومصلياً ومسلماً ومحمداً ومحوقلا ومستغفراً بتاريخ صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله وحده)

وقد كان الصيادلة أيضاً خاضعين للرقابة فى أعمالهم يؤدون امتحاناً خاصاً قبل اشتغالهم بهذه الصناعة حتى يوثق من علمهم بالأدوية والعقاقير ، ويؤمن مغبة غلطهم فى إعطاء الأدوية والعقاقير ...

يذكر ابن أصيبعة فى الجزء الأول من مؤلفه طبقات الأطباء ضمن شرح حال زكريا الطيفورى الطبيب — وكان من مشاهير الأطباء فى زمن الخليفة المعتصم — قصة خلاصتها (أنه بينما كان الأفشين فى معسكره وهو فى محاربة بابك سنة ٢٢١ هجرية وكان معه زكريا الطيفورى الطبيب أمره بإحضار جميع من فى عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة كل رجل منهم ، فرفع ذلك إليه ؛ فلما بلغت القراءة بالقارىء إلى موضع الصيادلة قال الأفشين لزكريا الطيفورى (يا زكريا ضبط هؤلاء الصيادلة عندى أولى مما تقدم فيه ، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره) فقال زكريا (إن يوسف لقوة الكيمائى) قال يوماً للمأمون (إنما آفة الكيمياء الصيادلة ؛ فإن الصيدلانى لا يطلب الإنسان منه شيئاً من الأشياء كان عنده أم لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع إليه شيئاً من الأشياء التى عنده ، وقال هذا الذى طلبت . فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ويوجه جماعة إلى الصيادلة

(١) لب اللباب للسيوطى

(٢) واسم الرسالة نهاية القصد فى صناعة الفصد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

فى طلبه لتبتاعه فليفعل) فقال المأمون (قد وضعت الإسم وهو شقطيثا (وهى ضيعة تقرب من مدينة السلام) ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن شقطيثا فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة ، فمنهم من أتى ببعض البذور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم أتى بوبر . فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة واهتم بأمر الصيادلة ومراقبتهم .

وبعد ذكر هذه الحكاية أشار زكريا الطيفورى على الأفشين أن يمتحن الصيادلة ، فأعجب الأفشين برأى زكريا ودعا بدفتر الأشرو سنة فأخرج منها نحواً من عشرين إسما ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته . فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفته تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام فى عسكره ونفى الباقين عن العسكر ولم يأذن لواحد منهم فى المقام . ونادى المنادى بنفيهم وبإباحة دم من وجد منهم فى معسكره[1]

وكان من جملة وظائف المحتسب — وكانت يده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — مراقبة الأطباء والكحالين والجراحين والمجبرين .

جاء فى كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة [2] وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط ويحلفهم أن لا يعطوا أحد دواء مراً ، ولا يركبوا له سما ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار ، إلى غير ذلك من الأمور التى يجب على الأطباء مراعاتها فى عملهم .

كما كان للمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف (بمحنة الطبيب) وأما الكحالون فقد كانوا يمتحنون بكتاب العشر المقالات فى العين [3] لحنين أيضاً ، وكان على

(١) الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ١٥٤

(٢) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لعبد الرحمن الشعرانى (مخطوط)

(٣) طبع هذا الكتاب لحساب الحكومة المصرية مع تعليق للدكتور ماير هوف المستشرق الرمدى المعروف .

المجبرين أن يؤدوا امتحاناً فى المقالة السادسة من كناش بولس الأجانيطى فى الجبر الذى قام بنقله إلى العربية حنين بن أسحق .

وأما الجراحون فكان عليهم أن يكونوا ملمين بكتاب جالينوس الخاص بالجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح وما يتصل به .

وكان للمحتسب أيضاً مراقبة الصيادلة بمساعدة الأطباء والمتخصصين فى معرفة الأدوية والعقاقير وإرشادهم .

إن وصف شتى البيمارستانات التى كانت منتشرة فى مختلف البلاد الإسلامية وتبيان تاريخ بنائها وأسماء بناتها وطريقة إدارة أوقافها وذكر أسماء كبار أطبائها والطلبة الذين كانوا يلتقون العلم فيها يحتاج لبحث خاص ، وقد وفى الموضوع حقه المرحوم الدكتور أحمد بك عيسى فى مؤلفه القيم (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام) وفيه يذكر رحمه الله أسماء ثمانين من هذه البيمارستانات التى كانت تدار فى مصر وإيران والعراق والجزيرة وسورية وجزيرة العرب وبلاد الروم أى أسيا الصغرى وأسطنبول وبلاد المغرب والأندلس بتفصيل واف فليرجع إليه من أراد التفصيل فهو خير مرجع فى هذا الباب .

قاسم غنى

الأدب والفن في أسبوع

الملك الأديب :

كانت زيارة جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك فاروق فى الأسبوع الماضى — مظهراً رائعاً من مظاهر الأخوة العربية ، وقد تحدثت الصحف عن الملك عبد الله حديثاً ندياً تضمن كثيراً من شمائله وسجاياه . ومما يجمل أن يذكر هنا عن جلالته ، رعايته للنهضة الأدبية فى شرق الأردن ، ومشاركته الفعلية فيها ، فهو أديب ممتاز يطرب للأدب الرفيع ، ويروى الشعر ويقوله ، ويكتب بأسلوب بليغ . ولا يكاد مجلسه يخلو من الأدباء والشعراء ، يطارحهم الشعر ويناقلهم حديث الأدب ، وقد ولى كثيراً من الأدباء أهم المناصب فى الحكومة .

وجلالته يعطف على شعراء الشباب الذين عبروا بالشعر فى بلاد شرق الأردن الشقيقة إلى مجال المذاهب الحديثة وأوجدوا هناك نهضة أدبية مرموقة .

والجيل الأردنى الجديد يتابع الحركة الأدبية فى مصر ويقبل على قراءة الصحف المصرية ، ولا سيما المجلات الأدبية .

التعبير الحماسي والأناشيد :

يقول « البسام » فى كتاب منه : « قرأت ما كتبته عن أنشودة فلسطين التى غناها عبد الوهاب والتى سميتها أنشودة ناعمة أتريد أن يقوى حنجرته ويعلى صوته كما يصنع البكار ؟ ! »

لا ، أيها البسام . . إن التعبير الحماسى القوى إنما يكون فى التأليف ، أو التلحين ، أو الإلقاء … كما يتكلم الرجل الذى يملك أعصابه ويضبط نفسه ، بنبرات هادئة قوية معبرة عن بأسه وسطوته ، وهو غير اللين المائع ، وغير الصاخب الصارخ . وأنا لم أسمع إلى الآن من الإذاعة المصرية نشيداً حماسياً ، على تنبى وكثرة ما تذيع من الأناشيد ، وعلى رغم الحوافز الحاضرة ، وإنما نسمع منها الناعم والمائع ، أو الصراخ الذى يقلق النائمين ويزعج الآمنين ، وأكثر ما تقدم من النوع الأخير ، ومثله هذه البرامج الخاصة المأخوذة من التاريخ الإسلامى والتى يراد فيها أن يؤدى الحماس بالجلبة والأصوات المنكرة . . ولن تؤدى هذه الأصوات ولا تلك الأناشيد الصارخة إلا إلى تصديع الرءوس وإقلاق الراحة .

وقد قرأت فى بعض الصحف شكايات مؤلفين وملحنين معروفين من الإذاعة المصرية لأنها لا تقبل إنتاجهم ، ومنهم : بيرم التونسى وزكريا أحمد ، إذ ألف الأول نشيداً ، ولحنه الثانى وأخذته إذاعة القدس بعد أن أعرضت عنه الإذاعة المصرية .

ونحن نسمع فى الإذاعات العربية الأخرى أناشيد قوية لا نسمع مثلها من الإذاعة المصرية ، وكثير من هذه الأناشيد من إنتاج مصريين .

الآفة هى — كما قلت فى الأسبوع الماضى — فى النطاق المضروب حول الإذاعة من المتصلين بموظفيها ، فأنت تسمع أن النشيد أو البرنامج من تأليف فلان أو إخراج فلان ، ولا يتغير هذا الفلان ولا يجدد شيئاً يحسن به علاقته بالمستمعين !

أهى سودنة أم جلنزة :

من أنباء السودان أن الحاكم العام أعلن الدستور السودانى الذى أراده الإنجليز ، وتنص المادة (٥٤) من هذا الدستور على أن « تكون الإجراءات فى الجمعية (التشريعية) باللغة العربية ولكن بدون إخلال بما تدعو إليه حالة استعمال اللغة الإنجليزية متى كان ذلك »

وما دام الإنجليز هناك ، فستكون اللغة العربية مخلة دائماً « بما تدعو إليه حالة استعمال اللغة الإنجليزية » أى أن اللغة التى تستعمل فى الجمعية هى اللغة الإنجليزية ، وليس هذا جديداً ، فالإنجليزية هى لغة التعليم فى المدارس السودانية فيما عدا تعليم اللغة العربية ، وهى لغة الحكومة السودانية فى دواوينها ومكاتباتها وكل أعمالها ، وذلك لأن اللغة العربية تخل بحالة استعمال … الخ

وهم يقولون إنهم يقصدون السودنة من هذه الإجراءات .. والسودان بلاد عربية لغتها العربية فهل من السودنة أن تهمل

لغة السودان القومية . . أو هي (جلنزة) ؟
ولك أن تقيس على ذلك سائر مشروعات السودنة .

من طرف المجالس :

كان موضوع الحديث هو مقال (أدباء معاصرون أرشحهم للخلود) [1] لمعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا ، وكان أكثر من بالمجلس من الأدباء الذين لم يذكرهم معاليه مع من رشحهم للخلود ، وكان بعضهم ممن ذكروا ولم يرضهم الترتيب . وبدأ الحديث بالاحتجاج والتساؤل عن بعض الأسماء التي وردت في المقال ، وذكر أسماء لم ترد فيه وكانت حرية بتقدير الباشا ، ولكن سرعان ما انقلب الحديث إلى مجرى فكاهي سرت فيه روح الدعابة والمرح ، عند ما قال أحدهم :

لا عليكم . . إن هذا « الكدر » لابد أن يليه « تنسيق »

واستمرت المناقشة بعد ذلك على هذا النحو أو على هذه (القافية) فمن قائل إنه من (المنسيين) وقائل إنه أحق من فلان (بالأقدمية) وقال ناشئ إنه وإن كان لا يطمع في التنسيق ، ينتظر دوره في (تنميق التنسيق) وقال من لم يرضه أن يذكر مؤخراً : إنه وإن كان قد شمله حسن تقدير الباشا إلا أنه يريد تصحيح الوضع حتى لا يتكرر في (الحركة) التالية تقديم من هو أحدث منه عليه ...

واستقر الرأي أخيراً على مطالبة معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا بإصدار تنسيق الأدباء ، وإذا لم يصدر هذا التنسيق فإنهم يعرضون القضية على (مجلس الدولة) مع تكليف (العباس) بأن يبلغ معاليه هذا القرار على جناح الرسالة ...

صرخة في واد :

أصدرت لجنة البيان العربي ديوان الأستاذ غنيم « صرخة في واد » وهو الديوان الذي فاز بجائزة الشعر الأول في مسابقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية سنة ١٩٤٧

وقد أهدى صاحب الديوان نسخة منه إلى السدة الملكية الكريمة ، فتلقى من معالي رئيس ديوان جلالة الملك خطاباً يبلغه فيه شكر جلالته وتقديره السامي .

وشعر محمود غنيم يمتاز بعذوبة التعبير ووضوح الفكرة . وهو شاعر يحس إحساس الجماعة ، فهو أكثر شعرائنا تناولا المسائل القومية وتصويراً لأحوال المجتمع ؛ وهو يتجه إلى هذا المذهب حتى فيما يصور به حياته الخاصة وما يحيط به ، إذ يربط ذلك بالمسائل الاجتماعية العامة ؛ ويمزج كل ذلك بروح شعرية محببة إلى النفوس .

لذلك لن يكون ديوان غنيم ، كما سماه ، صرخة في واد . .

الأدب والبلاغة في المدارس الثانوية :

في سنة ١٩٤٥ ألفت وزارة المعارف لجنة لبحث وسائل ترقية اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية ، والنظر في البرامج والكتب المؤلفة وتيسير قواعد النحو ، وشكلت اللجنة برياسة الأستاذ أحمد أمين بك وعضوية الأساتذة علي الجارم بك وإبراهيم مصطفى وعبد الحميد حسن ومحمد خلف الله ومحمد علي مصطفى ، وعقدت اللجنة عقب تشكيلها بعض الجلسات ثم وقفت أعمالها إلى أن أعيد تأليفها في فبراير سنة ١٩٤٧ مع ضم الأستاذين منصور سليمان وزكي المهندس بك ، والدكتورين عبد الوهاب عزام بك وعبد العزيز القوصي — إلى عضويتها . ووالت اللجنة عملها ، ووضعت تقريراً ضمنته خلاصة أبحاثها ومقترحاتها في أغسطس الماضي . وعقد بعد ذلك المؤتمر الثقافي العربي الأول في لبنان ، وكان هذا التقرير أساس مناقشات المؤتمر فيما يتعلق باللغة العربية ، وجاءت قرارات المؤتمر في مجموعها متفقة مع آراء اللجنة .

ورأت الوزارة أن تعرف آراء جمهور المشتغلين بتعليم اللغة العربية في مقترحات اللجنة ، فأرسلت التقرير إلى جميع مفتشي اللغة العربية ومدرسيها الأوائل بالمدارس الثانوية ونخبة من مدرسيها ، ليبدو ملاحظاتهم عليها . وعقد رجال اللغة العربية بالوزارة مؤتمراً عاماً لهذا الغرض في فبراير الماضي ، وانتهى المؤتمر إلى تأييد مقترحات اللجنة مع بعض التوصيات والرغبات التي رآها كفيلة بتنفيذ تلك المقترحات على الوجه الأكمل .

وأخيراً قدم الأستاذ اسماعيل القباني بك المستشار الفني لوزارة المعارف إلى معالي الوزير مذكرة لخص فيها محتويات التقرير والملاحظات التي أبديت عليه في مؤتمر رجال اللغة العربية ،

(١) العدد (٧٨٠) من الرسالة

كما ضمنها رأيه فى تنفيذ تلك المقترحات ، وقد وصف الأستاذ القبانى بك ذلك التقرير بأنه ينم على جرأة فى الأخذ بوسائل الإصلاح وميل إلى التجديد ولكن من غير طفرة .

وقد كانت اللجنة جريئة حقاً فنفذت إلى صميم مشكلات تعليم اللغة فى المدارس ، وقد خصت الأدب والبلاغة بأكبر قسط من التغيير فأدخلت على مناهجهما تعديلا شاملا يتناول أسسها ، قالت اللجنة فى تقريرها إنها « لاحظت أن دراسة الأدب تبدأ فى المناهج الحالية بدراسة التاريخ دون أن يكون للتلميذ محصول كاف من الأدب ترتكز عليه وأنها قد شغلت مكاناً فسيحاً من مناهج الدراسة ونالت قسطاً كبيراً من جهود المعلمين والتلاميذ حتى طغت على دراسة الأدب فأصبحت الفائدة منه قليلة . والطريقة الطبيعية فى الدراسة الأدبية أن تبدأ بدراسة الأدب نفسه وتجعل له الحظ الأوفر من الجهد والاهتمام » وعلى هذا الأساس وضعت اللجنة منهج الأدب فى سنوات التعليم الثانوى بحيث يكون النص محوراً للدراسة ، ويعتبر التاريخ على هامش الأدب

واستعرضت اللجنة تطور النقد العربى وصلة النقد بالبلاغة ، ووصلت إلى أن تدريس البلاغة بشكلها المألوف لا يحقق الهدف المقصود من هذا اللون من الدراسة وهو تربية الذوق الفنى عند التلاميذ . وإعانتهم على حسن فهم الجمال الأدبى وتذوقه وإنارة الطريق أمامهم فى نواحى الخلق والإبداع الأدبى . لهذا رأت اللجنة أن تعود بالنقد إلى وظيفته الأولى وأن تجعله جزءاً عملياً أصيلا من دراسة النص ، ورسمت له منهجاً مدرجاً مرتبطاً من ناحية بمنهج النصوص ومناسباً من جهة اخرى للتطور الذهنى عند التلاميذ ، وجعلت اللجنة فى السنتين الرابعة والخامسة مكانا لبعض النواحى النظرية الأصيلة فى النقد كدراسة الكلمة والجملة وأثر كل منهما فى أداة المعنى ، وكدراسة طرق التصوير المختلفة وبيان ما فيها من جمال دون كثير تعرض للتفصيلات ، وكدراسة الفنون الأدبية النثرية والشعرية وشروط جودتها وعرض نماذج منها .

وواضح من ذلك أن اللجنة أزالت هذه « البلاغة » التى تسخر فيها بالمنهج الحالى عقول التلاميذ ، ووضعت مكانها « النقد الأدبى » بشكل مبسط مفيد ، مما دعا بعض المتمسكين بتلك « الرياضات الذهنية » المقيمة إلى معارضة ما جاء فى المنهج متعلقاً بذلك ، وقد وافق مؤتمر رجال اللغة العربية على ما جاء فى المنهج مع التوصية بأن تكون دراسة البديع عملية فى خلال دراسة النصوص الأدبية .

معرض الفنون الجميلة :

أقام اتحاد خريجى الفنون الجميلة العليا ، معرضه الأول بمتحف الفن الحديث بشارع قصر النيل . وقد افتتحه فى هذا الإسبوع سعادة إلهامى حسين باشا .

ويضم هذا المعرض مجموعة مختلفة من أعمال خريجى مدرسة الفنون الجميلة العليا فى التصوير والنحت ، ويتجه أصحابها فى إنتاجهم اتجاهات مختلفة بحسب الشخصية الفنية لكل منهم ، ولكنهم جميعاً يسيرون على مقتضى الأصول والثقافة الفنية التى تلقوها بمعهدهم . وهم يمثلون الجبهة المحافظة بالنسبة لجماعة الفن المعاصر الذين يقتفون مذهب « السريالزم » . وقد زرت معرض الفن المعاصر ثم زرت هذا المعرض ، فوجدت الاختلاف بينهما يبدو على الأقل فى وضوح الفكرة وظهور الجمال الفنى فى المعرض الثانى معرض الفنون الجميلة . ومما يذكر فى إنصاف هؤلاء أنهم يبعدون عن « الفوتغرافية » ونقل الطبيعة كما هى ، بل هم يتجهون فى أكثر أعمالهم إلى رسم الخطوط المؤدية إلى الفكرة بصرف النظر عن الواقعية البحتة . وقد وقفت أمام كثير من تماثيلهم ولوحاتهم مأخوذاً بقوة الأداء فيها ، كالبنت المسكينة الشردة التى نحتها جمال السجينى ، وليالى الكرنك لعبد السلام الشريف ، والعامل الكادح الذى صوره محمد عبد الرحمن ، ووادى الملوك لصلاح الدين طاهر ، وعجوز لصبرى عبد الغنى ، وزنوبة لعباس شهدى ، وصورة الدكتور محمد ولى بك لعبد العزيز درويش . أما تمثال الأستاذ اسماعيل الأزهرى فهو محتاج إلى أن يقال لمن يعرف الأستاذ الأزهرى إن هذا التمثال صنع له . .

ومما لاحظته أيضاً فى هذا المعرض وجود بضع صور تشبه صور جماعة الفن المعاصر فى التحرر والغموض .

العباس



الهدنة ووقف القتال :

الهدنة حلف سياسي وعسكري يعقده مندوبون سياسيون ، ولا يبرم إلا بموافقة الحكومات عليه ، مالم يكن المندوبون مفوضين في ذلك . والغرض من الهدنة التمهيد لعقد الصلح .

والهدنة نوعان : عامة وخاصة فالعامة توقف القتال في كل الجهات ، والخاصة توقفه في بعض الجهات .

وهي سواء أكانت عامة أم خاصة لا مندوحة عن تحديد وقت لها تنتهي بانتهائه . وقد تبرم الهدنة الخاصة لساعات موقوتة . ويجب العناية التامة في تحديد الأيام والساعات تحديداً لا يحتمل التأويل ، ذلك لأن الحرب تستأنف بلا إنذار عند مضي الزمن الموقوت .

وعلى الحكومات أن تخبر قوادها بالهدنة فوراً خشاة أن يقع خطأ منهم لا يمكن استدراكه .

وإذا وقعت معركة بعد عقد الهدنة وقبل أن يصل خبرها إلى القواد ردت الأسرى وأعيدت الغنائم ، على ما في المادة ٣٦ من معاهدة لاهاي .

وتوجب الهدنة عادة وقف الهجوم ومنع إطلاق النار وإرسال الجنود ، إذا لم يكن في صك الهدنة ما يخالف ذلك . ولا يمكن حصر الأعمال الممنوعة في غضون الهدنة لأن النظريات والعمليات متضاربة في هذا الشأن . فبعض رجال القانون يوجبون الامتناع عن كل عمل فيه منفعة للعدو ، وعلى ذلك فلا يجيزون ترميم الحصون المحاصرة أو زيادة المدافعين عنها ولا نقل الجيوش من مكان إلى أحسن منه . وبعضهم لا يرون تحريم هذه الأعمال ، بل يسمحون بنقل الجيوش وحشدها وإنشاء الخنادق ونحوها والتهيؤ لهجوم مقبل وغير ذلك من الاستعدادات ، على أن يكون ذلك وراء خطوط الحرب .

ونظريتهم هذه هي المتبعة في الحروب .

فعلى الدول التي تريد تحريم عمل من الأعمال الحربية في غضون الهدنة أن تنص عليه في صك الهدنة .

ويجب أن يعنى بأمر تنظيم الملاقاة بين الجيوش والأهلين أثناء الهدنة . والعادة أن تعين بقعة منعزلة (حيادية) بين الجيشين منعاً للهجوم ، وأن تكون المسافة بين المخافر الأمامية بعيدة ، وأن يمنع المرور فيها .

وأما الميرة والذخيرة فلا يسوغ إرسالها إلى الحصون المحاصرة عند رجال القانون الذين يوجبون المحافظة على الحالة الحاضرة ، لكن حرمان الجيوش المحاصرة من الميرة يجعل الهدنة بلاء عليهم ، وقد قيل أن هدنة واحدة تكفي لتسليم أعظم القلاع . فالإنصاف والعدل يوجبان أن يرسل المحاصر إلى الجيش المحاصر ما يحتاج إليه من القوت أثناء الهدنة ، لتكون حاله عند انتهاء الهدنة كما كانت عند إبرامها ، فألمانيا سمحت بإرسال الميرة إلى حصون بوهميا سنة ١٨٦٦ ولكنهم لم يبيحوا إرسالها إلى باريس سنة ١٨٧٠ .

وإذا نقض أحد الفريقين الهدنة حق للفريق الآخر أن ينقضها ، على رأى بعض رجال القانون . ويرى غيرهم ، أن على الفريق الآخر أن يدفع المدوان ثم يخبر عدوه بفسخ الهدنة ويستأنف الهجوم عليه إذا لم يكن هناك داع للاسراع . ونقض الهدنة خيانة ، على ما في الشرع الدولي كما في المادة ٤٠ من معاهدة لاهاي ؛ أما إذا أخل بضعة جنود بأحكامها فأنها لا تفسخ بل يعاقب المخالفون ، على ما في المادة ٤١ من المعاهدة المذكورة .

وهناك ما يسمى (وقف القتال) وهو حلف يعقد لمدة قصيرة بين قواد الجيوش والفيالق بواسطة رسل الحرب ، وينحصر في مواضع محدودة ، وذلك لدفن القتلى ورفع الجرحى من ساحات القتال ، ونحو ذلك .

صهيون كبرزون :

ينطق (صهيون) بعض كبار الأدباء في المذياع وغيره بفتح الصاد وضم الياء . وفي القاموس المحيط : صهيون كبرذون .

في استجباء الخراج :

من وصايا أهل الحكمة للملوك : المال قوة السلطان وعمارة المملكة ، ولقاحة الأمن ونتاجة العدل ، وهو حصن السلطان ومادة الملك . والمال أقوى العدد على العدو ، ومن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع في حقه . ولا يؤخذ من الرعية إلا ما فضل عن

معاشها ومصالحها ، ثم ينفق ذلك فى الوجوه التى يعود عليها نفعها . أيها الملك ! مر جباة الأموال بالرفق ومجانبة الخرق ، ومن جاوز فى الحلب حلب الدم ، ومثل السلطان إذا حمل على أهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله ، فهو وإن قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية ، وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع .

وما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم فى الأندلس وأمر العدو فى ضعف وانتقاض لما كانت الأرض مقطعة فى أيدى الأجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربى التاجر تجارته ، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة والأجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه ، إلى أن كان الأمر فى آخر أيام ابن أبى عامر ، فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال على النطع ، وقدم على الأرض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم ، فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان ، وضعفت الأجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها . ولم يزل أمر المسلمين فى نقص وأمر العدو فى ظهور إلى أن دخلها المتلثمون فردوا الاقطاعات كما كانت فى الزمان القديم .

من شؤون الحرب فى الإسلام :

دارت حرب فى الأندلس بين المسلمين والكفار ، ثم افترقوا فوجدوا فى المترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته من الرأس ، فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم ، فكانوا إذا عيروا بانهزامهم يقولون : لقينا أقواماً هذا ضربهم ، وكان أبطال الروم يرحلون إليها ليروها .

قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذا مشتمل على كل ما فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة ، وأول ذلك أن يقدم بين يدى اللقاء عملاً صالحاً من صدقة ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف وتغيير منكر وأمثال ذلك ، وكان عمر رضوان الله عليه يأمر بذلك ويقول : إنما تقاتلون بأعمالكم . وروى أن بريداً ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر : أى وقت لقيتم العدو ؟ قال غدوة ، قال ومتى انهزم ؟ قال عند الزوال . فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقام الشرك للايمان من غدوة إلى الزوال !! لقد أحدثتم بعدى حدثا أو أحدثت بعدكم حدثا .

والشأن فى استجادة القواد وانتخاب الأمراء وأصحاب الولاية ، فلا ينبغى أن يقدم على الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ، ثبت الجنان صارم القلب جريئه ، رابط الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ، ومارس الرجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عارفاً بمواضع الفرص خبيراً بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب ، وما الذى يجب شحنه بالحماة والأبطال من ذلك ، بصيراً بصنوف العدو ومواقع الغرة منه ومواقع الشدة ، فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنهم مثله .

وليخف قائد الجيش العلامة التى هو مشهور بها ، فإن عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ، ولا يلزم خيمته ليلا ونهاراً ، وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمى مكانه كى لا يلتمس عدوه غرته . وإذا سكنت الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره ، فإن عيون عدوه قد انكبت عليه ، وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش أفريقية عند فتحها .

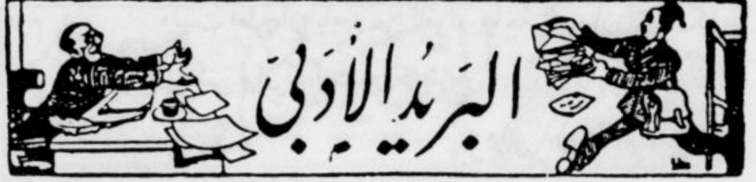
وقالوا : جسم الحرب الشجاعة ، وقلبها التدبير ، وعينها الحذر ، وجناحها الطاعة ، ولسانها المكيدة ، وقائدها الرفق ، وسائقها النصر .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين) وهذه جماع آداب الحرب .

وقد أوضح الله لنا فى كتابه العزيز علة النصر وعلة الهزيمة والفرار ، فقال تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) يعني إن تنصروا رسوله ودينه . وأما الهزيمة فعلتها المعاصى ، قال تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) أى بشؤم ذنوبهم .

واستوصى قوم أكثم بن صيفى فى حرب أرادوها فقال : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح فشل ، ولا جماعة لمن اختلف . وتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين .

أسامة



خليفة مسيلمة :

نشرت (الرسالة بعددها رقم ٧٨١) كلمة منسوبة لي بعنوان « خليفة المتنبي » نضح فيها من ضعة نفسه ولؤم طبعه وحشاها بالأقذاع والفحش ومحاولة الدس والوقيعة والتطاول على ذى مقام كريم تخفق القلوب بمحبته وإجلاله ، ويعرف له الأزهر وأبناؤه ماضياً مجيداً وحاضراً كريماً وديناً متيناً وخلقاً قويماً وميلاً عن الهوى وحباً للخير واعتصاماً بالله وبالحق ، وحسبه أنه قد اعتز بالله وحده ، فأعزه وأيده وأرضاه ، فرضى عنه ورعاه وسدد خطاه ، وأصلح به ما فسد ، وأقام به ما اعوج ، وجمع به ما تفرق

وعزيز علينا أن تسمح (الرسالة) — وهى مجلة الأدب الرفيع — بنشر هذا الأسلوب الرخيص ؛ ويغلب على ظنى أن الأستاذ الزيات — وهو من هو — لم يطلع على أصل هذه الكلمة ، ولو اطلع عليها لما أجاز نشرها ...

محمد سرحان

المدرس بكلية اللغة العربية

و (الرسالة) تسأل الأستاذ : ماذا كان يصنع لو كان فى مكان المحرر ؟ كلة فى نقد خلق من الأخلاق جاءتنا باسم عالم من علماء الدين ، عمد فيها إلى التلويح لا إلى التصريح ، وقصد منها إلى التهذيب لا إلى التجريح ، فكيف يخطر ببالنا أن الكلام فيها على خلاف مقتضى الظاهر ، وأن فى ورثة محمد من يفترى الكذب ويفتعل الشعر وينتحل الأسماء ويقصد السوء ؟ وإذا كنا لا نطلب من أى كاتب أن يصدق على إمضائه شيخ الحارة ومأمور القسم ، فكيف نرتكب مع حراس الدين ونماذج الخلق هذا الإثم ؟

رأى شاذ :

سمعنا من الإذاعة المصرية فى يوم ماض حديثاً فى (شرع الله) لمدرس بحاث ، نقل فيه رأياً شاذاً لنجم الطوفى يقدم فيه المصلحة على النص والاجماع ، فرأيت من الواجب الحتم أن أنشر كلة مما قاله المترجمون لهذا الشيخ المتهم :

قال ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ج ٦ ص ٣٩ : نجم الدين سليمان الطوفى الحنبلى ... وكان شيعياً منحرفاً فى الاعتقاد عن السنة ... ووجد له فى الرفض قصائد ، ويلوح به فى كثير من تصانيفه ... واشتهر عنه الرفض والوقوع فى أبى بكر وابنته عائشة رضوان الله عليهما ، وفى غيرهما من جلة الصحابة رضوان الله عليهم ، وظهر له فى هذا المعنى أشعار بخطه نقلها عنه بعض من كان يصحبه ويظهر موافقة له فرفع ذلك إلى قاضى الحنابلة سعد الدين الحارثى وقامت عليه بذلك البينة فتقدم إلى بعض نوابه بضربه وتعزيره وإشهاره ، وطيف به ونودى عليه بذلك ، وصرف عن جميع ما كان بيده من المدارس ، وحبس أياماً ثم أطلق .

وقال ابن رجب الحنبلى كذلك فى طبقات الحنابلة : لم يكن له يد فى الحديث ، وفى كلامه فيه تخبيط كثير ... ولقد كذب هذا الرجل وفجر فيما رمى به عمر — من منعه الناس من تدوين الحديث — ... ولما جاور فى آخر عمره بالمدينة صحب السكاكينى شيخ الرافضة ونظم ما يتضمن السب لأبى بكر . ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها . وفى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر قريب من ذلك . وإنما نقلت ما قاله فيه الحنابلة لأن أصحابه أعرف به

محمد أسامة عليبة

إلى الأستاذ العباس :

حياك الله يا عباس وجمل أيامك كلها باسمة ... فقد بلغت ما فى النفس وشفيتها مما كان يعتلج فيها ، وأبنت عما كانت تكنه من ألم لم تستطع أن تبدى به كلما مر بالسمع ما يطرب به ويردده الموسيقار محمد عبد الوهاب من شعر المرحوم شوقى بك فى الثورة السورية حين صب الفرنسيون حمم مدافعهم على مدينة (دمشق) الخالدة ، فانظر إلى ما فى قول الشاعر :

إذا عصف الحديد احمر أفق   على جنباته واسود أفق

من وصف حق ولفظ جزل وتصوير بدع يبعث فى النفس الرهبة والروعة حين تستشعر حقيقة الواقع ، وما يفعله عصف هذا الحديد الذى يحمر منه أفق ويسود آخر ، ثم انظر ما ذا تحس وأنت تستمع إلى الموسيقار حين يتخلع ويتفكك بهامة الألفاظ ذاتها ، فيجعل من عصف الحديد ما يشبه عصف الحب أو الريحان ؟

فحياك الله يا عباس على ما دعوت إليه عبد الوهاب ، وحياه الله وبياه إن هو استجاب .

(دمشق)   **أحمد أبو الطيب**

لاظ أوغلى أيضاً :

قال الأستاذ محمد أسامة عليبة فى كلة وجيزة أراد بها زيادة

التعريف بلاظ أوغلي — الرسالة عدد ٧٨٠ — ... واللاظ قوم من القوقازيين يسكنون على ساحل البحر الأسود ، وهم قبيلة من الجركس .

والواقع أن اللاظ ، أو اللاز — كما ينطقها الأتراك — جيل من الناس يقيم على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود ، في حين أن الجركس يقيمون على الساحل الشرقي الشمالي لذلك البحر ، ويفصل بين هؤلاء وبين أولئك مساكن الأرمن والكرج ، وليس اللاظ من الجركس في قليل أو كثير ، بل هما شعبان مختلفان .

يقول العلماء : إن اللاظ من الشعوب القوقازية ، نزحت من القوقاز إلى هذه البقعة من الأناضول من قديم ، ولهم لغتهم الخاصة بهم إلى جانب اللغة التركية ، ولهم صفات ومميزات تكون قوميتهم .

والثابت علمياً أن اللاظ يمتون بصلة القربى إلى أمة الكرج القوقازية ، لا الجركس كما يقول الأستاذ محمد أسامة عليبة .

على أن بعض الشادين من الكتاب يعتقد أن كل قوقازي جركسي ، وأن كلمة الجركس تساوي كلمة القوقازي ، كما أن هناك من تدفعه العصبية إلى مثل هذه الدعوى الواضحة البطلان .

وأنا أعيذ الأستاذ محمد أسامة عليبة أن يكون من هؤلاء أو أولئك ، فاللاظ شعب قوقازي ، ولكنه ليس من الجركس ، بل هو يمت بصلة القرابة إلى أمة الكرج القوقازية .

ولست أظن أن بأحد من القراء حاجة إلى بيان أن الكرج غير الجركس وإن كانا شعبين قوقازيين .

(حلوان) برهان الدين الداغستاني

أهو تجديد في الشعر ؟

في جريدة (الزمان) المسائية العدد ١٨٥ اطلعت على قصيدة بعنوان « المصريون » للأستاذ الشاعر محمد الأسمر محرر ركن الأدب بها ، استوقفني منها بيتان وقفت حيالها موقف السائل المستريب ... قال في سياق القصيد :

(جيوش تراها كالظلام إذادجا) وما هي إلا في الحقيقة نور

ثم قال بعد أبيات :

(جيوش تراها كالظلام إذادجا) رأيت عليها الموت وهو منير

أقول — أنا السائل المستريب — ما الحكمة الغالية من تكرار شطر برمته ، وترديد لحن بنغمته ، في قصيدة لا تزيد أبياتها على العشرة ؟ !

أهو قوة البيت في معناه ، أم هو جماله في مبناه ، أم هو شيء جديد يراد منه التجديد في بناء القصيد ؟ !

(الزيتون) عدنان



جناية وصـــــية !

عن الانجليزية

— ١ —

في بقعـة من بقاع الريف الجميل ، جلس المفتش البوليسي (باول) في مجلس من الأصدقاء ، بين أشجار الحديقة الباسقة وأزهارها الباسمة ذات الشذا المسكي . . وقد عبث بها النسيم الرطب . . فبعثت الطبيعة الجذابة في الجالسين حب الحديث ؛ فاقترح أحد الجالسين على المفتش أن يمتعهم بسرد أغرب قضية حققها في حياته . . فتظاهر المفتش بالكلال ، إلا أن زوجته همست بصوت رقيق النبرات لتبعث في زوجها الشجاعة والإقدام على سرد القصة فقالت له :

— لماذا لا تقص عليهم قضية « سيفرن » ؟؟ . إنها في الواقع قضية غريبة في بابها .

فنزل المفتش على حكم زوجته .. فاعتدل في مجلسه وأشعل غليونه . . وأرسل أفكاره في جو القصة وشرع أخيراً يقول :

— تبدأ هذه القصة على وجه التحديد في غرفة شبه معتمة ، بها عجوز شمطاء مسجاة فوق سريرها . . جاوزت التسعين من عمرها .. وقد تغلغل المرض الفتاك في جسمها الهزيل ، فكانت تنتزع أنفاسها بمجهود كبير .. ولم يكن بجانبها غير رجلين كانا يتطلعان إلى العجوز في لهفة وترقب .. كانت العجوز تحتضر في تلك الليلة ، إلا أنها كانت تصارع الموت في يأس وعناد .. ولم يكن حبها للحياة هو الدافع إلى مقاومة الموت بهذا الإصرار .. وإنما دفعها إلى ذلك حبها للمال وممزتها له . . فقد كانت أشد ما تخشاه أن تفارق ذلك الصنم الذي آثرت عبادته على عبادة الله .. فقد كانت في العام المنصرم تتمتع بصحة موفورة .. فما بال الموت يدهمها في النهاية ويرغمها على ملازمة الفراش ، وانتظار الموت .. وفقدان المال .. وتركه في أياد تعبث به وتفنيه في أيام وقد جمعته في سنين ! ! على أن الطبيب كان يتوقع موتها بين لحظة وأخرى — ولكن حبها للحياة — أوحبها للمال — بعبارة أخرى ، ظل يدفع عنها الموت إلى أن حانت الساعة وأقبل ملاك الموت يتحدى الحياة . .

وأما الرجلان فما كانا يرقبان إلا موتها ليضما يديهما على ثروتها الضخمة . . فقد طال عليهما انتظار موتها حتى امتد إلى ثلاثين عاماً . . ذاقا خلالها ألواناً من العذاب ، وضروباً من الإهانات التي كانت تطارهما بها عمتهما القاسية الشحيحة . . حتى تبدد أملهما وظنا أن موتهما سوف يسبق موتها ! .

وبينما هما يدمنان النظر إليها وهي تتابع أنفاسها المتلاحقة .. إذ بجسمها يختلج ، وصدرها ينتفض . . فابتسم أحد الرجلين وهمس في أذن أخيه :

— أكبر ظني أنها في النزع الأخير يا « موريس » فيرد عليه موريس شقيقه الأصغر :

— نعم ، يا « شارلس » — لم يبق غير دقائق معدودات . فعلى ما يبدو لي أن ما نسمعه من أنين هو حشرجة الموت ! . وفي هذه اللحظة ، فاضت روح العجوز ، فتنفس الشقيقان الصعداء . وغمر الفرح صدريهما ، حتى كادا يبديان سرورها بالتهاني لولا أن اعتراهما الخجل .. حينما أعلن الطبيب موتها بشيء من الألم .

— ٢ —

وما كادت جثة العجوز توارى التراب في صباح اليوم التالي ، حتى أسرع الأخوان إلى مكتب محامي عمتهما للاطلاع على وصيتها .. وقد أدهشهما أن استقبلهما ابن المحامي مبدياً اعتذاره عن والده إذ قال :

— إن أبي مريض منذ شهور .. أظنكما أبناء أخي السيدة « سيفرن » — لقد كنت أتوقع قدومكما وسآتيكما بالوصية بعد لحظات . .

ابتسم الرجلان ، وجلسا ينتظران عودة ابن المحامي .. وكانت الدقيقة كأنها ساعة .. حتى عاد ابن المحامي يحمل غلافاً مختوماً ، فقال وهو يفض أختامه :

— هل تريدان أن أقرأ لكما الوصـية أو أعطيكما إياها لقراءتها ودراستها ؟؟ .. فأشارا بقراءتها :

فقال إذاً فسأصرف النظر عن القسم الخاص بمكافآت الخدم ..

وأقرأ الشطر الخاص بكما فأمن « موريس » و « تشارلس » على رأيه .. فاستطرد ابن المحامى يقول :

— أقول لكما إن شروط الوصية فيما يختص بكما من الغرابة بمكان ؛ ولهذا أرى أن تقرآها بأنفسكما .. ودفع لهما الوصية . .

فأخذها « تشارلس » وأخذ يقرأ ما يلى :

« وأما ابنا أخوى اللذان انتظرا موتى بصبر وجلد ، فإن حديثى إليهما قصير . . يقولون إن الصبر فضيلة . . ولابد له من حسن الجزاء ، ومع أن ابنى أخى سيحصلان على جزائهما الحق فى جهنم ، فيجب أن يحصلا على جزائهما فى الأرض قبل السماء ...

لقد فكرت فى أن ادعهما يتقاسمان ثروتى .. ولكن لم ألبث أن خطرت ببالى فكرة أفضل كثيراً من ذلك ... لقد انتظرا طويلا ... وصبرا كثيراً ، أفلا يكون « من بواعث رضاى فى مثواى أن أرى أيها أعظم صبراً وأكثر جلداً ؟ . .

لهذا فكرت فى أن أوصى بجميع ثروتى وعقارى لابن أخى الذى يستطيع أن يعمر فى الحياة أكثر من أخيه ... فإذا مات أحدهما تؤول جميع ثروتى لمن بقى منهما على قيد الحياة ... وفى أثناء حياة الإثنين أحرم عليهما الحصول على قرش واحد من ثروتى !! .. »

شهق الأخوان طويلا ... واحمر لونهما ... وراح كل منهما يتطلع إلى الآخر فى ذهول عظيم ...

كانت الوصية بشروطها تحوى إيحاء وتحريضاً على أن يحاول كل من الأخوين قتل الآخر حتى يفوز بالثروة ... لقد أرادت عمتهما الشيطانة أن تحطمهما بضربة واحدة ... فافترق الأخوان ... وعاش كل منهما على بعد من أخيه !.

— ٣ —

وتحولت حياتهما منذ ذلك اليوم إلى جحيم دائم ، وقلق مستمر . . تسرب الشك إلى كل منهما فى الآخر . . وكان الشيطان اللعين يوسوس لكل منهما أن يفتك بالآخر ليظفر بالثروة . وهزل جسماهما من فرط السهر وأصبحا كشبحين لهما هيكل محطم لا حياة فيه ولا حراك !.

واتفق أن عثر « تشارلس » على موسوعة « بريطانيا » الطبية . . فكان يسهر لياليه ساهدا لا يغمض له جفن .. وهو يمسك بيده ذلك الكتاب يقتله قراءة ودراسة . . وقعت عينه فى الموسوعة على فصل من (الأعشاب السامة) وأسكنه نموها فى انجلترا .. فخطرت « لتشارلس » فكرة شيطانية .. فراح من ساعته يجد فى الحصول على بعض الأعشاب السامة ، فطحنها ، ودس المسحوق الناتج منها فى طعام أخيه «موريس» بخطة جهنمية — حتى تمت بالنجاح .

فحدد يوماً لارتكاب الجريمة . . وبعد الانتهاء من خطته ، سافر إلى بلدة مجاورة . . فتناول « موريس » طعامه الممزوج بالسم .. ولما عاد « تشارلس » من لندن فى صباح اليوم التالى . . وجد أخاه فى أشد حالات المرض .. فاستشعر شيئاً من الندم . . إلا أن بريق المال أطفأ تلك النار المتأججة .. ولطالما بذل طبيب الأسرة مجهوداً جباراً لشفاء « موريس » إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح .. فذهب ضحية لشروط الوصية ! . .

على أن « تشارلس » لم يجد صعوبة كبيرة فى إقناع الطبيب بأن الوفاة كانت طبيعية . . ولزم بعد ذلك الصمت بضع أيام ... فلم يطالب بالإرث مباشرة خشية أن يثير ذلك الريب ، ويحرك الظنون .. وفى ذلك الظرف الذى كان « تشارلس » مقسم الفكر بين وخز الضمير وجاذبية المال أخذ الناس يتكلمون ويتهامسون . وسرى بينهم الشك والارتياب فى أمر « تشارلس » ، وانتشرت الإشاعات فى كل الأمكنة بأن وفاة « موريس » لم تكن طبيعية . وأنه مات مقتولا بسبب شروط الوصية .. ولم يمض وقت طويل حتى تلقى البوليس رسائل من مجهولين فيها ، اتهام صريح « لتشارلس » ، وأصدر قاضى المقاطعة أمراً باستخراج الجثة وتشريحها . وسرعان ما اكتشف آثار السم فى أمعاء الميت ..

وما كدت أواجه تشارلس بالاتهام حتى خارت قواه ، واعترف بما جنت يداه . . وقدمته للمحاكمة . . فكان مصيره الإعدام . . وكم يزداد قلبى حرقة ونفسى ألماً حينما أتذكر ساعة قيادته إلى الإعدام . . فقد استحال فى تلك اللحظة إلى شبح مخيف . .

— ٤ —

كف المفتش « باول » عن سرد القصة . . فنظر أحد الجالسين إليه بحزن وقال :

— إنها قصة غريبة ومحزنة فى وقت واحد ! ! .

فنظر إليه المفتش باسماً متألماً .. وقال :

— فى الواقع أن الباعث الأكبر على غرابة القصة لم يذكر بعد .. فاستطرد يقول :

ومضت شهور . . ونسى الناس كل شيء عن هذه القضية .. إلى أن جاء يوم تلقيت فيه رسالة من رجل كان يعانى سكرات الموت فى إحدى المستشفيات .. قال الـكاتب فى رسالته :

« أريد مقابلتك حتماً ، فإن لدى معلومات خطيرة عن قضية « سيڤرين » . . . فاسبق بالمجيء أجلى . . . فقد يقول الأطباء .. إن ساعاتى محدودة ..

وكان الخط من السقم بحيث لا يقرأ مما أكد لى أن حالة كاتبه جد خطيرة . . فنظرت عجلان إلى التوقيع فإذا بى أقرأ « ستيفن دريك » وهو اسم لم يطرق سمعي قبل اليوم .. فركبت سيارتى . . . ومضيت إلى المستشفى ، ولما استعلمت من كاتب المستشفى عن « دريك » قال لى إنه نُقل إلى المستشفى فى صباح ذلك اليوم مصاباً بجروح قاتلة على أثر تصادم شديد بين سيارة كان يركبها ، وسيارة نقل كبيرة ، وأن حالته تدعو إلى اليأس!

ودخلت عليه فى الحجرة . . فإذا بى أرى شاباً ممدوداً فوق الفراش .. يئن أنات الألم .. ويتلوى كالأفعى من آلام الجروح. فلما رآنى سكن ورسم على شفتيه ابتسامة الهزيل اليائس ، فابتدرنى بقوله :

آه ! إذاً فقد جئت أخيراً أيها المفتش باول . يبدو أن الدهش يتملكك لأننى أعرف اسمك ، وأشار إلى بالجلوس ..لقد كان شاباً جميل الوجه ، مشرق الجبين ، إلا أنه كان بادى الإعياء من فرط ما ناله من آلام وما نزف من دمه . فاستطرد يقول لى :

« أنا « دريك » محامى قضية « سيڤرين » .. إن بينى وبين الموت دقائق . . ولـكنى أشعر برغبة ملحة فى إشراك شخص آخر فى سرى قبل أن أنطلق للاجتماع بعميلى فى السماء ؛ وقد هدانى تفكيرى إلى اختيارك لأبثك سرى ، وأوضح لك أمرى ، ولا سيما وأنت الرجل الذى قدم « تشارلس » إلى يد العدالة . .

وأطال الشاب النظر إلى وجهى . . . ثم ابتسم بسخرية واستطرد :

— « يخيل إلى أنك بدأت تفطن إلى ما أنا بسبيل قوله .. نعم ، أنا هو الرجل الذى كان ينبغى أن يوضع فى حبل الشنقة بدلا من « تشارلس » المسكين ، ولـكنى لا أعنى بذلك أننى الذى دسست السم لأخيه .. كلا ؛ إن « تشارلس » هو الذى فعل هذا ، ولـكنى أنا الذى دفعته إلى ذلك ، فقد كانت الوصية التى قرأتها على الرجلين مزيفة .. كان المحامى المحتضر يتكلم بلهجة الساخر المتحدى ، لا بلهجة النادم الباكى .. ولا عجب فقد كان يعلم أنه أصبح فى مأمن من يد العدالة ..

وواصل حديثه بقوله :

« أجل . لقد كانت الوصية مزيفة ، فقد كتبتها بعد طول تفكير . . كتبتها على أمل أن تجنى ، وفعلا جنت على نفسين لاذنب لهما..لقد جعلت فى محتوياتها شرطاً يكفى لحض « موريس » و « تشارلس » على أن يجنى أحدهما على الآخر فيقتله . . وهذا هو متمناى أن يقتل أحدهما الآخر . . أما لماذا كنت أسعى إلى ذلك ، فالأمر جلى بسيط . . ذلك أننى كنت قد بعثرت إرثهما فى المضاربات المالية ، وما يماثلها من ضروب المراهنة . ولم يكن ثم خطر يتهددنى عندما كانت العجوز « سيڤرين » على قيد الحياة .. إلا أن الموقف تغير بعد موتها وأصبح خطير الجانب ، مرهوب الظهر !. فقد كان من المحقق مطالبة الأخوين بإرثهما.. وعندئذ تنجلى الحقيقة ، وتسوء العقبى ..

ثم توقف « المحامى » قليلا .. وتنفس طويلا .. ثم أردف :

— إنك بالطبع تعرف بقية القصة .. فعندما ماتت (سيڤرين) اضطررت إلى تزييف الوصية الجانية الماتية ، وأنا آمل أن تدفع شروطها أحد الوارثين إلى قتل الآخر ، فتضيع معالم جريمتى .. ولـكن يبدو أننى كنت كثير التفاؤل ؛ فقد مضى أسبوعان بعد وفاة العجوز ولم يقدم أحد الرجلين على جريمة القتل ؛ فلجأت إلى حيلة أخرى لأحثهما على ارتكاب الجريمة . . . فوضعت « الموسوعة البريطانية » في متناول يد « تشارلس » وأنا آمل أن يلجأ إلى استخدام أحد السموم المذكورة فيها للتخلص من « موريس » ..

وقد نجحت خطتى بالتخلص من « موريس » فرحت أبث الدعايات وانشر الإشاعات ، فى طول المدينة وعرضها ، مؤداها أن « موريس » مات مسموماً .. وقمت أيضاً بإرسال الـكثير من الرسائل المجهولة إلى البوليس التى فيها تبعة موت « موريس » على أخيه « تشارلس » . .

« وانتهى الأمر كما تعلم بإعدام « تشارلس » المسكين ! . ولـكن . . حل بى انتقام السماء . . »

ثم كف بعد ذلك عن الـكلام . . فأدهشنى انفجاره فى الضحك .. وبعد لحظات همد جسمه . .

سيد أحمد قناوى

سكك حديد الحكومة المصرية

قطار البحر فى صيف عام ١٩٤٨ الأسكندرية

(السفر بدفاتر إثبات شخصية ثمن الدفتر ٢٠ مليم وبصورة شمسية لكل راكب)

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه علاوة على قطار البحر الذى يسير من القاهرة إلى الأسكندرية فى أيام السبت أسبوعياً تقرر تسيير قطار البحر أيضاً يوم الخميس الأول من كل شهر اعتباراً من يوم الخميس القبل الموافق أول يونية سنة ١٩٤٨ حيث يقوم من القاهرة فى الساعة ١٥ ر ١٥ إلى الأسكندرية ويعود منها يوم الجمعة فى الساعة ١٥ ر ٢٠ إلى مصر .

الأجـــــور

من مصر إلى الأسكندرية ذهاباً وإياباً تذكرة كاملة	٥٠٥ مليم
نصف تذكرة	٢٠٥ «

ويسمح لرواد البحر بمدينة طنطا بالسفر بقطارات البحر للاسكندرية ذهاباً وإياباً بالأجور الآتية : —

٣٠٥	مليم	تذكرة كاملة
١٥٥	«	نصف تذكرة

فعلى راغبى السفر أن يتقدموا من الآن إلى محطة مصر وطنطا لحجز أماكنهم نظراً لأنه تحدد لكل قطار ٨٠٠ راكب .

ولزيادة الإيضاح يستعلم من محطة مصر وطنطا

انتهزوا هذه الفرصة وسارعوا إلى الحصول على الكارنيهات والتذاكر .

مطبعة الرسالة



العدد ٧٨٤ — الاثنين ١٢ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣

16 em Année No. 784

Lundi — 12 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رمضان سنة ١٣٦٧ — ١٢ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدبنا وهـــذه الحرب

كان أدباؤنا فى الحرب العالمية الثانية إذا سئلوا : ما بالـكم تظلون « محايدين » والعالم من جهاته الست قد أخذته جنة الحرب ونفضته حمىّ الهلاك ؟ أجابوا : وما لنا ولأمر لا جارّة لنا فيه ، ولا رادّة علينا منه ؟ ليست هـذه الحرب لنا فتزهونا العزة ، وليست علينا فتهزنا الحميّـة . إنما نحن منها كن يشاهد من جانب الغاب معركة بين الوحوش ، يصيبه من شظاياها الناب المخلوع أو المخلب المقطوع أو المفصـل الطائر ، فلا يعنيه إلا أن يسب الضارب والمضروب ، ويلعن الغالب والمغلوب . وهذا ما نهض به فن المقالة فى ميدان واسع ، وتحرك له فن الشعر فى مجال ضيق .

ذلك ما كانوا يقولونه بالأمس فى حرب الألمان والطليان للانجليز والأمريكان ، فماذا عسى أن يقولوا اليوم فى قتال العرب لليهود ، وجهاد القرآن للتلمود ، وكفاح الإسلامية للشيوعية ، ونضال الحرية للرأسمالية ؟ أيقولون إن هذا الشعب الـكريم الذى يجود بنفسه وماله ، فى سبيل عزته واستقلاله ، ليس شعب النيل ؟ أم يقولون إن هذا الجيش الباسل الذى قهر العـدو ببطولته وإقدامه ، وبهر الصديق بخطته ونظامه ، ليس جيش الفاروق ؟ أم يقولون إن هذه الحـكومة الحرة التى دافعت بشجاعة الحق فى مجلس الأمن ، وهاجت ببراعـة القوة فى ميدان الحرب ، ليست حـكومة مصر ؟ أليس فيما يرفع الجبـاه ويعطر الأفواه مما تسجله الصحف كل يوم لقوادنا وجنودنا وطيارينا ، من مواقف البسالة والشهامة والتضحية والإيثار والنجدة والنبل ، ما يوحى للشاعر الحماسى بالملحمة ، وللـكاتب القصصى بالقصة ؟ أو ليس فيما يزكم الأنوف ويكظم الصدور مما جنته على فلسطين وعلى المسلمين ، وغادةُ اشترن ، وخيانة أرجون ، وفسولة الهاجنا ، ونذالة يهـود ، ما يفتح للروائى الساخر باب الملهاة ، وللفنان الشـاعر باب المأساة ؟ بلى ، إن فى النار الذى يكلل رءوس العرب ، وإن فى العار الذى يجلل رءوس اليهود ، لمادةً ثرّة للخيال المبدع ، ومداداً فياضاً للقلم الخالق . ولقد أدت الصحافة حق الأدب والتاريخ ، وحاولت الإذاعة أن تقضى حاجة العقل والروح ، وأخذ الشعر يجيب داعى الغناء والموسيقى . فلم يبق إلا الشـاعر الطويل النفس الذى يسجل المفاخر فى القصيد ، والـكاتب البارع الذهن الذى يصور المآثر فى الرواية . وعما قريب يجرى فى الفلك المصرى كوكب عطارد فينبض اللسـان الساكن ويجيش القلب القـرور .

لقد كانت القبيلة تغزو القبيلة ، فيُقتل بعض الرجال ، وتنهب بعض الجمال ، فتثور ثائرة الشعر ، وتقوم قائمة الخطابة ، ويسمع الدهر المجلان فيقف مصغياً للبدوى الجلف ليروى للأجيال المقبلة مناقب قومه ، ويخلد على الآباد المتعاقبة حوادث يومه . فهل نقول إن حرب فلسطين التى احتشدت لها دول العرب السبع أضعف تأثيراً فى النفوس من غزوة ، أم هل نقول إن شـعراء العروبة

(البقية على الصفحة التالية)

من سجايا اليهود، نقض العهود

للأستاذ علي العماري

كان موقف الصهيونيين من الهدنة مثيراً للعجب عند الخبيرين ببواطن الأمور، والجاهلين بها، فالعالم كله يعلم أن الدول الغربية إنما أرادت من الهدنة أن تحمى ظهور اليهود، وأن تبقى على البقية الباقية من قواتهم التى مزقتها الجيوش العربية، وأن تهيء لهم الفرصة للاستجمام والراحة لعلهم يستطيعون أن يثبتوا وجودهم، وأن يمحوا العار الذى لحقهم، ويزيلوا الخجل من الدول التى ناصرتهم، وتساءل الناس، ما بالهم — وهذه حالهم — لم يصبروا على الهدنة ساعة من نهار؟ وما بال عصاباتهم ترتكب كل يوم حادثاً جديداً؟ وربما اختلف الناس فى الإجابة عن هذا السؤال الذى يبدو غريباً، وربما ذهبوا مذاهب شتى فى التعليل والاستنتاج، ولكن الذى أؤكده أن مرجع ذلك ومرده إلى أن الغدر ونقض العهد من طبائع اليهود المتأصلة فيهم.

يؤيد ذلك تاريخهم الطويل المملوء بالمضحكات والمبكيات، مذ آذاقوا كليم الله موسى عليه السلام الأمرين، إلى أن لفظتهم جميع الدول من أرضها فى العصر الحديث. ويؤيده ما سجله القرآن الكريم عليهم. ولهذه الطبيعة فى نفوسهم لا أظن أن أحداً يرضى أن يركن إليهم، أو يثق بمواثيقهم وعهودهم، ولا أظن (برنادوت) بالغاً شيئاً مما يريد. وكيف، وقد أعيوا جميع الأنبياء والمصلحين الذين أرادوا لهم الخير؟! فما كان منهم إلا أن التووا على الجميع، وأصموا آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا، واستكبروا استكبارا. شكا منهم موسى عليه السلام فقال فيما حكاه القرآن عنه: «رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى، فافرق بيننا وبين القوم الظالمين». وشكا منهم هرون عليه السلام: «قال يابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى، فلا تشمت بى الأعداء، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين». وشكا منهم أنبياء الله يوشع بن نون، وصمويل، وزكريا، ويحيى، وفى القرآن الكريم (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون).

ولقد عنى القرآن الكريم عناية ظاهرة بأخبارهم، والحديث عن سوء أخلاقهم، وكشف مطويات ضمائرهم، حتى كانت السورة بأكملها تنزل فى حادثة من حوادثهم، كما نرى فى سورة الحشر التى سجلت مخزاة بنى النضير. ومن مظاهر هذا الاهتمام أن أول سورة نزلت بالمدينة وهى سورة البقرة جاء فى صدرها نحو الثمانين آية مما يتعلق باليهود وآبائهم، وأن الدارس ليستطيع أن يستخلص أهم المظاهر الأخلاقية التى كانت فاشية فيهم من بخل، وجهل، وعناد، وخيانة، وغدر، ودعاوى طويلة عريضة، ونفاق ورياء إلى آخر ما حفلت به الآيات الكريمة، ولكنى هنا أريد أن أتحدث عن صفة واحدة من صفاتهم تلك هى (نقض العهود).

وقد ذكر جار الله الزمخشرى فى كشافه عند تفسير قول الله تعالى (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم) قال: «واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود. وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا» ...

نعم قد أخذ الله منهم مواثيق كثيرة، ذكرت فى القرآن، ولكنهم نقضوا جميع هذه المواثيق، وقد عاهدهم النبى غير مرة، ولكنهم كانوا ينقضون عهدهم فى كل مرة.

فإنه صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة وجد نفسه بين نارين: نار اليهود فى المدينة، ونار المشركين فى مكة، لذلك كان حريصاً على أن تحسن العلائق بينه وبين اليهود، فعقد معهم عهداً سياسيا خطيراً، بين فيه حقوق الطوائف كلها من مهاجرين وأنصار

اليوم أقل تأثراً بالجد من الليك وعروة؟

إن حرب فلسطين ليست كما يقال مبدأ نهضة ومفتتح عصر؛ إنما هى أشبه بحروب الفتح فى عصر الإسلام الأول: كانت نتيجة لتأليف الله بين قلوب العرب فتوحدت اللغة والكلمة والعقيدة والثقافة والخطة والغاية؛ وكان من وراء أولائك كله سلطان لم يطاوله سلطان، وعمران لم يماثله عمران، وأدب لم يعادله أدب.

(المنصورة) احمد حسن الزيات

ويهود ، ونص فيه على شروط الدفاع والهجوم ، فقد كان يفكر في مهاجمة مكة ، كما كان يتوقع أن تهاجمه يوماً ما ، وقد أمن اليهود على كيانهم الاجتماعي ، وترك لهم حرية الديانة . ومما جاء في هذا العهد (وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين . لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه وأهل بيته ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين[2]) .

وعاشوا في ظل هذا العهد آمنين مطمئنين حتى تكشفت نواياهم ، ونزلوا عند حكم طباعهم ، فقد كانوا يريدون أن يستميلوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى جانبهم ، وكانوا يجدون روحاً واطمئناناً في استقبال المسلمين بيت المقدس في الصلاة ، فلما رأوا أن بعض أحكام القرآن لا تتفق وأحكام التوراة ، وجاء للنبي الأمر بالتوجه — في صلاته — إلى الكعبة بدرت منهم السوأة السوداء ، وقالوا : لو كان نبياً حقاً ما ترك ملة إبراهيم ، وهم يزعمون أن بيت المقدس كان قبلة إبراهيم ، فنزل قول الله تعالى : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» وقد حاول النبي أن يفهمهم أن لله المشرق والمغرب ، ولكنهم سفهاء ، فما يهتدون «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض» . ثم كان انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى ، فدخل الحقد والحسد إلى قلوبهم ، وقال كبراؤهم : «بطن الأرض اليوم خير من ظهرها» ثم نقضوا العهد .

ثم عاهد النبي بني قريظة ألا يمالئوا عليه فنكثوا وأعانوا مشركي مكة بالسلاح ، وقالوا نسينا وأخطأنا ، ثم عاهدهم فنكثوا ، ومالوا مع المشركين يوم الخندق ، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ، فأنزل الله فيهم قواصم الظهور «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون» وهكذا يدمغهم في وضوح وقوة ، فهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، وهم ينقضون عهدهم في كل مرة ، فليس على النبي ولا على المؤمنين من حرج إذا مزقوهم كل ممزق «فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين» .

وكيف يرجى من هؤلاء اليهود الخير ، أو يوثق لهم بعهد ، وهم يتنكرون لدينهم ويفضلون الوثنية على التوحيد في سبيل مطامعهم الدنيئة ، ومآربهم الخسيسة ، حتى وقعوا فيما لا يقع فيه ذو عقل وخلق . ذكروا أن وفداً من قريش جاء إلى اليهود وحادثهم في شأن الدين «وقالت قريش لليهود : يا معشر يهود ! أنتم أهل الكتاب الأول ، وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه !» وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى : «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا» .

ولم يرض مؤرخ يهودي عن هذا الموقف المخزي من اليهود ، ذلك هو الدكتور ولفنسون مؤلف كتاب (تاريخ اليهود في بلاد العرب) فقد علق على ذلك بقوله : «كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ... هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام ، والوقوف معهم موقف الخصومة» .

(وبعد) فإن نقض اليهود للعهود موضوع طويل الذيول ، ولست أريد — هنا — أن أستوفيه ، وإنما هي إشارة عابرة .

ولا أختم هذه الكلمة حتى أروي النفس بهذه الآية الكريمة : «وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب» .

وعد الله لا يخلف الله وعده .

علي العماري
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

(١) يهلك ويفسد .
(٢) السيرة لابن هشام .

من مآثر الأمير عبد القــادر

(مهداة إلى حفيده الأمير سعيد الجزائرى)

للأستاذ محمــــــد أسامة علية

لمناسبة قيام الدول العربية بتأديب العصابات الصهيونية فى فلسطين رأيت نشر ذَرْوٍ من أخبار هذا الزعيم المجاهد :

فى وقعة (خنق النطاح) الأولى سنة ١٢٤٧ هـ كان الأمير بين الصفوف يحرض المحاربين على الثبات ويأمرهم بالتقــــدم ، فحمل عليه أحد فرسان العدو برمحه فمر من تحت إبطه الأيسر فشــد عليه بعضده وهوى بســيفه على الفارس فقدَّه نصفين . ولما تولى النهار وقعت الهزيمة فى عسكر الفرنسيين فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون واستولوا على ذخائرهم . وفى هـذا اليوم طُعن فرس الأمير ، وكان أشقر اللون ، ثمانى طعنات بحربات العدو ، ثم رماه أحدهم بالرصاص فى رأسه فوقع به ، فلم يبال الأمير بذلك بل قام فى مكانه ثابتاً إلى أن قدَّم إليه جنده غيره فامتطاه ، وظل يقاتل إلى أن انتصر المسلمون ، وأشار إلى ذلك الأمير فى بعض شعره بقوله :

توســد بمهــد الأمن قد مرت النوى
وزال لنوب الســير من مشهد الثوى
وعزَّ جياداً جاد بالنفس كرُّها وقد أشرفت مما عراها على النوى
وكم قد جرت طلقاً بنــا فى غياهب
وخاضت بحار الآل من شــدة الجوى
وإنا ســقينا البيض فى كل معرك
دماء العدى والسمر أسمرت الجوى
ألم تر فى «خنق النطاح» نطاحنا غداة التقينا كم شجاع لهم لوى
وكم هامة ذاك النهــار قددتها بحد حسامى والقنا طعنها شوى
وأشــقر تحتى كلمتــه رماحهم
مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى
بيوم قضى نحباً أخى فارتقى إلى جنان له فيها نبى الرضى أوى
فما ارتد من وقع السهام عنانه إلى أن أتاه الفوز يُرغم من غوى
ومن يومهم خلصته حينما قضى وكم رمية كالنجم من أفقه هوى
ويوم قضى تحتى جواد برميــــة
وبى أحدقوا لولا أولو البأس والقوى
وإنا بنو الحرب العوان بها لنا سرور إذا قامت وشانئنا عوى

وفى وقعة خنق النطاح الثانية استشهد السيد احمد ابن أخى الأمير وهو ابن خمس عشرة سنة بعد أن بدا من بسالته ما أذهل المقول . ولمـا وقع عن جواده ميتاً بين الصفوف هجم الأمير فى طائفة من وجوه الأبطال جعلهم رداءاً له ، فخرق صـفوف العدو وانتشل ابن أخيه من بينهم ، فعجب الأعداء من ذلك وأيقنوا أن القتيل أمير فحاولوا منعهم من أخذه فخابوا ...

وفى معركة برج « رأس العين » أخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كالمطر ، فلم يزدهم ذلك إلا شدة وحماسة ، وجعل الأمير يسير بين المشاة والفرسان وسائر الصفوف يحرضهم على الثبات والصبر فى مجال الموت ويذكرهم بأيام الله ، وبينما هو على ذلك إذ عدا عليه أحد فرسان العدو بسيفه فحاد عن سرجه فجاءت الضربة فى الفرس فوقع لحينه ، فركب غيره واستمر على ما كان فيه من الحض على القتال . وبلغه أن المشاة فرغت أيديهم من الرصاص فأسرع إليهم بما يكفيهم منه ، ولم يحفل فى ذهابه وقفوله بقنابل العدو المتصلة وصواعقه المتتابعة من البرج والبلد .

وفى غزوة « المقطع » التى شنها الجنرال تريزيل ناقضاً بها المعاهدة بينه وبين الأمير ، خرج الجنرال من وهران فى خمسة آلاف راجل وفرقة من الفرسان وأربع قطع من المدافع الجبلية وعشرين مركبة للتموين عدا المركبات الاحتياطية ، فنهض له الأمير فى نحو ألفى فارس وألف من المشــاة فاحتل « بسبك » عازماً على الإقامة هناك إلى أن يتلاحق الناس بالجيش ، ولـكن تريزيل عاجله بالزحف إليه ، فعبأ الأمير كتائبه ورتب جنده ، وعين الميمنـة قائداً وللميسرة كذلك ، وثبت هو فى القلب ، وتزاحف الجمعان واحتدم القتال واستمر يومين فارتدت عساكر الفرنسيين على الأعقاب ، وقتـل منهم على ما ذكره (روا) فى تاريخــه جم غفير ، فيهم الـكمندان أودينو ابن المارشال دوك دى ريجو ، وكان قتـله سبباً فى هذه الهزيمة النكراء . وكان الظمأ والتعب أنهكا جيش الأمير فتفرقوا ، ثم شعروا بأن العدو بات قريباً منهم فرجموا أفواجاً أفواجاً ، وتوجه الأمير فى ألف

فارس اختارهم من جنده وأردف كل فارس جندياً من المشاة ، وخفوا إلى « القطع » ، وسدوا على الجنرال سبيله ، وأحاط جيش الأمير بجيش الجنرال وأضرموا عليه نار الحرب ، فاضطرب الجيش الفرنسي وقتل كثير منه وأسر عدد كبير وغرق في نهر هبرة أكثر ، وغنم المسلمون ذخائره ، وانسل الجنرال إلى ساحل البحر بمن بقي معه . ثم أرسلت فرنسة المارشال كلوزيل والدوك دورليان ولي عهد ملك فرنسة إلى الجزائر مع الجند والعتاد نجدة وإمداداً لمن هناك ممن عجزوا عن مكافحة الأمير ، فكانت الحرب بينهم سجالا في عدة وقائع ، ثم تغلب عليه العدو لوفرة عدده وقوة عدده ، فاستولوا على حاضرة الأمارة . ثم لم الأمير شمثه واستجمع قوته ، ونازل عدوه واسترد الحاضرة ، ثم ظهر عدوه عليه مرة ثانية وغزا تلمسان ، فحصره الأمير وانقض عليه

ويذكر المؤرخ اسكندر بالمار شديد عجبه من استجماع الأمير قوته ورجوعه إلى حاله الأولى بعد أن اضمحلت ثلاث مرات ، وكل واحدة منها كافية لسقوط أعظم سلطان راسخ القدم .

وقال تشرشل في تاريخه : بعد أن سرد تاريخ حروب الأمير مع فرنسة : إن هذه الأعمال كبيرة جداً بالنسبة إلى سن الأمير وكان في الخامسة والعشرين مع عدم الاطلاع على أحوال العالم ، لكنها صغيرة بالنسبة إلى ذكائه الفريد . ويعجب العاقل متى سمع أن دولة فرنسة احتاجت إلى مائة ألف عسكري تقاتل بها الأمير عدا المساعدات الداخلية والخارجية ... مع أن الأمير لم تزد قواته على عشرة آلاف مقاتل .

ولما تواطأ العدو مع جيران الأمير على خذلانه ، وتوالت النجدات للجيوش الفرنسية التي تقاتله مع فيض من السلاح والذخيرة ضعف أمره ، واستولى العدو على المدن والقلاع ، فاتخذ الأمير عاصمة كبيرة متنقلة مؤلفة من خيام كثيرة ومضارب وثيرة ، وسمى ما يخصه منها « الزمالة » وما يخص الأعيان والعامة « الدائرة » وما يخص الجند « المحلة » ، واتخذ جملة مضارب لمصانع السلاح ، وأعد فسطاطاً واسعاً لاجتماع المجلس العام ، وآخر جعله مسجداً ، ورتب مضارب للباعة وأهل السوق ، تضرب بعيدة عن الزمالة والدائرة ...

ويقول روا في تاريخه : إن الأمير عبد القادر كان لا يمل من التعب ولا يكل من الحرب ومشقاتها ، وكان يشاهد انتصارات فرنسة ، ولا يرى نفسه مغلوباً لها . واستمال بحكمته قلوب كثير من القبائل رغبة ورهبة وصاروا في جيوشه . وقال تشرشل : لما رأى الفرنسيون ذلك بادروا بذر الذهب والفضة رشوة لزعماء القبائل ، فلم يجدهم ذلك نفعاً ...

وكان في بعض معاركه يقيم مع كثير من فرسانه في جهات بعيدة عن جيوشه ، وينفد زادهم فيضطرون أن يقتاتوا بالبلوط ، ثم يعثرون على خروف فيقدمونه إلى الأمير فيؤثر جنوده به مع أنهم في المخمصة سواء . وكان العدو يبذل كل شيء في سبيل نقض الزمالة مقر الأمير وبيت ماله فركبوا الأهوال من أجل ذلك . وبعد معارك عنيفة وبعد أن انتقل بها الأمير إلى أراض قاصية استطاعوا أن يكتسحوها ، فحزن الأمير لذلك ولكنه لم يهن بل قال : سبحان الله ! كل شيء كنا نحبه وتعلقت أفكارنا به كان يعوق حركاتنا ويحول دون الوصول إلى مطلوبنا ، والآن صرنا أحراراً متجردين لا شغل لنا إلا مقارعة الأعداء ومصاولتهم ومن فقدناه من الرجال فهم شهداء في الفردوس ونعيمه ، وأما الأموال فسيخلفها الكريم الوهاب ، ويجب أن لا نجبن بل نكون أشد ما كنا أملا .

وبعد استيلاء العدو على حاضرة الأمير (معسكر) خطر للأمير مرة أن يدهمها فزحف عليها بجيش قليل في عدده ، كبير في شجاعته وإيمانه ، فخرج إليه الأميرالاى جيري بجيشه وانضم إليهم الجنرال بيدو والأميرالاى تاميور ومعهما الفرق التي كانت في تلمسان ، ولحقت بهم الفرق التي كانت في قسطنطينة ، والأمير في قلة من الجيش والذخيرة ، فحمي وطيس الحرب بينهم فطوقوا جيش الأمير ، فأبلى الأمير ومن معه بلاء حسناً ، فأصيب جواد الأمير ، فدافع عنه قومه واستشهد بسبب ذلك عدد منهم ، وركب الأمير جواداً آخر ونجا مع بعض قومه ، وحال الليل بينهم وبين باقي جند الأمير ، فأشاع المرجفون أن الأمير استشهد فقالت شقيقته لوجوه القوم : إن فقد شقيق وذهب فإن كفاحكم ودفاعكم عن الدين والوطن باق في عنقكم إلى الأبد . فأثارت فيهم روح الشجاعة والفتوة .

وكان من عادة الأمير أن يلقى العدو وهو في طليعة الجيش ، ومع ذلك فلم يصب في جسمه سوى مرة واحدة ؛ فقد مسحت رصاصة طرفاً من أذنه اليمنى ، فصلى لذلك ركعتي الشكر لله على ما أصابه في سبيله . وكان بعضهم يظن أنه يتخذ حجباً وتعاويذ تقيه الأذى فأخبرهم أنه لا يعوذ نفسه إلا بما ورد في السنة من

الأذكار المشهورة .

ولجأ الأمير فى عاقبة أمره إلى حرب العصابات فكان يظهر فى اليوم الواحد فى غدوته فى مكان ، وفى عشيته فى آخر بعيد عنه كل البعد . قال تشرشل : لقد عجب الفرنسيون من بسالة الأمير عبد القادر وسرعة اختفائه هو ومن معه ، وذكرت ذلك فى بعض المحافل السياسية مدهوشاً من أمره فشهد له بعض القواد بعجيب البسالة والحماسة والثبات مع السرعة فى الحركات الحربية .

وقد أفرد تشرشل الإنكليزى الفصل السادس عشر من تاريخه لذكر حسن معاملة الأمير للأسرى ورحمته بهم والشفقة عليهم ، وكان يكافئ من يأتيه بالأسير حياً أكبر مكافأة ، وكانت والدة الأمير تعنى بأسيرات النساء عناية تسهون ما هن فيه . وجاءه مرة أحد أعوانه بأربع من أسيرات النساء ، فحول الأمير وجهه وقال : الأسد يقنص الحيوان القوى ، وأما ابن آوى فيقع على الضعيف . وقال فاليبوت فى تاريخه : كان الأمير عدواً كريم الأخلاق فإن كل من كان أسيراً عنده قد أثنى عليه .

واضطر الأمير فى بعض معاركه إلى الأمر بإحضار جملين فشدوا على كل واحد حزمتين من الحلفاء بعد أن لاشوها بالقطران والزفت ، وأمر أن تضرم النار فيهما حين الحمل على العدو ، فلما أحس الجملان بالنار نفرا وذهبا يجوسان خلال خيام العدو ، والجيش من ورائهما ، فما راع العدو إلا مشاعل النار تجول بين الخيام ، ومطر القذائف تنزل عليهم من حيث لا يحتسبون ، فلم يسعهم إلا الفرار مخلفين الذخائر والمتاع . ولما اضطر الأمير إلى التسليم بشروط وافق عليها الجنرال لامورسيير ، ومنها أن يذهب بأهله وحاشيته إلى بلاد المشرق ، خدعته فرنسة وحملته إلى بلادها ولامت الجنرال لامورسيير وأنبته على عدم أسر الأمير بدلاً من قبول تسليمه ، فقال الجنرال : لو حاولت أسر الأمير وزحفت عليه لهذا الغرض ما رجعت بغير خيمته وسجادته . وإنه ليذهب إلى الصحراء بحيث لا أستطيع الوصول إليه ، لأن عبد القادر ذو صلابة فى دينه مشتهر بالصدق والأمانة فى وطنه شديد التمسك بعبادته ، وهذا هو السبب الذى جمع القلوب عليه ، والظفر الذى أحرزه فى حربه معنا هو ثمرة ما قررناه ، فلو ترك فى بلاده لكان خطراً علينا ، وما فعلت أنا غير الصواب ، وأرجعوه إذا شئتم إلى موطنه وردوا إليه القوة التى بقيت معه واقبضوا عليه عنوة إن قدرتم ، وما قبلت أنا والحاكم العام تسليمه على شروطه إلا حرصاً على راحة فرنسة وجنودها التى أنهكها الحرب ، وضنا بأموالها الكثيرة التى تنفق فى هذه السبيل .

ثم طلبت فرنسة من الأمير أن يتخذ فرنسة وطناً له على أن تمنحه أملاكا واسعة تجعله من كبار أغنيائها . فأجابهم بأن الحرية أفضل عندى من أموال فرنسة كلها .

ومما نظمه فى تلك الأيام قصيدة طويلة ، منها فى حنينه إلى الأوطان :

ومن عجب صبرى لكل كريهة ... وحملى لأثقال تجل عن العد
ولست أهاب البيض كلا ولا القنا ... بيوم تصير الهام للبيض كالغمد
ولا هالنى زحف الصفوف وصوتها ... بيوم يشيب الطفل فيه مع المرد
وأرجاؤه أضحت ظلاماً وبرقه ... سيوفاً وأصوات المدافع كالرعد
وقد هالنى بل قد أفاض مدامعى ... وأضنى فؤادى بل تمدى عن الحد
فراق الذى أهواه كهلا ويافعاً ... وقلبى خلى من سعاد ومن هند

وبعد إقامته فى بلاد الشرق سافر مرة إلى باريس لبعض الشئون فزار قصر فرساى ودخل إلى مكان فيه صور الوقائع التى جرت بين جنوده وجنود فرنسة وكان النصر فيها لهم ، فقال للجنرال المحافظ على القصر : لماذا لم تثبتوا صور الملاحم التى كانت الهزيمة فيها لجيوشكم والدبرة عليهم ؟ فضحك الجنرال ومن حضر من الأعيان وأيدوا كلام الأمير .

ودعاه أمبراطور فرنسة إلى معسكر شالون ليشهد معه موسم عيده ، فكلمه فى شئون كثيرة ، ثم قال له : إن الإمام الشيخ شامل السجين عند ملك الروس يود الذهاب إلى بلاد الإسلام وقد قاربت سنه السبعين . ولما كنت فى الآستانة كلمت سفير روسيا فى شأنه ، فقال إن الملك وعده بإطلاقه فى نهاية الحرب فى الداغستان ، وقد انتهت ، ولكن لا بد من انتظار انتهاء هجرة الجراكسة من بلادهم إلى بلاد الدولة العلية . وتحدثت فى الآستانة إلى الصدر الأعظم ووزير الخارجية فى هذا الشأن فقالا إن الدولة العلية تقبل إقامته فى بلادها . وأنا لم أعن بأمر الشيخ شامل إلا لأنه قام بما قمت به ، والإنسان يميل بطبعه إلى شبيهه .

طيب الله ذكرى هذا الأمير الباسل ، وأجزل له من مثوبة المجاهدين ...

محمد أسامة عليبة

طرائف من العصر المملوكي:

في ظلال السرحة

للأستاذ محمود رزق سليم

في فورة من فورات الشاعرية، وسنحة من سنحات الفن، وحين هجمة من هجمات الحس الظاهري ولمة من لمات الخيال، وبين لمحة من اللمحات التي تنسجم فيها العاطفة وانفعالها بالذهن في صفائه، واللسان في وفائه، جلس الشاعر المبدع الوصاف «فخر الدين ابن مكانس» في ظلال سرحة من سرحات النيل، كرم في جواره منبتها، وطاب في كنفه غرسها، ورسا أصلها في أديم شاطئه، وسما فرعها على صفحة كوثره، حلا لها المقام حيث تقيم، فلبثت في مكانها لا تريم؛ فهي وليدة النيل أو حبيبته، رضيت ألا تبرح داره، وأقسمت لا تمل جواره. إذا صفا من تحتها ماؤه، ورق لها حباؤه، ضحكت له بنورها الألاق، وزهرها البراق، وانثنت عليه بالأغصان اللدان، والأفنان الحسان. مثنية شاكرة، مرسلة تحيتها العاطرة.

تلك هي سرحة ابن مكانس التي أطلقت من حوله أرجا عبق بالأرجاء عطره، وضاع في الآفاق نشره، فجذبته إليها به اجتذاباً، واقتضبته اقتضاباً، وأثارت في نفسه وساوس الشياطين، وأهاجت في خاطره أبالسة الشعر فأتاها في بيتها، وناداها من تحتها، وناجاها بقصيدة فريدة، فخلدها بين اللدات، وجعلها في الخالدات.

جلس في ظلالها جلوس الواله الشغوف، شفه منها جمالها، وراعه جلالها، وأعجبه سموقها إلى السماء، في أنفة وكبرياء. حتى ليرتد الطرف عنها وهو كليل. أليست بنت النيل، وسليلة العذب السلسبيل؟

وطفق ينعت قوامها من الأخمص إلى الرأس، ومن القدم إلى الذؤابة، كأنها وهي العجوز الشمطاء كاعب حسناء وخلع عليها من نفسه نفساً، ومن روحه قبساً. وصور ما أشاعته حولها من نشاط، وما نشرته من جذل ومرح. فإذا كان المشيب قد اجترأ فطرق عليها الخباء، ودب في اللحاء، فلا يزال ماء الشباب يجول منها في اللباب؛ فهي قريرة العين، راضية القلب، إذا راح نورها يبسم من الفرح، غاداه من الغيم كل بكاء، وإذا داعبتها الأنواء، فأكهتها السحب بالماء؛ وإذا توهج القيظ فاستشرى داؤه وعز دواؤه، طبته عن علم وخبرة، وشفته من الرمضاء في رفق وقدرة فهي لذلك مقيل ندمان، ومغنى حمائم، لا بل مرتع ظباء وفناء درماء، يطيب في ظلها الصيف كما يحلو تحت عطفها الشتاء.

وهي قائمة في مكانها راضية كأنها سيدة دار شرقية، أضفى الإسار عليها من الكرامة ثوباً، ومن العزة ذوباً. ويحسبها أن يحبوها النيل تبرا فتنفثه زهراً. وتهزها الصبا فتصبو، وكأنها إليك مقبلة تتهادى في مطارفها، وتختال في خفائفها. تخطو خطو الرهاء، بغير عين لكلاء. وأغصانها الرشاق أعطاف وطفاء وإذا صفق الموج من تحتها طرباً، نقطته بأزاهيرها ما بين صفراء فاقعة، وبيضاء ناصعة. وإذا جاسن بالنهر خريره، مالت إليه، كأنها أذن مصغية تسمع سره، وتتعرف أمره، فيريها في مرآته محاسنها، وفي صفحته مفاتنها.

وقد خلع عليها القدم قدسية فأصبحت كدير راهب، إذا اعتلى بلبلها ذرا غصن فيها وراح يملأ سواد الليل بتطريبه وترتيلاته خلته مسبحاً داعياً، ومصلياً منادياً.

على هذا الضرب الفريد من الوصف، نظم ابن مكانس سرحيته العصماء. وقد بدأ مطلعها بمناجاتها والدعاء لها وتذكر ما كان بينه وبينها فقال:

يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره
على اليواقيت في أشكال حصباء
حلت عليك عزاليها السحاب إذا
نوء الثريا استهلت ذات أنواء
وإن تبسم فيك النور من جذل
سقاك من كل غيم كل بكاء
رعاك بالوارف المعهود منك فكم
لنا بظلك من أهوا وأهواء

ومنها:

يا طبة بدواء القيظ عالمة
أنت الشفاء لدى الرمضاء من الداء
لا صوح الدهر منك الزهر وانبجست
عليك كل هتون الودق سوداء

ومنها :

خمائل الروض منشاها ومرضعها ضرع النميرين من نيل وأنواء
فاستمهدت دوحها المخضل وافترشت نجم الربا ورمت عرشاً على الماء
قريرة العين بالأضواء باردة الـ قلب الذى لم تنله غير سراء
مقيل ندمان بل مغنى حمائم بل كناس آرام بل أفناء درماء
قديمة العهد هزتها الصبا فصبت فهى العجوز تهادى هدى مرهاء
لا يدرك الطرف أقصاها على كلل حتى تعود له لحظاً لحولاء
وصوت بلبلها الراقى ذرا غصن فى حلة من دمقس الريش دكناء
يقرع ناقوس ديرى على شرف مسبح فى سواد الليل دعاء

والقصيدة - وتقع فى أكثر من ستين بيتاً على هذا النسق - وصفية عاطفية . لم يقتصر الوصف فيها على الناحية الحسية فحسب بل خلع الشاعر على سرحته ضروباً من الاحساسات النفسية والانفعالات العاطفية . فكما وصف ارتفاعها وكلال البصر دونه ، ونشأتها بين خمائل الروض ، ورضاعها من النميرين : النيل والأنواء ، وأغصانها وما فيها من لين ، وأزهارها وما بها من وضاءة ، وظلها وماله من وروف ؛ وكما وصف تصفيق الموج من تحتهـا وترقرقه ، وخرير النهر إليها وجيشـه ، وصفحة مائه وصفاءها، إلى غير ذلك ، نسب إليها ألواناً من الأوصاف المعنوية ، فنورها يبسم ، وظلها يطب من القيظ ، ويشفى من داء الهجير ، وقلبها لم تنل منه غير السراء ، إلى غير ذلك . وقد وصفها بمعنويين متناقضين ، اقتضى كل منهما المقام ، أحدهما أنها تصبو كما تصبو العجوز فقال « قديمة العهد هزتها الصبا فصبت ، فهى العجوز ... الخ » . وشأن الصابية امتلاء القلب بالشجو ، وترنح العطف من الهوى . وبخاصة إذا هبت الصبا وانية رفيقة ، فإنها تبعث فى النفس الولوع ، وتثير فيها الذكريات . ثم عاد الشاعر فنفى عن سرحته صبوها وامتلاء قلبها ، وذلك حينما راح يوازن بين ما فى نفسها وما فى نفسه ، وبين ما تحتمله فى ضلوعها ، وما يئوده بين حناياه ، فبـدت له حسناء خالية الفؤاد من الهوى . والحسناء إذا وثقت بجمالها واطمأنت إليه ، ولم يعبث الحب بقلبها ولم يتسلم زمامه ، استطاعت بدورها أن تعبث بالقلوب ، وأن تسـخر من المحبين ! وهكذا استطاعت سرحة ابن مكانس أن تتهكم به ، وأن تميل إلى سواه ، وأن تبعث فى فؤاده الغيرة . قال :

خلية حين أحنيت الضلوع على نار لشجوى بها لا حب لمياء
تهكمت بى فما أحنت أضالعها على الهواء وأحنتها على الماء

ويمتاز ابن مكانس فى قصيدته هذه بأنه عنى بوصف سرحته هذا الوصف الحسى والمعنوى ، وعنى بوصف ما لابسها من الحوادث اللصيقة بها ، وما دار حولها من المرائى والمظاهر المختلفة . وبعض الشعراء قد يجنح فى قصائده الوصفية ، عن وصف موضوعها إلى ملابساته البعيدة . أما ابن مكانس فقد نظم فى صميم موضوعه ، ولم يخرج عنه إلا نادراً ، ولم يخرج عنه إلا إلى ما يتصل به ، ولم يخرج عنه إلا ليعود إليه .

ونستطيع أن نعدد الوضوعات الجزئية التى طرقها بوصفه ، فمنها : المناجاة والتذكر ، وذكر الظل ، ونعت المنبت وما فيه من خمائل ، وما يجوده من ماء ، ولين الغصون واهتزاز القوام ، وارتفاع الفروع ، وتغريد البلبـل ، وتصفيق الموج ، وتساقط الزهر ، وتفضن اللحاء ، إلى غير ذلك مما يتصل بالسرحة اتصالا مباشراً .

وقد أبدع ابن مكانس بعد ذلك فى وصف النهر بعدة أوصاف منها أنه مرآة يدافيها الحسن واللألاء ، وبأنه يزرى بنهر الأبلة ، وأنه عند تحريك النسيم له يبدو كفرند السيف ، إلى غير ذلك . ومن هذه الأبيات قوله :

مالت على النهر إذ جاش الخرير به كأنهـا أذن مالت لإصغاء
كأنما النهر مرآة وقد عكفت عليه تدهش فى حسن ولألاء
ذو شاطىء راق غب القطر فهو على نهر الأبلة يزرى أى إزراء
كأنه عند تحريك النسيم له فرند سيف نضته كف جلاء

ومنها :

كأنه حين يبدو زرقة وصفـاً راووق عين بوجه الأرض شهلاء

ومما يذكر بهذه المناسبة أن التقى بن حجة روى فى أحـد كتبه هذين البيتين للأرجانى وهما قوله :

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى من دون نظرة مقـلة نجلاء
فتحدثا سراً لخـول قبابها سمر الرماح يملن للاصغاء

ثم رجح أن الفخر بن مكانس ولد منهما المعنى الذى يتضمنه بيته فى السرحة وهو قوله :

مالت على النهر إذ جاش الخرير به   كأنه أذن مالت لإصغاء

وقد انتقل ابن مكانس بعد وصف النهر إلى ذكر الحمامات الشادية على أراكها ، بين هذه الحدائق الفيح ، حتى أطربت عيدانها وأرقصت أغصانها . قال من ذلك :

من كل ورقاء فى الأفنان صادحة   بين الحدائق فى فيحاء زهراء

وُرق تغنت بتحنان رقين على   عيدانها فاله فى مغنى وغناء

ثم عاد إلى السرحة يذكر خطاب ظلها ، وأحباب ناديها ، وقد برئت قلوبهم فى رحابها من الحقد ، وخلصت من الشحناء ، فليس يربطهم إلا الوداد ، وليس يجمعهم إلا اللهو الذى لا مكر فيه ، والمجون الذى لا ندم بعده . قال :

يا كرمها فى سراة من أصاحبها   لا ينطوون على حقد وشحناء

يداعبون بمعنى شعرهم فاروا   ود الأحبة فى ألفاظ أعداء

من كل شيخ مجون فى شباب فتى   يقرى المجون بقلب غير نساء

يسعى إليها على جرداء جارية   من آلها كهلال الأمن حدباء

ونلحظ فى البيتين الثانى والثالث إحدى عادات المصريين فى المداعبة والمماجنة . وهى عادة لا تزال ماثلة حتى اليوم وبخاصة بين العوام ؛ ذلك أن يترامى الأصدقاء بالهجر من القول ، والمنكور من اللفظ ، وباللغو من الحديث ، وبما يكون بين الأعداء من السباب ، ويعدون ذلك دليلاً على عمق الود وتمكن الصفاء بين النفوس .

ونلحظ كذلك أن الشاعر انتقل انتقالا لطيفاً إلى وصف السفينة التى يمتطى الأحباب المرتاضون متنها فى أمانة النهر وحراسة تياره . وبث فى الوصف الرقيق من التورية ، والدقيق من التشبيه . وقد أنصف السفينة بتشبيهها بهلال الأمن لا بهلال الشك . فقد استسلم اللاهون فوقها للمجون استسلام المؤمنين للأقدار ، فى وداعة ورضا واطمئنان . ثم إن السفينة بعد ذلك قديمة العهد لأنها «نوحية الصنع» ؛ ولعل الشاعر هنا ينعتها بالقدم ليثبت لها بيض الأيادى على العشاق والمحبين ، وفضلها الكثير المتتابع على المجان واللاهين . فكثيراً ما حملتهم إلى غاياتهم ، وحفظت الخفى من مكنوناتهم . وآدوا ظهرها ، وأثقلوا منكبيها ، وما اشتكت عناء ، وما بكت إعياء . وهى بذلك تزهو على الجياد الغر ، والعتاق الضمرة . ويبدو لنا أن زوارق النيل حينذاك — وقد كانت فى مقدمة وسائل الرياضة واللهو — كانت تتراءى فى أثواب شتى ذات أشكال وألوان بديعة ، فتتهادى بها تهادى العروس فى جلوتها ، والرود فى زينتها . وهى بذلك تضفى على روادها جواً سابغاً من البهجة والأنس والانسجام . وقد كان مظهرها هذا معيناً للشاعر ابن مكانس على تشبيه السفينة بحمامة الروض ، ونسبتها إلى العنقاء لما فيها من غريب البزة وعجيب الزينة ، وفى هذا ما يدل على ما كان فى ملبسها من مبالغات وتهاويل أربت على غيرها . قال ابن مكانس فى وصفها :

نوحية الصنع والإحكام منشأة   تسير ما سيرت من غير إعياء

سوداء تحكى على الماء المصندل شا   مة على شفة كالشهد لمساء

ساجية ألبستها الصانعون لها   من التدابيج ما تزهو بصنعاء

غريبة ذات ألوان وأجنحة   لم أدر تعزى لروض أو لعنقاء

لم يستطع شأوها أوسيرها عنق   غر الجياد على كد وإنضاء

وكما تخلص إلى وصف السفينة فى رفق وهوادة ، تخلص منه إلى أبيات خمرية طريفة ، فى لين وكياسة . وقد أبدع فى وصف خمره ما شاء له إبداعه . فجمع فيها بين الشمطاء والعذراء ، لنفاستها وقدم عهدها ، ولأنها مختومة لم تفض ، وبكر لم تقرب ، ورصع بنعوتها أحد أبياته . وأجاد فى وصف إبريقها الذى إذا انحنى فركوع دعاء ، وإذا صوت فتسبيح فأفاء . قال بعد الأبيات السالفة :

كم قد نعمنا بها عيشاً بساقية   شمطا تجلى على الجلاس عذراء

مما تخيرها كسرى وأودعها   رب الخورنق فى قوراء جوفاء

حمراء صرفاوصفرا إن مزجت لها   كم من بدفى سواد الليل بيضاء

راحا إذا ركع الإبريق يمزجها   سمعت من صوته تسبيح فأفاء

أم السرور التى أبقى الزمان بها   جزء الحياة وقد ألوى بأجزاء

فعاطينها على طل الندى سحراً   فإن ترياقها موتى وإحيائى

وقد اختتم ابن مكانس قصيدته بعدة أبيات ذكر فيها شيئاً من لهوه بين الشادى والشادية وبين العود والناى ، وبين الحدائق ذات البنفسج النفاح ، منوها بأنه يأخذ من اللهو بنصيب ، وأنه لا ينوح كغيره من الشعراء على طلل ، ولا يندب خليطاً ، ولا يبكى أحياء .

وبعد ! فلعلنا وفقنا إلى التنويه بهذه القصيدة ولو ببعض التوفيق ، وظفرنا بلفت النظر إلى شىء من نفاستها ، ولو ببعض

الظفر . ويبدو لنا أنها كانت مشهورة مروية يتناقلها الأدباء ويرويها الظرفاء فى العصر المملوكى ، وقد أشار إليها ابن حجة فى خزانه الأدب ، وروى بعض أبياتها . ونود لو يعذرنا القراء إذا وجدوا منا فى عرضها تقصيراً ، فقد اعتمدنا فى نقلها على ديوان ابن مكانس وحده . وأغلب الظن أنها لا توجد كاملة فى سواه . والديوان لا يزال مخطوطاً مقيما فى دار الكتب ، يعانى القارىء فيه ما يعانى فى فك طلاسم الخط ، وترجيح ما يراه فى المشكل من حروفه . ولرداءة رسمها أو غرابته ند عن الفهم معانى بعض كلماته ، فضاعت بهجة أبياتها واضطربت معانيها .

وبعد فمن فخر الدين بن مكانس ؟ هو أحد شعراء العصر المملوكى ، عاش بين سنتى ٧٤٥ هـ ، ٧٩٤ هـ . وهو من أسرة ابن مكانس القبطية الأصل ، المصرية الصميمة فى مصريتها ، الواسعة فى جاهها . واسمه عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن ابراهيم . وابراهيم هذا هو المعروف با بن مكانس ، وينتمى إليه أبناء هذه الأسرة المجيدة ، وقد سعدوا بالإسلام ، ونبغ منهم رجال خدموا العلم والأدب والدولة أجل الخدمات ، ومنهم صاحب السرحة الوزير الصاحب أبو الفرج فخر الدين ، الأديب البارع ، الكاتب النحرير ، الشاعر المجيد ، الفكه الطروب .

ويعتبر فخر الدين بن مكانس من حلبة برهان الدين القيراطى التى نبغ رجالها فى النصف الثانى من القرن الثامن ، ومن أندادهما ابن أبى حجلة ، وعز الدين الموصلى ، وشهاب الدين بن العطار .

وقد اتصل حبل الصداقة بينه وبين كثيرين من أدباء عصره ، ومال منذ الحداثة إلى الآداب ، وكان له بالإنشاء والشعر ولوع أى ولوع . فكتب ونظم وراسل وساجل وتغزل وغازل ، وجنح للمجون واللهو . ذكروا أن السلطان برقوقا غضب عليه مرة فضربه وعلقه من رجليه بسرياق فلبث نصف نهار منكس الرأس ، ولعل ذلك كان بسبب لهوه وعبثه . وقد قال فى ذلك :

وما تعلقت بالسرياق منتكسا ... لزلة أوجبت تعذيب ناسوتى
لكننى مذ نفثت السحر من غزلى ... عذبت تعذيب هاروت وماروت

وقد نظم فخر الدين الشعر فى أغراض عدة ، وغلبت على أسلوبه الرقة والسهولة والوضوح مع العناية بالبديع . وقد يرق أسلوبه حتى يصير مبتذلا ، وتبدو فيه أخطاء قليلة لا ترضى النحو ولا اللغة واعتبره ابن حجة مبتكراً فى معانيه مخترعاً فى أوصافه ... وهو بارع فى التضمين . سخر من أنف أحد أصحابه — وكان ضخما — فوصف هذا الأنف وصفاً فكاهيا فى أبيات عدة ضمنها أعجازاً بل أبياتاً من معلقة امرىء القيس ! فأخرج المعلقة بذلك عن طريقها إلى طريق آخر ، حتى لكأنها له لا لامرىء القيس . وتلك براعة نادرة . ولفخر الدين منظومة مجونية رقيقة فى الاستدعاء وآداب المنادمة ، واسمها «عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء» وله «المزدوجة» وهى فى الدعوة إلى المرح . و «وصية ابن مكانس» وهى منظومة فى السياسة والنصائح . وله ديوان شعره .

وبعد فهذا أحد الشعراء الذين يمثلون الروح المصرية الخالصة والأدب المصرى الصميم ، اتخذنا « مرحيته » وسيلة إلى التنويه به وإثارة الخواطر إلى دراسته .

(حلوان) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

ترجمة وتحليل :

الغــــروب !.. (*)

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

استلقى الشـاعر على الرمال والريح بليل ، فما كان أمامه إلا البحر الغضوب والشط الجميل ، ولا كان فوقه إلا السماء تسمى فيها إلى المغرب شمس الأصيل . . وراح يتأمل هذا البحر الهائج المضطرب تصطخب أمواجه وتتلاطم ، وتعلو رءوسها وتهبط ، وترغى أشداقها وتزبد ، فخيل إليه أنه أمام قدر تغلى مياهها فتعلو أزبادها ، وأن من تحت البحر ناراً تسجره ، كما يكون تحت القدر مرجل تسعره ؛ فاستشعر حلاوة هـذا التأمل واستغرق فيه ، فما أفاق على نفسه إلا وقد هدأ البحر بعد اضطرابه ، وسكن موجـه بعد اصطخابه ، فقد خبت ناره فما تسجره ، كما يخبو مرجل القدر فلا يسعره ؛ ونهض الشاعر يريد العودة إلى منزله فما راعه إلا منظر جديد يتقلب تحت بصره . فلقد هب البحر هبة واحدة : ثم سحب من الشاطئ موجه الدافق المتلاحق ، كما تسحب الغانيـة عن الأرض ذيول ردائها الفاتن ، وأقبل والموج فى استرخاء ، على سرير سابح فى الفضاء ، ينشدان طيب المنام ، بعد يوم شديد الخصام !

وكان حقاً للامرتين أن يظل مستلقياً على الرمال ليشهد هذا المنظر الجذاب ، فيسجله بهذه الأبيات :

١ — « هـذا البحـــر كقِـدر علا زَبَدُه ،
ثم ذهب جُفاؤه لمـا خبـــا موقده . . .
وهبَّ يسحب من الشاطئ موجه المتدافع ،
كأنه يريد المنـــام فى سريره الواسع ! »

وفى الأفق البعيد ، فوق هذا البحر الذى أخذته سِنة من النوم ، وبين الغمام المخيم على البحر ، كانت « ذكاء » تمشى على استحياء ، وتهوى فى خَفَر من سحاب إلى سحاب ، وتمُدّ فى تردد ظلها على الأمواج ، فكان ظلا مرتعشاً مرتاباً ، يطفو على وجه البحر تارة ويختفى بين طياته أخرى .. ثم اشتد خجلها من تردد ظلها وارتيابه ، فاحمر وجهها حتى أضحى كوجه غانية مخضب بالدماء ؛ وأبت أن تشمت الطبيعة بما عراها من اضطراب ، فوارت فى حجاب الأفق شـطراً من وجهها القانى الذى ظل شطره الآخر راقاً يخطف الأبصار ، وجلا يتأهب للتوارى عن الأنظار ، فكان كسفينة جميلة اشتدت بها الريح فى يوم عاصف ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، ثم غرقت فى الأفق البعيد ؛ فانطوى منها شطر فى أعماق الماء ، وبدا شطرها الآخر على وجهه تندلع منه ألسنة اللهيب فى حمرة الدماء !

٢ — « والشمس التى كانت تهوى من سحاب إلى سحاب ،
مدّتْ على الأمـــواج ظلّهـــا المرتاب .. .
ثم وارت شـــطراً دامياً من وجهها البراق ،
كسفينة غرقت فى الأفق بعـــد احتراق ! »

وكأنما أسفت السماء لغياب الشمس ، فشحب منها الجانب المواجه لما احتجب من ضيائها ، وظهرت عليها أمارات الحزن والاضطراب ؛ على حين غارت الصبا من الشمس فظنت تواريها فى حجاب الأفق رشاقة ودلالا ، فاستترت مثلها ببرقعها الشفاف ، وأنشـأت شفتاها الرقيقتان تنفحان من خلاله نفحاتٍ ألطفَ من حفيف الورق ، وأنعم من لمس الحرير ؛ بينما كانت الظلال تدنو من أمهـا الشمس وتقترب ، وتجتمع بأمرها وتتحد ، ثم تعدو بين يديها وتستبق ، وتمحو تحت ألوانها الداكنة السوداء كلّ ما يدب على الأرض أو يجرى ، وما يسكن فى مساربها أو يسرى ، وكل ما يطفو على وجه الماء أو يسبح ، وما ينطوى فى أعماقه أو يعوم .

٣ — « وشحب شطر السماء . أما الهواء اللطيف
فتوارى فى الحجـاب ناعماً كالحفيف ...
وعَدَتِ الظلال فمحتْ فى ألوانها الدكناء ؛
كلَّ مساوب فى الأرض أو سابح فى الماء ! »

(*) فى مقال (أمنية الشاعر) بالعدد ٧٧٤ من الرسالة وعدت بترجمة بعض قصائد « لامرتين » وتحليلها كلما وجدت فراغاً ، وآنست رغبة . وإنى أنقدم — وفاء بوعدى — هذه القصيدة الثالثة التى تجدها فى كتاب (أنغام شعرية ودينية .

Hoarmonies Poétiques et religieuses

وليت شعرى ، ماذا يصنع الشاعر أمام هذه المناظر ؟

بحر يهدأ بعد اضطراب ، وينام بعد اصطخاب . وشمس تمر بين السحاب ، ثم تتوارى في الحجاب . . . وسماء تشحب وتصفرّ ، وريح تسكن وتقرّ ... وظلال تمدو وتستبق ، وعوالم تنمحى وتختنق !! ..

أجل ... ماذا يصنع الشاعر أمام هذه المناظر ؟

لقد هدأت بعد ذهاب النهار كلُّ ضوضاء ، وسكنت كل حركة ، وسكت كل صوت إلا صوت باك من فؤاد حزين ، أو متضرع بقلب سليم ، أو شاك ظلم الأقدار ، أو ناشد حقائق الأسرار ! .

ألا وإن للشاعر روحاً تشحب إذا شحبت السماء ، وفؤاداً يبكى إذا تذكر البكاء ، ونفساً تشكو بألم الآخرين قبل شكواها ، وعقلا ينشد الحقيقة ولو من صداها . وهذا ما صنعه لامرتين ووصفه في هذه الأبيات :

٤ — « وفي أعماق روحى التى أمست بدورها شاحبة ،
قرت بعد ذهاب النهار كل ضجة صاخبة .
وساور نفسى شيء كما ساور الخليقة ؛
يبكى ويدعو ويشكو وينشد الحقيقة ! »

ولو كنت تجلس مجلس الشاعر لرأيت في ناحية المغرب — وسط قرص الشمس الهلالى الأحمر — باباً واسعاً مفتوحاً على مصراعيه ، تسطع منه الأنوار تتلوها الأنوار ، وهاجة كالذهب ، دفّاقة كالموج ، فتصطبغ السحابة من فوقها بلون أرجوانى جذاب ، فتحسب هذه السحابة خيمة ضُربتْ أوتادها على نار يضطرم أوراها ؛ ويشتد سعيرها ، لتنطيها وتمنع الريح من إطفائها ؛ وأن ليس هذا اللون الأرجوانى إلا صبغة اللهيب ، ارتسمت على الخيمة فلاحت من خلالها ، في روعة مدهشة وجلال مجيب !

٥ — « وفى ناحية المغرب باب واسع مفتوح ؛
ترك الأنوار كأمواج الذهب تلوح . . .
والسحابة الأرجوانية شابهت خيمة ،
تنطى — ولا تطفىء — نيراناً مضطرمة ! »

ومثل هذا المنظر الأخّاذ جدير أن يجذب إليه الظلال والرياح والأمواج ، فإذا هى تمدو جميعاً صوب هذا القرص الجرى الملتهب ، وتود لو تحول دون غوصه في الأفق ، لأن شعاعه المسجدى هو الذى يمدها بالحياة ؛ وأنها لتخشى الموت إذا فارقها الشعاع .

٦ — « وبدت الظلال والرياح وأمواج البحر ،
كأنها تمدو صوب هذا القرص من الجر ،
كما لو كانت الطبيعة وكل ما يمدها بالحياة
يخشى الموت بعد أن فقد ضياه ! . . . »

***

ومن عجب أن غبار السماء ، أبى إلا أن يطير عن الأرض منتشراً في السماء ، وأن زبد الموج آثر أن يطفو على وجه البحر رغوة بيضاء ؛ فما بقى على الشاطىء إلا الشاعر حائراً أمام هذه المناظر ، يرجع البصر في هذا السكون العميق ، فتنحدر الدموع من عينيه على غير حزن ، وتنهمر على خديه من غير أسى ، فلا يدرى ما الذى أبكاه ، ولا يفهم كيف ذرفت عيناه ...

٧ — « وطار عن الأرض عِثْيَرُ السماء ،
وطفا الزبد على الموج رغوة بيضاء ؛
فأنبئتها بصرى الحائر المنكسر ،
ودموعى — من غير ما يحزننى — تنهمر ! . »

بل أيها الشاعر أنت حرى أن تعرف ما الذى أبكاك !

أبكاك هذا السكون المفعم بالأسرار ، وروعة الليل بعد ذهاب النهار !

أبكاك شعورك بالوحدة إذ رأيت الأفق البعيد خالياً ليس ليس فيه شىء ، مضروباً عليه الحجاب لا يكشف من دونه سر ، وكان فؤادك الذى عذبه طلب الحقيقة وأضناه طامعاً فيما يحيط بالأفق من أسرار ؛ فلما اختفى من أمامك كل شىء تحركت شجونك ، وأحسست لوعة تحرقك ، فجادت عيناك بالبكاء ، لتلهمك الصبر والعزاء .

ولكن ... أما يزال فؤادك فارغاً لا تجول فيه الأفكار ، أم أوحت إليك هذه المناظر بفكرة جديدة تناجى بها هذه الطبيعة التى تصلى في محرابها القدسى ؟ ..

كلا ... إنك تفكر ... ولكنك لا تشعر بما يتلجلج في

صدرك ، فحاول أن تصف حقيقة شعورك ، لترى صورة من تفكيرك .

٨ – «واختفى كل شئ . فبقى فؤادك المعذب ،
فارغاً خاليــاً كالأفق المحجّب . . .
ثم تمثلت لى فـكرة واحـدة . . .
كأنها هرم فى واحـة راقدة . . . »

وإن هذه الفكرة التى هبطت عليك هبوط الوحى ، ومثلت فى ذهنك الخالى مثول الهرم فى واحة ليس بها أنيس — افكرة جليـلة ما فى ذلك ريب : فلقـد ناجيت بها هـذه الشمس التى ما تنفك تسبح فى فلـكها ما تستقر ، وتدور حول العالم ما تعرف السكون ، وتسعد بشروقها قوماً حين تشقى بغروبها آخرين ، فإذا هم يعيشون على غير نور ، أو يعشون فى ضوء القمر المستمد من ضـيائها ، وهم يرتقبون طلعتها سافرة لا يسترها برقع ، ووجهها براقاً لا يخفيه حجاب .

وناجيت بها السحب المتنقلة ، والأمواج المتدفقة ، والأعاصير المتلاحقة ، إلى أين تسير ، وعم تبحث ، وماذا تروم ؟

وناجيت بها الغبار الذى رأيته يتطاير ، والزبد الذى شهدته يطفو ، والليل الذى راقبته يدخل ، وعينيك اللتين أبصرتا كل شيء ، وروحك التى سبحت فى الوجود ، إلى أين الرحيل ، وأيان السفر ، وفيم الإسراع ؟

فهل سمعت رداً ، وهل تلقيت جواباً ؟ ! ...

٩ – «يا فلـكا ما انفك يدور ، والعالم بعده بلا نور !
يا ســحباً وأمواجاً وأعاصير : نبئينى أين المصير ؟
أيها الغبار والزبد والليــل ! يا عينى وروحى خبرين
إلى أين رحيلنا أجمعين ؟ هلا تعلمين ؟ »

دعها أيها الشاعر إن كانت تعلم أو لا تعـلم ، فبحسبك أنك لا تشـك لحظة فى أن كل شيء مردود إلى خالقه ، وأن الشمس ما شحب لونها ثم احمر وجهها ثم غاص شطرها إلا من هيبة ربهـا ؛ وأن الليل ما أقبل ، والنهار ما ارتحل ، والأرواح ما بكت وتضرعت وشـكت إلا لأنها تمشى بخطى واسعة نحو بارئها : فهو الذى يقلب الليل والنهار ، وهو الذى مد الظل ، وهو الذى مرج البحر ، وهو الذى سـخر الشمس والقمر ، وهو الذى جعل حياة البشر خضماً يضطرب ويهدأ كهذا الخضم الذى تراه ، ليمخر الناس عبابه فيصلوا إلى شاطىء السلامة .

ألا فلتطأطىء الرأس خشوعاً بين يدى ذى الجلال ، فما أنت إلا سابح فى موج كالجبال .

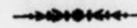
١٠ – «إليك يارب ... فالشمس من بهاء نورك شاحبة ،
والليــل والنهار والأرواح نحـوك ذاهبة !
تقلب السكون كما تشــاء فى حياة شــاملة ،
كأنهـا خضم يغيب كل شيء فى أمواجه الهائلة ! »

وهنا يقوم الشاعر من مقامه ، ويعود إلى منزله وفى عينيه صورة (الغروب) ، صورة ما رسمتها ريشة فنان كما ارتسمت على صفحة الروح .

صبحى إبراهيم الصالح

هل اندفع ملوك العرب إلى الحضارة بتأثير الفرس ؟

للأستاذ ضياء الدخيلي



يحاول سعادة الدكتور قاسم غنى سفير إيران بمصر فى بحثه عن تاريخ الطب الإسلامى فى مجلة الرسالة الغراء — أن يثبت تصريحاً وتلويحاً أن الحضارة العربية شيدها الفرس وهى وليدة عبقرياتهم فى الأغلب، وأن إدخال العلوم إلى بلاد العرب فى العهد العباسى كان بتأثير النفوذ الفارسى، فهو يقول (إن النهضة العلمية الحقيقية بدأت فى العصر العباسى، وكان للإيرانيين حينذاك نفوذ كبير وشأن فى الدولة عظيم) ويقول (وإن أكثر المترجمين كانوا من أمم غير عربية وأحيانا من غير المسلمين كالسريان والعبريين، وفى الإيرانيين المسلمين منهم والنصارى واليهود والمجوس) ويقول (فى هذا العصر ترجمت كتب علمية على درجة كبيرة من الأهمية، ولا سيما فى زمن خلافة المأمون، وكانت أمه وزوجته إيرانيتين، وكان نفوذ الإيرانيين قد بلغ فى عهده غايته) ثم قال فى العدد الأخير (٧٨١) : (فى هذا العهد ظهر كثير من الأطباء الكبار من أصحاب التآليف المهمة فى المسلمين كانت آثارهم ومؤلفاتهم تدرس فى المدارس، وكتب العلماء مئات من الشروح والحواشى عليها، وترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية، ودرست فى مدارس أوربا الطبية، وكانت مدار الطب عندهم، وكان كثير منهم من إيران، وقد بلغت شهرة خمسة منهم حداً عظيماً، وخلدت أسماؤهم فى تاريخ الطب وهم ..) ثم أورد خمسة من الفرس ليستمر فى دراسة حياتهم ... وإنى أريد أن أناقشه اليوم على أولى دعاويه : فهل العباسيون كانوا مدفوعين من قبل وزرائهم الفرس على أن يبنوا ببغداد مدنية عربية أحجارها من تراث مختلف الأمم السابقة إلى الحضارة والعلم قبلهم مع التسليم بتأثير ما للسنن الاجتماعية، ولكن حتى فى استعراضه لهذا العامل يقول حفظه الله : (أصبحت اللغة العربية بالتدريج لغة العلم والعلماء بين المسلمين، وكان العلماء والمسلمون من كل قوم ولغة يؤلفون مؤلفاتهم بها ليستفيد منها جميع المسلمين، وبتوالى الزمن أصبحت كالنقد الرائج يتلقاها الجميع بأحسن قبول) وإذن فإن التأليف والمؤلفات العربية لا فضل للعرب فيها لأن الأقوام الأخرى اضطرها الزمن لأن تكتب بهذه اللغة، وليس النتاج العلمى المدون بلغة الضاد نتاجاً لعبقرية عربية، وإنما ذلك الزمن الساخر العابث هو الذى جعل هذه اللغة أممية عالمية، فأجبر العباقرة الأجانب للتدوين بها الخ.

فلنتساءل الآن : لماذا أدخل العرب مدنيات الأمم إلى لغتهم ؟ يورد بعض القدماء رؤيا رأى المأمون فيها أرسطو فاستيقظ وقد تملكه حب لهذا الفيلسوف، فاندفع يبحث عن آثاره. ولاريب أنك قانع معى بضعف هذا التعليل وركة اتخاذ هذه الاسطورة سببا للعمل الجبار الذى عج به صدر الدولة العباسية. إن النصوص التاريخية التى سأدلى بها تحدثنا عن طموح ملوك العرب وتطلعهم إلى الرقى والنهوض بأممهم إلى المستوى اللائق بهم مما دفعهم إلى البحث عن منابع الثقافات المختلفة، وإن تفكيرهم العلمى ودقة آرائهم ونضوجهم أمور كانت تدفعهم ألا يرتضوا فى الحالات المرضية بالتعاويذ والرقى، إنما كانوا يبحثون عن أرقى الأوساط الطبية وينقبون عنها ليطلبوا كبار أطبائها، ولم يكونوا يكترثون بالاختلافات الدينية، فإنهم اتخذوا أطباءهم من مختلف النحل والملل، وهذا نفسه دليل على رقى عقولهم وسلامتها من الجهل والتعصب الذميم، وتحررها من ربقات القيود والتقاليد الرجعية. يقول ابن أبى أصيبعة : إن المنصور فى عام ١٤٨ للهجرة مرض وفسدت معدته وانقطعت شهوته، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه، فتقدم إلى الربيع (من رجال البلاط) بأن يجمع الأطباء لمشاورتهم فجمعهم، فقال المنصور : من تعرفون — من الأطباء فى سائر المدن — طبيباً ماهراً ؟ فقالوا ليس فى وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رأس أطباء جنديسبور، فإنه ماهر فى الطب وله مصنفات جليلة. فأنفذ المنصور فى الوقت من يحضره الخ، وقد كانت هذه البعثة الطبية فاتحة اتصالات البلاط العباسى ببغداد بمدرسة جنديسابور الطبية وهى مدرسة أسسها الأكاسرة (كما يخبر القفطى) وظلت قائمة فى ظل الحكم العربى لإيران إلى القصر العباسى، وقد قال ابن أبى أصيبعة إن رسول المنصور لما وصل إلى عامل البلد أحضر جورجس وخاطبه بالخروج معه، فقال له على هنا أسباب ولا بد أن تصبر على أياماً حتى أخرج

معك فقال له إن أنت خرجت معي في غد طوعاً وإلا أخرجتك كرهاً ، وامتنع عليه جورجس فأمر باعتقاله ، ولما اعتقل اجتمع رؤساء المدينة مع المطران فأشاروا على جورجس بالخروج فخرج بعد أن أوصى ابنــه بختيشوع بأمر البيمارستان (المستشفى) وأموره التي تتعلق به هناك ، وأخذ معه إبراهيم تلميذه وسرجس تلميذه ، فقال له ابن بختيشوع لا تدع ههنا عيسى بن شهلا فإنه يؤذى أهل البيمارستان ، فترك سرجس وأخذ عيسى عوضاً عنه وخرج إلى مدينة السلام) وإذن فقد كان في عهد الحكم العربي لفارس — كيان قائم لمدرسة جنديسابور ، وكان فيها أساتذة وتلاميــذ ومستشفى تعليمي يتدربون فيه ، فقــد قال جورجس للخليفة ، ههنا معي تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم في الصناعة حتى إنهم مثلي ، فأمر الخليفة بإحضارهم . وإن المنصور كان أول من فتح مجرى هذه الثقافة ليصب في مدينة السلام ، وقد اتبعه خلفاؤه من بعد . قال في عيون الأنباء : لما مرض موسى الهادى أرسل إلى جنديسابور من يحضره بختيشوع بن جورجس . وقال أيضاً ولما كان في سنة ١٧١ مرض هرون الرشــيد من صداع لحقه فقال ليحيي بن خالد : هؤلاء الأطباء ليس يحسنون شيئاً ، فقال يحيي يا أمير المؤمنين أبو قريش طبيب والدك ووالدتك ، فقال ليس هو بصيراً بالطب ، وإنما كرامتي له لقديم حرمته فينبغى أن تطلب لى طبيباً ماهراً ، فقال له يحيي بن خالد : إنه لمـا مرض أخوك موسى أرسل والدك إلى جنديسابور حتى أحضر رجلا يعرف ببختيشوع . فقال له أرسل بالبريد حتى يحملوه إن كان حياً . ولما كان بعد مديدة وافى بختيشوع الكبير ابن جورجس ووصل إلى هرون الرشيد . فهاأنت ترى أن الرشيد يلح على وزيره الفارسى فى طلب الأطباء وبارزيهم ، أما عيسى الذى استهان به فهو ابن ماســة ، وقد عده ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطبــاء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور الدولة العباسية . وفى ضحى الإسلام أن الرشيد أمر جبريل بن بختيشوع أن يعــمل ببغداد بيمارستاناً على نمط بيمارستان جنديسابور (نقل الأستاذ أحمد أمين ذلك عن القفطى ولم أجده فى ترجمة جبريل بن بختيشوع طبيب الرشيد فى طبعة مطبعة السعادة . وقد قال الأستاذ فى ضحى الإسلام أن مدرسة جنديـابور الطبية أسسها كسرى أنوشروان . والذى فى أخبار الحكماء للقفطى أن سابور بن أردشير عند ما بنى المدينة لابنة قيصر التى تزوجها نقلت معها إليها أطباء أفاضل ؛ ولما أقاموا بها بدءوا يعلمون أحداثاً من أهلها . ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ويتزايدون فيه ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل ، وجماعة يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهند لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه هم أنفسهم ، فرتبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعوا فيه كل حسنة الخ . وإذن فإن مدرسة جنديسابور تأسست فى عهد سابور بن أردشير لا فى عهد كسرى أنوشروان كما تفضل الأستاذ أحمد أمين ، فهل يرشــدنا الدكتور قاسم غنى إلى وجه الصواب وأهل مكة أدرى بشعابها ؟

ولنعد إلى حديثنا الأول فنقول إنك واجد مما تقدم أن الخلفاء العباسيين قد انبعثوا إلى الاستفادة من أساتذة مدرسة جنديسابور بحثاً عن الراحل العليا لهذا العــلم ولوعا بالاستزادة من أنواره ، وأن تطلبهم الطب لمعالجة مرضاهم بأسلوب علمى خال من الشــعوذة جرهم إلى الاستــكثار من باقى العلوم الطبيعية ؛ والحديث بعضه يأخذ برقاب بعض فقامت النهضة العلمية ببغداد وكانت لها جذور من قبل فى دمشق .

وهناك مدرسة ثانية للثقافة اليونانية كانت فى حران ، وقد حدث القفطى أن ثابتاً بن قرة كان من أهل حران وانتقــل إلى مدينة بغداد واستوطنها ، وكان الغالب عليه الفلسفة ، وكان فى دولة المعتضد ، وله كتب كثيرة فى فنون من العلم كالمنطق والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة ، وأن محمد بن موسى بن شاكر وصله بالمعتضد ، وأن ثابتاً هــذا قد جر علماء حران إلى بغداد فثبتت أحوالهم وعلت مراتبهم ، وقد بلغ ثابت من المعتضد أجل المراتب وأعلى المنازل . ثم يستمر القفطى فى عرض مؤلفاته . ويقول ابن أبى أصيبعة أنه لم يكن فى زمن ثابت من يماثله فى صــناعة الطب ولا غيره من جميع أجزاء الفلسفة . وله تصانيف مشهورة بالجودة . وكذلك جاء جماعة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليــه من الفضل . وكان ثابت جيد النقل إلى العربية حسن العبارة ، وكان قوى المعرفة باللغــة السريانية وغيرها . وقال ابن خلــكان إن لثابت تآليف كثيرة فى فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً ، وأخــذ كتاب أقليدس الذى عربه حنين بن إسحق العبادى فهذبه ونقحه وأوضح ما كان مستعجماً فيه ، وكان من أعيان عصره وأن محمداً بن موسى (الذى رباه المأمون وأنشأه فى بيت الحكمة) وصله بالخليفة المعتضد العباسى فأدخله فى جملة المنجمين . وبعــد

فانك واجد الخليفة العباسي هو الذي شجع هذا الحراني على أن يقيم في بغداد ونشر لواء العلم حتى جذب إخوانه من سدنة الثقافة اليونانية في مدرسة حران . قال في ضحى الإسلام كان هؤلاء الحرانيون منبعاً كبيراً من منابع الثقافة اليونانية في العهد الإسلامي ، وقد اتصلت مدرستهم بالخلفاء العباسيين بعد اتصال مدرسة جنديسابور وأول من اتصل منهم ثابت بن (٢٢١ — ٢٨٨هـ) وصله بالمعتضد بنو موسى بن شاكر الذين رباهم المأمون والقفطي أوصله واحد من الإخوة الثلاثة هو محمد كما ذكر ذلك ابن خلكان وابن أبي أصيبعة

ومن ذلك الحين قرب الحرانيون من الخلفاء ثم من بني بويه ، وإن مدرسة حران كان لها الأثر الأكبر في الرياضيات وخاصة الهيئة ، وأبناء موسى بن شاكر هؤلاء رباهم المأمون وأنشأهم في بيت الحكمة ببغداد . قال القفطي كان والدهم موسى بن شاكر يصحب المأمون والمأمون يرعى حقه في أولاده هؤلاء فقد مات وخلف هؤلاء الأولاد الثلاثة صغاراً فوصى بهم المأمون إسحق ابن إبراهيم المصعبي وأثبتهم مع يحيي بن منصور في بيت الحكمة ، وكانت كتبه ترد من بلاد الروم إلى إسحق بأن يراعيهم ويوصيه بهم و يسأل عن أخبارهم حتى قال جعلني المأمون داية لأولاد موسى بن شاكر . وقد خرج هؤلاء نهاية في علومهم ، وقال وهم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب ، وقد أتعبوا نفوسهم فيها وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبدل السني ، فأظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم ، وإذا عرفت تاريخ حياتهم علمت أن الفضل فيما آتوه من خدمة المدنية العربية وتغذيتها بالثقافات الأجنبية يعود لمن رباهم وأنشأهم ، فاقتدوا بسيرته ذلك هو المأمون واضع قواعد النهضة العلمية ببغداد . وبعد فإنا إن استعرضنا كيف أن الخلفاء العباسيين أنفسهم كانوا المشجعين لأن تستفيد الحركة العلمية ممن جاؤوا بهم من العلماء لتغذيتها من مدرسة جنديسابور وحران بقي علينا أن نصغي لابن أبي أصيبعة يحدثنا كيف اتجه الرشيد إلى مدرسة الاسكندرية ، قال في عيون الأنباء عند تحدثه عن مشاهير الأطباء في مصر أن الرشيد أهديت له جارية مصرية وكانت حسنة جميلة وكان الرشيد يحبها حباً شديداً فاعتلت علة عظيمة فعالجها الأطباء فلم تنتفع بشيء فقالوا ابعث إلى عاملك بمصر ليوجه إليك واحداً من أطباء مصر ليعالج الجارية ، فأرسل له بليطيان بطريرك الاسكندرية فعالجها وشفيت فوهب له الرشيد أموالا كثيرة . وقد تقدم بعد بليطيان جماعة لخدمة أمراء العرب مثل سعيد بن نوفيل طبيب أحمد بن طولون ونسطاس في دولة الأخشيد وبقي مصدر آخر للثقافة العربية في صدر الدولة العباسية هو الثقافة الهندية ، وقد حدثنا القفطي في أخبار الحكماء أن المنصور هو الذي فتح مجراه ليصب في مدرسة بغداد إذ نقل أن ابن الآدمي ذكر في زيجه الكبير المعروف بنظم العقد أنه قدم على أبي جعفر المنصور رجل ماهر في معرفة حركات النجوم وحسابها وسائر أعمال الفلك ، وكان معه كتاب في ذلك يحتوي عدة أبواب فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية ليعمل كتاب تتخذه العرب أصلا في حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الأعمال ، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري وعمل منه زيجاً اشتهر بين علماء العرب حتى إنهم لم يعملوا إلا به أيام المأمون حيث ابتدأ مذهب بطيموس في الحساب والجداول الفلكية . وهذا يدلك أن العرب وملوكهم اندفعوا إلى الحضارات من أنفسهم لا بتأثير الفرس أو غيرهم لأنهم من شعب يتعشق المعالي ويجد في نيلها ، وقد أصبحوا بعد فتحهم المعمور وتدويخهم الأقطار حكام الأرض وقادة الشعوب ، فكيف يرضون لأنفسهم بالجهل والانحطاط ، لذلك رأيت ملوكهم بدافع من غرائزهم وجبلاتهم — كلما سمعوا بعلم أمروا بنقله إلى لغتهم وأكرموا العلماء وأعطوهم الحرية الكاملة وجاروهم في عاداتهم وعقائدهم تطميناً لهم ليسخوا في تعليم العرب ، فهذا المنصور يأمر الربيع أن يوفر الخمر لجورجس ويستثنيه من الحظر الإسلامي فيذهب الربيع إلى قطر بل ويحمل منها إليه غاية ما أمكنه من الشراب الجيد. وقال أبو إسحق الصابيء الكاتب إن ثابتاً بن قرة كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة ، وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت بشدة ، ففزع ثابت ، فإن المعتضد كان مهيباً جداً . فلما نتر يده من يد ثابت قال (يا أبا الحسن سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ؛ فإن العلماء يَعلون ولا يُعلون) وكان الخلفاء العباسيون والأمراء يعادلون الكتب التي يترجمها حنين بن إسحق العبادي بالذهب ، وقد قيل إنه كان يكتب ما يترجم على ورق ثخين

ويحرف كبير ليكثر وزنه ويزيد ما يتناول من المال. وقد كان إقبال ملوك العرب وأمرائهم على العلوم قبل أن يتنفذ الفرس في دولتهم. هذا عمر بن العزيز في الدولة الأموية بدمشق يأمر بنقل كتاب أهرن بن أعين في الطب إلى اللغة العربية، وقد سبق خالد بن يزيد بن معاوية إلى ترجمة كتب الفلاسفة والنجوم والكيمياء والطب والحروب والآلات والصناعات من اللسان اليوناني والقبطي والسرياني، وخالد بن يزيد هذا أول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة في الإسلام (كما ذكر في كتاب الإسلام والحضارة العربية)

أما عن إقبال ملوك الأندلس على العلم فقد نقلوا أنه في عام ١٩٤٨ أهدى امبراطور القسطنطينية إلى الخليفة الناصر في الأندلس كتاب ديوسقوريدس باليونانية مزيناً بالرسوم وهذا كتاب في النبات والأقراباذين كان قد ترجمه اصطفن بن باسيل في أيام الخليفة المتوكل وقد ترك بعض الألفاظ التي لم يعرف لها مقابلا في العربية على أصلها اليوناني أملا أن يأتي بعده من يعرف مرادفاتها في العربية. ولما كان لا يوجد في الأندلس حينئذ من يعرف اليونانية، فقد طلب الناصر من الامبراطور أن يرسل له شخصاً يعرف اليونانية واللاتينية، فأرسل الراهب نقولا الذي وصل إلى قرطبة عام ٩٥١ وقد كتب الطبيب الأندلسي ابن جلجل في مطلع القرن الحادي عشر — كتاباً من الأشياء التي أغفلها ديوسقوريدس وقد ألحق كتابه هذا بكتاب بن باسيل المترجم عن ديوسقوريدس. فجاء الكتابان مؤلفاً كاملا، وطبعاً أن ذلك ثمرة جهود الخليفة الناصر المتقدمة وقال ابن أبي أصيبعة أن أبا مروان بن زهر كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة قد شاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد، واشتغل الأطباء بمصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وكان قد خدم الملثمين ونال من جهتهم من النعم والأموال شيئاً كثيراً. وإن أبا محمد بن الحفيد ابن زهر كان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها، واشتغل على والده ووقفه على كثير من أسرار هذه الصناعة علمها وعملها، وقرأ كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري على أبيه وأتقن معرفته، وكان الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر يرى له كثيراً ويحترمه ويعرف مقدار علمه، وأنه لما توجه إلى الحضرة خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في الطريق نحو عشرة آلاف دينار ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدية لما فتحها خدمه على ما جرت به العادة، وقال إنني بحمد الله بكل خير من أنعامكم وإحسانكم عليّ وعلى آبائي. وقد وصل إلى ما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي وأن أجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه أبي بين يدي أمير المؤمنين، فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً وأطلق له من الأموال والنعم ما يفوق الوصف، وكان مجلسه إذا حضر قريباً منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد ابن زهر. فهل كان هذا الإقبال من ملوك العرب في الأندلس على العلم وأهله بتأثير من الفرس أو غيرهم، أم ذلك لما جبل عليه العرب من حب العلم وتمشق الكمال والفضيلة.

أما ما نقلوا عن احترام ملوك مصر للعلماء وتشجيعهم لهم فقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن ابن الهيثم كان متفننا في العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف، وقد لخص كثيراً من كتب أرسطو طاليس وشرحها وكذلك لخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب، وكان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية إلا أنه لم يباشر أعمالها، ولم تكن له دربة بالمداواة وتصانيفه كثيرة الإفادة قال: وكان ابن الهيثم في أول أمره بالبصرة ونواحيها وبلغ الحاكم صاحب مصر من العلويين — وكان يميل إلى الحكمة — خبر ما هو عليه من الإتقان لهذا الشأن فتاقت نفسه إلى رؤيته ثم نقل له عنه أنه قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص. فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال هو في طرف الإقليم المصري فازداد الحاكم إليه شوقاً وسير إليه سراً جملة من المال وأرغبه في الحضور فسافر نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا بقرية على باب القاهرة المزية تعرف بالخندق (ويقول صاحب فلاسفة الإسلام وهو مصري أن موضعها الآن الضاحية المعروفة باسم (كوبري القبة) وأمر الحاكم بإنزال ابن الهيثم واحترامه إلى آخر الخبر ويقول الأستاذ محمد لطفي جمعه لم يكن

ابن الهيثم يقصد سوى صنع خزان فى موضع خزان أسوان فكر بذلك قبل أن يفكر فيه المهندسون المصريون والغربيون لا سيما الإنجليز منهم — بعشرة قرون ، وقد حال دون تنفيذ فكرته ما رآه من صعوبة مباشرة وكثرة نفقات المشروع وعدد ما ينبغى له من الأيدى العاملة والآلات المدنية الضرورية للحفر والبناء فى مجرى النهر وما يقتضيه ذلك من تحطيم الصخر فى الموضع المعروف بالجنادل .

وبعد فها أنك ترى كيف كان يحترم الحاكم رجال العلم ، وقد ذكر فى عيون الأنباء جلة من الأطباء فى مصر نالوا حظوة كبرى عند ملوكها فمنهم البالسيّ الذى ألف كتاب التكميل فى الأدوية المفردة — لكافور الأخشيدى ومنهم موسى بن العازار الإسرائيلى ، وكان مشهوراً بالحذق والتقدم وكان فى خدمة المعز لدين الله ، وألف له الكتاب المعزى فى الطبيخ وله كتاب الأقراباذين ومقالة فى السعال ومنهم سعيد بن البطريق كان مشهوراً متقدماً فى الطب ، وقد صيره القاهر بالله فى أول خلافته بطريقاً على الإسكندرية ، وله كتاب فى الطب علم وعمل ، ومنهم محمد التميمى ، كان ذا خبرة فاضلة فى تركيب المعاجين والأدوية المفردة ، واستقصى معرفة أدوية الترياق وركب منه شيئاً كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة ، وقد كان مختصاً بالحسن بن عبيد الله المستولى على مدينة الرملة وما انضاف إليها من البلاد الساحلية وكان مغرماً به وبما يعالجه من المفردات والمركبات وعمل له عدة معاجين ولخالخ طيبة ودخناً ذافعة للأوباء ، وسطر ذلك فى أثناء مصنفاته ، ثم أدرك الدولة العلوية عند دخولها إلى الديار المصرية وصحب وزير المعز والعزيز وصنف له كتاباً كبيراً فى عدة مجلدات سماه (مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء) ولقى الأطباء بمصر وحاضرهم وناظرهم ، واختلط بأطباء الخاص القادمين من أهل المغرب فى صحبة المعز عند قدومه والقيمين بمصر من أهلها ، وقد ألف عمار بن على الموصلى للحاكم كتاب المنتخب فى علم العين وعللها. ومداواتها بالأدوية والحديد ، وكان عمار كحالا مشهوراً ومعالجاً مذكوراً له خبرة بمداواة أمراض العين ودربة بأعمال الحديد ، وقد وصف الموصلى فى كتابه هذا طريقة عملية الكتركت (Cataract الساد) بواسطة مصها بإبرة مجوفة ، وربما كانت هذه الطريقة قديمة استعملها غيره قبله منذ زمن بعيد فقد قال صلاح الدين فى كتابه (نور العيون) أن ثابتاً بن قرة كان ممارضاً لهذه الطريقة لأن الإبرة قد تمص أغشية أخرى ولكن الموصلى يقول أنه مارس هذه العملية بنجاح تام .

ونظن القارئ الكريم بعد كل ما تقدم يخرج معنا بأن دول العرب على اختلاف أصقاعها كانت تشجع الحركات الفكرية وتمد العلماء ببالغ عنايتها ، وإنه لم تكن النهضة العلمية ببغداد ثمرة التدخل الفارسى وبإيعاز من نفوذ الفرس مباشرة أو بصورة مباشرة ، وقد انهدمت صروح الفكرة التى تغلبت على قلم الأستاذ الفاضل صاحب السعادة الدكتور قاسم غنى . هذا ، وإنى أسجل إعجابى بمقالاته القيمة ، راجياً أن يواصل بحوثه الفنية بالفوائد ، وإن كانت لى بعض ملاحظات عسى أن أبينها قريباً ، والله ولى التوفيق .

(العراق — بغداد) **ضياء الدخيلى**

الطبيب المتمرن فى المستشفى التعليمى سابقاً

طرق تحقيق الذات عند طاغور

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

إن تعاليم الديانة الهندوكية تسلم بوحدة الكون ، وتفرض على كل هندوكي أن يعمل على إدراك هذه الحقيقة بحيوية حتى يؤمن بها عن صدق شعور . ولذلك كانت أسمى غايات الديانة الهندوكية أن يجد كل هندوكي في تحرير روحه من نواقص الحياة ، وتنقية نفسه من شوائب الشهوة ، وتطهير عقله من أدران الفكر ، وتخليص أفعاله من دناءة الشر ، حتى يتسنى له أن يظهر الله الكامن في قرار النفس ، ويحس بوحدة الكون الشاملة ، فيرتقي إلى أعلى درجات الكمال الروحي ويحقق ذاته .

وتختلف المذاهب الهندوكية القديمة في نوع الطريق التي تحقق الذات ، فمنها من يرى أن مجرد حفظ الفيدا وإتقان تلاوتها ، وأداء الشعائر الدينية يكفل الوصول إلى الكمال الروحي ، بينما لا يكتفي مذهب آخر بالأخذ بظاهر الفيدا ، ويطلب التعمق في نصوصها ، إذ هذا التعمق يساعد على معرفة حقيقة اتحاد الله بالنفس ، ويقود إلى تحقيق الذات . ويرى مذهب ثالث الكمال الروحي في التمييز بين الروح والجسد ، وإدراك أن مطالب الروح مطالب حقيقية ، وأنبل وأرفع من مطالب الجسد الخادعة ، ثم تغليب سيادة الروح على الجسد . ولا يعترف مذهب رابع إلا بالطرق العملية ، فلا يتخذ إلا المجاهدات من تعذيب النفس وإيلام الجسم وسائل لتحرير الروح من الرغبات والشهوات . ويعتقد مذهب خامس أن تحقيق الذات يكون عن طريق تفسير مظاهر الكون وأحداث الطبيعة ومعرفة العلاقة التي تربطها بالله . ويعتبر مذهب أخير التأمل في الوجود وإدراك وحدته هي الغاية القصوى التي يجب أن يقصدها كل فرد .

إن كل هذه المذاهب بوسائلها المختلفة لتحقيق الذات تدلنا على أن الديانة الهندوكية تسمح لكل هندوكي أن يبرز الله الكامن في نفسه بالطريقة التي تتفق مع ميوله سواء أكانت دينية خالصة أم أخلاقية تهذيبية أو عقلية تأملية . ولقد بعث طاغور هذه الطرق في صورة تلائم الحياة العصرية ، وتجعل تحقيق الذات متاحاً لكل فرد عن طريق العمل أو المهنة أو الفن الذي يزاوله . كما جعل من العلم والفن والعمل — وهي الأسس التي نهضت بالمدنية الحديثة — الطرق الحية التي تتولى تحقيق الذات . ويمكن أن تلخص طرق تحقيق الذات عند طاغور في أربع طرق وهي :

أولا : الزهد والتقوى والورع والمجاهدة .

ثانياً : البحث العلمي والكشف عن القوانين .

ثالثاً : الفن باختلاف فروعه .

رابعاً : العمل بتنوع مجالاته الخيرة والنافعة .

أولا : أما عن الزهد والتقوى والورع والمجاهدة ، فإنها تطهر الروح ، وتصفي القلب ، وتنقي النفس من همجية الغرائز وبهيمية الشهوات . إلا أن طاغور لم يعد يستسيغ اعتزال الزهاد الحياة العامة ، واحتقارهم الأعمال الدنيوية ، لأنه يرى أن المجاهدات القاسية ، وتعذيب النفس التي تحرر الروح من عوائق المادة ، وتخلصها من أدران الحياة ، وتهيء النفس لمعرفة حقيقة وحدة الكون ، لا تتعارض مع قيام الزاهد بعمل ما يعود على البشر بالخير والنفع . فضلا عن أن الزاهد لا يستطيع أن يعيش حر الروح في عالم مجهول من الإحساسات الغامضة ، والمشاعر المبهمة ، والأفكار المظلمة المحبوسة جميعاً داخل النفس لا يسمح لها بأية فرصة للظهور في عالم الأعمال الجلي الواضح . فكان الزاهد من دون جميع البشر لا عمل له يسمي به لتقدم الحياة الأرضية ، بينما يقوم كل إنسان ممتاز بعمل ممتاز . فالعالم يعبر عن أفكاره بالقوانين العلمية التي لها فضل كبير على المدنية . ويشغل الفنان إحساساته ومشاعره بالموسيقى أو الغناء أو الأدب أو الرسم فيشيع في النفوس لذات روحية وسروراً طاهراً ، ويبذل كل رجل صالح جهوداً عظيمة لكي يخدم أهله أو وطنه أو الإنسانية ، فلم يشذ الزاهد عن أفذاذ القوم ولا يقوم بعمل إنساني يطلق به ما يحبسه في نفسه من أفكار وإحساسات ومشاعر ، ويقنع بأن يحقق ذاته وهو بعيد عن الحياة ، كارهاً أن يخوض مشاكلها ، نافراً من أن يساهم بنصيبه في خدمة ركب الحضارة الإنسانية !

ثانياً : يؤكد طاغور أن العالم الذي يعمل على كشف القوانين الطبيعية يمكنه أن يحقق ذاته ، وذلك إذا تحررت بواعث البحث العلمي من أي فضول ثقافي يطلب مجرد معرفة سير حوادث الطبيعة

وتطورها معرفة منطقية ، أو إذا خلصت من كل مأرب استقلالى يرمى إلى استخدام ما يتوصل إليه من قوانين فى المنافع الشخصية أو الفوائد المادية ، إذ مثل هذه البواعث تحجب عن العالم حقيقة الظواهر الطبيعية ، فيغيب عنه ما وراء قوانين هذه الظواهر من حقائق ، ولا يتوصل إلى معرفة علاقة قوانين الطبيعة بحقيقة اتحاد الوجود ، فيجهل أنها ملامح مختلفة لقانون واحد ، أو أنها حقائق صغرى متعددة لحقيقة كبرى واحدة هى قانون اتحاد الكون بكامل محتوياته بالله . أما إذا خلصت بواعث البحث العلمى من كل غرض ما عدا طلب معرفة الحقيقة الكبرى ، فإن بحث العالم وراء قوانين الطبيعة يقوده حتما إلى كشف الوحدة التى تربط هذه القوانين بقانون الحياة الأول ، ويعلم باتحاد شتى مضمونات الطبيعة المتنوعة ، ويحس بأن هناك جسما عالياً واحداً يشمل كل ما فى الطبيعة بما فيها جسمه ، ويشعر بأن جسمه ما هو إلا امتداد لجسم الطبيعة ، وليس هناك إلا حقيقة واحدة . وبذلك يحقق البحث العلمى ذات العالم ، كما أنه يهدى كل من يلم من عامة الناس بالقوانين الطبيعية إلى إدراك وحدة الوجود ويساعده على تحقيق ذاته .

ثالثاً : إن موضوعى الفن عند طاغورهما جمال الطبيعة وجمال الروح . أما عن جمال الطبيعة فلا ينعم به إلا من صفت بصيرته ، وتحررت روحه من سيطرة الرغبات المادية وإلحاح الشهوات الاستقلالية التى لا ترى فى الأشياء غير النفع والفائدة فتحرم الروح من التمتع بالجمال البادى فى الكون ، وتخفى عنها حقيقة ذلك الجمال الذى بثه الله فى الأشياء ليكون رسوله للناس فى الأرض ، وعلامة على اتحاده بالطبيعة ، حتى إذا ما تأمل بشر وهو طليق الروح طاهرَ النفس أى شىء فى الوجود أحس بما فيه من جمال ، وما بين أجزائه من انسجام ، فيشعر بجمال توافق الكون ، وبروعة حقيقة وحدة الوجود . وكلما قوى شعور فرد بهذه الوحدة فى عالم الطبيعة عظم إحساسه بسرور يلهب عواطفه الطاهرة ويثير وجدانه النقى ، فيعبر عنه بالموسيقى إذا كان يؤلف الألحان ، وبالشعر إذا كان شاعراً ، وبالرسم إذا كان رساماً ، ويترجم الناس موسيقاه أو شعره أو رسمه إلى ما يحسه الفنان من سرور سرمدى ، ثم إلى ما يدركه من حقيقة وحدة الكون ، فيسرى السرور فى نفوس الناس ، ويحسون بدورهم حقيقة اتحاد الخليقة بالله .

كما أن الفنان لا يستطيع أن يدرك جمال الطبيعة على حقيقته إلا إذا سمت نظرته إلى الأشياء ، فإنه لا يستطيع أن يدرك جمال الروح إلا إذا سيطر قانون طبيعته الأخلاقية على نفسه ، وخلصت من طغيان كل غريزة وشهوة ، وصفت من شوائب كل نقص وضعف ، حتى يمكن أن تظهر له مزايا الروح فى ثوب خلاب بديع ينسجه الخير والحب ، وينجلى فى ثناياه روح الله الكبرى التى تربط كل روح بأخرى وتشملها جميعاً . ومن يتم له ذلك يشعر بسعادة تغمره بالسلام والأمن ، وتحثه على أن يعبر بفنه عما يشعر به من غبطة وحبور ، فيكشف عن جمال الفضائل الروحية ويشجع الناس على تثقيف الروح ، ويدعوهم إلى فعل الخير وتجنب الشر ، ويصف لهم سمو استقامة الخلق ونبل تشبث المرء بالمثل الإنسانية ، ويرفع من قيمة تضحية الفرد فى سبيل المجموع ، ويشيد بذكر الحب الذى يجمع بين القلوب ويفيض على الإنسانية بالطمأنينة والهدوء ، وذلك كله يطهر روح المحبين للفنون ويهيىء لهم سبل تحقيق اتحادهم الصادق بالله . فالفن إذا مدرسة معلموها قوم توصلوا إلى تحقيق ذاتهم ، ويعلمون الناس كيف يفوزون بوحدتهم مع الله .

رابعاً : يلزم طاغور كل فرد بأن يقوم بعمل مفيد أو خير ، إذا أراد أن يحقق ذاته . ولا يغنى عن أداء ذلك العمل طهارة روحية أو سيادة القوانين الأخلاقية على النفس ، لأن الطهارة الروحية والتمسك بالأخلاق والتمثل بالفضائل ، وإن كانت ضرورية لتحقيق الذات ، ليست كافية ، وتتطلب عملا يؤكد وجودها ، ويصدق على صحتها . ولذلك وجب على كل هندوكى أن يؤدى عملا مفيداً فى سبيل الله ، ويعود بالخير على أهله أو وطنه أو الإنسانية جمعاء بدون أن ينتظر من ورائه نفعاً شخصياً ، ولا يقبل على فعله خوفاً من تهديد جوع أو قوة الفقر أو بضغط أى دافع مادى آخر ، وإلا أصبح عملا باعثه رغبات نفعية وشهوات غريزية تعوق تحقيق الذات .

فكل من يطلب الله يجب أن يعمل عملا باعثه شريف يفيد به الناس لأن العمل الشريف المفيد يخرج الفرد من دائرة أنانيته

ويدفعه لخوض معترك المجتمع الإنسانى ، فيعرف ما يربطه به من علاقات وثيقة ، فتنمو فيه غيرية روحية تشعره بأن له جسما يضم المجتمع البشرى بأكمله ، يجب أن يسعى لإسعاده مهما تحمل من كفاح متعب قد يعرضه لمختلف الآلام ، وينزل به أفدح الخسائر كما تشعره بأن له نفساً تشمل الحياة الإنسانية من جميع نواحيها يجب أن يبذل حياته رخيصة من أجل مصلحتها ، ويرحب بالاضطهاد والسجن والحرمان والعذاب حباً فى خيرها .

ومن يؤد مثل هذه الأعمال العظيمة ، فقد صار فى الطريق القويم الذى يظهر له حقيقته الكبرى المقيمة داخل نفسه ، فتأخذ روحه فى الارتقاء فى سلم الكمال الروحى ، وتعلو إلى أرفع درجات الحياة التى تنتمى فيها الحقائق المتناقضة فتستعذب النفس الألم فى سبيل الإنسانية ، وتسعد بالحرمان فى سبيل الخير . وهكذا يتعادل السرور والألم ، ويصبحان حقيقة واحدة فى حب الإنسانية ، كما تتساوى المتعة والحرمان فى فعل الخير . وحين تبلغ النفس هذه المرتبة من السمو تكون قد تحررت تحريراً تاماً من كل ما يتصل بالحياة الدنيوية ، ووعت أن هناك وجوداً أكبر خارجاً عن وجودها ، فتعرف الحقيقة الخالدة ، حقيقة وحدة الكون الشامل الذى يتجلى الله فى جميع أجزائه .

فالدين والعلم والفن والعمل الخير كلها وسائل طيبة تحقق الذات ، وعلى الهندوكى أن يختار منها الطريق التى تلائم مزاجه ويسلكها ، فإنه حتما سيصل إلى غايته الدينية إذا كانت بواعث سلوكه فاضلة ، لا تفسد على النفس سموها إلى الكمال ، أو تحجب عنها معرفة الله الموجود فى أعماقها . وإذا حاولنا أن نبحث عن الشخصيات التى سلكت هذه الطرق وحققت ذاتها ، فإنه من الصعب أن نجدها خارج موطن طاغور نفسه . إن زهاد الهند القدماء يمثلون لنا بلا شك تلك الشخصية التقية الورعة الصالحة الخيرة ، التى تتحمل طواعية آلام الجسم وعذاب النفس تطهيراً للنفس ، وإعداداً لإفنائها فى الله الذى يوجد فى قرارها وفى جميع المخلوقات . أما عن شخصية العالم الباحث عن القوانين الذى نجح فى تحقيق ذاته فليس له وجود . وأحسب أن طاغور قد تصور العالم على ما يجب أن يكون عليه ، لا كما يوجد بيننا الآن ، لأنه يرى أن سبب كلف العلماء بكشف قوانين الطبيعة ، إما أن يرجع لمجرد فضول علمى يرغب فى معرفة سير أحداث الطبيعة وتطورها والوقوف عند حد هذه المعرفة بدون محاولة التدرج منها إلى حقيقة اتحاد الوجود الشامل ، وإما أن يرجع لشغفهم بفرض سيادتهم على الطبيعة ، فيسيئون الاستفادة من القوانين الطبيعية ، ويسخرونها فى اختراع آلات الحرب والتدمير والتخريب التى تنشر الخوف والقلق فى النفوس ، بينما تتمثل لنا شخصية الفنان فى طاغور نفسه ، لأن كتاباته لا تتناول غير ما يبدو فى الكون من جمال ، أو ما تتصف به الروح من طهارة الخصال ، فتغرق قارئها فى عالم روحى يحوطه الجمال من كل جانب ، وتنشر فى نفسه الأمن والسلام ، وتحثه على قصد الخير وبلوغ الكمال . وإذا بحثنا أخيراً عن شخص حقق ذاته عن طريق العمل الصالح ، فإننا لا نجد مشقة فى تعيينه ، فلقد اغتيل غدراً منذ مدة على أثر صوم أراد به حسم النزاع بين الهندوكيين والمسلمين . ولا أحسب أن هناك من يجهله ، فهو « غاندى » زعيم الهند الروحى وبطلها السياسى الذى ناضل من أجل حريتها واستقلالها فاستحق أن يطلق عليه قومه « المهاتما » ، أى صاحب الروح الكبرى التى طهرها الجهاد الطويل الشاق من أجل الهند ، ونقتها الأخطار والمحن التى صمد أمامها بعزم وشجاعة ، فاستطاعت روحه البشرية أن تندمج فى روح الله الكبرى ، وتحقق ذاتها فى أكمل المراتب

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الابتدائية
بكفر الزيات

الأدب والفن في أسبوع

لعنة الفراعنة على ألمانيا

أثار مندوب مصر في مؤتمر النقاد الفنيين المنعقد بباريس في الشهر الماضي — مسألة « رأس نفرتيتي » وطالب بإعادته إلى مصر ، وقد جرت مناقشة بينه وبين بعض الأعضاء في هذا الموضوع انتهت بإعلان المؤتمر حق مصر في استرجاع رأس نفرتيتي . وهو تمثال لرأس الملكة نفرتيتي ، كانت قد كشفته سنة ١٩١٣ إحدى البعثات العلمية الألمانية مع مجموعة من الآثار في تل العمارنة ، وقد احتال رئيس البعثة على أخذه إذ قال إنه حجر عادي لإحدى الأميرات ، ووضع في متحف برلين وظل به إلى أن نقل في أثناء الحرب الأخيرة إلى مدينة فيسبادن للمحافظة عليه من الغارات الجوية ، وما يزال بها إلى الآن .

وقصة غرام هتلر برأس نفرتيتي قصة مشهورة ، أخذت مكانها بين القصص الخالدة في عالم الحب والغرام ، وقد راح هتلر ضحية رأس نفرتيتي كأي محب قتله الهوى ... إذ حقت عليه « لعنة الفراعنة » المعروفة في عالم الآثار ... كما حقت على كارنرفون كاشف قبر توت عنخ أمون بلدغة بعوضة في هذا القبر قضت عليه . ولم يصب رأس نفرتيتي لعنة الفراعنة على هتلر وحده ، بل محق بها ألمانيا في الحرب الأخيرة ، بعد أن لم تعتبر بهزيمتها في الحرب العالمية الأولى ولم تلتفت إلى التمثال « الحرام » الموجود في حيازتها ... ومن الخير لألمانيا أن ترد ملكة مصر القديمة إلى بلادها ، فلن تقوم لها قائمة ما دامت فيها . وأخشى أن يتنبه « الحلفاء » إلى ذلك فيعملوا على بقاء رأس نفرتيتي بألمانيا لتظل هدفاً للعنة الفراعنة !

وقد وقف ولع هتلر برأس نفرتيتي حائلا دون تنفيذ الاتفاق الذي تم بين الحكومتين المصرية والألمانية بعد مباحثات طويلة ، على أن يعاد الرأس إلى مصر لقاء أن تقدم مصر إلى ألمانيا بدلا منه تحفتين أخريين ، هما تمثال كبير للكاهن رع نفير وتمثال آخر من الجرانيت للكاتب المصري أمينحوتب ، ولم يسع مصر إزاء هذا إلا أن تقرر عدم الترخيص لأية بعثة ألمانية بالحفر والتنقيب عن الآثار في مصر إلا إذا أعيد رأس نفرتيتي إلى المتحف المصري .

وينتظر أن يثير هذا الموضوع مندوبو مصر في مؤتمر المتاحف الدولي المنعقد الآن في باريس برعاية هيئة « اليونسكو » ويمثل مصر فيه الدكتور الديواني بك الملحق الثقافي بالسفارة المصرية بباريس والأستاذ توجو مينا رزق الله مدير المتحف القبطي في القاهرة .

هل عندنا شاعرات ؟ :

تلقت وزارة المعارف كتاباً من إحدى دور النشر بمدريد في أسبانيا بأسماء الشاعرات المصريات القديمات والمعاصرات ، ودواوين الشعر التي وضعنها أو نماذج من شعرهن ، مع صورهن الشخصية ، لأن هذه الدار تعمل في إعداد موسوعة تصدر قريباً عن الشاعرات في مختلف بقاع العالم .

وليت شعري بماذا تجيب الوزارة ؟ وأين هن الشاعرات المصريات اللائي يستحققن التعريف العالمي ؛ الواقع أن مصر فقيرة في الشاعرات قديماً وحديثاً ، فلست تجد في تاريخها الأدبي غير عائشة التيمورية وباحثة البادية ، أما الآن فإنك لا تكاد تعثر على شاعرة ، إذ ليس عندنا إلا من تقول أشياء نسميها شعراً من أجل تاء التأنيث المرعية الجانب ... ومع ذلك فهي أشياء قليلة جداً . ومما يذكر مع هذا أن بعض البلاد العربية الأخرى قد نبغ فيها شاعرات من فتيات الجيل الجديد كنازك الملائكة في العراق وفدوى طوقان في فلسطين .

تشجيع التأليف :

جرت وزارة المعارف على أن تعهد إلى بعض الأدباء المصريين ترجمة بعض المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية استكمالا لنشر الثقافة العامة بين جمهور قراء العربية . وأخيراً طلبت اللجنة العليا لتشجيع التأليف والترجمة بالوزارة ، إلى بعض كبار الأدباء والمفكرين في مصر والبلاد العربية ، أن يدلوها على المؤلفات التي يجدر بالوزارة أن تعنى بترجمتها ، لتكون في مقدمة الكتب التي يترجمها الأدباء .

هذا ويشكو من يمهد إليهم بالترجمة من قلة الأجر الذى تدفعه الوزارة لهم ، إذ هى تحاسبهم على عدد الكلمات باعتبار كل كلمة بمليم . .

ولكن حظ الترجمة مع ذلك أحسن من حظ التأليف ، لأن كثيراً من المؤلفين يودون لو ربحوا مليما فى كل كلمة . . والذى تتبعه الوزارة فى تشجيع التأليف هو تقرير بعض الكتب للقراءة بشراء نسخة أو نسختين من الكتاب لمكتبة كل مدرسة من المدارس التى يلائمها الكتاب ، وأكثر من يستفيد من ذلك هم الناشرون الذين اشتروا حق النشر أو أكثره من المؤلف ، ومعنى شراء أكثر الحق أن للمؤلف نصيباً قليلا من الربح إلى الثمن المتفق عليه . ويستفيد من ذلك أيضاً كبار المؤلفين الذين ليسوا فى حاجة إلى التشجيع لرواج مؤلفاتهم فى السوق

ويبقى بعد ذلك طبقة من المؤلفين تستحق التشجيع ولا تناله وهم الذين لا يستطيعون أن يجازفوا بتحمل نفقات الطبع ، ولا ترحب بهم دور النشر لعدم شهرتهم أو لعدم بريق مؤلفاتهم مع جودتها . ويكون تشجيع هؤلاء بأن تنظر الوزارة فى مؤلفاتهم المخطوطة لتطبع ما تراه نافعاً منها . وقد فكرت الوزارة فى شىء قريب من هذا ، وهو أن تطبع ما لديها من كتب أدبية وثقافية عامة فاز أصحابها فى مسابقات نظمتها ، ولكنها لم تنفذ ذلك ، والمرجو أن تكون الفكرة موجودة ، وأن تتسع حتى تشمل غير مافاز فى المسابقات من الكتب الجديرة بالتشجيع ، فهذا هو أجدى عمل فى تشجيع التأليف .

اتجاه الباكستان نحو العربية :

كتبت من نحو شهرين عن جماعة الثقافة العربية بالباكستان ومما قلته إذ ذاك « وشعور المسلمين فى الباكستان يتجه الآن نحو البلاد العربية ، وقد بدا أخيراً فى تأييدهم لقضية فلسطين ، ولا شك أن اللغة العربية وآدابها وثقافاتها ، هى أهم ما يربطها بالبلاد العربية ، وهى وسيلتها إلى كتلة الجامعة العربية »

كتبت ذلك وأنا ألمح اقتراب هذه الدولة الناشئة من الفكرة واللغة العربيتين ، وأرصد أنباءها كما يرصد الفلكى حركات نجم جديد ... وقد قرأت عنها مقالا للأستاذ عبد المنعم العدوى فى « البلاغ » يوم الخميس الماضى ، جاء فيه « لم يسبق فى تاريخ الهند الحديث أو القديم أن رجال الحكم فيها أدلوا ببيانات رسمية عن أهمية اللغة العربية ، وحث أبناء المسلمين على تعلمها وفهمها فهماً صحيحاً كما هو الحال اليوم فى حكومة باكستان الاسلامية الحديثة » والمقصود من هذا الكلام وهو بيان اهتمام رجال الدولة بنشر اللغة العربية ، يدعو إلى الارتياح والسرور ، ولكن ينبغى أن يذكر بجانب ذلك ما كان من إقبال مسلمى الهند على تعلم اللغة العربية منذ الفتح الإسلامى وقد نبغ منهم فيها كثيرون فى الأدب وعلوم الدين .

ومما تضمنه مقال الأستاذ أن حكومة الباكستان قررت إنشاء كلية عربية كبيرة فى حيدراباد ، وأن رئيس الوزراء أصدر بياناً يحث فيه أهل البـــلاد أن يهتموا بها وأن يبعثوا بأبنائهم إليها ، كما قررت إنشاء كلية عربية أخرى فى كراتشى وقررت أن يكون تعليم اللغة العربية إجباريا فى مدارسها ، وأن كثيراً من الوزراء بدءوا بأنفسهم فأخذوا فى تعلم العربية ، وأن من مظاهر اهتمام الحكومة بذلك تأسيسها جمعية باكستان العربية الثقافية .

العربية تصارع :

كان قد نشر أن مؤتمر البريد العالمى الذى انعقد أخيراً فى فرنسا ، قرر اعتبار اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية التى تحرر بها صحيفته . ولكن جاء أخيراً من جنيف أن مكتب مؤتمر البريد العالمى فى برن ، قرر استبعاد اللغة العربية من تحرير صحيفته الرسمية ، وقصر تحريرها على اللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية والاكتفاء بإصدار نشرة مفصلة عنها تحرر بالعربية . وهذا القرار يخالف قرار المؤتمر السابق وقد علقت « أخبار اليوم » على ذلك بأن المكتب ليس له أن يصدر مثل هذا القرار لأنه مكتب إدارى يستمد نفقاته من جميع الدول المشتركة فى المؤتمر وفى مقدمتها الدول العربية . ولا ندرى ماذا يكون رأى الدول العربية فى هذا القرار وهل تنسحب من المؤتمر ومعاهداته إذا لم يصحح هذا الوضع .

هذا ومصلحة البريد المصرية تحرر تذكرة إثبات الشخصية التى تمنحها للافراد بناء على طلبهم ، باللغة الفرنسية ... ويقولون فى تبرير ذلك إن اللغة الفرنسية هى لغة البريد العالمى ، ولكن هل يمنع ذلك من كتابتها أيضاً باللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية ؟ وإذا كنا نطالب بتحرير صحيفة البريد العالمى باللغة العربية إلى جانب اللغات التى تحرر بها ، فلا أقل من أن تحرر مصلحة حكومية مصرية ما يصدر عنها بلغة عربية

من طرف المجالس :

تراى إلى أسماع الجالسين ، قول المذيع : « وبعد استراحة قصيرة نوالى إذاعة البرنامج » .

قال أحدهم : مامعنى هذه الاستراحة ! ولمن هى ؟ أهى لصاحب الإذاعة السابقة وقد فرغ فلن يستأنف ؟ أم هى للمذيع وقد كان ساكتا ؟ أم هى لصاحب الإذاعة التالية ولم يبدأ بعد !

قال صاحب النكتة :

هى يا أخى استراحة المستمعين ...

من طرف الإذاعة :

فى يوم من أيام هذا الأسبوع ، كان المذيع يعلن عن العدد الجديد الصادر من مجلة الإذاعة ، فذكر من محتوياته : قطعة من ديوان « ابن المعز » .

وقع هذا الاسم « ابن المعز » فى سمعى موقعاً غريباً . فمن هو ابن المعز ؟ أهو شاعر قديم لا نعرفه ؟ أم هو شاعر معاصر من شعراء الإذاعة ؟ ولكن الاسم غير عصرى ، وشعراء الإذاعة معدودون معروفون .

وبعد البحث والتحرى علمت أن « ابن المعز » ما هو إلا « أين المفر » الديوان الذى صدر حديثاً للأستاذ محمود حسن اسماعيل ! والذى يتمم طرافة الموضوع أن الأستاذ صاحب ديوان « أين المفر » من القائمين بشئون الإذاعة ، ولعله كان على خطوات من المذيع وهو يحرف اسم ديوانه .

الأدب والصحافة :

ألقى الأستاذ خليل جرجس محاضرة برابطة الأدباء يوم الأحد الماضى ، عنوانها « الأدب والصحافة » شرح فيها معنى الأدب وتكلم على الصحافة كلاماً حسناً ، ثم عقد مقارنة بين الأديب والصحفى بيّن فيها خصائص كل منهما .

وقد مر سريعاً ببعض نقط فى صميم الموضوع لم يوفها حقها كالعلاقة بين الأدب والصحافة من حيث تأثير كل منهما فى الآخر . وليته بسط القول فى تطبيق ما بينه من معنى الأدب والصحافة على ما تنشره صحافتنا اليوم من ألوان من الكتابة ينسبونها إلى الأدب ، ليستبين موقعها من الأدب أو الصحافة إن كان لها موقع من أيهما .

ومن مقارنته بين الأديب والصحفى أن الأديب ينتج حين ينتج من وحى الخاطر والصحفى الحق يتزود بعلم النفس الاجتماعى ليكون إنتاجه ملائماً لأذواق القراء ، ومتمشياً مع عقلية الجماهير ، وأن الأديب يكتب عندما تواتيه لحظات التجلى والظرف الملائم ، والصحفى يكتب كل وقت ويستجيب للظروف بالسرعة المطلوبة ، وأن الأديب يكتب للأدب ولا يكون نقد المجتمع إلا عرضاً من غير قصد ، والصحفى يكتب أيضاً للامتاع ومؤانسة القارئ ، ولكنه يقصد إلى إصلاح المجتمع ونقده والتأثير فى الرأى العام .

الإنشاء فى المدارس الثانوية :

أتيت فى الأسبوع الماضى على ما تضمنه تقرير لجنة النهوض باللغة العربية بوزارة المعارف من آرائها فى منهاج الأدب والبلاغة فى المدارس الثانوية . وهذا التقرير موضع نظر معالى وزير المعارف الآن ، وينتظر أن يبت فيه قريباً للشروع فى تعديل مناهج اللغة العربية فى المدارس على مقتضاه .

وقد جاء فى التقرير عن الإنشاء فى المدارس الثانوية أن اللجنة لاحظت أن الطريقة المتبعة فى تعليمه تكاد تقتصر على على إعطاء التلاميذ موضوعاً يطالبهم المدرس بالكتابة فيه ، وقد تسبق الكتابة مناقشة شفوية ، وكتابة التلاميذ تسير سيراً سطحياً متكلفا لا يساعد على الابتكار .

وترى اللجنة أن الأساس الأول للاصلاح فى هذه الناحية الربط بين التعبير وبين النواحى الأخرى من النشاط المدرسى والاجتماعى ، واستغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة لتنمية قوى التعبير عند التلاميذ فى جميع سنى الدراسة ، مثل حل النصوص الأدبية وشرحها ، وتلخيص الكتب والقصص والتعليق على الحوادث الجارية ، وكتابة تقارير عن الرحلات والمشروعات الدراسية وأشرطة الخيالة ، وإعداد المقالات والأخبار لمجلة المدرسة ، والخطابة والمناقشة والمناظرة ، وغيرها مما يدخل فى نشاط الجميات الأدبية .

وأشارت اللجنة إلى أنه من اليسير أن تكون اللغة العربية لسان المعلم والتلميذ فى المدارس الثانوية ، فإن التلميذ فى هذه المرحلة قد يصل إلى قسط من التحصيل اللغوى يستطيع معه أن يفهم حديثاً عربياً ، وأن يتابع دروسه بالعربية الصحيحة إذا سار المعلمون معه على هذا المنهج

العباس



فى أنشودة فلسطين :

الشاعر الصديق الأستاذ على محمود طه ، أصبح فى الرعيل الأول من شعراء الشرق العربى ، لا من شعراء مصر فحسب ؛ وأنشودته هـذه أنشودة فلسطين الحبيب ، همّ كل عربى منـذ اليوم ؛ فـكل ما يتصل بها مهوى الأفئدة ، وشرك العيون .

وموقف كهذا الموقف يتبوءه شاعرنا المجيد ، كان جديراً أن يتقاضاه حظاً من دقته وعنايته بأنشودته فى أسلوبها ومعانيها أوفى مما ظفرت به منهما .

ولعل أظهر ما أخطأته الدقة فى هذه الأنشودة :

١ — وصفه « يسوع » بالشهيد ؛ ويسوع فى نظر المسلمين الذين منهم الشاعر ليس شهيداً .

٢ — إجابة الصدى فى قوله : « يجيبون صوتاً لنا أو صدى » فالمعروف أن الصدى يجيب لا يجاب .

٣ — قراءة « استشهدا » بالبناء للفاعل ؛ والذى فى معاجم اللغة : « واستشهد » قتل شهيداً ، بالبناء للمفعول لا غير . ولولا أن الشاعر المظيم ألقاها فى المذياع — مجوداً محتفلا — بالبناء للفاعل ، لنسبت الخطأ إلى غيره .

٤ — هـذه « الأخت » التى أعد لها الذابحون المدى فى القـدس ، ما هى ؟ أهى فلسطين ؟ ولـكن فلسطين ليست فى القـدس ، بل القدس فى فلسطين ؛ أم هى أخت على الحقيقـة ؟ ولـكن أخواتنا هناك — مع الأسف القاتل — لا تمد المـدى لذبحهن ، وإنما تذبح أعراضهن بأسلحة الخسة والنذالة والوحشية

٥ — ولا أكتم الصديق الـكريم أن أحمد ويسوع صلوات الله وسلامه عليهما ، أجل وأكرم على الله ، وعلى الناس ، من أن يقودا جيشين لمحاربة أخس خليط عرفه الوجود منذ كان الوجود ؛ ولو ذكر الشاعر « السلاح الأحمر » سلاح المقارب والحشرات ، لأصاب مشاكلة الصواب .

أما بعد ، فإنما أغرانى بهذه النقدات الخفيفة ، حرصى على المجد الأدبى لشاعرنا الـكريم المهندس .

وله منى تحيات مزاجها الإخلاص والإكبار .

مدرس أدب

فى الأزهر الشريف

***

١ — نصوص تاريخية فى الرد على تعقيب :

رداً على ما جاء فى ص ٧٦٩ من عـدد « الرسالة » ٧٨٣ نورد ما يأتى :

قال الأستاذ محمد بك فنكرى فى تاريخ الجراكسة (ج ا ص ١٢) نقلاً عن المؤرخ الفرنسى (سن مارتن) : أن الـكرج والجركس واللزكى والججن فروع أصل واحـد ، وهم متحدد الأصل ، وهم أقدم سكنة القوقاس . وقال أيضاً (ج ا ص ٢٢) : دات التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والـكرج ينتميان إلى جد مشترك . وقال كذلك (ج ا ص ٣٨) : قد ثبتت إقامة الججن منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث يقيمون الآن ، وكذا اللزكى . وقال أيضاً فى (ج ا ص ٦) : أن لفظ الجركسى عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقاسية فيكون « الجركس » يؤدى مؤدى « القوقاسى » . وفى (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) للبدر العينى المؤرخ الـكبير فى (ج ا ص ١٧٠) المحفـوظ فى دار الـكتب المصرية (رقم ٧١ م) : ومن الترك الجركس ، وأصلهم أربع قبائل وهم (تركس) ويقال (سركس) و (أركس) و (الآص) و (كسـا) ويتفرع منهم بطون كثيرة . ثم سرد أسماء تلك البطون ، وتلك القبائل الأربع فى جوانب جبل القوقاس الأربعة ، ففى الجنوب الشرقى (أركس) ، وفى الشمال الشرقى (تركس) ، وفى الجنوب الغربى (آس) — وبهم سمى الجبل « قوقاس » أى « جبل آس » ، وفى الشمال الغربى (كسا) وهم الذين يسميهم الروس اليوم (سرقسيان) كما يسمون قبائل أركس اليوم (داغستان) ، واتبع البدر العينى المصطلح القديم وهو أطلاق (الجركس) على القبائل الأربع التى فى جوانب جبل القوقاس . و (جركس) أصلها (جهاركس) ومعناها (الرجال الأربعة) فى لغة الفرس . وتخصيص إطلاقه على قبائل (كسا) هو اصطلاح روسى حديث .

وحين قال ابن خلدون : (والجركس غالب عليهم) أراد غلبة إطلاق اسم (الجركس) عليهم . ونود أن نرى الأستاذ البرهان يتحدث ببرهان من الأسانيد التاريخية ، فالتاريخ لا يكون طوع بنان أحد .

٢ — مغيب شهابين :

فى ص ٥٣٩ من عدد «الرسالة» ٧٧٥ أن الشهاب بن صالح مات عام ٨٧٣ هـ . والصواب ٨٦٣ على ما فى تاريخ (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى ج ٢ ص ١١٥) و(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٧ ص ٣٠٢) . وجاء فى الصفحة نفسها أن الشهاب بن أبى السعود توفى فى مكة والصواب أن وفاته كانت فى طيبة على ما فى (شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١٠) وعلى ما فى تاريخ (الضوء اللامع ج ١ ص٢٣٣) حيث قال : ثم رجع إلى المدينة أيضاً فأقام بها حتى مات … ودفن بالبقيع بين السيد إبراهيم والإمام مالك رضوان الله عليهم .

٣ — الحاوى فى دار الكتب :

جاء فى ص ٦٤٥ من عدد الرسالة ٧٧٩ فى ترجمة أبى الحسن الماوردى : ومن كتبه الضائعة الحاوى فى الفقـه . والحق أن « الحاوى » موجود منه فى دار الكتب المصرية نسخة كاملة فى ٢٤ مجلداً ، عدا عن ١٤ مجلدة من نسخ أخرى . وقد قال الإمام الأسنوى عن هذا الكتاب : لم يصنف مثله . على ما فى (شذارات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٣ ص ٢٨٥) حيث ترجم له فى صفحة كبيرة وزيادة .

محمد أسامة عليبة

سبق قلم :

فى مقال الآنسة الفاضلة نعمت فؤاد فى العدد (٧٨١) من الرسالة الغراء حول (المتنبى وكافور) قالت تستشهد بأبيات المتنبى على طماحه حين قال :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم إلى غيوث يديه والشآبيب
إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب
وهبت على مقدار كفى زماننا ونفسى على مقدار كفيك تطلب
إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

وقام فى روعها أن الأبيات من قصيدة واحدة ، ولم تلتفت إلى أن كل بيتين منها الأول والثانى — والثالث والرابع) ينسب إلى قصيدة قائمة بذاتها . . وقوى الظن عندها أن حرف الروى — وهو الباء — فى الأبيات كلها واحد . . ولكنها لم تشأ أن تلتفت إلى أن البيتين الأولين من — البسيط المردف — وأن البيتين الأخيرين من الطويل الخالى من الردف . .

والمقال — بعد — لا يغض من قيمته الأدبية سبق قلم . . والسلام …

(الزيتون) **عدنان**

تعقيب :

فى العدد (٧٨٢) من مجلة الرسالة الغراء يقول الأستاذ ضياء الدين الدخيلى فى مقاله (الفتوة فى التاريخ الإسلامى و كتب اللغة) : —

« غير أنى أجد من الغريب أدعاء بعض الأدباء وعلماء اللغة أن استعمال كلة الفتى بمعنى الرجل الشهم النبيل المتحلى بفضائل الرجولة — هو استعمال مولد ، وهـذا هو طرفة ... » إلى أن يقول ... وقال المتنبى : —

فلما أنخنا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعلا
(الأبيات)

والاستشهاد بأبيات طرفة لا غبار عليه ، وأما استشهاده بقول المتنبى ثم بقول ابن هرمة فبدهى أنه بعيد عن الصواب ، لأن المتنبى وابن هرمة من الشعراء المولدين ، وكلامه فى الاستدلال على أن استعمال الفتوة بمعنى الشهامة عربى غير مولد .

وهذا مما يوقع القارىء فى شك من أمر الأبيات الأخرى التى لم ينسبها الكاتب لقائلها ، هل هى مولدة أم غير مولدة ؟

محمد عبد القادر الجمل
المعلمين العليا



من الأدب الايطالي :

الأرنب

قصة للكاتبة الايطالية جرازيا دليدا

ترجمة الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

قامت الجزيرة الصغيرة وسط النهر العريض ، وقد توسطتها بحيرة صغيرة ، أو بالأحرى غدير تحيط به الأشجار والحشائش الطويلة الناعمـة ، مرصعة بأزهار عباد الشمس الأرجوانية ، على صفحته كل صور الطبيعة ، فظهرت أكثر جمالا وأرق خيالا .

وأضفى على المكان ، حيث سماء الخريف المتجددة الألوان المتغيرة السحب نهاراً ، وحيث البدر المضيء والنجوم المتلألئة ليلا ، وأشباح الأفنان المتمايلة تنعكس على مرآة البحيرة العميقة ، أضفى كل ذلك عليه جواً من الخيال الرائع .

وفي ذات يوم أرسى الصياد قاربه على الشاطيء الرخو للجزيرة المهجورة ، وانطبعت آثار أقدامه على الرمل الأملس . ورأى البدر يظهر خلال الأفنان فينعكس نوره اللازوردي على ماء الغدير الصغير ، فبهر بجمال ذلك العالم المجهول ، وتلك السماء الشاسعة الغامضة التي ظهرت على صفحة الماء كأنها خارجة من قلب الارض ذاتها .

ورأت أرنب عجوز كانت تعيش بين الأشجار على ضفة الغدير رأت الصياد عدوها اللدود ، فولت هاربة في خفة وسكون ، وقد رفعت أذنيها كأنهما سلاح تذود به عن نفسها .

وغرق الرجل في أحلامه ، وفقدت الأرنب أحلامها .

وعندما وصلت وسط الغابة ربضت تحت شجرة قائمة وانتظرت وقتا طويلا وهي ترهف السمع وتشتم الهواء بأنفها الصغير المرتعش وقلبها يدق دقات قوية لم تستمع إلى مثلها منذ شهور وشهور .

لقد ظنت الأرنب العجوز عندما اختفت جميع الأرانب من أرض الجزيرة بعد الفيضان السابق أنها المالكة الوحيدة لهذا المكان ، وكم حلمت بالعيش هنا بقية أيام حياتها عيشة هادئة ، وحيدة لا ينازعها أحد ، بعد أن هرمت وهجرها أولادها وتخلى عنها الذكور ، ولكن ...

وتذكرت ، لقد عاشت بين جذوع الأشجار التي اكتسحها الفيضان وألقى بها على الضفة المرتفعة للغدير الصغير . وأضحت الجزيرة القاحلة لا يهتم أحد بارتيادها ، وحتى بعد أن جف رملها ونبتت الحشائش على ضفاف الغدير ، لم يزرها الصيادون ، ولم يبق فيها إلا الهدوء والوحدة . ولم يعكر ذلك الصفو سوى تغريد البلابل على الأشجار ، إلى حفيف الأغصان وهي ترحب بالماء يجري تحت ضوء القمر فتهتف قائلة « وداعاً أيها الماء ، إنه من الأفضل أن تجري من أن تظل ساكنا » فيرد عليها الماء مندفعاً نحو البحر «وداعاً ، أنه خليق بك أن تظل ساكنا من أن تجري وتجري على الدوام » .

وكانت الأرنب تستمع إليهما فتشعر بالسعادة تغمر كيانها . إنها أقوى من الأشجار وأسرع من الماء . لقد كان في استطاعتها أن تظل ساكنة ، أو تظل جارية .

ومرت الشهور ، وصمتت البلابل ، وتساقطت أوراق الأشجار ، وأصبحت الأرنب العجوز في سعادة وهدوء وطمأنينة لم تشعر بها من قبل . أما الآن ، فقد أقبل ثانية ذلك الشبح الداكن المرعب ... ولماذا يعود ؟

ورقدت الأرنب منطوية على نفسها بين الأشجار ، وعيناها تحدقان تحت جفونها المحمرة . كانت ترى أمامها امتداداً من الرمل اللامع تحت ضوء القمر ، وقد أحاطت بالدغل تلك الساحة التي كانت مرتعاً وملهى لها زمن الصبى والشباب . كانت إذ ذاك تثب وتتعقب ظلها أو ترتقب حبيبها في الليالي التي يشرق فيها البدر ...

وتحرك خيال على الرمل أعقبه آخر ، فظنت الأرنب أنها تحلم . ولكن سرعان ما عاد الخيالان إلى الظهور وجعلا يلعبان ويمرحان لم يكن هناك أدنى شك في حقيقة وجودهما . كانا أرنبين . وعندئذ

أدركت المخلوقة العجوز سبب عودة عدوها الداكن، ذلك الصياد، وظهوره في الجزيرة ليلا. وعندئذ انفجر بركان غضبها. لقد انتهكت رفيقاتها حرمة هذه الجزيرة، جزيرتها، واحتلتها دون وجه حق ...

إن السن والوحدة قد خلقا منها مخلوقة متوحشة أنانية. وكان غضبها، عندما شاهدت الأرنبين أكثر من غضبها عند رؤيتها ذلك العدو الداكن. وعندما اندفعت من مخبئها وتحركت صوب الفضاء الرملي ورأت الأرنبين العاشقين، زادة حدة غضبها واشتد سعيره.

ولكن ذلك لم يحل بين العاشقين وبين اللهو والقفز والعدو. كانت الأنثى ممتلئة الجسم شفافة الأذنين. وكانت تعدو حول الذكر وكأنها لا تراه، ثم ترقد على الرمل، حتى إذا ما اقترب منها هبت واقفة وجعلت تعدو. وكان الذكر نحيل الجسم مشبوب العاطفة. وكانت كل أنظاره تتجه إلى أنثاه، فتبعها واندفع نحوها كانا سعيدين مبتهجين خالي البال.

ولم تتعب الأرنب العجوز من النظر إليهما، واستمرت تراقبهما حتى اختفيا عن أنظارها بعد أن أجهدهما اللهو اللعب. وارتعشت أذناها كأنهما ورقتا شجر تتلاعب بهما الرياح.

***

ومرت الأيام والليالي، واختفى القمر وأظلم المكان، ولما ترجع الأرنب العجوز بعد إلى ضفاف الغدير. كانت تخشى مقابلة الصياد. ورقدت في أعماق الغابة المظلمة ولكنها كانت تجازف في بعض الأحيان فتخرج إلى العراء ليلا لتشاهد العاشقين يمرحان في بهجة وسرور.

وفي ذات يوم سمعت صوت طلقة نارية أعقبتها أخرى ثم ثالثة على بعد كأنها ترداد لصدى بعيد. وأقبل الليل الدافيء وانحدر القمر خلف الأشجار العالية دون أن يظهر العاشقان في تلك الليلة الشاعرية التي تليق للعشاق.

لا بد أن العدو الداكن قد اقتنصهما. وعندئذ طغى على الأرنب العجوز شعور من الفرح الشديد جعلها تقفز على الرمل الذي ما زالت تنطبع عليه آثار أقدام العاشقين المسكينين.

وسرعان ما سمعت وقع أقدام بشرية فولت هاربة. واخترقت الغابة حتى اقتربت من الضفة الأخرى للنهر، ورقدت هناك منزوية حتى مطلع الفجر في مكان لم تمهده من قبل.

وعندما أشرقت الشمس قامت من مرقدها. كانت الغابة قد أسدل عليها ستار من الضباب، وتساقطت قطرات الماء البارد من الأشجار. وذهبت الأرنب تستكشف، واندفعت في حفرة صغيرة. فرأت ما أثار عاطفتها على الرغم من أنها كانت جامدة العواطف. لقد وجدت عشا لصغار الأرانب رقد فيه أرنبان صغيران ممتلآ الجسم، يحملقان إليها بأعين ملتمعة. لا بد أنهما نسل الأرنبين الذي اقتنصهما الصياد.

كان أحدهما يلعق رأس أخيه، وعندما رأى الأرنب العجوز نظر إليها، ثم جعل يشمها بأنفه المرتعش ثم انكمش خائفاً من جرأته هذه.

وتركتهما الأرنب العجوز وسارت في طريقها. ولكنها رجعت إليهما ثانية فرأتهما يمرحان ويلعق كل منهما الآخر.

كان ذلك اليوم قاتما باردا. وعندما أقبل المساء بدأت السماء تمطر. فرجعت العجوز إلى عشها القديم بين جزوع الأشجار على الضفة المرتفعة للغدير. واستمرت السماء تجود مطراً مدرارا. إن المطر معناه نهاية الطقس الجميل، وبدء الطمأنينة والوحدة، فسرعان ما يصير الرمل رخوا، ولن يجرؤ الصياد على عبور الغابة المنداة العارية.

ولكن ... ما مصير هذين الأرنبين الصغيرين؟ وما الذي يحدث لهما هناك في عشهما الصغير؟ هل تذكرت الأرنب الوحيدة أولادها الصغار، ودفء عشها، وعطف الآباء؟ إنه من المتعذر معرفة ما جال في خاطرها في ذلك الوقت، ولكنها على أية حال تركت مخبأها عند الفجر وذهبت لترى الصغيرين. كان المخلوقان المسكينان نائمين وقد احتضن أحدهما الآخر. وكانا وهما مستغرقان في النوم كأنهما يتوقعان قدوم أمهما، فإنه عند ما أقبلت عليهما الأرنب العجوز مدا أنفيهما وحركا آذانهما.

ونظرت إليهما العجوز بعينين منديتين بالدموع ومدت هي الأخرى أنفها كأنها تشم رائحة العش.

***

وعادت السماء تهطل مطراً غزيراً ... واستمرت سبع ليال

وثمانية أيام حتى أحاطت الجزيرة غلالة قاتمة من الضباب والماء . وارتفع الماء وظل يرتفع حتى شارف مأوى الأرنب العجوز .

حاولت أن ترجع لتشاهد الأرنبين ولكنه تعذر عليها السير بقرب ملجئها من الرمل المتداعى المشبع بالماء . وأصبح من المستحيل عليها أن تصل إلى الوادى الصغير . وعادت السماء تمطر وتمطر ، واستمعت الأرنب إلى صوت داو قادم من بعيد كأنه ضوضاء جيش معاد غاز يمر مخترقا الأرض مدمرا ما يصادفه .

كانت الأرنب تعرف ذلك الصوت جيداً . إنه هدير النهر المغتصب . فلم تجرأ على مغادرة عشها على الرغم من شعورها بالجوع ونفاذ ما تقتات به اللهم إلا أوراق الشجر الجافة . فاضطرت أن تظل دون طعام بعد أن وصل الماء إلى جذوع الشجر وأصبح من الخطر عليها أن تتحرك قيد أنملة .

وارتفع الماء وظل يرتع فى سكون وحلكة . وظهرت الأرض والسماء والهواء كأنها كتلة واحدة من البرد والماء المضطرب .

وفى اليوم الثامن أقلعت السماء وانقشعت السحب عن زرقتها فبدا القمر يلمع ضوؤه الفضى وغيض الماء وظهر كأنه يتراجع مجهدا من النصر حاملا معه غنائمه وأسلابه من الأغصان وأوراق الشجر والطمى والرمل والمخلوقات الميتة ...

وفى اليوم التالى أشرقت الشمس على المكان القفر ، فتركت الأرنب مخبأها وجعلت تتطلع حولها .

لقد اختفى الغدير وحل محله تيار بطىء من الماء الشرب بالوحل يجرى تحت الضفة العالية حاملا معه ضحاياه .

وفجأة لاح للأرنب العجوز بين الأغصان العارية وأوراق الأشجار الجافة وآلاف الفقاقات الصغيرة كأنها حبات عقد انفرط لاح لها الأرنبان الصغيران ، جثتين هامدتين ، نحيلين طويلين مفتحى الأعين مرتفعى الآذان ، يسبحان ويسبحان فى الماء الجارى ، الواحد بجانب الآخر وكأنهما شقيقان صغيران لا يود أحدهما الافتراق عن الآخر حتى بعد الموت .

وهكذا عادت الوحدة والوحشة تطرقان قلب الأرنب العجوز وهكذا عادت الجزيرة إلى حالها من الهدوء والسكون .

(الاسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٧٨٥ — الإثنين ١٩ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 785

Lundi — 19 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٨٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٦٧ — ١٩ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

قضـــية مكسوبة

للأستاذ عباس محمود العقاد

يحمل صديقنا «الأستاذ الحداد» مطارقه كلها فى هذه الأيام .

ويضرب بهذه المطارق كلها على رؤوس الصهيونيين !

فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوصايا الخفية ، وتارة أخرى يتناول المجامع العليا وما تأمر به من مؤامراتها الجهنمية ، ويعرض أحياناً للماسونية التى تتخذ هيكل سليمان شعارا لها ولا تخلو من صلة بسياسة إسرائيل ، ويعرض أحياناً أخرى لدسائس القوم فى العصر الحديث وهى نمط منقح من دسائسهم فى كل تاريخ قديم .

وحسنا صنع الحداد .

فإنه الآن على الأقل ليضرب بمطارقه حيث تنزل مطارق الله .

وما نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هؤلاء « شعبه المختار » ... فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحـد ، وهو معنى الاختيار للنقمة والعقاب .

وآخر ما قرأته له فى هذه الحملة الحدادية كلامه عن كتابة التوراة العبرية فى عهد موسى عليه السلام .

فهو ينفى كتابة الأسـفار الخمسة التى تنسب إلى موسى عليه السلام فى عهده ، ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين .

ومن المحقق أن هذه الأسفار الخمسة كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بزمن طويل ، وليس أكثر من الأدلة التاريخية القاطعة التى لا تدع لذرة من الشك موضعاً فى ثبوت هذه الحقيقة ؛

ولا حاجة بنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلة التاريخية المطولة ؛ فإن نصوص الأسفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل .

إذ تروى هذه الأسفار فيما تروى نبأ ملك قديم قام فى بنى إسرائيل . ومعنى ذلك أن هذه الرواية كتبت بعد قيام الملك فيهم على عهد شاؤل وداود وسليمان : أى بعد موسى بثمانية أو تسعة قرون .

ومن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه ، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء .

ففى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه فى الجوا فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم » .

وفى ذلك الإصحاح أنه لم يقم بعد موسى فى إسرائيل نبى مثله ، ومعنى ذلك أن هذا الإصحاح كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام .

فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون .

ولكننى أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا

الحداد أن يرجىء حملته على هذه « المستندات » العبرية ، لأنها قد تنفعنا فى قضية مكسوبة إن شاء الله . وهذا هو خط سير القضية التى نعتمد فيها على تلك المستندات ، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب ، أو يعترفوا بها فنكسب ، ونحن الكاسبون على الحالتين .

* * *

فتحت محكمة العدل الدولية عن مندوب مصر يطالب عصابة إسرائيل بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

قال القاضى لمندوب مصر : علام تستند فى دعواك ؟

قال المندوب على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون !

قال القاضى : أين هى ؟

قال المندوب هى هذه ، ودفع إليه بنسخة من التوراة العبرية .

ويظهر أن الأوربيين والغربيين لا يقرأون التوراة فى هذه الأيام ؛ لأنهم لو كانوا يقرأونها لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم ، وعرفوا منها أن أنبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب ، وأنهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب .

قال القاضى : وماذا فى هذه الوثيقة مما يثبت دعواك ؟

قال مندوب مصر : فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج : « يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » .

قال القاضى : هذه نية . هذا شروع ، فهل تمت الجريمة .

قال مندوب مصر : نعم تمت . فقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أيضاً « إن بنى إسرائيل ارتحلوا . . . نحو ست مئة ماش من الرجال عدا الأولاد ، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر مواشى وافرة جداً » .

وجاء فى الإصحاح قبل ذلك « أنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين » .

***

فسأل القاضى مندوب مصر : ولكن علام بنيتم تقديركم المبلغ المطلوب ؟

قال المندوب : ثابت يا حضرات القضاة من هذه الوثيقة أن عدد الرجال فقط من بنى إسرائيل كان ستمائة ألف رجل ، عدا النساء والأولاد ، فلا يقل عددهم جميعاً إذن عن ثلاثة ملايين .

وثابت من هذه الوثيقة أنهم كان معهم لفيف كثير .

وثابت منها أن المواشى التى أخذوها كانت كثيرة جداً .

وثابت منها أنهم أخذوا أمتعة ذهب وفضة وثياباً موشاة مما يلبس فى الأعراس .

فإذا قدرنا هذا — مع الفوائد المستحقة فى نيف وثلاثين قرناً — فليس هنالك أقل مبالغة فى تقديره بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

فتداول القضاة قليلا فيما بينهم ثم سأل رئيسهم مندوب عصابة إسرائيل :

ما قولك فى الدين المطلوب ؟

قال المندوب الصهيونى : إنى أنكره ولا أعترف به .

قال رئيس القضاة : ولم ؟ هل تطعن فى الوثيقة ؟

قال : كلا . لا أطعن فى الوثيقة .

قال القاضى : إذن ، هل تطعن فى التقدير ؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه ، وتداولوا الرأى فيما بينهم ملياً ، فتبين لهم أن الطعن فى التقدير ينتهى إلى الحكم بمبلغ كثير أو قليل على كل حال . ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول :

إننا يا حضرات القضاة لا نطعن فى الوثيقة ولا نطعن فى التقدير ، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضى المدة .

فنظر القاضى إلى مندوب مصر سائلا :

ما جوابك على هذا الدفع ؟

قال المندوب : جوابى أن المدة التى مضت على هذا الدين المعترف به هى المدة التى مضت على حق القوم المزعوم فى ملك فلسطين . فإن سقطت الدعوى هنا سقطت الدعوى هناك .

ولم يسع القاضى إلا أن يسأل الطرفين :

أتوافقون إذن على إسقاط الدعوى جملة فى هذه الوثيقة ؟

قال مندوب إسرائيل على عادة القوم فى كل مطلب وفى

هـــــذا يوم الحساب

التعويضات والغرامات على اليهود

للأستاذ نقولا الحــــداد

ينص البند ٩ الأخير من مقترحات برنادوت على أن « يعترف عنصرا الاتحاد بحقوق سكان فلسطين الذين اضطرتهم ظروف القتـال إلى مغادرة بيوتهم وممتلـكاتهم فى العودة إليها دون قيد وفى استعادة كل أملاكهم »

كثر الله خيرك يا سيد برنادوت جزاء إذنك بعودة العرب المشردين من بلادهم بسبب وحشية اليهود وفظائعهم ، ومنحك إياهم حق استعادة أملاكهم ! فهل لاح فى خاطرك أن العرب ليس لهم الحق فى الرجوع إلى بيـوتهم وفى استرداد أملاكهم ولـكنك تتفضل أنت بمنحهم هذا الحق؟

هل تمنى أن تعاد لهم بيوتهم منسوفة متهدمة مدكوكة إلى الحضيض ولم يبق منها إلا أرضها مغطاة بالركام ؟ وهل تمنى أن تعود لهم بيوتهم فارغة من كل أثاث ورياش وسـجاد فاخر إلى آخره ، ومن كل مؤونة كما تركوها وكانوا قد ملئوها أغـذية حاسبين حساب الارتباك وفقدان الأطعمة من الأسواق ؟ وهل تمنى أن تعادلهم دكاكينهم فارغة من السلع الثمينـة وغير الثمينة أو متهدمة كنازلهم ، أو أن تعاد إليهم مرافقهم ومصانعهم وجميع أسـباب رزقهم وقد دمرت تمام الدمار ولم يبق لهم رسم دار ؟ وهـل تمنى أن تعاد لهم مدارسهم وقد خربت وجعلت مرابض للمدافع والمدافع ومكامن للذخائر وأوعية للأقذار — أقذار الجوييم (أى الأنجاس) ؟ وهل تمنى أن تعاد لهم معابدهم ، وقد تدنست بأدناس الصهيونيين الفحشاء ، وأرجاسهم الداعرة ، ونجاساتهم « الآرية » . وهل تمنى أن تعود لهم مزارعهم تالفـة الزراعات محصودة الغلات ، وبساتينهم مقطعة الأشجار والأغصان ومأكولة البرتقال والأثمار ؟

إن الذين غادروا بلادهم هم العرب وحدهم ، وقد هربوا من طغيان اليهود العتاة ، ففروا إلى إخوانهم العرب مستنجدين . أما اليهود فلم يغادروا مدنهم ومستعمراتهم لأن العرب لم يضطروهم إلى الهرب بأى سبب . وإلى أين يهربون وحولهم خصومهم من كل صوب ، فإلى أى جهـة فروا وجدوا أنفسهم فى (أحضان العرب الخصوم يعاملونهم معاملة الخصم الـكريم .

سمحاً يا سيد برنادوت . لم تـكن كارثة الفلسطينيين المشردين فى مغادرة ديارهم وتخريبها ونهبها فقط ، بل فى ضياع أسـباب معايشهم جميعاً وفقد أموالهم وإضاعة كسبهم ومتاجرهم فى حين أنهم كانوا عالة على إخوانهم عرب مصر وشرق الأردن وسوريا ولبنـان والعراق على الرغم من أن هؤلاء الإخوان رحبوا بهم وما استثقلوا ضيافتهم بل قدموا لهم كل إعانة كأنهم أهـل البيت ولـكن النفوس الأبية لا تحتمل طول هذه الضيافة .

لا ندرى كم من ملايين الجنيهات (لا الدولارات) خسر العرب فى هـذا التشريد فضلاً عن الأنفس الزكيـة والأرواح الثمينة التى أزهقتها فظاعات اليهود . كل هذه لم يحسب لها السيد برنادوت حساباً فى تعطفه على العرب . ولـكن العرب لا يصبرون على هذا الضيم مهما تناهوا فى كرم الأخلاق لأن ضيفهم الجنس الصهيونى ساقط الأخلاق ، معدوم الضمير ، فلا يستحق سماحاً ولا مغفرة

كل دعوى : بل تعتبر القضية قائمة فى دعوى صهيون ، وتسقط القضية فى دعوى المصريين !

يا صديق الحداد !

أنت ترى «خط سير القضية» ... وأنت رجل كيمى ورجل أديب ، ولـكنك لا تجهل أن الدعوى مكسوبة على الحالتين ، وإن ساورتك الظنون كما تساورنا فى محاكم الدول وهيئات التحكيم

فهلا رفعت من مطارقك التى تهوى بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين ؟

هلا رفعت عنهم مطرقتك التى تهوى بها على « مستندهم » القديم ؟

إرفعها قليلا . وتـكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد

عباس محمود العقاد

لذلك كان على الدول العربية جميعاً أن تحصل حقوق العرب الفلسطينيين المادية (علاوة على الحق الوطني) من هؤلاء اليهود الطغاة الذين بلغ بهم الصلف كل مبلغ . وهذا التحصيل ليس بالصعب بل هو أسهل من السهل . أما أن نعتمد على قضاء برنادوت أو مجلس الأمن في تحصيل هذه الحقوق من يهود فلسطين أنفسهم فهو عبث ، لأن اليهود لا يدفعون حقاً من تلقاء أنفسهم .

ولكن لإخوانهم في سائر البلاد العربية أموالا وأملاكا وأسهماً وأوراقاً مالية لا تحصى . وقد استنزفوها من ثروة البلاد بلا جهد ولا عناء . وكانوا يساعدون بشيء كثير منها الصهيونيين في تل أبيب — الصهيونيون الذين صنعوا هذه الكارثة الأليمة فلا يتعذر على الدول العربية أن تحصل تلك الغرامات والتعويضات من هؤلاء اليهود الأعوان . وللدول العربية عذر وجيه جداً في أحقية هذا التحصيل . وهو أن حوادث التفتيش عن الأشخاص الخطيرين في البلاد فضحت هذا العنصر الخطير (الجويم) الذي يهيىء ثورة محلية يراد بها قلب الحكم الحاضر بحيث تكون عاقبته امتداد الصهيونية إلى مصر وجميع البلاد العربية . فكل يوم يظهر من تفتيش البوليس أشخاص يملكون أسلحة وقنابل ومنشورات بالعبرية والعربية تدل على أن في عزم الصهيونيين « الأبيبيين » أن يغزوا مصر حالما ينتهون من غزو فلسطين . والانفجارات التي حدثت في حارة اليهود أخيراً تدل على أن هناك معمل الشيطان الصهيوني ؛ فإن أولئك الذين نسفهم الانفجار كانوا يصنعون قنابل شديدة الانفجار جداً . فلماذا كانوا يصنعونها ؟ ولمن ؟ وعلى حساب من ؟ وقيل إنهم كانوا يرسلونها إلى تل أبيب . وأخيراً جاءهم بلاغ من هناك أن احفظوا هذه المتفجرات عندكم إلى أن نذهب إليكم لأننا ذاهبون .

وكلنا يعلم أن بعضاً من الأشخاص الذين قبض عليهم كخطرين ووجدت عندهم متفجرات هم كبار أغنياء إسرائيل والقابضون على أعنة مالية البلاد . فكل هذه الأمور تبرر للحكومة المصرية وكل حكومة عربية أن تصادر أموال كل صهيوني ثبتت عليه شبهة الخطر ، وأن تفرض ضريبة ثقيلة على كل صهيوني غيره استرداداً لما كان يرسله من المال إلى تل أبيب سراً لإعانة الصهيونية .

فإذا جرت الحكومة على هذه الخطة أمكنها أن تجمع التعويض اللازم للعرب الفلسطينيين ، والغرامة التي هي جزاء فظاعات الصهيونيين . وليس في الشرائع المدنية أو الإلهية ما يمنع هذا الإجراء ، فهو حق وأقل من الحق . فعسى أن تفكر الحكومة في هذا الموضوع ، فهو جدير بأن يأخذ من اهتمامها كل مأخذ .

لا بد أن تنتهي الثورة الفلسطينية بالنصر إن شاء الله . فإذا رغبت الحكومات العربية أن تسترد خسائر العرب وتغرم الصهيونيين الغرامة اللازمة لثورتهم فلا تجد وسيلة لتحصيل هذه التعويضات والغرامات غير هذه الوسيلة ؛ فيحسن بها جميعاً أن تشرع في هذا العمل تواً ...

نقولا الحداد

من أهـــداف الصهيونية

للأستاذ محمـــد أسامة علية

أنشأ الحركة الصهيونية فى لندن سنة ١٨٩٦ الدكتور هرتزل اليهودى النمساوى ، واشتهرت باسم الصهيونية لأن أبرز من سمى إليها هى (جمعية صهيون) فى النمسا ، وهى جمعية تسمت باسم جبل فى صحراء سينا عسكر فيه بنو إسرائيل لإقامة الصلاة بعد نجاتهم من فرعون .

وقد دخل بالتبشير بدينهم كثير من أمم شتى كالسيفرديم الذين انحدروا من سلالة الإسبانيين والبرتغاليين ، والإيشكينازيم وهم يهود روسيا والنمسا وألمانيا والمجر ، والمنفصلون وهم من آباء رومانيين وأمهات من يهود ..

ولهم فى الحركات السرية أعظم يد ، ومن أبرزها (الماسونية) وقد عقدت الجميات الصهيونية فى (بال) فى سويسرة مؤتمراً سنة ١٨٩٧ وضعت فيه أسس نظام فتوحاتها فى المستقبل على ضوء ما بحثت فيه من خططها ، فكتبوا ٢٤ محضراً تضمنت جماع الخطة والهدف الذى يبلغ باليهود إلى السيطرة على العالم معتمدة على المال والمؤامرات والاغتيالات والدعايات وبث القلق والاضطرابات خلقياً وعملياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، واحتضن ذلك قادة الحركة الصهيونية المعروفون بحكماء صهيون ، وهم القائمون بإدارة السياسة اليهودية ، العابثون بسياسة العالم تمهيداً لعودة ملكهم .

وذاعت هذه المحاضر وكان من شدة وقع ذلك أن استيقظ العالم الغربى النصرانى لما تبيته له الصهيونية من سهام مسمومة . وأول من وصل إلى هذه المحاضر هو اليكس نيقولا نيفتش عميد اشراف شرق روسيا ، فسلمها إلى سرج نيلوس وطلب إليه الاستفادة منها بما يحمى مصالح الوطن وعقائد أبنائه ، فنشر كتابه عنها سنة ١٩١٩ فارتاع الصهيونيون لذيوعها وشكا هرزل رئيسهم من اطلاع (الكفار) على أسرار هذه المحاضر ، وقد حاولوا إنكارها ، وحذر آخرون من أغراضها ، وهذا مما يثبت أن اعتماد اليهود على الجميات والدعوات السرية كاعتمادهم على المال والرشوة واستخدام الوسائل الإرهابية فى سبيل مطمعهم بالسيادة العالمية .

موجز المحضر الأول :

القوة الوحشية الغاشمة هى وحدها التى أخضعت الوحوش الضارية التى تدعى بشراً ، ثم خلفها القانون وهو نفس القوة ، إلا أنها مقنعة . فالحق كائن فى القوة . والذهب فى عصرنا أعظم نفوذاً من الحكومات . والصفات السامية كالصدق والنزاهة هى عيوب ونقائص لا تصلح لنا هدفاً ، وإنما القوة هدفنا ، ويجب أن نتسلح بها للانقضاض على الأنظمة والشرائع وقلبها رأساً على عقب . وبسبب ضعف جميع السلطات فى الوقت الحاضر يدوم سلطاننا لأنه مشيد على أسس متينة لا يمكن أن تنال منها الخدع والدسائس وقوة الشعب عمياء لا شعور لها وتنقاد إلى جميع الجهات ولا تقوم للمدنية قائمة إلا إذا قام فيها الحكم المطلق حكم الفرد . وعمالنا من معلمين وخدم ومربيات فى دور الأغنياء ومستخدمونا فى كل مكان ، ونساؤنا فى قاعات الملاهى يسوقون الشعوب إلى مهاوى الانحلال الخلقى الذى يمهد لنا الوصول إلى أهدافنا . ويجب أن نتخذ العنف مبدأ والمكر والرياء قاعدة . ويجب أن لا نحجم عن الالتجاء إلى الرشوة والخداع والخيانة فى سبيل بلوغ مآربنا . وينبغى الإقدام على اغتصاب ملك غيرنا إذا كان فى ذلك ما يحقق سلطاننا . والقسوة التى لا تعرف اللين هى أول عامل فى قوى دولتنا ، وبها سنخضع جميع الحكومات لحكومتنا العليا .

موجز المحضر الثانى :

من مصلحة اليهود نقل الحروب إلى الميدان الاقتصادى لترى الأمم عظيم تفوقنا فى هذا المضمار فيضطر الفريقان المتحاربان أن يكونا فى يد عملائنا الدوليين ، فنقبض على توجيه الشعوب إلى حيث أردنا . ولكى لا نقع فى أخطاء سياسية وإدارية يجب أن لا تفوقنا العناية بآراء الشعوب وأخلاقها وميولها العصرية ، مع المقايسة بين نتائج الماضى والحاضر .

وللصحافة قوتها التى لا تنكر ، ولكن الدول لم تحسن الاستفادة من هذه القوة فوقعت فى أيدينا ، وقد استطعنا بواسطتها أن نحرز جانباً مدهشاً من النفوذ وأن نجمع الذهب الوهاج فى قبضتنا .

موجز المحضر الثالث :

يجب أن نصل إلى فصل قوة رجال الحكم البصيرة عن قوة الشعب العمياء لتفقد القوتان أثرهما ، وتصبحا عاجزتين كعجز الأعمى الذي يفقد عصاه . ولكي ندفع ذوي المطامع إلى إساءة استعمال السلطة وضمنا جميع القوى المتعارضة وجهاً لوجه وقوينا ميولها الحرة إلى الاستقلال ، وشجعنا كل مشروع يؤدي إلى هذا الغرض وحولنا الممالك إلى ميادين للهرج والمرج . ومتى آن الأوان لأن نخلق بفضل وسائلنا السرية وذهبنا النضار ضائقة اقتصادية عامة ، نقذف في نفس الوقت بجموع العمال الفقيرة إلى الشوارع في جميع البلدان الأوربية ، فتقدم هذه الجماهير بلذة على قتل من هم في نظرها الساذج موضع حسدها وغيرتها وعلى نهب أموالهم ، ولكنها لا تمس أتباعنا بسوء لعلمنا بساعة الهجوم ولاتخاذنا الحيطة للمحافظة على بني قومنا وإذا عدتم بالذكرى إلى الثورة الفرنسية وجدتم أن سر إعدادها لم يكن يخفى علينا لأنها كانت كلها من صنع أيدينا . ونحن الآن كقوة دولية في وضع منيع بحيث إذا هوجمنا في دولة دافعت عنا الدولة الأخرى .

موجز المحضر الرابع :

يجب علينا أن نهدم الإيمان ، وأن ننزع من النفوس المبادئ الإلهية والروحية ، وأن نغرس بدلها حب الحسابات والحاجات المادية ، وأن نشغل الناس بالأعمال التجارية والصناعية لتتجه الأفكار والمساعي إلى تحقيق المنافع الخاصة ، فلا يشعرون بغتن عدوهم العام . ولتفكيك أوصال الجماعات المسيحية وتدميرها يجب أن تتخذ المضاربات قاعدة للصناعة فتخرج جميع الثروات التي تنتجها الصناعة وغيرها من حوزة أربابها إلى فوهة المضاربات فتبتلعها . وما هذه الفوهة إلا خزائننا .

موجز المحضر الخامس :

سيادة الاتحاد المسيحي علينا لا تطول مدتها لأننا بذرنا أصول الشقاق في كل مكان وأوجدنا التنافر بين مصالح المسيحيين المادية والوطنية ، وأثرنا النعرات الدينية والعنصرية في بيئاتهم ، وعلى كل حال لا تستطيع الدول اليوم عقد أي اتفاق مهما ضؤل شأنه بدون استطلاع رأينا وموافقتنا . يقول أنبياؤنا إن الله اصطفانا لنسود العالم ووهبنا النبوغ لتكلل أعمالنا بالنجاح .

ولو كان لغيرنا مثل هذا لاستطاع مقاومتنا ، ولكن القادم الجديد لا يساوي الساكن القديم . وسيكون القتال بيننا عنيفاً جداً بلا رحمة ولا شفقة مما لم يشهد العالم مثله . أما أدعياء العبقرية فسيصلون متأخرين لأن المحرك الذي يدير الجهاز الحكومي غدا في قبضتنا ، وما المحرك سوى الذهب ، وحكماؤنا الذين وضعوا علم الاقتصاد السياسي عرفونا تأثير الذهب العجيب في العالم . وهذا الذهب يجب أن يجمع الصناعة والتجارة في احتكاره ، وهذا ما نحن ساعون إلى تحقيقه بواسطة أيد خفية لها اتصال بجميع أنحاء العالم . ومما يجب أن نمني به في حكومتنا المتيدة إضعاف الرأي العام بوسائل النقد والتقريع المر ، مع الاستمرار على هذا إلى أن تضمحل عادة التفكير، لأن التفكير يولد المعارضة. ويجب كذلك أن نشغل القوى العقلية بمناوشات خطابية عقيمة. والطريقة المثلى للاستيلاء على الرأي العام تنحصر في العمل على أفلاقه بأن يغمر بفيض من الآراء المتناقضة تأتيه من كل جانب باستمرار ، فينتهي الأمر بضلال المسيحيين وغيرهم . ويجب أن نتخذ ما يجب لبلبلة الآراء واختلاف مسالك تربية النشء ليكون في كل أسرة اتجاهات متناقضة بحيث لا يستطيع الواحد فهم مراد الآخر ، وبحيث لا يقوى كائن من كان على إعادة المياه إلى مجاريها ، ومن تأثير هذه الطريقة وقوع الشقاق بين الأحزاب ، وتفرق القوى المتجمعة ضدنا . أما ما يتعلق بثقافة البيئات المسيحية فعلينا أن نقبض على إدارتها بيد من حديد ، ونتصرف في شؤونها بما يضمن وصولنا إلى أهدافنا .

موجز المحضر السادس :

سننشيء مؤسسات للاحتكار تكون كخزائن للثروات الضخمة ، ويكون لماليات المسيحيين الكبرى وللاعتمادات المالية للدول أوثق علاقة بها ليسهل ابتلاعها في غد أول نكبة سياسية ولما كانت الاستقراطية المسيحية من حيث هي قوة سياسية قد اضمحلت فقد بقيت أملاكها العقارية ، فهي تستطيع ما دامت مواردها حرة أن تعرقل أهدافنا ، فلابد إذن من الاستيلاء على هذه الأملاك وحرمانها منها ، وأنجع طريقة لذلك هي زيادة الضرائب . وللقضاء على صناعة غيرنا يجب تنشيط المضاربة واستثارة شهوة البذخ والترف ، تلك الشهوة التي تلتهم الأموال بأقرب وقت . ثم نزيد أجور العمال ، ولكنها زيادة لا ينتفعون

منها ، لأننا قد اتخذنا الحيطة لذلك برفع أثمان الحاجات الضرورية . ثم ندير معاولنا شطر الإنتاج لهدم أسسه ، متوسلين ببعض الوسائل التي تمكننا من تعويد العمال الشغف بالمسكرات وخلق الفوضى . ولكيلا تنكشف حقيقة أغراضنا قبل الأوان يجب نتظاهر بالغيرة على خدمة طبقات العمال ، وبنشر المبادىء الاقتصادية .

موجز المحضر السابع :

إثارة الفتن والشغب والشقاق والبغضاء في جميع البلاد ستكون داعية إلى الاعتراف بمقدرتنا على بث روح الاضطراب أنى شئنا ونشر أعلام النظام حيث أردنا . ودسائسنا المعتمدة على سياسة العقود الاقتصادية والمالية تزيد في تعقيد الشرك الذي نكون قد نصبناه في دوائر الدول . وأما في الشؤون التي تدخل في نطاق ما يسمونه « اللغة الرسمية » فنتخذ خطة معارضة تظهرنا بمظهر أهل الصلاح والإصلاح . وإزاء كل معارضة تثار ضدنا نكون على استعداد لدفع البلاد المجاورة إلى إثارة الحرب على من يجرؤ على مماكستنا ، وإذا ما خطر لهذه البلاد نفسها أن تتحد مع عدونا عمدنا إلى دحرها بإعلان حرب عامة ، وعضدنا في هذه السبيل هو الرأي العام الذي وضمته « السلطة العظمى » سلطة الصحافة في أيدينا . وهدفنا هو إظهار قوتنا للحكومات تارة بوسيلة التعديات الجنائية وطوراً بواسطة المدافع الأمريكية والصينية واليابانية .

موجز المحضر الثامن :

من الواجب أن يحاط نظام حكمنا بجميع قوى الحضارة من كتاب سياسيين وشراع محنكين وإداريين وغيرهم من أهل التخصص في العلوم العليا للوصول إلى أغراضنا . ولما كانت العلوم الاقتصادية لها شأن كبير وجب أن نعنى بتعليمها لليهود ، ويجب أن يكون حولنا جماعات من الصيارفة وأرباب الصناعات والرأسماليين ، ولا سيما أصحاب الملايين لأن الحكم في النتيجة سيكون للأرقام .

موجز المحضر التاسع :

حكومتنا العليا وإن لم يكن لها صفة شرعية اليوم ، لكن القضاء أصبح الآن في أيدينا نضع الشرائع ونصدر الأحكام ، ولنا سلطة القائد العام ، بل نحن نمارس الحكم بيد من حديد . ونحن مصدر الإرهاب المنتشر في كل صقع ، وفي خدمتنا رجال ينتمون إلى مختلف العقائد والمبادىء من ملكيين وجمهوريين واشتراكيين وشيوعيين ، ومن جميع أنواع الخياليين ، يعملون في سبيل مصلحتنا ، وجميع الدول تعاني المشقات والأهوال من جراء هذه الحال ، وتسعى جهدها لاقرار السكينة وتبذل ما وسعها البذل في سبيل السلام . وأما نحن فلا نعتمها بالراحة والسلام ما لم تعترف بحكومتنا العليا ، وانقسام الشعوب إلى أحزاب دفعها بجملتها إلى أحضاننا ، لأن النضال الحزبي لا يقوم إلا على المال وهو في قبضتنا . والذي كنا نخشاه هو قيام الألفة بين قوى الطبقة الحاكمة المثقفة وقوى الشعب الغاشمة ؛ ولكننا احتطنا لذلك فأقمنا جداراً وحالة ذعر بين الفريقين .

موجز المحضر العاشر :

يجب أن نقاوم النزعة إلى البروز الشخصي بدفع الشعب إلى مكافحة من يطوح به الغرور إلى إشهار نفسه بالفعل والكلام ، والشعب لا ينقاد لسوانا ما دمنا نكافئه على طاعته ويقظته . ويجب أن تكون خططنا سديدة ، ولذلك لا نسمح بعرضها على جماعة يتناقشون فيها كالمجالس التشريعية فتخرج منها وفي طياتها آثار جميع الآراء الخاطئة . ويجب أن نتوصل إلى جمع الحكومات كلها تحت سيطرتنا لإلغاء جميع الدساتير القائمة ، ومما يجب التوسل به لبلوغ هذه الأهداف إثارة الشقاق والعداء والبغضاء بين الشعب والحكومة ، وخلق المجاعات وبث جراثيم الأمراض وتعميم البؤس في كل مكان .

موجز المحضر الحادي عشر :

يجب أن نطرح من قاموس البشرية : حرية الصحافة وحرية الضمير ومبدأ الانتخاب لنستطيع بسط سلطاننا المعصوم الذي لا يرجع إلى صواب ولا يعترف بخطأ . ويجب أن نقمع كل حركة تثار ضد هدفنا هذا : والله قضى علينا نحن شعبه المختار بالتشتيت الذي سبب ضعفنا ، ولكن هذا الضعف هو الذي ولد هذه القوة التي قادتنا إلى أبواب السيادة العالمية .

موجز المحضر الثاني عشر :

للحرية عند الناس معان شتى ، فيجب علينا أن نحصرها

ونحددها بقولنا : هي حق التصرف بما يجيزه القانون . وفى وسع القانون أن يبدع أو ينقض كل ما من شأنه أن يغاير روح برامجنا وأغراضنا : وأما الصحافة فيجب أن نكبح جماحها ونجعل منها مورداً لدولتنا فنسن الضرائب الصحفية ، ونفرض ضماناً مالياً على كل صحيفة أو مطبعة ، ثم نفرض غرامات نقدية باهظة على المخالفات فنأمن شر الحملات الصحفية .

موجز المحضر الثالث عشر :

سعينا إلى اقتناص الرأى العام بمهد السبيل لاتمام أغراضنا ، ولكى نحول أنظار الذين تهمهم السياسة إلى نواح أخرى ، يجب أن نثير البحث فى شؤون جديدة كالشؤون الصناعية وندعهم يتحمسون ويغضبون ما طاب لهم ذلك . ونقترح لنشغل الشعب عن شؤونه المهمة فتح أبواب الملاهى والألعاب ونقيم لها دوراً حافلة . كما يجب أن نشوق الأفكار إلى ابتداع أنواع النظريات الخيالية .

موجز المحضر الرابع عشر :

يجب أن لا نعترف بغير ديننا لأننا الشعب المختار ، فيتحتم علينا أن نهدم جميع المذاهب الدينية ، وأحياء الديانة الموسوية التى تستقر فيها القوى التهذيبية والأخلاقية ، وسيتولى فلاسفتنا نقض العقائد المسيحية وغيرها ، وقد نشرنا فى البلاد التى يدعونها متقدمة أدباً إباحياً قذراً وسنواظب على دعمه .

موجز المحضر الخامس عشر :

يجب أن تكون سلطتنا قائمة على الإرهاب الذى سيرفعها إلى مرتبة المصطفين من لدن العزة الإلهية على نمط الأوتوقراطية الروسية عدوتنا اللدود فى هذا العالم هى والبابوية معاً . اذكروا مثل إيطاليا الدامية التى أغرقها (سيلا) (١) بالدماء ، وأذاق الشعب الموت الأحمر ، فأكبر الشعب فيه البسالة فمنحه مزايا العصمة والحصانة . وإلى أن نرتقى سدة الحكم يجب أن نضاعف عدد المحافل الماسونية فى العالم ، ونتخذها مقراً للاستخبارات ووسيلة لتسيير أعمالنا ، ويكون من أعضاء هذه المحافل جميع رجال الشرطة لأن لهم شأناً خطيراً لاستطاعتهم كبح جماح من يعن له التمرد علينا ، وفى وسعها أن تستر أعمالنا . وكل من سعى فى عرقلة أعمالنا حل اغتياله . ولا يجوز فى قضائنا استئناف الأحكام لكيلا يفهم الشعب خطأ أحكامنا . وإذا وضع ملك إسرائيل التاج الذى تقدمه إليه الممالك الأوربية وغيرها على هامته المقدسة أصبح أباً للعالم أجمع .

موجز المحضر السادس عشر :

الجامعات العلمية القائمة الآن هى قوة مجتمعة متضامنة ، فيجب تقويضها وتشييد غيرها على أن تحيا بروح جديدة ، ويعد لها فى الخفاء رؤساء وأساتذة يزودون بمناهج مفصلة للتمهيد لأغراضنا ، ويجب أن نطوى من المناهج مادة الحقوق المدنية وكل ما له صلة بالشؤون السياسية ، ولا تعلم هذه العلوم إلا لبضعة عشر طالباً يختارون من ذوى المواهب ، ثم يكونون تحت أمرتنا

موجز المحضر السابع عشر :

نقابات المحامين توجه مجهوداً دائماً إلى صالح الدفاع ، فيجب وضعها ضمن إطار ليتسنى جعل أعضائها عمالا للتنفيذ . وقد وجهنا جهودنا إلى إفساد رسالة الأكليريكية المسيحية التى تؤخر وصولنا إلى بعض أهدافنا فأخذ نفوذها يتداعى فى نفوس الأمم ، وعما قريب ستموت الديانة المسيحية ، ثم تموت الأديان الأخرى نتيجة لمساعينا . ومتى حان الوقت لهدم الصرح البابوى جعلنا ملك اليهود البابا الصحيح للعالم والبطريرك الوحيد للكنيسة العالمية

وسيكون قدوتنا فى الحكم (فنشو) (١) فتقبض كل يد من الأيدى المائة التى نمتلكها على لولب من لوالب الجهاز الاجتماعى فنستطيع الاطلاع على ما نريد بلا مساعدة من الشرطة الرسمية ، والجاسوسية والوشاية لا يعدان من الأمور المشينة بل من الواجبات لنبلغ ما نريد بعونهما .

موجز المحضر الثامن عشر :

حينما نحتاج إلى تعزيز قوى الشرطة ، نلجأ إلى افتعال الاضطراب والمظاهرات وإعلان سخط الشعب بلسان أشهر الخطباء ، وحينئذ نتخذ من هذا ذريعة لإصدار الأوامر بمضاعفة المراقبة . والحكام القائمون الآن سنضطرهم إلى الإقرار بعجزهم عن حماية أنفسهم فيتخذون الحيطة لحماية أنفسهم جهاراً فنقضى

(١) هو دكتاتور رومانى ولد عام ١٣٦ ق . م سيطر على روما ثم على جميع إيطاليا ، وأمر بقتل خصومه بلا محاكمة .

(١) هو الأقنوم الثانى من الثالوث الهندى ، وهو حافظ المسكونة .

بذلك على نفوذ السلطة . وأما حكومتنا فيتولى المحافظة عليها حرس خفي لأننا لا نقبل أن نسلم بوجود أعداء لا تقوى الحكومة على إخضاعهم . ويجب أن يظهر حاكمنا بمظهر من لا يستخدم السلطة لمنافعه الشخصية ، فالتجمل بمثل ذلك يرفعه في نظر الشعب

موجز المحضر التاسع عشر :

من الواجب علينا أن نشوق الشعب إلى رفع الشكاوى والاقتراحات إلى الحكومة لتحسين حاله ، فيتسنى لنا بذلك الاطلاع على نقائص الشعب وأهوائه . ولكي يقلع الشعب عن تكريم الباسلين في مضمار الجرائم السياسية نعامل المجرمين السياسيين كمعاملة اللصوص والقاتلين فينظر الشعب إلى هؤلاء وأولئك نظرة الاحتقار والاستنصار .

موجز المحضر العشرين :

خلاصة أعمالنا ستتحول إلى قضية أرقام ، فيتمتع الملك في حكومتنا بحق شرعي على الأملاك والأموال الخاصة بالشعب ، فله حق المصادرة للمال اللازم لتسوية نظام التداول النقدي في البلاد ، ولما كان جميع أموال الدولة ملكاً للجالس على العرش وجب أن لا يكون له ملك خاص لأنه لا يحق لمن يمتلك أموالا خاصة أن يتمتع بملك الجميع . ولقد أحدثنا أزمات اقتصادية في البيئات المسيحية بقصد سحب النقود من التداول فاضطرت الحكومات إلى الرأسماليين تقترض منهم فصارت أسيرة لديهم ، وهؤلاء الرأسماليون بوضعهم أيديهم على الصناعات الكبرى قضوا على الصناعات الصغرى فأضعفوا الشعب والدولة معاً .

والذهب بسبب سحبنا أكثر من التداول أصبح لا يكفي حاجات الناس ، فيجب إصدار نقد من الورق أو الخشب حسب حاجة الشعب وزيادة عدده . والقرض الخارجي دليل على ضعف الدولة وعجزها ، فالقروض كسيف (داموقليس) مصلت دائماً أبداً فوق رؤوس الحكام الذين يعجزون عن سد حاجات الدولة فيسرعون إلى التماس الصدقة من صيارفنا .

موجز المحضر الحادي والعشرين :

دولتنا لا تحتاج إلى الخارج . وما فعلناه مع الدول من قرضها الأموال ثم استردادها مضاعفة لن يستطيع أحد أن يفعله معنا . بل سنلجأ عند الضرورة إلى القرض الداخلي ، وفي غد الاكتتاب لهذا القرض نصعد الأسعار صعوداً مصطنعاً ليتوهم الناس كثرة الإقبال على الشراء ، ثم نعلن أن صناديق الخزانة العامة قد امتلأت . وسنبطل نظام البورصات المالية ضنا بكرامة سلطتنا في أن نتعرض للنيل منها بسبب تقلبات أسعار السندات الحكومية ، ونقيم بدلها مؤسسات كبرى للصداقة يكون عملها تحديد أثمان الأسهم التجارية بمقتضى نظرية الحكومة ويكون باستطاعتها أن تطرح في الأسواق يومياً من الأسهم التجارية ما قيمته خمسمائة مليون .

موجز المحضر الثاني والعشرين :

في حوزتنا أعظم قوة حديثة في العالم : هي الذهب ، ونستطيع في كل ساعة أن نخرج منه المقدار الذي يكفي لذهول العالم ، فهل نحتاج بعد هذا إلى دليل في أن حكومتنا مختارة من لدن الله وممدة منذ الأزل للحكم . وحكمنا سيؤسس على دعائم قوية ثابتة مستقلا في إدارته لا ينقاد إلى الخطباء الخياليين الذين يكثرون من الكلام التافه وينادون بالمبادئ السامية الوهمية

موجز المحضر الثالث والعشرين :

الشعب لا يخضع خضوعاً أعمى إلا ليد حديدية مستقلة تدرأ شر النوائل الاجتماعية ، وليس من هم الشعب أن يرى على رأس الحكم ملكاً بروح الملائكة بل هو يرهب الملك ذا السطوة والقوة والصولة . وعلى الملك أن يخمد اللهب بقتل كل مذنب ينتمي إلى الجمعيات السرية الثورية ولو اقتضى ذلك إلى فيضان الدماء . وهذا الشخص المصطفى من لدن الله هو الذي توكل إليه العزة الإلهيـة أمر سحق القوات التي تستفزها الغريزة البهيمية فتدعي الحرية والحقوق الإنسانية ؛ ثم نقول للشعوب بعد محق هذه القوى : احمدوا الله العلي واحنوا رؤوسكم لمن يتسم بسمة الأصفياء الذين اصطفاهم الرب لينقذكم هو وحده من براثن القوى الوحشية ومن جميع الشرور .

موجز المحضر الرابع والعشرين :

ملوكنا نختارهم لجنة مؤلفة من أعضاء يمتون إلى النبي داود لا على أساس حق الوراثة ، بل على أساس الصفات الممتازة والكفاية ويلقنونهم أسرار السياسـة الخفية ، ويطلعونهم على خطط الحكومة على أن يكتموا كل ذلك . وعلى ملكنا عماد البشر وسيد العالم أن يترفع عن اللذات الجسدية .

محمد أسامة عليبة

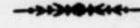
لخصت ما تقدم من كتاب أهداف الصهيونية تعريب فردريك زريق

مصطفى البكري الصديقي [1]

الدمشقي المقدسي الحنفي الرحالة

(١٠٩٩ هـ — ١١٦٢ هـ ١٦٨٧ م — ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى



هذه شخصية من رجال القرن الثانى عشر الهجرى ، نشأت فى دمشق ، وترعرعت فى بيت المقدس وانتهى بها المطاف إلى مصر ، وقد ترك لنا عدداً من الرحلات فى الديار القدسية ، وسوريا ، والأناضول ومصر والحجاز . ومع أن هذه الرحلات ليست شيقة ، ومع أن أسلوبها يمثل أسلوب القرن الثانى عشر الركيك ، وبالرغم من انصراف صاحبها إلى الوعظ والإرشاد عن طريق التصوف ، شأن حملة العلم من رجال ذلك القرن ، إلا أنها تلق نوراً على كثير من الحوادث ، وتصف لنا حالة البلاد التى زارها فى ذلك العهد المظلم . ونرجو أن نتمكن من تلخيص بعض هذه الرحلات للقراء الكرام . وقد سبق أن نشرنا رحلتين قام بهما صاحب الترجمة من دمشق إلى القدس وبالعكس فى كتاب رحلات إلى ديار الشام ، وذلك فى سنة ١١٢٢ هـ و ١١٢٦ هـ . وقد كتب ونظم الشىء الكثير . ويقول السيد حسن بن عبد اللطيف الحسينى القدسى فى كتابه [أعيان القدس فى القرن الثانى عشر] إن مؤلفاته زادت على المئة . ويروى لنا المرادى فى درره أن كلمته ظهرت فى أرض الكنانة ، وأن تلامذته ومريديه لما بلغوا مئة ألف أمر بعدم كتابة أسمائهم ، وقال هذا شىء لا يدخل تحت عدد !.

وهو ابن كمال الدين بن على بن كمال الدين عبد القادر محيى الدين الدمشقى البكرى الأستاذ الكبير والعارف الربانى ترجمه المرادى وأفرد له عشر صفحات [1] ونعته « بأحد أفراد الزمان وصناديد الأجلاء من العلماء الأعلام والأولياء العظام العالم العلامة الأوحد أبرّ المعارف قطب الدين صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات والآثار التى اشتهرت شرقاً وغرباً ، وبعد صيتها فى الناس محجماً وعرباً » . كما ترجم له السيد حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه « أعيان القدس فى القرن الثانى عشر » [2]

ولد بدمشق سنة ١٠٩٩ هـ وتوفى والده وكان عمره ستة أشهر ، فنشأ يتيماً فى حجر ابن عمه ، واشتغل بطلب العلم على شيوخ الشام وأجاز له محمد بن محمد البديرى الدمياطى [3] ولازم الشيخ عبد الغنى النابلسى [4] وأخذ الطريقة الخلوتية [5] ثم سكن بعد ذلك إيوان المدرسة الباذرائية [6] وأخذ يدرس فيها فكثر طلابه ومريدوه .

وقام فى سنة (١١٢٢ هـ ١٧١٠ م) برحلته الأولى من دمشق إلى القدس ، وهى تشبه كثيراً رحلة أستاذه الشيخ عبد الغنى النابلسى التى قام بها (١١٠١ هـ ١٦٨٩ م) وقد وصف فيها لنا الطريق ، وما مرّ عليه من القرى والدساكر ، وحالة الأمن ومرافقته الركب والنفرية ، وخان عيون التجار الذى بناه سنان باشا ، وهو خراب الآن يقع بالقرب من قرية شخبرة ، ثم مدينة جنين لاحنين المحصنة ، ثم تعرض اللصوص للركب ، ثم طواحين وادى نابلس وكانت تسير على المياه وهى خراب الآن ، ثم القدس ، والحرم القدسى ، وباقى المزارات ، واجتمع وهو يدور مقام الإمام على بن عليل العمرى على ساحل البحر شمالى

---

(١) مؤلف الخمرة المحسية فى الرحلة القدسية ، والخطرة الثانية الأنسية للروضة القدسية ، والرحلة الحلبية ، والنحلة النصرية فى الرحلة المصرية ، والحلة الذهبية لا المجازية فى الرحلة الحجازية ، والاحسان فى الرحلة إلى جبل لبنان ، والرحلة الحجازية الثانية ، والقدوم لديار الروم . الخ الخ

(١) ص ١٩٠ ج ٣ سلك الدرر .

(٢) مخطوط فى حوزة كاتب المقال .

(٣) جد عائلة البديرى ببيت المقدس .

(٤) ولد بدمشق ١٠٥٠ هـ وتوفى ١١٤٣ صاحب الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية ، طبعنا خلاصتها فى كتابنا رحلات إلى ديار الشام .

(٥) أسسها عمر الخلوتى من قيصرية فى بر الأناضول (آسيا الصغرى) سنة ٨٠٠ هـ كما جاء فى الذكر الجلى . كانت فى أوائل القرن التاسع معروفة بالقدس وقد فقد ذكرها من المستندات منذ قرنين .

(٦) أسس هذه المدرسة بدمشق العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله أبى الوفاء بن محمد بن عبد الله بن عثمان الباذرائى البغدادى ، ولد سنة ٥٩٤ هـ وتوفى سنة ٦٥٥ هـ . وقد بنيت هذه المدرسة مكان دار الأمير أسامة بن المنقذ صاحب قلعة شيزر .

مدينة يافا بالشيخ الإمام نجم الدين بن خير الدين الرملي (١) وكان نجم الدين مفتي مدينة الرملة حينئذ فدرس عليه الوطأ للامام مالك . وقد جيء للشيخ بزنبق برّي طيب الرائحة فقال إن والدي أي خير الدين قال فيه :

وزنبقة قد أشبهت كأس فضة ... برأس قضيب من زمردة يجب

سداسي شكل كل زاوية له ... على رأسها الأعلى هلال من الذهب

وعاد بعد ذلك إلى دمشق ، ومنها إلى حلب (٢) ثم بغداد وانتقل سائحاً في البلاد الشامية ، ثم دخل القدس ثانية سنة ١١٣٦ . وكتاب رحلته الثانية ، كما ألف كتابه ورد السحر المعروف [بالفتح القدسي والكشف الأنسي] وعمر بالقدس الخلوة التحتانية (٣) وكانت تقام بها الأذكار ، ولها تعيين من خبز وأكل على تكية السلطان (٤) لمن أقام بها . وتزوج في القدس ؛ وأرخ بعض رفاقه زواجه بقوله [زفت الزهراء للقمر] .

وقدم من جهة دمشق والي مصر لزيارة القدس وهو الوزير رجب باشا ، فزار صاحب الترجمة وصار له فيه اعتقاد ، واصطحبه معه إلى مصر ، فدخل مصر وأقام بها مدة ، وأخذ عنه العلم والطريقة خلق كثير من أجلهم النجم محمد بن سالم الحفني . ثم زار السيد البدوي ، ومن هناك إلى دمياط وأقام في جامع البحر وأخذ عن علامتها محمد البديري وأجازه أجازة عامة . ثم رجع إلى بلدة بيت المقدس عن طريق البحر وأقام فيها إلى سنة ١١٣٥ هـ . وتوجه إلى طرابلس الشام عن طريق البر ومنها إلى حمص وحماه ، ونزل في بيت يسن القادري الكيلاني شيخ السجادة القادرية وأخذ عنه الطريقة القادرية (١) ومنها إلى حلب وكان واليها الوزير رجب باشا المتقدم ذكره وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أحمد خطيب الخسروية الشهير بالبنبي . ثم توجه إلى دار السلطنة العلية قسطنطينية عن طريق البر ونزل في مدرسة سورتي مدة إقامته فيها ، وكان يتنقل بين المدارس ، ويعكف على التأليف والإرشاد ، وكلما سكن في جهة وشاع خبره يقصده الناس فيرتحل إلى غيرها . وفي سنة ١١٣٦ هـ رجع عن طريق البر إلى حلب ونزل في الخسروية ثم توجه إلى بغداد ونزل في القادرية . وجاءه كتاب من شيخه عبد الغني النابلسي يحثه على العودة إلى الشام لأجل والدته فعزم وتوجه إلى الموصل فحلب فدمشق وحن إلى الأرض المقدسة فرحل متوجهاً إلى القاع العزيز وبلاد صفد سنة ١١٤٠ هـ وفي تلك السنة ولد له ولد هو الشيخ محمد كمال الدين .

وأقام في القدس يرشد ويصنف إلى سنة ١١٤٥ هـ حين عزم على الحج مع رفقائه ومنهم (حسن بن مقلد الجيوشي) [الجيوشي الآن] شيخ ناحية بني صعب [قضاء طولكرم وأصلها طور كرم وهو الأصح] فتوجه إلى الزريب ومنها إلى المدينة فمكة وعاد مع الركب الشامي إلى القدس .

وفي سنة ١١٤٨ هـ سار للبلاد الرومية [تركيا الآن] .فمر على بلاد صفد ودمشق ، ثم دار السلطنة ، وتوجه منها بحراً إلى الإسكندرية فوصلها في ثمانية أيام ، ومنها إلى مصر . وعزم بعد ذلك على الرجوع للشام فدخل القدس ، وكانت له بنت رآها مريضة وقد توفيت بعد ذلك فحزن عليها كثيراً . وفي سنة ١١٤٩هـ توجه إلى أرض الكنانة وصحبه جمع كثير ، وظهرت كلمته ، ولما جاوزوا المائة ألف لم يعد يحصيهم . وحج وعاد إلى دمشق ، وكان واليها إذ ذاك سليمان باشا المظمى [العظم] فنزل قرب الخانقاه السمساطية وتحول بعد ذلك إلى نابلس فمكث فيها مدة . وفي سنة ١١٥٢ هـ توجه إلى القدس وبقي بها إلى سنة ١١٦٠ هـ ، ثم سار إلى مصر والساحل الشامي ، فوصل مصر ونزل قرب الأزهر . ولما وصل قرية الزوابل تلقاه الأستاذ الحفني مع خلائق كثيرين من علماء مصر ، وأقام يرشدهم ويزدحمون على بابه وقل من يتخلف عن تقبيل يديه . وفي سنة ١١٦١ عزم على الحج . وأخذ الطريقة

---

(١) هو خير الدين الرملي العليمي الفاروقي الإمام المحدث صاحب الفتاوى الخيرية (الحنفية) ولد سنة (٩٩٣ هـ) وتوفي سنة ١٠٨١ هـ ، ترجمه المحبي ص ١٣٤ .

(٢) كتب عنها رحلته الحلبية .

(٣) تقع هذه الخلوة في الحرم القدسي على يسار الصاعد إلى درج الصخرة وتعرف بالخلوة البكرية الآن .

(٤) وهي أعظم أثر من آثار العثمانيين في القدس بل في فلسطين ، حاشا سور بيت المقدس . ولا تزال هذه التكية عامرة توزع الحساء (الشورباء) والخبز على فقراء بيت المقدس أسست سنة (٩٥٩ هـ — ١٥٥١ م) أسستها خاصكي سلطان (روكسلينا) زوجة السلطان سليمان القانوني .

(١) أنشأها السيد عبد القادر الجيلاني في بغداد سنة (٥٦١ هـ) وهي أهم الطرق في العراق والهند

النقشبندية (١) عن مراد الأزبكي النجاري النقشبندي ، وكان ينفق عن سعة ، مثل أرباب الثروة وأهل الدنيا ، ولم تكن له جهة يعرف منها كيف يفي بأدنى مصرف من نفقاته . وتوفي سنة ١١٦٢ هـ بعد عودته من الحج مبكياً عليه ، ورثاه الشعراء وحزنت عليه مصر والشام وألوف من مريديه وأتباعه . ودفن بالقرافة في تربة المجاورين وقبره مشهور يزار ويتبرك به .

هذا هو الأستاذ الصديق ، الدمشقي ، المقدسي ، دفين مصر الذي ترك لنا في رحلاته الكثيرة تراثاً دفيناً نرجو أن نكشف لقراء العربية بعض آثاره تنويراً للأذهان عن قرن لا نعلم عنه إلا القليل أو ما هو أقل من القليل ...

أحمد سامي الخالدي

---

(١) أنشأ هذه الطريقة بير محمد في القرن الثامن الهجري (٧١٧ — ٧٩١ هـ) — (١٣١٧ م — ١٣٨٨ م) الملقب بالشاه ومقامه في عارفان على مسافة ساعة من مدينة بخارى ، وبفضل هذه الطريقة المغول والتتار والفرس ، وللنقشبندية في القدس زاوية عند درج الغوانمة في الجهة الشمالية من الحرم القدسي ، وهي عامرة منذ أكثر من ٢٠٠ سنة ، ويرأسها الآن الصديق اللطيف العارف بالله الشيخ يعقوب الأزبكي النجاري النقشبندي

من وحي الصوم :

هيـــام المتصوفين

للشيخ محمـــد رجب البيومي

(إلى أخي الأستاذ محمود فهمي البيومي ، وصديقي الروحاني الأستاذ عبد اللطيف عيسى)

الحب ! معنى ثائر عاصف ، شعر به كل إنسان تتأجج في صدره لوعة ، وتشتجر في جوانحه عاطفة ، وهو على تباين أنواعه وتعدد ألوانه ، مؤرق مفزع ، يطوي بساط الأنس والدعة ، ويغرس أشواك الضجر والتبرم . وسل الوالد أي حنين مشبوب يمزق أحشاءه حين يتشوف إلى نجله النازح راجياً آملا . وسل الصديق أية لهفة حارة تضطرم في إحساسه حين يتطلع إلى أنباء صديقه الغائب ، ويتلمس أسباب الحديث عنه في لذة وشغف . وسل الصب العاشق كم يذرف من الدموع الملتهبة إذا وقفت الحوائل في وجهه ، وقامت السدود دون مبتغاه . بل وسل العارف بربه كم قاسى من المصاعب وتكبد من المشاق حتى رفرفت روحه في أجواء الملائكة ، فنعمت بلذتها الكبرى ، وظفرت بسعادتها الباقية ؟

والحب الإلهي أسمى أنواع المحبة وأقدسها ، وإن كان يكلف صاحبه من دمه وروحه ما تقشعر له الأبدان ، فيقضي سحابة يومه وسواد ليله ، شارد العقل ، مبلبل الخاطر ، يخاطبه الناس فلا يسمع ، ويستعطفه ذووه فلا يجيب ، فهو — في نظرهم — حاضر كغائب ، وحي كميت ، وما يزال يذيب نفسه ويعذب أحاسيسه حتى يصير شبحاً هائماً يُرى في الوهم ولا يكاد يصدقه العيان . وهكذا الروح إذا قوي اتصالها ، وشع ضياؤها ، تبرمت بالجسد الضيق فأنحلته وأسقمته ، وهذا كله قليل غير كثير في جانب ما يبتغي العارف من لذة الوصْل ، ونعيم المشاهدة ، ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر ...

وليس التصوف حدثاً طارئاً في الشريعة الإسلامية ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم من كبار المتصوفين ، وكانوا من النقاء والصفاء في درجة سامية . ثم خلف من بعدهم خلف لزموا نهجهم السوي وساروا في طريقهم العلوي ، وإذن فقد كان التصوف بمعناه الفطري من صفات المسلم الأول يقبل عليه في ارتياح ، وينجذب إليه في حنين ، حتى تبدلت الحال وانغمس المسلمون شيئاً فشيئاً في ما جلبته الحضارة من الترف والنعيم ، وهنا بدأ التصوف يظهر بصورة جديدة ، فقد أغضب هذا المصير قوماً عرفوا الله حق معرفته فاعتزلوا الناس ، ولاذوا بقمم الجبال ومطارح الفلوات ، نائين عما يغمر الحضريين من لذة ومتاع ، وفي هذه الخلوات الهادئة هبطت عليهم أشعة السماء ، فغمرت أرواحهم بالنور ، ومدت أجنحتهم بالقوة ، فحلقوا كالنسور في آفاق رحيبة ، ورزقوا عيوناً بصيرة نافذة ، ترى ما لا يراه الناظرون .

والشريعة الإسلامية لا تنكر الاتصال السماوي ، بل إنها تذهب إلى تأييده أتم تأييد بما تذكره عن كرامة الولي وحرمة العارف ، وقد أسهب أئمة الإسلام في الدفاع عن المتصوفين ،

مستدلين بفيض زاخر من الآيات والأحاديث ، وممن برزوا فى هذا الميدان حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ، وقد نصصت عليه بذاته لأنى أرتاح كثيراً إلى منطقه الواضح ، فهو لا يتمسك بالأدلة الظنية ، ولا يلتفت إلى الموضوع من الأحاديث والأساطير وجاء ابن خلدون فأيد القوم تأييداً لم يبق بعده مستزاد لمستزيد ، فقد سلم لهم جميع ما يدعونه من كشف واتصال ، وخوارق وكرامات . وإليك ما ذكره فى مقدمته ، قال : « ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس ، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شىء منها ، والروح من تلك العوالم ، وسبب ذلك الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس ، وقويت أحوال الروح ، وغلب سلطانه ، إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ، وينكشف حجاب الحس فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية ، والعلوم اللدنية ، وتقرب ذاته من الأفق الأعلى ، أفق الملائكة . وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة ، فيدركون من حقائق الروح ما لا يدرك سواهم ، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية ، وتصير طوع إرادتهم ، والعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون عن حقيقة شىء لم يأمروا بالتكلم فيه » .

وما دامت الروح قد اتصلت بالله هذا الاتصال ، فلا عجب إذا هامت فى حبه ، ونسيت العالم الأرضى بما يدرج فيه من إنسان وحيوان ، بل إن من القليل عليها أن تهيم هياماً متصلا فى سلوكها الروحى ، فقد قطفت الثمرة الحلوة ، ومنحت الوسام الرفيع .

والحب الإلهى كالحب الإنسى ، منطقته القلب ، ونافذته الإحساس ، فإذا قويت دواعيه ، واشتدت دوافعه ، فإنه يسيطر على الجسم سيطرة تامة ، فتتحول الأعضاء جميعها إلى ألسنة ناطقة بذكر الحبيب ، فهى من شغلها الشاغل فى هيام متصل وسكر دائم ، وأنت تنظر — مثلا — إلى عاشق الفتاة ، فتجده شارد اللب ، نحيل الجسم ، ممتقع اللون ، فلا تستكثر أن ترى عاشق الذات العلوية متصفاً بهذه الصفات ، بل إن المنطق يقضى أن يكون أكثر نحولا ، وأشد ذهولا ، حيث كان ذا مقصود أعظم ، وأمل جامح طموح .

ولا يسعنا وقد تعرضنا لهذه الناحية أن نذكر أن الحب الإلهى يكون فى غالب أمره تطوراً لحب إنسانى ، فكثير من العارفين قد ذاق فى مقتبل شبابه مرارة الحب الأرضى ، وعانى ما يعانيه العاشق من منع وحرمان ، وهو بذلك قد مرن على السهر والنواح ، فإذا ما هطل الفيض السماوى على روحه ، بعد وقت قريب أو بعيد ، كان على استعداد تام للسير فى طريقه المملوء بالعرق والدموع ، حتى ينتهى منه بسلام .

يذكر الكاتبون أن تصوف الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى كان خاتمة لرحلة لذيذة قام بها فى عالم الصبوات الحسية ، فقد شاهد فى مكة فتاة فارسية ذات عقل راجح ، وذكاء متوقد ، ثم هى على جانب فائق من الحسن ، فطارحها الأحاديث ، وتساقيا كؤوس الجدل العلمى ، وما زال يحن إلى سمرها الشهى ، حتى سرقت قلبه ، وملكت زمام مشاعره ، فساق فيها القصائد الرائعة ولم يشأ أن يخفى أمره معها بعد تصوفه ، بل كتب عنها فصلا ممتعاً جاء فيه : « وهى طفيلة هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضر ، وتحير المناظر ، ساحرة الطرف ، عراقية الظرف ، إن أسهبت أتعبت ، وإن أوجزت أعجزت ، شمس بين العلماء ، بستان بين الأدباء ، يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، أشرقت بها تهامه ، وفتح الروض لمجاورتها أكمامه » ...

والذى يقرأ مقطوعات ابن عربى يلمس إخلاصه فى حبه ، ويحمد له أن تعلق بذات علم وفضل ، فوقع الطير على شكله ، وانجذب الشبيه إلى شبيهه ، والعجيب الغريب أن الشيخ الأكبر قد حاول أن يشرح قصائده فى صاحبته شرحاً لا يتفق مع ما صرّح به فيما سبق أن نقلناه عنه ، فهو يحول أبياته إلى ميدان آخر غير ميدانها الأصيل ، مع أن القارئ العادى لا يمكن أن يطمئن إلى شرحه الملفق ، فما ظنك بمن يتعقبونه من أذكياء الناقدين ، وإذا كان ابن عربى قد أعلن غرامه الإنسانى فى نثره ، فلم يلجأ ثانية إلى اللف والدوران فى شعره الجميل ؟ !

هذا قول يحتاج إلى دليل ملموس ، فليسمع القراء أولا هذه الأبيات :

مرضى من مريضة الأجفان   عللانى بذكرها عللانى
بأبى طفلة لعوب تهـادى   من بنات الخدور بين الغوانى

من بنات الملوك من دار فرس ... من أجل البلاد من أصبهان
لو ترانا برامة نتعاطى ... أكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهل العقل فيه ... يمن والعراق مجتمعان ! !

ثم ليسمعوا ثانية ما قاله الشيخ فى شرح البيت الأول — على سبيل المثال — « المرض ، الميل ، أقول لما مالت عيون الحضرة المطلوبة للعارفين من جانب الحق سبحانه بالرحمة والتلطف إلينا أمالت قلبي بالتعشق إليها » .

فليت شعرى ما هذا الالتواء ، وعلام التستر بعد الوضوح ؟ وإذا كنا نعلم أن صاحبته الأولى فارسية من بنات الملوك فى أصبهان ، فكيف يمكننا أن نفهم هذا الفهم الغريب ؟ وهل يعيب الصوفى أن يسجل صبابته الأولى بشعر يتغنى به الناس ؟ ! لعل الشيخ قد أراد أن يبرز للناس مقدرته العجيبة فى التأويل والتخريج جرياً على ما اشتهر من ادعائه العريض ! !

إن الذى يتعبنا كثيراً فى غزل المتصوفين هو أننا نحمله حملا على المعانى الروحية المقدسة ، سواء أنطق بذلك أم لم ينطق ، وهنا توجد المشكلة العويصة ، فكثير من الأبيات تصدم العقول بأحجار ثقيلة ، فلا يمكن أن تنطبق على الحقيقة الإلهية التى يعنيها العارفون ، وهذا ما دفع بعض الشراح إلى التحامل الزائد على ابن الفارض رضى الله عنه ، ولو أننا أوجدنا الفوارق بين النسيب الإنسى والغزل الإلهى لأرحنا عقولنا من التعب الشديد . وهل يعيب المتصوف أن يكون ذا لونين فى غرامه مادامت عاطفته ملتهبة فى كلتا الناحيتين ؟ وما دامت هناك فوارق زمنية تفصل بين النوعين ، حيث أن من المسلم به أن الهائم بربه لا يمكنه أن يلتفت إلى غيره بحال من الأحوال ؟ وهل نقول لشاعر تصوف بعد أن قضى شبيبته فى الغزل الحسى : مزق نسيبك الأرضى ، وافتح لك فى كتاب القريض صحيفة جديدة ، كيلا يفهم نسيبك الأول على حقيقته الإنسانية ؟ ! لم كل هذا أيها الناس ! !

على أن العواطف الآدمية فى الغزل الإلهى لا تختلف عنها كثيراً فى النسيب الإنسى ، فالعاشق يذكر الغيرة والنحول والسهد كما يذكر ذلك العارف ، ولا ريب فالينبوع الدافق للشعر الغزلى هو الشعور ، وهو هو فى شتى الأوضاع لا يختلف توهجاً واشتعالا عند المحبين ، ومن هنا كانت النتيجة واحدة عند الرجلين فالجنون والصرع والتيه قواسم مشتركة بين المدنفين ، وإذا كان الأصمعى قد يجول فى الصحارى الشاسعة ، وتنقل بين الخيام النائية ليسمع آهاته المدلهين ويروى أسمار المتيمين من عشاق البادية ، فلم يفته أن يدلف إلى المغارات السحيقة ، ويتسلق القمم الشاهقة ويطوف بالبيت المعظم ليرى بعينيه دموع العارفين تتساقط ، وزفرات الواصلين تتصاعد ، علماً منه أن هؤلاء لا يقلون عن غيرهم ، لذة حديث ، وغرابة اتجاه ، بل إن سائلا سأله عن الحب فلم يسمعه كلام قيس أو عروة أو جميل ، بل ذكر له حديث هائم عارف ، وقد مهد له بقصة طريفة وصف فى آخرها الحب فقال : « جل أن يحد ، وخفى أن يرى ، كمن كمون النار فى الأحشاء ، إن قدحته أورى أو تركته توارى » . وأمثال هذه النوادر لا تندرج تحت حصر ، ولولا أنها وجدت ظلا من الحقيقة ما كان لها هذا النصيب الوافر من الذيوع .

ولقد كان الهائمون الواصلون يعتزون بغرامهم الإلهى اعتزازاً يفوق كل اعتزاز ، بل عدوه مفخرة عالية وميزة سامية لا تتاح إلا لمن حباه الله بالفضل الجزيل ، وهذا صحيح لا اعتراض عليه ، ولكن تنافس هؤلاء فيما بينهم قد دفعهم إلى مغالاة لا تسلم من الاعتراض ، فكل محب واصل — إلا من عصم الله — قد ادعى فى أكثر من مناسبة أنه فاق غيره فى محبة ربه ، ووصل إلى ما لم ينله أحد من الخلائق ، فليت شعرى ما مبلغ هذا الادعاء من الصحة ؟ وهل يمكن المدعى أن يقيم البينة على صحة ما يقول ، وهو يرى الأنبياء والملائكة والسابقين من الإنس والجن ، كل أولئك يتزاحمون بالمناكب ويتدافعون تدافعاً شديداً فى مضمارهم الخطير ، نعم قد يكون إخلاصه الزائد وتفانيه الشديد من عوامل هذا الادعاء ، ولكن أليس من الحسن الجميل أن يتواضع فى حبه ويتنازل عن كبريائه فى مثل موقفه المظلم ، فينال تقدير مريديه وسامعيه ، بل ربما جرهم تواضعه إلى تقدير منزلته تقديراً يصل بها إلى ما يريد . وأذكر أنى حين قرأت قول ابن الفارض :

كل من فى حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا

شعرت كأنى مختنق مغيظ ، وما زلت أنقب وأحلل ، وأنتقل من تعليل إلى تعليل حتى انتهيت إلى قوله :

ولقـد يجل عن اشتياقي ماؤه   شرفاً فواظمئى للامع آله
فاربحت كثيراً لتواضـعه ، وكأنى نسيت ما سلف من ادعائه ، فأقبلت على مطالعة ديوانه بلذة وشغف ، ولا ريب فقد قام البيت الثانى من البيت الأول مقام الاستغفار من الذنب العظيم ! !

وإذا تركنا ابن الفارض وانتقلنا إلى الشيخ الأكبر محيي الدين نجده قد جال فى ميدان الادعاء جولات خطيرة عاصفة ، فقد عز عليه أن يفهم الناس أن النبي المرسل فى درجة تفوق منزلة الولى الواصل ، فانبرى يوازن موازنة جريئة بين النبي والولى ، ثم أعلن — فى غير تريث — « أن الرسول لا يمتاز إلا بالتشريع ، أما الولى فميزته الكبرى هى الاطلاع على أسرار الوجود » . وهذا ادعاء أى ادعاء ، ولكنه من شطحات القوم . وكم للصوفيين من مزالق محرجة ؟ ! فهل تكون مفقودة لدى معشوقهم الحبيب ؟ !

إن الرسول قدوة مثلى للناس ، فكل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير ، فنحن ملزمون بالتمسك به ، أما الولى فليس من ذلك فى كثير أو قليل ، بل إن فريقاً كبيراً من رجال الدين قد نصوا على وجوب التحفظ الشديد مع الأولياء ، وخاصة بعد أن اتسعت هوة الخلاف فى المسائل الكلامية ، وانتشر على يد فريق من المتصوفة القول بمبادئ غامضة لا تدركها الأفهام . ومهما يكن من شيء ، فقد جعل رجال الشريعة للقوم حالتين : حالة الصحو ، وحالة الغيبوبة ؛ أما الأولى فهم ينطقون فيها بما يتفق مع الشريعة ، لأن العارف مستيقظ منتبه ، فهو مؤاخذ على كل ما يصدر منه كما تؤاخذ العامة سواء بسواء . وأما الحالة الثانية وتسمى بحالة السكر عند بعض الكاتبين ، فلا يلام فيها الواصل على رأى ، أو يؤاخذ بجريرة قول ، لأنه غائب عن وعيه ، قد ستر إدراكه بغواش متلاحقة لا يعلم لها كنه . ويذكرون أن أبا بكر الشبلى رضى الله عنه قد دخل على الجنيد ومعه زوجته ، فأرادت أن تستتر عنه ، فقال لها الجنيد : تمهلى تمهلى ... فهو فى حالة سكره لا يدرك شيئاً مما أمامه ! وحين مضت مدة غير يسيرة أشار لها بالاستتار حيث قد انتقل صاحبه من حال إلى حال . ومعلوم أن الجنيد رحمه الله من القلائل الذين يتمسكون بتعاليم الشريعة ، فلا يرون أنفسهم من فصيلة أخرى ترتفع عن الناس ، ومع ذلك فقد عرف صاحبه فى حالتيه ، ومن عسى أن يكون أنبه منه فى الادراك والتمييز ؟ !

وكنت أوثر أن نعتبر المتصوفين فى حالة واحدة مدى الحياة ، وهى حالة الغيبوبة والسكر ، فلا نجعل لهم من الصحو وقتاً نؤاخذهم فيه على الأقوال والأفعال ، وإلا فقد أدت هذه المؤاخذة إلى الإطاحة برءوس مفكرة . وكتب التصوف مليئة بأخبار من استشهدوا فى هذا الميدان . وكم يقع القارئ فى حيرة شديدة حين يرى الصوفى العارف ينطق بما يعتبر بعيداً عن الحق ، فيساق إلى مصرعه السريع ثم يأتى — بعد — من رجال الدين وأعلام الشريعة من يبرر قوله ويوجه مذهبه توجيهاً لا يخرج عن المنطق السديد — كما فعل الغزالى مع الحلاج مثلا — فبأى جريرة إذن سفك هذا الدم ، وكيف غاب هذا التأويل عمن أثاروا الغبار ، وأيقظوا السيوف من الأغماد ؟ الحق أنها حيرة شديدة أتلمس الخروج منها فلا أستطيع !!

إن التصوف محنة قبل أن يكون نعمة ؛ فالعارف يكابد من الأهوال ما يقض المضجع ويسيل الدامع ، ثم هو بعد ذلك يتهم فى دينه ، ويساق إلى حتفه كما تساق الشياه !!

ولكن أى هول يكابد ؟ لا يقدر ذلك غير من سار فى الطريق بضع خطوات ، فعرف كيف تحارب النفس ، ويضطهد الجسد ، وتندلع فى القلب ألسنة اللهيب !!

إن الشاب فى عنفوان قوته يصوم اليوم الواحد فى ألم وامتعاض وما يكاد يسمع الآذان عند الغروب حتى يهجم كالليث على المائدة الحافلة بما لذ وطاب ، فما يذر من شيء أتى عليه ، وهؤلاء المساكين يصومون الأيام الطويلة ولا يفطرون بغير الماء وكسر يابسة من الخبز لا تقوى على تحطيمها الأنياب !!

إن الشاب الفتى لا يتسلق قنن الجبال إلا فى وضح النهار ، قوة مجندة من رفقائه ، وعدة مدخرة من الأسلحة الفاتكة ، يتقى بها الهوام والسباع ، وهؤلاء المساكين يسعون فى حنوس الليل إلى التلال والهضاب فيتفكرون فى ملكوت السموات والأرض فإذا حطمهم اللغوب ، هجعوا قليلا فى الكهوف والمغارات ! !

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

فى آفاق حافظ ابراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ حسين مهدي الغنام

الشاعر الحق هو من ينظم فى كل ما يوحى إليه ترجمة عواطفه ، سواء كان ذلك عاقلا أم جاداً .

ولقد يقتصر شاعر من الشعراء على غرض واحد من أغراض الشعر ، ينظم فيه طيلة حياته ، فيبلغ الذروة فى هذا النمط الواحد وقد لا يستطيع أن ينظم فى غرض آخر ، ولكنك لن تستطيع الا أن تمده شاعراً من أكابر الشعراء ، وإن قصر فى غير الناحية الواحدة .

وقد يحكم لشاعر بقصيدة واحدة !

وكثيرون من الشعراء ينظمون فى مختلف الأغراض ، ويعددون أنماط شعرهم ونظمهم ، وقد يكونون رابع الشعراء الذين يقصدهم ابن رشيق فى كتابه العمدة !

وقليلون من أجادوا فى تلك النواحى والأغراض المختلفة ..

ومن هذا النمط من الشعراء كان شاعرنا حافظ ابراهيم .

فلقد تعددت آفاقه فى نظم الشعر ، وأسهم فى كل فن من فنونه ، صادق القول ، قوى التعبير ، جيل الأداء ، مرهف الاحساس ، متدفق البيان .

ولم يكن حافظ شاعراً فحسب ، ولكنه كان كاتباً أيضاً ، وإن لم يكن نثره فى مرتبة شعره .

وهذه بعض آفاق حافظ التى حلق فيها شاعراً مرهفاً ، وناثراً بليغاً .

١ — شاعر مصري :

كانت البيئة المصرية التى نشأ فيها حافظ مليئة بما يؤز جوانب المخلصين من أبناء البلد ويقض مضاجعهم ، فقد كان الانحطاط سائداً فى كل ناحية من نواحيها .

فالجهل يخيم على الشعب كله تقريباً .

والاحتلال البغيض يقيد الشعب ورائديه ، ويكم أفواه هؤلاء ، ويلقى بهم فى غيابات السجون .

وهنا ظهر حافظ .

ظهر حافظ فكان لسان الشعب الناطق ، يصف شعور الجمهور ويذكيه ، وإن كان يشعر أن لسانه مقيد ، وقلمه مراقب ، وسيف الجلاد يلمع أمام ناظريه ، ولكن هل يصمت ، كما قال :

إذا نطقت فقاع السجن متكأى
وإن سكت فإن النفس لم تطب

كان شعور حافظ فى هذه الفترة ممثلا فى هذا البيت خير تمثيل . ولم يكن هذا شعور حافظ وحده ، ولكنه كان شعور المصريين بل الشرقيين جميعاً !

من الواضح أن حافظاً تأثر بالبارودى تأثراً شديداً فى حياته ومنهجه ...

ويعتبر البارودى أمام المدرسة الحديثة فى الشعر المصرى التى خرجت على أساليب المترمتين فى الجيل السابق له ، فعاد البارودى ومن خلفوه بالشعر العربى إلى بعض عصوره الزاهية إبان النهضة العربية .

وقد قامت الثورة العرابية أيام البارودى ، بل كان البارودى بطلا من أبطالها المعدودين ، ولكنه لم يساهم فيها بقلمه وشعره ، بل ساهم فيها بسيفه ورأيه الفنى . وهو الحد الفاصل بين مدارس الشعر القديمة ، وفاتح أبواب المدارس الحديثة ، بل إمامها ورائدها ...

ولقد جاء حافظ من بعد البارودى فكان الحلقة المتوسطة بين المدرسة التى وضع أساسها البارودى ، وبين المدارس التالية التى أنشأها شعراء الجيل الجديد .

إلا أن حافظاً لم يسر سيرة البارودى فى ثورته ، فلقد أسهم حافظ فى ثورات المصريين التالية بشعره ، ولم يكن رائداً فيها بسيفه ...

ومن هنا كان حافظ بحق أول شاعر مصرى حديث ينطق بلسان شعبه ، وبلسان الأمم الشرقيه الشقيقة .

فهو يستحث الشعب على مقاومة الغاصب ، ومحاربته ، ويستنهض الهمم ، ويستنفر النفوس ، ولم يقتصر على السياسة !

فحسب ، وإن كان له فى السياسة والوطنيات ديوان ضخم قائم برأسه ، ولهذا لا أريد أن أنقل منه شيئاً هنا ، فقصائده عديدة ومشهورة .

ولكن حافظاً طرق أبواب الاصلاح كلها ، وحث المصريين على إصلاح عيوبهم الداخلية ، وحياتهم الاجتماعية المتأخرة ، ونعى عليهم عاداتهم السخيفة ، وتقاليدهم المزرية ، وشتى نواحى حياتهم المظلمة الراكدة ، وتكاسلهم وتوانيهم وقعودهم عن العمل والهجرة فى طلب الرزق ، فهو ينقد الألقاب ، والتكاسل ، وغيرها ، إذ يقول :

وهل فى مصر مفخرة سوى الالقاب والرتب
وذى إرث يكاثرنا بمال غير مكتسب
وفى الروى موعظة لشعب جد فى اللعب

أمة قد فت فى ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها أم بها صرف الليالى لعبا

ثم هو يدعو إلى الاصلاح الاجتماعى الشامل فى كل شىء ، فاقرأ قصائده فى جمعيات رعاية الأطفال ، وقصيدته فى مدرسة بور سعيد للبنات :

لا تهملوا فى الصالحات فإنكم
لا تجهلون عواقب الأهمال

من لى بتربية النساء فإنها فى الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

***

ربوا البنات على الفضيلة أنها فى الموقفين لهن خير وثاق
وعليكمو أن تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقى

لو وفى بالزكاة من جمع الدنيا وأهوى على اقتناء الحطام
ماشكا الجوع معدم أو تصدى لركوب الشرور والآثام
راكباً رأسه طريداً شريداً لا يبالى بشرعة أو زمام
سائلا عن وصيه الله فيه آخذاً قوته بحد الحسام

فهؤلاء هم الذين ينشأون لصوصاً !

ثم يقول فى الجامعة المصرية القديمة :

حياكم الله حيوا العلم والأدبا إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم إلا بجامعة تكون أماً لطلاب العلا وأبا

وهو ينعى انحلالنا الاقتصادى كانحلالنا السياسى ، فيقول فى الشركات وفى اليهود :

وما الشركات السود فى كل بلدة سوى شرك يلقى به من تصيدا

لقد سعدت بغفلتنا فراحت بثروتنا ، وأولها (الترام)
فياويل القناة إذا احتواها بنو التاميز ، وانحسر اللثام

وفرج أزمة الأموال عنا بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا فقد ضاقت بها حيل اليهود

ارحمونا بنى اليهود كفاكم ما جمعتم بحذقكم من نقود

فمصر هى فى نظره وفى خلده :

لا مصر تنصفنى ولا أنا عن مودتها أريم
وإذا تحول بائس عن ربعها فأنا المقيم

ولا نظن أبياته القادمة إلا أنها ستظل خالدة يرددها المصريون ما داموا فى نكباتهم السياسية والاقتصادية يتخبطون ، لأنها تصور أحوالنا الحاضرة خير تصوير ، وتنطق بلسان كل مصرى مخلص :

متى أرى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقب
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت
جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألم بها قرم تردد بين الموت والهرب

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرض من الذهب
والقوم فى مصر كالأسفنج قد ظفرت
بالماء لم يتركوا ضرعاً لمحتلب

٢ — شاعر شرقى :

ولم تقف آفاق حافظ عند مصر فحسب ، ولكنها شملت الشرق كله ، قاصيه ودانيه .

فكان يتوجع للأمم الشرقية السليبة ، كما قال شوقى : كلنا فى الهم شرق ! .

ومن هذا قصائده فى الترك ، والمغرب ، وسوريا ...

وكان يفخر بالأمة الشرقية الناهضة ، كفخره باليابان الفتية المتجددة ، وقصائده فيها معروفة . فليته حى ليقول فيها اليوم قولا ...

ثم إنه يحب أن يرى الوئام سائداً بين الشرقيين جميعاً ، ولا يتخذ الغاصبون من تنابذ الشرقيين بالأديان سبيلا إلى التفرقة بينهم . قال فى عيد الدستور العثمانى :

تحالف فى ظل الهلال إمامه وحاخامه ـ بعد الخلاف ـ وراهبه
خذوا بيد الإصلاح والأمر مقبل فإنى أرى الإصلاح قد طر شاربه

وقال فى غزو الطليان لطرابلس :

بارك المطران فى أعمالهم فسلوه بارك القوم على ما
أبهذا جاء إنجيلهمو آمراً ، يلقى على الأرض سلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا وجلوا عن أفق الشرق الظلاما

وقال فى تحية العام الهجرى ١٣٢٧ هـ :

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منى وما بدلوا فى المشرقين وغيروا
وإن لم يقم إلا (نيازى) و (أنور) فقد ملأ الدنيا (نيازى) و (أنور)

فى هذه القصيدة وحدها سجل ما مر على الشرق كله فى عام ، فقد جمع ما قامت به دوله من نهضات ، وما لمح فيها من بوارق نهضات وتقدم ، وفيها إهابة بالشرق أن يسير دائماً إلى الأمام ، وفيها أمان بعيدة عالية ، إذ يقول :

مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى وفى مصر أيقاظ على مصر تسهر
وقد كان (مرفين) الدهاء مخدراً فأصبح فى أعصابنا يتخدر

ثم يناشدهم فيقول :

رجال الغد المأمول إنا بحاجة إلى قادة تبنى وشعب يعمر

ويمضى فى هذه المناجاة والإهابة حتى يبلغ قوله :

فما ضاع حق لم ينم عنه أهله ولا ناله فى العالمين مقصر
لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ونحن على الآثار لا شك نظفر

وكذلك قصيدته فى العام الذى يليه ...

وإنك بمقارنتك بين هاتين القصيدتين تدرك آمال حافظ التى ظل يتغنى بها فى مصر والشرق جميعاً طيلة حياته .

ففى الأولى تسجيل للأمل الذى بدا بنهضة الأمم الشرقية ، وفى القصيدة الثانية ثورة ، لأن كل ما أمل حافظ فى تحقيقه لم يتحقق !

يقول فى الثانية :

أشرق علينا بالسعود ولا تكن كأخيك مشؤوم المنازل أخرقا
قد كان جراح النفوس فداوها مما بها وكن الطبيب موفقاً
هلا حين لمحت نور جبينه ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو أنها تليت على الصخر الأصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه مصراً وأسرف فى النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبئه لنا لسألت ربى ضارعاً أن يمحقا

ولكنه يعود فلا ييأس ، ويخاطب شباب البلاد :

أهلاً بنابتة البلاد ومرحبا جددتمو العهد الذى قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

ولقد كان حافظ يريد أن يرى الشرق ناهضاً حياً ، ذا قوة ترهب الغرب ...

ولكن . . !

إلا أنه يتفاخر بأية أمة شرقية قوية ، ناهضة ، تطاول الغرب وتهزمه .

قال فى حرب طرابلس ما قال ، كما تقدم ، ولكن قف عند هذا البيت من تلك القصيدة :

أيها الحائر فى البحر اقترب من حمى (البسفور) إن كنت هماما

إن هذا البيت من شعر حافظ يصور لى حافظاً كالأسد السجين فى قفص !

فبمن يتفاخر حافظ ؟

إنه لا يجد أمامه غير تركيا ، فيتحدى بيسفورها أسطول الطليان ، ويطلب إليه أن يقترب من حماه إن كان شجاعاً ، فسيضربه الترك ، وإن عجز عن ضربه المغاربة ...

وشىء خير من لا شىء ...

ولكنه حافظ السجين الطليق ، الذى يأمل ويتمنى ويريد ، ولكن الأقدار لم تسعده فتسعفه بما أراد !

ويظل حافظ بين عاملى الأمل واليأس والتفاخر والاستنهاض فإذ تسمعه يقول :

يا ليتنى لم أعاجل بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالا له ورفعة شأن
وليعلم الغرب أنا كأمة اليابان
لا نرتضى العيش يجرى فى ذلة أو هوان

تراه يقول أيضاً :

فاطمئنى أمم الشرق ولا تقنطى اليوم فإن الجد قاما
إن فى أضلاعنا أفئدة تعشق المجد وتأبى أن تضاما

٣ — شاعر ساخر :

ومن النواحى البارزة فى شعر حافظ سخريته اللاذعة ، فقد كان يصب غضبه ونزوته فى أبيات من الشعر ساخرة شديدة المرارة ، وإن جاءت فى معرض النصح والجد والوطنية !

قال فى قصيدة (آلامنا وآمالنا) المرفوعة إلى البرنس حسين كامل باشا :

فلا تثقوا بوعد القوم يوماً فإن سحاب ساستهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فإنى أرى السواس ليس لهم ذمام
فكم ضحك العميد على لحانا وغر سراتنا منه ابتسام

وقال إلى روزفلت فى زيارته لمصر :

يا نصير الضعيف مالك تطرى خطة القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم فى حماكم من دونهم ألف سور
أنت تطريهمو وتثنى عليهم نائياً آمنا وراء البحور

***

وعجيب يفوز هذا بانطلاق وهذا فى ذلة المأسور
يا نصير الضعيف حبب إليهم هجر مصر تفز بأجر كبير
فليهم أن يهجروا وعلى المصرى ذكر اللئيم المهجور

والأبيات الآتية من قصيدته فى استقبال السير جورست :

قتيل الشمس أورثنا حياة وأيقظ هاجع القوم الرقود
فليت كرومرا قد دام فينا يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد آن بمجلود ومقتول شهيد
لتنزع هذه الأكفان عنا ونبعث فى العوالم من جديد

***

بحمد الله ملككم كبير وأنتم أهل مرحمة وجود
خذوه فأمتعوا شعباً سوانا بهذا الفضل والعلم المفيد
إذا استوزرت فاستوزر علينا فتى كالفضل أو كابن العميد

***

لحى بيضاء يوم الرأى هانت على حمر الملابس والحدود

***

وفرج أزمة الأموال عنا بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا فقد ضاقت بها حيل اليهود

كما قال ساخراً من سكوت المصريين على الضيم :

فيا ليت لى وجدان قومى ! فأرتضى
حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه

وقوله :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هى أمة تلهو وشعب يلعب

واقرأ كذلك قصيدته فى وداع اللورد كرومر ، فإن فيها من السخرية ما ينم عن روح حافظ فى هذا الضرب .

ومن سخريته القاتلة قوله فى حرب طرابلس :

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملؤوا الدنيا كلاما
خبروا (فكتور) عنا إنه أدهش العالم حرباً ونظاما
أدهش العالم لما أن رأوا جيشه يسبق فى الجرى النعاما
لم يقف بالبر إلا ريثما يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا منة نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عدة ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان فى أيديكمو ذا كلال فغدا يفرى العظاما

ففى هذه الأبيات يصف حافظ الطليان على حقيقتهم ، كما عرفناهم ، حتى فى الحروب الأخيرة !

(البقية فى العدد القادم)

حسين مهدى الغنام

مخطوط لم يعرف من قبل
ابن سينا والبعث

للأستاذ سليمان دنيا

(تتمــة)

إنتهينا فى مقالنا السابق إلى أن ابن سينا يمكن اعتباره قائلا بأن البعث روحى فقط ؛ ورأينا أن المطاف حول نصوصه فى هذا المقام — أخذا من الشفاء ، والنجاه ، والإشارات — ينتهى ، رغم تضاربها إلى إنـكار البعث الجسمانى .

لـكن تاريخ الفـكر الإسلامى ، ما كان ليقنع من ابن سينا فى موضوع خطير كموضوع البعث ، بادعاء قصاراه الإمـكان والتجويز ، أو الترجيح وغلبة الظن . ليس معه من الشواهد والأدلة — حتى فى نظر صاحب الادعاء — ما يسمو به إلى مصاف النظريات العلمية .

وقد كان ابن سينا عند ظن العلم به ، فلم يقنع هو من نفسه ، كما لم يقنع منه العلم ، بهذه الوقفة الحائرة ، فراح يشرع قلمه ليدبج عصارة فـكره فى هذا المقام .

وقد دلنا البحث والتنقيب على أن له فى هذا الموضوع كتابين :
أحـدهما يعرف بـ « رسالة فى المبدأ والمعاد » .
وثانيهما يعرف بـ « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » .

وإذا كان ابن سينا قد أفرد كتابين لموضوع كهذا جرت عادة غيره بأن يتكلم عنه كلاماً ، يعد وافيا فى بابه ، ضمن كتاب لا فى كتاب مستقل ولا فى كتابين ، كان الأمل قويا فى أن يتكشف ابن سينا على حقيقته فى هذه المسألة ، وأن ينجلى الموقف عنده فيها انجلاء ، لا يبقى معه مجال لهذه البلبلة الفكرية التى أوحت بها كتبه الأخرى ، بما تحمل من أفكار متضاربة ، وأراء متنافرة متعارضة .

رجعت إلى أول الـكتابين فإذا هو يقول فى مقـدمته : « ... وبعد فإنى أريد أن أدل فى هذه المقالة على حقيقة ما عند المشائين ، بين المحصلين من حال المبـدأ والمعاد ، وتقربا به إلى الشيخ الجليل أبى أحمد محمد بن إبراهيم الفارسى ... الخ » .

ولما كنت قد عرفت رأى ابن سينا فى المشائين ، وأنهم عنده من عامـة المتفلسفة ، لا من خاصتهم ، وأنه كان ينحو نحوهم ويؤلف على غرارهم حين يكتب للعامة ؛ أما الخاصة فإنه يدخر لهم أراء أخرى مخالفة لأراء المشائين كثيراً من المخالفة ، يودعها كتبا يختصهم بها — انظر المقال السابق ، نص منطق المشرقيين — ، فقد نزعت الثقة من هذا الـكتاب كمصدر يؤرخ منه لابن سينا ، وإن صح اعتباره مصدراً يؤرخ منه للمشائين كما يفهمهم ابن سينا إذ ليس يكفى أن يوضع اسم المؤلف على الـكتاب ، ولا أن يكون صحيح النسبة إليه ، ليتخذ مصدراً يؤرخ منه له ، بل يجب أن يتحرى وراء التثبت من صحة النسبة ، عن أمر آخر ليس دون صحة النسبة أهمية ؛ ذلك هو قيمة المؤلف فى نظر صاحبه ، أعنى لمن ألفه ؟ ! هل ألفه ليصور به فـكرته وعقيدته ؟ ! ... أم ألفه لأناس آخرين تنزل فيه إلى مستواهم ؟ ! وفى ضوء هذا يمكن اعتبار الـكتاب مصدراً يستمد منه التأريخ لمؤلفه ، أو عـدم اعتباره كذلك .

ولا شك أن إغفال هذه النظرة يوقع فى خلط واضطراب شديدين ، وقد تبينت ذلك واضحا فى دراستى للغزالى ؛ إذ تضارب الـكاتبون عنه تضاربا شديداً ، وتأدوا فى بحوثهم إلى أحكام متعارضة ، واعتصم كل منهم فى تأييد وجهـة نظره ، بكتاب من كتبه صحت نسبته إليه ؛ مما حير العقول وبلبل الأفـكار ، ومن أجل هذا اعتبر شخص الغزالى مشكلة من مشاكل العلم التى تتطلب الحل والإيضاح ، قال « دبور » : « إن أمثال الغزالى معضلة فى نظر العـلم ، فأشخاصهم حقائق روحية تحتاج إلى توضيح » .

وكان ذلك من غـير شك نتيجة لإهمالهم هذا المبدأ الذى هو الطريق الوحيـد ، لإضافة الفـكرة إلى المؤلف مع الوثوق من أنها تصور رأيه وتعبر عن عقيدته ؛ فلما أخذت فى دراستى له بهذا المبدأ ، أبرزته فى كتابى عنه « الحقيقة فى نظر الغزالى » شخصية واضحة مفهومة ، لا تضارب فيها ولا تعارض .

ومن حسن حظ العلم أن المؤلفين الذين لهم جوانب متعددة ومظاهر متباينة ، قد عنوا بالدلالة على الـكتب التى تصور آراءهم التى يرتضونها لأنفسهم ، تمييزاً لها عن غيرها التى تصور أفكاراً

أخرى لا يدينون بها .

فمثلا نجد الغزالى يقول فى كتابه «الأربعين فى أصول الدين» ط الكردى ص ٢٥ :

« ومعرفة أدلة العقيدة قد أوردناها فى الرسالة القدسية فى قدر عشرين ورقة ، وهى أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الإحياء .

وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تأنق فى إيراد الأسئلة والإشكالات ، فقد أودعناها كتاب « الاقتصاد فى الاعتقاد » فى مقدار مائة ورقة ، فهو كتاب مفرد برأسه يحوى لباب علم المتكلمين ، ولكنه أبلغ فى التحقيق ، وأقرب إلى قرع أبواب المعرفة ، من الكلام الرسمى الذى يصادف فى كتب المتكلمين .

وكل ذلك يرجع إلى الاعتقاد ، لا إلى المعرفة ، فإن المتكلم لا يفارق العامى إلا فى كونه عارفا ، وكون العامى معتقدا ، بل هو أيضاً معتقد ، عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ، ليؤكد الاعتقاد ويستمده ، ويحرسه من تشويش المبتدعة ، ولا تنحل عقدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة .

فإن أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة ، صادفت منها مقداراً يسيرا مبثوثاً فى كتاب الصبر والشكر ، وكتاب المحبة ، وباب التوحيد ، من أول كتاب التوكل ؛ وكل ذلك من كتاب الإحياء .

وتصادف منها مقداراً صالحاً يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » لا سيما فى الأسماء المشتقة من الأفعال .

وإن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة ، من غير مجمجة ولا مراقبة ، فلا تصادفه إلا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها . وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتستهدف المشافهة بصريح الرد ، إلا أن تجمع ثلاث خصال :

الأولى : الاستقلال فى العلوم الظاهرة ، ونيل رتبة الإمامة فيها .

والثانية : انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية ...

والثالثة : أن يكون قد أتيح لك السعادة فى أصل الفطرة الخ .

***

وهذا هو ابن سينا يقرر فى مقدمة كتابه « رسالة فى المبدأ والمعاد » أنه ألفه على مذهب المشائين ، فيجب — قبل الحكم بأن ما جاء فى الكتاب يصور رأى ابن سينا أولا يصوره — أن يعرف رأيه فى المشائين ، وهل هو يوافقهم ؟ أو يخالفهم ؟ ! وهذا هو نصه فى مقدمة منطق المشرقيين صريح فى أنه لا يدين بكل ما يدين به المشاءون ، ومن المحتمل أن يكون أمر البحث من المسائل التى اختلف فيها معهم ، فلا بد إذن من البحث عن مصدر آخر .

وفضلا عن ذلك فقد جاء فى عبارات الكتاب ما يدل على أن للمسألة عنده غورا ، وأن لها سرا لم يفض به فى هذا الكتاب كقوله « وهذا كلام مغلق ، تحته معان كثيرة ، فى شرحه على الحقيقة تكون النجاة » .

أصبح الأمل بعد هذا معقوداً بالكتاب الثانى . — رسالة أضحوية فى أمر المعاد — ، فلندرسه لنرى قيمته فى نظر ابن سينا ، بعد ما أجمع الباحثون على صحة نسبته إليه .

والقرائن المحيطة بالكتاب تدل على أن ابن سينا صور فيه رأيه ، وأبان معتقده :

أما أولاً : فلأن ابن سينا وهو يتحدث فى الإشارات عن البعث ، أحال استكمال القول فيه على كتاب آخر فيه سعة من القول ؛ والإشارات كما هو معلوم للباحثين يصور آراء ابن سينا التى يدين بها ويعتقدها ، فإذا أحال فيه على كتاب كانت قيمة الكتاب المحول عليه ، خصوصاً بالنسبة للبحث المشترك بين الكتابين ، من قيمة الكتاب المحول فيه ، وقد علمنا أنه نفض يده من الشفاء والنجاة ورسالة فى المبدأ والمعاد ، فلم يبق من الكتب التى تصلح أن تكون مرجعاً استوفى البحث واستكمله حتى يصلح للاحالة عليه إلا كتاب «رسالة أضحوية فى أمر المعاد» وهاك نصه فى الإشارات ط ليدن ص ١٩٧ « ثم ابسط هذا ، واستغن — وفى نسخة : واستعن — بما تجده فى موضع آخر لنا » .

وأما ثانيا : فلأن الغزالى قد استمد رأى ابن سينا فى البعث من هذا الكتاب ، والغزالى دارس متعمق ، وقريب عهد بابن سينا وبكتبه ، فهو أعرف بما يصور رأيه وبما لا يصوره . واتهام الغزالى

بأن خصومته لابن سينا تمنع من التعويل على رأيه فيه ؛ يدفعه أن المدافعين عن ابن سينا ضد الغزالى أمثال ابن رشد، لم يحاولوا قط أن يتهموا الغزالى — خصوصاً فى هذه المسألة — بأنه استقى معلوماته عنها من مصادر لا تعبر عن وجهة نظر ابن سينا التى يدين بها .

وأما ثالثاً : فلأن الكتاب نفسه، ليس فيه شىء مطلقاً ، يدل على أن ابن سينا لم يعبر فيه عن رأيه ، ولم يصدر فيه عن معتقده ؛ والأصل فى الكتاب — متى صحت نسبته لصاحبه — أنه يصور رأيه ، إلا إذا وجد من القرائن والدلائل ما يصرف عن ذلك .

وفضلاً عن هذا فالكتاب يتلخص فى مرحلتين :

إحداهما : التعريف بكل الآراء التى قيلت فى المسألة .

والثانية : نقد كل هذه الآراء ، إلا رأياً واحداً استبقاه واستصفاه ، وساق على صحته كثيراً من الأدلة . ويحس قارىء الكتاب أن ابن سينا أفرغ فى هاتين المرحلتين كل قواه ، فلم يدخر جهداً فى هدم ما هدم ، ولم يدخر وسعاً فى تأييد ما أيد .

وعملية النفى والإثبات على هذا النحو من التتبع والتقصى ناطقة بأنها المنهج الصحيح للابانة عن مذهب المؤلف ورأيه الشخصى .

* * *

وفى كتاب « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » هذا ، نجد ما حكى الغزالى عن ابن سينا من أدلة إنكار البعث الجسمانى ؛ وعند ذاك نجد ما نسد به تلك الثغرة التى كانت شاغرة فى تاريخ الفكر الإسلامى . وكنا قد أبنا فى مقالنا السابق أن لهذه الثغرة جانبين :

أحدهما : يتصل بابن سينا ، أعنى هل قال ما نسبه إليه الغزالى فى كتابه التهافت من أدلة إنكار البعث الجسمانى ، أم لا ؟! ، ضرورة أنه إن كان قائلا بها ، يكون قائلا بإنكار البعث الجسمانى على سبيل القطع ، دون أن يفسح المجال لشك أو تردد . وقد ثبت أنه قائل بها .

وثانيها : يتصل بالغزالى ، أعنى هل هو ثقة حين يتحدث عن فرق خاصمهم ورد عليهم ، ممن طال العهد بهم بحيث لا يتيسر لنا الرجوع إلى مصادرهم الأصلية ؟! أم هو فى موضوع الشك والاتهام ؟! ، وقد ثبت أنه ثقة خصوصاً فى تلك المسألة التى أجرينا امتحانه فيها .

وبعد فلعلنا أيها القارىء الكريم قد شوقناك إلى كتاب « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » ، وما راءٍ كمن سمع ، وقريباً إن شاء الله يكون فى يدك ، فلقد تفضل مشكوراً الأستاذ البحاثة مدير المعهد الفرنسى باستحضار صور لجميع مخطوطاته الموجودة فى مكتبات العالم ، ليستعان بها على إخراج نص صحيح ، وقد راجعنا هذه الأصول كلها ، وعلقنا عليها ، وقدمنا الكتاب للطبع ، وهو الآن بالمعهد ينتظر دوره .

سليمان دنيا
مدرس الفلسفة وعلم العقيدة
بكلية أصول الدين

الأدب والفن في أسبوع

حول الأنشودة الناعمة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامى بدكرنس ، كتاباً يدافع فيه عن عبد الوهاب وتلحينه لأنشودة فلسطين ، وهو بعد التحية :

« قرأت ما كتبتموه عن اللحن الرائع الذى وضعه موسيقار الشرق عبد الوهاب للأنشودة القوية التى نظمها الأستاذ الشاعر على محمود طه عن فلسطين . ولست أتفق معكم فى رأيكم ، فإن القراءة الهادئة للقصيدة وتفهم مراميها ومعانيها فهم أناة وروية ، ثم تنغيمها بعد ذلك التفهم من أى إنسان أوتى حظاً من رقة الحس ، ودقة الأذن ، ورهافة الوجدان لا يمكن أن يأتى إلا على هذا الغرار ، وفى هذا القالب الشجى من الإيقاع والتلحين .

فالقصيدة تخاطب كل عربى فى أرض العروبة ، تحثه على الانقضاض على ظلم اليهود ، ونبذ سياسة الصبر ، وتجريد الحسام دفاعاً عن الأرض المقدسة ، تخاطب القصيدة فى كل ذلك خطاباً تريد أن تصل به إلى عقله وقلبه حتى ينفض عن التمسك بالأناة ، ومجاراة أمم العالم فى سياسة السلام .

فليست القصيدة إذاً خطاباً إلى جيش يخوض المعامع فهى تستزيد حماسته ، وتلهب حميته ، وإنما هى خطاب إلى المسالمين يستنفرهم إلى اطّراح السلام ، ونداء إلى الوادعين يستنهض هممهم — بعد أن يبين لهم — ويستثير — عن إقناع — عزماتهم إلى دفع الخطر المحدق بهم ، دون تلبث أو انتظار .

وبعد : ألستم معى فى أن هذا اللحن ليس مائعاً ، وإنما هو لحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها ؟

ثم ألستم معى فى أن عبد الوهاب لا ينبغى له أن يأخذ « أجازة » فى هذا الظرف العصيب ... بل إن على الشعراء والناظمين أن يقدموا له من نتاج القرائح ما يقتضى اللحن العاصف والنغم الثائر ، والإيقاع المثير ، وعندئذ ينطلق صوت عبد الوهاب عاصفاً ، ثائراً ، مثيراً » .

حقاً إن القصيدة تخاطب كل عربى فى أرض العروبة ، تحثه على نبذ سياسة الصبر وتجريد الحسام إلى آخر ما قال الأستاذ وأضيف إلى ذلك أن القصيدة نفسها قوية فى غير جلبة ولا ضوضاء ، وهى من قبيل ما أدعو إليه من التأليف الذى يؤدى الحماس فى هدوء ، خالياً من الطنطنة والمبالغات . ولكن هل أدى التلحين والغناء ما فى القصيدة من القوة والحماس ؟ أو هل هما يسيران معه فى هذا السبيل ؟ هذه هى المسألة أو القضية التى يريد الأستاذ المحامى أن يكسبها . . ويلح فى ذلك بسؤاله إياى أن أكون معه فى أن اللحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها . . ويؤسفنى ألا أكون معه فى ذلك .

وحقاً إن القصيدة خطاب إلى المسالمين لاطراح السلام ، ونداء إلى الوادعين لاستنهاض هممهم ، واللحن والغناء كذلك خطاب للمسالمين والوادعين . . ولكن ليظلوا ناعمين وادعين . . لحن جميل ، وموسيقى حلوة ، وغناء رقيق عذب ، تتسلل إلى الأذن فى طرب يسلم إلى السكون ويبعث إلى وادى الأحلام .

إنه حين يغنى :

أخى قم إليها نشق الغمار دماً قانياً ولظى مرعدا

يحيل الدم إلى (شربات) ويجعل اللظى برداً وسلاماً !

وهو حينما يغنى :

فلسطين يفدى حماك الشباب وجل الفدائى والمفتدى

يذرو هباء ما فيه من الفداء وحماية الحمى ، ويضيع الشباب مع من ضيع فى الأوهام عمره ...

إن عبد الوهاب فنان عظيم ما فى ذلك من شك ، ولكن مجال فنه إنما هو العواطف الرقيقة الناعمة ، وهو يبدع فيه لأنه يصدر عن طبع أصيل ، فيستطيع أن ينقل إحساسه فى أنغامه إلى القلوب فيطربها ويأسرها ، ويشركها معه فى الشدو والترديد أما العواطف الحماسية ، فليست فى طبعه الفنى ، وهو إلى الآن لم يأت فى هذا الباب بشىء على وفرة إنتاجه فى عالم الغناء والموسيقى

وأنا لا أدعوه إلى مخالفة طبعه بالتلحين الحماسى ، لأنه يكون إذن متكلفاً ، والتكلف يفسد الفنون . ولو أنه تلقى من نتاج القرائح ما يقتضى اللحن العاصف والنغم الثائر ، كما يرى الأستاذ أبو النجا أن يفعل الشعراء والناظمون ، لما انطلق عاصفاً

ثائراً مثيراً إلا إذا جاوز الفن إلى التهريج .

وإنى لأرى أن أم كلثوم أقدر من عبد الوهاب على التعبير الحماسى ، ويبدو هـذا فى غنائها قصيدة « سلوا قلبى » فقـد استطاعت أن تجعل الجمهور يغلى ويفور فى بعض مواضع هـذه القصيدة .

وأذكر أن عبد الوهاب كان يدافع عن نفسه ، حين وجه إليه اللوم لعدم المشاركة فى الأغانى الحماسية ، بأن الشعب يردد أغانيه ذات الطابع العاطفى الرقيق ، ولا يسمع من أحد صدى لما لحنه هو أو غيره من أناشيد . وهذا يؤيد ما قلته ، لأنه يصدر فى النوع الأول عن طبعه فينتج إنتاجا حيا ، أما الأناشيد المتكلفة فهى تموت على أثر إلقائها . ومن الخطأ البين ما كان يقال من أن الشعب المصرى ميال بطبعه إلى اللهو فهو لا يقبل على إنشاد جدى فهذا هو الشعب كما نراه اليوم يسبق الفنون فى حماسه وقوته ، وهى تحاول أن تلحق به . .

ويماثل عبد الوهاب فى الغناء والموسيقى ، أحمد رامى فى النظم والتأليف فهو يسجل خفقات القلوب ويتتبع الأطيار على الأشجار ولكنه ظلم نفسه بـ « نشيد الشـــباب » الذى وضعه أخيراً وغنته أم كلثوم ، والذى يبدأ هكذا :

نادى المنادى يا شباب لبوا الندا ردوا العدا عن الوطن .

ثم يمط هكذا :

تضامنوا — الشرق يدعوكم إلى طرد العـدا

تعاونوا الله يهـديكم إلى نور الهـــدى

ثم يختتم بإرسال الحكمة هكذا :

من عاش منا فاز بالعيش الرغيد .

ومن يمت مجاهداً مات شهيد .

كلام عادى فاتر ، وتهبط الحرارة عن درجة الفتور عند ما يأمر بالتعاون ليهدى الله إلى « نور الهدى » .

وأم كلثوم هى التى تنطلق قوية مثيرة لو قدم لهـا المنظوم القوى النابض بالحياة ، وهي التى تستطيع أن تدك تـل أبيب بـ « وصلة » واحدة ... ولـكنها لا تغنى إلا ما تلفقه من شعر شوق ، وما يوضع لها خائراً واهناً ، وهى تكثر من ترديد أغانيها القديمة ، مثل أغنية « فضلت أسامح فى روحى » التى غنتها فى حفـلة بور سعيد التى أقيمت للترفيه عن جنود الجيش ، والتى لم نغن فيها شيئاً جديداً مناسباً للحال الحاضرة . ولست أدرى إلى متى تظل تلك المصالحة . ؟

التمهيد لمؤتمر اليونسكو :

كان المقرر أن تجتمع اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، فى الاسكندرية يوم ٢١ أغسطس القادم لوضع خطـة مشتركة بين الدول العربية وتوحيد وجهة نظرهـا فى الشئون الثقافية التى ستـكون موضع نظر مؤتمر الهيئة الثقافية العالمية (اليونسكو) الذى سينعقد بلبنان فى أكتوبر القادم .

وقد حدث أخيراً أن أبدت الحكومة اللبنانية رغبتها فى أن تنعقد اللجنة الثقافية بلبنان لتكون على مقربة من مركز المؤتمر . وقد أجابت اللجنة إلى هذه الرغبة فقررت أن يكون اجتماعها هناك .

ومن الموضوعات التى ستنظر فيها اللجنة فى هذا الاجتماع ، موضوع نشر الأفلام السينمائية التى ترمى إلى تقوية الروح القومية العربية وشعور التضامن والاتحاد بين العرب ، ومن ذلك المساعدة على إعداد أفلام فى البلاد العربية بقصد تعريف بعضها ببعض ، والمساهمة فى وضع أفلام ثقافية شعبية ومدرسية فى البلاد العربية ، وفى ترجمة نطق الأفلام الثقافية الغربية إلى اللغة العربية .

السينما والدعاية :

تفضـل حضرة صاحب الجلالة الملك بزيارة ميدان القتال بفلسطين فى هذا الأسبوع ، وقد سر جلالته بمـا رأى هناك وما وقف عليه من المعلومات والحقائق التى تتعلق بنظام الجيش وخطته فى القتال . وقال جلالته فى صدد التعبير عن سروره إنه يود لو كان المصريون جميعاً موجودين ليشاهدوا ما شاهد جلالته

قلت فى نفسى : ليست هذه الأمنية الملـكية الكريمة ببعيدة التحقيق ، ففى الإمكان أن تنقل السينما هـذه المشاهد الرائعة إلى جميع الناس .

وإن ممـا يؤسف له أنه قد مضى على حرب فلسطين قرابة شهرين تحدثت فيها الصحف وأذاعت الإذاعات عن انتصارات العرب وقصت قصص البطولة العربية فيها ، ووصفت أقـلام المراسلين المعارك وصفا رائعـاً ، ولـكن لم يعرض بإحدى دور

السينما منظر واحد لشيء من ذلك على حين تترامى إلينا من هوليود أنباء تنمى بنشاط الصهيونيين فى الدعاية بوساطة الأفلام لقضيتهم الخاسرة . وقد أمرت وزارة الشئون الاجتماعية بمنع عرض الأفلام التى يظهر فيها ممثلان من هوليود يقومان بالدعاية الصهيونية .

فهل يكفى أن نمنع أفلام الدعاية اليهودية من العرض فى مصر ؟ وماذا فعلنا نحن فى هذا السبيل ؟ ماذا فعلنا لنقل مشاهد المجد العربى على الشاشة البيضاء ؟ وأين السينمائيون المصريون ؟ أما شبعوا من عرض المباذل والخيانات الزوجية ؟ وإذا كانت وسائلهم قاصرة فأين وزارة الشئون الاجتماعية التى تحرص على الإشراف على الشئون الفنية ؟

إن هذا الموضوع لجدير بنظر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، لأنه يحقق الأهداف التى ترمى إليها من نشر الأفلام السينمائية بالبلاد العربية ، بل يجب أن يبدأ به ويوجه إليه كل الاهتمام ، فينفق فى إنجازه كل المال المعد لنشر الأفلام السينمائية المتقدمة .

مصر تطل على العالم :

تناول الأستاذ محمد رفعت فى حديثه «مصر تطل على العالم» بالذياع يوم الأحد الماضى موقف مجلس الأمن من قضية فلسطين ، فقال إن هذا المجلس الذى يرغى ويزبد الآن لأن الأمم العربية لم تقبل مد الهدنة ، هو الذى يغضى عن تصرفات الأمم الكبيرة المخالفة لميثاق هيئة الأمم المتحدة ، فى حين أن الدول العربية لم تخرج عن هذا الميثاق لأنها تدافع عن كيانها وتعمل لاستتباب الأمن فى جزء منها طبقاً للمادة الثانية والخمسين من الميثاق .

وقال الأستاذ إن الأمم الكبيرة شكلت هيئة الأمم المتحدة لتنهى آثار الحرب وتحل المشكلات العالمية ، ولكنها إلى الآن لم تستطع أن تعقد الصلح مع ألمانيا والنمسا واليابان بل لم تستطع أن تحل المستعمرات الإيطالية ، مع أن هذا لا يحتاج إلى مفاوضات مع الأعداء بل يفرض عليهم فرضاً ، وذلك للخلافات بين الأمم الكبيرة الناشىء عن مطامعها الاستعمارية . وفى الوقت الذى تعجز فيه الهيئة ومجلس أمنها عن كل ذلك ، تريد أن تجعل من هذا المجلس أداة تخويف وإنذار للدول الصغيرة والمتوسطة ، فترى أعضاء فيه من أولياء الصهيونية يهددون العرب بالقوة ويلوحون بالعقوبات ، ولكن هذا المجلس المهيض الجناحين لن يستطيع الطيران وإذا هو حاول فسيسقط سقطة لا قيام له منها ، لأن العرب أصروا على تخليص فلسطين من الصهيونية مهما كلفهم ذلك .

مواكب رمضان :

أذاعت الإذاعة المصرية فى أول يوم من شهر رمضان برنامج « مواكب رمضان » من تأليف الأستاذ طاهر أبو فاشا وإخراج الأستاذ محمد محمود شعبان ، ومعظم هذا البرنامج أغنيات رمضانية تمثل ألواناً من أغانى الشعب فى رمضان ، يتخلل هذه الأغنيات حوار قليل يقصد منه الانتقال من جو أغنية إلى أخرى ، ولكنه جاء مع ذلك مسبوكا محبوكا .

ولدى الإذاعة برامج خاصة برمضان كثيرة ، نفضت عنها الغبار ، وشرعت تقدمها فى فترات مختلفة إلى جانب هذا البرنامج الجديد ، فبدا الفرق واضحاً بينه وبينها ، فأغنيات « مواكب رمضان » تمتاز بالجمال الفنى وتقوم على المعانى الرفيعة ، لأن المؤلف لم يعمد إلى الأذكار و (وحوى) وغير ذلك لينقله كما هو بل هو يضفى من نفسه على الصور الشعبية ما يرضى الذوق الخاص إلى الإمتاع العام ، فبدل أن تسمع فى أحد تلك البرامج «حنن علينا يا كريم حنن علينا » تسمع فى مواكب رمضان « هل الهلال وبان » وقد برع اللحن فى هذه الأغنية وأداها « الكورس » أحسن أداء .

من طرف المجالس :

كان من شجون الحديث فى هذه الجلسة ، كتابات بعض كبار الكتاب فى هذه الأيام ، من حيث إسفافهم وعدم عنايتهم بالتجويد كسابق عهدهم ، فحكى الأستاذ كامل كيلانى الطرفة الرمزية الآتية :

كان أحد العمد بالقاهرة ، فذهب إلى دكان للحلاقة ، ولم يعبأ الحلاق به لمظهره القروى ، فحلق له دون عناية . ونهض العمدة وأعطى الحلاق جنيها وخرج لسبيله .

وبعد أيام عاد العمدة إلى الدكان ، فاستقبله الحلاق أحسن استقبال ، واجتهد أن يعوض تقصيره فى المرة السابقة ، فبذل له غاية العناية . ونهض العمدة وأعطى الحلاق مليما . . فدهش الحلاق وبسط يده بالمليم متسائلا ، فقال له العمدة . هذا المليم للحلاقة الماضية ، وذلك الجنيه لهذه الحلاقة .

العباس

الكتب

نموذج جديد من قصص قومي :

إدريس

(قصة مغربية بالفرنسية — للأستاذ على الحمامى)

للأستاذ محمود تيمور بك

ثلاثة عناصر ، متى توافرت لعمل فنى مكنت له ، وأبلغته ذروة الإجادة ، فأسلست له أهواء النفوس ...

تلك العناصر التي أعنيها ، هي :

قوة الإحساس ، وصدق التعبير ، وموهبة الأداء ...

وقد اتسقت ثلاثتها في هذه القصة التي ألفها الأستاذ « على الحمامى » في اللغة الفرنسية ، وسماها : « إدريس » ، وصور بها الحياة المغربية وما يضطرم فيها من آلام وآمال ...

في تلك القصة تنبسط صحف من التاريخ ، وتنصقل مرآة للحاضر ، وتتجلى أحوال سياسية واجتماعية قائمة ، وتترسل روح من الوطنية تثير الأفئدة وتهز المشاعر . فالكتاب بفضل ما حواه من ذلك كله — يعد نموذجاً من القصص القومى ، جديراً بالتقدير والإعجاب ...

ومما هو مسلم به عند البصراء من نقاد الأدب أن الفن لا يجود ولا يؤتى جناه إلا إن تركت له حرية التحليق والانطلاق ، لا نزعة تملى عليه ، ولا مبدأ يتحكم فيه . ومن ثم كانت القصص التاريخية والسياسية والوطنية في المقام الثاني من القصص الفنى ، لأن كتابها مقيدة أقلامهم بما حدد لهم من أغراض ، وما عين لهم من أهداف .

ولكن الأديب « الحمامى » في قصته القومية ، ينجو من تبعة هذا النقد ، ويسمو على تلك الملاحظة ، وذلك لأنه لم يخضع قلمه لمنحى مسوق إليه ، ولم يرد فنه على غرض دخيل عليه . وإنما أحس في قوة ، وعبر في صدق ، وأدى قادراً على الأداء .

لقد عايش المؤلف أمته ، وشهد ما تعانيه من كوارث ، وما يعوق خطاها من أغلال ، وشعر بما يعتلج بين حناياها من منازع الحرية والعزة ، وكان لذلك أثر في نفسه لم يلبث أن دفعه إلى التعبير ، فجرى قلمه طلقاً يصور حياة قومه ، ويكشف عن آلامها وخوالج نفسها في إيحاء فني قويم .

وأنت تساير « إدريس » بطل هذه القصة ، وهو يروى لك أحداث حياته ، وما تعاقب عليها من أحوال ، فإذا بك — وأنت مسترسل معه — تطالع الحياة المغربية في عصرها العتيد ، فترى كيف صنعت سياسة الاستعمار بذلك الوطن المغلوب على أمره ، وتعلم كيف يسام الخسف والعسف في جحيم تلك السياسة الغشوم ، وكيف تتوق نفسه إلى عيش الحرية والكرامة ، فهو يكافح ويجاهد ما وسعه الكفاح والجهاد .

فقارىء هذه القصة لا يملك سكينته إزاء ما يمر به من صور تفصح له عن نفسية شعب أبى يتنزى في الحديد والنار ، وتشعره بما يكمن في سريرة ذلك الشعب من فتوة وحمية ، وما يغلى في عروقه من دماء أسلافه الذين كانوا في طليعة بناة الحضارة وسادة الأمم .

والقصة في جملتها مزاج طريف من التاريخ والسياسة والوطنية والاجتماع ، أو طاقة مزهرة تجمع تلك الأفانين المختلفة ؛ وبراعة الكاتب تتجلى في تأليف هذا المزاج ، وتنسيق تلك الطاقة . فهيهات أن يلمح القارىء في أطواء القصة حديثاً لا يستدعيه الموقف ، أو موقفاً ينبو عن السياق ، أو إغراقاً في وصف وتصوير تتجافى به القصة عن سبيل التأثير والإقناع .

ما أكثر ما كتب الغربيون عن الأمم الشرقية والإسلامية بلغات الغرب ، ولكن ما كتبوه لا يصور نفسية هذه الأمم وعقليتها حق تصورها ، ولا يستوفى حقائقها كما هي عليه ، وذلك لأن أولئك الكتاب إما أن يحدوهم نية سيئة ونزعة مغرضة ، وإما أن يقعد بهم عجز عن التحقيق وصدق التصوير .

وإذن فقد أحسن صاحب « إدريس » صنعا ، إذ كتب قصته بلغة غربية ، سدا لذلك النقص ، وإطلاعاً لقراء الغرب على حقائق أمة إسلامية فتية تنشد سلامة وكرامة .

وما أجمله توفيقاً أن تكون تلك اللغة الغربية التي كتبت بها القصة هي اللغة الفرنسية .. فالقصة ليست إلا صفحة من اضطهاد المستعمر الفرنسى . فمن الخير أن يقرأها الفرنسيون بلغتهم ، دانية المنال ، حتى يتبين لهم : كيف يؤدون في بلاد المغرب رسالة الحرية والسلام !

محمود تيمور



اليوميات

قصة للكاتب الألماني أرتر شنتزلر

بقلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

كنت عائداً إلى منزلى ليلة أمس عند ما جلست فترة من الوقت على مقعد بحديقة المدينة ، فلاحظت فجأة سيداً جالساً على الطرف الآخر من المقعد لم أشعر بوجوده من قبل . وأثار ظهوره الفجائى دهشتى وشكوكى لأنه لم يكن فى حاجة إلى الجلوس على نفس مقعدى ، لخلو المقاعد الأخرى من رواد الحديقة فى ذلك الوقت المتأخر من الليل .

وهممت بالرحيل عند ما خاطبنى ذلك الغريب . كان يرتدى معطفاً رمادياً طويلاً وزوجاً من القفازات أصفر اللون . ونادانى باسمى بعد أن رفع قبعته يحييني . وعندئذ أدركت فى دهشة من هو . إنه الدكتور جوتفريد فيفالد ، ذلك الشاب المهذب ذو المقام الممتاز . وكان قد نقل منذ أربع سنوات من الخدمة الدنية فى (فينا) إلى ضاحية بالنمسا . لذلك لم أر موجباً للتعبير عن دهشتى من رؤيتى إياه فى ذلك الظرف من الزمان والمكان ، على الرغم من أنى لم أكن قد شاهدته منذ عيد الميلاد الأخير .

ورددت تحيته بابتسامة فاترة ، ثم هممت أسأله عن سبب جلوسه هنا عند ما قال لى فجأة وهو يبدى بيده حركة اعتذارية .

— أرجو المعذرة ياسيدى العزيز ، ولكن وقتى محدود . ما أتيت إلى هنا إلا لكى أسرد عليك قصة غريبة . ذلك إذا لم يكن لديك مانع من الاستماع إلى .

فسارعت إلى التصريح باستعدادى لسماع ما سيقوله وأنا فى دهشة مما تفوه به . ولم أتمالك من سؤاله لماذا لم يقابلنى بالمقهى ، وكيف استطاع أن يجدنى هنا ، ولماذا وقع اختياره على بالذات لأستمع إلى قصته ؟

فأجاب فى صوت أجش غير عادى — أما عن السؤالين الأولين فسأجيب عليهما أثناء سردى القصة ، وأما اختيارى لك ياسيدى العزيز (ولم يلقبنى بأى لقب خلاف ذلك) فهو لأنى أعرف فيك الكاتب الأديب الذى أستطيع الاعتماد عليه فى نشر قصتى العجيبة بالطريقة التى تلائمه .

وبدون أن ينتظر تعليق على ما فاه به ، أنشأ يقص قصته دون تمهيد ، قال :

تدعى بطلة قصتى رد بجوندا . وكانت زوجة البارون ت . الكابتن فى فرقة س . ، إحدى فرق (الدراغون) ، وكان مقرها بلدتنا الصغيرة . (ولم يذكر فى الواقع من الأسماء سوى الأحرف الأولى ومع ذلك عرفت البلدة واسم الضابط الفارس ورقم فرقته) .

واستمر الدكتور فيفالد يقول « كانت رديجوندا ذات جمال باهر ، وقعت فى حبها من النظرة الأولى — كما يقول الناس — ولسوء الحظ لم تسنح لى الفرصة التى تتيح لى التعرف بها ، فضباط الفرقة وعائلاتهم قليلو التعارف بالمدنيين ، ولذلك كنت أقنع بالنظر إليها عن بعد ، أراها وحيدة أو بجانب زوجها أو بصحبة الضابط الآخرين وزوجاتهم وهم يسيرون فى شوارع البلدة . وكنت أحياناً أحظى برؤيتها تطل من إحدى نوافذ دارها ، أو ألمحها داخل عربة تتأرجح بها قاصدة إلى المسرح الصغير فى المساء وهناك أشاهدها جالسة فى مقصورة من مقعدى بأعلى المسرح ، فيخيل إلى أنها تعطف على فترمينى بنظرة عابرة لا أجرؤ أن أستنتج منها ما يشف عن الغزل أو التعارف . وبدأت أيأس من استطاعتى وضع قلبى تحت قدميها عند ما قابلتها فجأة وعلى غير انتظار فى صباح يوم من أيام الربيع الجميلة بالحديقة الصغيرة الممتدة من باب البلدة الشرقى إلى الريف . مرت أمامى وعلى شفتيها شبه ابتسامة دون أن تلحظ وجودى . وسرعان ما اختفت بين الأشجار دون أن يمر على خاطرى أن أحييها أو أتحدث إليها . ولا أدرى لماذا لم أشعر بالأسف بعد ما توارت عن أنظارى فى أنى لم أقم بمثل هذه المحاولة ، ولكن كل ما أدريه أنه حدث لى شىء غريب . لقد شعرت بنفسى فجأة أندفع وراء الخيال وأتصور ما الذى يحدث إذا ما كنت قد تمالكت شجاعتى واعترضت

طريقها أخاطبها . وجعل خيالى يصور لى كيف أنها لم تخف سرورها بجرأتى هذه ، وكيف طفقت تحدثنى وتشكو وحدتها وحاجتها إلى من تبثه لواعج نفسها وقلبها ، وكيف شعرت بالبهجة عند ما وجدت فى ذلك الرفيق الذى تنشده . وكانت نظرتها إلى عند ما ودعتها نظرة تحوى كل معانى الود والتفاهم حتى خلت — على الرغم من يقينى بأن كل هذا كان مجرد خيال — بأنى عند ما أراها مرة ثانية بمقصورتها بالمسرح فى المساء سأشعر بأن فى صدرى كنزاً مدخراً من العواطف لا يشاركنى فيه أحد سواها .

لعلك لا تعجب ياسيدى العزيز إذا ما قلت لك بأنى وجدت نفسى منساقا وراء ذلك الخيال الذى لا أدرى كيف بمث ، ولعل منشأه قوة خفية فى نفسى لا أدرى كنهها . فسرعان ما أعقبت أولى مقابلاتنا مقابلات غيرها ، وازداد شغفى برد يجوندا ، حتى أقبل اليوم الذى وجدتها بين ذراعى وتقدم بى خيالى ، وابتدأت تزورنى فى شقتى الصغيرة بأقاصى البلدة ، وعندئذ تذوقت كل أنواع البهجة التى لم أتذوقها فى حياتى الواقعية والتى لا أعرف طعمها إلا فى خيالى الرائع .

وأقبل علينا الخريف عند ما علمت أن فرقة (الدراغون) الذى ينتمى إليها زوجها قد أمرت بالرحيل إلى جاليشيا . فشعرت باليأس القاتل يملأ نفسى — بل يملأ نفسينا — ولم نترك شيئاً مما يقوله العشاق فى مثل هذه المناسبة إلا تحدثنا عنه . تكلمنا عن الهرب معاً ، والموت معاً ، وعذاب الخضوع لحكم القدر . وأقبلت الليلة الأخيرة ولما نصل إلى قرار بعد . وانتظرت رديجوندا فى غرفتى المزدانة بالزهور وكنت قد حزمت أمتعتى وحشوت مسدسى وكتبت رسائل الوداع استعداداً لما قد يحدث . كل هذا ياسيدى العزيز كان حقيقة نتجت عن خيال غريب . إن وقوعى التام تحت سحر ذلك الخيال جعلنى أعتقد تمام الاعتقاد توقع ظهور محبوبتى أمامى فى آخر أمسية قبل أن ترحل الفرقة . كنت أشعر بقوة خفية لم أحسب لها حساباً تدفعنى إلى البقاء بالدار . وكنت أتوجه مئات المرات إلى الباب الخارجى فأنصت علنى أسمع وقع خطواتها ، ثم أنظر خلال النافذة آملا أن أراها مقبلة نحوى . ثم شعرت بالقلق واليأس ينتابان نفسى حتى أوشكت على الاندفاع خارجاً ، لأبحث عن رديجوندا وأختطفها من زوجها مطالباً بحق فى الاستحواذ عليها، حق حبنا المتبادل .

وأخيراً تهالكت على مقعدى وأنا أرتجف رجفة من أصابته بالحمى . وفجأة — قرب منتصف الليل دق الجرس الخارجى ، فشعرت حينئذ بأن قلبى يكاد يكف عن الخفقان . إن دق الجرس — كما تعلم — لم يكن وليد الخيال . واستمعت إلى صوته وأنا مذهول ، وشعرت برنينه يطرق أذنى ، فأيقظ فى الإحساس الكامل بالحقيقة . كنت أدرك أنه حتى هذا المساء لم تكن مغامراتى سوى سلسلة من الأحلام العجيبة ؛ ولكنى شعرت عند ما سمعت ذلك الرنين بأمل جرىء يستيقظ فى ذات نفسى ، ذلك الأمل فى أن رديجوندا وقد أثر فى أعماق قلبها تلك القوى الخفية التى أحيت خيالى ، واستجابت إلى دعوتى بقوة رغبتى فيها ، سوف أراها واقفة أمامى بلحمها ودمها على عتبة دارى ، وأنه فى اللحظة القادمة سأتناولها حقابين ذراعى .

وذهبت إلى الباب وفتحته ، ولكن ... لم تكن رديجوندا هى الواقفة أمامى ، بل كان ... زوجها ! كل ذلك كان حقيقة كحقيقة وجودك بجانبى على هذا المقعد .

وقف الضابط لحظة يتأمل وجهى ، ووقفت أمامه مذهولاً ، ثم دعوته إلى الدخول والجلوس . ولكنه ظل واقفاً وقال فى ازدراء أنت تتوقع قدوم رديجوندا . من سوء الحظ أنها لا تستطيع الحضور . لقد ماتت ! فرددت قائلا : ماتت !

وخيل إلى حينئذ أن العالم قد توقف عن الحركة .

وطفق ضابط (الدراغون) يقول فى هدوء — لقد وجدتها منذ ساعة بمكتبها وأمامها هذا الكتاب ، وها أنذا قد أحضرته ليسهل علينا وضع الأمور فى نصابها . لقد قتلها الرعب على ما أعتقد عند ما دخلت عليها فى حجرتها بغتة . هذا هو آخر ما سطرته . اقرأه من فضلك .

وناولنى كتاباً مفتوحاً مغلفاً بجلد بنفسجى اللون ، فقرأت الكلمات الآتية « ... والآن سأترك منزلى إلى الأبد . إن حبيبى فى انتظارى »

وأطرقت إطراقة من يدرك ما الذى تعنيه هذه الكلمات .

واستمر الضابط يقول — لا شك أنك أدركت أن ما تحمله فى يدك هو يوميات زوجتى . من الأصوب أن تلقى عليها بنظرة ،

حتى تدرك أنه لا يجديك الإنكار .

وقلبت الصحفات وطفقت أقرأ وأقرأ حوالى الساعة ، وأنا مرتكن على مكتبى وهو جالس على المقعد دون حراك . قرأت قصة حبنا كاملة ؛ تلك القصة الغريبة بكافة تفاصيلها منذ التقائى بها فى ذلك الصباح من يوم الربيع ، وتحدثى إليها فى الحديقة . ثم قرأت عن أولى قبلاتنا ، وسيرنا معاً ، وذهابنا إلى الريف ، وساعات نشوتنا فى غرفتى المزدانة بالزهور ، وخططنا التى وضعناها للهرب أو الموت ، وسعادتنا وبأسنا . كان كل ذلك مسطراً فى هذه الصفحات ؛ هذا الذى لم يكن فيه مسحة من الواقع ولكنه كل ما اتفق لى وقوعه فى الخيال ، وشعرت بعجزى عن تفسير أمر هذه اليوميات . ولكن تبلج فى نفسى ضوء من الحقيقة هو أن ردبجوندا قد أحبتنى كما أحببتها ، وأنها قد حصلت على تلك القوة الغامضة فمنحتها موهبة الخيال وبذلك شاركتنى كل حوادث مغامراتى تلك .

ثم ظهر لى شىء آخر . . إن هذه اليوميات لم تكن سوى وسيلة للانتقام منى بسبب ترددى الذى منع أحلامى — أحلامنا — من جعلها حقيقة واقعة ، وحتى موتها الفجائى كان من صنع إرادتها ، بل كان فى نيتها أن تضع هذه اليوميات فى يد زوجها بهذه الطريقة ، ولم يكن لدى من الوقت ما أستطيع فيه أن أستعرض كل هذه المعضلات وأحاول تفسيرها ، ولكن وجود زوجها هنا كان إحدى التفسيرات ، بل التفسير الطبيعى لكل ما حدث ، ولذلك عملت بما تتطلبه الظروف ، ووضعت نفسى تحت تصرف الضابط فى كلمات تناسب الموقف » .

فصحت قائلاً — دون أن تحاول .

فقاطعنى الدكتور فيفالد فى خشونة قائلا — حتى لو كان هناك أدنى نوع من النجاح لمثل هذه المحاولة فإنها لتظهر لى شيئاً مشيناً . إنى أشعر فى نفسى بأنى مسؤول عن كل هذه النتائج التى أوجدتها مغامراتى الخيالية هذه — تلك المغامرة التى كنت جباناً لأنى لم أحققها .

« وقال الكابتن — إنى أحب أن أضع الأمور فى نصابها قبل أن يعلم الناس عن موت ردبجوندا إننا الآن فى الساعة الأولى صباحاً . ففى الساعة الثالثة سيتقابل شهودنا . وفى الخامسة سنسوى أمورنا .

وأومأت بالإيجاب فى برود ، ثم غادرنى : ورتبت أوراق ، ثم تركت الدار أبحث عن صديقين فوجدتهما فى فراشيهما ، وأطلعتهما على الشىء الضرورى حتى يدركا المهمة الملقاة على عاتقيهما ثم جعلت أذرع الطريق أمام نوافذ دارها ، دار ردبجوندا المسجاة الآن على فراش الموت ، وتملكنى حينئذ شعور اليقين بأنى أسير نحو نهاية مصيرى المحتوم .

وفى الساعة الخامسة صباحاً واجهت الكابتن وواجهنى والمسدس فى يد كل منا فى الحديقة الصغيرة بالقرب من المكان الذى خاطبت فيه ردبجوندا المرة الأولى .

فقلت — وهل قتلته ؟

قال — لا .. إن رصاصتى مست صدغه ، ولكنه أصابنى فى قلبى ، وسقطت ميتاً فى التو واللحظة كما يقولون .

فالتفت إلى جارى المجيب وكلى دهشة واستغراب ، فإذا به قد اختفى من ركن المقعد فذهلت ... وأخيراً سألت نفسى ألا يجوز أنه لم يكن موجوداً على الاطلاق ، وأن كل ما حدث لم يكن إلا وليد خيالى ؟ ولكنى تذكرت أنى سمعت بعضهم كان يتحدث بالمقهى فى الليلة السابقة عن مبارزة سقط فيها الدكتور فيفالد ميتاً وعن اختفاء السيدة ردبجوندا فى نفس اليوم ، والاعتقاد أنها هربت مع ملازم شاب من الفرقة دون أن تترك وراءها أثراً .

وتوالت على الأفكار والأسئلة . أكان ما حدث وما سمعته حقيقة واقعة ؟ ولكنى تراجعت أمام التفكير الذى يخالف المنطق . فقد أجشم نفسى مشقة تأييد نظريات لا قبل لى على تصورها ، كالتصوف وعلم الروح .

إنه لا يمكنى إثبات حقيقة مثل هذه القصة ، إذ تنقصنى الأدلة المادية على صحتها . ووجدت لو أنى اعترفت بها لواجهت مشكلات لا تعد ولا تحصى ، ولاعتقد الناس أنى إما ساحر أو دجال . ومن ثم قررت فى النهاية أن أقص تلك الزيارة الليلية كما حدثت دون تعليق عليها ، وأنا واثق من اعتراض الكثيرين على صحتها ، فإن شعور الثقة عند الناس عن الكتاب وما يكتبونه أقل بكثير من شعورهم نحو غيرهم .

(الاسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب

سكك حديد الحكومة المصرية

إعداد قطارات الصحافة الليلية لنقل الركاب

يتعرف المدير العام بإعلان الجمهور أن قطارات الصحافة التي تسير ليلا من مصر إلى الأسكندرية ومن مصر إلى المنيا ستنقل ركاباً في الدرجات الثلاث الأولى والثانية والثالثة إبتداء من يوم ١٥ يولية سنة ١٩٤٨ وفقاً للمواعيد .

من مصر إلى الأسكندرية وبالعكس

المحطات	٧٧١ ١ و ٢ و ٣	المحطات	٧٧٢ ١ و ٢ و ٣
مصر ... ... قيام	٢٠ ٣	الاسكندرية . قيام	١٠ ١٣
بنها ... ... «	٠٠ ٤	سيدى جابر . . «	٢٥ ١٣
طنطا ... وصول	٣٢ ٤	كفر الدوار . «	٥٢ ١٣
طنطا ... قيام	٣٧ ٤	أبو حمص . . «	١٣ ١٤
كفر الزيات ... «	٥٥ ٥	دمنهور . . . . «	٣٥ ١٤
دمنهور ... «	٣٧ ٥	ايتاى البارود . «	٠٥ ١٥
كفر الدوار ... «	٠٦ ٦	التوفيقية ... «	٢٠ ١٥
سيدى جابر ... «	٢٧ ٦	كفر الزيات . «	٤١ ١٥
الاسكندرية . وصول	٣٥ ٦	طنطا ... وصول	٠٠ ١٦
		طنطا ... قيام	١٠ ١٦
		بركة السبع ... «	٣٣ ١٦
		قويسنا ... «	٥١ ١٦
		بنها ... ... «	١٢ ١٧
		طوخ ... ... «	٢٧ ١٧
		قليوب ... «	٥٠ ١٧
		مصر ... وصول	٠٥ ١٨

من مصر إلى المنيا وبالعكس

المحطات	٧٧٦ ١ و ٢ و ٣	المحطات	٧٧٧ ١ و ٢ و ٣
مصر . . . . قيام	٠٠ ٣	المنيا . . . قيام	١٥ ١١
الجيزة . . . . «	١٥ ٣	سمالوط . . . «	٤٧ ١١
الواسطى . . «	١٦ ٤	مطاى . . . «	٠٠ ١٢
بنى سويف . . «	٤٤ ٤	بنى مزار . . «	١٧ ١٢
ببا . . . . «	٠٤ ٥	مغاغه . . . «	٤٠ ١٢
الفشن . . . «	١٨ ٥	الفشن . . . «	٠٤ ١٣
مغاغة . . . . «	٤٠ ٥	ببا . . . «	٢٢ ١٣
بنى مزار . . «	٥٦ ٥	بنى سويف . «	٤٧ ١٣
مطاى . . . . «	٠٩ ٦	الواسطى . «	٢٠ ١٤
سمالوط . . . . «	٢٤ ٦	كفر عمار . . «	٤٢ ١٤
المنيا . . . وصول	٤٥ ٦	العياط . . . «	٥٩ ١٤
		المزغونه . «	١٧ ١٥
		البدرشين . «	٣٤ ١٥
		الحوامدية . . «	٤٥ ١٥
		الجيزة . . . «	٠٥ ١٦
		مصر . . . وصول	٢٠ ١٦

ولذا ستعدل مواعيد فتح الكبارى التالية للملاحة .

سيفتح كوبرى حجر النوتية الدفعة الثالثة من ٤٥ ١٢ إلى ٠٥ ١٣ بدلا من ١٠ ١٣ إلى ٤٠ ١٣

« « كفر الزيات الدفعة الثانية من ٠٣ ١٦ إلى ٢٣ ١٦ بدلا من ٣٣ ١٥ إلى ٥٧ ١٥

« « الدجون الدفعة الاحتياطية من ٠٥ ١٦ إلى ٢٥ ١٦ بدلا من ٣٠ ١٥ إلى ٥٥ ١٥

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٦ — الاثنين ٢٦ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٨٦ — الاثنين ٢٦ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 786

Lundi — 26 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢٦ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الفريقان المتحاربان فى فلسطين

الحـــق والباطل

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر المفوض لدى المملكة السعودية

يحترب فى فلسطين فريقان : فريق العرب يذود عن ذماره ، ويدفع عن حقه ، ويدعو إلى النصفة والعدل ، وإلى أن يعيش هو وخصمه أمة واحدة فى بلد واحد ، لكل حقه وعلى كل واجبه

وفريق آخر من شذاذ الآفاق وخبث الأقطار ، يلجون على العرب ديارهم بأيديهم المال والسلاح ، وما أورثهم تاريخهم والعيش الذليل فى أوربا من ختل وغدر ، يظنون أنهم صاروا أمة لأن باطلا يجمعهم ، وعدوانا يربط بينهم ، وكل فرقة منهم تنمى إلى أمة ، وكل جماعة تنتسب إلى بلد ، وكل فرد يحمل سحنة تنافر سحنة أخيه ولا تشبهها إلا فى سمات اللامنة فيها ، ومياسم الخزى عليها

ويقول هؤلاء الأرذلون : لا نرضى نصفة معكم ولا مساواة بكم ولكنا نريد وطنا ودولة وأنف الحق راغم ، ودعوة العدل صاغرة وإن لنا قوة من سلاحنا ومالنا وحيلنا وغدرنا وخيانتنا . وإن لنا أعوان فى أوروبا وأمريكا يسحرون بالمال ، ويسخرون بكل الوسائل رؤساء الدول ، وأئمة الساسة ، وأصحاب الصحف ، وبيدهم المصارف ، ودور السينما وكل وسائل النشر والتضليل ، فيا أيها العرب المساكين ! افسحوا المجال لدولة إسرائيل!

ويقول العرب : لا لا بل تعالوا إلى كلمة سواء ، نسويكم أيها الطراء المتطفلون بأهل البلاد الذين أقرهم التاريخ فيها لا يعرفون غيرها وطنا ، ولا يتخذون غيرها داراً ، فهلموا إلى الدولة الواحدة ، والشريعة العادلة ، والتآخى والتناصف .

فتقول هذه الوجوه الملعونة ، وهذه الفئات الطريدة : لا لا إن أرضكم لنا ، وديارکم لدولتنا ، فانزلوا على حكمنا صاغرين ...

ويحمى العربى ، وهو سمح لا خنوع ، وجواد لا جبان ، وحليم لا ذليل ، ويستنصر حقه ، ويتوكل على ربه ويستمد سجاياه وشيمه ، وأخلاقه ومكارمه ، ثم يستوحى تاريخه ويحشد مآثره فيستبق إليه من أحداث تاريخه ومآثر أمته ما يثبته فى المحنة ، ويوقره فى الشدة ، وينثال إليه من عز ماضيه ومجد سلفه ما يهون عليه كل خطب ، ويقحمه كل هول .

ويصول عليه عدوان اليهود ومن ورائه مدد من قوى أوروبا وأمريكا ، وتدور به خدع المخادعين وتهاويل المهولين ، وهو العربى الذى يعرف نفسه ويعرفه التاريخ ، ويهزأ بالشدائد إذا جد الجد . ويحقر الأهوال إذا اشتد البأس .

فأثبت فى مستنقع الموت رجـــله
وقال لهـــا : من تحت أخمصك الحشر

إن العربى يعرف ما فى أيدى أعدائه وأعوان أعدائه من مكر ،

وما لديهم من مال وسلاح ، وما عندهم من علم وفن ؛ ولكنه يعرف كذلك ماله من حق، وما عنده من كرامة ، وما فيه من إباء، وما يعده به تاريخه من ثبات فى الأزمات ، وصبر فى الخطوب . فيقدم على الأهوال ذاكراً قول سلفه .

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويتقدم فيزيده الهول مضاء ، والنار صفاء ، منشدا :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ببنعمى وبؤس والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تحمل مالا تستطيع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا فصحت لنا الأعراض والناس هزّل

حسب الصهيونيون أن الأمم مال وربا ، وأشكال وألوان ، وهيا كل وجدران ، وبغى وعدوان ، وغفلوا عن حقيقة الإنسان الإنسان الكريم ، نفس كريمة ، وقلب شجاع ، وخلق أبى ، وما وراء ذلك صور وزخارف ، وخدع وأباطيل ، تذوب إذا وقدت النار ، وتبوخ إذا حمى الوطيس .

ألا ساء فأل الأوغاد ، وخاب ظنهم حين زينت لهم أموالهم وزخارفهم أنهم للعرب أكفاء وأنداد . فلتبطل دعواهم الوقائع ، ولتكذب ظنونهم المعارك .

ألا إنه إن تحدى باطل الصهيونيين حق العرب ، وجرؤ شذاذ الآفاق على خير الأمم ، ولم يلقوا كفاء بغيهم من ردع ، وجزاء عدوانهم من خزى .

فيا موت زرا إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

أيها العرب الأباة ! إنه يوم له مابعده ؛ فاصدعوا الأهوال بقلوب متفقة ، وأيد مجتمعة ، وامضوا إلى الغاية التى هى بكم أجدر ، وبتاريخكم أليق . إنكم تقاتلون حيث قاتل آباؤكم فى اليرموك وأجنادين وحطين، وقد حطموا الباطل فى كبريائه ، وردوا البغى فى غلوائه ، فزلزلوا بهؤلاء البغاة الديار ، وردوا جند الصهيونيين بالخزى والدمار . واتركوها على التاريخ مأثرة إلى مآثر آبائكم ، وسجلوها على الأيام مفخرة إلى مفاخر أسلافكم .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم . »

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

مشاهدات وملاحظات :

تحيـــة العلـــم ...

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

المستشار الثقافى لجامعة الدول العربية

كانت جزيرة « كورفو » منتهى الرحلة الثانية من مراحل سفرتى من بغداد إلى المغرب الأقصى قبيل الحرب العالمية الأخيرة هبطت بنا الطيارة المائية المطار البحرى فى المضيق الذى يفصل الجزيرة من البر ، وقت العصر ؛ ثم نقلتنا السيارة من هناك إلى فندق فى المدينة لنقضى الليلة فيه ، على أن نعود فى فجر اليوم التالى إلى المطار لنستأنف السفر نهاراً .

والطريق الذى يمتد بين المطار والمدينة كان طويلاً ، يمر من بين مزارع جميلة وقرى صغيرة ؛ شاهدنا فيها عدداً غير قليل من الرجال والنساء والأطفال ، كلهم فى ملابس أنيقة كأنهم فى يوم عيد . وكلما اقتربنا من المدينة رأينا علائم الزينة تزداد شيئاً فشيئاً ... إلى علمنا أن ذلك اليوم كان فعلا من أيام الكرنفال .

* * *

كنت قد زرت هذه الجزيرة الجميلة مراراً ؛ غير أن تلك الزيارات كانت قديمة العهد جداً ؛ لأنها كانت تتصل ببداية حياتى التدريسية فى حاضرة « الأيبر » — يانيا — التى كانت يومئذ مركز ولاية تابعة للدولة العثمانية .

فكان من الطبيعى أن أشعر برغبة شديدة فى التجوال فى المدينة قبل حلول الليل ، بغية تجديد تلك الذكريات القديمة ومشاهدة الجزيرة — فى عهدها الحالى — بعد مرور هذه السنين الطويلة . فما كدت أعرف غرفتى وأضع فيها حقيبتى ، حتى خرجت من الفندق إلى الشوارع التى تمج بضجيج الكرنفال . وأخذت أسير فى الطرق والميادين دون أن استرشد بدليل ، غير مواكب التهريج نفسها .. إلى أن وصلت إلى الميدان الفسيح الذى يقع فى ظاهر المدينة ، حيث تلتقى شوارع عديدة فتمر منه جميع المواكب فى روحاتها وغدواتها المتكررة .

رأيت القوم — كعهدى بهم سابقاً — يملأون الجو ضجيجاً والميدان حركة ؛ ويتسابقون فى الضحك والإضحاك بأقنعتهم الغريبة ، وأزيائهم العجيبة ، ورقصاتهم السريعة ، وأغانيهم الخفيفة ، وأجواقهم المهرجة . وكان وصول كل موكب من المواكب إلى الميدان يستثير عاصفة من القهقهة والهتاف والصياح .. تندفع من حناجر آلاف المتفرجين المجتمعين هناك .

وقفت مدة فى زاوية من زوايا الميدان التى تطل على شوارع عديدة ، فتمكنت من مشاهدة المواكب الكثيرة ؛ وأخذت أتتبع حركات القوم بكل اهتمام .

واتفق أن وصل مرة أربعة مواكب غريبة دفعة واحدة من شوارع مختلفة ؛ فزاد نشاط الجميع زيادة هائلة . وصارت الجماعات التى تؤلف المواكب تندفع فى العزف والرقص والتهريج اندفاعاً جنونياً ؛ وأخذت جماهير المتفرجين تغرب فى القهقهة إغراباً عجيباً ، كأنهم أصيبوا بنوبات عصبية تهز جميع أبدانهم هزاً عنيفاً .

* * *

وفى الوقت الذى كان هذا الهرج والمرج قد بلغا الحد الأقصى، وأخذت حواسى تعجز عن تتبع هذه الحركات العجيبة ، وعن تمييز هذه الأصوات الخليطة ، توقفت كل الحركات بغتة ، وانقطعت كل الأصوات فجأة .. وظننت — فى بادىء الأمر — أنه حدث حادث مروع جمد الفرح فى النفوس ، فأدى إلى هذا الوجوم العميق .

فأخذت أجيل بصرى فى كل الجهات ، لاستجلاء أسباب هذا التحول الفجائى إلى أن شاهدت فى آخر الميدان فى محل بعيد جداً ، علماً ينزل بالتدريج من فوق سارية كبيرة ؛ ولاحظت فى الوقت نفسه صوت بوق — لم أنتبه إليه قبلا — وفهمت عندئذ كل شىء .

كان ذلك وقت الغروب ، وقد حان موعد إنزال العلم من سارية الثكنة العسكرية التى تقع فى آخر الميدان ، والبوق كان يدوى إيذاناً بذلك ، والناس قد توقفوا عن السير والحركة احتراماً لذلك العلم !.

وكان صوت هذا البوق قد قضى على كل الحركات والأصوات التى تصدر من تلك الألوف المؤلفة من الجماهير ، حتى فى وسط مهرجانات الكرنفال ، وفى أصخب صفحات التهريج ؛ مع أن معظم أفراد المواكب كانوا قد أصبحوا شبه سكارى من شدة الفرح الذى استولى على جوانحهم من جهة ، ومن كثرة الكئوس التى ارتشفوها فى مختلف الحانات من جهة أخرى .

إن صوت البوق الذى يرافق إنزال العلم كان قد حمل الجميع على التوقف بغتة ، كأنهم كلهم جنود فى ثكنة عسكرية يأتمرون بأوامر قائد يحترمونه كل الاحترام .

أكبرت عندئذ كل الإكبار قوة « التربية المدنية والوطنية » المتأصلة فى نفوس هذا الشعب . . هذه التربية التى تحمل الناس على عدم التقصير فى أداء واجب « الاحترام للعلم » حتى بين ضجيج مواكب التهريج !

* * *

تذكرت هذه الواقعة — بعد ذلك — عدة مرات ، فى عدة مناسبات . . وكانت الأخيرة منها ، قبل بضعة أيام :

كنت أسير مساء إلى « دار الرسالة » لزيارة صديقى الأستاذ أحمد حسن الزيات ؛ وكنت قد وصلت إلى رأس ميدان عابدين عندما سمعت صوت بوق يدوى بنبرات متقطعة متساوقة . فالتفت حالاً إلى الثكنات فرأيت العلم المصرى الذى يرفرف فوق سارية البناية المرتفعة أخذ ينزل بخطوات بطيئة ، بصورة متساوقة مع نفخات البوق المتقطعة . . فوقفت هناك متوجهاً نحو الثكنات ، لأمتع البصر بتتبع سير العلم باهتمام .

ولكنى لاحظت بغتة أننى كنت الوحيد فى هذا الموقف وهذا الاهتمام ... وأما الذين كانوا يمرون مثلى فى هذا الميدان ، فكانوا يواصلون سيرهم وكلامهم وعملهم . . كأنه لم يكن هناك شىء يستحق الالتفات : هنا جماعة من الأطفال يلعبون ، وهناك طائفة من النساء يتصايحن ؛ وفى كل الجهات عربات تمر ببطء ، وسيارات تسير بسرعة ؛ وعدد كبير من الناس يسيرون فى اتجاهات مختلفة ، ولا أحد منهم يلتفت إلى الثكنات ، أو يرفع البصر إلى سارية العلم القائمة فوقها .. كأن كل ذلك لا يهمه أبداً ولا يخص أحداً غير الجيش وحده . .

وتذكرت عندئذ — بكل تفاصيله — ما كنت شاهدته

في كورفو ، أيام الكرنفال . . وتأملت — في ألم مرير — البون الشاسع بين ما حدث هنا وما حدث هناك .

بعد أن غاب العلم المصري عن عيني وانقطع صوت البوق عن أذني . . واصلت السير ، وأنا أقول في نفسي :

إن الوقوف لتحية العلم — بالصورة التي شرحتها آنفاً — قد يبدو للمرء — في الوهلة الأولى — كمظهر من المظاهر المادية التي لا تستحق الاهتمام . غير أن هذا الوقوف — في حقيقة الأمر — من الأعمال التي تتصل بتربية النفس اتصالاً وثيقاً ؛ فإن هذه الوقفة التي تضطر الإنسان إلى الخروج عن عالمه الخاص ، ولو لمدة قصيرة .. وتحمله على الانقطاع عن السير وراء مصالحه الشخصية ، ولو لثوان معدودة . وتجبره على الاهتمام بالعَلَم الذي يمثل وطنه وتاريخه ودولته ولو لفترة وجيزة . .

إن هذه الوقفـة المادية ، لمثل هذه الأغراض المعنوية ، لا بد من أن تؤثر في النفس تأثيراً عميقاً ، ولابد من أن تساعد على إيقاظ الشعور القومي وإشاعته مساعدة كبيرة .

أبو خلدون ساطع الحصري

ما أحبها من نقـــلة !

للأستاذ محمـــود الخفيف

أحبب إلى نفسي بهذه النقلة إلي تاريخ أمريكا في سيرة زعيمها العظيم « أبراهام لنكولن » ، فإنه لمن أعظم ما يسر القراء لاريب حديث صاحب العبقريات عن أشبه العبقريين في الغرب بابن الخطاب وما أولى لنكولن بنصيب مما يكتب العقاد ؛ ولو تفضل كاتبنا الكبير فعقد فصلا أو أكثر من فصل ، فوازن بين لنكولن وعمر ، وهو خير من يفعل ذلك ، لعددت هذا من أفضل مابلغت بكتابي من خير ...

وبعد ، فأرجو من أستاذنا الجليل أن يصدقني أن عنايتي بتاريخ لنكولن هي التي حفزتني إلى كتابة هذا الفصل والذي سبقه ، إذ لا زلت من بعض الملاحظات التي أبداها الكاتب الكبير غير مطمئن النفس ، وما كان ذلك دفاعاً عن كتابي بقدر ما هو رغبة مني في الاهتداء إلى الصواب .

لا زال تاريخ أسلاف لنكولن سراً في أطواء الزمن ، وأكبر الظن أنه سوف يبقى كذلك ، وماذا عسى تحتويه الكتب عن أبيه النجار ، وعن جده لأبيه ، وقد كان كذلك نجاراً بين أحراج الغابة فقتلته رصاصة أطلقها عليه أحد الجنود الحمر ؟ وماذا عسى أن يعرف عن أمه وهي ابنة سفيحة لرجل مجهول من أهل الجنوب ؟ ولولا أن تحدث بذلك لنكولن إلى صاحبه هرندن ما عرف حتى هذا القدر من سيرتها ...

بذلك رددت على ما أخذه على الأستاذ الكبير من خلو كتابي من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ؛ وكان ما ذكره الأستاذ تعقيباً على ذلك الرد قوله : « وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان الكافي عن أسلاف لنكولن غير ميسور ، لأن الرجل كان كما هو معلوم عصامياً خامل الآباء والأجداد ؛ ولكن الواقع أن اللغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم » .

إذاً فلا سبيل لنا إلى أسلافه ، ويبقى بعد ذلك آباؤه المعروفون وما نعرف إلا أباه وأمه . ولقد ماتت أمه وهو في العاشرة من عمره فحرم من تأثيرها في نفسه ، ذلك التأثير الذي أشرت إليه في كتابي بقولي : « كان الغلام ينتقل ببصره وخياله من أمه إلى أبيه ، وكانت أمه في أقاصيصها جادة ، تحس نفسه الصغيرة شيئاً من الحزن يطوف بنفسها ويتسرب إلى حكاياتها ؛ أما الأب فكان يميل إلى المرح والفكاهة ، ويتدفق إذ يحكي تدفق من لا تنطوي نفسه على شيء مما تنطوي عليه نفس الأم ، وما كان شيء من ذلك ليخفى على فطنة الغلام ، وأحدثت القصص الدينية أثرها في نفس الصبي وظلت عالقة بلبه وخياله ، وجرت في كيانه مجرى الدم في عروقه ، واختزنت حافظته ألفاظها بنصها حتى ليتحرك بها لسانه وإن لم يقصد » .

ولم يكن لأبيه من أثر في نفسه ولا من صفات نستطيع أن نردها إلى آبائه فنعرف ، ولو بما يقرب من اليقين شيئاً عن أسلافه فنحل اللغز بعض الحل ؛ أما ذلك الذي كانت تنطوي عليه نفس الأم ، فرده في الأكثر إلى أنها كانت تجهل أباها ؛ على أني لم أسه عما قد يكون للوراثة من أثر في حياة لنكولن ، فأوردت

في صفحة ١٥١ من كتابي ما قصه على صديقه هرندن إذ قلت :

« وإنه ليفضي إلى صاحبه هرندن ذات يوم بحديث عن أقاربه وصلته بهم ، ويتطرق الكلام أثناء هذا الحديث إلى منشأه فيكشف لنكولن لصاحبه عن سر يتصل بأمه ، وذلك أنه لا يعرف أجداده لأمه ، فقد كانت أمه التي أحبها والتي يجل ذكراها ابنة رجل مجهول ، وسيظل هذا الرجل مجهولا أبداً ، وكل ما يستطيع أن يعرفه عنه أنه من أهل الجنوب ، وبيان ذلك أن جدته لأمه كانت تعيش وهي فتاة في ولاية فرجينيا في الجنوب فأصبحت ذات حمل وإن لم تتزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحمل تضع أنثى ، وكانت هي وحدها التي تعرف والد هذه الأنثى ، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم . ذلك هو السر الذي يفضي به لنكولن إلى صاحبه على ما فيه مما يوجب الكتمان ، ويردف أبراهام قائلا لصاحبه إنه كان ثمة من ميزة فيه لا يوجد مثلها في أحد من ذوي قرباه ، فردها لاريب إلى أجداده المجهولين من أهل الجنوب » .

***

أما عن أثر المصادفة في حياة لنكولن ، فإني أخشى أن يكون الذي يخرج به القارئ مما كتبه الأستاذ الكبير في هذا الصدد أن لنكولن مدين للمصادفة بكل شيء ، فقد قال الأستاذ في مقاله الأول : « وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية لأنه لم ينجح قط في انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة في اللحظة الأخيرة أكبر الأثر في هذا النجاح » ؛ وقال في مقاله الثاني : « ولم يكن نصيب المصادفات التي كان لها أكبر الأثر في الترجيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أوفى نصيباً من هذه المصادفات التي صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية » .

وأرجو ألا أثقل على أستاذنا العلامة حين أقول له إني لا زلت أخاصمه في هذا ، وإني لا زلت أرد كل ما أصاب لنكولن من فوز إلى شخصيته ، فما أعرف في العصاميين رجلا مثله اتكأ على نفسه في جميع أطوار حياته ، وما أعرف مثله من كانت الظروف كلها من عدوه . وكيف لعمري تصعد المصادفات بنجار ابن نجار إلى رياسة الجمهورية ، وكان في هذه الجمهورية آلاف النجارين غيره ؟ ذلك ما لا أستطيع أن أحمل خيالي على تصوره ، إن هذا الرجل الذي بات يحزم متاعه بيده آخر ليلة قبل سفره إلى العاصمة ليجلس فوق كرسي وشنطون قد بنى نفسه بنفسه . وإنا لنرى اعتماده على نفسه واضحاً في كل أطوار سيرته حتى في هذا العمل الذي يبدو هيناً في ذاته وهو عظيم في معناه ، فقد شهر الرئيس ابراهام لنكولن يملأ حقائبه بيده ويحزم متاعه دون معونة من أهله أو من صحبه ، فما اعتاد الرجل العظيم معونة من أحد !

إني أفهم أن تأتي المصادفة لخامل أو لدعي بشيء من اليسار أو الفوز مرة أو أكثر من مرة ، كما أفهم أن تحول المصادفة بين ذي جدارة وبين ما يريد مرة أو أكثر من مرة ؛ ولكني لا أستطيع أن أرد ما يبلغه العظيم الحق من مكانة أو ما يصيبه من فوز إلى المصادفة ، وإلا فما معنى عظمته ، وما معنى العظمة الفردية على الإطلاق ؟ إن هذا يقتضينا أن ننكر عنصر الاستعداد الفردي ، أو ما نسميه العظمة الشخصية ، ونجعل تاريخ البشرية سلسلة أو سلاسل من المصادفات لا ندري كيف تجري مجراها . ألا إن الرجل العظيم نفسه لهو المصادفة ، فما هو إلا أن يتطلب عصره وجوده ويتهيأ لاستقباله حتى يستعلن السر وتشمل العصر كله ، وتسيطر عليه روح الرجل العظيم ، وهذا وحده الذي يفسر بروزه وسيطرته على غيره من الناس .

وما كان لنكولن بدعاً من العظماء ، فمنذ اشتغاله بالسياسة اقترن اسمه بالمشكلة الكبرى التي شغلت بلاده ، ألا وهي مشكلة الرق ، ثم ما زالت آراؤه في هذه المشكلة تتضح وتتسع دائرتها حتى اشتهر أمره . وإن له لمقدرة في الخطابة تسلكه في أفذاذ هذا الفن من الموهوبين ؛ واغتدى لنكولن أحد رجال الحزب الجمهوري المعدودين ، وكانت الغلبة لهذا الحزب لأسباب كثيرة أهمها حسن سياسته في مشكلة الرق ، ولقد اشتغل بالسياسة واهتم بمشكلة الرق غير لنكولن من كبار الجمهوريين ، ومع ذلك أخذ صيته ، وهو المحامي الفقير الذي لا جاه له يعظم يوماً بعد يوم حتى أغرقهم جميعاً ؛ وما للمصادفة من أثر قط في هذا ، وبهذا وحده اتجهت القلوب إلى لنكولن وبخاصة بعد ما كان من جدال طويل على أعين الناس بينه وبين دوجلاس أحد قادة الديمقراطيين ، وإن اتجاه القلوب إليه لهو « الترشيح » الذي تحسه الأنفس قبل وقوعه رسمياً ...

فإذا كان هذا جميعاً من المصادفات ، فيجب إذاً أن نتفق على معنى المصادفة ، وإلا عددنا حوادث التاريخ جميعاً مصادفات ،

وجعلنا أعمال بونابرت مثلا أو سعد زغلول أو غيرهما من المصادفات ، وما هي إلا تلك القوة التي يمتاز بها الرجل العظيم ، أو تلك « الروح » التي لا تدرك ولا تنكر .

وهل نعد قضية الرق في ذاتها مصادفة ، واشتغال لنكولن بها مصادفة ؟ وما قيمة هذه المصادفة إن عددناها مصادفة ؟ والمهم هنا هو كيف علا صوت لنكولن فيها على جميع الأصوات ؟ وكيف نفذ إلى القلوب دون غيره ؟ وهل نعد مواهبه وفي مقدمتها الخطابة كذلك من المصادفات ؟ وإذاً فماذا يبقى من « الرجل » ؟

ولقد فشل لنكولن في السياسة أكثر من مرة ، فأين كانت المصادفة ؟ هل نعد فشله كذلك مصادفة كما نعد نجاحه لو أنه نجح ؟ ولقد فاز دوجلاس بمقعد الشيوخ دونه بعد صراعهما الطويل ، وعاد هو إلى عمله في المحاماة ! ؟

ودعى لنكولن بعد هذا الفشل إلى نيويورك ليخطب الناس هناك فسحرهم بيانه بعد أن سخروا من منظره ومن هندامه ومن شعره الأشعث الذي يعلو رأسه الكبير كأنه ألفاف الغابة . وقد قال الصحفي النابه جريلي وهو من خصومه : « ما من رجل استطاع أن يبلغ بخطابه لأول مرة ما بلغه لنكولن من عظيم الأثر في جمهور السامعين في نيويورك » .

ونشرت كبريات الصحف خطابه وبدأ اسمه يظهر بين أسماء المرشحين لرياسة الجمهورية . ولما عقد الجمهوريون مؤتمرهم العام في شيكاغو في شهر مايو لاختيار أحد رجالهم ليرشحوه للرئاسة ، كان سيوارد واثقاً من نفسه قليل الاكتراث بلنكولن ، وقدم زعماء المؤتمرين خمسة أسماء غيرهما وجرى الاقتراع على دفعات ، وأعلنت نتيجة الدفعة الأولى من الولايات ، فإذا سيوارد يزيد على لنكولن بسبعين صوتاً وصوت ، ثم أعلنت نتيجة الدفعة الثانية فإذا لنكولن لم يبق بينه وبين منافسه القوى إلا ثلاثة أصوات ، ثم تعلن نتيجة الدفعة الأخيرة ، فإذا إبراهام يظفر على صاحبه ببضعة أصوات فحسب . وإذاً فالأمر هنا أمر اختيار وتمحيص وليس للمصادفة دخل فيه . وما يقال عن عدم إعداد الأوراق اللازمة للاقتراع ونشاط جريلي وتحويله معظم المندوبين عن رأيهم فهو من قبيل ما يروى عن المعارك الانتخابية مما يشبه القصص بقصد التسلية والتشويق أو بدافع المبالغة ، إذ لا شك أنه مما ينبغي أن يؤخذ في كثير من التحفظ أن تتحول آراء المندوبين في فترة قصيرة في أمر عظيم كاختيار رجل الرياسة في غير سبب من شأنه أن يفضي إلى هذا التحول الخطير . ولقد كان جريلي من أشد خصوم لنكولن طيلة حياته ، وظل على لدده حتى بعد أن ظفر لنكولن بالرئاسة . ولم تكن خصومته لسيوارد الامفضية إلى نجاح منافسه ، وهذا مما يجعلنا نرتاب فيما نسب إليه يوم ذلك المؤتمر العام . هذا إلى أنه لو فرض وقوعه كما ذكرنا فإنه أقل من أن يحول آراء المندوبين بالقدر الذي يؤدى إلى نجاح لنكولن

لقد مكن لنكولن لنفسه قبل ترشيحه ، وسبق هذا الترشيح نشاط وتنافس عظيم في القول والكتابة بين أنصار سيوارد وأنصار لنكولن ، وجاء انتصار لنكولن بعد ذلك متفقاً مع مكانته التي ظل عاملا عليها ، لا طمعاً في الرئاسة ، ولكن استجابة لما كانت تهجس به نفسه .

ومع ذلك كله ، فقد كان من الجائز ألا يظفر لنكولن بالنصر في معركة الرياسة وإن رشحه الجمهوريون ، ولكنه ظفر ونال مائة وثمانين صوتاً من أصوات مندوبي الولايات الذين ينتخبون الرئيس وفق الدستور ، وكان عددهم ثلاثمائة رجل وثلاثة ، وهذا العدد قلما ناله رئيس من قبله .

لقد شق لنكولن طريقه إلى الرياسة في مشقة ، وتحمل من عنت الأيام ومن قسوة الظروف ما يزيد في معنى عصاميته ، وما يجعل من الصعب بل من المستحيل على المرء أن يتصور أن المصادفات هي التي صعدت به إلى رياسة الجمهورية ، ولقد ظل يشتغل بالسياسة أكثر من عشرين عاماً حتى نبه اسمه وذهب صيته في طول أمريكا وعرضها ، وهو الذي خرج من بين أحراج غابة من غاباتها فقيراً معدماً علم نفسه بنفسه ، ولم يتكىء منذ كان طفلا إلا على نفسه ...

وبعد ، فإني أعود فأشكر للأستاذ الجليل ما أبداه من ملاحظات على كتابي كانت سبباً في هذه النقلة المستحبة في تاريخ البلاد الأمريكية ، ولعلنا نظفر منه بأمثالها ، وإني لسعيد إذا صدقني كاتبنا الكبير أني لم أرد بالرد على ملاحظاته القيمة دفاعاً عن كتابي ، وإنما الصواب طلبت ؛ وما أبرئ نفسي من الخطأ ، ولست أرى أن كتاباً يوضع في تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة في عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات جلت أو هانت تلك الملاحظات .

صوم غاندى السياسى

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

الصوم تعليم دينى فرضته جميع الشرائع السماوية ، وسنته مختلف الأديان الأخرى . وجعلت من أدائه طاعة لله وتقربا منه ، ومن مخالفته خروجا على أوامره . ويعتبر الدين الهندوكى من بين تلك الأديان التى تشرع الصوم فى أوقات محدودة ، وتلزم الهندوكيين بقضائها تزلفا لله . ولكن الشعب الهندوكى العريق فى الروحية لم يكتف بصيام الأيام التى يفرضها الدين ، ويقدم طواعية قربان صومه لله كلما نزلت به محنة ، أو أشقته مصيبة ، أو كلما ارتكب آثاما يود التكفير عنها . وكانت أم غاندى من أولاء الهندوكيات الورعات المتقشفات التى لا تهمل صيامها الدينى ، فضلا عن أنها كانت تنذر فى مناسبات مختلفة أن لا تأكل إلا إذا رأت الشمس . ويحدث أن تمضى الأيام تباعا دون أن تأكل شيئا لأنها لم تستطع رؤية الشمس خلف سحب الهند الكثيفة . فتعوَّد غاندى منذ صغره أن يرى أمه تصوم صوما طويلا شاقا ، ترك فى مخيلته أثرا مطبوعا ظهر مفعوله فى حياته العامة .

فابتدأت نزعة غاندى الروحية تتربى فى أحضان تلك الأم التقية الصالحة التى تتمسك بفروض دينها . ثم أخذت تنمو حينما تلقن أول مبادئ الديانة الهندوكية ، ولمس من مواطنيه تملقهم بها ، ووجدهم شعبا يؤمن بدين يحرم أكل اللحوم ، وينبذ لذيذ الطعام ، ويعيش على النبات ، ويشتهر بالزهد والتقشف . فشب غاندى نباتيا لا تثيره شهوة الأكل ، ولا يغريه فاخر المأكولات ، ويحترم تقاليد دينه . فغرست حياته الأولى مع أمه ، ثم نشأته فى ربوع شعب دينى ، المبادئ الروحية فى نفسه . وأصبح فكره ينزع دائما إلى الناحية الدينية والروحية ، ويغلب الحقائق الدينية على أى حقيقة تخالفها . وظهر كل ذلك واضحا حينما خاض معترك الحياة الاجتماعية ، فكان يحاول أن يحل كل ما يقابله من مشاكل بالطرق الدينية . وكان الصوم أول هذه الطرق كان غاندى فى أول الأمر يصوم صيامه الدينى ، أو يزيد عليه أياما معدودة ، كلما طرأت مناسبة شخصية تدفعه لذلك . ولكن حينما أخذ نفوذه يقوى فى جنوب أفريقية ، وأصبح له أتباع مسئول عن سلوكهم وتصرفاتهم ؛ حتى إذا ما صدر عنهم أى فعل يخالف تعاليم الدين ، أو يتعارض مع أصول الأخلاق ، أو يغاير ما ينادى به من مبادئ سياسية ، حق عليه أن يحزن لحدوثه ويتألم ، ويشعر أنه مسئول عما أتوه من آثام ، وينذر صوم عدة أيام أو بضعة أسابيع ليكشف عذاب الصوم ما يحسه من وخز الضمير وكآبة الروح ، أو يخفف ضغط الشعور الأليم بالمسئولية من ناحية ، وليكفر عن آثام أتباعه من ناحية أخرى . فكان صومه يؤثر فى نفوس أتباعه فيتألمون لألمه ، إلا أنهم فى الوقت ذاته كانوا يحلون مقاساته آلام صوم متواصل من أجلهم بدون أن يقترف ذنبا يستحق أن يطلب عنه الغفران . ولذلك حرصوا على ألا يقترفوا من المخالفات والأوزار ما يؤلم غاندى ، فيضطر إلى أن يلجأ إلى صوم يسبب له مايكرهون من العناء والتعب .

فلما وجد غاندى ما لصومه من أثر عميق فى نفوس الهنود ، أدرك بفطرته النفاذة ، وفهمه السليم لروح شعبه أنه يمكن أن يتخذ من الصوم ذريعة روحية مفيدة ، يخدم بها أغراضه الإصلاحية من تقويم أخلاق قومه ، وإصلاح حياتهم المادية والاجتماعية ، وترقية مستواهم السياسى ؛ كما أدرك أن قوة مفعول الصوم فى نفوس الهنود سببه أنهم قوم لا يرهبون إلا قوة الروح ، ولا يخضعون إلا لسلطان الدين ، فتعمد مخاطبتهم باللغة التى يجيدون معرفتها ويصدعون إليها . فاستعان بالصوم لخدمة مصالحهم ، لأنه يعبر عن قوة دينية ، وعن مظهر من مظاهر القدرة على تحمل الآلام ومقاساة الجوع ، فضلا عن أنه وسيلة من وسائل تطهير الروح . فسهل عليه السيطرة به على قومه ، ونجح فى استخدامه إلى أبعد حد بحيث أصبح الصوم أمضى سلاح سياسى يعتمد عليه غاندى بصفته الشخصية للقضاء على الاضطرابات والقلاقل التى كثيرا ما تحدث فى الهند ، ولتهدئة ثورات النفوس المائجة حتى يشملها الحب والوئام ، أو لتفادى ما تتعرض له من أزمات سياسية ، وما يهددها من كوارث اجتماعية . ويرجع توفيق غاندى فى استخدام هذا السلاح الدينى فى السياسة إلى أسباب أهمها :

فهم غاندى العميق لمزاج شعبه الروحى ، ومعاملته بالأسلوب الوحيد الذى يصدع له دائماً .

ثم دقة حساسية غاندى وصدقها فى تلمس خطايا الشعب الحقيقية ، وقدرته الروحية ونفاذ بصيرته التى تخترق شغاف قلوب الجماهير ، وتشعرهم بأن خطاياهم قد مست أعماق نفسه ، فسببت له ألواناً مؤذية من الحزن والألم ، فرضى أن يحتمل عناء الصيام ليعفو الله عنهم . وذلك يوجد الفزع فى قلوب الشعب الذى يخاف على حياة الزعيم الذى يحبونه كل الحب فيضطرون للاستماع لنصائحه والأخذ بآرائه السياسية والاجتماعية ، حتى لا يعود إلى صوم قد يكلف غاندى حياته ، وتفقد الهند بطلها المقدس .

ولقد صام غاندى حوالى خمسة عشر صوماً خلال الخمس والثلاثين سنة الأخيرة من عمره أذكر منها على سبيل المثال ثلاث مناسبات صام فيها غاندى ، لأوضح بعض الظروف المختلفة التى كان يصوم من أجلها غاندى . ولنبدأ بصوم سببه أخلاق تذره عند ما كان فى جنوب أفريقية يشرف على التعليم فى المدرسة التى أنشأها بمزرعة المنقاء ، وتسمح باختلاط الصبيان والبنات بالرغم من تباين نشأتهم واختلاف أوساطهم . فحدث أن اعتدى أحد التلاميذ على عفاف فتاة ، فلما سمع غاندى بهذا النبأ الأثيم تألم وشعر أنه كمشرف على هذه المدرسة مسئول عما ارتكب ، فعاقب نفسه بصوم تسعة أيام ليخفف بها وطأة وخز الضمير وتأنيبه من جهة ، وليطلب المغفرة من الله لمذنبين الآثمين من جهة أخرى . فكان لصيامه وقع أليم فى أهل المزرعة طهر ما علق بالنفوس من أفكار سوداء ، كما حرر نفس غاندى من كل ما انتابها من قلق واضطراب ، وأحل محل غضبه على المجرمين إحساساً بالعطف والشفقة عليهما ، فتوثقت العلاقة بينه وبين الأولاد والبنات .

أما عن الصوم الثانى فصامه غاندى بعد أن نزح عن جنوب أفريقية ورجع إلى الهند بصيته المعروف بمحاربة الاستعمار البريطانى ؛ فاستطاع بعد أن درس حال الهند من جميع النواحى أن يتولى زعامة الشعب الهندى . ثم أخذ يطالب باستقلال الهند الذاتى الذى وعدت انجلترا أن تمنحه للهند بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، نظير ما قدمته لها من مساعدات حربية . فلم تكتف الحكومة الإنجليزية بمراوغته ، بل أخذت تشدد الرقابة على الهنود ، كما فرضت عليهم أحكاما عسكرية صارمة . فعزم غاندى على أن يحاربها حرباً سلمية ، أى يحاربها بسلاح العصيان المدنى الذى حاربها به من قبل فى جنوب أفريقية ، واستطاع أن يلغى ضريبة الثلاثة جنيهات المفروضة على الهنود هناك . إلا أنه شعر بصعوبة قيام شعب يقرب من أربعمائة مليون نسمة ، يختلف فيما بينه من حيث الدين والعادات واللغة ، بعصيان إجماعى قبل أن تتشبع روح كل فرد بأساليب العصيان المدنى السلمى . وهذا يتطلب تنظيما دقيقاً لحركة العصيان ، حتى تبتعد عن العنف والشغب والفوضى وحوادث السرقة والتحطيم والحرق . فأخذ غاندى يمرن الشعب بادىء الأمر على العصيان ، بأن طالبهم بمقاطعة كل ما هو إنجليزى . فقاطع الشعب التوظف فى المحاكم الحكومية الظالمة ، والتعلم فى المدارس والجامعات الإنجليزية التى تفسد عقلية الهنود ، وشراء السلع البريطانية . كما طالبهم بمخالفة كل قانون جائر يضر بمصالحهم . وبعد أن تغلغلت مبادىء المقاومة السلبية فى النفوس ، وبعد أن بلغت حماسة الهنود من القوة بحيث لا يستطاع إغفالها ، أعلن غاندى العصيان المدنى العام فى جميع أنحاء البلاد ، وكان يظن أنه لن يحدث شيئاً يعكر صفو سلمية هذا العصيان ، ولكن حدث أشد ما يبغضه إذ اصطدم الأهالى برجال الشرطة ، فهاج الشعب ، وأطلق الرصاص ، وأشعلت النيران ، واريقت الدماء ، فانتشرت الفوضى ، وكثرت حوادث النهب والإتلاف . فأرغم غاندى على أن يوقف هذا العصيان ويعلنه ثلاث مرات متتالية ، وعلى أن يصوم أربعاً وعشرين ساعة من كل أسبوع تكفيراً عن الدم الذى أريق ، وقصاصاً لنفسه على فظائع بنى قومه ، حتى يشعرهم بهمجية عنفهم ، ويلزمهم حد اللاعنف الذى يجب عن طريقه أن تنال الهند استقلالها .

وكان الصوم الثالث سببه ما بين الهندوكيين والنبوذين من نزاع ؛ لأن مشكلة النبوذين من أولى المشاكل الاجتماعية الهندية التى وجه لها غاندى كثيراً من عنايته . وذلك لما وجد الهندوكيين يحتقرون النبوذين أشد الاحتقار ، ويعتبرونهم أنجاساً ، ويحرمون معاشرتهم أو الاتصال بهم . فحاول غاندى أن يمحو الفوارق الاجتماعية بين جميع الطوائف الهندية ، ويعطى النبوذين من الحقوق السياسية مثل ما لأى هندى آخر . فكان يظهر فى كل

الأزهر والإصلاح

للأستاذ محمود الشرقاوى

سيقول كثير من إخواننا الأزهريين حين يقرأون هذا الذى أكتب عن الأزهر والإصلاح : لماذا وله ؟.

سيقول كثير من هؤلاء لماذا كتب هذا ومن يريد بكذا وماذا يقصد بكذا ؟ لأنهم لا بد — فى اعتقادهم — أن يكون لكل شىء ظاهر وباطن ، ولا بد أن يكون وراء كل عمل أو قول أمر مستور يُسأل عنه بماذا وله .

فهم يقولون فى علومهم ودروسهم لماذا وله وماذا يراد بكذا وهذه محمدة ، وهم يقولون عند ما يرون لأحد رأياً أو سعياً لماذا وله وماذا يراد بكذا ، وهذه مذمة .

وأعلم أن كثيرين منهم سيقولون لماذا أو لِمَ ، وهم يعلمون أن هذا الذى أكتب اليوم قد بدأته قبل أن أبدأ سن العشرين .

وإنى كتبته فى السياسة والسياسة الأسبوعية منذ عشرين من السنين ، وأن الأزهر وإصلاحه كانا شغلى وشاغلى منذ أجريت قلمى على قرطاس ، وإنى دأبت عليه وكان وكدى فى « الرسالة » أول ما ظهرت الرسالة إلى هذا الوقت القريب وفى « البلاغ » ثمانى سنين دأباً .

هؤلاء الكثيرون يعلمون ذلك وقد يعلمون غيره ، ولكنهم سيقولون لماذا كتب هذا وماذا يريد وماذا يقصد ؟

ولكن هذا التساؤل وهذا التأويل وهذه الظنون حسنة أو سيئة ، طيبة أم خبيثة ، لن تحول بينى وبين أن أكتب ما أريد ، ولن تمنعنى أن أقول ما تجيش به نفسى عن الأزهر وإصلاحه .

والذى أريد أن أقوله إن الأزهر لم يصلح ، وأن بينه وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً ، ولست أدرى هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟

وأنا حين أزعم أن الأزهر لم يصلح لا أريد أن أتوجه بهذه التهمة إلى أحد ولا إلى عهد ، فالواقع أن الأزهر قد التوت به وبأهله سبيل الإصلاح وبعدت بهم عن أهدافه ومراميه ؛ والواقع الذى هو

مكان يؤا كل المنبوذين أو يعانقهم ، حتى يشجع غيره من الهندوكيين على أن يتشبهوا به ويحسنوا معاملتهم . إلا أنه لم يقدر أن يقضى نهائياً على اضطهادهم للمنبوذين . ولكن حين قبلت الهند سنة ١٩٣٥ المشروع الإنجليزى الذى ينص على خضوع البلاد لحكم نيابى مؤلف من مجلسين أحدهما تشريعى والآخر للمقاطعات ، تكون الحكومة مسئولة أمامهما ، ثم بدىء فى توزيع المناطق الانتخابية لتأليف هذين المجلسين النيابيين ، طالب المنبوذون بمناطق انتخابية منفصلة . فأيدهم الإنجليز فى هذا الطلب ؛ إلا أن غاندى رفضه مصرحاً بأن اعطاءهم مثل هذه المناطق يعقد مشكلة المنبوذين ويجعل حلها عسيراً ، ويقضى ببقائهم على ما هم عليه من ذل وهوان ، وهذا فضلا عن أنه يزيد الشقاق بين الطوائف الهندية ، ويقوى الخلافات الدينية التى تشكو منها الهند ، وأعلن الصوم حتى الممات . وما كاد يمضى سبعة أيام على صيامه حتى انتهى الخلاف بتسوية تسلم بانتخاب المنبوذين فى مناطق الهندوكيين ، على أن يكون لهم عدد معين من المقاعد فى المجالس الإقليمية التشريعية .

وإذا حاولنا أن نتكلم عن كل صيام صامه غاندى ، استعرضنا مختلف مشاكل الهند الحديثة سواء أكانت اجتماعية أو سياسية أوطائفية أو دينية ، لأن غاندى لم يترك مشكلة لم يتعرض لحلها ، فإذا ما أحس أن هناك مشكلة ستحل بطريقة تتعارض مع مصلحة الهند والهنود فإنه يتفادى مقدما نتائجها الوخيمة ، ويعلن الصوم حتى تحل هذه المشكلة حلا يقع نفعه على الهند ، أو إذا ما تصادم المسلمون والهندوكيون أو اندلعت نيران الثورة الطائفية ، وهاجت النفوس ، أكثر واشتدت المجازر فإن صيامه يبعث الذعر فى قلوب ملايين الهنود مما يبعثه وابل من القنابل ، فيضع حداً للمذابح ، ويسكن النفوس الهائجة ، ويستحيل بفضله الحقد إلى حب . وذلك كله يؤكد زعمنا بأن غاندى أخرج التعاليم الدينية من عالم المعابد إلى عالم الحياة الواقعة ، وأعطى الصوم الدينى حقيقة عملية ، وجعل له وظيفة نافعة فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، واتخذ منه سلاحاً يقوم به أخلاق الناس ، ويهدىء من هياجهم ، ويمحو الحقد والبغضاء من قلوبهم .

عبد العزيز محمد الزكي

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أعجب من هذا كله أن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد .

وليس هـذا شيئاً جديداً بل هو شىء يمتد إلى سنين مضت غير قليلة ، وقد جرى بينى وبين المرحوم الشيخ المراغى حديث فى هـذا منذ سنين لعلى راجع إليه فى « الرسالة » فى يوم قريب أو بعيد ، ويوم أعود إلى هذا الحديث سيعلم من لم يكن يعلم أن إصلاح الأزهر لم يشتغل به أحد ولم يفكر فيه أحد . اللهم إلا المتفائلين والمثاليين (١) والخياليين الذين يعيشـون بين الأمانى والأحلام ، وقد عشـنا بها زمناً رغداً ، ثم ذهبت عن أعيننا الغشاوة .

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى

وإلا فقد عشـنا بها زمناً رغدا

كان المصلحون يرغبون أن يكون الأزهر قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق حتى يقاوم بهـا ما ينتاش العالم كله من إباحية وإلحاد وتهجم على فكرة الدين وعلى مجرد الإيمان ، وكانوا يرغبون أن توجد فى الأزهر هذه البيئة الدينية المؤمنة المدركة لما يقع فيه العالم كله اليوم من أزمة روحية يحسها كل رجل مستنير ويدرك خطرها على القيم الروحية وعلى الأديان كافة ، فإن توجد فى الأزهر هذه البيئة الدينية المدركة فسينهض منها لا محالة من يحول بين هذه العواصف العاصفة بالإيمان وبالقيم الروحية أن تنزع من صدور الناس وأن تذهب هذه العواصف بما بقى فى هذه الصدور من إيمان .

وكانوا يرغبون أن توجـد فى الأزهر بيئة علمية مدركة مستنيرة تخرج للناس هـذا التراث العلمى الإسلامى الفريد ، فتجلوه لعيونهم وأفهامهم ، وتبرز هذا الركاز العظيم المطمور من علوم العرب والمسلمين فى كل فن وعلم ، هؤلاء يدرسون هذا التراث بعقولهم المدركة المستنيرة ، فيظهرون الناس على ما فيه من عمق ومن سعة ومن دقة ومن شمول ، وهؤلاء يبرزون هـذا الركاز المطمور بما ينشرون ويخرجون من كتب ومن مذاهب وآراء ومن شروح وفهارس ومن تبويب .

وكانوا يرغبون فى أن يخرج الأزهر للناس طائفة من العلماء منيرة عقولهم شـجاعة أفئدتهم « يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس ، ويعلـكون — كما يقول الأستاذ الزيات — تزييف « الأباطيل المقدسة » التى اتسمت بسمة الحق وتسمت باسم الدين » (١)

وكانوا يرغبون فى أن يخرج الأزهر للناس طائفة من رجاله يكونون للناس مثلا فى كرم الخلق والحرص على أداء الواجب والزهد فى زخرف الحياة وما يطمع الناس فيه من مجد ومن مال ومن صدارة .

طائفة من الناس شعارهم المحبة والتسـامح والمودة وكرم النفس والترفع عن الصغيرة والشجاعة فى الحق وعفة القلب واليد واللسان ، يجعلون خير الناس مقدماً على خير أنفسهم ، والعمل للناس قبل العمل لذواتهم وأشخاصهم وأطماعهم .

طائفة من الناس تقوم حياتهـا على الإيثار والتضحية ، والنصيحة بالعمل قبل القول وبالمثل والقدوة قبل الدعوة والتمثيل

طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شؤون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم ، ويعملون على خلاص هذه الأمة الإسلامية مما هى فيه من جمود ومن جهالة ومن أنانية وجحود .

هذا هو الإصلاح للأزهر وهذه سبيله .

فهل أنا مخطىء إذ أقول إن الأزهر لم يُصلح ؟..

وهل أنا متشائم إذ أقول متسـائلا إن بين الأزهر وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً ، وإنى لست أدرى هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟ . .

أما الخطأ فأعتقد أنى لست مخطئاً ، ولا أعتقد أن أحداً يرى غير ما أرى وهو منصف مدرك .

وأما التشـاؤم والتفاؤل فليس عندى عليهما جواب ، وقد تجيب عنى الحوادث والأيام .

محمود الشرقاوى

---

(١) كان الصديق الأستاذ الزيات فى يوم من الأيام متفائلا أيضاً أنظر مقال « هل انبعث الأزهر ؟ » فى صدر العدد ٤٠٨ من الرسالة « ٢٨ ابريل سنة ١٩٤١ »

(١) مقال « هل انبعث الأزهر »

معركة صبيان

للأستاذ نجاتي صدقي

كانت المواصلات بين أحياء القدس العربية واليهودية منقطعة إنقطاعاً تاماً ... وإذا ما تخطت سيارة من سيارات الطرفين الحدود فمعنى ذلك أنها موفدة بـ « مهمة » لا عودة لها بعد أن يتم لها إنجازها .

إلا أن هناك نوعا من سيارات الشحن اليهودية كان يحق لها أن تخترق أحياء القدس العربية على شكل قوافل أربع مرات فى اليوم ، هى سيارات (البوتاس) .

والسيارات هذه تابعة لشركة البوتاس التى تقع معاملها على ضفة الأردن الغربية ، فى بلدة (كاليه) اليهودية الصناعية ، وهى تستخرج ملحه البوتاس من رواسب البحر الميت ، ثم تعبئه فى أكياس وترسله إلى القدس فى سيارات شحن ضخمة ، حيث تتولى وكالة لها تصدير هذه المادة الكيماوية الهامة إلى خارج فلسطين

فى بدء الحوادث كانت سيارات البوتاس تسير بحماية عدد من البوليس ... ثم جعلت مقدمة كل سيارة مصفحة بالفولاذ لا يظهر منها سوى ثلاث كوات ، إحداها أمام السائق اليهودى ، واثنتان عن يمينه وعن يساره ... ثم صارت مصفحات الجيش ترافق هذه السيارات ... ثم أخذ فريق من الجند بكامل معداته يصحبها فى طريقها الممتد من أريحا إلى وادى موسى ، إلى قرية العازرية ، إلى باب الأسباط فى القدس فحلة وادى الجوز ، فباب الساهرة ، فالشيخ جراح ، فالأحياء اليهودية .

وكانت هذه السيارات تتعرض فى كل سفرة إلى استقبال حار من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لأن الرصاص كان يستكين فى الأكياس ، أو يتدحرج على أضلاع المصفحات حانى الرأس منكسر الخاطر ! . .

وذات يوم عقد جماعة من صبيان وادى الجوز وباب الساهرة اجتماعاً سرياً فى حديقة المتحف الفلسطينى بالقدس ، وكان موضوعه رسم خطة للاشتباك مع سيارات البوتاس فى معركة !..

قال حسن ، وهو أجير بقال : إننى أرتأى أن نرش الطريق بالمسامير ! . .

فهزأ منه صحبه قائلين إن عجلات هذه السيارات من المطاط المسكوب لا المنفوخ .

فقال سليم ، وهو صبى ميكانيكى : إننى أرتأى أن نسد الطريق بالحجارة ، وحين يخرج القوم من سياراتهم لازالة ما نضعه من عوائق أمطرناهم بوابل من الحجارة ! . .

فاستسخف الأولاد رأيه قائلين سيتولى الجند إزالة الحجارة ويذهب مجهودنا سدى . .

فقال شكرى ، وهو تلميذ فى الصف الثانى الابتدائى : إننى أرتأى أن نغتنم فرصة مرور السيارات من هذه الناحية ونقفز عليها ونثيرها ضبحة تلقى الهلع فى قلوب السائقين ، فيضطرب حبل توازنهم ، ويصدم بعضهم بعضاً ! . .

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين : وماذا يحل بنا فى هذا الصدام ونحن ممتطون ظهور هذه السيارات ؟ ! .

فقال عبد ، وهو أجير فران : إننى أرتأى أن نضع قشاً فى طريق السيارات ومتى اقتربت منها أضرمنا فيها النيران ... وسأتولى إحضار القش من الفرن أثناء غياب معلمى ! . .

فقال له المجتمعون : كلامك هذا غير موزون ، أتظن أن هذه السيارات هى أرغفة خبز وأنها ستنتظرك حتى تشمل فيها النيران ؟ ثم ماهى كميات القش التى ستحضرها من الفرن ؟ . .

فقال موسى ، وهو ابن أحد الجنود العرب الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية : إننى أرتأى يا أولاد أن نقذف السيارات بالزجاجات المحرقة ! . .

فدهش الصبية وقالوا بصوت واحد : وما هى هذه الزجاجات؟

قال :أنا أصنعها .

قالوا : وكيف تصنعها ؟ . .

قال : أحضر زجاجات (كازوزة) فارغة ، واملأها بنزيناً . ثم أخرق سدادة كل زجاجة وأضع فيها فتيلاً يمتد إلى البنزين ... واشعل الفتيل واقذف الزجاجة على الهدف ، فتتكسر ويلتهب البنزين ! .

من وحى الصوم :

هيام المتصوفين

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

من من الناس غير المتصوفين يلوذون بالمقابر الموحشة فى الغياهب الحالكة ، وكأنهم يخفون إلى رياض مونقة يداعبها عاطر النسيم ؟

إقرءوا ما سطره البهلول فى سكون الأجداث ، وتعالوا معى نتساءل كيف أوحت إليه من المعانى الممتازة ما توحيه الجنان الضاحكة لشاعر مطبوع ؟ ! أليس هذا من العجيب ؟

وما تقولون فى الأحلام الساحرة التى يشاهدها القوم فى تلك الأماكن الباكية ؟ وهل علمتم أن منهم من رأى فى منامه قبوراً تنشق وتخرج منها طيور مجنحة تملأ الأفق ، ثم يسطع نور علوى من السماء فيلبس الأجداث حللا بيضاء ، ويهب نسيم عاطر فينعش الأموات !!

خيال غريب ، وتزداد غرابته حين نعلم أنه استمد أصوله من الأشلاء المتناثرة ، والظلام الدامس ، والحجارة الصماء !

أضف إلى ما تقدم كله ، ما عرف عن القوم من السهر الطويل ومحاربتهم النوم بشتى الوسائل ، ولعلهم يجدون فى سكون الليل سلما إلى التحليق فى أجوائهم العالية ، فقد شاع لديهم أن أعمال المؤمن تتبدد وتتلاشى إذا عرفها الناس ، أما الأعمال المستترة فهى الباقية الدائمة ، ومن ثم لاذوا بالظلام وتسربلوا ثيابه السوداء ، فنشطوا للعبادة نشاطاً يغبطون عليه !! وتفرغوا للركوع والقيام فإذا نشر الفجر أجنحته تحسروا كثيراً لرؤية الضياء !!

أى سلاح كانوا يستعينون به فى مصارعة هذه الأهوال ؟ !

لا شىء غير الصبر الجميل ؛ فقد وطنوا أنفسهم على تحمل كل مكروه ؛ وهم يرحبون بالأذى فى الله ترحيباً يفوق كل ترحيب؛ ولهم فى ذلك روائع مدهشات . قال ذو النون المصرى : دخلت على مريض أعوده فسمعته يئن فقلت له : ليس بصادق فى حبه من لم يصبر على ضربه . فصاح من أعماقه : لا ولا صدق فى حبه من لم يتلذذ بضربه ! وهذا رد مسكت بليغ وقد صفقت بدون وعى

فأعجب الصبية بهذه الفكرة الجبارة وأقروها ، ثم وزعوا فيما بينهم إحضار المواد اللازمة . فأجير البقال تبرع بالزجاجات الفارغة ، وأجير الميكانيكى تبرع بالبنزين ، وغيرهم تبرع بالفتيل والكبريت .

ورسمت الخطة ... وهى أن ينتشر الصبية على سور المتحف الفلسطينى ، وعند ما تمر سيارات البوتاس بهذا السور يصرخ موسى : « عليهم » ! . . فيقذفون الزجاجات دفعة واحدة ، وينتهى الأمر .

وهكذا كان ... إذ بينما كانت تسير السيارات فى حولتها بالقرب من سور المتحف الفلسطينى قذفها الصبية بزجاجات البنزين ، فسقط بعضها فى الطريق واشتعل ، وسقط غيرها على جوانب السيارات والتهب ... وسقط غيرها على أسطحة غرف السواقين واحترق .

ولما رأى من فى داخل السيارات أن النار تشتعل هنا وهناك قفزوا منها ظانين أنهم وقعوا فى شرك مرعب ... وفى هذه اللحظة تقدمت بعض مصفحات الجيش لإنقاذ الموقف ، وضرب المشاة طوقاً حول مكان الحادث ، وراح غيرهم يبحث عن المهاجين فى حديقة المتحف الفلسطينى فوجدوهم مستلقين فى نواويس رومانية قديمة ! . .

واكتفى الضابط باعتقال موسى ، فوضعه فى مصفحة وسار به مع القافلة متجهاً نحو الأحياء اليهودية ، وكان كلما مر به على جمع من اليهود أمره بأن يطل عليهم من الكوة ... ثم يأخذ أذنه بين أصبعيه ويفركها قائلاً : إذا عدت إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال قبضت عليك ثانية وأنزلتك فى هذه الأحياء ! . . ثم أعاده إلى أهله .

وفى صباح اليوم التالى رؤى الصبية مجتمعين فى مكان ما فى القدس ، وقد أغرقوا رؤوسهم فى جريدة صباحية يفتشون فيها عن أبناء معركتهم ! . .

نجاتى صدقى

وأنا أطالعه فى مصارع المشاق .

وشبيه بذلك ما حكاه على بن سعيد المطار قال : مررت بكفيف مجذوم وفوقه زنبور يقع عليه فيقطع لحمه ! فحمدت الله أن عافانى مما ابتلاه ، فصاح فى وجهى : « ما دخولك فيما بينى وبين الله ؟ فوعزته لو قطعنى إرباً ، وصب علىّ العذاب صباً ، ما ازددت له إلا حبا » فما رأيكم فى هذا الرد الآخر ؟ إن صحائف المتصوفين لتزدحم ازدحاماً بأمثال هذه الروائع . وهى عبر تخلق من الشكلى الصارخة حجراً صلداً لا ينبس بنت شفة وإن فارقها أعز الأبناء !

إن العارفين بالله يرون الأذى الجسمى امتحاناً سماويا ، ولا تصدق محبتهم إلا إذا قابلوه مقابلة طيبة ووقع من نفوسهم أطيب موقع وأرضاه ، وقد يبدو لبعضهم أن يمتحن أصحابه بالإيذاء كما يمتحن المولى عبيده بالأوصاب ، فقد زار أبا بكر الشبلى جماعة من أحبائه وهو مريض بالمارستان ، فسألهم عن مجيئهم ، فقالوا إنا محبوك يا أبا بكر ، فرماهم بحجر كان فى يده ، فلاذوا بالفرار وصاح بهم الشبلى : يا كذابون ، لوصدقتم فى محبتكم ما هربتم ! وكأنى به وقد رآى فى ربه أعظم مثال للاقتداء ! !

ولنا أن نتساءل : أكان المتصوفون يشعرون شعوراً تاماً بشدة ما يكابدونه من أنواع الإيذاء ؟ أم أن فيهم من وصل إحساسه إلى درجة يهون معها التعذيب كما تنطق بذلك بعض الروايات ؟

أرجو أن يكون القارىء واسع الصدر فلا يتعجل بتكذيب ما نعرضه بين يديه ، فلن نرسل الكلام إرسالا بدون تعليل وتدليل ، وإن كنا نتكلم فى خوارق بعيدة ، تفعل بالعقول — بادىء ذى بدء — ما تفعله الزلازل فى قنن الجبال .

فهل صحيح ما روى عن أحد الأقطاب أنه كان يسير على الماء وحوله الموج المتلاطم يتراكب بعضه فوق بعض ، وكأنه يسير فى طريق ممهد يدرج عليه الناس !!

وهل صحيح أن الشبلى كان ينتف اللحم من وجهه بمنقارحاد ، فإذا سئل عن ذلك قال : ظهرت الحقيقة ولست أطيقها فأنا أدخل على نفسى الألم لأحس به ولكن هيهات هيهات !!

وهل صحيح أن أبا الحسن النورى سمع منشداً يقول :

ما زلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الأفهام دون نزوله

فتواجد وهام فى الصحراء ثم وقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله كظبا السيوف ، فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من قدميه ، ولا يشعر بشىء من العذاب !

إن فى كتب التصوف أقاصيص عديدة من هذا الطراز ؟ فهل نحكم عليها بالوضع والاختلاق ؟!

سنجد كثيراً من الناس يلوون ألسنتهم ويقولون فى تهكم بالغ : خرافات كاذبة ، ما كان لكاتب أن يسطرها فى صحيفة الرسالة الغراء !!

ونحن — فى الرد على ذلك — لا نستشهد بما سطره المتقدمون فى بطون الأسفار ، ولكننا ننتقل إلى القرن العشرين لنرى مايجد فيه من خوارق العادات .

لقد نقلت مجلة الهلال بعددها الصادر فى أغسطس سنة ١٩٤٧ عن مجلة « أنتير » الفرنسية ، حوادث مدهشة تفوق ما قدمناه ؛ وقد اعترف بها كثير من أساطين العلم الحديث ، ولم يعدموا لها التعليل العلمى ولو أنها سطرت فى كتب المتصوفين لقوبلت بكثير من الاستخفاف . ولا نحب أن نطيل على القارىء ، ولكن نضع أمامه هاتين الحادثتين — مما ذكرته الصحيفة الفرنسية — وله أن يقول فيهما ما يشاء .

١ — كان «ريشادسون» الفرنسى يضع الجمر فى فمه ويمضغه فلا يصاب بأذى ، وقد وضع على لسانه جمراً فوقه قطعة لحم ثم قدمها ناضجة بعد دقائق إلى من شاهدوه من العلماء ! !

٢ — قام الهندى « كودابوكس » بتجربة رائعة فى انجلترا أمام رهط من رجال العلم والصحافة أثبت فيها قوته الخارقة على مقاومة الاحتراق بالنار ، فقد حفروا حفرة طولها أربعة أمتار وعرضها متر ونصف وقد ملئت بالخشب والحطب ، واضرمت فيها النار حتى ارتفع لهيبها ، وجعل الهندى يمشى فى ذلك الأتون الملتهب ذهاباً وجيئة من أول الحفرة إلى آخرها ، وفحصت قدماه بعد ذلك فلم يظهر بهما أثر من آثار النار ! !

فما رأى القراء فى هذه الخوارق ؟ وإذا صحت على يد أناس لا يتصلون بالسماء ، فكيف ننكر أشباهها على الأولياء !

إن الإنسان العادى قد يوجه تفكيره إلى ناحية هامة تستولى

على إدراكه فلا يشعر بشيء سوى ما يفكر فيه . وقد قرأت في الصحف ذات يوم ، أن النار قد شبت في حجرة ريفية وكان بها طفل صغير ، فاقتحمت أمه النار ، وأنقذت ولدها ثم خرجت إلى الناس واللهب يمزق قدميها وهي لا تشعر به حتى نبهها الحاضرون فليت شعري هل يحس بألم جسدي من يرى بعينيه أنوار السماء مهما مزق جسده الرصاص ؟!

أفيئوا إلى قلوبكم أيها القوم فإن الحق يتسرب إليها بدون استئذان ؟

لماذا نسير في طريق معوج ولا نلجأ إلى الصراط المستقيم ؟ ألسنا نعرف أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فماذا قال هذا الكتاب ؟!

لقد ذكر أن امرأة العزيز جمعت صواحبها وأعتدت لهن متكأً وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، وقالت (ليوسف) أخرج عليهن ؛ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . فهل نعترى في ذلك بمض امتراء .

لقد أبدع اليافعي رحمه الله حيث قال في التعليق على هذه الآية الكريمة «وهذا في محبة مخلوق فكيف في محبة الخالق ، ولا ينكر ذلك إلا من لم يذقه» وأنا أقول زيادة على ما تقدم ، إن عدم الإحساس بتقطيع الأيدي كان تعلة لامرأة العزيز وهي حينذاك مدعية كاذبة ، فكيف ننكر نظائره على البررة من الأولياء ، أما معجزة يوسف فهي تأويل الرؤيا بدون نزاع .

إذن فقد آن لنا أن نعترف بما قدمناه عن المتصوفين فنجزم أن الشبلي لا يحس بتقطيع لحمه ، وأن النوري لا يشعر بتقاطر دمه ؛ ونصدق قول الجنيد رحمه الله « كنت أسمع السري يقول : قد يبلغ بالعبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . وكان في قلبي من ذلك شيء حتى بان لي أن الأمر كما قال » .

والواقع أن هذه الخوارق العجيبة هي التي جذبت الخاصة والعامة إلى هؤلاء المتصوفين فكانوا أقوى سلطاناً من الملوك ، وكان العارف يعتصم بجبل نازح فتخف إليه الوفود تلو الوفود ، وقد يقول الرجل كلمة فترفع الخامل وتسقط النابه ، بل إن أمراء المؤمنين كانوا لا يستنكفون من الخضوع لما عليه الزهاد ، وأخشى أن أعرج على شيء من ذلك ، فأخوض في حديث معاد !

هل أتاكم نبأ أبي سعيد أبي الخير ؟ لقد كان مريدوه يتضاربون بالسيوف حرصاً على ماء وضوئه ، والسعيد من حصل على قطرة واحدة يُضيء بها جبهته . ويذكرون أن قطعة صغيرة من قشر البطيخ قد سقطت منه ، فتهالك عليها الناس واشتراها أحدهم بعشرين ديناراً . فهل بلغ هذه المنزلة في النفوس أمير أو وزير ! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولقد ظهر انكباب العامة على العارفين في حلقات السماع ، حيث كان لكل متصوف مجالس إنشاد تقام في أوقات معينة ، فما يحين ميعادها حتى تتدافع عليه الناس من كل حدب وصوب ، وطبيعي أن يكون المنشد ويسمى (بالقوال) حسن الصوت ، لطيف الذوق ، فيختار من الأبيات الرقيقة ما تطرب له المشاعر وتهيج به القلوب ، حتى كان بعضهم يصيح من وجده ، وأحياناً تأخذه النشوة ، فيهيم على وجهه في الآفاق كأنما نشط من عقال .

إن للصوت الجميل أثره البالغ في الاحساس ، فما ظنك إذا اقترن بمعنى سماوي رائع ، ثم سمعه صب ذواق يدرك ما يهدف إليه عالم الإدراك ؟ أليس من القليل عليه أن يترنح ذات اليمين وذات الشمال كمن دارت برأسه العقار .

وقد يرق شعور المتصوف فيسمو إلى ما لا تحيط به عين ، وإذ ذاك يقف في مكانه لا ينطق بشيء . وليس ذلك في مجلس السماع فحسب ، بل في كل موقف تهطل فيه سحائب الرحمة ، فقد وقف أبو بكر الشبلي على عرفات مدة طويلة فلم تتحرك شفتاه بشيء ، وللحجاج حوله ضجيج وعجيج ، فهل يكون هؤلاء أكثر رغبة منه إلى الله ؟ أم أنه شاهد ما خفي عن غيره فعقد الموقف لسانه ، ورجع إلى مقره شارد العقل متقد الضلوع .

إن كثيراً من المتصوفين يتخيلون أنفسهم تحلق في عالم آخر وتشاهد أضواء متألقة لا تتاح لأحد . وقد سئل بعضهم في ذلك فقال : والله لو غاب عني لحظة لتقطعت « وهم يجزمون أن العارف الصادق يصبر عن كل شيء عدا رؤية مولاه . وقد وقف رجل على الشبلي رحمه الله فقال له أي الصبر أشد على الصابرين ؟ فقال الصبر لله ! فقال الرجل : لا . فقال الشبلي : الصبر مع الله ، فقال الرجل لا ، فغضب أبو بكر وقال : ويحك فأي شيء إذن ؟ فقال الرجل : بل الصبر عن الله عز وجل . فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف

روحه ، وكأنه رأى صاحبه قد سبقه فى الطريق فمنف نفسه أحر تمنيف وأقساه ! !

وكثير منهم من يذرف الدموع الغزار حين يخطر بباله أنه غير أهل لمحبة ربه . كيف وقد وقر فى نفوسهم أن ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد يسابقهم مسابقة شديدة فى الافتتان بخالقه ، فهم يتنافسون فيما بينهم منافسة حادة تضطرم فيها الأحشاء . ولهم فى هذا الصدد نوادر غريبة ، فقد حكى سهل ابن عبد الله أنه قابل دباً فى فلاة لخادنه وناقشه ! ! وعلم منه أنه — مع فريق من الوحش — هائم فى ذكر ربه ! ! فما منشأ هذه النادرة ؟ وهل استنبطها سهل من قول الله « وإنْ من شىء إلا يسبح بحمده » وما موقفه بعد ذلك بين يدى نفسه حين يرى أنه بالنسبة إلى غيره ليس فى العير أو النفير ! مسكين مسكين ! !

وإذا غرق العارف فى لجج الصبوة لم يجد فى قلبه فراغاً يسع شيئاً آخر غير ما هو فى سبيله ، ولذلك كان الصوفيون رهباناً لا يتزوجون ولا يتنعمون ، مع أنهم ينضوون تحت لواء الإسلام !!

هل سمعتم تحذير مالك بن دينار من الزواج ؟ وهل فكرتم فى علة ذلك ؟ لأنه يرى اللذة الجسدية سبة نكراء لا يميل إليها غير الدهماء ، أم ترى ماذا يكون .

إن القوم مكبلون بما ورد فى الكتاب والسنة من الترغيب فى الزواج فبأى سلاح دافعوا عن مبدئهم الغريب ؟

لا يستطيع السامع أن يظفر منهم فى هذا الموضوع بغير الأساطير ، وللأساطير فى نفوس العامة فعل السحر، فهى تقوم مقام الآيات والأحاديث ، إن لم تفقها عندهم فى بعض الأحايين ، وفى الآدميين من سلبوا العقل الناصح فهاموا كالدواب ! !

وأقرأ هذه (الخرافة) أمام عامى ساذج فستجده ينجذب إليها أتم انجذاب ، وربما ندم على ما فرط فى جنب الله حين أقدم على الزواج .

« قال بعضهم كنت فى زاوية بمصر فخطر بقلبى أن أتزوج ، وقوى عزمى على ذلك . فخرج من القبلة نور لم أر مثله ، وإذا بيد فيها نعل من ياقوتة حمراء ، وشراكها من زمرد أخضر مرصع باللؤلؤ ، ثم سمعت هاتفاً يقول : هذه نعلها ، فكيف لو رأيتها ! فذهبت عنى شهوة النساء »

فما معنى هذه الأسطورة ؟ وهل يحرم من الحور فى الجنة من يتصل اتصالاً شرعياً بالنساء ؟ هذا جائز جداً فى منطق البلهاء .

إن القلب لا يتسع لأكثر من واحد ، فلا على الصوفى إذا قنع بمحبة ربه ، ولكن ما ذنب العامة من الدهماء ؟

إن للقوم شطحات وشطحات ، ولا حيلة لهم فيما يشطون به من الآراء ، فقد تفرد الله وحده بالكمال . ومن ذا الذى ترضى جميع سجاياه ؟

وبعد فقد حاولت أن أروح عن نفسى بكتابة هذا البحث ، فقد حبب إلى أن أقوم بجولة خاطفة فى ميدان التصوف النظرى فأطالع الأسفار ، واستنطق السطور ، بعد أن أخفقت فى ميدان التصوف العملى ، فقد أعددت العدة ، وسرت خطوة واحدة ، ثم وقفت كالمقيد المكبول ، فلا أستطيع أن أتقدم ، ويعز علىّ أن أرجع حيث بدأت وأنا فى الاضطراب والحيرة كأسير أم عمرو الذى قال فيه أحد كبار الهائمين .

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها ... تحل الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة ... ولا هو ممنون عليه فيطلق

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

فى آفاق حافظ إبراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ حسين مهدى الغنام

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ومن أمثلة سخريته المستترة ما كان بينه وبين شوق .

فقد وقف شوق بين حافظ وبين القصر كالعارض الضخم ، لا يستطيع حافظ أن ينفذ منه إلى صاحب القصر حتى يستطيع أن يصيب بعض ما أصاب شوق ، ولكن شوقياً لم يترك له مجالاً ينفذ منه .

فقد حاول حافظ أن يتملق شوقياً ، بل قد تملقه فعلاً ، فقال فى بعض شعره يمدح الخديوى :

لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى ... إلا فتى ما له فى السبق إلاه

وفى قصيدة ثانية :

إلى سدة العباس وجهت مدحتى ... بتهنئة (شوقية) النسج معطار

ومنها :

معان وألفاظ كما شاء أحمد ... طوت جزل بشار ورقة مهيار

ويعلل أحمد بك أمين فى مقدمته لديوان حافظ هـذا البيت بقوله : الظاهر أنه يريد المتنبي بهذا البيت .

ولكنى أراه يقصد شوقياً ، كما قال فيما تقدم . والسخرية فى هذه الأبيات واضحة .

ومن سخريته بشوق قوله يمدح الخديوى فى قصيدة أخرى :

واليوم أنشدهم شعراً يعيد لهم ... عهد النواسى أو أيام حسان

أزف فيه إلى العباس غانيـة ... عفيفة الخدر من آيات عدنان

من الأوانس حلاها يراع فتى ... صافى القريحة صاح غير نشوان

ما ضاق أصغره عن مدح سيده ... ولا استعان بمدح الراج والبان

ولكنهما تصافيا وتصادقا بعد ...

والأمثلة على هذا كثيرة لا تكاد تحصى .

٤ — شاعر إنسانى

من الأمثال العجيبة الدارجة فى الطبقات المصرية البسيطة قولهم : فلان هذا رجل إنسان !

فتسأل : كيف ؟

فيقال : إنك لا تسأله شيئاً ويرفضه مطلقاً . ثم هو دائم الاهتمام بغيره وبمن هم أقل منه !

وهذا الوصف الصادق السائر بين الطبقات المصرية البسيطة ينطبق على حافظ إبراهيم فى جملته ، وإن ابتسم البعض لهذا الوصف الرفيع ...

فحافظ إبراهيم كان رجلا (إنساناً) بكل معانى هذه الكلمة ولم تقتصر (إنسانيته) أو عطفه على من هم أقل منه فقط ، بل شملت من هم أكبر منه ، وشملت الأمم والشعوب المنكوبة جميعاً

وليست إنسانية حافظ فى أنه كان دائم الإحسان على غيره ، حتى ليجود بكل ما معه لمعدم أو فقير ، ولو بقى جائعاً هو نفسه وإنما إنسانيته فى العطف على العالم المنكوب ، حتى لتراه — مثلا — يواسى أمة ويعطف عليها ويستدر عطف الغير على هذه الأمة فى نكبة ألمت بها ، ولكنه يعود فى اليوم الثانى فيحمل عليها حملة شعواء لأنها جارت على أمة غيرها أضعف منها ، كما سترى فى قصائده عن إيطاليا بعد .

ومن المعروف أن حافظاً ذاق البؤس واليأس والجوع والحرمان والتشرد ، فهذا مشهور فى سيرته .

ولقد قال أبياتاً فى هـذا المعنى فى إحدى قصائده فى حفلة رعاية الأطفال :

لم أقف موقفى لأنشـد شعراً ... صب فى قالب بديع النظـام

إنما قمت فيه والنفس نشوى ... من كؤوس الهموم والقلب دامى

ذقت طعم الأسى وكابدت عيشاً ... دون شربى قذاه شرب الحمام

فتقلبت فى الشـــقاء زماناً ... وتنقلت فى الخطوب الجسـام

ومشى الهم ناقباً فى فؤادى ... ومشى الحزن ناخراً فى عظامى

فلهـذا وقفت أستعطف النـــاس على البائسين فى كل عام

ولم تكن إنسانيته من نوع إنسانية أبى العلاء المعرى الذى يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به ... أبر من درهم تعطيـه محتاجا

فإنسانية أبي العلاء هنا إنسانية متطرفة ، هي أقرب إلى السخرية والتهكم منها إلى الإنسانية ، فإنه هنا لا يفرق بين الطيب والخبيث ، والنافع والضار ، وحسبه أن يعطفك على الأضعف منك ، رديئاً كان أم جميلا !

وليست هذه بالإنسانية العليا ...

أما إنسانية حافظ إبراهيم فإنسانية عليا .

إنه يعطفك على المعوز والمحتاج ، ويعطفك على المنكوب والمكلوم ، سوء كان ضعيفاً أم قوياً ، ولكنه لن يعطفك على الظالم والخبيث .

على أن هذا لا يعني أن أبا العلاء لم يكن شاعراً إنسانياً عالياً في نواحيه الأخرى ، فأبو العلاء كان ولا شك شاعراً إنسانياً عالي الإنسانية مرهفها ، وهو الذي لم يتزوج حتى لا يجني على أبنائه ، ثم قال : هذا جناه أبي عليّ ، وما جنيت على أحد .

ويلتقي حافظ إبراهيم وأبا العلاء في هذه الناحية ، وإن كان تزوّج لأيام لا تعدو الأربعين ، ثم انفصل عن زوجه ، ولكنه يقول :

وددت لو طرحوا بي يوم جئتهمو
في مسبح الحوت أو في مسرح العطب

لعل (مانيّ) لاقي ما أكابده فود تعجلينا من عالم الشجب

فحافظ إذن يلتقي مع أبي العلاء في ناحية ويخالفه في أخرى .

قال حافظ في إحدى قصائده في جمعية رعاية الأطفال :

قد مات والدها وماتت أمها ومضى الحمام بعمها والخال

وإلى هنا حبس الحياء لسانها وجرى البكاء بدمعها الهطال

فعلمت ما تخفي الفتاة وإنما يحنو على أمثالها أمثالي

فهو يحس أن له رسالة إنسانية كبرى ، تحنو على الفقير والضعيف والمريض .

ويقول في رثائه تولستوي :

ولست أبالي حين أبكيك للورى حوتك جنان أم حواك سعير

فإني أحب النابغين لعلمهم وأعشق روض الفكر وهو نضير

دعوت إلى عيسى فضجت كنائس
وهز لها عرش وماد سرير

***

قضيت حياة ملؤها البر والتقى فأنت بأجر المتقين جدير

وسموك فيهم فيلسوفاً وأمسكوا وما أنت إلا محسن ومُجير

وما أنت إلا زاهد صاح صيحة يرن صداها ساعة ويطير

***

حياة الورى حرب وأنت تريدها سلاماً وأسباب الكفاح كثير

أبت سنة العمران إلا تناصراً وكدحاً ولو أن البقاء يسير

تحاول دفع الشر والشر واقع وتطلب محض الخير وهو عسير

***

ألم تر أني قمت قبلك داعياً إلى الزهد لا يأوى إليّ ظهير

أطاعوا (أبيقورا) و (سقراط) قبله
وخولفت فيما أرتئي وأشير

ومت وما ماتت مطامع طامع عليها ولا ألقى القياد ضمير

***

أفاض كلانا في النصيحة جاهداً ومات كلانا والقلوب صخور

هذه هي دعوته للحق وتحكيم الضمير والعمل للخير المطلق ، بين الناس والأمم جميعاً ، لا فرق بين دين ودين ، كما قال في حرب طرابلس ، مخاطباً البابا :

بارك المطران في أعمالهم فسلوه بارك القوم على ما

أبهذا جاء إنجيلهمو آمراً يلقي على الأرض سلاما

ثم أسمعه يقول في زلزال مسينا ، بعد أن وصف نكبة الطليان ، واستدر عليهم عطف العالم جميعاً .

وسلام على امرىء جاد بالدمع وثنى بالأصفر الرنان

ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان

فاكتبوا في سماء رجيو ومسين وكالبريا بكل لسان

هاهنا مصرع الصناعة والصور والحذق والحجا والأغاني

إنه يستعطف بني الإنسان من كل لون وجنس ولسان ، وإن كان يقول إن هذا ليس إحساناً ، لأنه حق الإنسان عند أخيه الإنسان ، وكأنما يثأر حافظ للضعيف هنا ، وينتصر المغلوب ، حين ثار الزلزال والبحر فأهلك مسينا وأهلها .

ولكنه في قصيدته عن حرب طرابلس ، يحمل على الطليان حملة عنيفة شعواء ويسخر منهم سخراً مراً ، ويستعدي عليهم العالم ، فما سبب ذلك ؟

سببه إنسانيته أيضاً ، وانتصاره للضعيف المغلوب .

ومن هذا أيضاً شعره الرثائي ، فشعر الرثاء في ذاته من أعلى ضروب الشعر الإنساني !

وغير هذا كثير . وهذه أعلى مراحل الإنسانية .

٥ — شعر حافظ

من الأقوال المأثورة عن الأسلوب قول سانت بيف ، على ما أذكر ، ما معناه : إن الأسلوب يعبر عن صاحبه .

أي إنه يعبر عن روحه .

ولقد امتاز شعر حافظ بأنه يعبر عن شخصيته ، أي روحه ، تعبيراً قوياً ...

والمعروف عن حافظ أنه كان شديد المرح في حياته الخاصة ، مع أن شعره وأدبه ، في مجموعه ، كان شعراً وأدباً رزينين جادين

فكيف نوفق إذن بين ذلك الرأي وهذه الحقيقة ؟

وهل كان حافظ ذا شخصيتين مزدوجتين كما قال أحد الكتاب كلا ...

فإن نفسه الحزينة — التي عرفت الحياة جيداً — سخرت منها سخرية هائلة فأصبحت كما قال المتنبي تتكسر نصالها على نصاله والنكتة التي اشتهر بها حافظ كانت ستراً لآلامه وأحزانه وإمعاناً في السخرية من الحياة .

ولهذا برز حافظ في ناحيتين من شعره :

الوطنية والرثاء

ويعلل حافظ نفسه هذا بقوله ، عن شعره الرثائي ، في قصيدة تحية الشام :

إني مللت وقوفي كل آونة ... أبكي وأنظم أحزاناً بأحزان

إذا تصفحت ديواني لتقرأني ... وجدت شعر المراثي نصف ديواني

***

وهنالك ناحية فنية نحب أن نقرر أن حافظاً كان من أوائل السباقين إلى طرقها والتجلية فيها .

تلك هي الناحية القصصيه في شعره .

وإذا كان حافظ لم يسرد قصصاً في شعره بالمعنى القصصي المفهوم ، إلا أنه نظم قصائد اجتماعية وطنية نحا فيها نحو القصة بلغ بها الغاية مما أراد ...

وإذا لم تكن القصيدة التي سماها المنظومة التمثيلية في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت — قصة بالمعنى المألوف ، إلا أن له قصائد فيها قصص ساحر بليغ ، مثل قصائده في رعاية الأطفال وحرب اليابان ، ومراثيه !

ويجمل بنا هنا أن نقف قليلا نناقش رأي أحمد بك أمين في شاعرية حافظ ، في مقدمته لديوانه :

« وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة ، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقا . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

« فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارىء ، فما يسمع شعره سامع ، ولا يقرؤه قارىء إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى الخ ...

« وأما خياله فكان مع الأسف — خيالا قريباً — قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً عاماً يجذب النفوس إليه »

ثم ضرب مثلا قصيدته في مدح البارودي وقصته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت .

إن حكم الأستاذ أحمد أمين على عاطفة حافظ وحسن صياغته وجمال موسيقاه حكم صحيح :

ولكن حكمه على خيال حافظ ، حكم مرتجل يحتاج إلى (نقض) وهو أشبه بالرأي الفطير ، لا يقبل صدوره من رجل كالأستاذ أحمد أمين :

لقد قلنا عن قصيدته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت أنها ليست في مستوى شعر حافظ ، مع أن لها ما يبررها ، ولكن لا يصح أن نأخذها مقياساً لشعره وسنداً نحكم بمقتضاه لحافظ أو عليه .

وإذا كان أحمد بك يقصد من الخيال القصة بمعناها الصحيح

فليست كل القصص خيالا ، وإن كان حافظ نحا نحواً قصصياً فى بعض قصائده كما قدمنا .

ورب بيت واحد من الشعر فيه من الخيال أروع قصة !

فإذا تركنا هذه (القرينة) التى اتخذها أحمد بك أمين سندا لإدانة شاعرية حافظ بالقصور والضحولة ، وفتحنا ديوانه لنقرأ أي قصيدة فيه ، راعتنا منه خطرات موغلة فى الخيال البعيد ، ولنأخذ مثلا باب (الوصف) من ديوانه ، كما قسمه أحمد بك أمين نفسه .

فاقرأ له وصف كساء ، حيث قال مرتجلا :

لى كساء أنعم به من كساء أنا فيه أتيه مثل الكسائى
حاكه النفر من خيوط المعالى وسقاه النعيم ماء الصفاء

وقصائده فى الشمس ، والسيف ، والمدفع ، وليلة عيد الجلوس ، وزلزال مسينا ، إذ قال :

خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت قضى الأمر كله فى ثوانى

واقرأ قوله :

إذا سرت يوما حذر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك يغشاه

أو حتى قوله المفحش فى الهجاء ، والذى لم يثبته أحمد بك فى ديوان حافظ :

أخس من دب على ظهرها ودبت الناس على ظهره !

بل افتح ديوانه واقرأ ما يقع عليه نظرك وتمعن فيه ، سواء كان سياسياً أم اجتماعياً أم رثاء أم فى أى غرض آخر ...

فلعل الخيال الذى يقصده أحمد بك أمين إذن هو التغنى بجمال الطبيعة . أو الغزل ، وهما الضربان من ضروب الشعر اللذان تخلف فيهما حافظ ، لأنه منصرفاً إلى ناحيتين أساسيتين فى شعره ، هما شعره السياسى ، وشعره الإنسانى النزعة .

على أن التغنى بجمال الطبيعة فى حد ذاته ليس خيالا كله !

وناحية أخرى فى شعر حافظ .

تلك هى براعته فى اختيار اللفظ ، وفى تحديد المعنى الذى يريده ، وفى التصوير .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك قوله إلى روزفلت ، التى لم تذكر فى ديوانه أيضاً :

إنما شوقها لقولك يا روزفلت شوق الأسير للتحرير فما هى
أعلى مراحل الشوق عامة ؟ إن أعلاها هى بلوغ المشتاق ما يريد .

ولقد حدد حافظ مراحل الشوق وأهدافه فى هذا الموضع — بكل هذه البساطة ، فهو شوق الأسير للتحرير ، والمصريون يشتاقون لسماع قول روزفلت حتى يدافع عن حرية هذا الشعب ، الذى شبهه بالشعب الأمريكى ، أيام احتلال الانجليز له !

وهذا أبلغ ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الموضع .

ومثل قوله عن الانجليز وسعد :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا سنريه كيف يصيده زغلول

٦ — حافظ الكاتب :

عرف حافظ كاتباً أيضاً ، وقد اتسم نثره بالبلاغة والمحسنات اللفظية والبديع ، ولكن نثره لم يكن فى مستوى شعره .

ولقد ترجم بعضاً من البؤساء لفكتور هيجو ، عنى فيه بالأسلوب ، فتكلف ، ولكنه أحدث بهذا الكتاب أثراً محموداً فى الصحف وفى الترجمة على الأخص ، أذوجه إليها أنظار الكتاب الذين يعرفون لغات أجنبية .

وألف كتاب ليالى سطيح ، وهو أحسن كتبه النثرية ، وقد عنى فيه بالأسلوب أيضاً ، ولكنه حمل فيه حملة اجتماعية وفكرية ووطنية ، لعلها أحدثت بعض الأثر المطلوب فى إبانها !

وله كتاب فى الاقتصاد السياسى ، بالاشتراك مع آخر .

وكتاب فى الأخلاق .

وإذا كان نثر حافظ ، كما تقدم ، فى مستوى أقل من شعره إلا أن فيه ما يجب أن يصان كتراث لشاعر عظيم فقدناه ، وكاتب مجاهد يجب أن تخلد جميع آثاره ، فتبقى أثراً حياً بيننا ، وإن كان مثله لا يمكن أن ينسى ، فكلما مر عام أحست مصر وشقيقاتها العربية مرارة فقده ، بحاجتها الملحة إليه ، فهو كما قال حافظ نفسه فى صديقه شهيرين :

مضيت ونحن أحوج ما نكون إليك فنثل خطبك لا يهون

هذه عجالة من آفاق شاعرنا حافظ ابرهيم .

وسنعود إليه فى مناسبات أخرى ، لنوفيه حقه من الدراسات

حسين مهدى الغنام

عتاب شاعر

طرقت بابك يا صاحب الرسالة حتى كلت كفاى، وقدمت بين يديك نخبة من أشعارى، فكان نصيبها الإهمال؛ وما زال يساودنى حنين إلى طرق بابك من جديد، ولكن اليأس أخذ على كل سبيل. وبين ثورة الحنين وهدأة اليأس، أخذ لسانى يتمتم بهذه الأبيات:

ما بيانى؟ لقد نكرت بيانى ... وعرانى من أمره ما عرانى
قال لى صاحبى: بيانك فجر ... يبسط النور فى الصوى والمغانى
كم نهبت الأسرار من عالم الغيـ ... ـب وصورتها دمى للعيان
فلسفى الخطرات محتدم القلـ ... ـب نزوع إلى شموس المعانى
ولك العالم الرحيب بجنبيـ ... ـك ودنيا الهوى ودنيا الأمانى
إن تعش حائل الرواء كئيباً ... ناكس الرأس دائم الأحزان
فلمن تبسم الحياة وتبدى ... عبقرياً من وشيها الفتان
إنها غادة تبرج للنا ... س لتحظى باللحظ من فنان
انفض النوم من جناحك وانهض ... وازحم الطير فى ذرى الأفنان
أنت شبابة الحياة على الأر ... ض فهدهد شعابها بالأغانى
قلت: دعنى فقد نكرت بيانى ... وعرانى من أمره ما عرانى
طاش سهمى لدى (الرسالة) بالأمس وأضحى قريبها غير دان
كان حلماً فبادرته الليالى ... كاشرات فات فى العنفوان
وهو صرح من الأمانى بنينا ... ه قوياً بالروح والوجدان
أرعشت سفحه الرياح اللواتى ... زلزلتنى وطوحت بجنانى
فى خضم الظنون والزبد الطا ... فى تهاوت بزورقى موجتان
موجة اليأس ترتمى فى مداها ... موجة الشك فى سمو بيانى
أين يا قائد الشباب إلى المجـ ... ـد طريقى وأين منه مكانى
أين يا باعث الطموح من الشر ... ق جناحى فقد ملكت هوانى
جئت أشكو إليك نفسك فاسمعـ ... ـنى فإنا يا ظالمى أخوان
أنت أيقظت بالروائع إحسا ... سى ففاض المستور من أشجانى
رضت بالفن مهجتى فتسامت ... عن قيود الدنى وسجن الزمان
فاغترفت الرحيق من حانة النفـ ... ـس طروباً وصحت بالندمان
موعدى منكم (الرسالة) ياقو ... م فبشرى بالرى والإدمان
واستبقت الصباح أحمل أحلا ... مى جميعاً وفرحتى ودنانى
جئت للمرهف الشعور بأشعا ... رى ووجدى الموقظ الوجدان
ثم كان الذى علمت من الأمـ ... ـر وكان القضاء بالحرمان
هل أرقت الدنان يا مسكر الشر ... ق بآى نورية التبيان؟!
وأذبت الأحلام والفرحة الكبرى دموعاً موصولة التهتان
هل من العدل أن تداس أناشيـ ... ـدى وتلقى فى عالم النسيان؟
وهى من نورك المفاض نجوم ... وهى زهر من روضك الفينان
لا أرانى دون اللذين أقاموا ... دولة الشعر من بنى عدنان
سل إذا شئت من أردت من النا ... س وسائل صحائف السودان
والجموع التى تخف إلى صو ... تى وسائل منابر المهرجان
يشهد النيل ذو النضارة والمجد ورب الوثبات والإحسان
والمزار الذى يرف بواديه ويشدو فى شطه النسمان
عندما ترقد السكينة فى الموج وتسرى الأحلام فى الكثبان
ينكر الفن والحياة أبا الفن وحسبى أن تستخف بشانى
أين أين الحنان واحسرتاه من نبى الإحساس والوجدان؟

محمد محمد على السودانى
الطالب بكلية دار العلوم

و (الرسالة) تعتب الشاعر المجيد، وترجو أن تظفر منه بمثل هذا القصيد.

الفاروق فى أرض السلام

(فاروق) مجدت الجهاد بآية ... هزت فؤاد الشرق من إعجابه
زرت المجاهد فى عرين جهاده ... فشحذت من عزماته وحرابه
أبرأت أوجاع الجريح فلم يعد ... يشكو بما قد ناله من أوصابه
وجعلت تسأل عن شهيد قد فدى ... أرض السلام بروحه وشبابه
فى كل حصن آية أبدية ... من صنع جيشك خطها بحرابه
ما أوقف الفولاذ أبطال الحمى ... هم نسل (فرعون) ومن أصلابه

اليوزباشى جمال الدين حماد
المدرس بالمدرسة الحربية الملكية

الأدب والفن في أسبوع

:---

الكاريكاتور فى الأدب :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد الأخير من أخبار اليوم ، مقالا بعنوان « الجاحظ والكاريكاتور » قال فيه إنه كان يقرأ فى كتاب « التربيع والتدوير » للجاحظ ، فخيل إليه أنه يصنع فناً طريفاً فى زمانه دون أن يدرى ، وأنى بوصف الجاحظ لرجل يعرفه جسم فيه عيوبه تجسيما « كاريكاتوريا » بالنثر ، وأتى ببيتين لابن الرومى من هـذا اللون الكاريكاتورى ، ثم قال : « وهكذا زاول العرب فن الكاريكاتور شعراً ونثراً . . حيث لم تتح لهم الظروف أن يزاولوه رسماً ونقشاً . . كل شىء خطر على بال عبقريتهم . وإنهم ليعوضون دائماً ما يفوتهم فى جانب بالإجادة فى جانب آخر . . قانون التعويض الطبيعى كان رائدهم الخفى فى حضارتهم .:. حضارة كاملة شاملة أبى الغرب الظالم المجحف أن ينظر إليها بعين التقدير والتوقير » .

ويذكر قراء الرسالة ما كتبته عن محاضرة الأستاذ كامل كيلانى « الكاريكاتور فى الأدب العربى » التى ألقاها بدار الاتحاد النسائى منذ شهور ، ثم محاضرته « الكاريكاتور فى شعر ابن الرومى » التى ألقاها بعد ذلك فى كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية . وأذكر أنه أفضى إلىّ عقب المحاضرة الأولى بقوله : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربى بالمغالاة ، وهذا هو نوع من المغالاة نراه مطابقاً فى التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

فمن الإنصاف وتسجيل الحقائق أن يذكر سبق الأستاذ كامل كيلانى فى هذا المجال .

أسماؤنا والنحو :

حضرت يوم الخميس الماضى مناقشة رسالة بكلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول ، قدمها طالب من قسم اللغة العربية بالكلية للحصول على درجة « الماجستير » .

ومن طريف المآخذ التى وجهت إلى الرسالة ، أن الأستاذ مصطفى السقا أحد أعضاء لجنة المناقشة طلب من مقدم الرسالة أن يعرب تركيباً ورد فيها أوله « إن الأستاذ أمين الخولى ... » ويقصد الأستاذ كلمة « أمين » يريدها منصوبة منونة مرسومة بالألف ...

ويذكرنى هـذا باعتراض وجهه معقب لغوى منذ سنين بجريدة الأهرام إلى المرحوم الشيخ حسين والى ، لأنه كتب مقالا وقعه باسمه هكذا « حسين والى » وكان عليه — كما رأى المعقب اللغوى — أن يكتب « وال » دون ياء .

ولو تنبه مقدم الرسالة إلى اسم الأستاذ مصطفى السقا لاعترض عليه — جزاء وفاقا — لقصر الممدود فيه وهو « السقاء » من غير ضرورة .

تصور أننا تعقبنا كل أسمائنا المصرية بمثل ذلك ، وخاصة لخلوها من كلمة « ابن » ماعـدا « عبد الرحيم بن محمود » ! تصور فقط ...

السجل الثقافى :

يعلم قراء الرسالة أن وزارة المعارف أنشأت فى العام الماضى إدارة التسجيل الثقافى لإخراج سجل ثقافى سنوى يحوى مظاهر النشاط الثقافى فى عام .

والادارة الآن تعمل فى إعداد أول عدد من السجل ، وهو الخاص بسنة ١٩٤٨ الحالية ، وقد أتمت قسما منه يشتمل على بيان النشاط الثقافى من أول السنة إلى آخر يونية المـاضى ، وتتخذ الإجراءات الآن لطبع هذا القسم ، على أن يكون فى ضمن السجل العام الذى يصدر فى أوائل سنة ١٩٤٩ عن سنة ١٩٤٨ كلها .

ويحتوى القسم المنجز على إحصاء للكتب المؤلفة والمترجمة فى مصر سـنة ١٩٤٧ ، وبيانات وافية للتأليف والترجمة والصحافة ودور النشر والهيئات الثقافية والمحاضرات العـامة وأحاديث الإذاعة والمؤتمرات والمسرح والسينما ، وغير ذلك من الشئون الثقافية ، عن الفترة الماضية من السنة الحاضرة .

ويؤخذ من تلك البيانات أنه قد صدر بمصر فى خمسة الشهور

الماضية ٢١٧ كتاباً مؤلفاً منها ٥٠ فى الأدب ، و ٤١ كتاباً مترجماً منها ١٩ فى الأدب . ورقم الأدب فى كل من التأليف والترجمة أكبر الأرقام .

بين قصيدتين :

أشرت فيما مضى إلى قصيدة الأستاذ على الجارم بك التى قالها أخيراً فى «فلسطين» وألقاها بالمذياع . وقد تناولت أحاديث المجالس هـذه القصيدة مشيرة إلى قصيدة شوقى المعروفة بالأندلسـية والتى مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

وذلك لاتحاد القصيدتين فى الوزن والقافية ، وفيما هو أكثر من الوزن والقافية ، ومن ذلك قول الجارم :

عشنا أعزاء مل. الأرض مالمست جباهنا تربها إلا مصلينا

فقد قال شوقى فى أندلسيته :

لفتية لا تنال الأرض أدممهم ولا مفارقهم إلا مصلينا

الجامعة والمؤسسة :

صدر أخيراً قرار بتغيير اسم الجامعة الشعبية إلى « مؤسسة الثقافة الشعبية» ووجهت إدارتها العامة إلى مناطق التعليم المختلفة والمعاهد الثقافية الإقليمية كتاباً أشارت فيه إلى ضرورة مراعاة ذكر الاسم الجديد فى المكاتبات الرسمية بدلا من «الجامعة الشعبية»

وأنا لم أفهم حكمة هذا التغيير ، ولم أستسغ الاسم الجديد . لقد كان الاسم الأول عذبا مغريا ، فقد كان الطالب يقول إنه ذاهب أو آيب من الجامعة وهو معتز مسرور بالفرصة التى أتيحت له لإشباع رغبته فيما يميل إليه من أنواع الثقافة .

أما الآن فهو ذاهب إلى المؤسسة وعائد من المؤسسة وحدث كذا فى المؤسسة ! اسم ثقيل ولا معنى له ، لأن الشىء المؤسس هو الذى جعل له أساس وهو أصل البناء ، فكيف تصح هذه التسمية ؟ وعلى أى « أساس » تقوم ؟

وما عيب الاسم الأول وقد كان حسن اللفظ والدلالة ؟ يبدو أنهم ضنوا على « الشعبيين » أن يشركوا «الجامعيين» فى الاسم . أو لم تكن تكفى الصفة للتفريق ؟

العربية تصارع :

لاحظ أعضاء لجنة تقدير درجات اللغة العربية فى امتحان الشهادة الابتدائية بالدقهلية ، أن ظروف أوراق الإجابة التى ترد إليهم من لجنة مراقبة الامتحان تستخدم فى بياناتهـا الحروف والأرقام الإنجليزية لتمييز المجموعات ، كما أن الترقيم على أوراق الإجابة بهذه اللغة أيضاً ، وكذلك ترقيم بطاقات التلاميذ . وقد كتبوا بذلك إلى مراقب منطقة التعليم منبهين إلى أن هذا غير لائق وإلى وجوب تداركه فى المستقبل .

والواقع أن هذا التصرف عجيب ، فهو مخالف للرسميات التى تقضى باستعمال اللغة العربية ، وهو مناف للكرامة القومية ، وأنا أريد أن أسأل هؤلاء الذين تجرى أيديهم بالحروف والأرقام الإنجليزية دون العربية على الظروف والأوراق والبطاقات : هل يمكن أن يكتب انجليز على أوراق امتحاناتهم بالعربية ؟ والجواب لا قطعاً لأنهم يحترمون أنفسهم ويشعرون بذاتيتهم .

يظهر أننا لسنا محتاجين إلى الجلاء عن الأراضى فحسب ، بل نحن فى حاجة أيضاً إلى الجلاء عن بعض العقول !

ذكرى حافظ :

تقع فى هذا الأسبوع ذكرى شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فقد نعى فى الواحد والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ ، فهذه الذكرى هى السادسة عشرة . وقد جرينا على عدم الاهتمام بذكرى شعرائنا وأدبائنا ، ومن نهتم به منهم لا نحتفى بذكراه الاحتفاء اللائق .

ولم يبد إلى الآن ما يدل على الاهتمام بذكرى حافظ ؛ وقد كانت محطة الإذاعة تحيى ذكراه بأن «يغرد» أحد مذيعيها ببعض أشعاره ... ولكنها فى هذا العام نسيته نسياناً تاما .

حافظ وشوقى :

وقد أخرج – فى هذه المناسبة – الأستاذ حسن كامل الصيرفى كتابه «حافظ وشوقى» الذى درس فيه الشاعرين دراسة مقارنة فصل فيها القول فى النواحى التى اشتركا فيها أو تقاربت صورة المشاركة ، فتحدث عن ديباجة الشاعرين ، وثقافتهما ، وشعرهما السياسى ، والطبيعة فى شعرهما ، والمرأة وأثرها فى كل منهما ؛

وصدى الحوادث عند الشاعرين ، كحادثة دنشواى ، ووداع كرومر ، ووفاة مصطفى كامل ؛ وأثر التاريخ المصرى القديم والتاريخ الإسلامى فى شعر كل منهما ، وما إلى ذلك من الموضوعات التى طرقها الشاعران .

أكاديمية العلوم التاريخية :

تلقت وزارة المعارف من رئيس مكتب البعثات المصرية بلندن ، نص الكتاب الذى أرسله إليه رئيس لجنة المراجع فى أكاديمية العلوم التاريخية ، وفيما يلى ترجمة هذا الكتاب :

فى الجلسة الأخيرة للجنة المراجع التى عقدت بباريس تحت إشراف اليونسكو ، اتجهت الرغبة إلى أن تحوى نشراتنا قائمة موجزة أو بياناً مفصلا للمخطوطات العربية الموضوعة فى تاريخ العلوم . .

وقد طلب إلى أن أكتب إليكم لأسأل عما إذا كانت حكومتكم ستوفد أحد الباحثين ليقوم بهذا العمل . وينبغى أن تعلموا أن قائمة المخطوطات الموضوعة فى تاريخ العلوم باللغة اللاتينية واليونانية فى بريطانيا العظمى وأيرلندا ، والتى كتبت قبل سنة ١٥٠٠ ، توجد الآن فى المتحف البريطانى تحت أيدى الطلاب، كما توجد أشرطة سينمائية لهذه القائمة فى معهد واربورج والمبنى الامبراطورى بلندن ومكتبة الكونجرس بواشنجتون

وليس من شك فى أنه لو استطاعت حكومتكم أن تتعاون فى هذا العمل الآخذ الآن فى الانتشار بالبلاد الأوربية الأخرى فإن المراجع العربية الموجودة فى مكتباتكم سوف تضم إلى الكثير من الكتب التى لا تعرف الآن إلا فى اللغة اللاتينية .

فلم فلسطين :

أنحيت باللائمة فى الأسبوع الماضى على السينمائين المصريين ، لأننا لم نشاهد إلى الآن بإحدى دور السينما مشاهد المجد العربى فى فلسطين على الشاشة البيضاء ويسرنى أن أذكر اليوم أن استديو مصر يعمل الآن فى إعداد فلم كبير تعرض فيه مناظر الحرب الفلسطينية، وكان قد أوفد بعض الفنانين إلى ميدان القتال لتسجيل هذه المناظر. وستكون حفلة العرض الأولى فى سينما استديو مصر يوم ٢٧ يوليو الحالى . وقد رأت وزارة الشئون الاجتماعية ألا يقصر عرضه الأول على هذه الدار ، فتقرر عرضه فى ست دور للسينما بالقاهرة فى وقت واحد ، كما يعرض فى نفس الوقت ببعض المدن الأخرى ، وذلك لتتسنى مشاهدته لأكبر عدد ممكن من المصريين فى القطر كله .

من طرف المجالس :

حضر المجلس جزار بالقاهرة معروف بميله إلى غشيان مجالس الأدب والفن ، وجرت مناقشة أدبية أقحم نفسه فيها ، فقال له أحد الأصحاب :

— مالك وللأدب ... أما يكفيك اللحم والكبد والطحال ؟

فأجابه على الفور :

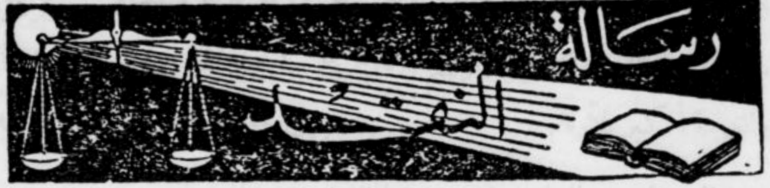
— ألا تعلم أن هذه هي المعلقات ؟

تعريف للفلسفة :

عرف الفلسفة كاتب ساخر بقوله :

الفلسفة هى البحث ليلا عن قط فى حجرة مظلمة ولا قط فى الحجرة .

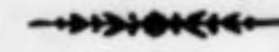
العباس



أين المفر

تأليف الأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأستاذ أنور المداوي



شاعر ... كلمة أقولها بكل ما يحويه مدلولها من معان يدخل فيها الطبع، والموهبة، وسعة الأفق، وقدرة الجناحين على التحليق؛ أقولها أنا عن صاحب هذا الديوان حين يطلقها غيرى على كل ناظم، وكل ناحت، وكل مصنوع.

قرأت له أكثر ما قال من شعر إن لم يكن كل ما قال، وفى هذه الفترة الطويلة بين إنتاجه الأول وإنتاجه الأخير لم يتغير رأيى فيه .. لقد ظل على مستواه من الشاعرية التى صقلها الطبع وشحذها التأمل، وغذاها الخيال. ونحن حين نقرر هذا كله، نقرره بميزان الوعى الفنى؛ الوعى الذى تمينه مقاييس الذوق والفن على تحديد الأوضاع والقيم.

ولا بد من وقفة قصيرة عند تلك الكلمة التى قدم بها الشاعر لديوانه، وعرض فيها للشعر العربى الحديث فى شتى فنونه وألوانه وكيف تعددت هذه الفنون والألوان على أيدى أصحابها من الناظمين والشعراء.

وكيف تباينت مصائرها تبعاً لما ينال المعادن الشعرية من زيف فى الفن أو أصالة؛ وقفة قصيرة لأقول للشاعر إننى كنت أود ألا تظهر تلك الكلمة كمقدمة لديوانه، حتى لا يتهمه النقاد بأنه، ما كتبها إلا تزكية لشعره وانتصافاً لنفسه ... على الأستاذ محمود حسن اسماعيل أن يقدم لنا شعره لنحكم له أو عليه، ولا يحق له بعد ذلك أن يقيم الميزان لنفسه ولغيره فى الوقت الذى يقدم فيه إلى النقاد عملا من أعماله الفنية!

هذه لفتة أسجلها قبل أن أمضى فى عرض شعره، وقبل أن أقول إننا نعانى تخمة فى الشعر وأزمة فى الشعور ... إن نظرة واحدة إلى ما تخرجه المطبعة من دواوين الشعر فى هذه الأيام، تنتهى بك إلى الإيمان بهذا الحكم؛ الإيمان به كحقيقة ملموسة، ونظرة فيها التذوق والتمعن تسلمك إلى حقيقة أخرى هي أنك لو رحت تبحث وسط هذه التخمة الشعرية عن آثار أدبية ترضى الفن حين تحفل بصدق الشعور، لما وجدت غير ثلاثة دواوين هى «أين المفر» لمحمود حسن اسماعيل و «طفولة نهر» لنزار قبانى و «الشروق» لحسن كامل الصيرفى؛ ونظرة فيها التأمل والنفاذ تقنعك بأن أزمة الشعور عند الكثرة الغالبة من شعرائنا مرجعها إلى أن التجربة النفسية قد تمر بهم فكأنما تمر بفراغ موحش لا تاتى فيه إلا مجموعة حواس معطلة، لا تستجيب لأحداث النفس والحياة.

أترك هذا لأسجل ظاهرة تلفت الحس الفنى عند قارىء هذا الديوان، أقصد القارىء المتذوق لا القارىء المجلان ... وهى ظاهرة تتركز فى الحركة النفسية التى تشيع فى الكثير الغالب من قصائده؛ هذه الحركة النفسية هى «المرصد» الذى يتلقى «الهزات» الشعورية من هنا وهناك ثم «يسجلها» فى بيت من الشعر أو أبيات ... هذه الهزات متفرقة ثم متجمعة تنصهر فى بوتقة الوجدان النابض لتضع بين يدى الناقد نموذجاً كاملا للشاعر الإنسانى ...

محمود حسن اسماعيل فى «أين المفر» مثال صادق لهذا الشاعر، ولست أجد فى وصف فنه خيراً من تلك الكلمات التى قلتها من قبل عن الفن الإنسانى، وهو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور، وأن يكون الشعور مرآة تلتقى على صفحتها النفس الإنسانية فى صورتها الخالدة بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التى تتمثل فى ذلك التجاوب الروحى بين الفن وصاحبه، وبين الفن ومتذوقه، وبين الفن والإنسانية بكل ما فيها من اختلاف الصور والألوان.

الشاعر الإنسانى هنا يقف من وراء هذه الأبيات، وإن شئت فقل من وراء هذه الأنات ... فى «أغانى الرق»:

ألقيتنى بين شباك العذاب وقلت لى فن

وكل ما يشجى حنين الرباب ضيعته منى
وهذا جناحى صارخ لا يجاب فى ظلمة السجن
ونشوتى صارت بقايا سراب فى حانة الجن
أواه يا فنى
لو لم أعش كالناس فوق التراب !
جملت زادى من عويل الرياح وغربة الطير
ومن أسى الليل وجد الصباح وشهقة النهر
وسقتنى ظمآن بين البطاح إلا من السحر
وقلت لى رفرف بهذا الجناح واشرب من السر
والسر فى صدرى
قيدت ساقيه بتلك الجراح !

هذه كلمات شاعر ينظر إلى الحياة من خلال « عدسة » فكرية مكبرة ، تكشف الطريق إلى كل خفى من شعاب النفس ، وكل تعريجة فى منعطف الشعور هى كلمات فنان وإن شئت فقل كلمات إنسان ؛ واستمع مرة أخرى لخفقة من خفقات القلب الإنسانى ، فى لحظة من تلك اللحظات التى تمر لكل نفس ألهبتها سياط العذاب ، وألهمتها فلسفة الحرمان ... هناك فى « مقابر السحر » :

وهفا بالنفس ما يهفو بغصن فى يد الإعصار يمول
ثم قالت كيف عن دمى ومنك الدمع يا حيران تسأل ؟
إن أكن فيك سكنت الجسم والجسم تراب يتنقل
فأنا طير بعرش الله لى عش ، وبستان ، وجدول
إنما أبكى لهذا القفص الداجى الكئيب المتملل
لم يجد أى عزاء فى وجودى ... كيف يغدو حين أرحل ؟!

ولما طال المسير بشاعر الإنسانية ، آمنت دموعه وكفر جفنه ، ومن التقاء الكفر بالإيمان انبعث الهتاف الملتاع ، وانطلقت الزفرة المحرقة ، فى طريقهما إلى الله .. هناك فى «التراب الحائر»

رباه ! ما أنا ؟ ... هل وجدت على زمان الناس سهواً !
سويتنى روحاً تمرد ، لا يطيق الأرض مثوى
وأنا التراب ! فكيف صرت هوى وتعذيباً وشجوا !
شرفات غيبك لا يتحن لغير من يبكى دنوا
وأنا إليك ذرفت أيامى فزاد دمى عتوا

ووقفت أحفر للجراح طريقها ... فتمود شدوا !

ونقلة أخرى تقف بنا عند ظاهرة أخرى لا تقل عن الأولى استئثاراً باهتمام الناقد ولا إثارة لملكته الناقدة ، ونعنى بها ظاهرة الرمزية فى شعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل ... هذه الرمزية هى التى تدفع بعض الناس إلى وصف شعره بغموض العبارة حيناً وجوح الخيال حيناً آخر ؛ والحقيقة التى نقررها أنه لا غموض هناك ولا جوح ، وإنما هو عجز المجالى عن التحقيق فى أفق الشاعر ، وقصور إحساسهم عن التجاوب والجو النفسى الذى عاش فيه ، ذلك لأن الرمزية هنا تأتى مطبوعة لا مصنوعة ، وأصيلة لا مقصودة ... الرمزية المطبوعة هى أن يعبر الفنان عن طريق المعنويات ، أما الرمزية المصنوعة فهى التعبير عن الماديات بما وراء المعنويات ، وفى هذا اللون الأخير من الرمزية يكون السخف والدجل والتضليل !

الرمزية فى شعر هذا الشاعر تصدر عن منبعين أصيلين : التأمل العميق المنعكس من الحياة على النفس وهو ما يعبر عنه بـ « الاستبطان النفسى » ، وهذا هو المنبع الأول . . أما المنبع الثانى فهو « الفيض الشعورى » المنبعث من قوة الشخصية الشعرية أو رحابة الحقل الشعرى ؛ ومن هنا تطغى النهويمات الروحية التى تصبغ الشعر بصبغة الرمزية الأصيلة لا الرمزية المتكلفة ، تلك التى لا تهدف إلا إلى الغموض والإبهام ! استمع له يقول فى « العزلة » :

صلت بها عيدان لا تعرف الأديان
واستغفرت أغصان لكن بلا ذنب
خميلها حران ونبعها ظمآن
وصمتها ولهان شوقا إلى الغيب
تفجرت أنهار فيها من الأسرار
يجرى بها إعصار فى عالى الرحب
وهذه أنفاس فى صمتها الوسواس
تدق كالأجراس فى معبد القلب
وهذه حيات تسمى من الساعات
كأنما الأوقات غاب نما قربى

هنا لون من الرمزية لا يعجزك فهم مراميه حين تلقاه بشىء

من الرويه وإمعان الفكر ... كل ما فى المزلة من خلجات النفس وخفقات القلب وهزات الشعور ، تلك الانعكاسات المادية المحسة قد عبر عنها فى هذه الأبيات بأشياء معنوية ؛ «فالعيدان المصلية» بلا دين ، و « الأغصان المستغفرة » بلا ذنب ، و « الأنهار المتفجرة» من الأسرار ، و «الأنفاس الصامتة» التى تدق كأجراس فى معبد القلب ، و « الحيات الساعية » من الساعات ، كل هذه المعنويات التى تنبع من العقل الباطن يمكنك أن تردها إلى وقع المزلة على العقل الواعى ؛ ذلك الميزان الشعورى الذى يسجل ما فى الوحدة من مظاهر الرهبة والصمت ، والرغبة فى اختراق حجب الغيب ، وبطء النقلة فى خطوات الزمن ، وامتلاء الجو بالأسرار ، واستجابة الوجدان لدعاء مجهول يوحى بالتعبد والصلاة ...

وبمثل هذا التطبيق ينجاب ذلك الغموض الذى يطالعك فى بعض قصائد الأستاذ محمود حسن اسماعيل حين تلقاه هنا أو تلقاه هناك .. فى « عرفت السر » و « نهر النسيان » و « الخريف » و « جلاد الظلال » هاتان ظاهرتان أو ناحيتان ؛ ويبقى أن نسجل ناحية أخرى لها وزنها عند الكلام عن الفن التصويرى فى الصياغة الشعرية ، هذه الناحية تتمثل فى الربط بين أجزاء الصورة الوصفية تتمثل فى الربط الشعورى كما تتمثل فى الربط التعبيرى ... ومن اتصال هذا بذاك ، ومن التوفيق فى اختيار الزوايا وتحديد النسب تكتمل الوحدة الفنية التى تخلق من الصورة الكاملة لوحة نابضة تتناسق فيها الجزئيات فى نطاق المدركات الحسية والنفسية ... هذه الظاهرة تستطيع أن تلمسها فى «الشك» و «نشيد الأغلال» و « خمر الزوال » و « المعبد المرجوم » و « الانتظار » ، وتعال نستمع له وهو يصف لحظة من لحظاته :

انتظر هنا ... وطال انتظارى وهى فى أعينى التفات وذعر
وسؤال لكل شىء حوالى وإعاءة لكل طيف يمر
وانتباه ، وغفلة ، وربيع وخريف ، وشيب زهر وعطر
وجناح يهفو ، وآخر يهتاج ومن بين ما رفان طير
وأنا سببب توهج منه لخطاها أيك رطيب وزهر
وهى لا أقبلت ولا عاد منها لشقائى بعودة الكأس خمر

هذا هو الشاعر الإنسانى ، وشاعر الرمزية المطبوعة ، وشاعر الصورة الوصفية الكاملة ، فما هى الفجوات الشعرية التى يتعثر فيها الناقد ولا يستطيع المضى فى طريقه دون أن يشير إليها ؟ .

هي فجوات قليلة ولكنها تعترض سالك الطريق على كل حال ؛ يجدها فى غلبة اللفتات الذهنية حين تخمد الومضات الروحية .. هناك فى « اللحن المقهور » :

ليتنى كنت رياحا تهتف الآباد منها
أنا أهواها ولكن رغم أنى لم أكنها

أنظر إلى هذا التعبير النثرى فى قوله « رغم أنى » ... ألا تشعر هنا بشىء من الهبوط فى الإحساس بالجو الشعرى ؟ ! إن هذا التعبير فى رأيى يصلح لمقالة من المقالات لا لبيت من الأبيات

واستمع له مرة أخرى حين يقول فى « أغانى الرق » :

يا سارق القوت نزعت الحجاب عن هذه اللقمة
ما كنت أدرى فتكها بالرقاب أو أنها نقمة
والجوع إن صاح يصيح الخراب وتصعق الأمة

ألا توافقنى على أن أفق الخيال فى البيتين الأول والثانى أفق شاعر ، وأنه فى البيت الثالث أفق ناثر ؟ ...

وأن القالب الشعرى فى قوله : « وتصعق الأمة » تصبغه صبغة الخطب المنبرية أكثر مما تصبغه صبغة النهويمات الروحية ؟

واستمع له مرة ثالثة حين يهتف فى « الرداء الأبيض » :

عشقت فيك الحزن والسوادا وسمرة الحدين والحدادا
وجد ولا تحت الدجى تنادى يا ساق الحب أغث لى وجدى

وهنا أيضاً يصدمك هذا التعبير « أغث لى وجدى » ... إنه هتاف ينبعث من قريحة اعتراها الخمود بعد وهج التوقد وحرارة الانفعال !

وتأمل معى هذه الصورة الوصفية لوقدة القيظ ولفح الهجير :

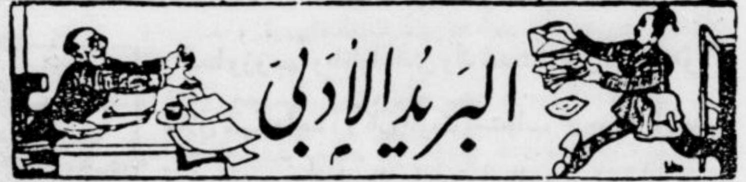
وألسنة بيض لهن رطانة بمثل لغاها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا خياما على هذا البساط المضرم

إن الصورة هنا تبلغ القمة وتصل إلى مدى الأبداع ، ولكن كلمة « عفاريت » قد أفسدت ألوانها الزاهية !

هذه المآخذ التى تنتثر فى مواضع قليلة من « أين المفر » ، لا يمكن أن يخلو منها أثر من الآثار الفنية ...

وأعود فأقرر أن هذا الديوان يثب بالشعر العربى الحديث وثبات قل أن تجد لها مثيلا فى ديوان آخر .

أنور المعداوى



حكومة سليمان :

إلى صديق الأستاذ العقاد المحترم

فى التوراة مطارق كثيرة لتكبير جماجم الصهيونيين الأنذال فى الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول قصة فحواها أن امرأتين وقفتا بين يدى الملك سليمان تتنازعان طفلا. فقالت الأولى إنى وهذه المرأة نسكن فى بيت واحد ، وقد ولدت كل منا ولداً ، وفى هذا الصباح صحوت فإذا الطفل الذى على ذراعى ميت ، وإذا هو ابن هذه المرأة ، ورأيت ابنى على ذراعها . وإنما الطفل ابنها مات لأنها اضجعت عليه . وقامت وسرقت ابنى وادعته لنفسها ، فالطفل الميت هو طفلها ، والحى طفلى . وأنكرت المرأة الأخرى هذا الكلام وقالت بل الحى هو طفلى .

فقال الملك سليمان أيتونى بسيف . فأتوه بسيف . فقال : اشطروا هذا الطفل شطرين واعطوا كلا من المرأتين شطراً . فصاحت الأولى : رحماك يا سيدى الملك ! لا تشطروه ! اعطوه كله لها . وقالت الأخرى : بل اشطروه واعطونى نصفه ! فقال سليمان الملك : اعطوه للأولى فهى أمه .

فلما سمع جميع إسرائيل بهذا الحكم خافوا سليمان ، لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم

فأين سليمان يحكم بقضية فلسطين ؟ !

هيئة الأمم قطيع غنم رعاه ذئاب !

ومجلس الأمن جمعية لصوص متآمرين !

فما بقى إلا محكمة العدل فى لاهاى ... فهل فيها سليمان ؟

أجل ، فيها البدوى باشا رئيسها ، وهو مصرى عربى .

ولكن ، ألا تنبت هناك رؤوس أفاعى الصهيونية ؟ أو عبيد الصهيونية مثل ترومان ؟ !

قضية فلسطين أوضح من قضية المرأتين المتنازعتى الطفل !

الصهيونيون يقولون : اشطروا فلسطين شطرين : لنا شطر وللعرب شطر ! ! !

والعرب يقولون : لا تشطروها هى لسكانها المقيمين فيها .. عرب ويهود على السواء !

فأين سليمان يحكم ؟ هل يتقمص فى برنادوت ؟ ! !

نقولا الحداد

فى محيط النحو :

جرى النحاة على اعتبار كلمة (أشياء) ممنوعة من الصرف ، والتمسوا لذلك الحكم عللا غريبة ؛ فمنهم من اعتبرها اسماً مفرداً منتهياً بالألف الممدودة ليبرر منعها من الصرف ؛ وهذا غريب جداً ، لأن قصد الجمع واضح كل الوضوح فى هذه الكلمة . ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيئاء) ؛ ومنهم من تعسف فادعى أنها جمع (شيء) على وزن (سيء) وقال إنها فى الأصل (أشيئاء) على وزن (أدعياء) ثم حصل فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل لعرضه على القارئين .

والذى استطعت أن أهتدى إليه بعد روية وتأمل أن الكلمة جمع (شيء) ووزنها (أفعال) ومثالها جمع (فيء) وهو (أفياء) وحقها أن تكون مصروفة كما صرفت (أفياء) وأمثالها ولا حجة لمن منعها الصرف بورودها غير منونة فى الشعر ، لأن الضرورة الشعرية تبيح صرف الممنوع والعكس ؛ ولكنهم وجدوها فى القرآن الكريم فى سورة المائدة غير منونة ، فقد جاءت فى قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم) ويخيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلل التى أوردوها ولكنه نتيجة القاعدة العامة التى اتفق عليها النحاة وهى جواز صرف منع الصرف وصرف الممنوع للتناسب والضرورة ، وما التناسب إلا مراعاة الانسجام فى جرس الكلمات وائتلاف النغم بين أجزائها ؛ ولذلك قرىء فى المتواتر (سلاسلا وأغلالاً وسعيراً) وكلمة (سلاسل) ممنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع ، ولكنها صرفت لتنسجم مع (أغلالا وسعيراً) وقرىء (ولا يغوثا ويعوقا ونسراً) و (يغوث ويعوق) ممنوعان من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ولكنهما صرفا فى هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسهما مع (نسراً) وكذلك (كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديراً) . فإن قوارير الأولى نونت لتناسب فواصل الآيات .



المجنــــونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

للأديب جمال الدين الحجازي

قال المسيو دندلين لأصدقائه وهو ينفث دخان سيجارته فى بيت البارون راقوت شاتو : « سأقص عليكم أيها الرفاق قصة مخيفة وقعت حوادثها فى الحرب البروسية الفرنسية » إنكم تعرفون البيت الذى كنت أسكنه فى « فابورج دى كورميل » كانت جارتى هناك امرأة مجنونة لطيفة ! وقد فقدت شعورها أثر نكبات شديدة نزلت بها ، ففى العقد الثالث من عمرها توفى والدها وزوجها وطفلها الذى ولد حديثاً توفى جميع هؤلاء خلال شهر واحد ! وكأن الموت استطاب الرجوع إلى بيتها لاختطاف جميع أفراد عائلتها دون إعطاء مهلة كافية ! فتقلبت عليها الأحزان ، وانتابتها الأزمات الشديدة ، ومكثت فى فراشها ستة أسابيع فى هذيان دائم كانت خلالها لا تأكل شيئاً إلا مايسد رمقها ، ومكثت فى فراشها لا تقوى على الحركة وما أن أبصرها البروسيون حتى تملكتهم الحيرة وحاولوا مراراً إنهاضها من فراشها ، فكانت تصرخ فى وجوههم وقد ظنت بأنهم سيقتلونها ، فلم يجدوا بداً من تركها فى فراشها إلا أنهم أخرجوها أخيراً من البيت لإزالة ما علق على جسمها من الأوساخ ولتغيير ملابسها الكتانية . ومكثت بجانبها خادمة صغيرة لإعطائها بعض ما تحتاجه من طعام من وقت لآخر .

تُرى ما هى الأحداث التى ألمت بتلك المرأة حتى أصابها الجنون واليأس من الحياة ؟ ذلك ما لم يدرك كنهه أحد ، أتراها كانت تحلم بالموتى وتتراءى لها خيالاتهم ، أم أصبحت ذاكرتها ضعيفة واهية كالماء الراكد الآسن ؟ لم يدر أحد ،

فالمحافظة على حسن الجرْس والانسجام من عادة العرب ، والقرآن الكريم نزل على رسول الله بلسان عربى فلم لا نقول إن كلمة (أشياء) لم تنون لظرف خاص فى محيطها فى الآية الكريمة إذ لو نونت لتوالى مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من الثقل الذى يأباه تآلف النغم فى القرآن الكريم وهذا التآلف من أسرار الإعجاز ؛ فقرئت كلمة (أشياء) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضى وصلها ، وهذا يوجب تكرار لفظ (إنْ) مرتين متواليتين ، فمن أجل ذلك لم تنون (أشياء) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة (أفياء) فى الوزن والإعراب .

محمود البشبيشى

المفتش بمنطقة الاسكندرية التعليمية

فى اللغة :

فى جريدة « البلاغ » سأل سائل الدكتور زكى مبارك فقال : أيقال : وكان القارب مقطوراً إلى المركب ، أم يقال : وكان القارب مقطوراً بالمركب ؟

وتفضل الدكتور بالإجابة ، فبين أن الزمخشرى فى أساسه يقول : إبل مقطورة .. وهى مقطور بعضها إلى بعض ، وقطر البعير إلى البعير » ثم أردف هذا برأيه فقال : وأنا أقول إن عبارة « القارب مقطور بالمركب » لها وجه صحيح . ونحن نرى بعيوننا أن القارب يشد إلى المركب بحبل غليظ .

وأقول : الصحيح قول الزمخشرى لا رأى « الزكى » إذ لو سأل سائل : ما المقطور ؟ كان الجواب : القارب . ولو سأل : وما المقطور به . كان الجواب : الحبل الغليظ . والحال أن السائل إنما يسأل عن المركب وهو المقطور إليه لا المقطور به .

ولو أردنا التوفيق بين قولى الزمخشرى والزكى اللغوى لكان الصواب هو « وكان القارب مقطوراً إلى المركب بحبل غليظ » وكفى الله اللغويين شر القتال ، وسوء المقال .. والسلام .

(الزيتون) عدنانه

ومكثت خمسة عشر عاماً على هذه الحالة التعسة .

نشبت الحرب ، وفى أوائل شهر ديسمبر احتل الألمان كورميل وإنى لأذكر ذلك كأنه حصل البارحة كان الطقس بارداً بل متجمداً وكنت جالساً على كرسى لم أستطع الحركة ، عند ما سمعت صوت أقدامهم الثقيلة الخطوات المنتظمة الصفوف ، ورأيتهم من النافذة يمرون فى الشوارع وقد انتظموا فى صفوف كثيرة ، وبعدئذ أمر الضباط جنودهم بأن ينزلوا فى بيوت سكان البلدة فنزل فى بيتى سبعة عشر رجلا ، وكان من نصيب جارتى اثنا عشر ، وكان القائد من بينهم . وفى اليوم التالى وصلت الأنباء إلى الجنود الذين كانوا يقيمون فى بيت المرأة المجنونة بأنها مريضة ، إلا أنهم لم يقيموا وزناً لمرضها ولم يأبهوا له ، ولما سألوا عن سبب مرضها علموا أنها طريحة الفراش منذ خمسة عشر عاماً وذلك لتوالى النكبات التى نزلت بها والأحزان التى تغلبت عليها فأورثتها الأمراض ، إلا أنهم ولا ريب لم يقيموا لذلك وزناً ، واعتقدوا أن تلك المرأة متكبرة وأنها ملازمة فراشها لكى لا يقع بصرها عليهم ، أليسوا أعداء بلادها ، ذلك ما فكروا فيه .

أصر القائد على رؤيتها ولما وصل إلى غرفتها قال لها غاضباً : يجب أن تنهضى من فراشك وتنزلى إلينا « فلم تجبه ، فواصل القائد حديثه قائلا : إننى لا أحتمل هذه الغطرسة والكبرياء ، فإن لم تنهضى من فراشك فسأضطر إلى إزالتك بالقوة » ولكنها لم تجبه ولاذت بالصمت . وحينئذ رجع الضابط إلى غرفته وقد اشتد غضبه واتخذ من صمتها أداة لاستعمال الشدة معها .

وفى صبيحة اليوم التالى ، أرادت الخادم تغيير ملابس المجنونة ، إلا أن المجنونة بدأت تصرخ صراخاً عالياً وقاومت ذلك ما استطاعت ، وما أن سمع القائد ذلك الصراخ حتى ذهب إليها ، ولما رأته الخادم رمت نفسها على قدميه باكية وقالت له : إنها لا تستطيع النزول يا سيدى ، لا تستطيع ، أرجو أن تسامحها فهى مسكينة » .

ولما رأى القائد ذلك ، ضحك ضحكة خبيثة وألقى بعض الأوامر إلى جنوده ، فأقبلوا وهم يحملون بين أيديهم فراشاً اتجهوا به نحو تلك المرأة المجنونة . اقترب أحد الجنود من فراشها وقال لها متهكما وهو يفرك يديه : سنرى الآن هل تخلعين ملابسك وتستبدلينها بثياب نظيفة وتسيرين فى نزهة قصيرة أم لا ! ثم سار الجنود فى غابة « اموفيل » وبعد ساعتين رجعوا وحدهم . لم يدر أحد ماذا حصل للمجنونة ولم يعثر لها على أثر ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وأين أخذوها ، لم يعلم بذلك أحد .

بدأ الثلج يتساقط ، وغطى السهول والغابات فجاءت الذئاب وهى تعوى واقتربت من بيوتنا ، مكثت مدة أفكر فى تلك المجنونة الضائعة ! وحاولت مراراً الاستعلام من السلطات البروسية عن مصيرها دون جدوى . ولما عاد الربيع انسحبت جيوش الاحتلال وبقى بيت المجنونة مغلقاً ، وكانت خادمتها قد توفيت فى الشتاء الماضى ! ولم يهتم بالحادث أحد سواى إذ كنت أفكر فى مصير تلك المرأة آناء الليل وأطراف النهار ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وهل هربت إلى الغابة ، أو عثر عليها أحد من الناس وأخذها إلى المستشفى رغماً عنها ، ولم أجد ما يزيل شكوكى ولكن المصادفات والمقادير تدخلت فى الأمر فأزالت هذه الشكوك ، إذ بينما كنت فى الغابة وكان الفصل خريفاً أصطاد بعض الطيور الجارحة ، وقع أحدها جريحاً فى حفرة مليئة بالأغصان ولما نزلت إلى الحفرة لالتقاطه رأيت حطام جثة آدمى فى الحفرة ، يا إلهى ... ترى من يكون صاحبها ، وحينئذ تذكرت حالا تلك المرأة المجنونة ، قد يكون كثير من الناس ماتوا فى الغابة أثناء النكبات التى حلت بهم فى تلك السنة ، ولكننى لا أدرى لماذا كنت متأكداً ، بل متأكداً جداً بأننى أرى رأس تلك المجنونة وأن هذه الجثة جثتها !

وعرفت بعدئذ أن الجنود قد تركوها فى هذه الغابة ، وأنها نظراً لتمسكها بعبادتها التى أخلصت لها لم تعبأ بموتها فى تلك الغابة الموحشة ، لقد مزقتها الذئاب وبنت الطيور أعشاشها من بقايا فراشها الصوفى الممزق !

ولما رأيت هذه المناظر البشعة المحزنة كدت أبكى من شدة تأثرى ودعوت الله مخلصاً أن يبعد شبح الحرب عن أولادنا ، فلا يرونه أبداً .

(القدس) جمال الدين الحجازي
الندوة الأدبية

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات طبعة فصل الصيف سنة ١٩٤٨

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالى التى كان مزمعا صدورها فى أول يونيه الماضى قد صدرت الآن مشتملة على التغييرات الهامة التى أدخلت على مواعيد مسير القطارات .

وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم بيعها مقابل عشرين مليماً للنسخة الواحدة .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٧ — الاثنين ٢ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٨٧ — الاثنين ٢ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 787

Lundi — 2 — 8 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدب المقـــالة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشر الكاتب المطبوع الدكتور زكى نجيب محمود جملة من مقالاته فى مجموعة سماها باسم إحدى هذه المقالات ، وهى « جنة المبيط » .

ولو شاء الكاتب المطبوع لسماها « جهنم الحصيف » ، ولم يكن فى تسميته خطأ ولا خروج عن صدق الدلالة ؛ لأن هذه المقالات فى جملتها تدل على هذه « الجهنم » التى يعانيها الحصيف فى حياته ، فيترجم عذابها وآهاتها فى أسلوب يلوح للقارئ كأنه غير أسلوب العذاب والآهات ، وهو منه فى الصميم . وذاك هو أسلوب السخرية والمزاح .

لا جرم جعل الدكتور زكى شرط المقالة أن يكون الأديب ناقماً ، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل . فإن التمست فى مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع الناس فلم تجدها ، وإن افتقدت فى مقالة الأديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه ، فاعلم أن المقالة ليست من الأدب الرفيع فى كثير أو قليل ، مهما تكن بارعة الأسلوب رائعة الفكرة . وإن شئت فاقرأ لرب المقالة الإنجليزية أدسن ما كتب ، فلن تجده إلا مازجاً سخطه بفكاهته ، فكان ذلك أفعل أدوات الإصلاح » .

وإذا كانت المقالة كذلك فسم أدب المقالة جنة المبيط أو جهنم الحصيف ، فأنت على صواب .

ولكننا نريد أن نقول إن « المقالة » أنواع وليست بنوع واحد ، وإن اسمها فى العربية لا يحصرها فى هذا الغرض الذى أحب الأستاذ أن يقصرها عليه ، ونريد أن نتفاهم على اسم يطابق المقالة كما يعرفها فى مقدمة هذه المجموعة على التخصيص .

يقول الأستاذ : إن المقالة يشترط فيها « أن تكون على غير نسق من المنطق : أن تكون أقرب إلى قطعة مشمئة من الأحراش الحوشية ، منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة » ... ويقتبس رأى جونسون الذى يرى : « أنها نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام » ... قطعة لا تجرى على نسق معلوم ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها ، وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شىء » .

ومما لا خلاف عليه أن هذا التعريف يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة ، ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية ، ولا يصدق على جميع الفصول التى تكتب فى حيز المقالة المستقلة .

فالكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوربية يوشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة . فكلمة « Essay » وكلمة « Sketch » وكلمة « Treatise » بل كلمة « Study » ، وهى

تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز ، وكأنها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير ، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها ، أو النموذج الذى يصب التمثال على مثاله ، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط . كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية ، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الإتقان ، كما فعل الفيلسوف مونتانى أبو المقالة الأوربية ، حين سمى فصوله بالمحاولات ، لأنه يراها دون ما ينتظر من مثله من التحقيق والاستيفاء ، لا لأنه يحقق بها شروطاً يتقيد بها الكاتب ولا يجوز له أن يخرج عنها .

وكلمة article وهى أبعد قليلا من هذا الغرض ، تفيد معنى الفاصلة أو الجزء ، ويقابلها عندنا بمعنى « الفصل » الذى يستقل بموضوعه ، ولا يشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول .

لكن هـذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية .

فقالات باكون وما كولى وأرنولد وسان بيف ليست كلها من هذا القبيل . بل مقالات « وليام هازليت » نفسه على مساهمته فى أدب المقالة كما يعرّفها الدكتور زكى نجيب ، لا تجرى كلها على هذا النسق ، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير .

ولا يخفى أن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً فى عدد الصفحات ، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز مقالة ، فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات .

لهذا نقول : إننا فى حاجة إلى اسم غير اسم المقالة للدلالة على نوع المقالات التى يعنيها الأستاذ نجيب .

فهل نسميها المجالة ؟ أو نسميها النبذة ؟ أو نسميها الأحدوثة ؟ أو نسميها الأملية ؟ أو نسميها المسامرة ؟

إن اسماً من هذه الأسماء أدل عليها من اسم المقالة على إطلاقه ، وقد عرفنا الأمالى والمسامرات والنبذ والمجالات فى الأدب العربى فرأينا فيها مسحة من أسلوب المقالة كما شاع بين الأوربيين فى العصر الحديث .

على أننى لا أدرى هل أقرظ « جنة العبيط » أو أنقدها حين أقول إنها تشتمل على مقالات لا تنطبق عليها الصفة التى قيد بها كاتبها موضوع المقـالة الأدبية . ومنها مقالة « أعذب الشعر أصدقه » ، ومقاله « عن أدب المقالة » بعـد المقدمة ... فإنهما بريئتان من فضيلة التشمث والخلو من النسق المنطق وضابط التنظيم إن صح أنها فضائل مشروطة فى جميع المقالات .

إلا أن فيلسوفنا عدو الفلسفة قد استطاع أن يحرص على هـذه الفضائل وأن يتجنب المنطق والنظام فى بعض المقالات الأخرى فلم يخطئه التوفيق ، لأنه قد استطاع مع ذلك أن يقول شيئاً تلذ قراءته ويستجيش الذهن إلى التفكير .

قال فى مقال « النساء قوامات » :

« إذا عشت فى أمة هازلة حملك الناس محمل الهزل إن كنت جاداً ، وأخذوك مأخذ الجد إن كنت مازحاً »

ثم قال : « ولست أرى لك حيلة سـوى أن تقسم لهم فى مستهل الحديث بالذى بسـط لهم الأرض ورفع السماء أنك فيما تحدثهم به إنما قصدت إلى الجد ولم تقصد إلى المزاح » .

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إننى أعرف هذه الخصلة جد المعرفة ، لأننى كثيراً ما كنت من ضحاياها .

ومن ذلك أننى اقترحت مرة على مسمع من شيوخ عقلاء أن تمد الحكومة إلى تجربة نافعة فى كفاح الشيوعية ، وهى إخراج الشيوعيين مرتين فى كل يوم « طابورا » واحداً يمر كل يوم فى حى من أحياء المدينة ، ليرى الناس بأعينهم أى « خلق مقلبة » هذه التى تريد أن تقلب العالم على من فيه .

فضحك الشيوخ العقلاء !

وكتبت ذلك من قبل ومن بعد ، فضحك القراء الألباء . مع أننى والله جاد فيما أقترح ، ولا أزال مصراً على هذا الاقتراح

أيرى صديقنا الدكتور نجيب أن هـذه مقدمة مطمئنة فى صدد الكلام على مقترحاته ؟

ليتمهل قليلا ... أقل من لحظة واحدة ، لأننى سأقول له على الأثر إننى أحسبه مازحاً فيما كتب ، وأحسبه محققاً لشرط

أيها العرب

اعلموا أن العالم كله يحاربكم

للأستاذ نقولا الحداد

أشرف لكم أن تشرب الأرض دماءكم من أن تنزف نزفاً بطيئاً بين براثن الصهيونية .

رأينا أن الدول في لايك سكسس ترجمنا بالحجارة كلما بسطت قضيتنا في مجلس الأمن أو هيئة الأمم . ونحن نتعرس من أن هذه الدول عميت عيونها عن حقنا في حين أن حقنا ناصع كالشمس رأد الضحى في هذه الاجتماعات الدولية . وكلما شددنا أنفسنا قلنا « سننتصر لأن الحق معنا »

لا يا سادتي . لا تعتمدوا على الحق . لأن الحق لا يكون سلاحاً ماضياً إلا في عالم الأخيار حيث يتجلى الحق الإلهي فيسجد له الأبرار . وأما عالمنا هذا فهو عالم الأشرار حيث يتجلى الظلم والاستئثار . فلا تعتمدوا على سلاح الحق فهو سلاح الخيال ولاوجود إلا لحرفيه « ح . ق » . وما هذه الاجتماعات التي تعقد في لايك سكسس إلا مؤتمرات شيطانية يعقدها أبالسة السياسة فيما هم يتقاسمون مغانم الحرب من دماء الأمم الصغيرة . والحمد لله إن الدول المتناهبة المغانم غير متفقة فيما بينها وإلا سحقت جميع الأمم الصغيرة سحقاً في بطونها الكبيرة .

فلا تعتمدوا يا سادتي على سلاح الحق . لا سلاح لكم إلا عزمكم وحزمكم وأنفتكم وحصافتكم ثم سواعدكم . فإن انتصرتم فزتم بكيانكم الشريف . وإن هلكتم سلمتم من مذلة العبودية لشياطين الصهيونية ويا لها من مذلة أثيمة وعبودية لجنس ليس من البشر وليس له رحمة ولا رأفة ولا إنسانية .

رأيتم أن مجمع المتآمرين في لايك سكسس قد عرف واعترف أن الهدنة كانت في مصلحة اليهود ، وأنه لم يحترمها إلا العرب . وقد ثبت أن اليهود غنموها فرصة لإدخال فريق من المهاجرين إليهم ولاستقبال أسلحة وطائرات ودبابات لم تكن موجودة عندهم ، والطائرات الضخمة التي غزت القاهرة بالأمس ما كانت إلا إحدى الطائرات التي دخلت تل أبيب في شهر الهدنة . وظهر لكم جلياً أن الهدنة الثانية تقررت لأجل غير معين — أستبق إلى أن تتوطد دولة إسرائيل الزيفة ولو طالت أشهراً وسنين ؟ وقد ظهر لكم أن برنادوت كان أخبث من صل وأروغ من ثعلب؛ فكان يغض نظره عن اليهود فيما هم ينقضون الهدنة ساعة بعد ساعة ، وما وسعه إلا أن يقول إني لم أذهب إلى فلسطين لكي أوطد حقاً أو أقيم عدلاً ، بل لكي أوفق بين فريقين مختلفين . ولكنه أخفق في عمل هذه الأعجوبة ، لأنها أعجوبة مزج الظلمة بالنور . وما تورع أن يطلب من مجلس الأمن ٢٥٠٠ جندي لكي ينفذ الهدنة بالقوة . وإن لم يكف هذا العدد طلب أيضاً عدداً مثله . ويظل يطلب إلى أن يصير عنده مائة ألف . أو يأتي أخيراً بقوات أمريكا وإنكلترا . وربما طلب أخيراً قنابل ذرية .

أفليست كل هذه التصرفات والاستعدادات لإقامة دولة صهيونية بالقوة القاهرة ؟ فإذاً ليست الهدنة هذه هدنة بالمعنى

المقالة في تمهيده ، ولن يثنيني عن هذا الحسبان قسم بباسط الأرض ورافع السماء ، ولا إنذار يلوّح به في خاتمة أو ابتداء .

فالأستاذ نجيب يقترح أن تسلم النساء زمام الأمور في الأمة مائة سنة ليعلم الناس بعدها أنهن قوامات على الرجال .

ولا حاجة هنا إلى سؤال أكثر من السؤال عمن يعلق الجرس!

هل تتقدم النساء فيستولين على القوامة بأيديهن؟ إن استطعن ذلك فلا حاجة إلى اقتراح ، وسيقمن بالأمر متى استطعنه مئات السنين وأبد الآبدين ، ولا يتزلن عنه بعد مهلة الاقتراح !

أم يعجزن عن ذلك ويكن مع هذا قادرات على القوامة ؟

لا منطق هنا ولا نظام ، ولكنه مزاح على شرط المقال في تمهيد « جنة المبيط » ... وحق باسط الأرض ورافع السماء !

وإنما أسوق هذا التعقيب لأخلص منه إلى نتيجة لا تجافي المنطق ولا النظام ، فأقول للأستاذ نجيب : اكتب على شرطك أو على غير شرطك ، ما دمت على الحالين تقول ما يطيب وتقول ما يصيب .

عباس محمود العقاد

الحقيق المفهوم ولا سيما أن أحد الفريقين لا يريدها ، وما طلبها إلا الفريق الذى رأى نفسه مغلوباً على أمره .

وما جرى فى لايك سكسس ليس كل ما تفعله الدول الكبرى اللئيمة ضد العرب . بل هناك مساع إبليسية لمنع بعض الدول الصديقة للعرب من مساعدتهم فى الحصول على سلاح .

فأولا : إن الدولتين الكبيرتين اللئيمتين تهددان تركيا بأن تكفا عن مساعدتها مالياً إذا كانت تسهل للعرب الحصول على السلاح . ولكن هل يمكن إنكلترا وأمريكا أن تقطعا المساعدة المالية عن تركيا وهما قد ترجتاها أن تقبل هذه المساعدة لكى تكون ترساً لهما ضد روسيا . فهل جنت هاتان الدولتان حتى تضيعا هذا الترس لأجل سواد عيون اليهوديات أو زرقتها ؟ لا نظن أن تركيا تخاف هذا التهديد .

ثانياً : تهددتا اليونان بأن تحملا بلادها أتون ثورات إلى أن تضمحل فيه إذا كانت تسهل للعرب الحصول على الســـلاح . ولكنا لا نحن ولا اليونان نصدق أن إنكلترا وأمريكا تتخليان عن اليونان لكى تقع فى أحبولة السوفيات .

ثالثاً : أغرتا فرنكو سيد أسبانيا أن تزيلا الجفاء الذى بينه وبين هيئة الأمم لكى تقبله الهيئة فى حظيرتها . هذا إذا كان لا يساعد العرب فى الحصول على السلاح ، ولكن هل يعبأ فرنكو بوعدهما ، وهو لا يعبأ بهيئة الأمم أكثر مما أعبأ بمؤتمر الدول الخمس حين دعته هذه الدول لكى تفاوضه بشأن موقفه فهز كتفيه وقال لا أحضر مؤتمركم . فمن يريدنى فليأت إلىّ . لا ثقة لفرنكو بعدالة هذه الهيئة أكثر من ثقته بقوة جمعية الأمم المرحومة .

هذا بعض ما ظهر من لؤم الدولتين الكبيرين فى مقاتلة مصلحة العرب وفى معاونة صهيون . زد على هذه المساعى الشريرة التى تسماها الدولتان الكبريان ومن مالأهما فإنهما تهددانا بالعقوبات الاقتصادية . وهل إحداهما الأكثر نفاقاً تعلم أننا لا نعبأ بالعقوبات الاقتصادية لأن عندنا عقوبات لها أقوى منها . وتعلم أيضاً أننا نستغنى عن استيراد أى شىء من الخارج . فعندنا أرض تنتج الغلال ، وإن احتجنا إلى غذاء نأكل الحجارة . وعندنا قطن وصوف ومعامل لغزلها ونسجهما . وإن احتجنا إلى كساء ننسج من الخيش ملابس . وعندنا النفط والقطن وهم لا يستغنون عنهما . فواحدة باثنتين .

أيها العرب لا تيأسوا فلكم من الله ما يقيكم شر أولئك الأشرار . اصمدوا ولا تجبنوا ولا تحسبوا حساباً لتهديدهم لا تتكلوا على سلاح الحق لخصومكم لا يقيمون للحق وزناً ، ومجلس الأمن ليس محكمة لوضع الحق فى نصابه ، ولا هو ميزان العدالة .

إنى أكاد أنشق غيظاً حين أرى أعداءنا يقيمون بيننا يقاسموننا رزقنا ، ولهم النصيب الأوفر منه . وهم يكيدون لنا ويغدرون بنا . وكل يوم عندنا بينات على خبثهم وغدرهم ، ليس فى فلسطين فقط بل فى سائر البلاد العربية . وقد تمادى كيدهم حتى رموا القاهرة بقنابلهم .

كيف نسمح لألد أعدائنا أن يعيشوا بيننا ويغدرون بنا ونحن سكوت لا نتكلم ولا نعمل ؟ ! يجب طردهم ومصادرة أموالهم . فهم قوم لا إنسانية عندهم ولا رحمة ولا شفقة . لقد رأيتم ما كان من توحشهم فى دير يس وطبريا وغيرهما . فاعلموا أنكم سترون أضعافه إذا ثبت لهم قدم فى وسط البلاد العربية .

أما أنتم أيها الأمريكان المغفلون والإنكليز البلداء وأمثالكم فبعد عشرين سنة ستقولون: حقاً أننا عادينا العرب ظلماً وعدواناً . وستكرهون اليهود كما كرههم الألمان قبلكم . وسيقوم فيكم هتالرة يفعلون بهم أكثر مما فعله هتلر الألمان فيهم — غفر الله له !

نقولا الحداد

الاتجاهات الحديثة في دراسة التاريخ

للدكتور جـواد علي
سكرتير المجمع العلمي العراقي

تحتل نظرية التطور « Genetic » مكاناً بارزاً بين النظريات التاريخية ، وقد تقوى مركز هـذه النظرية بعد تطور مفهوم التاريخ ، وظهور ما يسمى بفلسفة التاريخ . وقد ابتدع هـذا الاصطلاح الفيلسوف الفرنسي الشهير « فولتير » « Voltaire » الذي كتب بحثاً طريفاً في عام ١٧٦٥ ، تناول فيـه عادات ونفسـيات الشعوب ، والحضـارة البشرية بصورة عامة ، وفلسفة التاريخ الإنساني العام ، وجعل عنوان هذا البحث « la Philosophie de l ' histoire » أو « فلسفة التاريخ » ومنذ هذا العهد شاع هذا الاصطلاح حتى أصبح عنواناً لموضوع دراسة قائمة بحد ذاتها ، ومذهباً من مذاهب التاريخ .

وخلاصة نظرية فولتير أن التاريخ البشري عبارة عن كفاح مستمر نحو عالم أرقى وبشرية أسمى ، وتطور دائمي نحو عالم أكمل ، أي أنه سار مع أصحاب نظرية التطور ، وسار المتفائلين على الرغم من روح التشاؤم التي عرف بها هذا الفيلسوف . وقد استخدم الفيلسوف الألماني « هيردر » « Herder » هذا الاصطلاح الذي أوجده فولتير في كتابه القيم الذي سماه « آراء في فلسفة التاريخ الإنساني » وشاع منذ هذا الحين بين الألمان ، ثم انتقل إلى سائر اللغات الأوربية الأخرى .

وشاعت « فلسفة التاريخ » في أوربا وحاول أصحاب هـذه الدراسة وضع قواعد وأسس كالتي نراها في العلوم الطبيعية لتحويل التاريخ إلى علم مثل سائر العلوم ؛ حتى طغت على الطريقة المألوفة في كتابة التاريخ العام ، وظهر منهم من رأى وجوب إخضاع « التاريخ العام » لقواعد فلسفة التاريخ ، وتحويل « التاريخ » إلى فرع من فروع الفلسفة أو طريقة من طرق « علم النفس » بحيث نتمكن بواسطته من الإطلاع على النفس البشرية وروحية الإنسانية منذ عرفت إلى ما شاء الله . وقد وجدت هذه النظرية أنصاراً وأتباعاً في نهاية القرن التاسع عشر وكونت لها مدرسة كبرى كان من أساطينها الفيلسوف « ريكرت » « Rickert » و « سيمل » « Simmel » و « ترولش » « Troeltsch » و « ديلتاي » « Dilthey » و « هايدكر » « Heidégger » وعلى رأس هؤلاء جميعاً الفيلسوف الكبير « ويندلبنـد » « Windeband » صاحب المؤلفات المعروفة في الفلسفة وفي فلسفة التاريخ .

والتاريخ في الواقع أهم العلوم التي تتأثر بالعواطف والميول الفردية والجماعية والسياسة العامة للدولة والشعوب ، ويمكن أن نقول إنه مرحلة تمهيدية للسياسة العملية ، ولذلك تحرص الحكومات بجميع أنواعها على الهيمنة عليـه وعلى الطرق التي يدون بها هـذا العلم ، ومن أهم الطرق المعروفة والتي دونت بها كتب التاريخ الطرق الآتية :

١ — الطريقة الثنائية الثيوقراطية في التاريخ ، وهي من أقدم الطرق الشائعة حتى اليوم في تدوين التاريخ . وهي الطريقة الرسمية للكنيسـة الكاثوليكية ، ولآباء الكنيسـة منذ عهد القديس أوغسطين « ٣٥٤ — ٤٣٠ م » « Augustinus » منظم هذه النظرية وواضعها ، وقد سيطرت على عقول المؤرخين المسيحيين طيلة القرون الوسطى . ولا زالت تسيطر على عقول كتاب الكنيسة حتى اليوم .

والسبب في تسميتها « ثنائية » « Dual » أنها تصورت وجود مملكتين « مملكة الله » « Civitas dei » ومقرها السماء ، و« مملكة الشيطان » «Civitas terrena or diaboli» ومقرها العالم السفلي أو الأرضي ، ورئيسها « الشيطان » ، وهي دولة معادية للخالق وفي حرب مستمرة مع انصار الله . وقد تأسست هذه الدولة بسقوط لوسفر Lucifer من السماء إلى الأرض ، وكان « قابيل » « Kain » قاتل أخيه « هابيل » أول مواطن في هذه المملكة ؛ لأنه استجاب داعي « ابليس » فقتل أخاه ، وهو بهذا أول قاتل على وجه الأرض . وأما « هابيل » « Abél » المقتول فإنه من مواطني مملكة الله . إذ غفر الله له الخطيئة التي ارتكبها آدم وشمله بعفوه ورحمته وأودعه مملكته في السماء .

ودولة « إبليس » على سطح الأرض قائمة ولا زالت تحاول بسط نفوذها على ممالك الكرة الأرضية ، وكانت أولى الدول التي استجابت نداءه دول آسية والقيصرية اليونانية — الرومانية . وقد تمكن إبليس بفضل أساليبه المرونة في الإغراء والهيمنة على العقول من السيطرة على عقول حكام هذه الدول إلى أن ظهر « المسيح » الذي جاء لإنقاذ البشرية وإعادة مملكة الله على هذه الأرض ولرفع « الخطيئة » عن أعناق البشر . فأبى أعداء الله إلا اجابة دعوة إبليس ، وقد انتقلت دعوة المسيح إلى الكنيسة فهي التي ترعاها وتدافع عنها وتسعى لتأسيس مملكة الله من جديد ونشر مبادىء الله بين المذنبين .

وقد قسمت هذه النظرية البشر أفراداً وجماعات إلى طائفتين : طائفة « أبناء الله » وهي التي آمنت بالله وعملت وفق أحكامه وأوامره وسعت لنشر مبادئه بين الأمم الأخرى ، وهي تحب الأمن والسلام وترجو العافية في كل مكان وتبتغي حياة الاستقرار ونشر المحبة ، وطائفة « أبناء إبليس » أو « أبناء الشيطان » وهي التي استجابت لدعوة الشيطان وتحزبت له وتجندت في صفوفه ، وهي قلقة مضطربة لا يستقر لها قرار ، تريد نشر الفوضى والتخريب والنزاع فيما بين البشر وسفك الدماء ، شأنها في ذلك شأن سيدها الشيطان الذي يحاول بكل ما عنده من حيل ووسائل ، العمل على تقويض « مملكة الله » ومساعدة أعمال « الدجال » « Antichrist » وتحبيذ فعله ومحاربة « الكنيسة » وتشجيع « الخطيئة » ؛ غير أن نجاحه هذا وقتي وستزول مملكته في النهاية وينتصر جنود الله . وعندئذ يكمل التاريخ البشري وتسود المحبة كل الشعوب ، وتنتفي الخطيئة وتشمل رحمة الله عباده المؤمنين .

فالغاية من هذا التطور التاريخي وفق هذه النظرية مرور البشرية في هذه الأدوار الحرجة التي يكون فيها المؤمن كالقابض على جمرة النار فيمتحن الله فيها عباده ، إلى أن تتداعى مملكة إبليس فيحصل « أبناء الله » على شرف « المواطنة في مملكة الأب » ولا يتحقق هذا الهدف إلا إذا دان الإنسان بمبادىء الكنيسة ، واعتبر كل ما هو موجود على سطح الأرض زائلا لا يدوم ، وإن الدوام لله ، وإن الأموال واسطة للقربى من مملكة الله ، فيجب التصرف فيها وفقاً لأوامره وللأحكام التي وضعتها الكنيسة ، يشمل ذلك الأفراد والجماعات .

وتسري هذه الأحكام على الدول خاصة ، وعلى الحكام أمناء الله على العباد ، لأن وظائف الدولة هي وظائف عالية ، وبيدها مقدرات ملايين الناس ، وقد اختار الناس بمجرد حريتهم أمثال هذه المؤسسات الاجتماعية لخدمة مصالحهم وحقوق الله ، فلا يجوز للحاكم أن يحيد عنها ويتعداها فتصبح الدولة دولة من الدول الممثلة لإرادة الشيطان ويكون الحاكم طاغية من الطغاة « Tyran » فيحرم من حق المواطنة في مملكة الله . وتصبح الدولة التي يديرها آلة من آلات الشيطان مسخرة لتنفيذ أحكامه . ولضمان التعاون مع « أبناء الله » وتنفيذ مبادئه يجب الأخذ بناصر الكنيسة ورجال الدين أولياء الله على هذه الأرض .

ومن هذه النظرية استمد البابوات سلطانهم وحاولوا فرض إرادتهم في القرون الوسطى على الحكام الزمنيين ، باعتبار أنهم يمثلون السلطات الشرعية التي هي أرفع السلطات وأنهم ينفذون أوامر الله بين الناس ، وأن ذلك لا يعني العبودية ولا الخضوع لإرادة الكنيسة التي لا تعرف الرق بل تعني التسليم عن اختيار ، والإيمان المحض مع الشعور بما يترتب على ذلك من مسئوليات . وقد كانت هذه النظرية مصدر نزاع بين الحكام الذين كانوا يرون في هذه العقيدة سبباً من أسباب التدخل في الأمور الدنيوية التي يجب أن يبتعد عنها رجال الدين ، والتي تتنافى مع مبادىء الدين نفسه .

إن هذا التفسير للتطور التاريخي هو تفسير ديني ، وهو تفسير يتقارب في الأفكار العامة مع تفاسير رجال الأديان وإن كان يتعارض مع التفاصيل ومن له مصدر هذه السلطات . ويتقارب « البروتستانت » في التفسير التاريخي مع هؤلاء على الرغم من اختلافهم عن الكاثوليك في سلطة « البابوات » ورجال الدين . وربما كانوا أقرب إلى نظرية « أوغسطين » من إخوانهم الكاثوليك .

وممن دافع عن هذه النظرية المؤرخ « بوسويه » « Bossuet » « ١٦٢٧ — ١٧٠٤م » في كتبه التي ألفها في التاريخ ؛ فعنده أيضاً أن نهاية التاريخ هي تحرر الإنسانية من « الخطيئة » وإقامة حكومة الله . وقد اعترف في كتبه بوجود سلطتين في العالم سلطة

الكنيسة وسلطة الدولة ، وسلطة الكنيسة بالطبع هى العليا لأنها تمثل مبادىء الله على هذه الأرض . وعالم آخر إيطالى هو « ويشو » « L Vico » « ١٦٦٨ — ١٧٤٤ م » وهو صاحب أبحاث قيمة فى التاريخ ؛ وعنده أن تطور كل أمة يخطو خطوات ثلاثا « ثيوقراطية » و « مرحلة القوة والبطولة » و « المرحلة الإنسانية » . حيث تسود فيها قوانين الله وشريعة العقل ، ويسير الله فى كل هذه المراحل وعند جميع الأمم هذه الأدوار بحكمته وإرادته ويربط فيما بينها ؛ ولذلك يسير التاريخ على الرغم مما نراه من استقلال ظاهرى متضامناً يؤثر بعضه فى بعض ، والكنيسة هى أعلى مؤسسة ثقافية ظهرت فى التاريخ البشرى ، وسيكون النصر لها . وهنالك مؤسسات ثقافية أخرى ظهرت عند البشر هى الثقافة العبرانية واليونانية والرومانية وقد أزالتها الحضارة المسيحية سيدة الحضارات .

وقد صيغت هذه النظرية المسيحية للتاريخ فى أسلوب واضح حديث عند بعض المؤرخين مثل دمستر « J . M . de maistre » « ١٧٥٤ — ١٨٢١ م » وهو إدارى وفيلسوف فرنسى ، وكان يمثل الكاثوليكية المحافظة فى نظريته عن الدولة وأثناء ممارسته للسياسة . وكان يرى أن سلطة البابوية فوق سلطات الملوك والحكومات ، ويجب أن تكون كذلك لأنها تمثل إرادة الله التى هي فوق كل إرادة ، والفيلسوف فون جورس J. J. Von göures ١٧٧٦ — ١٨٤٨ م ، وهو الكاتب السياسى الذى أيقظ الروح الكاثوليكية وصبغها بالصبغة « الرومانتيكية » ودعا وهو فى فى بلاط الملك « ليدويك » ملك « بافاريا » إلى إرجاع السلطة المقدسة العليا إلى مكانتها السابقة وإلى الاعتراف بها على أنها أهم مرجع يجب الركون إليه فى حل المشكلات .

وقد اصطبغت هذه النظرية الدينية بصبغة « رومانتيكية » صبغها بها الكتاب الذين تأثروا بالمذهب « الرومانطيق » أمثال « فريدريك شليكل » « Fr . Schlegel » « ١٧٧٢ — ١٨٢٩ م » فى كتابه « فلسفة التاريخ » . وهو من كبار أصحاب المذهب « الرومانطيق فى ألمانيا » وبالمس « Balmes » « ١٨١٠ — ١٨٤٨ م » والفيلسوف البروتستانتى روشول « Rocholl » و « كروب » « grupp » .

وكان من نتائج تقدم العلوم الطبيعية وشيوع الآراء العقلية التى تطرد كل ما لا يقبل التصديق عن العقل « Aufklärung - Philosoplis » ولا تؤمن إلا بالتجربة وشيوع المذاهب المادية ومحاولة العلماء تطبيق القوانين والنتائج التجريبية « Empiri » حتى على العلوم العقلية البحتة . وقد قوت الثورة الفرنسية هذه الحركة وساندتها نظرية داروين المعروفة وما أعقبها من آراء طبقت فى التاريخ وفى علم الاجتماع وعلم النفس .

وكانت الطرق التاريخية المعروفة تعتمد إلى درجة كبيرة فى سرد الحوادث على ذكر « الأفراد » الموهوبين الذين كانوا يصنعون التاريخ على حد قول أكثر المؤرخين . وقد خالف القائلون بالمذهب المادى فى التاريخ هذا الرأى ، وأشادوا على العكس بفعل الجماهير وأثرها العظيم فى تكوين الأفراد . وقد تولد من هذه النزعة المادية التى دخلت التاريخ ما يعرف بالمذهب المادى فى التاريخ .

والفكرة المادية قديمة جداً فى الواقع ؛ فهنالك أناس نادوا بها فى عالم اليونان مثل « Leucippus van Abdera » وكان من المعاصرين للفيلسوف « Anaxagoras » « ٥٠٠ قبل الميلاد » والذى كان من تلاميذه « ديمقريط » « Demokrit » . ومثل « أبيقور » الذى أرجع أصل كل شىء إلى المادة . وكان هنالك جماعة آخرون .

غير أن المسيحية وقفت هذه الحركة المادية ، وعرقلت انتشارها طيلة القرون الوسطى وما تلا ذلك إلى أن كتبت لها العودة ثانية فى القرن الثامن عشر للميلاد ، فأخذت توجد لها أنصاراً وأعواناً إلى أن شملت جماعة من أصحاب العلوم العقلية ، كالفلسفة والتاريخ ، وقد ظهرت فى التاريخ على شكلين : شكل يقال له « المادية البيولوجية » « the Biological materialism » وشكل يقال له « المادية الاقتصادية » « the okonomicral materialism » . أو « المادية الاجتماعية » « Somialismus materialism » . وأحياناً « الديالكتيكية المادية » .

(البقية فى العدد القادم)

جواد على

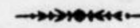
كتاب النـــوادر

لأبي عبد الله محمد بن الأعرابي

إملاء أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي

(مخطوط عالمي نفيس)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي



عثرت في خزانة الكتب الخالدية في بيت المقدس على الجزء الأول من كتاب [النوادر لابن الأعرابي] أما الجزء الثاني ففقود وقد بحثنا عنه طويلاً فلم نعثر له على أثر . وقد أسرعت فكتبت إلى البروفسور بروكلمان العالم الشهير في مدينة هال ، ووصفت له الكتاب ، فكان سروره عظيماً بهذا الخبر ، وقد أجابني قائلا إن الكتاب نادر الوجود على ما تعلم ، وحثني على دراسته وإخراجه لأنه من أنفس كتب الأدب وأجلها قدراً .

ومعلوم أن ابن الأعرابي عاش في القرنين الثاني والثالث وكان من كبار أئمة اللغة والمشتغلين فيها ، وعاصر كبار رجال عصره وأخذ عنهم ، وهو ربيب المفضل الضبي صاحب المفضليات .

ومما يزيد في قيمة هذا المخطوط النادر أن النسخة التي بين أيدينا هي من إملاء أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي (ثعلب)[1] وقد نسخت لخزانة صاحب الحبس أبي عبد الله الكناني من نسخة بخط أبي علي الآمدي كتبها للوزير أبي الفضل بن الفرات[2] من خط أبي موسى الحامض[3] ، وعورضت بها ، وعارض بها الوزير نسخة بخط ابن الكوفي[1] وبخط ابن الحداد عن أبي العباس ثعلب . عن ابن الأعرابي ، وقد دونت هذه الزيادات في الحواشي ثم قرئت بعد ذلك على ابن خرزاز فصحت .

وصف المخطوط :

تقع المخطوطة في ٢٨٧ صفحة وهي مكتوبة على ورق صقيل جيد يميل إلى الصفرة ، وقد كتبت بالخط النسخي الواضح بالحبر الأسود . وقد شكلت حروفها وزيدت عليها زيادات في الحواشي بالحبر الأحمر ، فما كان عليه كاف فهو من نسخة ابن الكوفي وما كان عليه حاء فهو من نسخة ابن الحداد .

وطول الصفحة ٢١ سنتمتراً وعرضها ١٦ سنتمتراً وقد بدأت السوسة تأكل صفحاتها .

تاريخ النسخ :

نسخت هذه النسخة لخزانة صاحب الحبس أبي عبدالله إبراهيم ابن محمد بن حسين بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الحكم الكناني[2] .

وقد انتقلت النسخة بعد ذلك إلى (أحمد بن محمد بن عبد الكريم) ثم (سلمان بن إبراهيم بن سلمان) وانتهت إلى وقف السيد أحمد الوقت القدسي المتوفى سنة ١١٧١ هـ ، وكان للسيد المذكور خزانة كتب نفيسة ، وآلت في النهاية إلى خزانة الكتب الخالدية منذ أوائل هذا القرن .

ومما لا شك فيه أنها نسخة معتبرة لأنها نسخت عن نسخة بخط الآمدي كتبها للوزير ابن الفرات وهو قريب عهد بالمؤلف . كما أنها عورضت بنسخ أخرى معتبرة .

من هو ابن الأعرابي ؟

يصفه لنا ابن النديم في فهرسته ص ١٠٢ . وابن النديم من رجال القرن الرابع ألف كتابه العجيب سنة ٣٧٧ هـ وتوفي سنة ٣٨٥ هـ .

---

(١) توفي أبو العباس ثعلب سنة ٢٩١ هـ وله من الكتب كتاب المصون في النحو ، وكتاب اختلاف النحويين الخ . وله مجالسات أملاها على أصحابه تحتوي على قطع من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع .

[الفهرست لابن النديم ص ١١٠] .

(٢) كان وزيراً للمقتدر العباسي ، ولما قتل الخليفة سنة ٣٢٠ ، استتر الوزير (الفخري ص ٢٤٧)

(٣) من أصحاب ثعلب ، يوصف بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط وكان يورث وله من الكتب كتاب النبات وكتاب الوحوش الخ . (ابن النديم ص ١١٧) .

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد الأسدي عالم صحيح الخط راوية جامعة للكتب صادق في الحكاية منقر بحاث (ابن النديم ص ١١٧)

(٢) لم نستطع تعيين وفاته لبعدى عن جميع المصادر .

فيقول « إن أبا العباس ثعلب وهو تلميذه شاهد فى مجلس ابن الأعرابى وكان يحضره زهاء مئة إنسان ، فكان يسئل ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب ، وقد لزمه بضع عشرة سنة ، ولم ير فى يده كتاباً ! » .

ويقول إنه مات (بسر من رأى) وقد أملى على الناس ما يحمل على جمال . ولم ير أحد فى الشعر أغزر منه ، وقد قرأ على القاسم ابن معن[1] وسمع من المفضل[2] وذكر أنه ربيبه وكانت أمه زوجة المفضل وإنه ولد سنة ١٥٠ هـ وهى الليلة التى مات بها أبو حنيفة ومات ٢٣١ هـ . ثم ذكر كتبه على ما سيأتى فى آخر المقال ...

أما عبد الرحمن بن محمد الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ صاحب نزهة الألباء فى طبقات الأدباء (ص ٢٠٧ — ٢١٣) فقد قال إنه كان مولى لبنى هاشم ، وإنه من أكابر أئمة اللغة ، وإنه أخذ عن الكسائى[3] كتاب النوادر وعن أبى معاوية الضرير[4] ، وأخذ عن ابن ثعلب أحمدبن يحيى وهو الذى أملى هذا الكتاب . وإذا أخذنا بقول الأنبارى ، جازان تكون هذه النوادر للكسائى أخذها عنه تلميذه ابن الأعرابى ولا بد من مقابلة هذه النوادر بنوادر الكسائى فى كتبه الثلاث لتصح هذه النظرية .

وفى رأى ابن الشمرانى أن سفيان الثورى كان رأساً فى الحديث وأبو حنيفة فى القياس والكسائى فى القرآن وابن الأعرابى فى كلام العرب .

أما ياقوت فى معجم أدبائه . فقد ذكره فى صدد ترجمة أبى سعيد الضرير (ص ١١٨) فقال إنه أقام بنيسابور وأملى بها المعانى والنوادر ولقى ابن الأعرابى ، وفى (ص ١١٩) يقول إنه صحب بالعراق أبا عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابى وأخذ عنه .

(١) أخذ عنه ابن الأعرابى ، ولاه المهدى القضاء كان من أشد الناس افتناناً بالآداب كلها كان من جلساء أبى حنيفة توفى أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ . (ابن النديم ١٠٣) .

(٢) أبو العباس من بنى ثعلبة ، عمل الأشعار المختاره المسماة المفضليات للمهدى ؛ رواه عن ربيبه ابن الأعرابى . (فهرست ١٠٢) .

(٣) النحوى على بن حمزة بن عبد الله الكوفى توفى سنة ١٧٩ هـ ابن النديم ص ٤٤ . وفى ص ٩٨ . يقول إنه توفى سنة ١٩٧ هـ . وله من الكتب النوادر الكبير ، كتاب النوادر الأوسط ، النوادر الأصغر

(٤) هشام بن معاوية الضرير ويكنى أبا عبد الله صاحب الكسائى له كتاب المختصر وكتاب القياس (ابن النديم ص ١٠٤)

وأما ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ فقد ترجمه فى (ص ٤٩٢) وقال إنه من موالى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ، وقيل من موالى بنى شيبان وقيل غير ذلك والأول أصح .

وابن خلكان يكشف لنا عن جنسيته فيقول إن أباه زيادا كان عبداً سندياً ، وإن ابن الأعرابى كان أحول ، وكان راوية لأشعار القبائل .

ويقول إنه لم يكن فى الكوفيين أشبه برواية البصريين منه . ثم يذكر لنا علاقته بالمفضل الضبى ، وأسماء بعض أساتذته مما مر ذكره ، ويقول إن من تلاميذه ، أبا العباس ثعلب وابن السكيت[1] . وقد ناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة وكان رأساً فى الكلام الغريب .

وكان يزعم أن أبا عبيدة[2] والأصمعى[3] لا يحسنان شيئاً . وكان يقول جائز فى كلام العرب ، أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطىء من يجعل هذه فى موضع هذه وأنشد :

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لى غائض

وقل فى كشف الظنون ص (٦١٦) تحت باب النوادر ، إن الأقدمين ألفوا كتباً فى النوادر العربية والفقهية سوى ما ذكر منهم أبو عبد الله بن زياد المعروف بابن الأعرابى اللغوى وهو أى كتاب النوادر (رواية أبى العباس أحمدبن يحيى النحوى ويونس النحوى المذكور فى الأمثال وعليه رد لأبى سعيد حسن بن محمد السيرافى النحوى[4]) .

تصانيفه :

وقد عدد ابن النديم تصانيفه فى فهرسته ص ١٠٣ : منها كتاب النوادر ، وكتاب الأنواء ، وكتاب صفة النخل ، وكتاب صفة الزرع ، وكتاب النبات ، وكتاب الخيل ،

(١) من أصحاب الكسائى وابنه يعقوب . وكان مؤدباً لولد المتوكل توفى سنة ٢٤٦ هـ (ابن النديم ١٠٨)

(٢) أبو سعيد معمر بن المثنى التمرى توفى سنة ٢١٠ هـ وله كتاب إعجاز القرآن وغريب القرآن الخ . ابن النديم ٧٩

(٣) هو عبد الملك بن قريب الباهلى توفى سنة ٢٢٣ هـ وقيل ٢١٧ هـ ابن النديم ٨٢ :

(٤) من سيراف توفى سنة ٣٦٨ هـ شرح سيبويه ، له كتاب أخبار النحويين الخ . ورد لابن حيد .

وكتاب مدح القبائل ، وتفسير القبائل ، وكتاب معانى الشعر وتفسير الأمثال ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب نسب الخيل ، وكتاب نوادر الزبيريين ، وكتاب نوادر بنى فقعس ، وكتاب الذباب ، بخط السكرى ، وكتاب النبت والبقل .

ويضيف ابن النديم أنه روى عن جماعة من فصحاء العرب منهم الصمروتى والكلانى وأبو المجيب الربعى .

نموذج من كتاب النوادر :

نقتصر الآن على إيراد صفحتين من أول الكتاب ، وصفحتين من آخره لندل بذلك على أسلوبه . وليس للكتاب فصول ولا أبواب ، وإنما هو إملاء لنوادر العرب ، وقصصهم ، ثم شرح هذه النوادر ، وما جاء فيها من الكلام الغريب مع مجموعة زاخرة من المترادفات . قال فى الصفحة الأولى : [بسم الله الرحمن الرحيم ، حسبى الله معينا — قال أبو العباس أخبرنا ابن الأعرابى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة ، فقيل « يا رسول الله هذه سحابة » فقال عليه السلام « كيف ترون قواعدها ؟ » قالوا « ما أحسنها وأشد تمكنها » قال « كيف ترون رحاها ؟ » قالوا « ما أحسنها وأشد استدارتها » قال « فكيف ترون بواسقها ؟ » قالوا : « ما أحسنها وأشد استقامتها » قال : « فكيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا ؟ » قالوا « بل يشق شقا » قال : فقال صلى الله عليه وسلم « الحيا » قالوا « يا رسول الله ما أفصحك ! ما رأينا الذى هو أفصح منك » فقال : « ما يمنعنى وإنما أنزل القرآن بلسانى ، بلسان عربى مبين »

قال : قواعدها ، أسافلها ، ورحاها وسطها ومعظمها ، وبواسقها أعاليها ، وإذا استطال فيها البرق من طرفها إلى طرفها وهو فى أعاليها فهو الذى لا يشك فى مطره وجوده ، وإذا كان البرق فى أسافلها لم يكد يصدق .

قال رجل من العرب وقد كبر وكان فى داخل بيته وكان بيته تحت السماء « كيف تراها يابنى ؟ » قال « أراها وقد نكبت وتبهرت وأرى برقها أسافلها » قال « أخلفت يا بنى »

والومض أن يومض إيماضة ضعيفة ، ثم يخفى ، ثم يومض وليس فى هذا بأس من مطر قد يكون ولا يكون . وأما المسلسل فى أعاليها فلا يكاد يخلف . والاقتذاء نظر الطير ثم إغماضها تنظر نظرة ثم تغمض ، ثم تنظر نظرة ثم تغمض ، قال حميد بن ثور :

خفى كاقتذاء الطير والليل مابس بجثمانه والصبح قد كاد يسطع اه

وإليك أيها القارىء الكريم نسوق مقالا آخر وهو ما جاء فى آخر الكتاب : رمأ على الستين ، وأرمأ ورمث وطلث وزاحمها ودامها وحبّاها (١) وحبا لها إذا بلغها وقدعها جازها .

وقال قلت للكلانى « كم أتى عليك » فقال « قد ولت لى الخمسون ذنبها . وقلت لآخر « كم أتى عليك » فقال : « أما فى قرح الثلاثين » وقال آخر « وقد أخذت بعنق الستين ، وأردأت على الستين وجرد متها إذا جازها وجردم ما بالحفنة أتى عليه .

وقال الكلاب الغزل الذى يصيد ظبيا فإذا صار إلى الثالث لاعبه ولم يعرض له ، فيقال غزل إذ رآه . ويقال فيه تخنيث . وطرقة وحلة . وقال الدفر النتن متحركة ، والدفر بسكون الفاء الذل ويقال دفر فى عنقه ودفع فى عنقه ومنه قول عمر وادفراه ! أى واذلاه !

ويقال هو معرف سوء ، وثلة سوء ، وبيئة وجيبة سوء . وقال نئطل ونأطل دهم الدواهى .

قال وقالت امرأة ورأت رجلا عهدته شابا جلدا : أين شبابك وجلدك ؟ فقال من طال أمره وكثر ولده ورق عدده ، ذهب جلده . وقوله رق عدده أى سنوه التى بعدها ، ذهب أكثرها وبقى أقلها وكان عنده رقيقا وأنشد :

لم يختر البيت على التغرب ولا اعتناف رجلة عن مركب
فهو ممر (٢) كسقاط (٣) القنب

الاعتناف : الكراهة .

يقول لم يختر كراهة الرجلة فيركب ويدع الرجلة ولكنه اشتهى الرجلة وأنشد :

إذا اعتنفتنى بلدة لم أكن لها نسيبا ولم تسدد على المطالب

وقال الورق ورق الشباب ، نضرته وحداثته ، والورق قطع الدم ، والورق ورق الدنيا وأنشد :

ترى ورق الفتيان فيها كأنهم دراهم منها مستجاز وزائف

[تم الجزء الأول من كتاب نوادر ابن الأعرابى والحمد لله حمد الشاكرين ، يتلوه فى الجزء الثانى : قال الفند اسمه سهل بن شيبان بن بيمة]

أحمد سامح الخالدى

(١) فى الأصل وحباها بتشديد الباء
(٢) الحبل المفتول فتلا شديدا (٣) الحبل

خليل مطران

بمناسبة صدور الكتاب الذهبي لمهرجان تكريمه

للأستاذ وديع فلسطين

قليل تالله كل ما قليل في الخليل !

وضئيل وايم الحق ما بذل في تكريمه .

فخليل مطران من الماهدين[1] في الشعر الحديث ، ومن معبدي الطريق أمام النهضة الثقافية والفكرية في العالم العربي المعاصر ، ومن الدعائم الأولى في بناء الأدب المسرحي في لغة الضاد ، ومن ذوي الفضل في استحداث تعبيرات عربية لمصطلحات وعبارات أعجمية كانت مجهولة مغفلة حتى وضع مطران يده عليها وأشاعها وأذاعها .

وخليل مطران أديب له تميزه الخاص ، تفاعلت فيه ثقافات شتى ، وذابت في ذهنه آداب من الشرق ومن المغرب ، وتهافتت على عربيته الأصيلة قطوف غربية متباعدة الأطراف ففتقت ذهنه ، ونشرت أمام عقله المتفتح مجال المعرفة فسيحاً ، وجعلت منه ركناً ركيناً في صرح ثقافة الشرق ، وقطباً يخطب المستشرقون ود شعره ، وباقي فيه المعنيون بالأدب ذي الطابع الإنساني الخالد معيناً لا ينضب ، ومنهلاً لا تغيض غواربه .

أنشد الشعر من خمسين عاماً أو تزيد ، فكان أبداً مجلياً مجلو البيان ، وكان دأباً في الطليعة يؤاخي «شوقي» ويزامل «حافظ» ويأخذ عنه ومنه شعراء نصف قرن ، وستهتدي بنظمه ونثره أجيال لما تأت .

أمعن في الكتابة ، وأوغل في تدوين « المحبّرات الطوال » فما خلف باباً من أبواب الرأي إلا طرقه ، وما ترك موضوعاً يشغل الذهن إلا جاهر فيه بمعتقده ، وما هجر منحى من مناحي التفكير لعلة ارتآها أو ذريعة تذرع بها .

الشعر ، نظمه .

والمسرحيات ، ترجمها وألفها .

والاقتصاديات ، تضلع منها وحباها بالكثير من وقته وجهده ؛

والصحافة ، مارسها واشتغل بها وحمل أعباءها فما تنكر لها وما تنكرت له .

والمنبر ، ارتقاه منشداً وخطيباً ، فلم تذهب نحواته و« دقة » حجمه بقدرته على امتلاك أفئدة المصيخين له .

فخليل مطران موسوعة حية متنقلة . جالسته كثيراً ، فكان دائماً صاحب زمام الحديث ، يديره يمنة ويسرة ، ويعرج به على القديم ، ثم يقفز إلى الحديث بل إلى المستقبل البعيد . يعالج فنون الأدب والعلم علاج مقتدر أصل قواعده ، وثبت قدميه . ينظر إلى شؤون الحياة نظرة مشارفة مستعلية فلا تبهره الظاهر ، ولا يحول البهرج دون أن يبدي في الشأن حكماً سديداً . فقد حلب الدهر أشطره ، واستوعب غاية ما يستطيعه فرد من قراءة واطلاع وبحث . وخبر الناس طبقات طبقات ، وشهد مواكب المدنية تترى أمامه ، ورأى أصولا ثابتة تتداعى ، وقواعد مؤثلة تهوى وتبلى ، وجالس وطوف ، وأقام فعرف الباقيات الخالدات من الفانيات الذاهبات . واستجمع هذه الذخيرة كلها في رأسه يرتد إليها في النظم ، ويعود إليها في المحادثة ، ويغرف منها كلما اشتهى قلمه الكتابة ... وتلك شهوته المفضلة الأثيرة المقدمة على سواها

خليل مطران ، وإن كان قد تسنم قمة المجد ، وارتقى درجات الرفعة السامقة وشهد ملوكاً يضفون عليه من صنوف التقدير ألواناً ورؤساء جمهوريات يتسابقون في تكريمه والاحتفاء به ، وشعوباً تهتف باسمه وتردد شعره في كل صقع ناطق بالضاد ، وأقطاباً مرموقين يجتمعون من كل حدب وصوب ليسدوا له الثناء موفوراً على مسمع من الحشود ، وعلى ملأ من المعجبين ... وإن كان مطران قد قرأ كتباً ألفت في إطرائه وتقريظه ، ومقالات دبجت في مديحه والإشادة به ، وشعراً أنشد في تمجيده وتخليده ، غير أن هذه جميعاً لم تفلح في بث روح الكِبر في خليل مطران ، ولم تُسجد في حمله على الشموخ والاستعلاء .

فقد ظل الخليل لأصدقائه خليلا ، وأبقى على خلة الاتضاع والوداعة ، حتى لقد أفرط في هذا إفراطاً تجاوز المدى . وكثيراً ما حدثني عن « تفاهته » وصغر شأنه وعجبه من أن يكون

(١) الماهدون تعبير يطلقه المغتربون العرب على طلائعهم التي كان لها فضل السبق في الهجرة إلى الدنيا الجديدة وفي استيطان بلاد ليس لهم بها معرفة ولا ألفة .

موضوع ذكر من قومه .

وهذا شعره يردد فيه آيات الدعة فيقول :

أخاف من سوء تأويل لرأيكم في الفضل لو قلت إني لست بالقمن

ويقول :

سادتي ، جاز فضلكم آمالي أجدير شأني بأدنى احتفال

أي شيء أنا الذي نال هذا الـ عطف منكم ،ماصحتي،ما اعتلالي

ما يرجى من مشهدي أو مغيبي ومكاني إلا من الطيف خالي

عندي الحائلان دون رفيع الـ قدر من قـلة ومن إقلال

بل لقد يذهب به تواضعه إلى افتقاد رقيق الحال من الأدباء .

وسلوا أحياء القاهرة الفقيرة تجبكم أن خليل مطران أعرف الناس بدخائلها ومخارجها ، وأكثرهم إلماماً بأزقتها وترهاتها ، فقد كان بنفسه يزور كل أديب ، ويبحث عنه أينما كان مأواه ، ليعرف أفي مسرة هو أم في معسرة ، أبه حاجة إلى عون يسدى إليه أم إلى هم يرفع عنه ، أم إلى قلب كبير يواسي قلبه ، أم إلى كلمة تشجيع يحفز بها همته ، أم إلى رفقة تؤنس وحشته ، أم إلى حديث شهي يذسيه علته . وحسبي في هذه السانحة أن أقول إن خليل مطران كان من القلة القليلة التي أحاطت بالشاعر إبراهيم الدباغ يوم ألمت به أسقام البدن ويوم حرمته الدنيا بهجة الإبصار، فكان يقصد صومعته في زورات متتالية منتظمة غير متحرج ولا متردد ولا معاند ، وكان يؤثر مجالسة هذا الأديب على مسامرة الكبراء وذوي اللقب والجاه .

وخليل مطران قوة دافعة للأدباء . يرى هذا يوشك على التعثر فيقيمه ، وذاك يسرف في انحرافه فيقومه ، لا يبخل بالتشجيع ولا يضن بالثناء ، ولا يدخر وسعاً في سبيل بعث الهمة التي تبطت ، ورد روح النشاط التي خمدت .

أتيته يوماً بكتاب ترجمته وقلت له : إني عليم بأمراضك مدرك أنك من طلعة الشمس إلى طلعتها في صبيحة اليوم التالي تبرح بك الآلام وتخضع لنظام دقيق عينه لك الأطباء ؛ فهذه إبرة تحقن في جسمك مرات في اليوم ، وهـذه أنواع شتى من الأدوية تتعاطاها شرباً واحتلاباً وابتلاعاً عدا الحمامات الساخنة وأعباء التدليك والتدهين . ورجوته بعد هذا أن لا يكلف نفسه عناء تلاوة هذا الكتاب ، وحسبي فخراً أن أراه موضوعاً في مكتبته .

فما كان من مطران إلا أن قضى الليلة ساهراً يتلو الكتاب كلمة كلمة ، غير مشفق على بصره ولا على صحته المنهالكة ، ولا مترفق بيديه الكليلتين اللتين لا تقويان على حمل شيء ، حتى إذا ما أوشك الصبح على البزوغ ، كان صاحب القلب الكبير قد أتى على الكتاب جميعه .

أتدرون لِمَ فعل مطران هـذا ، ولم عرض نفسه لخطر قد يصيب حياته أو يرد حالته الصحية القهقرى ؟! لقد فعل الخليل ذلك ليستطيع في اليوم التالي أن يفوه لناشيء بكلمة تشجيع وإطراء ، فيرضى ضميره ويريح نفسه ، وإن كان ذلك يؤدي على حساب الصحة والبصر والإجهاد الذهني .

وللاستدراك أقول إن خليل مطران وصف حالته الصحية يومذاك ببيت من قريض مألوف في قرى لبنان ، نصه :

وجسمي صار نص ميت ونص حي

ونص الحي باق للعذاب .

هذه صفحة عن خليل مطران رأيت أن أنشرها اليوم في مناسبة ظهور الكتاب الذهبي لحفلات تكريمه . وليت المجال يسعف ، فأدع القلم يتحدث عن مطران الذي عرفته فعرفت فيه إباء في النفس ، وكرماً في الخلق ، وسعة في الصدر ، وسداداً في الرأي ، وبصيرة نافذة في الأمور ، وعفـة في اللسان والقلب ، وجرأة في القول والفعل ، وسخاء في العطاء والاحسان ، ووفاء لا يبرحه ، وإخلاصاً يستمده من قلبه العامر بالإيمان ، ومجالدة تدعوه إلى احتمال كل عناء . بل لقد رتب خليل مطران على نفسه واجبات تمهد بالنهوض بها ، فما أخل بوعده ، ولا منعته علة عن تأدية هذه الواجبات جميعاً عن رضا وراحة ضمير .

ولئن كانت هذه المحامد بأسرها قـد اجتمعت وتبلورت في خليل مطران ، وأسبغت عليه الشخصية الفريدة التي يزدان بها هذا الأديب الجليل الكبير ، فليس يسع المرء إلا أن يضرع إلى الله أن يلطف به وبصحته ، ويبرىء بدنه من الأدواء التي تكالبت عليه ، ويمنحه من فيض رحمته ما يخفف عنه أوجاع المرض ، ويكلأه برعايته في أيام تمر عليه كالسنين والدهور .

فليس عند العروبة سوى « خليل مطران » واحد ، ونحن نراه لا زمة بل ضرورة لأنه بنـاء لم يعرف الهدم ، ولأنه مجدد مصلح كله وفاء ومكرمات .

وديع فلسطين

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

كنت أود أن يكون عنوان هذا البحث (النهضة الأدبية في السودان) فأتناول فيه من حديث الشعر والنثر ما يرسم صورة صحيحة أو قريبة من الصحيحة للحياة الأدبية هنا، ولكن يبدو أنه سيمضي وقت ليس بالقصير دون أن يجد الباحث المادة الضرورية لمثل هذا البحث؛ فإن نثراً مستقلا يكوّن أدباً لم يتح بعدُ لباحث.

ومن عجب أن يجد الإنسان مادة غير نزرة ولا قليلة للشعر، ولا يجد شيئاً يمكن أن يعتمد عليه في النثر، وربما كان لذلك أسباب كثيرة هي في الغالب أسباب سلبية، وقد يكون من الخير التغاضي عنها، حتى إذا كان من الخير أن نقول في هذا الشأن قلنا، ولهذا أرى من الحسن أن أقصر بحثي على الشعر وحده.

وطبعي أن يكون في السودان شعر، وأن يكون فيه شعر وفير، فإن أسباب الشعر ودوافعه قوية مستفيضة غالبة، ولو استجاب الشعراء لها، ولو لم تشغلهم شئون أخر عن التأثر بها، والتنبه إليها، لجاءنا شعر وخير كثير.

وإنه لتروعك الرغبة القوية في دراسة الآداب، واستظهار المنظوم والمنثور عند كثيرين من أبناء السودان، فإنك تجد عدداً غير قليل يحفظ الآلاف من أبيات الشعر، ففضيلة زميلنا الشيخ محمد العبيد الأستاذ بالمعهد العلمي بأم درمان يحفظ شعر شوقي كله، لا يند عنه بيت منه؛ وفضيلة الشيخ أحمد العاقب — وهو شاعر — لا يكاد يمر بمسألة، أو يأخذ في حديث حتى يستشهد بأكثر من بيت من الشعر القديم، أو من الشعر الحديث. ولقد لاحظت أن دواوين: شوقي وحافظ والبارودي والعقاد هي الدواوين المفضلة عند الأدباء السودانيين. أما القراءة فهم مغرمون بها، وأكثر ما يقرأون للأساتذة المصريين من كبار الكتاب أمثال طه حسين والعقاد والزيات وهيكل، وآثر المجلات الأدبية عندهم وأحبها إليهم مجلة الرسالة.

ولا مندوحة لمن يريد الدقة والإنصاف في الحديث عن الشعر السوداني، أن يقسمه إلى قسمين، شعر المدرسة القديمة، وشعر المدرسة الحديثة، وكلتاهما تعيش في هذا القرن. ونستطيع أن نقول إن المدرسة القديمة سيطرت على الشعر منذ ابتداء هذا القرن أو قبله بقليل، وبقيت سيطرتها إلى عهد قريب، وبعض أساتذتها لا يزالون يرفدون الأدب بأشعارهم، وإن أخذت أشعة المدرسة الحديثة تبدو في الأفق.

وطابع المدرستين جد مختلف، فبينما نجد سمة التقليد، والتمسك بالتقاليد، والسير على النهج القديم، غالبة على المدرسة القديمة، نجد شيئاً كثيراً من التحرر والطموح والاستقلال في المدرسة الحديثة. وقد تأخر — ولا شك — ظهور هذه المدرسة ولم يستقر لأصحابها مناهجهم بعد، ولكني أعتقد أن الخطة الجديدة في نشر التعليم، وإرسال البعوث إلى مصر وإلى غيرها ستؤتي أطيب الثمار في هذه النواحي. نعم لا يزال الشعراء المحدثون في أول الطريق، ولكن بواكيرهم تبشر بأنهم يسيرون بخطى حثيثة نحو الكمال والنضوج.

وسأقصر حديثي في هذا المقال على مقومات المدرسة القديمة ومناهجها، وطابعها، وشعرائها.

التقليد — في الواقع — هو السمة الأصلية في أساتذة هذه المدرسة. التقليد للشعر القديم وطرائقه، تقليد في الأغراض، وتقليد في المعاني، وتقليد في الأساليب، كما أن من السمات الغالبة على هؤلاء الأساتذة سمة الوقار والرزانة والتحفظ. ولا غرو فأكثرهم من (المشايخ) بل إن منهم من وصل إلى أعلى المناصب التي يصل إليها الشيوخ في السودان. نعم من شعراء هذه المدرسة من تخرج في كلية غردون، ومن تعلم تعليما مدنياً، ولكن هؤلاء — أيضاً — لا يقفون بعيداً عن طائفة المشايخ، لأن الروح الدينية أبرز مظاهر الحياة في السودان، وهي قوية مسيطرة، والشعر — ونحن نتحدث عنه من الناحية الفنية — في حاجة شديدة إلى الانطلاق والتحرر والاندفاع.

الشعراء ينظمون كثيراً في المدائح النبوية، وفي المدح، والهجاء، والرثاء، وقل منهم من يخرج على هذه الأغراض. أما معانيهم فهي هي التي نشأت مع الشعر العربي؛ فالشجاع أسد

هصور ، والجميل بدر منير ، والممدوح أندى من الغمام كفاً ، وأجود من البحر يداً ، والفقيد تعزى فيه المروءة والندى ، والعاشق لا يزال يقف على الأطلال ، ويستوقف الصحب ، ويبكى الديار . وأما الأساليب فقلما تميل إلى شيء من الخروج عن منهج الشعر القديم ، فلا تجد شاعراً نظم فى غير البحور المعروفة بل إنك لتجد أكثر ما ينظم من الشعر على أوزان البحور المشهورة من الطويل والكامل والبسيط ، هذه الأبحر التى تمثل الوقار والشيخوخة والهدوء . ولا أثر فى هذه الأشعار لظل الحياة الجديدة الناعمة المتألقة ، فهى أكثر تأثراً بما يقرأ أصحابها من الشعر القديم ، وهم يجلونه ، فلذلك يحتذونه .

وأبرز ما يصور لنا هذا النهج هو ابتداء القصائد بالغزل ، الغزل المصنوع طبعاً ، فالمدائح ، والتهانى ، والتوديعات ، وأشعار المناسبات ، لا بد من بدئها بالغزل ، ولا بد — مع ذلك — من إظهار المهارة فى حسن التخلص ، وجودة الانتقال . على أن بعض الشعراء يترك هذه السنة ليحيى سنة أخرى ، فيبدأ قصيدته بذكر الخمر وسقاتها وندمائها ، أو بذكر النوق وحثها على المسير كأن يقول الشيخ محمد عمر البنا ، وهو يمتدح عثمان دقنه وأعوانه

ماضرنى أن لو حثثت العيس فى   أثر الحمول ، وإن علا التأنيب
وزجرت للبكرات دامية الخطا   قد مسها نحو الحبيب لغوب
أوجعتها سيراً فصارت ضمراً   كهلال شك ، ينجلى ويغيب

ثم تسأله هذه العيس إلى أين المسير ؟ ومن تريد — وأنت تذرف الدمع — ؟ فيجيبها بأنه يمم الزهادة والتقى ، فمساه يلقى نفحة من سر من زهد الدنيا وطلقها :

(عثمان دقنة) من رقى أوج العلا   بفخاره ، والطاهر المجذوب

ومن الابتداء بذكر الخمر قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يهنيء أحد أصدقائه بزواج :

هات اسقنى حلب العصير   حمراء كالخد النضير
وادع الخلاعة والصبا   واهتف بحيّ على السرور
وأقم (لأحمد) من بيوت   الشعر أمثال القصور

وهذا ابتداء واضح الدلالة على الصنعة والتقليد ، فالشيخ عبد الله هذا العالم الوقور الذى نشأ فى بيت العلم والتقى ، لا يطلب الخمر ، ولا يدعو الخلاعة ، ولا يستطيع أن يشبه الخمر بالخد إلا وهو مأخوذ بما فى فكره من شعر القدامى . ثم ما هذه المفارقة العجيبة ؟ دعوة للخلاعة ، وحى على السرور ، ولكن الشيخ — وهو من شعراء السودان المعدودين — لا يجد أنسب لذكر الخمر — التى لم يذقها طبعاً — من تهنئة بزواج ، على أنه يبتدى مدحة نبوية يذكر الخمر فيقول :

أديرى علىّ الكأس يا ربة الشعر   وجودى بمعسول الرضاب من الثغر
لعلى بهذى الكأس يا عز أنتشى   فاسمو بادراكى إلى العالم الشعرى

وأنا — فى الحقيقة — حائر فى هذه الكأس ، أى شيء فيها ؟ أهو خمر ؟ أم شعر ؟ أم رضاب عزة ؟

وكقوله فى مطلع قصيدة ألقاها فى حفلة الميلاد النبوى :

أدرها بعد نومات العشى   كميت اللون كالخد الوضى
مشعشعة بماء المزن رقت   كما رقت شمائل أريحى
حوالبها نواعم آنسات   نواعس ، ذات لحظ بابلى

وعلى ذكر الابتداء بالخمر أقول إن وصف الخمر ليس غرضاً أساسياً فى الشعر السودانى ، وإن كنا نجد بعض الشعراء يتسلى بها ، كما يقول الشاعر صالح عبد القادر .

اسكب الراح ، وناول من طلب   وأدر كأسك ، فالدنيا طرب
واسقنيها بنت كرم عتقت   تطرد الهم ، وتشفى من تعب
يا رفاق لا تلومونى على   حبها ، فالعيش فى بنت العنب
ما علينا أن شربناها وقد   كتب الله علينا ما كتب

أما الابتداء بالغزل ، فهو — كما قلت آنفاً — اللازمة التى لا تنفك الكثير من القصائد ، ومن ذلك قول الشيخ عمر الأزهرى يمدح صاحب مجلة الجوائب حيث يقول فى أولها :

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائب   فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
فلا سلمت نفس من الحب قد خلت   ولا كان جفن دمعه غير ساكب
سبا مهجتى لدن المعاطف أهيف   له لفتات دونها كل ضارب
ولا عيب فيه غير أن جفونه   بنتها على كسر جميع المذاهب

وهذا شعر جيد ، لولا ما ذكر فيه من هذا الأصطلاح النحوى ، وإن كان ذلك يعد ملحة ملفتة ، وهكذا يمضى فى غزله حتى يقول متخلصاً .

وحبى له لم يخف فى الكون أمره   كحب العلا مصباح أفق الجوائب

ولا نعدم فى هذه الناحية من يسن سنة أخرى أيضاً ،

(حيـــاة) بلابسى

للأستاذ نجاتى صدقي

عثر رجال الهلال الأحمر ، بعد مجزرة دير ياسين على جثة فتاة فى قميص النوم ، ملقاة بالقرب من طريق فرعية مؤدية إلى القرية ، فتعرف عليها بعضهم فإذا هى المعلمة حياة بلابسى .

عرفتها فى أواخر سنة ١٩٤٧ وقت أن قدمت للاذاعة موضوعاً أدبياً أرفقته بكتاب تقول فيه : « أرجو أن أتمكن من إذاعـة حديثى هذا فى أقرب فرصة ممكنة » .

وبعد أيام من ورود هذا الحـديث قابلت أحد قضاة القدس فذكرنى (بحياة) وأوصانى بها خيراً ... ثم قابلت أحد مفتشى معارف فلسطين فنبهنى إلى حديث (حياة) وضرورة الاعتناء به ... ثم قابلت أحـد أدباء القدس فقال لى : ألا تهتم بحياة وأحاديثها فهى فتاة تحتاج إلى مساعدة وتشجيع ... ثم قابلت مديرة مدرسة فى يافا فسألتنى إذا كنت قد تلقيت حديثاً من (حياة) واستفسرت عن مدى استعدادى لمساعدتها .

فساءلت نفسى : من تكون حياة بلابسى هذه ؟.. وما الداعى إلى كل هـذا الاهتمام بها ؟.. وأخذت أترقب الفرصة لمقابلتها والتعرف إليها عن كثب .

وفى عصر أحد أيام يناير من هذه السنة ، وكان الثلج يتساقط بكثرة فى القدس ، والرياح الباردة العاتية تعصف بشدة ، دخلت على حياة وقد تدثرت بمعطف بسيط ، ولفت رأسها بمنديل من الصوف وقـد رصع بقطع صغيرة من الثلج ، فظهرت وكأنها إكليل من زهر الليمون ، رمز العفة والطهارة ، يطوق رأسها الجميل .

وفى هذه المقابلة عرفت منها مأساتها :

لقد فقدت أباها منذ أمد غير بعيد ، ووالدتها كسيحة طريحة الفراش ، وأختها صغيرة غير قادرة على العمل ، فوقع على عاتقها عبء الاعتناء بوالدتها وأختها ، والقيام بجميع شؤون البيت ، والعمل فى الوقت ذاته على كسب المعاش إذ لا مورد لأسرتها تعتاش منه ، كما أن والدها لم يترك أى مبلغ من المال ، أو أى نوع من العقار .

وهكذا رأت نفسها مضطرة إلى ترك المدرسة قبل أن تحصل على شهادة (المتريك) ، وأن تسعى إلى العمل كمعلمة إضافية فى مدرسة ابتدائية ، فقيل لها فى دائرة المعارف : ليس بوسعنا أن نجد لك مكاناً شاغراً فى القدس لكننا نحتاج إلى معلمة إضافية لقرية دير ياسين ، فقبلت حياة العمل لقـاء راتب شهرى قدره ثمانية جنيهات .

وقرية دير ياسين تقع إلى الغرب من القدس وعلى بعد عشرة كيلومترات منها ، وطرق المواصلات إليها غير متوفرة ، فكانت

فيبتدئ شعره بانكار الغزل ، كقول الشاعر عبد الرحمن شوق يمدح سيادة الحسيب النسيب السيد على الميرغنى .

وقفت ولم أنسب ولم أتغزل ولم أشك حالى فى الهوى وتذللى [1]
ولم أبك دارا قد عفت وتغيرت وصحبا كراماً بت عنهم بمعزل
ومثلى إذا جن الظلام رأيته يقوم قيام الناسك المتبتل
يقولون حب الغيد تيم قلبـه وما حب ربات الخبا عنك مشغلى
وما فى فؤادى موضـع لمحبة لغـيرك حتى قال ذلك عذلى

على أنى سأوفى هذا المعنى حقه عنـد الحديث عن الغزل ، وإن كنت أبادر فأقول : إن جريان الغزل على ألسنة كثير من هؤلاء الشعراء ، وخاصة أولئك العلماء الأعلام ، من أمثال شيخ علماء السودان سابقاً الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم ، والشيخ عمر الأزهرى ، والشيخ البنا وغيرهم ، أقول إن هذا مما لا يدع شكا فى سلطان التقليد على الشعراء .

ولست أريد من هذا أن أحط من قيمة الشعر السودانى ، ولـكنى أقصد أن السمة الغالبة عليه فى هذه الحقبة سمة الاحتذاء والمتابعة ، والتقليد فيه خير كثير ، وفيه كذلك شر كثير . وإن فى هذا الشعر لوثبات طيبة ، وملامح مشرقة ، سنـكشف عنها فى أثناء هذا الحديث ، كما أن سير الشعراء فى ركاب القدامى جملهم يبعدون بأشعارهم عن تصوير الأحـداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولم يجعل لوصف الطبيعة السودانية الخلابة مكانها البارز فى أشعارهم .

(للحديث بقايا)

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

---

(١) (الرسالة) تنظر هذه القصيدة نظرة إعجاب إلى قصيدة حافظ فى مدح الشيخ محمد عبده ومطلعها :

مدحتك لم أنسب ولم أتغزل ولما أقف بين الهوى والتذلل

حياة تضطر للذهاب إليها والعودة منها سيراً على قدميها ، فتترك القدس في الساعة السادسة صباحاً مجتازة في طريقها بعض أحياء القدس اليهودية وهي ميا شماريم ، وبيت إسرائيل ، ومحنا يهوداً ، وروميما ... ثم تمر بواد وعر إلى أن تصل مستعمرة بيت ها كيرم ، ومن ثم تتجه رأساً إلى دير ياسين .

هذا هو طريق الآلام الذي كانت تعبره حياة مرتين في اليوم صيفاً وشتاء .

وهي مع أنها صبية جريئة كانت تشعر أحياناً برهبة عند مرورها في الوادي ، فتخشى أمراً لا تعرف كنهه ... فتنتظر بعض الوقت إلى أن تمر بها القرويات الذاهبات إلى القرية أو العائدات منها فترافقهن ... إلا أن هذه الخشية أخذت تتلاشى قليلاً فقليلاً ، وصارت حياة تعبر الوادي بمفردها محيية الحراثين والرعاة ، فيجيبونها محيين مرحبين ، مستفسرين منها عن أولادهم ومقدار تقدمهم ونجاحهم في دروسهم ، سائلين الله أن يكلأها بعين عنايته ورعايته .

ولم يحصر حياة عملها في القرية على التعليم وإنما كانت تعمل في فترات من النهار ممرضة أيضاً ، فتمد من هو بحاجة إلى الإسعاف الأولى بمختلف الأدوية ، وتعود المرضى في أكواخهم ، وإذا رأت أن فيهم من تتطلب حالته دخوله المستشفى اتصلت على الفور بدائرة الصحة في القدس تلفونياً ، أو ذهبت بنفسها إلى تلك الدائرة عند عودتها إلى بيتها .

وما إن أتمت حياة السنة الأولى من عملها في دير ياسين حتى غدت معبودة سكانها يترادف اسمها مع التربية والطهارة والوطنية الصحيحة .

وفي ذات يوم عادت الفتاة إلى القدس فوجدت أمها قد فارقت الحياة ، فتحملت الصدمة بقلب قوي ، ولم تنهزم أمام صروف الدهر القاسية وثابرت على عملها في دير ياسين بما طبعت عليه من عزيمة وثبات ، فحمل ذلك دائرة المعارف على أن تزيد راتبها الشهري جنيهين آخرين .

وأعلنت هيئة الأمم المتحدة تحقيق ما حلم به هرتزل سنة ١٨٩٥ في كتاب (الدولة اليهودية) ، فهب العرب يدافعون عن أراضيهم ومواطن معيشتهم ، وانتصب ملاك الموت والمحصد في يده يجني الرؤس آحاداً ، ثم عشرات ، ثم مئات ... وكان على حياة أن تختار أحد أمرين : إما أن تقبع في بيتها تنتظر حظها من الزواج ، وإما أن تسكن دير ياسين لتتابع كفاحها في سبيل العلم والصحة .

ولم تتردد الفتاة كثيراً فحملت بعض أمتعتها ورحلت إلى القرية ، وسكنت في غرفة من غرف مدرستها .

وفي هذه الغرفة عانت المعلمة أنواعاً شتى من الحرمان وشظف العيش ... أما الضوء فكان مصباح الزيت ... وأما التدفئة فكان الحرام تلفه على نفسها وهي تراجع الدفاتر ، وتعد الدروس .

وانتشرت الحوادث بسرعة إلى أن شملت دير ياسين أيضاً ... ولما كانت هذه القرية محاطة بأربع مستعمرات يهودية ، خشيت خيانة جيرانها فألفت من فتياتها وفتيانها حامية وكانت حياة من أركانها .

قالت لي ذات يوم : حدث بينما كنت أتدرب على إطلاق النار من البندقية أن أخطأت الهدف وراحت الرصاصة تزغرد في مستعمرة مجاورة ! . .

ومضت أيام وأسابيع تأزمت في أثنائها العلائق بين دير ياسين والمستعمرات التي حولها ، ولم يدر القرويون أن القيادة اليهودية قد اختارت قريتهم كبدء مرحلة جديدة في خططها «العسكرية» .

وعند الساعة الثالثة من صباح يوم قاتم أطبق ألفان من اليهود المسلحين بالبنادق السريعة الطلقات والخناجر ، على سكان القرية النيام ، ونشبت بينهم وبين الحامية معركة لم تدم طويلاً ، فتغلب المعتدون على المناضلين القرويين ، وبدأت المجزرة ! . .

أما حياة فما إن سمعت أزيز الرصاص وانفجار القنابل حتى هبت من فراشها وهي في قميص النوم ، وهامت على وجهها في الحقول وبين التلال ... وبعد لحظات وجدت نفسها في مكان أمين خارج القرية ، وبوسعها الالتجاء إلى قرية عربية أخرى ... إلا أنها سمعت في هذه الآونة أنيناً بالقرب منها ، فاتجهت إلى مصدره وإذا هي أمام جريحين من حامية دير ياسين ، فتقدمت منهما ، ومزقت جزءاً من قميصها ضمدت به جراحهما ، ثم قر رأيها على أن تضعهما في مغارة في تلك الناحية إلى أن تتمكن من إخبار رجال الهلال الأحمر عنهما ، فحملت أحدهما على كتفها وصارت به نحو المغارة ... وبعد مسير عشرة أمتار مزق الجو صوت طلقات سريعة فسقط الجريح قتيلاً ، وسقطت حياة فوقه مضرجة بدمائها .

أما الجريح الثاني فقد قدر له أن يعيش ويروى خاتمة حياة فتاة تذوقت الجهاد في سبيل العلم ، والأسى في سبيل العائلة ، والبطولة في سبيل الوطن ! . .

نجاتي صدقي

الأرواح والأشباح

للأستاذ حسين مهدى الغنام

عرف البحث فى الروح والاتصال بها فى العالم الآخر من قديم الأزل، وقد شغل أعرق الشعوب مدنية فى كل ما مر من العصور والأجيال، واستوى فى ذلك الوثنيون وأصحاب الأديان.

فحضارة الوثنيين وتراثهم وآثارهم الباقية صرفت أكبر اهتمامها فى البحث عن الروح وما بعد الموت.

كما ذكرت الأديان جميعاً أن وجود الأرواح بعد الموت حقيقة لا مراء فيها.

وقد ذكرت التوارة قصة روح صالح اسرائيلى متجسدة رأتها امرأة تهبط من السماء ثم تصعد إليها.

أما القدامى فقد كانت أساليبهم فى التعبير عن وجود الروح أو الاتصال بها، أساليب بدائية ساذجة، مما حدا بكثير من المفكرين أن ينسبوه إلى الشعوذة وينكروه.

ولقد اهتم العلم الحديث بالروح وتحضيره والاتصال به بعد الموت، حتى اتخذ صفة (العلم الحديث)، وأصبح له أنصار من كبار العلماء والمفكرين.

وبديهى أن يكون الشرقيون أكثر الشعوب اهتماماً بالروح فالشرق مهد الأديان ومهبط الأنبياء ومسرى الملائكة.

وفى مصر جماعات تهتم الآن بهذا (العلم) الحديث، وفى هذه الجماعات علماء من كبار رجال الدين مثل الفيلسوف الكبير المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى.

ومن هؤلاء العلماء رجل متحمس لهذا العلم كل التحمس، مؤمن به إيماناً عظيماً، هو الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير.

وقد كذبه كثيرون من المتشككين، وانبروا يتحدونه، وهو يصمد لهم ويقبل تحديهم.

وفى الواقع أن هذا العلم يثير الحيرة.

ولو كان الأمر يقتصر على الشرقيين لقلنا إنها شعوب روحية خيالية، يجد هذا العلم بينها مجالا طبيعياً، ولكن العجب والحيرة يأتيان من ناحية الغربيين، وهم قوم ماديون يتشككون فى كل شىء، ولا يؤمنون إلا بالمادة وحدها ...

كان اهتمام الغربيين فى الماضى بالبحث فى الروح يكاد يكون محصوراً فى طبقة معينة، وكان بحثهم فيها يتخذ صورة الاختراع والخيال، أو ينظرون إليها نظرتنا إلى ما نسميه (العفاريت)!

وكان معظم هذه الفئة أدباء يجنحون إلى الخيال فى كتاباتهم وكان أغلبها يتخذ صبغة القصة، ومن هذا النوع عاصفة شيكسبير، وبعض قصص تشارلز ديكنز، وإدجار آلن بو، وأسكار وايلد، حتى جاء السير آرثر كونان دويل فجمل من هذا اللون من الكتابة فنا، أضفى عليه رداء جديداً ...

ثم ازداد اهتمام الغربيين به فى السنوات الأخيرة، فاتخذ منه العلماء علما، حتى تقرر تدريسه فى بعض الجامعات، واتخذ منه الكتاب والباحثون فناً ...

إلا أن العجيب حقاً أن يكون من هؤلاء الأخيرين صحافيون معروفون يعالجون مواضيعه بأدلة وبراهين لا تترك مجالا للشك فى صدق وقوعه ...

ومن هؤلاء الصحافيين الكاتب الانجليزى الكبير هانن سوافر، وإزلى وود، وا .ل. لويد، وموريس باربانل، وتريفور آلن، وغيرهم كثيرون.

كما أن للورد هاليف كس كتاباً عن الأشباح نشره حديثاً ولم نطلع عليه، ولكننا قرأنا عنه وطالعنا قصة منه منشورة فى إحدى المجلات الانجليزية ...

لو كان هؤلاء الصحافيون أدباء لقلنا إن ما يكتبونه خيال أدباء، ولكنهم صحافيون لا يؤمنون إلا بالملموس الذى يرونه بأنفسهم، ولا يجرون وراء خيال الأدباء.

ومن هذه المقالات التى كتبها حديثاً بعض هؤلاء الصحافيين عن وجود الأرواح وتحضيرها، جعلنا مادة هذا الحديث، لأنها تأتى من أوائل الماديين فى أوربا ...

***

إن المطلع على الآداب الغربية يطالع عشرات من القصص التى تدور حول وجود الأرواح والأشباح فى كثير من الأماكن المهجورة والأثرية.

وقد ذكر لزلى وود أن بعض الأشباح سكنت فى (الاستوديوات ودور السينما)، بل أن بعضها ظهر فى شريط سينمائى ...

وذكر شاهد عيان فى استكهولم، عاصمة السويد، قصصاً عن أبرشية يظهر فيها شبح سيدة عجوز فى ملابس خضراء تسير بين الأبواب المغلقة، وثلاث سيدات فى ملابس من الطراز القديم يجلسن على كنبة يحكن بعض الثياب، وإذا جلست على مقعد معين من الصخر هناك دفعت إلى الوراء. وقد شهد بشكل هذه الأقاصيص خمسة من القسس.

أما تريفور آلن، المؤلف والصحافى المشهور، فقد بدأ كلامه بقوله إن الأشباح التى يحبها هى الأشباح التى يستطيع التحدث إليها، وقد وقع له ذلك الاتصال بها فعلا.

ثم تحدث عما سمعه من القصص التى رواها له علماء ومهندسون وأثريون لا يكذبون أو يخترعون، فقال: ولنأخذ تل العمارنة، مدينة الفرعون إيخناتون المصرى، فقد قابلت منذ بضع سنوات أثرياً شاباً، هو رالف ليفرز، وكان ينقب عن الآثار القديمة هناك فى بعثة جمعية التنقيب المصرية. ولم يكن هذا المهندس المادى يعتقد فيما يسمع عن لعنة توت عنخ أمون. ولكنه ذكر لى أشياء غريبة كان يسمعها فى الليل بين تلك الآثار، ولم يستطع لها تعليلا، ومنها موسيقا على آلات موسيقية من العهد الفرعونى، توقعها أشباح غريبة فى زى عصر إيخناتون فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

ولا يمكن أن نشك فى أقوال رجل مثل السير آرثر إيفانز، فقد قابلته عند ما كان ينقب فى قصر مينون، فى كنوسوس بجزيرة كريت، فقد ذكر لى أنه سمع ذات ليلة أصواتاً غريبة، فترك فراشه ونزل إلى انقاض القصر فرأى كثيرين من رواد البلاط ينزلون السلالم وهم يحملون المشاعل ويتكلمون بلسان مينون الذى عفى عليه الزمان، وقد راقبهم نصف ساعة.

ولما كان جورج جيستنج ينقب عن آثار كالابريا القديمة، مرض بالحمى ورأى جنوداً من عهد الامبراطورية الرومانية يمرون أمامه، وقد وصفهم وصفاً دقيقاً جداً.

ولنتحدث عن دير العذراء القديم فى هيرلى على نهر التيمس الذى أنشأه عام ١٠٨٦ جيوفرى دى ماندفل الذى اشترك فى معركة هيستنجس. فقد فرجنى الكولونيل ريفرزمور على هذا المكان، ثم ذكر لى عرضاً فى أثناء حديثه أن شبح زوجة جيوفرى الثانية — لسيلينا — وشبح وليم روفرس وهو مدرع بعتاده الحربى ويعتلى جواداً، سكنا ابهاءه ... وقد وجدت جماجم رهبان فى هذا المكان أثناء التنقيب، بقامات ضخمة، وأقدام صغيرة.

وكان لى صديق طبيب قضى أياماً هناك، فقال إنه رأى فى أحلامه راهباً فى مسوح أسود يحادثه، فى حجرة من حجرات جناح النوم، وقد أشار الراهب إلى المدفأة الحديثة وقال: أزلها من هنا! ثم رأى الطبيب مدفأة قديمة مستديرة جميلة الشكل تحت دعامة كبيرة من البلوط، خلف المدفأة الحديثة ... ولما أخبر الكولونيل ريفرزمور بهذه الحكاية أزال المدفأة الحديثة فوجد القديمة مكانها، كما وصفها الطبيب تماماً!

وكانت هناك ضيفة أخرى، وهى سيدة تهتم بالكتابة الآلية، فتلقت ذات يوم رسالة عن «بئر فارغة» وفيها أشارات أعانتها على رسم خريطة لهذه البئر، وأخبرت أنها تحتوى على مجوهرات وكنوز ثمينة ألقاها فيهـا أخ ميت. ثم تلقت رسالة أخرى تقول: ابحثى عن خط الصدأ..

وأخبر الكولونيل كذلك بهذه الحكاية الطريفة، فتشكك فيها بادىء الأمر، لأنه لم يكن يظن أن بئراً توجد فى ذلك المكان، ولكنه أخذ فى الحفر، فضرب خيطاً صدئاً تحت الطبقة الأولى، ثم البئر بعد ذلك ... وتابع الحفر، فاكتشف عظاماً وملابس من العصور الوسطى، وأوانى فخارية، ثم تابعوا الحفر أقداماً عديدة — رأيتها بنفسى — ولكنها لم تكن بالقدر الكافى ليكتشفوا الكنوز تحتها ...

ولما كنت أعيش فى هامبتون — على نهر التيمس — كان منزلى بجوار قصر الروائية المروفة ونفرد جراهام، التى صارت فيما بعد مسز تيودور كورى؛ وكان قصرها هذا، المسمى سانت الباتز، والواقع على النهر، مملوكا من قبل لابن السيدة نل جوين، دوق سانت الباتز ... ففى الليلة الأولى التى نزل والداها ذلك القصر، كانا يعبران المرجة التى أضاءها القمر، وفجأة سأل الرجل زوجته: ألا ترين شيئاً غريباً على شجرة الجنوليا؟

فأجابته زوجته متعجبة : ماذا ... نعم ... إن هناك رجلا متدلياً منها !

ولما أسرعا في اتجاه الشجرة اختفى ما رأيا ...

وبعد أسبوع ، كان والد الروائية في حفلة رقص بمنزل الكولونيل هارفيلد ، فسأله أحد الأهلين : هل أنت مستر جراهام الذي اشترى قصر سانت الباز ، ذلك البيت القديم الجميل ، الذي شنق الرجل نفسه على شجرة المجنوليا فيه ؟ فاستفسر الرجل فزعاً ...

وأخبرتني الروائية أنها علمت أن عابر سبيل وقع في ضائقة مالية ، فشنق نفسه على تلك الشجرة ، ويقول الناس أن شبحه يقطن الحديقة .

وذات فجر باكر ، استيقظت مسز جراهام على أصوات غريبة ، ورأت ثلاثة آدميين يتزاحمون على سطح الشرفة ، ويتفرسون في نافذتها . كانوا رجلين مضطربين ، يمينون امرأة تبدو ميتة ، رأسها متدل ، وملابسها وشعرها مبتلة بالماء ، فقفزت من فراشها واتجهت إلى النافذة وهي تصيح : ما هذا ؟ ما خطبكم ؟

ولكنهم اختفوا ...

ولما طلع النهار علمت مسز جراهام أن رجلين وسيدة كانوا في حفلة بجزيرة تاج القريبة منهم ، وقد عادوا إلى سيارتهم بعد انتهاء الحفل ، ولكن السيارة اختلت من قائدها وسقطت في النهر . وكان أحد الرجلين ، وهو تومي هام ، سبّاق بروكلاند الشهير في السيارات ، يبذل غاية ما في وسعه لينقذ زوجة صديقه التي غرقت .

ولما رأت مسز جراهام صورته منشورة في إحدى الجرائد عرفت فيها أحد الرجلين اللذين رأتهما في رؤياها . فما القول في هذا ؟ وهذه القصة :

ذهبت خادمة إلى مسز جراهام ذات مرة تقول أنها قابلت سيدة جميلة على السلم ، مرتدية ثوب سهرة مفتوح الصدر ، وتحيط بها أنوار أبدت ما عليها من حلى . ولها نظارات ساحرة حلوة .

وسألتها مسز جراهام إذا كانت خافت تلك السيدة ، فقالت الخادمة : كلا . . . إنها كانت جميلة جداً . ولقد أسفت عندما اختفت بسرعة .

واستزادت السيدة خادمتها وصفاً لتلك السيدة الجميلة ، فرأت أن أوصافها تنطبق على السيدة نل جوين — صاحبة القصر الأولى — وعندئذ أسرعت إلى صندوق قديم وأخرجت منه صورة زيتية ، فتعرفت الخادمة في الحال على صاحبة الصورة وصاحت : رباه ... أنها بعينها السيدة الجميلة التي رأيت شبحها ، إنها هي بذاتها !

وكان آل جراهام على صلة وثيقة بكنيسة القرية وراعيها . وذات عشية دعوا القسيس لتناول الشاى عندهم ، فلما توجه إلى قصرهم كان بادي الخوف والجزع يلهث من شدة الاضطراب ، وأخبرهم أنه وهو في طريقه إليهم ، عندما مر بوصية الكنيسية ، سمع ضوضاء وأصواتاً غريبة كأنها أصوات جموع من الخلق تناديه من القبور ليلحق بهم ، فأفزعته تلك الأصوات حتى أنه أطلق لساقيه العنان .

فقالت له الآنسة جراهام : إنها أوهام واضطراب أعصاب ثم قدمت له كأساً من الوسكي القوى مع ماء الصودا .

وكان هذا القسيس شاباً قوياً ، صحيحاً بالغ الصحة ، ولكنه توفي فجأة بعد أسابيع قليلة .

وأما قصور هامبتون ، فإن أروقته مسكونة بأشباح يمكن أن نسميها نجوم الأشباح !

فمثلا هناك شبح كاترين هاوارد التي فرت من حجرتها لتماهد هنري قبل أن يذهب للاعدام في البرج ، وهي تصرخ في يأس بين ممرات القصر فتردد أصداء صياحها .

واللادي چين سيمور ، في ملابسها البيضاء ، تصعد السلالم وتدخل مخادع القصر القديمة ، وهي تحمل شمعة موقدة .

وإن شبحي المفضل الذي أعتز به — لأسباب شخصية — هو شبح السيدة ذات الرداء الرمادي ، وهي السيدة سيبل بن ، مرضعة الأمير إدوارد ، بعد موت چين ... وكانت تلك السيدة تعيش في المخادع التي يقطنها الآن اللورد واللادي بيردوود .

وقد دفنت في كنيسة هامبتون عام ١٥٦٢ تحت جدث من المرمر ، عليه تمثال في حجمها الطبيعي . ويبدو أنها احتفظت

بهدوئها مئات الأعوام حتى أقلقت عظامها فى جدثها ، عندما رمم عام ١٨٢٩

فلن تحب سيدة لنفسها أن تعامل مثل هذه المعاملة الخالية من الذوق ، ولو كان عمرها ثلاثمائة عام .

ولهذا بدأ شبحها يظهر فى حجراتها القديمة ، حيث يسمع فتيات آل بونسونبى وغيرهن — من خلف الجدران — صوت سيدة كأنها تدير آلة غزل قديمة .

وقد رأى جندى (ديدبان) ، ذات ليلة شبح امرأة فى (برنس) رمادى ذى رأس طويل .

ولولا خشيتى أن تحسب أنى أطيل فى القصة ، فإنى أضيف إليها باختصار أن مكتب العمل — لأسباب عرضية — هدم هذه الحائط ووجد حجرة مختفية فيها آلة غزل قديمة ، ولوازم نسوية أخرى . وكان (خشب الأرضية) متآكلا بفعل أقدام من سارت عليه ؟

وقد ذكر أرنست لو ، مؤرخ قصور هامبتون ، شبح السيدة بن ووصفه بأنه : أحسن الأشباح التاريخية الحقة .

وإليك مزيداً من هذا ..

فقد روت اللادى مود — وهى ساكنة حديثة فى ذلك القصر — للآنسة جراهام أن ضيفة من ضيوفها كانت تزورها ، فجلست على منضدة الملابس بحجرة نومها ، فدخلت عليها سيدة طويلة ، نحيفة البدن ، فى ثياب رمادية . وقد ظنت الضيفة أنها رئيسة الخدم ، فقالت لها : هل تتفضلين بإيقاد النور ؟ .

وكان زر الضوء بجانب الباب .

ولكن السيدة لم تجب ، ثم انسلت خارجة فى هدوء ..

وقالت السيدة مود إنه لم يكن هناك سيدة بهذا الوصف فى ذلك الوقت ، ولكنه ينطبق كل الانطباق على السيدة بن .

وقد رأى كثيرون هذا الشبح مراراً ..

ومن هذا القبيل ... إن الفنان أريك فريزر يعيش فى بقعة من ذلك القصر ، بقرية هامبتون . ولعله يعيش فى نفس المكان الذى ماتت به السيدة بن .

وقد خبرتنى السيدة فريزر أن ابنتها الصغيرة ، ولم تكن سنها تزيد على عامين أو ثلاثة أعوام ، ولم تعرف شيئاً مطلقاً عن هذه الأقاصيص ، قالت لأمها عرضاً ذات يوم : مامى ... لقد رأيت سيدة جميلة فى ملابس رمادية . دخلت حجرتى فى الليلة الماضية ، ولم اهتم بدخولها ...

وفى مرات متكررة بعد ذلك ، قالت لها الطفلة . لقد رأيت السيدة الرمادية مرة أخرى .

وهناك حكايات وأقاصيص أخرى عديدة ، تقشعر من ذكرها الأبدان . ولكن القصص التى رويتها هى التى أستطيع الاعتماد عليها لوثوقى من مصادرها ، ذكرتها لمن يهتمون بالأرواح والأشباح .

(للمقالة بقية) حسين مهدى الغنام

أحمد الكاشف

مات الشاعر الماجد أحمد الكاشف : منذ أيام معدودات ، بعد أن خدم الشعر والأدب ، والسياسة والعروبة نصف قرن أو يزيد .

نشأته وحياته :

ولد بناحية القرشية من أعمال مديرية الغربية . من أبوين تركيين عريضى الجاه ، وافرى الثراء . رفيعى المنزلة تربطهما بكرام الأسر فى مصر وشائج القربى أو صلات المعرفة ، وعميد أسرة الكاشف بعد الفقيد هو شقيقه محمود بك ذوالفقار الكاشف وكيل الجمعية الزراعية الملكية ومن أقارب الأسرة معالى على باشا الشمسى ، والدكتور حامد باشا محمود .

تلقى الفقيد علومه الأولية فى منزل والده كعادة الأسر الكبيرة . ثم التحق بمدارس طنطا ولكنه لم يتم تعليمه لانصرافه عن العلوم المدرسية إلى كتب الشعر والأدب من جهة ، ولا عتماده على ثراء أسرته من جهة أخرى .

ولم يتزوج الفقيد وعزف منذ صباه عن مباهج الحياة واطمأن إلى العيشة الريفية الهادئة . فترك بيت الأسرة الواسع الرحاب بالقاهرة . وقضى كل عمره ببيته القروى مستغنياً بوجهاء القرية عن كبراء مصر وبصداقة الفلاحين عن مخطالة المتمدينين .

وملأ حب القرية قلبه وشغل فكره حتى قضى حياته معتبراً جميع أهلها أهله ، وشواغلها شواغله ولايمكن أن يهتم أى شخص بأسرته وبيته أكثر مما اهتم الكاشف بالقرشية وأبنائها وكان منزله جامعة شعبية للقرية . وبرلمانا لها . ومحكمة يقضى فيها بين المتخاصمين ، ولا يخلو يوماً من الشيخ الفانى والشاب الفتى ، والفلاح الساذج . والمثقف الفذ — يديره الكاشف بحكمة ولباقة وصهونة تؤلف بين هذه العناصر الشاذة بحيث ينال كل جالس ما يرضيه ويسمع ما يعجبه —

أخلاقه :

كان الفقيد متصوف النزعة . وإلى الزهد فى الحياة وزهرتها أميل . إلى إيثار لازم حياته فجعله دائماً يفضل مصلحة غيره على نفسه . فيجود بالضرورى ولا يرد سائلا . ويرحب بالعافين والسائلين ولو كان به خصاصة .

ومن أبرز صفاته التسامح . فلم يحمل قلبه غيظاً لعدو . ولا حقداً لمسىء ، وما كانت تمنعه إساءة أحد عن أن يخلص فى خدمته ، بطبع صاف لا تكلف فيه ، وسماحة نفس لا تحامل عليها . كما كان شديد العطف رقيق الوجدان دائم الوفاء وله فى ذلك قصص لا يتسع المقام لذكرها .

أدبه :

برع فى الشعر السياسى حتى بز جميع شعراء العصر فى هذه الناحية ، ويمتاز شعره بأنه سجل حافل للمسألة الشرقية والقضية المصرية ، وقد ارتفع صيته فى فترتين ، أولاهما أيام الخديوى عباس وثانيتهما إبان الوزارة الأخيرة لمحمد باشا محمود .

كما يمتاز شعره برقة الحاشية والخلو من غريب الألفاظ مع وضوح المعنى ومسايرته لبساطة التفكير .

وقد طبع شعره القديم فى [ديوان الكاشف] ولكن مابقى من شعره الأخير غير مجموع أكثر وأقوى مما جمع .

واجب :

أليس من حق الراحل الكريم أن يجمع ديوانه . ويبحث ويدرس كفاء ما أسداه للأمة واللغة من خدمات ؟ وهل يجوز فى منطق الوفاء أن يهمل هذا الرجل بعد موته وقد ضحى بماله ومستقبله وأوقاته فى سبيل خدمة اللغة والأمة ؟

يا أصدقاء الكاشف وعارفى فضله ويا أسراء معروفه ويا محسوبى إحسانه ويا رجال الأدب واللغة والصحافة أسألكم بالله ألا تنسوا أحمد الكاشف الذى خدم الأمة واللغة نصف قرن أو يزيد .

عطية الشيخ

يا ثائراً بالنـــار

للأستاذ حسن الأمين

صمتاً فقد نطق الرصاص وحسبنا   أن الرصاص إلى القتال ينادى
فى ســـفح « نابلس » لهيب معارك
وعلى جبال « القدس » صوت جهاد
كل يـــلوذ بنخوة عربية   كل يردد صرخة استنجاد
يا ثائراً بالنـــار يحمى أرضه   ويذب عنهـا جاهداً ويفادى
لم يستكن للظالمين ولم يدع   علجاً يدوس مراقد الأجداد
أنشدتنى لحن الرصاص وربما   أشجاك فى ليل الوغى إنشادى
قد صغت فيك الشعر حراً ثائراً   يذكى الجبان ويستهيج الهادى
أرنو إليك فمن لظاك قصائدى   نظمت ومن قانى دماك مدادى
إن فاتنى بالأمس يومك إننى   أهفو إليـك بعدتى وعتادى
فلعل لى يوماً بجنبك يرتوى   فيه من الثارات قلبى الصادى
ولعلنى ألقاك فى رهج الوغى   ولعلنى أمشى إلى استشهادى
ردد على الأسماع أنغام الظبى   نارية الترجيـــع والترداد
قل للغفاة عن القتال ألم تروا   ماذا يراوح «قدسكم» ويغادى
أالموت فى كف اللئام وأنتم   حولى ولم يهززكم استنجادى
أأرد عن وردى أأقتل صابراً   بيد اليهود أتستباح بلادى
يا ناعمين على الحـرير ومادروا   أنا ننام على فـــراش قتاد
متلفعين دم المعارك مالنا   إلا الحصا فى القفر ظهر وساد
نغدو على النيران يذكيها لنا   غـدر اللئام وخسة الأوغاد
ونبيت لا ندرى أنصبح بعدها   أم أن عين الموت بالمرصاد
يا ناعمين وما دروا أنا هنا   لسنا نذوق اليوم طعم رقاد
إخواننـا والدهر فرق بيننا   مـدوا لنا منكم يد الأنجاد
هبوا إلينا بالبنادق بالظبى   بالمـــال بالأرواح بالاعتاد
لبيك « نابلس » بكل مصابر   حـــر وكل مغامر ذواد
يفديك إن حمى الوطيس بنفسه   ويقيك بالأمـوال والأولاد
بالفيلق العربى يمشى صارخاً   القوم قومى والبـلاد بلادى
أحمى بنيران المدافع حقها   وأذود عنها بالرصاص العادى
من يستبيح حماى من يسطو على   حقى ومن يلوى رفيع عمادى ؟

(دمشق)   حسن الأمين

نشيد « إلى الأمام (*) »

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

تقدمـوا   يا جنود الفـدا   طال السكون
وحطموا   ما بناه العـدا   من الحصون
وقـدموا   من بغى واعتدى   إلى المنون
أنتم حمـــاة البلاد   إذا دعا داعى الجهاد

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

إلى الأمام فى ظلال العلم يا جنـــود
وجـددوا يوم النزال القسم والعهـــود
بأن تبيدوا كل باغ ظـــلم من الوجـود
وأن يكون الانتصار شعاركم . نعم الشعار

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

سيروا إلى النصر سيروا   فالنصر للعاملين
طيروا إلى المجـــد طيروا   فالمجـــد للقادرين
والله نعم النصـــير   والله نعم المعين
ولتهتفـــوا المليـــك   أرواحنـا تفتديك

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

(الاسكندرية)   إبراهيم محمد نجا

(*) هذا النشيد لا تجوز إذاعته إلا بإذن خاص .

الأدب والفن في أسبوع

علماء الدين والفن :

طلب إلى فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، الموافقة على استخدام فرق المسرح الشعبي في الدعاية الدينية ، وذلك بإدخال الموضوعات التي يتناولها الوعاظ في الروايات التي تمثلها هذه الفرق ، فلم يوافق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك .

قرأت ذلك الخبر في الصحف ، وقرأت إلى جانبه أن الشيخ محمود أبو العيون لبى دعوة زوجين من ممثلى السينما ، فتناول طعام الإفطار على مائدتهما ، وأرشد الزوجة إلى بعض الأمور الدينية . وقد نشرت مجلة « الاثنين » صوراً لفضيلته معها ، إحداها وهي تنصت لقراءته آيات من القرآن الكريم ، وواحدة وهو يؤمها في الصلاة ، وثالثة في الشرفة ينتظران غروب الشمس ، ولم تهمل الممثلة في أثناء ذلك زينتها وخاصة صبغ شفتيها باللون الأحمر ... وقد حسبت أول ما وقعت عيني على هذه الصور أنها مناظر من فلم جديد ... ثم قرأت في مجلة « آخر ساعة » بتوقيع « الشيخ عبد العزيز علوان » أنه لقى الشيخ أبو العيون وهو خارج من صالة العرض السينمائية في وزارة الداخلية ، فقال له : « لقد شاهدت اليوم الفيلم المصرى الأول الذى يستطيع أن يفخر به كل شرق » وذكر اسم الفلم وبعض أبطاله ...

وهكذا ترى موقف كل من الشيخين الكبيرين من عالم المسرح والسينما ، مخالفاً لموقف الآخر ، ولا بد أن لكل من فضيلتيهما وجهة نظره ، ولكنها على أى حال مفارقة من المفارقات التي لا تخلو من طرافة .

ومفهوم طبعاً أن المنشور في آخر ساعة بتوقيع الشيخ عبد العزيز علوان ، يقصد منه الإعلان عن الفلم الذى تناول الشيخ أبو العيون طعام الإفطار على مائدة بطله . وهنا شيء طريف ينبغى تسجيله ، وهو استخدام اسم عالم كبير من علماء الأزهر في الاعلانات السينمائية ... وهو (تقليعة من تقاليع) مصر التي تبذ بها هوليوود !

معهد للدراسات الاجتماعية :

قررت جامعة فاروق الأول بالاسكندرية إنشاء معهد جديد للدراسات الاجتماعية ، يلتحق به الراغبون في هذه الدراسات من خريجى كليات جامعتى فاروق وفؤاد ، على أن يكون الطالب قد درس في جامعة أو معهد عال علم الاجتماع أو علم النفس أو التربية أو الاقتصاد الاجتماعى أو الجغرافية البشرية أو الجغرافية الاجتماعية أو أصول القانون . ومدة الدراسة في المعهد سنتان يحصل الطالب بعدها على شهادة معادلة للماجستير . وستبدأ الدراسة به في شهر أكتوبر القادم .

وتستبين فكرة المعهد من المذكرة التي وضعها عميد كلية الآداب بجامعة فاروق في هذا الصدد ، فقد جاء فيها أن مصر في حاجة إلى جيل جديد من الباحثين الاجتماعيين ، يقوم بدراستها على الإحصاء الدقيق لأنها بلد لا تعرف شئونه الاجتماعية على الوجه الأكمل ، وإن علم الاجتماع هو الذى يستخدم الآن في تعرف أحوال الجماعات الإنسانية وتطورها الاجتماعى والسياسى ، كما أنه الأساس الذى تعتمد عليه الأمم في توجيه الإصلاح الاجتماعى . والغرض من إنشاء هذا المعهد هو دراسة العلوم الاجتماعية وتطبيقها بوجه خاص على البحوث العملية المتصلة بمصر والأقاليم المجاورة لها .

والواقع أن الدراسات الاجتماعية قليلة الحظ في بلادنا ، وخاصة الناحية التطبيقية ، فإذا كان لدينا بضعة علماء في الاجتماع فإن دراستهم نظرية حصلوا بها على شهادات ودرجات جامعية ، أما المجتمع المصرى ، فهو كما يقول عميد الآداب بالإسكندرية لا تعرف شئونه على الوجه الأكمل . ولا تكاد تجد في ميدان الكتابة والتأليف مكاناً لدراسة أحوالنا الاجتماعية ولعل ذلك من أسباب ما نراه من عقم المشروعات الاجتماعية التي توضع وتعتمد لها الأموال وتنشأ لها الإدارات وتؤلف لها اللجان ولا يرى لها أحد أثراً في غير الوظائف ودرجات الموظفين .

اليونسكو ومساعي اليهود :

يبذل اليهود مساعي للحيلولة دون انعقاد مؤتمر اليونسكو فى لبنان ، وقد كان من أثر هذه المساعى أن أبدى بعض الأعضاء الغربيين مخاوفهم من الاجتماع فى بيروت فى الوقت الذى تدور فيه المعارك بين العرب واليهود فى فلسطين ، وأبلغت هذه المخاوف إلى الحكومة اللبنانية ، فسارعت إلى طمأنتهم وأكدت لهم أن المؤتمر سينعقد فى جو آمن لا يخشى فيه أي ضرر .

ولكن المساعى اليهودية نشطت أكثر من ذلك ، فقد جاء فى نشرة الهيئة العربية العليا أن إحدى الدول الأعضاء فى اليونسكو أرسلت — بدافع تلك المساعى — مذكرة رسمية إلى المستر هكسلى المدير العام لليونسكو ، ترغب إليه فيها إعادة النظر فى موضوع عقد مؤتمر اليونسكو فى لبنان ، بسبب الاضطرابات القائمة فى فلسطين ، ولأن لبنان يؤلف أحد طرفى النزاع ، وهو فى حالة حرب مع اليهود ، ويخشى أن يؤثر موقفه فى سير أعمال المؤتمر . وقد رد المستر هكسلى على طلب هذه الدولة بقوله : إن مسألة الأمن فى طليعة المسائل التى تراعيها هيئة اليونسكو عند عقد مؤتمراتها ، وهى تستطيع أن تصرح استناداً إلى المعلومات التى لديها أن لبنان لم يعلن الحرب على اليهود فى فلسطين ، بل بالعكس ، فهو واقف موقف الدفاع ، وقد حشد جيشه على الحدود ، لا رغبة منه فى الغزو أو الفتح ، وإنما للدفاع عن أرضه وتأمين السلام والأمن فى ربوعه ؛ على أن إدارة اليونسكو سوف تدرس الحالة فى لبنان فى ضوء التطورات الجديدة .

ومما يلاحظ أن مؤتمر اليونسكو قد شغل الدول العربية عن عقد المؤتمر الثقافى العربى الثانى فى هذا العام ، مع أن هذا أجدى عليها وأدنى إلى الناحية العملية من حيث تنفيذ توصياته . أما اليونسكو فما هى إلا إحدى هيئات الأمم المتحدة (المتحدة ضد العرب فقط) ونحن الآن فى حالة توجب علينا ألا نثق فى هذه الهيئات ، سياسية كانت أم ثقافية ، أو على الأقل لا نرجو منها خيراً .

إذاعات من باريس عن أدباء العرب :

نشرت الأهرام أن الأستاذ راشد رستم مراقب القسم الأوربى للإذاعة المصرية قرر إذاعة سلسلة من الأحاديث باللغة الفرنسية عن الأدباء والشعراء العرب والمصريين مع ترجمة قصائدهم شعراً ، وعهد بذلك إلى الأديب الفرنسى مسيو جاستون رتيه مراسل جريدة « الفيجارو » الباريزية والذى عاش فى مصر طويلا . وقد شملت أول سلسلة من هذه الأحاديث إذاعات عن أحمد شوقى وخليل مطران وحافظ ابراهيم وابن الرومى وأبى تمام وأبى نواس وعباس محمود العقاد وعبد الرحمن صدقى وأحمد رامى وشعر الفروسية عند العرب وما نقله منه واصف غالى باشا . وستذاع هذه الأحاديث قريباً من محطة إذاعة باريس ، وسيعقبها أحاديث عن الناثرين والقصصيين .

ويمكن أن نفهم تكليف الأديب الفرنسى مسيو جاستون باعداد هذا البرنامج على أنه مشرف على تنظيمه ويعاونه فيه أدباء مصريون . وإلا فكيف يدرس ابن الرومى وأبا تمام وأبا نواس ؟ وأنى له القدرة على ترجمة أشعارهم ؟

مؤتمر المستشرقين :

جاء من باريس أن المؤتمر الدولى للمستشرقين عقد جلسته الافتتاحية بالمعهد الوطنى للعلوم السياسية فى يوم ٢٤ يولية الحالى وقد شهد الجلسة ممثلون لجميع البلاد التى تهتم بدرس حضارة الشرق الأدنى وتاريخه ، وفى مقدمتهم مندوبو مصر برياسة أحمد ثروت بك سفيرها فى فرنسا ، ومندوبو الباكستان والهندستان وتركيا والنمسا ولبنان . وسيوالى المؤتمر أعماله فى عشر لجان أولها لجنة الدراسات المصرية .

وقد تكلم فى هذه الجلسة الدكتور طه حسين بك فقال إنه يحمل إلى المندوبين الفرنسيين وإلى سائر أعضاء المؤتمر تحية مجمع فؤاد الأول للغة العربية وتحية مصر كلها التى يسرها أن تشترك فى مؤتمر تعده جوهرياً بالنسبة إليها ، لأن الدور الذى قامت وستقوم به فى الثقافة الشرقية وفى أبحاث المستشرقين يقضى عليها بأن تشترك فى كل اجتماع من هذا النوع . ثم قال : يسرنى أن أنتهز هذه الفرصة لأعلن شكرى وشكر جيل كامل من المصريين جيل المهتمين باللغة العربية والآثار المصرية للمستشرقين الفرنسيين وغيرهم من المهتمين بتلك اللغة وهذه الآثار . فما من مصرى يعنى بالشئون الشرقية لا يشعر بأنه مدين بأمور كثيرة للمهمة العظيمة

التي قام بها المستشرقون سواء هناك في القاهرة أو هنا في باريس لقد كنا جميعاً من تلامذة المستشرقين الفرنسيين ، فسمعنا دروسهم على ضفاف النيل ، وعلى ضفاف السين ، في مختلف الجامعات الفرنسية . فإذا أعربت لكم عن شكر أبناء الجيل الذين تجاوزوا سن الشباب الآن ، والذين أمثلهم أناهنا ، فإني أعرب لكم عما نشعر به شعوراً عميقاً ، وأقوم بواجب أعده واجب الأبناء نحو الآباء .

من طرف المجالس :

قال أحد الأصحاب إنه من سلالة على بن أبي طالب ، وسلسلة النسب بين على وعدنان معروفة ، وهو يريد أن يبحث عمن بين عدنان وآدم ، لتتم له معرفة سلسلة نسبه إلى آدم .

فانبرى له صاحب آخر قائلا :

أريد أن تثبت أنك من بني آدم !

على طريقة طه حسين :

بدا لي أن أكتب في هذا الموضوع الذي تستطيع أن تقول إنه ليس موضوعاً ، وإنما هو بحث عن موضوع . وسواء اتفقنا على أنه موضوع أو أنه غير موضوع أم لم نتفق على شيء من ذلك فالأمر الذي لا شك فيه أني دفعت إلى الكتابة فيه دفعاً وحملت عليه حملا . فأنا أريد أن أملأ هذه الصفحات الثلاث التي أملؤها كل أسبوع ، والطبعة تريد أن تملأها أيضاً ، والقراء ينتظرون أن يقرءوها أو بعبارة أخرى يريدون أن يملؤوا هم أيضاً فراغهم بقراءتها .

كتبت من هذه الصفحات الثلاث ما كتبت ، ثم رجعت إلى ما كتبت ، وقسته إلى ما تعودت أن أكتب كل أسبوع ، فوجدته أقل منه بحيث لا يسد الفراغ ، ولم أجد عندي ما أكتبه ، أو قل لم أجد أدباً ولا فناً ولا شيئاً يصح أن يقال عنه إنه أدب أو فن أو شبيه بالأدب والفن من قريب أو من بعيد .

هذه الصحف وهذه المجلات ، يومية وأسبوعية وشهرية ، يحررها محرروها ويكتبها كاتبوها في هذا الحر الشديد ، لأنها لا تتوقف عن الصدور في الصيف كما لا تتوقف عن الصدور في الشتاء . تقرأ هذه الصحف وهذه المجلات حين يصبح الصباح ، وحين يرتفع الضحى ، وحين يقبل المساء ، فلا ترى فيها أدباً أو فناً أو شيئاً من قبيل الأدب والفن يترك في نفسك أثراً أو صدى بعد قراءته ، ويظل عقلك فارغاً من هذا الأثر وهذا الصدى كما كان قبل هذه القراءة .

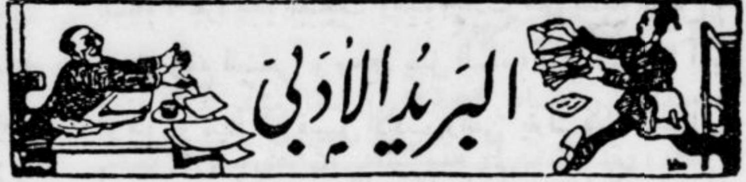
وهذه القاهرة تكاد تخلو أنديتها وهيئاتها الثقافية الرسمية وغير الرسمية ، تكاد تخلو من كل نشاط أدبي أو ثقافي في هذا الصيف كما تعودنا أن نراها كل صيف .

قلت لصاحبي : ماذا أصنع في هذا الموضوع ؟ فقال في شيء من الإنكار : وهل هو موضوع ؟ فلم أجد مناصاً ولا مفراً ولا بداً من أن أتمثل بهذا البيت الذي طالما تمثلت به قبل الآن وسأتمثل به في كل آن :

أيتها النفس أجملي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

وأكبر الظن أن أوس بن حجر حينما قال هذا البيت في رثاء فضالة الأسدي لم يكن يخطر له على بال ولم يكن يدور له في خلد أنني سأتمثل به حينما أقع في أزمة الأدب والفن في هذا الأسبوع

العباسي



حول لفظ « العتيد » :

بينما كنت أستمتع بقراءة المقال الشيق الذى كتبه الجهبذ الكاتب الشيخ محمد رجب البيومى فى العدد ٧٧٣ من الرسالة الغراء إذ لفت نظرى وأسر انتباهى فى ثنايا المقال لفظة (عتيدة) التى جاءت وصفاً فى قوله : (ويقود أركاناً (عتيدة) براها غير صالحة للبقاء !) وقد كان معناها (القدم) كما يريد كاتب المقال فى هذا المقال . وكتب اللغة التى رجعت إليها المختار ، المصباح ، المحيط لم تذكر أن لفظة (العتيد) معناها (القدم) وإنما الذى أفصحت عنه إنما هو لمعنى (العتيد) — بدون هاء[1] — الحاضر المهيأ ، كما فى قوله تعالى : — (وأعتدت لهن متكأ ...[2]) وفى قوله تعالى : — (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد[3]) .

وأما المعنى المراد الذى لم تؤده هـذه اللفظة فى هذه المقالة والذى هو (القدم) كما هو مفهوم من المقام فإنما تكون تأديته بألفاظ أخر ليس من بينها (العتيدة) هذه فى هذه المقالة ، ألا وهى : العتيق والقديم والعهيد — بالهاء بدل التاء — واللفظة الأولى جاءت فى قوله تعالى : (ثم محلها إلى البيت العتيق[4]) ، وأما الآخرة فقد نطق بها مرتين فى بيت واحد المرحوم شاعر النيل حافظ إبراهيم بك فى استقبال السير غورست[5] : —

وفى الشورى بنا داء «عهيد» قد استعصى على الطب العهيد

وهذا ما يحضرنى الآن من الألفاظ الدالة على معنى (القدم) ولا أقول هذا كل ما فى اللغة فى هذا المعنى إذ ربما يطلع علينا بألفاظ أخر من المراجع اللغوية (الرقيب العتيد) الأستاذ عدنان وذلك ما كنا نبغى .

وللأستاذ صاحب المقال إكبارى وتقديرى وللأديب عدنان تحيتى وللرسالة اللامعة تجلتى .

(طرابلس الغرب) **محمد مهدى أبو حامد**
كلية أحمد باشا

(١) وأما التى بالها فمعناها الطبلة أو الحقة فيها طيب الرجل والعروس
(٢) سورة يوسف الآية ٣١ (٣) سورة ق الآية ١٨
(٤) سورة الحج الآية ٣٣ (٥) السياسيات ديوان حافظ ج ثانى

فى ميدان الاجتهاد :

أخرجت جمعية الثقافة الإسلامية بحلوان كتاب فى ميدان الاجتهاد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، وهو معروف لقراء الرسالة بآرائه الحرة المتزنة فى كل ما يكتبه فى الأدب والعلم ، وبميله إلى التجديد فى العلوم على اختلاف أنواعها ، حتى تخلع ثوبها القديم البالى ، وتلبس ثوباً جديداً يجدد عقلية المسلمين ، ويقضى على عهد الجمود ، ويعيد عهد الاجتهاد ، وهم فى حاجة إلى تلك الصيحات الإصلاحية الشديدة التى انقضت بموت جمال الدين الأفغانى ، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، لتنبههم من غفلتهم التى عادوا إلى الاستنامة إليها ، بعد أن نبهتهم بعض التنبه صيحات هذين الإمامين .

وكتاب فى ميدان الاجتهاد صيحة من تلك الصيحات التى طال عهد المسلمين بها ، بعد أن كانوا يهزون بها هزاً عنيفاً فى عهد ذلك الحكيم وتلميذه ؛ فتحيى ما مات من آمالهم ، وتفتح باب الرجاء فى مستقبل ناهض ، يعيد لهم سابق عزمهم ، ويسترد لهم جلال ماضيهم ، فيعيشون فى هذا العصر كما يجب أن يعيشوا فيه ، ليشاركوا أهله بأرواحهم كما يشاركونهم بأجسامهم ، ولا يشاركوهم بأجسامهم دون أرواحهم ، فيتخلفوا عن ركب الحياة ، ويدركهم ما أدرك المتخلفين من الأمم الماضية — لا قدر الله .

لقد عالج ذلك الكتاب كثيراً من المسائل الشائكة فى الإسلام ، فأتى فيها بالعلاج الصالح ، وحل مشاكلها بالرأى القاطع ، لأن صاحبه قد درس دينه دراسة صحيحة ، وخلص نفسه من قيود التقليد والجمود التى تحول دون الوصول إلى الحقيقة ، وجمع إلى هذا إخلاصه لدينه ، وحبه له حباً يملك عليه نفسه ، فجمع بهذا كله أسباب الرأى الصحيح ، والاجتهاد المتزن .

وهذا بعد أن مهد بدرس نافع فى الاجتهاد ، وأتى فيه بتوجيه جديد لم يسبق إليه ، يجمع بين الفرق الإسلامية التى باعدت بينها أصول الاجتهاد القديمة ، ويوجهها لوضع فقه جديد يمثل البيئات الإسلامية كلها ، فيسع المسلمين جميعهم ، ولا يمثل بيئة دون أخرى من بيئاتهم ، وهذا توجيه له خطره فى الإسلام ، وله حسن أثره فى المسلمين .

(ع)

يطلب من إدارة الرسالة وثمنه ٦ قروش وللبريد ١٥ مليما



من حديث الشعر والنثر

حملتنى الظروف الراهنة على أن أقف من هذا الكتاب موقف الدارس الناقد ، وقد وقفت منه فيما مضى موقف القارىء المستوعب وكان اختلاف الاتجاه فى الحالين لاختلاف البواعث التى حدت بى إلى قراءة الكتاب .

قرأته فيما مضى لأستفيد من معارفه إثر ظهوره ، وها أنذا أقرؤه مع طلابى بمدارس السودان ، لأبصرهم بما اشتمل عليه من آراء قيمة وبحوث طريفة لست فى كثير منها الدليل الناصع والنهج القويم . غير أنى وقفت — واستوقفنى طلابى — عند بعض الآراء فلم أجد لها دليلا من معقول أو منقول يشفى الغلة ويحمل على التصديق وسأعرض لبعض منها بالدراسة عل فيها شيئاً من الهداية للطلبة الدارسين .

١ — قتل ابن المقفع :

يعتقد المؤلف بأن إيمان ابن المقفع لم يكن صحيحاً فهو يقول « ولكن إيمانه لم يكن فيما يظهر صحيحاً ولا خالصاً لله فقد كتب فى الزندقة كتباً كثيرة اضطر بعض المسلمين أن يرد عليها فى أيام المأمون ... »

يعتقد هذا الاعتقاد ثم ينفى أن تكون الزندقة هى التى قتلته دون أن يلتمس لذلك دليلا فلم يزد على أن قال : « أما أنا فأرجح جداً أن الذى قتل ابن المقفع ليست الزندقة ... » ونحن لا نجهل أن كثيراً من الباحثين قد دافعوا عن إيمان ابن المقفع إكباراً للرجل وضنا بمثله أن يعود إلى الزندقة وقد من الله عليه بالإسلام وحق لهم وقد حاولوا إبطال هذه التهمة بالدلائل أن يبطلوا ما ترتب عليها من قول القائلين : إن الزندقة هى التى قتلته .

أما الدكتور فيثبت الزندقة ثم ينفى أن يكون القتل بسببها كأنها الأمر الهين الذى لا يستوجب قتلا ولا يستدعى حساباً مع أننا نعلم أن الزندقة فى العصر العباسى قد امتحن بها طائفة من المفكرين والأدباء ولم يمنهم حين نزل بهم بلاء الحاكم أقدارهم ولا علمهم وربما قتل بعضهم زورا وعدوانا للشبهة الباطلة التى زيفها الحساد الناقمون .

والمؤلف ينفى كذلك أن يكون العهد الذى كتبه لعبد الله بن على على أبى جعفر المنصور هو الذى قتله فيقول : « ولم يقتله تشدده فى الأمان الذى كتبه لعبد الله بن على لأنه يوشك أن يكون أسطورة ليس لدينا منها نص » .

وأعتقد أن نعت العهد بالبطلان — لأنه لم يصل إلينا — حجة لا تنهض على أساس فكم من عهود أضاعها الزمن ، وكم من كتب عفى عليها القدم وبقيت لنا أخبارها فيما بقى من أخبار السابقين ، وإذا كان هناك أثر جدير بالضياع فهذا الأثر الذى يعارض مشيئة الحاكم ويقيده بقيود قاسية لا يرتضيها لنفسه ومنها طلاق النساء وتحرير العبيد إذا ما نقض العهد :

على أننا إذا التمسنا سبب القتل فيما كتب الدكتور وجدناه سبباً لم يشر إليه نص من التاريخ ولم يقل به من كان فى عهد ابن المقفع أو بعده بقليل وهو إلى جانب هذا تلمس لأشياء لم نجد لها قوة السببين السابقين : فهو يقول : إن رسالة الصحابة هى التى قتلته ويسرد منها ما يراه مثيرا لحفيظة الخليفة ومشجعا له على قتل الرجل .

لست أفهم أن تزلف الكاتب إلى الخليفة بنصيحة من النصائح بعد أن يمهد لها بالثناء المستطاب مما يدعو إلى الانتقام والقتل .

ولست أفهم أن إشارته عليه بأن يكرم جند خراسان والعراق وأن يأخذ الحيطة من جند الشام مما يريب الخليفة فى أمره إلى الحد الذى يدفعه إلى الفتك به .

ولست أعتقد كذلك أن اقتراحا يتقدم به كاتب فيبسط فيه اختلاف القضاة فى الأمر الواحد ثم يرجو أن يكون البت فى مثل هذا لولى الأمر مما يكون له كبير أثر فى نفوس الحاكمين .

وما جريمة ابن المقفع حين يتوسل إلى الخليفة طالبا «أن يعين فى الأمصار جماعة من الخاصة يكون أمرهم تأديب العامة ومراقبة أعمالهم فإن العامة لا تصلح بنفسها إلا إذا وجدت مؤدبين من

الخاصة والخاصة لا تستطيع أن تعيش إلا إذا كان لها من الإمام مؤدب » ؟

وأى ثورة أرادها — كما يقول الدكتور — وهو فى هذه الرسالة ناصح متودد يرجو أن يبسط الخليفة سلطانه فى كل أمر وتنفذ مشيئته فى كل عمل ؟ !

والحق الذى لا شك فيه أن هذه الآراء وأشباهها ليس لها من جلال الخطر ما يرفعها فوق الزندقة أو يحلها فوق مكانة المهد الذى قيد فيه الخليفة بقيود قاسية ما كان أغناه عنها .

٢ — بين الكتابة والشعر :

ويرى الدكتور فيما يرى أن الكتابة تختلف عن الشعر والخطابة من حيث فهم الناس لها فالناس عنده متساوون فى فهم الكتابة وفى التأثر بها ولكنهم متفاوتون أما الشعر والخطابة فهو يقول : « ونحن عندما نقرأ عبد الحميد أو ابن المقفع لا نجد عندهما اللذة الفنية إذا كنا فى طبقة واحدة أو اشتركنا فى ثقافة واحدة وإنما يقرؤهما منا ذوو الثقافة العالية والساذجة والمتوسطة والبسيطة وكلنا يجد لذة ومتعة فنية . بينما تختلف لذتنا فى قراءة الشعر باختلاف حظوظنا من الثقافة . فليس كل الناس يقرأ جريرا والفرزدق أو يتذوق زيادا والحجاج ... »

وأعتقد أن الواقع يخالف هذه القاعدة التى وضعها الدكتور ؛ فأكثر الشعر أوضح فى معناه وأبين فى فحواه من الكتابة وبخاصة فى المهد الذى يتحدث عنه المؤلف ؛ فكثير من الناس يفهمون كثيراً من شعر جرير ولكنهم لا يفهمون قليلا ولا كثيراً من المقال الذى ساقه الدكتور لعبد الحميد وقد جاء فيه فى وصف الرماح : « مماقص عقدها منحوتة وصم أودها مقوم ، أجناسها مختلفة وكعوبها جمدة وعقدها حنكة شطبة الأسنان محكمة الجلاء ... »

أما الخطابة فالقاعدة المطردة فيها أن تكون أسهل من النوعين ليفهمها السامعون فى يسر ويدركوا ماجاء بها فى سرعة وإلا ضاعت قيمتها وذهب الغرض من إلقائها .

على أنى اتهمت معرفتى أمام هذه الحقائق فعرضت على الطلاب طائفة من شعر جرير وتلوت شيئاً من خطبة زياد البتراء فوجدتهم مقبلين متأثرين ثم أقبلنا على الكتاب نقرأ ما جاء فيه من رسالة عبد الحميد فرأيتهم أقل تأثراً وفهما .

٣ — فى كتابة عبد الحميد :

ساق المؤلف أدلة ثلاثة حاول فيها أن يثبت أن عبد الحميد الكاتب متأثر بثقافة اليونان وكتابتهم ولست أريد أن أبطل هذا الرأى أو أثبته ولكنى أقول : إننى لم أجد فى هذه الأدلة — أو على الأقل فى اثنين منها — نصاعة أو قوة تحمل على الإقناع :

فأما أحد الدليلين فهو ما ذكره الدكتور حين قال : « وعندى فى هذه الرسالة نص بسيط يدلنى على أن عبد الحميد كان فى هذه الرسالة متأثر إلا باليونانية وحدها بل بما كان مألوفا عند اليونان فهو يقول فى نصحه لولى المهد ، ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك ونصاحك وتقدم إليهم فى ضبطهم » ونحن نعلم أن الوحدات التى كان يتكون منها الجيش البيزنطى كانت وحدتين اللجيو ويتكون من ستة آلاف رجل ثم السنتريو وعدده مائة رجل ورئيس المائة هو السنتريونس « فنظام الجيش هذا ما أشك فى أنه متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان . » اه

لا أستطيع أن أفهم هذا الكلام إلا إذا حدثنى التاريخ أن جيوش العرب قبل عبد الحميد كانت تقاتل جملة ولم يكن لها إلا رئيس واحد وأن هذا الرئيس لم يكن يعتمد فى تحريك جيشه على أعوان من الأبطال يتولون جماعات من الجيش يتقدمون بهم أو يحجمون وأنا أعتقد أن تقسيم الجيش سنة طبيعية هدت إليها ظروف القتال والسرعة فى إنجاز الأعمال وقد حفظت لنا اللغة كثيراً من الأسماء التى تدل على أن العرب قد فهموا هذا وجربوه فى حروبهم : ومن ذلك المقنب والتو والقنبل والمنسر والسرية والحضيرة والجريدة وهكذا ومن بين هذه الأسماء ما يدل على المائة وأعتقد أنها كلمات استخدمها العرب قبل عبد الحميد ولم يكن لليونان ولا لغيرهم آثار فى وضعها .

أما الدليل الثانى فهو أقل من هذا فى المنزلة وأضعف منه فى الحجة إذ يتخذ المؤلف تقسيم عبد الحميد لرسالته الطويلة إلى أجزاء أساساً للقول بأنه نقل هذه الطريقة عن اليونان .

يقول الدكتور هذا وهو يعلم حق العلم أنها رسالة طويلة توشك

أن تكون كتابا وأنها تناولت نواحي مختلفة وضروبا عدة . ومن حق الكاتب في مثل هذه الرسائل الطويلة أن يستريح بين الفقرة والفقرة ومن حقه كذلك أن يفصل كل ناحية عن الناحية التي تليها لاختلاف الاتجاهين . وليس من الضروري أن يتعلم عبدالحميد هذه الطريقة عن أمة بعينها فهي الطبيعة التي يوحي بها طول الرسائل

أقول هذا وأنا مقدر لزعيم الأدب فضله ومعترف بمجهوده الذي أفاد اللغة العربية ونهض بها في بلاد الشرق عامة .

وسأحاول فيما بعد إن شاء الله أن أناقش ما بقي من مسائل عل في هذا النقاش بعض الفائدة للطلاب . والله الموفق .

أحمد أبو بكر ابراهيم
المدرس المنتدب بمنتوب الثانوية بواد مدني بالسودان

الفن الهندي (*)

هذا كتاب لطيف الحجم كبير الفائدة ، يضم بين دفتيه أربع مقالات عن الفن الهندي كتبها أخصائيون ممن وكل إليهم تنظيم المعرض الهندي بالأكاديمية الملكية .

فالمقاله الأولى كتبها الأستاذ راولسن ، أحاط بها بالتاريخ الاجتماعي والفني للشعب الهندي منذ العصر البليوليتي ، معتمداً على الحفريات والكشوفات . وتحدث عن الفتح الإسلامي وبين أن الدين الإسلامي هو دين الاخاء والمساواه : فالأمير والعبد سواء أمام الله وكان الاسلام من أهم الأسباب التي جعلت جنوده ينجحون في غزو الهند المتنافرة المذاهب والعقائد ، وتكلم عن الدولة الغزنوية فقال : « وجاء شيوخ البراهمة سعياً إلى محمود الغزنوي وعلى أكفهم أموال عظيمة يقدمونها للفاتح المنتصر ويتوسلون إليه إلا يحطم آلهتهم فأجابهم الرجل: إني محطم أصنام ولست بائع انصاب » وقد أولى الكاتب السلطان محمود الغزنوي الكثير من عنايته ، فتحدث عن الناحية الثقافية التي امتاز بها هذا الرجل ، وظهور الفردوسي . صاحب الشاهنامه (كتاب الملوك) والبيروني المؤرخ العالمي في أيامه ، وتكلم عن الهند المغولية ولكنه لم يتعرض لوصف عمائرها ، وقد وصفها أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك في ١٨ مقاله نشرتها الرسالة ، ظهر آخرها بالعدد ٧٦٣ .

وفي المقالة « الثانية تكلم الأستاذ كوردنجتون عن النحت وذهب في بحثه إلى ٥٠٠٠ سنه . وتنقل بين عصور الفن الوثني ، ولم يجد في الاسلام مادة لبحثه إذ أن الاسلام بطبيعته ماحق للاصنام المنحوته .

وتحدث الأستاذ ولكنس في المقالة الثالثة عن التصوير . وللاسلام في الهند باع طويل في هذا النوع من الفن ، يقول عنها الكاتب أنها وصلت حداً من الجودة والفني والتنوع في دولة المغول بحيث يستمتع به الذواقع مهما اختلفت الأمزجة .

والمقالة الأخيرة كتبها الأستاذ أروين بعنوان (الفنون الصغرى الهندية) . والواقع أنه لم يحدثنا عن الأساليب الفنية التي تناولها الفنانون بقدر ما حدثنا عن تاريخ الصناعات اليدوية ، فبعد عن الغرض الفني وقد شرحها الدكتور زكي محمد حسن في كتابه فنون الإسلام وأدخل في مقاله الحديث عن التصوير بطريقة (الفريسكو) مع أنه قد اصطلح على جمله ضمن فن التصوير .

والمقالات شائقة مفيدة ولكن الكتاب لا يمكن أن يصور للقارىء فنون الهند جميعها . فعنوان الكتاب إذن لا يتفق مع ما يحتويه ، ولا ندري كيف اتخذ السير ريتشارد وينستدت هذا العنوان لهذه المقالات الأربع .

والكتاب يقع في ٢٠٠ صفحة وبه ١٦ لوحة ورسوم توضيحية أخرى قيمة ، وهو يعرف ما بين القارىء وبين دولة الهند التي صارت إلى هند ستان وباكستان تلك التي تريد أن تعود من جديد لتلعب دورها على مسرح النشاط العالمي ، نرجو أن يختلف كثيراً عن تلك الأدوار الممسوخة المقيتة التي تمثل اليوم في هيئة الأمم المتحدة .

(القاهرة) مصطفى كامل ابراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

(*) نشره فابر وفابر بلندن ١٩٤٧ Fader 8 Fader

سكك حديد الحكومة المصرية

مسير عربة ديزل بين دمياط والقاهرة

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ٢٢ يوليه سنة ١٩٤٨ ستغادر عربة ديزل (درجة أولى وثانية) محطة دمياط فى الساعة ٤٥ ٧ وتصل القاهره فى الساعة ١٠ ١١ وتعود منها فى الساعة ٤٠ ١١ إلى دمياط فتصلها فى الساعة ٠٥ ١٥

ولذا ستعدل مواعيد البخارية دورى العربة رقم ٥ و ١٧ وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : —

المحطات		٩٥٠
دمياط	قيام	٤٥ ٧
تفتيش كفر سعد	»	٠٢ ٨
رأس الخليج	»	١٨ ٨
شربين	»	٣١ ٨
بطره	»	٤٢ ٨
المنصورة	وصول	٥٧ ٨
	قيام	٠٢ ٩
طلخا	»	٠٦ ٩
سمنود	»	٢٣ ٩
المحلة الكبرى	»	٣٢ ٩
محلة روح	»	٤٦ ٩
مصر	وصول	١٠ ١١

المحطات		٩٥١
مصر	قيام	٤٠ ١١
محلة روح	»	٠٧ ١٣
المحلة الكبرى	»	٢١ ١٣
سمنود	»	٣٠ ١٣
طلخا	»	٤٧ ١٣
المنصورة	وصول	٥٠ ١٣
	قيام	٥٥ ١٣
بطره	»	١١ ١٤
شربين	»	٢٢ ١٤
رأس الخليج	»	٣٥ ١٤
تفتيش كفر سعد	»	٥١ ١٤
دمياط	وصول	٠٥ ١٥

المحطات		٥	١٧
دمياط	قيام	٢٠ ٧	—
كفر البطيخ	»	٣٢ ٧	—
تفيش كفر سعد	وصول	٤٥ ٧	—
	قيام	٤٨ ٧	٥٥ ١٤
فارسكور البلد	وصول	٥٥ ٧	٠٢ ١٥

ملحوظة هامة — هذه الديزل لا تقف بمحطة طلخا .

وسيفتح كوبرى بركة السبع للملاحة من الساعة ٥٥ ١١ إلى الساعة ٢٠ ١٢ بدلا من فتحه من ١٠ ١٢ إلى ٣٥ ١٢

مطبعة الرسالة



العدد ٧٨٨ — الاثنين ٩ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٥١١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 788

Lundi — 9 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شوال سنة ١٣٦٧ — ٩ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الفريقان المتحاربان فى فلسطين

الكرم واللؤم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض لدى المملكة السعودية

— ٢ —

ما ينقم اليهود من العرب إلا أنهم حوهم وأحسنوا إليهم وأفسحوا لهم فى ديار العرب يعيشون أحراراً ويغشون معابدهم كما يشاءون ويتولون أمورهم الدينية دون حرج .

فتح العرب فلسطين والروم يسيطرون عليها والأمكنة التى يقدسها اليهود والتى يعادون العرب من أجلها اليوم مزابل عفى عليها الزمان والهوان ، فطهر العرب هذه الأمكنة وجعلوها مساجد تعظيما لها واتباعاً لأمر الإسلام الذى يعترف بما فى الأديان السابقة من حقائق ، ويعظمها ويبين أنه الدين العام الجامع الذى يجمع كل ما أوحاه الله إلى رسله فى العصور كلها ، والأقطار جميعها ، بعد ان ينفى عنها تحريف المبطلين ، ويخلصها مما علق بها من خرافات الجاهلين .

وعاش اليهود فى كنف العرب أحراراً فى فلسطين وغـير فلسطين وتبحبحوا فى الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة ، وساروا سيرتهم فى عبادة المـال ، والتوسل إليه بكل الوسائل فوجدوا مرتعاً خصبا ومتقلباً فسيحاً .

وقد بلغوا فى أقطار العرب مناصب عالية ، وكان لجماعات منهم شأن عظيم فى الدولة الفاطمية فى مصر ، والدولة الإيلخانية فى العراق ، ودول العرب فى الأندلس ، وغيرها .

***

ثم ضرب الدهر ضرباته ، ودار الفلك دوراته ، وجاء اليهود إلى فلسطين يزحمون أصدقاءهم فى ديارهم ، ويستعينون على حماتهم بالأمم التى كرهتهم وأذلتهم وشردتهم ، ففقدوا بأعمالهم صداقة العرب ، ولم يكن لليهود صديق سواهم فى هذا العالم .

وينسى اليهود تاريخهم وتاريخ العرب كله ويرمون العرب بكل ما علمتهم أوروبا من عدوان ، وبكل ما فى سجاياهم وتاريخهم من ختل وعداوة للبشر جميعاً إلا من كان يهوديا ، وقالوا ، بزعمهم : هذه بلادنا ومواطننا ، نحن أولى بهـا ، قد عشنا فيها زمناً ، وسيطرنا عليها حقبة ، ولسنا نبالى أن يكون العرب استوطنوها بعدنا ، وعاشوا فيها أكثر مما عشنا ، وسيطروا عليها أطول مما سيطرنا ، ودافعوا عنها ونحن مشردون فى أقطار الأرض ، وهم اليوم فيها يعمرونها ويتقلبون فى أرجائها ويحفظون فيها آثارهم ومآثرهم ، وفى جوانبها قبور آبائهم الذين استشهدوا فيها ودفعوا عنها جبروت الروم ، وجالدوا من أجلها الصليبيين مائتى سنة . يقول اليهود : لا نعرف التاريخ ولا نذكر فضل العرب فإنا قوم

لا نزن الأمور إلا بالمال والمنفعة ، ولا نقدر الأشياء إلا بفائدتنا وشهوتنا وإن نال غيرنا ضر فهذا الضرر هوانا وبغيتنا ، وبه جذلنا وغبطتنا ، فإننا نعمل لأنفسنا ، ونبغض البشر أجمعين سواء منهم من أساء إلينا كأهل أوروبا ومن أحسن إلينا كالعرب ، ولكننا نستعين بجماعة على أخرى ، ونتمنى أن يهلكوا جميعاً ...

***

لليهود ماض في فلسطين ، وللعرب ماض وحاضر ؛ لليهود فيها تاريخ انقطع منذ عشرات القرون ، وللعرب تاريخ موصول منذ عشرات القرون . لليهود في فلسطين تاريخ ذليل مشرد انقطع بجلائهم عنها ويأسهم منها ، وللعرب تاريخ مجيد عزيز دافع عنها في غير يأس ، واستقر بها في غير ذلة . لليهود في فلسطين أحجار مهدومة يبكون عليها هي بقايا الأحداث ، وفضلات العصور . وللعرب آثار قائمة مشيدة تصل تاريخهم ، وتشهد بمآثرهم ، وتكذب دعوى اليهود في كل بقعة . لليهود في فلسطين صفحات في الكتب ، وللعرب صفحات خالدات في أوديتها وجبالها ومدنها وقراها .

ولو لم يكن للعرب في فلسطين إلا أنهم دافعوا الصليبيين فيها وحولها أكثر من مائتي عام حتى أجلوهم عنها ، وأقروا مجدهم وتاريخهم فيها ، لكان هذا كفيلا لهم بحقهم فيها أبد الدهر .

***

حق العرب في فلسطين يقاتل باطل اليهود ، وإحسان العرب يقاتل كفران اليهود وكرم العرب يلاقي لؤم اليهود . يتقاتل في فلسطين الحق والباطل ، والخير والشر ، والمروءة ، والنذالة ، والأخلاق الإنسانية العالية ، والطبائع الحيوانية الدنيئة ، والتاريخ العزيز القائم ، والتاريخ الذليل الميت .

وإن عدل الله سبحانه ، وإن كرامة الإنسان ، وإن أخلاق البشر ، وسنن الخليفة ، لتأبى أن يغلب جند الباطل جند الحق ، والفئة اللئيمة الفئة الكريمة ، وأعوان الشر أعوان الخير ، وحزب الشيطان ، حزب الله .

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » .

عبد الوهاب عزام

أيها العرب

ما حك جلدك مثل ظفرك

للأستاذ نقولا الحداد

قلنها وسأقولها أيضاً : لا تعتمدوا على الحق مهما كان حقكم صراحاً ، لأنه ليس للحق مكان في هذا العالم الشرير ؛ فقد علمتم أن هيئة الأمم هي جمعية تقسيم أسلاب وغنائم ، وأن مجلس الأمن مجلس مؤامرات وما أوصت هيئة الأمم بتقسيم فلسطين إلا كتقسيم الأسد الأمريكي الفرائس على صعاليك الأمم والدول . وقد طاوعتم مجلس الأمن في الهدنة الأولى لظنكم أنهم يحسبون لكم احترامها كرم أخلاق ، فظهر لكم أنها دسيسة سياسية دستها إنجلترا وأمريكا عليكم لكي تسلم الهاجاناه من الهزيمة النكراء ، ولكي تتسلح مزيداً وتزداد عديداً . وهكذا كان .

والآن وقد عاد برنادوت بقض وقضيض من الجنود والبوارج والطرادات والنسافات والطائرات الضخمة والحلزونية والمركبات المصفحة والدبابات و و و الخ من الأسلحة ، وفي هدنة لا آخر لها لكي يجعل فلسطين أخيراً كلها ، لا قسماً منها ، دولة إسرائيل . وقد جعل الهدنة بلا أجل مسمى ، لكي يصفو له الجو ، ويرتب ويدبر على مهل ، وهو يزعم أنه يفاوض ويماحك ويناهض ويمارك وأخيراً يستفتي .

وما معنى كل هذا وقد علم أن فلسطين كل لا يتجزأ ، فهل يمكنه أن يعمل أعجوبة بأن يجزئها وتبقى كلا ؟ ثم يستفتي من ؟ وهو يعلم أن العرب أكثرية ساحقة . فبطبيعة الحال ستكون نتيجة الاستفتاء أن فلسطين كلها لسكانها من عرب ويهود فلسطينيين فما معنى الاستفتاء ، وما معنى المفاوضة والأمر واضح ؟ إلا إذا كان برنادوت يظن أن العرب يملون طول الهدنة واليهود لا يملونها لأنهم مقيمون في فلسطين كلها يستغلونها وأهلها مشردون عنها . وكيف يمكن أن يعودوا إليها غير مسلحين ويأمنون شر اليهود الأرداء .

لو كان برنادوت « كونتاً » أي من الشرفاء كما قيل لما قبل

هذه المهمة المقيمة ، وهي مهمة غير شريفة ، ولما قال إنه لم يأت لإحقاق الحق ، بل لكي يسوى خلافاً بين العرب واليهود بأية طريق ولو بالغبن للعرب . ولما رأى أن هذه المهمة مستحيلة عليه عاد بقوات حربية ضخمة لكي ينفذ بالقوة القاهرة ما شاء وشاء له منتدبوه .

لا ندرى الآن إلى أى حد يفلح . نترك الأمر للزمن . وإنما يجدر بالدول العربية كلها أن تحذو حذو العراق باستدعاء مندوبيها من هيئة الأمم إذا لم تقرر هذه الهيئة اقتراح سوريا بعرض قضية فلسطين على محكمة العدل فى لاهاى . فربما كان فيها عدل ، لأنه لا يليق بالدول العربية أن تكون أعضاء فى عصابة متحكمين مستبدين يبتزون من هذا لكي يعطوا هذا ، ولا أن يكونوا فى جمعية لا تريد العدالة .

برنادوت يستطيع بقوته الحربية أن يقهركم . ولكنه لا يستطيع أن يقهر عصابة الأرجون الإرهابية لكي تطلق سراح الإنجليز الخمسة ، حتى إن إنجلترا التى عجزت عن تخليصهم من براثن الأرجون ، تضطر أن ترفع شكواها إلى مجلس الأمن ، وأن يقف السير ألكسندر كادوجان إلى جنب شقى من أشقياء الأرجون ، وهل تخضع عصبة الأرجون لمجلس الأمن إذا كانت لم تخضع لهيئة الأمبراطورية البريطانية العظمى ؟

كنت أتمنى أن تكون هذه الحادثة مع ألمانيا فى عهد هتلر أو مع فرنسا لعهد ديجول فى دمشق ، إذن لرأينا تل أبيب كلها تندك على رءوس سكانها فى ساعة من الزمن ، لأنه لا ألمانيا ولا فرنسا تحتمل هذا الاستخذاء إلا متى قهرت فى الحرب .

ليس غرضى من هذا المقال أن أقول ما قلته الآن . بل غرضى أن أسائل : ماذا تعلمنا من دروس فى هذه الأحداث الأخيرة ؟

ظهر لنا أننا لم نبخل بالمال ولا بالرجال ، حتى ولا قصرنا فى السياسة وإنما سلاحنا قصر ، وجميع الدول تألبت علينا لحرمتنا السلاح ، ولولا هذا لكان بنو إسرائيل الآن طعاماً لسمك بحر فلسطين .

نحن إذن فى حاجة ماسة إلى السلاح ، ليس الآن فقط ، بل فى كل حين ، لأننا لا ننتهى مع الصهيونيين بانتهاء هذه الرحلة ؛ بل سنبقى فى صدام معهم ما داموا يبن ظهرانينا . فإن استتبت قدمهم فى فلسطين كانوا نكبة علينا لا تنتهى . فيجب أن نكون دائماً على استعداد لمناهضتهم إلى أن نقذفهم فى بحر فلسطين . فمن أين السلاح ؟

يجب أن نستغنى عن سلاح أية دولة أجنبية . لماذا لا نصنع سلاحنا بأنفسنا ؟ ماذا ينقصنا ؟ المال ؟ نحن أغنياء . العقول ؟ لقد شهد الأجانب فى مؤتمرات كاليفورنيا ونيويورك ولايك سكسس أن لنا عقولاً ممتازة . العمال؟ عندنا كثير منهم .

يجب أن ننشىء معامل ضخمة فى جميع البلاد العربية لصنع آخر طراز من الطائرات الخفيفة الضخمة ، وأن ننشىء معامل ضخمة لصنع المدافع من كل طراز والبنادق والذخائر على اختلاف أنواعها ، وأن ننشىء دور صناعة وحياضاً لصنع السفن ، ومعامل لصنع المركبات على اختلاف أنواعها والدبابات .

كل هذا ممكن إذا كانت الدول العربية تعزم عزماً صادقاً أن تفعله ، لا أن تعتمد على شركات مالية ، لأننا نحن الشرقيين لم نجرؤ بعد على الأعمال الاقتصادية الاجتماعية . والعصر عصر اشتراكى أكثر مما هو إفرادى . فيحسن أن تكون هذه المصانع الحربية ملك الأمة لا ملك الأفراد أو الشركات . ويجب أن تقدم هذه المشروعات على كثير من المشروعات الحكومية التى يمكن تأجيلها لمدة خمس سنين على الأقل لأن الدفاع عن النفس يقدم على كل اعتبار

هذا ما يجب أن تفكر فيه الأمم العربية الآن ، لأن العصر عصر الاعتماد على النفس ، وإلا تفدّى بنا الصهيونيون قبل أن نتعشى بهم . لم يعد فى إمكان الأمم التواكل أو الاتكال على غيرها ما دامت تبتغى الاستقلال التام . الاستقلال التام يقتضى الاستقلال فى كل شىء على الإطلاق لا الاستقلال بكراسى الحكم فقط .

هذه كلمة صغيرة جداً من عربى صغير جداً ، ولكنها كبيرة جداً لأمة عربية كبيرة أو تدعى أنها كبيرة . فالكبير يجب أن يكون مستغنياً عن كل كبير وصغير . والسلام على من اتبع الهدى

نقولا الحداد

الاتجاهات الحديثة في دراسة التاريخ

للدكتور جواد علي
سكرتير المجمع العلمي العراقي

(بقية المنشور في العدد الماضي)

أما مذهب « المادية البيولوجية » فقد دعا أصحابه إلى تطبيق القوانين البيولوجية مثل نظرية داروين وما يتعلق بها على التاريخ وعلى المجتمعات البشرية باعتبار أنها نوع من الكائنات الحية وأنها خاضعة للقوانين العامة التي تخضع لها كل الموجودات. فبحثوا في التاريخ البشري على أنه وجه من أوجه النشوء والارتقاء وبقاء ما هو أصلح وبحثوا عن الوراثة عند الأمم، كما فعل « فريدريك فون هلولد » « Friedrich von Hellwald » في بحثه عن التاريخ الثقافي وتطوره من أقدم عصوره حتى الآن. و « دورنك » « E. Dühring » « ١٨٣٣ — ١٩٢١ م » وهو من الفلاسفة الذين لاقوا معارضة قوية بسبب آرائهم العنيدة في المادة ونكران الروح.

فعند هذا الفيلسوف « الإيجابي » أن « الشيء الحقيق » هو الأشياء المرئية فقط، وعلى ما تظهر للانسان، وأن الأشياء كلها واحدة، وأنها هي الواقع أو الحقيقة، وما عدا ذلك فسخافات. وإن مايسمى بالروح ليس إلا أسطورة، وأن « الحس » أو « الشعور » طاقة من طاقات المادة، ولا توجد ما فوق « المادة » أي أمور أخرى؛ وأن الطبيعة نفسها تشعر وتفكر بالشكل الذي عناه من المادة، ولهذا يجب دراسة التاريخ على هذا الأساس. فرفض بهذه النظرية المذاهب المعروفة القائلة بما وراء الطبيعة والمذهب الرومانطيق كذلك.

ومن هؤلاء أيضاً « أوتوسيك » « Otto seeck » في كتابه عن تدهور العالم القديم و « كومبلوبتر » « gumplowieny » في مؤلفاته عن الاجتماع. و « هوستن ستيوارت شامبرلين » « H. St. Chamberlain » في كتابه المشهور عن أسس القرن التاسع عشر. وقد بحث هذا في التاريخ متأثراً برأي أصحاب نظرية النشوء والارتقاء، ففرق بين الشعوب « المبدعة » وهي الشعوب المبتكرة على رأيه، وبين الشعوب المتمدنة والتي لم تفعل في نظره غير ذلك. وبنى تاريخه على أساس عنصري فمجد الآرية والشعوب الآرية وغنى بتفوق الأمم الأوربية على سائر أمم العالم.

ومن أصحاب هذه النظرية « فولتمن » « woltmann » وهو طبيب ومؤرخ وعالم من علماء علم الاجتماع. طبق نظرية « داروين » على التاريخ وعلم الاجتماع وخرج بتأثير هذه النظرية على أن الشعوب غير متساوية في الكفايات وأن الشعوب الشمالية هي الشعوب المنتجة والمبتكرة في هذا العالم. وكذلك « نوفيزو » « novicon » و « Hartwig » وقد حاول هؤلاء مندفعين بالنظرية الداروينية وبما شاهدوه من تقدم عظيم في أوربا وتأخر في الشرق إلى تطبيق هذه النظرية على التاريخ وفي السياسة.

وقد بحث في هذا الموضوع وبصورة أوضح وأعمق جماعة من أصحاب المذهب « الواحدي » « moniamus » القائل بأن أصل كل الأشياء واحد وهو « المادة » أو « الروح »، ومن هؤلاء « أوستوالد » « Ostwald » « ١٨٥٣ — ١٩٣٢ م » وهو أستاذ من أساتذة الكيمياء حاول تطبيق مبدأ « الطاقة » حتى على العلوم الاجتماعية، فألف في الثقافة وفي علم الاجتماع؛ والعالم « كولد شايد » « golds cheid » صاحب نظرية « الاقتصادية البشرية » وقد بحث في « المادية » على أنها طاقة من الطاقات التي يتأثر بها التطور البشري.

إن أصحاب هذه النظرية وإن كانوا قد تأثروا بنظرية « داروين » وبالآراء المادية إلى حد كبير؛ غير أنهم لم ينكروا عموماً وجود « الروح ». وقد فسروا « الروح » تفسيراً يلائم النظريات الطبيعية، كما أنهم فسروا تأثير القوة الموجدة أو « الله » تفسيراً لا يدعو إلى مذهب الإلحاد أو نكران الخالق نكراناً باتاً « Atheismus ».

والمذهب الآخر من المذاهب المادية في تفسير التاريخ هو مذهب « المادية الاقتصادية » أو « الوجهة المادية في تفسير التاريخ » فكل العوامل المادية المؤثرة في التاريخ البشري هي

ذات طابع اقتصادى ، وهذه العوامل الاقتصادية تؤثر فى حياة الأفراد والجماعات والحكومات . وحتى فى العلوم والأديان . وما الحياة الإنسانية والمظاهر الثقافية على رأى هؤلاء سوى مظهر من مظاهر التقلبات الاقتصادية ، فالتاريخ إذن هو تاريخ اقتصادى ، والعامل الاقتصادى إذن هو العامل الفعّال فى تغيير مجرى التاريخ وتكوين التاريخ .

ويلتقى بهذا المذهب التاريخى مذهب آخر يقال له « المذهب الإثباتى فى التاريخ » وهو قريب من المذهب المادى وإن ظهر لنا أن المبادىء مختلفة تمام الإختلاف . ومن رجال هذا المذهب الفيلسوف الفرنسى « أوكست كونت » « Auguste Comte »

يرى أكثر رجال هذا المذهب أن التاريخ البشرى مر فى مراحل حتى بلغ هذه المرحلة الأخيرة ، وإن من الممكن تمييز ثلاث مراحل مهمة مرت بها هذه البشرية وهى :

١ — مرحلة إرجاع كل الأشياء إلى أسباب وعوامل روحية وقوى غير منظورة مثل السحر والقوى الخارقة والآلهة والقوى التى لا يمكن رؤيتها .

٢ — مرحلة ما وراء الطبيعة « metaphysic » أو مرحلة الأفكار المجردة ، وترجع فيها الأسباب والمسببات والوجود وما يحدث إلى عامل مؤثر .

٣ — المرحلة الثالثة وهى مرحلة « الفكر الإيجابى » وفى هذه المرحلة بدأ الإنسان يفكر فى ترك البحث فى العلل النهائية غير المنظورة إلى البحث بالطرق الإيجابية وفق الطرق الطبيعية وقوانين التجارب العلمية .

وقد تطورت أكثر العلوم وسارت سيراً إيجابياً إلا العلوم التى تبحث عن المجتمع والمجتمعات البشرية فإنها لا تزال فى حاجة إلى إيجاد قوانين ودساتير كالدساتير الطبيعية يتمكن بواسطتها عالم الاجتماع أو التاريخ من الحصول فى النهاية على نتائج إيجابية ثابتة .

وقد وجدت آراء « كونت » رواجاً كبيراً بين الجماهير . وإن لم يكن ذلك التأثير تأثيراً مباشراً بل كان بواسطة كتابات الكتاب الآخرين أمثال «جون ستيوارت دميل » و«وهربرت سبنسر » و « هنرى توماس بكل » و « إميـــل ليتريه » « Emil Littré » و« هنرى تين » « Henr Taine »وغيرهم .

لقد وجه هؤلاء أنظار قرائهم إلى دراسة العلوم الاجتماعية وحالات الشعوب والتاريخ الثقافى وما إلى ذلك وساعدوا على نشر آرائه ولا سيما « بكل » « Buckle » فى كتابه القيم الذى ظهر بين سنة ١٨٥٧ — ١٨٦١ وهو « تاريخ المدنية فى انكلترة » .

وقد أشار إلى ضرورة دراسة نفسيات الجماعات والعوامل الروحية التى تؤثر فى التطور الثقافى ، ولابد لمعرفة ذلك من الاستعانة بالإحصائيات التى تتعلق بالجماعات . وبواسطة هذه الدراسات التى تستند على الطرق التجريبية نتمكن من رفع « التاريخ » إلى درجة « علم » من العلوم . أما الاستعانة بالحوادث الفردية وبالوقائع المدونة فإن ذلك لا يرفع من التاريخ شيئاً ، ولا يمكن أن يصل به إلى منزلة العلوم .

وقد تطرق إلى هذا البحث بحث الاستعانة بالإحصائيات لتكوين « علم التاريخ الناطق » عالم فرنسى هو « هنرى بوردو » «Henri Bourdeau » فى كتابه الذى ظهر سنة ١٨٨٨ وعنوانه التاريخ والمؤرخون l ' histoire et les histor ens حيث نادى بوجوب تدوين التاريخ على صورة أرقام وإحصائيات ناطقة تتكلم للناس بصراحة وبدون خجل ، مثل المعادلات الرياضية أو الكيماوية . أما وصف الحوادث وتدوينها على رأيه ، فذلك من وظائف الآداب .

ومن الذين نحوا منحى « كونت » فى ألمانيا المؤرخ الألمانى « كارل لامبرشت » « Karl Lamprecht » الذى سار على أكثر الأسس التى وضعها ذلك الفيلسوف الفرنسى وطبقها فى التاريخ الاجتماعى . وقد أشاد بالقيم التاريخية للجماعات وبأنها هى الموجهة للتاريخ متجاهلا بذلك « عامل الفرد » فى التاريخ وتأثير الأفراد فى الجماعات . وقد أدى ذلك إلى احتدام النزاع بين المؤرخين فى موضوع مهم جداً : هل التاريخ من صنع الأفراد أم من صنع الجماعات ؟ وأيهما أقوى أثراً فى سير الحوادث البشرية ؟ فكان من تأثير ذلك ظهور رسالة طريفة فى موضوع « أهمية الشخصية فى التاريخ بالنظر إلى مقدمة بلوشى فى تاريخ اليونان » .

وقد اصطدم « لامبرشت » بأكثر المؤرخين من أتباع

تعليق على مقال في الرسالة :

جهود العرب المنسية

فى الفلك والهيئة

(كتاب عربى فى الهيئة يذكر قبل
مئات السنين ما اكتشفه الغرب حديثاً)

للأستاذ ضياء الدخيلي

قرأت فى العدد (٧٨٢) من مجلة الرسالة الغراء مقالا للدكتور فضل أبو بكر ، جاء فيه إغفال لجهود علماء المسلمين والعرب فى علوم الطبيعة والفلك ، فوجب على أن أعرفه بالحقيقة .

قال الدكتور :

(كان الإنسان لعهد ليس بالبعيد يعتقد فى سطحية الأرض ويظنها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له ، بساطاً لاحراك فيه ، وكان جهله بالسماء وكواكبها أشد من جهله بالأرض التى يعيش فوق أديمها ، وذلك إلى أوائل القرن السابع عشر حتى جاء (جاليلى) و (نيوتن) و (لابلاس) فيما بين منتصف القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، فأثبتوا كروية الأرض ودورانها حول الشمس وقانون الجاذبيـة ونهضوا بعلم الفلك ووضعوا له أسساً وقواعد علمية متينة) .

ولا أريد أن أطيل محاسبة الكاتب المحترم فحسبى أن أقتطف له فقرات من كتاب الملخص فى علم الهيئة ، تأليف محمود بن محمد الجغمينى ولم تحضرنى ترجمته ، ولكن من الأكيد أنه كان قبل جاليلى ونيوتن بزمن طويل ، وقد شرح رسالته المختصرة شارح [لم يذكر اسمه فى المطبوع فى إيران] . وأهدى الشرح إلى السلطان بن السلطان بن السلطان ألغ بيك بن شاهرخ بن أمير تيمور كور كان خلد الله شموس سلطنته (١)

وقد طبعت هذه الرسالة فى إيران وكنا نتدارسها فى مدارس النجف الأشرف ككتاب مدرسى (text book) فى علم الهيئة ، قال : (المقالة الثانية فى بيان الأرض وما يتعلق بها ، وهى ثلاثة

(١) لم أعثر على ترجمة للجغمينى ولكنى وجدت فى كشف الظنون قد ذكر حاجي خليفه الكتاب مع شروحه الكثيرة قال الملخص فى الهيئة البسيطة لمحمود بن محمد الجغمينى الخوارزمى المتوفى سنة ... (كذا) وهو مختصر مشهور مرتب على مقدمة ومقالتين ، شرحه موسى بن محمود المعروف بقاضى زاده الرومى ، وفرغ منه سنة ٨١٥ لألوغ بيك ميرزا

طريقة المؤرخ « رانكه » فى تدوين التاريخ .

غير أن هنالك جماعة ساروا على نهج آخر فى تفسير التاريخ البشرى هو نهج الفيلسوف الشهير « كانت » « Kant » . ومثل هؤلاء « فيشته » و « شلنك » و « هيكل » غير أن أعظم ممثل لنظرية « كانت » فى التاريخ هو المؤرخ الشهير « ليوبولدفون رانكه » « Teopold van Ranke » الذى اهتم على الأخص بالبحث فى « نظرية الفكرة » وأهمية الدولة والفرد . وقد انتقلت آراؤه هذه إلى تلاميذه ومريديه .

ومن أهم النقاط التى بحثت فيها مدرسة « رانكه » هى كيفية اشتراك الشعوب العالمية كلها فى تكوين « التاريخ » والحرية والجماعة وعلاقة الفرد بالحكومة ، وكيف أمكن الجمع بين الحرية والإرادة الحرة للأفراد ، وتكوين التاريخ العالمى . وحكم الضرورة الذى أجبر الإنسان على تقييد حريته طائعاً مختاراً لئلا يقع فى كفاح لا نهاية له ، فاضطر إلى تكوين الحكومات والخضوع لأحكامها مع ما فى ذلك من تضييق للحريات . فضمن بذلك من جهة أخرى أكبر قسط ممكن من الحرية للأفراد . وقد جاءت هذه الآراء فى شعر الشاعر « شلر » كما جاءت فى نظرية « هيكل » عن تطور العالم فى نظريته عن تطور الـ « Idée » أو « الفكرة » حتى وصلت إلى ما وصلت إليه فى المهد الثالث وهو « العصر المسيحى الجرمانى » .

على أن هذا المذهب فى التاريخ يقابله مذهب آخر هو المذهب التجربى expressionism والمذهب الانطباعى Impressionism فى التاريخ . ومذهب « الموسوعيين » . و « الإنسانيين » .

جواد على

أبواب الأول فى المعمور من الأرض وعرضه وطوله وقسمته إلى الأقاليم السبعة : الأرض كرية الشكل كما سلف فى المقدمة ، ويبتنى عليها مسألة غريبة وهى أنه لو تيسر السير على جميع الأرض وتفرق ثلاثة أشخاص من موضع معين بأن سار أحدهم نحو المغرب والآخر نحو المشرق وأقام الثالث حتى عاد إليه السائر إلى المغرب من المشرق والسائر إلى المشرق من المغرب فى وقت واحد لكان الأيام التى عدها الغربى فى مدة الدورة أنقص من أيام المقيم بواحد ، وأيام الشرقى أزيد منها بذلك ؛ ويتفرع عليها مسائل غريبة يسأل عنها ، كما يقال : هل يجوز أن يكون يوم بعينه جمعة عند شخص ، وخميساً عند آخر ، وسبتاً عند ثالث ، وغير ذلك مما هو من هذا القبيل ، فيجاب بالجواز ويستغرب هذا) [أقول إن نقصان الأيام وزيادتها هنا مبنى على ما تسببه معاكسة دوران الأرض أو مسايرته] ثم إن المؤلفين يقسمان الأرض إلى المناطق المتعارفة فى كتب الجغرافيا اليوم فيقولان (وتفرض على الأرض ثلاث دوائر إحداها فى سطح معدل النهار[٢] وهى خط الاستواء كما عرفت ، والثانية فى سطح أفق الاستواء ، والثالثة فى سطح دائرة نصف النهار ، وكلتاهما فى منتصف المعمورة بخط الاستواء ، فالأولى تقطع الأرض بنصفين جنوبى وشمالى ، والثانية تنصف كلا من نصفيها المذكورين فيصير الأرض بهما أرباعاً ، ربعان جنوبيان ، وربعان شماليان ، والمعمور منها أحد الربعين الشماليين ، وهو الربع المشهور بالربع المسكون على ما يرى فيه من الجبال والصحارى والمروج والبحار ونحوها كالآجام ونحوها من المواضع الخربة . قال الشارح يعنى أن المعمور منها هو هذا الربع مع أن أكثرها خراب فى زماننا هذا وسائر الأرباع خراب ظاهراً ، وإلا لوصل خبرهم إلينا غالباً ، ويحتمل أن يكون بيننا وبينهم بحار مغرقة ، وجبال شاهقة ، وبرارى بعيدة تمنع وصول الخبر إلينا . غير أن أحد الربعين الجنوبيين قد حكى أن فيه قليلا من العمارة كما يجيء . وأما ما يحكى من قصة وقعت فى نوبة ذى القرنين فالظاهر أنها موضوعة لا أصل لها ، والله أعلم بما فى ملكه[١] .

والدائرة الثالثة من تلك الدوائر الثلاث تقطع المعمور بنصفين غربى وشرقى ، ونقطة التقاطع بين الدائرة الأولى والثالثة تسمى قبة الأرض ، وابتداء المعمور من خط الاستواء على ما ذكره بطليموس فى المجسطى ، إلا أن بطليموس بعد ما صنف المجسطى زعم فى كتابه المسمى بجغرافيا أى صورة الأقاليم أنه وجد وراء خط الاستواء فى أطراف الزنج والحبشة عمارة الخ .. فها أنت ترى أن ما أدرجاه قريب جداً مما يدرسه طلاب الجغرافيا والفلك اليوم . وإليك ما قاله المؤلفان عن اختلاف الليل والنهار: (والشمس إذا وقع ضوؤها على الأرض استضاء وجهها المواجه للشمس لكونها كثيفة ووقع ظلها لكثافتها المانعة من نفوذ الضوء فى مقابله جهة الشمس ، إذ من شأن الظل أن يكون كذلك ؛ فإذا كانت الشمس فوق الأرض فهو النهار ، وإذا كانت تحت الأرض وقع ظلها فوقها وهو الليل ، ووقوع ظلها يكون على شكل مخروط مستدير ، إذ الشمس أعظم جرماً من الأرض بكثير .

وقال المؤلفان عن الخسوف والكسوف : (إن جرم القمر فى نفسه مظلم ، وإنما يستضىء بضياء الشمس فيكون النصف المواجه للشمس أبداً مستضيئاً لو لم يمنع مانع كحيلولة الأرض بينهما ، والنصف الآخر مظلماً ؛ وهذا الحكم تقريبى لما بين فى موضعه من أن الكرة إذا استضاءت من كرة أكبر منها كان المستضىء

---

(١) قال الجغميني فى المقالة الأولى إنما سميت هذه الدائرة العظيمة معدل النهار لأن الشمس إذا سامتها اعتدل الليل والنهار تقريباً فى جميع النواحى إلا فى عرض تسعين أى تساويا فى المقدار والدائرة التى وسطها على على وجه الأرض تسمى بخط الاستواء لاستواء الليل والنهار فيها تقريباً .

(١) القصة هى ما ذكره صاحب كتاب عجائب المخلوقات من أن ذا القرنين استولى على الربع المسكون وأراد الاطلاع على ما فى البحار فأرسل أربعين سفينة مشحونة بأصحاب التجارة والأبطال فذهبوا مدة مديدة حتى لقوا سفينة فيها قوم سود الوجوه زرق العيون ، وقد صار الأمر إلى المحاربة بينهم وغلب أصحاب ذى القرنين فقتلوا بعضهم وأسروا آخرين فاستخبروهم فلم يجيبوا بمايفهمون، فتحيروا فى ذلك فجاءوابهم إلى ذى القرنين فأنكحهم جوارى حتى توالدوا وتعلم أولادهم لغة الفريقين فسئلوا عن أحوالهم فقالوا نحن أقوام من بلد كذا لنا ملك استولى على البلاد كلها ، فلما فرغ من حكم البر تاقت نفسه للاطلاع على عجائب البحار فأرسل أقواماً شتى فى السفينة إلى البحار ونحن من جلتهم . فلما سمع ذو القرنين كلامهم تحير فى عجائب صنع الله تعالى .

أكثر من نصفها ، فمند الاجتماع يكون القمر بيننا وبين الشمس فيكون نصفه المظلم مواجهاً لنا فلا نرى شيئاً من ضوئه ، وذلك هو المحاق ؛ وإذا بعد عن الشمس مال نصفه المضيء إلينا فنرى طرفاً منه وهو الهلال ؛ ثم كلما ازداد بعده عن الشمس ازداد ميل النصف المضيء إلينا فازداد ضياؤه أي نور القمر بالنسبة إلينا وهو الزيادة حتى إذا قابلها صرنا بينهما وصار ما يواجه الشمس يواجهنا وهو الكمال ؛ فإذا انحرف عن المقابلة مال إلينا شيء من نصفه المظلم ثم كلما يزداد ذلك الميل يأخذ الظلام بالزيادة حتى يمحق القمر (١)



الصورة رقم (١) الأهلة

هذه الصورة ترسم حركة القمر في فلكه حول الأرض حيث يبدو هلالا ثم قمراً ثم يدخل المحاق ، كل ذلك تبعاً لوضع جزئه المنير بالنسبة إلى الأرض ، وتبدو الأرض كروية في وسط مدار القمر ويشاهد القمر ذا نصفين مضيء وهو المقابل للشمس ، ومظلم وهو الشطر الثاني ، وتبدو الشمس كروية في أعلى الصورة وقد رسم مدارها حول الأرض وهذه نقطة الخلاف بين الهيئة القديمة والحديثة .

(أخذت الصورة من شرح الجغميني في الهيئة)

وإذا حال القمر بين الشمس وبيننا فيستر ضوءها عنا كلا أو بعضاً وهو كسوف الشمس ، وهذا السواد الذي يظهر في الشمس هو جرم لون القمر ، وإذا حالت الأرض بينهما ووقع ظلها على وجه القمر المواجه للشمس كله أو بعضه فلم يصل إليه ضوء الشمس أصلا أو بقدر ما وقع عليه الظل فيبقى ما لم يصل إليه



الصورة رقم (٢) الكسوف

هنا يعرض الرسم الشمس النير الأعظم في أعلى الصورة وتحتها القمر وقد أرسل ظله مخروطي الشكل فحجب جزءاً من الشمس أو كلها عن جزء من كرة الأرض وفي وسط الدوائر (تقريباً) الأرض وقد أرسلت في الفضاء ظلها المخروطي الشكل ، وقد خطت الدوائر التي تمثل أفلاك الشمس والقمر .

(أخذت الصورة من شرح الجغميني في الهيئة)

الضوء على ظلامه الأصلي وهو خسوف القمر . ولنجتزىء بما



الصورة رقم (٣) الخسوف

وفيها تبدو الشمس في أعلى الصورة وفي الوسط كرة الأرض وقد امتد أسفلها ظلها المخروطي الشكل وقد وقع داخله القمر وهو الدائرة البيضاء في داخل المخروط ورسمت الأفلاك كدوائر حوالى الأرض وكانت ترى الهيئة القديمة أنها مركز العالم .

(أخذت الصورة من شرح الجغميني في الهيئة)

تقدم عرضه من كلام هؤلاء الذين عاشوا قبل (جالليو) بمئات السنين ولتغفروا لنا طول ما اقتبسناه من مؤلف الجغميني (الملخص فى الهيئة) ومن شرحه وقد طبعا فى إيران عام ١٢٨٦هـ والعادة فى النجف الأشرف أن يدرسا فى رمضان عندما تتعطل باقى الدروس الأصلية .

لقد تبين مما تقدم أن علماء الفلك المسلمين لم يكونوا يعتقدون فى سطحية الأرض ولم يكونوا يظنونها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له الخ ، كما ظن الدكتور فضل .

بقى لنا أن ندرس فكرة حركة الأرض فهل هى حديثة الميلاد كما تفضل فضل الحق أنها ليست كذلك . وحرصاً على الوقت نورد مقتطفات من آثار أناس يوثق بشهاداتهم ، قد عرفوا بالخبرة فى الموضوع . هذا هبة الدين الشهرستانى يقول فى كتابه (الهيئة والإسلام) — (إن أول من كشف السر عن دوران الأرض هو (فيثاغورس) النابغ قبل الميلاد بقرون خمسة ، وتبعه (فلوطرخوس) و (ارخميدس) ثم قوى رأيه (ارسترخوس) الساموسى بعده بقرنين ، وعلم دوران الأرض السنوى حول الشمس فتُشكى وكفر ، ثم نبغ بعده بنصف قرن (كليانثوس) من أسوس واختار الحركتين للأرض فشكى واتهم بالكفر أمام الحكام ؛ ثم ظهر(بطليموس) بعيده بقليل فأوضح سكون الأرض الذى كان الناس يزعمونه فطرياً ويحسبونه بديهياً ورتب الأجرام السماوية والحركات الفلكية على ما فصله فى (المجسطى) فنال نظامه الصوت والصيت فى العالم المتمدن (حينذاك) حتى أصبح المتفلسفون من المسلمين وغيرهم ينقحون هيئته ويدافعون عنها . وكان فى مهرة فلاسفة المسلمين من يدفع الموانع عن تحرك الأرض أيضاً كالعلامة نصير الدين الطوسى والفاضل بهاء الدين العاملى وكان الأفرنج يومئذ غارقين فى الضلالة ، وكان استبداد البابوات قد منع الأفواه والأفهام عن التحرك فى سبيل العلوم العقلية وإظهار ما لا تقبله الكنيسة . وقد أحرقت الوفا من المستنيرين بعلوم الإسلام وفلسفة ابن رشد القرطبى . وحسبك أن الحكيم (برونو) نطق بسير الأرض قبل الألف الهجرى ، فهجروه وأبعدوه عن أوطانه ثم سجنوه ست سنين ، ثم أحرقوه وأحرقوا كتبه . واجترأ (غاليلو) بعد الألف الهجرى ، فأثبت الحركتين للأرض فأهانوه واضطهدوه حتى قارب الهلكة ثم سجن طويلا . وأول من نطق بتحرك الأرض من الأفرنج هو (الكردينال دى كورا) ثم (الكردينال إلينا كوس) ثم (جون مولار) لكنهم لم يتجاهروا بالقول ولا أتوا بأدلة مقنعة حتى قام (كوبرنيك) فى حدود الألف الهجرى وأقام أدلة قوية وكتب الرسائل والكتب فى هذه المسألة ، فصار بذلك محييها ومؤسساً للهيئة العصرية وسلك الحكماء مسلكه ، فأصبح اليوم هذا النظام هو الشائع) .

ويؤيد كلام الشهرستانى ما قرأت فى كتاب (مبادىء علم الهيئة) تأليف ألبز أَوْرَت ، إذ جاء فيه (أنه فى نحو نصف القرن السادس عشر ، بينما كان تعليم بطليموس هو المشهور فى كل مدارس أوربا قام (كوبرنيكوس) من بروسيا ، وأحيا تعاليم فيثاغورس التى هى التعاليم الحقيقية المعول عليها فى هذه الأيام ، وهى أن الشمس مركز ، والأرض وبقية السيارات تدور حولها ، وأن لكل منها دورة ثانوية تدور على محورها) وفيه (أن فيثاغورس قبل المسيح بخمسمائة سنة ، أسس المدرسة الثانية المشهورة الملكية وهى فى كروتونا من أعمال إيطاليا ، وهو أول من اكتشف ناموس حركات الاجرام السماوية ، ولكن آراءه رفضت عند علماء هذا الفن بسبب التعصب والعجب .

وقال كرنيليوس فانديك فى (أصول علم الهيئة) :

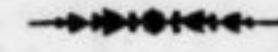
كان فيثاغورس اليونانى معلم هذا الفن فى مدرسة كروتونا فى إيطاليا قبل الميلاد بخمسمائة سنة ، ولم تعتبر تعاليمه مدة ألفى سنة إلى أن أحياها غاليلو من إيطاليا وكوبرنيكوس من بروسيا فى القرن الخامس عشر والسادس عشر .

أما فكرة الجاذبية فهى أيضاً قديمة قال فى كتاب (بسائط علم الفلك) [وهذا التفاعل بين الأجرام السماوية التى يطلق عليه اسم الجاذبية العمومية انتبه له بعض العلماء من قديم الزمان فأشار إليه بطليموس صاحب كتاب (المجسطى) حاسباً أنه هو الذى يحمل الأجسام تقع على الأرض متجهة نحو مركزها وهو الذى يربط كواكب السماء بعضها ببعض . ويقال إن موسى بن شاكر المهندس الذى نشأ فى أوائل القرن الثالث الهجرى انتبه له أيضاً وقال به . قال ابن القفطى أن موسى بن شاكر كان مهندساً مشهوراً من

١١ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

أصبع الانجليز فى النوبة

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود



قد يثير هذا العنوان المعجب والدهشة فى بعض النفوس التى لا تعرف شيئاً عن منطقة النوبة ، وربما يدفع بعضها إلى التساؤل الملح : وما صلة الانجليز ببلاد النوبة ؟ وأين مكان هذا الإصبع فى تلك البلاد التى ليس فيها موضع لأجنبى ؟!

والواقع أن الغفلة مستولية على عقول كثير من ساستنا الذين لا ينظرون إلا إلى مواقع أقدامهم ، ولا يجشمون أنفسهم عناء التفكير فيما هو أبعد من ذلك ، ولا مشقة اليقظة والانتباه لما يراد بوادى النيل كله ، وما يكون دائماً وراء الأنباء الذائعة ، والأخبار الطائرة ، ولا يعرفه فى الغالب كثير من الناس :

غفل بعض الساسة المصريين عن واجبهم الوطنى ، حينما جعلوا من بعض بلادهم ، وأعنى منطقة النوبة منفى للموظفين ، واحكموا عقد هذه العقدة النفسية الأليمة ، حتى أن الموظف ليتولاه العجب العاجب حينما ينزل بهذه البلاد ، فلا يرى بها جديداً فى أية ناحية من النواحى ، وأن كل شر سمع به لا أثر له على الإطلاق ، وربما يجد العكس ، كشهرة هذه المنطقة بالحشرات السامة ، والأفاعى القاتلة ... و ... و ... مما لم نجد فيه خلاف ما نعرف فى مختلف بلدان القطر ، بل فى كثير من بلاد الريف ما هو أجدر بحمل هذه الشهرة ، وأولى بذيوع هذا الصيت عنه ؟ ! ومما زاد الطين بلة ، أن كثيراً من أولى الأمر يهملون شأن هذه المنطقة سنوات فتظل مشروعاتها مهملة ، فى زوايا النسيان ، مما كان له أكبر الأثر فى كراهية الناس لهذه المنطقة التى تعتبر من أهم المناطق المصرية الكبيرة .

وإذا كانت السياسة البريطانية قد نجحت فى شىء ، فإن نجاحها فى تعمد إهمال منطقة النوبة ، وحمل الحكومات المصرية على هذا الإهمال — فاق كل نجاح ... إهمالاً جعلها كمنطقة طبيعية خامدة خاملة ، لا حياة فيها ولا حركة ولا نشاط ، حتى ليعتقد المار بها فى طريقه من مصر إلى السودان ، أو العكس ، أنه منطقة قبور ، يدفن فيها الأحياء بدل أن يدفن الأموات ، وكم من موت خير من حياة كلها الجدب والألم ، والشقاء المر ، والعناء المميت ، وأنها فاصل طبيعى بين السودان ومصر ! .

وكأنما أرادت السياسة البريطانية بذلك أن تلقى فى روع كل مشاهد لهذه المنطقة هذا الشعور الباطنى العجيب ، وأن تتخذ من هذا دليلا على الفصل بين شقى الوادى ، جنوبه وشماله ، مصره وسودانه وأن تجعل ذلك حجة لها على تحقيق ما تبغى ، وإنفاذ ما تريد ، وهى دائماً تبنى آمالها وأمانيها الكواذب على الخواء ، وتنسج العنكبوت ثم تمضى فى طريقها الفاسد لتجعل من الظلم عدلا ، ومن الباطل حقاً ، ومن الوهم واقعاً محسوساً ، ولكن هذا وإن جاز فى شريعة الماضى ، وقد سيطرت الغفلة على العقول ، ورانت على القلوب ، فلن يجوز فى شريعة القرن الحاضر ، وقد انتبهت الأذهان ، وتفتحت العيون ، واستيقظت القلوب ، ونضج الوعي القومى ، حتى أصبح الابن يشارك أباه فى السياسة ، ويعاونه على أداء الواجب ، ويتقدمه إذا دعا الداعى إلى ميدان الجهاد والنضال لا يعرف الوهن والضعف إلى نفسه سبيلا ، وهو بما يلاقى من الهول والشدة ، والحبس والتشريد ، جد سعيد وفخور ! .

منجمى المأمون) أقول ولوح ابن سينا فى إشاراته ونصير الدين الطوسى وفخر الدين الرازى فى شرحيهما لها . وكان هؤلاء يعبرون عن الجاذبية بين الكواكب بالشوق .

قال الإمام فخر الدين الرازى فى شرحه :

وأما الشيخ (ابن سينا) فقد جزم ها هنا (فى الإشارات) بأنه لابد وأن يكون لكل واحد منها (أي للكرات فى الأفلاك) محرك خاص، لأن المتحرك بالاستدارة إذا ثبت أن حركته ليست إلا شوقية تشبهية ، وجب أن يكون الحال فى كل الكرات كذلك . وأما قوله وتعلم أنه ليس يجوز أن يقال السافل منها معشوقه الخاص هو ما فوقه ، فمعناه ما تبين قبل ذلك من أنه لا يجوز أن يكون معشوق الكرة السافلة فى حركتها الكرة العالية الخ ..

ضياء الدخيلي

ولئن غفل هذا الفريق المصرى عن نيات هذه الدولة العجوز الشمطاء ، اللعوب ، ذات الناب الأزرق الاستعمارى ، الأصيل فى المنكر والدس ، والخداع والرياء ، فلقد فهم الشعب على بكرة أبيه الآن حقيقة الموقف ، وأدرك ما راد به ، وما يساق إليه ...

وفى بلاد النوبة مشروعات كثيرة نفذت بالفعل وآتت ثمارها أطيب ما تكون ، وكان لها فى نفوس النوبيين جميعاً أجل الأثر وهناك مشروعات كثيرة تنتظر التنفيذ والعقيدة السائدة أن كل مشروع يكون نصيبه الإهمال والنسيان، لابد وأن يكون للانجليز إصبع فى وقفه وإهماله ، لأنهم لا يريدون رفاهية هذه البلاد ، ولا خيرها ، لأنهم آخر من يستفيدون منها ، ولأن القلب النوبى يكره الانجليز كراهية تملك عليه نفسه من جميع نواحيها ، ويدرك تمام الإدراك أن الانجليزى عدو بلاده رقم (١) وأنه خطر ليس بعده خطر ، وأنه شر فى كل مكان يحل به ، والسر فى ذلك يجهله كثير من المصريين ، والقليلون يعلمون أن الانجليز فى وقت ما ، حينما اشتدت بالنوبيين الأزمات ، وضاقت بهم سبل العيش ، بسبب التعلية الأخيرة ... انتهز هؤلاء الانجليز الأوغاد ، عن طريق أذنابهم — الفرصة ، وحاولوا اجتذاب قلوب النوبيين إليهم ، وربطهم بعجلة الامبراطورية بحجة صلتهم الوثيقة بأهل السودان ، فإن مديرية دنقلة بأسرها تعتبر منطقة نوبية صحيحة من قديم الزمان ، ولمع الذهب ، وأعشى بريقه العيون ،وامتدت الآمال والأمانى الخوالب ، ولكن قلوب النوبيين لم تتحرك لهذا البريق ، وعيونهم لم يعشها هذا اللمعان ، وكان الجواب الفحم أنهم حراس النيل من فوق هذه القمم الشوامخ ، التى تشبه عزة نفوسهم ، ونبل أخلاقهم ، على الرغم من ضيق ذات اليد ، والمبيت على الطوى فى أغلب الأحيان .

وتلقى الإنجليز هذا الدرس القاسى ، وعلموا أن الذهب ليس هو كل شىء ، وإن سياستهم لم يكتب لها النجاح على طول الخط ولهذا أدركوا وطنية هؤلاء ... الوطنية الحقة ، التى لا يتم عنها كلام منمق معسول ، ولاعبارات خلابة ، ولا أحاديث مستفيضة ولا خطب حماسية ، ولا مقالات تفيض بها أنهار الصحف والمجلات ، وإنما هو شىء أسمى من هذا وأجل ، هو العمل والصبر والجلد ، والإخلاص ، وحب مصر والمصريين ، واحترام القانون إلى حد يثير الدهشة والعجب ، ويكفى أنه قد ينقضى العام بأسره دون أن تقع جناية فى بلاد النوبة كلها على الرغم من امتدادها خمسين وثلاثمائة كيلو متر « فأين تجد هذه الوطنية الصادقة ، والهدوء الجميل ؟!

لقد كان الإنجليز يريدون النوبيين على تشجيع الحركة الانفصالية عن مصر ، التى أهملت أمرهم ، ونسيتهم فى قفارهم وصحاريهم » وبذل الانجليز الوعود الخلابة لإحالة منطقة النوبة إلى جنة تجرى من تحتها الأنهار ، وأنفاذ جميع المشروعات الممكنة وغير الممكنة لتكون هذه البلاد حافلة بالثمار الناضجة ، والزهور اليانعة . يتدفق على أهلها الخير من كل حدب وصوت ، ولكنهم بحمد الله باءوا بالفشل ، وكان نصيبهم الخذلان الأليم ... ومن عجب أن أمر هذه المحاولة لم يكتب له الفضيحة كما يجب . وإنما ظل سراً لا يعرفه إلا القليلون من المصريين ، لأن النوبيين لا يرون فيما فعلوا حكومة يستحقون عليها المدح أو الثناء ، بل هو الواجب الذى لا شكر عليه .

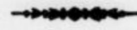
ومما يؤسف له أن كثيراً من الأخطاء تقع كل عام فى الوزارات ... الأخطاء الوطنية التى يحزن لها قلب الغيور ... فن ذلك ما حدث معنا عام ١٩٤٦ بخصوص استمارات السفر إلى عنيبة ، وجهل الموظف المختص بأمر هذه الاستمارات ، وهل تكون من حق موظف عنيبة أم لا ، وطال الأخذ والرد بيننا ، وأخيراً صرف لنا استمارات إلى الشلال فحسب ، لأنه يعتقد أن الشلال نهاية اقتصاصه ، وأننا ملزمون أن نأخذ الاستمارات الباقية من منطقة قنا التعليمية ؛ إذا كان فى وسعها هى الأخرى أن تصرف استمارات أبعد من الشلال .

وإذا اغتفرنا لهذا الموظف هذه الغلطة ، فهل نغتفر لموظف آخر بالوزارة نفسها غلطة أفظع وأعنف ؟ لقد ذهب أحد الزملاء بعد تعيينه إلى وزارة المعارف ليأخذ استمارات سفره إلى عنيبة أيضاً ، وما كان أشد عجبه عند ما فاجأه الموظف المختص بطلب تقديم ترخيص للموافقة عليه من الجهات المختصة فى مصلحة الحدود . فقال : لماذا ؟ فأجاب الموظف : لأن عنيبة خارج الحدود المصرية ، فلا بد من جواز السفر إليها ؟!

وبهت الزميل ، وحاول أن يفهم الموظف حقيقة الأمر ، وأن

فى الطـــائرة

للأستاذ نجاتى صدقى



كان المسافر من فلسطين إلى سوريا فى الزمن الغابر يشعر بأنه مقدم على رحلة محفوفة بالمغامرات والمخاطر، فيقطع المسافة الطويلة إلى عكاء بالدجانس، ثم يستقل حماراً ويجتاز به معبر الناقورة ... ثم يتابع السفر بدجانس آخر.

وكان معبر الناقورة هذا طريقاً جبلياً ضيقاً، يقوم على أحد جانبيه جبل شاهق، وتترامى على الجانب الآخر هوة سحيقة تنتهى إلى صخور مسننة يداعبها البحر الأزرق العميق مداعبة هادئة، فإذا ما نظر إليها المسافر الراكب شاعت فى نفسه موجة من الهلع، وفضل اجتياز المعبر سيراً على قدميه ... أو زحفاً على أربعته.

ثم يصل المسافر المدينة التى يقصدها، ويقص على أهله وذويه ما لاقاه من أهوال أثناء رحلته الشاقة ... ولا يفرب باله طبعاً من أن يروى لهم وقائعه مع قطاع الطرق، وفتكه ليلا بالضباع التى ينبعث الشر من أعينها، وبطشه نهاراً بالذئاب الجائعة ذات الأنياب الحادة والمخالب الجارحة.

هكذا كانت مشاق الأسفار فى الأيام الغابرة، أما مشاقها فى أيامنا هذه فإليك ما حدث فى الطائرة:

كنت مرة مسافراً فى الطائرة من اللد إلى حلب، وكان الفصل شتاء، وكانت الطائرة تقل شخصين فقط هما أنا وتاجر أغنام يدعى أبا محمود، وهو رجل فى حدود الخمسين، طيب القلب، يلبس القمباز، ولا ينفك عن مداعبة حبات سبحته العقيقية.

وبعد أن قطعنا مسافة فى الطائرة حدث ما أثار دهشتى ... رأيت تاجر الأغنام وقد انكمش على نفسه، ممتقع اللون، زائغ البصر، فاغر الفم، مشنج اليدين .. فدنوت منه وسألته: ما بالك يا رفيق الطريق؟...

فأجابنى بصوت بكاء: أريد النزول! ...

قلت: هذه طائرة وليست سيارة، ولن تتمكن من النزول

عنيبة ليست خارج الحدود، ولكنه نظر إليه شذراً فى شىء من التعالم المقيت، فلم يجد الزميل بدا من الرضوخ لما أراد، وقدم الطلب المراد، وأخذ مجراه، وانتقل من مكتب إلى مكتب، دون أن يفطن أحد إلى هذا الخطأ، حتى وصل إلى يد أحد الرؤساء بالوزارة، وكان رجلا ذكيا يعرف الكثير عن عنيبة، فأمسك بالطلب، وأطال النظر فيه، وبدا الاستياء على وجهه، ثم نادى الموظف الذى أشار به، وافهمه حقيقة الأمر، وامتحنه بقسط كبير من اللوم والتعنيف، فما يجدر بموظف أن يجهل حقيقة عمله، وإن جهل حقيقة بلاده!

وأرمنا بلدة فى بلاد النوبة بين توشكى وأبى سمبل، وحدث أن أرسل إليها أحد موظفى وزارة الصحة بعض الأوراق، الخاصة بطبيب المركز أى مركز عنيبة، بيد أن هذا الموظف كتب على الظرف (السودان) فذهبت الأوراق إلى السودان، ثم ردت إلى الوزارة مرة أخرى بعد ما كتب عليها موظف الحكومة السودانية أن هذه البلدة ليست فى السودان وإنما هى فى منطقة النوبة التابعة للحكومة المصرية واتبع هذه العبارة بمجموعة من علامات التعجب والاستفهام، التى معناها أننا معشر المصريين لا نعرف بلادنا».

هذه الأخطاء التى أسميها أخطاء وطنية، تقع فى شتى الوزارات، ومختلف دور الحكومة كل عام، وهى إن أحزنت الوطنى الغيور، فإنما يطرب لها المستعمر الغاصب ... لأنه يرضيه أن يرى كل مصرى منصرفاً عن خير بلاده، ومصلحة أمته إلى لذاذاته ومسراته، ويسره جهل الموظفين بما لا يصح أن يجهلوه ويزيد فى سعادته أن يرى القلق بادياً فى وجوه الموظفين فى بلاد النوبة، ولهذا يتألم الإنجليز لعمران هذه المنطقة بالغ الألم، ويسوءهم أن تتجه الحكومة المصرية بالإصلاحات الشاملة فى هذه البلاد، وبخاصة فى هذه الأيام، لأن إصلاح منطقة النوبة يصل ما بين مصر والسودان برباط وثيق، ويقرب هذه الشقة التى عمل الانجليز على اتساعها، ولكن الله سيحبط مسعاهم حينما نخاطبهم باللغة التى يفهمونها، وإن غداً لناظره قريب.

عبد الحفيظ أبو السعود

إلا فى مطار حلب ··· ألأول مرة تصعد فى الجو ؟ .

قال : نعم ··· لأول مرة بالشقانى .

قلت : لا تخف ، فبعد ساعتين سنصل إلى حلب ··· أنظر إلى أسفل ، ها نحن نجتاز رأس الناقورة ··· فتطلع تاجر الأغنام من النافذة ··· وحدث فى هذه البرهة أن هبطت الطائرة فى فجوة هوائية ، فانتفض رفيق ، واسترخى على مقعده ، وراح يؤنب نفسه قائلاً : « أجننت يا أبا محمود ··· ما لك وركوب الطائرة ·· سافر فى السيارة ··· أو فى الدلجانس ··· الله يرحم أيام الدلجانس ··· أو على حمار ··· أو مشياً على قدميك ··· ولكنك تريد السرعة ، والآن ستكلفك هذه السرعة حياتك ·· يا لك من شقى جاهل يا أبا محمود » ··· (وأخذ يبكى) .

ولما دخلت طائرتنا وسط غيوم كثيفة رفع تاجر الأغنام ناظريه إلى وقال : أين نحن الآن ؟ ..

قلت : وسط الغيوم .

قال : فى السماء ؟ .

قلت : نعم .

قال : فى أى سماء ؟ !

قلت : اجتزنا السادسة وعلى وشك الدخول فى السابعة !

فصرخ بأعلى صوته : الله أكبر ··· الله أكبر ··· الله أكبر ! ···

ثم ارتجت الطائرة فجأة ومالت إلى اليمين ، ثم انحرفت إلى اليسار ··· ثم هوت فى فجوة هوائية بعنف ··· فشددت الحزام على وسطى ··· أما تاجر الأغنام فكان يتمتم قائلاً : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، ولا تجازينا إن أسأنا أو أخطأنا ، اللهم ادخلنا فى زمرة عبادك الصالحين ، آمين يا أرحم الراحمين .

ثم التفت إلى وقال : أبنائى أمانة فى عنقك ! .

قلت : وماذا تعنى بذلك ؟ ···

قال : أبنائى ليس لهم من معيل غيرى ··· أستحلفك بالله أن تتردد عليهم دائماً ، وأن تمد لهم يد المعونة إذا ما احتاجوا لها لا سمح الله ··· دعهم يبيعون الأغنام أو يقتسمونها فيما بينهم ··· وقل لأم محمود بأن تكرس حياتها فى تربية أولادها ··· آه إنى أشعر بدنو الأجل ! ···

قلت : ولكن إذا أصيبت الطائرة بكارثة فسيقضى علينا معاً !

وارتجت الطائرة ارتجاجاً عنيفاً ، ثم هبت علينا عاصفة مصحوبة بالرعد ، والبرق ، والأمطار ، فحلقت بنا الطائرة عالياً ، وكانت أثناء تحليقها هذا تهوى بين حين وآخر فى فجوات جوية .

وفى هذه اللحظة أطل علينا عامل الراديو من كوته وناولنى ورقة فلم أطلع على مضمونها لاعتقادى أنها تحدثنا عما قطعناه من مسافة وما تبقى منها لنصل إلى حلب ··· أما رفيق تاجر الأغنام فكان مستلقياً على مقعده مغمض العينين ، مهدل الشاربين ، مرتخى اليدين .

وهبطت بنا الطائرة فى مطار حلب ، وأبو محمود لا يزال يعتبر نفسه فى عداد الهالكين ··· فهززته قائلاً : إنهض أيها الرجل لقد وصلنا ! .

ففتح عينيه الذاهلتين وقال : أين نحن الآن .

قلت فى حلب .

فنزلنا من الطائرة ، وسمعت تاجر الأغنام يقول : هذه هي السفرة الأولى والأخيرة بالطائرة ··· لقد نجانا الله ! .

فضحكت منه ، وربت على كتفه ، وافترقنا .

ولما بلغت النزول فى حلب ، أخذت أفحص ما فى جيبى من أوراق ، فعثرت على ورقة عامل راديو الطائرة التى ناولنى إياها ونحن نجتاز الزوبعة .. وقرأت فيها :

« نطير الآن على ارتفاع أربعة عشر ألف قدم .. لقد تعطل أحد محركى الطائرة ! نجتاز زوبعة عنيفة . شد الحزام على وسطك إذ ربما نضطر إلى الهبوط فى أى مكان ! . »

والحق يقال إننى ما كدت أنتهى من قراءة هذه الورقة حتى أحسست بقشعريرة تنتابنى من قمة رأسى حتى أخمص قدمى . ومرت بى فترة من الزمن تعرضت فيها إلى ذات الرعب الذى تعرض له تاجر الأغنام وهو فى الطائرة .. ثم رحت أسائل نفسى : هل تنبأ عقل تاجر الأغنام الباطن بما لم يتنبأ به عقلى ؟ . وهل كان لرعبه علاقة بشعوره مقدماً بكارثة كادت تقع ؟ ! .

نجاتى صدقى

دراسات تحليلية :

ذو النـــــون المصرى

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

بين ضفاف النيل ورمال الصحراء فى بلدة أخميم بمديرية جرجا من أعمال صعيد مصر ، ولد أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصرى سنة ١٨٠ بعد الهجرة ، وكان أبوه نوبيا جيء به من بلاد النوبة رقيقاً ثم أعتق . ونشأ ذو النون تهب عليه نسائم النيل الرطبة ، وتلفح وجهه رياح الصحراء الجافة ، كلاهما تحمل أسراراً غامضة وتوحى بعظمة الكون وخالقه ، وبين قوم محدودى المعارف ضيق أفق التفكير ، قضى أيام صباه .

فلما شب عن الطوق واتسعت مداركه ، ضاقت نفسه الكبيرة بهذا الجو الخانق المحدود ، فلم يجد سوى الخرائب المصرية يطوف بينها من بلدة إلى أخرى يدرس رموزها ويحاول حلها والوصول إلى أسرارها — وقد كان هذا الطواف المحدود عاملا من عوامل حبه التنقل بين بلدان العالم الإسلامى سعياً وراء بحثه عن الحقيقة ودراسته الصوفية — ولما لم يجد بين هذه الخرائب ما يشفى غليل نفسه ، راح ينشد الهداية فى جوانب الصحراء الواسعة علّه يصل إلى طلبته من المعرفة والعلم . وفيما هو فى حيرته ، سمع بسعدون الصوق المصرى ، فذهب إليه وسمع منه فسحره حديثه وأشرب قلبه محبته ؛ فلقد وجد بعد العناء والتعب بغية نفسه وأمله المفقود ، وتتلمذ عليه ، ودرس الصوفية على يديه ، وسرعان ما أعجب الأستاذ بفصاحة تلميذه فقربه إليه وآثره بصحبته . وبجانب توفره على دراسة الصوفية كان يدرس الطب والكيمياء وعلوم السحر .

وذات يوم عاد إلى إخميم فوصلها ليلاً وسمع دفوفاً تضرب وشاهد قوماً يلهون ، فسأل ما هذا ؟ فقيل له عرس . ثم سار قليلا فسمع نواحا ورأى نسوة يندبن ، فسأل ما هذا ؟ فقيل له فلان مات . فقال : أعطى أولئك فما شكروا ، وابتلى هؤلاء فما صبروا . لله على ألا أبيت بهذا البلد . وانطلق لا يلوى على شيء ، ترفعه رابيه ويخفضه واد ، هائما ينشد المعرفة ويبغى الوصول ، حتى بلغ بيت الله الحرام وزار القبر الشريف ، ثم تابع سيره إلى دمشق وزار كثيراً من النساك المقيمين فى جنوب إنطاكية ، وسألهم وسمع منهم . قال « زرت فى لبنان رجلا نحيفاً ضعيفا يصلى . فسلمت فرد السلام وما زال فى ركوع وسجود حتى صلى العصر ، ثم جلس ولم يتكلم ، فطلبت منه أن يدعو لى فقال : آنسك الله بقربه . فطلبت منه المزيد ، فقال : من آنسه الله بقربه أعطاه أربعا . عزا من غير عشيرة ، وعلما من غير طلب ، وغنى من غير مال ، وأنسا بغير جماعة . ثم شهق فلم يفق إلا بعد ثلاث وأنا منتظر ، فلما أفاق قال : انصرف عنى بسلام . فقلت أوصنى قال : أحبب مولاك ولا ترد بحبه بدلا » .

عاد إلى مصر وقد روى ظمأه ، وأخذ ينادى بتعاليمه بين قوم ران الجهل على قلوبهم وعميت بصائرهم فما يفقهون قولا — وكان أول من تكلم عن علوم المنازلات ، فأنكر عليه أهل مصر هذا واتهموه بالزندقة والخروج عن الدين لأنه لم يكن لهم بهذا العلم عهد ، فقالوا أحدث علما لم تتكلم فيه الصحابة(١) — فاضطهدوه وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ، فبعث إلى عامله على مصر فأرسله إليه ، فألقى به فى السجن . ولكن أصدقاءه وتلاميذه طلبوا له العفو من الخليفة وما زالوا به حتى أخرجه من السجن ، وجمع العلماء ليناظروه . وتحدث أبو الفيض وتحدث العلماء فما زال كلامه يعلو وكلامهم يهبط حتى صمتوا جميعاً وتحدث وحده . ثم وعظ الخليفة ، فبكى بكاء مرا وندم على سجنه وقال : إذا كان هذا زنديقاً فما فى الأرض مسلم . ورده مكرماً . فدوى اسمه فى الآفاق وأقبل عليه الناس من كل صوب وحدب يلتمسون العلم عنده ويطلبون الرشاد على يديه .

* * *

وكان يعلم تلاميذه التوبة ويلقنهم كبح جماح النفس والاقلاع عن الغواية . وقد كان يفرق بين توبة الإنابة التى ترجع إلى خشية العقاب والخوف منه ، وبين توبة الاستحياء التى تستند إلى الاستحياء من رحمة الله سبحانه وتعالى . وكان يقول التوبة ثلاث : « توبة العوام وهى التوبة عن المعاصى ، وتوبة الخواص وهى التوبة عن الإهمال ، وتوبة المعرفة وهى التوبة التى تعنى الإعراض

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ح١

عن كل شيء سوى الله » .

ومن تعاليمه عن الروح أن النفس هي العقبة الكأداء في سبيل الكمال الروحي لأنها خاضعة لرغبات النفع الذاتي ، ولذلك وجب على المتطلع إلى الله أن يحارب نزواتها ويتغلب عليها . ولما سئل عن الحجب الموجودة بين الله والروح هو أعظمها أثراً في إخفاء رؤية الحقيقة قال : « أخفى الحجاب وأشده رؤية النفس وتدبيرها »

ويقول إنه يمكن عن طريق كبح جماح النفس تخليص الروح من العقبات النفسية وإعادتها إلى أصلها الأول من الطهارة والنقاوة فتعود إلى اتصالها بالله .

فالعودة إلى الله لابد من تطهير النفس من الشرور وكبح جماحها عن الرغبات ومن أية صلة أخرى غير الصلة بالذات العلية ومن تعاليمه في ذلك : « لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالمداوة » .

وذل النفس ضروري للروح التي تأمل في أنس الله والقرب منه ، فكلما ازداد العارف في إذلال نفسه وإخضاعها ازداد قربا من الله ، فيقول « وما أعز الله عبداً بعز ، أعز له من أن يدله على ذل نفسه » لأن المريد عندما يبصر القوة السماوية وتتملكه عظمة خالق السموات والأرض يدرك كم هو ضئيل بالنسبة لهذه القوى فيمتلىء تواضعاً .. وفي ذلك يقول ذو النون « من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله تعالى فإنها تذوب وتصفو . ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه ، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته وجبروته » .

***

وكانت المعرفة أهم الموضوعات من تعاليمه ، فهو أول الصوفيين الذين تعرضوا للكلام عنها . ومن تعاليمه في المعرفة أن المعرفة بالله ثلاث ، أولاها معرفة التوحيد التي هي ملك المؤمنين جميعاً . وثانيتها معرفة الحجة والبيان وهذه هي معرفة الفلاسفة وعلماء الدين . وثالثتها معرفة صفات الله وهي معرفة أولياء الله الذين يتأملون الله بقلوبهم فيكشف لهم عما لا يكشفه للآخرين فيقول : « علامة العارف ثلاث : لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطناً من العلم ما ينقض عليه ظاهراً من الحلم ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه ، وكرامته على هتك أسرار محارم الله تعالى » .

والمعرفة تقود إلى الحيرة ، ولكنها حيرة على نوعين : حيرة العامة وتؤدى بأصحابها إلى الزندقة والضلال ، وحيرة الخاصة وهي تتسبب عن الاكتشاف ، فهي الحيرة التي تدوم وتبقى . وفي ذلك يقول « التفكر في ذات الله تعالى جهل ، والإشارة إليه شرك ، وحقيقة المعرفة حيرة » .

وكما أن المعرفة تؤدى إلى الحيرة فهي كذلك سبيل الاتحاد بالذات العلية ، وفي ذلك قال : « إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب أعينهم وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحزناً فجنوا من غير جنون ، وتبلدوا من غير عي ولا بكم ، وإنهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله وبرسوله ، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت ، وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا ، واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة ، وسرحت أرواحهم في العلى حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة ، وركبوا في سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العزة والكرامة »

وتحدث ذو النون عن أسفاره التي كان فيها ينشد سبل الخلاص من شوائب الحياة وأكدارها قال : « لقد حصلت في أول أسفاري علما يرضى الخاصة والعامة ، وحصلت في ثانيها علماً يرضى الخاصة دون العامة ، وفي ثالث أسفاري حصلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة ، فغدوت شريدا طريدا. لقد حصلت من العلم في المرة الأولى التوبة وهي مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء وفي المرة الثانية وصلت إلى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهي شئون تتقبلها الخاصة ولا تتفهمها العامة ، وفي المرة الثالثة وصلت إلى الحقيقة التي تسمو على العلم والعقل

بعد الامتحـــــان ....!!

للأديب الطاهر أحمد مكى

ماذا أصنع ؟ ، وإلى أين أتجه ؟ ، وفى أى المعاهد أنتسب ؟ ، ومن أى الثقافات أرتوى ؟ ... أسئلة حائرة تتراقص على لسانى ، وخواطر قلقة تماوج فى جنانى ، وآمال واســـعة يضيق بها صدرى ، ويعجز عنها بيانى ؟ ...

أنا أريد المعهد الذى يربى الروح وينشىء البـدن ، ويساير الحياة ، ويراعى تطور الزمن ، . . وأنا أفتش عن الأسـتاذ الذى يوجه ولا يستأثر ، ويرشد ولا يقيد ، ويرسم المنهج ، ويحدد الهـدف ، ولا يدخل فى التفاصيل ، ولا يتمسـك بالجزئيات ، ليجعل شخصه فوق الأشخاص ، وعقله سـيد العقول ، ورأيه أكمل الآراء ! ...

* * *

قالوا أمامك كلية اللغة ، بها نشأت العربية ، وفى أحضانها ترعرعت ، وعلى هـدى منها تطورت ، ولعلك واجد هنـاك ما يرضى ذوقك وفنك ، ويشبع رغبتك وهويتك ، ويصعد بك فى معارج من السمو البلاغى ، تتيح لك لذة لا تعدلهـا لذة ، ومتاعاً لا يعدله متاع ! . . .

واسترجعت نفسى ، واستأنيت فكرى ، ولم أصدق ما قالوا فأنا أعرف بالأزهر ، وألصق بشيوخه ، وأخبر بمناهجه ، وأعـلم بطلابه ، وهم جميعاً ليسوا فى شىء مما يصفون ، وإن بدت ظواهرهم لماعة خداعة ...

فكلية اللغة قالوا لها يوماً ، كونى على العربية حارساً ولها رائداً ، ثم باركوها بالعناية ، وغذوها بالرعاية ، وحبوها بالجاه ، وعززوها بالإيثار ، وجعلوها مطمح الأنظار ، واستخلصوا لها من الطلاب أنجبهم وأمكنهم ، وأغزرهم ثقافة وعلماً ... ومضت عجلة الحياة مندفعة إلى الأمام ، مسرعة الخطـا ، فأصاب التطور والتقدم شتى مرافق مصر ، ولـكن كلية اللغة لم تؤت ثمارها ، ولم تبلغ أكلها ، ولم تحقق أمل الناس فيها ، فتوارت عن الأنظار ذلك لأن المشرفين عليها بالأمس واليوم ، جعلوا من عقول بنيها آلات لرصـد الآراء ، ومذكرات لتـدوين الحواشى ، وسجلات لحفظ الهوامش ، وحفظة على كتب الأوائل ، غثها وسمينها ، خبيثها وطيبها . . . ثم قالوا لهم ، هذه حدودكم فـلا تتخطوها ، وتلك آراؤهم فلا تناقشوها ، فوجد الطلاب أنفسهم مضطرين لدراسة قواعد لا تتمشى مع الذوق ، ولا تستقيم مع المنطق ، ولا تنهض على أسس سـليمة من الفـكر الصحيح والنظر السليم ، والرأى الثاقب ، والبحث العميق ، وتصطدم مع واقع الحياة اصطداماً مراً ، ثم وجدوا أنفسهم مسيرين فى إضفاء القداسة على أشخاص المؤلفين ، لا ينقص لهم رأى ، ولا تنقض لهم قاعدة ، مع أنهم بشر أياً كانوا ، يخطئون ويصيبون على السواء فـكان الإيمان المطلق ، وما أكثر ما يجنى الانقياد الأعمى على حقائق الأشياء !

وأنا حين أعرض لهذا المعهد بمثل هذه الصراحة ، لا يعنمنى غل فى النفس أو مرض فى الرأى ، أن أعترف أن فيما يدرس هناك ، كتباً لها قيمتها واعتبارها ، ولها مكانها فى عالم البلاغة والأدب ، ويرجى منها كبير فضل لو أتيح لها المدرس الصالح ! .

ولكن ، أين هو المدرس الصالح ؟ ! .. وقد أفقدت السياسة الأزهر صوابه ، فاضطربت فيه مقاييس الأخلاق وموازين الرجال وجعلت منه مجالاً فسيحاً لنعرة العصبية ، وشحناء الحزبية ، فملأ أناس مكانهم فى الحضيض ، وفات الركب آخرون كانت النصفة تقضى ، أن يكونوا فى مقدمة الصفوف ، ولا يرجى من تافه عـلا نفع ، ولا من عزيز امتهن فائدة ! ... والعربية فى كلا

فأعرضا عنها ولم يتفهماها » .

لقد كان ذو النون فى بادىء الأمر متنسكا ينشد الوحـدة ويبتغى العزلة ، ليدرب نفسه على كبح رغباتها حتى تغلب عليها ، فسـار فى طريق التوبة والتطهر حتى من الله عليه بهبة المعرفة فأصبح فى آخر الأمر صوفياً عارفا بالله . وقد وافاه الأجل بمدينة الجيزة سنة ٢٤٥ للهجرة . ومما يروى عن جنازته أن كان الطير تتجمع فى السماء وتظلل نعشه . وأنه بعد وفاته ظهر على قـبره مكتوب : ذو النون حبيب الله ، من الشوق قتيل الله .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

الحالين هي الخاسرة ، والطلاب هم الضحايا ! !

وإذا كانت الصراحة رائدى ، فأنا أجد فى نفسى الشجاعة لأقول : أن هيئة التدريس فى كلية اللغـة أجالاً ، لا تتناسب وجـلال المعهد وعظم رسالته ، وما يرجو له المخلصون من بقاء ودوام . ولست أعرف فيما أذكر من كليات مصر والعالم ، أن هيئة تدريس جامعية ، لا يجيد أساتذتها أكثر من لغتهم التى ولدوا بها ، غير كلية اللغـة ، وتلك نقيصة ما كنت أحب أن يوصموا بها ، فى عالم أضحى كتلة واحدة ، وتلاشت فيه الحدود والحواجز ، ولم يعد فى طوع شخص مثقف ، أن يستـقل فيه بفـكره وآرائه ، بعيدة عن مؤثرات الفـكر وتياراته العالمية !...

وتستطيع أن تلمح أثر هـذا التقصير واضحاً ، فى متابعة ما يؤلف من كتب ، وما يصدر من صحف ، وما ينشر من بحوث وما يدور من مناقشات ، هل تحس لهم كلة ، هل تسمع لهم رأيا؟ سؤال ما أظنه يحتاج إلى جواب !

كان فى وسع الأزهر أن يتلافى هـذا النقص ، وأن يدفع عن نفسه هذه المعرة ، لو مد يده إلى الأدباء والمفـكرين ، ممن بنوا مجدهم العلمى على أسس متينة ، وبجهاد مضن ، وما عليه من بأس ، فـكل جامعات العالم تسد نقصها . لما تجد من أساتذة متخصصين أنى وُجدوا . والعالم لا وطن له ، والحقيقة واحدة ، وإن تعددت المذاهب والأجناس والأوطان !

ولـكن . . لأمر ما ، رفض شيوخنا أن يعترفوا بالنقص ولغيرهم بالفضل ، فآثروا السكوت والعزلة ، وضربوا حول أنفسهم حاجزاً حصيناً ، وأقاموا دون العالم سداً عالياً ، لا ينفذ منه شعاع الفكر الحديث ؛ ولا يخترقه صدى المعرفة الحقة ، لا يتقدمون ولا يتطورون ، ولا يؤثرون ولا يتأثرون ... وتلك طلائع الموت وبشائر الانحلال !

* * *

وهمس فى أذنى آخرون ، يستحثوننى فى اللحاق بدار العلوم وينسبون لها من المزايا والفضائل ما عرفت وما لم أعرف ، ومَن يدرى فقد لا أعرفه أبداً ، لأنه ليس هنـاك ، وإنما هو وليد التعصب الأصم ، والخيال المفرض ! ...

قالوا إنها مهذبة منظمة ، مرتبة منسقة ، سخية فى المـال ، شهية فى الطعام ، لن تجد فى دراستها تعباً ولا نصباً ، ولا رهقاً ولا وصباً ، ووجدتنى أدير ظهرى مرة أخرى ، فأنا عارف بما هناك

قد تكون دار العلوم جميلة المبنى ، لطيفة الموقع ، نظيفـة المظهر ، لامعة البناء ، فاخرة الرياش ، ولـكنها وا أسفاه أيضاً ! أزهرية التفـكير ، جامدة الشعور ، لا تربى دراسـتها فناً ، ولا تعلى ذوقاً ، ولا ترهف حساً ، ولا تنمى خيالاً ، وإنمـا تنتج مدرساً صالحاً طيعاً ، لحفظ القـانون ، ويجيد قواعد التربية ، ويطبق منشورات الوزارة ، ويحسن حفظ النظام فى صفوف التلاميذ ! ...

* * *

لن أذهب إلى الأزهر ، لأنى سأكون أكثر من أستاذى علماً ، وأوسع ثقافة ومعرفة ، فأنا أجيد لغة ، وفى طريق لإجادة الثانية ، وهو لا يعرف إلا واحدة ؛ وأنا ألم بالحركة الفكرية الحاضرة ، ممثلة فى الصحافة والإذاعة والمحاضرة ، وهو ليس على شىء من ذاك ... ولن أذهب إلى دار العلوم ، لأنها مصنع مدرسين ، وأنا لا أريد أن أصبح مدرساً ناجحاً ، بقدر ما أحرص على أن أكون مفـكراً حراً ، ولا أحرص على شىء أكثر من حرصى على المعرفة الطليقة ، التى لا تتأثر بالمذاهب والأشخاص ، قدر تأثرها بالمنطق والإقناع ! ...

ولا يعنينى من الحياة ، إلا أن أعيش مع أولئك الخالدين من عباقرة الإنسانية فى مختلف فنونها ، مصورين ومثالين ونحاتين وأدباء وشعراء وموسيقيين ، ممن أعلوا من قيمة الإنسان وقدره وجعلوه جديراً بما أكرمه من الخالق من مزايا وصـفات ! ..

* * *

بقيت كلية الآداب ... وهى ثرية مترفة ، ناعمة مرهفة ، تتأفف عن أمثالى ، من الغلابى فى دنيا الجاه والمال ، الفقراء فى عالم السـادة والسلطان ، فهى تقيم الحواجز ، وتصـنع العقبات . ولعلها ثائبة إلى رشدها يوماً ... عافاها الله !

وبعد ... فأين أكمل تعليمى ، وفى أى مهد تستقر روحى ، وعلى أى أساس أختط نهجى ؟ ...

أنا حائر ... فهل عند أحد من جواب ؟ !

الطاهر أحمد مكى



«الاتجاهات الفنية الحديثة» (*)

للأستاذ محمد بك ناجي

يشاء الله لنا أن نعيش ليختبرنا بهذه الأوقات كي نستحق مصيراً أجل وأعظم. لهذا حشدنا جميع قوانا في خدمة غرض نبيل، وانبعثت همتنا للكفاح في جميع الجبهات في نفس الوقت. فلتزد من هذه القوى، ولتضاعف وثباتنا، فليس في حوزة الفرد أكثر ما تجمع له من الوسائل. ولقد ظلت الروح أبداً مكرسة للنصر.



تجار الجلود في الحبشة — من تصوير محمد بك ناجي
(عرضت في معرض البندقية الدولي للفنون الجميلة)

انظروا إلى الحرب الأخيرة وتساءلوا عما إذا كان جنود الأمم المتحدة قد تجردوا من تذوق الجمال الذي كان يسري في مظاهر فنهم بمدينتنا القاهرة. لكي يكلل السلاح بالنصر لا يكفي صوت المدفع وحده؛ فإن الحلفاء قد عبأوا مصوريهم ومثاليهم ليعبروا عن حيويتهم. قد دعيت مصر للاشتراك في معرض البندقية الدولي للفنون الجميلة، وهو حلبة سبق أوربية يضرب كل فيها بسهمه. ومصر ساهمت بجرأة بدورها في هذا المضمار. حقاً أنها وصلت إلى الصفوف الأُلى وهي تلهث؛ ولكنها أقرت مكانتها في مجمع الأمم. وإنا لنتقدم بشكرنا إلى إيطاليا صانعة السلام الذي يوفق عن طريق الفن بين المصالح المتضاربة المتباينة.

في البندقية، المدينة الغناء، التقت جميع الأمم. وقد ظفرنا بمثل هذا الامتياز أثناء الحرب؛ وبعدها احتفظت به القاهرة فأمست عاصمة الفنون في الشرق الأوسط، وظلت حريصة على هذا التقليد. ومن أجل هذا ستخطى إيطاليا التي تنزلنا اليوم بجناحها الفخم بنفس حقوق الضيافة في قصر المعارض بالقاهرة، في العام القادم.

وقد شئت أن أحدثكم عن مدنية أوربية باهرة يقول البعض آسفاً إن الشيخوخة قد دبت فيها — ومعرض البندقية يقدم إلينا صورة جلية. قد تثير أسباب الكوارث قلق المؤرخين؛ ولكن



قافلة من الحمير — من تصوير محمد بك ناجي
(عن معرض البندقية)

العلوم الزاخرة، والحرية الوافرة، والفردية الواسعة، ثم الكبرياء، والرغبة العابثة في خلق عالم مجرد من الطبيعة لا تقلقنا، ولكن فضيلة التواضع التي تنقص الفنان هي الباعثة على انحلال فنه.

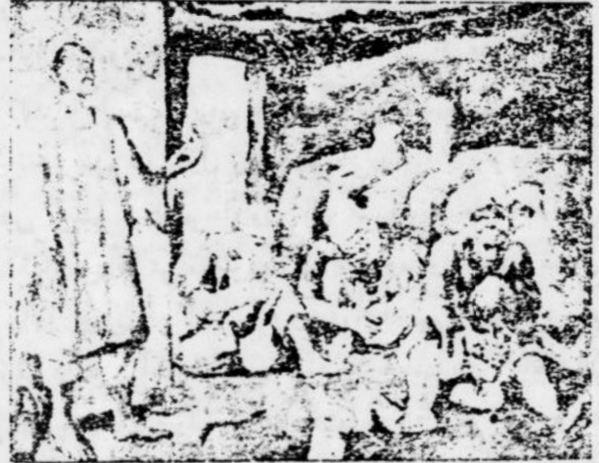
وإمعاناً في التدقيق، إليكم المراحل التي اجتازها الفن المعروف بتصوير «المرئيات»

تتضمن أولى هذه المراحل إبراز صورة المرئيات مباشرة بطريقة

(*) «نص الخطبة التي أذاعها الفنان الكبير محمد بك ناجي مدير الأكاديمية الملكية المصرية بروما، والملحق الثقافي بإيطاليا، بمناسبة افتتاح معرض البندقية الدولي للفنون الجميلة حيث مثل مصر.»

ساذجة . أما الثانية فتقتبس العناصر الطبيعية لإبداع الطبيعة من جديد . وتطمح الثالثة إلى تكوين عالم لا يمكن تصوره مستقلا عن عالمنا المعقول .

والرأى عندنا أنه يمكن أن نحدد بين قطبين ما ينتاب عالم الفنون من الاضطراب البالغ : أولهما المحسوس وهو نقطة ارتكاز الفن التصويرى أو المرئى ، والآخر المجرد ويثير في النفس برموزه وإشاراته المعانى والارتسامات .



صناع الخزف — من تصوير محمد بك ناجى
(عن معرض البندقية)

وتطرف الفن المعاصر وجموحه شبيه بتحرير الفرد من الأوضاع القائمة . والنشاط الروحى الرفيع لا يقبل بطبيعته أى مبرر؛ إذ هو حادث مستقل لا يخضع لسواه أو يمكن استخدامه كأداة . إزاء هذه الانقلابات الطارئة على الفن بفعل التفكير الفلسفى المتضارب ، وما تقدمه لنا مذاهب مثل : « ماوراء الطبيعة » (الميتافيزيقية) ، « والتجريدية » ، « وما فوق المحسوس » (سير رلست) ، « والاستبطانية » (فرويدزم) ؛ لا يعدو واجبنا غير الإلمام بهذه التيارات التى تعتبر أدبية أكثر من أن تكون فنية : أما الأخذ بها والجرى عليها فتروك للأذواق والميول . ولا يخفى أن حب البشرية والدين والتقاليد والوطن ليست موضوع ما يعرف « بالفن الدولى » وهذه العوامل المذكورة التى خلقت للانسان أجل تراث ما تزال تفعل فعلها فى بعث نهضة الشرق . ولسوف يظل الشرق للجميع مستودعاً روحياً زاخراً ليعالج مرة أخرى هذه الوثنية يسمى عالم الفن للتحرر منها .

هذا ما يلقيه علينا معرض البندقية من الدروس ، وإنا لجد عارفين له بالجميل .

محمد ناجى



من شئون الحرب في الإسلام :

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدى كرب : صف لنا الحرب ، قال : مرة المذاق إذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن نـكل عنها تلف .

وقال هشـام بن عبد الملك لأخيه مسلمة : هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ قال ما سلمت من ذلك من ذعر نبه على حيلة ولم يغشنى ذعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه والله البسالة .

وسئل بعض أهل التمرس بالحرب : أى المكائد فيها أحزم ؟ قال إذكاء العيون ، وإفشاء الغلبة ، واستطلاع الأخبار ، وإظهار السرور ، وأمانة الفرق ، والاحتراس من المـكائد الباطنة ، من غير استصغار لمستنصح ، ولا استناد لمستغش ، واشـتغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره .

وكان بعض أهل التمرن بالحرب يقول لأصحابه : شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فإن الجبان لا يألوا برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يعدو ما يشـد بصـائركم ، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنـكم معرة الجبان ، وتهور الشجعان ، فتـكون أنفذ من السهم الزالج ، والحسام الوالج . ولـما فتح عمرو بن العاص قيسارية ، سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه علجها أن ابعث إلى رجلاً من أصحابك أكلمه ، ففـكر عمرو وقال ما لهـذا أحد غيرى ، فخرج حتى دخل على العلج فـكلمه فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله ، فقال العلج حدثنى هل فى أصحابك أحد مثلك ؟ قال لا تسأل عن هذا إنى هين عليهم إذ بعثوا بى إليك وعرضونى لما عرضونى ولا يدرون ما تصنع بى ، فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه ، فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه ، فقـال : يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ، ففطن عمرو لما أراده فرجع ، فقال له العلج ما ردك إلينا ؟ قال نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيـكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد ، فقال صدقت عجل بهم . وبعث إلى البواب أن خل سبيله .

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضوان الله عليهما : أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضـل العدة على العدو وأقوى المـكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عـدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ... ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله ... وأسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولـكم . وترفق بالمسلمين ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عـدو مقيم حامى ، الانفس والـكراع ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحداً من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لـكم فتولوهم خيراً ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . وإذا وطئت أرض العدو فبث العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الـكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك فى بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العـدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم ، وتنق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها أحداً بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية ، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومخاتلته وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهـدك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك .

والله ولى أمرك ومن ممك وولى النصر لـكم على عدوكم والله المستعان .قال خالدبن الوليد عليه رضوان الله عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسمى موضع شبر الأوفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنذا أموت حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء . وقالت عائشة رضوان الله عليها : أن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها ، فأف للجبناء فأف للجبُناء .

الوساطة الدولية :

هى تدخل دولة أو شخص تدخلا ودياً فى خلاف قائم بين دولتين أو أكثر لحسم النزاع بما يرضى الفريقين كوساطة البابا سنة ١٨٨٥ بين دولتى أسبانيا وألمانيا لرفع الخصام الذى كان بينهما بسبب جزيرة كارولين ، وقد عرض عليهما البابا فكرة لفض النزاع فوافقتا عليها فى معاهدة عقدت بينهما فى روما .

والوساطة إما أن يعرضها الوسيط على المتنازعين من نفسه أو يطلب إليه ذلك أحد الفريقين أو غيرهما . والوسيط ناصح ينحصر عمله فى فحص القضية المختلفة فيها فحصاً دقيقاً واقتراح ما يراه نافعاً ومقبولا لدى الفريقين .

وقد جاء فى المادة الرابعة من معاهدة لاهاى ما نصه : إن عمل الوسيط ينحصر فى التوفيق بين الآراء المتعارضة وتخفيف الأحقاد التى تنشأ عن الخلاف .

وجاء فى المادة السادسة من المعاهدة المذكورة : إن المساعى الجيلة والوساطة سواء أكانتا بطلب من الدول المتنازعة أم بلا طلب منها لا تخرجان عن حد أسداء النصح ولا تلزمان الفريقين .

والفرق بين الوساطة والمساعى الجيلة هو أن الوسيط يدخل فى المفاوضة تواً ويضع الأسس لحل الخلاف ، أما الساعى لرفع النزاع فيعمل لرفع الخصـام بنفوذه وسلطانه ، دون دخول فى المفاوضة أو وضع أسس للصلح .

والفرق بين الوساطة والتحكيم أن الوسيط ناصح يبسط رأيه للفريقين ويترك لها الخيار فى القبول أو الرفض . وأما الحـكم فحاكم يبرم قرارات حـكمية ، والفريقان مجبران على تنفيذها . وأوضح فرق بين الوساطة والتحـكيم هو أن الوساطة مفاوضة سياسية ، وأما التحكيم فعمل حقوق ، وأن الوساطة تكون فى فى أى مسألة من المسائل المختلف فيها وإن كانت تتصل بشرف الدول وحياتها ، وأما التحكيم فلا يشمل هذه المسائل .

وأول رغبة فى تحقيق الوساطة كانت فى مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ فقد ورد فى البيان الذى أذاعه المؤتمر : إن المندوبين يرغبون باسم حكوماتهم فى أن تطلب الدول المتنازعة وساطة دولة محبة أخرى أو بذل مساعيها الجيلة فى النزاع الناشب بينهما قبل أن تمتشق الحسام . ثم جاءت معاهدتنا لاهاى الأولى والثانية وبحثتا فى الوساطة والمساعى الجيلة ، وقسمتا الوساطة إلى قسمين: الوساطة العادية والوساطة الخاصة ، فالوساطة العادية جاء عنها فى المادتين ٢ ، ٣ : إن الدول المتعاقدة تتعهد بأن تجنح إلى توسيط دولة أو دول أو إلى طلب مساعيها الجيلة قبل أن تمتشق الحسام ، على أن تكون الأحوال مساعدة على ذلك ، كما أنها ترى من الواجب على الدول المعتزلة (الحيادية) أن تعرض وساطتها على المتنازعين خلال الحرب إذا كانت الحالة مساعدة على الوساطة ، ولا يحق لأحد الفريقين أن يرى هذه الوساطة عملا يناقض المحبة والولاء . والوساطة الخاصة بحثتها المادة ٨ من معاهدتى لاهاى فجاء فيها : إن من الواجب على أى دولة تقع فى نزاع مع دولة أخرى من أجل قضية مهمة أن تختار دولة ثالثة وتخولها حق المفاوضة مع دولة رابعة يختارها خصمها لإعادة العلاقات السياسية التى انقطعت بينهما ، ويجب على الدولتين المتنازعتين أن تمتنعا عن كل خصومة خلال مدة المفاوضة التى لا تتجاوز ٣٠ يوماً إذا لم يكن هناك نص يحدد المدة .

أسامة



أزهري في السوربون :

مما يذكر لمصر عامة وللأزهر خاصة مقرونا بالفخر والإعجاب اليوم الثالث من شهر يولية سنة ١٩٤٨ م ففي هذا اليوم شهدت باريس لوناً من ألوان النبوغ المصري ، وشاهدا من شواهد التطور العلمي في الأزهر الحديث ؛ ففي قاعة «ريشيليو» الكبرى بالسوربون نوقش فضيلة الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة في الأزهر الشريف ، لنيل درجة « دكتوراه الدولة في الفلسفة » ؛ وقد تقدم الأستاذ موسى إلى تلك المناقشة برسالتين ، الأولى موضوعها «الدين والفلسفة في رأي ابن رشد ، وفلاسفة العصر الوسيط» وموضوع الثانية « التوجيه الفلسفي ، أو مابعد الطبيعة ، في القرآن» . وكانت لجنة المناقشة والامتحان مكونة من خمسة أساتذة من السوربون والكوليج دي فرانس كما هو المتبع دائماً في دكتوراه الدولة . وقد رأس لجنة المناقشة البروفسور ليفي بروفنسال ، وشهد الامتحان أيضاً الدكتور طه حسين بك ، كما شهده أكثر من مائتي طالب مصري من طلبة البعثات في فرنسا ، وكان الأستاذ موسى موفقاً كل التوفيق في عرضه لنظريات رسالتيه ودفاعه عن آرائه فيهما ، استمرت المناقشة خمس ساعات كاملة ، ثم أعلنت اللجنة أن الأستاذ موسى قد نال درجة دكتوراه الدولة في الفلسفة بدرجة مشرف جداً والدرجة التي نالها الدكتور محمد يوسف موسى هي أعلى درجة تمنحها السوربون .

وعقب الامتحان أقبل أصدقاء الدكتور موسى من المصريين والفرنسيين يهنئونه على ذلك النصر العلمي الباهر ، وأشاد الدكتور طه حسين بك بفضله كثيراً في تلك البرهة . وقد دعت السوربون الدكتور موسى لإلقاء محاضرات عن فلسفة التشريع الإسلامي في القرآن باللغة العربية .

ألا إن هذا يوم من أيام الأزهر المشهودة ، وإذا كنا نزف التهنئات إلى الدكتور محمد يوسف موسى على ذلك التوفيق الرائع ، فإننا نسأل الله أن يعيده قريباً إلى جامعته الإسلامية الكبرى حتى يشارك مشاركة قوية في السير بها إلى الأمام

أحمد الشرباصي

المدرس بمعهد القاهرة الثانوي

أحسن ما قيل في كلمة أشياء

حكى أن بعض النحاة سئل عن كلمة أشياء فتظرف ، وقال : « إني لا أخالف قول الله تعالى: « لا تسئلوا عن « أشياء . » وما تظرف هذا النحوي ، وأجاب بهذا الجواب إلا وهو يرى أن النحويين — وإن كانوا أجمعوا على منع صرفها — في حيرة من أمر جمعها ، وأمر تعليل منع صرفها .

وقد روى العلامة المحقق شهاب الدين الخفاجي في كتابه طراز المجالس في مبحث هذه الكلمة — وذلك بعد أن نقل عن النحاة إجماعهم على أنها ممنوعة من الصرف . وتعليلاتهم لذلك — روى الخفاجي : أن أحسن ما قيل فيها ، وعد أقرب إلى الصواب هو ما قاله الكسائي ، وأنها جمع شيء كفرخ ، وأفراخ . وترك صرفها لكثرة الاستعمال تشبيها بفعلاء أي بألف التأنيث المدودة ، وقد يشبه الشيء بالشيء فيعطى حكمه كما شبه « أرطى » بألف التأنيث المدوده فمنع صرفه في المعرفة .

ولعل الكسائي يريد بكثرة الاستعمال الوارد في تعليله — أن كلمة أشياء وردت قراءتها هكذا عن الرسول بغير تنوين مجرورة بالفتحة ، وأنه ليس بد من استعمالها هكذا في هذه الحالة ؛ إذ كل النحاة مجمعون على أنها غير مصروفة وإنما اختلفوا في التعليل وعدم اهتدائهم إلى تعليل صحيح لا ينفي أن منع الصرف موجود.

وإلى هنا يتبين أن الأستاذ البشبيشي — في ارتيائه ما رأى من صرف الكلمة — قد خالف إجماع النحاة دون مبرر قوي . فضلاً عن أنه تكلف في التعليل . وعرض علينا تعليلاتهم لهذه الكلمة مقتضبة اقتضاباً لا ينقع غلة .

وإذا ثبت أن النحاة مجمعون على أن كلمة أشياء غير مصروفة، وأن الكسائي علل منع الصرف بأنها شبه فعلاء ، وقوى ذلك

بكثرة الاستعمال ، وعرفنا ما المراد بهذه الـكثرة — إذا ثبت هذا فقد سقط استدلال الأستاذ البشبيشي بالقياس على كلة أفياء.

وإنه ليبدو لى — بعد ما سبق — أن أسأل الأستاذ عن هذه الـكلمة فى الآية القرآنية ؛ فقد وردت كلة أشياء فى الآية مسبوقة بحرف جر . وهو عن ، فلم ضبطت الهمزة الأخيرة بالفتحة ! أليس هذا يدل — دون احتياج إلى كثرة تعليلات ، لا داعى لها — أن كلة أشياء اسم ممنوع من الصرف جر بالفتحة كما هـو المعهود فيه لسبب — من الأسباب المعتبرة فى المنع .

على أنه لو كانت أشياء مصروفة كما يرى الأستاذ لضبطت الهمزة الأخيرة — على الأقل — بالجر من غير تنوين هكذا : « لا تسئلوا عن أشياءِ إن تبدلـكم تسؤكم » وكان هذا كافياً فى التناسب ، والانسجام مع محيطها فى الآية الـكريمة . وكنا وكان النحاة من المسلمين بصرفها ، وما أجهدوا أنفسهم ، وأعنتوها هذا الإعنات الطويل .

ولـكن — يا سيدى الأستاذ — كل هذا لم يكن ، وإنما الذى كان هو أنها جرت بالفتحة ، ودل ذلك على أنها ممنوعة من الصرف ، ولأى سبب كان المنع؟ ذاك هوما أوقع النحاة فى حيرة وجعلهم يختلفون فى أصل جمعها ويذهبون مذاهب شتى فى تعليل منع صرفها ، وإن كانوا أجمعوا على منعها من التنوين .

محمد غنيم

حول بيت :

قال الأديب : أو قرأت قصيدة الجارم بك فى « فلسطين » حين يقول :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست
جباهنا تربها إلا مصـــلينا

ثم أو قرأت من قبل قصيدة شوقى — رحمه الله — فى أندلسيته حين قال :

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم ولا مفـــارقهم إلا مصلينا

قلت : قرأت وعلمت ماتعنى ، ولـكن ماقولك أنت فى قول القائل :

وقوفاً بهـا صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقول الآخر :

وقوفاً بهـا صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

قال الأديب : إن ما قاله الرواة والشعراء فى أمر البيتين صحيح وأن كلا من الشاعرين صادق فى قوله ، أمين فى نظمه ، لم ينقل أحدهما عن الآخر ، ولـكنهما صدرا عن مورد واحد بمعنى واحد

قلت : وإذا كان هذا هكذا فما بالك تشك وتشكك القارئ معك فى بيت الأستاذ الجارم وهو من هو ؟ أو كانت جملة « إلا مصلينا » تلك وقفاً على أمير الشعراء دون أشعر الشعراء ؟

وإذا كان بعض النقاد — قديماً وحديثاً — قد تجاوزوا فى اتفاق بيتين معنى ومبنى ؛ فـكيف يصح الحجر على اللفظ وهو أداة التعبير والأداء ؟ !

وبعد ، فالنقد تذوق وليس بتشدق وتفيهق ، ولا هو رجم بالغيب أو تعلق بالشبهات ، وللشبهات حدود .

الزيتون **عمر نادر**

لا تسألوا عن أشياء :

فى العدد السابق من مجلة الرسالة الغراء كتب الأستاذ محمود البشبيشى كلمة عن « أشياء » وأشار إلى اضطراب آراء النحاة فى أسباب منعها من الصرف ، وانتهى إلى أنها وردت ممنوعة من الصرف فى قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلـكم تسؤكم » بآية ١٠١ من سورة المائدة حتى لا تقع « إن » بعد الهمزة المكسورة المنونة فتتوالى « إن » مرتين ، والأستاذ لا يرضى ذلك بحجة أن القرآن وهو المثل الأعلى للبيان الرفيع لا يجيز هذا التعبير .

فاليه قول الله تعالى : « وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون » فى آية ١٥ من سورة يس ، وقوله تعالى : « وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلى فى ضلال كبير » فى آية ٩ من سورة الملك ، وفى كلتا الآيتين جاءت « إن إن » بهذا التكرار المقبول الخفيف على اللسان « من شيء إن أنتم ... »

ولهذا تبقى كلة أشياء — كما كانت — ممنوعة من الصرف لأحد الأسباب المدونة بكتب النحو ، وقد وردت كلها باختصار فى « حاشية تفسير الجلالين » للجمل عند شرح آيه « لا تسألوا عن أشياء ... » خلافاً لما يتوهمه الأستاذ البشبيشى ولمـا يراه ، وهو مجتهد فى اللغة له أجر على خطئه غير المقصود !

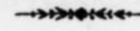
أحمد أحمد العجمى



زعماء الإصـــلاح في العصر الحديث (*)

تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين بك

بقلم الأستاذ محمد خليفه التونسي



أستاذنا الجليل أحمد أمين من علمائنا النابغين الذين ندين لهم بالفضل الكبير في « ريادة » مجهولات التراث الإسلامي وكشف خفاياه ، والذين عبدوا لأنفسهم بجهودهم الخاصة الطرق التي سلكوها إليها فاستقاموا عليها ، وعُرفت بهم كما عرفوا بها . فأعلى القمم في البيئة العلمية التي نبت فيها الأستاذ تتمثل في علم الشيخين الجليلين : محمد الخضري بك ، وعبد الوهاب النجار ، ولكن الأستاذ استطاع أن يرتفع بجهاده الشخصي إلى مستوى فوق أعلى هذه القمم . وهو من أظهر « الرواد » الأكفاء الذين أحسنوا دراسة تطورات الحركات العقلية في التاريخ الإسلامي وأخرجوا محصول دراساتهم في كتب كثيرة تعد في بابها من أوفى المراجع اليسيرة التناول ، وأكثرها دقة ونظاماً ووضوحاً ، ومن أجل ذلك لا نرى كتاباً أخرج بعد كتب الأستاذ في موضوعاتها إلا رأينا فيه استشهادات كثيرة بها ، وإحالات كثيرة إليها ، مما يشهد بفضل الأستاذ وكفايته ، وحسن ثقة الباحثين به وبآرائه .

ودراسة الحركات العقلية الفردية والاجتماعية خير ما تظهر فيه « ملكاته الذهنية الأصلية » فهو يبدو للمتوسم في هذا المجال كالسمكة الجبارة في العيلم الزاخر : سارية في مسبحها في خفة ونشاط عاملة بكل قوتها ، منطلقة بكل حريتها دون تردد ولا بهر ، ودون شعور بالخوف ولا الغرابة . ولم التردد والخوف وهي في « بيئتها » التي خلقها الله ويسرها لها ؟ لقد ألفتها فهي عنها راضية ، وإليها مطمئنة ، وبها ناعمة مهما اعتكر العيلم ، وضاقت أزماته ، وجاشت دواماته ، واشتجرت تياراته ، وأطبقت عليه الأعاصير تناوشه من كل جانب وإن « السمكة » لتبدو هناك في منتهى جبروتها وحريتها وأبرع حركاتها وأجلها . فمن شاء أن يراها في هذه الصورة المتعة فلينظر إليها هناك ، وكذلك من شاء أن يلقى الأستاذ في أكمل أهبة وأمتع صورة فليلقه في كتبه التي درس فيها الحركات العقلية الإسلامية : ففيها يرى ملكاته الذهنية الأصيلة متماسكة في عملها كل قواها ونشاطها واطمئنانها . إنها هنا تعمل في « بيئتها » كأنما « نالهمها » التصرف الواجب « بداهة أو غريزة » دون بذل أي مجهود عقلي في البحث والاختيار . إنها « ركبت » لتعمل هذا العمل ، وإنها لتتكلف فيه كل وسعها ، وتجهد له كل جهدها ، وإن كانت كل كلفها وجهدها خفية لفرط موافقة هذه الملكات لعملها واتصالها به .

ومن يقرأ فاحصاً متدبراً سلسلة الكتب التي أخرجها الأستاذ ودرس فيها الحركات العقلية الإسلامية مثل كتاب فجر الإسلام وتوابعه يجد كل فصل فيها مصداقاً لما نقول .

والكتاب الذي بين أيدينا على نمط هذه المجموعة لا يختلف عنها إلا اختلافاً يسيراً سنوضحه بعد ، وهذه التواليف كلها تسيطر عليها « الروح العلمية » وتستقيم مضامينها على « النهج العلمي » معاً ، وقلما نجد فيها مواضع « محررة » من سلطان هذا المنهج ، وأكثر هذه المواضع القليلة « حلقات مفقودة » في سلسلة البحوث المعروضة لا تتضح « فراغات » مواضعها إلا للمختصين ، و « المنهج العلمي » يوجب على الباحث ترك « فراغ مناسب » لكل « حلقة مفقودة » حتى يعثر عليها هو أو غيره بعد ، وتظل قبل ذلك « مفتوحة » للدارسين .

لا يختلف هذا الكتاب عن « فجر الإسلام » وتوابعه إلا في الغاية التي يرجوها المؤلف منه ، فهو لا يقصد فيما يقدم من معلومات عن هؤلاء المصلحين وإصلاحاتهم أن تُعلم فحسب بل أن تكون حافزاً لهم الشباب إلى الإصلاح والنهوض بأممهم ،

(*) الكتاب ٣٥٨ صفحة من القطع الكبير ، نشرته مكتبة النهضة المصرية بشارع عدلي بالقاهرة ، وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر سنة ١٩٤٨ ، وثمنه أربعون قرشاً

ومن أجل ذلك لا عبرة بأن فصول الكتاب متناثرة ، ولا بأن بعضها نشرت من قبل على « صورة » مقالات فى بعض المجلات ولا عبرة حتى بعنوان الكتاب « زعماء الإصلاح ... » فأنت إذا كتبته « حركات الإصلاح ... » لم يكن عنوانك أقل صدقا فى دلالته على مضامين الكتاب من العنوان الذى اختاره مؤلفه له فهو « كتاب عنى فيه أستاذنا الجليل بدراسة الحركات الإصلاحية التى تتمثل أبرز صورها فى طائفة معظمهم من زعماء الإصلاح الدينى وأقلهم من زعماء الإصلاح السياسى فى الشرق الإسلامى فى الجيل الماضى » ولولا أن هذا التعريف — على قصره — لا يصلح أن يكون عنواناً لطوله لكان أليق عنوان لهذا الكتاب لأنه أصدق تعريف به كما سنقصه . وليسأل نفسه وحدها من يفهم العنوان على ظاهره .

يتضمن الكتاب تعريفاً فمقدمة فعشرة فصول اختص كل منها بزعيم وحوى له صورة شمسية ، فخاتمة .

فأما التعريف ، فبالكتاب وتطور نشره والغاية منه : فموضوعه « سير عشرة من المصلحين الحديثين فى الأقطار الإسلامية المختلفة » فأما أنهم عشرة كما وصفوا فنعم ، وأما أن الكتاب فى سيرتهم أو سيرهم فتعريف فيه « تواضع » من ناحية ومبالغة من أخرى ، كما سنبين بعد . ويفهم من كلام التعريف أن كثيراً منه نشر فى بعض المجلات ، ثم أتم وجمع « ليسهل تناوله ، ويكثر تداوله » وقد أحسن أستاذنا فيما صنع : إذ أرضى بصنيعه الكريم رغبة إليه ملحة كانت تعتلج فى نفوس من قرءوا الأجزاء التى نشرت منه ، ومما يزيد فى قيمة صنيعه أن فى الزعماء الذين تحدث بهم فى كتابه من ليس للقراء علم حتى باسمه ، ومنهم من للقراء به علم قليل مضطرب لا يسد حاجة ولا « يثير » فكراً أو قلباً . والغاية المرتجاة من الكتاب « أن يكون — فيما يصور من حياة المصلحين ونوع إصلاحهم — باعثاً للشباب ، يستثير هممهم ، فيحذون حذوهم ، ويهتدون بهديهم وينهضون بأممهم » وإنها لغاية حقيقة بالتقدير والسعى إليها ، ولا عجب فى أن يصمد إليها « مرب » كأستاذنا الجليل .

وليست هذه الغاية ظاهرة فى فصول الكتاب ، فالمؤلف أعقل وأكرم من أن يظهرها فى فصوله ، وإن كانت حاضرة فى ذهنه وهو عاكف على كتابة هذه الفصول . فمن « وراء » المعلومات التى يسوقها إلينا « معلمنا » الذى لا يعنيه إلا بسط الحقائق « لنعلم » بل قبل التصدى للتعليم وبعيداً عنه : أى فى مرحلة « اختيار » الموضوعات التى تعلم — من وراء ذلك كله يبدو المؤلف موجهاً عقله إلى عقول « تلاميذه ومريديه » وقد انبعث من قلبه حرارة منظورة مجتازة عقولهم إلى قلوبهم حناناً وخفية « لتوحى » إليها إيحاء بالعطف والغيرة على المصلحين وإصلاحاتهم والنفور والتمرد على أعدائهم وأعدائها ، من غير أن يدرك « التلاميذ والمريدون » أنهم فى حضرة «مرب» أو واعظ فالمؤلف «ربى» من غير إخلال بالأصول التى يجب على « العالم » التزامها ، ولا يسلك سبل الوعاظ المفضوحة المقيمة ولا يتكلف حماستهم الزائفة ، فمن « يعلمه » هذا الكتاب فيها ونعمت ، ومن « يربه » فهو أفضل .

وأما الفهرس فتلنا صفحة فى عناوين فصول الكتاب لا فى أعلامه ، ولا فى عناصر موضوعاته ونحو ذلك ، ولا حاجة إليها لما سنبين .

وأما المقدمة فهي لازمة أشد اللزوم لفهم الفصول التى يليها إجمالا ، وهى تمهيد لها ، إذا لم المؤلف فيها إلى نهضة العالم الإسلامى بعد الإسلام ثم سقوطه وجموده ، وما أصابه من محن حطمته وتركت فيه كثيراً من الآثار السيئة ، ثم ما كان من نهضة الغرب واقتحامه الشرق اقتحاماً جعله يفيق من غفلته ، ويحس بعيوبه وبخاصة إلى إصلاحها ، والمؤلف يبين بذلك أن البيئات التى ظهر فيها هؤلاء الزعماء كانت تحس بحاجتها إليهم ويبين أن « أمكنتهم » كانت « فارغة » تنتظرهم ، وأنهم لها وأنها لهم ، لم يقتحموا فيها إقحاماً . ومن ثم يراهم القراء حيث هم دون أن يحس لظهورهم بغرابة ولا حيرة .

وأما الفصول العشرة ، فقد اختص كل فصل منها بزعيم ، والزعماء العشرة هم كما رتبوا فى الكتاب محمد بن عبد الوهاب فى جزيرة العرب ، ومدحت باشا فى تركيا ، والسيد جمال الدين فى الأفغان ومصر وغيرها ، والسيد أحمد خان ، والسيد أمير على فى الهند ، وخير الدين باشا التونسى فى تونس ، وعلى باشا مبارك ، وعبدالله نديم فى مصر ، والسيد عبد الرحمن الكواكبى فى الشام

والشيخ محمد عبده فى مصر . وقد اختلفت حظوظ الفصول من صفحات الـكتاب : ففصل « السـيد أمير على » وهو أقصرها — نال سبع صفحات ، وفصل « الشيخ محمـد عبده » وهو أطولها — نال إحدى وستين صفحة ، وبقية الفصول بين هذين حظاً ، وفى كل فصل درست « البيئة التى نشأ فيها الزعيم المصلح وحاجتها إليه ، وصفاته التى أهلتـه للزعامة فيها ، وما واجهه فى جهاده من عقبات ، وتعاقب عليه من أزمات ، وما صادفه من نجاح وخيبة وأسباب نجاحه وخيبته . كل ذلك قد ساقه المؤلف بأسلوب سديد ، وتعبير واضح ، مع أدب جم فى النقد ، وتقدير قصد فى النقاد .

وكما اختلفت الفصول حظاً من الطول والقصر اختلف حظها من الإتقان والتماسك ، ومن التأثر الخفى بالغاية التى قصدها المؤلف بكتابه .

وأما الخاتمة ، فقد استعرض المؤلف فيها إجمالاً وصف النقلة التى انتقلها الشرق الإسلامى على أيدى مصلحيه ، والفروق بين حاليه قبلهم وبعـدهم ، وما وقع من الغرب عليه من أفـكار ونظم فى استبداده به ، والأزمات الروحية والمادية التى يعانيها الآن ، والتيارات والمذاهب الفـكرية والاجتماعية التى تتـدافع فيه ، والأخطار التى تتهدده ، والأطماع التى تشتجر حوله ، والمشكلات التى تواجهه فى انتظار الحل على أيدى « مصلحين جدد » والشروط التى يجب توفرها فى المصلح ، والشروط التى يجب أن تهيأ له لنجاحه فى إصلاحه .

هذه كل مضامين الـكتاب بإجمال دقيق ، ومن استعراضها يتبين سبب إعراضـنا عن فهم العنوان على ظاهره ، فلم يدرس الـكتاب بالإجمال ولا التفصيل « كل زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » ولا فى الجيل الماضى وحده فضلاً عن الجيل الحاضر ، ولا كل زعماء الشرق الإسلامى فضـلاً عن الشرق عامة والعالم بوجه أعم ، ولا حتى « كل » الزعماء الدينيين فى الجيل الماضى فى الشرق الإسلامى ، بل اكتفى بدراسـة حركات الإصلاح على التحديد المتقـدم كما يمثلها « أبرز » زعمائها ، وهو مع ذلك لم يوجه عناية ممتازة بتصوير « شخصيات » هؤلاء الزعماء البارزين القلائل ، ودراستهم دراسـة بيوجغرافية بل أقنع من ذلك مع أكثرهم بأقل ما يكفل فهم الصلة بين شخصية المصلح وإصلاحاته مع أقلهم بما لا يفيد شيئاً فى فهم هذه الصلة التى لا بد من فهمها وهو يهتم فى دراسة الزعماء أحياناً ببيان بيئتهم وأثرها فيهم ، وبيان ما ورثوا من أصولهم ، ويتمسك بتطبيق ذلك عليهم وعلى أعمالهم وإصلاحاتهم ، ولـكنه يأتى مثلاً فى فصل الشيخ محمد عبده فيعترف بأن نبوغ النابغ يعتمد على عنصرين : استعداده الفطرى وبيئته التى عاش فيها ، ويلتوى على أستاذنا تطبيق ذلك على الشيخ الإمام ، فينفض يديه عنه جملة ، ويقول « إنه هـكذا خلق » (ص ١٨٥) ولا عجب فى ذلك عندنا لأن مجال أستاذنا الجليل الذى تظهر فيه ملـكاته الذهنية الأصلية — كما قدمنا — دراسة الحركات العقلية ، ولا نقول فيه إلا ما قال فى الشيخ الإمام « إنه هكذا خلق » وذلك حسبنا وحسبه أيضاً كى يكون من أعلامنا الذين نفخر بهم ونطاول بهم أمثالهم فى شتى الأمم عن ثقة وجدارة

ليس فى الـكتاب دراسة جليلة ولا تافهة لديفاليرا ولامزاريك ولا طيلاق ولا غاندى ولا تشانج كاى شـيك ولا مصطفى كمال ولا سعد زغلول ولا قاسم أمين ولا أحد من كثير أمثالهم ، وإن كانوا جميعاً من « زعماء الإصـلاح فى العصر الحديث » بل من أبرز زعمائه ، وفيهم ما لا يقل فى عظمته وأثره فينا وقربه منا ، وصلته بنا عن كثير من الزعماء الذين اختارهم المؤلف الـكبير .

وقد خلا الـكتاب — مع أنه تاريخى — خلواً تاماً من ذكر المراجع : فلا إشـارة إليها مفصلة ، ولا مجملة فى حواشى الصفحات ، ولا تمديد لها فى أول الـكتاب ولا فى آخره ، ولا فى أوائل الفصول ولا أواخرها ، ولعل غاية المؤلف من كتابه هى شفيعه فى هذا السكوت ، فهو كتاب موجه إلى الشباب كى يثير حميتهم ، ولا حاجة مع هذه الغاية إلى ذكر المصادر ، لأن «الثقة» بما يقول « المربى » أمر مسلم به لدى « التلاميذ والمريدين»

ولعل لسكوته سبباً آخر شافعاً له : فقد نشرت فصوله من الـكتاب فى صورة مقالات فى إحدى المجلات للقارىء المعجلان ، ثم جمعت المقالات المنشورة وأضيف إليها مثلها فاستوت كتاباً ، ولا ضرورة مع القارىء المعجلان إلى ذكر المراجع أيضاً ، إذ كل ما يعنيه أن « يعلم » وقد « يثار » بذلك وحده ، ولا حاجة إلى المصادر لا فى « التعليم » ولا فى « الإثارة » ولا بعينه مرجع

علمه وثورته للبحث بنفسه بعد ذلك استزادة من العلم والثورة .

غير أن ذلك كله لا يمنعنا من ملاحظة نصوص حصرها أستاذنا بين أقواس ، ولا شك أنها من كلام غيره ، ولا ذكر معها لأصحابها فى المتن ولا الحاشية (مثلا ص ٣٩) كما أن هناك نصوصاً حصر أولها وأطلق آخرها وذلك يحير القارىء فلا يستطيع أن يميز كلام المؤلف من كلام غيره (ص ٣٩) .

وقد تنفر « الثقة » و « المجلة » السكوت عن المصادر كما أسلفنا ، ولكنى لا أدرى أتغفران للمؤلف أيضاً أن ينطلق فى إيراد خواطر على لسان مصلح دون أدنى إشارة إلى اقتباس نص له ولا استشهاد بوائمة تاريخية عليه تؤكد لأهل « الثقة » وأهل « المجلة » مما أن المصلح كان يفكر على النحو الذى قيل على لسانه للتفرقة بين أسلوب القصاص وأسلوب الباحثين (أنظر ص ٤١ — ٤٢ ، ص ٤٥ — ٤٦) .

إن لكل كفاية مزيتها وخطرها ، وقد تحدثت قبل بكفاءة أستاذنا فى دراسة الحركات العقلية ، وجودة سبيح ملكاته الذهنية الأصلية فى عيلمها الزاخر مهما اعتاصت مساربه ، ولعل هذه الرغبة فى السبح هى التى أدت بها — فى دراسة الحركة الوهابية — إلى تناول الحالة الدينية فى الشرق الإسلامى عامة ، وإلا فهل يمكن أن نسلم مهما بلغت « ثقتنا » وبلغت « مجلتنا » — بأن محمد بن عبد الوهاب فى جزيرة العرب كان يعرف « فى مصر شجرة الحنفى ، ونعل الكُلْشَنى ، وبوابة المتولى » (ص ٩) أو هل تأثر بهذه « المقدسات » وإلا فما الداعى إلى الحديث بها فى دوافعه إلى الإصلاح ، والحديث بغيرها فى غير موضعه (مثلا ص ١٢٩ — ١٣٠) .

وأستاذنا الجليل — غفر الله له انتصاره للعامية — كتب بالعربية منذ عشرات السنين ، فهو كاتب « منقوع » فيها ، ومن أجل ذلك وجب علينا أن نعرف له حق « المجتهد » فى « سك » تراكيب جديدة فيها ، ولو لم ترد « المعاجم » بها ، ما دام لها مبرر « ذوق » يحسه الأديب . مثال ذلك قوله « مازجا التصوف بالفلسفة بالهيئة بغير ذلك » (ص ٦٣ ومثله فى ص ٣٠٩) وقوله « غيورون » (ص ٣٥٥) والمعروف أن جمع غيور غُيُرُ . وأنا أحمل تبعة هذا وما إليه مع أستاذى الكبير .

وقد وردت تعبيرات أخرى لا أدرى رأى القراء فيها ، فأستاذنا يستعمل « السِّلْم » مذكرة (ص ٣٥٥) وما أعرفه — وليس بين معجم — أن السلم مؤنثة كما وردت فى القرآن « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » فهل يجوز تذكيرها ؟ ويقول « صورة للسيد جمال الدين أهداها الشيخ محمد عبده .. » (أنظر الصورة أمام ص ١٠٠) والذى أعرفه أن أهدى يتعدى لثانى مفعوليه بإلى أو باللام . ويقول « فمن أراد الحق كاملا وإلا لا » (ص ١١٠) وأعرف القول « وإلا فلا » (أنظر أيضاً ص ٤٤ ، ٢١١) .

وفى الكتاب مواضع موازنة بين شيئين أو أكثر لبيان وجوه الوفاق أو الخلاف ، غير أن ما قيل فى الموازنة لا « يوضح » هذه الوجوه توضيحاً حاسماً ولا شبه حاسم (أنظر الموازنة بين محمد عبد الوهاب ومدحت باشا وجمال الدين ص ٥٧ ، والموازنة بين ابن خلدون والكواكبى ص ٢٦٣) .

أما بعد فنحن نتوجه إلى أستاذنا الكبير بالتقدير والتحية ، شاكريه على ما أسدى إلينا نحن الشباب من فضل بهذا الكتاب القيم الممتاز من وجوه عدة ، راجين الناشئة أن يقرءوه كى تتحقق الغاية التى ارتجاها أستاذنا لهم منه . وإنهم لأهل أن يستزيدوه من أمثاله ، و« كل يعمل على شاكلته » و « كل ميسر لما خلق له » و « الله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

(القاهرة) **محمد خليفة التونسى**

عصر سلاطين المماليك [1]

تأليف الأستاذ محمود رزق سليم

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

بقلم الشيخ محمد رجب البيومى

عرفت صديقى الأستاذ الجليل محمود رزق سليم — أول ما عرفته — شاعراً مطبوعاً ، ينظم القصائد العامرة فى شتى الأغراض الوطنية والاجتماعية والعاطفية ، ولقد قرأت له منذ أمد بعيد ديوانه الرائع « وحى الربيع » فأعجبت بديباجته المشرقة وتفكيره المستقيم ، وعاطفته الدافقة الجياشة .

وعرفته – ثانياً — أديباً منصفاً يسوق آراءه الناضجة ، معتزة بأدلتها المقنعة ، وبراهينها الدامغة ، وذلك حين قرأت له منذ سنوات ، مصنفة ، القيم عن الأدب الفاطمى وما يليه ، فراقنى منه إيجازه البليغ ، وتحليله الدقيق ، ونماذجه الجيدة المختارة من حر القول ، وما نور البيان مما يدل على ذوق محمود ، وطبع سليم .

وهأنذا أعرفه — للمرة الثالثه — مؤرخا دقيقاً يكتب عن حقبة مظلمة من التاريخ المصرى ، فيكشف القناع فى براعة ، ويميط اللثام فى إقناع ، فلقد قرأت كتابه الأخير « عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى » فخرجت منه بذخيرة ثمينة من الحقائق التاريخية ، كانت مخبوءة عن الناس ، مستورة فى غواشى حالكة من الإبهام ، حتى جاء المؤلف فاستنطق المخطوطات العتيقة وقرأ المطبوعات المديدة ، وتنقل بين المكاتب العربية باحثاً فاحصاً ، وقد حالفه التوفيق فأصدر موسوعة حافلة عن هذا العصر الغامض ، تقع فى أربعة أجزاء ضخمة . بلغ القسم الأول منها — وهو الذى نقدمه الآن — سبعمائة صحيفة دافقة بالمعلومات الغزيرة ، فى تركيب سلس وترتيب دقيق .

ولقد وفق الأستاذ محمود فى إختيار هذا العصر بذاته ، فقد مر به الكاتبون عابسين كالحين ، ومن ألم به منهم إلمامة يسيرة ، قسا عليه قسوة عاتية فى حكمه ، فجرده من المحاسن ، ووصمه بما هو برىء منه ، وذلك ما دفع المؤلف إلى كتابة موسوعته الحافلة فأسهب واستطرد ، وناقش وجادل ، وعلل وحلل ، ثم أصدر حكمه النهائى تنطق أدلته بالحق ، وتعترف أسانيده بالصدق .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه عن هذا العصر المغبون « ولقد راعنى ما أصابه من جفاء ، وهالنى ما ناله من صد ، وما رمى به حينا من أنه عصر ظلمة وتأخر ، وانحطاط وتقليد مع أنه جليل الخطر ، عظيم الأثر ولم تقدم لنا منه الكتب الحديثه إلا صبابة لا تنقع غله ، وغلالة لا تروى طالب نشوة ، لذلك أحببت أن أدرسه ، وأطيل الوقوف بمعالمه حتى أصل إلى قرار الحق فيه ، وعولت على الرجوع إلى ما كتبه بنوه الذين عاشوا فيه ، آتيا البيوت من أبوابها ، فهم أصدق حديثاً ، وأقرب مرجعا ، وأجمل نجوى ، وأغرانى البحث والقراءه حتى وجدتنى غارقا فى محيط من مؤلفات لا عدد لها ، فيها الفنية لكل أديب ، والمنهج لكل ناهج ، وهى كالبحر لا ينضب معينه ، وكالسيل لا تغيض عيونه ، حينئذ انبهرت عينى ، وماجت الآمال فى نفسى موجا ووددت لو استطعت أن أضع موسوعة جامعة فى أدب هذا العصر تكون معه للقارىء بمثابة المائدة الشهية التى تضم ألف طعام وطعام .. »

ولقد قصر المؤلف هذا الجزء على التاريخ السياسى للعصر المملوكى ممهداً له بكلمة موجزة عن التاريخ المصرى من العهد الفرعونى إلى عهد المماليك ، ولجأ إلى الإسهاب حين تكلم عن أصل السلاطين ، وكيف انتقل إليهم الحكم من الأيوبيين ، ولم يترك من رجال الدولتين (البحرية والبرجية) مملوكا حاكما دون أن يخصه بترجمة وافية مذيلة بالمراجع التى ورد إليها الكاتب ، وقد اهتم كثيراً برجال السلطنة البارزين كالظاهر بيبرس وقلاوون والغورى وطومان باى ، ثم عرج على نواب السلطنة فأفرد لهم أكثر من مائتى صحيفة تنطق بأعمالهم البارزة ، وتسجل على المحسن إحسانه ، وعلى المسىء إساءته فى دقة وشمول .

على أنى أخالف الأستاذ فى ناحية هامة تشيع فى مؤلفه ، فقد حرص كل الحرص على أن يترجم لكل من ولى السلطنة أو ناب عنها وكذلك من تحدث عنهم فيما بعده من القضاة والخلفاء وفى هؤلاء جميعاً من لا يستحق أن يكتب عنه سطر واحد ، حيث كان فرداً عاديا ، لم يخلف أثراً ، ولم تحدث فى عهده من المفاجآت

(١) الجزء الأول . مجلدان فى ٧٠٠ ص

السياسية ما يدعو إلى الحديث عن زمن ولادته ، أو مدة حياته ، أو آونة وفاته !! وإنما ولى وعزل وكأنه لم يولد ، فلم إذن نتعب أنفسنا فى تراجم أصنام آدمية ، قذف بهـا الزمن فى قرار سحيق !!

ومن المؤرخين من يسهب فى الحديث عن الحكام والرؤساء دون أن يتعرض للحياة الاجتماعية فى العصر الذى يؤرخه ، وكأنه يؤمن بأن تاريخ الشعب يتمثل فى تاريخ ملوكه ، ولكن الأستاذ محمود رزق يفطن إلى خطأ هذا الوهم ، فيخص القسم الثانى من الكتاب بالكلام عن الناحية الشعبية ، فيتعرض للتقاليد والعادات التى شاعت فى المجتمع المصرى ، إذ يصف حفلات الزواج والمآتم والختان ، ويتحدث عن ليـالى السمر وأيام الأعياد والمواسم ، وخروج المحمل وعودته ، كما يعتنى اعتناء تاما بأخبار النيل والفيضان فيتحدث عن الجسور والترع والمقاييس، ويميل إلى وصف الاحتفال بوفائه السنوى ، وإن كان المؤلف لا يجيد — أيضاً — عن استقصائه الشامل فهو يملأ أكثر من عشرين صحيفة بأرقام الصعود والهبوط وتواريخ الزيادة والنقص ، وهذه مغالاة لا تفيد القارىء فى شىء وما دامت هذه الصحائف المديدة تسير على وتيرة واحدة فيكفى أن يسطر الكاتب نموذجا مختصراً منها على سبيل المثال !

ولا أكتم إعجابى بالفصل القيم الذى كتبه المؤلف الفاضل عن القضاء فقد استقاه من أصفى المراجع ، وأبدع فى عرضه إبداعاً عجيباً ، فوصف جلوس السلطان للقضاء ، ونظره فى المظالم والخصومات ، ودلف إلى حقه الشرعى فى مصادرة الأملاك ، وتدخله الرسمى فى أحكام القضاة ، مبيناً بعض ما حدث من مشادة عاتيه بين الحاكم والمحكوم ، ثم انتقل إلى القضاء الشرعى ، وكيف اختص به الشافعية بادىء الأمر ؟ ثم اشترك فيه علماء المذاهب الأربعة على السواء ، وما شعور الشافعية إزاء ذلك ؟ ومن هو صاحب الحق فى العزل والتعين ؟ وكيف كان يحدث ذلك ؟ وبعد جولة ممتعة فى هذا المضمار ، ختم فصله الجيد بطائفة من التراجم الموجزة لأعلام الفقه والتشريع ، كل ذلك فى سلامة ووضوح .

ولقد كان الأستاذ منصفاً كل الإنصاف حين تعرض إلى محاسن هذا العصر ومساوئه فذكر من الأولى صد الهجمات المعادية من التتار والإفرنج ، ورصد الأوقاف وبذل الأموال ، والثانية احتقار السلاطين للشعب وإهمال حقوقه السياسية وفداحة الضرائب وانتشار الجهل والأوبئة والزلازل ، وذلك جيل من باحث متحمس كتب كتابة ليمجد العصر المملوكى فدفعته الحقيقة إلى الاعتراف بالواقع المرير .

وبعد فلقد قرأت هذا الكتاب من ألفه إلى يائه ، فرأيت من الواجب أن ألفت الأنظار إلى مادته الغزيرة ومعلوماته الضافية راجيا أن يعمل مؤلفه الفاضل على إنجاز ما لم يطبع من أجزائه فنحن إليها فى ظمأ شديد . جزاه الله عن صبره الدائب ، ومجهوده الشاق أطيب جزاء وأوفاه .

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٨٩ — الاثنين ١٦ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٥١٣

16 em Année No. 789

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi — 16 — 8 — 1948

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧ — ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المصادفة والتــاريخ

للأستاذ عباس محمود العقاد

سبق إلى أذهان الكثيرين من النقاد العسكريين ، فضلا عن سواد الناس ، أن النازيين أحكموا خطط الميادين كلها وفرغوا من إعداد وسائلها قبل هجومهم على بولونيا ، ومنها خطط الميادين الفرنسية والميادين الروسية .

وظل هـذا الاعتقاد عالقاً بالأذهان إلى ما بعد هزيمة ألمانيا واحتلال أرضها .

فلما تم هذا الاحتلال كان أول ما اهتم به الحلفاء جمع الأوراق والأسانيد من محفوظات الدولة ، ولا سيما المحفوظات السرية فى وزارة الدفاع .

فإذا بذلك الظن يتبدد كله بعد الاطلاع على أوراق القيادة العليا ، وإذا بالوثائق المتكررة تدل على أن القيادة العليا فوجئت بعزم هتلر على غزو فرنسا ، وإذا بهتلر نفسه يستعجل هذا الغزو على غير سابقة من البحث فى خططه واحتمالاته ، لأنه كان يظن أن عقد الصلح بعد هزيمة بولونيا ومحالفة روسيا مستطاع ، ولكنه رأى من الحلفاء إصراراً على المقاومة ، وعلم أنه استنفد وسائل استعداده فلا مزيد عليها ، وكلما مضى شهر على الحرب نقصت قوته وزادت قوة الحلفاء حتى تتوافر لهم أسباب الرجحان المحقق فى النهاية .

وفوجئ القادة باستعجاله فمارضوه أشد معارضة ، وأطلعوه على حقيقة الخطر من هذه المجازفة ، ولكنه سلم لهم رأيهم من الوجهة العسكرية بعض التسليم ، وتذرع بما لديه من « المعلومات السياسية » لتصويب البدء بالهجوم على فرنسا من هذه الوجهة .

وجاء دور الخطة التى يعتمدونها فى النفاذ إلى الأرض الفرنسية من وراء خط « ماجينو » ومن وراء الحدود المغلقة .

لم يكن هتلر قد وضع خطة لهذه الغزوة ولا هو الذى وضعها بعد موافقة القواد إياه ، خلافاً لما سبق إلى الظن أيضاً بعد نجاح الخطة على غير انتظار .

إنما كانت هـذه الخطة من عمل « هدلار » رئيس أركان الحرب ، وقد اعتمدها هتلر بعد مراجعتها ، وكانت فى مبدأ وضعها شبيهة بالخطة التى غزيت بها فرنسا من ناحية بلجيكا فى الحرب العالمية الأولى .

ولكن ضابطاً شاباً علم بهـذه الخطة فانتقدها ، وقال إنها مكشوفة يسهل تقديرها واتقاؤها ، ومن الواجب تركيز الهجوم الأكبر على جبهة غير الجبهة البلجيكية الغربيـة ، وهى جبهة « الأردن » ، لأن الهجوم فيها غير منتظر ، والمفاجأة من قبله أقرب إلى النجاح .

اسم هذا الضابط الشاب فون مانشتين ، وقد سخط عليه رؤساؤه لاجترائه على انتقادهم ، وحسبوا أنه يشق طريقه على رؤوسهم إلى ثقة هتلر وإعجابه ، فنفذوا الخطة مضطرين لأنها

أصابت هوى من هتلر ، وأبعدوا الضابط الشاب عن كل مشاركة في تنفيذها .

ولم يكن هذا التحول المفاجئ أول المصادفات في هذه الغزوة الضخمة ولا آخرها .

فقد اتضح من الأوراق الرسمية أن النازيين لم يعرفوا قبل الحرب غاية امتداد خط « ماجينو » على وجه التحقيق ، ولم يعرفوا المواقع التي كانت لا تزال يومئذ في حاجة إلى التعزيز والامتداد ، فدلهم عليها في اللحظة الأخيرة ضابط غوى من هواة تصوير المناظر من الطيارات .

كان هذا عمل المصادفة في أعظم نجاح أصابه النازيون في الحرب العالمية الماضية ، أو كان هذا عمل المصادفة في انهيار دولة كانت محسوبة في عداد الدول العسكرية الأولى .

وليس هذا كذلك آخر المصادفات في الحرب العالمية ، فإن هتلر أقدم على غزو روسيا وهو يقدر أنه سيجتاحها قبل نزول الشتاء ، ولو أنه استطاع أن يوغل فيها قبل نزوله لكان من الجائز أن يتغير مجرى الحوادث في هذا الميدان .

ولكن مصادفة صغيرة حالت بينه وبين التقدم في الميادين الروسية كما شاء في الموعد المقدور .

لأن اليونان رفضت شروط إيطاليا وهزمت الجيوش الإيطالية فاضطر هتلر إلى إرسال فرق من جيوشه إلى ميدان اليونان ، ليستريح من هذه الناحية ويحمي ظهره قبل الإيغال في الأرض الروسية ، مخافة أن يدهمه الحلفاء من خلفه وهو مستغرق في قتال الروس .

ولم تنته المصادفات هنا وهي كافية في تحويل مجرى الأمور ، بل اتفق في تلك السنة أن أمطار الشتاء نزلت قبل أوانها ، وكان نزولها شديداً قارساً على خلاف المعهود في ذلك الموعد من كل سنة

والمصادفات في الحرب العالمية الماضية أكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نزيد عليها مصادفة قريبة منا ، وهي مصادفة العلمين وانسياق رومل إلى مطاردة الحلفاء قبل استيفاء حاجته من الوقود واضطراره إلى هذه المطاردةُ بهذه العجلة اغتناماً لفرصة سانحة لعلها لا تعود .

وشأن الحروب الكبرى في الماضي كشأن الحرب العالمية في عنصر المصادفة . فلولا أن المدد البروسي وصل إلى « واترلو » قبل وصول المدد الفرنسي لكان من الجائز جداً أن يختلف مصير نابليون في ذلك الميدان .

ذلك عمل المصادفة في أعظم حوادث التاريخ .

ولا بد للمؤرخ من تسجيله وإعطائه كل حقه ، لأنه واقع لا يحسن إغفاله ، ولأنه نافع للعاملين وفيه عزاء لهم وشحذ لرجائهم

فأما أنه نافع فلأنه لازم في كل تقدير صحيح .

وأما أنه يوليهم العزاء والرجاء فلأنهم ينتظرون بقية مأمولة بعد استنفاد الحيل وبذل الجهود .

***

ومن هنا كان خليقاً بمؤرخنا الأديب الأستاذ محمود الخفيف أن يطمئن إلى نصيب صاحبه لنكولن من التعظيم والإعجاب ، بعد ما عرف من أثر المصادفة في نجاحه .

فهكذا الشأن في كل حادث عظيم !

وهكذا الشأن في كل رجل عظيم !

وكل مطلع على التاريخ لن يخرج مما كتبناه عن لنكولن بأنه مدين للمصادفة بكل شيء ، ولكنه يخرج منه بأن المصادفة كانت شيئاً في تاريخ حياته وفي أسباب نجاحه ، وكل شيء في تواريخ العظماء وفي أسباب نجاحهم لا غنى عن تسجيله والتنبيه إليه

***

قلنا في قصة سارة إن « الدومينة عندنا أتم الألعاب ، لأن الشطرنج والضامة يعولان على الحيلة ، وكل شيء فيهما مكشوف بعد ذلك ، والنرد يعول على المصادفة والذكاء ، وكل شيء فيه مكشوف بعد ذلك ، والورق إما مصادفة وإما صراع قلما يشبه صراع الحياة . أما « الدومينة » ففيها حساب للمصادفة ، وفيها حساب للتدبير ، وفيها حساب لليقين ، وفيها حساب للظنون ، وفيها حساب للغيب الذي تجهله أنت وخصمك ، وللغيب الذي تجهله أنت ويعرفه خصمك ، أو يجهله هو وتعرفه أنت ، وللعيان الذي يعرفه كل من يشاء ، ولها قوانين تمنعك أن تتحرك على هواك ، ولها حرية تمنحك الخيار بين ما في يديك » .

فنحن لا نريد تاريخاً من الشطرنج ولا تاريخاً من النرد ، ولا ننفي المهارة عن لعبة التاريخ ، لأن لاعباً يمد يده إلى الورق

هؤلاء هم اليهـــود

قديماً وحديثاً وأولا وآخراً

للأستاذ نقولا الحداد

كتب الدكتور محمد عوض محمد بك مقالاً فى مجلة الإذاعة المصرية فحواه : أن هؤلاء اليهود (الأخساء الأنذال) الذين ارتكبوا الفظائع الوحشية ليسوا من نسل إسرائيل . بل هم قوم أجانب (آراميين) تهودوا . وما يأتونه من المنكرات هو من طبيعة سلالتهم لا من طبيعة إسرائيل ، وأنهم لا ينتسبون إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب آباء ذلك الشعب الذى امتاز بأنبيائه وكهانه . فهل يعقل أن ذلك الشعب القديم قد مُسخ هذا المسخ الفظيع ؟ هذا فحوى مقال الدكتور .

والظاهر أن جناب الدكتور لم يقرأ التوراة التى يعتز بها اليهود ، أو على الأقل الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى لكى يعلم أن اليهود هم هم منذ القديم إلى اليوم سواء كانوا من سلالة إبراهيم أو من سلالة اشكيناز . والأستاذ يعلم أن الآداب والأخلاق ليست وراثة بيولوجية بل هى وراثة اجتماعية تحصل من العشرة . فلو وضعت طفلاً زنجياً فى وسط راق متمدن دمث الأخلاق ، لشبّ كريم الأخلاق ، لين الطبع .

فيهود صهيون تطبعوا بطبيعة أشخاص التوراة . اقرأ التوراة تعلم من هم اليهود من عهد نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى سليمان إلى اليوم . وإليك أمثلة قليلة من سلوك بطاركتهم عن آبائهم الذين كانوا يقودونهم .

لما دخل بنو إسرائيل أرض كنعان بقيادة يشوع وأخذوا أريحا أولا بأعجوبة وهى إسقاط أسوارها بالهتاف بالأبواق دخلوها كل رجل مع وجهه ، وحرموا كل أهلها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . يعنى أنهم قتلوهم ذبحاً بالسيف . أنظر سفر يشوع ، الإصحاح السادس ، العدد ٢١ وما قبله وبعده .

بعد ذلك تقدموا إلى مدينة عاى فلما علم ملك عاى بهم خرج بجميع شعبه لمقاتلتهم . وكان يشوع قد وضع كميناً غربى المدينة من ٥ آلاف مقاتل . فلما خلت المدينة من أهلها دخلها هؤلاء فأصبح أهل عاى بين شقين من إسرائيل ، فأعمل هؤلاء السيف فيهم حتى أبادوهم عن آخرهم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالا .

المجهول فتصادفه الورقة التى يريدها ، أو يضع من يده ورقة فتغلق الباب على خصمه ، لأن المهارة فى هذه « الدومنية » صفة معروفة على الرغم من هذا الحظ الذى يتفق لجميع اللاعبين .

***

بقيت حكاية لنكولن وأسلافه .

فالأستاذ الخفيف قد ذكر « أن جدته لأمه كانت تعيش وهى فتاة فى ولاية فرجينيا فى الجنوب ، فأصبحت ذات حمل وإن لم تتزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحمل تضع أنثى ، وكانت هي وحدها التى تعرف والد هذه الأنثى ، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها ، فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم » .

ولكن ليس المهم أنها زلت !

وإنما المهم لماذا زلت ؟ !

فقد كانت عبقرية لنكولن مزيجاً من خصلتين : إحداهما المرح وحب النكتة ، وقد أخذها من أبيه ، والأخرى نهمة المعرفة ، وقد أخذها من أمه وجدته ، وقد كان حب المعرفة نادراً فى الرجال فضلا عن النساء بين المناصرين والمناصرات من أهل القارة الأمريكية . فمن العجب الذى لا ينسى فى تاريخ الرجل أن جدته أقبلت على التعلم الذى لا يطلبه منها أحد ، وقادها هذا الولع بالعلم إلى التعلق بأستاذها ، فاستسلمت له وجاءت زلتها من هذا الطريق !

وذلك هو بيت القصيد !

وذلك ما لم يذكره الأستاذ الخفيف !

ولعلها مصادفة من المصادفات أبعدت مرجع الحكاية من يد الأستاذ الخفيف ... فلن يفلت إذن من حكم المصادفات ! !

عباس محمود العقاد

زد على هذا أن يشوع أحرق المدينة وتركها تلا أبديا خراباً إلى اليوم (أى يوم كتب اليهود سفر يشوع بعد ١٧ قرناً من ذلك المهد).

اقرأ الإصحاح الثامن من سفر يشوع :

ثم تقدم يشوع بقومه إلى مدينة مقيدة وضربها بحد السيف وقتل ملكها وكل نفس حية فيها ، ولم يبق شارداً كما فعل فى عاى وأريحا .

ثم اجتاز إلى لبنة وفعل فيها كما فعل فى أخواتها السابقتين وهكذا اجتاز من مدينة إلى مدينة إلى أن استتب أمره فى أرض كنعان . أنظر يشوع ، الإصحاح العاشر وما بعده .

فترى أن أولئك اليهود الذين فروا من مصر وأمضوا فى برية سينا ٤٠ سنة كانوا يستمدون لهذا التفظيع ثم كانوا ينسبونه إلى أمر ربهم يهوه . ونحن نعلم أن الله تعالى الذى خلق اليهود وجميع الأمم غير اليهود يعتبر جميع الأمم عباده بلا فرق بين إسرائيل وكنعان وعرب وأفرنج ، ولا يمكن أن يأمر بهذه الفظائع ، فما نسبه اليهود إلى الله إنما هو من اختراعهم ، أى اختراع اليهود الذين عادوا من سبي بابل بعد عهد موسى بسبعة عشر قرناً . وموسى ويشوع والله أبرياء من هذا التفظيع .

أما كان حرياً بهم أن يأسروا أولئك الأقوام الذين غلبوا على أمرهم ويستعبدوهم بدل أن يقتلوهم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً كما فعل نبوخذ ناصر ملك بابل حين غزا فلسطين وهو فى ظنهم أنه ليس من شعب الله المختار . لقد كان أشرف منهم نفساً وأحن قلباً . بل كان سبيهم إلى بابل لخيرهم لأنهم تعلموا هناك الحكمة والشريعة فكتبوها فى أسفارهم .

إن هؤلاء الهاجاناه والأرجون واشترن والإرهابيين تعلموا هذه الفظاعات من توراتهم . فلا تبرىء ياد كتور إسرائيل القديم من فظائع إسرائيل الجديد .

هذا من حيث التفظيع ، وأما من حيث المخازى الأخرى فاليك أمثلة منها :

من أمثلة غشهم وغدرهم وخداعهم حكاية غش لابان لابن أخته يعقوب الذى سمى بعدئذ إسرائيل وإليه تنتمى دولة إسرائيل الحديثة الخبيثة . فقد وعده خاله لابان أن زوجه ابنته راحيل إذا خدم عنده سبع سنين ، فخدم ، وفى الميعاد عمل لابان مهرجان عرس لابنته . وبعد أن دخل يعقوب عليها وجد أنها ليست راحيل بل هى لئية أختها . فعاتب خاله فى هذا الأمر . فقال له اخدم سبع سنين أخرى وخذ راحيل . وهكذا كان . (سفر التكوين الإصحاح ٢٩)

وإليك قصة غش أفظع من هذه : كان لإسحق ابنان عيسو البكر ويعقوب . وكانت (رفقة) زوجة إسحق تحب يعقوب أكثر من عيسو أخيه . فسمعت إسحق يقول لعيسو : آتنى يا ابنى بطعام من صيدك لكى آكل وأباركك . فروت هذا الحديث ليعقوب وقالت له أسرع وهات من صيدك لأبيك لكى يباركك ، وكان إسحق ضريراً . فتقدم إليه يعقوب بصيده لكى يأكل ويباركه . فسأله إسحق من تكون؟ قال : أنا ابنك البكر عيسو . وكانت رفقة قد ألبست زندى يعقوب فراء من الماعز لكى تكون زنده كزند عيسو . فقال هات يدك . فجس يده : فقال اليدان يدا عيسو ، ولكن الصوت صوت يعقوب . وباركه . ولما جاء عيسو بصيده قال أبوه : أتأسف أن أخاك سبقك إلى بركة بكوريتك . (الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين)

ولما ضرب الرب صدوم وعموره لارتفاع شرهما إلى عنان السماء ، استثنى لوطاً أخا إبراهيم لأنه كان صالحاً (نسبياً). وفى ذات يوم قالت ابنتا لوط : لقد امحى الرجال من أرضنا فلنسكر أبانا ونضجع معه فيكون لنا بنون . وهكذا فعلتا بالتناوب . (الإصحاح التاسع من سفر التكوين)

وإبراهيم أبو الآباء الذى غمره يهوه ألهه بالوعود ، لما ذهب إلى أرض مصر وكانت سارة زوجته جميلة نخاف أن يقتلوه لكى يغتصبوها منه . فلما علم فرعون بخبرهما استدعاهما فقال إبراهيم : هذه أختى . فأخذها فرعون . وما لبث أن نزل عليه غضب الله وعلم أنها زوجة إبراهيم لا أخته . فعاتبه فى ذلك وردها إليه . (الإصحاح ١٢ من سفر التكوين)

ثم ارتكب نفس هذا الغش حين انتقل إلى أرض جيران وقدم زوجته إلى أبيمالك ملك فلسطين باعتبار أنها أخته فنزل على أبيمالك غضب الرب وعلم أنها زوجة إبراهيم لا أخته . فعاتبه فى ذلك ، فقال هى بالحقيقة أختى من أبى لا من أمى (تكوين

الإصحاح العشرون) (وما الفرق ؟)

وأخذ داود زوجة أوريا قائد فرقة من جيشه وزنى بها فحبلت في غياب زوجها ، فأوعز داود إلى قائد الجيش أن يضع أوريا في مقدمة الجيش لكي يقتل ، وكان كذلك ، ثم تزوج داود المرأة (سفر صموئيل الثانى : الإصحاح الحادى عشر) هـذا هو داود الذى قال الله عنه « وجدت قلب داود كقلبي »

وسليمان الذى منحه الله الملك والحكمة والغنى غرته في آخر ملكه نساؤه السبع مائة ، وسراريه الثلاثمائة الأجنبيات بعبادة الأوثان وبخطايا أخرى باهظـة . فجلبت خطاياه عليه وعلى وطنه عقاباً شديداً (سفر لوك الأول الإصحاح ١١) ولما فرغت جعبته جعل يقول : باطل الأباطيل ، الكل باطل .

ولما سمح فرعون لموسى وقومه أن يهجروا مصر قال(المؤرخ) أوعز الله إلى الإسرائيليين أن يستعيروا من المصريين الحلى من فضة وذهب والثياب لأن عندهم مهرجاناً . وألهم الله المصريين أن يعيروهم . وفى اليوم التالى فروا بها من أرض مصر .

وهكذا ترى أن اليهود بأمر الله (كما يكذبون) يستحلون أموال الأمم الأخرى . فأى إله هذا الذى يعلم شعبه المختار النصب واللصوصية ؟ أتصدق أن هذا الكلام وحى من الله ؟ —

الإنسان شرير قبل أن يكون صالحا . فإذا جاءه تعليم الشر عن يد إلهه اعتبره حقاً حلالاً . فلا تستغرب أن اليهود يستحلون كل الرذائل والقباحات تجاه خصومهم لأن إلههم يهوه علمهم هكذا كما يزعمون .

أرجو أن تعلم يا دكتور أن إله الإسرائيليين ليس الله إله النصارى والمسلمين .

ذلك قليل جداً من كثير جداً مما جاء فى التوراة من مخازى كبار اليهود . فأرجو منك يا حضرة الدكتور ومن كل قارىء أن تلق من بالك أن كل ما كتب فى التوراة هو وحى من الله ، أو أن التوراة كتاب مقدس ، لأن الله لا يوحى بمثـل هذه المخازى ولا تكون قصص المخازى كتاباً مقدساً .

إن أسفار التوراة كتبت بالتتابع بعد رجوع الإسرائيليين من سبي بابل أى قبل المسيح بنحو ٦٥٠ سـنة وبعد خروجهم من مصر بنحو ١٧ قرناً . وإنما هى أساطير أشور وبابل ونينوى ومارى وفارس وعيلام جمعها المسبيون فى مدة سبيهم ولما عادوا إلى فلسطين شرعوا يكتبون هذه الأساطير وما عندهم من أمثالها على هواهم .

وإذا كان بعض طوائف النصارى تقـدس التوراة فلأنها تعتقد أن التوراة تشتمل على نبوءات بمجيىء المسيح .

ولكنى وكثيرين مثلى نعتقد أن المسيح فى غنى عن نبوءات تشهد له . إن حياته القوية وتعاليمه الأخلاقية الشريفة تشهد له وهى شهادة حق . وبعض الطوائف النصرانية لا تضع التوراة بين أيدى أولادها لما فيها من المخازى .

ومتى قرأت التوراة أو الأسـفار التاريخية فيها على الأقل شعرت أن أولئك اليهود القدماء الذين تنسب إليهم البر والقداسة ليسوا أبر من يهود بولونيا وألمـانيا وسائر أوربا . فهؤلاء اطلعوا على التوراة واستقوا منها أخـلاقهم من شره وجشع ووحشية وتقطيع الخ ... ولولا هذا لـكانوا كسائر أهل أوربا أقرب إلى الإنسانية والرحمة وأبعد عن الأنانية .

فأعود وألفت نظرك إلى الوراثة الاجتماعية فهى وراثة أخلاق وآداب فى أثناء العشرة . وليست كالوراثة البيولوجية وراثة دم أو بالأحرى وراثة حيوية .

أرجو منك أن تطالع الأسـفار التاريخية فى التوراة وثم قابلنى . والسـلام عليك وعلى طيبة عنصرك . وأرجو أن تتوب عن الدفاع عن اليهود . فهم قبيل من الناس لا يمكن أن يكون إنسانياً مادام سنده التوراة وبها يدعى أرض فلسطين وطناً ودولة

نقولا الحداد

حول مقال :

الأزهر والإصلاح

للأستاذ سليمان دنيا

قرأت فى العدد ٧٨٦ من مجلة الرسالة الغراء ، مقال الأستاذ الفاضل محمود الشرقاوى ، تحت هذا العنوان ؛ واعتقد أن كل من قرأ هذا المقال القيم قد أحس بروح الكاتب القوية تفيض غيرة على الأزهر ، وحرصاً على أن يأخذ هذا المعهد العتيق حظه اللائق به ، ويتبوأ مكان الصدارة فى هذا الوجود .

واعتقد أيضاً أن حياء الأستاذ الشرقاوى الجم ، الذى هو خلق أصيل فى طبعه ، هو الذى جعله يحسب للقراء من الأزهريين كل هذا الحساب ، حتى افترض على ألسنتهم كل هذه الاعتراضات وظن أن كل جملة فى مقاله ، بل كل كلمة وكل حرف ، سيسأل عنها بـ « ماذا ، ولمه » .

ولكنه رغم كل هذا الحياء المتأصل فى طبعه ، ورغم توقعه أن يسأل عن كل حرف فى مقاله بـ « ماذا ، ولمه » ، لم يطق صبراً على الصمت ، وفى نفسه لواعج الغيرة تحتدم ، ونوازع الشوق الملح إلى إصلاح الأزهر تضطرم ، فأرسلها عالية مدوية ، صريحة معلنة « إن الأزهر لم يصلح ، وإن بينه وبين الإصلاح شأوا بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً » و « ... إن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد » .

ولعل الأستاذ الشرقاوى مبالغ فى كل هذا الحذر ، وفى اعتقاده أن كلماته الواضحة الصريحة التى تفيض إخلاصاً وغيرة ، ستنصرف عن ظاهرها ، وسيطلب لها سر باطن ، مغال فى حكمه بأن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد ، من قريب ولا من بعيد ؛ فمن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر ؛ يجاهدون ما وسعهم الجهد ، لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة ، ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولتهم ، ولكنهم دائبون حريصون . ومن الأزهريين كثير من المشغوفين بالحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، حتى أصبح شغلهم الشاغل ، وهمهم الذى يتذاكرونه فى غدوهم ورواحهم ، وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ، ولهم فى هذه السبيل نشاط مشكور .

***

وإذا كان فى مقال الأستاذ الشرقاوى ما يستحق العتب ، ففيه ، ما يستحق المدح والثناء ؛ ذلك هو تصويره الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر ، تصويراً جمع بين إشراق الديباجة ، ووجازة اللفظ ، وسرف القصد ونبل الغاية .

أرأيت إلى قوله « ... ليكون الأزهر قواماً على نهضة دينية ، أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ، حتى يقاوم بها ما ينتاش العالم كله ، من إباحية وإلحاد ، » وقوله : وليستخرج فى الأزهر «طائفة من الرجال ، يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم » .

وكثير غير ذلك مما أطلع عليه القراء واستذوقوه واستمتعوا به .

أرأيت إلى هذا الكمال الذى يحرص الأستاذ الشرقاوى كل الحرص على أن يبلغه الأزهر ؟ ! ، وهل وراءه ما يمكن أن يطمع فيه طامع ، أو يأمل فيه آمل ؟ ! .

لكنى أعتب على الأستاذ الشرقاوى مرة أخرى ، حيث قد عدد أهداف الإصلاح العليا على نسق جمع بين حسن الأداء وصدق التوفيق ، ثم عقب قائلا « هذا هو الإصلاح للأزهر ، وهذه سبيله » .

حقاً إن هذا هو الإصلاح الذى تصبو إليه نفوس الغيورين ، ولكن أين سبيله ؟ ! . قرأت مقال الأستاذ الشرقاوى مرة وعاودته مراراً ، فوجدت فيه الإصلاح واضحاً بارزاً ، ولكن لم أجد فيه سبيله ؛ وهل سبيل ذلك إلا مشروع واضح المعالم بين الصوى ، يشخص ماينبغى أن تقوم عليه سياسة الأزهر العلمية : ما يتصل منها بالمعلم ، وما ينبغى أن يتوافر فيه من كفاية ومقدرة وما يتصل منها بالكتاب وكيف ينبغى أن يكون ، وبالدراسة وكيف تؤدى . وما يتصل منها بالطالب وماذا يشترط فيه ، وكيف

براض من جموح ، ويؤلف من شرود ؟ و كيف تمقد بينه وبين العلم صلة تحببه فيه وتصرفه عن كل ما ينافيه .

هذه النواحي جديرة بالدراسة والبحث ، والرسم والتخطيط ؛ كان على الأستاذ الشرقاوى أن يعالجها ببيانه المشرق وهدية الوضاء ؛ وإن له من تتبع سير الأمور فى الأزهر منذ حداثة سنه ، ومن اهتمامه بنهضته وإصلاحه ، ودؤوبه على الكتابة فى كل هذه الشئون ، ما يجعله أهدى سبيلا إذا بحث ، وأصدق قيلا إذا كتب ؛ إن من يدعو إلى غاية ثم لا يدل على طريقها يوقع فى حيرة واضطراب ؛ ومن السهل أن تشخص الغاية وتوضح ، وليس من السهل التعرف على أقرب الطرق الموصلة إليها ؛ فليكتب من شاء أن يكتب فى رسم السبيل وتبيين معالمها ، وليكثر من الكتابة فى ذلك ؛ فإن الطريق إذا استبانت واتضحت ، وآمن الناس بأنها توصل إلى ما تصبو إليه نفوسهم من الإصلاح المنشود ، لم تعدم سالكين ، ومن وقتئذ يبدأ الإصلاح يتحقق ؛ أما الاقتصار على ذكر الأهداف والغايات دون الإيضاح الكافى للسبل والوسائل ، فليس من شأنه أن يحقق غاية أو يوصل إلى هدف .

سليمان دنيا

المدرس فى كلية أصول الدين

آلام بيتهوفن

للدكتور فضل أبو بكر

ولد بيتهوفن بمدينة « بون » التابعة لمقاطعة « بروسيا » الشرقية بألمانيا فى السابع عشر من ديسمبر سنة ١٧٧٠ وهو — كما يعلم القارىء — ثالث الثلاثة — «موزار» و « باك » — الذين تفاخر بهم ألمانيا كما أدهشوا العالم فى فن الموسيقى وكان أبوه — كوالد « موزار» موسيقياً بارعاً ولكنه على العكس من زميله نشأ نشأة تعسة فى طفولة بائسة مشردة لقسوة والده عليه ولمعاقرة ذلك الوالد للخمر وإدمانه عليها وهو ما طبع حياة الطفل بطابع التجهم والكآبة منذ الصغر مضافاً إلى ذلك حدة الطبع وسرعة الغضب رغماً عن صفاء نفسه وطيبة قلبه . وقد حكى عنه أنه بينما كان يعزف على عوده قطعة موسيقية وإذا بعنكبوت خرجت من مكمنها وتدلت من نسجها كأنما أطربتها الألحان الشجية فضربتها أمه ضربة أماتتها مما أثار نفس الإبن وجعله يحطم عوده من شدة الغضب .

بدأ نبوغ بيتهوفن فى سن مبكرة كما بدأ يؤلف وينتج فى فن الموسيقى فى الثالث عشر من عمره وهو ما أثار دهشة مواطنيه .

كان « موزار » فى ذلك الحين قد بلغ الذروة فى عالم الفن وقد تملق به بيتهوفن وأعجب بنبوغه وتفوقه فى عالم الموسيقى فلحق به فى مدينة « فينا » فى ربيع سنة ١٧٨٧ يحمل توصية من أحد الكبراء لكى يحظى بمقابلة « موزار » فكان له ما أراد ورحب الفنان الكبير بزميله الشاب الصغير وأكرم مثواه وأراد موزار أن يمتحن بيتهوفن ويتحقق بنفسه عما يذاع عنه من بوادر النبوغ فأعطاه قطعة موسيقية صعبة معقده ورجاه أن يعزفها على البيان فأبدى الشاب من الكفاءة والنبوغ ما حير «موزار» الذى لم يملك نفسه من فرط الأعجاب فصاح فيمن حوله « تأملوا هذا الشاب الصغير ! إنه سوف يترك فى الدنيا دوياً وسوف يتكلم عنه العالم أجمع » على حد قول المتنبى :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

أما من حيث تكوينه الجسمى فقد كان قصير القامة واسع الصدر ضخم الرأس والعنق قصيرها مما يزيد من قماءته غليظ الشفتين بارز الجبهة والحنك قصير الأنف وفى عينيه قوة معبرة وشعاع نافذ وإذا ما غضب وحدج بهما إنساناً فكأنما يتطاير منهما الشرر ويكسو رأسه شعر كثيف أسود كدجى الليل يتعذر على المشط أن يجوس خلاله أو يقوم ما أعوج من تجاعيد خصلاته المتدلية على أكتافه كأنما هى عرف الأسد .

إن ملامحه — كما يقول عنه بعض الكتاب — إن لم تنم عن وسامة وجمال فهى تعبّر عن هيبة وجلال وكأنما الشاعر يعنيه بقوله :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة ... فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

بدأ الوقر يطرق سمعه وهو فى السادس والعشرين من عمره وهو فى فجر الشباب وأوج المجد وبدأ الداء بأذنه اليسرى وبعد

عامين لحق بالثمنى فضعفت حواسه السمعية وكانت صدمة عنيفة على نفسه الحساسة وجرحا لكبريائه الشامخ وكبرياء النفس صفة تميز بها الألمانيون أكثر من غيرهم ولا سيما البروسيين وكان فى بادىء الأمر شديد الحرص على كتمان مصيبته ولم يبح بها حتى إلى أقرب الناس إليه لهذا بدأ يمعن النظر ويتفرس فى وجه محدثه مراعياً باهتمام حركات الشفاه وملامح الوجه المعبرة حتى يلم بأطراف الحديث ولكيلا يفوته شيء مما يقال وهى طريقة يستعين بها ضعيفوا السمع أو من فقدوا حاسته فقدانا تاماً وهى مايسمونها فى الطب «بالقراءة على الشفاه » «Ladis — Lecture» ولكن هيهات !! فما كان مجهوده يكلل بالنجاح فى كل الأوقات ، إذ كانت تفوته بعض الكلمات فتبدو على سيماه الحيرة والارتباك ، مما يضطر محدثه لإعادة ما يقول أو الإجهار بالصوت فيزداد ارتباك بتهوفن ويحمر وجهه غضباً لأن فى ذلك ما يذكره بمصيبته ويشعره بأنها لم تعد سراً على أحد .

وفى عام سنة ١٨٠٠ اشتد داؤه وظهرت عليه بعض المضاعفات — دوى فى الأذنين لا ينقطع ليل نهار وضوضاء أشبه بأزيز النحل مع شعور بالدوار وآلام فى الأذنين عند سماع الأصوات الحادة وهى عارضة مرضية يسمونها بال « Hyperacousie » .

بيتهوفن والأطباء :

لجأ بيتهوفن إلى استشارة الأطباء بعد تردد كبير لأنه — كما أسلفنا — كان يأنف أن يعترف للناس أو حتى للأطباء بمرضه فضلا عن ضعف ثقته بالطب والأطباء وفى هـذا يشبه المؤلف المسرحى الشاعر « موليير » الملقب بشكسبير فرنسا والذى كان يسخر من الأطباء ويهزأبهم فى مسرحياته لعجز الطب عن مداواته . غير أن إلحاح إخوته جعله يقبل العلاج فاستدعى أهله الأستاذ الدكتور « شمد » وهو صديق للعائلة ومن المعجبين إلى حد كبير بفن بيتهوفن وقد بذل الأستاذ كل ما فى وسعه واستمر فى علاجه أكثر من ثلاثة أعوام ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح واستمر الداء يتطور ويستفحل . ثم تولى علاجه طبيب ثان هو « ملفاتى » وثالث هو « برتولينى » وأخيراً الأستاذ « استاندنهايم » وهو طبيب الإمبراطور الخاص وقد نصحه باستعمال بعض الأجهزة الخاصة بتضخيم الأصوات فاستعمل منها مجموعة ما زالت محفوظة فى المتحف الخاص به والذى يؤمه الزوار من عشاق فن الموسيق من كل حدب وصوب ولكن الفائدة كانت ضئيلة ولم يطق بيتهوفن صبراً على احتمالها فنبذها جميعها إلى جنب وظل سمعه يضعف رويداً رويداً .

وأخيراً نصحه أطباؤه بمغادرة فينا — فينا الجميلة عروس الدانوب والتى أحبها كثيراً فغادرها مرغماً إلى قرية مجاورة وانقطع اقنه انقطاع العابد فى محرابه والراهب فى صومعته يتحف العالم من حين لآخر بأروع ما عرف فى فن الموسيق .

ولكن العزلة وحرمانه من مجالس الأنس وسمر الأحباب، فى فينا كل ذلك زاد من أحزانه وشقاء نفسه حتى ضاق ذرعاً بالعيش .واستعجل الموت وقد كتب فى ذلك عدة مذكرات منها وصيته التى تركها لشقيقيه « كارل » و« جوهان » نقتطف منها :

« ما أقسى المجتمع فى حكمه على الفرد !! إن الناس كالقاضى المستهتر الذى ليس له من ضميره رقيب ولا حسيب فهو يدين المتهم البرىء ويوقع به العقاب من غير أن يكلف نفسه مؤونة البحث والدراسة لقضيته ! إن الناس يرمونى بالصلف والترفع عن مجالسهم كما ينعتنى البعض الآخر بالشذوذ وما دروا أن قلبى منذ نعومة أظفارى مفعم بالحب والحنان وتفيض فى نفسى عاطفة البر والرفق بالضعفاء والمحرومين . وما ألحانى إلا تعبير صادق لما يختلج فى نفسى من إحساسات .

لقد مضى على أكثر من ستة أعوام وأنا أعانى من عاهتى الأمرين وتزداد حالتى المعنوية سوءا يوماً بعد يوم كما فقدت الأمل فى استرداد سمعى رغماً عن الوعود الكاذبة التى يتمشدق بها الدجالون من الأطباء . لقد جفوت — كرها - مجالس الأحباب لأن كبريائى لا يسمح لى أن أقول لأحـد من الناس إرفع صوتك وأجهر بما تقول لأنى ضعيف السمع أو عديمه !! إن العزلة تميتنى حقاً ولكن أين المفر ؟! إن سخرية الناس وشماتتهم هما على نفسى أدهى وأمر .

يا أخوى التمسا من صديقى الأستاذ « شمد » أن يطالع الناس بحقيقة عاهتى بعد موتى حتى يقفوا على حقيقة الأمر وسبب نفورى منهم وليكن لى ذلك مبرر وشفيع وأنى لآمل إلا تعاجله المنية قبلى لأنى لا أثق بغيره من الأطباء .

إنى أترك لكما الثروة المتواضعة التى جمعتها بعرق جبينى فاقتسماها بينكما بالعدل كما آمل أن يسود بينكما الحب والوفاق وأما أنت يا شقيق « كارل » فأشكر لك حسن صنيعك وعطفك علىّ كما أسألك أن تنشىء أبناءك نشأة طيبة متمسكين بالفضيلة ففى ذلك وحده النجاة كما أنها الطريق المفضى إلى السعادة ، والسعادة ليست فى الثراء لأنه عرض زائل وإنما هى معنوية وليست مادية .

أشكر جميع أصدقائى ولا سيما سمو الأمير « شنوسكى » والأستاذ « شمد » كما ألتمس منكما أن تحتفظا بالآلات الموسيقية التى أتحفنى بها سمو الأمير كذكرى نفيسة « اللهم إلا إذا أعوزكما المال ففى هذه الحالة فقط أسمح لكما ببيعها » .

أسباب مرضه :

اختلف الأطباء فى تعليل الأسباب التى أودت بسمعه فبعضهم يعزوها إلى مرض الزهرى كالدكتور « جاكو بصن » مثلا ولكن تشريح جثته بعد موته فى السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٢٧ لم يظهر أى أعراض للزهرى وبعضهم يقول إن حمى التيفويد التى أصيب بها فى حداثته سببت له التهاباً فى الأذن الداخلية « Ladyrinthite » غير أن هذه الدعوى ليس لها مكان من الصحة إذ أن مثل هذا الإلتهاب له عوارض لم تظهر على بيتهوفن والمتفق عليه الآن أن مرض أذنيه الذى أودى بسمعه هو ما يسمونه بال «Ots — Sclérose» لأن كل ما كان يشكو منه من عوارض وما دلت عليه نتيجة التشريح بعد الموت ولا سيما تشريح الأذن نفسها يدل على أن بيتهوفن كان مصاباً بالمرض الأذنى المذكور يضاف إلى ذلك أن والده كان ضعيف السمع والوراثة تلعب دوراً هاماً فى هذا النوع من الأمراض السمعية .

أثر الصمم فى فنه بيتهوفن :

يظن الكثير من الناس بأن حاسة السمع شىء لا عوض عنه للفنان الموسيقى وذلك أن يعزف بنفسه أو يعزف له أحد غيره ما يؤلف من قطع موسيقية فيتذوق ما بها من فن ويصلح ما بها من ضعف وهو ما حرم منه بيتهوفن مدة طويلة ولكن الواقع ينفى ذلك إلى حد كبير ولا سيما لدى فنان ملهم موهوب مثل بيتهوفن وحاسة السمع لا تلعب إلا دوراً ثانوياً فى هذا الصدد وإنما العامل الأول فى الإنتاج هما ذكاء القريحة وقوة الخيال وقد وهبه الله منهما قسطاً وافراً . والموسيقى فن فوق الإحساسات المادية وهى لغة الوجدان وترجمان العواطف .

إن عاهته لم تمنعه عن النبوغ والوصول إلى درجة الكمال فى فنه كما أن أحزانه قد صهرت نفسه وطهرتها من أدران المادة كما أرغمته أن ينزوى وينقطع لفنه ويعيش من أجله كما خلقت فى نفسه « مركب نقص » دفعه إلى طلب الكمال كما تفعل مركبات النقص والعاهات فى النفوس الكبيرة التى تغالط فى حقائق الواقع وتتحدى الأقدار .

وقد وصف ذلك الكاتب الألمانى بيوش وصفاً بليغاً قال فيه :

« أيها السارى إذا ما مررت بالقرب من دار بيتهوفن فى دجى الليل فلا ألتمس منك أن تسير رويداً وتقبض أنفاسك كما تهمس فى أذن عشيقتك مخافة أن تزعجه ولكن مرما بدالك وأملأ الدنيا ضجيجاً وغناء بصوتك الآدمى الخشن لأن « موجات » ما تحدثه من ضوضاء لا تجد طريقها إلى أذن بيتهوفن رب الألحان وإله الفن وقد ترفعت أذناه عن سماع همس النسيم يداعب ما جف من أعشاب الحقول وهديل الحمائم وتغريد البلابل وسجع الهزار فكيف الحال بصوتك الأجش المنكر ؟ ! إن فى نفسه تتفجر ينابيع الفن وتجرى أنهر من اللحن العذب تروى عطاش ما جف من زرع أنفسنا فيأتى بالثمر الشهى ونجنيه جنياً هو البر والحب والجمال » .

فضل أبو بكر

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

عناصر الشخصية الأدبية

للأستاذ أنور المعـــداوى

أريد بهذا المقال أن أحدد عناصر الشخصية الأدبية ، وأن أعدد ملامحها العامة ، وأن أرسم خطوطها الرئيسية ...

وإذا ما كان هناك دافع إلى هذا التحديد ، فهو دافع وزن القيم بميزانها الصحيح الدقيق ، ووضع الأمور في موضعها من صدق النظرة ونزاهة القصد وهدى التائهين إلى معالم الطريق .

عناصر الشخصية الأدبية فى حاجة إلى تحديد ، بل ما أحوجها إلى كثير من التحديد فى هذا الجيل الذى نعيش فيه .. إنه جيل تنقصه الأداة وتعوزه الأناة ، ولا يستقيم له الحكم على حقائق الأشياء فى الكثير الغالب من الأحيان ، ذلك لأنه يأخذ زاده من الثقافة القاصرة ، ويستمد علمه من القراءة العابرة ، وينساق وراء الرأى ينادى به ويدعو إليه ، بلا تمحيص ولا مراجعة !

أول عنصر من عناصر الشخصية الأدبيـة هو الكرامة العقلية ... وفى ظل هذه الكرامة تحتشد بقية العناصر الأخرى مكتملة ناضجة ، لتصنع الكاتب الحق وتخلق الأديب الكامل . الكرامة العقلية هى أن يحترم الكاتب عقله وعقول الناس ، فلا يقدم إليهم إلا ما يؤمن به إيماناً يقوم على القدر المشترك بين فهم وفهم ، وبين ذوق وذوق ، وبين أفق وأفق ، فى مجال التفكير والتعبير ... والكرامة العقلية هي أن يحترم الكاتب قلمه فلا يتجر بفنه ، ولا يهبط به إلى ما دون المستوى اللائق بحرمة الفكر الحر ومنزلة الفن الرفيع ...

ومن الكرامة العقلية ينبع الضمير الأدبى ، ولا وجود لهذا بغير تلك ، لأنها الموجهة له والرقيب عليه ... وفى الضمير الأدبى يتمثل الركن الثانى من أركان الشخصية الأدبية ، ومن التقاء الركنين يتم الاتحاد فى الهدف والاتفاق فى الغاية ، وإن اتجه كل منهما بعد ذلك فى طريق .

أنا لا أنكر أحداً كما أنكر الذين يلغون عقولهم غير عابئين بيقظة الرأى العام الفنى ولا آبهين لسلطانه ، إنهم أشبه بالنعامة حين تخفى رأسها فى الرمال لتصبح بمأمن من عين الصياد اليقظ . ولا أرثى لأحد كما أرثى لأولئك المتجرين بالفن لقاء غرض من الأغراض ... إنهم يهونون على أنفسهم ويهونون على الناس !

أما أولئك العلماء بلا ضمير ، فكأنى برابليه كان يعنيهم حين قال : علم بلا ضمير خراب للنفس !

إنك لن تجد فى مجال الحكمة الخالدة وتقرير الواقع أصدق ولا أكمل ولا أدق من هذه العبارة . إن رابليه حين نطق بها كان يشرف على الإنسانية من قمة عالية هى قمة الضمير العلمى !

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يستقل الكاتب عن غيره فى طبيعة النظرة وأصالة الفكرة وطريقة التعبير ...

ولا نعنى بذلك ألا ينتفع الكاتب برأى لغيره يتسع به أفقه أو تقوم عليه دعامة من دعائم دراسته ... كلا ، وإنما نعنى به ألا يكون مقلداً بغير وعى ، ومردداً بغير فهم ، وبوقاً ينفخ فيه من يشاء ... ألا يكون بتعبير أدق كتلك النباتات الطفيلية التى لا تستطيع أن تصل إلى الضوء والهواء إلا إذا تسلقت الأغصان الشوامخ ؟ !

أنا لا أضيق بشىء كما أضيق بتلك النباتات الطفيلية ، أولئك الذين يسطون على أفكار الغير ، ويعيشون فى رحاب الغير ..

ولست أدرى ما هى قيمة العمل الأدبى وما هى جدواه ، إذا لم يستقل صاحبه بملكاته الخاصة ويتفرد بمواهبه الأصيلة ؟ !

ولست أدرى ما هو موقف تلك الفئة الأخرى من أصحاب المقالات المترجمة والكتب المترجـمة ؟ أقول لست أدرى ما هو موقفها من موازين الأدب والفن ؟ إنك لا تكاد تقرأ للواحد منهم مقالا إلا وهو منقول من لغة إلى لغة ، ولا كتاباً إلا وهو منقول من اسم إلى اسم ! !

ومن عناصر الشخصية الأدبيـة أن يكون الكاتب واسع الاطلاع رحب الأفق نافذ البصيرة ، وهذا كله لا يتهيأ لصاحبه إلا عن طريق واحـد هو أن يقرأ ويقرأ ويقرأ .. وحسن أن يتخصص الكاتب فى ناحية بعينها ، يكب عليها ويفرغ لها ويقتلها بحثاً وتحقيقاً ودراسة ، وأحسن منه أن يقتطع من وقته وجهده ما يتيح له النظر فى ألوان أخرى من الثقافات والدراسات ليكون مثقفاً بأوسع معانى الكلمة حين تنطبق على المثقفين ...

أنا لا أفهم أن يقتصر بعض الأدباء على ميدان الأدب وحده دون أن ينظروا إلى صلة الأدب بغيره من ألوان العلم والفن ، إن الأدب ليتصل اتصالا عميقاً بالتصوير والموسيقى حين يلتق معهما

في مجال واحد هو مجال التعبير الفني عن قيم الجمال في الكون ، ويتصل اتصالا عميقاً بالتاريخ حين يبحث الدارسون عن أثر البيئات المادية والمعنوية في توجيه الإنتاج الأدبي ، ويتصل اتصالا عميقاً بعلم النفس حين ينظر النقاد إلى العمل الفني على ضوء المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، ويتصل بغير هذا وذاك في ميدان الروابط والعلاقات .

ولا أفهم مرة أخرى أن يقتصر بعض الأدباء على الثقافة المحلية وحدها دون أن يتزودوا بغيرها عن طريق لغة من اللغات ، ولا أفهم أن يقتصر غيرهم على الثقافة الأجنبية وحدها دون أن يتزودوا بغيرها عن طريق لغة من اللغات ، ولا أفهم أن يقتصر غيرهم على الثقافة الأجنبية وحدها دون أن يكملوا شخصيتهم الأدبية بروافد من تراثهم الفكرى الأصيل !

هؤلاء وأولئك لا أملك القول بأنهم مثقفون ، لأن ذلك « المثقف » الذى يعرف الكثير عن تاريخ الفكر الغربي ولا يعرف إلا القليل عن تاريخ الفكر العربي ، ذلك المثقف في رأى البعض ليس مثقفاً في رأيي ... وقل مثل هذا إذا ما عكسنا القضية فنقلناها من وضع إلى وضع ومن حال إلى حال !

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه ، فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له ، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذى لا ينتج ولا يثمر ، عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت ، ويغنى الجهد الذى يبذل في مكانه عن الجهد الذى يبذل في غير مكانه ... هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق ، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق ، وهذا القاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الأدبي فلا يخرج بشيء ... كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر من عناصر الشخصية الأدبية عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات !

وأعود فأقرر ما سبق أن قررته من أن الكرامة العقلية هي الركن الأول الذى يشرف على كل ما عداه من أركان الشخصية الأدبية ... إن الكرامة العقلية من شأنها أن تخلق الضمير الأدبي ، وأن تحول دون الإتجار بالفن ، وأن تربى النزعة الاستقلالية ، وأن تدفع إلى سعة الإطلاع ، وأن تعين على أن يعرف الكاتب أين يضع ملكاته ومواهبه .

أنور المعداوى

الأرواح والأشـــباح

للأستاذ حسين مهدى الغنام

(بقية المنشور في العدد ٧٨٧)

هذا بعض ما يتعلق بوجود الأشباح

أما موريس بارباتل فقد كتب حديثاً مقالات عديدة تتعلق بتحضير الأرواح ، وعن جلسات روحية حضرها ، وعلى الأخص في تجسد الروح .

ونلخص بعض هذه المقالات فيما يلي :

قال عن جلسات تحضير الروح أن في هذه الجلسات تتركز الخليقة في ثوان معدودة ، وأن الأرواح تتشكل في هيئات الخلق ، ويمكنك أن تراها مجسمة أمامك وتخاطبها وتلمسها . وأن قلوبهم لتخفق ونبضهم يضطرب ، وأجسامهم وأطرافهم كاملة ، حتى لترى أظافرها . ونظراتهم طبيعية ، وشعورهم تختلف ألوانها كشعور الأحياء ، ففيها الأشقر والذهبي والأشيب . أما أصواتهم فهى نفس الأصوات التى كانت لهم وهم أحياء . وفي بعض الحالات تتجسد الأرواح وترتدى بعض الملابس التى كانوا يلبسونها في حياتهم ، ولكنهم عادة يظهرون في أردية طويلة تبرز أشكالهم .

وتتجسد الأرواح بواسطة مادة (الإكتوبلازم) ، التى حللت في المعامل ، وهي مادة لدنة مطاطة جداً .

وكما أن (البروتو بلازم) أساس مواد البناء ، فإن (الإكتوبلازم) هي المادة التى تتجسد بواسطتها الأشباح .

والتجسد هو أعلى مراحل الظواهر الروحية ، التى تقدم دليلاً ماديا ، الغرض منه إيجاد قرينة تدل على وجود الروح .

وإذا قدر لك أن تشاهد عمليات التجسد كما شاهدتها بنفسي ، فستفهم سر بعض (المعجزات) التى ذكرت في العهد الجديد (الإنجيل) .

ولقد وقع بين الدكتور بارنس ، مطران بير منجهام ، وبين بعض زملائه مناقشات حامية ، لأن ثقافته العلمية دفعته إلى إنكار (معجزات) الإنجيل ، ولو كان له نصيب من الإلمام بالظواهر

الطبيعية الحديثة ، لم يكن هناك باعث لهذا الإنكار .

إن ظهور المسيح بعد الموت ، الذى ينكره الدكتور بارنس ويعتبره من أساطير الأولين ، لا أستبعده شخصياً ، ولا يستبعده غيرى من الذين أتيح لهم أن يشهدوا بعض الظواهر الروحية فى هذه الأيام .

فإن ظهور المسيح فى الحجرة العليا لتلاميذه معقول ؛ لأنه فى الواقع ظهر فى نسخة أخرى من جسده الدنيوى ، وكان جسداً صلباً كاملا ، حتى إن تلميذه (توما) تشكك فى حقيقته ، فسئل أن يتحسس الجسد بنفسه ليتأكد .

ولم يكن فى هذا معجزة اطلاقاً ، لأنه ظاهرة من ظواهر التجسد الروحى .

فقد قمت بنفسى — منذ أعوام قليلة — فى ويلز الجنوبية بملامسة أجسام موتى متجسدة . وكان الوسيط — آلك هاريس — وسيطا هاوياً ، ولم يكن محترفاً يتناول شيئاً عن جلساته .

***

وتكلم المستر باربانل بعد ذلك عن حضوره مع السيدة هيلين هيوز الوسيطة الشهيرة ، بعض جلسات روحيــة تتجسد فيها الأرواح ، وكان الوسيط ذلك الرجل .

وكان قبل كل جلسة يقوم بفحص الحجرة فحصاً دقيقاً جداً ثم أخذ يصف الحجرة المعدة لذلك ، وما فيها من أثاث بسيط جمع لهذا الغرض . . وقد ضمته الجلسة مع ستة وعشرين شخصاً آخرين . أما هو وهيلين هيوز ـ باعتبارهما ضيفى الشرف ـ فقد جلسا فى مقدمة الوزارة — كما يسمون هيأة الجلسة — حتى أن أرواحاً كثيرة متجسدة كانت تسير على قدميه !

واستمرت إحدى هــذه الجلسات ساعتين ونصف ساعة ، شاهدوا فيها ثلاثين روحاً متجسداً ، وجلس بعضهم على مقاعد وتحادثوا مع الحضور .

أما الروح ، راعى هذه الجلسة ، فقد كان يسمى الكيميائى ثم قال: « وكنت فى فترات متعددة أتحسس هذه الشخوص المتجسدة ، فكنت أجد ذلك (الإكتوبلازم) ذا ملمس حريرى ناعم، ولكنه ليس كالحرير، فإن لى من خبرتى بالمنسوجات — إذ عملت سنين طويلة فى صناعة النسيج — ما يجعلنى أستطيع التمييز بين المنسوجات الحريرية بمقدرة .

ولما هززت بعض هذه الأيدى مسلما ، رأيتها ثابتة وطبيعية ، حتى إننى تحسست أنسجة الجلد والعظام تحته . وكانت أيديا دافئة نابضة ... » .

ثم ذكر الكاتب مشاهدات أخرى، ثم قصة الطيار دوجلاس هوج الذى قتل فى معركة بريطانيا فى الحرب الأخيرة . فلما تجسدت روحه عرفتها هيلين قبل أن يذكر اسمه ، إذ شاهدتها قبل ذلك مرات عديدة .

وهو شاب جميل ، وقد طلب من هيلين أن تقف ليحادثها وجهاً لوجه ، فشكرها على ما قامت به من خدمة لوالديه ، إذ كانت الوسيطة بينهم ، وقبل أن يذهب قبلها فى جبينها ، وقالت هيلين إن أنفاسه كانت حارة ...

وكان لدى هيلين مفاجأة أخرى .

فقد ظهر دليلها الروحى ، وهو من الهنود الحمر ، بزى الهنود الحمر كاملا ... وإنه لمن العسير أن يكون فى هذا شىء من التلاعب .

وكان أروع ما فى هذه الجلسة ظهور روح متجسد خرج وانحرف مسافة عشر أقدام ، ثم حيا الحضور ، ورفض أن يذكر اسمه وشخصيته قائلا أنهم لا بد يعرفونه من هيئته وصوته .

وقد عرفناه فعلا ، فقد كان موظفاً كبيراً ومن أكابر رجال الحركة الروحية فى حياته .

ومن المستحسن أن أذكر لك أنه من النادر أن تظهر هذه الأرواح المتجسدة من وراء مثل هذه الهيئة ، أو المجلس ، لأن هناك حبل حياة خفيا يربطهم بالوسيط ، فى مثل (خلاص الطفل) الذى ذكرته التوراة ، ويقطع عند الموت .

وسار هــذا الموظف الميت مع آخرين إلى زاوية الحجرة ، وجلس على مقعد ، وبدأ نقاشاً طويلا ، بدا طبيعياً جــداً حتى كان من الصعب أن تعتقد أنك تصغى إلى حديث بين الأحياء والموتى

وكان بعض هذه الأرواح المتجسدة يقول أن عليه أن يعود إلى المجلس — أو الوزارة — ليأخذ (تموينا) آخر ... ثم يتقهقرون ويختفون خلف الستارة الموضوعة ، ثم يظهرون بعد

دقائق قليلة ، ويحتلون مقاعدهم التي تركوها .

ولكن نعتقد أن هذه الأرواح لم تكن فراغاً ، فقد كانوا يستديرون لنرى ظهورهم .

وكان لهم وزن جسمى .. فقد انحنى أحدهم على بساط (يعدله) بعد أن زحزحه روح مضى .

وجاء روح صينى بسحنته الشرقية وشواربه الطويلة المدلاة ، وحيا سيدة كان يعالجها بطريق الوسيطة .

وتجسد روح فتاة ، ولكنها لم تقل شيئاً ، وكان الغرض من حضورها إزالة كل شك فى هذه الحقائق بطريقة صامتة ، فقد كشفت عن تكوينها النسوى .

وإذا كان أحد المتشككين حضر هذه الجلسة ، وبقى متشككا كان من الذين يصدق عليهم وصف الانجيل بأنهم لا يؤمنون حتى إذا رأوا الموتى يستيقظون .

***

ومن العجيب أن يعزز الكاتب مقالاته بصور (فتوغرافية) لأرواح تجسدت . ومنها روح الملكة أستريد ، زوجة ليوبولد ملك البلجيك ، وكانت ولية عهد السويد ، وهى ابنة عم ملك السويد الحالى . وقد أخذت هذه الصور باستعدادات فنية خاصة .

والأعجب من ذلك أن روح هذه الملكة أحضرت ووعدت الوسطاء بتجسدها بعد أيام ، وحصولهم على صورة لها .

ثم حضر ، وقالت لهم سيكون لكم صورة جيلة ، ولما تم لهم تصويرها اختفت .

وبعد دقائق قليلة عادت فتجسدت ثانياً ووقفت مع الوسيط — وهو القسيس مارتن ليلجيبالد ، وهو شخصية محترمة جداً — وكانت وقفتهما بجانب فتحة الستار ، حتى يستطيع أحدهما مشاهدة الآخر .

ولما قابل هذا القسيس ملك السويد وحدثه عن تجاربه فى الجلسات الروحية ، قال الملك : إن هناك أشياء أكثر فى السموات وفى الأرض .

ومن الأشياء العجيبة كذلك التى قدمها باربانل ، توقيع روح باسمه ، كتوقيعه أيام حياته ، ودلائل مادية أخرى كتصوير الروح فتوغرافيا ...

ومن هذا القبيل أيضاً الكتاب الضخم الذى وضعه الصحافى الإنجليزى الأشهر — هانى سوافر — بعنوان قصتى الكبرى وقد ترجم بعضاً منه الدكتور مصطفى الديوانى .

هذا إلى جانب عشرات العشرات من الكتب والمجلات التى تبحث فى الروح وكل ما يتصل بها ، فى الغرب المادى .

أما تحضير الأرواح فى مصر فقد قرأنا عنه كثيراً ، وسمعنا عنه كثيراً من بعض أصدقائنا المشتغلين به ، ولكن لم يتح لنا أن نحضر إحدى جلساته .

وأما وجود الأشباح هنا ، فنسمع عنها مئات من الحكايات المصرية . ولكنى أذكر الحكاية التالية التى وقعت لنا شخصياً ، ولم نستطع لها تعليلا حتى اليوم :

كان ذلك منذ سبعة وعشرين عاماً . وكان والدى وابن عمته مدعوين فى زواج ابن عمة إحدى القرى التى تبعد عن بلدنا حوالى عشرة كيلو مترات . فصحبنى والدى معه وصحب ابن عمته ولده وكان فى مثل سنى ، وكانت ثمانى سنوات .

وطالت السهرة ، وكان المدعوون كثيرين جداً من مختلف القرى المجاورة . وكان لدى بعضهم مطايا ، والبعض بدون مطايا وكانت مطايانا عادت إلى البلدة .

وبعد انتصاف الليل أراد ابن عمة والدى أن يعود إلى بلدنا ، فقال أبى لننتظر حتى الصباح إلى أن تيسر لنا مركب . فقال الحاج لوالدى : إن الوقت صيف ، وإذا عدنا سائرين على أقدامنا لم نشعر بتعب ، فالجو جميل جداً ...

ولم يستطع والدى اقناعه بالعدول عن الرجوع فى تلك الساعة .

وسرنا ، ولكن بعد خروجنا من القرية قال والدى : (أمرنا لله ... من استخف عقله تعبته رجليه !)

وكان على بعد ثلاثة كيلو مترات ، أو أقل قليلا من بلدنا ، (وابور مياه) مهجور ، وعلى بعد منه مقبرة للمسيحيين . والجسر مرتفع ، والأراضى منخفضة على كلا الجانبين انخفاضاً يبعث فى النفوس شيئاً من الرهبة ، وكانت أعواد الذرة فى كل مكان مرتفعة بين الأشجار البعيدة ، والدنيا ساكنة ...

فلما اقتربنا من ذلك (الوابور) ، وكان القمر بدراً تقريباً ، وكان الوقت حوالى الساعة الثالثة صباحاً ، رأينا امرأة قيشة

متشحة بالسواد تصمد من بين الحقول إلى الجسر ، وتتجه إلينا من بعيد ، وكانت تلف وجهها ، وتضع على رأسها (طشتا) كبيراً جداً من النحاس ، لا يتناسب مع حجم جسمها الصغير

وقابلتنا وهى ما زالت تخفى وجهها ، ولكنى لاحظت أن والدى لم ينقطع عن قراءة القرآن منذ لمحها . ولما مرت بنا ومررنا بها سمعناها تقول نفس الكلمة التى قالها والدى عند خروجنا من تلك القرية : (من استخف عقله تعبته رجليه !)

وأراد الحاج أن يقف ليخاطبها وهو يصيح : ماذا تقولين يا ست ؟ ماذا تقولين ؟

ولكن والدى جذبه ، وهو ما زال يقرأ القرآن بصوت مسموع ، وقال الحاج : أنها حماة (مبيض النحاس) فى البلدة

فقال والدى : وما الذى يأتى بها إلى هنا فى هذه الساعة ، وفى ذلك المكان بالذات ؟ يا شيخ ، أسرع بنا !

وعاد إلى قراءة القرآن ...

ونظرنا خلفنا فرأينا تلك السيدة قد جلست فى وسط الجسر ، وأخذت تجمع التراب من الجسر وتضعه فى (الطشت) الكبير .

ولم يكن هناك مساكن قريبة ، بل كانت المسافة بيننا وبين أقرب مسكن ، ما بين اثنين أو ثلاثين كيلو مترات .

وأخذ والدى ، بعد أن وصلنا بلدنا ، يتكلم عن كثير من الأشباح والعفاريت فى ذلك المكان ... وعما شاهد من قبل فيه وفى غيره .

ولكنى لم أفهم تعليلاً آخر لهذه الحادثة حتى الآن !

وبعد ... فقد قدمنا بعض ما قرأنا فى هذه الأيام عن وجود الأشباح والأرواح .

فهل وجود الأرواح ، وبالتالى تحضيرها واتصالها بالآدميين، حقيقة أم وهم ؟

وهل معقولة كل هذه الأشياء ؟

وإن لم تكن معقولة ، فما هو تعليلها وبعض العلماء من الماديين أنفسهم يجزمون بصحتها ؟

وإذا صح كل هذا ، فما هو التأثير الذى سيكون له على نظرية فرويد فى تفسير الأحلام ؟ أنه سيقلبها رأساً على عقب ، فلن تعود تلك الأحلام تفسر على أنها صورة من شهواتنا فى اليقظة تتراءى لنا فى عالم الأحلام ، لأنها هنا اتصالات روحية وليست مادية .

وسيؤثر ذلك أيضاً على المتواتر من علم تفسير الأحلام والرؤى الذى يتاجر به بعض (الفلكيين وقراء الكف وعلم التنجيم !)

ومن يدرى ؟

منذ آلاف السنين ، منذ أن كان الإنسان يعبر عن نفسه وفكره بالإشارة والنحت — فى العصر الحجرى — إلى عصرنا هذا الذى استطاع فيه العلم المتقدم أن يصور الروح بآلة التصوير ما زال العلم يتخبط فى إدراك ماهية الروح وكنهها . وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، صدق الله العظيم .

حسين مهدى الغنام

الفتوة في اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان في الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحرير المعاني

للأستـــاذ ضياء الدخيلي

في العدد (٧٨٤) من مجلة الرسالة الغراء انتقد الأستاذ محمد عبد القادر الجل استشهادي بأبيات المتنبي وابن هرمة لاثبات معنى (فتى) في لغة العرب وهـذان الشاعران وإن كانا من المولدين إلا أنهما مما يحتج بهما ، وهـذه كتب اللغة مفعمة بالاستشهاد بأبيات ابن هرمة في إثبات معاني الألفاظ ، وقد قال شارح لديوان الحماسة جمع أبي تمام (إن ابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم) [1] وابن هرمة هو إبراهيم بن علي ابن سلمة بن هرمة بن هذيل جاء في (بلوغ الأرب) أن أبا عبيدة كان يقول افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بابن هرمة[2] وإنك لواجد الاستشهاد بشعره في كتب اللغة من ذلك أنهم استشهدوا في مادة سلأ السمن إذا طبخه وعالجه فأذاب زبده بقول ابن هرمة

إن لنا صرمة مخيســـة نشرب ألبانهـا ونسلؤها

وأورد الجوهري في الصحاح في (هيد) عن أبي عمرو قول ابن هرمة .

حتى استقامت له الأفاق طائعة فما يقال له هيـــد ولا هاد

و (هيد وهاد) زجر للابل وما رأيك فيمن منحه الجوهري ثقته ؟

وإني لم أورد بيته شاهداً باختيار تعمدته ، ولـكن ذلك جاء ضمن كلام لابن منظور الأفريقي نقلته من كتابه (لسان العرب) فهو الذي احتج بكلام ابن هرمة واستشهد بشعره وفي الأغاني[3] أن ابن هرمة ولد سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة (١٤٠) قصيدته التي فيها .

(١) في الطبعة الثانية التي نشرتها مطبعة محمد علي صبيح .
(٢) ج ٣ ص ٩٠
(٣) ج ٤ ص ٣٩٧

إن الغواني قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادي

قال ثم عمر بعدها مدة طويلة وفيه أخبر علي به سليمان النحوي عن ابن الأعرابي انه كان يقول ختم الشعراء بابن هرمة وفيه وفي كتاب (الشعر والشعراء) أن الأصمعي عده في خمسة ختم بهم الشعراء في رأيه . فها أنت تجد اعتداد علماء اللغة بشعره ولو لم يكن فصيحاً لما أقبلوا عليه .

وأما المتنبي فالويل لناقده من غضبته ، لقد جحدت يا أستاذ آيات المتنبي وكفرت بشريعته الأدبية ، فاحذر شـواظ غضبة ذلك العبقري الذي توج بأكاليل الخلود والذي صرخ في العصور

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فآمن بعبقريته حكيم المعرة وأبصر جلاله على عمايته فأهدى للأدب (معجز أحمد) ومن قبلنا بأزمان وأزمان قال العباسي في (معاهد التنصيص) [1] لقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل أن الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حِجلى وظِربى . قال الشـيخ أبو علي فطالعت كتب اللغـة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة [2] قال العباسي ورزق المتنبي في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل أنه وجد له ما يزيد على أربعين شرحاً وقال فيه أبو القاسم الطبسي :

ما رأى الناس ثاني المتنبي أي ثان يرى لبكر الزمان ؟
هو في شعره نبي ولـكن ظهرت معجزاته في المعـاني

وحـكي أن المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية ، أنشد

(١) ج ١ ص ١١
(٢) قال في تاج العروس (ونقل شيخنا عن أبي حيان ليس لنا جمع على فعلى بالـكسر غير هـذين اللفظين ، ويقال أن المتنبي لقي أبا علي الفارسي فقال له كم لنا من الجموع على فعلى بالـكسر . فقال أبو الطيب بديهة حجلى وظربى لا ثالث لهما ، فما زال أبو علي يبحث هل يستدرك عليه ثالثاً وكان رمداً ، فلم يكن له ذلك حتى قيل أنه مع كثرة المراجعة ورمد عينيه آل به الأمر إلى ضعف بصره ، ويقال أنه عمي بسبب ذلك والله أعلم ، ثم قال وهي من الغرائب الدالة على معرفة أبي الطيب وسعة اطلاعه رحم الله الجميع) انظر مادة ظرب .

يوماً فى مجلسه بيت المتنبى الذى هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

إذا ظفرت منك العيون بنظرة أثاب بها معيى المطى ورازمه

وجعل يردده استحساناً له وفى مجلسه بن وهبون الأندلسى فأنشد ارتجالا .

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما تجيد العطايا واللُّها تفتح اللَّها

تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتألها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق .

وما تقول يا أستاذ فى ابن هشام إمام النحاة ، لقد استشهد بشعره فى كتابه شرح قطر الندى فى النحو ، واتخذ شاهداً فى بحث الندبة قوله فى سيف الدولة :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

ولا أكتمك أنه انتقده أيضاً وخطأه فى بيت له وذلك فى بحث (عمل لا النافية عمل ليس) إذ قال وغلط المتنبى فى قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى

فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

والشاهد فى (لا) فى الموضعين فإن المتنبى أعملها عمل ليس مع تعريف اسمها فى الموضعين وذلك غلط لاشتراط كون اسمها وخبرها نكرتين ، ومع ذلك فإن للمتنبى جلالا لا يهدم فى اللغة ونحن لم نستشهد بشعره وشعر ابن هرمة لإثبات المعنى ، وإنما جئنا بهما لتأكيد ما دل عليه شعر طرفة ولا ريب أن ذلك مما لا يؤاخذ عليه وفرق بين التأسيس والتأكيد وأنت أيها الأستاذ الناقد المحترم قد أسأت إلى المتنبى عندما أنكرت علينا أن نحتج بروائع أبى الطيب فى تفهم لغة العرب الأصلية المنزهة من تلويث المولدين والأعاجم والمتنبى العربى لو كان حياً لتناولك لهيب انتقامه ولسير قصيدة فى هجائك ترتعد لهولها الفرائص فكفر عن كفرك بآياته الخالدة وجحودك لعبقريته الفذة ، أما سمعت بقصة أبى على الحاتمى عندما تحرش به وتعرض له إذ قدم بغداد فتاه اعتزازاً بأدبه وأبدى من الكبرياء والعظمة ما أسخط عليه البغداديين فانتقده الحاتمى ثم خشى بطشه قال (ثم عمرت ما بينى وبين المتنبى وخفته بالحقيقة أن يشتغل بى دون كل أحد فحدانى ذلك إلى كتابة الأبيات من شعره المقابلة لما قال الحكيم أرسطاطاليس وهى الجامعة لجواهر شعره وقدمتها هدية إليه وحسن الحال بينى وبينه) وعلى كل فإن أبيات المتنبى بمتمد عليهـا فى تفهم معنى مفردات اللغة ، هذا ما أردنا بيانه بالنسبة لما تفضلتم به عن هرمة والمتنبى ، أما الأبيات الأخرى فقد استشهد بها كبار علماء اللغة فى أمهات الموسوعات اللغوية المتداولة ، وقد ذكرت كتبهم التى أخذت منها وهم الزمخشرى فى الأساس وابن منظور فى لسان العرب وصاحب تاج العروس ، ولا ريب أن ما احتج به هؤلاء الفطاحل يصح لى أن أتبعهم فى الاحتجاج به واذكره شاهداً .

وإن لم أعرف قائله ، وقد غمزتنى بأنى أوردت تلك الأبيات المجهولة القائل مع ذكر من وثق بها من كبار اللغويين ولا يهمنى بعد ذلك أن يكون قائلها جاهلياً أو مولداً واستثنى من ذلك البيت التالى فلم آخذه من كتب اللغة وإنما وجدته فى (حلبة الكميت) تأليف النواجى شمس الدين محمد بن الحسن إذ أورده ثانى بيتين لم يذكر قائلهما هما :

كن ابن شئت واكتسب أدباً يغنيك مضمونه عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبى

هـذا وليتذكر الناقد المحترم أننى أوردت تلك الأبيات فى نقض قول الأستاذ محمود رزق (وبدهى أن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم) ومع ذلك يصح لى أن أستند إلى قولى المتنبى وابن هرمة إذا استعملا فتى فى معنى شهم فإن لغة عصرهما الأدبية الجارية فى الشعر مما يعتد به .

ولإكمال البحث أورد لك نصوصاً أدبية أخرى قد لا يأتى جلة منها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وقد استعمل فيها (فتى) فى معنى الشهامة ، فقد جاء فى هامش بلوغ الأرب[1] أن سعد بن مالك بن ثعلبة جد طرفة بن العبد قال :

والحرب لا يبقى لجـاحمها التخيـل والمِراحُ

إلا (الفتى) الصبار فى النجدات والفرس الوقاحُ

الجاحم من الحرب : معظمها وشدة القتل فى معاركها ، تخيل الرجل تكبر ، والمراح الاسم من مرح الرجل إذا اشتد نشاطه وفرحه وبطر واختال .

وفى بلوغ الأرب[2] قال عمرو المحاربى من عبد القيس :

(١) ج ٢ ص ١٤٩
(٢) ج ٢ ص ١٢٣

سقى جدث (الريان) كل عشية
من المزن وكاف العشى دلوح

أقام (لفتيان) المشيرة مهوة
لهم منكح من جريها وصبوح

فيا من رأى مثل الهراوة منكحا
إذا بل أعطاف الجياد جروح

(الجدث محركة القبر والوكاف المطر المنهل والمزن السحاب الواحدة مزنة وسحابة ، دلوح كثيرة الماء ، والمهوة الفرس السهلة ، والصبوح بالفتح شرب الغداة) فالشاعر هنا جمل الرابطة بين الفتيان الفروسية والخمر والنساء ، وذلك ما اعتبره من الفتوة — طرفة فى معلقته قال الألوسى أن الريان هذا الذى رثاه الشاعر كانت له فرس لا تدرك تدعى (هراوة الأعزاب) لأنه تصدق بها على أعزاب قومه فكان العزب منهم يغزو عليها فإذا استفاد مالا وأهلا دفعها إلى آخر من قومه فكانوا يتداولونها فضربت مثلا ، وهذا ما يريده الشاعر بقوله أنها منكح لهم ، وذلك لأنهم يسبون النساء بفضلها كما كانت عادة العرب فى الغزو والغارات والسبى .

وروى فى بلوغ الأرب [1] عن الأغانى أن كلا بن أمية هاجر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب (رض) فأقام بها مدة ثم لقى ذات يوم طلحة والزبير فسألهما أى الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا الجهاد فسأل عمر (رض) فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبته قال فى قصيدة يصف شوقه وحنين أم كلاب لابنها .

إذا سجعت حمامة بطن وج
إلى بيضاتها دعوا كلابا

تركت أباك مرعشة يداه
وأمك لا تسيغ لها شرابا

فبلغت عمر (رض) فلم يردد كلابا فاهتز أمية وخلط جزعا عليه ثم أتاه يوما وهو فى مسجد الرسول (ص) وحوله المهاجرون والأنصار وأنشأ يقول :

أعاذل قد عذلت بغير علم
وما تدرين عاذل ما ألاقى

فاما كنت عاذلة فردى
كلابا إذ توجه للعراق

ولم أقض اللبانة من كلاب
غداة غدا وآذن بالفراق

(فتى الفتيان) فى عسر ويسر
شديد الركن فى يوم التلاق

فهو يرى الفتى ذلك البطل القوى والفارس الذى لا يهاب

(١) ج ٢ ص ١٣٩

(واللبانة الحاجة وآذنه بالأمر أعلمه به وقوله سجعت حمامة بطن وج سجعت الحمامة هدرت وصوتت ووج اسم وادى بالطائف وقوله لا تسيغ الشراب أى لا يسهل مدخل الماء إلى بلعومها ولا تقدر أن تبتلعه لكربها وشجوها قال عبد الله بن يعرب بن معاوية :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
أكاد أغص بالماء الفرات

وروى السيد المرتضى فى أماليه [1] لشاعر يبكى على قتلى بدر من المشركين) ولابد أن يكون جاهليا :

فماذا بالقليب قليب بدر
من (الفتيان) والشرب الكرام

وماذا بالقُليب قليب بدر
من الشيزى يكلل بالسنام

قال المرتضى : القليب هى البئر وأهل القليب جماعة قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، وقال فى المنجد الشرب بالفتح جمع شارب . وفى الأمالى قال بشر بن أبى خازم لابنته عميرة :

فمن يك سائلا عن بيت بشر
فإن له بجنب الرَّدم بابا

ثوى فى مَلحَد لابد منه
كفى بالموت نأيا واغترابا

رهين بلى وكل (فتى) سيبلى
فأذرى الدمع وانتحى انتحابا

وظاهر أنه يريد كل رجل طيب كريم سيناله البلى ، وروى المبرد فى الكامل [2] قال رجل من الخوارج فى قتلى إحدى معارك المهلب والخوارج .

بسلى وسليرى مصارع (فتية)
كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر :

بسلى وسليرى مصارع (فتية)
كرام وعقرى من كميت ومن ورد

(قال الأخفش سلى وسليرى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز) وقال المبرد ارتحل المهلب والخوارج بسلى وسليرى فنزل قريبا منهم فقيل منهم ، فقيل ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم ؟ الخ وأورد النويرى فى (نهاية الأرب فى فنون الأدب) [3] الأبيات التالية للهذلى .

ألا لله درك من فتى قوم إذا رهبوا

(١) ج ٢ ص ١٨

(٢) ج ٢ ص ١٩٤

(٣) ج ٤ ص ٢٨٥ وقد جاءت أيضاً فى الأغانى ج ٢ ص ٦٤ وفى ديوان الهذليين أيضاً .

وقالوا من (فتى) للحروب يرقبنــا ويرتقب ؟
فكنت (فتاهم) فيهــا إذا تدعى لهــا تثب

وفى الأغانى (١) أن أبا زبيد قال يمدح الوليد بن عقبة :

لعمر أبيك يا ابن أبى مُرىّ لغيرك من أباح لهــا الديارا
أباح لهــا أبارق ذات نور تُرَعّى القف منهــا والعرارا
بحمد الله ثم (فتى قريش) أبى وهب غدت بُطناً غزارا
أباح لهــا ولا يحمى عليها إذا ما كنتم سـنة جزارا

يريد جزراً من الجدب والشدة

فتى طالت يداه إلى المعالى وطحطحتا المقطمة القصارا

(الأبرق هو البرقة إذا اتسعت وهى أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلفة ، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتاً كثيراً يكون إلى جنبها الروض أحياناً : والقف ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه ، فالإبل ترعاه وتسمن عليه والعرار نبت أصفر طيب الرائحة . وقيل هو بهار البحر واحدته عرارة : وغزاراً جمع غزيرة وهى من الإبـل الكثيرة اللبن : وطحطح الرجل ماله فرقه ، والمقطمة الثياب القصارا وهى برود عليها الوشى) وقد قال فى الأغانى (٢) عن الوليد بن عقبة هـذا أنه أخو عثمان بن عفان (رض) لأمه وكان من (فتيان قريش) وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم ، وكان فاسقاً ولى لعثمان (رض) الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فشرب الخمر وشهد عليه فحده وعزله وفى الأغانى (٣) أن الحطيئة قال يمدح الوليد هـذا بعد أن وصله وكان جواداً :

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما قتال إذا يلقى العـدو ونائله
(فتى) يملأ الشيزى ويروى بكفه سـنان الردينى الأصم وعامله
يؤم العدو حيث كان بجحفل يصم السميع جرسه وصواهله
إذا حان منه منزل الليل أوقدت لأخراه فى أعلى اليفاع أوائله

(الشيزى خشب أسود تعمل منه القصاع أى أوانى الطعام ويطلق على ما صنع من ذلك ، والردينى الرمح نسبة إلى ردينة وهى امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فإذا غاب باعت ردينة مكانه وكانا يثقفان الرماح أى يقومانها ويسويانها

(١) ج ٥ ص ١٣٨ (٢) ج ٥ ص ١٢٢ طبعة دار الكتب المصرية (٣) ج ٥ ص ١٤٨

فالردينية منسوبة إلى ردينة والسمهرية إلى سمهر ، والخطية إلى موضعهما ، وعامل الرمح هو صدره ، وقال فى المنجد الخطى الرمح المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح : واليفاع كسحاب التل) .

وروى ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار فى ممالك الأمصـار عن الشابشتى (١) أن الحجاج غضب على هند بنت النعمان لـكلام خشن وجهته إليـه ، فأمر بإخراجها من ديرها القريب من الكوفة فأخرجت ومعها ثلاث جوار من أهلها ، فقالت إحداهن :

خارجات يسقن من دار هند معلنـــات بذلة وهوان
ليت شعرى ؟ أأول الحشر هذا أم محا الدهر غيرة (الفتيان)

فشد فتى من أهل الكوفة على فرسه فاستنقذهن من رسل الحجاج وتغيب فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى فقال إن أتانا فهو آمن ، وإن ظفرنا به قتلناه فأتاه ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال الغيرة فوصله وخلاه وفى كتاب الحماسة للبحترى (١) قال عمرو بن مالك البجلى :

إذا شئت أن لا يبرح الود دائماً كأفضل ما كانت تكون أوائله
فآخ (فتى) حــراً كريماً عروقه حساماً كنصـل السيف حلواً شمائله
فذاك الذى يمنى لواشيك جده ويكفيك من لهو الكواعب باطله
ويحمل ما حملته من ملمة ويكفيك طلق الوجه ما أنت سائله

(البقية فى العدد القادم) ضياء الدخيلى

(١) ص ٣٢٥
(٢) ص ٥٧

عالم الغيب :

الجن في منطق الأساطير

للشيخ محمـــد رجب البيومي

وقد كان أرباب الفصاحة كلما
رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن
« أبو العلاء »

يتطلع الإنسان للأسطورة في تلهف ، ويطالعها مرات عديدة في تشوق ، وهي على غرابتها وافتعالها تبعث في العقل نشاطاً موفوراً ، وتخلق في النفس متعة حبيبة . وقد رزقت الأسطورة في الغرب مكانة ممتازة ، فوضعت لها الأسفار المتشعبة شارحة جامعة ، وخدمتها الأقلام القوية محللة معللة ، فهذا باحث يستنبط منها المعنى الخفي ، فإذا تعذر فهمه خلقه اختلاقاً ، وانتزعه انتزاعاً ، وهذا روائي يلونها بأصباغ فاتنة ، فيخلع عليها من خياله الرائع حلة زاهية ، وهـذا سمير يطرف بها أصحابه ، فينفث في المجلس روحاً مرحة تخلب الأفئدة ، وتسرى عن النفوس ، ولا كذلك الأسطورة العربية ، فهي من قومها في هم ناصب ، وشجو مبرح ، فإذا تعرض لها من بني الضاد باحث أو قصصي أو سمير قوبل بكثير من الاستخفاف ، وربما مني بمن يطعنـه في ذوقه وعقله . ولو دونت الأساطير العربية في سفر واف ورزقت من يتوفر على دراستها دراسة منتجة مركزة ، لكان لنا منها — كما أعتقد — معين رائق ، وكنز نادر ثمين .

ونصيب الجن من الأساطير عظيم موفور ، فقـد وضع المتقدمون عن القوم طرائف خالدة ، يطالعها القارىء فيضطر اضطراراً إلى تكرارها وإعادتها ، لأن الجن من العوالم الغيبية المجهولة ، فكل نفس تتوق إلى استيضاح أسرارهم ، والوقوف على أساليبهم في السعي والكدح ، وما من إنسان تنسم ريح الحياة إلا غذي في طفولته بعجائب مدهشـة عن الجن ، فردت على سمعه الغض أحاديثهم المتوهمة ، ونوادرهم المتعددة ، حتى إذا شب عن الطوق شبت معه هذه الطرائف ، فتصور الجن أبطالاً مناوير يهابهم الإنس ، ويذعنون لسلطانهم العتي ، وأنت تسأل عن سبب هذا كله فـلا تجد غير الأساطير القديمة ، تلك التي نمت وترعرعت في نفوس العامة ، حتى أصبحت بتوالي الزمن حقائق ثابتة ، يلقنها الصغير في المهد ، فـلا تبارح مخيلته حتى يغط في رقاده الأبدي العميق ! !

ولا نجد بأيدينـا من المصادر المعتمدة فيما يتصل بالجن غير ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فقـد ذكر الله عز وجل في كتابه بعض ما كان يعتقده الجن ، حيث كانوا يعوذون برجال منهم إذا ضربوا في البيداء واشتمل عليهم الظلام حذراً مما يتأكدونه من بطشهم العارم ، وقوتهم الخارقة ، كما ذكر اتصال الجن بالسماء قبل البعثة النبوية ، فيسترقون السمع ، ويتنبئون بالغيب ، وبين — جل ذكره — كيف حرم عليهم الاستراق . فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . ولك أن تفهم من ذلك سلطان الجن على الإنس ، وكيف شغلوا جانباً من تفكير الأعراب وتأملهم ، فلا غرو أن وضعوا عنهم الأساطير وأكثروا من نوادرهم العجيبة ، فيما سجلته عليهم كتب الأدب وصحائف التاريخ !!

والجن في كل زمان ومكان لغز مبهم تبذل الجهود الدائبة في حله فلا تستطيع أن تفك غامضه . ومن التوافق العجيب أن الأساطير الدائرة حول هذا النوع من المخلوقات ، تـكاد تـكون متحدة متشابهة ، فـكما تزعم الأساطير العربية قدرة الجن على التشكل والتنوع ، وملازمتهم الأمكنة الخالية ، وظهورهم مع الأشباح في حندس الليل ، كذلك نجد الأساطير الأوربية تؤكد هـذا الزعم ، واقرأ إن شئت ما سطره شكسبير في روايتي : « العاصفة » « وأبيرون » تجد حديثاً مسهباً عن الجن لا يكاد يخرج عما تطالعك به الخرافات البـدوية ، بل عما سمعته في طفولتك من العجائز الأميات !! اللهم إلا بعض اختلافات يسيرة تحتمها طبيعة المكان ، وظروف المناخ . فالأخبار العربية [مثلاً] تؤكد ظهور الجن بكثرة في الفيافي والقفار ، والأساطير الأجنبية تعلن وجود هذا النوع في أعماق المحيطات ، وشواطىء البحار . وقد يكون ما ذكرناه من التشابه راجعاً إلى اتفاق المصادر السماوية في الحديث عن الجن ، فـكانت عنصراً هاماً للتوليد والاستنتاج

ويجب ألا ننسى أن ثقافتنا الحديثة ، قد وقفت حائلا منيعاً أمام أساطير البدو عن الجن وسائر الكائنات الغيبية ، فلم تصادف من الذيوع ما صادفته الخرافات الأجنبية ، لأن القريحة العربية الحديثة التي ارتوت بفيض زاخر من العلوم العقلية تزن كل حديث بميزان المنطق ، فما رفضه الفكر السديد حاربته وفندته ، ولكن الغربيين قد احترموا الخيال كما احترموا الحقيقة على السواء فهم مع تسليمهم بوهم هـذه الأساطير قد اتخذوها مجالاً للعبرة والعظة ، فاستنبطوا منها المغزى الخلقي ، والمرمى الإنساني . وقد تكون الأسطورة تافهة لا تهدف إلى غرض ، ولعل واضعها أبله غر نطق بها كما اتفق له ، ولكنهم يكدحون أذهانهم في التحليل والاستنتاج حتى يظفروا بما يريدون ، أما الذهن العربي الحديث فقد احتقر هذه الأساطير احتقاراً تاماً ، ورمى قائلها وسامعها معاً بالجنون والغفلة ، وأنا لا أدرى لماذا لا نجعلها من قبيل الأمثال الفرضية الذائعة في الأدب الجاهلي ، فنسلم أولا بوضعها ، ثم ندلف إلى استنتاج العبرة من حوادثها كما يفعل الأوربيون سواء بسواء ؟...

على أن أكثر هذه الأساطير تهدف إلى الشجاعة والمروءة وما إليهما من الشمائل التي تشربها البدوي ، وسرت في عروقه مع الدم في مجرى واحد ، فكان علينا أن نجعل منها أداة صالحة للتهذيب والتعليم فتضم إلى غرابة المنحى وطرافة التفكير ، روعة المغزى وجمال الهدف ، وإليك هذا المثال مع الإيجاز .

خرج عبيد بن الأبرص إلى الصحراء في نفر من صحبه فسد عليهم الطريق شجاع أسود قد فتح فمه فتدلت مشافره كالبعير ، وكان غريب الخلقة ترمى عيناه بالشرر حتى ما يطيق أحد أن ينظر إليه ، وقد احترق جانباه من الرمضاء فاصطبغا بلون مرعب ، فصاح القوم بعبيد : دونك هـذا الجني فاقتله ، ولكن الشاعر عمد إلى إداوة من ماء فصبها عليه ، فانفتل إلى جحره شاكراً قانعاً ، ثم سار القوم فقضوا حوائجهم وقفلوا راجعين ، غير أن عبيداً قد أضل بعيره ، فسدت السبل في وجهه ، وداهمه الليل بكلكله الثقيل ، فوقف متحيراً لا يدرى ما يصنع في ظلام البيداء وإذا بهاتف من عدوة الوادي يصيح :

يا صاحب البكر المضل مركبه   دونك هذا البكر منا فاركبه

فالتفت الرجل فإذا ببكره بجانبه ، ومعه بكر آخر يرشده إلى الطريق ، فركب والخواطر تملأ فؤاده ورأسه ، إذ يفكر في صاحب هـذه اليد البيضاء ، من هو ؟ وكيف اختصه بالرعاية ؟ ولكن الهاتف لا يتركه يمن في شعاب أوهامه بل يصيح :

أنا الشجاع الذي ألفيته رمضا   في رملة ذات دكداك وأعقاد
فالخير أبقى وإن طال الزمان به   والشر أقبح ما أوعيت من زاد

فعلم الشاعر أن الجميل قد رد إليه وأوفاه ، فأخذ السير إلى مقصده في فرح وابتهاج !!

فماذا نقول عن هذه الأسطورة ؟ إننا نتعب أنفسنا في إنكار وقوعها ، كأنه — وهو الواضح البديهي — مجال فسيح للنقاش والجدال ، أما أن نستخرج منها المغزى الرائع ، فنبين لقارئها كيف ينفع المعروف صاحبه فهذا ما لا نفكر فيه على الإطلاق ، فلا عجب أن ضاعت لدينا قيمة هذه الأساطير !!

وقد يدهش القارىء لازدحام الأسفار الأدبية بأقاصيص الجن ، بل ربما تعجب ممن عكفوا على اختلاقها عكوفاً دائباً ، والحق أن هناك عوامل قوية فرضت هذا العكوف فرضاً لازماً ، حيث كان الواضع يجد في عمله مغنماً وافراً يدفعه إلى الاستزادة والتوليد ، فكثير من الناس — كما أسلفنا — يحرص على الإلمام بما في العوالم المجهولة من أسرار ، وكأنه غضب أن يقف علمه عند ما يقع تحت سمعه وبصره ، فعمد إلى استنطاق الأساطير ، وجمع الخرافات ، وخاصة إذا كان فيما يحصله من الغرابة والطرافة مايدعو إلى استيعابه ، فهو يلجأ إلى من يتوسم فيه المعرفة ، فيمتعه بنادرة معقولة تدخل في هذا الباب ، وما تلبث أن تسير بها الركبان من مكان إلى مكان ، وهي في كل دقيقة تتزايد وتعظم ، ويجرى فيها الخيال الخراف مطلق العنان حتى تخرج من دائرة المعقولات إلى حيز المحالات ، وأنت تقرأ الأسطورة الجنية في كتاب متقدم فلا تستغربها ، ثم تجدها انتقلت إلى كتاب آخر وقد اكتسبت كثيراً من المبالغة والتهويل فتقف عندها كالمستغرب ، فإذا انتقلت إلى سفر ثالث بدت صورة مجوفة مضخمة ، تتناكر مع الصورة الأولى تمام التناكر ، فإذا كان التأليف المقيد لا يسلم من الافتعال الملموس ، فما بالك بالسمر الذي لا يعرف القيود والحدود بل ينطلق من الأفواه كما شاء رواته الخياليون . ومهما يكن من

شيء فإن الأسـباب الدافعة إلى الاختلاق لا تخرج عن عوامل ثـلاثة : دينية ، مادية ، خلقية . وماذا نصنع وقد تـكون لنا مألوف مرح ساذج يمتع الأفئدة ويرفه عن النفوس ! !

ونحن بادئون بالحديث عن العامل الديني ، فنذكر أن مفسري القرآن ورواة الحديث ، وأصحاب السير ، قد ساهموا بنشاط وافر في هذا الميدان ، فقد عولوا جميعاً على استهواء العامة بما يقصون من أنباء ، كما وقع في نفوسهم أن الغاية تبرر الوسيلة ، فلا عليهم إذا وضعوا التفاسـير الـكاذبة ، ولفقوا الأحاديث الموضوعة ، ما دامت تجذب إليها القلوب وتدفع سامعها إلى الإيمان والتصديق ، فإذا أراد أحد هؤلاء أن يحض على الصدقة — مثلا — لجأ إلى الخرافات الزعومة فأسهب فيها كما أراد ، ثم لا ينسى أن يخص الجن بنبذ كريمة من وعظه ، فيتنقل عن الحاكم بأسناده ما ملخصه أن أبي بن كعب رأى شبحاً يأكل من تمره ، فقال له من أنت ؟ وأمسك بيده ، فإذا هي كف كلب ، فصاح به أجني أم إنسي ؟ فقال بل جني ! قال وما حملك على ذلك ؟ فقال له : لقد علمت أنك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك لتثاب من الله ، ثم أخبر الرسول بذلك فقال : صدقك الخبيث .

وإذا أراد أحدهم أن يدفع الناس إلى الاستغفار ، وذكر الله لا ينسى أن يلم بحديث الجن فيذكر جانباً من استغفارهم وأدعيتهم ، ويزيد فيحكي من الأخبار الملفقة ما لا نجد داعياً لنشره على القراء . وقد يبالغ بعضهم فيخص آيات من القرآن بفوائد نافعة هي إبعادها الجن عن كل مـكان تقرأ فيه ، وفي حياة الحيوان الـكبرى للدميري صفحات مملوءة بهذه الأعاجيب !! وقد نسب أكثرها زوراً وبهتاناً إلى رسول الله ، وليت شعري ما نقول لهؤلاء الذين أسدلوا على عقولهم حجباً كثيفة حين أتعبوا أنفسهم في تسطير هذا الهراء .

على أن وضاع الحديث لم يبلغوا شأو رواة السير في هـذا المضمار ، فقد تفنن الأقدمون من المؤرخين في اختراع الأوهام الباطلة ، أو على الأقل في تسجيلها بكتبهم المتداولة دون مناقشة أو تعليل ، فما من كاتب متقدم يذكر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا تعرض لـما قالته الجن في ذلك من الشعر ! ! وما أوحته إلى الـكواهن من غريب الأنباء ، وقد يستغل كثير منهم ما ورد في القرآن عن الجن فيفسره كما يمليه هواه ، وما ظنك بتفسـير مشوه ، لا يعمد إلى إيضاح المعنى وتركيزه بل يحيطه بسياج مديد من الأساطير ، كأن كتاب الله وصحف السيرة لا تفهم بغير هذه المحالات ؛ وقد زعم بعضهم أنه ركب بحر الخزر فضللت ريح الشمال مركبه حتى بلغ جزيرة قاحلة ليس بها أنيس ، فشاهد شجرة ضخمة قد استند إليها شيخ هائل ، فتقدم إليه ، فسأله الشيخ من أنت ؟ فقال من العرب ؟ فجعل يسأله عن الجرهمي وعن فلان وفلان ، حتى انتهى إلى عبد المطلب فسأل عن ابنه محمد الهادي ، فقال له : قد مات منذ زمن ، فشهق شهقة عظيمة ، وانتفض كالفرخ ، ثم أخـذ ينوح ويبكي ، وقال أنا السفاح بن الرقراق الجني ، أعرف التوراة والإنجيـل ، وقد اختبأت في هذه الجزيرة يوم أن أطلقت الطوالق القيدة ، من وقت سليمان ، وكنت أطمع أن أرى محمداً ، فإذا رجعت إلى المدينة ، فأقرأ السلام على قبره وبلغه أطيب التحات » ! !

فهذه أسطورة مقتضبة من مئات تدور حول التبشير بنبوة الرسول ، ولا أدري كيف كانت تقابل من السامعين بالارتياح ، وكيف أبقى عليها الزمن فخلدت في بطون الأسفار ؟ وليس بعيداً أن نرى في العصر الحاضر من يتعصب لها كمعجزة خارقة ؟ وكم في الناس من أغبياء !

ويجب أن يفهم أننا لا ننكر البشـائر النبوية التي آذنت ببعثة الرســول العظيم ، بل نؤيد جميع ما ذكرته الـكتب الصحيحة ، مما يخضع للناموس الطبيعي ، ولا يصطدم مع التفكير المستقيم ، ومن ذلك — فيما يتعلق بهذا النوع — ما روى عن إسلام سواد بن قارب رضي الله عنه ، فقد كان في جاهليته كاهناً تهبط الجن عليه بما تسترق من السمع ، فأخبر فيما أخبر به ببعثة الرسول ، ووقع الإيمان في قلبه فوفد على الرسول بمكة وأنشده

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة ... ولم يك فيما قد عهدت بكاذب
ثلاث ليالي قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب
فكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فهذا خبر لا يعدم الدليل على صدقه ، لأن استراق السمع ثابت بنص القرآن ، وسواد رحمه الله قد أسلم لربه ، وقد اعتز بإيمانه اعتزازاً لا يحتمل معه تخرص وادعاء ، حتى أن عمر بن الخطاب

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ العباس خضر

محاضرات المصريين بالسودان :

تهتم الآن وزارة المعارف بتنظيم المحاضرات الثقافية التي يلقيها الأساتذة المصريون بالسودان ، وأدرجت في الميزانية لهذا الغرض ألفي جنيه ؛ وذلك بعد أن رأت إقبال الجمهور المثقف بالخرطوم على المحاضرات التي نظمتها في العام الماضي مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، فرأت تدعيم محاضرات المدرسة بمحاضرات أخرى في نوادي الخرطوم يلقيها المفتشون الذين يعملون بالمراقبة العامة في السودان.

وليست محاضرات مدرسة الملك فاروق في العام الماضي ، أول تجربة في هذا السبيل ، ففي سنة ١٩٤٣ أوفدت وزارة المعارف بعثتين من كبار أساتذتها ، فألقوا محاضرات بأندية الخرطوم وأم درمان ، كان لها طرب في نفوس إخواننا بأعلى النيل ، وأقول « طرب » وأنا أقصد معنى الكلمة .. فقد كنت هناك في ذلك الوقت ، ولا أزال أذكر كيف امتلأ نادي الخريجين بأم درمان — امتلأ ذلك النادي الرحيب واحتشدت فيه الجماهير لسماع محاضرة الأستاذ الشباسي بيومي في « إعجاز الفاصلة في القرآن » وشاع الطرب في الحاضرين حتى كانوا يهتفون عند الفواصل: الله! كأنهم — لشدة تأثرهم وعمق تذوقهم — في حفل غناء

ويوم ذاك أيقنت أن هذه الثقافة العربية الإسلامية هي الغذاء الروحي المشترك بين أهل الوادي في الشمال وفي الجنوب ، كما يشتركون في الغذاء المادي من ماء النيل .

وأريد أن أفرغ من ذلك لأنبه على أمر آخر في هذا الموضوع ، ذلك أن الوزارة تقصر بعثات المحاضرين المصريين إلى السودان ، على أساتذتها والمفتشين بها . ولكني أقترح عليها أن تدعو بعض الكتاب والمؤلفين ، من غير رجالها ، الذين يعرفهم السودانيون بالقراءة لهم ، وهم ولا شك يودون رؤيتهم وسماعهم ؛ فتخرج بذلك هذه المحاضرات الثقافية عن النطاق الرسمي . ولا أخفي أن أكثر محاضرات المفتشين والمدرسين ذات طابع مدرسي ، وقد أشارت إلى ذلك بعض صحف الخرطوم في التعليق على بعض محاضرات سنة ١٩٤٣

مؤتمرا اللغويين والمستشرقين :

عقد بباريس في أواخر يولية الماضي وأوائل أغسطس الحالي ، مؤتمران كان لمصر فيهما نشاط ملحوظ ، وكان للغة العربية في أحدهما ظفر يغتبط به ، وهما مؤتمر اللغويين ومؤتمر المستشرقين ، وقد انعقدا على التعاقب ، كان أولهما مؤتمر اللغويين وقد اختتم أعماله يوم ٢٧ يولية ، وكان مما قرره تمثيل مصر في لجنته الدولية الدائمة .

وكان بعد ذلك مؤتمر المستشرقين ، وكان من الرغبات التي أبداها أن تمنى دول العالم أجمع بإدخال معلومات عامة عن المدنية الشرقية في برامج التعليم مع العناية بالمدنية الإسلامية وما تبقى من المدنيتين الهندية والصينية ، فإنه لا يجوز لأهل الغرب أن يجهلوا ما كانت عليه مدنية أهل الشرق الذين يؤلفون نصف سكان العالم .

وظفرُ اللغة العربية الذي يدعو إلى الاغتباط ، كان في الجلسة الختامية لمؤتمر المستشرقين ، إذ اقترح الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بالأزهر أن يوافق المؤتمر على قبول التباحث باللغة العربية في المؤتمر القادم ولا سيما عند بحث المسائل الإسلامية . ونوقش الاقتراح ، ثم تقرر قبوله .

وقد بدا نشاط ممثلي مصر في المؤتمرين ، إذ ألقوا بحوثاً ،

قد ذكره مرة بكهانته في الجاهلية فغضب غضباً عرف في وجهه ، فاعتذر إليه أمير المؤمنين وقال له يا سواد ، والله ما كنا عليه من عبادة الأصنام شر من كهانتك . فليس بمعقول أن يتحدث عن سبب إسلامه بما لم يقع ، فهو إذن صادق مصدق ، وإنما الكاذب من يروي الأساطير التي تنتهي إلى عهد سليمان بن داود ثم يكدر بها حياض السيرة المطهرة ، وأولى بها أن تأخذ مكانها في « ألف ليلة وليلة » فتتلاق الأكاذيب ، وتمتزج الغرائب بالأعاجيب .

(البقية في العدد القادم) محمد رجب البيومي

وقدموا تقارير واقتراحات ، كانت موضع التقدير ، واسترعى الانتباه ما أبداه العلماء المصريون فى علم الآثار القديمة مما يدل على بلوغهم فيه درجة عالية ، وقال بعض الأعضاء إنهم أصبحوا فيه مساوين لسائر علماء الآثار فى العالم .

الدكتور طه حسين :

ويمثل الدكتور طه حسين بك فى هذين المؤتمرين ، مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وتدل الأنباء الواردة على وفرة نشاطه فيهما ، وقد كتب للأهرام مقالا — من المقالات التى يوافيها بها من باريس — نشرته بعنوان « بين مؤتمرين » أبدى فيه شغفه بمتابعة أعمال لجانهما فتمنى أن يظفر بـ « تعدد الأجسام » فيستطيع ، كما يقال عن أهل الخطوة ، أن يحضر الاجتماعات المتعددة المنعقدة فى وقت واحد ... أى يحضرها كلها فى وقت واحد أيضاً ! « ولكن هيهات ، إذا أتيح لك أن تستمع لحديث باقى فى هذه الساعة من ساعات الضحى فقد قضى عليك أن تحرم أحاديث كثيرة جداً تلقى فى نفس هذه الساعة فى الغرفات المجاورة أو فى الغرفات البعيدة أو فى الدور النائية عن هذه الدار التى أنت فيها » ومما تضمنه مقال الدكتور طه أن المصريين كانوا قلة فى مؤتمر اللغويين ، وكانوا كثرة فى مؤتمر المستشرقين ومع ذلك فإنهم أكثر ما ألقى فيه من حديث « فلم يشهد المصريون إلا ثلاثة أقسام من عشرة أقسام ، لا لأن أجسامهم لم تطاوعهم ، ولا لأن عددهم لم يطاوعهم ، بل لأنهم مع الأسف الشديد لم يؤتوا من العلم إلا قليلا ، فهم قد استطاعوا أن يشاركوا فيما يتصل بالدراسات الإسلامية وبالدراسات السامية وبالآثار المصرية القديمة والقبطية والإسلامية ، فأما ما عدا ذلك من شؤون الترك والفرس والهند والصين ومن شؤون الدراسات اليونانية الرومانية فى الشرق القريب والبعيد فلم يشارك المصريون فيه لأنهم لا يحسنونه ولأنه لا يدرس فى بلادهم ، ولأن بلادهم لم تفكر بعد فى أن تهيء أبناءها للتخصص فى فنون العلم على اختلافها »

الدكتور طه بين مصر وفرنسا :

وعلى ذكر المقالات التى يوالى الدكتور طه كتابتها للأهرام من باريس — أقول إنه لوحظ فى بعض عباراتها ما يدل على أنه عاتب على مصر ، أو غير راض عما يتعلق بشخصه فيها ، أو كما نقول بلغة الحديث العامية (واخد على خاطره) فقد قال فى أولى هذه المقالات إنه سيعود إلى مصر يوم تدعوه إليها . . وفى المقال « بين مؤتمرين » المتقدم ذكره ، ختم الحديث عن وفد مصر غير المستكمل للدراسات المختلفة بتوجيه الكلام إلى الهيئات التى أوفدته ، فقال « وأول هذه الهيئات المختصة مجلس الوزراء الذى أوفد إلى المؤتمر وفداً مصرياً أستثنى نفسى منه ، ثم أقول بعد ذلك إنه شرف مصر حقاً » وجاء فى بعض الأنباء أن الدكتور طه سيسافر إلى إحدى القرى الفرنسية للاستجمام ، ثم يسافر إلى إسبانيا لإلقاء محاضرات أدبية ببعض معاهدها وجامعاتها ، تلبية لدعوة حكومتها . ولم يرد فى النبأ ذكر لعودته إلى مصر .

ويدل استثناؤه من الوفد الذى أوفده مجلس الوزراء : على أن الأمر إنما هو بينه وبين الدولة ، ولكن ألم يوفده مجمع فؤاد الأول للغة العربية وهو من الدولة ؟ ولنفرض أن الدولة جافته فى بعض الأمور ، فهل هذا يؤدى إلى التدلل على مصر وهجرانها وهى تقدره حق قدره ؟ وماذا صنعت فرنسا للدكتور طه مما لم تحققه له مصر ، فرضى عنها وأخذ أمورها مأخذ المحب ، كما تدل على ذلك مقالاته الأخيرة بالأهرام ؟

على أننا لم نسمع قبل اليوم أن أحداً من كبارنا أمثال الدكتور طه ، ممن نالهم بعض العنت فى عهود غير أوليائهم ، قد غضب من مصر وهجرها إلى غيرها من البلاد . ولعل ذلك لأنهم ليس لهم « فرنسا » يهيمون بها ... وهل تحتضن الدولة كل كبار الأدباء ؟ وهل هذا لازم لعيشهم فى البلاد ورضاهم عنها ؟

أكتب هذا وأنا آسف لحرمان مصر فى هذه الآونة المضطربة قلم طه حسين الفياض ، وهى أحوج إلى صولاته فى صميم شؤونها المعقدة المختلفة ، منها إلى ما يلقى فى حجرات المؤتمرات القريبة والنائية ... وإن ذلك لأجدى عليها من دراسة شؤون البلاد التى تركب الأفيال !

الكبراء والكتب :

• قرأت فى مقال للأستاذ المازنى بالعدد الأخير من أخبار اليوم ، أنه كان فى مجلس جاء فيه ذكر بعض الذين يعدون أنفسهم من القادة أو الزعماء ، فقال « إنى أراهن بما تشاءون — وأنا واثق أنى لن أخسر — أنه ليس فى بيت « فلان » — ولا داعى لذكر اسمه — كتاب واحد حتى ولا رواية بوليسية ! » وقال

هذا مثل واحد أكتفى به لأنه يغنى عن غيره .

وقد ذكرنى هذا بما قصه على صديقى س قال : عهد إلى أن أقدم إلى بعض الكبار هدايا : نسخاً من كتاب أخرجته لجنة إحياء آثار أبى العلاء المعرى ، تنفيذاً لقرار وزارة المعارف القاضى بهذا الإهداء ، فقدمت على فلان — ولا داعى لذكر اسمه كما يقول المازنى — وقدمت له الكتاب ، فتناوله ونظر إلى غلافه ثم قال متلطفاً أو متظاهراً بالمعرفة : نعم . أبو العلاء المعرى ! بضم الميم .

وهذا الذى جرى لميم المعرى ليس أمراً هيناً .. فأقل ما يدل عليه عدم استحقاق الهدية ! وكم هناك ممن يستحقونها ولا تهدى إليهم ، لأن الوزارة تهدى هذه الكتب إلى الكبراء وأصحاب المناصب العالية ، وأكثرهم لا يقرءونها ولا يعرفون قيمتها ، ولا تنظر إلى غيرهم من الأدباء والمتعلمين الذين يلاقون العنت فى استعارتها من دار الكتب المصرية .

احتلال الأوبرا :

يظهر أن المهزلة التى تمثل سنوياً على مسرح الأوبرا — ستتابع فصولها فى الموسم القادم ... أعنى الفرق الأجنبية التى تجلب من أوربا كل عام لتسلية (الخواجات) والترفيه عن أبناء الذوات ... فتحتل المسرح القومى أكثر الموسم بعد أن تجلو عنه الفرقة المصرية وهى أحق به .

فقد قال مراسل الأهرام من باريس إن الأستاذ سليمان نجيب بك مدير دار الأوبرا الملكية وصل إلى باريس وصرح له بأنه سيدعو إلى مصر بين شهرى يناير ومارس القادمين ، فرقة مونت كارلو لمدة ١٥ يوماً ، وفرقة الأوبرا الإيطالية لمدة أربعين يوماً ، كما أنه سيدعو إليها بيار بلا نشان لمدة شهر مع فرقة تمثل خمساً من رواياته . ويضيف إلى ذلك أنه يرجو أن يوفق لإرسال فرقة الكوميديا المصرية إلى فرنسا وانجلترا فى مقابل الفرق الأجنبية التى تستقبلها مصر .

وأنا أسأل أولا : ما هى فرقة الكوميديا المصرية التى يرجو أن يبادل بها ... ؟ هل عندنا فرقة بهذا الاسم ؟ إن كل ما لدينا هى الفرقة المصرية التى تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية وهى ليست كوميدية ، والفرق الأخرى معطلة بفضل هذه السياسة التى منها استجلاب الفرق الأجنبية .

المسألة ليست إلا استرا للموقف بتسميتها « تبادل فرق » فقد استنكر الرأى العام فى السنة الماضية الاستمرار فى استيراد الفرق الأجنبية ، وحمل عليه النقاد حملات موفقة ، وكان لنا فى ذلك مشاركة . فأريدَ اتقاء الشعور العام بهذا « الرجاء » وقد تطورت ظروف البلاد بعد ذلك حتى صرنا إلى حال لم يكن يصح فيها أبداً مجرد التفكير فى شىء من هذا الذى يزمعه مدير دار الأوبرا . وقد قال النقاد وقلنا فى العام الماضى . والجديد الآن أننا نحارب فى فلسطين — نقاتل ونهادن وندفع العدوان ونستأنف القتال — وهذا يقتضى تجنيد الجهود والأموال لمواجهة الجهاد ، ولهذا نلغى الحفلات الرسمية ونستغنى عما يماثلها من الكماليات . وقد وقفت دول الغرب ضد قضية العروبة ، وهذا يقتضى أن نقف منهم موقف الحازم الذى لا يتفق معه أن ندعو فرقهم لاحتلال مسرحنا القومى ، ولا يكفى اختصار المدة المعتادة ، لأن الذى يدعو إلى هذا الاختصار هو الذى يدعو إلى الاستغناء التام

أرانى أخذت فى بيان ما هو ظاهر بالبداهة ... وإنى والله لأخجل أن أرى فى بلادنا وفى هذه الظروف التى نحن فيها ، تلك الفرق التى يراد قيادتها إلى مصر فى الموسم القادم .

من طرف المجالس :

كان الحديث فى قضية فلسطين وموقف هيئة الأمم المتحدة منها ، وهو حديث المجالس الغالب فى هذا الظرف . قال قائل : عجباً لهذه الهيئة ... كونتها الأمم الكبيرة ، لتحل — فيما تحل — المشاكل التى تنشأ بينها ، وهذه — مثلا — مسألة برلين ، لم تعرض عليها ولم تنظر فيها ، بل عمدت الدول المؤلفة لها إلى المباحثة فيها ، خارج الهيئة ، بالمؤتمرات الثلاثية والرباعية . أما فلسطين فما أسرع ما تبت فى شؤونها ، لا لتحمى السلام وإنما لتحمى دولة إسرائيل المزعومة من بطش العرب ، فهل تكونت الأمم المتحدة لتكون «هيئة شرف» بالنسبة لمسائل الأمم الكبيرة ، ثم لتكون أداة فعالة فى خدمة الأغراض الاستعمارية والصهيونية ؟ .

قال آخر : ألا ترون أن هيئة الأمم المتحدة هى أيضاً هيئة مزعومة !

العباس خضر



إلى فضيلة الشيخ أبو العيون :

كان تجلدك الذي أمتنع على صدمة تلك الملمة ؛ وثبات جأشك في عصف ذلك الخطب ؛ موضع إكبار الجميع ؛ حتى عدت سابقة لفضيلتكم في هذا الميدان ، لقد تخطفت المنايا السود ولدك - وهو يمرح في أعطاف الرابعة عشر ربيعاً ، ويختال في حلة نسجت من طراوة العمر ، ونضارة الصبا ، لا تحوكها أنامل الحياة غير مرة ؛ فها هو ذا الشاب يلوذ بحمى - المستشفى - ليكف عادية الداء عن شبابه ؛ فإذا في ارتقابه بهذه الدار تلك السفينة التي تقلع بالإنسان إلى الشاطئ المجهول . ويهبط النبأ الفاجع على قلب - الشيخ - يا أسلاك البرق - قدحت أى زناد ! ! وأطرت أية شعلة بفؤاد - الشيخ - المرهف الشفوق . أية ناسفة تحمل أمثال هذه الأنباء التي تنزل في عالم الشعور ؛ والإحساس ؛ وأى لغم تفجره بين الجوانح تلك الكوارث . ولكن قوة إيمان الشيخ ، قد استطاعت أن تحول بين الشيخ ، وبين ما تستهدف له القلوب . فيأبى الشيخ . وهو السكرتير العام للأزهر والرجل الموصول بأفئدة الأمة ؛ أن يذيع نعيه في الصحف ولا حتى بين الأصدقاء الأقربين .

وتوجه في قلة قليلة لا تعدو أصابع اليد الواحدة إلى - دار المستشفى - وحمل قطعة قلبه إلى حيث يوسدها المضجع الأخير وصلى عليها حيال القبر ؛ وعاد الشيخ ببعض النفس ؛ والبعض في القبر وتجلس إلى الشيخ فإذا هو باسم الثغر ، طلى الحديث . مؤنس المحضر . تدور أحاديث الدين ، والأدب ، والاجتماع ، كأننا لسنا في دار ثكلت عزيزاً ؛ ولا بجوار شيخ حثى التراب على معارف كان يخشى عليها الثقل من موطىء الذر .

لم أكتب هذه الكلمة لتكون عزاء فأنت ، أيها الشيخ ، أسمى من أن يسوق العزاء سائق ؛ ولكن أريد أن أقدم نموذجاً لما تكون عليه الرجولة في الشدائد ؛ وأن يعرف الناس السنة الإسلامية التي يجمل بهم أن يستنوها مع من يشيعون .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ - ولم لا نسأل عن أشياء ؟

أهى من عالم الغيب الذى استأثر الله بعلمه ؟ أم هى من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فيكفر جاحدها ؟ أم نحن نشك في روايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورتها الحاضرة ؟ أم أغلق باب الاجتهاد في فروع اللغة كما أغلق عند جمهور العلماء في فروع الفقه ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ وإنما قصدت في كلمتى السابقة أن ألتمس الوجه الصحيح الخالى من الحدس والافتراض والتكلف لورود كلمة (أشياء) في القرآن الحكيم على صورة الممنوع من الصرف ، وإن بدا رأيي جريئاً غير مستساغ عند بعض الناس فحسبي أن يكون رائدى حسن النية ، وأن أفتح البحث أمام الذين يبحثون في وسائل تيسير النحو في هذه الآونة على المتعلمين حتى اقترحوا حذف (الممنوع من الصرف) من منهج التعليم الابتدائى لا نزاع في أن البحث من الجفاف بحيث لا يجمل الخوض فيه على صفحات المجلات ، ولذلك عرضته ملخصاً في الكلمة الأولى وما زلت على خطتى في هذه الكلمة ، وإن عسيراً أن أجشم القارئ درس موضوع من أيسر مسائله ادعاء بعضهم أن (أشياء) اسم جمع مثل (طَرْفاء) قدمت لامه فصار على وزن (لَفْعاء) ؛ كل ذلك ليبرروا وروده ممنوعاً من الصرف في سورة المائدة ، وأنا بلا ريب أستحسن كثيراً رأى (الكسائى) الذى أورده الأستاذ الفاضل محمد غنيم في كلمته القيمة وملخصه أن (أشياء) جمع (شيء) جاء على صيغته الأصلية ، ولكن منع صرفه لكثرة استعماله في الكلام تشبيهاً له بالاسم المؤنث المنتهى بالألف الممدودة ، هذا أشبه بالحق ، وأدنى إلى حسن الذوق ولكن ماذا لو التمسنا للمسألة وجهاً آخر ؛ مع التسليم المطلق بصحة الرواية ، أنا لا أزال أقول إن ورود الكلمة على صورة الممنوع من الصرف مبنى على القاعدة النحوية المشهورة التي أوردها (ابن مالك) حيث قال :

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

وقد طابق هذه القاعدة كثير من استعمالات العرب ، وخرّج عليه بعض آى الذكر الحكيم ؛ وقد أشرت إلى ذلك في الكلمة السابقة ؛ والمسألة ترجع إلى الذوق الموسيقى المعبر عنه

(بالتناسب) فى كلام (ابن مالك) وإنه لو وردت (أشياء) مصروفة فى الآية الكريمة (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) لتكرر حتما مقطعان بلفظ واحد، وكان ذلك مخلا إلى حد ما بحسن الجرس والتناسق ولا شك أن القرآن الكريم فى المكان الأول من رعاية هذا التناسق، والسلامة من كل مظان التنافر، وهذا — كما قلت — من أعظم وجوه الإعجاز، ولولا ذلك لجرى على كلمة (الأشياء) ما يجرى على كلمة (أفياء) وأمثالها من جموع القلة التى توازنها، ولا وجه للقياس على توالى المقطعين بتكرار (إن) فى قوله تعالى: (ما نزّل اللهُ من شئ إنْ أنتم إلا فى ضلال كبير) كما يقول الأستاذ العجمى، فإن القياس مع الفارق كما يقولون؛ إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة (شيء) فى هذه الآية وفى الآية الثانية التى أوردها الأستاذ العجمى، ويكون البدء بما بعد كلمة (شيء) فى الآيتين مما يزيد المعنى قوة؛ وإذاً لا يتوالى المقطعان، على أن همزة (شيءٍ) مسبوقة بحرف لين صامت وهمزة (أشياء) مسبوقة بحرف مد صاعد ولذلك تأثيره فى ثقل المقطعين، أما كلمة (أشياء) فى آية المائدة (وهى محل البحث فإنها مرتبطة بما يليها من الآية الكريمة ارتباط الموصوف بصفته؛ والصفة هنا قيد فى صاحبها، فلا بد من وصلهما حتى يكون معنى النهى فى الآية واضحاً ولا بد إذاً من توالى المقطعين، وهذا ما أجعله علة المنع من الصرف؛ وعلى ذلك يمكن القول — فى غير حرج — أن ورود كلمة (أشياء) غير مصروفة راجع إلى الجو المحيط بها فى الآية الكريمة فلو خرجت منه جاز عليها ما يجوز على سواها.

ولا محل بعد ذلك للاعتراض الذى أدلى به الأستاذ محمد غنيم وخلاصته أنه لو كانت الكلمة معروفة لضبطت همزتها الأخيرة بالجر من غير تنوين؛ فأنها بلا نزاع غير مصروفة (فى الآية الكريمة) فيجرى عليها حكم الممنوع من الصرف كاملا وتجر بالفتحة؛ ولكن لمنع صرفها سبباً فنياً غير الذى قالوه؛ فهو فى رأى المتواضع (ولا يؤاخذنى الأستاذ العجمى) مبنى على اعتبار حسن الجرس والتناسب وعند القدامى الذين ندين لهم بالحق وعرفان الجميل مبنى على أسباب شتى ألممنا إلى بعضها فى صدر المقال.

٢ — أخطاء مشهورة:

كثيراً ما نقرأ فى الصحف والمجلات بَلْه كراسات الطلبة والتلاميذ — كلمات جرت على الألسنة، واستفاضت؛ حتى ليحسبها من قلت درايتهم بمتن اللغة من الصحيح؛ ولعل من الخير للغة ودارسيها، أن يتعقب أهل الدراية هذه الكلمات بالنقد البرىء والإرشاد الهادىء السديد، وعلى منابر الصحافة العالية متسع لمن أراد الإصلاح؛ ومن ذلك أننى قرأت أمس فى (الأساس) لشاعر ناشىء مقطوعة ظريفة بدأها ببيت مشتمل على كلمة (النضوج) وفى باب (الكتب والمؤلفات) فى (الاخوان المسلمون) كلمة قيمة فى التنويه بديوان (أين المفر؟) للشاعر النابغة الأستاذ محمود حسن اسماعيل ورد فيها كلمة (خصوبة الخيال) والذى أعرفه أن كلمتى (النضوج — والخصوبة) غير صحيحتين والصحيح أن يقال: (النضج والخصب) أما الكلمتان الأوليان فليستا من كلام العرب فيما أعتقد؛ ومن أنكر فليغير والسلام.

محمود البشبيشى
(بالأسكندرية)

حول كلمة العنيد:

أرجو أن يعلم الأديب الفاضل «محمد مهدى أبو حامد» أن الكلمة التى كتب عنها تعليقه الكريم كانت فى الأصل «عنيدة» بالنون لا بالتاء فصنع بها التطبيع ما صنع، كما لم تسلم عبارته أيضاً منه، فقد كانت فى الأصل و «يقوض» فجعلها التطبيع «يقود» بالدال لا بالضاد وكأن القدر شــاء له ذلك ليعذرني فى خطأ لم ارتكبه!!.

ولا أذكر أنى كتبت طيلة حياتى — فى مختلف الصحف — مقالة سلمت من التطبيع، وهو على كثرته — واضح يفطن إليه المتأمل، وسبحان من تفرد وحده بالكمال.

هذا وللأديب الناقد شكرى وتحياتى.

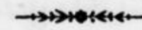
محمد رجب البيومى



الخجـــول !!

للكاتبة الإنجليزية كاترين مانسفيلد

للأديب محمد فتحي عبد الوهاب



كان في الواقع شخصاً خجولاً بكل معاني الخجل، ولا يملك مطلقاً ما يقوله عن نفسه. ويا له من حمل! إذا كان في غرفتك فإنك لا تدرى أين تذهب، ولكنه يظل جالساً حتى يخيل إليك أنك ستنفجر حتماً صارخاً. وتتحرق شوقاً لقذف أي شيء وراءه، عند ما يندفع أخيراً إلى الخارج.

وهو يسترعى اهتمامك عند أول نظرة. وقد تذهب إلى المقهى ذات مساء فتراه جالساً في ركن منها، وقدح القهوة موضوعاً أمامه. أنه فتى أسمر البشرة، رفيع القامة يرتدى صدرة صوفية زرقاء وسترة رمادية ذات أكمام قصيرة تظهره كصبي عازم على الهروب إلى البحر، صبي هارب فعلاً وها هو ذا يقوم في لحظة وقد حمل على طرف عصاه منديله المعقود الذي يحوى رداء نومه وصورة والدته ... وها هو ذا يتعثر ليلاً على حافة الجسر الخشبي في طريقه إلى السفينة.

كان له شعر قصير، وعينان رماديتان بأهداب طويلة ووجنات بيض، وفم متجهم كأنه على وشك البكاء. وكيف تقاوم النساء أغراءه؟ أن قلوبهن لتلتوى عند ما ينظرون إليه. وكان خجله يزيده جاذبية حتى أن وجهه كان يتحول قرمزيا في كل مرة يقترب منه خادم المقهى، كأنه سجين هارب يعلم ذلك الخادم ماضيه.

وقالت إحدى السيدات «من هو يا عزيزتي ... أتعرفينه؟»

فقالت الأخرى! نعم أعرفه. أنه أيان فرنش، وهو رسام ماهر. أن أول من تعرفت به وهبته حنان المرأة وعنايتها. وكانت تسأله عن أهله، وما يكفيه من الأغطية على فراشه، وكمية اللبن التي يشربها يومياً. ولكنها عند ما ذهبت إلى داره لتلق نظرة والخلود بعد العدم ...

(الزيتون)

عدنان

حول لفظة :

جاء في كلمة الأستاذ الفاضل السيد محمد مهدى أبو حامد في البريد الأدبي للرسالة الغراء قوله: «وهذا ما يحضرني الآن من الألفاظ الدالة على معنى (القدم) ولا أقول هذا كل ما في اللغة في هذا المعنى إذ ربما يطلع علينا بألفاظ أخر من المراجع اللغوية (الرقيب العتيد) الأستاذ عدنان وذلك ما كنا نبغي».

وقبل الكلام أقدم الشكر الخالص للأستاذ المهدى على حسن ظنه وجميل شعوره، نحو هذا الضعيف — القوى بالله — وأقول إن ما رآه الأستاذ الأديب ورواه حول لفظة (العتيد) صواب كله وليس لمستزيد عليه مزيد،، ولا الرقيب العتيد.

ثم أقول: ومن الألفاظ الدالة على (القـدم) — وذلك بالإضافة إلى (العتيق والقديم والمهيد) قولهم: الأبيد والدهير والتليد والسحيق، وفي مقام القياس: الزمين — إن شئت — والأزيل من الزمن والأزل ... وهي كلها ألفاظ تدل على القدم،

من مؤلفات ابن طولون :

قال الدكتور أسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: وقد نشر لابن طولون من المؤلفات ثلاث رسائل: (الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون) ورسالة (الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية) ورسالة (المعزة في تاريخ المزة).

مع أن مكتبة القدسي بالقاهرة كانت طبعت قبل ذلك من كتب ابن طولون (اللمعات البرقية في النكت التاريخية) سرد فيها كثيراً من الحوادث والتراجم التي لا يوجد بعضها في غيرها، و (إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين) ذكر فيه الكتب التي بعث بها النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملوك، و (تبييض الطرس بما ورد في السمر ليالي العرس).

محمد أسامة عليبة

على جواربه ، جعلت تطرق الباب دون مجيب ، مع أنها تقسم أنها كانت تسمع تردد أنفاسه داخل الغرفة . ووقفت تنتظر وتنتظر ... دون جدوى .

وقررت الثانية أن توقعه في شراك الحب . فقربته منها ، ودعته بالصبي ، وانحنت فوقه لينتشي من العطر الفاخر الذي يفوح من شعرها . وأخذته بين ذراعيها ، وحدثته عن مباهج الحياة التي لا يتذوقها إلا كل مقدام جريء . ثم ذهبت إلى غرفته ذات مساء ، وقرعت الباب ثم قرعت ... دون جدوى .

وقالت الثالثة أن التسلية هي ما يحتاجه هذا الصبي . فذهبت به إلى المقاهي والملاهي وأماكن الرقص وطفقت تذيقه الخمر . ولكن كل ذلك لم يحرك شعرة من رأسه . وثمل مرة ، ولكنه جلس صامتاً جامداً كالحجر الأصم ، وقد علت وجنتيه بقعتان قرمزيتان . وعندما عادت به إلى غرفته كان قد استرد وعيه ، فحياها في الشارع كأنهما قادمان من كنيسة ... وحاولت ثم حاولت ... دون جدوى . ! !

* * *

وبعد محاولات عديدة يأسن منه النساء — لأن روح العطف لا تموت عندهن إلا بصعوبة — ومع ذلك فكن لطيفات معه ، يدعونه في معارضهن ، ويحادثنه في المقهى . وكان هذا هو كل ما يستطعن الحصول عليه منه .

واعتقدن تمام الاعتقاد أنه يوجد شيء مريب مستخفياً في طيات نفسه . أنه لا يمكن أن يكون بريئاً كما يظهر لهن . ولماذا تجيء إلى باريس إذا كنت تريد أن تكون زنبقة في الحقل ؟ أنهن لا يشتهين ولكن .

* * *

كان يعيش في أعلى بناء شامخ بجانب النهر ، من تلك المباني التي تخالها خيالية في الليالي الممطرة والقمرية ، وإذا بك لا تشم في داخلها رائحة الخيال طوال السنة . وكانت غرفته تطل على منظر ساحر والنافذتان الكبيرتان تشرفان على الماء حيث الزوارق تتأرجح وتتمايل . وكان أمام النافذة الجانبية منزل صغير يطل على سوق لبيع الزهور تظللها مظلات عديدة انسابت من شقوقها الأزهار حقاً أنه لا يحتاج إلى الخروج ، فهو يجد ما يجتذبه إذا ما جلس بجانب النافذه ، وما يجعله يمكث في غرفته إلى ما شاء الله حتى لو أبيضت لحيته واستطالت .

كم تكون دهشة هؤلاء السيدات اللاتي تحدثن عنه إذا ما تمكن من اغتصاب باب غرفته ؟ لقد كانت غرفته مثالاً للعناية والنظافة وحسن الترتيب ، فالأواني معلقة على الحائط خلف الموقد الغازي ، وطبق البيض وقدح اللبن وأبريق الشاي على الأرفف ، والكتب والمصباح على المائدة ، والستارة الهندية المزركشة بالرسومات منسدلة على فراشه ، واللوحة الصغيرة المنمقة أمام عينيه بجانب الفراش وقد كتب عليها بخط واضح « استيقظ بسرعة »

كان كل يوم عنده مثل سابقه . فعند ما يغمر الضوء غرفته يستميت في عمله ، ثم يطهي طعامه وينظف حجرته . ويذهب في المساء إلى المقهى ، أو يجلس يقرأ ويكتب قائمة معقدة يبدأها « ما الذي يمكني عمله ؟ » ويختمها بقسم « أقسم ألا أزيد عن صرف هذا المبلغ في الشهر القادم . الأمضاء — أيان فرنش » .

لم يكن هناك ما يدعو إلى الريبة في كل هذا ، كما يدعين . ومع ذلك فقد كن على حق ، لأن ذلك لم يكن كل شيء .

ففي ذات مساء كان جالساً بجانب النافذة يأكل البرقوق ويرمي بالنواة على قمة المظلات في سوق الأزهار الخالية . وكانت السماء تجود مطراً ، أول مطر للخريف في ذلك العام . والبرق يلمع في كل مكان ، والهواء يحمل في جوانحه شذى البراعم ، وقد خفتت الأصوات التي ما زال صداها يرن في الجو القاتم ، واقترب الناس من نوافذهم يتطلعون إلى فعل الطبيعة ، ويشاهدون الأشجار وقد بدأت تورق وتزدهر . وساءل نفسه أي نوع من الأشجار تلك التي يشاهدها ؟ وأقبل العامل المكلف بإنارة مصابيح الشارع ، وابتدأ في إضاءة المصباح القائم بجانب المنزل أمامه ، ذلك البيت المتداعي . وفجأة كاستجابة لنظراته ، فتح مصراعا نافذة وأقبلت فتاة إلى الشرفة تحمل أصيصاً من الأقحوان . كانت نحيفة نحافة ملفتة للأنظار ، وترتدي مئزراً قاتماً ، وقد عقدت على شعرها منديلا وهي مشمرة الأكمام وذراعاها يلمعان في الظلام .

وسمعها تقول « نعم ، إن الجو حار وذلك يساعد الزهور على النمو » ثم وضعت الأصيص على الأرض والتفتت إلى من تحدثه داخل الغرفة .. ثم استدارت ووضعت يديها على المنديل وجعلت تنظم خصلات شعرها ، وألقت نظرة على السوق الخالية

ثم إلى السماء ، ولكنها لم تلتفت إليه كأن المكان الموجود فيه ليس إلا خلاء. وكأنه لا يوجد أمامها منزل مقام . ثم اختفت داخل الغرفة .

وسقط قلبه من نافذة غرفته إلى شرفة المنزل المقابل ، واستقر داخل أصيص الأقحوان تحت البراعم التي كانت على وشك التفتح . وسمع أصوات الأطباق وهي تغسلها بعد العشاء ، ثم أقبلت إلى النافذة ، ونفضت ممسحة صغيرة في الهواء ثم علقتها على مسمار حتى تجف .

... لم يسمعها مرة تغني أو ترفع ذراعيها إلى القمر كما تفعل الفتيات . كانت ترتدي دائماً نفس المئزر القاتم وعلى شعرها ذلك المنديل الأحمر . من يعيش معها ؟ إنه لم يشاهد سواها بالقرب من هاتين النافذتين . ومع ذلك فكانت كثيراً ما تتحدث إلى من بالغرفة . لعلها والدتها العاجزة . ولعل والدها توفي . ولعله كان صحفياً شاحب اللون طويل الشارب أسود الشعر .

أنهما يعملان طوال اليوم ما يكفي لمدهما بالقوت الضروري ولكنهما لا يخرجان من منزلها قط ، ولم يشاهد لها أصدقاء .

وعند ما جلس على مائدته ، كان عليه أن يكتب إقراراً جديداً وقسما جديداً بألا يذهب إلى النافذة إلا في ساعات معينة ، وألا يفكر فيها حتى ينتهي من عمله اليومي .

كان ذلك بسيط جداً . لقد كانت المخلوقة الوحيدة التي يود أن يتعرف بها . أنه لا يحتمل الفتيات الضاحكات ولا يجديه أن يتعرف بالنساء الناضجات . لقد كانت في مثل سنه وعلى شاكلته .

وجلس في غرفته متعباً ، مسنداً ذراعيه خلف رأسه ، محدقا ناحية نافذتها . وتخيل نفسه موجوداً معها وجمل يصفها لنفسه كما يصورها له خياله . كانت ذات طبع حاد . وكثيراً ما كانا يتشاجران في حرارة . وكانت لها طريقتها في الوقوف أمامه في عناد وغضب . ولم يشاهدها تبتسم إلا نادراً عند ما كانت تخبره عن الهرة الصغيرة التي تربيها ، والتي كانت تزأر كأنها الأسد عندما تقدم لها الطعام . واعتاد الجلوس بجانبها في هدوء كما يجلس الآن وقد أطبقت يديها على حجرها ووضعت قدميها تحت المقعد الجالسة عليه ، وهي تتحدث في صوت خفيض أو تظل صامتة ، مجهدة من عناء عمل اليوم . ولم تسأله بالطبع عن عمله . وكان يرسمها في أوضاع جميلة . ولكنها كانت تكره كل هذه الرسومات ، وتدعي أنها لا تمثلها مطلقاً . ولكنه معذور ... إنه لم يتعرف بها حتى الآن . ومن يدري ؟ فلعل ذلك يستغرق منه سنين طويلة .

ثم وجد أنها تخرج مساء كل خميس لتشتر حاجيات المنزل . ولاحظها خميسين متتاليين وهي واقفة أمام النافذة ، وقد ارتدت معطفاً قديماً حملت سلة في يدها . كان لا يمكنه مشاهدة باب منزلها وهو جالس في غرفته . ولكن في مساء الخميس التالي وفي نفس الوقت ، اختطف معطفه وهرول خارجا .

وارتكن بجانب منزله منتظراً قدومها . لم يكن لديه أية فكرة عما سيفعله أو سيقوله . ثم أقبلت مسرعة في خطوات قصيرة خفيفة . ما الذي سيفعله معها ؟ إن كل ما يستطيعه هو أن يقتفي أثرها ... ذهبت إلى البقال وأمضت هناك وقتاً طويلا ، ثم توجهت إلى القصاب ، وجلست تنتظر دورها ، ثم مكثت دهراً عند الخائط . وأخيراً قصدت إلى الفاكهي ، واشترت منه ليمونة وجمل يراقبها وهي تحدث الفاكهي . أنه يشعر أكثر من ذي قبل بأنه يجب أن يتعرف بها . لقد أحب فيها هدوءها ورزانتها ووحدتها وطريقة مشيها ، ووجد فيها كل ما ينشده في امرأة .

كانت سائرة في طريقها إلى المنزل عندما رجع يلاحقها . وتوجهت فجأة إلى اللبان ، ورآها من خلال النافذة وهي تشتري بيضة أمسكت بها في عناية ، بيضة كتلك التي يختارها لنفسه دائماً . وخرجت من الحانوت وتابعت سيرها . وجاءته فكرة . فلم يتردد في دخول الحانوت ومكث هناك لحظة . ثم حث الخطى حتى وجد نفسه يسير وراءها . وخلفت منزله عابرة سوق الأزهار مخترقة الظلات الكبيرة وهي تطىء بأقدامها الزهور المتساقطة على الأرض وزحف داخل منزلها ، وصعد السلم محاولا أن يكون وقع أقدامه ملائماً لوقع خطواتها حتى لاتلاحظ وجوده . وعندما وقفت بجانب الباب ووضعت المفتاح في الثقب ، أسرع وواجهها فالتفت إليه في تساؤل .

... واحمر وجهه أكثر من المعتاد ، ولكنه نظر إليها في جرأة ، وقال في صوت تلوح عليه رنات الغضب المكبوت وقد علت وجهه حمرة الخجل «أرجو المعذرة يا آنسة. لقد سقط منك هذا

وقدم لها ... بيضة !!

(الإسكندرية) محمد فهمي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩٠ — الاثنين ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠١٥

مجلة السوعية الأدب والعلوم والفنون

16 em Année No. 790

Lundi — 23 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٦٧ — ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

يهوه على الأرض

للأستاذ نقولا الحداد

جاءنا برنادوت المجيء الثاني بأوامر ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكنه هو أنزل أو يريد أن ينزل سلطاناً . جاءنا بأمر هدنة لا نهاية لها . والعادة أن الهدنة يقترحها أحد المتحاربين ويقبلها الآخر لأن كلا من الفريقين يحتاج إليها لغرض واحد كأن يتفقا على دفن قتلاهما . ولكن هذه الهدنة فرضها برنادوت فرضاً لأجل غير مسمى بلا لزوم ... بسلطان مَن فرضها ؟ — بسلطان مجلس الأمن ... يحتاج إليها اليهود ولا يريدها العرب ؛ ولكن مجلس الأمن أمر ، وأمره الأمر . لماذا ! لعل هذا المجلس هو الله على الأرض ؟ ... ونحن لا نعرف إلهاً على الأرض إلا ما نسمع اليهود ينادونه حيناً بعد حين : « يا إله اليهود » كذا يدعون ويتوسلون ويصلون . . فمن هو إله اليهود هذا ؟ هل هو غير إله المسلمين والمسيحيين ؟ — يظهر أنه إله آخر غير إله العالم كله . بحثنا عنه في توراتهم فإذا هو الجنرال يهوه رب الجنود . انظر سفر الخروج ٦ : ٣ ومعناه « سيصير » أي أنه سرمدي . واسمه أيضاً أهيه الذي أهيه ومعناه « يكون » خروج ٣ : ١٤ ونصوص التوراة تصور لنا يهوه إنساناً عظيماً يخاطب البشر ويأمر موسى ويوشع أوامر لا تطابق التعاليم الدينية الصالحة كسفك الدم والنهب . ويغضب وينتقم ، إلى غير ذلك من أخلاق البشر . والله منزه عن كل هذه الصفات .

فهل نزل إلههم إلى الأرض لكي يصدر أوامر كما كان يصدر أوامر إلى يشوع حين جمل يغزو أرض كنعان بسفك دم ونهب وتقتيل كبار وصغار ورجال ونساء ؟

إذا كانت هذه الهدنة أبدية فالمعنى أن الحرب انتهت . على أي اتفاق انتهت ؟

هل يريد مجلس الأمن أن يفرض معاهدة خاصة على اتفاق خاص فرضاً ؟ العادة أن الاتفاق يتم برضى الفريقين وإلا فلا اتفاق وإذن فلا هدنة ، وإذن يكون إرغام أحد الفريقين على المهادنة دون الآخر هو بأمر يهوه . وقد قال برنادوت أمس في صراحة بهذا الصدد « أنه سيبلغ مجلس الأمن عن الفريق الذي ينقض الهدنة والمجلس يقرر العقوبة . ولكن ليس معنى هذا أن الفريق الآخر يجوز له أن ينقضها بل يجب عليه يحافظ عليها » ومعنى هذا الكلام اللغو : أنه إذا هجم اليهود بألفي جندي على القدس القديمة يجب أن تبقى الحامية العربية التي فيها مكتوفة الأيدي تتلقى رصاص اليهود بصدورها .

وما على برنادوت إلا أن يبلغ الخبر إلى مجلس الأمن وينتظر الجواب !

هذه هي شريعة يهوه جنرال اليهود الذي نزل إلى الأرض في هذه الأيام !

* * *

طلب السير ألكسندر كادوجان إلى مجلس الأمن أن يرسل ١٠٠ ألف جنيه للاجئين العرب فرفض المجلس هذا الطلب!

ألو كان شرتوك هو الذى طلب هذا الطلب فهل كان مجلس الأمن يرفض؟ من كلف كادوجان أن يطلب إعانة للاجئي العرب؟ ومن قال له أن العرب يقبلون إحساناً من أية أمة؟ فى حين أن قسماً كبيراً من مالية هيئة الأمم هو من الدول العربية. والدول العربية كلها قررت أن تفرض ضريبة خاصة لإعانة المنكوبين. ولكن هى إنجلترا كالثعلب تتظاهر أحياناً بالعطف على العرب فى حين أنها تغدر بهم فى الخفاء.

إن المائة ألف التى اقترحها كادوجان لا تكفى إلا ربمائة ألف لاجىء أسبوعين. والملك عبد الله ينفق كل يوم ٢٢٠٠ جنيه ثمن خبز للاجئين عنده.

* * *

جاء برنادوت بمهمة وضع مشروع لفلسطين يقبله العرب واليهود. وقد جرب حظه فى الهدنة السابقة فخاب سعيه؛ لأن المشروع عقيم، وبرنادوت لا يستطيع أن يخصب العقيم. وهو يعلم شرط العرب الذى لا يقبل الجدل بتاتاً، وهو عروبة فلسطين التامة. فلماذا يضيع وقته ووقتنا فى طلب المستحيل. إذن ستبقى الهدنة إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين. فما معنى هذه الهدنة الأبدية وما الغرض منها؟ أيريد سعو الكونت برنادوت أن يصيف ويشتى، ويصيف ويشتى، فى رودس إلى ما شاء الله على حساب هيئة الأمم؟ ما أسخف منه إلا المجلس الذى انتدبه. لو كان شريف المحتد كما يقال وله شئ من كرامة النفس لما قبل هذه المهمة غير الشريفة.

جعل برنادوت مسألة اللاجئين العرب فى مقدمة مساعيه. يريد على زعمه رجوع العرب الفارين من وحشية اليهود وتفظيعهم على الرغم من أن اليهود يرفضون رجوعهم بل يريدون أن يؤتى بيهود من الخارج يحلون محل العرب المهاجرين.

على أى أساس يقترح برنادوت رجوع المهاجرين العرب؟ هل يضمن أن اليهود لا يعيدون تمثيل دور دير يس الفظيع؟ أم هل يسمح بأن يتسلح العرب الراجعون تسليحاً كاملا ضخماً لكى يدرأوا عنهم شر أولئك الوحوش الطغاة؟

لم يقول إنه يأخذ على اليهود عهداً بأن يكونوا قدسيين إنسانيين. وإذا كنا لا نصدق عهود كبريات الدول فهل نصدق عهود أبنائها اليهود المدللين؟

ثم يقترح برنادوت أن يغاث العرب اللاجئين مدة تشردهم عن بلادهم إلى أن يعودوا إلى بلادهم. وهناك ما ذا يكون؟ هل يتقدم أصحابه اليهود لإطعامهم وإيوائهم بعد أن هدموا منازلهم ونهبوا بيوتهم وساقوا أنعامهم ولم يبق لهم لا مأوى ولا طعام حتى ولا زرع يستغلونه، لأن اليهود أحرقوا الزرع واستغلوا ما استغلوا منه.

هل فكر الفيلسوف برنادوت حلال المشاكل فى كل هذا قبل أن يرحل إلى بلاده لكى يحضر مؤتمر الصليب الأحمر؟ أم أن المنكوبين يصومون نياماً تحت الشجر إلى أن يعود بالسلامة؟

* * *

يقول إنه سيعود إلى بلاده لكى يحضر مؤتمر الصليب الأحمر، وبعد ذلك يعود لكى يبسط مشروعه بشأن فلسطين ويهتم بالعقدة العربية الصهيونية. يعنى ما دامت الهدنة أبدية فلا بأس أن يؤجل ويسوف ولايهمه أن يقلق الناس فى الشرق العربى على المصير. إذن لا يستطيع أن يفعل شيئاً الآن ونحن نعلم أنه لا يستطيع. فعليه إذن أن ينفض يده من هذه المهمة العقيمة والعرب وحدهم يمكنهم حل هذه المشكلة. فلماذا يتعب نفسه فيما لاطائل تحته؟ لسنا نصبر إلى أن يقوم فى «كيف» برنادوت أن يقضى أمراً أو يقول كلة. ونحن عندنا مشردون ممذبون يجب أن يعودوا إلى بلادهم مطمئنين لا أن يحتلها قوم جاءوا من آخر الدنيا غزاة طغاة. وعندنا جيوش واقفة فى الميادين معطلة عن العمل. فإذا لم يستطع برنادوت أن يأتى بحل للعقدة لكى ينفرط عقد هذه الجيوش وتعود إلى مواطنها، فلا أقل من أن تنزل الجيوش للميدان وتحل العقدة بسيف الاسكندر. دعنا نحن نحل العقدة، فنحلها بسهولة.

لا نسمح أن تحل العقدة بأن يرخى برنادوت العنان قليلا لليهود لكى يتقدموا خطوة، ثم يشد العنان للعرب لكى يتأخروا خطوة. هذا أسلوب ماكر خبيث لا يسمح به العرب. كفى ضحكا سخيفا على الذقون.

* * *

والآن نوجه العتاب إلى الجامعة العربية الموقرة: أن العالم

العربي كله يضج بسبب طول أناة الجامعة ومراعاتها إحساس بعض الدول الكبرى وخاطر مجلس الأمن ، وقد علمنا أن مجلس الأمن كهيئة الأمم مؤتمر للصوفية . وفهمنا أن الإنجليز الذين يتظاهرون بالعطف على العرب أحياناً وبالعطف على اليهود أخرى هم أروغ من ثعلب . فحتى متى تصبر الجامعة على هذا المكر الدولي ؟

اليهود ينقضون الهدنة كل يوم ، فهذا يسوغ لنا أن ننقضها أيضاً وأن توعز الجامعة إلى الجيوش العربية أن تنقض على اليهود في فلسطين في وقت واحد ، وتقذف بهم إلى بحر تل أبيب ، فتخلص البلاد من شرهم وتحرر إخواننا العرب الذين وقعوا بين براثنهم في يافا وحيفا وعكا .

كفى ياسادة صبراً وأملا بالسراب ! إن كنتم تحسبون حساباً لمساعدة الدول العظمى لليهود فخير لنا أن ننكسر في حرب تشنها كل الدول علينا من أن ندع السرطان الإسرائيلي يتغلغل في بلادنا ويقضي على حريتنا قضاء مبرماً . الانهزام في حرب دولية ولا الاستخذاء للصهيونية ...

نقولا الحداد

ما أشبه الليلة بالبارحة ؟

مكر يهود

للأستاذ عمر الخطيب

[إن في العار الذي يكلل رؤوس العرب ، وإن في العار الذي يجلل رؤوس اليهود ، لمادة ثرة للخيال المبدع ، ومداداً فياضاً للقلم الخالق]

« الأستاذ الزيات »

على البطاح المطلة على (يثرب) ، وبين تلك الشعاب البيض التي تمج بالرمال ، وتنام في أحضان الجبال ، تسكن قبيلتان جمعت بينهما وشائج القربى وأواصر النسب ، وفرقت بينهما شريعة الصحراء ، والجهالة الجهلاء ، هما (الأوس والخزرج) اللتان استفحل العداء بينهما ، وأكل قلوب زعمائهما وأودى بهما إلى حروب طاحنة ومعارك دامية ، أرثت بينهما نوازع الشر ، والتهمت الشباب الغض ، حتى أصبحوا لا يفترقون من وقعة حتى يجمع بينهما أخرى ، وما يجف الدم من معركة حتى يسيل ثانية ويفور :

إذا افترقوا من وقعة جمعتهم ... دماء لأخرى ما يطل نجيعها

وآخرها تمخضت عنه هذه الأحداث النكراء ، والترات الدكناء حرب كبرى لم يشهد العرب لها مثيلاً ، أورت الجزيرة بزناد الفتنة ، وشطرت العرب أشطاراً متناحرة ، وجعلتهم أحزاباً متنافرة ، تلك هي حرب (بُعاث) التي تجندل في حومتها الفرسان وسارت بحديثها الركبان ، والتي كان للشعراء فيها معارك أخرى ليست الألسنة فيها بأقل إيلاماً من السيوف ، ولا القصائد بأدنى تأثيراً من السهام ؛ وإذا كان السيف المهند يطيح بالرأس ، والسهم المريّش يزهق النفس ، فإن اللسان العضب يخدش العرض الكريم بالمذمة ، والقريض القوي يطعن الأنف الحمي بالمهانة ...

***

ولما أن ظهر في الجزيرة (محمد) يحمل رسالة الله وشرعة الحق ، ويدعو العرب إلى دين الإخاء والمساواة ، ومبدأ العدالة والنور ، استشار العربُ أحبار اليهود في أمر هذا النبي الجديد وقالوا لهم : « يا معشر يهود ! إنكم أهل الكتاب الأول ، وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه »[1] . فخالفوا بذلك شريعة التوحيد ، وناقضوا تعاليم التوراة .

بيد أنه لم يمض غير قليل حتى اشتد أزر هذا الدين ، وقوى ساعد هذه الدعوة ، والتف العرب حولها ، واستبسلوا في سبيلها ، إذ كانت حمامة السلام بين القبائل المتلاحمة ، والأحزاب المتخاصمة طمست من بينهم معالم الشر ، وأطفأت نار الحرب ، وجعلت من هؤلاء الأعراب الجفاة خير عون وأقوى نصير ، وإذا بالأوس والخزرج تتآخيان بعد التلاحي ، وتتصافيان بعد التجافي ،

(١) يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) : « كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطالبهم ... »

وتسيران معاً فى ركاب هذا الدين الجديد ، تحت قيادة الرسول العظيم ...

ولما هاجر إلى المدينة كانوا (أنصاره) الصادقين ، وأصحابه المخلصين ، آمنوا به وآزروه ، وعاهدوه على أن ينصروه ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم ، واستقبلوا إخوانهم المهاجرين أحسن استقبال ، وأنزلوهم خير منزل حتى ليقول عبد الرحمن بن عوف فى حديث له : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بينى وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع : إنى أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجتىَّ هويت ، نزلتُ لك عنها ، فإذا حلَّت تزوجتها ... »

وهكذا تكوَّن من هؤلاء جيش الإسلام الأول وفرسانه الكماة وأبطاله المغاوير الذين بذلوا فى سبيله أموالهم وأرخصوا أرواحهم ، حتى أعزه الله ، وساد الجزيرة ، وعم صداه أرجاء المعمورة ...

***

شهد (يهود) هذا التحالف القوى والإخاء المتين ، وأوجسوا شراً من هذا الدين ، وأجمعوا على الكيد بمحمد ، والمكر بأصحابه لأنهم علموا أن هذا الدين — لا محالة — سيعلو ، وإن هذا الرسول سيقوى ، وإن القوة ستحمى ذمار الحق حتى ينتصر ويسود ، ولما أنهم (أهل كتاب) يعلمون صدق الرسول فى دعواه ، يئسوا من القضاء على دعوته ، واتفقوا على المكر به وبصحابته ، واليهود أبطال الكيد فى الخفاء ، وأهل الخيانة والمكر ، لا تعجزهم الحيل ، ولا يتورعون عن الغدر !

أما من حيث مكرهم برسول الله ، فقد حرَّضوا (لبيد بن الأعصم) الذى اشتهر بعداوته للرسول وشدة البغض له فسحره ، بيد أن جبريل أخبره بذلك السحر وبمكانه ، ورد الله كيد الخائنين ، وعفا رسول الله عن لبيد وقال : « أما أنا فقد عافانى الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً » (يعنى بقتله) .

وأرادوا بعد ذلك أن يمكروا بأصحاب الرسول ويفرِّقوا جمعهم ، حتى ينفضوا عن (محمد) ويعتزلوا دينه ، فيبقى وحده فى الميدان دون نصير يعنه ويؤيده ، بعد أن كذَّبته (قريش) ، واشتدت فى إيذائه ، وأجمعت على قتله ، وتفريق دمه بين القبائل،

فلبثوا يرتقبون الفرص ، ويحيكون الدسائس ...

***

خرج (شاس بن قيس) ، وهو من أحبار اليهود وزبانيتهم يجوب فى أطراف يثرب يوماً وحوله بعض أعوانه ، وقد بيَّت فى نفسه شراً ، بعد أن ضاقت به الحيل ، وتقطعت به أسباب المكر ، فألفى (الأنصار) مجتمعين ، وقد رفرف فوقهم طائر اليمن والخير مستبشرة نفوسهم ، متهللة أساريرهم ، ترقص قلوبهم طرباً بهذا (الإسلام) الذى جمع بينهم ، ووحد صفوفهم ، وأزال من بينهم الضغائن والإحن وأبدلهم بها حباً وإخاء ، وألف بين قلوبهم برابطة الإيمان ، فأصبحوا بنعمته إخواناً ...

شهد هذا اليهودى الماكر ، هذا المجلس الهادئ ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال : « قد اجتمع بنو قيلة[1] والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار » . وأزمع على أن يمكر صفوهم ، ويوقع بينهم ، فرجع بذهنه إلى يوم (بُعاث) ، وما كان فيه بينهم من هجاء وعداء ، فوجد فيه مجالا للاستغلال ، وموطناً لإثارة الأحقاد الدفينة ، وأيقن أنه يستطيع أن يفض مجلسهم ، ويحرك أنفسهم ، حتى تعود الخصومة بينهم أشد مما كانت ، فتفل عزائمهم ، وتحل روابطهم ... ويرجعوا أقواماً متلاحين ، وقبائل متخاصمين ، ويتفرقوا عن (محمد) ، ويتخلوا عن تأييد رسالته ، وهذا ما تتقطع دونه أعناق يهود ، وينفقون فى سبيله أعز ما لديهم ...

التفت هذا الغادر إلى واحد من أعوانه فوسوس إليه : أن يعمد إلى مجلس (الأنصار) فيجلس معهم ثم يذكر يوم (بُعاث) وينشدهم قصائد شعرائهم ، ويعمل على المكر بهم ، والقضاء على ألفتهم ...

***

لم يدر (الأنصار) كيف تسلل إليهم هذا اليهودى الخبيث ولم ينتبهوا لمهمته ، ولم يتيقظوا لمكيدته ، فوقف بينهم يذكر يوم (بعاث) ، وينشدهم ما كانوا يتقاولون به من أشعار ، ويؤلِّب الأوس على الخزرج ، حتى وقعت الواقعة ، فذكر القوم ذلك اليوم ، وتنازعوا وتفاخروا ، وأنشد كل أقوال شاعرهم ، ونادى

(١) هو اسم أمهم قيلة بنت كاهل .

الاتجاهات الحديثة في الاسلام : (*)

أسس الفكر الاسلامى

للأستاذ ﻫ . ا . ر . جب

أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد وعضو مجمع فؤاد للغة العربية

إذا أردنا أن نحيط علماً بالتيارات الفكرية الدينية بين المسلمين اليوم ، واجهتنا صعوبة عملية . فلم تحدث حركة فكرية من غير أن يكون لها تأثير . وسواء كانت دوافعها كثيرة وقوية أو قليلة وضعيفة ؛ فلابد من حدوث صدى لها . ولا يمكننا أن نتتبع الحركات الحديثة فى الإسلام بدون أن نرفع القواعد من الأفكار الإسلامية .

وقد يبدو واضحاً أن الأساس المقنع هو الدولة الإسلامية فى القرن التاسع عشر . . أو على الأقل الإسلام فى القرن الثامن عشر . ولكن هذه موضوعات لا زالت معلوماتنا عنها محدودة . وقد ذهب كتاب الإسلام إلى الاهتمام بالقرون الأولى إبان التقدم العلمى والدينى ، وظهور حركة الصوفية وإخوان الصفاء . وبعد القرن الثالث عشر أو ما يقرب من ذلك ، كان معتقداً أن الإسلام باق على قواعده الثابتة التى خلقها له العلماء والمشرعون والحكماء والروحانيون ، فلن يتقدم بل يتأخر . وهذا الرأى يتراءى لنا — من بعض الوجوه — أنه صحيح . والحق أنه صدر عن احد علماء الإسلام المحدثين . ولكن لم تبق نظم العقيدة والفكر سائدة أكثر من ستة قرون . وإذ تقدمت القواعد

(*) H ' A ' R ' gibb : Modern Trends in Islam ' chicago 1947

أحدث مؤلفات المستشرق المشهور : ا . ر . جب أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد . وقد ولد بمصر وقضى سنوات عديدة فى الدراسة والكتابة عن الإسلام والمسلمين . وقراء العربية يعرفونه من بحوثه فى مجلة الأدب والفن . وعندما كان أستاذاً زائراً للدين المقارن بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة ، وضع الأستاذ جب هذا الكتاب الذى نقدم اليوم ما تيسر من فصله الأول . وهو يكشف عن أساس وأسباب وطبيعة حركة المجددين ويحلل أهدافها ، ويشرح جهاد مفكرى الإسلام أمثال جمال الدين وأحمد خان ومحمد إقبال ، والصراع بين روح الشرق وعقل الغرب ، ويبحث القانون والمجتمع فى الإسلام ، وأخيراً يتحدث عن الإسلام = في العالم .

وليس من شك فى أن آراء الأستاذ جب جديرة بالاهتمام . وقد أهدى كتابه هذا إلى ذكرى « محمد حسنين عبد الرازق » تخليداً لصداقة ٢٥ عاماً . (المترجم)

هؤلاء : يا آل الأوس ! ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ! ولم ينصرف اللعين إلا بعد أن احمرت الأحداق ، واحتدم الغيظ ، وثارت الأحقاد ، وتطايرت الدماء إلى الرؤوس ، وافترقوا وقد تواعدوا على القتال ...

* * *

سمع رسول الله بما أصاب الأنصار ، فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين وفى وجهه الغضب ، ووقف بينهم يرمقهم بنظرات أرجعتهم إلى صوابهم ، وأعادت إليهم رشدهم ، ثم تطلع إليهم بعينين دامعتين وقال — وقد ملك عليهم ألبابهم ، وتمكن من شغاف قلوبهم — : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! اتقوا الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ! بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم » ... ولم ينته صلى الله عليه وسلم من كلامه حتى عرف القوم أنها نزغة شيطانية ، ومكيدة يهودية ، فتعانقوا وتعتعت ألسنتهم بكلمات الأخوة الحق ، والتوبة الصادقة ، وانتثرت من محاجرهم دموع الندامة ، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عاهدوه على الإخلاص لهذا الدين ، والاعتصام بحبل الله المتين ... وإذا بوحى الله ينزل على الرسول بهذه الآيات :

« يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »[1]

(دمشق — المزة) عمر الخطيب
(فتى الفيحاء)

(١) سورة آل عمران

الظاهرية للعقيدة الإسلامية فى هذه الفترة ، فإن التكوين الأصلى لحياة المسلمين الدينية ، قد اعتراه التغيير والإصلاح .

وسنمعن النظر فقط فى الظواهر الحيوية الخارجيـة التى ظهرت فى الإسلام ، مثل تكوين الامبراطورية العثمانية فى الشرق الأدنى ، وقيام امبراطورية المغول فى الهند ، ونشاط الشيعة فى فارس ، والتوسع فى أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، ونمو المجتمع الإسلامى فى الصين ، وطرد الإسبان والبرتغال من مراكش ، وامتداد نطاق الإسلام فى شرق أفريقيا وغربيها . وقد اعتبرها قدماء المؤرخين حركات حربية ، وإن عقيدة الغزو والتوسع عقيدة حية . ونحن نعرف — أكثر من قبل — الدور الذى لعبته هذه العقيدة .

إن أساس الفكر الإسلامى هو بالطبع : القرآن . وليس القرآن — كالإنجيل مجموعة كتب ذات تواريخ مختلفة وبأيدى متباينة ؛ إنه سفر من السور بلغها محمد (ص) فى السنوات العشرين الأخيرة من حياته تقريباً . فيشتمل على تعاليم دينية وأخلاقية ، ومجادلات ضد الكفار ، وخلاصات للحوادث السابقة ، وقواعد للشئون الاجتماعية والمسائل الشرعية . وقد اعتقد محمد (ص) أن كل ما جاء به من هـذه الأمور كان بوحى من الله ، إذ لم يكن مصطبغاً بفكره الخاص . إنه كلام الله نفسه قام بتلقينه الملاك جبريل . وبعد ما قاله الأستاذ دنكن بلاك مكدونلد من اقتراب العالم المجهول من العقل السامى وعن نظرة الشرقيين للنبوة ، فإن من الضرورى أن أتتبع الأسس النفسية لهذه العقيدة .

إننا قد نحيد عن الصواب إذا اعتبرناها مجرد نظرية (بديهية) متوارثة جيلا بعـد جيل منذ ألف وثلاثمائة عام . بل هى على النقيض من ذلك اعتقاد حى طالما تجدد وثبت فى عقل المسلم — وخاصة العربى — بدراسته للكتاب المقدس .

لقد عارض المسلمون المتدينون عامة فى ترجمة القرآن ، حتى إلى اللغات الإسلامية الأخرى (١)

وهـذا الاتجاه تؤيده أدلة نظرية ، منطقية فى حد ذاتها ، ولـكن يمكن أن نعارض من اعتبارات مختلفة . ذلك أن القرآن أساساً غير قابل للترجمة ، كما هو الحال فى الشعر الرصين . إن المتنبىء لا يستطيع أن ينقل نبوءته إلى لغة عادية ، يمكنه أن يعبر عن نفسه فى صور متكسرة ، كما تلعب موسيق الأصوات دوراً غير محدود فى جذب عقل السامع لتلقى الرسالة . مثلا حالة الترجمات اللاتينية والإنجليزية لـكتاب الإغريق والعبريين ؛ فقد أعطوا الـكلمات الجديدة شيئاً من القوة العاطفية ، بدون اعتماد على التركيب — وأحياناً المعنى — الأصلى .

وإن ترجمة إنجليزية للقرآن ، ينبغى أن تستخدم تعبيرات دقيقة صحيحة للعبارات الرقيقة الذهبية فى اللغة العربية ، وفى نواحى القصص والتشريع وما أشبه ذلك ، تكون الخسارة أقل خطراً ، بالرغم من أن تفكك المعلومات ، بل والظلال الجميلة والجوانب البلينة ، قد يكون لها تأثير غـير محدد . ففى جملة بسيطة مثل « بالتأكيد نحن نحيي ونميت وإلينا الرحيل (المصير) » : (verily Wegive life and death and unto Us js the journeying) يستحيل علينـا أن نظهر — فى الإنجليزية أو أية لغة أخرى — قوة الضمير « نحن » المكرر خمس مرات فى الـكلمات الست الأصلية (١) .

إننا لن نتطلع إلى معنى القرآن عند العربى ، حتى نتبين قيمة الدور الذى تقوم به اللغة فى تحديد المواقف السيكولوجية .

فبزوغ الحياة العقلية عند العرب — كما بين الآخرين — قد ازدهر بالخيال ، الذى ظهر فى الإبداع الفنى . ولطالما قيل إنه ليس للعرب فن ، وقد يكون هـذا صحيحاً إذا حددنا الفن بأعمال كالنحت والطلاء … ولـكنه يكون تحديداً ظالماً خاطئاً . فالفن هو أى إنتاج يعبر فيه الشعور الجمالى عن نفسه . وهناك شك فى حاجة الناس إلى التعبير الفنى بأى شكل ، سواء فى الموسيقى أو الرقص ، أو الفنون المادية والنظرية الأخرى … وميدان الشعور الجمالى عند العرب هو أساساً الـكلمات واللغة ، وهـذا أكثر إغراء بل أعظم ثباتاً وخطراً من سائر الفنون . إذن فمن السهل أن نفهم السبب فى أن العرب — الذين عندهم استخدام الـكلام البليغ أسمى الفنون — يرون فى القرآن أعجوبة حقيقية وعملا فوق طاقة البشر .

ولقد كان العرب والمسلمون عامة مجبرين على إنكار الأفكار

---

(١) يرى علماء الأزهر الآن جواز ترجمة القرآن لأغراض غـير دينية بواسطة مسلمين أعاجم : أنظر نور الإسلام (مجلة الأزهر) س ٢ ص ١٢٢ — ١٣٢ ، س ٨ ص ٧٧ — ١١٢ ، ص ١٢٣ - ١٣٤ ، وخاصة بحث الأستاذ محمد فريد وجدى : « الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن » ويعارض الرأى بشدة السلفى الشيخ رشيد رضا — فى كتابه : « ترجمة القرآن » ، (القاهرة ١٩٢٦) .

(١) سورة ٥٠ آية ٤٢ : إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (ق)

العالمية مثل « القانون الطبيعى » أو العدل المثالى ، وأظهروا الثنائية أو المادية على أنها مؤسسة على طرق مزيفة فى التفكير تنتج خيراً قليلا وشراً كثيراً . وسنرى كيف أن مصلح الإسلام الكبير — فى القرن التاسع عشر — جمال الدين الأفغانى ، صب جام غضبه على المجددين الهنود الذين حاولوا إثبات صدق الإسلام بمناقشة « تلاؤمه مع الطبيعة » . ومع أن العلماء المسلمين قد وجدوا فى المنطق والرياضيات — مثلا — فائدة ، وشجعوا الأسلوب « العلمى فى التفكير ؛ إلا أنهم قد أبقوا هذه الأمور فى مراتب ثانوية .

والإجماع من مميزات الفكر الإسلامى . وهناك من حاولوا تحديده بإجماع المتعلمين ، ولكن حادثاً عجباً فى القرن السابع عشر يبين كيف كان هذا النوع لا فائدة منه ، حتى ولو آزرته القوة الحاكمة ضد الرأى العام . فمنذ ما بدأ استعمال القهوة ينتشر فى الشرق الأدنى ، أجمع العلماء على أن شرب القهوة حرام ، وعقوبته مثل عقوبة شرب الخمر . وفعلا حوكم بعض الأفراد لانغماسهم فى شربها علانية ! (١) ولكن إرادة المجتمع تغلبت . واليوم يحتسى الجميع القهوة بحرية حتى المتزمتون الذين يعارضون الإجماع فى المبدأ .

ومن الواضح أن الإجماع كان دائماً موضع خلاف بين المحافظين والمجددين ، وهو ليس مبدأ حرية بل أساساً للسلطة ، ولو أن حكمه يقتصر على المسائل التى لم يحكم فيها القرآن أو السنة ، لذلك ولأنه قوة تسمح بما يسمى تجديدا ، فإن العلماء الروحانيين على مر العصور — من القرن الثالث إلى الوهابيين اليوم يعارضون فيما يترتب عليه ، ويقصرون شرعيته على الجيل الأول من المسلمين . هذا فى حين أن المجددين على الدوام قد اعتمدوا عليه فى توسيع مدى عدالة أعمالهم (٢) .

والاجتهاد عكس الإجماع . وقد أطلق عليه إقبال « مبدأ الحركة فى الإسلام » ولابد من معرفة معنى الاجتهاد والدور الذى لعبه فى تاريخ الفكر الإسلامى . وهو — كما يعتقد بعض المجددين حرية الحكم . ومن الناحية الأدبية يعنى الاجتهاد : إجهاد النفس فى محاولة الكشف عن الأغراض الحقيقية لتعاليم القرآن والسنة . وقد عمل المتدينون على تحديد موضوعه خوفاً من أن يفتح باب المعارضة الفردية والانقسام . وأخيراً لم تبق ثغرة فى هذه المسائل لم تسد ، فأقفل باب الاجتهاد تماماً (١) .

ومهما يكن من شىء فإنها ظاهرة خطيرة للسنة الإسلامية Sunni Islam فى قبولها للاختلافات الواقعة فى الرأى فى المجتمع — ولطالما نخرت بهذا — وأحسن مثل هو المذاهب الأربعة فى الشرع : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، أسسها الأئمة الأربعة فى القرنين الثانى والثالث ، وهم جميعاً من السنيين . فهذه المذاهب — مثلا — تدرس فى جامعة الأزهر الدينية . حقاً إن الاختلافات بينها تنحصر فى نقط ضيقة فى الشرع والشعائر ، بالرغم من أن الحنابلة — بمدائهم المستحكم لكل المجددين — يعارضون الإجماع من الناحية الدينية — فى كل شىء إلا مدلوله الضيق ، وأحياناً يظهرون عدم رضائهم عن الآراء الأخرى .

(يتبع) ترجمة محمد محمد على

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « قهوة » ، بقلم س . فان أرندنك .

(٢) يجد القارىء خلاصة لنتائج البحث فى الإجماع فى كتاب :
O ' Pesle ; Le Fondements du droit musumau ' Casadlanca ' 1644 . وكذلك دائرة المعارف الإسلامية مادة إجماع بقلم د . ب . مكدونلد . وقد ظهر حديثاً كتاب (الإجماع فى الشريعة الإسلامية لصاحب المعالى على عبد الرازق بك . (المترجم)

(١) نوقش موضوع تحديد الاجتهاد فى نور الإسلام — مع إشارة خاصة إلى دعاوى المجددين : س ١ ص ٣٧ — ٤٢ ، ٣ ص ٢٨٤ — ٢٨٦ ، س ٤ ص ٣٩١ . وتجد الرأى الإصلاحى السلفى فى كتاب .
H ' Laoust Le Califat dans la doctrine de Rachid Rida ' Beirut ' 1638

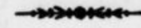
مسكويه

أبو على الخازن (*)

الأديب ، الفيلسوف ، المؤرخ ، الحكيم ، القصصى

توفى (٤٢١ هـ) - (١٠٣٠ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى



نشأ فى كنف آل بويه ، وهم على رأى ابن طباطبا فى الفخرى من الفرس وليسوا من الديلم ، وإنما سموا بالديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم ، وهى فى الناحية الجنوبية الغربية من بحر قزوين ، كثيرة الأشجار والغابات ، غزيرة الأمطار ، يشتغل أهلها بصيد الأسماك والتحطيب .

وقد سميت هذه العائلة بآل بويه ، نسبة إلى بويه جدّ العائلة ومؤسسها ، وكان صياد سمك ، وكان أحد أبنائه الثلاثة معز الدولة (أبو الحسين أحمد) يقول بعد تملكه البلاد « كنت احتطب الحطب على رأسى » .

نشأت هذه العائلة المالكة من هذا الأصل الوضيع ، واستولت على الخلافة العباسية ، فعزلت الخلفاء وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق . وملكوا مئة عام من ٣٢٢ هـ إلى ٤٢١ هـ حين انقرض ملكهم وهى السنة التى توفى فيها مسكويه ، ربيبهم ، وخازنهم ، ومؤرخهم بل صديقهم الذى عاش فى نعمائهم وترعرع فى قصورهم (١) فكان نعم الصديق الحكيم المشير .

تتلمذ على الرئيس أبو على ابن سينا (توفى ٤٢٨ هـ ١٠٣٦ م) ولم يقدر الرئيس مواهبه ، وليس هو بأول نابغة يخيب ظن الأساتذة فيه . وقد ذكره الرئيس فى بعض كتبه قال « فهذه المسئلة حاضرت فيها أبا على بن مسكويه فاستعادها كرات وكان عسر الفهم ، فتركته ولم يفهمها على الوجه » . هذا معنى ما قاله ابن سينا لأنى كتبت الحكاية من حفظى (كذا يقول ابن القفطى فى أخبار الحكماء ص - ٢١٧) .

أما أبو حيان فى كتابه الامتاع فقد وصفه بقوله (وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وغنى بين أنبياء (١) ؟) (كذا) لأنه شاذ ، وإنما أعطيته فى هذه الأيام صفو الشرح لإيساغوجى (٢) وقاطيغورياس (٣) من تصنيف صديقنا فى الرى (٤) (معجم الأدباء لياقوت ج ٥ - ص ٥) .

واتصل مسكويه بكبار أدباء زمانه ومنهم ابن العميد (٥) واتخذه هذا خازناً لكتبه كما ذكره أبو حيان فى كتاب الوزرين ، وراسل بديع الزمان الهمذانى (٦) وتدرج حتى صار خازناً للملك عضد الدولة بن بويه وكان مأموناً لديه أثيراً عنده وله مناظرات ومحاضرات ...

على أن مسكويه لم يكن أديباً بارعاً فحسب بل كان مؤرخاً ممتازاً فلقد ألف كتابه الشهير « تجارب الأمم » بلغ فيه إلى بعض سنة ٣٧٢ هـ وهى السنة التى مات فيها عضد الدولة بن بويه صاحبه وهو كتاب جميل كبير يشتمل على كل ما ورد فى التاريخ مما أوجبته التجربة وتفريط من فرط وحزم من استعمل الحزم (٧) .

ولم تقتصر جهوده على الناحيتين الأدبية والتاريخية بل كان « فاضلاً فى العلوم الحكمية متميزاً فيها خبيراً فى صناعة الطب جيداً فى أصولها وفروعها وله من الكتب كتاب الأشربة وكتاب الطبيخ (٨) » .

ويقول عنه يا قوت فى معجم أدبائه (٩) (ويظهر أنه كان

(*) أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه (أو ابن مسكويه) الرازى الأصل ، الأصفهانى المسكن والخاتمة ، كان مجوسياً فاسلم .

(١) الفخرى ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

(١) كذا فى الأصل ولعله قصد وغبي بين أنبياء .

(٢) المدخل الى كتاب المنطق لأرسطو .

(٣) هو أحد كتب أرسطو المنطقية الثلاث ، وهى قاطيغورياس ، وبارى أرميناس ، وأنولوطيقا .

(٤) هوأبوسليمان المنطق ، كان معتزلا من أصحاب أبو حيان التوحيدى

(٥) الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهي صاحب طريقة الشعر المنثور توفى ٣٦٠ هـ .

(٦) أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب توفى (٣٩٣ هـ)

(٧) طبعت الجزء الأول لجنة جب . كما طبع الجزءان الخامس والسادس منه .

(٨) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ١ - ٢٤٥) .

(٩) ج ٥ - ص ٥ .

مشغولا بطلب الكيمياء مفتونا بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان فلم يكن يلتفت لغير ذلك . وقد فطن العامرى الرى خمس سنين يدرس ويملى ويصنف ويروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ويظهر أنه ندم على ذلك وأنبه أصدقاؤه . ومع هذا فهو ذكى حسن الشعر ، نقى اللفظ ، ويظهر أنه كان بخيلا) !

وقد ترك لنا صاحب الترجمة كتباً قيمة فى الأخلاق والتربية والفلسفة منها « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » و« كتاب تهذيب الأخلاق » فى التربية ، و «الطهارة فى تهذيب الأخلاق» و« الفوز الأصغر » و « لغز قابس » و كتاب « الفوز الأكبر » و « كتاب ترتيب العادات » الخ .

وله وصية أنهاها بهذه التذكرة وهو يدعو للعمل بموجبها ، وهى تشتمل على أرقى المثل العليا وأسماها ، وتلخص لنا فلسفته فى الحياة ومذهبه فى السلوك . وهى خمسة عشر باباً :

١ — إيثار الحق على الباطل فى الاعتقادات والصدق على الكذب فى الأقوال والخير على الشر فى الأفعال .

٢ — كثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ...

٣ — والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها . وأول ذلك ما بينى وبين الله جل وعز .

٤ — وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال[1] .

٥ — ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك .

٦ — والصمت فى أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل .

٧ — وحفظ الحال التى تحصل فى شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال .

٨ — والأقدام على كل ما كان صواباً .

٩ — والإشفاق على الزمان الذى هو العمر ليستعمل فى المهم دون غيره .

١٠ — وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغى .

١١ — وترك التوانى ، وترك الاكترات لأقوال أهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ، وترك الانفعال لهم .

(١) استرسل فى الكلام انبسط فيه واتسع ، وإليه ، انبسط إليه واستأنس ...

١٢ — وحسن احتمال للغنى والفقر ، والكرامة والهوان بجهة وجهة .

١٣ — وذكر المرض وقت الصحة ، والهم وقت السرور ، والرضا عند الغضب ، ليقل الطغى والبغى .

١٤ — وقوة الأمل وحسن الرجاء .

١٥ — والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال إليه .

هذه الشخصية النابغة ، قد تركت لنا آثاراً خالدة فى الأدب والتاريخ ، والكيمياء والطب والحكمة والأخلاق والفلسفة ، تشتمل على ناحية مجهولة لم يشر إليها الكتاب قبل الآن على ما نعلم ، تلك هى ناحية القصص .

فقد جاء فى أخبار الحكماء لابن القفطى[1] ، أن من تصانيف ابن مسكويه كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار والفوائد اللطاف . ويصف لنا ياقوت فى معجم أدبائه هذا الكتاب النادر[2] فيقول « كتاب أنس الفريد ، مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكما وأمثالاً غير مبوب » .

وقد لفت نظرى هذا الكتاب ، وخصوصاً وإن ابن القفطى يقول عنه أنه أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار ، والفوائد اللطاف .

ولما كان هذا النوع من الأدب العربى نادراً أخذت أفتش عن هذا الكنز الضائع فى مكتبات فلسطين ومصر ، والأستانه وإيران الخ . واستعنت بقناصل تلك الدول وحكوماتها ولكن جهودى المتكررة لم تثمر مع الأسف حتى الآن .

إن الذى يكتشف لنا « كتاب الأنس الفريد » لابن مسكويه الخازن إنما يعثر على كنز ثمين ، ويضيف ثروة أدبية قيمة إلى تراث السلف الصالح .

أحمد سامح الخالدى

(١) ص ٢١٧ .
(٢) ج ٥ . ص ٥ .

توبة المحروم ! ...

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

بقى فى « نيويورك » يكدح وراء الرزق الشرود عشر سنين دأبا ، ثم أصاب حظاً سعيداً بعد نحس ، وارتجع(١) مالاً كثيراً بعد بؤس ، فعاد — وهو على عتبة الأربعين — إلى مسقط رأسه (الميناء)(٢) بلدتنا الهادئة المنعزلة التى توشك ألا تسمع فيها الاجمال الطبيعية ، وألا تحفظ لها إلا الاستعصام بالتقاليد .

وما جداك أن أصف لك « ميناءنا » الجميلة ، فما أراك راغباً فى الوقوف على ما صنع الغنى بصاحبنا الذى أوى إلى بلدته بعد غيبة طويلة ؛ فهل غردت له بلابل السعادة أغاريدها الحلوة ، وهل هتفت له هتفاتها الناعمة ، أم نعبت له غربان الحوادث بشقاء جديد ، ولاعت قلبه بهوان شديد ؟

***

علمت أنه كان فى « ميناءنا » قبل أن يتسع رزقه ويرفه عيشه مضرب المثل فى قناعة العفيف ، وعزة الشريف ، سليم الفطرة معتدل المزاج حنيف الدين ؛ فرجوت ألا ينقلب مهوان عن ماضيه ، ووددت لو أبقت يد غناه على ذكرى فقره فلم تمح صورتها من مخيلته ، ولم تبدد آثارها فى فؤاده ، ولم تمر شجرتها أمام عينيه ، وتمنيت أن يكون له من صدق الأريحية وكرم الهزة ما يذكره بالفقراء والمعوزين الذين لا عمل لهم فى بلدتنا إلا فى البحر ، فلا يحرمهم من صدقات يوزعها ، أو زكوات يؤديها ، أو ثمرات يجبيها ، أو مشروعات يحييها ، أو مصانع يؤسسها ، أو مدارس يفتتحها ، أو ملاجىء ينشئها ، وألا يكون المال قد أطغاه ، وختم على قلبه فأعماه !

ولم يكن رجائى إلا كرجاء الذى أراد أن يشم الريحانة فألفاها ذابلة ، فما رضخت يده خيراً ، ولا اصطنعت معروفاً ، ولا كسبت معدوماً ، ولا أعانت فى نائبة ، ولا ساعدت فى خطب ، وإنما نثرت المال على الهوى يمنة ويسرة ، وفى الشهوة عيشاً وبكرة ، حتى عادت صفراء خالية ، وباتت على إسرافها باكية ...

***

أبطره الغنى فملمه العجب ، وأفسده الفراغ فحبب إليه الطيش فأصبح سكران لا يصحو ، هيمان لا يعى ، « غفلان لا يفيق »(١) ، وأضحى لا يحفل فى الناس أحداً ، ولا يقيم لكبير وزناً ، ولا يرعي لصغير حرمة ، ولا يرقب فى ضعيف إلا ولا ذمة ، وإنما كان ينظر إلى الجميع نظرة الفيل إلى البعوض أو الجمل إلى النمل ، « لا يحس منهم من أحد ولا يسمع لهم ركزاً »

ومنذ ذلك الحين أمسى أهل بلدنا إذا أرادوا أن يصفوا الرجل الشهوان الذى ما ينفك يوبق جسده برغائبه ، ويدسى نفسه بمعاييه ، قالوا وهم يتخافتون : أهو أشد من فلان شهوة ، وأكثر منه جهالة وصبوة ؟ !

وأنى لهم السكوت على مآثمه التى جرها عليه بذخه وسرفه ، ولهوه وعبثه ، وإنه لم يكتف ببنات الهوى يركبهن سيارته الفخمة ، وينتقل بهن فى شوارع البلدة المحافظة تحت الأسماع والأبصار ، ولم يقنع بالخمرة يتهالك على شربها آناء الليل وأطراف النهار ، ولا بالموائد الخضر يرودها غير ملول ، ولا بالليالى الحمر يواصلها غير خجول ، ولا بداره التى استحالت ندياً للأشرار ، ولا بشقاقه مع الأبرار والفجار ، وإنما راح يكلل جميع ذلك بشرفه يدوس عليه ، وبمرضه يفرط به ، وبدينه يقصر فيه ، وبوطنه يحقره ، حتى أضحى شعور الناس لا يأتلف إلا على مقته ، وباتوا من كرههم له يديرون فى أفواههم ألسنة حداداً تلمنه ، وينظرون صيحة القدر الراصد تأخذه وهو يعمه فى طغيانه ، ويتباهى بعدوانه ...

***

ولم يطل املاء الله له واستدراجه ، فما مضى عام واحد على طيشة ولهوه حتى خر من سقفه المرفوع ، وتهاوت من شجرته الجذوع والفروع ، وغدت جنته الفينانة ذابلة الورود ، ميتة الأعشاب ، ساكتة البلابل « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها

---

(١) جمع . (٢) الميناء أسكلة على شاطىء البحر فى مدينتنا طرابلس الشام .

(١) أذكر أنى رأيت لأستاذنا الزيات مثل هذا التعبير .

وهي خاوية على عروشها ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً »

وصار الناس منه على شماتة الحاقدين ، فما أدركت الشفقة عليه أحداً سواي — لا لأني أقرب رحماً ، ولا لأني ألين قلباً — وإنما لشعور عنيف تملكني يومئذ وأخذ يهتف بي بلا انقطاع :

إن هذا لضحية ! ولكن ويح نفسي إن بك مثل هذا الشهوان ضحية ، فمن الجزار الذي ضحاه ، وأين الساطور الذي ذبحه ؟

وما عرفت الجواب إلا حين جمعتني بهذا المخلوق صلاة الجماعة فرأيته يدخل أول الناس ويبقى في تضرع واستغفار آخر الناس ، فراعني مظهره وعجبت له فدنوت منه وقد استبد بي الفضول ، ولم يحوجني هو إلى مقدمة لا تجدي فقد فهم غرضي فالتفت إلي وكأنما شعر نحوي بالاطمئنان وحدثني وهو يشرق بالدمع حديثاً كشف غني الغطاء ، فصار بصري فيه حديداً ، وحكمي عليه سديداً .

وقلت لصاحبي وأنا أصف له الرجل :

— « إنه لضحية يا صاح ، بيد أنه ضحية نفسه وهواه ، فنفسه كانت جزاره الذي ضحاه ، وهواه كان ساطوره الذي ذبحه ، فهو في أيام فقره وبؤسه كان قانعاً قناعة المحروم ، وفي أيام غناه وسعده كان بطراً بطر النهوم ، وهو لولا استغناؤه لما طغى ، ولولا تخمته لما ثارت شهواته فبغى !

وهكذا الإنسان يا صاحبي يقوده الطمع فيردي ، وتعميه الشهوة فيخزى ، ويسمع بالعبرة فلا يخشى » !

* * *

ولكن هذا الرجل وعدني في بيت الله وهو ما زال عبران أن يتوب ، ولست ارتاب لحظة في أنه قد أناب ولكني أتساءل ما تنفع التوبة إذا لم تكن إلا في ساعات الحاجة والحرمان ؟

(طرابلس الشام) صبحي إبراهيم الصالح

* * *

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

(تتمة ما نشر في العدد ٧٨٧)

يقول الدكتور زكي مبارك في تقدمته لديوان الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير : « فما في بلاد الله مسلمون أصدق من مسلمي السودان ، والإسلام قوة روحية سامية لا يعين الله بصفاتها على غير المصطفين من عباده الأصفياء . يضاف إلى ذلك أنه عند السودانيين فضيلتين جوهريتين : فضيلة الكرامة ، وفضيلة العدل ، وتتمثل الأولى في اعتزازهم بأنفسهم اعتزازاً هو الغاية في شرف النفس ، أما الفضيلة الثانية فتتمثل في صدق المعاملات ؛ فمن النادر جداً أن يحتاج من يعامل تجارهم الكبار إلى الاستعانة بالقضاء » . ثم يقول : « المسجد في السودان هو المسجد ، ورواده هم المؤمنون ، ومسلمو السودان هم البقية الصالحة من رواد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل هذا أغناهم الله بالمعاني ، وأنزلهم منازل الكرماء » .

وأنا أعرف أن الدكتور زكي لم يهبط أرض السودان ، ولم يمتع نظره ومسامعه بمظاهر التدين عند مسلمي السودان ، وإني محدثه — لو كان يسمع الآن ويقرأ — حديث الخبير ، فما راءٍ كمن سمع :

التدين في البلاد السودانية ظاهرة واضحة بارزة تراها في كل ما تقع عليه عيناك ، فالأمانة الطبيعية غير المتكلفة ، والأمن في الأنفس والأموال ، وهذه الصلوات الخمس التي تقام جماعات في أوقاتها ، في الأسواق العامة ، وأمام حوانيت التجار ، وكم ملأني غبطة وإعجاباً منظر المصلين في ساحة المحطة الوسطى بأم درمان ، أو أمام حوانيتهم ، يؤمهم أحد التجار ، وهم بملابسهم البيض النقية خاشعين خاضعين لله ، ثم الكرم الذي لا حد له ، والإجلال لعلماء الدين ... كل هذه مظاهر محببة للتدين العميق في نفوس القوم

ويظهر هذا التدين بصورة واضحة في شغف السودانيين بالمدائح النبوية ، فهي أناشيدهم يترنم بها عالمهم وجاهلهم ، ويستمعون إليها ، ويستمتعون بها ، وربما كان من المألوف إذا دعيت إلى

ولمية أن يكون من تتمة الإكرام أن تسمع (مديحاً) . والمداحون منهم المحترفون ، وهؤلاء يدعون فى المجتمعات العامة وفى المناسبات الدينية ، كليلة الإسراء ، أو ليلة القدر ، وكثير من البيوت — هنا — تحيى ليالى رمضان بالمديح ، ومنهم من دفعته رغبة شخصية ، وآنس من نفسه جمالاً فى الصوت ، وقدرة على التنغيم والتلحين ، وهؤلاء — يمدحون — غالباً فى المجالس الخاصة . والمدائح — فى أكثر الأحايين — بالشعر الذى قيل فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمداحون يعتمدون اعتماداً كبيراً على (المجموعة النبهانية) كما يعتمد أهل الحلات والبوادى على أشعار عامية هى غاية فى جودة المعنى ، وحسن الأداء ، ولها تأثير قوى ، يهز المشاعر ، ويحرك العواطف ، وأشهر هذه المجموعات (ديوان أبى شريعة) ، ولهذا الديوان ميزة أخرى ، ذلك أنه وثيقة هامة لمن يريد أن يدرس اللهجات العامية فى السودان ، ونصيحتى لكل من يريد أن يعالج هذا البحث أن يدرس هذا الديوان ، وأن يدرس (طبقات ودْ ضيف الله) فإن فيهما غناء أى غناء فى هذه الناحية .

ولا يفوتنى أن أذكر أن المداحين المحدثين قد أخذوا ينحرفون عن إنشاد المدائح النبوية ، ولكنهم لم ينحرفوا كثيراً ، فهم يتغنون بالقصائد التى تتصل بالعروبة والإسلام ، كأندلسية شوقى ، ورثاء حافظ للشيخ محمد عبده ، ووقفة على طلل لغنيم ، وإن كنت سمعت فى أيام العيد مداحاً يتغنى بقصيدة المتنبى (من للجآذر فى زى الرعابيب) . وقد — والله — أجاد ، لكنه ساءنى جداً حين طلبت إليه أن يسمعنا مدْحة نبوية ، فقال إنه لا يحفظ من هذا النوع شيئاً .

ذكرت هذا كله لأمهد به للحديث عن غرض من أغراض الشعر فى السودان ، هو غرض غالب ذائع ، ذلك هو المدائح النبوية ، وإذا كنت فى مقالى السابق قد وصفت الشعراء بالتقليد للشعر القديم ، فإنى أقرر هنا أنهم أصلاء فى هذا الغرض ، وإن كل ما قالوه من شعر فيه ، فهو استجابة لعواطفهم الدينية ، واستجابة لبيئاتهم التى أسلفت الحديث عن مظاهر تدينها ، ولم أقرأ لشاعر هنا لم يجعل أكثر شعره فى المدائح ، وإن منها لشعراء نظموا دواوين كاملة فى هذا الغرض كديوان (روض الصفا فى مدح المصطفى) للعالم الكبير الشيخ أبى القاسم .

ولم يفت الشعراء أن يتحدثوا عن تدينهم ، واعتصامهم بالله ، وبعدهم عن طرق الغواية والهوى ، وحبهم فى مديح الرسول ، وارتياحهم له ، يقول الشيخ الطيب أحمد هاشم :

إن سار غيرى للهوان وللهوى ... فإلى العلا والمكرمات أسير
أو سامر الناس الحسان جهالة ... فسميرى القرآن والتفسير

ويقول الشيخ على الشامى :

إن طال ليلى فطول الليل يؤنسنى ... إن كان غيرى طول الليل يضجره
فإن لى فى ظلام الليل مأربة ... هى الصلاة إلى المولى فتقصره

ويقول الشيخ مجذوب جلال الدين[1] :

إنى لمن معشر كانت شمائلهم ... محبة المصطفى فى السر والعلن
يلين قلبى لذكراه إذا تليت ... ويقشعر إذا ما رتلت بدنى

كما لم يفتهم أن يتحدثوا عن زهدهم فى الدنيا ، ورضاهم فيها بالقليل ، وحثهم الناس على القناعة ، والبعد عن سفاسف الأمور وصغائرها ؛ وهذا شاعر قديم عاش فى السودان منذ قرنين من الزمن هو الشيخ فرح تكتوك ، يقول صاحب (شعراء السودان)[2] فى ترجمته : « هو ولى صالح ، وشيخ من الشيوخ الثقاة وشاعر من كبار الشعراء ، له من صفاء سيرته وسريرته ما يشهد بصلاحه وتقواه ، وهو من قبيلة عرب البطاحين المشهورة فى السودان ، له فى الحكم آيات بينات ، وقصائده كلها فى الوعظ والإرشاد ، قلما ينظم فى موضوع آخر إلا ما دعت إليه الضرورة » . ومن شعره :

يا واقفاً عند أبواب السلاطين ... ارفق بنفسك من هم وتحزين
إن كنت تطلب عزاً لا فناء له ... فلا تقف عند أبواب السلاطين
واعلم بأن الذى ترجو شفاعته ... من البرية مسكين ابن مسكين
خل الملوك بدنياهم وما جمعوا ... وقم بدينك من فرض ومسنون

---

(١) هو حفيد الولى المشهور بالدامر ، وهو شاعر رقيق ، وهو يرجع سبب نبوغه فى الشعر إلى أساتذته المصريين ، ويتحدث عنهم فى كل مناسبة ، ويشيد بفضلهم ، ولا سيما الشيخ عبد الرءوف سلام .

(٢) مجموعة وضعها الأستاذ سعد ميخائيل ، تذكاراً لإقامته فى السودان ، واعترافاً بالجميل ، وبالأخلاق الكريمة التى نعم بها أثناء إقامته فى السودان ، وقد ترجم فيها لكثير من شعراء السودان ، وحلاها بصورهم ، وذكر مختارات من أشعارهم .

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
مالى أذل لمخلوق وأسأله ولو سألت الذى أعطاه يعطينى
فلقمة من طعام البر تشبعنى وجرعة من قليل الماء ترويني
وقطعة من قليل الثوب تسترنى إن مت تكفنني أو عشت تكسونى

وقد تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثر القصص التي ذكرت في السير ، كما تناولت تمجيده وتمجيد أصحابه رضوان الله عليهم ، وتتزاحم علينا الأشعار حين نريد أن نختار منها فلنكتف بقليل من كثير .

تناول الشاعران عبد الله حسن الكردى ، وجلال مجذوب قصيدة الإمام البرعى التي مطلعها :

خل الغرام لصب دمعه دمه حيران توجده الذكرى وتعدمه

تخمساها تخميسين أعجباني غاية الإعجاب ، وبهذه المناسبة أقول أن التخميس والتشطير من الأمور الشائعة في الشعر السودانى ، فمن تخميس الشيخ المجذوب :

يا من تطاول فى وصل تنعمه ونام ملء جفون العين نومه
أهنأ فما أنت صب القلب مغرمه (خل الغرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه)

شتان بين سمير الليل ساهره ونائم غط من بدء لآخره
أتمذل الصب يشكو بعد هاجره (عذلته حين لم تنظر بناظره
ولا علمت الذى فى الحب يعلمه)

وينتهى من هذا الغزل إلى المديح فيقول :

لا تستوى فى الهدى الأنوار والظلم
ولا السميع كمن فى أذنه صمم
أتاهم المجتبى شمساً وعنه عموا (حال السهاغير حال البدر لو علموا
بل أهل مكة فى طغيانهم عمهوا)

يا ضيعة العمر يا عظمى خسارته إن لم أشد رحالى نحو دارته
ما كل موصى وفيٌّ فى سفارته كم أستنيب رفاق فى زيارته
عنى ، وما كل صب القلب مغرُمه)

ويقول الكردى :

أهوى النبي وأرجو من كرامته خيراً ، وأطمع فى عقبى شفاعته
ومن صبابة قلبي فى مقامته (كم أستنيب رفاق فى زيارته
عنى ، وما كل صب القلب مغرمه)

ويتصل بهذه المدائح شعر كثير فى ذكرى المولد النبوى ، وفى ذكرى الهجرة ، وفى ذكرى غزوة بدر ، وفى المناسبات الإسلامية المختلفة ، وليس أدل على سيادة هذا الغرض وقوته ، من أن شعراء غير مسلمين يقولون فى الأغراض الإسلامية ، ومن ذلك قصيدة الشاعر صالح أفندى بطرس فى الحث على العناية بجامع أم درمان ، ومنها :

يا مسجداً مطلت بنوه بمهده حتى غدا وهو الحسير المهدم
بدأوك جوداً بالصنيع وأحجموا ما كان أولى أن ذاك يتمم
بينا تشيد إذ وقفت كأنك الطلل المحيل عفاه هام مرزم
أترى المساجد فى القديم تشاد فى أبهى الشكول فمذهب ومرخم
وتراك تعجزهم بأن تبنى بآ جر وتسقف (بالمروق) وتردم

على العمارى
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

عالم الغيب :

الجن فى منطق الأساطير

للشيخ محمد رجب البيومى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما العامل المادى فقد كان ذا أثر ملموس فى شيوع الخرافات حيث كانت البادية مورداً تجاجاً لما انتشر على الألسنة من الأساطير وطالما وفد إليها المتندرون والمتظرفون ، يستملون ويستنبؤن . وإن أحدهم ليصحب البدوى إلى حاضرته ليقص على أصحابه وذويه ما يتقنه من الترهات إزاء أجر ثمين ، وطبيعى أن يلجأ الأعرابى إلى الافتعال ، لتنفق بضاعته ، فتملأ حقيبته ، وهنا يطلق لخياله العنان فيزعم أنه رأى الشيطان مرة فاستضافه وأنشده الشعر ، ومرة أخرى فخاربه وصرعه ، وكلما كان البدوى شديد المبالغة فى حديثه كان أخف موقعاً فى القلوب ، وأسلس مقادة للمقول ، فإذا أخذ نصيبه المادى ورجع إلى خيمته عكف على اعتمال الأباطيل ليكون على أتم استعداد إذا طلب مرة أخرى للسمر والاستمتاع ! !

ويجدر بنا أن نشير إلى ما شاع لدى العرب من تأثير الجن فى الأجسام ، فإذا مرض منهم مريض لجأوا إلى العرافين ومن بق من ذوى الـكهانات ، وهؤلاء لا يرعون فى الناس حرمة أو ذمة بل يجسدون الأوهام ، ويبلبلون الخواطر ، فيزعمون أن بالمريض مساً يجب أن يتدارك ، ويطلبون الأجور المرتفعة جزاء ما يقرءون من التماويذ الـكاذبة ، وما يصنعون من الرقى الباطلة . وقد يعشق البدوى فتاة تنتزع فؤاده من أضالعه ، وتخطف عقله من رأسه ، فيأتى به ذووه إلى العراف فيلجأ أيضاً إلى التمائم والتماويذ ، وكأنه يرى مريض القلب لا يختلف عن مريض الجسم ، فيجعل الدواء واحداً لِـكلا الرجلين ، وقل فى الجهالة ما تشاء ! !

وقد يبالغ بعض العرافين فيزعم أن الجن تعشق الإنس عشقاً مبرحاً وأن الجنية تلاقى الصد والتيه ما يلقاه الإنسى ، فإذا تمـكنت الصبوة من فؤادها ، سلب رشادها ، وتبددت قوتها ، فيمر بها قومها من الجن فيسألون عنها ، فيقال مسها إنسى كما يقال لمن صرع من الإنس مسه جنى ، والطبيب فى كلتا الحالتين هو العراف الأثيم ! !

ولا يترك الفقهاء هـذا الباب حتى يؤيدوه بما يعن لهم من الأدلة ، ونحن نعلم الخلاف العريض بين أهل السنة والمعتزلة فى الصرع والمس حيث قد ذهب الفريق الأول إلى حدوث ذلك ، وقد استشهدوا بحـديث رواه البخارى ، كما أجاز بعض الحنفية زواج الجنية من الإنسى ! ! قال الجاحظ « وزعموا أن التناكح والتـلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد ؛ وهذا ظاهر لأن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السفاد ، وكذلك رجال الجن لنساء الإنس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنسـاء للنساء . قال تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه ، لما قال الله تعالى ذلك القول »

وهـذا قول لا يدرى حقه من باطله ، وإلا فكيف نقول لمدنف عاشق يهوى فتاة معنية باسمها وصفتها إن به مسامن الجن ! ! ولماذا يزول المس إذا اقترن بمحبوبته الإنسية ؟ وأين الجنية المزعومة إذن ؟ كل هذا تدجيل صارخ فطن إليه من قال .

وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو علموا قالوا به أعين الإنس
وكم فى الحياة من أكاذيب ! !

بقى أن نتحدث عن العومل الأخـلاقية ، وهى ذات الحظ الأوفر فى اختلاق الأساطير ، لأنها ترجع إلى عامل واحـد ، هو الافتخار بالمواهب ؛ وقد شاع لدى العرب أن الجن متقدمون عن الإنس فى كل شىء ، فهم مصدر الإلهام فى الشعر ، ومنبع الوحى فى البيان ، وهم أولو البأس فى القتال والصـيال ، وهم سلاطين الصحراء وأمراؤها ، يستأذنون فيأذنون ، ويأمرون فيطاعون . كل أولئك قد جعل أصحاب الزهو والخيلاء يزعمون أنهم يفوقون الجن فى مواهبهم ، ويزاحمونهم بمنكب ضخم فى مناقبهم ، وما من دليل سوى الأساطير المزعـومة يختلقها أولو الفخر الـكاذب فيتناقلها الناس على ممر العصور ! !

فالشاعر مثلاً يرى أن منزلته لا تعظم فى قبيلة لا إذا زعم أن الجن تلهمه ومن ثم يتجه إلى وادى عبقر كل يوم حيث يصعد إليه

الوحى من الأرض ، بدل أن يهبط عليه من السماء ! ! ونحن ننظر فنجد ذا الرمة وأبا النجم ، ورؤبة والأعشى وغيرهم يدعون أقرانهم من الشياطين ، هم ناظمو القصائد ومبدعو المعانى والأساليب ، وربما سمى الشاعر قرينه باسم معين ، وذهب يفتخر به فى كل ناد ، كما قال الأعشى فى قرينه « مسحل »

وما كنت شحذوذا ولكن حسبتنى
إذا مسحل يسدى لى القول أعلق

شريكان فيما بيننا من هوادة
صفيان ، إنسى وجن موفق

وصحائف الأدب مليئة بما يماثل ذلك ، وربما كان أصل هذه الفكرة لدى العرب أن شاعراً حسد زميله فى إبداع ، فأدعى أن الشيطان هو الذى يجرى البيان على لسانه ، وفى جمهرة أشعار العرب أساطير تؤيد ما نقول ، ومن ذلك ما زعمه ابن المرزوى عن أبيه أنه مر على جماعة ظباء فى سفح جبل ، فرآى شبحاً ذا منظر غريب فارتاع منه ، فقال له اذكر الله ولا تخف ثم سأله : أتروى من أشعار العرب شيئاً ؟ فقال المرزوى : نعم وأخذ يروى له شعر عبيد بن الأبرص ! ؟ فسأله الشيخ من قائل هذا الشعر ؟ ؟ فقال : عبيد ، فتهانف وقال : ومن عبيد ، لولا صاحبه هبيد ؟ ! ثم شاعت بهذه الخرافات فكرة الأخذ عن الجن فكان كل شاعر يأتى بعد ذلك يزعم أن له قرينا ، بل ربما ميز شيطانه بخصائص لا توجد فى غيره ، كما زعم أبو النجم وشركاؤه . وأتى من الرواة من بسط الحبل على امتداده ، فقيض لكل شاعر أبجبته الجاهلية شيطاناً فهوله قرين ، وإن لم يعترف به الشاعر نفسه ، فلافظ قرين امرئ القيس ، وهاذر صاحب النابغة ، وجهنام شيطان عمرو بن قطن وغير هؤلاء لا يحصون ! !

هذا فى الشعر والأدب ؛ أما الافتخار بالشجاعة فقد أورث العربية تركة مثقلة بالخرافات ، فكل صعلوك يزهى ببسالته ، ويختال ببطشه ، يختلق من الأساطير ما يؤيد دعواه ، فيزعم أنه حارب الجن ، ولقى السعلاة فضربها بسيفه ، وامتطى الغول فى البيداء ، وقد زعم صاحب الأغانى أن ثابت بن جابر لقى الغول فى ليلة دامسة ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها ، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شراً ، فلقب بهذا القول وعرف به لدى الجميع .

ومهما يكن من شىء فإن تأبط شراً قد أكثر من الحديث عن الجن إكثاراً لم يتح لغيره . وكأنه رآى فى انتصاره الموهوم على الغول ما يبرر له كل اختلاق ، فذكر فى شعره محاورة قامت بينه وبين غول ضربها ضربة واحدة بسيفه ، فقالت له : ثن الضربة ، فأبى كيلاً تعود لها الحياة إذا ضربت مرة ثانية حسب اعتقاده ، كما زعم أنه قابل وفداً من الجن فأشمل النار ونحر الذبائح ودعاهم إلى الطعام ، فذكروا أنهم يحسدون عليه الإنس فهم لا يأكلون كما نأكل ، اسمعه يقول من أبيات .

أتوا نارى فقلت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقلت إلى الطعام فقال منهم
زعيم نحسد الإنس الطعاما

لقد فضلتمو بالأكل عنا
ولكن ذاك يعقبكم سقاماً

وقد ابتلى تابط شراً بمن كذب دعواه ، فزعم أنه نزل بشعب وادى الجن فرأى وجوها صباحاً وسما ، فنحر لهم مطيته ليأكلوا من طيباتها المشتهاة ، ذلك هو جذع بن سنان الغسانى إذ يقول .

نزلت بشعب وادى الجن لما
رأيت الليل قد نشر الجناحا

أتونى سافرين فقلت أهلا
رأيت وجوهكم وسما صباحاً

نحرت لهم وقلت ألا هلمو
كلوا مما طهيت لكم سماحاً

وقد لا يكتفى الصعلوك بأن يفخر بنفسه بل يتعدى ذلك إلى قبيلته ، فيزعم أنها حاربت الجن ، فانتصرت انتصاراً رفعها إلى ذروة عالية من المجد . قال أحد الأفاكين من بنى سهم : ذهب جنى يطوف بالبيت فعرض له شاب من بنى سهم فقتله ، فثارت بمكة غبرة لم تبصر لها الجبال — وإنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن — فأصبح من بنى سهم على فرشهم موتى كثير من قبل الجن ، فكان فيهم سبعون سيخاموى الشباب ، فنهضت بنوسهم وحلفاؤها إلى الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حية ولا عقربا ولا خنفساء ، ولا شيئاً من الهوام يدب على الأرض إلا قتلوه وأقاموا على ذلك ثلاثا ، فسمع فى الليلة الثالثة هاتف يهتف بصوت جهورى ، يا معشر قريش اعذرونا من بنى سهم فقد قتلوا منا أضعاف من قتلنا منهم فأصلحوا ما بيننا ، ففعلت ذلك قريش ، وسميت بنوسهم « قتلة الجن » .

وكثير من مسطرى هذه الأخبار — فى القديم — من يملأ

بهـا الصحائف دون أن يلفت الأنظار إلى مبانيها من الافتراء وكأنه يرى من الأمانة العلمية أن يذكرها كما تلقفها من الأفواه، أو نقلها عن الأسفار بدون تعليق يضع الحق فى نصابه، بل لعله يتعصب لها تعصباً يترك القارىء فى شك من أمره، ولـكن الحق لايعدم أنصاره فى كل زمان ومكان، فـكما وجد جماعة من الفقهاء ينشيمون لهذه الأساطير، فقد وجد منهم آخرون يفندونها أتم تفنيد، قال ابن حزم عن الجن: « ومن ادعى أنه يراهم أو رآهم بالفعل فهو كاذب إلا أن يكون من الأنبياء » وقال أبو إسحاق المتـكلم فيما رواه عنه الجاحظ « وأصل هـذه الفـكرة أن القوم تأثروا بوحشـة بلادهم، ومن أقام بالصحراء منفرداً استوحش وابتلى بالوسوسة، وتمثل له الشىء الصغير كبيراً، فإذا اشتملت عليه الغيطان، وسمع صياح بومة أو مجاوبة صـدى، تصور فى نفسه كل باطل. وربما كان أحدهم كذاباً فيأتى بشعر يزعم فيه أنه رأى الغيلان وكلمها ثم يتجاوزذلك، فيقول قتلها، ثم يتجاوز ذلك فيقول رافقها وتزوجها » ويستفيض حديثه بين الناس فتسيل به الأندية والمجتمعات » !

هل عرفتم مصرع حرب بن أميه ؟؟ فقد خرج فى نفر من قومه فاعترضتهم حية خبيثة فقتلها وكانت من الجن — فجاءت حية أخرى فطالبت بالثأر، وقام بين الفريقين معركة طاحنة قتل فيها حرب، ودفن حيث وافته منيته فقالت فيه الجن.

وقبر حرب بمـــكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر!

وهل علمتم أن سيد الخزرج سعد بن عبادة رضى الله عنه أصيب بسهمين خاتلين من الجن ففاضت روحه الـكريمة إلى بارئها العظيم ؟ ثم رثوه بعد ذلك بشعر نائح! وهل سمعتم أن الغريض غنى بالبادية صوتاً مؤثراً فحسده الجن وقتلوه !؟ وهل تدرون أن أمية بن أبى الصلت تعرض ليهودية من الجن، فبرص أعلاه واسود أسفله. هذا رذاذ من وابل هطال تتدفق به الأساطير!

إن فى هذه الخرافات لمتعة عجيبة، وأخشى أن أدعو إلى تذوقها تذوقا فنياً يكشف عن طرافتها الغريبة، فأجد — فى القرن العشرين — من يميل إلى تصديقها من الناس! ولم لا يكون ذلك والغباوة تسير مع الزمن فى خطوة السريع!

رحم الله أيام الطفولة، فقد ملأت مخيلتى بآلاف مؤلمة من هذه النوادر، وكنت أسمعها فى لذة ومتعة، فأترنح من السرور كمن مالت بقامته نشوة السلاف! فأين مضى هذا العهد الحالم، وكيف عصفت به ريح الزمان!!

أقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب مذ هُجرت ذميم

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

المصادر الهامة للبحث

(١) روح المعانى للألوسى
(٢) السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين
(٣) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى
(٤) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى
(٥) حياة الحيوان الـكبرى للدميرى
(٦) الحيوان للجاحظ
(٧) تاريخ الأدب الجاهلى لأستاذى الجليل محمد هاشم عطيه
(٨) قصص العرب للمرحوم جاد المولى بك
(٩) التصوف الاسلامى لدكتور زكى مبارك
(١٠) مقالات متفرقة فى الرسالة والمقتطف

الفتوة فى اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان فى الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحديد المعانى

للأستاذ ضيـــاء الدين الدخيلى

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ولنقتطف من ديوان الحماسة اختيار أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وقد شرحه الشيخ أبو زكريا التبريزى الشهير بالخطيب وكان تلميذاً للمعرى .

قال النابغة الجعدى (١) :

ألم تعلمى أنى رزئت محارباً ... فما لك منه اليوم شىء ولا لِيا
(فتى) كملت خيراته غير أنه ... جواد فما يبقى من المـال باقيا

قال الخطيب فى شرحه أنه يخاطب صاحبته أم محارب وقوله ألم تعلمى : ظاهره تقرير ، وإنما هو توجع وتلهف على ما فاته من الرثى محارب ابنه .

وقال ابن أهبان الفقعسى يرثى أخاه (٣)

على مثل همام تشق جيوبهـا ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد
(فتى الحى) إن تلقـاه فى الحى أو يرى ... سوى الحى أو ضم الرجال المشـــاهد
طويل نجاد السيف يصبح بطنه ... خميصاً وجاديه على الزاد حامد

قال الخطيب جادية الذى يجتديه ، ويطلب منـه جمل الفتوة والرئاسة مسلمة له فى كل حال وعلى كل وجه ألا ترى أنه قال هو الفتى بين رجال الحى وعنـد لقائك إياه فيهم وقوله أو يرى سوى الحي ، أى فى مكان آخر وفى قوم آخرين بدلامن الحى وقوله أوضم الرجال المشـاهد معناه وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل فى مجامع الملوك وقال سلمة الجعفى يرثى أخا (٤)

أقول لنفسى فى الخـلاء ألومها ... لك الويل ماهذا التجلد والصبر
ألم تعلمى أن لست ماعشت لاقيا ... أخى إذ أتى من دون أوصاله القبر

(١) ج ٣ ص ٥١ (٢) ج ٣ ص ٥٣ (٤) ج ٣ ص ٥٩

[فتى] كان يعطى السيف فى الروع حقه ... إذا ثوب الداعى وتشـــق به الجزر
[فتى] كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قال الخطيب ثوب الداعى أى دعا واصل التثويب أن يكون الرجل فى مفازة لا يهتدى بها فيلوح بثوبه فربما رآه إنسان فيهديه وينجيه ثم استعمل فى غيره .

وقال سالم بن وابصة الأسدى (١)

أحب [الفتى] ينفى الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلا هجرا

وقال زياد بن حمل (٢)

كم فيهم من (فتى) حلو شمائله ... جم الرماد إذا ما أخمد البرم

قال الخطيب كم للتكثير وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى وجم الرماد كثيره ولا يكثر الرماد إلا لكثرة الغاشية والأضياف والبرم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر (نوع من القمار) والمراد إذا أخمد البرم النار لبخله .

وقال العريان (٣)

ورحت إلى دار امرىء الصـدق حوله ... مرابط أفراس وملعب (فتيان)
ومنحر مئناث يجر حُوارُها ... وموضع إخوان إلى جنب إخوان

قال الخطيب : وملعب فتيان ، لأنهم يجتمعون عنده لسخائه وقوله : يجر حوارها ، لأنها تجزر وهو فى بطنها فيجره من بطنها وروى فى الحماسة (٤) ولم يذكر قائلهما :

وليس (فتى الفتيان) من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولـكن (فتى الفتيان) من راح أو غدا ... لضر عـدوٍّ أو لنفـع صـــديق

وقد اعترض علينا الأستاذ محمد عبد القادر ، حيث أننا لم نذكر القائل وقد استشهدنا بالبيت الثانى أخذناه من تاج العروس ولم يذكر قائل البيتين فى ديوان الحماسة إلا أن الخطيب التبريزى فى شرحه بعد أن قال الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب الخمرة فى المشى . روى الأصمعى أن أكثم بن صيفى قال : اصحب من

(١) ج ٣ ص ٨٥ من حماسة أبى تمام (٢) ج ٣ ص ١٨٢
(٣) ج ٤ ص ٨٤ (٤) ج ٤ ص ١٠١

الإخوان من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن اختللت عانك ، إن رأى منك حسنة جازاك عليها ، أو سقطة أغضى لك عنها ، لا تختلف عليك طرائقه ، ولا تخشى بوائقه . ثم أنشد البيتين : وليس فتى الفتيان الخ . ومن هذا يتبين قدمهما وصحة الاستشهاد بهما .

وقال أبو كبير الهذلي (عويمر بن حليس أحد بني سعد بن هذيل) (١)

ولقد سريت على الظلام بمغشم جلد من (الفتيان) غير مثقل

قال : سرى وأسرى بمعنى واحد ، وعلى الظلام: أى فى الظلام ويجوز أن يكون وعلى الظلام فى موضع الحال أى وأنا على الظلام أى راكب له ، والمغشم من الغشم : وهو الظلم ، فإن قيل إذا كان السرى لا يكون إلا ليلا ، فلم قال على الظلام ، ولم جاء فى القرآن الذى أسرى بعبده ليلا ؟ قيل المراد توسط الليل والدخول فى معظمه ، والجلد : الصلب القوى . وقوله غير مثقل : أى كان حسن القبول محبباً إلى القلوب ، قال ، وقال أبو رياش (المغشم) الذى يغشم الأمور ويخلطها من غير تمييز ، وقيل المغشم ههنا : من إذا اختفى عليه الطريق اعتسف أى ركب الطريق على غير هداية ولا دراية .

وروى فى الحماسة لامرأة من طيء (٢)

دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك ومن لا يجب عند الحفيظة يكلم

فيا ضيعة (الفتيان) إذ يعتلونه ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم

(الشرى مكان ، والحفيظة الغضب أى استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يجب ، وقولها يكلم : كناية عن الغلبة والقتل ، والعتل : القود بعنف ، يقال عتله يعتله ، ويا ضيعة الفتيان : لفظه لفظ النداء ومعناه الخبر كأنها قالت ضاع الفتيان جداً إذ كان أعداؤه يمنفون فى قودهم إياه وهو كأنه فحل مشدود الفم خوفاً من صياله ، والفنيق : الفحل ، والمسدم : المشدود الفم الهائج الممنوع ، وإنما يفعل به ذلك إذا هاج خوفاً من عضاضه .

وقال جابر بن ثعلب الطائى (٣) :

وقام إلى العاذلات يلمننى يقلن ألا تنفك ترحل مرحلا؟

فإن (الفتى) ذا الحزم رام بنفسه جواشن هذا الليل كى يتمولا

وتزرى بعقل المرء قلة ماله وإن كان أسرى من رجال وأحولا

(أى لا تزال ترتحل ارتحالا ومرحلا انتصب على المصدر وجواشن الليل صدوره وأوائله وأحواله أكثر حيلة) .

وقال أبو النشناش (١) :

فللموت خير للفتى من قعوده عديماً ومن مولى تدب عقاربه

(أى الموت خير للرجل من قعوده راضياً بفقره وبإفضال مولى يؤذيه بالمن ، ودبيب العقارب : كناية عن الأذى وانتصب عديماً على الحال .

وقال آخر :

إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة ؟ فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

فهذه النصوص الأدبية أظن أن فيها الكفاية لمن ارتاب فى دلالة فتى على الشهامة والفروسية ، ونود أن ننبه القارىء الكريم إلى أن الفتوة فى العصر العباسى كانت تطلق على اجتماع بعض المياسير على اللهو واللذات تجمعهم الملاهى والعبث والترف والسماع ، فقد وصف عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع حال الفتيان الذى كان يعاشرهم فقال(٢):

فى فتية بذلوا فى القصف ما ملكوا

وأنفقوا فى التصابى العرض والنشبا

وجاء فى (نهاية الأرب) فيمن شرب الخمر واشتهر بها ، (ومنهم والبة بن الحباب الأسدى وهو الذى ربى أبا نواس وعلمه الفتوة وقول الشعر) ويفسر لنا أبو نؤاس تلك الفتوة التى درسها على والبة بقوله :

ما استكمل اللذات إلا فتى يشرب والمرد نداماه

هذا يغنيه وهذا إذا ناوله القهوة حياه

وقوله :

متيم القلب معناه جادت بماء الشوق عيناه

إن كان أبكاك الهوى مرة فطالما أضحكك الله

لا خير فى العاشق إلا فتى لاطف مولاه وداراه

ودافع الهجر وأيامه فالوصل لاشك قصاراه —

— (أى غايته)

(١) ج ١ ص ٤٢

(٢) ج ص ١١٣ من شرح حماسة أبي تمام للتبريزي طبعة بولاق

(٣) ج ١ ص ١٦١

(١) ج ١ ص ١٦٧

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٥

وروى النواجي في حلبة الكميت أن أبا الهندي كان منهمكا في الخمر مغرماً بالشرب ، ودخل حانة خمار فشرب عنده إلى أن غلب عليه السكر فنام ، ودخل جماعة (فتيان) فرأوه على تلك الحالة فقالوا للخمار ما حال هذا ؟ قال طيب العيش قالوا فألحقنا به فسقاهم حتى انتهوا إلى حاله فانتبه أبو الهندي فرآهم فقال للخمار ما حال هؤلاء ؟ فقال مبسوطون ، قال فالحقني بهم ، فسقاه حتى لحق بهم ، وانتبهوا فقالوا مثل ذلك إلى أن مضت عليهم عشرة أيام ولم يلتق بعضهم ببعض ثم أنشد أبو الهندي :

ندامى بعد عاشرة تلاقوا تضمهم (الفتوة) والسماح
نقيم معاً وليس لنا تلاق بيت ما لنا منه براح

وجاء في الأغاني[1] (وبعد وفاته كان الفتيان يجيئون إلى قبره ويصبون القدح إذا انتهي إليه على قبره) وجاء في مسالك الأبصار عن حانة عون (أن عوناً كان ظريفاً طيب الشراب نظيف الثياب وكان فتيان الكوفة يشربون في حانوته ولا يختارون عليه أحداً)

وجاء في حلبة الكميت قال السرى الرفا الوصلي :

وفتيـة زهر الآداب بينهم أبهى وأبهج من زهر الرياحين
مشـوا إلى الراح مشي الرخ فانصرفوا
يمشون من شربها مشي الفرازين

(في المنجد الرخ طائر وهي كبير وأيضاً قطعة من قطع الشطرنج الجمع رخاخ ورخخة : وفرازين جمع فرزان وهي الملكة في لعب الشطرنج)

وبدهي أن الفتوة في النصوص الأخيرة لم تستعمل في المعاني التي استعملت فيها إشعار الحماسة وغيرها التي تقدمت ، وإنما استعملت في معنى الانغماس في اللهو والسكر والسماع ، وقد نسب الثعالبي في كتابه (الخاص للخاص) بيتين للأعشى أورد فيهما (فتى) في ذلك المعنى فقال :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس إني (فتى) أتيت المروءة من بابها

وقد أكثر في الأغاني استعمال الفتوة في هذا المعنى فقد جاء في الجزء السابع[2] وكان الوليد بن يزيد من (فتيان بني أمية) وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة وشاع في أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل .

وعن الوليد أيضاً أنه أبلغه أن جماعة من بني مروان يعيبونه بالشراب فلمهم وقال أنهم ليعيبون على مالو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال هذا الشعر وأمر عمر الوادي أن يغني فيه وهو من جيد شعره ومختاره :

ولقد قضيت وأن تجلل لمتى شيب — على رغم العدا لذاتي
من كاعبات كالدمى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات
في (فتية) تأبى الهوان وجرههم شم الأنوف جحاجح سادات
أن يطلبوا بتراثهم يعطوا بها أو يطلبوا لا يدركوا بتراث

وفيه[1] كان الهذلي النقاش يغدو إليه (فتيان قريش) وقد عمل عمله بالليل ومعهم الطعام والشراب والدراهم فيقولون غننا الخ وقد قال فيه[2] في التعريف بالهذلي هذا أنه سعيد بن مسعود كان ينقش الحجارة بأبي قبيس (جبل في الحجاز) وكان فتيان من قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ويأتيهم فيغني لهم ويكون معهم .

وفي الأغاني[3] أن وضاحاً هوى امرأة يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها وعاتبه أهله وعشيرته فقال في ذلك :

يا أيها القلب بعض ما تجد قد يعيش المرء ثم يتئد
قد يكتم المرء حبه حقباً وهو عميد وقلبه كمد
ماذا تريدين من (فتى غزل) قد شفه السقم فيك والسهد ؟

حدث الأصمعي عن الخليل بن أحمد أن وضاحاً كان يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة .

وجاء في الأغاني[4] عن اسحاق بن ابراهيم الوصلي عن أبيه قال : دخلت الري فكنت آلف (فتياناً) من أهل النعم وهم لا يعرفونني فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية فشوقتني إلى العراق وذكرتني أيامي بها فدعوت بعود فلما جيء به اندفعت فغنيت صوتي في شعري .

---

(1) ج ٢ ص ١٧٩ (٢) ج ٥ ص ٧٧

(1) ج ٥ ص ٦٧ (٢) ج ٥ ص ٦٥
(٣) ج ٦ ص ٢١٢ (٤) ج ٥ ص ١٨٨

أنــا بالرى مقيم فى قـرى الرى أهيم

وقد كنت صنعت هـذا اللحن قديماً بالرى فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلى فأكبت على رأسى وقالت أستاذى والله فقال لها مولاها أى أستاذيك هذا ؟ قال ابراهيم الموصلي فإذا هى إحدى الجوارى اللاتى أخذن عنى وطال العهد بها فأكرمنى مولاها وبرنى وخلع على فأقمت مدة بعد ذلك بالرى وانتشر خبرى بها ثم كتب بحملى إلى والى البلد فأشخصت .

فترى أن كلمة (فتيان) قد استعملت فى العصر العباسى وأريد بها إخوان الطرب الذين جمعتهم العشرة على موائد اللذات فهؤلاء الفتيان الذين تعطينا القصص صورة مصغرة لحياتهم فى العصر العباسى كانوا إخوان لهو وسكر وعربدة وهذا ما يحدد حياة الفتوة فى ذلك العصر المترف كما توضح معالمها هذه القصص المنشورة فى مجلدات الأغانى وغيرها من كتب الأدب وإليك صورة أخرى لحيـاة الفتوة الخليعة فى العصر الأموى ، جاء فى الأغانى (١) فى أخبار الدلال أنه من ظرفاء المدينـة فى العصر الأموى وكان جميلا حسن البيـان ، ومن أحضر الناس جواباً وأحجهم . وكان سـليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصى غلطاً قال وأن الدلال خرج يوماً مع (فتية من قريش) فى نزهة لهم وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه وعلم القوم بذلك فقالوا قد ظفر نابه بقية يومنا ، وكان لا يصبر فى مجلس حتى ينقضى وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبة فى محادثة النسـاء فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك فغضب وقام لينصرف فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيرهم فنذر بهم (علم) السلطان وتعادت الأشراط (تعادت من العـدو وهو سرعة الجرى) فأحسوا بالطلب فهربوا وبقى الغلام والدلال وما يطيقان براحاً من السكر فأخذا فأتى بهما أمير المدينة الخ فترى حياة هؤلاء الفتيان حياة تحلل من قيود العرف وتهرب من أحكام الشرائع الأدبية المتعارفة فى عصرهم وهـذا نموذج لحياة الفتوة فى العصر الأموى وإذا تراجعنا للعصر الجاهلى فإن طرفة يحدثنا عن فتوته فى معلقته والأعشى فى بيتيه المتقدمين وتجد الفتوة إذاك مزيجاً من الطرب والأنس والفروسية والنجدة وقد تكون نجدة وشهامة ورجولة كاملة لا غير كما فى أشعار الحماسة التى أوردنا .

ومن هذا ترى أن الفتوة قد اختلف الناس باختلاف العصور والأزمان والبلدان — فى فهم معناها ولولا ضيق الوقت لأتينا على عرض تاريخى مفصل للفتوة فى الجاهلية وعصور الإسلام . إذ اقتصر حديثنا هذا على استعراض ما عثرنا عليه من النصوص الأدبية الموثوق بها لإثبات دعوانا السابقة من دلالة الفتوة على الشهامة والفروسية والنبل وكمال خصائص الرجولة ، وعسى أن ننال ثقة الناقد الـكريم وهل ندرى هل يزيف شواهدنا أيضاً ؟ أم يغضى على مضض وفى العين قذى وفى الحلق شجا : الحق أن معنى (فتى) قد تجلى ولا غبار بعد اليوم عليه ، وقد وضح الصبح لذى عينين والذى استهدفته من إطالة الحديث إعطاء القراء مثلا محسوساً لنقص كتب اللغة وعدم شرحها معانى المفردات كما هى إذ قد رأيت فى مقالى الأسبق فى العدد (٧٨٢) أنها أجمعت على تفسير كلمة فتى بالرجل الـكريم السخى ولم تلوح كلها أو جلها إلى ما تضمنته الـكلمة من معانى الجلد والفروسية والنجدة والبطولة واستـكمال مزايا الرجولة وصفات الشهامة فى حين أن النصوص الموثوق بها والتى وضعتها بين يديك تصرح فى تكذيب قواميس اللغـة ، ورميها بأنها سطحية لا تمنح الألفاظ إلا لمحة الطـائر وفطنة العجلان)

ضياء الدخيلى

(١) ج ٤ ص ٢٨٢

أوراق مطوية:

كل شيء إلى زوال

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كل شيء إلى زوال   فاسقني خمرة الجمال
لا تكلني إلى غد   إنه في دجى خيال
أنا لو كنت خالداً   ما تعجلتك الوصال
هل ترى الصبر نافعاً   لمقيم على ارتحال ؟
إنما العمر خطوة   كخطا الريح في الرمال
فاسقني خمرة الجمال   كل شيء إلى زوال !

أتري ذلك الضياء   رائع السحر والبهاء ؟
يملأ القلب فرحة   ونزوعا إلى السماء
ويوافيه بالمنى   وبأحلامه الوضاء
ويغني فتبعث الطير   ر له أعذب الغناء
سوف يمضي كما أتى   حينما يقبل المساء !
فاسقني خمرة الجمال   كل شيء إلى زوال !

أترى ذلك المساء   رائع الصمت والخفاء !
يملأ النفس رهبة   دونها رهبة الفناء
فهو بحر بلا ضفا   ف ، وأفق بلا انتهاء
وهو نوم وراحة   وهو سهد على بكاء
سوف يمضي كما أتى   حينما يقبل الضياء
فاسقني خمرة الجمال   كل شيء إلى زوال !

والربيع الذي تراه   يتهادى على رباه
فتغني به الدنى   وتغني له الحياه
سوف يمضي كأنه   أرج الزهر أو نداه
فإذا الزهر ذابل   من بكاء على شذاه
وإذا النهر غائر   بعد ما فاض شاطئاه
فاسقني خمرة الجمال   كل شيء إلى زوال !

والشباب الذي يطيب   نفح ريحانه الرطيب
وترى حوله المنى   كفراش على لهيب
سوف يمضي مشيعاً   كل ما فيه بالنحيب
ثم يأتي بيأسه   وبأحزانه المشيب
فإذا العمر وحشة   دونها وحشة الغريب
فاسقني خمرة الجمال   كل شيء إلى زوال !

سوف أحيا مع الشباب   بين أحلامه العذاب
فإذا الجسم في الثرى   وإذا الروح في السحاب
وإذا بي مع الهوى   كأغان على رباب
أبصر النور في الدجى   وأرى الماء في السراب
إنما الحب ساحر   يبدع الروض في اليباب
فإذا أقبل الردى   ثائر الهول كالعباب
قلت يا نفسي اهدئي   ليس يجديك الاضطراب
إنما العمر رحلة   بعدها يحمد المآب
فاحمدي ذلك المآل   كل شيء إلى زوال !

إبراهيم محمد نجا

من وحي البحر:

السمكة الصغيرة

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

قذفتك الأمواج يا طفلة البحر   ر إلى شاطئ عديم الوفاء
لن تصيبي عليه زاداً إذا ما   جعت ... أو تظفري لديه بماء
لن ترى أي راحم فيه يرعى   أو تذوقي غير الأسى والشقاء
نحن في عالم التطاحن والحر   ب ودنيا تمج بالبغضاء

لفظتك الأمواج يا دمية البحر   ولم تبلغي حياة الشباب
وتركت العباب وهو متاع   ومراح للخرد الأتراب
لكأني بهن يبكين أختا   لم تمتع بالعيش غض الإهاب

قهر البحر حسنها ورماها فاستكانت لموجه الغلاب

أمسكتها يداى وهى على الشط تلوى ... تشكو لديه الجحودا
فتجلي للعين منهـا جمال يتهادى : لوناً وحسناً فريدا
وبدت صورة الطفولة تحكى رقة الطفل حين يأتى الوجودا
يا لها ... هل تموت والماء منها قيدخطو ؟ ... لهفا عليه وليدا
غمستها فى الماء كفى ... فراحت تضرب الكف رغبة فى الفرار
طفلة البحر : إن تركتك للبحر أترعين بعد هذا جوارى ؟
من ضميني بأن أراك إذا أصبحت فى النيد فاتنات المذار ؟
كم رعينا الظباء وهى صغار فاسألى اليوم عن جحود الكبار !

طفلة البحر : قد رجعتك للبحر فعودى فيه لجو النعيم
واسعدى بالمقام فى لجه الصا فى بعيداً عما نرى من هموم
واحذرى الصائد الخئون إذا ما جاء يسعى بطمعه المسموم
واذكرينى ... فإن ذكراك أندى لفؤادي من آدمى اثيم

دمية البحر : من رعى الود يوماً مثلنا نحن معشر الشعراء ؟
لو رآك الغداة غيرى لما طالعت منه إلا نذير الفناء
ولذا ست أقدامه جسمك الغض فأمسى مبعثراً فى الهواء
إنعمى بالحياة ... إنا أناس دأبنا فى الحياة بذل الإخاء .

(رأس البر) محمد يوسف المحجوب

ثلوج الوحدة

للأديب رشيد ياسين

« إلى تلك السنوات التى قضيتها جارياً وراء مثل خادعة ... أسوق هذه اللعنة ! »

هلمى ينابيع المآسى وتمتمى كيانى، وشبى عاصفاتك فى دمى
وخلى وجودى فى فم النار آهة وشكوى، على سمع المقادر، ترتمى
فيارب مأساة يذوب لهيبها ثلوج سآماتى ، ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاوز وحدتى وأحرق بالآهات صمتى على فمى !

مع الوحدة الخرساء عادت سذاجتى تكلف مغبون وصرخة ناقم
دفنت مراحى فى تهاويل حكمتى وضيعت فى صيد السراب تبسمى
وعشت يغشينى الضباب فلا أرى سوى أنجم تنقض فى إثر أنجم
أسير . فلا ظل لخطوى على الثرى ، وأشدو فلا ألقى صدى لترنمى
أدور على نفسى . وعينى كفيفة كدوامة يلهو بها لاعب عمى
وحولى وجوم فى فؤادى له صدى وفوق ركام[1] من أسى وتندم
وفى مقلتى طيف من الشك حاطم تغذيه أشلاء اليقين المحطم

هلمى احرق دنياى علِّى أهتدى إلى دربى الخافى بنار تألمى
وأوقد من ماضىَّ فى فورة اللظى بخوراً على قبر الشباب المهدم
فيارب مأساة يذيب لهيبها ثلوج سآماتى ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاوز وحدتى وأحرق بالآهات صمتى على فمى !

(بغداد) رشيد ياسين

(١) الركام : السحاب الكثيف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الكافورة :

طالعني غير واحد من إخواننا الأدباء ، بهذا السؤال : لم لا يكتب الأستاذ الزيات في هذه الأيام ؟ وكنت أجيب إجابات مختلفة ، ليس منها أنه مستسلم للكسل ... وهل يليق أن أجيب بمثل هذا عن أستاذنا الجليل ؟

يقضي الأستاذ أكثر أيام الصيف بالمنصورة ... هناك تحت الكافورة « كافورة الزيات » المشرفة من أحد النوادي على النيل والتي خلدها في بعض ما كتب منذ بضع سنوات .

والعجيب أن الزيات ، الأديب المعروف بالتعبير الجميل عن كل مايقع تحت حسه المرهف ، يخلد الآن إلى « الكسل الفني » تحت الكافورة ... وهو الذي لم يمنعه مرضه في الأيام التي قضاها مستشفياً بحلوان — أن يكتب ما أوحت إليه ، ولم ينس قراء الرسالة تلك اليوميات الممتعة .

فما أجدر الكافورة والمنصورة والريف القريب منها الذي يتردد عليه الأستاذ — بأن تفيض على قلمه من جمال البيان مايصل به صدر الرسالة الذي جافاه من نحو شهرين .

ولست أجزم بأن الأمر في ذلك يرجع إلى الكسل ، فما يدريني ، لعل الكافورة تظلل سراً يختمر ...

قضية أدبية هامة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامي ، كتاباً قنّى به على أثر الشاعر محمد محمد على السوداني الذي عتب على الرسالة بقصيدة لإهمالها نشر أشعاره ، فأعتبته ونشرت قصيدة العتاب في العدد (٧٨٦) .

يقول الأستاذ أبو النجا إن ما أبداه الشاعر العاتب « ترجمان صادق لما تزخر به من الشكوى نفوس الكثيرين من أدباء الشباب ، فقد درجت بعض المجلات الأدبية والصحف اليومية على إغفال ما يرد إليها من ثمرات قرائح المتأدبين من الشباب والإلقاء بنفثاتهم في سلة المهملات رغبة عنهم إلى أولئك الذين نبه ذكرهم وبعد شأوهم من كبار الأدباء » .

وبين ما يترتب على هذا الاتجاه من آثار بالغة في حياة الأفراد والأمة ، بأنه يشكك ناشئة الأدباء في أدبهم ، لأن معيار جودة الأدب هو نشره ، ومتى تسرب الشك إلى النفس قلقلت ومالت جذوتها إلى الخمود ؛ وهذا يميت في ناشئة الأدباء روح الأدب ، إذ يصرفهم عن التحصيل وتعهد مواهبهم ، إلى أن يقول : « أما النتيجة الضخمة التي يؤدي إليها هذا الأثر وذاك فهي تأخر الأدب في الأمة وعدم ازدهاره فيها ، لقلة عدد الأدباء والمفكرين من أبنائها ؟ والأدب في كل أمة مرآتها المجلوة ، ولسانها المبين عن المذخور من أمجادها ، والمرجو من تقدمها ونهوضها » .

ويقول الأستاذ إنه عالج نظم الشعر ، ودفع ببعض ما نظم إلى بعض الصحف والمجلات ، وفي جملتها الرسالة ، فلم ينشر له إلا قصيدة في مجلة قدمها إليها أحد أصدقائه الصحفيين . ويسأل في آخر كتابه : هل المهم هو جودة الأدب أم شهرة الأديب ؟ ويقول : « صحيح أن كبار الأدباء قد انقادت لهم أزمة البيان ، ومن المحقق أنهم أقدر على الغوص والسبوح والتحليق ... ولكن هذا لا يمنع من أن يكون في الناشئة موهوب سبق عمره فهماً وفطانة وكلت أداته يافعاً ، فهل يكون جزاؤه — لأنه مغمور — أن نغفل إنتاجه ونهمله ؟ »

وكل ما ذكره الأستاذ في رسالته صحيح لاشك فيه ، وتصور المسألة وبيان آثارها كما صور وبين . ومن المؤسف أن المهم — عند الكثيرين من المشرفين على الصحف — هو شهرة الأديب لا جودة الأدب ، فهم يقرؤون المقالات والقصائد من ذيولها ... أما « الرسالة » فالأمر في ذلك عندها لا يعدو زحمة المواد واختيار الجيد والصالح للمحافظة على مستواها الأدبي المعروفة به ، وليس كل ما يهمل لرداءته ، فثمة اعتبارات أخرى تتعلق بالموضوع وروح المجلة وغير ذلك . والرسالة

قد فتحت ذراعيها للشباب منذ نشأتها ، حتى تخرج فيها طائفة منهم أخذوا أماكنهم بين الكتاب والشعراء ، ومنهم من هو فى الصدارة الآن ؛ ويوم بدؤوا فيها قبلتهم لجودة أدبهم بطبيعة الحال ، فلم تكن أسماؤهم معروفة ، فلا يجوز مع ذلك أن ترى بأنها توصد الأبواب أمام الشباب .

الألفاظ الأجنبية بين الأمس واليوم :

نشرت مجلة الإصلاح الاجتماعى مقالاً لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا ، عنوانه « موقف العربية من الألفاظ الأجنبية » وهو من مقالات معاليه القديمة التى كان يكتبها فى أوائل هذا القرن ، قالت المجلة إنها تنشره للوقوف على آراء قادة الفكر فى مطلع النهضة الحديثة . أثار أستاذ الأساتذة فى ذلك المقال قضية لا تزال من قضايا اليوم ، فقد دعا الكتاب أن يتساهلوا فى قبول الألفاظ الأوربية (كالأوتومبيل والبسكليت) ويدخلوها فى الاستعمال الكتابى كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة قائلاً بأن اختراع أسماء تستعمل فى الكتابة وحدها يوسع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام . والطريف فى نشر المقال فى هذا الوقت أنه يتضمن وجهات نظر تغير أساسها الآن تغيراً تاماً ، فما كان معاليه يدرى — إذ ذاك — أن « السيارة » ستجرى على ألسنة الناس أكثر وأسهل من « الأوتومبيل » إذ قال : « نشر مجمعنا اللغوى رحمة الله عليه أن الأتومبيل (بالأفرنكى) اسمه (بالعربى) سيارة . فإذا قلت لواحد من أهل العلم (جاءت سيارة) فهم من ذلك أنك تخبر عن جماعة من الناس سائرين أو عن أحد الكواكب فأما فى العرف الفلاحى فالسيارة هى الهيئة المؤلفة من جماعة من الفقراء أبناء الطريق يحملون لواء طريقتهم وطبولها وبازاتها لينتقلوا إلى مولد من الموالد ، هذا هو ما أظن أهل القاهرة يعبرون عنه (بالإشارة) فإن قلت لخادمك جىء بسيارة فتح لك فاه ووقف ينتظر تعريباً للسيارة حتى تقول له جىء (بأتومبيل) ... »

وما كان معاليه أيضاً يعلم وهو يترحم على المجمع اللغوى القديم — أنه سيصير رئيساً للمجمع اللغوى الحالى الذى يسير فى نفس الطريق فيستبدل بأمثال « الأتومبيل » أمثال « السيارة »

وبعد فلا تزال القضية — كما قلت من قضايا اليوم ، بل هى من المعضلات ، فليست كل الأسماء (كالأتومبيل) والسيارة ، فثمة كثير من الكلمات الإفرنجية لا نزال نستعملها فى الكتابة ، وقد تعبت الأقواس فى حراستها ... وكثيراً ما نستأنس فنترك بلا أقواس . وقد وضع المجمع اللغوى كثيراً من الأسماء لمسميات حديثة ، ولكن الكتاب حتى أعضاء المجمع منهم لم يلتزموها فى كتاباتهم ، فلم نر أحداً منهم كطه حسين أو أحمد أمين أو المازنى يكتب المسرة أو المشن بدل (التليفون والدش) وهل يعبر الدكتور أحمد زكى عن تحليل الكحول بـ (الحلكحة) ؟

والفئة الصابرة فى هذا الميدان ، هم أطفال المدارس وتلاميذها ، وهم وحدهم المكلفون بتنفيذ قرارات المجمع اللغوى ... فالطفل فى السنة الأولى الابتدائية لا بد أن يكوّن جملا تشتمل على « السحاح » « والأرزن » « والشرجُع » وهو حين يشب عن الطوق ... ويقرأ لكبار الكتاب لا يجد هذه الكلمات وأمثالها فيما يقرأ ، فينفض يده منها كالمعلومات التى يمتلىء بها ليفرغها فى الامتحان !

وقد تقول إن بعض الكلمات التى لا نستسيغها الآن ، قد تسير كما سارت السيارة وكثير غيرها ، ولكن هذا لا يكون إلا فى الكلمات التى يقبلها الكتاب ويمنحونها الحياة بأقلامهم . ولا شك أن للكتاب عذرهم فى استعمال الأسماء الأجنبية التى لم توضع لها أسماء عربية موفقة ، أو لم يوضع لها شىء ألبتة . وأنا لا أرى أحداً يستطيع أن يصف غرفة من الغرف الحديثة فيسمى كل محتوياتها بأسماء عربية صحيحة ، ويؤلف من ذلك — إن استطاع — كلاماً يقبله الذوق المصرى . وهذا مثل واحد ، وغيره كثير .

وما أحسبنا إلا متفقين على ضرورة المحافظة على سلامة التعبير العربى ، وقبول ما يوفق فى وضعه من الأسماء للمسميات الحديثة ، بطريق وجود الاسم فى اللغة ، أو بالاشتقاق أو النحت أو التعريب ، ومن التوفيق فى وضع الاسم أن تقبله الأذواق ، ولا يكفى إقرار المجمع إياه . والمشكلة فيما عدا ذلك من الأسماء الأجنبية ، أفنقبلها كما هى . . أم ماذا نصنع ؟

الفكاهة فن :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة موضوعها « سيكلوجية الفكاهة » بنادى جماعة العمل الوطنى الاجتماعى يوم السبت الماضى . وقد شرح فى هذه المحاضرة علاقة الضحك بالغريزة ، ثم تطرق إلى العلاقة بين الفكاهة والفن ذاهباً إلى أنها لون من

ألوانه ، وقال إن هذا الرأى خاص به ، لأنه لم يجده فيما لديه من المراجع السيكولوجية والفلسفية ، ثم دال على أن الفكاهة فن ببيان التشابه بينهما فقال : إن الفن مشتق من العاطفة مباشرة والفكاهة كذلك ، وقد يلونه الفكر كما يلون الفكاهة الراقية . والفن عند علماء النفس لعب بالانفعالات ، أو هو طاقة حيوية فائضة ، ولذلك ينبع من غريزة غنية بالعاطفة ، ولا يمكن أن تنتجه الغريزة الضحلة ، كذلك الفكاهة الفكرية الراقية لا يمكن أن يجيء بها إلا الأذكياء ، ولا يدركها بسرعة إلا الأذكياء . ويتفق الفن مع الفكاهة فى أن كليهما متعة وسرور ، وفى أنهما لا يهدفان إلى غاية اجتماعية ظاهرة ، وأن التهذيب بوساطتهما ناشىء من طبيعتهما الاجتماعية . ويرجع السبب فى أن عباقرة الفن ممن يجيدون الفكاهة أدباً أو تصويراً ، إلى أن الفكاهة والفن من معين واحد ، وأكاد أقول إن الكاتب الذى يجيد كتابة المأساة كشكسبير يجيد الفكاهة ، لأن أعذب الفكاهة هو الذى يجيء بعد كبت ومرارة كرد فعل ...

والنكتة البارعة سرها فى حل مسألة أو مشكلة ، أو فى وصف شيء بقول مبتكر سريع غير منتظر ، وهذا يشبه اللفتة الذهنية البارعة فى الفن الأدبى الرفيع كالاستعارة التى ترمى إلى وجه شبه بعيد ، أو تناقض غير منتظر .

ثم ختم الدكتور ناجى محاضرته بقوله : يلاحظ أن الفكاهة فى الأدب العربى القديم كانت تكثر عن الطفيليين والمتسولين ، وهذا لون لا نراه الآن كثيراً . وكذلك تكثر فى الأدب العربى الفكاهة باللعب اللفظى ، ولا يزال هذا شائعاً .

فن مصرى :

الفكاهة باللعب اللفظى فن مصرى ، نشأ على ألسنة الشعراء والأدباء فى العهد الأيوبى وكثر فيما بعده ، ولا يزال شائعاً فى فكاهاتنا المصرية كما يقول الدكتور ناجى ، وأكثر ما يكون ذلك بالتورية والتجنيس . وكان من أسبق فرسانه الشاعر المصرى أبو الحسين الجزار ، قال فى زوج أبيه :

وقائل قال : ما سنها ؟ فقلت : ما فى فمها سن

وقال على لسان طبيب عيون :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى واضيعتى فيهم وإفلاسى
ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من أعين الناس

ومما يستملح ذكره فى هذا المجال أن الأستاذ العقاد كتب إلى شاعر يسكن بشارع العجم فى مصر الجديدة هكذا :

« إلى شاعر العرب فى شارع العجم » .

ولست أدرى هل يكون « المرسل إليه » شاعر العرب إذا خرج من شارع العجم ؟ !

الأدب والفن فى قسم حلوان :

« وبتفتيش المشتبه فيه وجدنا معه أوراقاً فيها شعر وموضوعات أدبية » .

هذه فقرة من محضر التحرى الذى عمل لى فى قسم بوليس حلوان ، و « المشتبه فيه » هو أنا ، والذى حامت شبهته حول شرطى ذكى ألمعى ... رآنى بحديقة الفندق المجاور لعين حلوان وأنا منهمك فى الكتابة ، ثم رآنى أغادر الفندق إلى مبنى المياه المدنية ، وقد عرجت عليها فى طريقى إلى المحطة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، فظن بى الظن كأن لم ير ولم يسمع ! ورآها فرصة مواتية لإظهار الكفاية والبراعة ، فلا بد أنى وضعت قنبلة فى مكان من هذه البقعة ، وعما قليل تنفجر ، وهذا هو ملقيها !

ولم يكن بد من الذهاب إلى قسم حلوان . وقال الضابط للشرطى الخارق الذكاء : وكل من تراه خارجاً من القهوة تأتى به ؟ ! ولكن هذا لم يمنع الضابط من أن يتمم ما بدأه الشرطى ... فسألنى وأجبت ، فقال لى : « وحضرتك لازم تتفلسف وتكتب مقالات ! ! وربنى اللى كنت بتكتبه ... » وجعل الضابط يقرأ صامتاً ، وأنا أرجو أن أكسب قارئاً جديداً . ولم يخب رجائى فقد تفضل وأذن لى بالجلوس على كرسى بجواره ... ولكن « محضر التحرى » لا بد منه . وهذا يقضى بحجزى فى القسم حتى يثبت لهم أن « التفلسف وكتابة المقالات » لا ينطويان على خطر ...

وتذكرت صديقى الأستاذ سيد قطب فهو من سكان حلوان ، فاستنجدت به ، فأسرع إلى فى القسم ، ولولاه لبت ، وبات معى الأدب والفن ، فى قسم حلوان . وتركت الصديق الكريم فى القسم يتمم معهم « إجراء اللازم » وعدوت إلى المحطة لألحق بآخر قطار من حلوان فى منتصف الساعة الثانية صباحاً .

لم آسف أكثر مما أسفت لذهاب نشاط البوليس فى اعتقالى هباء ... ألم يكن من المحتمل أن يكون مكانى « عنصر خطر » ولكن لا بأس ، وأرجو لهم حظاً أحسن فى غير هذه المرة .

عباس خضر



زعماء الإصلاح فى العصر الحديث :

نشر الأستاذ الفاضل محمد خليفة التونسي فى العدد ٧٨٨ من الرسالة الغراء كلمة عن كتاب (زعماء الإصلاح فى العصر الحديث تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين بك ، وإنه لواجب علىَّ أن أقول كلمة صغيرة أعقب بها على هذا النقد لعلها تبين شيئاً من أمر هذا الكتاب وإخراجه وتسميته .

لما أخذ الأستاذ الجليل أحمد أمين بك فى دراسة بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة فى مجلة الثقافة الغراء حوال سنة ١٩٤٤ وما بعدها جعل عنوان دراسته (زعماء الإصلاح الإسلامى فى القرن التاسع عشر) فراقتنى هذه الدراسة القيمة ، لأن هذا الجيل لا يعلم من أمر هؤلاء المصلحين إلا قليلا ، بل لا يكاد يدرى من أمر إصلاحهم شيئاً ، ولكنى خشيت أن لا تتناول هذه الدراسة أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده والسيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهما ممن قضوا نحبهم فى القرن العشرين . وما دام الأستاذ المؤلف قد درس شخصية السيد جمال الدين الأفغانى فلا بد له من أن يدرس شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده لأنه تلميذه الأول وخليفته فى الإصلاح الدينى والفكرى فى الشرق كله وفى عنق كل مسلم وكل مفكر فى هذا العصر دين كبير لهذين المصلحين العظيمين .

من أجل ذلك كله رأيت أن أقترح على الأستاذ الجليل أحمد أمين بك أن يوسع من أفق بحثه حتى يشمل من ذكرنا ، ولا بأس من أن يجعل عنوان هذا البحث (زعماء الإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث) وأن يجرد هذه الفصول ليبنى منها كتاباً برأسه ينتفع هذا الجيل منه ، ويكون له أسوة حسنة فيه وأرسلت بما رأيت كتاباً إلى حضرته ، فتفضل حفظه الله وبعث إلىَّ بجواب مؤرخ ٢٤ / ٦ / ١٩٤٤ هذه صورته :

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو رية(1)

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأشكركم على خطابكم ، وسآخذ برأيكم فى تسمية البحث ، زعماء الإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث ، وأضم إليه بعض الأشخاص التى أشرتم إليها ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد أمين

وما لبث حضرته — بعد هذا الخطاب — أن غير عنوان البحث فى مجلة الثقافة الغراء ، فجعله : (زعماء الإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث) وظل يكتب بحثه إلى أن فرغ من بحثه فيما كتب عنهم ، وكأنه عند ما أراد أن يخرج هذه البحوث كتاباً اختصر هذا العنوان فجعله : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث .

هذا ما رأيت أن أعقب به على ما كتب الأستاذ الفاضل التونسى لأبين للناس ما أعرفه من إخراج هذا الكتاب وتسميته ولو أن الأستاذ الجليل أحمد أمين بك قد أراد أن يدرس شخصياته دراسة (بيوجغرافية) كما يريد الأستاذ التونسى لما أعجزه ذلك ، بل لكان عليه هيناً ، ولكن كيف يتبع هذه الطريقة فى ترجمة عشرة من الزعماء — أو عشرين كما يريد الأستاذ التونسى — ثم يخرج هذه التراجم كلها فى مجلد واحد !.

ولعل الأستاذ التونسى بعد أن يطالع على كلمتنا هذه أن يغير رأيه فى هذا الكتاب القيم وينظر إلى قيمته فى نفسه وأثره النافع عند قارئيه ، وهو جد عليم بأن مجال البحث فى دراسة هذه الشخصيات وغيرها لا يزال واسعاً لكل من يشاء أن يدرسها بما يحسن من طرائق وأساليب ، ويعلم كذلك أن التاريخ نهم لا يشبع ، وهو فى حاجة دائمة إلى دراسات مختلفة لشخصيات العلماء وأعلام الفكر والإصلاح .

على أن الذى نأخذه على الأستاذ التونسى هو تنقيبه على تلك الهنات الصغيرة التى أوردها ، لأن مثل هذه الهنات مما لا يكاد يخلو منه قلم كاتب ، وهو نفسه قد زل قلمه ووقع فيما انتقد فيه غيره ، وإلا فما رأيه فى كلمة (مبرر) التى استعملها فى معنى مسوغ وهى كلمة عامية ، ثم هل يرضيه أن يُجمع (معجم) على (معاجم) ؟

ونكتفى بهذا القدر ، وللأستاذ منا خالص التحية .

محمود أبو رية

تحية كريمة :

أرسل الأديب الألبانى الأستاذ وهبي إسماعيل حق كتابه الجديد «المهد الذهبي» إلى أمير القصة المصرية صاحب العزة محمود بك تيمور وقد تفضل وأرسل عزته إليه الخطاب الآتى :

(1) أثبتنا هنا الخطاب بنصه اتباعا لقاعدة نشر النصوص على أصلها

عزيزى الفاضل الأستاذ وهبى إسماعيل حقى

تلقيت هديتكم القيمة « المهد الذهبى » وقصص أخرى من الأدب الألبانى . وإنها لمجموعة طريفة تجلو لنا فى صدق ووضوح أغوار النفس الألبانية وحياة المجتمع . وإنى شاكر لكم أجل الشكر إذ أتحتم لى الفرصة لأن أستمتع بذلك اللون الجديد من الأدب الشرقى ، وأرجو لجهادكم الطيب كل توفيق ونجاح .

وإنى مقدر لجهودكم الطيب فى توطيد أو أصر الود والولاء بين القطرين الشقيقين راجيا لكم حسن التوفيق ومطرد النجاح وتقبلوا خالص مودتى واحترامى .

المخلص

محمود تيمور

١ — تواريخ القدس :

ذكرنى مقال الأستاذ أحمد رمزى بك فى عدد سابق من « الرسالة » بناحية من نواحى عناية المسلمين ببيت المقدس ، وهى كثرة التأليف فى تاريخه . من ذلك ما جاء فى كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص ١٢٤) : جمع تاريخ بيت المقدس وفضائله الحافظ أبو القاسم مكى بن عبد السلام بن الرميلى المقدسى ، وفضائله أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطى الخطيب والصلاح خليل العلائى ، وللعماد الاصبهانى الفتح القدسى ، وللحافظ أبى بكر بن المحب من نزل بيت المقدس ، وللبرهان بن الفوكاح الفزارى باعث النفوس على زيارة القدس المحروس .

ومن الكتب المؤلفة فى ذلك أيضاً : تاريخ القدس لهد بن محمود بن اسحاق القدسى ، والجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى ، ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، وإتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى لابن أبى شريف ، والروض المغرس فى فضائل بيت المقدس للتاج الحسينى ، ولطائف أنس الجليل فى تحائف القدس والخليل لمصطفى اللقيمى ، والأنس الجليل

٢ — إنباء الغمر بأنباء العمر :

تكرر كثيراً فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق وغيرها اسم « إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى » بتقديم الباء على النون . والصواب « إنباء الغمر بأنباء العمر » بتقديم النون على الباء ، لأن الكتاب يذكر فيه مؤلفه الأنباء التى دفعت فى زمنه ، ثم يسرد أسماء المتوفين فى كل سنة . وللمؤلف كتاب خاص بأبناء عصره اسمه « الدار الكامنة » . وقد جاء اسم الكتاب صحيحاً فى « فهارس الكتب المصرية » .

محمد أسامة عليبة

لا تسألوا عن أشياء أيضاً :

كنت أحسب أن الآيتين الكريمتين : « وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون » ، « وقلنا ما نزّل الله من شىء إنْ أنتم إلاّ فى ضلال كبير » . فيهما وحدهما الرد على أستاذنا الكبير البشبيشى فى الرأى الجديد الذى ارتآه فى صرف كلمة أشياء الممنوعة من الصرف بإجماع الآراء — فإذا بالأستاذ يقول فى العدد ٧٨٩ من الرسالة الغراء « ولا وجه للقياس على توالى القطعين بتكرار (إنْ) فى قوله : من شىء إن أنتم ... إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة شىء فى الآيتين . . »

وإذا جاز الوقف على شىء فيهما جاز أيضاً الوصل بل هو الأولى والأعلى والأصح خاصة فى الآية الأولى ، فيتوالى إذاً القطعان (إنْ إنْ) بلا تنافر ولا ثقل ولا إخلال بحسن الجرس أو التناسب أو التناسق الملحوظ فى القرآن . والوصل هو الأصل إذا جاز الفصل كالمعروف :

وإذا كانت همزة شيْ مسبوقة بحرف لين صامت ، وهمزة أشياء مسبوقة بحرف مد صاعد ، فالأخف والأسهل نطقاً وذوقاً حرف المدّ لا حرف العلة مما يسيغ تنوين همزة أشياء لو جاز فيها التنوين ومتى ورد توالى القطعين (إنْ إنْ) بسهولة سائغة فى الآيتين ولم يرد ذلك فى آية : لا تسألوا عن أشياء ، مع إمكان ذلك لو صح تنوينها — فلا وجه لشبهة من ثقل أو تنافر وتبقى الكلمة كما كانت ممنوعة من الصرف فى القرآن وفى غير القرآن

ولما كان الأستاذ البشبيشى لم يورد لها استعمالاً مصروفاً فى القرآن أو فى الحديث أو فى الشعر القديم أو فى النثر المعتمد فأنا ما أزال أقول (ولا يقال : أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة : ولا زال منهلاً بجرعائك القطر) ما أزال أقول إنّ الكلمة ممنوعة من الصرف لأحد الأسباب الكثيرة المعروفة التى أثقلت كواهل النحويين فى الكتب وأفهام الطلبة فى المدارس ، فهل يريد أستاذنا البشبيشى أن نزيدها سبباً جديداً ... ؟

أحمد أحمد العجمى

القصص

من الأدب الروسي :

شجرة عيد الميـــلاد

للكاتب القصصي تيودورد وستويفسكي

بقـــلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

أنا كاتب قصصي ، وأعتقد أنني كتبت هـذه القصة . أقول « أعتقد » مع علمي التام بأنها من إبداع قلمي. ولـكنني مع ذلك على يقين بأنها قد حدثت فعلا في مكان ما في زمن ما ، وقعت في بلدة كبيرة ذات ليلة من ليالي عيد الميلاد الشديدة القر

إني أتخيل غلاماً ، صبياً صغيراً ، له من العمر ست سنوات أو أقل . استيقظ من مرقده في قبو رطب بارد ، وكان يرتدي جلباباً قصيراً ويرجف من لفحات القر ، ويخرج من فمه مع زفيره سحابة بيضاء من البخار وهو قابع على صندوق في ركن من أركان القبو ، يراقبها تتصاعد في الجو مبتعدة عنه .

كان يشـعر بالجوع يلوي أحشاءه . وكم ذهب العديد من المرات في صباح ذلك اليوم إلى الفراش العاري الذي ترقد عليه والدته العليلة ، ذلك الفراش ذو الحشية الرقيقة المهلهلة والوسادة أشبه ما تكون بالأسمال .

ما الذي أوجدها هنا ؟ لعلها قدمت مع ولدها من بلدة أخرى ثم دهمها المرض فجأة . كانت صاحبة الدار قد قبض عليها منذ يومين وأودعت السجن . ورحل معظم السكان لاقتراب العيد ولم يبق في الدار إلا من تمل دون أن ينتظر عيد الميلاد ، وعجوز في سن الثمانين رقدت في أحد الأركان تتأوه وتتوجع من آلام (الروماتزم) وتعنف الصبي وتبـــدي تذمرها منه فيخشى الاقتراب منها .

كان في وسعه أن يحصل على ما يروي ظمأه من الغرفة المجاورة ، ولـكنه لا يجد كسرة من الخبز يسد بها رمقه وكم قاسى من ذلك الجوع الذي كان يدفعـه إلى محاولة إيقاظ والدته عشرات المرات . وشعر أخير بالخوف ينتابه الخوف من الظلام . كان الليل قد أرخى سدوله ، ولم يكن عنده ما يستضيء به ، ولمس وجه والدته فلم تبـد أي حراك . كانت باردة برودة الحائط . فجعل يخاطب نفسه قائلا « إن الجو بلا شك بارد جداً » ووقف لحظة ، وبدون أن يشعر ، وضع يده على كتفي والدته ، ثم نفخ في أصابعـه يدفئها ، ثم جعل يبحث عن قلنسوته فوق الفراش ، وأخيراً خرج من القبو .

لقد كان يود أن يخرج مبـكراً ، لولا فزعه من الـكلب الـكبير الرابض عند باب الجيران . ونظر ، فلم ير للـكلب أثراً ، فتابع سيره لا يلوي على شيء .

فليرحمنا الله . يا لها من بلدة ! إنه لم ير مثلها من قبل . حقاً إنها لم تكن كبلدته . كان الليل حالك الظـلام ، ولم يكن في الطريق سوى مصباح واحد . وتوارى الناس في ديارهم ، فلم يسمع إلا نباح الـكلاب ، مئات بل آلاف منها تنبح وتعوى طوال الليل . ولـكنه كان في بلدته يستشعر الدفء ويجد مايقتات به . أما هنا ... آه لو استطاع أن يجد ما يأكله . يا لها من جلبة وضوضاء ! ويا لها من إضاءة ! ويالهؤلاء القوم وتلك المركبات ، وهذا الصقيع ! كان البخار يتصاعد في سحب من أفواه الجياد ، وكانت حوافرها تصطدم في سيرها بالأحجار المغطاة بالثلوج المتراكمة . كم هو في حاجة إلى ما يسد غائلة جوعه ... ولم يشعر الآن بالتعاسة . واقترب منه شرطي فتنكب طريقه وابتعد عنه .

ها هو ذا طريق آخر ، وما أوسعه من طريق . كان الناس غادين رائحين ، يصيحون ويهرولون ويندفعون والضوء ! ذلك الضوء ! ولـكن .. ماهذا ؟ إنها نافذة زجاجية كبيرة . ونظر خلالهـا فرأى شجرة طويلة من أشجار عيد الميلاد ممتدة حتى السقف ، وقد تدلت منها مصابيح وأوراق مذهبة وتفاح ودمى صغيرة وجياد . وكان الأطفال في ملابسهم القشيبة يلهون ويمرحون ، ويأكلون ويشربون . ثم ابتـدأت فتاة ترقص مع أحد الصبية . وانسابت إلى أذنيه نغمات الموسيقى . ونظر وتعجب ثم ضحك . كانت أطرافه تؤلمه من البرد وأصابعه حمراء متصلبة ، توجعه إذا ما حركها . وعندما تذكر ذلك ، طفق يبكي ، ثم عدا

حتى انتهى به المطاف إلى نافذة أخرى شاهد من ورائها شجرة ثانية ، ومنضدة حافلة بمختلف الحلوى وقد جلس حولها ثلاث سيدات يوزعن الحلوى على كل من يقصدنهن . وظل باب الدار مفتوحاً يدخله الكثيرون من الرجال والسيدات . وزحف الصبي ، ودفع الباب ، ثم دلف إلى الغرفة . لقد صاحوا فيه ودفعوا به إلى الخارج . وأقبلت عليه سيدة تهرول ودست في يده قطعة من النقود ، ثم فتحت له الباب ودفعته دفعاً إلى الطريق .

وسقطت قطعة النقود منه ، ورن رنينها على الأرض . ولكنه لم يستطع قبض أصابعه الحمراء لالتقاطها . وجرى مبتعداً ، وطفق يعدو إلى حيث لا يعلم . وكاد يبكي مرة أخرى . كان خائفاً مرتعباً ، واستمر يعدو وينفخ في أصابعه ، يائساً ، وحيداً جزعاً . ولكن ... ما الخبر ؟ كان الناس محتشدين أمام زجاج نافذه وقد ظهرت على محياهم علامات الإعجاب لرؤيتهم ثلاث دمى صغيرة تتحرك وكأنما قد دبت فيها الحياة . كانت الأولى تمثل رجلا عجوزاً جالساً يعزف على كمان كبير ، والدميتان الأخرتان واقفتان تعزفان على كمانين صغيرين وتحنيان رأسيهما ثم تحيى كل منهما الأخرى . وكانت شفتاهما تتحركان كما لو كانتا تتحدثان .

ظن الصبي بادىء الأمر أنها حية . ولكنه عندما استبان له أنها ليست إلا دمى ، ضحك وتهلل . أنه لم يشاهد مثلها من قبل ، ولم تكن تخطر له ببال . وألهاه ذلك المنظر عن شعور البكاء الذي انتابه . ثم شعر بمن يجذبه من ردائه ، فالتفت خلفه فرأى غلاماً يلطمه على أم رأسه ، ثم اختطف منه قلنسوته ، ثم ألقاه على الأرض ، فسقط الصبي مرتعباً ، ولكنه سرعان ماهب واقفا وعدا مبتعداً عن النافذه وقد وجف قلبه فزعا ، وطفق يعدو دون أن يدرى إلى أين يذهب ، حتى وصل إلى باب ساحة ، فدلف إليها وتهالك على كومة من الأخشاب وهو يخاطب نفسه « إنهم لن يبحثوا عنى هنا ، في ذلك الظلام المدلهم » .

وجلس منطوياً على نفسه ، مبهور الأنفاس . ثم شعر فجأة بالسعادة تغمره ، وزال الألم من أصابعه واستشعر الدفء وكأنه قرب موقد . فارتجف وصاح « عجباً ! لابد أنى أحلم ! كم هو لذيذ أن ينام المرء هنا . سأرقد قليلا ثم أعود بعد ذلك لمشاهدة الدمى » وابتسم وهو يفكر فيها ، وقد تمثلت في خاطره كأنها مخلوقات حية . وسمع صوتاً حنوناً يهتف في أذنه قائلا « تعال إلى شجرتي . شجرة عيد الميلاد أيها الطفل » .

وظن الصبي أنها والدته هي التي تهمس في أذنه . ولكن . لا . إنها لم تكن والدته . من الذي يناديه ؟ ولم يجرؤ على النظر إليها عندما انحنت فوقه تحتضنه في الظلام . ومد يده إليها . وفجأة ... يا إلهي . ما هذا الضوء الباهر ؟ وما أجمل هذه الشجرة ! أين هو الآن ؟ كان في مكان جميل كثير الدمى . ولكن ... كلا إنها لم تكن دمى ، بل كانوا أولاداً نضرين في حلل قشيبة وقد تهللت وجوههم بشراً . وأقبلوا عليه من كل صوب يحيطون به ويقبلونه . وشاهد والدته تنظر إليه وقد أشرقت على شفتيها ابتسامة فياضة ، فصاح قائلا « أماه ، أماه ، ما أجمل أن يعيش المرء هنا ! » وجعل يقبل الأولاد ، وود أن يخبرهم عن الدمى التي شاهدها . وجعل يسألهم « من أنتم ؟ من أنتم ؟ » وهو يشاركهم الضحك معجباً بهم . فأجابوه « هذه شجرة عيد ميلاد المسيح ، شجرته الخاصة ، وهبها للأطفال الذين لا يملكون مثلها » .

كانوا أطفالا حالهم مثل حاله . فنهم من تجمد برداً في السلال التي تركهم ذووهم فيها على عتبات الديار . ومنهم من لقي حتفه خنقاً خشية العار ، ومنهم من مات على ثدى والدته الجائعة والآخرون دهمهم الموت من فساد هواء المكان الذي كانوا يعيشون فيه . ومع ذلك .. كانوا كلهم مجتمعين هنا كالملائكة حول المسيح . وكان المسيح يتوسطهم ويمد يده إليهم يباركهم وأمهاتهم قد فاضت دموعهن . وكانت كل من تعرفت بولدها تندفع إليه في شوق تقبله فيمسح عبراتها بيديه الصغيرتين ، متوسلا إليها ألا تبكي . كانت تغمرهم السعادة .. السعادة الحقة .

وانبثق نور الفجر ، عندما وجد حمال جثة الصبي متجمده الأطراف من شده القر ، راقدة على كومة الأخشاب .

وبحثوا عن والدته . كانت قد سبقته إلى العالم الآخر . لقد تقابلا أمام الله في السماء .

لست أدري لماذا كتبت هذه القصة التي لا تجرى في أسلوبها مع مذكرات عادية أو مؤلفات كاتب . ولكن كل ما أدريه أني ما زلت على يقين بأنها ليست وليدة الخيال ، وإنما وقعت فعلا ، وإنه قد حدث ما حدث في ذلك القبو وكومة الأخشاب هناك .

أما عن شجرة المسيح ، فلا أستطيع أن أجزم هل هي حقاً في عالم الوجود أم أنها من نسيج خيالي .

(الإسكندرية) محمد فهمي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩١ — الاثنين ٣٠ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠١٧

مكتبة الموسوعة الأدبية للعلوم والفنون

16 em Année No. 791

Lundi — 30 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ مصر والسودان
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٦٧ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

فصيلة المخلوقات الخبيثة

للأســـتاذ نقولا الحداد

لقي أحد معارفي أحد أفراد أسرتي ونصح له أن ينصح لي بالعدول عن الكتابة في الصهيونية، وكانت نصيحته تتضمن شيئاً من التهديد . ولهـذا الصديق علاقة مالية مع يهودي . فهو إذن تحت رحمته، واليهود لا يعرفون الرحمة . ويلوح لي أنه يريد من هذه النصيحة أن يستعطف شريكه، حتى إذا فعلت النصيحة فعلها حسبها ذلك اليهودي خدمة جليـلة ... وما تعلم صاحبنا حتى الآن من علاقته بذلك اليهودي أنه لو سـفك دمه لأجل خاطره لما حسب هذا السفك إلا واجباً لا يكافأ عليه إلا بأن يحمل جثته عند عتبة داره مداساً لنعليه .

لا يعلم صاحبنا أن هذه الفصيلة من المخلوقات الحية ليست من جنس البشر ذات قلوب رقيقة وعواطف شريفة وضمائر حية حتى تقدر المعروف حق قدره . إنما هي بلا ضمير ولا عاطفة ولا قلب ولا إحساس ولا شرف — فصيلة الأحياء الخبيثة .

وقد بلغ اللؤم من هذه الفصيلة أن جازت انكلترا المنفقة على وعد بلفور جزاء سنمار . وكلنا يعلم حوادث بغيهم ولؤمهم من مقتل اللورد موين، إلى خطف القاضي من المحكمة، إلى صلب الضابطين البريطيين اللذين خطفوهما، إلى غير ذلك من رذائلهم مع أسيادهم الإنكليز من غدر وخيانات الخ . ففصيلة كهذه لا تحسب حساباً للمعروف والفضل .

وفيما كان الناس يسـتغربون استخذاء الإنكليز لليهود في فلسطين كان اليهود في مصر وغير مصر يقولون : لا تعجبوا . فإن الإنكليز يخافوننا مضطرين إلى احتمال عدواننا برغم أنوفهم .

والآن إذا ذكرنا أمام يهودي أو يهودية أن اليهود المتقلين عندنا يعاملون معاملة أفضل مما لو كانوا في منازلهم قال لك : وهل تجسر الحكومة أن تعاملهم إلا أفضل معاملة ؟

لا عجب، لأن ما نحسبه نحن إنسانية في معاملتهم يحسبونه هم واجباً محتوماً، لأنهم لا يفهمون معنى الإنسانية والشرف والضمير .

ألا فليعلم العرب أنه لو قامت لهـذه الفصيلة الحيوانية قائمة لصاروا جميعاً أذل من العبيد لها ! أليس أفضل للعرب أن تسفك دماؤهم في حرب شريفة من أن يسفكها هؤلاء الأنذال ؟ أو ليس أشرف للعرب أن ينهزموا في حرب تـكون الدول الـكبرى فيها نصيرة لهذه الفصيلة الطاغية من الخاليق ؟

يتهددني هؤلاء الأنذال بعد أن عجزوا عن إغوائي بالأموال لـكي أكف عن فضح سرائرهم وشجب تعاليمهم في كتبهم . فليعلموا أني لن أبقى في الحياة إلى ذلك اليوم المشئوم الذي يستتب فيه أمرهم، إن استتب لا سمح الله، لـكي ينتقموا مني . وليفهموا أني لم أذكر إلا الحقائق الصريحة عن غاياتهم وتاريخهم ومقاصدهم مما هو واضح في توراتهم وتلمودهم .

وما كانت هذه الثورة الصهيونية إلا سبباً فى كشف مساوىء هذه الفصيلة من المخلوقات والعالم كله يشهد الآن غدرها وخيانتها وخبثها . كم مرة تزيوا بزى الضباط الإنكليز لكى يخدعوا العرب ويغدروا بهم ؟ وكم مرة تزيوا بأزياء العرب ليغشوا العرب ! وأمس تزيو بزى رقباء هيئة الأمم لكى يحتلوا مركز الصليب الأحمر وعمله إنسانى محض كما هو معلوم . إن جميع أفعالهم فى الحرب والسلم غش وخداع وغدر . والعالم يشهد الآن حقيقة أخلاقهم التى لم يعودوا يستطيعون سترها . لم يعد هؤلاء الذئاب يستطيعون أن يتزيوا بجلود الحملان .

لقد انفضح أمرهم حتى للأمريكان الذين يستنصرون بهم ، وشرع هؤلاء منذ الأمس يسخطون على ترومان الغبى الذى حملهم تحت إبطه وهو يتوهم أنه يتأبط حملاناً وديعة . لقد انفض الأمريكان عن ترومان . وسيفشل ترومان فى الانتخابات . وحينئذ يعرف العالم أجمع أن من يناصر اليهود فاشل لا محالة . وبذلك تحبط كل دعاية يهودية على وجه الأرض .

ولسوف يندم الأمريكان الذين ناصروا اليهود على العرب وهم قليلون . وسيقولون حقاً : « لقد أسأنا للعرب بمناصرة اليهود » إذ يشعرون أن وطأة مساوىء اليهود فى بلادهم أثقل عن وطأة أبالسة الجحيم . وسيعانون فى طردهم من بلادهم ما عانى الألمان من قبلهم وما يعانى الإنجليز الآن .

هل يعلم القراء أنه مكتوب على أبواب بعض الفنادق الأمريكية : « ممنوع دخول اليهود والكلاب إلى هذا الفندق » ، ذلك لأن فريقاً من البشر لم يعودوا يطيقون ثقل هذه الفصيلة الحيوانية التى ليس لها من البشرية إلا الوجه واللسان دون الروح والجنان .

لقد انضح لكل ذى عينين أن هؤلاء المخاليق لا يقيمون وزناً للعهد ولا للشرف ولا للانسانية ولا لهيئة الأمم ولا لمجلس الأمن ، وجامعتنا العربية سامحها الله لا تزال تتمسك بصدق الوعد وشرف الكلمة فى حين أنه لا هيئة الأمم ولا مجلس الأمن ولا برنادوت يحسبون هذه المحمدة للعرب ولا يقيمون لها وزناً .

وما رقباء هيئة الأمم بأشرف كلمة وأطهر ذمة من هؤلاء اليهود . فقد صرحوا أمس بكل وضوح أن اليهود هم الذين احتلوا دار الصليب الأحمر متنكرين فى أثواب الرقباء وشاراتهم وقد أرسلوا هذا الإقرار إلى برنادوت . واليوم يقولون لقد تيقظنا صباحا فإذا فى الدار عرب ويهود ، فلا ندرى من دخلها أولاً ! فانظر المكر الذى ليس بعده مكر ! هل يدخل العدوان معاً ؟

وإذا علمنا أن بعض هؤلاء الرقباء يهود أمريكيون فلا غرابة فى هذا النفاق . وقد سأل بعض الصحفيين العرب أحد الرقباء : هل هو يهودى ؟ فأجاب نعم إنى يهودى ، ولكننا لم نأت بهذه المهمة باعتبارنا يهوداً . بل أمريكيين فتأمل هذا الكلام الفارغ أو اللغو البارد .

أيها العرب ! إن سياسة : « أحسنوا إلى من أساء إليكم » لا تنفع شيئاً مع هذه الفصيلة الحيوانية حتى ولا مع جماعة الدول؛ فإن كنتم تنوون خلاصاً من هذه الكارثة فلا تسألوا عن هدنة مفروضة عليكم فرضاً ، وقد فرضها اليهود لكى يستغلوها لأنفسهم . فافتحوا عيونكم وانظروا ما أمامكم .

نقولا الحداد

حاشية — ورد فى المقال الأسبق « آراميين » والصواب : آريين .

من الأعماق

للأستاذ أنور المعداوى

— ١ —

سأل نفسه وهو يشهد ليلة تنطوى وفجراً يبزغ : أيمكن أن تمر تلك الليلة على إنسان كما مرت عليه ؟ ... وسمع جواب نفسه منبعثاً من أعماقه : محال ... !

وكانت ليلة عيد ... ولا يذكر أنه أحس الفقر فى حياته كما أحسه فى تلك الليلة ، ولا يذكر أنه أنكر دنياه كما أنكرها فى تلك الليلة ، ولا يذكر أنه استشعر الوحدة والغربة والفراغ كما استشعرها فى تلك الليلة ... لقد كان يشم فى كل شىء حوله رائحة الموت ، الموت الكريه البشع الذى يتراءى للأحياء فى الليالى السود ، ويلف الآمال فى أكفانه ، ويهيل على جمال الحياة أكوام التراب !

وأشرقت شمس العيد ترسل ضياءها إلى قلوب الناس إلا قلبه ... لقد بقى وحده فى الظلام ، ظلام الأمانى التى ذوت ، والفرصة الكبرى التى انطوت ، والدنيا التى ذهبت إلى غير معاد . ولأول مرة منذ سنين ، شعر بدافع قوى إلى البكاء ، وحاول أن يبكى ولكنه لم يستطع . لقد تجمدت الدموع فى عينيه ثم تحدرت إلى قلبه قطرات : فيها من دفء عاطفته ، وفيها من وقدة وجدانه ، وفيها من لوعة حرمانه ... وفيها من وهج أساه !

ونظر إلى السماء نظرة من يبحث عن شىء عزيز قد ضاع منه ، أو نظرة من يسأل السماء سؤالاً لا جواب عليه : أين يارب يجد الصبر وينشد السلوة ويلتمس العزاء ؟ كل شىء قد انتهى ، وكل جلد قد انقضى ، وكل زاوية من زوايا النور قد أغلقتها يد الزمن ... وها هو يمضى فى الحياة وحيداً بلا رفيق ، وغريباً بلا حبيب ، وجرحاً تخضبت معالم الطريق من فيض دمه !

إنه ليذكر كيف قضى ربيع العمر منطوياً على نفسه ، بعيداً عن الناس ، تصلى أفكاره فى محراب الشجن ... ويذكر كيف كان يختلس البسمة اختلاساً ، ويغتصبها اغتصاباً ، وترف على شفتيه رفيف الشعاع الحائر ترسله على جوانب الأفق شمس غاربة ! ... ويذكر كيف أتى عليه يوم انقلب فيه من حال إلى حال : ابتسم للحياة من قلبه ، وأضفى عليها من روحه ، وقبس لها من حبه ، وأصبح إنساناً غير الذى كان ...

لقد كان يسير فى طريق الحياة ولا يعرف إلى أين ... لم يكن له هدف يسعى إليه ، ولم تكن له غاية تسدد خطاه ، ولم يكن له أمل ! كل ما يذكره أنه لقى من مرارة السير فى الصحراء مالم يلقه إنسان : لقى فيها الشوك ، ولقى فيها القيظ ، ولقى فيها الصخر ، وذاق فيها ما ذاق من سفى الرمال ولفح السمائم ... ويذكر أنه لمح يوماً على البعد واحة ، وأنه وقف مشدوها لا يصدق عينيه ، وقال لنفسه : سراب ! ومضى فى طريقه لا يلوى على شىء ؛ وفجأة قالت له قدماه قف ، وقالت له عيناه أنظر ، وقالت له نفسه : هنا يا مسكين ... لقد آن للاغب أن يستجم ، وللمجهد أن يستريح ، وللسفينة الحيرى فى خضم الحياة أن تبلغ الشاطىء !

ونظر إلى السماء نظرة طويلة ، حار فيها دمع واضطرب ريق ... واحة فى صحراء ؟ ونبع يتدفق ماؤه ؟ وزهرة ندية بالعطر فواحة بالأرج ؟ كل هذه الأشياء يا رب له ؟ أين كانت وأين كان ؟ ! ... وابتسم للحياة من قلبه ، وأضفى عليها من روحه ، وقبس لها من حبه ، وأصبح إنساناً غير الذى كان !

وألقى بالماضى كله فى زوايا العدم ... لقد كان يعيش فى حاضره ؛ حاضره الذى داعبته رؤى من المستقبل الباسم ، ورقصت على حواشيه أطياف من الأمل الوليد ، وانطلقت فى أرجائه صيحة العمر الذى بعث ... هناك حيث ينتظره المجد تدفعه إليه يد حانية ، وقلب يخفق ، وبسمة تشرق ، وروح برح بها الشوق إلى لقاء روح ؛ ويا بعد الدنيا التى كانت فى قلبه والدنيا التى تراءت لعينيه ! ...

— ٢ —

ومضت به الحياة فى طريقها تطوى الأيام ... الزهرة الحبيبة يسقيها من فيض عطفه ، والنبع الرقراق يسعى إليه إذا طال ظمؤه ، والواحة الوارفة تحميه بظلها من لفح الهجير ... يا صحراء : أين كانت الجنة ؟ لقد كانت فى رحابك وهما بغيضاً لا غناء فيه !

يا صحراء : أين كانت السعادة ؟ لقد كانت فى عذابك حلماً مخيفاً لا تأويل له ! وأنت يا زهرته الحبيبة أين كنت ؟ لقد قالت له عيناك إن الجنة ليست وهما ، وإن السعادة ليست حلماً ، وإن ماضيه كله يمكن أن يختصر فى لحظة من حاضره ؛ ماضيه الذى أصبح ذكرى فى طوايا الغيب ، وومضة فى ثنايا الخاطر ، وصرخة كتمت أنفاسها يد النسيان .. !

وفى تلك الدار من ذلك الحى كان هواه ... يذهب إليها مع الصبح ، وحين يقبل الليل ، وكلما هزه الشوق وطال الحنين ؛ ولن ينسى كيف كانت تستقبله الدار يوم كان يقصد إليها : ملء يديه زهر ، وملء عينيه أمل ، وملء قلبه حب ، وملء نفسه دنيا من الأحلام ... أبدا لن ينسى الوجه الذى كان يتلقاه باليدين حين يقبل ، وبالروح حين يجلس ، وبالدعاء حين ينصرف مودعاً إلى لقاء قريب ...

ولن ينسى أنها كانت تهوى الأدب ، وتعشق الفن ، ويملك عليها الشاعر كل معنى جميل ... ولن ينسى أن صلته بها كانت عن هذا الطريق الذى جمع بين قلبها وقلبه ، وبين طبعها وطبعه ، وبين شعورها وشعوره ... ومن أجل هذا كله كان يدفع إليها بكل كتاب يقرؤه ، وكل مقال يكتبه ، وكل أثر من آثار الفن يعلم أنه يلقى من نفسها هوى ورعاية !

لقد كانت تعجب به حين يتحدث ، وحين يقرأ ، وحين يكتب ... أما هو ، فيشهد أنه لم يكن يكتب إلا لها ، لها وحدها ! لم يكن يهمه أن يرضى عنه الناس ما دامت هى راضية ، ولم يكن يحفل بأن يتحدث عنه الناس ما دامت هى تتحدث عنه ... ولقد بلغ به الغرور وهو فى غمرة إعجابها به حداً جعله يعتقد أن ليس هناك من يكتب خيراً منه ، ولا من يفهم خيراً منه ، ولا من يتذوق آثار الأدب والفن خيراً منه ! ! ... وكان حين يسألها عن أى المجلات الأدبية تحب ، وحين يتلقى جوابها مشفوعاً بأسباب التفضيل والإيثار ، يبعث إلى هذه المجلة بمقال ، وإلى تلك بغيره . لقد كان يود دائماً أن يرى نفسه إلى جانبها ، حتى إذا عاتبته يوماً على غيابه الذى طال اعتذر لها بأنه كان معها بالفكر والروح ، وحسبها وحسبه أن يلقاها وتلقاه ... بين السطور والكلمات ! وتشهد دار الرسالة كلما ظهر له فى الرسالة مقال ، أنه كان يقصد إليها فى يوم السبت ليحمل إليها العدد قبل صدوره لتكون هى أول من يقرأ مقاله وأول من ينقده ...

لقد كانت تحرص دائماً على أن تكون أسبق الناس إلى لقائه ؛ تلك التى كان يرجو أن تصبح يوما شريكة حياته ... وكم بنى من قصور الأوهام ما شاءت له فنونه وشجونه ! كم أقام على دعائم الخيال عشهما المنتظر ؛ عشهما الجميل الهادئ ، ذلك الذى يملؤه الأطفال أنساً ومرحاً وبهجة ، تملؤه هى حباً وحناناً ورحمة ! !

يا دنيا الأدب والفن ، يا دنيا الجمال والنبل ، يا دنيا الجلال والطهر ، أنت التى دفعته بيديك إلى الأمام فأنسيته كل معنى من معانى الوراء ، وأنت التى بعثت الحياة فى وجدانه فأنسيته كل معنى من معانى الفناء ؛ وأنت ، وأنت ، وأنت ... فأين أنت ؟ ! أين يا دنيا ذهبت ممالك ، وغاض بشرك ، ونضب بهاؤك ؟ يا دنيا ما أقبحك ، وما أحقرك ، وما أهونك ... حين يضيع فيك الأمل ويخيب الرجاء ! !

— ٣ —

وأبدا لن ينسى يا دار هواه ، يا من كنت وحى قلمه ومهبط إلهامه وحديث أمانيه ... لن ينسى حين غاب عنك أياماً ثم ذهب ليرى أهلك فى آخر يوم من رمضان : ملء يديه كما كان بالأمس زهر ، وملء عينيه أمل ، وملء قلبه حب ، وملء نفسه دنيا من الأحلام ... لقد كنت يا دار واجمة ، كئيبة ، يمرح فى جنباتك الصمت ويطبق السكون ! أين يا دار من كانت تفتح له أبواب الشعور بالدنيا على مصاريعها ؟! أين ... أين ؟ لقد قالوا له إنها مريضة ... مريضة ؟ وهرع إلى حجرتها مسلوب الوعى ، مرتاع الخطو ، ملتاع الضمير ، وأخذ مكانه إلى جانبها وتناول يديها بين يديه ، وألقى على الوجه الشاحب نظرة سكب فيها من ذوب قلبه كل ما أدخرته له الليالى وحفظته الأيام !

أما هى فلم تنطق بكلمة ؛ لقد أطبقت شفتيها الذابلتين ، وشع من عينيها بريق عتاب لونته الدموع ...

وأطرق برأسه إلى الأرض برهة ، وطوفت نظراته الذاهلة هنا وهناك كأنما تبحث عن الألفاظ الحيرى فى ساعة اللقاء الرهيب .. واستطاع بعد جهد أن يجمع شتات نفسه ليقول لها : لا أدرى كيف أعتذر إليك .. أحقا كنت غائباً وأنت مريضة ؟ كيف بالله لم يحدثنى قلبى ؟ .. ألا تغفرين لى ؟!

وأمام اللهفة الحرى والخشوع الضارع والصمت المبتهل ، غفرت له ! !

وبالحظة الغفران كم خففت من وخز ضميره ، وكم حملت من عبء عذابه ، وكم قربت بينه وبين الله !

ومضى يحدثها وتحدثه ، ويا عجبا ... لقد عاد إلى الوجه الشاحب إشراقة الفجر ، وإلى الوجنة الذابلة نضارة الورد ، وإلى النظرة الفاترة صفاء النبع ، وإلى الجسد المنهك تدفق العافية !

وقالت له وهى تستوى فى سريرها جالسة : أنظر . . ألا ترى أن العافية قد عادت إلى بعودتك ؟ فأجاب والفرحة الجارفة تهز كل ذرة فى كيانه : لو كنت أعلم لعدتك قبل اليوم ، ولما تركتك نهباً لعوادى السقم ! ومضى يحدثها وتحدثه ، ويقرأ لها وتصغى إليه ، ويبنى لها من قصور الأوهام ما شاءت له فنونه وشجونه .

وتقول له وهى فى غمرة الأمانى وزحمة الأحلام : بالله دعنا من المستقبل وخلنا فى الحاضر ... إن غداً ليوم عيد ، فهل فكرت فى أن تهيىء لنا مكاناً جميلا نقضى يومنا فيه ؟ ! ويقول فى صوت تنطلق فيه الهمسة من لجاج روحه : أما العيد فأنا اليوم فيه ... وأما المكان الجميل فقد هيأته لك فى قلبى !

وترنو إليه معجبة ، وترتسم على شفتيها ظل ابتسامة فاتنة ، وتهتف من الأعماق قائلة له : هل تعرف أنك تجيد فن الحوار ؟ . لماذا لا تعالج كتابة القصة ؟ ... أنا فى انتظار اليوم الذى تكتب فيه قصتك الأولى .

ويعدها بأن يكتب قصته ، ويودعها وتودعه ، وينطلق عائداً إلى بيته على أن يراها فى صباح العيد ... ولم يكن يعلم أن المقادير تدخر له أسود ليلة فى رصيد العمر ، وأبشع صباح فى حساب الشعور ! ولم يكن يدرك أن ما رآه من ومضات العافية حين جلس إليها كان أشبه بومضات المصباح قد فرغ زيته ، فهو يرسل أسطع أضوائه قبل أن ينطفىء ، ويترك الحياة من حوله يختنق فيها النور تحت قبضة الظلام !

لقد طوى الموت فى المساء صفحة عمر ، وغيب القبر فى الصباح أحلام عذراء . ولقد رغبت إليه أن يكتب قصته الأولى ، فإليك يا قبرها يقدم أول قصة وآخر قصة .

وكل حقيقة بعدها وهم ، وكل واقع بعدها خيال ، وكل إيمان بعدها شك ، وكل وجود بعدها عدم . . وكل معنى من معانى الخير والجمال بعدها هباء !

أنور المعداوى

من رمال المصيف

رسالة فى قصيدة

« إلى التى خطرت كالشعاع ، ثم عبرت بغير سلام أو وداع »

للأستاذ على محمود طه

إذا أقبل الليلُ يا حَيرتى تفقَّدتُ فى الشط حوريَّتى
وُعدت كئيباً إلى غُرفتى أراعى الكواكب من شرفتى
وأشعل بالوجد سيجارتى فلا البدر حبَّب لى سهرتى
ولا البحر هدَّأ من ثورتى وحيداً تسامرنى فكرتى !

أأجلس يا بحر وحدى هنا فأين من العين ذاك السَّنى
وأين من القلب تلك المنى وأين مواعيدُ نادت بنا
وأين المساء الذى ضمَّنا لديك وألَّف ما بيننا
فيا ويح قلبى ماذا جنَى ليحمل هذا الأسى والضنى !

خلا من مُحياكِ هذا المصيف وأقفر ذاك الندىُّ اللطيفُ
كأنى به قد دهاه الخريف فليس عليه خيالٌ مطيف
ذوى بشرُه فهو أفق كسيف وبرٌّ حزينٌ وبحرٌ لهيف
وموجٌ له أنةٌ أو وجيف وريحٌ تنوح وليلٌ شفيف

غداً يا حبيبةُ عند المساء ستسأل عنا نجوم السماء
ألم يضربا موعداً للقاء على صخرة بين رمل وماء ؟
أجل ياحبيبةَ هذا الضياء ذهبنا وعُدنا بحكم القضاء !
غريبين نضرب عبر الفضاء كأنا على جفوة أو تنائى

مددت إليك يد الواثق فمادت بلذع جوى حارق
وأبعدتِ يا رحمة الخالق فم الحبِّ عن نبعك الدافق
تعالىْ إلى روحى الوامق تعالى إلى قلبى الخافق
تعالى على عهدك السابق تعالى إلى إلفك العاشق !

(سيدى بشر)

على محمود طه

رحلة فى ديار الشـــام

فى القرن الثامن عشر (الثانى عشر الهجرى)

(الحلة الذهبيـــة فى الرحلة الحلبيـــة) [1]

لمصطفى البكرى الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

كان الداعى إلى هذه الرحلة ، رغبة الشيخ مصطفى البكرى فى زيارة بغداد فيقول فى مقدمة رحلاته « كان كثيراً ما يختلج فى بالى ، فيهيج أشواق وبلبالى ، زيارة بغداد ورجالها الموالى . فأصد عن الشرب من نهر دجلتها وقربانه ، والغرام يزيد إلى علم الشرق الفريد وصاحب المذهب المذهّب السعيد والـكاظم [2] وولده الوحيد ، السامى كل منهم على أقرانه ، وغيرهم من أعيان ، أرباب عيان » الخ . . ويخص من الأعيان سلطان الأولياء سيدى عبد القادر الجيلانى [3] ، وكان قد انتسب إلى طريقته وتراءى له فى المنام فعزم على التوجه إلى حلب ومنها إلى بغداد ، ولـكن زوج والدته منعه من ذلك مخافة الحر ، وخشى تعرض العربان له بسوء . فعدل عن زيارتها ، ورأى أن يتوجه من حلب إلى زيارة مقام سلطان الزهاد ابراهيم بن أدهم [4] فى جبلة ومنهـا إلى طرابلس الشام فبيروت فبيت القدس . وكان رفيقه فى الطريق السيد مصطفى بن عبد الرحمن المنينى [5] وأخاه لامه أحمد .

وقبل ما يحرك خاطر الشيخ ، لتلك المنازل المواطر ، سأل الشيخ أحمد ، فكاشفه قبل الاستشارة وصرح وما اعتنى بالإشارة .

وجاء، فى هذه الأثناء الأخ الشيخ مصطفى بن عمر الخلوتى وطلب للولد القلبى الشيخ اسماعيل الحرستانى بالدعوة والإرشاد ، ولبس الـكسوة على المتاد ، فأذن له .

ثم كرر الشيخ الاستخارة فى السير ، موقع الإذن بالمسير يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رجب سنة [١١٢٨ هـ — ١٧١٥ م] فتوجه وبات فى قرية (القصير) ورافقه بعض الإخوان مودعين ثم سار إلى أن وصل (القُطيفة) ومنها إلى (قارة) ومنها إلى (النَّبْك) المشتية أهلها فيها والمصيفة ، ثم إلى (حسية) ومكث يومين ومنها إلى حِمْص [1] وهو بلد يذكر ويؤنث . وأقام فى جامعها الـكبير ، وزار من بعيد مقام خالد بن الوليد ، مات بحمص سنة إحدى وعشرين [٦٤١ م] .

ويقول الشيخ « ولم يمشم لنا نصيب ، بدخول مدينة حمص العجيب ، تكوبناً ومزدرعاً وأمواهاً ، لأن الخراب عمها حتى فيها ظهورها تناهى ، وكان أكثر خرابها من الموالى [2] الذين من وآلاهم لم يوال الموالى ، على أن فيها من الزارات والسادات الـكثير ويغلب على أهلها البلاهة والتنفل [3] مع الجد والتشمير ، ولقد دخلت جامعها الـكبير فرأيته آيل إلى التعمير ، فصليت فيه الظهر والعصر ، بنفر غير كبير » .

وفارق حمص فى الصـباح ، ولم يسر غير قليل حتى بزغت الشمس وإذا بخيول كأنها سـيل يسيل من عرب يفسدون فى الأرض دون إصلاح ، لا يعرفون صلاحاً ولا سـلاحاً حتى فى صلاح ، يرون نهب أموال الخلق مغنماً ، وسلامة الخطار من شرهم مغرماً ، فانعمت القافلة كالحرف المشدد ، وانحازت المقاتلة إلى جهتهم بالرأى المشدد ، فصرف الحق قلوبهم وفلوا [4] وبعد الـكثرة والاجتماع تفرقوا وفلوا وشم الشـيخ قرب انصرافهم

---

(١) مصطفى البكرى الصديق (١٠٩٩ هـ — ١١٦٢ هـ ، ١٦٨٧ — ١٧٤٨ م) . مخطوط فى خزانة الـكتب الخالدية بالقدس .

(٢) وإليه تنسب الـكاظمين وهى ضاحية من ضواحى بغداد ، عدد سكانها أربعون ألفاً ، وفيها مقام الـكاظم وولده .

(٣) هو أبو محمد الجبلى الحنبلى ولد بجيلان سنة (٤٩١ هـ) وتوفى (٥٦١) القطب الـكبير .

(٤) توفى (١٦١ هـ) ودفن فى جزيرة من جزر البحر فى بلاد الروم مجاهداً .

(٥) نسبة إلى منين وهى قرية خضرة نضرة شمالى جبل قاسيون . إليها ينسب الجوز المنينى لرقة قشره وبياض قلبه . وإليها ينسب الشيخ أحمد بن على المنينى مؤلف كتاب « الإعلام بفضائل الشام » .

(١) كورة بالشام مشهورة ، أهلها يمنيون ، قال سيبويه هى أعجمية لذلك لم تنصرف وقد تذكر . والعرب تقول « أذل من قيسى فى حمص » .

(٢) قبيلة الموالى ، قبيلة كثيرة العدد تضرب فى صحراء سوريا ، ولها بطون كثيرة ، وإليها ينتسب آل العابد فى دمشق وآل طوقان فى جبل نابلس ، وآل أبو ريشة فى حلب .

(٣) هـذا قول عام لا يستند على أساس ولعل ذلك من آثار اختلاف القيسيين واليمنيين .

(٤) فل القوم كسرهم وهزمهم . تفلل القوم انكسروا . وقوم فل أى منهزمون .

رائحة قرنفل فقال « قُرِن فلُ ربهم » فولوا ، ولم يحصلوا على ما أملوا ، وأصابهم من الله ضيراً ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وعند قرب جسر الدستن كرف [1] ورداً ، فقال الشيخ وراد فإذا قافلة تكد كداً » .

وفي قرية الرستن مرقد الإمام أبي يزيد طيفور بن عيسى السطاوى [2] ، والمذكور له مشيخة على الشيخ ، فقرأ له الفاتحة . وقرب العصر وصل حماة ، ونزل في جامع مطل على العاصي . وسأل الشيخ من أهل البلد عن سبب خراب ديرتها ، فقالوا له قبيلة العرب الموالى التي تنفر الطباع من سيرتها . وقد أشجاه صوت نواعيرها السامى ، وأبكاه سراً إذ أنكاه جهراً تذكار مرابع مرابم وطنه الشامى ، غير أن نواعيره صغيرة ، وهذه كثيرة كبيرة ، وأنشد بيت الصلاح الصفدى :

إبدى لنا الدولاب قولا معجباً لما رآنا قادمين إليــه
إني من العجب العجيب كما ترى قلبي معى وأنا أدور عليـه

قال في القاموس : العاصي العرق لا يرقأ ونهر حماه واسمه الميماس والمقلوب ، لقب به لعصيانه فإنه لا يسقى إلا بالنواعير .

وسار إلى المحطة ونزل على العاصي ، قرب ناعورة تسقى مروجاً أنيقة فتنبت النبات الحسن النهج والطريقة ، وفي الصباح سار يقطع البطاح ، ويوصل الليل بالنهار من السهاد ، وكان قد وصل إليه كتاب من بعض الأحباب ، صدره به :

يا نسيماً هب من وادى قبا خبرينا كيف حال الغربا
كم سألنا الدهر أن يجمعنا مثل ما كنا عليــه فأبى

وتوجه نحو (المعرة) ، وهي على مرحلتين من حلب فبات بها ، ثم سار إلى قرية (سرمين) المحتوية على الألوف لا المئين ، ونزل في جامعها الحصين وسار ليلا قاصداً حلب وشهباء ، وأصابه عطش لقيظ وحر ، حتى وصل سبيل المرأة المرحومة ، فشرب وشربت القافلة ، وكان معه أخوه لامه أحمد فسبقه معلماً والده الحاج ابرهيم الطويل ، فأخذه إلى بيته في القلعة ، وكانت تصعب عليه الطلعة ، وبعد ثلاثة أيام نزل إلى خلوة في العادلية . وكان الوصول إلى حلب في أوائل شعبان المبارك .

وبعد أيام جاءه رفيق السفر السيد مصطفى المنيني يرجوه بالحاح أن يمدح مفتى الديار الحلبية أبي السعود الكواكبي . فتردد الشيخ مراراً من الظهور ولكنه نزل على إصرار رفيقه فقال :

سماء الدنا قد زينت بالكواكب كما زينت الغبرا ببيت الكواكبي
أناس لهم في ذروة المجد منزل يجل ويعلو فوق كل المراتب الخ

وقد سر بها المفتى ، ودعا الشيخ إلى داره ولما استقر به المقام جاءه عمر أفندى النقيب وسأل عنه ، وعن ابن عم الشيخ ، وسبب تغير مزاجه ، وكان قد اجتمع به لما أتى مع أعيان الشام لاقالة الشيخ مراد ، فأجابه أن هذا الأمر أخبر عنه الشيخ عبد الغنى النابلسى . ثم استفسر عن قضية الدراهم التي طلبت منه بعزمان ، فلخص له القصة وأنها كانت زوراً وبهتاناً ، ومن جملة الشهود على أنها باطلة الشيخ عبد الغنى ، وأعيان الشام وقد أعلم الشيخ المذكور الوزير بالقضــية في مكتوب كبير فجاء العفو ، وقبول شهادته . ولم يجتمع الشيخ البكرى بالمفتى إلا في العيد بعد الصيام ، وكان يتردد وهو في حلب على تكية الشيخ أبي بكر بن أبي الوفا ، وليس في خارج حلب أنزه من تكيته وأعجب ، ولذا قيل فيها صالحية [1] حلب واصطحب معه شيخ التكية ، الشيخ على ، وتردد عليه مراراً ، وتمرض هو والدادة [2] على ، وعوفى المذكور وتوفى الدادة . وطلب الشيخ مصطفى المنينى رفيقه في الطريق الرجوع ، فكتب الشيخ كتاباً إلى الشيخ اسماعيل الحرستاني وطلب منه أن يسلم له على الحاج ابرهيم الدكانى ويستدعيه فلما حضر ، أذن للشيخ مصطفى بالسفر .

وممن زاره في حلب الحاج على السكرجى « وطلب منـه

---

(١) شم .

(٢) إليه تنسب الطريقة البسطامية ، من رجال القرن الثالث (٢٦١ هـ) مقامه في جبل بسطام . وله في القدس زاوية وكذلك في الرملة . وإليه ينتسب آل الفصين في الرملة وغزة ولد . وهم شيوخ طريقته في الرملة .

(١) المحلة المعروفة بدمشق ، نزلها بنو قدامة لما هاجروا من جاعيل (جبل نابلس) في أيام الحروب الصليبية .

(٢) الدادا كلمة محرفة عن كلمة (داية) ، أطلقت في عصور العباسيين على المربى والمربية . وفي كتاب أخبار أبي نواس الجزء الأول لابن منظور صاحب كتاب لسان العرب ، ذكر لرجل قال أنه كان (دايتى) ويحتمل أن تكون (الدادة) محرفة عن الددا . والددا معناه اللعب ولأن المربى والراعى للطفولة شأنه أن يأخذ الطفل بالتلعيب واسمه دده وتصحفت فاضحت دادا ، والدادة في التركية المربى وهي من المصطلحات الصوفية .

الخوة ، ورجا الذكر يوم الفتوة » فأنا له مأموله ، ولستصحبه معه إلى (الحلوية) وحضر ذكر السيد محمد ، خليفة الشيخ قاسم الخانى وكان المنشد الشيخ حسن ، وكان ينشد أبيات سيدى أحمد ابن عبد الله الإسكندرى ولما وصل إلى قوله :

أنا الذنب الخطاء والعفو واسم ولو لم يكن ذنب لما حسن العفو

فبكى وأبكى الحاضرين . وكان الشيخ يتردد على هـذا المجلس لالتماس البركة مستعملا الذكر القلبى الخالى عن الحركة ويقول عن أهل حلب والعهدة عليه « ورأيت فى هـذه الكرة أن أهل حلب عندهم رقة وخلاعة بالمرة ، وأنهم أخلع من أهل الشام للعذار[1] وأشجع فى تناول أقداح الغرام لوجد ثار ، وأهل الشام أجلد فى السير وأخلد فى طلب البر[2] لأرض الخير ، فإنى كنت أراهم عند سماع الأشعار المديحية فى رمضان يبكون ولدى قراءة القرآن لهم خشوع وسكون » (١)

ولما سمع زوج والدته الحاج ابرهيم الطويل بنية الشيخ زيارة بغداد منعه وأقسم عليه ، خوفاً من الحر ومن شر العربان . فعزم على زياره سلطان الزهاد ابرهيم بن أدهم . فتوجه فى منتصف شوال إلى تلك المحال ، وسار إلى قرية (كفتيين) وهى من قرى طرابلس الشام ، وهم ليسوا من أهل السنة ، ينتظرون نزول الحاكم بأمر الله ، ووصل (جبلة) وزار مقام ابرهيم بن أدهم وأقام هناك ذكراً .

وسار فى اليوم الخامس والعشرين من رجب ومر على طرسوس ، ورأى قلعة ارواد ، وجاء الرفاق منها بزاد ، وشاهد قلعة المرقب المنيعة ، وبات قريباً من البلد فى مكان نزيه يقال له بركة البداوى . وقدم إليه الشيخ مصطفى القلا ونزل مدرسة الحدادين ثم خلوة الجسر المكين ، ثم القادرية البهية ، واختلى بها عشر ذى الحجة . وكان الشيخ عبد الله الخليلى المهتدى يتردد عليه ، ومدرسة الحدادين قريبة من دار السيد مصطفى القلا ، وانضم إليهم الحاج محمد بن الحاج موسى العطار ، ثم الشيخ مصطفى الرفاعى ودعاه لداره ، وطلب الطريق وتبعه الشيخ عامر الصعيدى ، وكانا لا ينفكان عن قراءة الأوراد الأول فى تكيته ، والثانى فى (المنية) فى مسجده عند جماعته .

وكان جناب الصديق السيد محمد التافلاتى نجل مولاى أحمد (١) وهو ابن عم مولاى اسماعيل ملك المغرب ، ينتهى نسبهم إلى سيدى عبد الله المحض ، قد ورد إلى طرابلس من بيت المقدس ، ولم يكن الشيخ قد اجتمع به قبل ذلك ، فأرسل بطلب الاجتماع بالشيخ فسر به ولكنه لم يطل الإقامة ، وكرر الزيارة . وذهب الشيخ بعد ذلك إلى قرية (المنية) لزيارة مقام النبى يوشع ، وقراءة الأوراد ، واصطحب معه زمرة من أفاضلها كالسيد على ابن دبوس ، وأخيه السيد محمد والسيد أحمد المفتى ، ومن بيت السيرى ، الشيخ أبى حامد العمرى ، ومن أولاد السيرى الشيخ عمر .

وأكثر الشيخ التافلاتى التردد على الشيخ ، وكذلك الشيخ عبد الله ، وتردد الشيخ عليه فى المدرسة التى نزل منها فى سوق الحدادين ، وتوجه للمنية غير مرة وبات لدى الشيخ عامر الصعيدى . وورد عليه كتاب من الشيخ أحمد الميقاتى بالقدس ، يبلغه حلول دار السلامة بسلامة ، وضمنه سؤال طويل ، عن بيت لسيدى عمر الفارض الذى يقول فى مطلعه : (أروم وقد طال المدى ، منك نظرة) فأجابه برسالة سماها [رفع السير والردا عن معنى قول العارف أروم وقد طال المدى] . ثم كروا على زيارة يوشع بن نون ، للوداع ، وصحب كل واحد منهم زاد قناق ، وجاء السيد محمد بن أحمد التافلاتى بصحن كبير من المغربية مالها نظير فأكلوا بعد الشبع . وبعد العشاء أقاموا مجلس ذكر وكان الحادى الأخ الحاج ابرهيم الحرستانى ، وغيره ممن صحب الشيخ فى سيره الربانى .

وفى أول جمادى الثانى عزم الشيخ على التوجه للقدس ، ولم ينثلج صدره إلا للتوجه فى البر دون البحر ، فبات ليلة الوداع عنده الشيخ مصطفى بن الشيخ سليمان الرفاعى ، والسيد مصطفى القلا ، والشيخ عبد الله وجماعته ، وكانوا قد تجمعوا فوق الثلاثين ، وتوجه الشيخ إلى بيروت وقطع نهر الديمور (٢) ، ونزل فى جامعها الكبير المعمور ، ودعاه الشيخ مصطفى الحجيجى الشامى ومر بعد الظهر بعيداً ، وقطع جسر نهر الكلب[3] ليلا ،

(١) هو مفتى الحنفية فى القدس (١١٩٢ هـ)
(٢) نهر الدامور جنوبى بيروت ، ونهر الكلب شمالى بيروت ولعل الشيخ اهتم بالسجع .
(٣) هو نهر النعامين

أقام فيها خمسة عشر يوماً ينتظر السير براً فما تيسر إلا بحراً ، فركب منها صخورة وضل قبيل الغروب عكا ، ونزل فى جامع البحر ، واجتمع فيها بصديقه القديم الشيخ أحمد ، وسار بعد المشاء مع القافلة نحو جينين وقطع نهرى النعائم (١) والمقطع ثم أتى جينين وبات فيها ليلتين عند الحاج عبد الرحمن وفى صبيحة الليلة الثانية سار إلى نابلس ، وبات عند أولاد سيدى يعقوب (٢) ، وفيما هو هناك وفد عليه السيد محمد السلفيتى بغير اتفاق فسر به . وقرأ له الموشح الأول الذى نظمه ومطلعه :

إن رمتموا تشربوا الحيا　　وتستقوا من دنان ريا
والميت يغدو بالقرب حيــا　　وفى حبيب الحشـــا تباهوا
فشـــنفوا سمعى وقولوا　　الله الله الله يا هـــو

والموشح الثانى ومطلعه :

بارق القرب حين لاح لعينى　　غبت عنى وزال عنى أينى
وانمحت ظلمتى بذاك وغينى　　وشهـدت الحبيب فى المحراب

وقد بكى السلفيتى عند سماعهما . وارتأى عليه المنام عند المحب الشيخ خليل الحارثى خليفة الشيخ محمد الزطارى ، فبات فى خلوته التى فى المارستان (٣) ليلتين ، وبعد الشمس سار إلى قرية (حجة) ، فتلقاه أهلها بالترحاب ، ونزل فى الخلوة المرفوعة ، وبات ليلتين ، وتوجه عشـية النهار إلى (دير أسطيا) ، ورأى مجذوبها الشيخ خاطر فى بعض القرايا خاطر . وكان الشيخ وهو فى نابلس أرسـل للاخوان فى القدس ، خبر قدومه على الديار ليأهبوا له محلا للنزول ، وبعد صلاة المغرب سمع عن بعد صهيل خيل ، ورأى مجاجة ، فسـأل فقيل إخوان صفا من سكان القدس ، وكانوا السيد أحمد الموقت ونور الدين الهوارى ومعه جمع من الإخوان فسر بهم كثيراً . واقترح بعضهم زيارة سيدى على ابن عليل (٤) ، فوافقوا وكدوا السير إلى (كفر ثلث) واجتمع الشيخ فيها ، بالشيخ على الرابى ، ووصل المقام بعد أن دخل

(١) هو نهر النعامين .
(٢) هذا المكان هو جامع شرقى نابلس ويعرف بجامع الأنبياء وبه بئر نبع ، وهو غير بئر يعقوب قرب قرية عسكر .
(٣) قرب الجامع الكبير بنابلس .
(٤) يقع مقامه شمالى يافا ويعرف بسيدنا على، وهوأبوالحسن المشهور عندالناس بابن علم . ونسبه يتصل بسيدنا عمر بن الخطاب توفى (٤٧٤ هـ) عمر مشهده الحالى سنة (٨٨٦ هـ) عمره أبو العون الغزى شيخ القادرية

الغابة (١) ليلا خوفاً من الطير (٢) وجاءه هناك الشيخ رضوان الزاوى ومعـه كبكبة (٣) من أهل الود ، فبات ليلة طيبة ، وســار على طريق الطواحين وأقال لشدة الحروبات فى (الزاوية) عند رضوان ، ودعاه إلى (مسحا) (٤) الشيخ طه ، ومنها إلى (بديا) ثم (سرطا) فتلقاه بها مصلح بن صلاح الدين وزار الولى المشهور فيها الشـيخ عبد الله . ثم أتى (كفرعين) ونزل عند مقام الميص ، وفى أواخر جمادى الثانى دخل بيت المقدس ونزل فى الخلوة البيرمية الفوقانية(٥) . وتردد على دار الشيخ نور الدين الهوارى . وفى أوائل شعبان وصل جناب الشيخ محمد الخليلى (٦) وصحبته ، الشيخ اسماعيل بن جابر بن رجب النبيل بن أحمـد البغدادى ، وكان أرسل للشيخ محمد من حلب كتاباً صـدره بقصيدة يعارض فيها قصيدة شيخه ، الشيخ عبد الغنى النابلسى :

صرفنا عنان العزم عن غيرها صرفاً
وقمنـا إليهـــا نحتسى خمرها صرفاً

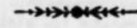
كما أرسل له من طرابلس الشـام ثلاثة كتب (٧) ضمنها أكثر من قصيدة . وانتقل فى أول رمضـان من البيرمية إلى خلوة جار الله (٨)

(البقية فى العدد القادم)　　**أحمد سامح الخالدى**

(١) كانت هذه المنطقة مكسوة بالأشجار خطرة المالك .
(٢) التطير والتشاؤم .
(٣) الجماعة .
(٤) قرية جنوب غربى سرطا .
(٥) نسبة إلى الأمير بايرام چاويش بن مصطفى توفى (٩٤٧ هـ)
(٦) مفتى الشـافعية بالديار القدسية ، وصديق الشيخ البكرى وأسـتاذه ورفيقه فى الرحلة المصريه ، صاحب الفتاوى الخليلية توفى (١١٤٩ هـ) .
(٧) يستدل من كثرة الرسائل والكتب التى كان يرسلها الشيخ من أمهات المدن أو يتلقاها ، على انتظام سير القوافل ووجود ما يشبه نظام بريد .
(٨) عائلة مقدسية كانت تعرف بأبى اللطف الحصكفى ، خرج منها علماء ومفتون .

العزلة وأثرها فى الأجناس

للأستاذ مصطفى بعيو الطرابلسى



يهتم الجغرافيون بدراسة مناطق العزلة لأهميتها فى الدراسات الجنسية ذلك لأن الأجناس البشرية مهما كانت تابعة لنوع واحد فإنها لا تخلو من وجود اختلاف بين الأفراد . فإذا عزلنا مجموعة خاصة من النوع البشرى فى إقليم منفصل وتركنا هذه المجموعة فى عزلة تامة عما يجاورها لحد ما فلا بد لها بسبب هذه العزلة أن تكتسب صفات جديدة غير موجودة فى المجموعة التى اقتطعت منها ثم تقوى هذه الصفات بمضى الزمن واستمرار العزلة حتى يأتى وقت نرى فيه تكوين جنس جديد فى هذا الإقليم المنعزل وعلى هذا الأساس يظن بعض العلماء أن الأجناس الثلاثة من سوداء إلى بيضاء وأخرى صفراء قد تكون كل منها فى عزلة عن الآخر بهذا الشكل . وتعرف هذه المناطق التى تتكون بها الصفات الجنسية بمناطق التكوين Aꭉea og chonactenisetien لهذا يجب أن تكون منطقة التكوين إقليما منعزلاً إلى حد كبير ومثل هذه الجهات يقصدها الإنسان إما بالمصادفة أو للبحث عن الرزق ثم يظل بها زمناً طويلا يكتسب فيها بحكم العزلة والبيئة الجديدة وما تتطلبه من حياة خاصة صفات جديدة تصبح فيما بعد من مميزاته الخاصة .

والإنسان بطبيعته شديد الرغبة فى الانتقال وقد ساقته هذه الرغبة إلى الانتقال لغير موطنه وترتب على ذلك خلط بين الأفراد ونشأة أجناس وانقراض أجناس أخرى ، وقد اشتد الخلط خصوصاً فى العصور الحديثة بدرجة تعذر معها الحصول على فرد يمثل جنساً معيناً مع علمنا بأن هذا الجنس موجود فى مكان خاص وذلك لأن الصفات الجثمانية لا تتوفر فى شخص واحد وإنما توجد موزعة بين الأفراد جميعاً ، ولهذا ففكرة وجود جنس نقى تماماً تكاد تكون خيالية حتى فى الجهات البعيدة المنعزلة . فمثلا جزر الأندمان Andaman التى يظن أنها تقطن بأنقى الأجناس قد وجد فى ثقافتها ما يدل على اختلاطها ولا يستبعد أن يكون هذا الاختلاط الثقافى قد حمل معه اختلاطاً جنسياً . والإنسان بطبيعته كسول فهو يتفادى المناطق التى لا يجد فيها راحته ولا يلجأ إليها إلا مضطراً ، لذلك كانت الموجات الجديثة تطرد أمامها دائماً الموجات القديمة إلى الجهات السحيقة الغير محبوبة ، ولهذا يمكن القول أن سكان مناطق الأطراف أو العزلة يمثلون أقدم العناصر بالنسبة لما يحيط بها .

وهناك فرق بين المناطق المعزولة والمناطق العازلة ، فمثلا سهل الجر تحيط به جبال فهو منطقة منعزلة ، وأما الجبال نفسها فهى مناطق عازلة . إذن فمنطقة العزلة إقليم وعوامل العزلة ظاهرات تضاريسية أو مناخية أو نباتية أو مائية ، فبرودة المناخ فى أقصى شمال أوربا جعلت قبائل اللابس ɾapps فى حالة قريبة من العزلة وتعزل الجبال الأجناس بعضها عن بعض حتى إن الجبل الواحد يعزل على كل من جانبيه جنساً خاصاً يتكلم لغة خاصة كما هى الحال فى سويسرا أضف إلى هذا أن الجبال كذلك تعتبر ملاجىء للأجناس الهاربة إذ تجد فيها مأوى تلجأ إليه إذا استهدفت لأى خطر يهددها بعكس السهول فهى تساعد على الاندماج بين الأجناس إذا تعددت لانبساطها . أما الغابات الاستوائية فى وسط أفريقيه فهى ملجأ للأقزام بعد أن كانوا يشغلون كل أفريقية الاستوائية من المحيط الأطلسى إلى الساحل الشرقى المطل على المحيط الهندى بدليل وجود بقاياهم فى المناطق الشرقية ، ولكنهم لجأوا إلى هذه الغابات على أثر موجات الحاميين التى أخذت تفد على أفريقيه عن طريق باب المندب دافعة أمامها العناصر الزنجية إلى مناطق العزلة حيث الغابات الاستوائية كما طردتها إلى الجنوب ومن هناك إلى صحراء كلهارى حيث نجد بعض عناصر من جماعات البوشمن Bushmen السائرة فى طريق الإبادة ، وقد كانت جماعات الهوتنتوت أول من طردهم ، ثم تلتهم جماعات البانتو ، حتى إذا ما جاء الأوربيون إلى تلك الجهات فى القرن السابع عشر زادوا فى إبادتهم وساعد على ذلك أن شعب البوشمن لم يستطع التكيف بالظروف الجديدة .

ونظراً لأن الهجرات البشرية فى أفريقية قد اتخذت طريقها من الشرق إلى الغرب ، لذلك كانت مناطق العزلة غرب القارة كما توجد أعقد المناطق الجنسية هناك ، وهذا ما نلاحظه أيضاً فى أوربا حيث أن تيار الهجرات قد اتخذ طريقه من الشرق إلى

الغرب عن طريق السهل الأوربي الشمالي الذي يقع بين مرتفعات في الجنوب وأخرى في الشمال فلا تجد الهجرات أسهل من هذا الطريق عند انتشارها على هيئة موجات من الشرق إلى الغرب ولذا كان هذا السهل طريقاً للغزوات في مختلف عصور التاريخ ولا يزال إلى الآن مسرحاً للحروب والقتال ، ومما ساعد على تكرار هذه الغزوات أنه لا توجد حدود طبيعية تفصل بين أجزاء هذا السهل ، وأصبح من الصعب تحديد الحدود بين دوله المختلفة . وإذا كان مظهر تيار الهجرات في أفريقيا قد اختلف في شكله عما هو في أوربا ، فذلك راجع إلى طبيعة المنطقة التي تصل شرق القارة الأفريقية بغربها ، حيث الغابات بمسالكها الصعبة مما دفع الهجرات إلى الدوران حول هذه المنطقة إما عن طريق الجنوب أو عن طريق الشمال فخففت هذه الدورة من حدة الهجرات وجعلت بينها فترات منتظمة ساعدت على هضم بعضها فلم تكتسب ذلك المظهر الحربي الدموي الذي نطالعه في التاريخ الحبشي لقارة أوربا .

وعند دراستنا لأثر الحاميين الشماليين في زنوج السودان الغربي نجده أقل ما يكون في منطقة الغابات الساحلية ، لأنها لا تشجع العناصر الحامية على سكناها وإذا كان الدين الإسلامي نتيجة لذلك قد أخذ ينتشر في الأجزاء الشمالية من السودان الغربي فإن البعثات التبشيرية الأوربية قد انتهزت هذه الفرصة ، وأخذت تغزو هذا الإقليم من الجنوب حيث يزاحمها الإسلام هناك ويظهر كذلك في مدى انتشار الدين الإسلامي في المنطقة التي حول بحيرة تشاد إذ نجد هناك بعض قبائل وثنية استطاعت أن تحتفظ بشخصيتها في مناطق المستنقعات على الرغم من تأثير الإسلام في السودان الأوسط ، وما ذلك إلا لأن هذه المستنقعات ما هي إلا مناطق عزلة قد لجأت إليها هذه القبائل . أما في منطقة السودان الشرقي فنجد جماعات النوبا تسكن في التلال الواقعة في كردفان والظاهر أنها كانت تسكن السهول أولا ، ثم طردتها القبائل العربية النازحة إلى مكانها الحالي وبفضل منطقة السدود استطاعت قبائل النوبة في جنوب السودان المصري أن تقاوم الأثر الحامي الذي يظهر بوضوح في قبائل الشلوك الساكنة بين النيل الأبيض وبحر الجبل .

أما الواحات فيمكن اعتبارها مناطق عزلة لحدودها المنيعة التي يصعب على كل أحد أن يصل إليها ، لذا فهي تمثل عناصر نقية إلى حد كبير ، وهذا سبب ما نراه في بعض الواحات من عادات ولغات خاصة كما هي الحال في واحة « سيوة » بمصر وواحتي « زلة » و « جالو » في لوبيا . ولكن يجب ألا ننسى أن هذه الواحات كثيراً ما تستخدم محطات لطرق القوافل بين الساحل الأفريقي الشمالي والسودان جنوباً فساعد ذلك على وصول بعض عناصر جديدة إلى هذه الواحات تركت بلا شك أثرها في السكان الأصليين فضلا عن أن أهل البادية كثيراً ما يغزون هذه الواحات ويشاركون أهلها في معيشتهم عند جدب أراضيهم فيختلطون بأهلها ويؤثرون فيهم .

وإذا بحثنا عن مناطق العزلة في أوربا وجدناها قليلة بالنسبة إلى ما هي عليه في أفريقية ، وكثيراً ما تكون مناطق العزلة في أوربا نتيجة للسلاسل الجبلية التي تعوق اندماج العناصر . ومن الأمثلة على ذلك جماعة الباسك التي تسكن على جانبي جبال البرانس في أسبانيا وفرنسا حول خليج بسكاي ، وهم يكونون شعباً خاصاً لا تؤثر فيه الأقسام السياسية ولا الطبيعية ، ولذلك يعلل بعض العلماء وجودهم بأنهم بقايا لأجناس كانت تسكن شبه جزيرة إيبيريا وفرنسا ، ثم طردتها عناصر شمالية وأخرى جنوبية إلى هذه المنطقة التي تحتلها الآن . وتتكلم جماعات الباسك لغة خاصة بها ليست متصلة باللغات الآرية ، ولا تزال تحتفظ بعاداتها الخاصة أيضاً . غير أنه يلاحظ أن جماعات الباسك في أسبانيا تسير في طريق الانقراض نظراً لاختلاط الأسبان بهم ، وربما كان هذا لازدحام المناطق بالسكان الذين اندفعوا إلى جهات الباسك لاستغلالها بعكس ما عليه الحال في فرنسا .

وتبدو آثار العزلة واضحة في أهالي الجزر البريطانية لتطرف موقعها ، ولذلك وصلتها موجات الهجرة متأخرة ، وليس معنى هذا أن الموجات المختلفة قد صعب عليها الوصول إلى الجزر البريطانية ، فالبحر الذي يفصلها عن بقية القارة ليس عميقاً أو متسعاً ، بل كان في الواقع عامل ربط أكثر منه عامل فصل . ولكن رغم كل هذا فموقعها المتطرف خصوصاً الأجزاء الغربية منها وجزيرة إرلنده قد أعطاها ما يلائم حالة العزلة كما أن طبيعة

تعقيب :

تحية العـــلم

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

قرأت مقال الأستاذ أبى خلدون ساطع الحصري بك المنون « تحية العلم » المنشور فى « الرسالة » العدد ٧٨٦ يحدثنا فيه عن واجب الاحترام للعلم ويأسف لإهمال إخواننا المصريين تأدية ذلك الواجب على الوجه الرائع المـألوف عند أهل جزيرة كارفو فقلت لنفسى : إن من الطبيعى أن يتأثر كل من يشاهد ويلاحظ ذلك الفرق بين تقاليد الشعبين كما تأثر به الأستاذ الفاضل ولـكن أوليس أحرى بنـا نحن الشرقيين المسلمين إن نطيل الفـكر فى مثل هذه الفروق حتى ندرسها درساً وافيا ونستخلص روح الحياة الغربية فنتعظ ونتتفع بهـا دون أن ننقل مظاهرها إلينا فنتسلى ونغالط أنفسنا بمجاراة الأمم الراقية ؛ ما من شـك أن حياتنا فى الوقت الحاضر منحلة تماماً غير منظمة ولا منسقة ونحن محتاج إلى كثير من الإصلاح فى عوائدنا وأخلاقنا ولا بأس بأن يجىء الاحتكاك بالأمم الأخرى كحافز لنا على الجد والعمل فى سبيل التقدم والرقى ولـكن يجب قبل كل شىء أن نأخذ حيطتنا لئلا يتحول شعورنا بالتأخر إلى الشعور بمركب النقص فيكون كالـكابوس الجاثم على أفكارنا وعقولنا حتى ينسينا أننا أمة لها ماض مجيد ولا يتأتى لها التقدم إلا بالرجوع إلى ماضيها ووصل حاضرها به . هذه هى المرحلة التى يقول الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندى المعروف ، إن كثيراً من الشعوب الشرقية فشلت فى اجتيازها فإنها لـما روعها تغلب الغربيين عليها وبهر أعينها تقدمهم فى ميادين الحياة المختلفة ، بدأت تنشد وتتلمس أسباب هذه القوة الظاهرة والتقدم الباهر فظنت أن تلك الأسباب لا تعدو اللادينية والحروف اللاطينية ولبس البرانيط وتمزيق البراقع وتأبط ذراع الخليلات فى الشوارع ومداعبة الخليلات فى الأندية والحفلات وما إلى ذلك من مظاهر الحيـاة الغربية التى لا تمت بصلة لا قريبة ولا بعيدة إلى تقدم الغربيين وقوتهم وشوكتهم .

مضت الأمم الشرقية تتهافت على تلك المظاهر تهافت الفراش على النار وتنقلها بحماسة بالغة وفى بعض الأحيان بقوة وعنف إلى أرضها وديارها ظناً منها أنها تجارى بهذا الطريق الأمم الراقية كأن

البلاد وما نلاحظه من وجود السهول فى الشرق والمرتفعات فى الشمال والغرب قد جعل اتصال العناصر بعضها ببعض صعب ، ولذا تعسر على الموجات التى أتت من الشرق أن تؤثر كثيراً فى الجهات الغربية ، وكان فى معظم الأحوال الوصول إلى الغرب يتم عن طريق الدوران حول الجزر البريطانية .

وقد أثرت هذه الحالة فى تاريخ إنجلترا السـياسى فهى لا تشترك فى المسـائل الخارجية إلا بقـدر ما يمس مصالحها . وأصبحت سياستها الحربية تدور حول محور موقعها بحيث أنها جزيرة يجب أن تـكون أقوى دولة بحرية فى العالم ، وألا تسمح لأية دولة أخرى بالتفوق عليها فى هذه الناحية . وهناك أثر آخر لهذه العزلة فى تطور النظم النيابية فيها حيث انتشرت الروح الديمقراطية بين سكانها لأن البلاد ليست فى حاجة إلى قوة عسكرية دائمة بفضل موقعها الجغرافى ، لذلك كانت السلطة الحاكمة تخشى محـاولة الاستبداد بالحـكم حتى لا تقوم الثورات فى وجهها فتعجز عن قمعها وتعرض سلطتها للزوال . لهذا احتفظت إنجلترا بسياسة التطوع فى سلك الجندية ولم تحاول اتباع نظام المسكرية الإجبارى إلا فى الحرب الـكبرى الأولى حين أجبرتها الضرورة على ذلك وبعـد إلحاح فرنسا عليها حتى إذا ما انتهت الحرب عادت إلى نظامها القديم ، ولـكنها فى الحرب الأخيرة أيضاً عادت إلى طريقـة الإجبار فى تـكوين جيشها .

ونظراً لما وصلت إليه البلاد من تقدم وديمقراطية فإن جماعة الويلش التى تسكن مقاطعة ويلز ما زالت محتفظة بكيانها الخاص وعاداتها ولغتها الخاصة بعكس ما نراه فى البلاد المتـأخرة حيث تضطهد الأغلبية الأقلية ، وتعمل على إبادتها .

(مسراته — لوبيا) مصطفى بعيو الطرابلسى

طريق الرقى والتقدم كله هزل ومتعة ولذة !

وخلاصة القول إن مقال الأستاذ ساطع الحصرى بك جاء آية للاخذ بالقشرة دون اللب ونقل مظاهر الحياة الغربية كما هى دون الاستفادة بروحها فى حياتنا الخاصة .

فإن التحية للعلم ليست إلا مظهراً لروح النظام والولاء وأولى بنا أن نطبق هذه الروح على شعائرنا الخاصة وتقاليدنا المألوفة دون أن نتقيد بالشكل الذى تظهر فيه تلك الروح فى أى بلد من البلاد أحلف بالله أنه يغمرنى من الأسف واللهف أكثر مما غمر الأستاذ كاتب المقال حينما ألحظ فى غدواتى وروحاتى أن المؤذن يؤذن للصلاة والآذان يذاع بالراديو فلا يحرك ساكنا ولا يسكن متحركا وترى المارين فى الشوارع والتجار فى المحال والجموع المحتشدة أمام دور السينما والملاهى وكأنهم لم يسمعوا شيئاً !!! أفلم يلقن الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه كيف يردون على الداعى إلى الصلاة والصلاح والفلاح ! أفليس من صميم تقاليدنا أن نكف عن العمل ونذر البيع ونسعى إلى ذكر الله ؟ أفلا يكون منظر مثل هذا أروع من التحية للعلم ، وأدل منها على روح النظام والولاء ؟ وكذلك أرى أن القرآن يذاع بالراديو صباح مساء ولا يكون له وقع ما ، فى نفوس العاطلين العابثين الهازلين الآثمين الجاثمين على الأفاريز وداخل المقاهى فهم لا يستمعون له ولا ينصتون بل يستمرون فى لعبهم بالنرد ولهوهم بأنواع شتى من اللهو وقد تأصل فيهم هذا الداء إلى حد أنهم يدأبون فى ساحة الفاروق كما يدأبون فى المحال العامة . قد كنت أقرأ وأنا بالهند عن اهتمام ملك مصر بإحياء ليالى رمضان فتتشوق نفسى إلى شهودها فلما حقق الله لى تلك الأمنية وحضرت إحدى تلك الحفلات الملكية كنت أتوقع أن أجد المستمعين كأن على رؤوسهم الطير وخفت أن تصدر منى هفوة لقصورى عن معرفة الآداب المرعية هناك ولكنى اكتشفت أن الأمر أهون بكثير وبدأت أفكر فى نفسى وأتساءل : أولا يليق برجال القصر والمشرفين على تلك الحفلات أن يعلموا الجمهور درساً فى آداب الاستماع إلى الذكر الحكيم فيضيفوا بذلك فضلا ويداً إلى أيادى الفاروق المتجددة ؟ ولا شك أن مثل هذا الإصلاح هو أول واجب على عاتق الأزهر الشريف ولكن أخاف أن لا تكون حياة لمن يناديهم الأستاذ محمود الشرقاوى كاتب مقال « الأزهر والإصلاح » .

وخلاصة القول أن الحياة الإسلامية مليئة بمظاهر روح النظام والولاء لو أننا تمسكنا بالعروة الوثقى وسعينا لإحياء تقاليدنا أكثر من الطموح إلى انتحال عوائد الأمم الأجنبية فإن اقتراح الأستاذ ساطع الحصرى بك إنما يذكرنى بحكاية ناظرة مستشفى نقلت من بعض بلدان شرق أوربا الواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة من أحر مناطق الهند فأمرت بفتح جميع النوافذ والشبابيك وقت الظهيرة كما كانت اعتادت ذلك من قبل فى الجو المعتدل الذى تركته وراءها وكان الأولى أن تغلقها .

ولا بأس بأن أذكر بهذه المناسبة أن الجامعة الإسلامية بعليكره (الهند) ، التى لى الشرف بالانتساب إليها ، تهتم بمثل هذه الأمور اهتماماً كبيراً لتنمية الشعور الإسلامى بين أبنائها ، فمن الواجب المعمول به هناك أن يكف اللاعبون فى ميادين اللعب والخطباء فى فى نادى الاتحاد من اللعب والقاء الخطب ويلتزموا الصمت طالما يرن صوت المؤذن فى آذانهم وربما حدث أن فرقا أجنبية زائرة أشير عليها بالكف عن اللعب أثناء المباريات فبدأت تنظر ذات اليمين وذات الشمال تتحرى السبب فى دهشة وحيرة كما كان الحال بالأستاذ الحصرى بك فى كارفو فلما أخبرت أن السبب ليس إلا الاحترام للآذان تأثروا تأثراً قويا ظاهراً بهذا المظهر للطابع الإسلامى الخاص بتلك الجامعة حفظها الله من كل بلاء وعدوان .

السيد محمد يوسف الهندى

بين اليـــأس والرجاء!

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

بين مرارة الواقع ومثالية الواجب ، وبين يأس يخامر قلوب الناس ورجاء يجيش في نفسي ، وبين غمرة من تشاؤم الكهول ونفحة من تفاؤل الشباب ، أكتب مقالتي هذه مخلصاً فيما تخطه يميني ، مبتغياً الاصلاح ما استطعت .

ومن الأمانة ألا أكتم القارىء أن الذي أوحى إليّ هـذا الموضوع هو الأستاذ الفاضل محمود الشرقاوي في مقالته (الأزهر والاصلاح) بالعدد ٧٨٦ من الرسالة .

وللاستاذ في قلبي تجلة واحترام هو بهما جدير : لأن تفكيره في إصلاح الأزهر يعود إلى عشرين عاماً يوم كان شاباً لم يجاوز عقده الثاني ، ولأنه — وهـذا من جليل محامده — لم يغادر فرصة يستطيع بها خدمة هذا المعقل الإسلامي الحصين إلا انتهزها خالص النية ، طاهر القلب ، سديد الرأي . ولو نسي القراء مقالاته القيمة في السياسة والسياسة الأسبوعية والبلاغ فما أظنهم قد نسوا ما كتبه إلى عهد قريب عن الأزهر وإصلاحه في مجلة الرسالة التي أبى أستاذنا الجليل الزيات إلا أن يجعلها منبراً من منابر العروبة والإسلام .

وليطمئن الأستاذ الشرقاوي على أني — وقد عرفت روحه — لن أتعمد أن أسأله سؤال الأزهري أو غير الأزهري : لماذا وله ؟ ولن أسأله عمن يريد بمقالته ، أو ماذا كان يقصد بتوجيهه ، لأني لا أرى أن لكل شيء ظاهراً وباطناً كما يرى بعض الناس ، وإنما أعتقد في الشيء الظاهر له ولي ولكل بصير ، وأحب أن أناقشه في هذا الظاهر مناقشة الخبير ...

والظاهر من مقالة الأستاذ أنه يريد أن يقطع على الأزهريين سبيل مناقشته في موضوعه ، لأنه سيدلي برأي خطير لا يقبل فيه جدالاً ، ولأنه لا يحب ممن لم تنضجهم التجارب أن يأتوا بالرأي الفطير لئلا يسمعوا مقالاً . وكنت أوثر أن يرسم الأستاذ هدفه كما كان يرسمه من قبل من غير أن يكترث باعتراض المعترضين ، ولا بنقد الناقدين : فنحن في عصر نحرم فيه حرية الدفاع عن بلادنا لرد عدوان الغاصبين ، ونـكره فيه بالقوة على هدنة كلها جور وعسف لئلا نغاضب مجلس الأمن ، ولا نستطيع تحويل قضية فلسطين إلى محكمة العدل الدولية لتفصل في النزاع بين حقنا وباطل المبطلين ، ولكنا ما زلنا نملك حرية الكلام والنشر والخطابة والحمد لله . فليت الأستاذ استعمل هذه الحرية كما يشاء في توجيه مقالته بغير تلك المقدمة ، وليته ترك الأزهريين يستعملون حريتهم كما يشاءون في السؤال والمناقشة ولو بلماذا وله .

بيد أن هذا كله لا يغض — فيما أرى — من قيمة مقالته فلن آخذه عليه ؛ وإنما أشير — وما أملك إلا أن أشير — إلى أنه ما كان له وهو الذي بذل في إصلاح الأزهر ما بذل من وقت وجهد أن يحكم ذلك الحكم الذي يقطع كل أمل ، ويخيب كل رجاء ، ويخنق كل صوت ، ويثبط كل همة ، حين قال : « إن بين الأزهر وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً شاسعاً ومرحلة طويلة جداً ، وإني لست أدري هل إلى هذا الإصلاح سبيل » .

والأعجب من هذا كله أن الأستاذ كرر هذه العبارة في مفتتح موضوعه ومنتهـاه ، وأنه تساءل في المرة الثانية : أهو متشائم في حكمه ؟

وإني لأسأل الأستاذ : إن لم يكن هذا تشاؤماً فكيف يكون التشاؤم ؟

ألا يسمى تشاؤماً قسمه بالله العظيم واستعماله عبارات التأبيد والتأكيد مثل قول الأزهري اليائس : والله لن يصلح الأزهر أبداً مهما حاول المخلصون ، وجد العاملون ؟

لو قال أحـد هذه الكلمة لاتهمناه بأنه لا يريد أن يواجه الحياة ، ولا أن يصادم الواقع ، لأنه يعلم من نفسه العجز عن تذليل العقاب واقتحام الأخطار واحتمال المتاعب ، فهو يعترف بضعف سلاحه وقلة استعداده ، فليتنح للآخرين فلعلهم أقوى منه يداً ، وأصلب عوداً ، وأثبت جناناً .

ولكن الذي قال الكلمة الأولى رجل مصلح يحفظ له الأزهر خدمات أمينة ، ولا ينكر له فضلاً ، ولا ينسى له ذكراً ، فلماذا

يجنى هذا الأستاذ الكريم على حماسة الشباب ؟ ولماذا يقطع عليهم سبيل الرجاء ؟ وليغفر لى كلمة (لماذا) فما يستطيع أحد أن يحذفها من كلامه فى مثل هذا المقام .

ألا يرى الأستاذ أن أبسط ما يفهم من مقالته أن أحدنا لو أفنى عمره فى إصلاح الأزهر لن يصل إلى غايته أبداً ، لأن الطريق محفوفة بالأشواك ، والعقبات قائمة هنا وهناك ؟

وماذا يصنع الأزهرى الشاب الذى لا يرضى عن حال كلياته ومعاهده بعد أن سمع هذه الكلمة الغضبى من رجل أمضى عشرين سنة يفكر بالاصلاح ؟

أنعتب عليه إذا حطم قلمه إن كان أديباً ، أو كم فمه إن كان خطيباً ، أو أسكت عبقريته إن كان شاعراً ، أو آثر لقعود ولو خلقه الله راغباً فى الاصلاح !

وهل لنا فائدة فى تحطيم الأقلام أو كمّ الأفواه أو اسكات العبقرية أو قعود القادرين على العمل ؟

لا والله لا يعتب على هذا الأزهرى منصف بعد تلك الكلمة اليائسة المتشائمة التى تفيض ارتياباً بإمكان إنقاذ الأزهر من ورطته ...

فياسيدى الأستاذ :

إنك تعلم أن الرغبة شىء والعمل شىء آخر ، ويؤسفنى أن أصرح لك بأننا لم نكن إلى اليوم سوى راغبين ، ولم نحاول أن نكون عاملين : وإن الأزهر كغيره من الميادين إن وجد العاملين نهض وانبعث ، وإن وجد المتشائمين تلاشى ومات .

الأزهر صورة من حياة الشرق الذى دبت فيه الفوضى ، بل من حياة المسلمين فى القرن العشرين : طعام وشراب ، وأوهام وأحلام !

ولا والله ماضر المسلمين أكثر من التشاؤم ، ولا أضعف جهودهم أكثر من القنوط !

إن دخلنا المساجد يوم الجمعة نستمع الإرشاد صدع الخطباء قلوبنا بأننا أمة التأخر والانحطاط وأن لا أمل فى نهوضنا ؛ وإن قرأنا صحيفة من صحفنا وجدناها قليلة الثقة برجال تعمل ، أو جماعات تضم الشتات ؛ وإن سألنا مفكرينا آراءهم فى مستقبلنا أفزعونا بنبوءات كأنها قطع الليل المظلم : فلحننا دائماً حزين ، ونغمنا أبداً شاك ، وقيثارتنا فى كل وقت باكية !

* * *

هذه علتنا معشر المسلمين فى جميع الميادين — لا علة الأزهر وحده فى محيطه الخاص ، فإنا لينقصنا عنصر التشجيع ، فلا نشكر عاملاً على صنيع ، وإنما نقابل الناس بالوجه العبوس حين نستطيع أن نلقاهم بالوجه الطليق !

أيها المسلمون : شجعوا الأزهر ولا تقنطوه ، وساعدوه على القيام من عثرته ولا تؤيسوه ، وأصغوا إلى صوته ولا تخجلوه ، وامنحوا ثقتكم للبقية الصالحة من الشيوخ والشباب ، فسترون الأزهر الوثاب !

ويا أيها الكتاب : أقنعوا الرى العام بتغيير نظرته القاسية إلى الأزهر حتى تشعروه بشىء من الثقة بنفسه ؛ حتى إذا لم ينفع تشجيعكم عودوا علينا باللائمة إن كنتم فاعلين .

ويا صاحب الرسالة يا أديب العروبة الأكبر : لقد آمنت بالأزهر وما أحسبك كفرت به كما كفر الناس ، ولقد شجعته طويلاً وما أظنك ترضى بيأسه بعد اليوم : فهلا نفحته من نفثات قلمك بكلمة طاهرة تعيد إلى النفوس طمأنينة بعد القلق ، وراحة بعد العناء ، لينسج الكتاب على منوالك ، فى هذه الأيام الحوالك ! ليتك تستجيب لهذا النداء ، فتنير الطريق للأدباء ...

وبعد ... فما هذه بكلمة شاب مثالى أو خيالى يعيش فى دنيا الأحلام ، وإنما هى كلمة من قلب يقدس التفاؤل فى عصر نصر نا فيه اليأس على الرجاء ، وتثبيط العزيمة على التشجيع .

(طرابلس الشام) صبحى ابراهيم الصالح

لأنهـــا مصرية

للأستاذ ثروت أباظه

أخلى الشتاء للصيف سبيله فأقبل هادئاً أول الأمر ، ولـكنه حين تمكن من القوم أصلاهم ما تعودوا منه مبالغاً فى ذلك مفتناً فيه

ونفر القوم إلى حيث يهادن الصـيف ، فازدحمت القطر التى تقصد الشواطىء ، وكأنما أبى الحر أن يتيح لهم متعة السفر فجمل من زحامهم عوناً له على إنجاح مهمتـه فى إقامة مشهد من مشاهد جهنم على الأرض .

لم أكن من هؤلاء السعداء قصاد الشواطىء فقنعت بيومين أقضـيهما فى الريف . ولم يعرف السـفْر ذلك فأشركونى فى بلائهم فاشتركت مرغماً .

كان بالمقصورة ثمانية أشخاص بين رجال ونساء ، وكان لـكل منهم صاحب سفر يهمس أحدهما للآخر بما يقطع به الطريق ويخفف القيظ .

وظننت أنا وصاحبى أن الأمر سيقتصر على الهمس ، ولـكنه حين انجابت ضجة المحطة واستبد القطار بالطريق . . علا صـوت ناعم برطانة فرنسية ، فهمست إلى صاحبى :

— إنها تجيد الفرنسية إجادة أهلها لها ، ولعلها أن تـكون هى نفسها فرنسية .

— أما قسماتها فلا تدل على ذلك ، ورفيق سفرها كما ترى يلبس طربوشاً ، وما أظنك ترى أنه هو الآخر فرنسى .

— ومتى عرفت أن المصرى لا يصاحب فرنسية ؟ وعلى أى حال إن تـكن فرنسية فهى من طبقة مصرية راقية . .

— ولا هذا . . لأن الطبقة التى تعنيها لم تعد تباهى بتعلم الفرنسية كما تفعل صاحبتنا الآن . . وقد كان آنســـات هاته الطبقة يباهين بتعلم هذه اللغة ليتصيدن بها الرجال . . أما اليوم وقد وجد أغنياء الحرب وتمكنوا من إدخال بناتهم حيث يتعـلم الآنسات الراقيات — كما يردن أن يسمين أنفسهن — أما والأمر كذلك فلم تعد بالراقيات حاجة إلى إظهار علمهن باللغة الفرنسية ، فهى اليوم لا تدل على شئ ... وما أظن الآنسة إلا بنت ثرى حرب لم يكن ليتوقع لابنته أن تلوى لسانها فى فمها بلغة غير العربية . .

— والعربية الدارجـة . . فحين حقق الله له شيئاً لم يكن لينتظره أطلق ابنته من عقالها فرحاً بها فخوراً . . وراحت بدورها تملن على الملأ — كما ترى — أن أباها ... بائع الدجاج علمها فى فى « اللسيسه فرنسيه » .

— لم أكن أتوقع كل هـذا النقاش ، ولو كنت توقعته ما اقتحمته . . إذ أن صديق لا يقتنع أبداً مهما تبين له الحق ، وكان القيظ شديداً فآثرت السلامة ، وانحرفت بالحديث عن وجهته ، معتقداً أننى على حق ، ولاحظ هو ما قصدت إليه ، فآثر السلامة بدوره ، وانحرف هو بالحديث معتقداً أننى على باطل

وشاء القطار أن يقف فجأة . . محدثاً بذلك صوتاً عنيفاً ذعر له الرجال ذعراً أخفت رجولتهم معظمه . وظهر ما لم تطق الرجولة كبته على وجوههم ، أما النساء فقد أظهرن بكل ما يستطعن من القوة ذعرهن ، معتقدات أنهن كلمـا أمعن فى الذعر كان ذلك أدنى إلى الأنوثة ، ولـكن واحدة منهن لم يخرج بها الذعر عن الأدب المنتظر من سيده . . أما ربيبة المدارس الفرنسية فماذا فعلت؟ لقـد استنفد السيدات الجالسات كل المظاهر التى كان يمكن أن تلجأ إليها ، ولا يصح أن تقلد واحدة منهن .

وكيف يكون ذلك وهى ابنـة الغنى ، صـاحبة الرطانة الفرنسية الصافية الخالصة . . أهى بكل هذه الأمجاد تقلد سيدات مصريات لا يتـكلمن الفرنسية ؟ . . لا ودون هذا كل شىء . . أطلقتها صرخة وأتبعتها بقـولة ... ولـكن الحظ خانها فخرجت الـكلمة « بلدية » صريحة ، وقد أرادتها فرنسـية صحيحة . . وخرجت ساقطة تشير إلى القفص الذى أثقل كاهل أبيها قبل أن تدخل المدارس الفرنسية .

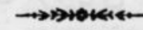
— الحاها الله ! . . لقـد أخجلتنى أمام صاحبى وقد كنت أدافع عنها وعن أصلها . .

نظر صاحبى إلىّ فى شماتة . ونظرْت إلى السيدة فى احتقار وغيظ ، وشاركنى فى احتقارها كل من كان بالمقصورة . . وأحست هى بهذه النظرات فألمت لضياع جهادها الطويل الذى بذلته فى سبيل احترامنا لها . . جهـــاد ساعة باللغة الفرنسية .

فلسفة التاريخ:

وحدة الإنسانية

للأستاذ عطية الشيخ



التاريخ الإنساني كـكل شيء في الوجود، يبدو لأول وهلة قطعاً متميزة، ومجموعات متباينة، مختلفاً باختلاف الأعصر والدول والحضارات والشعوب؛ ولكنه يظهر للمدقق جسماً واحداً متناسق الأجزاء، وشخصية واحدة متعاونة الأعضاء، وبنياناً يشد بعضه بعضا، ونهراً متصل المنبع بالمصب وإن اختلفت أجزاؤه وأسماؤه باختلاف بحيراته وروافده. وكما أن البيت صورة مكبرة لأفراد الأسرة، والدولة وصورة كبيرة لمجموع بيوتها وأسرها، فكذلك الأرض منزل واحد لأسرة الإنسانية الكبرى، التي يؤدي فيها كل فرد من البشر ما تؤديه الخلية الواحدة في جسم الإنسان، وبتعبير آخر يقوم الإنسان في حياته بدورين. أحدهما باعتباره فرداً مستقلاً ووحدة قائمة بذاتها، وإرادة ظاهرة الاختيار. والدور الثاني يؤديه مجبراً ودون أن يشعر، باعتباره خلية من خلايا جسم الإنسانية العام، وإرادته الخفية في هذا الدور تسيرها الغرائز المركبة في طبعه بالوراثة، والمتحكمة في حياته تحكماً لا يمكن الخلاص منه مهما بذل من العلاج كما يقول علماء النفس، وما أقصر أجل الإنسان باعتباره مستقلاً، وما أطول حياته باعتباره خلية في جسم الإنسانية العام المبتدىء بآدم والمنتهي بفناء هذا الإنسان. وما أضعف الإنسان، وما أضيق أفقه إذا قيس بمجهوده الفردي، ومسارحه ومغانيه كفرد. وما أقواه وما أوسع منزله إذا نظر إليه في شخصيته الإنسانية الكبيرة التي منزلها الأرض كلها.

وهناك حقيقة مقررة في علم الأحياء، وهي أن كل خلية في

— سألت صاحبها أن يخرج بها إلى المشى ليلتمسا هواء. فأجابها إلى طلبها.. سألته في بلدية واضحة وأجابها في بلدية أفصح وخرجا.. وإذا بصاحبي ينفجر ضاحكا، وقد كنت والله مع احتقاري للسيدة أفضل بقاءها حتى تمنع عني ما سألاقيه من سخرية الصديق.. قال:

— إنها فرنسية. أليست كذلك!.. إنها من طبقة راقية ألا ترى هذا!.. إنه والله لن يأتي يوم تنال فيه السيدة المصرية ما هي أهله من احترام حتى تعلم أننا نحترمها لأنها مصرية، وأننا حين نراها قد جنحت إلى جنسية أخرى نزدريها لنكولها عن جنسيتها.. لن نحترم السيدة المصرية إلا حين نعلم أن لكل علم تعلمته مكاناً يظهر فيه.. فلو أن هذه السيدة تكلمت بلغة بلادها وأطلقت نفسها على سجيتها، لما كان بها حاجة إلى كل هذا التكلف الذي ارتكبته وركبها فحاد بها عن سلوك السيدة المحترمة ... قلت:

— لعلها حسبت أن أحداً من الجالسين لا يعرف الفرنسية وأرادت أن تقول لصاحبها سراً.

— ما هذا التخبط: أفهمت مما قالته أنه سر؟ ولم تحسب هي أن الجميع جهلاء ما عداها؟.. وأي سر هذا الذي يقال بأعلى صوت؟..

— انتهينا.. إذن أنت لا تريد المصريات أن يتعلمن الفرنسية

— ما رأيتك أكثر لجاجة منك اليوم.. إنني لم أقل ذلك ولا يمكن أن أقوله.. بل إنني أرى أنه يجب عليهن أن يتعلمن اللغات، ولا ارتقاء لهن بغير تعلمها.. ولكن يجب عليهن أن يعلمن أن لغتهن الأولى هي العربية، فإذا لم يعرفنها فأولى بهن ألا يتعلمن شيئاً، ويجب أن يعلمن أيضاً... أن فخرهن إنما يكون بلغتهن وبعقلهن لا بأنهن يتكلمن الفرنسية.. إن أحداً لن يحترم السيدة المصرية أو تحس بالكمال شخصيتها وعظمة بلادها ولغتها

كانت حجة صديقي ناصمة بين يديه لم أطق إغفالها، فقلت:

— لا عليك، فأنت على حق يا صديقي.. ولكن هدىء من روعك فإن اليوم قائظ، وأخشى أن تنفجر وأنت تدافع، وأرى صوتك قد ارتفع حتى لتكاد تفعل فعلتها..

هلم إلى المشى، وعهد على ألا أحترم السيدة المصرية إلا لأنها مصرية.

— أجل، وحسبها أن تحترم لأنها مصرية.

ثروت أباظه

الجسم الحى ، تحمل خصائص الجسم كله ومميزاته وتحكى فى حياتها وفنائها ، حياته وفناءه . وأن النابتة الجديدة لجنس من الأجناس ، تمثل فى عمرها من وقت اللقاح إلى ما بعد الفناء ، الأطوار والأدوار التى يمثلها الجنس كله من حين نشأته على الأرض ، إلى وقت هذه النابتة .

ومثال ذلك : أن تاريخ الجنس البشرى على وجه الأرض من نشأته إلى وقتنا هذا ، تمثله فى أطواره حياة فرد من وقت إخصاب البويضة فى رحم أمه ، إلى أن يفنى بعد شيخوخته .

ويمكن بناء على هذه القاعدة العلمية — والإنسان كائن حى — يمكن تطبيق هذه النظرية عليه . فكل ما يصيب الفرد الواحد من أحداث ، ينتاب الدول والجماعات ، والبشرية عامة . فميلاد ، وشباب ، وهرم ، وشيخوخة ، ويسر وعسر ، وشدة ورخاء . والعوامل التى تؤثر فى الفرد الواحد بالغنى والفقر ، والبداوة والحضارة ، والضعف والقوة ، هى التى تؤثر فى الدول وفى البشرية عامة ، هذا التأثير . وكل حادثة فى شرق الأرض ، لها أثر وصدى فى غربها ، وكل واقعة غائبة فى جذور التاريخ السحيقة تتفرع وتورق وتزهر فيما يليها من العصور . ويجب على الإنسان ألا يحكم على ما يصيب عضواً من أعضائه إلا بمقدار أثر هذه الإصابة فى الجسم كله من خير أو شر . فقد يبتر عضو ليسلم الجسم كله ، وتتعب أجزاء لراحة البدن جميعه ، وكذلك لا يصح أن يوصف ما يصيب شعوباً أو جماعات من أحداث إلا بالنظر إلى أثر هذه الأحداث فى جسم الإنسانية العام . وبهذه النظرة ، نشعر براحة وتطامن نفس عند قراءة ما يصفه المؤرخون للدول بأنه نكبات وكوارث .

فتهدم بغداد على يد التتار ، وتخرب روما على أيدى القوط ، جدد شباب العرب واللاتين بإدخال دماء فتية قوية جديدة فى عروق هاتين الأمتين .

والحروب المتصلة الجارفة التى لا يخبو أوارها على وجه الأرض، هى من أكبر أسباب التقدم البشرى ، وهى الوسيلة الفطرية للانتخاب الطبيعى بعد تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، ليظل الجنس البشرى سائراً فى مدارج العلا .

والنواميس الطبيعية فى عدالتها وسلامه فطرتها ، تأبى أن يتحرك جسم الإنسانية جميعه حركة قوية عامة ، فيدركه الكلال والتعب والاضمحلال مرة واحدة . وهى لذلك تداول النشاط بين وحداتها لتقوم بدورها ، ثم تستريح ، ويقوم غيرها . فتضمن بذلك استمرار التقدم والرقى والاستفادة بكل ما فى أعضائها من قوى ، ومطارح أجزائها من خيرات . فمرة يكون العمل والقيادة لأمم زراعية فى أخصب الوديان فى الشرق الأدنى والأوسط ، وأخرى يكلف بالدرسكان سهوب آسيا وصحاريها ، وطوراً يقوم بالعمل سكان أقاصى الشرق فى اليابان والصين ، حتى إذا كلت الدنيا القديمة ومن عليها ، كشفت الدنيا الجديدة فى أمريكا ، وتولت زعامة الإنسانية والسير بها للأمام .

فانظر — رعاك الله — إلى هذا التوزيع الحكيم للقيادة بالنسبة لأجزاء الأرض وأجناسها . فمرة فى شرق الأرض ، وأخرى فى غربها ، وطوراً فى باردها وتارة فى ساخنها ، مع تبادل الزعامة بين البيض والسمر والصفر ، كأنما الناس فى تحركهم التاريخى شخص واحد ، يشتغل باليسرى إذا كلت اليمنى ، ويعتمد على اليمين إذا تعبت الشمال .

وهناك ناموس آخر يسرى على الجماد ، يمكن تطبيقه على الجنس البشرى ، وهو قانون التجمع والتفرق .

فالسديم الشمسى يتفرق بالانفجار ويرتبط بالجاذبية . والبخر يرفع الماء سحاباً ، والبرد والجاذبية يسقطانه أمطاراً ، والحياة تؤلف بين العناصر ، والفناء يفرق بينها .

أقول إن ناموس التجمع والتفريق ، يجب ألا يغيب عن بحاث علم الاجتماع . ففى الإنسان دوافع انفصال واستقلال تنبع منها الأنانية والتعصب للأسرة ، والوطن ، والقبيلة ، والدولة : وهى أدواراً يمثلها كلها باعتباره فرداً مستقلا ، ووحدة قائمة بذاتها ، وفكراً مختاراً . وفيه دوافع خفية للترابط والامتزاج والتكتل والاتحاد يؤديها رغم أنفه بما ركب فيه من غرائز باعتباره خلية فى جسم الإنسانية العام . فهو بحسب فكره حين يفتح قطراً من الأقطار ، يخدم نفسه أو وطنه أو شعبه بتوسيع الملك والتسلط على الغير . ولكنه فى الواقع ، وبالنسبة لسير الإنسانية العام ، يسد فراغاً ، وينهض نياماً ، ويجدد شباباً ، ويصل منقطعاً فى جزء من أجزاء البشرية .

عطية الشيخ

في حومة البطولة بفلسطين :

المجاهدة الشهيدة

للشيخ محمد رجب البيومي

[قرأت بالعدد (٧٨٧) من الرسالة الغراء قصة البطلة الشهيدة « حياة » فأوحت إلى بهذه القصيدة المتواضعة وقد جعلت إهداءها إلى الصديق الأعز الأستاذ عبد المنعم محمد البغدادى] .

صعدت روحها إلى عالم الغيـ … ـب كعطر يفوح بين الزهور
لم تكد تنتمى إلى الخلد حتى … لاح فى ثغره ابتسام السرور
الطيور الجميلة الشدو غنت … فى ابتهاج ، أحبب بشدو الطيور
والعناقيد فى الكروم أكف … صافحتها فى نشوة المخمور
تلك حباتها النضيرة صارت … لؤلؤاً فى إكليلها المضفور
خطرت كالنسيم طاف على الرو … ض فأمسى مضمخاً بالعبير
زين الخلد أوجه حين وافتـ … ـه ببدر يتيه بين البدور
خفت الحور نحوها مثلما هر … ول صاد تجاه عذب نمير
أخذت نايها الحزين وغنت … بين أترابها بلحن مرير
سألوها : أفى الخلود نواح … وعويل يهيج وجد الصدور
فأجابت : شهيدة تطلب الثا … ر حثيثاً لقلبها الموتور
ليس ينسى فؤادها فى فلسطين أنيناً يذيب صم الصخور
ذكرت قصة الكفاح فجادت … عينها كالحيا بدمع غزير
يا لحسناء فى ربى الخلد تبكى … بين سرب من فاتنات الحور
ذكرت مصرع العدالة فى دنيا أحيطت بجائحات الشرور
جال البغى وجهها بظلام … ليس فيه صبابة من نور
كلما شع من سنا الحق ضوء … يتوارى فى حالك الديجور
الطغام اللئام قد عاونوا القوم على البغى والخنا والزور
لو تركنا لهم لهبوا مع الر … يح غباراً يطير كل مطير
كعاصفير ظنت الأيك يخلو … من شريك فبوغتت بالصقور
صدمات من مجلس الأمن هبت … تنقذ القوم من عذاب السعير
عقرب لاذ بالأفاعى فويل … من غدور يرمى ذمام غدور
عاونوا الباطل الصراح جهارا … وأخو الحق ماله من نصير
ثم جاءوا إلى فلسطين يسمو … ن بشر على الورى مستطير
بالدمار المبيد بالخطر الساحق بالويل بالردى بالثبور
فإذا فيلق العروبة ينقض … نسورا تطير خلف نسور
الليوث الكماة ناداهم المجد … فطاروا إلى العدو المغير
كل ليث يهيج فى صدره البأ … س كنار تشب فى تنور
فجسوم تناثرت كالشظايا … ودماء تدفقت كالبحور
وسماء منها القنابل تهوى … فوق أرض مليئة بالقبور
لو تركنا وشأننا ما تبقى … منهمو فى الحياة شروى نقير
قدر الشرق إنه لجدير … بثناء الورى ، وأى جدير
الكعاب الحسان يزحفن للنصر كموج يفيض جم الهدير
« وحياة » شهيدة الحق تسطو … فى جحيم الوغى كليث هصور
رفعت راية البطولة فأعجب … للواء فى كف ظبى غرير
تبصر القاذفات تهوى مع المو … ت وتسمى لها بقلب جسور
تبرىء الجرح تغسل الدمع تذكى … فى بنى قومها لهيب الشعور
ما أجل الوفاء تلبسه الغيد … وشاحاً مرصعا بالزهور
أبتغى أن أصوغ فيه قريضى … فتضيق اللغى عن التعبير
الكفاح المرير غال صباها … لهف نفسى على صباها النضير
فتحت للرصاص صدراً وضيئا … يتراءى كصفحة البلور
الكفاح المرير والعمل الدائب … والسعى فى السرى والبكور
تهبط السهل تمتلى الحزن تعدو … فى ظلام الدجى ووقد الهجير
جملت ثورة المتاعب منها … شبحاً فر من وراء الدهور
سمعت فى الدجى إليهم أنيناً … لجريح يئن تحت الصخور
نسف البيت فوقه بشظايا … خلقت للفناء والتدمير
بحثت عنه — وحدها — فرأته … أبتر الساق ذا جناح كسير
حملته رغم الضنى وتولت … فى شهيق مؤرق وزفير
فإذا العاصف المدمر يهوى … طائر العدو كالشهاب المنير
وإذا الغادة النبيلة ذرا … ت تلاشى كيانها فى الأثير
رقدت والجريح فى ساحة الخلد … تعب الكرى بطرف قرير
زين الخلد أفقه حين وافته … ببدر يتيه بين البدور

من مجيرى من الأسى — يلهب الصدر إذا ما ذكرتها — من مجيرى ؟
زهرة تبهر العيون على الغصن … وفى الكف نسجها من حرير
سلط المنجل الرهيب عليها … فطواها الثرى ليوم النشور
فإذا الروض مأتم تتباكى … فى روابيه نادبات الطيور
لم أرد أن أصوغ فيها رثاء … تلك والله نفثه المصدور

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مهزلة اليونسكو:

أخذت مسألة تأجيل انعقاد مؤتمر اليونسكو ، جانباً كبيراً من اهتمام الهيئات العربية الثقافية فى هذا الأسبوع ، وهو اهتمام مشوب بعدم الارتياح إلى التصرفات التى بدت أخيراً نتيجة ألاعيب اليهود ومساعيهم للحيلولة دون انعقاد هذا المؤتمر فى لبنان ، فقد كان مقرراً أن ينعقد فى أكتوبر القادم ، ثم أجل إلى نوفمبر ، وأخيراً تلقى معالى عبد الرازق السنهورى باشا وزير المعارف برقية من المستر هاكسلى مدير اليونسكو ، يطلب فيها موافقة الحكومة المصرية على تأجيل المؤتمر إلى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٩ .

واقترن كل ذلك بتحريض الدعاية اليهودية بعض الدول على الاعتراض على عقد مؤتمر اليونسكو بلبنان لأنه يؤلف أحد طرق النزاع فى الاضطرابات القائمة فى فلسطين ، وأبدت دول أخرى مخاوفها للحكومة اللبنانية التى أكدت أن المؤتمر سينعقد فى جو آمن لا يخشى فيه أى ضرر ؛ واقترن أيضاً طلب التأجيل الأخير بما نشر من أن دولة إسرائيل المزعومة طلبت تمثيلها فى مؤتمر اليونسكو ، ويظهر أنها وجدت صعوبة فى السعى لإحباط عقد المؤتمر فى لبنان ، فحولت الاتجاه إلى طلب تمثيلها به مع العمل لتأجيله مدة طويلة تستطيع فيها أن تظفر بالموافقة على اشتراكها فيه .. ومن يدرى ماذا يحدث بعد من هذه الألاعيب ، وماذا يتلوها من رغبات إدارة اليونسكو ؟ .

وقد أولى معالى وزير المعارف هذه المسألة ما تستحق من العناية ، فاجتمع بوزير لبنان المفوض فى مصر ، ثم رأس اجتماع المكتب الدائم للجنة الثقافية بالجامعة العربية يوم الخميس الماضى ، ونظر المكتب فى هذا الموضوع ثم قرر أن يعرض الأمر على اللجنة الثقافية فى اجتماعها بلبنان يوم ٢٨ أغسطس الحالى ، لتقرر موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو ، وسيمثل مصر فى هذا الاجتماع وفد مؤلف من رجال وزارة المعارف برياسة وكيلها الأستاذ محمد شفيق غربال بك .

ويلاحظ من قرار المكتب الدائم أن المسألة لم تعد قبول التأجيل المطلوب أو عدم قبوله فحسب ، بل أصبحت « موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو » إزاء ما أثير حوله لاجتماعه بلبنان وما نشأ عن ذلك من تكرر التأجيل .

هذا ولم ينس الناس بعد ما أعلنته هذه الهيئة الثقافية الدولية من أن أول أغراضها القضاء على أسباب الحروب فى العقول بالتقريب الفكرى بين أمم العالم ، ولكنها منظمة من منظمات هيئة الأمم المتحدة ، فلم يستطع المشرفون عليها أن يقضوا على المطامع السياسية والمصالح الاستعمارية فى عقولهم وهم الذين يريدون أن يقضوا عليها فى عقول سائر الناس !

ثم ما هى جدوى اليونسكو ومؤتمراتها وقراراتها فى هذا العالم المضطرب ؟ وأى دولة من هذه الدول المتنافسة المتشاحنة ستنفذ توصيات اليونسكو ؟ وماذا تجنيه الأمة العربية من هذه الأعمال الخيالية العقيمة ؟ لقد أعدت وزارت المعارف بالدول العربية وخاصة مصر تقريرات مستفيضة عن تقدم التعليم فى بلادها وأخذها فيه بأحدث الوسائل وغير ذلك ، لتلقى فى مؤتمر اليونسكو فيسمعها ممثلو الغرب بآذان من طين وعجين .

لقد أحسنا الظن بهؤلاء « اليونسكيين » إذ صدقنا خلوص نياتهم فى العمل الثقافى الذى يهدف إلى السلام ، وأردنا أن نتعاون معهم ، ولكن هاهم أولاء يتأثرون بالمساعى الصهيونية ، وقد يقبلون الدولة المزعومة ، فالأولى بنا أن ننظم شئون ثقافتنا بيننا ونكرس لها جهودنا فى داخل البلاد العربية . وليأخذوا مؤتمرهم إلى حيث يشاؤون .

بعد كتابة ما تقدم وإعداده للطبع جاءت الأنباء الأخيرة بأن مجلس اليونسكو التنفيذى قرر قبول إسرائيل (المزعومة) فى مؤتمر لبنان بصفة عضو مراقب إذا طلبت ذلك ، وذلك بناء على طلب مندوب الولايات المتحدة .

الصعلكة:

كان الدكتور زكى مبارك ، فى « البلاغ » يوم الاثنين

الماضي ، ينتقل من موضوع إلى موضوع — كدأبه في « الحديث ذو شجون » — حتى جاء ذكر الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، فقال الدكتور إنه ألقى كلمة في حفلة تأبين الديب قال فيها : « إن الأديب من الوجهة الشخصية لا يهمني ولكن إقامة مناحة على شاعر احترف الصعلكة توحي إلى الناشئين أن الصعلكة من شروط النبوغ الشعري . وهذا لا يجوز » .

والدكتور زكي مبارك كاتب عربي مبين ، وهو يكتب دون تمهل ولا روية ، لأن البيان صار فيه سجية ، كما قال عن نفسه ذات مرة ، وهو إلى هذا واسع الاطلاع ، وذخائره أكثر مما تحويه صفحة « الحديث ذو شجون » على كثرة ما تحوى .

ولذلك عجبت من أن يستعمل « الصعلكة » كما وقعت في عبارته السابقة ، استعمالاً يجعل من مدلولها الضعة والتسكع ، مجارياً في هذا ما شاع على ألسنة غير المحصلين . فالصعلوك هو الفقير ، وليس بلازم أن يكون الفقير حقيراً . ومن الغريب أن الاستعمال الشائع لهذه الكلمة الآن على عكس ما كان يطلقها العرب قبل الإسلام على طائفة من الفتاك المعدودين القدمين ، كانوا يسمونهم « الصعاليك » ومنهم الشعراء المبرزون كالشنفرى وتأبط شراً والسليك بن السلكة وعروة بن الورد الذي كان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم وكانت غزواتهم هي السطو على أحياء العرب للسلب والنهب ، ولهم في ذلك أخبار وقصص عجيبة ، يقوم جانب منها على ما عرف به بعضهم من المهارة في العدو . وكان هذا مظهراً من مظاهر الفتوة والوجاهة في الحياة الجاهلية .

ولا شك أنه يصح أن يقال إن الشاعر عبد الحميد الديب كان صعلوكا ، بمعنى فقير ، ولكن الذي يقصده الدكتور زكي مبارك هو المعنى الشائع على ألسنة المعاصرين ، كما يدل تعبيره « احترف الصعلكة » ، فالفقر لا يحترف . وقد عنيت بمناقشة الدكتور في ذلك ، لأنه من أئمة الجيل ، وتعبيره هذا يوحي إلى الناشئين أن الصعلكة هي الضعة والتسكع . وهذا لا يجوز ...

استهداء الكتب :

كتب الأستاذ أحمد الصاوي محمد بأخبار اليوم ، معلقاً على كتاب ورد إليه من المجلس البلدي بكفر الزيات يستهديه فيه كتبه للمكتبة التي يزمع إنشاءها ، ففند هذا الطلب ، وقال :

« ففي كل يوم تستهدينا كتبنا المجالس البلدية والمحلية والأندية الرياضية والجمعيات الثقافية والأدبية ، ولو كانت كتبنا كالجبن لا فتقرنا وشحذنا من إهداء كل هذا الجبن وتوزيع كل هذا الترمس ... مجاناً ! ! »

والأستاذ الصاوي محق في هذا من غير شك ، وخاصة فيما يتعلق بالهيئات الحكومية التي تطلب الكتب من مؤلفيها بالمجان ، وهي تعتمد الاعتمادات وتنفق الأموال في كل وجه وتريد أن ترزئ المؤلفين في مؤلفاتهم التي سهروا الليالي ، وبذلوا من أعصابهم ، وسكبوا عصارات أفكارهم ، في تأليفها ، ثم أنفقوا على طبعها ما يرجون أن يجموه على الأقل من ثمن النسخ .

فهذه المجالس البلدية والمحلية التي تسخو في الاستقبالات وإعداد الاستراحات والمرفهات — تقبض يدها عن المؤلفين وتبسط لهم يد التظارف بالثناء والاستهداء ، كأنها تحسب أن المؤلف لديه ضيعة تنبت فيها الكتب بغير حساب .

ويظن هؤلاء المستهدون أنهم يقدرون المؤلف تقديراً أدبياً باستهداء كتابه ، فإذا كان الأمر كذلك فكل الناس مستعدون « لبذل » هذا التقدير الذي لا يغني من جوع ... وهل تستطيع أن تطلب من مصنع — مثلاً — شيئاً من مصنوعاته وتدفع ثمناً له تقديرك لدقة صنعه ومهارة صانعه ؟

التمثال والابريق :

تلقيت الكتاب التالي من الأستاذ اسماعيل كامل رئيس قلم المناقصات بوزارة المعارف :

« ... وبعد فقد سبق لشخصي المتواضع أن كتب أقصوصة بمجلة مسامرات الجيب الصادرة في ١٥ يونية سنة ١٩٤٧ ، بعنوان (دش بارد) .

« وكان اغتباطي شديداً وممزوجاً بالأسف المر عندما وجدت بمجلة الثقافة الصادرة في ٢٣ مارس سنة ١٩٤٨ أن هذه القصة بالذات تقدم بها الأستاذ محمد أمين حسونة في مباراة القصة القصيرة في مهرجان الشباب لسنة ١٩٤٨ فنال بها الجائزة المالية الأولى . وكان اغتباطي لتقدير لجنة التحكيم « حامل » قصتي وإيثاره بالجائزة الأولى ... وهأنذا أرفق كتابي بعددي الثقافة والمسامرات لعل الحقيقة تحظى بعناصرتكم ، تمهيداً لاتخاذ الاجراءات القانونية من ناحيتي » .

قرأت هذا الكتاب ، ونظرت إلى المجلتين المصاحبتين له ، فرأيت قصة « دش بارد » بالمسامرات تتلخص حادثتها فى أن شاباً أراد أن يبعث إلى خطيبته بهدية فى عيد ميلادها ، وحار فى ذلك لقـلة نقوده ... ثم رأى بمحل تماثيل تمثالا مهشما إلى أربع قطع ، فخطرت له حيلة .. اشترى التمثال وأخذه من البائع بعد أن لفه ، وأرسله بالبريد إلى خطيبته ، مقدراً أنها عند ما تراه مهشما تعزو ذلك إلى إهمال عمال البريد . ثم حرص الشاب على أن يكون عند فتاته وقت وصول الهدية . ولـكن حدث عنـد ما وصل (الطرد) أن فتحته الفتاة فوجدت به أربع قطع وقد لفت كل قطعة فى ورقة منفصلة ! فامتقع وجه الشاب عند ما أدرك سخافة البائع الذى أسرف فى الحرص فأضاع سعادة خطيبته وكرامته » .

ورأيت بالثقافة مقالا للأستاذ عبد الله حبيب ، كتبه عن مباراة القصة القصيرة فى مهرجان الشباب ، وقد أتى فيه على ملخص القصة الفائزة بالجائزة الأولى للأستاذ محمد أمين حسونة ، وعنوانهـا « البغل والإبريق » لأن الـكاتب قد حول التمثال المحطم إلى إبريق محطم أيضاً ، ولـكنه ثلاث قطع ، وكل قطعة لفت على حدة ، كما حدث فى قصة « دش بارد » .

ولست أدرى لم « يزعم » الأستاذ اسماعيل كامل أن قصة « البغل والإبريق » هى قصته ، وقد غير كاتبهـا العنوان وجعل التمثال إبريقاً ، وجعل أربع القطع ثلاثا ! وليس هذا فحسب ، بل استبدل بالخطيبة ابنة رئيس الشاب فى المصلحة التى يعمل فيها ، ووفق أيضاً فى تغيير المناسبة من عيد ميلاد إلى زفاف !!

أفيصح بعد كل تلك « التغييرات الفنية » أن يقول الأستاذ اسماعيل ما قال ولا يتسامح فيما عدا هذه التغييرات من اتحاد فى الهيكل والعقدة .. ؟

أصعب عليه أن يثنى الأستاذ عبد الله حبيب على قصة « البغل والإبريق » بقوله : « وقد امتازت هذه القصة بالبساطة فى عرض وقائعها وتصوير أشخاصها ، مع دقة التعبير واتساق الفـكرة وربط أجزائها وحسن حبكتها والحرص على تشويق القارىء والاتصال بفـكره » وهو خالى الذهن من أن لهذه القصة أصـلا ثابتاً فى المسامرات كان هو الأولى بالثناء ... والجائزة ... ؟

هون على نفسك يا صديق ، ولا يخف عليك أن المسـامح كريم ...

رسالتاں :

الأولى من الأستاذ حسن أحمد با كثير ، صاحب « نشـيد جهاد فلسطين » الذى استحسنته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية فقررت تلحينه وإذاعته . وقد لحنه قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية منذ شهور ، وسمعناه هناك فى حفل أقيم للجنة الثقافية ، فنال ما هو جدير به من الاستحسان تأليفاً وتلحيناً . يقول صـاحب النشيد فى رسالته : إلى إن أشهراً كثيرة مضت على ذلك حدثت فى خلالها أحداث فلسطين المتعاقبة « ومع ذلك لم يفرغ الملحنون بعد من تلحين هـذا النشيد ، ولم تحاول الإدارة الثقافية بالأمانة العامة دفعهم إلى الإسراع فى تقديم اللحن لإذاعته ، ولا أدرى متى ينتهون من التلحين ومتى يذاع النشيد إن لم يذع فى هذه الأيام »

والأستاذ با كثير يظلم الإدارة الثقافية ، لأن النشيد قد لحن فعلا كما ذكرت منذ مدة طويلة ، وقد أرسلته إلى إدارة الإذاعة لإذاعته ، ويظهر أنه استقر فى « كهف » هناك يحرسـه كلب باسط ذراعيه بالوصيد ... ويظهر أيضاً أن الأخ با كثير ليس له صلة بأحد فى الإذاعة ، ليوقظ له نشيده من سباته .

والرسالة الثانية من « المخلص فتحى . ا ليسانس الحقوق » يبدى فيه إعجابه بفـكرة إنشاء معهد للدراسات الاجتماعية بكلية الآداب بالاسكندرية ، ولـكنه يأسف لعدم استطاعته كثيره من المقيمين فى القاهرة الراغبين فى هذه الدراسات ، أن يحققوا رغبتهم ، ويقول : « إننى باسم الـكثيرين ممن يريدون الالتحاق بالمعهد ولـكن ظروفهم تمنعهم من ذلك ، أقترح على حضرتـكم أن تنادى بضرورة افتتاح معهد مماثل يكون تابعاً لكلية الآداب بجامعة فؤاد » .

وطلب السيد فتحى جدير بالتحقيق ، وأعتقـد أن الأمر سـيأخذ مجراه كما يريد ، أى أن معهد الاسـكندرية سيكون تجربة تنتفع منها جامعة فؤاد بالقاهرة ، وإن كان معهد القاهرة سيتأخر ميلاده عن معهد الاسكندرية ، ونتوجه برغبـة هؤلاء الشباب المتطلعين إلى الاستزادة من الدراسات الاجتماعية — إلى عميد الآداب بجامعة فؤاد ، ليعمل على إنشـاء المعهد المأمول فى أقرب وقت مستطاع .

عباس خضر



المفعول معه وواو المعية :

من عنوان المفعول معه يفهم الإنسان أن الاسم المنصوب بعد الواو مصاحب للاسم السابق لها . فالمصاحبة شرح وتوضيح للواو التي هي نص في إفادة المعية في هذا الباب . والأمثلة المسموعة من القرآن وغيره واضح فيها معنى الواو بدون تجوز أو تأويل . فمن القرآن قوله تعالى : « فأجمِعوا أمركم وشركاءكم » فشركاءكم ليست معطوفة على أمركم ، بل هي مفعول معه ، إذ أنه لا يراد أجمِعوا أمركم وأجمِعوا شركاءكم ، وإنما المقصود أجمعوا أمركم مع شركائكم .

وقوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان » لا يراد به تبوءوا الدار وتبوءوا الإيمان ، إذ أن الإيمان لا يُتبوأ ، وإنما المراد أنهم تبوءوا الدار مع إيمانهم بالله . ومن قول العرب : « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها » معناه لو تركتها مع فصيلها لرضعها . ومن شعرهم قوله :

لا تحبسنَّك أثوابي فقد جمعت هذا ردائيَ مطويًّا وسربالا

معناه هذا ردائي مطويا مع سربال . وقوله :

فكونوا أنتمو وبني أبيكم مكان الكليتين من الطِّحال

معناه كونوا مع بني أبيكم متقاربين متعاونين .

فالشواهد المأثورة يتضح فيها أن الواو نص في المعية بدون تجوز أو تأويل . إلا أن بعض الشراح توسعوا في الأمثلة وحملوا الواو معاني تحتاج إلى المجاز فلجأوا إلى التفسير ، وتفسير للتفسير ومزيد من تفسير التفسير ، فقالوا : سرت والنيل ، وسرت والطريق ، أي مصاحباً النيل ؛ ومصاحباً الطريق ، أي مقارناً النيل ؛ ومقارناً الطريق في سيري ، وذلك تفسيراً لقولهم سرت مع النيل ، وسرت مع الطريق . وهذا من العبث واللغو بمكان . ولكنا على هذا النمط تعلمنا وعلمنا كتب النحو . وفي هذا العبث وقع المؤلفون ، وبهذا العبث ألزم التلاميذ في المدارس ، فاضطرب المدرس في الشرح وتحايل ، واستغلق المعنى على التلميذ فلجأ إلى الحفظ من غير أن يتصور المراد . ففي كتب قواعد اللغة العربية المقررة على تلاميذ المدارس الابتدائية تعريف معقد للمفعول معه استنباطاً من أمثلة وضعوها وفيها كثير من الخطأ ، أو على الأقل فيها مبالغة في المجاز لا يهضمها التلاميذ ، فقد عرفوا المفعول معه بأنه اسم منصوب بعد واو بمعنى مع ، للدلالة على ما فعل الفعل بمقارنته . فتكملة التعريف « للدلالة على ما فعل الفعل بمقارنته » يتوقف عند تفهمها الكبير ويعجز عن تصورها الصغير . وكان الأولى أن يقتصر في التعريف على شطره الأول « وهو اسم منصوب بعد واو بمعنى مع » . أما الأمثلة ، فهي مؤلفة بقصد التجديد منهم — على ما يظهر — ولكنها خرجت عن المعنى المطلوب ، فقالوا : غرد البلبل والشجرة ، أي مع الشجرة ، أي مصاحبا الشجرة ، أي مقارنا الشجرة في تغريده . وقالوا : جلس المسكين وباب المسجد ، أي مع باب المسجد ، أي مصاحباً لباب المسجد ، أي مقارناً لباب المسجد . وقالوا : جلس التلميذ والمكتب ... أي ... أي ... أي ... ومع كل هذه « الأيأية » التي يلجأ إليها ، فإن الأمثلة لا تتضح للمتعلم ، وبخاصة إذا كان صغيراً .

ولعمري إن هذه وأمثالها مما ورد في كتب قواعد اللغة العربية مما أخطأها التوفيق وجانبها الصواب ، ولو اقتصروا على خرجت وطلوع الشمس ، أو وغروب الشمس ، أو وصلاة الظهر مثلا ، وغيرها مما يتضح فيه المعنى بدون « أيأية » لكان أولى وأرحم بعقول التلاميذ ، ولكنه الخطأ في أساس التأليف تبعاً لخطأ سابق في كتب النحو بدون تمحيص .

ومثل هذا الخطأ أيضاً حادث في واو المعية التي ينصب بعدها الفعل المضارع ، ذلك أن فاء السببية وواو المعية تضمر بعدهما أن — كما قالوا — وجوباً بشروط ، إلا أن معنى كل منهما مخالف للآخر . فالفاء يكون ما قبلها سبباً لما بعدها ، وما بعدها متأخراً عما قبلها ، وقد نبا عليه تقول أقبل فأكرمك ، وذاكر فتنجح ، فالإكرام مترتب على الإقبال ، والمذاكرة سبب في النجاح ، ومن القرآن قوله تعالى : « يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » ؛ يفهم منه أن عملهم المغاير لما كانوا يعملون مترتب على ردهم إلى

الدنيا مرة أخرى . أما الواو فيكون ما بعدها مصاحباً لما قبلها فى نفس الوقت ، ومن ذلك قوله تعالى : « يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » ، فهم يتمنون ردهم مرتبطاً فى الوقت نفسه مع عدم تكذيبهم بآيات الله ، ومرتبطاً مع كونهم من المؤمنين . ومن الشعر قوله :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

معناه مع إتيانك فى الوقت نفسه مثل ما نهيت عنه . وقوله :

أتبيت ريان الجفون من الكرى وأبيت منك بليلة الملسوع

معناه مع بياتى فى الوقت نفسه من حبى لك وتقلبى فى فراشى كمن لدغته العقرب .

لكن الأساتذة – مع احترامى لهم – مؤلفى كتب القواعد عاقبوا بين الفاء والواو فى الأمثلة بدون نظر إلى اختلاف معنييهما فقالوا : ذاكر فتنجح ، وذاكر وتنجح ، فالمثال الأول يترتب فيه النجاح على المذاكرة ، ولكنه فى الثانى يحتاج إلى تأويل ، ومع ذلك فهو بعيد عن معنى الواو التى فى هذا الباب على كل حال حقيقة أنه قد يكون مع المذاكرة النجاح ، ولكن ليس النجاح مرتبطاً مع المذاكرة فى نفس الوقت ، وإنما هو مترتب عليها ، وهى سبب له . وذلك ما تفيده الفاء التى تؤدى معناها لام[1] التعليل ، وتصلح أن تخلفها فى أمثلتها .

وإن الآيات والأمثلة لتؤيد كل ما قدمنا ، ولله در ابن مالك إذ يقول :

والواو كالفاء إن تفد مفهوم مع كلا تكن جلداً وتظهر الجزع

فهو يذكر لنا أن الواو ينصب بعدها المضارع كالفاء بشرط أن تفيد المعية . ومثاله موضح كل الإيضاح . فلعل المؤلفين لكتب القواعد يذكرون ذلك عند إعادة الطبعات .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

١ – تشدد فى اللغة لا موجب له :

علم الله أنى جد حريص على سلامة اللغة ، ولكننى أكره التزمت فيها ، وأبغض شىء إلى نفسى الإمعان فى الجدل إلا جدلا يكشف حقاً ، أو يُدحض باطلا ، أو يهدى إلى الرشد ؛ وقد ضقت ذرعاً بمسائل كثيرة يتعلق بها بعض من حسنت نيتهم ، أو ضاق أفقهم ، أو استولى عليهم الغرور ، وأحب أن يتسع نطاق (البريد الأدبى) بالرسالة الغراء لنشر هذه المسائل ؛ فمنها :

١ – يحرص كثير من أهل الفضل والدراية على تغيير لفظ العلَم الكُنْية المصدَّر بأب إذا كان مضافاً إليه ؛ فيقولون : مدرسة أبى حمص ، ومدرسة أبى المطامير ؛ جرياً على قاعدة جر المضاف إليه بالياء إذا كان من الأسماء الخمسة ؛ وقد يقعون بحسن نية فيما يدعو إلى السخرية فيقولون (مدرسة بنى أبى الريش) يريدون مدرسة البنين ببلدة أبو الريش ؛ ولو علموا أنه يجوز حكاية الكنية على أشهر أوضاعها ، وهو صيغة الرفع بالواو لأراحوا واستراحوا ، وأظن الأستاذ الإمام الشيخ حمزة فتح الله قد عقد بحثاً لذلك فى كتابه (المواهب الفتحية) ، وقرأ أحد الصحابة (تبت يدا أبو لهب) كما فى تفسير العلامة (أبو السعود) .

٢ – يتشبث بعضهم بوجوب جر كلمة (أثناء) فيقولون مثلا (يلمع البرق فى أثناء السحاب) ، وهم يعتمدون فى هذا التزمت على ورود الكلمة فى جميع المراجع اللغوية التى بأيدينا على هذه الصورة ، ويقول النحاة : إن اسم المكان لا يقبل النصب على الظرفية إلا مبهماً ؛ وأثناء جمع ثِنْى ، وهى فى جميع الأوضاع مخصصة غير مبهمة لانحصار حدودها فيما أضيفت إليه ؛ وهذا بلا شك كلام صحيح ؛ ولكن لم لا يكون نصب الكلمة جارياً على نزع الخافض ، وهو كثير جداً فى كلام العرب ، وجعله بعض العلماء قياسياً فى المصادر المؤولة من (أن) وما دخلت عليه بل فى غير المصادر من الأسماء الصريحة ؟

٣ – ما زال بعض الأدباء ينكرون كلمة (الهناء) لعدم ورودها مجردة من تاء التأنيث فى أشهر الموسوعات اللغوية ؛ وقد غاب عنهم ورودها فى (المخصص) للعلامة (ابن سيده) فى باب ألوان العيش والنعيم (أو كال قال) ؛ ويعلم الله كم جرى قلمهم الأحمر والأزرق على كلمة الهناء شامخين مزهوين ، وكم نال (ابن نباته) الشاعر الظريف من الزراية والاستخفاف حين طرق أسماعهم بيته الرشيق :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

---

(١) تبين لى أن فاء السببية تؤدى ما يؤديه المفعول لأجله المجرور باللام دائماً ، فذاكر تنجح مثل ذاكر لنجاحك . وتبين لى أن واو المعية تؤدى ما تؤديه الحال دائماً ، فقولك لا تنه عن خلق وتأتى مثله مثل لا تنه عن خلق فى حالة إتيانك مثله . هذا رأى لى ولعله صواب ...

٤ – يتمسك كثير من أولئك بوجوب ضم راء (الرصافة) واقفين عند نص (الفيروزبادى) ، ولو أنصفوا لحولوا أعينهم إلى ما كتبه شارح القاموس على هامش المادة ، وإذاً لعلموا أن الفتح والضم سيان ، وفى ظنى أن الفتح فى مثل هذه الكلمة أرق وأجمل ، وما أحسب (على بن الجهم) طيب الله ثراه قد نطق بها إلا مفتوحة الراء حين قال بيته الخالد :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

٢ – أحسن من ذى قبل :

كثيراً ما يعترض القارئين ، ويجرى على ألسنة المتحدثين هذا الأسلوب ، ومنهم من يكتفى بفحواه وما يتبادر إلى الذهن من معناه ، غير باحث فيما بنى عليه من أساس لغوى ، أو قاعدة نحوية ، ومنهم من يحرف الكلم عن مواضعه ، فيزعم أن اللفظ الأخير منه وهو (قبل) بفتح الباء لا بسكونها ، وينسى أن هذا الضبط يفضى إلى قصور فى المعنى وتعسف كبير ، إذ (القَبَلُ) هو كل شىء فى مستهل وجوده ، أو على حد تعبير المعجمات : هو الشىء أول ما يكون ؛ وما زلت أبحث فى هذه المسألة وأدير الحوار حولها مع الثقات من أهل البصر باللغة حتى انتهيت إلى ما أعتقده فيها ، وخلاصته أن كلمة (قبل) ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ، ونية معناه كبقية (الغايات) وهى ظروف محصورة فى كتب النحاة منها : بعد ووراء وخلف الخ ، وأن كلمة (ذى) ليست بمعنى صاحب – كما يتبادر إلى الذهن – ولكنها اسم موصول يستعمل فى لغة طيّئ للمفرد وغيره مذكراً ومؤنثاً كما هو منصوص فى المصادر النحوية كشرح (ابن عقيل) وحاشية (الخضرى) ، وإنها قد تأتى مبنية بلفظ واحد وهو (ذو) رفعاً ونصباً وجراً ، وقد تعرب بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالياء جراً عند قوم من طيّئ فتكون فى أحوال الإعراب مثل (ذى) بمعنى صاحب التى هى من الأسماء الخمسة ، وعلى هذا الوجه يمكن توجيه الأسلوب ، ويكون الظرف المبنى على الضم صلة الموصول باعتباره شبه جملة على حسب ما شرحه النحاة .

وإذاً يكون المعنى : هذا الشىء خير من الذى كان قبله ، أو هذه الحالة أحسن من التى سبقتها وهكذا ، وبذلك يستقيم اللفظ وينسجم مع المعنى المراد ، والسلام .

الأسكندرية **محمود البشبيشى**

التناسب . وجو الآية . وحسن الجرس . وتكرير المقطع :

يظهر أن هذه الكلمات ونظائرها حبيبة إلى الأستاذ الفاضل محمود البشبيشى ، ولها بالقلب نوطه ، فهو يألفها ولا يفتأ يلهج بها ويكررها !

ولو كانت تلك الكلمات تحل ما نحن بصدده لقلنا : لقد أتى الأستاذ بما لم يأت به الأوائل ، واستدرك ما فاتهم وطلع علينا برأى طريف له دعامة من الحق تسنده ، ولكن الأستاذ أخذ يردد كلمة التناسب ويظنها حجة له وهى على الضد مما يرى إذ ما شأن التناسب هنا فى موضوعنا ؟ التناسب الذى أورده ابن مالك فى ألفيته إنما أورده فى الأسباب التى تجعل الممنوع مصروفاً ، ومثار البحث مقصور على أن المصروف قد لا ينصرف ، وذلك عند الاضطرار لا التناسب . وبالرغم من هذا ليست الآية شعراً حتى نقول : إن اضطرار الوزن أدى بكلمة أشياء أن تمنع من الصرف وهى مصروفة وبهذا عرف موضع هاتين الكلمتين : الاضطرار ، والتناسب ، وفى أى شىء يردان ، وعلم لنا أن كلمة التناسب فقدت قوتها السحرية ، إذ لا مكان لها فى محل النزاع .

بقى أن ننفتل مسرعين إلى ما بقى من الألفاظ (جو الآية ، وحسن الجرس ، وتكرير المقطع) ، والتى اعتمد عليها الأستاذ بعد التناسب فى التوجيه لرأيه الذى ارتآه فى كلمة (أشياء) الواردة فى الآية ، فهو يرى أن كلمة (أشياء) فى الآية (لو وردت مصروفة لتكرر حتما مقطعان بلفظ واحد ، وكان ذلك مخلا إلى حد ما بحسن الجرس والتناسق ، ولا شك أن القرآن الكريم فى المكان الأول من رعاية التناسق والسلامة من كل مظان التنافر ، وهذا من أعظم وجوه الإعجاز)

وكأن المفسر – على هذا – لو فسر تلك الآية خارجاً بكلمة (أشياء) عن جو الآية ، ومعبراً بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تظهر لكم تشق عليكم وتغمكم » لجاز له أن ينون ، لأن الأستاذ يقول : « فلو خرجت كلمة أشياء عن جو

الآية لجاز عليها ما يجوز على سواها من الصرف والتنوين » . وما رأى الأستاذ الفاضل فى مثل هذا التعبير أو التفسير ؟ أيراه بليغاً خالياً من التنافر ؟ أو يراه غير بليغ ؟ إن رآه بليغاً فقد سلم بأن تكرير المقطع مرتين بلفظ واحد سواء فى الآية أو غيرها لا يخل بحسن الجرس والتناسق ، وإن تخيله غير بليغ لتكرير المقطع مرتين فقد رجع عما ارتآه من صرف الكلمة عندما تخرج عن جو الآية ، والمفسر — كما تعلم — حريص على أن يكون تفسيره متناسقاً يطابق الآية ويقاربها .

وإلى هنا نرى أن التمسك بتكرير المقطع لايقوى على التحليق طويلا ، فقد هوى عندما سدد إليه الأستاذ أحمد العجمى مصوبته وأورد ما أورده من الآيات ، وهل روى غلته ما أجاب به الأستاذ البشبيشى بعد ذلك ؟ فى الحق أن حجة الأستاذ العجمى ما زالت ملزمة ، لأن كلمة (شىء) فى الآيتين منونة ، وليس فوقها علامة من علامات الوقف كما هو المعهود فى المصاحف ، والقياس على هذا صحيح ، وليس قياساً مع الفارق — كما يقول الأستاذ البشبيشى — : « وإنه من الممكن ، بل من الحسن الوقف على كلمة شىء » إذ يعد هذا ابتداعاً لم يرد عن الرسول عليه السلام . ويلزم من ذلك على رأيه أن الآية تكون خالية من التنافر عند الوقف بدون موجب ، ولا تكون كذلك عند الوصل ، وذلك أمر لم يعهد فى آيات القرآن ، ولم يقل به أحد إلا إذا وافقنا الأستاذ البشبيشى على هواه كلما أراد التخلص من مشكل ، ودون شك أن هذا يجعل الأمر فوضى .

وادعاء أن همزة (شىء) مسبوقة بلين صامت ، وهمزة أشياء مسبوقة بحرف مد صاعد ، وأن لذلك تأثيره فى ثقل المقطعين ادعاء غير ناهض . لأنه ثبت فى الآيتين أن المقطع تكرر مرتين بلفظ واحد ، ولا يعكر ذلك ما إذا كان الحرف صامتاً أو صاعداً وذلك كاف فى الرد .

وفى الختام نعود فنقول : إن علماء اللغة بصريهم وكوفيهم أجمعوا على أن الكلمة ممنوعة من الصرف فى جميع الحالات إلا إذا كان ثمت اضطرار ، ومنعت الصرف لكثرة الاستعمال تشبيهاً لها بألف التأنيث الممدودة ، وفى هذا القدر كفاية .

محمد غنيم

لغويات :

نعيد اليوم . للتذكير . ماقلناه بالأمس :

١ — قلنا إن الفعل (هاج) الثلاثى إنما يتعدى بنفسه ويلزم ، وإن الرباعى المهموز منه (أهاج) خطأ لم يلفظ به لسان عربى قح ، وإن الصواب — فى التكثير — هو التضعيف (هيّج) لا الهمز . ولكن الأستاذ محمود رزق سليم لا يزال — بالرغم مما سبق — يقول ص ٧٧٩ « (وأهاجت) فى خاطره أبالسة الشعر فأتاها فى بيتها . »

٢ — وقلنا إن وصف (أفعل فعلاء) إنما يكون على (فُعْل) لاغير : ودع عنك تشقيق فلان وتخريج علان . واضح إلى قول الرحمن على لسان ملكه جبريل . قال : « ومن الجبال جدد (بيض وحمر) مختلف ألوانها وغرابيب (سود) » . وقال : « وسبع سنبلات (خضر) وأخر يابسات » . وقال « إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت (صفر) . » وقال — وهو أصدق القائلين : « متكئين على رفرف (خضر) وعبقرى حسان » فكيف يصح للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح — وغيره — أن يقول ص ٧٨٣ « وتمحو تحت ألوانها الداكنة (السوداء) كل مايدب على الأرض أو يجرى » ؟

٣ — وقلنا لايقال (داوٍ) من الدوىّ وإنما (مدوٍّ) من (دوّى) الرباعى لاالثلاثى ، ولكن الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب يأبى إلا أن يقول ص ٨٠١ « واستمعت الأرنب إلى صوت (داوٍ) قادم من بعيد . »

وبعد : فالذى قلناه بالأمس نقوله اليوم مذكرين . وذكر فلعل الذكرى تنفع المؤمنين .

(الزيتون) عدنان

جامع الترمذى :

جاء فى عدد « الثقافة » ٩٤٥ فى ص ٢٢ قول الكاتب : « المحدث أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع الصحيح فى الحديث » والصواب أن نقول « الإمام الحافظ أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع فى الحديث » لأن لقب « المحدث » هو دون « الحافظ »

فى مصطلح علماء السنة ، بل هو رابع الأئمة الخمسة : البخارى ومسلم وأبى دواد والترمذى والنسائى . وكتابه فى الحديث اسم « الجامع » وأما « الجامع الصحيح » فهو للبخارى ، وكذلك مسلم سمى كتابه « الجامع الصحيح » لأنهما لم يخرجا إلا الصحاح وأما الترمذى فاسم ديوانه « الجامع » وقد خرج فيه الصحيح والحسن والغريب ، والغرائب التى خرجها فيها بعض المناكير ، ويخرج حديث الثقة الضابط ، ومن يهم قليلا ومن يهم كثيراً ومن يغلب عليه الوهم ، ويبين ذلك ولا يسكت عنه . وأما مسلم فلا يخرج إلا حديث الثقة الضابط ومن فى حفظه بعض شىء وتكلم فيه بحفظه ، لكنه يتحرى فى التخريج عنه ، وأما البخارى فشرطه أشد من ذلك ، وهو أن لا يخرج إلا للثقة الضابط ولمن ندر وهمه ، وإن كان قد اعترض عليه فى بعض ما خرج عنه وبسط القول فى هذا فى كتاب (شروط الأئمة السنة لمحمد بن طاهر المقدسى) المطبوع مع شروط الأئمة الخمسة للحازمى) . والترمذى ينتسب إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذى يقال له جيحون ، والناس مختلفون فى كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء ، وبعضهم يقول بضمها ، وبعضهم يقول بكسرها ، والمتداول على ألسنة تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم ، والذى كنا نعرفه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذى يقوله المتنوقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه . والترمذى أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث ، صنف الجامع والعلل تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل فى الحفظ ، تلمذ للبخارى وشاركه فى شيوخه ... توفى بقرية بوغ إحدى قرى ترمذ سنة ٢٧٩ ، انتهى بإيجاز من (اللباب فى الأنساب لابن الأثير) المطبوع بمصر .

محمد أسامة عليبة

قالت شهرزاد :

يوالى الأستاذ كامل كيلانى الإنتاج فى أدب الطفل الذى يعد هو أول من أنشأه فى العربية . وقد أخرجت له أخيراً دار مكتبة الأطفال (٣٢ شارع حسن الأكبر) مجموعة قصصية من سلسلة « قالت شهرزاد » منها « بنت الوزير » و « قاهر الجبابرة » و « أمير العفاريت » و « كنز الشمردل » و « صانع الأعاجيب » و « الأكذوبة » و « حصان الجو » و « الأمير الحادى والخمسون » وهى قصص طريفة مشوقة تقدم للطفل غذاء مناسباً لخياله المتفتح ومادة نامية لعقله الصغير فى أسلوب سهل فصيح جذاب .

ولا شك أن هذا اللون من الكتابة للأطفال باللغة العربية السليمة المذبة الفصيحة ، يقوم لسان الناشىء ويطبعه على البيان منذ الصغر . وكم أود أن يقبل ولدى حسام على القراءة فى مستقبل حياته مثلما يقبل الآن على قراءة قصص الأستاذ الكيلانى ، كما أود لأمثاله من الناشئين ، فيتكون جيل يشغف بالقراءة ويجنى ثمرات الاطلاع .

أبو حسام

إلى الأستاذ حسين مهدى الغنام :

نشرت الرسالة الغراء فى عددها الأخير (٧٨٥) مقالاً عن المرحوم حافظ بك ابراهيم شاعر النيل نسب فيه كاتبه الأستاذ حسين مهدى الغنام أبياتاً لشاعر النيل . وقد لاحظت :

أولا : أن هذه الأبيات غير موجودة فى ديوان حافظ ابراهيم الذى قامت وزارة المعارف بطبعه .

ثانياً : هذه الأبيات من (بحر الخفيف) والبيت الآتى من الأبيات المذكورة ، على هذه الرواية غير صحيح من ناحية العروض :

وعجيب يفوز هذا بانطلاق وهذا فى ذلة المأسور

فهل الأبيات لشاعر النيل ؟ وهل للبيت المذكورة رواية أخرى صحيحة ؟

(الزقازيق) طه موسى البيومى

سؤال :

حدثنى الأستاذ الشيخ محمد رجب البيومى يوم وفاة المغفور له الأستاذ أحمد الكاشف أنه سيكتب ترجمة ضافية (بالرسالة) الغراء عن الشاعر الكبير فى أقرب فرصة ، كما سيكتب ترجمة أخرى للأستاذ أحمد محرم ، ومضت أسابيع وأشهر وطلع علينا الأستاذ الفاضل بأبحاث جديدة غير ما أشار إليه . وأنا لا أدرى أنسى الكاتب وعده ، أم أدى ما عليه وتأخرت (الرسالة) الغراء عن النشر ؟ !

(المنصورة) سعد كامل

(الرسالة) : الجواب عن السؤال الأول بنعم ، وعن الثانى بلا



من الأدب (*)

تأليف الأستاذ فخرى العمر

مدير معارف الجزيرة

« هذا الكتاب نتاج دراسة تزيد على ثلاثين سنة ، لكن تأليفه تم فى شهر واحد ، وما أدرى أى آرائه يتصل بما قرأت من الكتب وأيها يتصل بنجوى متجاوبة بين النفس والحياة »

هذا ما بدأ به المؤلف المقدمة التى صدر بها كتابه هذا ليعرفه ويعرف القراء نفسه ، والقراء لا يعنيهم أن يكون كتاب — مهما يبلغ من الضخامة — قد ألف فى شهر أو يوم أو نصف قرن بل يعنيهم أن يجدوا فيه ما ينفعهم ويزيد علمهم ولو كان بضع صفحات . وليست التواليف كما بل ماهية و كيفا ، والمعارف تستوى فى ذلك فرب عالم خلد باكتشاف قانون واحد أو نظرية واحدة ، ورب شاعر خلد فى لغتنا العربية بقصيدة واحدة . والجدة فى أسلوب البحث أو فى موضوعه أو فى اكتشاف حقائق جديدة تضاف إلى ما عرف منه ، وقد يستغنى عن الجدة بتبسيط الحقائق وتقريب بعيدها إلى الأذهان ، وهذا الكتاب يخلو من الجدة فى أسلوبه ومعلوماته على السواء ، ويكاد يخلو من تبسيط الحقائق وتقريبها .

وهو سبع عشرة مقالة تنقسم قسمين : أحدهما خاص بدرس فكرة أدبية . وثانيهما : خاص بموضوعات من تاريخ الأدب العربى ، والقسم الأول أربع مقالات هذه عناوينها : ما هو الأدب ؟ ، الأدب متعة وفائدة ، الأسلوب ، الابتكار فى البيان والقسم الثانى ثلاث عشر مقالة أولاها : عنوانها « العصر » وفيها يتحدث عن الثقافة الإسلامية فى الشرق أثناء القرن (١٣١ — ٢٣٢ هـ) تليها اثنتا عشرة مقالة فى ثلاث شعراء وكاتب خص كل منهم بثلاث مقالات فأما الشعراء فهم أبو نواس ، وأبو العتاهية ، وأبو تمام ، والمقالة الأولى من الثلاث الخاصة بكل منهم فى ترجمته والثانية فى شعره والثالثة فى أنواع شعره ، وأما الكاتب فهو ابن المقفع ، والمقالة الأولى من الثلاث الخاصة به فى ترجمته ، والثانية فى كتابته والثالثة فى رسائله و كتبه .

ومقالات النوع الأول الأربع التى تدرس كل منها فكرة مقالات مستقيمة منسقة الآراء تدل على نضوج هذه الفكر فى ذهن المؤلف وتثبته منها وإيمانه بها ولا سيما مقالته « الابتكار فى البيان » ، ولكن مقالات النوع الثانى الثلاث عشرة فى تاريخ الأدب لا تخلو من غموض واضطراب وتفكك : ففى مقالة « العصر » لم يزد المؤلف على إيراد حقائق التاريخ دون دراسة ولا غربلة ولا استنتاج وفى المقالات الخاصة بالأدباء لم يستطع أن يترجم لواحد منهم ترجمة واضحة ولا أن يرسم له صورة بارزة ، ولا أن يربط بين حياته وآثاره ربطاً محكما مع أن كل جهاده انصب على بيان الصلات ، بين حياة الأديب وإنتاجه شعراً أو نثراً ومن أجل هذا اهتم اهتماماً خاصاً بحياته .

وهذا المنهج — فيما أرى قاطعاً — أقوم المناهج فى دراسة الأدباء والفنانين خاصة والناس عامة ، وهو أهدى المناهج وأيسرها لاكتشاف الحقائق الخافية فى حياة الإنسان وآثاره على السواء ، وحسن الاستقامة عليه كفيل بأ يعصم الباحث من الشطط ، وقد عصمه الغلط ، فا أفكارنا الخاصة إلا وليدة حياتنا الخاصة : تأخذ عنها وتعطيها ، وتتأثر بها وتؤثر فيها . غير أن المؤلف لم يحسن الاستفادة التامة من هذا المنهج الأقوم ، وإن استحق التقدير لإيثاره إياه على غيره وصدق نيته فى الاستهداء به إن قدرت « الأعمال بالنيات » .

ولعل ذلك راجع إلى أن نزعة المؤلف الأدبية سليمة ولكن لا تؤازرها حاسة تاريخية نفاذة ، وإلى أن ذوقه الفنى خير من اطلاعه على حقائق التاريخ وخفايا النفوس وفهمها فهماً علمياً صحيحاً ، فإن يكن ذلك فلعل المؤلف منصرف عما خلق له إلى

(*) الطبعة الأولى صفحات الكتاب ٢٣٦ من القطع الكبير طبع فى مطبعة أبى الفداء بحماة . يطلب من مكتبة عنوان النجاح بحماة لصاحبيه ا مصطفى النعسان ، ومن المؤلف (مدير معارف الجزيرة) . وثمنه ٣ ليرات سورية .

ما خلق ، وفى مقالتـه « الابتكار فى البيان » — وهو خير مقالات الـكتاب عندى — غنية له عن الإطالة فيما أريد بيانه .

وفى الـكتاب أخطاء تاريخية كقوله (ص ٥٧ — ٥٨) إن عبـد الله بن المقفع ترجم أرسطو . ولا دليل على ذلك وكل ما رجحه الباحثون أخيراً أن المترجم هو محمد بن عبد الله بن المقفع ومن الأخطاء قوله إن النظام اعتزل واصـل بن عطاء « شيخ المعتزلة » وقال بتخليد صاحب الـكبيرة فى النار (ص٦٢) وهذا خطأ من وجهين أحدهما أن واصلا أول قائل بهذا المبدأ وثانيهما أنه مات قبل مولد النظام .

ومنها قوله إن أبا نواس رثى المأمون وقد مات قبل المأمون بنحو عشرين سـنة ، فلعله يريد الأمين لا المأمون ، ومنها (ص٦٢) ذكره الأشعرية فى كلامه فى القرن (١٣٢ — ٢٣٢هـ) ولم يولد الأشعرى إلا بعد ذلك ولم يظهر متـكلما إلا قبيل نهاية القرن الهجرى الثالث . ومنها ذهابه إلى أن اسم صاحبة أبى العتاهية عبدة (ص١٥١) وهى عتبة جارية الخليفة المهدى ، وإنما عبدة صاحبة بشار بن برد . وفى الـكتاب تحميل للنصوص أكثر مما تحتمل وتوليدها مالا يمكن أن تلد (ص ٩٧ ، ١٠٢) .

وفيه أخطاء ذوقية ففى قصيدة بائية لأبى نواس منها هذا البيت وكلها على منواله :

« يا غراب البين فى الشؤ م وميزاب الجنـــابه »

يسمى هذا الشتم هجاء ، والهجاء لا يسمى وهو خال من الفن وإلا لعد كل بذاء هجاء ومن ذلك تعقيبه على قصيدة أبى نواس التى منها:

يا قمـــرا أبرزه مـأتم   يندب شجوا بين أتراب

بقوله : « وما أرق الحب الذى يطلب الموت الدائم للناس ليرى حبيبته » (ص ١٠٩) وليس قلـــب كهذا بالأرق ولا الرقيق بل هو قلب أنانى مغلق وحشى . ومنها (ص ١٦٢) وصفه أبا العتاهية بالزاهد ولو اقتصر على وصفه بالمتقشف لأصاب فهكذا كان الرجل ، وفرق بين التقشف والزهد ، فليس بالزاهد من كان من أحرص الناس على الحياة والمال وأشحهم بهما .

ومن أخطاء الفهم عده مدحاً بليتى ابن المذل فى أبى تمام وهما :

يا نبى الله فى الشـــعـ   ـر ، ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الا   له مـالم تتــكلم

وهما من الذم المقذع فهو بقوله « يا نبى الله فى الشعر » والبيت الثانى يخرجه من الشعراء ، لأن الأنبياء — فيما تعورف — ليسوا شعراء وفيه إشارة إلى الآية الكريمة فى النبى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وفى ندائه « يا عيسى بن مريم » اتهام لأبى تمام بأنه مجهول الأب .

وفى الـكتاب قضايا سيقت بلا برهان ، وأحكام قاطمة وهى بين الباحثين محل شك أو رفض ، وفيه اعتماد على نظريات تربوية ونفسانية لم تثبت ثبوتاً قاطعاً ولا راجحاً . وتقسيم أنواع شـعر الشاعر إلى حكمة ووصف وهجاء ... منهج قد يصلح للمبتدئين ولكنه لا يغنى فى البحوث التى تكتب للشداة فضلا عن الناضجين فى المعرفة ولاسيما إذا كانت موضع دراسة «تزيد على ثلاثين سنة» كما قال المؤلف فى مقدمته .

ويظهر أن المؤلف لم يطلع على ما كتب حديثاً فى ابن المقفع وآثاره حتى ما ألف بالعربية أو ترجم إليها وإلا لما قنع بما اقتصر عليه (راجع كتاب ابن المقفع للدكتور عبـد اللطيف حمزه) والجزء الخـاص بابن المقفع من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كل من كتابيه : تراث الفـكر اليونانى ، ومن تاريخ الإلحاد فى الإسلام) وفى الـكتاب أخطاء لغوية وتركيبية لا شك أنها من قلم المؤلف وأخرى ربما كانت منه أو من التطبيع ، هذا إلى كثير غيرها من التطبيع فبعضه لم يصحح وبعضه صحح فى جدول التصويبات آخر الـكتاب ولعلنا ظافرون فى الجزء الثانى بخير مما وجدنا فى هذا الجزء الأول .

(القاهرة) محمد خليفة التونسى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩٢ — الإثنين ٦ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠١٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 792

Lundi — 6 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

انقذوا اللاجئين أولا !

للأستاذ نقـــولا الحداد

يا للعار ! ... عدد العرب في الممالك العربية السبع يناهز الأربعين مليوناً ، وعدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز ثلاثة أرباع المليون ! أفليس عجيباً أن اليهـود يطردون نحو نصف عرب فلسطين من بلادهم في حين كان العرب يتحفزون لطرح اليهود في بحر الروم !

أو ليس مخجلاً أن يفر أطفال عرب فلسـطين ونساؤهم وشيوخهم من أمام فصيلة الحيوانات الشرسة الطاغية ، ورجال العرب لا يقفون في وجه هذه الفصيلة المتوحشة لكي يردوا طغيانها عن الأطفال والنساء ؟ !

يعتذر العرب بأن الانتداب الانكليزي المشؤوم حال دون الجنود العرب بحجة أن الانتداب كفيل بحفظ الأمن ، فهو الذي كان مسؤولا عن طغيان اليهود ، ولـكن إذا كان هذا الانتداب لم يستطع حماية الانكليز أنفسهم فهل يحمى العرب ؟ لم يكترث اليهود بقوة الانتداب ولا بقوة جنوده التسعين ألفاً ، فكانوا يعتدون على الانكليز والعرب على السـواء ، وكان الانكليز المتـكفلون بحفظ الأمن يستخذون المرة بعد المرة !

فلماذا كان العرب يتهيبون قوة الانتداب ؟ ماذا كان يحدث لو هب الجنود العرب لحماية الأطفال والنساء غير مبالين بالقوات الانكليزية كما كان يفعل اليهود ؟ فهل كان الانكليز يرتدون عليهم ويقاتلونهم وثمت يظهر تحيزهم واضحاً ؟ وهب أن التسعين ألف جندى انكليزى غلبوا العرب ، أفليس هذا أشرف من أن يذلوا اليهود ؟ !

دعنا من هذا التثريب فيما مضى ، نحن الآن أمام كارثة قد تكون أفظع من كارثة ضياع فلسطين : إن ثلاثة أرباع مليون مشردون لاجئون إلى إخوانهم في الممالك العربية السبع !

حكومة شرق الأردن تقدم كل يوم ٢٢٠٠ جنيه أى ٦٦ ألف جنيه كل شهر وهى أصغر الدول العربية ، فاذا كانت كل دولة تبذل مثل هذا المبلغ بنسبة عدد أهلها كان في وسعها أن تقدم في الشهر ٢٨٠٠٠٠ر٥ ، ونحن لا نريد أكثر من ثلث هذا المبلغ ، فأين النخوة العربية التي « كلما دق الـكوز بالجرة » تبجحنا بذكرها وفاخرنا جميع أمم الأرض بها .

عندنا مئات المليونيين في مصر والشام والعراق الخ ، فاذا كان هؤلاء يوفون الزكاة التي بدون وفائها لا يكون المسـلم مسلماً أمكنهم أن يجمعوا كل شهر القيمة المطلوبة ضعفين أو ثلاثة . . . فأين أنتم أيها المؤمنون توفون دينـكم لله ؟ وإلا

فأنتم منكرو نعمة الله !

إن بترول الحجاز والعراق والبحرين ليس لأهل العراق ولا لأهل الحجاز ولا لأهل البحرين ، إنما هو ملك الله ، لأنهم لم يزرعوه حتى يستغلوه ، ولا صنعوه حتى يتاجروا به ، فيجب عليهم أن يدفعوا ضريبة ثقيلة عليه لله ! !

يجب أن نحاسبهم ، أو أن الله يحاسبهم ، وحسابه صعب جداً !

أوليس عاراً أن ننتظر من الجنرال جلوب والمستر سبيرز وغيرهما من أنصار العرب أن يتسولوا لكم مئة أو بضع مئين من الجنيهات وهي « لا تقيم حجة ولا تقلى عجة » في إغاثة المنكوبين ؟ ألا تكفيهم هذه النجدة أسبوعاً أو أسبوعين؟ وبعد ذلك بمن يلوذون؟ أبكم أم بالموت ؟؟ ! !

أتستسيغون أن تحذوا حذو اليهود في أمريكا وهم أغنى أغنيائها حتى كانوا يتسولون المال من نصاراها بلا خجل ولا حياء ، حتى جمعوا من هذا التسول نحو ١٧٢ مليون ريال . ولما سئل عميدهم أين يذهب هذا المال ؟ قال ٤٢ بالمئة منه يذهب إلى فلسطين ، والباقي إلى منكوبي اليهود في أوربا .

فبغت ذلك النصراني الذي كان قائماً بجمع المال لهذا الغرض الذي يسميه إنسانياً ، وما شعر إلا حينئذ أن اليهود لا يقدرون هذا العمل الإنساني ، بل يحسبونه ربحاً جزاء الحيلة التي احتالوها على ذلك الرجل الإنساني لكي يحض إخوانه النصارى على هذا العمل الإنساني . فأجاب : لا . لا . هل أنا أجمع المال لكي ينفقه اليهود في حرب العرب ، أم لكي ينفق على المتشردين اليهود ! هنا أكف عن هذا المسعى . السلام عليك .

عار يا قوم وأي عار أن تتدفق خزائنكم بالأموال وأنتم ناعموا البال ، ثم تصموا آذانكم عن صراخ إخوانكم وتغضوا أبصاركم عن شقائهم ! !

يا ناس ! إن إنقاذ اللاجئين أهم من إنقاذ فلسطين الآن ! فلتهتز أريحيتكم ولتتحرك عواطفكم قبل أن تبتلوا بما ابتلي به إخوانكم عن يد يهود فلسطين أنفسهم ! المصيبة مصيبتكم ! والويل ويلكم ! أما أحسستم بالألم والشقاء ؟ أم أن أعصابكم مخدرة ؟ أم أن عقولكم سكرى ؟ أم أنتم في غيبوبة ؟ أم في سكرة الموت أو حشرجته ؟ !

وأما الجامعة العربية الموقرة ... فحتى متى تصبر على مراوغة برنادوت والوقت يأكل من لحم فلسطين ويمتص من دمها ... بل يهم من مهج العرب أجمعين ، وكل يوم يقولون لنا إن اليهود خرقوا الهدنة ١٨ مرة ... فحتى متى أنتم صابرون ؟ !

إن هذا الصبر مضيع القدس أولا ، ثم فلسطين ثانياً ، ثم البلاد العربية كلها آخراً ... أفما تحسون ؟ !

كفى تواكلا وتماهلا وتخاذلا ! إن الله يرذل المتخاذلين !

إن إنقاذ اللاجئين قبل إنقاذ فلسطين ! أيمكن ألا يكون هذا ولا ذاك ؟ !

نقولا الحداد

طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للاستاذ عبد العزيز محمد الزكى

— ١ —

لقد أخذ الشرق العربى يتخوف من الدول الغربية الكبرى وأخذ يشك فى قيم حضارتها المادية ، بعد أن خانت عهودها معه ، وسخرت من عواطفه القومية ، وداست على رغباته فى الرقى والتقدم ويود اليوم كل عربى استكان فى فترة من الزمن لثقافة الغرب ومدنيته ، ورضى أن يعتمد عليها فى حياته المادية والمعنوية ، أن يغير نظرته إلى الغرب ، ويفكر فى الاستغناء عنه فى كل شىء . ولقد سبق طاغور وغاندى العالم العربى فى هذه المشاعر ، بعد أن عانت الهند ماعانت من عذاب الاستعمار الانجليزى . فوهب طاغور العالمى النزعة والتفكير ، جميع طاقاته العقلية فى سبيل وضع تصميم حديث للحياة الإنسانية ، استوحاه من فكرة وحدة الوجود الهندوكية ، ودمج فيه حضارات الشرق فى حضارات الغرب ، وجمع بين زبدهما الثقافى ، وأراد به أن ينشئ عقلية عالمية تخلص من ناحية من مادية الغرب وأنانية شعبه وحبه للسيطرة وإمعانه فى الإباحية التى تجعل استتباب الأمن ونشر السلام فى العالم مستحيلا ، وتنشر التذمر والضيق فى جميع البلدان . وتتحرر من ناحية أخرى مما علق بالحياة الهندية من تقاليد قديمة عرقلت نهضة الهند وعاقت تقدم شعبه ؛ فإن التشاؤم واحتقار الحياة وتحاشى الإنغماس فيها ، قضى على نشاط الهنود المادى ، وأدى إلى تأخرهم فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى ، فأنتج نتاجاً فكرياً روحياً إنسانياً عالياً ، يخلو من شوائب الحضارات الهندية وضلالات الحضارات الغربية ، ومن نقائص المدنيات القديمة والحديثة والمعاصرة جميعاً ، وتدعمه الأصول الروحية ، ويرفع من صرح الأخلاق والفضيلة والدين ، ويعطى للعلم والفن والعمل قيمة جليلة فى الحياة البشرية . بينما هب غاندى الزعيم الوطنى ، يجاهد فى سبيل حرية الوطن بسلاح معنوى استلهمه من فكرة الحب والتسامح التى تكاد تنادى جميع كتب الهند الدينية بضرورة اتباعها ؛ واستغلها بدهائه الروحى فى مقاومة الاستعمار البريطانى فى الهند ، واتخذ من المقاومة السلبية التى أقامها على اللين وعدم الانتقام ، سبيلا دينياً لإشعال الحمية الوطنية وتقوية الحماسة القومية ، ونهجاً سياسياً يرد به للهند استقلالها ، ويمنحها حريتها المسلوبة .

وقبل أن يحدد طاغور الهندى موقفه من حضارات الغرب والشرق ، تأمل فى تراث الحضارات الغربية القديمة فوجدها جميعاً قد نشأت بين جدران مدن أشادها الإنسان ليحمى نفسه من شر أخيه الإنسان ، أو ليقى حياته من هياج قوى الطبيعة . فمنعت هذه الجدران إتصال الشعوب بعضها ببعض ، وعاقت إختلاط الثقافات وتمازجها ، وقضت على تبادل الحب والمنفعة ؛ كما حالت دون ائتلاف الإنسان بالطبيعة . فشب الغربى أنانيا ، يوجه كل إهتمامه نحو نفسه ، أو نحو بنى مدينته يفضلهم على الغرباء عن وطنه الذين ينظر إليهم كمنافسين خطرين له ولأهله ، يجب عليه أن يغتصب منهم كل ما يستطيع أن يغتصبه قبل أن يغتصبوا منه شيئاً مما يملك ، ونشأ ساخطا على الطبيعة ، يخاف غضب قواها ، ويتصورها عدوا له ، يجب أن يحذره ، ليحفظ كيانه من شدة تقلباتها ، وليبعد خطر زوابعها عنه . فغرست هذه الحياة فى نفوس الغربيين الأنانية وحب السيطرة ، وصرفت نشاطهم إلى بسط نفوذهم على ما يحيط بهم من بلدان وشعوب ، وصرفت أعمارهم لمكافحة الطبيعة والسيطرة عليها ، ودفعتهم إلى أن يعتنوا عناية فائقة بشحذ مختلف مواهب الإنسان وملكاته سواء أكانت عقلية أم فنية ، وبكسب مهارات صناعية ، وقدرات يدوية لتساعدهم على محاربة الطبيعة ، واستغلال الفقراء ، وإذلال الشعوب الضعيفة . وكان ذلك كله سبباً فى تفوق الغرب فى العلوم والفنون ، وعله تأسيسه حضارة استكملت نهضتها بتقدم البحث العلمى ، واختراع شتى الآلات الصناعية والأدوات الحربية التى تشهد بمقدرة الغربيين فى الصناعة والحرب ، وتدل على مهارتهم فى توزيع مصنوعاتهم وترويجها فى أسواق الأمم القريبة والبعيدة . فعادت عليهم بأرباح وفيرة وثروات طائلة أقنعتهم بأن تصريف

أمور الحياة الأرضية لا تخضع إلا للمال . فآمن الغرب بأن المال هو الغاية القصوى ، التي يجب أن يبذل الإنسان كل قواه في سبيل الإكثار منه ، واعتبره الوثن الأوحد الجدير بالعبادة والتقديس .

فأعجب طاغور بنشاط الأمم الغربية ، وقدر مساعيها الجليلة فى تقدم العلوم والفنون ، وسر من جدها الدائم فى ترقية مستوى الحياة الإنسانية ، ولكنه فى الوقت نفسه سخط على أنانية الغرب ومادبته ، واشمأز من جربه القبيح وراء المال ، واحتقر تفضيله الرذيل لبنى جنسه ، وتقزز من استعماره المشين للشعوب الوديعة . لأن ذلك يخالف ماجبل عليه ، ويغاير ما تعود أن يعرفه عن الهند وما تعمله من الهنود .

فلقد عاش أهالى الهند منذ القدم فى غابات فسيحة غنية بشتى الغلات ، فلم يجد الهندى صعوبة فى العثور على طعامه وشرابه ، وتيسر له بناء مساكن من أخشاب الأشجار ، تحته من الحيوانات المفترسة ، والطبيعة الهائجة . فتأثر الهنود بحياتهم الأولى فى أرجاء غابات تحتوى على مختلف الخيرات ، وتبلغ من الإتساع بحيث يمكنها أن تحتضن ملايين الناس ، وتمدهم جميعاً بالطعام والشراب ، وتوفر لهم المسكن . فنشأ الهندى منذ القدم لا يعرف الكد فى البحث عن غذائه ، ولا النصب فى الحصول على مواد بناء مسكنه ، لأن الغابات تضع كل ذلك فى متناول يديه . فلم يشعر بعداوة الطبيعة ، لأنها مهدت له سبل الحياة ، كما لم يجد ضرورة لأن يمتلك أرضاً معينة ، يقيم حولها حواجز وتخوماً تقيها من طمع الآخرين ، وتفصلها عما يمتلكه الغير ، لأن كثرة ما فى الغابات من خيرات متنوعة يسهل الحصول عليها ، لم يدع أحداً يفكر فى أن يخص نفسه بامتلاك شىء من دون بقية الناس ، مادام كل شىء يجب أن يناله يمكن أن يفوز به بدون مشقة .

فلم يقف حائل بين الهندى والطبيعة فأحبها ، وارتاح إلى الحياة فى كنف حنانها ، ودعا إتصاله الوثيق الدائم بها إلى ائتلافه بكل جزء من أجزائها ، وإلى نجاة أفكاره من الرغبة الجامحة فى بسط نفوذه على الطبيعة ، أو إمتلاك أرض يشيد حولها أسواراً خوفاً من أن يسطو عليها أخوه الهندى . وبعث جمال الطبيعة وتناسقها فى نفسه شعوراً عميقاً بأن جميع مكونات الوجود فى وحدة شاملة وأدرك أن كمال الإنسان فى معرفة هذه الوحدة ، وأيقن أن الطريق الوحيد الموصل إلى هذا الكمال ، هو تلاشى فرديته فى جميع محتويات الكون ، أو بإدماجها فى كل ما حوله من كائنات .

فساقه هذا الشعور إلى أن يقصر حياته على تحقيق هذه الوحدة ، وإكتساب الوسائل الصالحة التى تساعده على إفناء ذاتيته فى الوجود بأكمله . ولم يفكر قط فى محاربة الطبيعة ، لأنه عرف أن الإنسان متحد بها ، ولم يرغب فى السيطرة على قواها ، لأن أفكاره فى اتحاد مع جميع الأشياء ، ولأن قوى الإنسان متحدة مع قوى الطبيعة وأغراضه فى الحياة تتفق وأغراض الطبيعة .

فتشبعت العقلية الهندية بحقيقة وحدة الوجود ، وأصبح إدراك هذه الحقيقة الكبرى محور حياة قدماء الهنود ، وموضوع دينهم ، وغاية عبادتهم ، وسبب سعادتهم القصوى . وأصبحت رغبة الاتحاد بالله الذى يتجلى فى مختلف أجزاء الوجود شاغلهم الشاغل ؛ فانصرفت كل مشاعرهم وأعمالهم إلى العثور عن هذه الوحدة لأنهم لن يجدوا الراحة أو الأمن أو السلام ، ولن يذهب عنهم الخوف والقلق والاضطراب والشك والحزن ، مالم يدركوا فكرة اتحاد الكون التى يتطلب وعيها وعياً صادقاً حياة فكرية منعزلة طاهرة ، لا تؤثر فيها مشاغل الحياة .

فاختار زهاد الهنود أماكن نائية عن صخب الحياة الاجتماعية ومغريات مفاتنها ، وتبدو فيها الطبيعة على قسط كبير من العظمة والجمال ، حتى تبهر الفكر ، وتغريه بهجرة الحياة ، والتحرر من حدودها المادية الضيقة ، والتخلص من ضرورياتها الزائفة ؛ وحتى تنبسط فى ربوعها الروح ، وتتلمس فى كنف روعة الطبيعة وجمال تناسق أجزائها مكانتها فى الوجود .

ولم يجد الهنود مكاناً أفضل من غابات الهند الطويلة العريضة التى توفر الاعتكاف على النجاة من مفاسد الحياة وتتحلى بجمال رائع متناسق ؛ فلجأوا إليها يمقتون ذاتهم ، وحولها إلى معابد متنقلة يأوى إليها الزهاد والحكماء ، يستوحون من عظمتها وجمالها حقيقة الوجود الأولى ، وينشدون من عزلتهم حبس جهودهم على الفوز بأكمل مراتب الحياة الروحية .

فهيأت العزلة الفكرية للهنود فرصا للغوص فى عوالم من المعانى الروحية أنارت نفوسهم ، وكشفت لهم عن مثل إنسانية ، ومبادىء أخلاقية وقيم دينية ، ودفعتهم إلى سلوك طرق فاضلة ، وإتباع نُهج طاهرة ، بينت للبشرية أن الهند بروحيتهـا أفادت الفكر الإنسانى ، وأضفت عليه قبساً من النور السماوى ، وأضافت إلى الحضارات حضارة تسمو عليها جميعاً فى الروحية ، وهذا كسب عظيم للانسانية يشرف الهند . إلا أن الهند بجريها الحثيث وراء الروح أهملت الحياة الأرضية إهمالا معيبا جعلها لم تبال بتنمية مواهبها الفكرية ، أو إنضاج إستعداداتها الفنية ، لكى تكتسب ملكات عقلية ومهارات صناعية ، تظهر بها تفوقها فى ساحات السياسة والاقتصاد والحرب ، وهى دعائم السيادة الحديثة . فلم تمتن بالعلوم التى هى أساس كل تقدم مادى أو نفوذ سياسى أو سطوة حربية ، فنشأ الشعب الهندى غير متمرن على أساليب الحرب ، لا يتقن وضع خطط الدفاع والهجوم فاســـتولى الطغاة على بلاده ، واستعمروا وطنه . وشب غير مدرب على الفنون الاقتصادية ، جاهلا السبل المبتكرة فى جمع المـال بعيداً عن حبل السياسة الملتوية ؛ نخدعه المستعمر ، واستغل موارده الطبيعية لمصلحته الخاصة من دون الهند صاحبة الحق الأول فى الاستفادة من هذه الموارد .

فعاب طاغور على الهنود جهلهم بمقومات الحياة العصرية ، وأنبهم على نفورهم من مشـاكل الحياة الاجتماعية ، وحثهم على الإندماج فى ميدان الحياة العامة ، يؤدى كل منهم خدمات تعود على أهله أو الهند أو البشرية بالنفع والفائدة ، مادامت هذه الخدمات لا تخرج على تعاليم الدين أو تهدم قيم الأخـلاق . ورغبهم فى الاشتغال بالعلوم والفنون ، مادام الاشتغال بها لا يتعارض مع تطهير الروح ، أو يعوق خلوصها من الدنس . بل إن العلوم والفنون والأعمال التى بواعثها فاضلة تقود إلى الفناء فى الله ، وتوصل إلى أعلى درجات الكمال الروحى ، فيجب على الهنـد أن تقلع عن تمسكها بتقاليد قديمة بالية أو هنت من عزيمتها ، وتترك جانباً النظرات التشـاؤمية التى عاقت سعيهـا فى أى إصلاح ، وزعزعت ثقتها فى الحياة الأرضية فمهدت لاستعمارها واستغلالها .

وبتحليل طاغور الدقيق للحضارات الهندية والغربية ، كشف بذهنه الصافى عن أخطاء الحياة الدولية ، وعن مدى تأخرها فى الروحية ؛ ولكى ينقذها مما هى فيه من فوضى وإثم حرض الهند على رفع مستوى حياتها المـادية والفكرية فى حدود الأصول الروحية حتى لا تكون فريسة سهلة الاقتناص من جهة ، وحتى لا يتفشى فيها وباء المادية وأمراض الحياة الغربية من جهة أخرى؛ وبين للغرب أن الإنسان يمكنه أن يفكر ، ويكشف القوانين ، ويخترع مختلف الآلات ، ويبتكر فى الفنون والصناعات ، ويحافظ فى الوقت نفسه على الميول الخيرة فى الطبيعة البشرية ، ويكون روحياً غيريا محباً للانسانية ، ويتخذ من علمه وفنه وعمله وسائل متعددة للفنـاء فى الله وفى مختلف أجزاء الوجود . فحول طاغور الأنانية إلى غيرية ، وحب السيطرة إلى تعاون وتآلف وتحاب ، وحول العلوم والفنون والأعمال إلى أضراب متنوعة من العبادة بأن جعل محراب العلم لا يقل طهارة عن محراب المعبد ، وسما بقداسة الفن حتى عادلها بقداسة الدين ، واتخذ من العمل المنتج الصالح صلاة ترفع بالإنسان إلى خالقه . واعتبرها جميعاً سبلا طيبه تعمل على بلوغ نمط من الرقى الروحى ، ينمحى فيه شعور الفرد بشخصيته ، ويغمره إحساس عذب بفناء روحه فى ذات الله العليا ، ويستولى عليه إدراك عميق بوحدانية الوجود .

وعلى هذه الصورة الرائعة طهر طاغور الفكر الإنسانى من أشرار الأنانية ، وحب السيطرة ، ومن نقائص العزلة الفكرية ، ومساوىء تجنب الحياة الإجتماعية والعملية ، وأخطار النظرات التشاؤمية . وجمع بين نبوغ الغرب فى العلوم والفنون ، وجده المستمر المتجدد فى العمل ، وبين عبقرية الشرق الروحية ، وتعلقه الوطيد بالحب والتآلف ، فوضع للانسانية دستوراً شريفاً لو اتبعته لتذوقت طعم الراحة والسلام والأمن التى تحن إليها ، وتحررت من كل ما ينغص عليهـا الحياة ، وعاشت سعيدة فى وئام ، يشملها الحب والإيثار ، ويضمها الخير والود ، ويعلو من شأنها العلم والفن والعمل .

(للكلام بقية)

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

رحلة إلى ديار الشـــام

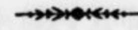
في القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري)

(الحلة الذهبية في الرحلة الحلبيــة)

لمصطفى البكرى الصـــديق

للأستاذ أحمد ســامح الخالدى

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)



وفي أواخر شوال سنة ١١٢٩ شرع الشيخ في عمارة الخلوة التحتانية البيرمية ، وساعد في عمارتها جناب عثمان باشا المهتدى ، وصار الإخوان يجتمعون فيها للأوراد . وزار مقام النبي موسى بصحبة صديقه الشيخ محمد الخليلي ، وجعل مقره في خلوة الشيخ يونس شيخ الحرم . وقبل العيد الكبير سار الوزير [رجب باشا] لملاقاة الحج . وبعد قدومه من ملاقاة الحج جاء البشير باسناد منصب ولاية حلب لرجب باشا ، فسر الشيخ ، وقد توجه الوزير ، وكان صديقاً للشيخ إلى حلب في شهر ربيع الأول . وفي ربيع الثاني عزم الشـيخ على زيارة الخليل ومنها إلى غزة وعسقلان ووادى النمل ويختم بزيارة على بن عليم العمري . وتوجه ومعه الشيخ محمد الموقت ، والشيخ نور الدين الهوارى والشيخ رضوان الزادى ، ونزل دارا قريبة من الحرم وورد عليه الشيخ عبد الرحمن الخطيب والشيخ محمد الطرعانى والأخ محمد القميرى صاحب الميقات وغيرهم . وكان الشيخ ابراهيم الدكانى ينشـد لهم من قصيدة للشيخ عبد الغنى النابلسي مطلعها :

أنت قيد الوجود إن غبت غابا وإذا ما ظهرت كنت حجابا

وقصـد زيارة عسقلان ، فتوجه إلى بيت (جبرين) ونزل لدى علقتها ، ومنها إلى (الفالوجة) وزار الشيخ أحمد الفالوجى ، وسار نحو المجدل ، وبات عند رجل معبِّد ، يقال له ابن معبد ، وأم عسقلان وزار شهداء المركتين ووادى النمل ، وأتى قرية (الحورة) وتوجه إلى قرية (حمامة) وزار الشيخ أبى عرقوب ، وبايع عنده الشيخ يحيى المجدلاوى وابن أخيه ، وسار في الليل وبات عند العرب الموالح ، وسار إلى الرملة مدينة فلسطين ، وصلى العصر في جامعها الأبيض ، ونوى أن يتعداها إلى (لد) وزار مقام سيدنا على رضى الله عنه ، كما زار الجبانة ، وبات عند الصديق المسعود الأعلى الشيخ أبى المسعود الممدود الملى ، فأكرمه وفي الصباح قصد زيارة أخيه الشيخ حسين الملى . ثم توجه إلى قرية (عابود) ومنها إلى قرية (ســلفيت) وبات بها ، وتوجه في الضحوة إلى نابلس ونزل في التكية الدرويشية ، وبلغه وهو فيها أن الشيخ محمد الخليلي ومعه النقيب السـيد محب الدين يقصدان الشام للاجتماع بمتوليها قريباً جناب رجب باشا ، للسلام . وكان قريبه الشيخ ابراهيم بن سعد الدين الجباوى قد وصل إلى نابلس بعد أن زار الخليل ، فسلم عليه ، ومن بنى سعد الدين جدة جد الشيخ فهم أخواله ، وبقى الشيخ في نابلس في التـكية . وكان معمر الدرويشية سيفى أغا البكداشى الطريقة ذهب للديار الرومية ، وأبقى مكانه شاباً اسمه أحمد . وممن زاره حسين بيك بن شرة ، ودعاه لداره مع الأخوين السلفيتى والموقت فقبل دعوته . ودار بينه وبين الدرويش أحمد البكداشى حديث وقد أخبره الشيخ عن الشيخ عبد الغنى النابلسى أنه قال بمناسبة حمل البكداشـية للبوق وضربهم به في المساء والشروق ، أنهم إنما يفعلون ذلك لتنفير الوحوش في المهمة الموحش المفروش ، لأنهم يسيحون في المهاد فيحتاجونه لدفع أنكاد ، فقال الشيخ نعم أنهم يضربونه لطرد وحوش الخواطر في مهمة القلب الموحش المفروش بغير الخواطر . ثم إلى قرية (حجة) وأقام بها في خلوة الجامع المرتفعة مع إخوانه . ورأى عند الشيخ محمد شرح الجزائرية للشيخ قاسم الخانى ورأى بخطه قصيدة أبى مدين الغوث التي مطلعها :

ادرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا فإنا أناس لا نرى المزج مذ كنا

وســار نحو قرية (عزون) وبعد الأكل وشرب القهوة عاد إلى (حجة) وكتب منها مكتوبين للاخوان ، وودع رفاقه ، وتوجه إلى (الجـدل) قرية من قرى بنى صعب ، وإذا بخيول تتجارى في سهول الغابة وانقشع الغبار عن سحابة ، فقيل له أن تلك الخيمة الزاهرة اللامعة نصبت للوزير جناب رجب باشا أمير الحاج صديقه ، فأراد الاجتماع به ، وما تغبرت الأقدام حتى ارتفع ذلك الخام ، فجد بالسـير نحو (عيتل) وبات فيها عند الشيخ عبد الله المغربى ، ثم توجه نحو قرية (الهويج) وكان قد عمرها

الشيخ صـالح بن الشيخ مهل ، فرحب به ، وأقام بها يومين ، وكرر شرب القهوتين ، السوداء والبيضاء ، ودعاه الشيخ قاسم أخو الشيخ صالح قرية (المفار) وزار جدهم رفيع المنار وبات فيها أربع ليال ، ولم يزل يسير إلى أن وصل قرية من قرايا مدينة صفد التى صفاها بالاندثار مصفد ، فأنزله الأخ محمد عند صديق يقول له أسعد ، فبات عنده ليلتين . ثم بات فى قرية ملئت بالفرقة الدرزية عند رجل من أهل السنة وبكر منها إلى جنان (حاصبية) ومنها إلى كفر كوك الدبس ، ومنها إلى كفرقوق الفستق، ومنها إلى حارة القبيبات ، ونزل فى دار المكارى للراحة ، لا للبيات ، ووصل دار صهره الشيخ اسماعيل التى جددها .

وكان قد نزل الخلوة بتوصية منه إلى صهره ، جناب الصديق السـيد محمد التافلاتى ، مفتى القدس ، والذى رافقه فى طرابلس الشام . وجاءه للسلام وودعه فى اليوم الرابع فانتقل الشيخ إلى الخلوة وأخذ بزيارة جدوده ، لدى الشـيخ أرسلان ، والصالحية فى دمشق ، وزار شيخه الشيخ عبد الغنى النابلسى وبات فى خلوة داخل الجامع المحيوى ، ومفتاحها بيد خادمه الشـيخ ابراهيم الحتمى ، وبايع فيها شاب يدعى عثمان حرشى ، وعاد فى الصباح من طريق عين الـكرش إلى مرج الدحداح وزار جـده الأعلى سيدى محمد عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم شيخه المرحوم الشـيخ عبد اللطيف ، ثم توجه إلى جنينة تحت القلعة وزار سيدى عدى بن مسافر ، وقبره ملاصق لشجرة عظيمة مكتوب عليه عدى بن مسافر كتابة قديمة ، وللمذكور ديوان ، وعاد مع رفاقه للخلوة .

واجتمع الشيخ بوالى الديار صديقه [رجب باشا] وكان معه خبر قضية العم محمد أغا البكرى [1] الصديق ، وقد فاتحه فى أمر زواج ابنته من الشيخ ، فوعده خيراً ، وأضاف أنه سيهبه مسكناً وسكناً ، ويدخله على ابنته فرضى منه الوزير ، بهذا الوعد المرقوبى ، وصار عينه به ، وسار الشيخ مع صهره إلى حرستى لحضور ختان ولديه السيد محمد أبى الفضل والسيد أحمد أبى الهدى . وأراد بعض الإخوان الرجوع إلى القدس وذلك سنة (١١٣٠ هـ) لحملهم كتباً للاخوان فى القدس ، ومنهم الشيخ محمد الخليلى ، وكتاباً للاخوان فى مدينة الخليل ومنهم الشيخ عبد الرحمن الخطيب التميمى ، وقصائد تصف شوق الشيخ إلى تلك الربوع .

ولمـا دخل شهر رمضان حرك الله همة عم الشيخ ، لزيارة البيت ، فقال الشيخ فى نفسه أن ذهابهم فى صحبـة الوزير ، رجب باشا ، وكان أميراً للحج فيه فائدة ، أضف إلى هـذا أنه يتقرب إلى قلب عمه ، ثم يقضى فرضه ، فرضى عمه بذلك ، وقد ذكر الشيخ ماوقع له فى هذه الرحلة فى رسالة سماها [الحلة الحقيقية لا المجازية فى الرحلة الحجازية] والتى انتهت بوصول الشيخ إلى الشام فى السابع والعشرين من شهر محرم سنة (١١٣١ هـ) .

ولما عاد الشيخ من الحج ، ألح الوزير على عمه انجاز ما وعد به بشأن زواج ابنته ، ولـكن عمه لما بلغه خبر عزل رجب باشا عن الولاية عدل عما كان قد وعد به من أمور فيئس الشيخ وقطع أمله من ابنة عمه ، فعول على بيع بعض أملاكه وحصـة فى بستان الدولابى والحاجب ، وبستان النصرانى ، وسـود فى هذه المدة الفية فى التصوف .

وكان الشيخ قد فاتح السـيد محمد السلفيتى ووعد الشيخ نور الدين الهوارى أنه إذ لم يحصل مع عمه اتفاق بشأن الزواج ، فانه يرجع لأخذ ابنة بنت أخيه الروحى ، أى حفيدة السلفيتى فحسن له ذلك ، وعلى هـذا عزم الشيخ على السفر إلى القدس للزواج وذلك فى أواسـط ذى القعدة سنة ١١٣١ هـ مع جمع من الرفاق ، فودعه صهره فى الرجة فى دمشق ، وسار إلى (المزة) وزار قبر دحية الـكلبى ، ومنها توجه مع جمالة (جينين) فى الليل واجتمع بالشيخ محمد بن يس الملقب طبيمة وبات فى خان سعسع ومنهـا إلى قرية الجيب ، وهى مشهورة بالسمن لجودته وهو مشهور فى قطرها بطيبته ، ومنها إلى الجسر ثم المنية ، ثم عيون التجار ثم جينين ذات المياه والأشجار ، وكان تعارف بالشيخ فى الطريق السيد مصطفى التميمى فدعاه إلى بيته فأجاب الدعوة . وسمع بعد المغرب صوت خيل وطارق ، وإذا هو السـيد محمد السلفيتى وسار فى الصباح إلى قرية (الزاوية) وأقام تحت شجرة البطمة ، وكان قد دخل هذه القرية أحد أجداد الشيخ رضوان واسمه قاسم فقال الشيخ موالياً .

---

(١) كان الشيخ مصطفى يأمل أن يتزوج من ابنة عمه محمد أغا البكرى ووسـط الوزير فلم يفلح وأخيراً تزوج ابنة بنت السيد محمد السلفيتى ورزق منها بنتاً توفيت فى القدس .

قاسم حبيبك على ما تملكو قاسم ... فرد علا فى المحاسن اسمه قاسم

بل سلمو الكل إذ حبو الحبيب قاسم

لا زال فى حرز من يدعى أبا القاسم

ثم توجه للقدس وبات فى قرية (بيتونيا) ويقول الشيخ فى أمر زواجه « ويوم الخميس آخر ذى القعدة النفيس أقنا فى الحرم نستقبل أهل الكرم ، وبعد مضى أيام الضيافة تعرضنا للنكاح بغير آفة ، وفى يوم الأحد جرى القلم به بحول الأحد ، أوائل ذى الحجة الحرام من العام ، العام الأنمام ، وليلة الخميس حصل الدخول الواجب التأنيس » وقد أرخ الزاوج صديقه الشامى إذ قال « زفت الزهراء للقمر » سنة ١١٣١ هـ .

ولما حلت سنة ١١٣٢ هـ ، ومضى منها حصة ، تحركت همة الشيخ لزيارة القاهرة وذهبت بهذه النية إلى الخليل ، ولكن لم يتيسر له السفر إلى مصر فعاد إلى القدس . ولما عاد خطر له أن يخلف الأخ السيد محمد السلفيتى فباشر ذلك فى المولوية[1] وألبسه الكسوة الخلوتية ، وأذن له الإذن العام .

« وقريباً من ختام هذا العام ورد الوزير ذو الاحترام رجب باشا متوجهاً إلى الكنانة بإقدام ، وطلب بالحاح وإبرام أن نصحبه وجناب الشيخ محمد الخليلى الهمام فقسم النصيب قهراً وسرنا معه إليها جبراً وقسراً ، وقد ذكرنا ما جرى فيها إلى سنة ١١٣٣ هـ . فى الرحلة المسماة « النحلة البصرية فى الرحلة المصرية » .

وبعد العودة من مصر شرع فى رسالة المنهل العذب السايغ الواردة فى ذكر صلوات الطريق وأوراده ، وكان فى مصر بيض الصلات البرية والألفية ومنهج الصوفية ، وأخذ عنه فى مصر الطريق الشيخ محمد الحفناوى . وفى سنة ١١٣٣ شرح الشيخ صلوات سيدى عبد السلام بشيش المسمى بالروضات العريشة على الصلوات البشيشة » ، وبيض « السيوف » الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد » وتعرض الشيخ سبعة أشهر وأكثر ، وفى أواخر مرضه جاءت والدته لما سمعت بمرضه البدنى ، وجاء الوزير المقدم أمير جردة ومعه الصهر الشيخ اسماعيل المدرس تحت القبة ، وودع الوزير فى الخليل وفى صحبته صهره الذى عاد للديار الشامية بعد أن اطمأن على صحة الشيخ .

وما زال كذلك إلى أن جاءه الخبر بأن عمه أصدر عليه حجة نفقة ووكل السيد محب الدين النقيب فى تحصيل ما حرر ، فاستخار الله فى السفر إلى جهة حلب لينال الظفر لأن الوزير (رجب باشا) صديقه منجم فيها بحال موفور فاستبشر وتوجه فى رحلة سماها (تفريق الهموم وتفريق الغموم فى الرحلة إلى بلاد الروم) . وقد أدرج الشيخ فى آخر هذه الرحلة ما ذكره فى الرحلة الرابعة والخامسة القدسية ، ثم المصرية ، ثم أوصلها بالرومية — انتهى .

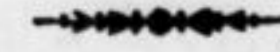
أحمد سامح الخالدى

(١) زاوية فى القدس ، يرأسها الآن العارف بالله الشيخ عادل المولى الطرابلسى .

طرائف من العصر المملوكي :

من وحي حمــــاة

للأستاذ محمود رزق سليم



لا أدرى لماذا يهزنى شوق إلى حماة ، ويهفو قلبي إليها كلما ذكرت ، ويردد لسانى اسمها فى كثير من التقدير ، وأقف عند ترديده وقفة المتأمل المستلهم ، مستعرضاً على ذاكرتى لمحات من لمحات تاريخها الفياض ، فتشرق منه فى سماء الذهن ومضات من أمجادها الماضية ، يستشعر منها القلب ضروباً من الجلال والقدسية ، ويتجدد بهـا للنفس ألوان من الدهش والإعجاب ، بهذه المدينة الشامية المصرية المجيدة الساحرة .

حرت حقاً فى تعليل هذا الشعور الذى ينتابنى كلما ذكرت حماة ، ولم تربطنى بها وشيجة ولا وليجة ، ولم تصل حبالى بحبالها ليال ولا أيام ، ولا اكتحلت العين بمرآها ولو مرة واحدة ، ولم يجش فى النفس أمل بلقياها والنعيم عهداً بالمقام فيها .

قلت للنفس : لعل هذا الشعور أثر من تلك الآثار التى أفدتها من مصاحبة تقى الدين بن حجة الحموى ، وليـد هذه المدينة ، وأحد أدبائها النجباء ، فلقد صاحبته فى بعض مؤلفاته ، ودراسة آرائه وأفكاره ، وقرأت فى إمعان كثيراً من فصوله ، ووعيت فى إعجاب عديداً من مذاهبه . وكان رفيقاً فى صحبتـه ، حبيباً فى حديثه . حتى كان فى مقدمه الأسباب التى حببت إلى دراسة عصره ، ومهدت لى السبيل إليها ، وأنارت لى الطريق لبـلوغ مآربى منها .

ولقد راعنى منه فيما راع ، ولوعه بمدينته تلك ، ولوعا تردد صداه فى كثير من منشئاته ، ولوعا لم يزايل قلبه ولم يفارق فؤاده فى يوم من الأيام ، على الرغم من انتزاحه عنها واغترابه منها زمناً طويلا . وتلك لعمرى مكرمة منها ومحمدة له ، جديرتان بأن تشعرا القلب بالجلال والإعجاب كلما ذكرت حماة .

لقـد ولد ابن حجة عام ٧٦٧ هـ بحماة ، ثم شب وتعاطى الأدب . وطفق ينشىء وينظم ما شاء له الفن والهوى . وطوف فى بعض الآفاق ، حتى اتصل حبـل وده وخدمته بسلطان مصر الملك المؤيد شيخ ، حينما كان أميراً فى بلاد الشام . فلما تم له أمر السلطنة فى مصر عام ٨١٥ هـ جمع من حوله حاشية من أهل وده ، ممن دانوا له بالولاء فى عهد إمارته ، وألقى إليهم بمقاليد الأمور . وكان من بينهم ابن حجة الحموى ، فاتخذه كاتباً من كتاب إنشائه . والـكاتب المنشىء حينذاك ، كان فى الديوان كما يكون الوزير للسلطان .

عاش ابن حجة حينئذ فى مصر زمناً . فـلم يلهه النعيم بها عن حماة . ولم تسله حاليات أيامه عندها ليالى لهوه ومدارج صباه فطفق يبعث إليها تحية اللهفان ، بين الآن والآن . ويحن إليها حنين النيب إلى المطن ، والهديل إلى السكن .

ويبدو أنه انتزح عنها فى أول أمره انتزاح المضطر الذى دعته الأحداث إلى الاغتراب . فظل حب حماة يساوره أنى سـار ، فلا يفتأ يتغنى بمحاسنها ، ويتشوق إلى مغانيها ، ويتغزل فى مفاتنها ويحن إلى مجانيها .

كتب — وهو بالقاهرة عام ٨٠٢ هـ — إلى صـديقه ابن البارزى بحماة ، قصيدة تفيض بالشكاية والأنين ، والشوق والحنين . استغرق ذكر حماة وأهلها أكثر أبياتها . وفى صدرها يقول مخاطباً ريح الصبا الذى يمر بها .

يا من إليه كل صب قد صبا	يا طيب الأخبار يا ريح الصبا
يا طاهر الأذيال كم لك من نبا	يا صادق الأنفاس يا أهل الذكا
يا روح نجد مرحباً بك مرحباً	يا من تراه عبـارة عن حاجر
نتنشق الأخبار عن تلك الربا	يا نسمة الخير الذى من طيبه
ووردت شعباً من دموعى معشبا	بالله إن رنحت ذيلك بالحمى
أضحى بهاتيك الثغور مطيبـاً	وهززت فيه كل عود أراكة
أبدى بدر الطـل ثغراً أشنبا	ولثمت من ثغر الأقاحى مبسما
بدموع أجفـان الغمام مطنباً	ودخلت كل خباء زهر قد غدا
فنعمت فى الوادى برياً زينبـاً	وطرقت حى العامرية ظامئاً
مشمولة بالطيب من ذاك الخبا	وحملت من نشر الخزامى نفحة
أضحى لمـــا حملته مترقبـاً	عج بالمذيب فإن محجر عينـه
لشوارد الغزلان أضحى مشرباً	واصحب عبير المسك منـه فإنه
منك الذيول وطبت ياريح الصبا	وإذا تنسمت الشذى وتعطرت

عرج على وادى حماة بسحرة | متيما منه صعيداً طيبا
واحمل لنا فى طى بردك نشره | فبنشر ذاك الطيب لن نتطيبا
واسرع إلى وداو فى مصر به | قلباً على نار البعاد مقلبا
لله ذاك السفح والوادى الذى | مازال روض الأنس فيه مخصبا
أنتم بمصر نسبة لكن أرى | وادى حماة ولطفه لى أنسبا
أرض رضعت بها ندى شبيبتى | ومزجت لذاتى بكاسات الصبا
يا ساكنى مغنى حماة وحقكم | من بعدكم ما ذقت عيشاً طيبا

على هذا الضرب من الغزل الواله والشوق الباكى ، يتابع ابن حجة أبياته تلك ، وله أبيات أخرى كثيرة على غرارها .

ويبدو أن حماة كانت قينة بهوى حبيبها وغرام محبيها . فهى — فضلا عن أنها محل ميلاده ومجتمع أوطار فؤاده — قد شهد لها التاريخ بعراقة فى المجد وأصالة فى السؤدد وبسطت لها الأيام من البلهنية بساطاً ، ونشرت لها من النعيم بنداً . إذ كانت عاصمة إمارة صغيرة ، اعتلى عرشها أمراء من الأيوبيين ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبى ، وهم الملك المظفر تقى الدين عمر ، ثم سلالته من بعده . وتحولت فى العصر المملوكى إلى نيابة من نيابات المملكة المصرية ، توالى على إمارتها أمراء من قبل سلطان مصر ، فكان منهم أبو الفداء اسماعيل المعروف بالملك المؤيد ، وهو من سلالة المظفر . أنابه الناصر بن قلاوون سلطان مصر ، عنه فى حكم حماة ، وكرمه بأن خلع عليه ألقاب الملك ، دون سائر نواب السلطنة .

وتقع هذه المدينة فى شمال سوريا ، بين حمص والمعرة . ويجرى فى وسطها نهر العاصى . وكان بها كثير من النواعير ، تستنبط بها المياه من الآبار . وكثير من الطواحين المائية ، وكانت تجملها البساتين المتعددة . ونبت من ناشئتها عديد من الأدباء والفضلاء . وفى العصر الحديث تطامن بنيانها وتناقص عمرانها .

أما فى عصر ملكها المؤيد أبى الفداء اسماعيل ، فقد كانت مدينة زاهرة ، وعاصمة ناضرة . تضرب من حولها الوديان وتمتد القيمان ، وتكثف الغابات حيث يتخذ الوحش له مراحاً ، والطير الجارح مسرحاً . ويحلو فى جنباتها الصيد والقنص ، ويصفو بين دوحاتها اللهو والسمر . وقد استطاع المؤيد أن يجعل منها جنة نعيم ، ومنتدى علم ، ومجتنى أدب . فقد كان عالماً وأديباً وجواداً سخياً . ولهذا طاف به العلماء والأدباء يطرقون بابه ويرجون جنابه ويستمطرون سحابه . فأعاد ببذله وفضله عهد الامتياح والسماح ، وزمن الاجتداء والعطاء ، وأجرى فى أعواد الشعراء ، ذوباً من البشر والرجاء ، وصوباً من الينع والنماء .

وممن هوى إليه فى حماة : شاعر مصر الكبير جمال الدين بن نباتة ، بعد أن نبا به المقام فى مصر ، ولم يجد بها إلا عيشاً يابساً ، ويوماً عابساً . فرحب به المؤيد ، وأوسع له فى بطانته مكاناً ، ومن عطفه بستاناً ، ومن صحبته إحساناً . فعاش فى كنفه مكرماً أثيراً . يروح ويغدو فى حماة ، بين سفوحها ورباها ، وينعم بطيب رياها . ويصحب المؤيد أحياناً فى رحلاته بين الغابات والوديان ، والأدواح والقيمان . وعاش ابن نباتة حتى شهد موت المؤيد ، فصحب ابنه الأفضل وأخلص له الود ووفى بالعهد .

وإذا تصفحت ديوان ابن نباتة ، بدا لك أثر حماة فى شعره واضحاً . فإقامته بها وطوافه برحابها ، واتصاله بملوكها ، كانت موحيات إليه ، وملهمات فى كثير من قصائده . فله نحو عشرين قصيدة فى مدح المؤيد ، ومثلها فى مدح الأفضل . وهى قصائد مشرقة حية ، جمع فيها من أفانين الشعر أعاجيب . فمن غرر المديح إلى الغزل المليح ومن الوصف الدقيق إلى الخيال الرقيق ، ومن الشوقيات الذاكرة إلى الخمريات الساكرة .

وترى فى حمويات ابن نباتة هذه ، بشاشة سافرة ، ورواء ضاحكا مستبشراً . نضحت عليها طبيعة حماة ، فبدت حسناء والشعر مرآتها ، وغيداء وأبياته أبياتها . لا أقول إنها علمت بن نباتة الوصف فقد كان وصافاً . ولا دعته إلى العطف فقد كان عطافاً . وإنما فره بجمالها وصفه ، وزاد بين يديها عطفه .

فمن غزله فى صدر قصيدة مدح بها الأفضل قوله :

صدودك يا لمياء عنى ولا البعد | إذا لم يكن من واحد منهما بد
بروحى من لمياء عطف إذا زها | على الغصن قال الغصن ما أنا والقد
وعنق قد استحسنت دمى لأجلها | وفى العنق الحسناء يستحسن العقد
من العرب إلا أن بين جفونها | أحد شبا مما تجرده الهند
على مثلها يعصى العذول وإنما | يطاع على أمثالها الشوق والوجد
عزيز على العذال عنى صرفها | وللقلب فى دينار وجنتها وقد

أعذالنا مهلا فقد بان حمقكم — وقد زاد حتى ما لحمقكمو حد
وقلتم قبيح عندنا العشق بالفتى — ومن أنتم حتى يكون لكم عند
سمحت بروحى للحسان فما لكم — ومالى وماهذا التعسف والجهد

ومن خمرياته فى مطلع مؤيدية قوله :

عوض بكأسك ما أتلفت من نشب — فالكأس من فضة والراح من ذهب
واخطب إلى الشرب أم الدهر إن نسبت — أخت المسرة واللهو ابنة العنب
غراء حالية الأعطاف تخطر فى — ثوب من النور أو عقد من الحبب
عذراء تنجز ميعاد السرور فما — تومى إليك بكف غير مختضب
مصونة تجمل الأستار ظاهرة — وجنة تتلقى العين باللهب
لو لم يكن من لقاها غير راحتنا — من حرفة المتعبين العقل والأدب
فهات واشرب إلى أن لا يبين لنا — أنحن فى صعد نسعى أم صبب

وإذا كان أثر حماة فى شعر ابن نباتة واضحاً ، فهو فى إحدى قصائده أشد وضوحاً وأبين أثراً . وأعنى بها قصيدة « مصائد الشوارد » . وهى أرجوزة مزدوجة فى نحو مائة وسبعين بيتاً ، خرج ابن نباتة مع الملك الأفضل صاحب حماة فى رياضة للصيد والقنص فى وديانها . فألهمته رحلته تلك قصيدته المذكورة . بدأ فيها بوصف الرياض ووشيها ، ومافيها من نور باسم وزهر ضاحك وعشب يانع ، ونواعير حادية ومياه جارية . ثم وصف البروز إلى الصيد ، والتضييق على الوحش فى مساربه . والغلمة وما بأيديهم من البندق والأقواس اللدنة . ومواقع الأطيار ومراتعها . والأفق وقت المغيب ، ومهود الليل ، ويقظة الفتية تلمسا للفريسة . بينما يحلك الليل ويرزم الغيم . وهو بين هذا وذاك يصف جياد الصيد وكلابه وبزاته وصقوره وما إلى ذلك .

والقصيدة فريدة فى بابها ، بارعة فى تصورها ، وقد نعود إلى عرضها فى مقال جديد . ونذكر هنا منها ابياتاً على سبيل المثال ، قال فى المطلع يصف ارياض والنواعير :

أثنى شذا الروض على فضل السحب — واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مسفر الابتسام — وزهر يضحك فى الأكمام
إن كانت الأرض لها ذخائر — فهى لعمرى هذه الأزاهر
قد بسطتها راحة الغمائم — بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم — تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى حماة الرحب — حيث زها العيش به والعشب
أرض السناء والهناء والمرح — والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الترب — وأمهات عصفه والأب
تعلمت نوح الحمام المهتف — أيام كانت ذات فرع أهيف
فبكاها من الحنين قلب — لا سيما والماء فيها صب

ويستطيع طلاب الموازنات ، ومحبو المقارنات ، أن يجدوا مجالاً واسعاً للموازنة بين قصيدة ابن نباتة هذه ، وقصيدة أخرى لمعاصره صفى الدين الحلى . فقد كان صفى الدين أحد الأدباء الذين هو وا إلى حماة ، فى عهد ملكها المؤيد . فنال من جداه ، ونعم بهداياه ، ومدحه بقصائد غر ممتعة . وقد شهد صفى الدين وفاة المؤيد عام ٧٣٢ هـ ، ورثاه . ثم هنأ ابنه الأفضل بملكه الجديد ، ثم مدحه بقصائد أخرى نفيسة . من بينها موشحة نظمها عام ٧٤٠ هـ وصف فيها رماية البندق والصيد والقنص فى مرج من مروج حماة ، وفيها يهنىء الأفضل بعيد الفطر . وفى مطالع هذه الموشحة يقول :

قم بى فقد ساعدنا صرف القدر — وجاء طيب عيشنا على قدر
فكم علا قدر امرىء وما قدر — فارضع بنا در الهنا إن تلق در
فالشهم من حاز السرور إن قدر
وقد صفا الزمان والأمان — وأسعد المكان والإمكان
وأنجد الإخوان والأعوان — وقد وفت بعدها الأزمان
والدهر تاب من خطاه واعتذر

ومنها يصف الأطيار :

أما ترى الأطيار فى تشرين — مقبلة بادية الحنين
قريقها ناب عن الأنين — إذا رنت نحو المياه الجون
يأمرها الشوق وينهاها الحذر

هذه أبيات من قصيدة صفى الدين التى نود لو نتناولها — أو يتناولها أحد الأدباء — فيوازن بينها وبين « مصائد الشوارد » لابن نباتة . فالشاعران متعاصران . والقصيدتان صيغتا فى مدح ملك واحد هو الأفضل صاحب حماة . والمناسبة التى قيلت فيها إحداهما ، شبيهة بمناسبة الأخرى . فقد قيلتا فى وصف رمى البندق

والخروج للصيد فى مصاحبة الأفضل . واستلهم كل من الشاعرين أوصافه من واد من وديان حماة — ولعله واحد لا وديان — هذه أمور ومشابه بين القصيدتين تحبب فى الموازنة بينهما وتعين عليها. ولا أدرى بالضبط متى قيلت مصائد الشوارد ، وفى أية سنة ، وفى أية رحلة . فلعلها هى نفس السنة ونفس الرحلة التى كان فيها صفى الدين . نقول ذلك بمناسبة مانشعر به من تشابه فى الموضوع والتصوير والخيال بين القصيدتين . مما يدل على اتحاد منازعهما .

ومهما يكن من شىء فإن القصيدتين وما عداهما من شعر الشاعرين الكبيرين ، وشعر زميلهما الذى قنى على آثارهما ، وأعنى به ابن حجة ، وشعر غيرهم من أدباء حماة ، قبس من وحيها ، وجذوة من إلهامها ، ووقدة من سناها . وقد مات صفى الدين عام ٧٥٠ هـ ، وابن نباتة عام ٧٦٨ هـ ، وابن حجة عام ٨٣٧ هـ ، ومات غيرهم من شعراء حماة وأدبائها ، وبقى شعرهم وأدبهم خالداً محدثاً بمـا كان لحماة فى نفوسهم من أثر ، وما كان لوحيها من بعث ، ولإلهامها من رجع ، ولسناها من إشراق .

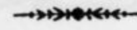
(الإسكندرية)

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

١٢ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

الحـــالة الاجتماعية

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود



يعيش أهل النوبة عيشة بسيطة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، فحياتهم أشبه ما تكون بحياة أهل الريف ، إلا أنها غير دسمة ، فليس فيهـا الطيور المختلفة والحيوانات الســمينة ، بل الطيور لا تكاد تجد بها غير العظام والريش ، والحيوانات عجاف ، لايكاد يشارك العظم والجلد شىء من اللحم !

وأكثر الأهلين يشتغلون بالزراعة المحدودة المسـاحة طول العام ، والتى يبدأ موسم اتساعها غالباً فى شهر مايو من كل عام ، إذ تنخفض مياه النيـل ، فتنكشف الأرض التى غمرتها مياه الخزن ، فيزرع الأهلون هذه الضفاف التى كانوا يملكونها قبل التعلية الأخيرة ، والتى أعطتهم الحكومة تعويضاً عنها ، ولا يكادون يتركون منها شبراً بغير زراعة .

وتجود زراعة الحبوب من القمح والذرة والشـعير وبعض الخضر والبقول ، إلا أنه تكثر زراعة نبات (الـكشرنجيج) وهو نبات يشـبه الفاصوليا أو اللوبيا فى شجيراته وثماره . ولهذا النبات قيمته الغذائية الـكبيرة ، لأنهم يأكلون ثماره ، ويتخذون أوراقه وسيقانه غذاء أساسياً لدوابهم ومواشيهم ، والسعيد منهم من يدخر من هذا النبات كمية كبيرة تكفى مواشيه طوال مدة الشتاء ، حين تمحل الأرض وتجدب وتجف الأوراق ولا تكاد تجد في هذه المنطقة على ضفاف النيل خضرة ، إذ تغطى مياه الخزن جميع الأرض ، ويبدو النخيل غارقاً فى النيـل كأنه يحتضر ويستغيث !

وقد قامت وزارة الأشغال بإنشاء مشروعات للرى ، فأحيت بهذه المشروعات الآلية آلاف الأفدنة ووزعتها الحكومة على بعض النوبيين الذين رغبـوا فى شرائها ممن ذهبت مياه الخزن بأراضيهم ، وهى تستغل الآن أحسن اسـتغلال ، وتكاد تقوم بتموين بلاد النـوبة فى كثير من الأغذية الضرورية ، وبخاصة بلانة ، والملاقى ، والدكة ، حيث تعطى هذه الأرض أجود المحاصيل . وتمتاز هـذه المشروعات بالرى الدائم والزراعة طول العام دون ارتباط بارتفاع النيـل أو انخفاضه ، ولا بانكشاف الأرض أو انغمارها . وقد جذبت هـذه المناطق الزراعية شباب النوبة إلى حد ما لـكثرة ما تتطلبه من الأيدى العاملة والجهود المتعاونة ، ولا يزال الـكثيرون موزعين فى القاهرة والأسكندرية وغير ذلك من مدن القطر ، ويرسلون إلى أهليهم بعض ما يكفيهم من المؤن والنفقة ، ولهذا يكثر النساء والأطفال والشيوخ فى البلاد كثرة تفوق الحد وتسترعى النظر والاهتمام ، وتتجسم هذه الظاهرة بوضوح عندما يحل فصل الصيف فيسافر تلاميذ المدارس الابتدائية والقسم الثانوى فى غيبة إلى ذويهم وأولياء أمورهم فى شتى مدن القطر ، فلا يكاد يقع نظرك حينئذ على شاب أو صبي !

وما أحوج النـوبة إلى أيدى أبنائها الذين هجروها ولا يزورونها إلا فى النادر القليل ، ولا يكاد يمكث الواحد منهم

أكثر من بضع ليال ، أو بضعة أيام ، ريثما تعود الباخرة التي جاءت به لتحمله مرة أخرى إلى الشلال ، حيث يتمتع في مكان عمله بما لا يجده في وطنه الأصلي من متع ولذاذات ...

أجل ، ما أحوج النوبة إلى أيدي شبابها وسواعدهم وبخاصة في هـــذه الأيام التي تتجه فيها الحكومة المصرية إلى تنفيذ المشروعات النافعة التي تجعل من هذه المنطقة جنة وارفة الظلال دانية القطوف تمسح عن أهليها كل ما قاسوه من آلام جسام ، وأهوال عظام ، في سبيل رفاهية مصر وسعادة أبنائها وزيادة ثروتها وكثرة خيراتها عن رضا وإيمان بحق الوطن في التضحية والإيثار ! !

والملاكون قليلون ، فأكثر الذين أخذوا التعويض من الحكومة أنفقوه على أنفسهم وملاذهم ، أو في بناء بيوتهم التي أغرقت هي الأخرى لانخفاضها عن منسوب التعلية الأخيرة ، وكان الأجدر بالحكومة أن تعوضهم بدلاً من أرضهم التي انتزعت منهم أرضاً مستصلحة معدة للزرع والنتاج ...

وفي النوبيين أناس على درجة من الفطنة والذكاء والميل للأعمال الحرة ، وقد قام هؤلاء بتكوين شركات زراعية وجلبوا لها أحدث الآلات الزراعية على اختلاف أنواعها مما تقوم باستصلاح الأراضي البور وحرثها وريها وإعداد الغلات وغير ذلك .

***

وتكثر في بلاد النوبة بعض الصناعات اليدوية الصغيرة كصناعة الأطباق والحصر والسرر من الخوص والقش والجريد ، ويتجلى فيها الذوق الفني السليم ودقة الصنع ، ويقوم بهذه الصناعات في الغالب النساء والفتيات في بيوتهن ، وتعنى الحكومة الآن بدراسة هذه الناحية بواسطة بعض مبعوثيها لإدخال بعض الصناعات الصغيرة التي تناسب البيئة وتشجيعها لتنمو وتكبر عن طريق المصانع الصغيرة أولا في البلدان المزدحمة بالسكان والتي تكثر فيها الأيدي العاملة ، ويشرف عليها موظفون مختصون مهمتهم أولا تعليم أكبر عدد ممكن من الأهلين بنين وبنات ، ولكن المشكلة القائمة الآن هي صعوبة المواصلات بين هذه البلاد بعضها وبعض ، وعسى أن تحل هذه المشكلة وتذلل هذه العقبة حتى تسود هذه المنطقة صبغة صناعية ويجرفها التيار الصناعي ، وبخاصة حينما تكفيها كهربة الخزان مؤونة الوقود ، وتتكشف للناس كنوزها الدفينة من ذهب وقصدير وحديد .

***

والبيت النوبي على درجة كبيرة من النظافة وحسن التنسيق تلمس النظام في كل ناحية من نواحيه وركن من أرجائه ، سواء في ذلك بيت الغني والفقير ، والفرق بينهما في بناء البيت نفسه ومواد البناء ، فبيت الغني متسع رحب مبني بالحجارة من الجبال المحيطة به متعدد الحجرات ، وبيت الفقير في الغالب من الطين ، وسقفه من جذوع النخيل وسعفها ، ولكنه مع ذلك يشرح الصدر ويملأ القلب راحة وطمأنينة وهدوءاً ، ومن جذوع النخيل وسعفها يسقف الغني بيته كذلك ، إلا أنه يطلي السقف بطلاء ملون ، ويزخرفه زخرفة فيها كثير من العناية والمبالغة ، بحيث يبدو كقطعة فنية جميلة من أجود أنواع الأخشاب ، عملت فيها اليد الصناع عملها ، حتى أصبحت تستهوي العقول وتجذب الأنظار وتعجب لهذا الذوق السليم في كيفية البناء نفسه ، فالبيوت بوجه عام تتكون من طابق واحد ذي فناء واسع ، ومن النادر أن تجد بيتاً من طابقين ، وحول البيت بناء قصير بارز يشبه المصطبة في ريفنا ويستعمل استعمالها ... وشكل البيوت من الخارج هرمي تقريباً ، وبالغرف فتحات صغيرة مستطيلة ومثلثة قرب السقف الغرض منها التهوية الدائمة ، وحجرة الجلوس واسعة مستطيلة قد يبلغ طولها في بعض البيوت اثني عشر متراً ، والأبواب والنوافذ تدهن بألوان زاهية جداً ، وقد يكون لبعض البيوت الكبيرة شرفات مسقوفة في الغالب لاستقبال الأضياف والترويح عنهم ، ويزخرف المنزل من الخارج بأطباق الصيني الملونة تغرس في البناء نفسه بشكل منظم جميل يراعى فيه التناسب ، كأنما وضع تصميمه مهندس معماري بارع ، وقد يستغنى عن الأطباق الصينية بقوالب من الطوب توضع بشكل بارز بحيث تكون أشكالاً هندسية دقيقة ، فمن دوائر وأقواس إلى مستطيلات ومربعات ومثلثات وزوايا ، مما يزيد البيت روعة وجمالا ، وفي ناحية الشلال حيث تقل الزراعة ويقل النخيل يجعلون سقوف بيوتهم على شكل القباب . ولا تكاد تجد لبيوتهم أفنية إلا في النادر القليل ، وعلى العكس من ذلك المنطقة الجنوبية

إذ لا يكاد يخلو بيت من فناء رحب ...

وأثاث البيوت فى العادة هو (المنجريب) ، وهو سرير من الخشب والجريد توضع فوقه حشية إذا كان معداً للنوم ، أو السجاجيد العجمية الفاخرة إذا كان معداً لجلوس الأضياف ، ولا بد من وجود هذه السجاجيد فى كثير من البيوت ، سواء منها بيت الغنى والفقير .

وفى كل بيت الأطباق الصينية والملاعق والأكواب المختلفة بكثرة عجيبة ، وهى فى الغالب من الأنواع الغالية الثمن ، بحيث إذا أعدت المائدة لضيف ما ، لا يشعر أبداً أنه فى غير القاهرة ، بل وفى بيت يهتم بهذه الأدوات ويجملها فى مقدمة ما يعنى به !

والنوبيون يبالغون فى إكرام الضيف ، وأول ما يقدمونه له (الفشار) وسط طبق من الخوص وحوله البلح الجاف ، فيأكل الضيف من هذا وذاك ، ثم يقدم له الشاى ، حتى إذا جاء الموعد قام إلى مائدة لا تختلف فى تنسيقها ونظامها وما حشد فيها من أنواع اللحوم والطيور والحلوى عن موائدنا الحافلة وولائمنا الفاخرة ، وكأنما هى هى !

***

وإذا كانت بيئة العربى دفعته إلى الكرم والإيثار والبذل عن طواعية ورضا ، فإن بيئة النوبى الجافة القاسية ، والجرداء الماحلة فى أكثر أيام العام دفعته إلى العطف الشامل والحب المتبادل لأفراد بيئته الذين يعتبرهم منه بلا خلاف يؤثرهم على نفسه ويخصهم بالنعمة دونه ... فإذا أقبل المساء خرج من كل بيت ما فيه ، واجتمع أهل النجع وتناولوا جيمعاً عشاءهم فى هدوء واطمئنان ، ولا يضير المعدم والحالة هذه ألا يجد ما يخرجه أو يأتى به ، بحيث يصيب كل واحد ما يسد جوعته ، فلا يبقى من يشكو ألم الجوع أبداً ...

وذوو المراكز السامية من النوبيين عندما يذهبون إلى بلادهم يتركون فى القاهرة ألقابهم وأوسمتهم ، ويلقون إلى حين رداء المدنية الخلاب ، لأن هذا لا يجوز فى شرعة أهليهم وذوى قرباهم الذين لا ينادونهم مهما ارتفعت مكانتهم وسمت منزلتهم بأكثر من أسمائهم المجردة فى بساطة وسذاجة بلا تعمل أو تكلف والجميع هناك أهل وأقارب وأولاد عمومة وأبناء خئولة ، لا فرق بين الكبير منهم والصغير والعظيم والحقير ...

وللنوبيين جميعاً ولع بشرب الشاى المركز ، فهم لا يشربونه إلا بعد أن تلقى فى الماء كمية كبيرة ويغلى مرات ومرات بحيث يكون فى النهاية أسود اللون مر المذاق ، ولهذا فإن للسكر هناك سوقاً سوداء ، بحيث تباع الأقة منه بخمسة وعشرين قرشاً أو ثلاثين أحياناً ، وهم معذورون لأن الشاى يقوم عندهم مقام الفاكهة التى لا توجد هناك إلا نادراً ...

وبعد ، فهذه صورة عاجلة عن الحياة الاجتماعية العامة فى مجموعها ، وهناك نواح كثيرة فى حاجة إلى الإفاضة والبحث ، ولكن ليس هذا موضعها لحاجة كل ناحية إلى الإفراد بالحديث وعسى أن نوفق إلى هذا إن شاء الله .

عبد الحفيظ أبو السعود

الموشحات وموسيقانا الحديثة

للأستاذ حسنى كنعان

ظن بعض الناس ، وإن بعض الظن إثم ، أنى بما كتبته عن المعهد الموسيقى الشرقى بدمشق وعن النهضة فى الموشحات ولزوم إحياء موات موسيقانا القديمة أننى انبعثت أدعو الناس إلى تعلم هذا النوع من الفن البالى على زعمهم ، والعزوف عن الحديث ولزوم مقاطعته ، ولذا أخـذوا يمتونوننى بالرجعى الجامد . ودفعاً للالتباس أريد فى كلمتى هذه أن أضع النقط على الخطوط التى تعتلج فى ضميرى لإحياء قديم هذا الفن والنهوض به فأقول :

ليست الموشحات وحدها هى التى تبعث الموسيقى من رقادها وجودها ، ولا الأدوار والقصائد الموقعة على الأوزان مثل التى كان ينشدها الشيخ أبو العلاء محمد أستاذ الآنسة أم كلثوم ، ولا المنلوجات الحديثـة والأغانى الدارجة التى تسمى « طقاطيق » ولا المواويل والأغانى الشعبية الطاغية فى هـذا العصر ، وإنما الذى ينهض بالفن الجمع بين هذه العناصر جميعها ، فحفلة تقوم على نوع واحد ولون خاص من هـذه الألوان والأنواع الفنية يكون مآلها الإخفاق والضجر والملل . ولا بد من التنويع ، وعدم الاكتفاء بنوع واحد ، فالآذان والأرواح تتغذى بالفن كما تتغذى الأبدان ، والاقتصار على نوع واحد من أنواع الطعام يفسد المعدة ويدفعها إلى الملل والعزوف عن الأكل . ولقد كان الأقدمون يجعلون الموشحات فى القدمة من حفلات السمر والتلهى ، ويليها الدور والقصـيدة ، والأغنية « الطقطوقة » والموال ، وبهذا الترتيب والتنويع كانت تحصل النشوة والطرب وتدوم الحفلات لديهم من مغيب الشمس حتى مطلعها دون أن يعترى السامعين الساهرين المغتبطين شئ من الإملال بعكس ما هى عليه حالنا اليوم . نكتفى بعرض قطعاتنا التجارية الرخيصة المبتذلة المخنثة نقلد فيها أبطال مطربى الأفلام السينمائية ، فتارة نتغزل بالبنزين : يا أوتمبيل يا جميل ما احلاك ، وتارة بالقطـار : يا وبور قل لى رايح على فين ... وتارة وتارة ... فلا ينتهى المزيع الأول من الليل على السمار حتى يأخذهم من الملل وضيق النفس التثاؤب ويرنق النـوم على أجفانهم فيتركون الحفلات دون أن يتمموا المدة المخصصة لختامها .

وهذا ما دعانا إلى امتـداح الموسيقى القديمة وطرق عرضها ولزوم إحياء مواتها لنعيد بها ليالى السلف ، فنتذوق طعم هذا الفن كما كانوا يتذوقون ، ونطرب له كما كانوا يطربون ، فأين ليالى اليوم من ليالى أمس فى عهد الحمولى ، والمنيلاوى ، وسلامه حجازى ، والبولاقى ، والسفطى ، وغيرهم من كبار فنانينا الأقدمين ؟ وأين الأنس والطرب فيها من لياليناالقائمة ؟ فهذه تنتهى بأسرع وقت ، وتلك كانت تدوم حتى مطلع الفجر فلا يعرف الساهرون اللاهون كيف كانت تمر لياليهم من شدة لهوهم وهيامهم . ولقد كانت تستغرق آه واحدة من آهات الحمولى كما روى لنا المعاصرون له ساعة كاملة على التحقيق وهو يكررها بمختلف الأنغام ، وكل نغمـة منها كانت تحدث فى الساهرين من الشجو أضعاف ما تحدثه سابقتها ، ولذا خلده أمير الشعراء ساكن الجنان بقوله فيه :

يتمنى منـه أخو الشجو آها	حين يلحى تكون من أعذاره
يسمع الليل منه فى الفجر ياليل	فيصـغى مستمهلا فى قراره

هـكذا كانت ليالى الأقدمين ، وهـكذا كان سحر فنهم . أما ليالى اليوم فإنك لا تكاد تجلس لتسمع فيها إلى صوت مغنية أو مغن ، حتى تخالك فى مأتم تصغى فيه إلى أصوات النادبين والنادبات والنائحين والنائحات لفسولة غناء هذا العصر وبعده عن مواطن الطرب ...

فجل الغناء المصرى إن لم نقل كله من النوع الحزين الباكى الذى يقتل الشعور المشبوب والعواطف الفياضة . فإذا كنا نحن دعونا الناس فيما كتبناه إلى إحياء موات القديم فذلك لاعتقادنا أن الموشحات القديمة والأدوار تعد قواعد أساسية للفن الموسيقى كالنحو والصرف للتمكن من اللغـة العربية ، فإذا قدر لمثل صاحب قطعـة « بلاش تبوسنى بعينى » ولمثل صاحبة قطعـة « نامى يا ملاكى » الخلود فلن يخلد إلا بالقطعات التى جاريا فيها الأقدمين ، كقطعة « يا جارة الوادى » البياتية النغمة ، وتلفتت

ظبية الوادى ، من نغمة الحجاز ، وقطعة وحقك أنت المنى والطلب من نغمة السيكا ، وقطعة سلوا قلبى ، من نغمة الرصد . فهـذه قطعات ذات نغمات شرقية جارى بها أصحابها الأقدمين وساروا باللحن على غرارهم ؛ فيها وبألحانها لا بغيرها تخلد أسماؤهم وهذا ما حفز الآنسة أم كلثوم على الإيعاز لملحنيها أن يكثروا من تلحينهم لها القطعات ذات الأنغام العربية المعروفة المألوفة ، لجددت بهذا شباب فنها الهرم ذى اللوثة الإفرنجية الدخيلة .

أما الموشحات التى مرّ معنا ذكرها فى البحث السالف فليست كلها أندلسية ، ومعظم المتداول منها الذى يُنشد فى الحفلات ويُذاع على الناس من الموشحات التركية المستعربة ، ودليلى على ذلك أنه لا يخلو موشح فيها من قولهم فى تقاطيعه وطياته من كلمتى « جانم وأمان ، يللى ويللالى » ولا جرم أن الموشحات الأندلسية لها قيمتها وروعة معانيها وأنغامها بالنسبة إلى التركية المتداولة المعروفة : وإليك نوعا من هذه الموشحات من النغمة الجهاركاه يُنبئك عن روعة هذا الفن القديم الأندلسى ...

كللى ياسحب تيجان الربا بالحلى واجعلى سوارك منعطف الجدول
ياسما ، فيك وفى الأرض نجوم وما كلما ، أغربت نجما أشرقت أنجما
وهى ما ، تهطل إلا بالطلا والدما فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى
من ظلم، فى دولة الحسن إذا ماحكم فالسدم، يجول فى باطنه والندم
لا أريم ، عن شرب صهباء وعن عشق ريم
فالنعيم ، عيش جديد ومدام قديم
أسفرت ليلتنا بالأنس منذ أقمرت بشرت بلقا المحبوب واستبشرت
طوّلى، يا ليلة الوصل ولا تنجلى واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

فأين روعة هذا الموشح الأندلسى المقتضب بتصرف من موشحاتنا اليوم . ولو استعرضنا جميع ما تقع عليه العين من الوشحات القديمة لألفيناها من هـذا النوع الساحر الأخاذ ، وهـذا ما حدا بنا إلى الدعوة لإحياء مواتها والعناية بها . فإذا كان الحمولى قد كتب له الخلود فلم يكتب له عن طريق الفنّ وحده ، وإنما كتب له عن طريق التجويد فى ابتكار أروع القطعات الأخاذة المعانى ، وإليك نموذجاً من أدواره فى نغمة الحجاز كار :

الله يصون دولة حسنك على الدوام ، من غير زوال
ويصون فؤادى من جفنك ماضى الحسام ، من غير قتال
أشكى لمين غيرك حبك أنا العليـــل ، وأنت الطبيب
إسمح وداوينى بقربك واصنع جميل ، إياك أطيب

وأنا أعرف مغنياً من هذه الطبقة سمعته فى حداثتى يدعى محمد سالم ، وكان يزيد عمره على المائة سنة ، سمعته فى حفلة سمر خاصة ، وأذكر أن أحد الحاضرين قد استخفه الطرب فقذف بنفسه فى نهر يزيد فى الربوة بملابسه من شدة ما عراه من الطرب والشجن ، وما فتئت إلى الآن أتخيله كالأخطبوط يغوص فى النهر بضرب وجهه من غير شعور كأنى أشاهده الآن .

أما البعض من مطربى هذا العصر فإنك لتهم أن تلقيهم فى النهر وتبيدهم تخلصاً منهم ، أو أن تلقى بنفسك منتحراً إذا كان ليس بمقدورك أن تلقيهم وتبيدهم فراراً مما تسمعه وتراه ...

(دمشق) حسنى كنعان

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

تعلن كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول عن حاجتها لملء وظيفتى معيدين من الدرجة السادسة بقسم الجغرافيا بها ويشترط فى المرشح أن يكون حاصلاً على درجة الليسانس الممتازة من قسم الجغرافيا بكلية الآداب أو على درجة الليسانس العادية بتقدير جيد جدا على الأقل

وتقدم الطلبات فى موعد لا يتجاوز ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب موضحاً بها المؤهلات الدراسية وجميع ما يتصل بالطالب تفصيلا ٤٧

لقد طـــار لأول مرة ..

للكاتب الإيرلندى ليام أفلا هبرتى

للأستاذ محمد سعد الدين وهبة

وقف العصفور الصغير وحيداً أمام عشه ... لقد تعلم أخواه وأختـه الطيران فى اليوم السابق ، ولـكنه لم يجرؤ على الطير معهم ... وحينما كان يجرى على فرع الشجرة الممتد أمام العش وحينما يبلغ نهايته ويوشك أن يرفع جناحيه يحس بالخوف فيجمد فى مكانه ... كان البحر منبسطاً هناك فى أسفل ... عدة أميال بينه وبين سطح البحر ... كان يشعر بشعور مؤكد أن جناحاه لن يستطيعا حمله فكان ينكس رأسه فى ذلة ثم يعود إلى عشه الصغير ... وكان إخوته يحومون حـوله يحثونه على الطيران ... فكان أبوه وأمه يدوران حوله يؤنبانه على خوفه وجبنه ، ويهددانه بحرمانه من الطعام وتركه فى العش يموت جوعاً إذا لم يطرح عنه الخـوف ويبدأ فى الطير ... ولـكنه كان يريد الاحتفاظ بحياته فلم يغادر العش ... ومر أربع وعشرون ساعة ولم يقترب منه أحد.

وفى اليوم التالى أخذ يرقب أباه وأمه يطيران مع إخوته يصححان لهم أوضاعهم ، ويعلمانهم كيف ينقضون على البحر إذا شاهدوا سمكة طافية ... وكيف يتناولونها بمنقارهم ثم يرتفعون فى سرعة . ورأى أخاه الأكبر يصطاد سمكة ثم يأخذها إلى حجر نائىء بعيد حيث جلس يلتهمها وحوله باقى أسرته يصيحون فى فرح وزهو . ثم طار الجميع إلى الصخرة البعيدة بعد أن مروا به يسخرون منه ويعيرونه بجبنه وخوفه ...

وأخـذت الشمس ترتفع فى السماء وترسل أشعتها المتألقة وحرارتها الوهاجة ... فأحس بالدفء ... إنه لم يذق طعاماً منذ المساء السابق ... أخـذ يرتعد ثم فكر فى طريقة يصل بها إلى أسرته طريقة تستوجب الطيران ... ولـكن لم يكن هناك سوى البحر الوسيع يمتد من تحته ... وأراد أن يلفت نظرهم إليـه فوقف على رجل واحـدة ووضع الثانية تحت جناحه ... ثم أغمض عينيه وتظاهر بالنوم ... وفتح عينه فشـاهد إخوته يتمرغون على الصخرة فرحـين ... أما أبوه فكان ينكش ريشه بمنقاره ... وأمه ... كانت هى التى تنظر إليه ... ومن لحظة تنهش قطعة من السـمك ملقاة تحت رجليها ... وأثاره مرأى الطعام حتى كاد أن يجن ... كم يحب أن يذوق السمك ... ولم يلبث أن صاح صيحة ضعيفة يستعطف أمه أن تحضر له بعض الطعام. ولـكنها أجابته بالرفض ... ثم انطلقت من حنجرته صيحة فرح . لقد شاهد أمه تقبض على قطعة السمك بمنقارها ثم تطير متجهة إليه ... وجرى إلى نهاية الفرع فى شغف وأخذ يدق الفرع فى سرور ... وحينما قربت أمه منه توقفت عن الطيران ثم حلقت فى الفضاء وقطعة السمك فى منقارها ... وانتظر أن تقترب منه ... ولـكنها لم تفعل ... وعضه الجوع ... وفجأة قفز إلى قطعة السمك ولـكنه ... أخـذ يسير إلى الهاوية وحينما مر بأمه سمع صوت أصطفاق جناحيها ... ثم لم يعد يسمع شيئاً ... بقيت لحظة ... لحظة واحدة بعدها سوف يسقط فى البحر ... ففرد جناحيه ... وأحس بالهـواء يدفعه فحرك جناحيه ... إنه لا يسقط الآن ... ولـكنه يرتفع ... وغادره الخوف ... لم يعد يهـاب شيئاً ... إنه يطير ... إنه يطير ... وأطلق صيحة فرح ... ورأته أمه يطير فأخـذت تصيح فرحاً ... ثم رأى أسرته وقد التف أفرادها به ونسى أنه لم يكن يعرف الطيران فأخذ يحلق فى السماء ... يطير مرتفعاً ثم ينخفض ... يطير مشرقاً ومغرباً ... والسرور يملأ نفسه ... ولـكن ... لقد صار فوق البحر ... والسطح الأخضر تحته تماماً ... ورأى أبوه وأمه وأخوته وقد حطوا فوق البحر ... وأخذوا ينادونه فى سرور ... أخذ ينخفض حتى بلغ سطح البحر فأسقط رجله على السطح الأخضر ولـكنها غاصت فيه ... وصاح من الخوف وأراد أن يرتفع ثانية ... فأخذ يضرب بجناحيه ... ولـكنه كان تعباً ... ضعيفاً من الجوع ... لم يستطيع الارتفاع فترك أرجله تغوص ... ثم شعر بالماء يلمس جسده فارتعـد ... ولـكنه لم يغص أكثر من ذلك ... لقد طفا جسده فوق الماء . والتف حوله أفراد أسرته يصيحون فرحين ثم تقدموا منه وبمنقار كل قطعة من السمك ... فرموها إليه ثم أخذوا يعودون فرحين. فقد طار صغيرهم لأول مرة ... ؟

محمد سعد الدين وهبه

الدوحة الذاوية

للأستاذ محمد محمد على

كانت تنشر ظلالها على ذلك الغدير الرقراق الذى تلتقى عنده مدارج السيول وتنعكس على صفحته ألوان السحب التى تظلل سماء القرية وكان الخريف يبتسم لها فتورق وتزدهر غير أنه فى هذه المرة تنكر لها فغادرها شبحاً لا رواء فيه ولا ماء.

زينة الحى جردتك الأعاصيـ ... ـير فواها للمـــة الخضراء
كنت كالغادة المدلة تستجـ ... ـلى رؤى من جمالها فى الماء
كنت طيفاً من الجمال وضيئاً ... لابتســـام الخميلة الفيحاء
كنت فناً إزاءه كل فن ... مستخف كالقطر فى الدأماء
رب حسناء تحت ظلك أزكت ... وقد حسى بالمقـــلة الحوراء
وابتسام وميضه فى حياتى ... كافترار البروق فى الظلماء
رب شرب أقام حولك عرساً ... بابلياً فى ليـــلة حمراء
يا عكاظ الطيور أين نشيد ... عبقرى للقينة الورقاء
أين تلك الوكون تطفح بشراً ... أين ظل يرف فوق الماء
واضطراب النسيم يخرج قسراً ... من فروع نضيرة ميساء
وائتلاق الشعاع فوق اخضرار ... سندسى فى الليلة القمراء
ذاك عهد طوته منك الليالى ... فى سموم وزعزع نكباء
أنت مثلى وكل من بات مثلى ... غارق فى غيـــابة الأرزاء
عقنى الدهر فى رجائى وأهلى ... وابتهاجى بخيرة الخلصاء
الظلام الظلام يفعم نفسى ... ويح نفسى من وحشة الظلماء
والصباح المأمول مات بأفق ... فى غيوم النحوس والبأساء

* * *

جاءك الغيث والبروق اشرأبت ... من فروج السحائب الدكناء
أغمضت أعين النجود فردت ... سهم لحظ يشير فى استهزاء
غرها الخلد والشباب نضير ... وانطلاق فى القبة الزرقاء
واضطراب فى الأرض يصرع جيلا ... إثر جيل من سائر الأحياء
نحن من عنصر التراب ولكن ... فى سمو الوضيئة الزهراء
ليس للأنجم الوضيئة خلد ... بل رحاب الخلود للشعراء
آه لو كان للأسير جناح ... مستقر يهتز فى الأجواء
كان يستبطن السماء ويدنى ... فلسفات الغيوب للغبراء
كان يحبو مع الشموس بعيداً ... عن نطاق الصباح والإمساء
كان يبنى لقومه شرفات ... شامخات فى هامة الجوزاء
نحن أحرى من النجوم بخلد ... يرسل النور من جبين السماء

* * *

جاءك الغيث فارشفيه كئوساً ... تطلق الغصن من وثاق الفناء
حسرتا للغصون أوسمها الدهـ ... ـر جوداً كالصخرة الصماء
زينة الحى كل شىء بهيج ... كل شىء يختال فى السراء
غير شخصين ضارعين أقاما ... فى رحاب الوجود رهن شقاء
ها هو الدوح مورقاً فيناناً ... ها هو التل معشب الأرجاء
ها هو الطير ناشطاً يتغنى ... فى اصطخاب مجاجل الأصداء
صرت قبراً على الطريق ولكن ... حرمتك الشفاه همس الدعاء
أنت منا لو يعلمون وإن لم ... تشركينا فى سحنة ودماء
رب صخر تهفو القلوب إليه ... وابن أم كالحية الرقطاء
سجد الناس للصخور قديماً ... وتهادوا بالغادة الشمواء
لست أنساك ما تألق برق ... فى حواشى سحابة وطفاء
تحدر السيل فى المدارح كالخيـ ... ـل خفافاً تستن للهيجاء
يفعم النفس رهبة ويدوى ... كدوى العواصف الهوجاء
يخرج الحي من شقوق الروابى ... هارباً من تزاحم الضوضاء
يركب النجد مانحاً يتنزى ... ثم يغنى فى مهجة البطحاء

محمد محمد على

شاعرة مصرية

مهداة إلى « الأستاذ العباس » بمناسبة قوله في « عدد الرسالة ٧٨٤ »: هل عندنا شاعرات .

شمس الدين السخاوي المؤرخ النقاد للقرن التاسع الهجري أفرد جزءاً خاصاً من تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (*)) لتراجم النساء في الشرق ، ومنه أنقل بإيجاز ترجمة الشاعرة المصرية فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمود بن شيرين : ولدت بالقاهرة سنة ٨٥٥ ، ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسر ، وتزوجت الناصري محمد بن الطنبغا ، واستولدها ابنتها فاطمة وغيرها ، ثم مات عنها ، فتزوجها العلاء علي بن محمد بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق ، فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها في ذلك مع براعتها في النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه . وقد حجت سنة ٨٨٤ سنة حج الملك ، ثم سنة ٨٨٦ ، ثم سنة ٨٩٤ وجاورت في هذه بجوارنا ، ثم في سنة ٨٩٨ مع ابنها وجاورا في التي تليها .

ومما كتبت به إلي من نظمها بعد مجيء الخبر بموت أخوي :

قفا واسمعا مني حديث أحبتي ... فأوصاف معناهم عن الحسن جلت
تجمعت الخيرات فيهم وقد حبوا ... من الله مولاهم بأعظم منة
وأما التي أدعو لها الله دائماً ... فآمنة فيكم لآخر مدة
وإن كرهت من حادث الدهر فرقة ... لجنة عدن بالمكاره حفت
أثابكم ربي وأعظم أجركم ... على فقد أحباب وأحسن جيرة
كرام سموا علماً وحلماً وسوددا ... وكنتم بهم في غبطة ومسرة
قطعتم لذيذ العيش وصلا بقربكم ... فوا أسفا عند الفراق وحسرة
نعم هكذا أيدي المنية لم تزل ... تفرق إخواناً على حين غفلة
فكرر لذكراهم على السمع ربما ... به سيدي عن رؤية العين أغنت
فهم في سويداء الفؤاد وإن نأوا ... ومنزلهم مني مكان سريرتي
لهم برسول الله إذ ذاك أسوة ... أثابهم الله الجزاء بجنة
وإن أفلت تلك البدور التي زهت ... فها شمس دين الله خير ذخيرة
هو العالم الحبر الإمام الذي له ... بفضل علوم شهرة أي شهرة
فليس له في حضرة غير منحة ... وليس له في خلوة غير جلوة
فأنتم خيار الناس حقاً بلا امترا ... فديتكم من كل سوء بمهجتي
حماكم إله العرش من كل حادث ... لتنفع بالآداب كل الخليقة
بحق نبي جاء للخلق رحمة ... محمد المبعوث من أرض مكة
عليه صلاة الله ما هبت الصبا ... وتحمل أشواق إلى نحو طيبة

وكتبت إلي بغير ذلك ، ومنه وقد بلغها عن بعضهم كلام :

يا سيداً ما له مثيل ... من في المهمات أرتجيه
ماذا ترى في امرئ خبيث ... يحسد ذا سودد عليه
فاسمع كلام امرئ لبيب ... للجاهل رام يزدريه
ما ضر بحر الفرات يوماً ... لو خاض بعض الكلاب فيه

ومنه حين طالعت كتابي « ارتياح الأكباد » لتتسلى عن بنت أثكلتها ، سائلة عن شيء من الأبيات التي أوردتها فيه فقالت :

يا إماماً قد حاز علماً وفهماً ... وله في الورى محاسن جلت
ما رأى الشاعر اللبيب بقول ... جرح القلب والدموع استهلت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا إذا توالت تولت
لم أطق سيدي بلوغ مداها ... ضعفت قدرتي لذاك وكلت
أخبروني عن نطقه ببيان ... نلت أجراً ورتبة قد تملت

ثم كتبت إلي سائلة أيضاً :

يا أيها الحبر وبحر الندى ... يا حافظاً نقل حديث قديم
يا منحة في دهره لم تزل ... ممتدحاً من كل « فاء وميم »
يا غاية الآمال يا منيتي ... يا من به أضحى غرامي غريم
يا شمس دين الله يا من غدا ... بكل علم في البرايا عليم
ويا سخاوي يا إمام الورى ... من خصه الله بعلم جسيم
أسألك يا شيخ شيوخ النهى ... ومن ثوى في فيه در نظيم
فيمن أتاها عائق عاقها ... عن أمل صارت به في جحيم
قيامها إذ ذاك يا سيدي ... بين مقام زمزم والحطيم
في ليلة أخبرنا أنها ... يفرق فيها كل أمر حكيم
يا من فتاواه إذا أبرزت ... يكاد ذو فهم بها أن يهيم
يهنك شعبان الذي قدره ... ما زال عند الله قدر عظيم
بجاه من أسرى به في الدجى ... وهو للمولى كليم نديم
صلى عليه الله طول المدى ... ما ناح قمري بصوت رخيم

(*) طبع في القاهرة عام ١٣٥٦

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين أيضاً :

يوم أشرت إلى ما نمت عليه مقالات الدكتور طه حسين بك ، من شعور بعدم الارتياح إلى حاله في مصر وتعزيه عن هذا بمكانه في فرنسا — لم ألتفت إلى ناحية ينبعث منها هـذا الشعور ، إذ قصرت الأمر على ما عساه أن يكون بينه وبين الدولة من أشياء لا ترضيه ؛ وهذه الناحية وقفت عليها من كتاب « رحلة الربيع » الذي أخرجته له أخيراً « سلسلة اقرأ » والذي تحدث فيه بخواطر خطرت له في أثناء سفره إلى فرنسا وإقامته فيها وعودته منها إلى مصر في الربيع الماضي .

يقول في موضع من أوائل الكتاب « وكنت قد تركت في مصر شراً ونكراً وإثماً ، وخرجت وفي نفسي شيء من شرهـا ونكرها وإثمها » ويقول في موضع آخر: « إني لظالم للحق ولنفسي حين أحفل بهـذه الضفادع البائسة التي تملأ جو مصر نقيقاً . وما الذي يعنيني حين تثقل على عشرة الضفادع أن أنسل من بينها كما تنسل الشعرة من العجين لأخلو إلى رائع القديم وأخلو إلى رائع الحديث ، وأتعزى بجمال الأدب والفن والموسيقى عن قبح السياسة والمنافع وغدر الغادرين ومكر الماكرين وخيانة الخائنين ! »

ويقول بعد أن يعبر عن اغتباطه بزيارة الأطلال اليونانية في « الأكروبوليس » في أثناء رسو السفينة في أحد ثغور اليونان ، وبعد أن يعبر عن نشوته بسماع موسيقى بيتهوفن عند عودته إلى السفينة في المساء ، يقول مخاطباً نفسه : « وقد أنكرتك مصر أو أنكرت مصر ، فخرجت منها ذات يوم مع الصبح ، ولم تكد تنأى عنها حتى غمرك جمال القديم اليوناني في الضحى ، وجمال موسيقى بيتهوفن في المساء ، فنسيت مصر وأهلهـا ، ونسيت مكر الماكرين ، ولهوت عن غدر الصديق وعن جحود الجاحدين »

إذن فالذي استشمره الدكتور طه من الشر والنكر والإثم في مصر ، مبعثه غدر الأصدقاء ونفاق المنافقين ؛ وليس هـذا غريباً ، بل هو أمر طبيعي لم يكن من الممكن — في طبيعة الأحوال عندنا — غيره ... فقد كان الرجل في منصب كبير من مناصب الدولة ، وكان له سلطان ، وفيه أريحية ، فنثر حوله حباً تساقط عليه طير كثير ، ولصق به كثيرون من محترفي الصداقة . فقدم ورفع وأعطى ومنح . وهؤلاء « الأصدقاء » اللصقاء يعرفون كيف يلبسون لكل حال لبوسها ، كما يصفهم الدكتور ، وقد بلغ الغاية في هـذا الوصف ، ومن ذلك مخاطبته لأي منهم : « وأي شيء أيسر من أن تصفو لي اليوم وتكدر لي غداً ، ثم تعود إلى مثل ما كنت فيه من الصفو ، ثم ترتد إلى مثل ما كنت فيه من الكدر ، وتجعل نفسك على هذا النحو كرة تقذفها من الصلة إلى القطيعة ومن القطيعة إلى الصلة »

وقد تغير هؤلاء المراءون على الدكتور ، لأنه أصبح لا يملك ما كان يملك لهم من المنافع ، فتحولوا عنه إلى غيره يلتمسونها عنده.

ولا شك أن من فوائد هذه المحنة النفسية « الطبيعية » هذا التحليل الرائع لتلون المتلونين ورياء المنافقين ، وتهوين أمرهم ، والسخرية منهم وما إلى ذلك مما تضمنته فصول الكتاب ؛ ومن المحقق أن هـذه المحنة صبغت — وستصبغ — أدب طه حسين بلون جديد .

ويتعزى الدكتور طه عما ترك في مصر من الشر والنكر والإثم بما يلقى في فرنسا من كثير يعبر عنه تعبيراً يشيع فيـه

وكتبت إلى بلغز في إسمي ونسبي في ٢٥ بيتاً أوله :

ألا يا إمام الناس يا أوحد الورى ويا من حوى كل العلوم ولم يزل

ثم بلغز آخر في اسم « محمد » أوله :

يا مفرداً علومه مجمـله وعالماً مولاه قد جمله

وقالت بديهاً في الزين سالم :

أيا سـيداً عم الخلائق بره وإحسانه فرض تضاعف لازم

أعن سائلا يأتيك والدمع سائل ولا تخشى من سوء فإنك « سالم »

ذلك ، وفي « نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي » : عائشة الاسكندرانية المعروفة بزهرة الأدب ، دار محلها يعرف بالروض ، ولها شعر ...

أسامه

الارتياح والاغتباط . وقد عاد إلى فرنسا بعد هذه الرحلة ، رحلة الربيع ، ولا يزال بها إلى الآن ، يعالج جرح نفسه بما يحب هناك ، وما ينسيه ما لقى فى مصر ... ومن حق الدكتور طه حسين على فرنسا أن تيسر له كل ذلك ، فقد أحبها وتغنى بها ، وها هى ذى تستأثر بقلمه ، دون مصر وما فيها من شؤن وشجون ... ومن حق مصر على فرنسا أيضاً أن تشفى لها نفس الدكتور طه وتأسو جراحه ، فقد أنبتته مصر وأنجبته ولم تبخل به على فرنسا ... وهى — أى مصر المسكينة — حائرة بين إسراف « الفتى » فى التدلل وبين غدر القادرين به ، وترجو أن يعو إليها سالما معافى موفوراً .

أدب الهروب :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، كلمة للأستاذ حسن حمام من اللاذقية ، حمل فيها على الأدباء « الذين غرقوا بين أمواج الحب المصطنع وبين زبد أمواج الرمزية الغامضة وبعدوا عن ساحل الحياة المضطرب الجياش الثائر » وناشد أدباء العرب أن يرفعوا من القومية العربية ويعلوا شأنها ، ودعا إلى أن يشعر الأديب بما يضطرب فى بيئته ويستوحى أدبه من الحياة وقلبها النابض .

وقد استرعى انتباهى قوله : « إن أدبنا الحاضر أيها الأدباء بحبه وغزله ، بشكواه وأنينه ، ببكاه ونواحه ، بضعفه وتخاذله ، لا يمثل بيئتنا ولا يصور حياتنا الاجتماعية والسياسية والقومية . وسيقف أحفادنا فى المستقبل من هذا الأدب مقلبين أكفهم متسائلين عن معنى هذا الأدب يحاولون أن يستنبطوا حياتنا الاجتماعية منه فلا يفهمونها » استرعت هذه الفقرات انتباهى ، فجعلت أتصور أدبنا الحاضر وأجول بفكرى فى نواحيه المختلفة ، وأسأل نفسى لأحقق قول الكاتب الفاضل : هل يصور هذا الأدب حياتنا بحيث يستدل به عليها الآتون من بعدنا أو بحيث يصدق عليه ما هو مقرر معروف من أن الأدب مرآة المجتمع وصورة الحياة ؟

إن أكثر الكتاب والشعراء مشغولون بالدراسات والبحوث والتعبير عن المشاعر المترفة ، أو بالسياسة الحزبية ، أو بالتوافه السلية ؛ فأين الحياة التى يحياها الناس من كل هذا ؟

والدراسات الأدبية مطلوبة ولابد منها للبناء عليها ، ولكن لا يجوز أن يعكف عليها كلنا ، أو أن نستهلك فيها كل جهدنا ، ولا نضيف إلى أدب الذين ندرس أدبهم أدبا يدل على أننا كنا هنا ...

لقد قال الكاتب فى مستهل كلمته إنه تناول عدداً من مجلة الأديب فلم يجد به تعبيراً عن مثل ما يجيش بنفسه من المشاعر القومية العربية . والعدد الذى نشرت به الكلمة زاخر بالفصول الأدبية الدراسية والأبحاث الفلسفية العالية ، ولكنه يكاد يخلو مما يدعو إليه . وليست الزميلة كذلك وحدها فهذا طابع عام للانتاج الأدبى فى جميع البلاد العربية فى هذا الوقت الذى يتوثب فيه الوعى العربى الجديد وينظر شزرا إلى الأدب الذى انبت عنه .

وقد سمى السيد حمام هذا الإنتاج الذى يهرب أصحابه من الحياة « أدب الهروب » وقد أعجبتنى هذه التسمية فأثبتها على رأس هذه الكلمة .

أهذا جزاء النيل ؟ :

أرادت إدارة الإذاعة أن تشارك فى الاحتفاء بوفاء النيل ، فأذاعت شيئاً مما تسميه « برامج خاصة » اسمه « النيل » من تأليف حضرة مراقبها العام ، جمع فيه كل محفوظات الإذاعة مما يتعلق بالنيل من مثل « النيل نجاشى حليوة أسمر » و « يا بحر النيل يا غالى » ...

وقد بدأ البرنامج بمناجاة شعرية من الشاعر القديم « حابى » يلقيها بين يدى النيل ويتحدث فيها عن الآلهة القديمة ، وقد أقلق مؤلف البرنامج روح « حابى » وأرواح تلك الآلهة إذ أثارها من مستقرها فى كتاب الأستاذ حسن سليم بك ، حيث يليق بها أن تكون ، لأنه كتاب علمى ؛ وأكرهها على الظهور أمام جمهور مستمعى الإذاعة الذين لا يألفونها ...

ويدور الحوار فى البرنامج بين النيل ومصر على نسق كتب المطالعة للمدارس الابتدائية ، كالمناظرة بين الدراجة والحمار ... وكان المثلون يلقون كما يطالع التلاميذ ، والتى مثلت مصر مثلت بها !

واستغرقت إذاعة ذلك البرنامج نحو ساعة قضيتها متجشما الإصغاء لأرى نهاية ما يصنع بالنيل ... فقد كان كلاما يتلو بعضه بعضاً على كره ، لا أثر فيه لأى عمل فنى . وظاهر أن المقصود منه أن يكون حبلا يجر مالدى الإذاعة من « الاسطوانات »

القديمة التي ورد فيها ذكر النيل ، وقد كان يمكن إذاعتها من غير هذا التكلف .

والنيل واهب مصر ، وكل من فيها وما فيها يعيش فى كنفه وعلى ما يجود به فى غدواته وروحاته ؛ فهل يصح أن يكون هذا جزاؤه من مراقب الإذاعة العام ؟ وماذا ترك للمراقب الخاص ومن دونه ... !

لا تكتبوا عنه أشياء :

شغل البريد الأدبى فى الرسالة – منذ أكثر من شهر – ببحث نحوى أثاره الأستاذ محمود البشبيشى فى كلمة « أشياء » ولا تزال المناقشة متصلة بين الأستاذ ومناظريه ، وهى مناقشة لا طائل تحتها ، فسواء أكانت أشياء على وزن أفعال أم على وزن فعلاء ، وسواء أكانت جمع شىء أم جمع « لا شىء » وسواء أكانت ممنوعة من الصرف أم ليست ممنوعة منه ومستعملة كالممنوع كل ذلك لا أثر ولا نتيجة عملية له ، لأن الكلمة «أشياء» تنطق وتكتب وتقرأ وتفهم ، فلا تختلف فى شىء من ذلك على أى وجه من تلك الوجوه . وأنا لا أنكر النبذ النحوية واللغوية التى يتعقب بها كاتبوها زلات الأقلام ، فهذه رقابة لغوية مفيدة ، على أن يكون « الرقيب » جيد التحصيل حسن التصرف غير متشدد ولا متعسف . أما الجدل فى التعليلات النحوية وما يماثلها فلا غناء فيه . ثم أريد أن أسأل الأستاذ أحمد أحمد العجمى : أيهما أولى بالتأمل والتثبت ، إحصاء المقاطع «إن إن» أو ملاحظة الفرق بين الماضى والمضارع ؟ وأرجو أن يكون قولك : «ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة : ولا زال منهلا بجرعائك القطر » أرجو أن يكون هذا الكلام الذى يريد أن يمنع دخول لا النافية على « أزال » المضارع من هفوات العلماء ...

وبعد فلم لا يترك أستاذنا البشبيشى هذه « الأشياء » ويعود إلى الروض[1] ؟

مسابقة القصة فى الإذاعة :

كانت إدارة الإذاعة قد أعلنت عن مباراة فى القصص ، وألفت لجنة للتحكيم فيما يقدم إليها برياسة الأستاذ عباس محمود العقاد وعضوية الأستاذين محمد فريد أبو حديد بك ومحمود كامل المحامى . وقد انتهت اللجنة من عملها وأعلنت نتيجة المباراة كمايلى : لم يفز أحد من المشتركين فى المباراة بجائزة من المرتبة الأولى وفاز بالجائزة الثانية – وقدرها ثلاثون جنيها لكل فائز – ثمانية متبارين . وفاز بالجائزة الثالثة – وقدرها عشرون جنيها لكل فائز – اثنا عشر . وقبل عدد من القصص لتذاع بالمكافأة المعتادة ، وعينت قصص أخرى يختار منها للاذاعة .

وقد بدت فى هذه المسابقة ظاهرة تكررت فى غيرها من المسابقات الأدبية المختلفة التى أجريت فى السنوات الأخيرة ، وهى إحجام المتدين بأنفسهم من ذوى الانتاج الجيد عن دخول هذه المسابقات ، وقد نشأ عن هذه الظاهرة خلو المرتبة الأولى فى مباراة الإذاعة . ويحدث أن تسأل شاباً من المعروفين بالنشاط الأدبى : لم لم تدخل مسابقة كذا ؟ فيجيب : قد تقدم إليها فلان وصلته بفلان (أحد المحكمين) وثيقة ... وأنا لا صلة لى بأحد منهم . ومما يذكر – اعتباطاً – أن بين الفائزين فى مسابقة الإذاعة موظفين فيها .

من طرف المجالس :

قال المتحدث : أرأيتم ما نشر باحدى المجلات الشهرية من شعر شاعرين : ذكر وأنثى وصورة لهما ؟

ولم يبد على الجالسين أنهم رأوا شيئاً من ذلك ، فنظروا إليه متسائلين ، وقال قائلهم :

– وكيف كان ذلك ؟

– عبرت الفتاة (ا) عن لواعج فؤادها فى أبيات ، ورد عليها الدكتور (ا أيضاً) بأبيات ضمنها هواه ، ونشر كل ذلك تحت صورة اضطجع فيها الشاعر على سرير ، ووقفت الفتاة بجانبه

– وما معنى هذا الوضع ؟

– لا أدرى ، ولعل المعنى فى بطن الشاعر ... على أن الجدير بالسؤال هو إيثار الفتاة هذا الشاعر وهو كما نعلم مثل من دعاه الغوانى عمهن !

قال ثالث : ألا يدل هذا على أن الأمر بينهما هوى شعر ؟

قال آخر : ولم لا تقول إنها اختارته على طريقة فقراء الهند ؟

عباس خضر

(١) إشارة إلى مقالات الأستاذ التى كان يكتبها فى الرسالة منذ سنوات بعنوان « عودة إلى الروض » .



لا أزال عند رأيي في (أشياء)!

قبل معاودة البحث في هذا الموضوع أرى لزاماً أن أحمد للأستاذ الفاضل أحمد العجمي جنوحه بالمناقشة إلى الهدوء والأناة وهما أساس أدب البحث، وطريق الوصول إلى الحقيقة.

ثم أرجع فأكرر أنني لا أزعم أن كلمة (أشياء) وردت مصروفة في التنزيل أو في غيره من الكلام؛ ولكني أعتقد أن علة عدم صرفها في التنزيل – في سورة المائدة – ترجع إلى خصوصية سامية مما التزمه القرآن الكريم؛ وهي في هذه المسألة الترفع عن شائبة التنافر بتكرار مقطع واحد حتما وهو (إن) في الآية الكريمة؛ وإذا كان الشعر خلوا من ورودها مصروفة فالشعر محل التساهل؛ يتحكم الوزن فيه فيصرف ما لا ينصرف، ويمنع صرف ما ينصرف، إلى غير ذلك مما لا يخفى على الأدباء؛ أما ورودها ممنوعة في النثر فهو إتباع للوضع الذي وجدت عليه في القرآن الكريم، ومسايرة للقدامى من أئمة النحاة الذين ذهبوا في الناس علة المنع مذاهب شتى، أقربها إلى حسن الذوق وأدناها إلى الحق رأى (الكسائي) الذي نقله الأستاذ الفاضل محمد غنيم، وهو مشابهتها للاسم المختوم بألف التأنيث الممدودة؛ وقد التمست فيما هداني إليه البحث علة فنية سائغة لمنعها من الصرف في الآية الكريمة، وهذه العلة تجعل الحكم مرتبطاً بجو الكلمة في الآية، فتعود إلى حقها الطبيعي في الصرف إذا خرجت عن هذا الجو، والعلة – كما يقولون – تدور مع المعلول وجوداً وعدماً؛ وإذا كنت في هذا مخالفاً للاجماع فما هو باجماع على حكم شرعي ولا أصل معلوم بالضرورة من أصول الدين.

والقول بجواز الوصل بين جزأى آيتى (يس) و (الملك) لا يمنع جواز الفصل بينهما؛ فهو رد احتمالي لا يركن إليه في المحاجة؛ والقول بتساوى الحرف اللين الصامت الهادئ في كلمة (شيء) والحرف الصاعد الممدود في كلمة (أشياء) مما لا تقره أذن شاعر موسيقى الإحساس كالأستاذ أحمد العجمي؛ فانتقال حركة التنفس من الأول إلى مقطع مكرر وهو (إن) أسهل من انتقالها بعد صعود كبير في ألف (أشياء) إلى ذلك المقطع المكرر حتماً في آية (المائدة).

هذا وقد تسرع الأستاذ في مقاله الثاني تخطئتي في قولي (لا أزال أقول..) وقال وإنها مقصورة على الدعاء محتجاً ببيت قديم أورده (الأشموني والصبان، وابن عقيل، والخضري) وهو قول (ذي الرمة) أو غيره:

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ومنها الأستاذ الفاضل عن أن (لا زال) خلاف (لا أزال) وأنا لا أحمل منه ذلك إلا على السهو، وإلا فهل غاب عنه قول الله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) وقوله مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تزالُ تطلع على خائنة منهم)؛ وبعد فإني مع الأستاذ العجمي في أن الأسباب التي قالوها في منع (أشياء) من الصرف قد أثقلت كواهل النحويين في الكتب وأفهام الطلبة في المدارس، ولذلك أديت برأيي؛ والحمد لله على توفيقه. والسلام...

(الاسكندرية) **محمود البشبيشي**

إلى المشتغلين باصلاح الأزهر:

اسمحوا لي يا سادة أن أعبر عن رأى لا أدرى أيروقكم أم لا، وذلك بعد أن أحييكم تحيات عطرة...

الأستاذ الشرقاوي يريد أن يخرج علماء قوامين على التراث الإسلامي والعربي، وهو مطلب عسير على عامة الأزهريين مهما أدخلوا لهم من إصلاحات. ولم يبق إلا الخاصة وهؤلاء هم الذين يعقد عليهم الأمل... وهم بعون الله يتخطون السدود والقيود، ويحققون كثيراً من الأماني التي تناط بالأزهر، وشأن الأزهر في ذلك شأن كل جامعة وهيئة، ولا أجد في علم الأزهر خيراً من تعبير الرسول في حديثه المشهور: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً الخ». فالأرض الطيبة لا بد أن تنفع الناس وتتغلب على عوامل الجفاف. والخبيثة لن تجديها نترات الشيلي التي تحاولون أن تنثروها على سطحها. وأظنني لا يعوزني التطبيق بالأمثلة الحية، فمحمد عبده

لا يزال حياً في الأذهان وغيره كثير. كل على مقدار ما كان يكن من حيوية.

أقصروا الأمل على الأذكياء وستجدون النتيجة تشجع كثيراً، ثم هم لن يتعبوكم كثيراً، وإذا شئتم أن تساعدوهم، فنقبوا عنهم في حقول الأزهر، أدام الله غيرتكم الطيبة، ووسع من المنطقة التي تحتلها في قلوبكم ...

«أزهري»

لا زال في النفي والدعاء :

كتب الأستاذ أحمد أحمد العجمي في رده على أستاذنا الكبير البشبيشي في العدد ٧٩٠ من الرسالة الغراء ما نصه «ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا في الدعاء كقول ذي الرمة ولا زال منهلا بجرعائك القطر».

وأود أن أقول للأستاذ العجمي أن «زال» تدخل عليها «لا» النافية ولا مانع في ذلك كما تدخل عليها «لا» في الدعاء وكل ما قيل هو أن الدعاء في «زال» يكون «بلا» خاصة ولم يقل أحد أن «لا» مقصورة على الدعاء وقد مثل الأشموني وغيره من النحويين للنفي بقوله تعالى «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك».

فعلى هذا قول الأستاذ البشبيشي «أنا لا أزال أقول» صحيح لا خطأ فيه ...

عمر اسماعيل منصور

١ — مجلات الثقافة في المدارس الأولية النموذجية :

أعلنت وزارة المعارف أنها سترعى المدارس الأولية النموذجية (مدارس المرحلة الأولى الجديدة في مصر) بما تعمله في مدارسها الابتدائية بسواء بسواء . . وننظر من هذه الناحية إلى مجلات الثقافة فيها فنراها تجرى عليها (مجلتي الإصلاح الاجتماعي والفلاحة) فقط في حين أنها تشترك للمدارس الابتدائية ودواوين المناطق الإدارية! في جميع المجلات المأمولة النفع كالرسالة والثقافة والهلال الخ — وحاجة هذه المدارس إلى جميع هذه المجلات أقوى وأشد؛ لبعد غالبيتها عن المدن — أماكن المكتبات العامة —

ومن ثم فإننا نرجو ألا يأتي العام الدراسي القادم إلا وتكون هذه الرغبة حقيقة واقعة لمصلحة العلم والتعليم والتربية الاجتماعية والثقافية في مصر.

٢ — معلمو الشعب في مصر :

ينحدر معلمو الشعب في مصر من أصلاب الغالبية فيه وهم الفلاحون فاشترك حظهم وحظ هؤلاء مع الحكومات المصرية المتعاقبة شداً وجذباً ومداً وجزراً!! وقد انتهت بهم هذه الحال إلى أن يحرموا في هذا العهد من (التنسيق) دون غيرهم من موظفي الدولة!! — وهذا العمل لا يضر بنتائجه الخفية والظاهرة هؤلاء المعلمين بالذات، وإنما يتأثر به المجتمع المصري الذي يرتبط بوجودهم في كل مظاهره وحقائقه — وإذا كان هؤلاء المعلمون بحق هم رسل الثقافة الشعبية في الديار المصرية، فقمين بمجلة الرسالة وهي من تعرف فضلهم وتقدر صنيعهم أن تسجل في صفحاتها هذا العمل الذي لا يتفق مع الحق والعدالة والمساواة بين أبناء الأمة قبل أي اعتبار آخر!

خورشيد عبد العزيز
معلم دمبره

تصحيح :

ورد في مقالي السابق عن رقص السماح أن أحد المختصين في حفظ الموشحات من المتوفين الشيخ صالح الجدبة كان يحفظ عشرة آلاف موشح، والصواب ألف موشح وأن أحد كبار العازفين على الكمان من الحلبيين توفيق الصباح والصواب توفيق الصباغ الملقب بسلطان الكمنجة الموسيقار المعروف ولذا اقتضى التنويه والإفصاح.

(دمشق) حسني كنعان



الانتظار

للكاتبة الأمريكية سنزي أورموند

لقد أخبرها بأنه سيعود إلى الدار بعد انتهاء الحفلة قبيل منتصف الليل . ولكن الساعة الصغيرة القائمة على المنضدة كانت تشير إلى الواحدة صباحاً . إنه لم يسبق له أن تأخر مثل هذا التأخير تأخر وحيداً وبدونها .

ورقدت تحت الأغطية في فراشها قلقة مضطربة . كانت مجهدة من العمل . وكانت كل حاسة فيها تصيح بها أن استريحي ولا تقلقي كل هذا القلق على ولدك لقد بلغ السادسة عشرة . إنه الآن ليس طفلاً

وتذكرت ... لقد ذهبت مرة في صباها إلى النزهة ولم تحضر إلا ليلا . وعندما عادت ورأت الستار القائم على نافذة غرفة الجلوس ينسدل ارتبكت واضطربت . إن والدتها كانت تتطلع خلال النافذة ترقب عودتها في قلق ولهفة . إنها لا تزال تذكر كلمات أمها وهي تقول لها « انتظري يا عزيزتي وستشكرينني في يوم ما على شدتي نحوك » . ولكنها كانت في سن السادسة عشرة ولم تكن لتعي معنى هذه الكلمات ، ولا لما قالته والدتها بعد ذلك « أنها ليست كمسألة عدم الثقة بك ، ولكن كثيراً ما تقع الحوادث بين أطيب العائلات في هذه الأيام »

ولا تدري لماذا كانت تهيجها هذه النصائح عند بلوغها هذا السن الذي أدركت فيه الشعور بالحرية الشخصية . ذلك الوقت التي بدأت تخفي فيه بعض أسرارها ، وتشعر بأنها تخصها وحدها ، تخص عالمها التي تعتقد أنه ملك لها .

ولكن ... كانت والدتها تتدخل في كل شؤونها ، فتفتح رسائلها قبل أن تعود من المدرسة . إنها لا تلومها على رقابتها ، ولكنها ليس لها حق فض رسائلها ، إن التدخل فيما يخصك في هذا السن هو إهانة لا تغتفر ، ولا يصح أن يحدث ذلك لأولادك كل ما تستطيع عمله هو أن تراقب فقط ، وعندما يكبرون ويقبلون على الزواج .

نعم ، لقد اكتمل نضجها وتزوجت ، ثم ترملت بعد عامين ، وها هو ذا ولدها قد نما عوده ووصل إلى أول مرحلة الشباب . إنها لم تفكر قط في الاطلاع على رسائله كلا ، إنها لن تهتم بذلك الفعل ، ولكنها الآن راقدة في فراشها مغمضة العينين ، وقد انسابت روحها تخترق ستار النافذة وتتساءل : لماذا لم يحضر ؟ وما الذي حدث له ؟ وعزمت على أن تسأل عنه في المستشفيات وفي أقسام البوليس إذا لم يعد بعد نصف ساعة ... من يدري ؟ فلعله راقد الآن في غيبوبة ، أو ملقى في حفرة وقد سلبت منه ساعته اليدوية التي أهدتها له في عيد ميلاده الأخير والخمسة دولارات التي في جيبه ، إن الكثير من الحوادث أحيانا ما يقع بين أطيب العائلات ! وطاف بفكرها خاطر مزعج ، إن على ولدها أن يعبر تلك الشوارع التي يجتازها سائقو السيارات بعرباتهم غير مبالين بنظام المرور في ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وودت في تلك اللحظة لو أنها كانت تعيش في الريف بعيداً عن هذه السيارات .

وهبت واقفة وأقبلت على النافذة تتطلع إلى الشارع . يا إلهي ما هذا الضباب المخيم في الخارج ؟ كان يتكاثف واستقر في صمت وسكون . وتركت طرف الستارة ، ثم زحفت داخل الأغطية في عصبية . وحاولت أن تسيطر على أعصابها ، وأغمضت عينيها . ولكن . سرعان ما فتحتهما عند سماعها صوت أقدام تدب خفيفاً على إفريز الشارع . حمداً لله ها هو ذا قد قدم .

وترددت الخطوات ، ثم سمعت بابا يفتح . لم يكن باب شقتها بل كان باب جارها الكهل . ثم سمعت صوت سيارة الإسعاف فهبت من فراشها بقلب واجف ، كانت تسمع رنين جرس السيارة كأنه العويل ، وسرعان ما تلاشى الصوت تدريجيا واختفت السيارة .

وأقبلت على النافذة مرة أخرى وتطلعت ، وإذا بولدها قادم صوب المنزل ، يسير وقد انعكست عليه أنوار الشارع . نعم إنه هو ولا يمكنها أن تخطئ مشيته وحركاته . كانت ساقاه الطويلتان تخطران في خطوات متسمة نحو الدار ، وكان يصفر لحناً شائعاً ، وكتفاه يتمايلان في حرية وكأنه يقول : « إن هذا هو عالمي ... إنني رجل وهذه دنياي » . وشعرت بالغضب يعصف بها ، ثم بالحزن ينتابها ، كانت تود أن تشاركه ذلك الشعور بالحرية ، ولكن قلقها عليه حال بينها وبين ذلك . وتبين لها حقه في السير ، لا في

هذا الشارع الذى تحفه الأشجار فحسب ، بل فى الأزقة المظلمة والأماكن الأخرى ، بل حتى فى الأركان المظلمة من عقله . إن وجوده معها تحت سقف واحـد لا يعطيها الحق فى امتلاكه امتلاكا كاملا . وليس لها حق مشاركته أفكاره إلا إذا اضطرتها الظروف اضطراراً . إن الرجـل له حق العيش فى عالمه الخاص . وإذا سمت أفكاره حتى وصلت إلى الأشجار التى يسير تحتها وإذا ما جملته يصفر مسروراً ، إذاً لوجب عليها أن تكون سعيدة من أجله . ومع ذلك ... كان فى استطاعتـه أن يخبرها تليفونياً . وعادت إلى فراشها وتنفست فى هدوء عندما أقبل ولدها، وحياها فى مرح وهو واقف على عتبة غرفتها وقال « لقد ظننتك نائمة إن الساعة الآن حوالى الثانية » . كان يشوب صوته نبرات من الحماس . وتمطت ثم مسحت عينيها وتمتمت قائلة .

— يغلب على ظنى أنى نمت وتركت النور مضـاءاً دون أن أطفأه . مساء الخير يا عزيزى . ثم مدت يدها لتطفىء النور . ولـكن ولدها تقدم فى الغرفة ووقف أمام فراشها ينظر إليها ، ثم قال — أظنك لم تسمى ما قلته . إنها الآن الساعة الثانية صباحاً.

وتظاهرت بالدهشة ثم قالت — نعم إنها الثانية . حسناً ... ليلة طيبة يا بنى . ونظر إليها مسـتغرباً ثم قال — ألست عاتبة على ؟! فتثاءبت وقالت — ولماذا أعتب عليك ؟

— ولـكنى قلت إنى سأعود قبيل منتصف الليـل . إنى آسف إذا كنت قد أقلقتك . وأظن أن جدتى قد رفعت عقيرتها حتى السقف . إنه لافائدة من إخباره الآن أن جدته قد رحلت غاضبة بعد أن يأست من التحدث معها عن « طيشه وتأخره » فقالت — لم أكن قلقة على الأطلاق : — هذا حسن . كان يجب على أن أخاطبك تليفونياً ، ولـكن ... ما الأمر ؟ ! هل الضوء قوى ؟! وأنزلت عينيها عن موضع أحمر الشفاه الملطخ به خده وقالت فى بطء أجل ... إنه الضوء ... وضغطت على أداة إطفاء النور ، وغمر الليل الهادىء الغرفة . إنها لن ترَ أحمر الشفاه فى ذلك الضوء . كانت تعرف بأنه لو كان عنده ما يقوله لها هذه الليلة فأنها لا ترغب فى أن تفرض عليه القول فرضـاً كأنه واجب يتحتم عليه أداءه . إنه ليكون أقل ارتباكا إذا ما اعتقد بأنها لم تلحظ هذه البقعه الحمراء. ولـكنها كانت تشعر فى قرارة نفسها أن ما شاهدته لم يكن سوى نصف الحقيقة . وكانت غريزتها تهيب بها أنه يتحتم عليها أن تنتظر حتى يطلعها على النصف الآخر ، أو ... أو يفضى إليهـا بالأكذوبة التى تخشاها . فقالت : « هل كان هناك فتيات فى هذه الحفلة الليلة ؟ » . انساب ذلك السؤال منها دون أن تتمكن من كتمانه ، وانتظرت فى لهفة الرد عليه ، وخيل إليها أنه أبطأ فى الرد كثيراً عندما قال : « كلا ... كلا » . ولم ينظر إلى عينيها عندما استمر يقول : « لم يكن هناك إلا رفقائى ... ولـكن ... يوجد شىء آخر أود أن ... » فقاطعته قائلة وهى تحاول الاحتفاظ بهدوئها : ليس الآن يا عزيزى .. فى الصباح . فتمتم قائلا : حسناً ثم استدار وسار صوب الباب وأقفله وراءه فى هدوء ، وجلست فى فراشها متصلبة الجسم حزينة القلب ، لقد كذب عليها أولى أكاذيبه ، أكانت هى الأولى حقاً ؟ كم عـدد الأكاذيب التى سبقت هذه الـكذبة ؟ وشعرت برغبة جارفة تدفعها إلى القفز من الفراش لتواجهه بخديعته وتقول له : التفت إلى . ورفض قلبها أن يلفظ شيئاً خلاف هذين اللفظين . التفت إلى ... ثم ماذا ؟ إنها تشعر بأنه لا فائدة من مواجهته ، إنه ليـكفى أن تنظر إلى وجهه ، فيحدق إليها بطريقته المحبوبة ، وإذا بشىء ينغلق خلف تلك العينين الرماديتين .

إن خوفها كان أكثر من ألمها ، خوفها من أن تكون أمها على حق ، ربما كان ولدها فى حاجة إلى المزيد من الرقابة . وشعرت برجفة تسرى فى جسدها ، كان يجب عليها أن تواجه كل شىء دون مواربة . وسمعته يتحرك فى الحمام وهو ينظف أسنانه ويخلع حذاءه ، ثم سمعت الماء يجرى على جسده ، ووقع خطواته على الأرض ، ومسح جسمه بالمنشفة ، ثم خرير الماء المتساقط من الصنبور . كان له وقع غريب فى أذنيها كأنه صوت لحن موسيقى واستمر الماء يتساقط . ها هو الآن فى المطبخ يبحث عما يأكله كان يحاول ألا يحدث صوتاً حتى لا يقلق نومها . وانطفأ النور فى المطبخ ولما تزل جالسة فى فراشها ، ثم استمعت إلى وقع خطواته تتلمس طريقها فى الظلام وهو يسير فى البهو وفى غرفة الجلوس ، إن هذه الأصوات العادية كانت كأنها تجمع فى ذاتها سر الحياة ربما كانت غير عادلة نحوه ، يجب أن يكون هناك شرح مقبول لهذا الطلاء الأحمر ، واستمعت مرة أخرى إلى خرير الماء المتساقط وخيل إليها أن نغماته قد اختلفت عن ذى قبل . ومرت بيدها على وجهها ، لقد فشلت فى أداء مهمتها كأم ، إن والدتها على حق ، لو كانت قد تمهدت ابنها كما نصحتها لما كذب عليها الآن ، إنه لم ينو الذهاب بتاتاً إلى تلك الحفلة ، لقد حاول أن



١ — أعلام الشعر الفرنسي
وطرائف من آثارهم

تأليف الأستاذ العوضي الوكيل، والسيدة س. عبد الرازق صبري

هذا كتاب يحتوي على إهداء وتمهيد وتراجم ومختارات : فالإهداء — كما كتبه الأستاذ العوضي — « إلى حضرة صاحب المعالي الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظه باشا . منذ عامين سميت ابني الثاني باسمك وكأنه كتاب أرفعه إليك ، وهأنذا أرفع هذا الكتاب إليك وكأنه ابن أسميه باسمك » ولا عجب فالباشا أهل لما أهدي إليه لما يسبغه على الأستاذ من فضله وتقديره ووده أولا ، ولأنه يحسن فهم الكتاب المهدى إليه ثانياً ، فهو أديب مطلع على كثير من الآداب العربية والغربية ، والمؤلف بهذا الإهداء يصطاد عصفورين بحجر واحد . فهو بهديته يعلن بره واعترافه بالجميل لموليه ، ويقدمها لمن يقدرها قدرها .

والتمهيد قصير : يتضمن « تعريفات » موجزة بأسماء النزعات الأدبية الواردة في كتابه : كالكلاسيكية والرومانتيكية والليريكية والبرناسية والرمزية ، وهذه التعريفات غير منطقية لأنها غير جامعة ولا مانعة ، ولا توضح الفوارق الحاسمة بين نزعة وأخرى من النزعات الأدبية مع أن التوضيح هو المقصود

والتراجم والمختارات هي الجزء الرئيسي في الكتاب والتراجم خمسة : أولهم الفونس دي لمرتين (١٧٩٠ — ١٨٦٩م) صاحب رواية روفائيل التي ترجمها الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات من الفرنسية إلى العربية ترجمته العالية المشهورة ، وقد اختار له المؤلفان قصيدة عنوانها الوحدة (L, isolement) فترجماها شعراً ثم نثراً . وثانيهم فكتور هوجو (١٨٠٢ — ١٨٨٥ م) صاحب رواية البؤساء التي ترجمها الشاعر المصري المرحوم حافظ بك ابراهيم ترجمته العالية المشهورة أيضاً . وقد اختار له المؤلفان قصيدة عنوانها « الضمير » فترجماها نثراً وشعراً ، وقصيدة عنوانها « واترلو waterloo » فترجماها شعراً وعقبا

يخبرها بشيء الليلة ، ولكنها لم تحتمل الاستماع إليه . وسمعت همساته صادرة وراء الباب تقول : « ألا زلت مستيقظة ؟ » فقالت: « ادخل » ربما كان من الأفضل لها أن تعرف كل شيء الليلة ، وأقبل عليها وهو يحمل زجاجة قد امتلأ نصفها باللبن ، وجلس على المقعد الكبير ، ها قد حان وقت الاعتراف ، وجعل يرتشف اللبن ثم قال فجأة : « لقد تركت الحفلة مبكراً . كان ذلك عند الساعة الثامنة ... » . فقاطعته قائلة : يا عزيزي ... يخيل إلى أني أسمعك وكأنك جالس تؤدي شهادة في محكمة . كلا . لا أود فقاطعها قائلا وهو ينظر إلى وجهها وقد تدفقت الكلمات من فيه : « الحقيقة أني خرجت مع فتاة ، ولكني لم أرغب في أن أطلع أحداً على ذلك » ونظرت إلى ولدها ، كان في وجهه البراءة ونضارة الشباب ، إن ألم الوضع لم يكن الألم الوحيد للأم ، إن مهمتها تنحصر في شيئين : أن تكون أما وأن تكون أباً . وهاقد حان الوقت الذي يجب أن تؤدي فيه مهمتها على الوجه الأكمل ، والذي يجب أن تدرك فيه دون مرارة بأنه إذا توجهت نظرات ولدها إلى حقيقة الشباب ، فإنها يجب أن تودع صباه . واصطبغ وجهه بحمرة الخجل وهو يقول : « كانت تنتظرني مع أبويها ، وذهبنا معاً ، وكنت على وشك أن أخاطبك تليفونياً ، إلا أني لم أستطع الاتصال بك » . ثم وضع الزجاجة على المنضدة ونهض وقبل والدته . وحياها تحية المساء . وعند ما اقترب من الباب تردد ثم قال أظن أني ارتكبت غلطة واحدة . لقد قلت لوالدتها « نعم ياسيدي » فابتسمت وقالت « لا تفكر في ذلك . وعلى فكرة ياحبيبي إذا كانت قد أخلفت الميعاد فما الذي كنت تفعله؟» وفكر لحظة ثم قال « لا أعلم . أظن كنت سأقول لنفسي « حظ عاثر » ثم أترك الأمر يقف عند هذا الحد . ألا تعلمين أنها ستقابلني لأعرفك بها وبوالديها ؟ على أية حال أظن أني عملت كل شيء على ما يرام ، أليس كذلك ؟ » فابتسمت وقالت في إخلاص « أجل ، لقد قمت بكل شيء على الوجه المرضي » وذهبت وجلست يغمرها الضوء وهي تبتسم لنفسها . نعم لقد أدى كل شيء على الوجه الأكمل . إنه لم يحدثها عن القبلة . هذا حسن . إنها فخورة به . لقد أصبح رجلا مهذباً . ثم أطفأت النور واستقرت في فراشها في رضاء تام . لقد انقطع خرير الماء . وأسفت على ذلك . كان في الحق صوتاً مبهجاً .

(الأسكندرية) محمد فهمي عبد الوهاب

عليها بشروح موجزة لبعض الأعلام الواردة فيها .

وثالثهم الفريد دى فينى Alfread de Vigny (١٧٩٧ ، ١٨٦٣ م) وقد اختارا له قصيدة عنوانها النفير Té Cor فى قرابة ثمانين بيتاً ، ومهدا لها بتصوير القصة التى بعثت عليها كما حدثت والفرق بينها وبين صورتها محرفة فى القصيدة وأتبعاها بتفسير قصير لبعض أعلامها ، وترجما له أيضاً قصيدة عنوانها « موت الذئب » شعراً ونثراً . ورابعهم ألفريد دى موسيه Alfread de Musret (١٨١٠ — ١٨٥٧م) صاحب رواية « اعترافات فتى العصر » التى ترجمها المرحوم فليكس فارس ، وقد اختار المؤلفان للشاعر قصيدة عنوانها « ليلة مايو La Nuit de Mai » فترجماها شعراً فى قرابة تسعين بيتاً ، ثم ترجماها نثراً ، وقدما لها مقدمة قصيرة تصف الحالة التى كان عليها الشاعر حين نظمها .

وخامسهم بول فرلين (١٨٤٤ — ١٨٩٦) وهو أقل الأعلام حظاً من الدراسة والمختار ، فدراسته وقعت فى ثلاث صفحات ونصف صفحة ، ولم يختر له المؤلفان غير قصيدة واحدة عنوانها « الخريف » ترجماها فى ثمانية أبيات .

ومن هـذا العرض نفهم ما فى العنوان من مبالغة ، فإن « أعلام الشعر الفرنسى » ليسوا خمسة فحسب ، والخمسة المترجمون كلهم من شعراء القرن التاسع عشر وحده ، وليسوا مع ذلك كل « أعلام الشعر الفرنسى » فيه . ويلاحظ أن دراسة الأشخاص واضحة جيدة ، وأسلوبها شبيه بالأسلوب الإنسكلوبيدى فهى تعريفات خفيفة تتناول ظواهر الأشخاص ولا تنفذ إلى ما وراءها

كما يلاحظ أن القصائد المختارة سهلة قريبة التناول فى « صورتها العربية » ولا أستطيع الحكم على الترجمة من حيث أداؤها للأصول الفرنسية (وهى ما يعول المؤلفان عليه) إذ لا علم لى بها . ولكنا نستطيع أن نقارن بين الترجمتين الشعرية والنثرية للقصائد التى ترجمها المؤلفان : شعراً ونثراً معاً . والمفهوم لى أن الترجمة النثرية أدنى إلى الأصل ، فإن الناثر أكثر حرية وقدرة على التزام الأصل من الشاعر ، إذ لا تتكاءده عقبات الوزن والقافية التى تتكاءد الشاعر فتضطره فى بعض المراحل أن يحيد عن الطريق قليلا أو كثيراً ويظهر أن الأمر مع المؤلفين كذلك .

وهذا مثال لم أتكلف فى اختياره : فهو صدر القصيدة الأولى لأول الأعلام كما رتبوا فى الكتاب وعنوان القصيدة « الوحدة » المرتين ، والمثال قد اجتمعت له ثلاث أوليات : والترجمتان للمؤلفين : قالا شعراً :

« أسرح الطرف فى الوادى الذى انبسطت ... أمام عينى ووجدانى مرائيـــه
والشمس تسبح نحو الغرب فى طفل ... وقد جلست حزين الفكر عانيــه
فى ظل « صفصافة »[1] أمست كهولتها ... تذرو الشجون على الوادى وما فيه
أرى هنا غالباً فى وحدة عجب ... مشرداً وكأن القلب فى تيه »

وقالا نثراً ، والنثر والشعر يتقابلان ، فهما ترجمة لشىء واحد:

غالباً ... على الجبل ... وفى ظلال بلوطة معمرة أجلس ساهماً حزيناً والشمس فى ساعة الغروب أسرح الطرف هنـا وهناك فى رحاب الوادى الذى انبسطت أمام عينى لوحاته المختلفـة »

وهاك ترجمة نثرية أخرى لهذه الفقرة بقلم أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات :

« جلست محزون القلب مستطار اللب على قلة الجبل وتحت ظل السنديانة العتيقة ، أشيع شمس النهار وهى تغرب وأسرح بصرى فى وجوه السهل وهى تتغير: »[2]

٢ — شعراء وأدباء فى جيش الفاروق

تأليف الأديب محمود عيسى الضابط بالجيش المصرى

قرأت هذا الكتاب مغتبطاً فخوراً ؛ فكاتبه ضابط بالجيش المصرى الباسل ، وسكرتير تحرير مجلته ، وقد عرض فى كتابه تراجم تسـعة أدباء وشعراء من ضباط جيشنا الأحياء — متعهم الله بالعمر الطويل العريض — وأورد فى تراجم بعضهم نبذاً من آثاره شعراً أو نثراً مع الإشارة إلى أعماله التأليفية . . وهـذا الكتاب آية على اهتمام من ضباطنا بالشعر والأدب إلى جانب عنايتهم بالكتابة فى فنون الحرب ورجالها ومعاركها قديماً وحديثاً ويظهر من فهرس كتب المؤلف المنشور فى آخر كتابه

(١) جاء فى الهامش ما نصه : « فى الأصل الفرنسى » « بلوطة » وقد اقترح علينا أن نغيرها هكذا معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا . (ص ١٥) (٢) كان الأستاذ الزيات قد ترجم رواية «رفائيل» للمرتين وذيل ترجمتها المشهورة بترجمة قصيدته « البحيرة » و « الوحدة » أيضاً . وهذا النص الذى أوردناه مقتبس من هذه الترجمة (الطبعة الأولى سنة ٢٦ م ص ٢٥٨) .

هذا أنه غير « حديث عهد » بالتأليف ، فله قبل هـذا الـكتاب عشرة غيره : منها ثلاثة قصصية وسبعة فى قادة الحروب ومعاركها القديمة والحديثة وأدواتها ، ومن هذه العشرة أيضاً سبعة استقل بتأليفها وثلاثة اشترك معه فيها البكباشى عبد الرحمن زكى أحد من ترجم لهم فى هذا الـكتاب .

وإذاً فلا علينا إذا لم نبذل من « المحاباة » فى حساب مؤلف « قديم » كصاحب هذا الـكتاب « كل » ما نلزم أنفســنا تقديمه منها للمبتدئين والشداة ، ولا علينا أيضاً ألا نعده « ضيفاً » فى جماعة المؤلفين بعد هذه الآثار الـكثيرة مع أنه ليس مؤلفاً محترفاً كالمنقطعين للبحث فى الحياة . هـذا الـكتاب يشتمل على إهداء وتعريف للناشر بالمؤلف وتسعة فصول فى تســعة ضباط بجيشنا المصرى: فأما الإهداء فإنه « إلى راعى السيف والقلم حضرة صاحب الجلالة الفاروق المعظم » ولا غرابة فهو عنوان ولاء من ضـابط أديب لراعى سيفه وقلمه ، والـكتاب كله في تعريف « شـعراء وأدباء فى جيش الفاروق » كما كُتب فى العنوان .

وأما تعريف الناشر بالمؤلف فصفحة عنوانها « هو » وصف فيها المؤلف « شـكلا » وكشفه « كشف نظر » وعرفه فيها بأنه اشـتغل بالأدب فى الرابعة عشرة من عمره ، وأنه يقرض الشعر ويكتب القصص ، وأنه فى خلقه « مستقيم » ينأى بنفســه عن إغراء المرأة حتى استأثرت به أخيراً « قديسة » تراه يفنى فى تقديسها فهو تعريف « تقريرى » للقراء أن يفهموا منه ما يفهمون كما يفهمون . وأما المقدمة فنى الصلة بين الجندية والأدب وفيها يقرر المؤلف أن الجندى إنسان عاطف كسائر الناس لا وحش شغوف بالدماء ، وأن القتال يفيض إليه إلا حين يكون أداء الواجب ، وأن الأدب والجندية لا يتنافران ، وفى هذه المقدمة « صرخات فى الهواء » ، إذ يحاول المؤلف فيها تزييف أوهام لا قرار لها فى عقل يحسن قراءة الأدب .

وأما الفصول التسعة ، فقد تحدث فى كل منها بضابط من هؤلاء الضباط التسعة : اللواء عبـــد المنصف محمود باشا ، والبـكباشيين عبد الرحمن زكى ، وعبد الحميـد فهمى مرسى ، ومحمد عبد الفتاح ابراهيم ، والصاغين محمود محمد الشاذلى ويوسف السباعى ، واليوزباشيين حسين ذو الفقار صبرى وسيد فرج ، والملازم الأول مصطفى بهجت بدوى ، وهم على هذا الترتيب فى الـكتاب تبعاً لرتبهم العسكرية لا لشىء آخر مما يقدمه على سواه غير « الرسميين » فى التقدير .

ويلاحظ بلا عناء أن المؤلف فى هذه التراجم عامة « كثير السخاء » فيما يسبغه على مترجميه من « فضل ونبوغ » ، وهو — مع هـذا السخاء الـكثير — لا يقدم للقارئ من آثار « إخوانه » ما يبرر « سخاءه الغامر » حتى يكون له من ذلك « بعض الشفاعة » عند من يحبون من القراء « المجاملات المعقولة » فى حدود « العدل » فضلا عن القراء المتزمتين الذين يبخلون بثقتهم حتى تقدم إليهم البراهين الناصعة الـكافية على كل ما يطلب إليهم الثقة به من أحكام .

فالمؤلف فى بعض التراجم يكتفى بالـكلام فى أخلاق المترجم وأطواره فى المعيشة والجندية ، ويسكت عن إيراد شىء من آثاره وهو فى سائر التراجم يورد المترجم « نماذج » ولـكنها « متواضعة » غالباً ، فإذا حاولنا تلمس السبب لم نجد أمامنا إلا فرضين : فإما أن لهؤلاء المترجمين « نماذج عالية » ، ولـكن المؤلف لم يحسن الاختيار ، وإما أنه لم يجد لديهم نماذج خيراً مما ذكر ، ولعل أول الفرضين أصح ولو فى بعض التراجم لا كلها ، ولقد اطلعنا على آثار بعضهم فقرأنا لهم نماذج خيراً مما وجدنا فى هذا الـكتاب ولا سيما اليوزباشى سيد فرج والبـكباشى محمد عبد الفتاح إبراهيم

قال المؤلف فى مقدمة فصوله معرفاً بها : « هذه صور سريعة التقطتها عدسة المصور لطائفة من الشعراء والأدباء الذين يحتويهم جيش الفاروق آثرنا أن نعرضها فى هذا « الألبوم » دون « رتوش » ... » . والحق أن فى هذا التعريف كثيراً من الصدق فالتراجم « صور سريعة » ، ولولا ذلك لـكان من الممكن أن تكون الصور أبرز وأثبت ، ولقد طبعت صور منها على « ورق نشاف » ، فجاءت مضطربة الوضع ، حائلة الألوان ، مطموسة المعالم ، وقد استعمل « المصور » فى استكمال بعضها كل مهارته الفنية ، وكل ما لديه من أدوات الزينة لوضع « الرتوش » ، ومن أجل ذلك ، ولحسن ظننا بالمصور القدير لا نزال ننتظر « إعادة » هذه الصور على حقيقتها بلا « رتوش » أو مع « رتوش » خفيفة لا تخفي الحقائق ، فالغرض من التعبيـر التوضيح لا التعمية ، ونطمع فى إضافة « صـور » جديدة توضع جميعاً فى « ألبوم » جديد حتى تكون جديرة لوجه الحق بالتسجيل والحفظ ، ومؤلفنا أو « مصورنا » أولى من يقوم بهـذه المهمة ، وما هى بالمهمة العسيرة على « مصور » مثله طال عهده « بالتصوير » ، والله يوفقه إلى خدمة مليكه وإخوانه وبنى وطنه .

(القاهرة) محمد خليفة التونسى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩٣ — الاثنين ١٣ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢١

جامعة فاروق الأول

كلية الزراعة — إعلان

تعلن كلية الزراعة بجامعة فاروق الأول عن وظائف معيدين خالية بأقسامها المختلفة من الدرجة السادسة الفنية ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظائف أن يكون حاصلاً على بكالوريوس كلية الزراعة وأن يقدم مع طلبه كشفاً رسمياً بمراتب نجاحه في الامتحانات المختلفة .

وعلى الموظفين بالمصالح المختلفة أن يقدموا طلباتهم عن طريق هذه المصالح ولن يلتفت إلى الطلبات التي تقدم مباشرة من الأشخاص .

وتقدم الطلبات برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الزراعة « بريد كامب سيزار » في ميعاد لا يتجاوز ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ . ولن يلتفت إلى الطلبات السابقة لهذا الإعلان وكذلك الطلبات التي تقدم بعد هذا التاريخ .

١٤٧

اطلب الكتب الآتية

من إدارة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

---

١ ـ وحي الرسالة

في مجلدين

ثمن كل مجلد ٤٠ قرش

---

٢ ـ دفاع عن البلاغة

ثمنه ١٥ قرش

٣ ـ آلام فرتر

ثمنه ٤٠ قرش

16 em Année No. 793

Lundi — 13 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مالىَ لا أكتب ؟

يعتب علىّ صديق العباس أننى لا أكتب فى هـذه الأيام للرسالة ، ويحتج لعتابه بأن دواعى الكتابة فى ريف المنصورة ، أو فى ظلال (الكافورة) ، أقوى من أن ينهض لها عذر من اعتلال أو اشتغال أو إراحة . وواقع الأمر أنى لم أكن كاليوم أرهفَ شعوراً بالجمال ، ولا أبلغ تأثراً بالطبيعة ، ولا أشد انطواء على النفس ؛ ولكن أكثر ما يتمثل فى الخيال ، أو يخطر على البال ، سوانح هى بالشعر أشبَه وإلى الغناء أقرب ؛ فإذا همّ باقتناصها القلم اندامت من جوانب النفس زفرات وَقودها الصهيونيون واللاجئون والحرب والهدنة وترومان وستالين وبرنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم ، فأنصرف عن الغناء إلى الرثاء ، وأنتقل من الضحك إلى البكاء . وأهمّ بتلحين الألم وتوقيع الأنين ، فتنبعث من نواحى العقل أصوات تستنكر وتستنفر وتقول : لقد خطبنا حتى جف الريق ، و كتبنا حتى نفد المداد ، وبكينا حتى نضب الدم ، فما الذى أغنى عنا كل أولئك ؟ ألا يزال أرانب اليهود مغرورين يتبجحون بالدولة والجيش ؟ ألا يزال عرب فلسطين مشردين يكابدون ذل الاغتراب وشظف العيش ؟ ألا يزال ترومان الأخرق يجرى على سياسة الهوى والطيش ؟ ألا يزال برنادوت الغر يستر عجزه بالمداهنة والفتيش ؟ فأصيخ إلى صوت العقل وأقول : بلى ، كل أولئك لا يزال ، وأتمنى على الله رب العالمين وناصر العرب والمسلمين ، أن يستحيل اللسان فى فى حساماً يضرب ، واليراع فى يدى سناناً يطعن ، والغضب فى نفسى عاصفة تدمر ، والضعف فى جسدى قوة تُبيد . فأنا الآن مترجح بين طرفين كلما ملت إلى أحدهما جذبنى إليه الآخر أنظر بعينى إلى مفاتن الطبيعة فى ضفاف النهر وحواشى الحقول ومماشى الرياض فأبتهج ، ثم أنظر بقلبى إلى مخازى الناس فى صور النذالة والجور والبؤس بفلسطين فأكتئب ، ثم يصيبنى العى والخرس لأن ابتهاجى عابر لا يحدث غير الافترار ، ولأن اكتئابى عاجز لا يبعث غير الدمع .

وإذا حصلت من السلاح على البكا فحشاك رُعت به وخدك تقرع

إن نكبة فلسطين ومحنة العرب قد غطَّتا على كل حاسة وغلبتا على كل عاطفة ؛ فالفكر فيهما والحديث عنهما ملء القلوب وشغل الألسن ؛ ولكن الكلام هواء ، والبكاء ضعف ، والمنى أباطيل ، والمهادنة غش ، والمفاوضة عجز ؛ فلم يبق إلا أن نسكت لنعمل ، ونُدبر لننفذ ، ونتقوى لنسود ، ونتسلح لننجح ، ونقتل لنحيا ، ونظلم لنُحترم !

لو كان فى الدنيا حق لما كان لفلسطين قضية ، ولو كان فى الناس عدل لما اصطلحت على ظلمنا الشيوعية والرأسمالية ، ولو كان فى الأمر اختيار لما تركت سيوفنا من بنى يهوذا بقية ! ألاَ إن أفدح الخطوب أن يخاصم الأسود القرود ، وإن أقبح الحروب أن يقاتل العرب اليهود !

فلو أنى بُليت بهـــاشمى خؤولته بنو عبد المدان
لهان علىّ ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

(المنصورة) احمد حسن الزيات

لمحة من سيكولوجية الطفل

للدكتور فضل أبو بكر

غاية كل كائن حى مما يبديه من مجهود وما يبذله من حركة إنما ترمى إلى هـدف واحد هو الحصول على شىء من التوازن ؛ لملاءمته للبيئة التى تكتنفه والوسط الذى يعيش فيه وهو شرط أساسى لبقائه وحفظ نوعه ، وكلمـا كان الـكائن معقد التركيب دقيق الصنع كانت بيئته معقدة صعبة وكان مجهوده أكبر وعناؤه أشد لملاءمة تلك البيئة .

والبيئة فيما يتعلق بالإنسان الذى نحن بصدد دراسـة جانب من سيكولوجية طفله — تنقسم إلى قسمين هما :

١ — البيئة الطبيعية « Cosmique » .

٢ — البيئة الاجتماعية « Social » .

فالأولى تشمل الأرض التى يعيش فوق أديمها من خصبها وجدبها ومن نجدها وغورها ومن ماء عذب وأجاج ومن طقس رطب وجاف ، ومناخ حار ومعتدل وبارد إلى غير ذلك من المحيط الطبيعى . والثانية أى الاجتماعية هى اصطناعية عرفية من خلق الإنسان نفسه ؛ لهذا تختلف باختلاف الأمم والأجناس والعادات والبقاع ، وتخضع لمجموعة من القوانين السماوية والوضعية تلزم الإنسان بما عليه من واجبات نحو غيره وبما له من حقوق لدى المجتمع ، وهى بيئة أكثر تعقيداً من الأولى لأنها كما سبق ذكره من عمل الإنسان وهو عمل ناقص إذا قورن بعمـل الطبيعة ؛ ومن هنا كانت مضطربة دائمة التحول والتبدل تنشـد الـكمال بقدر المستطاع .

فالإنســان يؤثر فى محيطه بنوعيه من طبيعى واجتماعى ، ويحاول إخضاعه لحد ما ليكون ملائماً له وهو ما يحدث بظاهرة الإخضاع « والتمثيل » « Assimilation » كما أن بيئته نفسها تحاول أن تؤثر فيه وتخضعه لحد ما ليكون ملائماً لها وهو ما يحدث بظاهرة الخضوع والتكييف « Accomodation » وهو تحوير وتبديل جسمانى ونفسانى لذلك الغرض .

فهو لهـذا فى كر وفر مع بيئته يخضعها ويخضع لها حتى تناسبه ويناسبها ، ولـكن المناسـبة المنشودة لا يمكن أن تتم وتكتمل وإنما هى نسبية وغير مستقرة ، ومن هنا كانت حركته الدائمة وتغيره المستمر ، وهما أبرز مميزات الحياة ، وما نمو الطفل وتغيره الجسمى والعقلى إلا سعياً وراء ملاءمة البيئة .

يعلم مما تقدم أن ظاهرتى التمثيل والتكييف ، أو بعبارة أخرى الإخضاع والخضوع ، تحدثان فى آن واحد ولـكن بنسبة غيرمتساوية ، أى أن أثر إحداهما قد يكون أقوى من أثر الأخرى ؛ « فدارون » « Darwin » مثلا يؤمن بأن إخضـاع الـكائن الحى لبيئته هو أقوى من خضوعه لها ، وعلى ضوء هذا الاعتقاد يشرح لنا نظرية التطور والتنافى الحيوى من أجل البقاء والخلود ، وأن طائفة من علماء الطبيعة تؤيد « دارون » وتحذو حذوه .

وهنالك فريق آخر من العلماء يخالفون « دارون » ويعتقدون عكس ما يعتقد وعلى رأسهم العـالم « لامارك » « Lamarck » وفى نظرهم أن البيئـة هى التى تخضع الـكائن أكثر مما تخضع له ، وأن على الـكائن أن يبدل من ذاته ، ويغير مما بنفسه حتى يكون أكثر ملاءمة لها .

كذلك الفلاسـفة من علماء الاجتماع والأخلاق ينقسمون إلى قسمين بالنسبة للبيئة الاجتماعية :

فالفريق الأول ورائده الفيلسوف « نيتشه » «Nieteschz» يرى ما يراه « دارون » فى البيئة الطبيعيـة ، وهى فلسفة القوة والبطش وأن « الرجل المثالى » فى نظره الذى يستحق شرف هـذا اللقب هو الذى يخضع العالم ويبطش بالرجال حتى يدينوا له وينقادوا إليه ، وأن المسالمة والتسامح والعطف والعفو ما هى إلا صفات العاجز الضعيف وهى تباعد ما بين من يتصف بهـا عن المجد والسلطان على حد قول أبى الطيب :

ولا تحسبن المجـد زقاً وقينة	فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى	لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دوياً كأنما	تداول سمع المرء أنمله العشر

والفريق الثانى وزعيمه « أبيقور » Epicure ومدرسته ينادى بعكس ماينادى به نيتشه وهي فلسفة الخضوع والمداراة والمصانعة ، فلسفة « الدهريين » ، و« الرجل العاقل » فى نظره هو الذى يخضع

لبيئته ويتماشى مع دهره على حد قول من قال :

ودر مع الدهر وانظر فى عواقبه حذار أن تبتلى عيناك بالرمد
والبس لكل زمان بردة حضرت حتى تحاكك الأخرى من البرد

هذه مقدمة موجزة لابد منها لتفهم بعض مظاهر سيكولوجية الطفل لأن نموه وتطوره ما هما إلا نوع من ضرورة ملاءمة البيئة ، وهذا النمو نفسه هو تغيير مستمر فى الشكل « مورفولوجى » ووظيفى « فسيولوجى » ونفسانى « سيكولوجى » ، فالحاجة أو الوظيفة تخلق العضو وتكيفه بشكل خاص « Le besoin crée L, organe » وكذلك العضو يخلق الحاجة أو الوظيفة ويطبعها بطابعه « L, organe crée le besoin » .

نرى مما تقدم أن « المورفولوجى » مرتبط « بالفسيولوجى » كما أن الأخير مرهون « بالسيكولوجى » ومن هنا يحق لنا القول بأن البيئة و « المورفولوجى » و « الفسيولوجى » و « السيكولوجى » هى وحدة — كوحدة وادى النيل — لا تقبل التجزئة ، ونسيج واحد متناسق متجانس لحمة وسدى .

نمو الطفل :

هنالك ظاهرة تسترعى الانتباه وتلفت النظر فيما يتعلق بنمو الطفل ، أو بعبارة أخرى ملاءمته لبيئته ، وتلك الظاهرة هى طول المدة اللازمة لذلك ولاسيما إذا قارناها بمتوسط عمر الإنسان (نحو خمسين عاماً فى الغرب وأربعين عاماً فى الشرق) فهو يستغرق أكثر من ثلث متوسط عمره كرجل ليبلغ القمة من نموه الجسمى وهى سن العشرين أو الواحد والعشرين ، ومن هنا يمكن أن نستخلص قانوناً عاماً يمكن تطبيقه على الإنسان والحيوان ، وفحواه أنه كلما كان الحيوان دقيق الصنع معقد التركيب كانت المدة اللازمة لنموه طويلة بالنسبة لمتوسط عمره .

ويمكننا أن نعتبر بأن الطفل يمر بأربعة أطوار :

١ — الطور الأول منذ وقت ظهوره إلى عالم الوجود إلى الثانية من عمره .

٢ — الطور الثانى منذ أول العام الثالث إلى السابعة من عمره

٣ — الطور الثالث من أوائل العام الثامن إلى آخر الحادى عشر .

٤ — والرابع منذ آخر الحادى عشر إلى آخر الثامن عشر .

الطور الأول :

يبلغ متوسط وزن الطفل عند الولادة نحو ثلاثة كيلوجرامات وهذا الوزن يبلغ ثلاثة أضعافه بعد نهاية العام الأول ، وأربعة أضعافه لما يكمل الطفل عامين من عمره ، ومن هنا نرى أن هذا الدور من عمر الطفل يمتاز بسرعة النمو ولا سيما من حيث الثقل، ويأتى بعده الطور الرابع فيما يتعلق بسرعة النمو وخصوصاً من ناحية طول القامة ، أما الثانى والثالث فهما أقل أهمية من سابقيهما إذ يبطؤ فيهما النمو نسبياً .

طور المراهقة :

يبدأ لدى الطفل فى نحو العام الثانى عشر ويستمر إلى السابع أو الثامن عشر من عمره ، ولدى الطفلة من الحادى عشر إلى السادس عشر ، ولكن هذه الحدود والمقاييس نسبية تختلف اختلافاً كبيراً بالنسبة للأجناس والأماكن ، وهى عندنا فى الشرق أكثر بكوراً منها فى الغرب . يسرع النمو فى ابتداء المراهقة من حيث القامة والأطراف وخاصة السفلى منها ، وفى هذا الطور يضعف الطفل ويعتريه شىء من الهزال والكلال كما تقل مناعته ويختل توازن الجسم ، ومن هنا كان هذا الطور أخطر الأطوار إذ هو دور انقلاب جسمانى وعقلى ونفسانى مما يحتم على الوالدين والمربين ملاحظة الطفل والعناية به من حيث الغذاء والرياضة البدنية والنفسانية !

تظهر على الطفل عوارض وسمات الجنس تدريجياً -- من رجولة أو أنوثة ويبدأ التناسق فى أعضاء الجسم كما تبطؤ حركة النمو الجسمى من السابع عشر أو الثامن عشر إلى العشرين أو الواحد والعشرين على وجه التقريب وهو الحد الأعلى للنمو الجسمى .

تمركز اهتمام الطفل حول ذاته : « Egocentrisme »

هو بدء الحياة العاطفية والعقلية لدى الطفل وهو شعور غريزى وغير واع لا يميز الطفل فى بدايته بين ذاته وبين ما يحيط به بل يخلط بينهما خلطاً . بيد أن هذا الخلط نفسه آت من ارتباط الطفل ببيئته وتكوينه وحدة معها ، كما أن هذا الشعور نفسه يقع تحت بند ظاهرة الإخضاع « Assimilation »

والحيازة إذ الطفل يحاول أن يجتذب كل شيء ويمتلكه وليس فى ذلك من شذوذ ، ولكنها تخضع لقانون حيوى ، ثم يتطور ذلك الشعور ونقصد به تمركز اهتمام الطفل حول ذاته ويبدأ بالتفريق ما بين ذاته وغيرها مما يحيط بها ، كما تبدو عنده الظاهرة الثانية ونعنى بها الخضوع و « التكييف » أى « Accomodation » وعند ظهورها فقط يمكن أن نقول بأن الطفل بدأ يلائم بيئته ملاءمة حقيقية .

تطور عقلية الطفل :

يقول « بياجيه » « Piaget » فى كتابه « الحكم والاستنباط لدى الأطفال » وكتابه « فهم الطفل للعالم » وكتابه « بدء الحياة العقلية عند الأطفال » بأن أهم ما يميز عقلية الطفل ثلاثة خواص هى : « الواقعية » « Réalisme » و « الحيوية » « Animisme » و « الاصطناعية » « Artificialisme » .

فالواقعيـة لدى الأطفال ليست بواقعيـة الكبار ، بل تختلف عنها اختلافاً كبيراً ، فهى نظرة مغرضة متحيزة لما يحيط بهم من أشياء ، وكل ما يقع تحت حواسهم — وما يكون منها خاصاً لتلك الحواس فقط — ينظرون إليه بلغة عواطفهم وبما يشتهونه أن يكون ، كأنمـا كل شيء خلق لهم ومن أجلهم ، وبعبارة أخرى لا يفرقون بين ما لهم وما لغيرهم .

والحيوية استعملها لأول مرة بعض علماء « الانتروبولوجى » أى علم الإنسان ، إذ وصفوا بها عقلية بعض الشعوب الفطرية التى لم تتطور عقليتها بعد ، بل وقفت عند هذا الحد الصبيانى ؛ والذين يعبدون الجماد من أصنام وتماثيل أو الشمس والقمر ، ويعتبرونها كائنات حية ذات حول وقوة .

كذلك الطفل فى أول طفولته ينظر إلى بعض الأجسام من جماد كأنها كائنات حية ذات إرادة ، فالقمر ينظر إليه ويتبعه ، والسيارة تنقله من مكان لآخر لأنها منقادة مطواعة تقدم له خدمات عن وعى وإرادة . وقد يصطدم رأسه بالحائط فيتألم من ذلك وتثور ثورته فينهال على الحائط ضرباً عقاباً له على ما اقترف من ذنب ، كما يغضب لأن لعبة من لعبه لم تطاوعه ولم تسر على هواه فينهال عليها ضرباً ويوقع بها العقاب ، وربما حطمها وهو يعتبرها كائنات حية ذات إرادة .

كذلك المنويات لدى الأطفال ما هى إلا كائنات حية ، فقد يتخيل الله كرجل وقور ذى لحية بيضاء وسيما جسيما ، وليس فيما نذكر من غرابة أو شذوذ إذا علمنا بأن الإنسان الأول مر على هذا الطور ، ومازالت بعض الشعوب البدائية تقف عنده فى تطورها العقلى . فقدماء الإغريق والمصريين كما ورد فى الألياذة وما ارتسم على الجدران وأوراق البردى من نقوش ، كانوا يتصورون الآلهة فى صورة بشرية مجسدة حية لها خواص البشر إلا أنها تختلف عنهم فى بعض الأوجه كالسيطرة والسلطان المطلق لتصريف أمور الكون وتنعم بنعمة الخلود والحياة السرمدية !

أما الاصطناعيـة فهى تتلخص فى اعتقاد الطفل أن كل ما يحيط به ويقع تحت حواسـه ما هو إلا اصطناعى من خلق الإنسان ولاسيما والديه وهو شعور منشؤه الحياة الأتكالية وتمركز اهتمام الطفل حول ذاته . فالشمس صنعت لإنارته ودفئه ، والبقرة صنعت لكى تدر عليه اللبن كما لو كان لسان حاله يقول « من يمدى الطرفان » .

العواطف عند الطفل :

هى وليدة الحاجة تتكون من مجموعة انفعالات عمياء غير واعية ، ومن هنا كان الاضطراب الذى يسودها ، كما أنها تنمو مع الطفل وتتهذب وتصقل ويتوجه كل منها فى اتجاه معلوم ، كما تلتقى الانفعالات المتشابهة المتجانسة فى « بؤرة » واحدة ، وفى هذه الحالة فقط يصح لنا تسميتها « بالعواطف » ، وهـذه العواطف الطفلية ترمى إلى غرضين مختلفين : أولهما عامل النمو والتطور وتتحكم فيه الأنانية والاستيلاء على كل شيء ، وعدم الاعتراف بما يخرج عن محيط « الذات » كما يمتاز بالخلط ما بين وغيرها مما يحيط بها . والثانى هو عامل ملاءمة البيئة ملاءمة حقيقية لنميزه عن العامل الأول حيث اللاءمة لا تكون إلا جزئية ، ومن ناحية واحدة هى ناحيه الحوز أو الإخضاع أو التمثيل ، وفى هذا الطور يحدث عند الطفل ما يشبه التضحية وإنكار الذات لحد ما ، إذ يبدأ التفريق ما بين ذاته وغيرها ، ويعترف بوجود ما حوله. ويسمى الاجتماعيون الطور الأول بطور الحيوانية «Animalité» والثانى بطور الإنسانية « Humanité » .

عاطفة الأنانية :

هى أثر من آثار تمركز الاهتمام حول الذات « Egocentrisme » لأن هذا الاهتمام لم يتطور أو يتبدل إلا جزئياً وهى عاطفة غريزية وضرورة « بيولوجية » لازمة لنمو الطفل وحفظ النوع، كما أن آثارها تبقى حتى عند الكبار، تتفاوت فى الدرجات ولكنها لا تزول نهائياً حتى فى نفوس أكثر الناس تضحية وإنكاراً للذات، وما هذا الإنكار إلا نسبي، وأن المبالغة فى إظهاره وتجسيمه ما هو إلا نوع من حب الظهور تمليه عاطفة دفينة هى الأنانية نفسها التى تحاول أن تخفيها وتظهر عكسها والمضاد لها من الصفات . ويزعم الكاتب الاجتماعى « دانتك » « Dântec » بأن الأنانية هى الترياق الشافى لذلك السم الاجتماعى ونقصد به التطفل والحياة الأتكالية التى تعتمد على الغير، وقد ذهب هذا الكاتب إلى أبعد من ذلك فى زعمه، وألف كتاباً فى هذا الصدد عنوانه « الأنانية هى الأساس المتين الذى يجب أن تقوم عليه الهيئة الاجتماعية » .

والأنانية تتطور عند الطفل وتأخذ صورة اجتماعية معينة هى بدء الشعور بعزة النفس والكرامة ؛ يشعر الطفل فى هذه الفترة بحاجة ملحة إلى الإطراء والثناء من جانب الغير، فتراه تواقاً لعرض ما يمتلك من أدوات اللعب وما يرتدى من ثياب فى شىء من الزهو والمباهاة، ثم يقوم أمامك بما يحسن ومالا يحسن من ألعاب، أو يلقى على مسمعك ما وسع اجتهاده وما وعت ذاكرته الضعيفة من دروس أو أغانى، وهو فى كل ذلك حريص كل الحرص على أن ينال منك أكبر قسط من الثناء والتهانى، كما يسيئه أن تمتدح أمامه طفلا آخر فيشعر بشىء من الغبن ويتألم لجرح كبريائه .

هذا والشعور بالكرامة نفسه يتطور إلى غيره من الصفات، فهو إذا صادف تشجيعاً من الغير وسلم من عوادى التجريح سما إلى شىء من الاعتماد على النفس والشجاعة والكبرياء، وهى صفات مصدرها الشعور بالقوة ؛ أما إذا حال حائل دون نموه الطبيعى بمعنى أن أصيب بالكبت والقهر من جانب القساة من الوالدين أو وجه توجيهاً خاطئاً بواسطة الجهلاء من المربين، فإن هذا الشعور ينحرف ويشذ ويصبح الطفل خجولا أو جباناً كما تولد فى نفسه عاطفة الحسد والحقد على الغير وهى صفات منحدرة من الضعف وعدم الاعتداد بالنفس .

ظهور الشخصية واكتمالها عند الطفل :

يبدو هذا الطور عند الطفل فى نحو الثالث من عمره كشخصية قائمة بنفسها ويمر الطفل أثناءه بطورين متضادين :

الطور الأول سلبي : يكون فيه الطفل عصياً شديد العناد يعمل فى معظم الأحيان بعكس ما يلقى عليه من تعليمات على حد المثل « خالف تعرف » ويجد فى ذلك لذة نفسية تنتج عن شعوره بشخصية مستقلة عن الغير تعمل حسب ما يوافق هواها، كما يبدأ التفريق بين ما له وما لغيره وهو شديد الضن والحرص على ما يمتلكه إذ تلك الممتلكات خاصة بشخصه يرى فيها مكملا لتلك الشخصية ومساعداً لبروزها .

والطور الثانى إيجابى : يحاول الطفل فيه جلب إنظار الغير بشتى الطرق، ثم يبدأ بتقليد الغير لا من الصغار أو من هم فى مثل سنه ولكن بالكبار من مختلف الأوساط والهيئات تشبهاً بهم .

ثم يستجد فى حياة الطفل حادث له أهمية كبيرة من حيث الشخصية، وذلك حين يبلغ السادسة من عمره وهى السن التى يغادر فيها « مدرسة الأم » المنزلية ويختلط بغيره من الأطفال فى المدارس الأولية، إذ تضطره قوانينها للخضوع كما يشعر بشىء من تلاشى الشخصية وضعفها لحد ما، ويقل تفكيره فى « الأنا » وتطغى ظاهرة الخضوع والمطاوعة « Accomodâtiou » على ظاهرة الإخضاع « Assimilation » ويستمر الحال كذلك إلى أن يبلغ العاشرة من عمره، وهى السن التى يحصل فيها على شىء من التوازن .

بيد أن هذا التوازن لا يدوم طويلا إذ يختل ويضطرب فى طور المراهقة الذى يبدأ فى نحو العام الثانى عشر إذ تتغلب ظاهرة الإخضاع مرة أخرى ويشعر المراهق بحاجة شديدة لإثبات شخصيته وفرضها على الغير مثل ما يحدث عنده وهو فى الثالثة من عمره ولكن بصورة أوضح، وكذلك يمر على طورين :

الطور الأول سلبي : وهو طور العصيان والتمرد، ولكنه تمرد أكثره على المعنويات منه على الناس والأشياء ينتقد فيه آراء غيره ويتوق إلى الهدم ويخالف العرف كما يجنح إلى « المثالية »

كذلك تكثر عنده أحلام « اليقظة » .

والطور الثانى إيجابى : يعتنى فيه المراهق بهندامه كما يكون شـديد الغرور بمحاسنه الجسدية أو المعنوية والرغبة فى إظهارها للغير كلما وجد إلى ذلك سبيلا .

اكتمال الشخصية :

لا يمكن للشخصية أن تكتمل إلا إذا تم التوازن فى شكل متآزر متناسق بين ما ذكرنا من مظاهرات وانفعالات وصفات ، ومن خطل الرأى أن نعتمد على الطبيعـة كل الاعتماد لتهب لنا ذلك التوازن المنشود ، بل يجب علينا أن نعينها على أداء وظيفتها بكل ما فى وسـعنا وهى المسئولية الجسيمة التى تقع على عاتق الوالدين والمربين والمرشدين ، فيجب عليهم — والحالة هذه — أن يكونوا أهلا للقيام بها على أحسن وجه .

وليس المجال هنا بمتسع لسرد ما يجب اتباعه حتى ينشـأ الطفل متزن الشخصية كاملها وبارزها ، وقد عالج ذلك علمـاء التربية الحديثة والاجتماعيون بمقدرة تـامة وليـدة التجارب والعقل الذكى .

هذه نبذة مختصرة ولمحة خاطفة من سيكولوجية الطفل وبدء سوف يعقبه عود قريب والعود أحمد .

(باريس) فضل أبو بكر

بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

٢ — الاتجاهات الحديثة وظهور الإسلام :

القـــــانون والمجتمع (*)

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

من وجهة النظر الدينية الحديثة للمعارضين فى أضيق معانيها ، نتجه نحو الغايات الاجتماعية للنهضة الإسلامية . لما كانت التقاليد والأوضاع الاجتماعية والقانون — فى الأصل — مظاهر للنظام الدينى فى الإسلام ، فإن كل هذه المسائل ترتبط بالفقه الدينى إلى حد أكبر مما هى عليه فى حضارتنا الغربية . وعلى ذلك فأحدث التيارات الفكرية حول هذه المسائل ، تفيض فى جدولين مختلفين يمكن تمييزهما — ولو نظريا على الأقل — : جدول الإصلاح ، وجدول المعارضة . بيد أنه من الناحية العملية ، يصعب أحياناً أن نقرر ما إذا كان مايتراءى لنا معارضاً ، ليس حقاً مجهود خداع تجاه الإصلاح ؛ وفكرة للدفاع عما يؤكده الكاتب من أنه رأى الإسلام الأصلى فى الشئون الاجتماعية .

وكثيراً ما يوصف الإسـلام بأنه دين عام شامل ؛ ولـكن جميع الأفكار الدينية التى شكلت النظرة الخيـالية والعقلية فى ذهن الإنسان ، وقررت الأعمال الإرادية الإنسانية ، تميل إلى أن تكون شاملة . فهى يجب أن تعمل على أن تسير قواعدها على مختلف نواحى النشاط الاجتماعى ، لـكى تسيطر على الحـكومة . وعلى هذا الأساس فالدين اليهودى عام ، وكذلك المسيحية . ولئن نسينا ذلك فإنما نفعـل لأن المسيحية منذ فجر حياتهـا ، كانت مضطرة إلى قبول السـلطة والقانون الرومانى ؛ ولأنها — عند ما كان يظهر أنها على قاب قوسين أو أدنى من النصر ، فى كفاحها المرير مع نظام الإقطاع فى العصور الوسطى — كان عليها أن تتحمل صدمات عدوين جديدين هما : الإنسانية والعلم . والعلم نفسه آخذ فى الاقتراب من الانقلاب إلى فكرة التعميم ، بعد أن حطم معارضة الدين ، وذلك باتحاده مع الإنسانية وارتباطه بالتحرر الاقتصادى . وإذا حكمنا بطلائعها فى ألمانيا والروسـيا ، فإن التعميم العلمى يعمل على إيقاع العالم فى مأزق ضيق ، شديد وصعب ، بعيداً عن كل شىء ، إلا ما جربه الجنس البشرى .

وبالمقارنة نجد أن التعميم (الشمول) فى العقيدة الدينية طريق سهل واضح . فمهما تكن عليه السلطات الدينية من غفلة ، فإنها على الأقل تعرف قيمة الفرد وشخصيته ، فتكفل له قدراً معقولا من الحرية . وفى الإسلام كان لهذه الحرية حد بعيد ، يزيد بعداً بفقد التنظيم ، وغياب القيادة ، ولـكنها — كما فى كل النظم العامة — تحاول أن تتحكم أو تمنع انتقال « الأفـكار الخطرة » وانتشارها .

وإنه لجدير بنا أن ننظر نظرة فاحصة فى أثر مبدأ « الأفـكار الخطرة » خطرة على من ؟ على مستقبل الفرد ؟ وإذا رأى الإنسان — بعد كل شىء — أن يخاطر فيما يجلب له العقوبة الأبدية فى جهنم ، فإن هذا هو شأنه الخاص . أم خطرة على تنقية المعتقدات

(*) انظر ما نشرناه فى العدد ٧٩٠ من الرسالة الغراء (المترجم)

وخلاص المجتمع الذى قد يكون فى خطر السوء أربعا أو لكن هذا إجماع ضئيل فى مجتمع بنظر إلى « الاجماع » كما ينظر إلى التنظيم الطبيعى . ولكن الاختلاف فى المعتقدات قد يؤدى إلى الانقسام والقتال ، وهـذا هو بيت القصيد . ولقد جرى العرف على أن المجتمع لا يمكن أن يكون ثابتاً غير مزعزع ، إلا إذا كانت الأخلاق شائعة فيه ؛ تنشرها عقيدة دينية صارمة ، ولن تصبح الأخلاق ثابتة راسخة إلا إذا كانت العقيدة الدينية فى حرز حريز من المؤثرات المادية للايمان وخالصة منها ، إذن فليست صيانة الأخلاق بأكثر أهمية من تثبيت المجتمع فحسب ، بل إنها الحالة الوحيدة التى يستطيع أن يتقـدم فى ظلها المجتمع نحو الطريق المستقيم ؛ مثلا نحو مرتبة عالية من التكامل الاجتماعى ، وحياة أكثر ملاءمة للفرد .

أى أن نوع المجتمع — الذى تشيده الجماعة لنفسها — يعتمد أساساً على معتقداته ، مثل طبيعة الكون وغايته ، ومكانة النفس الإنسانية فيه . وهذا اعتقاد طبيعى يتكرر فى الكنيسة أسبوعاً بعد أسبوع . ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذى رمى على الدوام إلى تشييد مجتمع على هذا المبدأ ، وكانت العدة الأساسية لهـذا الغرض هي القانون . و« علم القانون » — على حد تعبير أحد المفسرين المسلمين المشهورين — « هو معرفة الحقوق والواجبات التى تمكن الإنسان من أن يبصر الأحوال الصحيحة فى هذه الحياة ، وأن يعد نفسه للعالم الآخر . »

وبعكس الحال فى القانون الذى ورثه العالم المسيحى عن روما، نجـد القانون الإسلامى يرعى العلاقات بجميع أنواعها ، مع الله ومع البشر . ويشتمل على أمور كثيرة ، مثل تأدية الواجبات الدينية ومنح الصدقات (أداء الزكاة) ، وكذلك النظم المنزلية والمدنية والاقتصادية والسياسية . وهو بجوهره وطبيعته وغرضه متعلق تماماً بالمثل الدينية . والواقع أن الأحكام الخلقية تعنى بالحقائق الظاهرية لفعل وقع أقل من عنايتها بالعواطف والغايات . وأن أى قانون وضعى ينبغى بوجه عام أن يهتم بالحقائق الخارجية . ولكن الروح والقواعد النهائية واحدة فى كل ، فكلاهما يرفض الجدل الذى يرى صحة أفعال بعينها بسبب نتائجها الاجتماعيـة ، حتى ولو كانت نتائج مرغوباً فيهـا . وقد تبع ذلك أن القانون الإسلامى لم يكن معتبراً — مثل القانون الرومانى والحديث — أنه الخلاصة التدريجية لتجارب النـاس التاريخية . وإن أولى مظاهره هى ترتيب الأعمـال فى مستويات مطلقة للخير والشر ، وما تثبيت العقوبات لأحكام المستوى سوى مسألة ثانوية .

إن المستوى الصحيح للخير والشر ليس بالشيء الذى يمكن أن يتحكم فيه عقلياً . ولقد رأينا فى الفصل الأول [١] ، كيف أن العقلية الإسـلامية رفضت كل تلك النظريات العامة التى تخرج منها بمستويات مطلقة . وكانت الوسيلة الوحيدة التى يمكن معرفتها بها هى العلانية ؛ إذ أن الله وحده هو الذى يعلم ما هو خير أو شر مطلق . ولذلك كان النظام القانونى فى الإسلام يبدأ مع القرآن ، ويتطور جنباً إلى جنب — وبنفس الطريقة — مع التنظيم النظرى . إن الأمثلة الموجودة فى القرآن أو التى استخرجت منه ، قد اكتملت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم السائدة ، وأتمها الإجمـاع الثـابت للمجتمع . وإن المذاهب الأربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، مذاهب قانونية ، أكثر منها دينية . ثم إن الجماعات التى تعنى بالنظريات ، قد شيدت نظمها على خطوط متشابهة .

ولسنا هنا فى حاجة إلى أن نتعمق كثيراً فى مبادىء هذه النظم القانونية وأساليبها ، فإن أهم ما يعنينا ، هو أن نحيط علماً بقيمة التأثير المتبادل بين القانون الإسلامى والمجتمع الإسلامى . فـكل تنظيم يفترض — بادىء بدء — أن هؤلاء الأشخاص الذين يعمل لخدمتهم يرغبون فى قبول سلطانه ، ويفهمونه على أنه محيط بهم — حتى ولو خاطروا من حين إلى آخر — وتمدوا حدوده . إذن فقبول القانون الإسلامى كان مترتباً على قبول دين الإسلام . وقد دخل فى دين الإسلام عدد كبير من الشعوب التى كان لـكل منها تراث اجتماعى شرعى . وباتخاذها الإسلام ديناً لها ، قبل أعضاء هذه المجتمعات مبدئياً سلطان القانون الإسلامى .

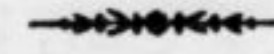
ومهما يكن من شىء فإن من الواضح أنه ليس من السهل القضاء على التراث الاجتماعى العتيق . وقد كان على زعماء الدين فى الإسلام — فى الواقع — أن يكافحوا فى سبيل توسيع مدى السلطة الأصلية للفقه الإسـلامى ، ونشره بين هؤلاء الناس .

---

(١) أسس الفكر الإسلامى .

تصحيح تصحيف وتحرير تحريف

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي



كم للتصحيف والتحريف فى اللغة العربية من جنايات على هذه اللغة ! وكم لهما من آثار سيئة فى الأدب والتاريخ ! وكم أفسد كلاهما من عبارة ، وشوّه من معنى ، وأوقع فى لبس وإبهام ، وترك القارئ يخبط فى عشوة وظلام . اطلعت على الكتاب القيم الممتع (ظهر الإسلام) تأليف العلامة المحقق الأستاذ الجليل (أحمد أمين بك) فرأيت فى صفحة ١١٧ من الطبعة الثانية منه ما يأتى :

وهذا أبو على القالى البغدادى ، ضاقت به الحال قبل أن يرحل إلى الأندلس ، حتى اضطر أن يبيع بعض كتبه وهى أعز شئ عنده فباع نسخته من كتاب الجمهرة ، وقد كان كلفا بها ، فاشتراها الشريف المرتضى ، فوجد عليها بخط أبى على :

أنست بها عشرين حولا وبعتها ... فقد طال وجدى بعدها وحنينى

وما كان ظنى أننى سأبيعها ... ولو خلدتنى فى السجون ديونى

ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل جفونى

فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوى الفؤاد حزين

(وقد تخرج الحاجات ياأم مالك ... ودائع من رب بهن ضنين)

وأقول إن هذه الحادثة إنما وقعت لأبى الحسن على بن أحمد ابن على الفالى . فكنيته أبو الحسن لا أبو على ، ونسبته الفالى (بالفاء الموحدة التى هى من الحروف المهموسة والشفوية ، لا بالقاف المثناة إحدى الحروف المجهورة التى مخرجها بين عكوة اللسان واللهاة فى أقصى الفم) وقد ساق هذه الحكاية على صحتها العلامة المؤرخ الثقة الأديب شمس الدين أحمد الشهير بابن خلكان فى كتابه الحجة المعروف باسم (وفيات الأعيان) ، قال رحمه الله تعالى فى ترجمة الشريف أبى القاسم المرتضى ما نصه :

وحكى الخطيب أبو زكرياء يحيى (١) بن على التبريزى اللغوى

(١) يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة والأدب ولد سنة ٤٢١ وتوفى ببغداد سنة ٥٠٢

وقد لاقوا فى هذا الكفاح حظاً موفوراً من النجاح ؛ على الرغم من أنه لاتزال هناك جماعات — مثل البربر فى شمال غرب أفريقيا — غالبيتها مسلمة فى الشعور ، بيد أنها حافظت على قانونها التقليدى أمام كل مجهودات العلماء . وقد أفلح العلماء — إلى حد نجاحهم فى فرض القانون الإسلامى — فى توحيد المجتمع الإسلامى ؛ إذ أن القانون — كما سبق أن قررنا — كان المعول الذى رسخت به الأخلاق الاجتماعية .

على أنه يوجد هنا بعض اختلافات واضحة ينبغى بسطها . فعلى الرغم من أن القانون يشتمل نظرياً ، وحسب شرح العلماء على كل نوع ومظهر للعلاقات الاجتماعية ، إلا أنه كان هناك « مناطق كثيرة » فى حياة الجماعة مجهولة من الناحية العملية . وإن الأوضاع السياسية والحكومية ، وجزءاً كبيراً من سلطان العقوبة ، ومعظم التجارة ذات النطاق الواسع ، كل هذه قد وسمت مدى أثرها الفعلى — حتى ولو كان القائمون بأمرها مرتبطين — كما حدث أحياناً بأساسها بواسطة تقليد رسمى .

وأنه لحق أنه فى هذه المناطق ، وبين الطبقات التى فيها — قد حدث الشعور بالمؤثرات الأوربية من بادىء الأمر ، وانتشر نفوذها . وهذه الحقيقة تذهب بعيداً فى تفسير ضعف المقاومة — فى المجتمعات الإسلامية ذات الدساتير — أمام إدخال نظم حكومية وتجارية ومدنية مؤسسة على نماذج أوربية . حتى أنه لم يبق ليومنا هذا إلا المملكة السعودية — وإلى حد ما — أفغانستان تسيران على الأوضاع القانونية الإسلامية القديمة . وقد يساعدنا هذا فى بيان السبب فى أن المجددين الأحرار (إذ أن مكانتهم قد أصبحت أرق من تلك الطبقات التى لم تكن سلطة القانون الدينى بينهم مطلقة) سبب وقوف هؤلاء المجددين مواقف غريبة — بل نقول حرجة ... ودنيوية — تجاه مسائل فى القانون الإسلامى ...

ترجمة

محمد محمد على

أن أبا الحسن على بن أحمد بن على بن سلك الفالى الأديب كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن (١) دريد فى غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القـاسم المذكور (٢) بستين ديناراً وتصفحها فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها أبى الحسن الفالى المذكور وهى :

أنست بها عشرين حولا وبعتها الخ

فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير رحمه الله تعالى .

وهذا الفـالى منسوب إلى (فالة) بالفاء ، وهى بلدة بخوزستان قريبة من أيذج ، أقام بالبصرة مدة طويلة ، وسمع بها من أبى عمر ابن عبـد الواحد الهاشمى (٣) وأبى الحسن بن النجار وشيوخ ذلك الوقت ، وقدم بغداد واستوطنها وحدث بها ؛ وأما جده سلك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبعـدها كاف ، هكذا وجدته مقيداً ؛ ورأيت فى موضع آخر بكسر السين وسكون اللام والله أعلم .

وكانت وفاة أبى الحسن الفالى المذكور فى ذى القعدة سنة ٤٤٨ ليلة الجمعـة ثامن الشهر المذكور ، ودفن فى مقبرة جامع المنصور ، وكان أديباً شاعراً ، روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وأبو الحسن الطيورى وغيرهما رحمه الله تعالى . انتهى من تاريخ ابن خلـكان .

(أقول) وقد ترجم له الخطيب البغـدادى (٤) فى تاريخ بغداد بما يأتى : على بن أحمد بن على بن سلك أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالى من بلدة تسمي فالة قريبة من أيذج (٥) ، أقام بالبصرة مدة طويلة وسمع بها من أبى عمر بن عبد الواحد الهاشمى وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها وحدث بها ، كتبت عنه شيئاً يسيراً وكان مؤدباً ثقة ، مات فى ليلة الجمعة الثامن من ذى القعدة سنة ٤٤٨ ودفن فى يوم الجمعة فى مقبرة جامع المنصور .

وفى الأنساب للسمعانى (١) ما يأتى :

(الفالى) بفتح الفاء وفى آخرها اللام ، هذه النسبة إلى فالة قال أبو بكر الخطيب أظنها من بلاد فارس قريبة من أيذج ، والمشهور بالنسبة إليها أبو الحسن على بن أحمـد بن على بن سلك المؤدب الفالى ، سمع بالبصرة القاضى أباعمر القاسم بن جعفر الهاشمى وأبا الحسن على بن القاسم النجار وأبا عبد الله أحمد بن إسحق بن حزبان النهاوندى وغيرهم ، أقام ببغـداد إلى آخر عمره ، وكان أديباً شـاعراً فاضلا ، روى عنه أبو بكر أحمـد بن على بن ثابت الخطيب وأبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الطيورى (٢) وغيرهما ذكره أبو بكر الخطيب فى التاريخ الخ) اه .

وذكر ترجمتـه أيضاً ياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، قال : على بن أحمد بن سلك (الفالى) بالفاء وليس بأبى على القالى بالقاف ذلك آخر اسمه إسمعيل له ترجمة فى بابه ، وكنية هذا أبو الحسن ، يعرف بالمؤدب من أهـل بلدة فالة ، موضع قريب من أيذج ، انتقل إلى البصرة فأقام بها مدة ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة ، له معرفة بالأدب والشعر ، ومن شعره قوله :

تصدر للتدريس كل مهوس ... بليـد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العـلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع فى كل مجلس
(لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

ومنه ما رواه عنه تلميذه الخطيب التبريزى :

(١) أبو بكر محمـد بن الحسن بن دريد الأزدى اللغوى البصرى الأديب ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ وتوفى ببغداد سنة ٣٢١

(٢) أبو القاسم على بن الحسين بن موسى ، ولد سنة ٣٥٥ وتوفى ببغداد سنة ٤٣٦

(٣) هو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد ابن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب من أهل البصرة وولى القضاء بها ، وقدم بغداد سنة ٣٧١ ، سنة ٣٧٧ ، وكان مولده سنة ٣٢٣ بالبصرة ، وتوفى بها سنة ٤١٤

(٤) ولد سنة ٣٩٢ وتوفى ببغداد فى أواخر سنة ٤٦٣

(٥) كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان ، وهى أجل مدن هذه =

= الكورة وسلطانها يقوم بنفسه وهى فى وسط الجبال يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز والنواحى ومزارعهم على الأمطار .

(من معجم البلدان لياقوت)

(١) عبد الكريم بن محمد ، ولد بمدينة مرو سنة ٥٠٦ وتوفى بها سنة ٥٦٢

(٢) أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفى البغدادى المحدث ، كان مكثراً صادقا صالحاً أميناً ديناً صيناً وقوراً ، توفى أواخر سنة ٥٠٠ (شذرات الذهب)

لما تبدلت المنازل أوجهاً غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الألى كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتاً سائراً متقدماً والعين قد شرقت بجارى مائها
(أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها)

ثم ساق حكاية بيعه كتاب الجمهرة نقلا عن الخطيب التبريزى أيضاً وفيه شيء يخالف ما فى ابن خلكان ، قال وحدَّث أبوزكرياء التبريزى قال : رأيت نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد باعها أبو الحسن الفالى بخمسة دنانير من القاضى أبى بكر بن بديل التبريزى وحملها إلى تبريز ، فنسخت أنا منها نسخة فوجدت فى بعض المجلدات رقعة بخط الفالى فيها :

(أنست بها عشرين حولا ...) إلى آخر الأبيات .

فأريت القاضى أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال : لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه ، وكان الفالى قد مات ، اه

أقول لعل الفالى رحمه الله باع هذه النسخة فى صفقة ثانية بعد أن أعادها إليه الشريف المرتضى . والبيت الأخير من أبياته تضمين لما قاله أعرابى باع لحزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام جملا بخمسين ديناراً ، فلما نقده ثمنه جمل الأعرابى ينظر إلى الجمل ويقول :

(وقد تخرج الحاجات ياأم مالك كرائم من رب بهن ضنين)

فقال له حمزة : خذ جملك ، والدنانير لك ، فانصرف بجمله وبالدنانير . ومن شعر الفالى أيضاً فى شهر الصوم :

رمى رمضان شملنا بالتفرق فيا ليته عنـــا تقضَّى لنلتق
إذا مر أهل الأرض طراً قدومه فإن سرورى بانسلاخ الذى بق

وفى معجم البلدان لياقوت ما يأتى :

(فالة) بزيادة هاء بعد الفاء والألف واللام بلدة قريبة من أيذج من بلاد خوزستان ، ينسب إليها أبو الحسن على بن أحمد ابن على بن سلك الفالى المؤدب سمع بالبصرة من القاضى أبى عمرو أحمد بن إسحق ابن جربان وحدث بشيء يسير ، اه .

وقال فى تاج العروس شرح القاموس : (فالة) بلد بخوزستان قريبة من أيذج منها أبو الحسن على بن أحمد (بن سلمان) المؤدب روى عن أبى عمر القاسم بن جعفر الهاشمى وغيره ، وروى عنه أبو بكر الخطيب ، وأبو جعفر الطيورى ، مات سنة ٤٤٨ اه .

وقد نقل هذه الحكاية صاحب كتاب الفلاكة والمفلوكين (١) موجزة وصحف فيها الفالى بالقالى ، ونص عبارته :

(القالى) أبو الحسن على بن أحمد بن على القالى كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكان كلفاً بها فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها أبى الحسن القالى المذكور :

(أنست بها عشرين حولا وبعتها ...) إلى آخر الأبيات كما فى كتاب (ظهر الإسلام وروايته) .

ونقل هذه الحكاية أيضاً صاحب شذرات الذهب (٢) فى ترجمة الشريف المرتضى نقلا عن ابن خلكان فسلم من التصحيف ، غير أنه وقع فيه كذلك فى ذكره من توفوا سنة ٤٤٨ (وهى سنة وفاة أبى الحسن الفالى) فقال : وفيها أبو الحسن (القالى نسبة إلى قالى قلا من ديار بكر) على بن أحمد بن على المؤدب الثقة روى عن أبى عمر الهاشمى وطبقته اه . فصحف كما ترى (الفالى) إلى (القالى) وزاد من عنده تلك الزيادة الخاطئة التى بين القوسين .

أما أبو على القالى : فهو إسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالىّ اللغوى صاحب كتاب الأمالى المشهور ، ولد سنة ٢٨٨ بمنازجرد من ديار بكر ودخل بغداد سنة ٣٠٥ وأقام بها إلى سنة ٣٢٨ ، ثم خرج منها قاصداً الأندلس ، فدخل مدينة قرطبة فى أواخر شهر شعبان سنة ٣٣٠ وتوفى بها سنة ٣٥٦ ، وإنما قيل له (القالى) لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قالى قلا فبق عليه الاسم : وهى من أعمال ديار بكر — ومن كل ما تقدم يظهر أن صاحب الحادثة يكنى أبا الحسن لا أبا على ، وأنه الفالى لا القالى ، وأن وفاة أبى على القالى كانت قبل وفاة أبى الحسن الفالى باثنتين وتسعين سنة ، بل توفى القالى قبل مولد الفالى ، وأن مولد الشريف المرتضى ببغداد فى سنة ٣٥٥ يعنى قبل وفاة أبى على

(١) هو شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الله المصرى الدلجى الشافعى المتوفى أواخر سنة ٨٣٨ هـ وقد طبع هذا الكتاب بمصر بمطبعة الشعب سنة ١٣٣٢ هـ ولكن لم يذكر فيه نسب المؤلف ولا سنة وفاته (بل اقتصر على قوله : أحمد بن على الدلجى)

(٢) هو أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى توفى سنة ١٠٨٩ هـ

القالى بقرطبة بسـنة واحدة . وقد عرفت أنه رد إلى أبى الحسن الفالى ثمن كتابه كما أعاد إليه كتابه الجهرة متأثراً بأبياته وكان كلاهما مقيما ببغداد ، وتوفى الشريف بها قبل وفاة أبى الحسن الفالى بها باثنتى عشرة سنة ، على أنه لم يعرف أن أبا على القالى بلغ من البؤس والفاقة إلى أن يبيع نسخة من كتابه الجمهرة ، تأليف أستاذه ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وكان ذا ثراء واسع ومال جم وإن كان رحمه الله متلافاً مفيداً مبيداً ، ولقد أفاد من بنى ميكال أموالا عظيمة ونال منهم ثروة طائلة رحمه الله وعفا عنه .

هذا ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع فى ذلك الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما فى بيتى ابن المعتز صفحة ٢٦

أما ترى ملك بنى هاشم عاد عزيزاً بعـــد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثـــله تستوجب الملك وإلا فـــلا

ولعل صواب القافية فى البيت الأول (بعد ما ذللا) لأن القصيدة من بحر السريع من عروضه الأولى المطوية المكسوفة التى ضربها مثلها على وزن فاعلن، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب فى البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه العروض لا يجمع بينهما .

وفى صفحة ٣٢ كتب البيت هكذا :

أيها الترك تلقون للدهـــر سيوفاً لا تستبل الجريحا

وهو بهذا الشكل والضبط غير مستقيم الوزن ولا مفهوم المعنى ، والذى فى تاريخ المسعودى المنقول عنه :

أيها الترك سوف تلقون للدهـــر سيوفاً لا تستبل الجريحا

وفى صفحة ٦٩ البيت :

فيبردها كأن لهـــا وإن خفيت ســـنا لهب

أظن الصواب (فيبرزها) كما يقتضيه السياق ويتطلبه المعنى

وفى صفحة ٨٠ السطر السابع : ليوسعنكم ضرباً وتشديداً وأظنها محرفة عن (تشريداً)

وفى صفحة ١٣٦ بيت للشريف الشريف الرضى فى الغزل فى سوداء :

أحبك يا لون الشـباب لأنى رأيتكما فى العين والقلب توءما

صوابه : فأننى ، أو لأننى ، بزيادة نون الوقاية قبل ياء المتكلم ليستقيم الوزن .

وفى صفحة ١٤٠ فى السطر الثانى البيت :

ومنفق مشـفق إذا أنا أسرفت وبذرت مقتصـد

والصواب :

ومنفق مشفق إذا أنا أسـ ـرفت وبذرت فهو مقتصد

لأن القصيدة من بحر المنسرح ولا يستقيم الوزن إلا بذلك

والبيت سطر ٤ :

وصيرفى القريض وزان دنانـــير المعانى الرقاق منتقـد

غير مستقيم الوزن ، وصوابه :

وصيرفى القريض وزان ديـــنار المعانى الرقاق منتـقد

(فدينار) فى البيت مفرد لا جمع وآخر الشطر الأول الياء منـه لا النون ، (والرقاق) فى البيت نعت للمعانى لا للدنانير .

وفى صفحة ١٥٥ بيت أبى العلاء المعرى :

وما شعراؤكم إلا ذئاب تلصص فى المدائح والشباب

(أرى) أن (الشباب) مصحفة عن السباب .

يريد أن كلا من شعراء المدح الذين يكتسبون بالمدح وشعراء الهجاء الذين يتقيهم الناس فيفدون أعراضهم منهم بالمال إنما هم لصوص يستولون على أموال الناس بغير حق رغبـة فى مديحهم أو رهبة من هجائهم .

وفى صفحة ١٨٤ البيت :

أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد باكى العين

لعل (الصواب دامع العين) برفع دامع خبر المبتـدأ هو .

وفى صفحة ٢١٠ سطر ٤ البيت : هى قلت عن العزيز عداه

لعل صوابه : قد أقلت (أو هى أقلت) ضـد كثرت فى عجز البيت .

وفى صفحة ٢٨٧ آخر الصفحة ، البيت من قصيدة البيرونى :

فلا زال للدنيا وللدين عامراً ولا زال فيها للغواة مواسيا

أرى أن الصواب (للعفاة) وهم طلاب المعروف جمع عاف فليس مما يمدح به المرء أن يكون مواسياً للغواة ، وإنما يواسى العافون وطالبو الجدوى .

ثم أقول بعد ذلك : أنه بمناسبة ذكر أبى على القالى اطلعت على صفحة ٧٤٢ من كتاب (سمط اللآلى) فى المجلد الآخر منه ويحتوى على شرح الجزء الثانى من أمالى أبى على القالى ، للوزير

أبى عبيد البكرى المطبوع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م والذى نسخه وصححه وحقق ما فيه الأديب العالم المحقق الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكرة بالهند ، فرأيت فى أولها ما يأتى : (وهو من رجز لهميان بن قحافة مشروح هناك) :

والبكرات اللقح الفوائجا بصفنة تزفى هدراً نابجا
ترى اللغاديد بها حوابجا

الصفنة : مثل العيبة ، شبه بها شقشقة البعير ، ويقال صفن فإذا ألحقت الهاء فتحت الصاد . (وتزفى) : كما تزفى الريح شيئاً تسحفه ، ويقال لأحد المدلين إذا استرخى (قد أسبح) يقول فهديره منصب مسترخ (واللغاديد) باطن أصول الأذنين (وحوابج) منتفخة ، يريد أن نصف الشقشقة خارج من حلقه ونصفها باق فيه اهـ . وقد علق حضرة المصحح على قول البكرى قد أسبح بقوله فى الهامش (١) كذا فى الأصلين ، وقد أعيانى أمر تصحيحه اهـ . أما أنا فأقول إن (أسبح) مصحف عن (استنتج) وإن (نابجا) فى الرجز مصحف عن (نانجا) قال فى لسان العرب فى مادة (نتج) : ويقال لأحد المدلين إذا استرخى قد استنتج ، قال هميان :

يظل يدعو نيبه الضماعجا بصفنة تزفى هدراً نانجا
أى مسترخياً (والله أعلم) اهـ .

وقال فى مادة ضمعج (الضمعج) الضخمة من النوق ، وامرأة ضمعج قصيرة ضخمة ، وكذلك البعير والفرس والأتان ، قال هميان بن قحافة السعدى :

يظل يدعو نيبها الضماعجا والبكرات اللقح النوانجا

وأعاد هذا البيت فى مادة (فنج) : وناقة فانج سمينة حائل أو هى الفتية اللاقح ، ويروى (الفواسج بالسين ، والفاسج من الإبل أيضاً اللاقح أواللاقح مع سمن ، أو هى الحائل السمينة فهى بمعنى الفاثج بالثاء المثلثة) .

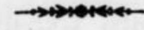
وينبغى أن أعترف بالفضل لحضرة العلامة أحمد أمين بك فإن كتابه (ظهر الإسلام) مرآة صافية ترى فيها بجلاء ووضوح الحياة الاجتماعية والعقلية والأدبية من عهد المتوكل إلى آخر القرن الرابع الهجرى . ثم أذكر بهذه المناسبة أن خير كتاب قرأته يمثل الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى (وخاصة من الجهة السياسية والاقتصادية) هو كتاب (العصر العباسى) للأستاذ المحقق والمؤرخ الموفق المدقق الدكتور (عبد العزيز الدورى) العراقى أستاذ التاريخ الإسلامى بدار المعلمين العليا ومعهد الملكة عالية العالى بمدينة بغداد وقد طبع منه جزءان فيبان أحدهما فى العصر العباسى الأول ، والآخر فى العصر العباسى الثانى ، وإنه ليخدم التاريخ أجل خدمة إذا قدم له الجزء الثالث الذى يمثل بقية العصر العباسى ، وقد رجع فى كتابيه المفيدين إلى كثير من المراجع العربية وغير العربية من عدة لغات ، ورجع من نفسه بعد ذلك إلى عقل ناضج كبير ، وفكر عال صحيح ، وذهن ثاقب جديد ، ورأى قويم سديد . وكذلك أقول إن خير كتاب رأيته فى أدب اللغة العربية فى عصر صدر الإسلام هو كتاب الأستاذ الدكتور محمد مهدى البصير الذى سماه (عصر القرآن) تكلم فيه على الأدب العربى فى صدر الإسلام وعصر بنى أمية فأحسن وأجاد ، وأمتع وأفاد ، دل فيه على اطلاع واسع وعلم جم وأدب غزير ، ورد الزائف البهرج وقبل الثمين المصفى ، وكان له فيه رأى صائب وفكر قويم . ولنا فى هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الدكتور السيد محمد مهدى البصير عودة فى مقالات موعدنا بها الأعداد المقبلة من الرسالة الغراء إن شاء الله تعالى .

أحمد يوسف نجاتى
أستاذ اللغة العربية والبلاغة والأدب بكلية دار العلوم وكلية اللغة العربية بمصر سابقاً — والأستاذ الآن بدار المعلمين العالية ومعهد الملكة عالية العالى بمدينة بغداد

غنـاء الطيور

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي



فتن شعراء الطبيعة بغناء الطيور وسحروا بهديلها وزقزقتها في السحر وعند الأصيل في الأشجار المتشابكة وعلى الأنهار والسواقي حيث يمتزج خرير المياه بهديل الطيور وقد حبث الطبيعة البساتين موسيقاراً لا يكل ولا يعجز عن توقيع ألحانه العذبة، ولا يفتر عن ترديد أغانيه المشجية والمطربة أحياناً؛ وقد هام أغلب الشعراء بأغاريد الطيور فتركت صدى عميقاً في نفوسهم وخلدوا في مطارحتها روائع ساحرة. وقد زاد ولوعهم بها ما جبلوا عليه من تقديس الجمال والافتتان بالتواقيع الموسيقية فكان كثير من الشعراء العباقرة يجنون إذا جمعتهم الرياض بالحمائم والطيور المغردة فيطربون لها ويهيمون إعجاباً بسحرها الأخاذ، فيهجر بعضهم المدن لينعم بقرب الطيور في الرياض المؤنقة.

من ذلك رأينا هذه الأشعار الكثيرة في دواوين شعراء العرب وكلها افتتان بغناء الطيور، ولم يقتصر عليهم ذلك الهيام بالطبيعة وجمالها الفاتن فقد حدث مؤرخو حياة الفيلسوف الإسلامي الكبير أبي نصر الفارابي أنه عند ما سافر من بغداد إلى دمشق كان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس، وكان مدة إقامته بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض؛ ويؤلف هناك كتبه ويتتابه المشتغلون عليه، وقال في (وضات الجنات) يحكى أن الآلة التي تسمى القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب، وهذا يدلك على مدى افتتانه بالألحان الموسيقية، ولعل غناء الطيور أوحى له دروساً فياضة في الموسيقى.

وكما ترى فيما سنفترضه عليك أن هناك اختلافاً بين علماء الحيوان ودعاة نظرية التطور من دارون واتباعه، وبين شعراء العرب الذين نظموا في غناء الطيور وفسروه، كما ظهر لهم حسب أفكارهم إذ يرى علماء الحيوان أن الغناء هو من خصائص ذكور الطيور، وأن هذه تغرد وتغنى لتجتلب الأناث بهديرها وتغريدها فالأغاريد أسلحة أدبية تصول بها الطيور في غمار معارك غرامية صخابة تمج بالتنافس بين ذكرانها، والتغالب لاقتناص زوجات يتمتعون بالقرب منها وينعمون بالاستئناس بجمالها الأنثوي.

وأتذكر أن الصحف المصرية نشرت (تصريحاً) للأستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب يتحدى به الآنسة أم كلثوم قائلاً: إن الغناء في عالم الطبيعة من خصائص الذكور، ولا ريب أن الحق معه من وجهة التاريخ الطبيعي وحقائق علم الحيوان ولكن من الذي يفضل أن يسمع الغناء من رجل خشن على أن يتمتع به من فم فتاة رقيقة تفيض جمالا وفتنة، وعلى كل حال فإن علماء التاريخ الطبيعي يقررون أن الغناء ميزة للتفوق، وسلاح للغلبة واجتذاب للاناث جهز بهما ذكران الطيور، وفق نظام الكون المستهدف لإدامة الحياة، وبقاء النوع وتكثير النسل فهو من جملة المشهيات والمغريات المؤدية إلى تلك الغايات النبيلة.

وقد أخضعت نظرية التطور التي جاء بها العالم الإنجليزي دارون — غناء الطيور وهديلها لعامل الانتخاب الطبيعي. فقالوا إن خاصة الغناء الجميل التي تتحلى بها بعض الذكور من الطيور تتركها تتفوق في معارك الانتخابات التزاوجية لأجل الفوز بالأناث ويشجعها ذلك الفوز والانتصار على التناسل بكثرة. وهذا يؤدي إلى وفرة ذريتها التي تحمل خصائصها، ومن جملتها القدرة على أحداث الأصوات الجميلة الغنائية فتشيع هذه الميزة في الأجيال القادمة حسب قانون الوراثة. وإليك بعض كلمات علماء التطور.

قرأت في كتاب عن نظرية التطور تأليف العلامة الفردوالاس.

قال تحت عنوان الخصائص الجنسية المسببة بالانتخاب الطبيعي: (علاوة على تسلح الذكور بما يمدهم للنضال مع الذكور الآخرين توجد بعض الخصائص الجنسية المسببة بالانتخاب الطبيعي وذلك كالأصوات والروائح المختلفة الخاصة بالذكور التي تكون دعاء للاناث أشعاراً لهن بحضورهم، ومن الواضح أن هذه إضافات ذات قيمة في وسائط تمييز الجنسين، وزيادة على ذلك أنها

إشمار بحلول فصل التزاوج . ومن الواضح أن توليد وتفريق هذه الأصوات والروائع هما ضمن نطاق قدرة الانتخاب الطبيعي ، والتمييز بين الجنسين من فصائل الطيور ، ولإغراء ذكرانها للأناث ، وتشهيتها للسفاد .

وعند ما انتشرت أفراد فصائل الطيور بصورة واسعة على وجه الأرض أصبح هذا الدعاء في غاية الأهمية لجمل التزاوج يقع بصورة مبكرة ويسرع به ما أمكن .

وهكذا قد أصبح وضوح وعلو وتميز شخصية غناء الطائر خاصة نافعة ، وبالنتيجة يتحقق الانتخاب الطبيعي (أي أن الطائر الذي توجد فيه هذه الخاصة النافعة يكثر نسله فتشيع هذه الميزة الصوتية في الأجيال التالية وفق نظرية التطور والوراثة) وهذا هو الواقع خاصة بالنسبة لطائر الوقوق Cukoo ومع كل الطيور التي تعيش منفردة .

ولا شك أن صنيع الغناء عمل مبهج وجالب للسرور ، وربما استخدمه الطير كمنفذ للفائض الزائد من الطاقة العصبية والتهييج النفسي ، على حد ما يقوم به الإنسان من الرقص والغناء ، والألعاب الرياضية المسلية . وهذا التعليل لغناء الطيور يرى أن رياضة القوة الصوتية مكملة لتطور الريش الثانوي الذي ليس له أهمية أساسية في الطيران ، ومتممة لزخارف الزينة والتجمل في الطيور .

ويلاحظ المؤلف (Alfred Russel wallace الفرد روسل والاس) أن كل طيورهم البديعة الغناء بسيطة التلوين ، وليس لها عرف ولا يوجد في رقابها أو ذيولها من ريش التباهي ، والظهور بمظهر فاتن جذاب ، في حين أن الطيور المزخرفة ذات الجمال الزاهي في المناطق الاستوائية ليس لها القدرة على الغناء ، وتلك التي تصرف طاقة كبرى لتتبرج وتزهي بالريش الجميل تطورت أصواتها تطوراً طفيفاً لا يذكر إذا قسناها بالطيور الأخرى . وخذ مثلاً لذلك الديك الرومي ، والطاووس ، والطائر الطنان ، وطيور الجنة وهذه فصيلة من طيور غينيا الجديدة وما يجاورها من الجزائر .

وتشتهر طيور الجنة بجمال ريشها وبهاء ألوانها ، ولا يمتاز ببهاء اللون وحسن الريش إلا الذكور ، وريش الذكران على حسنه أملس ناعم حريري فيه براقة المعادن الصافية والخلاصة أن أغاريد الطيور وأغانيها حسب الظاهر مذكرات وإشارات ورسائل غرامية مختصرة لإشمار الأنثى بوجود الذكر ولدعوتها إلى التزاوج ، وهذه القابلية للغناء تفيد الفصيلة لأنها ذات علاقة بأهم وأجل وظيفة حيوية ، وهي حفظ النوع بالتناسل) .

وقال العالم الطبيعي دارون في كتابه أصل الأنواع إن المنافسة بين الطيور على امتلاك الأناث أقل قسوة منها بين الحيوانات التي تعيش على الأرض ؛ وكل من له إلمام بالموضوع على اعتقاد تام أن هذا التقاتل لا يبلغ منتهى القسوة والشدة إلا بين الأنواع التي تجتذب ذكورها الأناث بحسن أصواتها الغنائية .

وذكر أن بعض الطيور التي يسكن جزائر (جيانا) وطيور الجنة وغيرها من صنوف الطير قد تجتمع وتتقاتل قتالا عنيفاً ثم تخرج الذكور الفائزة في المعركة وتنشر ريشها البهي الزاهي لتجتذب إليها الأناث ، ومن ثم تأخذ في التضاحك بشكل عجيب والأناث على كثب يرمقنها ثم تنتخب ما كان أشد جاذبية إليها .

وقال باحث آخر إن جمال ذكور الطيور بأصواتها أو ريشها يلعب دوراً عظيما في الحب الفسلي ، ولعل للطيور أعظم نصيب من الجمال ، فلذلك قلما تتنازع ذكورها بالقتال ، وإنما تعتمد في الأكثر على فتنة الأناث بجمال ريشها وألوانه الجميلة ، وبعضها يعتمد على الرقص على الأرض أو في الهواء وبعضها يعتمد على الزقزقة والهديل .

وهكذا تمد الطيور على أعظم جانب من الجمال البصري والصوتي ولها ذوق عقلي في الجمال كالإنسان تقريباً ، ولذلك يطرب الإنسان بزقزقة العصافير وهديل الطيور ، ولكن الطيور المغنية قد تلتجىء إلى العراك للفوز بالأناث .

فقد روى العلامة دارون أن نوعاً من الطيور في الولايات المتحدة يجتمع نحو عشرين من ذكوره في بقعة حيث تتنافس بالزقزقة ، وحالما تميل الأنثى لذكر تقتتل الذكور ، والأضعف يحيد عن القتال ، حتى إذا لم يبق إلا واحد ذهبت الأنثى معه . وقد بلغت مسألة الانتخاب عند الطيور حداً قصيا حتى أن بعضها

لا يتزاوج لأن الأناث لم يرقها ذكر من الذكور التي تنافست في إغرائها وأثارة عواطفها .

وروى (جوير) أن مغازلة الطيور تستغرق وقتاً طويلا وقد ينقضي الفصل كله ولا تنجح الذكور والأناث في إثارة الحب فلا تتزاوج .

ولبعض الطيور حب مبرح بحيث إذا فقد إلفه حزن عليه طويلا ذكر داروِن أن ذكر الببغاء وأنثاه يتعاشقان ويتلازمان طويلا حتى إذا مات أحدهما أسف الآخر عليه أسفاً شديداً ، وإذا قنص أحدهما بقي الآخر مدة طويلة ينادي نداء محزناً .

وللحمام أيضاً ألفة قوية كألفة البشر ، فقد لوحظ أن زوجي حمام عادا إلى عشرتهما بعد فراق تسعة أشهر متذكراً كل منهما الآخر . وكثير من الطيور يختار إناثه الذكر الذي تحبه دون سائر الذكور من غير أن تتنازعها الذكور بقتال .

فقد روى (أودوبون) الذي قضى ردحاً من الزمن في أحراج الولايات المتحدة يدرس طبائع الطيور أن الأنثى لا تقبل على أي ذكر يعرض لها بل تتشدد جداً في اختيار عريسها وتراقب مغازلة كل ذكر حتى يروقها واحد فتذهب معه . وكل ذلك يدلك على أن للطيور ذوقاً حاداً في تمييز الجمال والإعجاب والانفعال به كما أن لها قوة غريبة في التفنن بالمغازلة .

وهذا الذوق العجيب الذي يضاهي ذوق الإنسان هو علة ارتقاء الجمال الصوتي والنظري في الطيور كما علله داروِن بسنة الانتخاب الطبيعي والتناسلي إذ الذكر الأجمل شكلا أو صوتاً ينجح في المزاوجة ، والأقل جمالاً يفشل ، ذاك يكون له نسل وهذا ينقطع نسله ، وبفعل ناموس الوراثة تتجه السلالة إلى إنتاج الأجمل .

قال داروِن ولا يشك أحد ممن لاحظوا أنواع الطير حال أسرها واعتزالها مركزها الطبيعي المطلق فإنها تفضل بعض الأفراد على بعض ، فإن السير (ر . هيرون) قد وصف كيف أن طاووساً مزرقشاً قد اجتذب إليه كل الأناث وتفرد بها .

وإنه وإن كان لا يتسنى لي الإفاضة في هذا الموضوع فإني على يقين بأن الإنسان إذا استطاع أن يحسن في وقت قصير أنواع (البنتام) وهو ضرب من الدجاج الداجن — بحيث يجعلها بديعة الألوان رشيقة الصور فلست أرى مانعاً يحول دون القول بأن أناثه إذا انتخبت خلال آلاف من الأجيال أشجى الذكور صوتاً وأحسنها شكلا وفاق ما يلوح منها من معاني الجمال فقد يحتمل أن يحدث فيها تأثيرات من التغاير ذات بال .

غير أن دائرة المعارف البريطانية تجعل من أسباب الغناء رغبة الطائر أن يشعر باقي الطيور بوجوده في المنطقة التي يفرد فيها وبذلك لا يقرب إليه ما يزاحمه على ما فيها من المواد الغذائية (راجع تفصيل ذلك في مادة Bird) .

وهذا حديث يطول ، إنما الذي وددت أن أقرره رأي علماء الحيوان في تعليل تغريد الطيور بأنه لأغراء الأناث وجلبها إلى السفاد ودعوتها إليه وأنه إعلان بمجيء فصل التزاوج وإن الأغاريد مغازلات غرامية ، وإذا كانت أغاني الطيور أحابيل لصيد الأناث ووسائل إغراء وإقناع في غمار معارك غرامية كما بين داروِن ووالاس وإخوانهما من علماء الحيوان وأفادا أن هديل الطيور شباك صيد ينصبها الهياج الجنسي فلا تلم عشاق الشعراء إذا تهيجوا وأصباهم الحمام بهديله لأنه ضرب على وترهم الحساس ونطق بلغة قلوبهم الولهى فأثارهم وهيج إحساسهم وإن لم يعرفوا كيف تساطت تلك الأغاريد عليهم .

قال بعض الأعراب أنشده اسحق الموصلي .

ألا قاتل الله الحمامة غدوة[1] على الغصن ماذا هيجت حين غنت
تغنت بصـــوت أعجمي فهيجت من الوجد[2] ما كانت ضلوعي أجنت[3]
فلو قطرت[4] عين امرىء من صبابة دماً قطـــرت عيني دماً فألمت[5]
فما سكنت حتى أويت لصوتها وقلت ترى هذي الحمامة جنت ؟
ولي زفرات لو يدمن قتلنني بشوق إلى نأي التي قد تولت

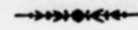
(البقية في العدد القادم) ضياء الدخيلي

(١) الغدوة هي بين الفجر وطلوع الشمس .
(٢) المحبة الشديدة .
(٣) أخفت (٤) قطر الماء سال وجرى قطرة قطرة .
(٥) ربما تستعمل ألم بمعنى كاد نحو ألم يفعل كذا أي كاد .

طرائف من العصر المملوكي :

العلاقات الاخوانية وصلتها بالأدب

للأستاذ محمود رزق سليم



نزعة الأدب في نفس الأديب المطبوع ، أشبه شيء بالغريزة الإنسانية . فهي قوة كامنة فيها ، تتحرك من تلقاء نفسها ، وتقوم بعملها الحيوي في حياة الأديب . فتقرأ وتستقرىء وتطلع وتتصفح ، وتختزن وتقرن ، وتمزج ثم تلد وتصور وتلون ، وتهب لأجنتها ما تشاء لها مقدرتها من أسباب القوة والبقاء . ثم تدفع بنتاجها إلى اللسان فينفثه سحراً حلالا ، أو إلى القلم فيبعثه زهراً وضيئاً ، ترى من خلاله حياة نابضة ، وروحاً متحركة ، تلعب دورها ، وتؤثر أثرها .

والغريزة بحاجة إلى التربية والتهذيب والتثقيف ، حتى توجه إلى خير السبل لإسعاد المرء وإسعاد مجتمعه . ولا يبعد عنها في ذلك ، نزعة الأدب ، فهي بحاجة إلى أن تتعهدها يد التربية والتهذيب والتثقيف ، وإلى أن يسلك بها مسالك ثقافية خاصة ، حتى تفره وتحذق ، ويتسع أمامها المدى ويرحب أفقها ، ويلطف حسها ويدق إدراكها . وكلما كان الأديب أكثر من غيره ثقافة ، اتسع رحابه ، وسما إنجابه ، وأشرق وأمتع فنه .

غير أن النزعة الأدبية ، مهما كانت طاغية باغية ، ثائرة فائرة ، يقظة ساهرة ، قد يصيبها الفتور ويغشيها الفتور ، فيخبو زندها ، ويكبو جوادها ، ويتطامن إنتاجها ، وتقل الروعة في فنها . حتى تتاح لها منشطات تنهض راكدها ، وتنبه راقدها . وتثير فيها من جديد مظاهر الحياة الصحيحة والحركة . ولعل هذه الناحية أقوى وجوه الشبه بينها وبين الغريزة ، إذ لولا مايعرض للغريزة من مثيرات ودوافع ، لعانت ألواناً من الكبت ، قد تفضي بها إلى الموت .

وتتشبث النزعة الأدبية — ككل كائن حي — بأسباب بقائها . وقد درجت الطبيعة على أن تبذل لها بين الحين والحين ، من أسباب البقاء ما يذكي فيها عوامل الأمل والرجاء . وحينذاك تندفع في طريقها جادة نشيطة مجاهدة مجالدة ، حتى تؤدي رسالتها في الحياة .

وقد درجنا ، ونحن ندرس تاريخ الأدب العربي ، على أن نسمع بين الآن والآن ، بضروب من التشجيع — أوقل بألوان من أسباب البقاء — تتاح للنزعات الأدبية ؛ فن عطية أمير ، إلى منحة وزير ، إلى ثقافة حافلة إلى آذان صاغية وقلوب واعية ، إلى حوافز من صداقات ومودات ، إلى غير ذلك .

والعلاقات الإنسانية كانت وما تزال ، ذات أثر بعيد المدى ، في حياة النزعات الأدبية . فالأديب لا يعيش في الدنيا وحيداً . حتى ولو آثر العزلة ، فجميع ما حوله ومن حوله ، ذو أثر فعال في حياته واتجاهاته ، وعواطفه وانفعالاته . ومن أوثق هذه العلاقات ، العلاقات الإخوانية .

ونعني بالعلاقات الإخوانية ، صلات الود ووشائج الصداقة بين الأنداد والنظراء . وهي من العوامل الدائمة المشتركة بين كل العصور الأدبية ، ومن مسعرات نزعاتها ، وحافزات روحها ، وموجهاتها . وهي بتأثيرها في الناحية الأدبية ، بحاجة إلى دراسة مستقلة خاصة مستفيضة ، تتلمسها في كل عصورها ، وتبرز آثارها في كل عصر منها ، وتوازن بين آثارها في عصر وعصر ، وتوازن بين آثارها وآثار غيرها من العوامل .

ولعل العلاقات الإخوانية أقوى أثراً في النزعات الأدبية ، وأبعد توجيهاً لها في العصر المملوكي ، بالقياس إلى غيرها من عوامل النهوض الأدبي فيه . ففي العصر المذكور قلت عوامل التشجيع وأسباب الحفز الأدبي ، في جملتها ، بالنسبة إلى ما سبقه من العصور . واتجه الكثير منها إلى الحركة العلمية البحتة ، فجذب بضبعها ومد في بقائها ، وهيأ لها أسباب الحياة والنمو . أما الحركة الأدبية فقد نالها منها صبابة يسيرة ، وثمالة متوارية ، لا تبعث نشوة ولا تهز عطفاً . لقد صوحت عوامل التشجيع الأدبي ، ويبس عودها وذبل زهرها ، وأصبحت لا تبهر عيناً . فلا نوق هرم ، أو عصافير بني جفنة ، ولا دنانير هشام أو بدر الرشيد ، ولا مجالس المأمون أو محافل المتوكل ، ولا أريحية بني حمدان أو ذهب العبيديين ، بعقرية جنان شاعر ، أو بجرية لسان ناثر في هذا العصر .

وككل كائن حي ، أخذت النزعات الأدبية فيه ، تتلمس لنفسها أسباباً أخرى من أسباب البقاء . فصادفتها العلاقات

الإخوانية ، فاتخذت منها إلى الحياة سبباً ، وإلى البقاء وسيلة . وتشبثت بها أو اصطنعتها أداة لمعالجة عملها وإبراز فنها . والفن هنا قد تنقصه الدقة ويخطئه العمق ، ولـكن لا تنقصه الصراحة ولا يجافيه الصدق . إذ هو نتيجة علاقات قلبية ، ورجع مودات نفسية ، لا حاجة بها إلى الزيف والتلفيق .

وقد ظللت الـكثيرين من أدباء العصر المملوكى رايات المودة والصحبة الحسنة ، فعاشوا إخواناً متحابين فى الأدب ، يسعد أحدهم الآخر كما يسـعد الغريب الغريب . وقد نوهنا فى بعض مقالاتنا السابقة بشىء من هذه الملاقات ، وآثارها ، كملاقات السيمة الشهب . وصحبة الجزار والوراق .

وقد روى صاحب فوات الوفيات أن الأديب كمال الدين بن العديم كان إذا قدم مصر يلازمه أبو الحسين الجزار . حتى كانت هذه الملازمة مثاراً لتندر بعض أهل العصر عليهما ، فقال ، وفيـه تورية :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة   وغدوت تحمل راية الإدبار
ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها   نفس تـلذ بصحبة الجزار

وبهـذه الصحبة فتح الأدباء مغالق أبواب أدبية واسعة ، ما بين منثور ومنظوم . وأكثر الشعراء من التهانى والتمازى ، والتشوق والحنين ، والمعاتبة . وتقارضوا الثنـاء ، وأفاضوا فى المعارضات والمطارحات والمساءلات ، وجدوا فى الماجنة والمفاكهة واللاغزة والمحاجاة ، ونهضوا للاجازة والاستدعاء ، إلى غير ذلك .

والحق أن الشعر — بخاصة — قد ظنت به حينذاك الظنون ، وأرجف الناس من حوله . حتى إن بعض أهله أوجس خيفة ، فنعوا عليه ، وندبوا أنفسهم ، وشكوا كساده ، وفضلوا عليه الحرف الدنيا . وهذا أبو الحسين الجزار المصرى الشاعر ، يقول — وقد هجر الشعر والتـكسب به ، واحترف الجزارة :

كيف لا أشكر الجزارة ما ء   شت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبهـا صارت الـكلاب ترجيـ   نى وبالشعر كنت أرجو الـكلابا

ولعل أبلغ رد عليه ، وهو رد يؤيدنا فى أن الشعر ربح فى هذا العصر حياة فيها صراحة وصدق ، قول ابن الوردى :

قالوا لقد كسدالقريض فقلت بل   عاشت ضراغمه ومات ضباعه
الآن طاب سماعه وتقطعت   أطماعـه وتعززت صناعـه

نقول إن الملاقات الإخوانية كانت خير معين للشعراء على إبراز شاعريتهم دون زيف ، وإظهار فنهم دون تلفيق . فكان صدى لنفوسهم ومرآة لحوادثهم . وقد حدث صاحب مسالك الأبصار عن أبي الحسين الجزار المصرى السابق ذكره ، فقال :

« حكى أن السراج الوراق وأبا الحسين الجزار ، خرجا فى عهد صباهما ، والشباب أعقـد حباهما ، يريدان النزهة . فوجدا غلاماً زامراً ، يتمنى منه اللقاء ، ويجتمع فيه الغصن والورقاء . يتلفت بصفحة القمر المنير . ويطرب كأنما زمره ممـا أوتى آل داود من المزامير . فلفتاه إليهما الأمر . وظنا أنه ستليله لهما الخمر . فأتيابه دير شمران وصعدا إليه . فوجدا راهباً يصدع حبه الفؤاد . ويطلع قمره ولا شىء أحسن منه فى ذلك السواد . فزاد سرورهما بحصول الزامر والراهب . وأيقنا ببلوغ المآرب . فلما حميت فيهما سورة الحميا . وظن كل منهما أنه قد حصل له فراشه وتهيـا . فطن الزامر والراهب لمرادهما ، فتركاهما ومضيا قبـل التمام ، وتركاهما وكل واحد منهما يشكو ضجيعاً لا ينام . فقال السراج :

فى نخبنـــا لم يقع الطائر   لا راهـب الدير ولا الزامر

فقال أبو الحسين الجزار :

فسـعدنا ليس له أول   ونحسـنا ليس له آخر

فقال السراج :

فالقلـب فى إثرهما هـائم

فقال الجزار مكملا :

والقلب من أجلهما حائر »

وفى هـذه القصة ما يصور حياة هذين الماجنين ، وهما مثل لغيرهما أو لـكثير غيرهما من أدباء العصر .

ويقرب من هذه الحادثة مارواه صاحب فوات الوفيات قال :

« حكى أن نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب ، مر مع جماعة من الأدباء بالديار المصرية ، ومنهم أبو الحسين الجزار ، فروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة ، وقد هب الهواء فـكشف ثيابه عنه . فقال أبو الحسين الجزار ، قفوا لينظم كل واحد منا فى هذا شيئاً . فـا لبثوا حتى قال نور الدين على بن سعيد :

الريح أقود ما تـكون لأنها   تبدى خبايا الردف والأعكان

وتميل بالأغصان عند هبوبها   حتى تقبل أوجه الغدران
فلذلك المشتاق يتخذونها   رسلا إلى الأحباب والأوطان

فقال السراج الوراق :

ما أعلم أن أحداً منا يأتى بمثل هذا . سيروا بنا . »

نقول : وهذه مطارحة لم تتم أدوارها ، ومباراة لم تبلغ مداها

وقد نظم الصاحب فخر الدين بن مكانس قصيدة طريفة فكاهية ، داعب بها صديقه الأديب الشيخ بدر الدين البشتكى ، ووصفه فيها يوم « أنس الهايل » ، وكان الشيخ بدر الدين فى اليوم المذكور قد وضع نفسه موضع الثور من الساقية ودار بها ، فقال ابن مكانس :

دورة البدر فى سواقى الهايل   تركت أدمع العيون هوامل
آه من للرياض نور أديب   مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سمياً على بنى عجل فى الجو   دوأغنى عن الولى الهاطل

وقد مزج ابن مكانس فى أبياته بين ألفاظ الرياض والرى والماء ، وألفاظ الأدب والشعر مزجاً لطيفاً ، واستعار من إحداها للأخرى ، ووصف الرياض خلال ذلك ، وما فيها من أزهار وأغصان ، مع توريات جميلة ، وتلميحات بارعة ، تناسب الموضوع فمن أبياته يخاطب صديقه :

يا سميداً أرى من النظم والنثـ   ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض ياشيخ بالدو   رفها غصنها من السكر مائل

وقوله :

وغدا بالظلال كل أديب   فى هجير الرمضا بفضلك قائل
وبروحى عيون نرجس روض   تفتح العين بالندى وتغازل
أنت شنفتها بشعرك زهراً   وبعثت المياه فيها خلاخل

وقوله :

أنت لو لم تكن بحار علوم   ماجرت فى الرياض منك جداول
أنت عندى أجل قدراً من الثو   ر وقد درت للوجود الحامل
وغدا الفن بين لفظك والرو   ض على الحالتين عندك باقل

ومن الإخوانيات ما تبادله صفى الدين الحلى ، وجمال الدين بن نباتة ، من شعر تعاتبا فيه وتقارضا الثناء ، فلقد أرسل صفى الدين إلى صديقه قصيدة فى هذا المعنى ، قال فى مطلعها :

من لصب أدنى البعاد وفاته   إذ عداه وصل الحبيب وفاته
فاته من لقا الأحبة عيش   كان يخشى قبل الوفاة فواته
كان نبتاً قبل التفرق لكن   زعزعت روعة الفراق نباته

ومنها يقول :

كنت مستنصراً بأسياف صبرى
فنبت بعد فرقة ابن نباتة
فاضل ألف الفصاحة واله   لم وضمت آراؤه أشتاته
رب شعر لم يتبع ما روى النا   س ولكن بالفضل يهدى غواته الخ

وقد أجابه ابن نباتة بقصيدة طلية فى المعنى ، ومن البحر والروى ، قال فى مطلعها شاكياً متغزلا فى رقة :

ما لظبى الحمى إليه التفاته   بعد ما كدر المشيب حياته
لهج بالهوى وإن نفرت أيـ   ـدى الليالى غزاله ومهاته
كلما قيل قد سلا عن فتاة   عاده الحب فاستجد فتاته

ومنها :

بأبى فاتر اللحاظ غرير   رام تشبيهه الغزال ففاته
مائل الحسن إن رنا وتثنى   سل أسيافه وهز قناته

ومنها يخاطبه :

يا مفيد الورى لآلىء بحر   يعرف الذوق عذبه وفراته
وصل العبد من قريضك بر   سر أحبابه وساء عداته .. الخ

وعلى ذكر ابن نباتة نقول إنه كان قد وقع بينه وبين صديقه صلاح الدين الصفدى جفاء ، ولعل ذلك بسبب سرقات الصفدى الشعرية من ابن نباتة ، والتى جمعها ابن نباتة فى كتابه « خبز الشعير » . فتعاتبا عتاباً شعرياً قاسياً ، وقد ضمن كل منهما قصيدته إعجازاً من معلقة امرىء القيس ، وسلكاها فى نظمها مع توافق فى المعانى ، حتى لكأنها أصيلة فيه .

قال الصفدى :

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى   كجلمود صخر حطه السيل من عل
وترمى على طول المدى متجنياً   بسهميك فى أعشار قلب مقتل
فأمسى بليل طال جنح ظلامه   على بأنواع الهموم ليبتلى . الخ

فقال ابن نباتة متقبلا صافحاً :

فطمت ولائى ثم أقبلت عاتباً   أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
بروحى ألفاظ تعرض عتبها   تعرض أثناء الوشاح المفصل
فأحييت وداً كان كالرسم عافياً   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح العذر منك رقومه   لما نسجتها من جنوب وشمأل الخ

وقد بعث الصفدى بعد حين إلى ابن نباتة يستجيزه رواية آثاره الأدبية ، فأجازه ابن نباتة وكتب له « إجازة » بعبارة أدبية هى نموذج لنثر هذا العصر .

ومن يقرأ كتاب « ألحان السواجع » للصفدى ، يجد فيه نماذج عدة للاخوانيات الشعرية فى عصره . ودواوين الشعراء فيه ملأى بهذا الضرب الشعرى .

ومما يذكر أن الصحبة كانت قد عقدت أواصرها بين ناصر الدين بن البارزى أحد كتاب العصر البارزين ، وابن حجة الحموى الشاعر الكاتب الناقد . وبوحى من ابن البارزى نظم ابن حجة بديعيته فى مدح الرسول عليه السلام . وأبرز فى أبياتها ألواناً عدة من البديع ، وعارض بهـا بديعيتى عز الدين الموصلى والصفى الحلى . وكان كلما نظم بيتاً قرأه على صديقه ابن البارزى حتى يصير صالحاً . ولما انتهى ابن حجة من نظم بديعيته ، شرحها ووازن بينها وبين بديعيتى الموصلى والحلى ، دارساً أنواع البديع مستشهداً عليها بكلام المتقدمين من نثر ونظم ، موازناً بينها أيضاً ، مبيناً مذهب البعض فى البديع ، متكلما عن شعراء عصره وأدبائه ومذاهبهم فيـه أيضاً ، وهكذا نرى أن ابن حجة قد ألف كتاباً ممتعاً فيـه علم وأدب وتاريخ ونقـد ، وهو « خزانة الأدب » .

وبعد فلعلنا بهذا الحديث الموجز ، وبهذه الحوادث المقتضبة ألممنا إلى الدور الهام الذى أدته الملاقات الإخوانية على مسرح الأدب فى العصر المملوكى .

(الاسكندرية)

محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربيه

يا بنت وايزمان . . .

للأستاذ ابراهيم الوائلي

ما ذا وراءك يا رمال البيد … أعزيف جن أم زئير أسود ؟
دوّى الفضاء فأى حشد زاحف … غمر اليفاع ، وأى خفق بنود !
دنيا من التاريخ ربع جلالها … فتنفست عن عدة وعديد
وتحفزت فإذا السرايا طلع … تطوى الجبال ليومها المشهود
هبت فأية أمة لم يثنها … ما كان من عسف ومن تهديد
وتفجرت حمما فذوق بأسها … يا من عبثت بسلمها المنشود
وتفاءلى بالنحس يا مولودة … بين القبور فأنت شر وليد
فى التيه كان أبوك يفترش الحصا … ويطوف بين الشوك والجلمود
ويعيش فى دنيا الظلام، ولم يكن … كأبيك أجدر بالليالى السود
وأتيت أنت ، وما ضحكت لحادث … إلا لطيف شبابك الوؤود

***

يا بنت «وايزمان» أى براقش … أنت التى قوضت كل مشيد ؟
هـذا المشرد فى المفاوز هل له … غير الصحارى الجرد والصيخود
قذفت به الآفاق شر مطارد … فأراح بعد الذل والتشريد
واستطعم البلد الكريم فما رأى … غير النعيم وظله الممدود
فإذا به يسعى ليصبح سيداً … من لم يمش فى الأرض غير مسود!

***

يا بنت « وايزمان » لم أر طفلة … إلاك منذرة بشر وعيد
ولدتك فى مهد الجحيم سياسة … شوهاء ، ما أشقاك من مولود
هـذى القنابل وهى تمطر ثرة … عن جانبيك وصرخة البارود
والمدفع الضخم المجلجل صوته … فى جنب كل مجاجل عربيد
والزاحفون عليك فى هبواتهم … من كل جبار الجنان عنيد
والطائرات تشق آفاق الدجى … وتئز صارخة أزيز رعود
وافتك أحنى من عواطف مرضع … تحميك بين سواعد وزنود
وأتتك من شتى الجهات أنامل … حمر تداعب منك حمر مهود
فترقبى سيل الكتائب عارماً … أوفى على تاريخك المهدود
واستقبلى زمر الجنود تلاحقت … غاراتها موصولة بجنود
من كل خواض الدماء إذا انتخى … لبس الحديد على أمض حديد
أبناء يثرب والفرات وجلق … والنيل ، يا للزاحفين الصيد
الذائدين عن الديار غزاتها … والحارسين تراث خير جدود
والقائلين إذا استثيرت عزمة … للأرض ياذات الشوامخ ميدى

***

يا بنت « وايزمان » أية قصة … خطتك فوق الماء كف بليد !
وخرافة العصر الحديث أما رأوا … إلاك ضحكة «مجلس» محشود؟
هم قهقهوا فخرجت من أفواههم … زبداً تناثر فوق « تل » جليد
ما ذا لإسرائيل يالك نبأة … مكذوبة حتى على التلمود ؟ !
قد لفقتك عصابة منبوذة … مابين مهزوم وبين شريد
وتمهدتك عصائب أمثالها … من «عابد» ذهباً ومن «معبود»
ألزمرة العجل المجوف يبتنى … ملك وقد عاشوا أذل عبيد ؟
أم للذين تعاهدوا وتحالفوا … ألا يدينوا باحترام عهود ؟ !
الغادرين وتلك أم طباعهم … تصل الطريف بأوليات تليد
لكنه الغرب المدل برأيه … يعلى على حنق وغل حقود
المستعز بقوة ما شوهت … غير السلام وطيفه المكدود
والحاكم العاتى ، ورب مسلط … يقضى بحكم ليس بالمردود
فإذا العدالة قهقهات معربد … عبثت بجفنيه ابنة العنقود
وإذا الضمير العالمى مطية … باتت تصرفها شراذم «هود»

***

يا حاقدين تذكروا تاريخكم … بالأمس إن الأمس غير بعيد
أيام كان الموت يجثم فوقكم … والنار فى الآفاق ذات وقود
والأرعن المجنون يشمل زيتها … فى الأرض ، فى الأجواء ، فوق البيد
والوطن العربى يحرس مجدكم … بيدى مغيث فى الخطوب مجيد
وجراحكم وهى العميقة لم تنل … لولاه من برء ولا تضميد
لكنه طبع القراصنة الألى … جبلوا على غدر وكذب وعود
هم أرهقونا غاصبين وكبلوا … أوطاننا بسلاسل وقيود
واستنزفوا منا الدماء فما شفوا … غلا ولا نقعوا حشا المفئود
فى كل يوم ألف حر ترتوى … منه الرمال دماً ، وألف شهيد
فى مصر، فى بغداد ، فى سورية … فى المغرب الأقصى وكل صعيد
وعلى فلسطين استفزوا عصبة … ما بين آفاق وبين طريد
وتآمروا ألا يروها حرة … تحيا بلا كدر ولا تنكيد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

كرسي شوقي :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم في العدد الأخير من « أخبار اليوم » مقالاً بعنوان « كرسي شوقي » بين فيه أهمية إنشاء كرسي في الجامعة للمغفور له أحمد شوقي بك ، واستحث أولي الأمر أن ينفذوا القرار القاضي بإنشاء هذا الكرسي في جامعة فؤاد والذي اتخذ من قبل ولم ينفذ إلى الآن . ثم تساءل عمن يصلح للتعيين في هذا الكرسي ، ورأى « أن الاختيار يجب أن يكون في نطاق أساتذة من خارج الجامعة ، لما في هذا الكرسي من لون خاص يحتاج إلى أسلوب خاص في البحث والتدريس » ثم قال :

« ما هداني البحث إلا إلى رجل واحد اجتمع له كل ما يراد من صفات ، هو الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فهو قد اشتغل طويلا بتدريس الأدب العربي في مصر وخارجها ، وله بشوقي معرفة ، وهو أديب كبير ذواقة للشعر والنثر ، حام وحارس للبلاغة ، ومؤلف تاريخ الأدب العربي في مجلدات لا تخلو منها مدرسة ولا يستغني عنها مدرس ، وله بعد من طول الباع ورسوخ القدم ، والرغبة في البحث والدأب على الاستقصاء ، ما يجعل لهذا الكرسي قدراً ويكفل له مقاماً في المحيط الفكري والأدبي في مصر والبلاد العربية » .

وهذا الذي يشير به الأستاذ الحكيم من اختيار أستاذ من خارج الجامعة لم يحدث بعد عندنا ، فلا تزال الجامعة قاصرة أمرها على أساتذتها ، ولست أدري هل فكرت في الانتفاع بأعلام الأساتذة « غير الرسميين » أو لم تخطر لها هذه الفكرة بعد ؟ والواقع أن هؤلاء الأعلام أساتذة في جامعة ليس لها مكان محدود ولا نظام موضوع .

وهي تضم طلبة من خريجي الجامعات الرسمية النظامية وغيرهم ، وهم يبلغون فيها ما توجه إليه الجامعات والمعاهد ... وسم هذه الجامعة إن شئت بما تشاء من الأسماء ، وحسبي أن أقول إن أساتذتها هم هؤلاء الأعلام الذين يقرؤهم الناس في الكتب والصحف والمجلات .

فهل تقبل الجامعة الرسمية أن تتعاون مع هذه الجامعة التي قدمت صفتها دون تسميتها ، فتنتدب بعض أساتذتها ولو على سبيل « التطعيم » لكرسي شوقي ولغيره ... ؟

أما كرسي شوقي فالأليق به خاصة أستاذ من خارج الجامعة ، لأن شوقي نفسه من خارجها ، وقد كان من أساتذة « الجامعة العامة » إن راقك هذا الاسم ... فمن التناسق أن يكون أستاذ كرسيه من لونه .

اللغة العربية في هيئة الأمم :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن أن الأوساط العربية هناك لم تقابل بالارتياح النبأ الوارد من القاهرة بأن الدول العربية ستطلب قبول اللغة العربية لغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة .

فإذا الحثالة في الظلام يقودها ... للخزي كل مذمم رعديد
وإذا الخناجر لم تجد غمداً سوى ... أحشاء مرضعة ونحر وليد
وبـ «دير ياسين» وأي جريمة ... كان الجزاء لها بـ «دير سنيد»
وحشية لو أنها من مخلب ... هانت ولكن من أكف قرود

***

يا مشرق التأريخ لست بمشرق ... أضفى على التاريخ كل عتيد
إن لم تثر كالنار شب ضرامها ... وتصاعدت حمراء بعد خمود
وتهب كالريح الغضوب تنفست ... واستيقظت هوجاء بعد ركود
فالصمت طال بنا وخزي أن نرى ... عبث السنين بمجدنا المفقود
عمرت ميادين النضال وحان أن ... تهتز دنيا الشرق بعد همود

***

أرض السلام وما شجيت لموطن ... إلاك أو ذوبت فيه نشيدي
إن طال ليلك عابساً فترقبي ... بسمات فجر في الظلام جديد

(القاهرة) إبراهيم الوائلي

وأرجعت عدم الارتياح هـذا إلى أمرين : الأول أن « مساومة الـكتلات » لبلوغ هـذه الغاية ستضعف من مقدرة العرب على المساومة فى مسائل أهم من ذلك . والأمر الثانى أنه لو تركت جانباً مسألة الـكبرياء والزهو القومى ، فالمعروف أن مندوبى العرب يجيدون اللغات المتداولة فى هيئة الأمم ، فإذا تحدثوا بالعربية فلن يـكون لسماع خطبهم مترجمة الأثر الذى تحدثه براعتهم فى الإنجليزية أو الفرنسية .

والأمران كلاهما لغو وكلام فارغ ... فادخار الجهد من مساومة لمساومة عجز وكسل ، على أن ظفر العرب بقبول لغتهم رسمية فى هيئة الأمم يقوى مركزهم الأدبى فيها ، وليست مسألة الـكبرياء والزهو القومى مما يترك جانباً ، فإن لهـا أثراً نفسياً فى استثمار العرب عزتهم وكرامتهم ومواصلة كفاحهم ، ولها نفس الأثر فى نظر مندوبى الغرب إلى العرب نظرة الند إلى الند ، لا نظرة المتسلط إلى الضارع . ومن هنا ينعكس الأمر كما يقدره أولئك المقدرون ، فتسهل المساومة فى المسائل الأخرى .

وما دامت المسألة مساومات وكتلات فماذا تجدى البراعة فى الانجليزية أو الفرنسية التى يقال إنها ستفقد فى الترجمة ؟ إن منـدوب روسيا — مثلا — يتحدث بالروسية فى هيئة الأمم ، وينام سائر المنـدوبين حتى ينتهى ، ثم يترجم كلامه « فاقداً » البراعة ... فهل تخسر روسيا بذلك شيئاً ؟ وهل يفوتها غنم من غنائم أهل البراعة ؟

إذن دعوا العربية تسير ، فلن تعوق إن لم تبلغ . وإذا خسرنا الإنصاف من ذئاب الغرب وكسبنا الـكبرياء والزهو القومى فلم نخسر شيئاً ، لأن الشعور بالـكبرياء والزهو سيعيننا على انتزاع الإنصاف منهم بغير الخطابة والبراعة .

نزهة إذاعية :

قرر مجلس الإذاعة الأعلى فى اجتماعه المنعقد يوم الأربعاء الماضى ، إيفاد كل من محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة ، وكريم ثابت بك مستشارها ، لحضور مؤتمر الإذاعة الذى سيعقد بإيطاليا فيما بين ١٤ و١٩ سبتمبر الحالى ، وزيارة محطات الإذاعة فى انجلترا وفرنسا وسويسرا ، لاقتباس النظم التى تلائم الإذاعة فى مصر .

وفى هذا القرار مسألتان : الأولى حضور المدير والمستشار المؤتمر ، وليست هذه المسألة بدعا ، فما أكثر المؤتمرات ، وما أكثر من يوفدون إليها من كبار الموظفين ، وما أكثر ما تنفقه الحكومة فى هذا السبيل ! وليس يذهب كل ذلك سدى .. فإن لم تظهر له نتائج عملية فيكفى أن يتمتع حضرات المندوبين بالرحلات ، وأن يستجموا ، كى يواصلوا بعد عودتهم جلائل الأعمال .

أما المسألة الثانية التى يشتمل عليها ذلك القرار ، فهى زيارة المدير العام للاذاعة ومستشارها محطات الإذاعة بالبلاد المذكورة . وتستلزم هـذه الزيارة طبعا السفر إلى تلك البلاد والتنقل بينها والإقامة فى كل منها أياماً أو أسابيع . وسينفقان فى كل ذلك مبلغاً من المال لا بد أن يكون كبيراً ، تصرفه خزانة الإذاعة دون أن تصطنع فى صرفه ما تصطنعه فى أجور الفنانين والمحدثين بها من التمهل والإبطاء .

والغاية من هذه الرحلة الطويلة الباهظة ، اقتباس النظم التى تلائم الإذاعة فى مصر ، كما يقول القرار ، فالغرض لا يتعلق بالناحية الهندسية الفنية الآلية ، وإلا كان من يوفد غير المدير والمستشار ، واستحق الأمر أن ينتقل الوفد من مصر إلى تلك البلاد ؛ وإنما يتعلق الغرض بالبرامج ، والبرامج يمكن سماعها فى مصر واقتباس ما يلائم مصر منها ، فلم إذن زيارة محطات الإذاعة ؟ ألِلوقوف على نظام الحجرات والمكاتب بهـا ، أم للاطلاع على أصول ما يذاع .. ؟

على أن الأستاذ محمد قاسم بك رجل كبير ممدود له فى الخدمة بعد سن المعاش ، أفلا ينبغى أن يستبدل به من يمكن أن يستفاد منه طويلا بعد أداء هذه « المهمة » إن صح أنها مهمة ... ؟

أو لست ترى فى هـذه الزيارة عدم اعتراف بالعمل الإذاعى من حيث أن الغرض منه أن ينقل إليك كل شىء فى مكانك ، ولا يجشمك أن تنتقل إلى مكانه ؟!

للدولة شخصيتان فى الأدب والفن :

قال محدثى : أتعلم لم فازت قصة « البغل والإبريق » التى ذكرت شيئاً من أمرها ، بالجائزة الأولى فى مسابقة القصة بمهرجان الشباب ؟

— ألمت شىء غير تقدير المحكمين لها ؟

— هو تقدير المحكمين طبعاً ، ولكن دخل فى هذا التقدير عنصر آخر غير قيمة القصة الفنية ، فلم تكن أحسن قصة قدمت على الإطلاق ، وإنما رأتها اللجنة خير القصص الخالية من « فتاة الحب » .

لم أكن فى حاجة إلى المزيد لأدرك ما يرمى إليه محدثى ،

فهرجان الشباب الأدبى نظمته وزارة المعارف ، فهى إذن تحرص على الوقار والاحتشام فى هـذه المسابقات الأدبية ، كما تحرص عليهما فيما يقـدم إلى التلاميذ فى المدارس من نصوص الأدب ، فالمتبع فى اختيار هـذه النصوص أن تـكون من أغراض غير الغزل كالمدح والرثاء والفخر والحـكم والأمثال ، وإن كان الحال قد تغير قليلا فى السنوات الأخيرة إذ صار بعض الأساتذة لا يجد بأساً فى قطع من الغزل « المعتدل » يجتذب بها التلاميذ ويحببهم فى الأدب ، ويسرى عنهم عناء الحكم والأمثال والنصائح وما إليها

جال هذا بخاطرى على أثر ذلك الحديث . ثم قلت فى نفسى :

إن بعض المعاهد التى تشرف عليها وزارة المعارف ، تقيم فى بعض الأحيان حفلات عامة فيها تمثيل وغناء ورقص ، وفى بعض هذه الفنون يختلط الفتيان بالفتيات ، وقد تقتضى الحال تمثيل الحب . ووزارة الشؤون الاجتماعية تشرف على المسرح والسينما والإذاعة وتـكاد هـذه الثلاثة تقوم على الحب من تمثيل وغناء ورقص ، وكثيراً ما يكون فيها الحب الذى هو أكثر من الحب ! والوزارتان تشتركان فى استقدام الراقصات من أوربا كفتيات (الباليه) للتمثيل والرقص على مسرح الأوبرا .

ثم قلت فى نفسى أيضاً : يا عجباً ! ألدولة شخصيتان ، إحداهما متزمتة وقور والأخرى عصرية (اسبور) ؟ ولم كانت الأولى من قسمة الأدب وظفر بالثانية سائر الفنون ؟ قد يـكون ذلك من طبيعة المشرفين على الأدب فى الوزارة ومن طبيعة المشرفين على الفنون الأخرى فى الحـكومة وفى خارج الحـكومة .

ولـكن ألا ترى أن الأدب أولى بالشخصية الثانيـة ، فهو كلام ، وجوه أكثر أمناً من غيره ، وقد كان بعض أسلافنا الذين لم يدركوا اختراع كلمة «الصدق الفنى» يتغزلون ويصفون الحسان ويقولون فى الخمر (غير ما قال مالك) ويصفون فعلها بالنفوس ، ولم يذق أحد منهم طعماً للحب أو للخمر . ولم ينكر عليهم أحد ما يقولون ، بل كان منهم من يعـد من الفقهاء والصالحين . أما الفنون الأخرى غير الأدب وخاصة التمثيل فالحب فيها عملى . والأدب لا يفهمه إلا الـكبار « العقـلاء » أما المسرح والسينما والإذاعة فهى فى متناول الجميع من صغار و كبار ، وخاصة الإذاعة ، فهى لا يمكن المنع منها ، وهى تقتحم كل بيت بكل بذىء من الأغانى و (المنلوجات) لا بالتعبير عن العواطف المهذبة فقط ، وفى جملة من يسمعها التلاميذ والتلميذات الذين تحرص وزارة المعارف على « وقايتهم » من الحب فى الأدب .

فهل ترضى الدولة بما ينطبق عليها من « تعدد الشخصية أو ترى تراجع نفسها لتتلافى هذا التعدد ؟

اللجنة الثقافية بلبنان :

بدأت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية اجتماعاتها يوم ٢٨ أغسطس الماضى فى بحمدون بلبنان . وقد عقدت إلى وقت كتابة هذا أربع جلسات نظرت فيها فى مسائل هامة وانتهت فيها إلى قرارات ، ولا تزال توالى اجتماعاتها لنظر بقية المسائل .

ومما نظرت فيه شؤون الإذاعة والسينما الثقافية ، فقررت توصية مجلس الجامعة بمشروع إنشاء محطة إذاعة عربية كبرى ، وتقوية الإذاعات الحالية ريثما يتم تنفيذ المشروع ، كما تقرر الدعوة إلى عقد مؤتمر لمديرى محطات الإذاعة للبحث فى أنجع الوسائل التى تـكفل تنسيق البرامج الثقافية العربية المشتركة وتنظيمها .

وتقرر أيضاً الدعوة إلى مؤتمر للخبراء الفنيين فى السينما للبحث فى ترقية السينما العربية وإنتاج أفلام دعاية للبلاد العربية فى الخارج وقد اشتـكى الأعضاء من أن الأفلام العربية ليست فى المستوى الراقى الذى ينشد منها وأنها تنافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القومية ورجوا توصية الحـكومات العربية لإصلاح هذا النقص .

وقررت اللجنة تنظيم مهرجان حافل يقام فى إحدى العواصم العربية تخليداً لذكرى ابن سينا ، ووضعت برنامجاً لتنظيم هذا المهرجان ، وقررت تأليف لجنة لنشر آثار ابن سينا ، كما قررت إنشاء مؤسسة علمية تذكارية يطلق عليها اسم الفيلسوف العظيم لتخليد ذكراه .

ونظرت اللجنة قضية الأساتذة والطلاب ورجال الفـكر الفلسطينيين ، واتخذت فيهـا قرارات هامة سـتعرض على الجهات المختصة لإقرارها . وممـا تضمنته توصية الدول العربية لاستخدام الأساتذة الفلسطينيين الفنيين ، وقبول الطلاب الفلسطينيين بالمجان فى معاهد الحـكومات العربية ، وفتح مدارس فى الأماكن التى يكثر فيها الفلسطينيون خارج فلسطين ؛ وقررت أن تطلب إلى اللجنة السياسية العمل على تأمين النفقات للطلاب الفلسطينيين فى أوربا وأمريكا .

عباس خضر



المفعول معه ، وواو المعية :

كتب الأستاذ عبد الستار فراج كلمة حول « واو المعية ، والمفعول معه » أورد فيها أموراً في حاجة إلى المناقشة .

١ — قال في مقام الاستشهاد على إفادة الواو معنى مع . أن قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان » أنهم تبوءوا الدار مع الإيمان .

وقد أورد الصبان في حاشيته على الأشموني هذا الشاهد ، لكن النسق فسره بقوله و (أخلصوا) الإيمان يعني بتقدير فعل مناسب كقوله :

« علفتها تبناً وماء بارداً » يشير بهذا إلى أن ما بعد الواو لا يصح اشتراكه في الحكم « الحدث » مع ما قبلها لاختلاف المدلول .

وقد سار على ذلك التأويل الفراء والفارس ، وأما المازني ، والمبرد وأبو عبيدة ، والأصمعي ، واليزيدي ؛ فقد قدروا فعلا يصح انصبابه عليهما وهو (أنلت) .

وعلى القولين يمكن تخريج الآية بأن (الإيمان) إما أن يكون منصوباً (بلزموا) ، أو (ألفوا وأخلصوا) ؛ فسياق الأستاذ بعيد عن الدقة لأن الواو تقتضي معاني متعددة ؛ فهي تفيد الاشتراك ، أو المعية ، أو الدلالة على العطف من دون تأويل ، أو بقاءها مع حذف المعطوف عليه لاختصاصها هي والفاء العاطفة به

٢ — غير أننا حين نفارق بين واو العطف ، وواو المعية يلزمنا التقريب إلى إيضاح مرادنا في صورة بينة ، ونحن نظاهره على نقده تعريف المفعول معه ، لكن الأمثلة توضح القاعدة وتحدد معاني الألفاظ الاصطلاحية . فنقول لتلاميذنا في (خرجت والأصيل ، وسرت والشاطىء ، واستذكرت والمصباح) : إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث ، إذ الأصيل لا يخرج ، والشاطىء لا يسير ، والمصباح لا يستذكر ، وإنما حصلت الأحداث مقارنة لهذه الأشياء ، وبهذا الأسلوب الإفهامي نستدني القاعدة إلى الأفهام !

٣ — قال : إنه يحيل قول الشاعر : « لا تنه عن خلق وتأتي مثله إلى الحال ، وقد تجوز في رأيه تجوزاً بعيداً ، فقد فرق (الرضي) بين واو الحال ، وواو العطف ، وواو المعية بما يفيد أنهم — أعني النحاة — لما قصدوا معنى المصاحبة نصبوا المضارع بعدها ليكون السياق مرشداً في أول الأمر إلى أن الواو ليست للعطف ، أما واو الحال — وأكثر دخولها على الأسمية — ؛ فالمضارع بعدها في تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ، فمعنى (قم وأقوم) : وقيامي ثابت .

على أن الطلب : « ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به » ؛ فكان بينه وبين ما بعده ارتباطاً فيه ترتب حكم ؛ فالنهي عن الخلق مرتبط بملابسة فعله — أما جملة الحال ؛ فيقصد منها الكشف أو بيان الهيئة فإذا قلت : « لا تقع في اللبس وأنت غلطان » كان المنى النهي عن الوقوع في اللبس في حال الغلط ؛ فقد يقع اللبس سهواً على خلاف « لا تقع في اللبس وتغلط » ؛ فإنه يقتضي النهي عن وقوعهما أو وقوع اللبس وحده مع ملابسة الغلط .

وبعد ؛ فهذا ما بدا لنا سقناه للعلم والحق — على قدر ما نعلم — « وفوق كل ذي علم عليم » !

أحمد عبد اللطيف بدر
المدرس ببور سعيد

هأنذا :

اشتهر بين المتأدبين أن الضمير المسبوق بها التنبيه يخبر عنه وجوباً باسم الإشارة الذي يناسبه ، ومثاله قول الله تعالى : (هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وقوله جل وعلا : (هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) . وقول الشاعر :

إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول : كان أبي

وقد غلا كثير منهم في تطبيق هذا الحكم غلواً كثيراً ؛ مع تخلفه في مواطن شتى من كلام البلغاء والعلماء الذين يقتدى برأيهم ؛ كالعلامة (ابن هشام) فإنه أورد هذه القاعدة في (المغني) ولكنه جريا وراء فطرته فرّق بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب

فقال فى مقدمة الكتاب قوله (وهأنا بائح بما أسررته) بدون أن يخبر باسم الإشارة ؛ وقال (البحترى) وهو من هو فى صفاء الأسلوب :

ها هو الشيب لائماً فأفيق واتركيه إن كان غير مفيق

ولا يمكن وقوع (البحترى) فى هذا الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً فى جميع الأحوال ؛ والحق أن النحاة لم يوجبوه ولكن كثيراً من الواقفين على شاطىء العلوم لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ، ولا يتعمقون المباحث العلمية حتى يقفوا على أسرارها ، فيقضوا فى الأمور على بينة ، وإنى — ولا أزكى نفسى — أستطيع أن أعرض على القارىء ما أراه سبباً لتخلف هذه القاعدة فى بعض الحالات ؛ يبدو لى أن الأساليب المقرونة بالتحدى هى التى لا تخلو من أسماء الإشارة ؛ فالآيتان الكريمتان فيهما إنكار شديد ، وعتاب لاذع للمؤمنين الذين لا يزالون يجادلون عن المنافقين وأمثالهم ، والذين لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استبانة البغضاء فى أفواههم ، وتماديهم فى معاندة الإسلام والكيد للمسلمين ؛ ولما كان هذا اللوم شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة زيادة فى تصوير موجب اللوم حتى كأنه مصور محس لا يمكن التنصل منه ؛ وكذلك الشأن فى البيت فإن معنى التحدى واضح فيه كل الوضوح . (وزيادة فى الفائدة يحسن الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم الإشارة فى الآيتين منادى مع حذف حرف النداء) . ثم نرجع إلى صميم البحث فنقول : أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد حسن (أو جاز على الأقل) تجريد الكلام من اسم الإشارة ؛ وبهذا يكون (البحترى) على العهد به فى تفهم مقتضى الحال ، والإتيان بما يطابقه من الكلام ، فيكون كلامه جارياً على سجيته : من الجودة والرصانة ، كما كانت الآيتان الكريمتان فى الذروة من البلاغة لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

(الاسكندرية) محمود البشبيشى

كتاب مفتوح إلى صاحب الفضيلة الشيخ أحمد محمد آل شاكر

كنا عند ظهور كتاب الأغلال لعبد الله القصيمى وتداول آراء بعض العلماء فيه ننتظر رأى فضيلة الشيخ أحمد بن محمد آل شاكر إلا أن فضيلته لأمر لاندريه ، تذرع بالصمت ولم ينبس ببنت شفه فى أغلال القصيمى والآن بمناسبة ظهور رد جديد على الأغلال نفسها من الشيخ محمد بن عبد الرازق آل حمزة ومقدمة من الأستاذ الغمراوى نري أن الفراغ لا يزال موجوداً لم يسد ولا يصلح ولن يصلح لسد هذا الفراغ إلا كلمة فضيلة الشيخ الشاكر فيه إذ لا يدعى للجلى إلا أخوها . وعليه نرجو فى إلحاح من فضيلة الشيخ الشاكر بيان رأيه الثاقب وكلمة العلم فى الموضوع وله من الله الأجر والمثوبة ، ومنا طلبة العلم الشكر الجزيل وإنا لكلمته منتظرون .

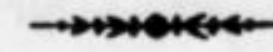
(الرياض) عبد الرحمن بن سلوم



فنون الإســــلام

نقـد ودراسة

للدكـتور أحمــــد موسى



تفضل الدكتور زكى محمد حسن وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأستاذ الآثار الإسلامية فيها ، فأهدى إلى نسخة من كتابه « فنون الإسلام » وهو الـكتاب الذى بدا لى عندما قلبت صفحاته أنه ليس من الـكتب التى يسهل درسها ونقدها فى وقت قصير ، مما ألزمنى التأنى فى قراءته بإمعان يتناسب مع قيمته وخطره !

والحق أنى وجدت فى الـكتاب كل ما تصبو إليه نفس القارئ من المتعة والتثقيف الفنى ، أما المتعة فلأنه تناول تاريخ فنون الإسلام ونشوئها وتطورها من أقدم عصورها حتى آخر عصر النهضة الأوربية ، وهو موضوع يلذ لـكل قارئ الاطلاع عليه ، وأما التثقيف فلأنه حافل زاخر بدراسة محيطة لهذا الموضوع العظيم الشأن من جميع نواحيه ، فى أسلوب الأديب ، فجاء بعيداً عن الجفاف العلمى الخالص ، مع توافر أصوله فى كل صفحة من صفحاته ، مما جعل منه مرجعاً لـكل باحث .

والأستاذ الدكتور زكى غنى عن التعريف إلا أنه يهم القارئ أن يعلم أن مؤلف الـكتاب (الذى بين أيدينا) حائز على دبلوم الآثار الشرقيه والإسلامية من مدرسة اللوفر ، ودبلوم اللغة الفارسية من مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، فضلاً عن أنه حائز على ليسانس الآداب من الجامعة المصرية ودكتوراه الآداب من السربون .

أما من حيث الناحية العملية فقد كان مساعداً علمياً بمتحف برلين كما كان أميناً لدار الآثار العربية بالقاهرة ، وهو بهذا وبما سبق له تأليفه من كتب فى الفن الإسلامى يدفع بالقارىء لـكتابه إلى الاطمئنان الـكامل .

ولا أبالغ فى القول بأنه لولا مؤلفه المذكور وما سبقه من مؤلفاته[1] لـكان ما أخرج للناس فى لغتنا العربية خاصاً بالفن الإسلامى قليلا ضئيل النفع ، ولعل مما يؤيد هذا ، المراجع التى ذكرها فى ذيل كتابه والتى بلغت ٢٧٠ مرجعاً بالألمانية والانجليزية والفرنسية ، اللهم إلا تسعة عشر مرجعاً جاءت باللغة العربية معظمها فى موضوعين اثنين هما المهارة والخزف ، أما ماتبقى بعد ذلك من الموضوعات فلا توجد له مراجع معتبرة فى اللغة العربية

ولسنا فى مجال البحث عن الأسباب التى أدت إلى الركود العجيب فى الدراسات الفنية بالبـلاد الشرقية عموماً وبمصر على وجه الخصوص .

على أن هذا لايمنع من أن أذكر أنه قد ظهرت بضعة مؤلفات باللغة العربية عدا تلك التى جاء ذكرها ضمن مراجع الدكتور زكى ، كان مؤلفوها من غير المتخصصين ، فـكانت كتاباتهم لا تخرج عن محاولات ، فضلاً عن ظهورها فى عالم المطبوعات ، فى وقت كان إقبال الناس فيه على دراسة الفن ومعرفة أسراره ضئيلاً يكاد يكون معدوماً .

ولما كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لنشوئه وتطوره وارتقائه وأثره ، على أساس التاريخ العام مع تطبيق أصول علوم أخرى ، ولما كان الأسلوب العلمى فى التاريخ العام هو تقسيمه إلى الاقسام الثلاثة المعروفة بالقديم والمتوسط والحديث ، فإن تاريخ الفن مع كونه استعراضاً لنشوء الفن وتطوره وأثره كما ذكرت ، يخضع لنفس القاعدة بغية التبسيط ، ولإيجاد الرابطة الوثيقة بين التاريخ العام وتاريخ الفن ، على اعتبار الانتاج الفنى مقياس الحضارات الصادق .

هذا بيان يدفع بى إلى الخروج عن موضوع الـكتاب ؛ فأذكر شيئاً عن تاريخ العلوم والفنون الإسلامية عند الغربيين وعن الدوافع

(١) الفن الإسلامى فى مصر — التصوير فى الإسلام عند الفرس — كنوز الفاطميين — الطولونيون — فى مصر الإسلامية — نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، وهذان الـكتابان الأخيران اشترك مع آخرين فى تأليفهما ، وله كتب ترجمها عن اللغات الاوربية أذكر منها تراث الاسلام — وعلم الآثار ترجمه بالاشتراك مع الأستاذ محمود حمزه .

التي حفزتهم إلى العمل في هذا المجال الفسيح .

فعندما قصد رجال كنيسة روما نشر الديانة المسيحية بين شعوب آسيا وأوربا وشمال افريقية رأوا أنه لا مناص من معرفة لغات هذه الشعوب لأنها المفتاح الأوحد إلى قلوبهم ، فنجد أنه لم ينتصف القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان البابا « اينوسنس » قد أصدر أمره بإنشاء كراسي (جامعية) لتعليم اللغة العربية ، وهو الأمر الذي حافظ على تنفيذه « كليمنس » الرابع و « هونوريوس » الرابع . أما في عهد « كليمنس » الخامس ، فقد تقرر في المؤتمر الكنسي بمدينة فيينا Vienna Synode إعداد معلمين لتدريس اللغة العربية في كل من روما وباريس وأكسفورد وبولونا وسلامنكا كطريق إلى غزو الشرق بما فيه من الكنوز العلمية والأدبية والفنية وغيرها ، وتطور الحال فلم تقتصر هذه العناية على معرفة اللغة العربية لذاتها ، بل ازداد الاهتمام بمعرفة أسرارها وإدراك ما كتب بها من مؤلفات في مختلف العلوم والفنون ، لا للدرس والمعرفة فحسب ؛ بل كذلك للاستيلاء على تلك المؤلفات نفسها كلما سنحت الفرصة ، وهي المؤلفات التي ترجمها العرب عن الأغارقة وغيرهم عدا ما ألفوه ، لكي يتمكن العقل الأوربي من الوقوف على مصدر حضارة العرب ، وعلى ما تركه أرسطو وغيره من رجال المدرسة الأثينية والسكندرية من المؤلفات الزاخرة بالمادة العلمية للافادة منها جميعاً .

وهكذا انتهى الأمر بظهور الكثير من الكتب القيمة باللغة اللاتينية أصلها عربي من تأليف علماء المسلمين ومن اشتغل إلى جانبهم من الشرقيين خلال القرون الوسطى الزاهرة في تاريخ الإسلام .

وجاء دور الانقلاب الديني في أوربا ، وأهم مايعنينا من آثاره انتشار الدراسات الشرقية وزيادة العناية بمعرفة اللغة العربية عند ما كان « علم التفسير » exgesis من العلوم التي ترجع في أصولها إلى المصادر الشرقية لإيضاح نصوص الكتاب المقدس .

هذا إلى جانب الدور الخطير الذي لعبته البعثات التبشيرية الكاثوليكية لنشر المبادئ المسيحية في الشرق ، فخصص البابا « أوربان » الثامن في عام ١٦٢٧ لبعثة الدعاية الدينية Collegium pro fide propaganda فريقاً من رجال اللاهوت لدراسة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية .

وصفوة القول أن الدراسة العلمية السليمة لهذه اللغات وعلى رأسها لغة الضاد لم تبدأ إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر بعدما خرجت عن نطاق الكنيسة ودخلت في نطاق الاستعمار المنظم ، فنذ كروليم جونز الإنجليزي الذي وجه نظر بلاده (بلاد السياسة) إلى الدراسات الشرقية وما ينتظر من ورائها من فوائد ، وذلك في مقاله الافتتاحي بمناسبة إنشاء الجمعية الأسيوية في عام ١٧٨٤ ، كما نذكر سلفستر دي ساسي صاحب المجهودات البارزة للانتفاع بالمؤلفات العربية وكتاب العرب !

وإذا كانت الدراسات الشرقية في مختلف العلوم قد سارت على غير نشاط متشابه نتيجة الاهتمام بفروع منها دون الأخرى ؛ فإن فجر القرن التاسع عشر قد عرف بأنه فجر النشاط الشامل لمختلف نواحي تلك الدراسات ، فبدأ التخصص يظهر في أفق العلم ولا سيما بعد تأسيس الجمعيات العلمية في كل دولة من الدول العظمى التي اهتمت بالشرق ، فنجد جمعية العلوم الشرقية الألمانية تأسست في سنة ١٨٤٥ بمدينة ليبزج ، ومعهد اللغات الشرقية ومدرستها في سنة ١٨٨٧ ببرلين ، على حين تأسست جمعية فيينا قبل ذلك باسم الأكاديمية الشرقية ، أما في باريس فقد عرفت باسم Ecole spéciale des Langues orientales vivantes وعدا هذه جمعيات لندن وبطرسبرج وغيرها .

كل هذا من أجل الشرق بما حواه ، ولم تكن هناك وسيلة لغزوه أفضل من وسيلة العلم ، فلن نجد في أوربا من ينكر الخير العميم الذي جاء كالغيث على أهل أوربا نتيجة لتأسيس تلك الجميات التي هب الكثيرون من أعضائها للرحيل إلى الشرق للدرس الجامع الشامل والقيام بأعمال الحفر الأثري استكمالاً لما شاهدوه منها ظاهراً يسحر الألباب !

ولهذا فلا عجب عند ما نجد كل المراجع الحديثة ذات القيمة العلمية في البحوث الشرقية والإسلامية باللغات الأوربية .

ولكن الموضوع لا يقف عند هذا الحد ، إذ اتضح بعد وضع المؤلفات عن الشرق وما فيه افتقارها إلى الأسلوب العلمي الذي لا يكون إلا بالتخصص ، ولما كانت هذه المؤلفات قد اشتملت ضمناً على التراث الفني المجيد ، وفيه مجال فسيح الأفق لا يصل إلى مداه إلا الدارس ، رأينا هؤلاء الأوربيين يعطون القوس باريها !

وهنا أراني مضطراً مرة أخرى إلى التعريج على قصة تاريخ الفن ما دمنا في معرض الكلام عن « فنون الإسلام » :

فقد بدأ الكاتب الرومانى بلينيوس كتابه عن الفن وتاريخه (فى العصر القديم) فى القرن الأول المسيحى، ووضع الكاتب الإغريقى بوزانياس فى النصف الثانى من القرن الثانى المسيحى كتابه الشامل لبيانات وأوصاف وإيضاحات فنية نافعة كانت بأسلوب أقرب إلى السرد منه إلى النقد.

ولم يكن الأسلوب مختلفاً عن ذلك كثيراً فى القرون الوسطى فلم يكن ما كتب يزيد عن وصف عام للمآثر، وإيضاح لما استنفد فى إنشائها من مجهود.

وقد ظهرت بعدئذ كتب فى تاريخ الفن العام فى ثوب علمى نتيجة لإقبال الناس على مؤلفات الأقدمين ودراسة آثارهم والنقل عنهم، فقام فريق من أهل العلم بتفسير ما حرره فيتروفيوس، على حين اشتغل فريق آخر بتسجيل الكتابات والنقوش التى وجدت على كثير من الآثار مع تفسيرات وشروح.

ومهما يكن نوع هذه المجهودات والطريقة التى سار عليها أصحابها، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة فى مضمار تاريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر، عند ما كتب لأول مرة المؤرخ اللاتينى «فاسارى» الذى تتلمذ فى الفن على ميكلانجلو، والذى يعد بحق إمام مؤرخى الفن، كتابه القيم الذى حوى تراجم مفيدة لرجال الفن فى إيطاليا.

وهناك مؤلفات جديرة بالذكر، منها كتاب «المشاهدات» لكارل فان ماندر، وكتاب أكاديمية العمارة والنحت والتصوير ليواخيم فون ساندررت، وكتاب برنارد دى مونفاكو، فضلا عن كتاب يواخيم فينكلمان مؤسس علم الأركيولوجيا سنة ١٧٤٥ وجاء بعد هؤلاء كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم.

إلى هذا الحين كانت كل المجهودات فردية، كما كان اتجاه كل مؤلف اتجاهاً خاصاً ولفن بعينه، فكان الراغب فى المعرفة الفنية العامة لا يستطيع الوصول إلى بغيته، حتى آن الأوان وتكاتف فريق من علماء الألمان كسابق تكاتفهم فى مضمار تاريخ الفلسفة وغيرها — على إخراج مؤلف شامل، فظهر فى الأفق كتاب «شنازه» وبعده بقليل كتاب «لوبكة» وبعده كتاب عظيم الشأن هو «تاريخ الفن العام» لمؤلفه أنطون شپرنجر، والذى يطبع حتى اليوم بإضافات مستمرة فى مجلدات ستة تعتبر مرجعاً طيباً لكل مؤرخ فنى.

وقسموا كتبهم التى أخرجوها فى مجلدات إلى عصور، والعصور إلى مراحل، ووزعت المراحل على الشعوب توزيعاً جغرافياً حرصاً على استبقاء آثار التجاور وتشابه الأجواء والبيئات على الإنتاج الفنى فضلا عن سهولة التناول، فجاءت المؤلفات ومنها ما يخص الفن القديم من شرق وغربى، فمصر وبابل وآشور والعراق والفرس والهند والصين فى كفة، والإغريق والرومان فى كفة أخرى.

وهكذا كان التقسيم لفن العصر المتوسط ولفن العصر الحديث من حيث المنهج والأسلوب الدراسى.

هذ إلى جانب تقسيم الإنتاج الفنى نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة الخ.

وظل البحث الفنى فى تقدم مستمر بتقدم أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار إلى جانب ترميم وإصلاح المآثر والمبانى من كنائس وقصور ومساجد الخ، فوجدنا كتباً عن فن قائم بذاته كالفن الإغريقى وحده، كما وجدنا مجلدات تخص فن النحت دون سواه. ولم تقف الحال عند هذا، بل ترى فريقاً من عشاق الفن وقد اشتغل بتأريخ حياة مثال بعينه؛ فتجد بحثاً قائماً بذاته عن فيدياس مثلا.

أما التقدم فى إخراج هذه الكتب فكان من ثلاث نواح، الأولى أن تأليفها كان مبنياً على أصول البحث العلمى وما يحتاج إليه هذا من الأفاضة فى الموازنة والمقارنة، وفى ذكر المراجع والمصادر عند عرض رأى من الآراء الفنية أو مناقشته، والثانية تزويدها بالصور الفوتوغرافية القيمة التى أماطت اللثام عن كثير من الدقائق التى لا يمكن فحصها فى مكانها الأصلى، إلى جانب تكاليف السفر ومشقته وما يستنفده من وقت ومجهود، والثالثة تقدم فن الطباعة تقدماً عجيباً جمل فى الأمكان الجمع بين لوازم العلم من ناحية تنويع حروف الطباعة لملاءمة البحث وتمييز فصوله وأبوابه، وتلوين الأشكال والصور بألوان تحاكى الأصل — وبين الدقة والعناية، بل والأناقة فى الإخراج، فأصبحت كتب الفن فى كل من أوربا وأمريكا أنموذجاً للكمال.

هذا إلى جانب ما أخرج للراغبين من معاجم ودوائر معارف وموسوعات ومجلات ونشرات وتقارير سنوية وغير سنوية للدراسات والاكتشافات الفنية والأثرية وأصول النقد الفنى والتقدم فى النقد المقارن.

كانت كل هذه المجهودات تسير قدماً ونحن فى نوم عميق! على أن هذا النوم العميق لم يمنع من ظهور بعض الكتب المترجمة عن الفن المصرى حيناً وعن الفن فى القرون الوسطى.

وفى عصر النهضة وما بعده حيناً آخر ، وهى كتب أكثر ما يمكن أن يقال فيها أنها محاولات وترجمات لكتب فنية لا تتفق أصلا مع حاجة المصريين ولا مع سابق دراساتهم إلى ذلك الحين على الأقل ، كما كان بعضها أقرب إلى « كتالوجات » الصور منه إلى الكتب الدراسية ذات الأسلوب النافع . ولهذا جاءت ضعيفة الإخراج قليلة المادة ضئيلة النفع ، لا لشىء سوى عدم تخصص مترجميها أو مؤلفيها من ناحية وعدم وجود القارىء للكتب الفنية القيمة التى تدفع بالمتخصصين إلى العمل من ناحية أخرى .

ولقد ظهرت بعد الثورة المصرية بعض كتب قيمة إلى جانب مقالات وبحوث ظهرت فى مجلات محترمة عن الفن واتجاهاته ومدارسه . فإذا ما ظهر اليوم كتاب « فنون الإسلام » لتنوير الأذهان نحو موضوع من أخطر موضوعات الثقافة الفنية الإسلامية ؛ فإنه لا يسعنا إلا تهنئة القراء الشرقيين عموماً والمصريين على وجه الخصوص بهذا الكتاب الجامع الشامل !

والحق أشهد أنه من أشق الموضوعات التى تحتاج إلى التريث وطول الأناة وسعة الاطلاع ، فعندما يتصدى الكاتب لفنون الإســــلام جميعاً إنما يجابه موضوعاً عسيراً ، لا يتغلب عليه إلا القادرون .

جاء الكتاب فى نحو ٧٥٠ صفحة من القطع المتوسط شاملا للعمارة والنحت والتصوير وأعمال النجارة والقاشانى والفنون الزخرفية بأوسع معانى الكلمة ، وذلك فى الأقطار الإسلامية مرتبة ومبوبة تبويباً خاضعاً للاسلوب العلمى .

وإذا علمت بأن فنون الإسلام فى مجموعها تقف أمام الفنون الوثنية الكلاسيكية موقف الناهض ، وأنها قامت على أكتاف الفنون المسيحية فى أول أمرها ثم أخذت تستقل رويداً رويداً حتى تم لها الوجود والكيان القائم بنفسه ؛ استطعت تقدير المشقة والجهود المبذولين لبيان هذا الاتجاه بقلم كاتب مصرى مسلم !

ولعل من الخير أن نذكر أن المحور الذى تدور حوله الفنون المسيحية المبكرة وما بعدها كان دينياً خالصاً ؛ فأقيمت الكنائس مزودة بالتماثيل الآدمية وغير الآدمية ومحلاة بالتصاوير الدينية وما إليها ، على حين كان المحور الذى تدور حوله الفنون الإسلامية هو إنشاء المساجد والجوامع مجردة من النحت الآدمى والصور الدينية ، وهذا موضوع تناوله المؤلف بالبيان فى كتابه .

وقد اختص الدكتور زكى موضوع التصوير الإسلامى بأكبر عدد من الصفحات (٧٨ صفحة) تناول المؤلف فيها ضمناً ما قيل من الأسباب التى جعلت منه فناً جامداً — وأخذ يناقش مختلف الآراء بأسلوبه الممتع . كما اختص الفنون المدنية بعناية تجلت فى نحو ٧٣ صفحة ، أما المنسوجات فقد جاءت فى ٥٣ صفحة ، والحفر على الخشب فى ٥١ صفحة ، ثم يلى ذلك الخزف والسجاد والزجاج والبلور الخ . وهى أبواب كما ترى تصلح لأن تكون كتباً مستقلة ، ولكن المؤلف شاء أن يكون كتابه مرجعاً لكل باحث ومثقفاً لكل مريد .

ثم جاءت بعض الصور التى بلغ عددها جميعاً ٧٥٠ صورة على غير الدرجة المرجوة من الدقة والظهور وهى المرقومة ١٥٢ و ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ و ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٨٠ ، ٤٥١ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٤ و ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٦٤ ، إلا أن هذا لا يمنع من تسجيل النجاح فهذه كلها لا تزيد عن ٤ فى المائة من مجموع صور الكتاب التى جاءت شرحاً وإيضاحاً للموضوع .

أما الأساليب الفنية الإسلامية فقد تناولها المؤلف منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى حتى غزته الأساليب الفنية الأوربية فى القرن الثامن عشر الميلادى بإفاضة وبيان شامل .

وربما كان من أوجه الكمال لو أن الدكتور ذكر أمام كل مرجع المكان الموجود فيه ، ذلك لأن عدد المراجع وقد بلغ ٢٧٠ يعد فى ذاته مفتاحاً لكل باحث ، فإذا علم مايوجد منها بدار الكتب المصرية ، وما بالجمعية الجغرافية وما تضمن منها مجموعة المعهد المصرى ، ومكتبة الجامعة ومكتبة كلية الآداب ؛ فإنه ولا شك يختصر الطريق ويصل إلى ما يبتغيه .

وقد حرص المؤلف على تذييل كتابه بكشاف فى نحو ٢٣ صفحة وبخريطتين تخطيطيتين أولاهما لإيران ، وثانيهما للشرق الأدنى وبلاد المغرب .

فلعلى ألمس فى القريب إقبال الناس على قراءة هذا الكتاب الذى أعده باقة زهر يانعة قدمها المؤلف إلى أبناء اللغة العربية ، فى أنسب الأوقات .

أحمد موسى
كبير المفتشين بمصلحة المساحة المصرية

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩٤ — الاثنين ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 794

Lundi — 20 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

صديقي الأستاذ توفيق الحكيم

مهما يكن من حرصي على ألا أدخل في حديث يدور لي أو علي ، فإني لا أجيز لنفسي بعد ما قرأت في (أخبار اليوم) تحيتك الكريمة أن أدعها تمر دون أن أتقبلها بالغبطة وأردّها مع الشكر .

تفضلت فرشحتني لكرسي شوقي في كلية الآداب من جامعة فؤاد ، وأيدت ترشيحك بحسن ظنك بي وجميل رأيك في . وليس الترشيح في ذاته هو الذي هيأ نفسي للكلام وحرك يدي بالكتابة ؛ فإنك تعلم من نفسك ومن تجاربك أن الترشيح لشغل هذه المناصب تتنازعه عوامل مختلفة من هوى السياسة ورضى الحكم . والمعروف أنهم ينظرون في المنصب إلى المال والجد ومن لهما يستحق ، ولا ينظرون فيه إلى الفضل والكفاية ومن بهما يتصف . وإني أعلم من نفسي ومن طبعي أنني لا أقبل هذا الكرسي وإن ذُللت عقابه وسهِّلت صعابه ؛ لأني أفضل أن أظل بقية حياتي كما كنت جنديًا متطوعًا في القوة الخفيفة من قوى الأدب العربي : أرود وأنتجع وأكتشف من غير نظام أتبعه ولا قائد أطيعه ولا جزاء أبتغيه ... ولقد عرض عليّ في العام الماضي عميد كلية الآداب السابق أن أكون أستاذًا زائرًا في الكلية ، فقلت له والأسى يهدج صوتي ويقطّع كلامي : شكرًا يا صديقي وعذرًا ! لقد تقدمت السن وتأخرت الصحة وأوشك الماخر في عباب الحياة أن يبلغ الساحل ! وما ذا تبتغي من عامل مكدود أدرك سن المعاش ، أو من فرس مجهود قارب نهاية الشوط ؟ إن من حق ذلك أن يسترفه ، ومن حق هذا أن يستجم . وما على الجواد من بأس إذا أخطأه الرهان بعد أن جرى ملء فروجه وبذل غاية جهده حتى بلغ ما بلغ من غير سوط يحث ولا حقنة تثير ولا حيلة تساعد . ولكن صديقي ألح في العرض وألححت في الرفض ووقف الأمر بيني وبينه عند ذلك .

فالموضوع إذن يا صديقي أهون علي من قطرة المداد التي تسيل بالحديث عنه ، وإنما هيأ نفسي للكلام وحرك يدي بالكتابة تلك الروح الطيبة التي أملت عليك ما كتبت ؛ فإن كلمة الخير من أديب في أديب ، أو شهادة الحق من عالم في عالم ، لم يسجلها تاريخ الأدب إلا في باب النوادر ! ولعلك تذكر أننا تشاكينا مرة داء الضرائر بين الأدباء فقلت لك : لا أدرى لما ذا يظن الكاتب أو الشاعر أو الفنان أن الأرض لا تتسع إلا له ، وأن الناس لا يقبلون إلا منه ، وهو يعلم علم اليقين أن الأدب ألوان وطعوم ، وأن الذوق أشتات ودرجات ، وأن مثل الأدباء والفنانين في العصر الواحد والبلد الواحد كمثل الجوقة الموسيقية تؤلف بأصواتها المتنوعة وصورها المتعددة لحنًا واحدًا يطرب النفوس المختلفة ، ويرضى الأذواق المتباينة ، ونجد مع هذه الوحدة وذلك الانسجام لكل عازف مكانًا ، ولكل صوت آذانًا ، ولكل قطعة فنًا ، فلا تغني آلة عن آلة ، ولا يجزي صوت عن صوت . وإني لأذكر أنك صوبت هذا الكلام وزدت عليه أن رجال

لو أصبح لليهود دولة ...

للأستاذ نقولا الحـــداد

إنه إذا لم تمحق جماعة إسرائيل المزيفة — ولا تمحق إلا بالسلاح — كان أولى كوارثنا أن الجامعة العربية تفقد هيبتها وتسقط قيمتها وتنحل كما تنحل قطعة السكر حلا فى الماء السخن بعد أن كان متوقعاً أن تتحول إلى ممالك متحدة على حد الاتحاد السويسرى أو الأمريكى ، بحيث تتضاعف قوتها أضعافاً .

الثانية : متى انحلت الجامعة العربية ضعف جداً استقلال كل دولة بحيث تستطيع جماعة إسرائيل أن تستغل هذا الضعف بسهولة كلية ، إذ يمكنها أن تلتى شباكها الاقتصادية ، فتتصيد الدول العربية واحدة بعـد واحدة ، بأية حجة حتى بالقتال ، ثم تتحكم فيها ، إذ تأسرها باللطف الاقتصادى ، وبالتحاف السياسى وبحنو الصرافة Banking busyness ، وإذا اقتضى الأمر فبدلال بنات إسرائيل ، كرفقا وراحيل .

وثالثة الأثافى : أن ما كـنـا نتبجح به من الإجماع على مقاطعة المنتجات اليهودية ، والإعراض عن معاملة اليهود إلى أن يضيق بهم العيش ، وينضب الرزق « ويطفشوا » من البلاد رويداً حتى تصبح جماعة إسرائيل بلا أهالى ولا رجال — إن هذا الظن يذهب حينئذ مع ريح الإغراءات الصهيونية المتنوعة .

الرابعة : لا نلبث أن نرى الصناعات الصهيونية قد ترعرعت وجعلت تزاحم صناعاتنا ومرافقنا ، وتقتل أسـباب عيشنا واحداً واحداً حتى نصبح حينئذ عالة على الإنتاج الصهيونى فلا نستطيع أن نعيش إلا تحت رحمة أبناء صهيون وهم خالون من الرحمة .

الخامسة : يتغلغل رأس المال اليهودى فى جميع البلاد العربية وتصبح هذه البـلاد مكبلة بالديون الإسرائيلية . ولا تلبث أن تصبح الأملاك والمقارات رهائن فى بنوك إسرائيل وفروعها فى جميع البلاد العربية — هـكذا تنتقل ثروات البلاد إلى بنى صهيون ، فيفتقر العرب ، ويثرى اليهود . والنتيجة القصوى هى استعباد هؤلاء لأولئك .

والسادسة : أن ما نستبشر به الآن من ازدياد الغلال المعدنية التى تبشرنا بها جيولوجية بلادنا : كالبترول والفحم والحديد حتى الأورانيوم وغير هـذه من خيرات الأرض الدفينـة سيكون لشركات اليهود كما هى الحال الآن فى أملاح البحر الميت . ومهما تحوطنا حتى لا تقع هذه الثروات فى أيديهم ، فلا بد أن تؤول إليهم بفضل حكامنا الذين تغريهم الشركات اليهودية بالرواتب الوافرة لـكى يكونوا أعضاء فى مجالس إدارتها ولـكى يساهموا فيها إن أمكن ، ولـكى يقال أن الشركة وطنيـة — مصرية أو سورية أو لبنانية أو عراقية الخ . لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لـكى يحلبها شعب الله المختار (الجوييم) كما هو حادث الآن ، وبعض من الوزراء السابقين ، أو وجيه مصرى ذى نفوذ ، إلا وهو عضو فى عدة مجالس إدارات لشركات يهودية بمـكافأة بضع عشر مئين من الجنيهات ، فى مقابل أن يسهلوا لها وسائل الرواج والـكسب .

هل يصدق القارىء الـكريم أن أحد هؤلاء « الوطنيين » هو عضو فى ٤٣ شركة ، وإن وجيهاً عظيماً يتقاضى من بعض الشركات ٢٣ ألف جنيه سنوياً . ولا يخجلون من أنهم بنفوذهم الوهمى يربحون هذه الشركات اليهودية الملايين ، ومن أين هذه الملايين ؟ طبعاً هى من دماء هذه الأمة المنكوبة بغيرة حكامها

السادسة : إن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، لا يلبث أن يشعر بعد قليل من رسوخ قدم الإسرائيليين ، أن الشركة الأمريكية التى تستغل بترول بلاده بقاء بضعة ملايين من الجنيهات قد أصبحت يهودية قلباً وقالباً من غير أن يعلم السوابق واللواحق . وحينئذ يعلم الماليون الأمريكيون أن هذا البترول الذين يقتتلون لأجله ، أصبح يتسرب إلى موسكو ؛ لأن تعاقداً سرياً بين موسكو وتل أبيب قد تم على نية أن تتبادل الصهيونية والشيوعية المنافع الضخمة . وحينئذ يعض ماليو أمريكا وساستها المغفلون أناملهم ندماً على تفريطهم بصداقة العرب ، وعلى تأييدهم الصهيونية فى الشرق العربى .

هذا المصير الذى يصير إليه بترول الحجاز ، سيكون مصير بترول العراق أيضاً ومصير بترول مصر وبترول البحرين ومصير

الأدب والفن هم صفوة الناس فى سمو النفس والحس ، فلا ينبغى أن يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من أوزار الغيرة وأضرار الحسد . وإنهم باتحادهم وتوادّهم أحرياء أن يخففوا عن نفوسهم بعض ما يكابدون من عامية الخاصة وأمية العامة ومادية الحـكومة .

والحمد لله والشـكر لك ! لقد رأيتك تمنى ما تقول ، وتريد ما تمنى ، وتفعل ما تريد ! (المنصورة) **احمد حسن الزيات**

كل بترول جديد يظهر فى الشرق العربى . ومتى صارت منابع البترول فى أيدى اليهود فلا يعود نصيب جلالة الملك عبد العزيز السعود ونصيب حكومة العراق ونصيب أمير البحرين ونصيب أيه حكومة عربية إلا قشر البيضة من ثروة البترول .

إن ثبتت قدم الصهيونيين (لا سمح الله) فسيكون كل هذا بعد عشرين أو ثلاثين سنة . وحينئذ سيقول من يبقون أحياء إلى ذلك الحين ممن قرأوا هذا المقال : « رحمة الله على نقولا الحداد « قال وقوله صدق » . وحينئذ لا تعود تنفع نهضة العرب ولا يقظتهم ولا غضبتهم ، بل تفتر كل حماسة وطنية لهم ، ويبقون كسالى تخدرهم الدعاية اليهودية ، وبدر الأموال اليهودية وتقتل كل تحفز لانقلاب عربى لإنقاذ العروبة من بين براثن الصهيونية.

* * *

أتمنى أن أعلم ماذا يفهم أقطاب الساسة العرب من القول أن هذه الهدنة أبدية لا نهاية لها . إذن ماذا ينتظرون ؟ أينتظرون أن يستمر اليهود ينقضون الهدنة ، وأن يواظب برنادوت على القول أنه راض عن الحالة وأنه متفائل خيراً وأن الهدنة سائرة بانتظام — كذب وستين ألف كذب .

وهل يروق هذا القول لساستنا العظام ؟ إذن كيف تكون الهدنة غير مرضية لبرنادوت . أيحسبها شؤماً إذا كان العرب يدافعون حينما اليهود ينقضون ؟

وإذا كان ساستنا العظام يصرون على القول لبرنادوت « ليس عندنا حل لهذه المشكلة العقيمة إلا أن لا تقوم قائمة للصهيونيين بتاتاً — إذا كان هذا هو قولهم الذى لا يحيدون عنه بتاتاً ، فلماذا لا يسألون برنادوت ماذا فى دماغه من مشروع تسوية يوافق قول العرب هذا .

وإذا كان الأمر كذلك فحتى متى يصبر ساستنا على هـذه الهدنة الفاهية التى ليس من ورائها إلا استفحال اليهود وتثبيت أقدامهم وتوسيع فتحهم وزيادة تسليحهم ، ثم بقاء عرب فلسطين مشردين فى غير بلادهم يعيشون عيشة الطوى على إحسان الخيرين ويموتون ببطء . وأخيراً لا يبقى إلا فلسطين اليهودية — إلى هذا يرمى اليهود وعمالهم برنادوت فيما هو يتنقل بين مصيف رودس وفلسطين .

إلى الآن لا أفهم معنى لهذه الهدنة التى لا نهاية لها . إذا كانت بلا نهاية . فالمعنى أن الحرب انتهت . فإذا كانت قد انتهت عند برنادوت واليهود ، فهـــل انتهت عند العرب على هذه الحال البليدة ؟ .

أليس عجيباً غريباً أن غرباء أشباه الناس apes جاءوا من آخر الدنيا وطغوا بوحشيتهم وبارهابهم الحيوانى وطردوا أهـل البلاد من بلادهم وأقاموا هم فيها ونهبوا كل ما فيها من قوت وأثاث ولباس وغلال ومال واستولوا على أبنيتها : وأغرب من هذا أن يقف العرب عند هذه الحال مترددين صابرين يتوقعون الـكروبيم من السماء أن ينزلوا إلى الأرض ليحرسوا فلسطين لأهلها ، كما كان الـكروبيم يحرسون جنة عدن حين طرد الله منها آدم وحواء

لا أفهم ماذا ينتظرون إذا كانوا يعلمون جيداً أنه يستحيل عمل برنادوت أن يتوفق إلى حل للمشكلة غير إلغاء ما يتمناه الصهيونيون أيصبرون إلى أن يضجر العرب كلهم من دوام هذه الحالة البليدة ويتركوا صهيون لليهود .

* * *

وإلى الآن لا أفهم ماذا يعنى من برتأون (حتى من ساسة العرب) أن يعود اللاجئون إلى بلادهم والمشكلة ، لا تزال قائمة

لماذا هرب اللاجئون من بلادهم ؟ أليس لأن اليهود اعتدوا عليهم . فهل تغيرت طباعهم الحيوانية وصاروا بشراً يؤمن شرهم فما عادوا يفتكون بالأطفال والنسـاء والشيوخ ؟ على أى أساس يعود العرب المشردون إلى بلادهم وأولئك لا يزالون وحوشاً يتوحدونهم للفتك بهم .

وإنه لغريب أن يقترح برنادوت عودتهم إلى بلادهم وهو لا يقترح الوسيلة الضامنة سلامتهم من فتك بهم . وأغرب من هذا وذاك أن بعض أقطابنا يقبلون هذا الرأى من غير أن يقدروا العواقب .

وأغرب وأعجب أن يقبل أقطابنا أن يعيش هؤلاء اللاجئون المنكوبون على إحسان الأجانب . وإلى متى يبقون عالة هـكذا والهدنة لا نهاية لها — يا للعار . يا للشنار .

* * *

عجبت أن يهتم برنادوت وأعـوانه « بالشحاتة » للاجئين العرب ويستغيث بمجلس الأمن تارة وبالمؤسسات الخيرية أخرى

(البقية على صفحة ١٠٨١)

محـــاكمات

للدكتور جواد علي

كان امتحان « الحجاج بن يوسف الثقفي » لأهل العراق في إيمانهم أشد وقعاً عليهم من السيف الذي سلط عليهم في معركة « دير الجماجم » والمعارك التي تلتها.

دخل الحجاج الكوفة بعد إنتصاره على ابن الأشعث فعقد مجلساً عظيماً لامتحان النـاس ولاذلال أهل الكوفة. فجلس هو في الصدر وأجلس « مصقلة بن كرب بن رقبة العبدي » إلى جنبه وكان خطيباً جهوري الصوت. وقد قال له :

إشتم كل امرىء بما فيه ممن كنا أحسنا إليه ، فاشتمه بقلة شكره ولؤم عهده ، ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه وصغر إليه نفسه .

وقد أدى هذا الخطيب الشتام عمله على خير ما يكون . فجاء بأقبح الشتائم وأخرج آخر ما عرف من إحداث في هذا الفن . فكان الشخص يعرض عليه وبعد أن ينال نصيبه من الشتم على وجه يرضى الحجاج ، يتعرض إلى مقالة الوالي وتقريعه ، وبعد أن يشبع « الثقفي » نفسه يطلب منه التوبة والإقرار بالكفر بخروجه عليه ونقضه البيعة لأمير المؤمنين وإلا فالقتل .

وكان جرّاس الحجاج يقدمون الناس إليه واحداً واحداً ، وكل رجـل ونصيبه . فإما الإهانة والذل والإقرار بالكفر ، وإما الفصل بين الرأس والجسد دون كلام ولا مناقشة . هـذا رجل من خثعم قد جاوز الثمانين وقد كان معتزلا للناس جميعاً فيما وراء الفرات جاء به الحظ إلى الحجاج فيسأله الحجاج عن حاله فيجيب :

مازلت معتزلا وراء هذه النطفة منتظراً أمر الناس حتى ظهرت فأتيت لأبايعك مع الناس .

الحجاج : أمتربص ؟ أتشهد أنك كافر ؟

الرجل : بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر !

الحجاج : إذاً أقتلك .

الخثعمي . وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلا ظمء حمار وإني لأنتظر الموت صباح مساء .

الحجاج : إضربوا عنقه .

فضربت عنقه أمام الحجاج ، وقريش وأهل الشام يترحمون مراً على هذا الشيخ المسكين .

وهذا كميل بن زياد النخعي ينال حصته من الشتم ثم يعرض على الحجاج فيبادره الثقفي بقوله :

أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً .

كميل : والله ما أدري على أينا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم على حين عفوت عنه ؟

أيها الرجل من ثقيف : لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكثيب ، ولا تكشر كشران الذئب . والله ما بقي من عمري إلا ظمء الحمار ، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غدوة . أقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب .

الحجاج : فإن الحجة عليك .

كميل : إن كان القضاء عليك .

الحجاج : بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين . إقتلوه . فيحتضنه الجلاد أبو الجهم بن كنانة الكلبي ويذبحه أمام سيده الحجاج ذبح النعاج .

ويدخل الحرس برجل آخر من طراز جديد ، من أصحاب الدنيا ، ممن يعرفون كيف يهربون من عزرائيل .

الحجاج : إني أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر .

الرجل : أخادعي عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذي الأوتاد !

فيضحك الحجاج ، ويشعر في نفسه بأن الرجل قد غلبه ، وإنه ممن لا يستقرون على حال . ويأمر بإطلاق حريته .

ثم يأتي أهل الشام « بأعشى همدان » الشاعر الذي انضم إلى « ابن الأشعث » طمعاً في ماله والذي ينضم إلى كل أحد حتى إلى الشيطان إذا ما وجد عنده المال . الشاعر الذي كان يسير بين

يدى « عبد الرحمن » فى زحفه على العراق للقضاء على الحجاج وهو يقول :

شــطت نوى من داره بالإيوان
إيوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق أمسى بزابلستان إن ثقيفاً منهـم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان أمكن ربى من ثقيف همـدان
يوماً إلى الليل يسـلى ما كان أنا سـخونا للـكفور الفتان

الحجاج : إيه يا عدو الله ! أنشدنى قولك : بين الأشج بين قيس ... أنفذ بيتك .

أعشى همدان : بل أنشدك ما قلت لك .

الحجاج : بل أنشدنى هذه .

أعشى همدان ينشده :

أبى الله إلا أن يتم نوره ويطفىء نور الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق فى كل موطن
ويعدل وقع السيف من كان أصيدا

إلى أن يقول :

فـكيف رأيت الله فرق جمعهم ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة وحيهم أمسى ذليلاً مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة وأبرق منا العارضان وأرعـدا
قطعنا إليه الخندقين وإنمـا قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا

وهى قصيدة تزيد على الثلاثين بيتـاً من شر ما تـكلم فى ذم أهل العراق وأحسن ما قيل فى مدح الحجاج وأهل الشام حتى اهتز أهل الشام طرباً وصاحوا : أحسن، أصلح الله الأمير . وظن الشاعر أنه قد تغلب على غضب الحجاج بهذه القصيدة ونجـا ، وأنه سيعيش . ومن يدرى فلعـله كان يأمل هجاء الحجاج من جديد وقد تعود من قبل مدح الناس وهجاءهم فى آن واحد .

الحجاج : لا ، لم يحسن . إنكم لا تدرون ما أراد بها .

يا عدو الله ! إنا لسنا نحمدك على هذا القول إنما قلت تأسف أن لا يكون ظهر وظفر . وتحريضاً لأصحابك علينا وليس عن هذا سألناك . أنفذ لنا قولك : بين الأشج وبين قيس قيس باذخ

فينشد أعشى همدان إلى أن يصل إلى قوله :

بخ بخ لوالده وللمولود .

الحجاج : لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً . إضربوا عنقه . فتضرب عنقه . وينفصل رأسه عن جسده وينال جزاء تقلبه وتلونه وهجاء الناس ومدحهم طمعاً فى الدنيا والمال .

ويدخل الحاجب بالأسرى ممن أرسلهم يزيد بن المهلب .

الحجاج : جئنى بسيدهم :

الحاجب : قم يا فيروز ، وكان رجلا غنياً من أصحاب الملايين له ثروة عريضة لا تقدر بثمن :

الحجاج : أبا عثمان ! ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم !

فيروز : فتنة عمت الناس فـكنت فيها .

الحجاج : اكتب لى أموالك .

فيروز : ثم ماذا ؟

الحجاج : اكتبها أول .

فيروز : ثم أنا آمن على دمى ؟

الحجاج : اكتبها ثم أنظر .

فيروز : اكتب يا غـلام : ألف ألف ألفى ألف وذكر له مثلاً كثيراً ، وهو يقصد من وراء ذلك إغراء الحجاج ودفع غائلة الموت عنه .

الحجاج : وقد استهوته هذه الأموال : أين هذه الأموال ؟

فيروز : عندى .

الحجاج : أدها .

فيروز : وأنا آمن على دمى ؟

الحجاج : والله لتؤدينها ثم لأقتلنك .

فيروز : والله لا تجمع مالى ودمى .

الحجاج للحاجب : نحه .

الحجاج : ليدخل أسير آخر .

يدخل محمد بن سعد بن أبى وقاص :

الحجاج : إيها ! باطل الشيطان أعظم الناس تيهاً وكبراً . تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتشبه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذناً لابن كناز عبد بنى نصر (يعنى عمر بن أبى الصلت) . وأخذ الحجاج عوداً وصار يضرب به رأس محمد حتى أدماه .

محمد : أيها الرجل ملـكت فأسجح .

فـكف الحجاج يده .

محمد : إن رأيت أن تـكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكاً فى ذلك وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت .

يطرق الحجاج ملياً كأنه يفكر فى أمر هام ثم يتغلب عليه طبعه فيخاطب الجلاد :

— اضرب عنقه . فضربت عنقه .

الحجاج : يدعى آخر .

(يدخل عمر بن موسى)

الحجاج : يا عبد المراءاة ! أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب فى حمام فارس ، وتقول المقالة التى قلت ؟ لتضرب عنقه .

ثم أدخل « ابن عبـد الله بن عبد الرحمن بن سمرة » وكان غلاماً حدثاً فدخل وهو مرتبك خائف :

أصلح الله الأمير ! مالى ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبى وأمى لا أمر لى ولا نهى و كنت معهما حيث كانا .

الحجاج : وكانت أمك مع أبيك فى هذه الفتن كلها ؟

الغلام : نعم .

الحجاج : على أبيك لعنة الله .

الحجاج : ليدخل الهلقام بن نعيم :

الحجاج يخاطب الهلقام :

اجعل ابن الأشعث طلب منـك ما طلب ، ما الذى أملت أنت معه ؟

الهلقام : أملت أنه يملك فيولينى العراق كما ولاك عبد الملك

الحجاج : قم يا حوشب فاضرب عنقـه . وليدخل عبد الله ابن عامر .

عبد الله : لا رأت عيناك ياحجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع .

الحجاج : وما صنع ؟

ابن عامر :

لأنه كاس فى إطلاق أسرته وقاد نحوك فى أغلالها مضراً
وفى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا

يطرق الحجاج ملياً وقد وقرت الـكلمة فى قلبه . ثم تتغلب عليه روح الانتقام فيقول : وما أنت وذاك ؟

اضرب عنقه ، فتضرب عنقه .

ثم أمر الحجاج بتعذيب « فيروز » بعد أن يئس من الحصول على ثروته وأخذ أمواله . فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسى المشقوق ثم يجر عليه حتى يخرق جسـده ثم ينفضح عليه الخل والملح . فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أنى قد قتلت ، ولى ودائع أموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً ، فأظهرونى للناس ليعلموا أنى حى فيؤدوا المال . فأعلم الحجاج ، فقال أظهروه فأخرج إلى باب المدينة .

فيروز : أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن أنكرنى فأنا فيروز حصين ؛ إن لى عند أقوام أموالا فمن كان لى عنده شىء فهو له وهو منه فى حل ، فلا يؤدين منه أحد درهماً . ليبلغ الشاهد الغائب .

الحجاج : وقد اغتاظ وهـاج لحرمانه من ثروة « فيروز » تضرب عنقه . تضرب عنقه .

وبينما الحجاج فى مجلس من مجالسـه إذ بعامر بن شراحيل الشعبى يدخل عليه ، وكان ممن طلبهم الحجاج وأراد قتلهم لأنه كان ممن يحرضون القراء على حرب الحجاج ، وهو القـائل فى وسط المعركة :

يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذ كم حرج من قتالهم ، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجود منهم فى الحكم ، فليكن بهم البدار .

الحجاج متعجباً : الشعبى !! ؟

الشعبى : نعم أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أقدم البـلد وعطاؤك كذا وكذا فزدتك فى عطائك ولا يزاد مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم آمر أن تؤم قومك ولا يؤم مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أعرفك على قومك ولا يعرف مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : فما أخرجك مع عدو الرحمن ؟

الشعبى : أصلح الله الأمير ، خبطتنا فتنة فما كنا فيها بأبرار أتقياء ، ولا فجار أقوياء ، وقد كتبت إلى يزيد بن أبى مسلم أعلمه

ندامتى على ما فرط منى ومعرفتى بالحق الذى خرجت منه وسألته أن يخبر بذلك الأمير ويأخذ لي منه أماناً فلم يفعل .

الحجاج إلى يزيد : أكذلك يا يزيد ؟

يزيد : نعم أصلح الله الأمير .

الحجاج : فما منعك أن تخبرنى بكتابه ؟

يزيد : الشغل الذى كان فيه الأمير .

الحجاج للشعبي : أولا انصرف .

وانصرف الشعبي . وعاش عيشة راضية حتى وافاه أجله المحتوم

وكان سعيد بن جبير (سيد التابعين) ممن انضم إلى حركة ابن الأشعث وحرض القراء والناس على الحجاج وشهد معركة « دير الجماجم » مثل سائر فقهاء العراق أمثال عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو البحترى والشعبي وغيرهم . وهو القائل مخاطباً جيش أهل العراق : « قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم فى الحكم وتجبرهم فى الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة » .

وكان معروفاً بصلابته وصراحته وعدم مبالاته ، وهو القائل « لا تقية فى الإسلام » . ولو استعمل بن جبير شيئاً من المرونة لكان من الناجين بأنفسهم من عقاب الحجاج حتماً . غير أنه لم يكن من الراغبين فى هذه الدنيا . وقد طلب منه حارسه الذى جاء به من مكة إلى الحجاج أن ينجو بنفسه وأن يهرب والحارس راض فى ذلك شاكر ، ولكن ابن جبير لم يقبل أن يكون من الهاربين ولا من الذين يكونون سبباً فى نكبة الغير.

ولما مثل بين يدى الحجاج قال له الحجاج : ما اسمك ؟

سعيد : اسمى سعيد بن جبير .

الحجاج : بل شقى بن كسير .

سعيد : أبى كان أعلم باسمى منك !

الحجاج : لقد شقيت وشقى أبوك !

سعيد : الغيب إنما يعلمه غيرك !

الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك .

الحجاج : فما قولك فى الخلفاء ؟

سعيد : لست عليهم بوكيل .

الحجاج : اختر أى قتلة تريد أن أقتلك !

سعيد : بل اختر يا شقى لنفسك ! فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة إلا قتلتك فى الآخرة بمثلها !

الحجاج : ليقتل ، فلما ولى ضحك ، فأمر الحجاج برده وسأله عن ضحكه ، فقال : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ! فأمر به فذبح ! فلما كب لوجهه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الحجاج غير مؤمن بالله ، اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى ! فذبح واحتز رأسه !

لقد قتل الحجاج ما يزيد على المائة والعشرين ألفاً . ولكنه لم يتأثر بمقتل أحد تأثره بمقتل سعيد بن جبير . لقد التبس عقل الحجاج كما يقال منذ اللحظة التى شاهد فيها رأس سعيد ينفصل عن جسمه . فلم يذق النوم بعد ذلك فكان يرى فى منامه سعيد ابن جبير وهو يقول له : يا عدو الله فيم قتلتنى ؟ فكان الحجاج يصرخ ويستغيث قائلا : يا قوم مالى ولسعيد بن جبير؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى . وصدقت نبوءة سعيد فلم يعش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة .

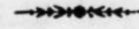
أراد الحجاج أن تستقيم الأمور عن طريق الضغط والإكراه وإجبار الشعب على التسليم ، وأبت الأمور أن تستقيم عن هذا الطريق فأفلت الأمر بعد وفاة الحجاج .

(دمشق) جواد على

من ذكريات الطفولة :

ظننته يوم القيامة
ولكن الله سلم

للأستاذ كامل كيلاني



لعل هذه أول صورة انطبعت فى ذاكرتى من ذكريات الحياة كلها . أذكر أننى وجدتنى جالساً فى مكتب (كتاب) قريب جداً من دارى إلى جانب ابن أختى ، ولست أدرى لماذا استصحبنى إلى مكتب الفقيه وأنا فى مستهل نشأتى وفجر طفولتى ؟ وكان الأطفال فى هرج ومرج لا أعرف لهما سبباً ، بل لعلى عرفت السبب فيما بعد ، فقد كان غياب الفقيه فيما أظن سبب ذلك الاضطراب ، ولم يكن عريف المكتب على ضخامته وطول قامته بقادر على السيطرة على أولئك الأشقياء الخبثاء ، ولعل الأطفال كانوا يسخرون به لأنه أشل (أعنى أن إحدى يديه ولعلها اليسرى شلاء) ، ولا أدرى كيف حاول أن يثبت مسماراً فى الحائط فلم يجد شيئاً يدقه به ، فلما ضاقت به الحيل عمد إلى محبرة سميكة ، وكأنما خيل إليه أن ضخامتها ستحميها من الكسر ، ولعله نسى أنها من الزجاج الفرغ ، وأنها لن تقوى على دق المسمار ، على أنه لم يكد يبدأ الدقة الأولى حتى خرق المسمار المحبرة وسال مدادها الأسود على وجه العريف ويديه وثوبه !

فهلل الأطفال وصيحوا وصفقوا من فرط سرورهم بما رأوا ، ولا زالت صورة العريف ماثلة أمامى ، منطبعة فى ذاكرتى ، وأنا أملى هذه السطور ، كأنما رأيت منذ لحظات يسيرة وهو يحاول جهده أن يهدئ من ثائرة الأولاد ، فلا يزيدهم ذلك إلا تمرداً وصخباً ، وقد زادتهم حيرته وارتباكه نشاطاً ومرحاً . وهنا يدخل الفقيه ، وهو شيخ رائع السمت ، فارع الطول ، متجهم الوجه ، قوى الشخصية ، فيسود الصمت والفزع ، ويستولى علينا الخوف والهلع ، ويتبدل كل شىء فى لحظة واحدة من الضد إلى الضد ، فلا يكاد يجرؤ أحد على التنفس خشية أن تسمع نأمته فتجلب عليه شراً مستطيراً ، ويأمر الفقيه بإحضار (الفلقة) ، ولا يكاد ينتهى من خامس الأولاد فى الصف الأول ، حتى تعترينى القشعريرة ، فقد جاء الدور على ، وإنى لأرقب إشارة الفقيه بوضع رجلى فى حبل الفلقة ، وقد استولى الذعر على نفسى ، إذا بجلجلة أشبه بقصف الرعود ، وصيحات عالية مدوية تأخذنا من كل مكان وإذ بسقف المكتب يطير كل مطار ، وقد تناثرت ألواحه وتطايرت أركان الجدار وقواعده ، واختفى الشيخ والعريف وصبية المكتب فى لحظة واحدة عن عينى فلم أدر أين فروا !

وما أذكر بعد ذلك إلا أننى كنت أمشى مع ابن أختى فى طريقنا إلى البيت والأحجار تتناثر من حولنا فى كل مكان ، فتقتل من تقتل ونحن لاهيان لا ندرى من أمرنا شيئاً . فلما بلغنا الدار — وهى قريبة من جبل المقطم — إذ بالهلع يستولى على كل من فيها ، وإذ زجاج النوافذ محطم . وأذكر أننى سألت ابن أختى عما حدث فقال لى : إن القيامة قد قامت ! ولم أفهم حينئذ معنى هذه الجملة ، ولا عرفت ما هى القيامة ، ولا كيف تقوم ، ولعلى لم أفهم معناها الغامض أكثر مما يفهم السامع الخالى الذهن حين يقال إن نائماً صحا ، أو صاحياً نام ، أو زائراً قدم ، أو قاعداً قام . ولم أفهم حقيقة ما حدث إلا بعد سنوات عدة ، فقد عرفت والمهدة على من حدثنى ، فلم أستق الخبر حينئذ إلا من حوذى كان عندنا ، وقد كان رحمة الله عليه نصف أمى إذا وزنته بميزان الثقافة والاطلاع ، ونصف فيلسوف إذا وزنته بميزان الفهم والإدراك . حدثنى ذلك الفيلسوف الأمى قال : « كان يشتغل فى مخزن الذخائر الحربية الملاصق لجبل المقطم أحد العمال ، فألقى على غير انتباه بما تبقى من لفافة التبغ ، فلم تلبث أن علقت بما حولها من البارود ، فوقعت الكارثة وأطارت من حجارة المقطم ما أطارت ، وقتلت من الأناس والحيوان من قتلت ، ودمرت من الآثار ما دمرت . وكان الحوذى يشير بإصبعه إلى رؤوس المآذن التى طاحت بها وهى قريبة من دارنا . لقد كان هول القيامة يتمثل لى حينئذ فى عصا الفقيه وقد فرحت بنجاتى منها ، فلما كبرت تبين لى أننى فرحت بالنجاة من خطر موهوم ، لأننى كنت أصغر من أن يعاقبنى الفقيه أو يهم بضربى ، فلم أتجاوز الثالثة من عمرى حينئذ ، ونسيت أننى نجوت من هلاك محقق بأعجوبة من الأعاجيب . وعلى ضوء هذا الحادث الهائل فهمت فى قابل أيامى دقائق الصورة البيانية الرائعة التى أبدعها خيال المتنبى شاعرنا الأكبر حين قال لسيف الدولة :

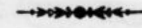
وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

كامل كيلانى

٢ - طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى



إن آراء طاغور التى توحد بين الشرق والغرب ، آراء مفكر مثالى ، عاش بوجدانه يستلهمه الحكمة ، ويستوحيه المعانى الإنسانية ، فلم يتعثر بمفاسد الحياة الدولية ، ولم يختبر سوء نية الحكومات الاستعمارية إلا عن بعد ؛ فاستطاع أن يدرك ما فى المدنية الغربية من مثالب ، وما فى عادات الهند القديمة من ضعف وأن يصور لنا إنموذجاً فكرياً خالياً من شوائب الماضى والحاضر ولكن هذا النموذج المثالى ينقصه الاتجاه التنفيذى والناحية الإلزامية ، كما لم يضع وسائل عملية ، يستعان بها فى تحرير الغرب من المادية والأثرة وحب السيطرة ، ولم يسن أساليب جديدة ، تخرج الهنود من عزلتهم ، وتدمجهم فى تيار الحياة الحديثة بخلاف غاندى الذى عرك الحياة السياسية ، واحتك بخبث الحكومات الانجليزية ، فتكشف له خداعها وغدرها ، وتبين له بجلاء أنها تهدد باسم الدفاع عن الحرية ، وباسم الشرف والحق جميع الأنظمة الخلقية التى تحدد علاقات الأمم بعضها ببعض ، وتلهى الشعوب الخاضعة لسيطرتها بالوعود الكاذبة ، لتنال منها ما تريد . فاتضح لغاندى أن الروابط الدولية لا تستند على أى أساس خلقى ، وإنما تخضع للأهواء والمصالح ، وتستند على الغش والخيانة . وأن الدول الغربية لا تجعل للحياة إلا غرضاً واحداً ، هو النفع المادى أو الإصلاح المادى أو الرقى المادى ، ولا تعترف بالحياة الروحية أو بالقيم الإنسانية . فاستعبدتها المادة لدرجة أنها لا تحجم عن ارتكاب ذى جريمة تتنافى وكرامة الإنسانية فى سبيل الحصول على هذه المادة الحقيرة . وأخذت تسترق الشعوب وتسلبها مواردها الطبيعية ، وتتلف حيويتها وتفسد أخلاقها ، حتى لا تنتبه للذى يسرقها .

فأدرك غاندى بثاقب بصيرته أن مدنية الغرب ليست بالمدنية المثالية ، ومن الجرم أن تعتمد عليها الهند فى نهضتها ، لأنها لن تفوز بمجد ، إلا إذا رجعت إلى تراث حضاراتها القديمة وبعثته من جديد فى صورة تلائم روح الهنود المصرية ؛ ورفضت أن تأخذ من الغرب شيئاً ؛ وعملت على أن تتخلص تدريجياً من كل ما شاع بين أبنائها من الغرب ، لتتحرر نهائياً من تأثير حضارته المادية الضار بحياة الهنود . فلم يدع غاندى إلى اتحاد الشرق والغرب ، لأنه وجد الغرب يستعبد الشرق ، ويستغل خيراته ، ويستنزف أرزاق أهله . ولم يثق فى صدق نواياه فى التعاون ، لأن اصطدامه بالمستعمر البريطانى أظهر له عيوب الأخلاق الدول الغربية ، وأراه الانجليز الذين أخلص لهم الولاء وحض شعبه على مساعدتهم أثناء الحرب العالمية الأولى ، يحنثون فى وعودهم المتنكرة ، ويرفضون منح الهند استقلالها ، ويكبلونها بأنظمة قاسية توطد سيادتهم عليها . ولذلك لم يفكر غاندى فى تقريب وجهات النظر بين الشرق والغرب كما فعل طاغور وإنما لبى نداء الوطن ، وهب يخط للهنود خططاً عملية مستمدة من تقاليد الديانات الهندوكية ، لمحاربة المستعمر المادى الأنانى الطاغى حتى يتبين له أن مقدماته العقلية والفنية والخلقية ، لا يمكنها أن تسحر روح الهند وتخدرها ، ثم تغريها بمجاراة الحياة الغربية ، فتتنازل على ما جبلت عليه من تعاليم وعادات ، وتقبل أن تهدم كيانها الروحى من أجل محاكاة ما توصلت إليه المدنية الحديثة من رقى مادى ، فيسهل على الغرب فرض نفوذه على شتى نواحى الحياة الهندية .

فوقف غاندى كالصرح المتيد أمام الغرب ، يحمى تراث الهند الروحى من الضياع والتلف ، ويستنهض همم الهنود لمقاومة طغيان الإنجليز . ولجأ إلى طرق فذة ناضجة فى مناضلة الاستعمار فى الهند ، هداه إليها مزاجه الهندى السليم ، وطبيعته الروحية الشرقية التى تعشق السلام والخير ، وتولع بالتسامح والحب ، وتكره العنف والقسوة . فاستنجد بمقومات الروح الهندية الأصلية ، واستغل كلف الهنود بالزهد والمجاهدة من أجل تخليص الروح من أدران الحياة ، وإعدادها للتلاشى فى روح الله الكبرى التى تشمل كل محتويات الكون . وأخرجه من كهف الزاهد إلى ساحة الجهاد السياسى ، ونقل مقدرة الهنود النادرة على تحمل الآلام الجسمية ومقاساة تعذيب النفس ، من نطاق القوانين

الدينية إلى نطاق التضحية الوطنية . ولم يكلف ذلك غاندى كبير جهد ، لأنه يعلم أن الزاهد الهندى تعود منذ القدم أن يحارب شهواته بأساليب سلبية هادئة ، يقومها الحب والخير والسلام . فكان يعتزل الحياة التى تشغل الإنسان بالأرض والمادة ، وتلهيه عن الاتحاد بالله الذى يتحمل الزاهد فى سبيل الفناء فيه كل ألوان العذاب النفسى والجسمى . فاستنتج غاندى بعبقريته الروحية أن الهندى العادى فى نضاله مع الانجليز يمكنه أن يحاكى الزاهد القديم فى محاربته الشهوات والأهواء ، وملاذ الحياة بوسائل سلبية قاسية . وعزم على أن يعلم الهندى أن يقاوم المستعمر بسلاح سلبي سلمى ، قد يعرضه للاضطهاد والتنكيل ، ويتطلب منه إيماناً بالحق الذى يدافع عنه ، وتضحيةً وعزماً وثباتاً فى سبيل الفوز به . وهذا السلاح يتفق مع المزاج الهندى الروحى ، لأنه لا يخرج على التسامح والحب والسلام ، ولا يعتمد على العنف أو القسوة ، ولا حتى يثير العداوة والبغضاء فى النفوس وإنما ينشد إزالة قوانين جائرة ، أو تحقيق استقلال شعب مستعبد عن طريق معاناة الألم والمشقة ، كما كان يعانى الزاهد قديماً مثل هذه الآلام فى سبيل فناء ذاته فى الله . وبذلك استطاع غاندى أن يطلق الطاقات الروحية الكامنة فى أعماق نفوس الشعب الهندى ، ويفسح لها الطريق لتخوض مضمار الحياة السياسية ، ويشهر فى وجه الانجليز سلاح « الستياجراها » أى سلاح « المقاومة السلبية » الذى ينقسم إلى قسمين أحدهما : العصيان المدنى ، والآخر : اللاتعاون

أما عن العصيان المدنى : فهو نوع من الإضراب العام السلمى ، يمتنع الشعب أثناءه عن أداء أى عمل خلاف الصلاة والصوم . ويستخدم كوسيلة لنيل حقوق مهضومة ، أو لفوز باستقلال مسلوب ، وكطريق لإلغاء مشاريع ظالمة أو رفع ضرائب فادحة ، مثل ضريبة الملح وقانون احتكار الانجليز لصناعته . وقد يكون هذا العصيان كذلك نوعاً من المعارضة الدستورية ، تبدو فى صورة رفض طاعة قانون من القوانين الجائرة وعدم تنفيذه أو الخروج عليه ، مثل صناعة أحد الهنود للملح المحذور صناعته على أهالى الهند . ويشترط غاندى فى من يشترك فى العصيان ، أن يكون مالكا زمام نفسه مسيطراً على أهوائه ، بحيث لا يضطر إلى أن يثير أى عنف أو يثيره أى عنف ، حتى يخلو العصيان من الشغب ، ويسير حسب الآداب المرعية ، محافظاً على الأمن ، محترماً للنظم المتبعة فى البلاد . ولكى يضمن غاندى سلمية العصيان ، حرص على إعداد الشعب له تدريجياً ، علماً منه بأن الشعب حديث العهد به وغير تام الأهبة له ، وليس من الحكمة أن يطلب منه مثل هذا العصيان ، قبل أن يألف نظمه وأساليبه ، وقبل أن يملك أمرة النفس . فسن قواعد دقيقة لتنظيم حركات العصيان ، وحصرها فى ميادين يخصصها لهم غاندى ، يشرف عليها منظمون مدربون على العصيان السلمى ، وقادرون أن يمرنوا الشعب على تجنب العنف فى عصيانهم وأن يحبطوا ما يمكن أن يحدثه الرعاع من شغب ، قد يسبب اضطرابات وفتنا ، تبيح النفوس ، وتثير الفوضى ، فتندلع نيران ثورة دموية ، لا يعرف مدى نتائجها الوخيمة . ولا يكفى اجتناب الشعب الشغب ليضمن حسن سير العصيان وهدوئه ، بل يتطلب كذلك قدرة نفسية على تحمل كل ما يمكن أن يقع على الهندى من عذاب واضطهاد ، نظير عصيانه هذا الذى لا يرضى عنه المستعمر ، بل يغضبه . وكذلك يجب ألا يبالى الهندى بما قد ينزل به من ألم ، بأن إهانة المستعمر أو سبه ، يجب عليه أن يتحمل ذلك بصبر وأناة ، ولا يثور أو يقابل الإهانة بالإهانة والسب بالسب ، ويسامحه . وإن أرادت السلطات الحاكمة أن تقبض عليه وتدفع به إلى السجن ، يجب أن يسلم نفسه من غير مقاومة ، غير مهتم بما سوف يذوقه من تنكيل فى الغد . وإن جلد بوحشية ، وركل بالأرجل ، وصفع بالأكف ، يجب أن يظل ثابتاً على سكينته غير آبه بما يقع عليه من ضروب القسوة المهينة . وإن أرهب بالقتل ، وهدد بالموت ، يجب أن يتمسك برابطة اليأس ، ولا يجزع من فقدان حياته ، ويرحب بالتضحية بها فى سبيل الغاية السامية ، ولا يلجأ مطلقاً إلى العنف ، بأن العفو أشرف من الانتقام فلا يجب أن يقابل عنف الخصم بالعنف وإنما يواجهه بنور الحب الذى يسطع من إيمانه بحقه وتفانيه فى الدفاع عنه ، ويتبع من آلامه التى احتملها طواعية فإن عدم العنف لا يدل على ضعف أو خوف أو استسلام للمسىء وإنما يدل على رضاء النفس بالعذاب فى سبيل الحق الوطنى ،

ورغبتها فى مقاومة المستعمر بقوة الروح للحصول على الاستقلال.

وبالرغم من كثرة هذه الاحتياطات ، وجمال هذه التعليمات ، فلم يخل عصيان من عنف ، وذلك لأن الشرطة كانت كثيراً ما تتحرش بالشعب وتستفزه ، وسرعان ما تنقلب سلمية العصيان إلى همجية بربرية وفوضى بهيمية يطلق فيها الرصاص ، وتراق الدماء ، وتشتعل الحرائق ، وتنهب البيوت والمحال التجارية ، وتحطم المرافق العامة . وكل هذا كان يؤلم غاندى ويغضبه أشد الغضب ، وحاول أول الأمر أن يمهد للعصيان المدنى السلمى الشامل بتمرين الهنود على اللاتعاون مع الانجليز ، ومقاطعتهم سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، حتى يدركوا كنه العصيان السلمى ، ويتشربوا بمبادئه . ولكنه وجد أن من العسير أن يتحقق عصيان بدون عنف ، ولذلك فضل عليه اللاتعاون الذى لا يتخلله أى شغب أو اضطراب .

واللاتعاون هو سلاح المقاومة السلبية الثانى ، قصد به غاندى مقاطعة الغرب سياسياً واقتصادياً وثقافياً من ناحية ، وتقوية روح الهنود المنوية ورفع مستوى المعيشة وترقية الحياة العامة عن طريق استغلال مقدمات الهند القديمة لصالح البلاد من ناحية أخرى . ولجأ إليه بعد أن بلغت حماسة الهنود الوطنية حد الانفجار ، فأراد أن يخفف من شدة هذه الحماسة بحثهم على مقاطعة الانجليز وعدم التعاون معهم ، حتى لا ينقلب التذمر من سوء الحالة السياسية إلى ثورة دموية . واستطاع غاندى بذلك أن يشغل حماسة قومه بضرب من المقاومة السلمية ، ألهتهم عن اتباع أى أسلوب عنيف يكرهه ، وأن يعطى فى الوقت نفسه فرصة لمبادئه فى المقاومة السلبية لتتسرب إلى نفوس الهنود ، وتستقر فى قلوبهم ، فيألفون روح النضال السلمى ، ويؤمنون بقوة اللاعنف ، وقدرة الحب على رفع ظلم الانجليز واستعبادهم للبلاد .

وطلب غاندى من الهنود ألا يتعاونوا مع الانجليز سياسياً وحربياً وقضائياً واقتصادياً وثقافياً . ويقصد من اللاتعاون السياسى أن يتنازل كل فرد عن الألقاب والرتب الشرفية التى منحتها له الحكومة الانجليزية ، وأن يمتنع عن الاكتتاب فى قروض الحكومة ، وأن يتجنب التوظف فى الوظائف الحكومية ، وأن يقاطع مجالس الإصلاحات الدستورية ، حتى يقطع الهنود أية علاقة تربطهم بالحكومة ، فيشل دولاب العمل ويتحرج مركزها ، وتضطر فى النهاية إلى مهادنة الهنود وتلبية مطالبهم .

كذلك يجب أن لا يتعاون الهنود والانجليز حربياً ، ويرفضون أى منصب عسكرى ، يكونون مدعاة لتثبيت أركان الاستعمار فى البلاد .

أما عن عدم التعاون القضائى ، فينبغى أن يمتنع جميع القضاة عن الاشتغال بالمحاكم الحكومية ، وأن يتوقف رجال القانون عن المرافعة بها ، وأن ينقل الفصل فى الخصومات بين المحاكم الأميرية إلى التحكيم الأهلى . ذلك لأن المحاكم فى الهند آلة بيد السلطة البريطانية ، تحاول أن توطد بها نفوذها فى البلاد عن طريق إذكاء نار الشقاق بين الهنود ، ونشر النزاع بين الطوائف وهى لا تعيش إلا على إيذاء الناس ، بينما تجادل بلجاجة عند دفع الحقوق ، وتسوف عند طلب الوفاء بالتعهدات . فأصبح تعطيل المحاكم الحكومية أمراً ضرورياً لضمان توحيد كلمة الهند وتعاون أفرادها .

وتتلخص المقاومة الاقتصادية فى أن الهند بأجمعها ، يجب أن تقاطع المنسوجات البريطانية ، لأن الشركات الانجليزية سيطرت على الحياة الاقتصادية فى البلاد ، وقضت على الصناعات الأهلية وامتصت موارد الثروة الهندية ، فهى تسلب سنوياً قطن الهند ، وتصدره لها بعد حين منسوجات ، تفرض عليها شراءها بأثمان باهظة . ولكى تحمى الهند اقتصادياتها من الإنجليز يجب أن تكفى نفسها بنفسها وتستغنى عن خدمات الغرب ، وتبادر إلى تنظيم مصانعها الأهلية ، وتتخذ من الغزل اليدوى وسيلة لحل مشكلة الفقراء فى الهند . إن ثمانين فى المائة من سكان الهند فلاحون ، لا عمل لهم خلال أربعة شهور من السنة ، وعشر الأهلين صناع جياع ، بينما الطبقة الوسطى لا تجد كفايتها من الغذاء ، وإنجلترا لاهية عن كل ذلك ، لا تعمل على معالجة هذه الحالة بل تزيدها سوءاً ، فإن الغزل اليدوى هو المنقذ الوحيد للهند من الفقر ، فإنه يشغل هؤلاء العاطلين الجائعين ويوفر لهم ملابسهم ، ويضمن لهم قوتهم اليومى بتكاليف بسيطة .

ولم يرض غاندى أن يدخل النظام الآلى فى الهند ، ويتلذذ منه وسيلة لحل مشكلة البطالة ، لأنه لم يرد أن تصاب الهند بأمراض الغرب المادية ، وحارب من مواطنيه من يحرض على إدخال النظام الآلى فى الهند ، حتى لا يسمح لأصحاب المال بتسخير فقراء الهنود فى مصانعهم ، التى تدر عليهم الربح الوفير ، وخوفاً من أن يصبح قلب الهند من حديد يعبد الآلة التى تدير المصانع ، وتجلب المال ذلك الوطن العظيم الذى يقدسه الغرب ، بأن الآلة مطية فاحشة ووسيلة شيطانية تسترق الشعوب لحفنة من الناس يستعبدهم المال فيجب حماية الهند من شرها ، وإبعاد خطرها عنها ، حتى لا يزداد فقر الهنود على ما هو عليه .

ولكى يشمل عدم التعاون والغرب كل شىء ، دعا غاندى إلى مقاطعة الطلبة والمعلمين المدارس الأميرية ، والجامعات الحكومية ، التى فى صيانة الانجليز وتحت مراقبتهم مثل جامعة عليكرة الإسلامية ، وجامعة خلصا السيخية ، وجامعة بنارس الهندوكية ، لأنها تهمل دراسة الثقافات الهندية واللغات القومية وتلقن الطلبة ثقافات عقلية ، ولغات أوربية ، تفسد مشاعرهم الوطنية ، وتتلف مزاجهم الشرقى ، وتبعدهم عن ثقافتهم الأصيلة فشب الهنود يفضلون ثقافات الهند ، مع أنها غرست فى نفوسهم ميولا غريبة عنهم ، وعلمتهم الجدل واللجاجة ، وحرمتهم من التربية الخلقية والروحية ، التى تصفى القلب ، وتطهر النفس . كما نشأوا يتكلمون اللغة الإنجليزية ، ويجهلون لغاتهم القومية ، هذا فضلاً عن تجاهل المدارس الحكومية والجامعات الإنجليزية أهمية العمل اليدوى ، وإغفال تدريسه فى بلاد ثمانون فى المائة من أهلها فلاحون وزراع ، وعشرة فى المائة منهم صياغ ، وينشرون دراسات أدبية ، لا تفيدهم فى حياتهم ، ولا تتفق ومصالحهم ، ولا تساعدهم فى أعمالهم . ولذلك يرى غاندى أن تعتنى شتى الهيئات التعليمية فى البلاد ، بتدريس جميع الثقافات الأسيوية التى دخلت الهند منذ القدم . لأن ضرورة معرفتها للشخص المثقف لا يقل عن ضرورة معرفة الثقافات الغربية التى تسيطر على الحياة العلمية فى الهند ، وتحتكر الأسواق الثقافية ، وتقضى على رغبة الهنود فى تعلم ثقافات الهند الأصلية ، مع أنها أصلح لهم من أية ثقافة أخرى ، لأنها تتفق وميولهم الفكرية ، وتهتم بالتربية الروحية والتثقيف الأخلاق ، فوق أن دراستها يحيى العزة القومية ، وينمى روح الهنود المعنوية ، فينبغى أن يبحث مفكرو الهند عما فى السنسكريتية والعربية والفارسية والبالية والماجدية من مخلفات علمية ، لعل بحثها يهدى إلى كشف ثقافات جديدة مبتكرة ، تستمد أصولها من هذه الثقافات التى دخلت الهند ، وأثرت فيها ، وتأثرت بها ، وتشييد حضارة حديثة من مختلف الحضارات التى فملت فى الهند وانفعلت بروح الإقليم . لتحرر العقلية الهندية من سيطرة الفكر الغربى ، وتنقذ روح الهند من نفوذ الثقافة الغربية ، وتظهر تفوق الهنود فى الروحية . كما تهدى دراستها إلى إدراك أسرار السيادة الوطنية ومعرفة وسائل السؤدد القومى ، التى تقودها إلى الحرية والاستقلال .

(للكلام بقية)

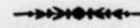
عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية
بكفر الزيات

غنـــاء الطيور

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية المنشور فى العدد الماضى)



وظن بعض الشعراء غناء الحمامة نوحاً لفقد إلفها الذى فارقها فأخذ يطارحها الزفرات ويواسيها بنواحه قال الشبلى .

رب ورقاء هتوف فى الضحى ... ذات شجو صدحت فى فنن (١)
ذكرت إلفاً وعيشاً سالفا ... فبكت حزناً فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها ... وبكاها ربما أرقنى
ولقد تشكو فما أفهمها ... ولقد أشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها ... وهى أيضاً بالجوى تعرفنى
أتراها بالبكا مولعة ... أم سقاها البين ما جرعنى

وقال ابن عبد ربه .

فكيف ولى قلب إذا هبت الصبا ... أهاب بشوق فى الضلوع دفين
ويهتاج منه كل ما كان ساكنا ... دعاء حمام لم تبت بوكون (٢)
وإن ارتياحى من بكاء حمامة ... كذى شجن داويته بشجون
كأن حمام الأيك (٣) لما تجاوبت ... حزين بكى من رحمة لحزين

وقال ابن سنان الخفاجى .

وهاتفة فى البان (٤) تملى غرامها ... علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة ... وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجى قلوب العاشقين حنينها ... وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى ... لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال مجنون ليلى .

ألا يا حمامات اللوى (٥) عدن عودة ... فإنى إلى أصواتكن حزين
فعدت فلما عدن كدن يمتننى ... وكدت بأشجانى لهن أبين

(١) غصن . (٢) عشش (٣) الشجر الكثير الملتف

(٤) البان شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف يؤخذ من حبه دهن طيب واحدته بانه ويشبه به القد لطوله واعتداله .

(٥) اللوى ما التوى وانعطف من الرمل أو مسترقه .

فلم تر عينى مثلهن بواكيا ... بكين ولم تذرف (١) لهن عيون

وقال ابن عبد ربه .

ونائح فى غصون الأيك أرقنى ... وما عنيت بشىء ظل يعنيه
مطوق بخضاب ما يزايله ... حتى تزايله إحدى تراقيه (٢)
قد بات يشكو بشجو ما دريت به ... وبت أشكو بشجو ليس يدريه

وقال شيبانى وقد طالت غربته فى الرأى .

وأرقنى بالرى نوح حمامة ... فنحت وذو الشوق الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة ... ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخى مهامه فيح (٣)
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك مياد (٤) ففيم تنوح ؟
أفق لا تنح من غير شىء فإننى ... بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطت (٥) غربة دار زينب ... فها أنا أبكى والفؤاد جريح

وقال ديك الجن .

حمائم ورق فى حمى ورق خضر (٦) ... لها مقل تجرى الدموع ولا تجرى
تكلفن إسعاد الغريبة أن بكت ... وإن كن لا يدرين كيف جوى الصدر

وقال ابن دريد خرجنا من عمان فى سفر لنا فنزلنا فى أصل نخلة فنظرت فإذا فاختتان (٧) ترقوان (٨) فى فرعها فقلت .

أقول لورقاوين فى فرع نخلة ... وقد طفل (٩) الإمساء أو جنح (١٠) العصر
وقد بسطت هاتى لتلك جناحها ... ومال على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة ... وما دب فى تشتيت شملكما الدهر

(١) ذرف الدمع سال وذرفت العين دمعها أسالته .

(٢) الترقوة العظم الذى فى أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق والجمع تراق . (٣) المهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر جمعه مهامه ، وفيح جمع فيحاء أى واسعة .

(٤) المياد الكثير التمايل والاهتزاز . (٥) بعدت .

(٦) ورق جمع ورقاء كحمر جمع حمراء والورقاء هى الحمامة أو التى يضرب لونها إلى الخضرة .

(٧) الفاختة نوع من الحمام البرى (كذا فى المنجد) وإن كنا فى العراق نطلقه على حمام النخيل . (٨) زقا الطائر صاح .

(٩) طفل دخل فى الطفل وهو قبيل غروب الشمس هنا طفلت الشمس دنت للغروب . (١٠) جنح الليل أقبل .

فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه   على أنه يحكى قساوته الصخر

وقال عبد البر الغسانى يخاطب طائراً مغرداً ضم أفراخه إليه .

أعدهن ألحاناً على سجع معرب   بطارح مرتاحاً على القضب(١) معجبا

وطرغير مقصوص الجناح مرفها   مسوغ أشتات الحبوب منعما

تخلى وأفراخا بوكرك نوماً   ألا ليت أفراخى معى كن نوما

وقال حميد بن ثور الهلالى .

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة   دعت (ساق حر) نزهة وترنما

تغنت على غصنى عشاء فلم تدع   لنائحة من نوحها متألما

إذا حركته الريح أو مال ميلة   تغنت عليه مائلا ومقوما

قال الجوهرى الحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك وقال الأصمعى إن كل ذات طوق فهى حمام والمراد بالطوق الحمرة والخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها ونقل الأزهرى أن الحمام كل ماعب وهدر وإن تفرقت أسماؤه والعب شدة جرع الماء من غير تنفس .

وقال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الدميرى فى (حياة الحيوان) الورشان هو ساق حر وهو ذكر القمارى وسمى ساق حر حكاية لصوته .

وقال أمين المعلوف الحمام الكثير فى مدن العراق والذى يألف المساجد يدعى الحمام الطورانى ويسمونه فى مصر الحمام الأزرق .

وقال ابن سنان .

أنطق الورق فى الأيك تغنى   إنها تضمر حزناً مثل حزنى

لا أراك الله نجـداً بعدها   أيها الحادى بها أن لم تجبنى

هل تباريني إلى بث الجوى   فى ديار الحى نشوى ذات غصن

هب لها السبق ولكن زادنا   أننا نبكى عليها وتغنى

وقال الأرجانى .

ومما شجانى وقد ودعوا   بكاء الحمام على ساقها

تنوح على بعد الافها   وتظهر مكنون أشواقها

(١) القضب كقفر كل شجرة طالت واسترسلت أغصانها والقضب أيضاً شجر تتخذ منه القسى وأيضاً الأغصان المقطوعة الواحدة قضبة .

لبسن حداداً ومزقنه   فلم تدخر غير أزياقها(١)

وضاقت صدوراً بأنفاسها   ففضت مجامع أطواقها

وقد نزفت(٢) فى الهوى دمعها   فلم يبق ماء بأماقها(٣)

وقال بعض الأعراب .

وقبلى أبكي كل من كان ذاهوى   هتوف البواكى والديار البلاقع(٤)

وهى على الاطلال من كل جانب   نوائح ماتخضل(٥) منها المدامع

مزرجة الأعناق غر ظهورها   مخطمة بالدر خضر روائع

مزرجة من الزرج وهو الزخرف والزينة ومخطمة من الخطم وهو منقار الطائر أو من خطمه بالخطام أى جعله على أنفه وهو حبل يجعل فى عنق البعير و يثنى فى خطمه أى مقدم أنفه وفمه .

ترى طرراً بين الخوافى كأنها   حواشى برد زينتها الوشائع

الوشائع جمع وشيمة وهى الطرائق فى الثوب والخوافى ريشات من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

ومن قطع الياقوت صيغت عيونها   خواضب بالحناء منها الأصابع

وقال الشبيبى من شعراء العراق اليوم .

يشكو الصبابة كل يوم مدع   وأحقنا دعوى بها من ذاقها

لو أنصفت تلك الحمائم لوعتى   نضت(٦) الخضاب ومزقت أطواقها

يا هذه حتى الغصون لما بها   نثرت على وجه الثرى أوراقها

مثل التى لزم الخفوق جناحها   أصبحت مرتكض(٧) الحشا(٨) خفاقها

وقال الشرقى وهو شاعر عراقى يخشى اليوم أن يطبع ديوانه لما فيه من ثورات فكرية على السياسة والاجتماع دفعه فى تياراتها جموح الشباب ومال به عن تبعاتها حذر الشيخوخة وهواجسها

(١) الزيق من الثوب ما أحاط منه بالعنق وما كف من جانب الجيب والجيب من القميص طوقه وعند العامة الجيب هو كيس يخاط فى جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج وليس هنا المراد من تعريف الزيق .

(٢) نزف عبرته أنفدها .

(٣) الموق مجرى الدمع من العين

(٤) القفار .

(٥) ندي وابتل .

(٦) نضا الثوب عنه نزعه وخلعه .

(٧) ارتكض تحرك واضطرب

(٨) الحشا ما انضمت عليه الضلوع .

أنا يا جمامات الأراك مفرد   لكن برغم حلاك لا أنطوق
طوباك خلصك الجناح فما استوى   روح مقيدة وروح مطلق
ضاعفت وجد الحائرين فليتهم   إذ لم يكونوا طائرين تملقوا

وقال أيضاً .

حمام الدير هل فى الدير رهط   يدل الظامئين على الزلال

وقال السيد حيدر الحلى وهو من شعراء العراق الذين توخوا الجزالة وروعة السبك وكان معجباً به شوقى (رحمهما الله) فبما تحدث الرواة وجل شعره فى رثاء سيدنا الحسين وباقى شهداء كربلاء رضوان الله عليهم .

وادعت حولى الشجاذات طوق   مات منها على النياح المجوع
شاطرتنى بزعمها الداء حزنا   حين أنت وقلبى الوجوع[١]
يا طروب المشى خلفك عنى   ما حنينى صــبابة وولوع

وقال الأخرس البغدادى .

يا ورق أين غرام قلبك من شج   جعل النواح لشجوه معتادا
أو تشبهين الصب عند نواحه ؟   ولقد بخلت بـدمعيك وجادا

وقال محمد سعيد الحبوبى من المتأخرين وهو شاعر بلغ الغاية فى رقة الغزل وقد جارى الأندلسيين فى موشحاتهم فأتى بالبدائع وفى آخر حياته رحمه الله رفع لواء الجهاد المقدس ومات مسموماً فى حروب العراق ضد العدوان .

أحمامة الوادى عـداك هوى   لو حل فرعـك أحرق الفرعا
أنى اتخذتك لى منادمـــة   ولقد شربت فنردى سجعا

وقال :

يا حمام الدوح[٢] بالله أعـد   سجعك اليوم لصب[٣] وأجد
إن تـكن مثلى مهجوراً فزد   ربمـا يطفى غليلى[٤] ربمـا
سجعك اليوم بلحن مطرب

يا حماماً أن فى وادى العقيق   لا أرى لى غيرك اليوم صديق
فتى من سكرة الحب تفيق ؟   وإلى ما فيه تخشى اللوما ؟
وتراعى نظرة المرتقب ؟

(١) قال الفيروزبادى فى القاموس وجع كسمع ووعد لغية يوجع وييجع (على وزن يسمع) وبجع (على وزن يعد) فهو وجع كخل جمعه وجعون وواجعه آلمه فاسم المفعول يجيء بصيغتين موجع وموجوع .

(٢) الدوح جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة .

(٣) العاشق وذو الولع الشديد .

(٤) العطش الشديد وحرارة الحب أو الحزن .

يا حماما لم ترعـــه بالفراق   جيرة تعقد بالمهجر النطاق[١]
أنت والغصن بضم وعناق   وبأسر الريم[٢] أصبحت وما
دفعت عنى سرايا العرب

وله من موشحه أخرى .

وحمـــام البشر غنى وتلا   سـير[٣] اللهو ينادى الطرب
قد رقى منبر بان واعتلى   فى مروج كمروج[٤] الذهب
فهو لا ينفك يملى الملا   أعنقت بالحزن عنقا مغرب
بغنا ناهيك[٥] فيه من غنا   خمرة اللهو به لم تمـــزج
أترى معبد القى المـــدنا   لحمـــام السقط والمنعرج

أعنق أسرع والعنق نوع من السير وعنقاء مغرب طائر معروف الاسم مجهول الجسم وقيل طائر يبعد فى طيرانه وكنى بذلك عن عدم وجود الحزن والدن خمس طرائق من الغناء اخترعها نفسه وسبب تسميتها بذلك أن قتيبة أحد الفاتحين فى أخريات القرن الأول من الإسلام فتح خمس مدن فى إحدى غزواته فقيل لمعبد المغنى ذلك . فقال وأنا اخترعت خمس طرق من الأغانى تعادل عندى تلك الدن الخمس راجع الكامل المبرد تجد تفصيل ذلك والسقط معظم الرمل والمنعرج منعطف الوادى .

وقال محمد مهدى الجواهرى شاعر العاطفة الفياضة والوصف الرائع ومتزعم الفكرة التقدمية فى العراق :

وهاتفـــه راعها مقـدمى   فـلاذت بأغصانها الميل
أيا ورق لا تدعى إننـا   شربنا العواطف من منهل

وقال ابن الدمينة :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟   لقد زادنى مسراك وجداً على وجد
إن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الوليد ولم تـكن
جزوعا وأبديت الذى لم تـكن تبدى

(١) النطاق ما يشد به الوسط .

(٢) الريم الظبي الخالص البياض .   (٣) جمع سيرة .

(٤) المرج الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيه الدواب أى ترعى فيه

(٥) يقال ناهيك بزيد فارساً فى مقام التعجب والإستعظام بمعنى أنه غايته في تطلبه ينهاك عن تطلب غيره وهذا رجل ناهيك من رجل كلمة يتعجب بها فى مقام المدح ثم كثر حتى استعمل فى كل تعجب .

وقال الخباز البلدى :

ذرى شجر للطير فيها تشاجر   كأن صنوف النور فيها جواهر
كأن القمارى والبلابل فوقها   قيان(١) وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة(٢)   كأن على حافاتهـا الدر دائر

وقال محمد بن على العاملى :

فى ربوع كأنهن جنان   عطفت جورها على الولدان
ورياض كأنهن سماء   أطلعت أنجما من الأقحوان(٣)
بين ورق كأنهن قيان   ركبت فى حلوقهن المثانى(٤)
وغصون كأنهن نشاوى   يترقصن عن قدود الغوانى

وقال ابن خفاجة :

وأراكة سجع الهديل بفرعها   والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطافها ولربمـا   خلعت عليه ملاءة الأنوار(٥)

وقال ابن وكيع :

غرد الطير فنبـه من نعس   وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى   وتعرى الصبح من ثوب الغلس(٦)

وقال أبو الحسن المجريطى :

ألا حبـذا نوح الحمـامة سـحرة
وقد شق جيب الليل عن لبـة الفجر(٧)
وسال نجيع(٨) الفجر من ثغرة الدجى(٩)
وخمش(١٠) ثـكل الليل من صفحة البدر

وقال السرى الرفاء :

وصاحب يقـدح لى   نار السرور بالقـدح
فى روضـــة لبست   من لؤلؤ الطل سبح
يالفنى حمامــا   مغتبقاً ومصـطبح
أوقظـه بالعزف أو   يوقظنى إذا صـدح
والجو فى ممسـك   طرازه قوس قـدح
يبـكى بلا حزن كما   يضحك من غير فرح

غير أن المعرى يتردد فى شكوكه قائلا :

أبكت تلـكم الحمامة أم غنـ   ـت على فرع غصنها المياد ؟

وقد أصاب فى تشكـكه وعدم اعتباره غنائها نواحاً كما ظن كثير من الشعراء ولـكنه فاته أن الغناء من الذكور وليس من الأناث كما أوضح ذلك داروين وعلماء الطبيعة الآخرون إلا إذا اعتبرنا التأنيث هنا لفظياً قال فى المنجد الحمام طائر معروف والواحدة حمامة ويقال حمامة للذكر والأنثى لأن الهـاء هنا ليست للتأنيث بل للدلالة على أنه واحـد من جنس وربما قالوا حمام للواحد جمعه حمائم وحمامات .

وقال بعض الأندلسيين :

انظـر إلى النهر فيهـــا   ينســاب كالأفعوان
والطـــير تخطب شكراً   على ذرا الأغصـان
والقضـب تلتف سكراً   بمائس القضـبان
والروض يفتر زهـواً   عن مبسم الأقحوان
والنرجس الغض يرنو   لو جنـــة النعمان

وقال الشرقى من قصيدة احتفال الطيور :

ما ترى أيها الحمام الـكئيب ؟   كل شىء حتى الحجارة باسم
كل آن هزيمة وهروب   أحياة الطيور مـلأى هزائم
قال لى وهو خائف مستريب   الخـوافى تهيب بى والقوادم
عجبـاً كيف يطمئن الأريب   لأناس تخاف منهـا البهائم ؟

قال السيد على خان فى كتابه (أنوار الربيع فى علم البديع) فى فصل الاستعارة وكان شديد التهور كثير البطش ذاهباً بنفسه كل مذهب قال ابن سعيد صاحب القدح المعلى سمعته مرة وهو فى محفل يقول يقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتنبى ، وفى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه ، فأهوى له شخص له قحة وإقدام فقال : يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تمنى إلا نفسك . قال نعم ولم لا ؟ وأنا الذى أقول ما لم يتنبه له متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر .

---

(١) القينة المغنية جمعها قيان .
(٢) الخمرة قيل سميت الخمر بذلك لأن شاربها يقهى عن الطعام أى تقل سهوته له .
(٣) الأقحوان نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة . يشبهون بها الأسنان .
(٤) مثنى وهو ما بعد الأول من أوتار العود .
(٥) الملاءة ثوب يلبس على الفخذين والأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر أو الأبيض منه   (٦) الغلس ظلمة آخر الليل .
(٧) اللبة موضع القلاوة من الصدر .
(٨) النجيع من الدم ما كان مائلا إلى السواد .
(٩) الثغرة نقرة المنحرين الترقوتين   (١٠) خمش الوجه خدشه ولطمه

الشعر بين الوثنية والإيمان

للأستاذ عطية الشيخ

لاحظ نقاد الأدب العربي من قبل خمود الروح الشاعري بين العرب إثر ظهور الإسلام، وإن الضعف الذي طرأ على الشعر لا يقتصر على الشعراء الذين ظهروا إبان عصر النبوة والخلفاء الراشدين فحسب، بل أدرك الشعراء المخضرمين أنفسهم، فسكت مكثرهم وضعف قويهم.

واتخذ هؤلاء النقاد من الموازنة بين شعر لبيد وحسان في الجاهلية والإسلام برهاناً على صدق دعواهم، وعللوا ذلك بأسباب شتى منها: انبهار شعراء الجاهلية ببلاغة القرآن الذي أفحمتهم فصاحته، ومنها تغير الموضوعات التي اعتادوا النظم فيها بعد أن أصبحت منكرات يحرمها الإسلام: كالفخر بالنسب، وتمجيد العصبية، والحض على الثأر ... الخ، ومنها اشتغال العرب بالحروب ضد الإسلام أولا، ولنشر سلطانه في الآفاق بعد أن آمنوا به ثانياً؛ ومنها أن الشعراء المخضرمين أدركوا الإسلام في شيخوختهم فشاخ شعرهم وخبت أرواحهم، كما شابت وضعفت جسومهم؛ ومنها أن القرآن العظيم نال من قدر الشعر والشعراء في مثل قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون ... الآيات»، إلى غير ذلك من العلل المعروفة لطلاب الأدب.

وعندي أن هذه الأسباب مع وجاهتها إنما هي أعراض لعلة كبرى، وأن ما لاحظه نقاد الأدب العربي لا ينحصر في عصر صدر الإسلام وحده، ولا في شعراء العربية فحسب، وإنما هو حالة عالمية للشعر والشعراء في كل زمان ومكان، خلاصتها أن الوثنية والزندقة والإباحية من عوامل نمو الشعر، وأن الإيمان والاستقامة والفضيلة من عوامل ضعفه، وأن البيئات الوثنية أخصب للشعر من بيئة الإسلام والإيمان بمعناهما الأعم، وبذلك تستطيع أن تعلل لفحولة الشعراء الوثنيين في الهند عن الشعراء المسلمين هناك مع اتحادهم في البيئة والجنس؛ وخلو أوربا في العصور الوسطى أيام تغلب سلطة الكنيسة من شعراء مجيدين كهوميروس قبل المسيحية وكهيجو وجوته بعد عهد الإحياء، وتغلب روح الشك وضعف الكنيسة، وعدم ظهور شاعر يهودي يؤبه له لمراقة هذا الشعب في الإيمان بتعاليم دينه، وجمال شعر الأندلس وقوة خياله في عصر ملوك الطوائف بعد ضعف الشعور الديني وشيوع التحلل والإباحية، وظهور شعراء مجيدين في لغة الضاد بعد غزو الآداب والعقائد والعلوم والجيوش الأوربية للبلاد غزواً زعزع الإيمان بالقديم، وضعف الشعر العربي في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وقوته قبل ذلك العصر في الجاهلية، وبعده في أيام الأمويين والعباسيين عند ما ضعف الوازع الديني ودخل في حمى الدولة الإسلامية كثير من الشعوب الأعجمية، وأشاعوا في العرب عاداتهم وعقائدهم وتقاليدهم وأمراضهم الاجتماعية؛

يا هل ترى أظرف من يومنا ... قلد جيد الأفق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها ... مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى ... في الروض إلا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان، وردوه من الغيظ إلى أضيق مكان. فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله إلا ما زدتني من هذا النمط فأنشد:

أدرها فالسماء بدت عروساً ... مضمخة الملابس بالغوالي
وخد الروض أحمره صقيل ... وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق في لآل ... تضيء بهن أكناف الليالي

فقلت زد وعد، فماد والارتياح قد ملك عطفه، والتيه قد رفع أنفه، وأنشد:

لله نهر عند ما زرته ... عاين طرفي منه سحراً حلال
إذ أصبح الظل به ليلة ... وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشد:

فلما ماج بحر الليل بيني ... وبينكم وقد جددت ذكرا
أراد لقاءكم إنسان عيني ... فمد له المنام عليه جسرا

فقلت إيه! فقال:

ولما أن رأى إنسان عيني ... بصحن الخد منه غريق ماء
أقام له العذار عليه جسراً ... كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد، فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعاني فلا تقوم بحق قيمتها ثم أنشد:

هات المدام إذا رأيت شبيهها ... في الأفق يا فرداً بغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله ... فغدت تخاصمه الحمائم فيه

(بغداد) ضياء الدخيلي

وعدم ظهور الشعراء الكبار في روسيا السوفيتية لإيمان الروس العميق بمبادئ الشيوعية واتخاذهم منها ديناً هم أحباره وحواريه؛ ويمكن تعليل ذلك بأسباب منها :

١ — الشعر فن جميل يتأثر بالعاطفة وينبع منها ، ويؤثر فيها ، ويقف عندها ؛ والإيمان مرتبة تتجاوز العاطفة إلى الفكر والإرادة ، وهو نوع من المعرفة والتفكير محصور في نطاق العقيدة والناموس ، ومتى تحكم العقل وأحيط بالفكر وقويت الإرادة وأخلد القلب إلى يقين العقيدة ، فلا مجال لخيال ولا جموح لعاطفة ، والحب جميعه موجه للمعبود المعلوم المجهول ... ولذلك تزدهر الفنون الجميلة كلها — لا الشعر وحده — في الوثنيات أكثر من ازدهارها في ظلال الإيمان واليقين ، وكنف الإسلام والتوحيد ، فالنحت والتصوير والغناء والموسيقى والتمثيل والأناشيد أسس وأصول للديانات الوثنية وطقوسها ، وليس الأمر كذلك في الإسلام واليهودية والنصرانية ، وإذا رأيت في هذه الأديان شيئاً من ذلك ، فهو أثر من آثار الوثنيات السابقة للأمم التي اعتنقت هذه الأديان .

٢ — يعلم الشادون في الأدب أن الاشتغال بالعلم والفلسفة يضعف الشاعرية ، وأن شعر الفقهاء والفلاسفة والعلماء خال من الجمال الفني ، يكاد يفوح منه ثقل الفقه ، وجفاف العلم ، وتعقيد الفلسفة ، ذلك لأن الإنسان يعسر عليه أن يعيش في حياتين فكريتين مختلفتين : إحداهما يسودها التفكير المنطقي ، وأخراهما يسيرها الوجدان والعاطفة ، ولأن ألفاظ أية لغة من اللغات قسمان قسم محدود المعنى محصوره ، وقسم يشتمل بجانب معناه الأساسي على معان فرعية يثيرها في النفس جرس حروفه ، أو لفظ آخر متعاقب معه فيها ، أو أصل المادة التي اشتق منها هذا اللفظ ، أو دلالته على معنيين ، فيراد أحدهما أصلا ، ويبقى الآخر فرعاً .

والأصل في الأسلوب العلمي أن يستعمل الألفاظ المحدودة المعاني ، كما أن الأصل في الأسلوب الأدبي أن يستعمل الألفاظ ذات المعاني الفرعية ، وقد أشار علماء اللغة إلى المعاني الفرعية حينما ذكروا أنه لا يوجد في المترادفات لفظان متحدي المعنى تماماً وإنما تكون بلاغة الشاعر في تجنب الألفاظ المحدودة الصلدة القاحلة ، وتتبع الألفاظ ذات الظلال التي تضم إلى أصل معناها فروعاً وأغصاناً وأوراقاً وأزهاراً تكسب الشعر حياة وجمالاً وحركة وتصبغ عليه السمو ، وقد لاحظ ذلك قديماً بعض أدباء الأندلس ، وإن كان لم يعلل السبب ولم يزد عن ملاحظة أن بين الحروف أنساباً وقرابات تجمل لفظاً في الشعر أجمل من لفظ آخر متحد معه في معناه ، ومثل لذلك بكلمة « خفاتا » في قول الشاعر :

لعمرك إني يوم بانوا — فلم أمت خفاتا على آثارهم — لصبور

فذكر أن كلمة « خفاتا » لها من الجمال الفني ، ما لا تصلح له كلمة « سريعاً » .

٣ — ذكر علماء النفس أن النمو في أية ناحية من نواحي العقل الثلاث « الفكر والإرادة والعاطفة » يضعف الناحيتين الأخريين ، بمعنى أن التفكير الكثير يضعف العاطفة والإرادة ، وضربوا لذلك مثلا : الفيلسوف الذي حضر في أخريات أيامه حفلة موسيقية فلم يفقه لها معنى ، ولم تتحرك لها مشاعره ، ولم تتأثر بها عواطفه ، فنذر أن لو عادت حياته كرة أخرى لخصص جزءاً من وقته لممارسة الفنون الجميلة ، كما ذكروا أن الإرادة تضعف العاطفة ، واستنبطوا أن قواد الجيوش لا شفقة عندهم ، وأن المرأة تطغى عاطفتها على التفكير فيكون ضعيفاً فيها .

والإيمان فلسفة يقينية لا يقوم معها شك ، ولا ينبت في مرعاها مستحيل ، ولها منطق خاص يسيطر على ملكات النفس وقواها ، فلا يبقى لغيره مجال ، ولا تزحمه شعر ولا فن إلا ما يتصل بمنطق العقيدة ودواعيه ، ويكون إذ ذاك شعراً محلياً لا يسيغه إلا من شارك الشاعر في عقيدته فيفقد الجمال العبقري للفنون الجميلة الذي يجملها لغة عامة مفهومة للناس كافة ، إذ لا يخفى أن النفوس البشرية تتحد في إدراك الجمال الرائع ، بحيث ترى أن التماثيل والقصائد والتصاوير والمقطوعات الموسيقية العالية مقدرة عند جميع الشعوب ، محترمة في كافة الأقطار والأعصار .

ومثال الشعر المحلي الجمال قصائد البوصيري في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ، فهي عند المسلمين من أروع الشعر ، مع أن غيرهم لا يحس لها بجمال .

٤ — من شأن الإيمان غرس الطمأنينة والرضا في النفوس فترويض العواطف الجنسية الجامحة ، ومطاردة ما يساور النفس من وساوس وألم وحيرة ، وإنما ينبع الشعر من الحب والألم ، وما أحفل حياة الوثنيين والزنادقة بألم منبعه الحيرة ، والفوارق بين الطبقات والتقاليد البالية التي لا يقبلها الأديب إذا قبلها البليد ، وما أكثر دواعي الحب والهيام في حياة زمامها بيد العاطفة والوجدان ، ولا قيود لها من فكر أو شريعة ، ولا مجال

للذة عندها إلا فى الحياة الدنيا ، ولا أمل لها فى آخرة ، فراحت تستوفى حظها من النعيم ، وتستمتع ما وسعها الاستمتاع بما فى الدنيا من جمال وبهاء ، منشدة قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

أما المؤمن ، فقد اشترى آخرته بدنياه ، وجعل حياته الأولى مجازاً لحياته الثانية ، ورأى فى جمال الدنيا مفاتن يستدرج بها الشيطان الناوين إلى مهاوى الجحيم ، وهو مطمئن إلى السعادة فى الأخرى إن فقد السعادة فى الدنيا . وقد لاحظ هيرودوت من قبل عدم نبوغ الشعراء فى مصر لخلو بيئتهم من الحب والألم .

٥ — أضف إلى ذلك أن الوثنيات إذ كانت لا تؤمن إلا بمتاع الدنيا ، فتحت الباب على مصراعيه للاستمتاع بها ، وتركت للانسان إشباع شهواته منها ، واستعانت على التمكن من القلوب بالتأثير على العاطفة ، إذ كانت عاجزة عن البقاء باستعمال الفكر والمنطق ، فأصبحت تربة خصيبة لنمو الفنون الجميلة التى منها الشعر أما أديان التوحيد ، فقد استعانت فى انتشارها بالدليل والبرهان إذا كانت قادرة على ذلك ، بل إن روح الإسلام يدعو إلى النظر والتفكير ويجافى الفنون الجميلة كلها من شعر وتصوير وتمثيل وغناء وموسيقى ونحت ، وكان أتقياء المسلمين ينظرون إلى محترفيها نظرة استنكار قد تصل إلى المقاومة والمحاربة .

٦ — معلوم أن العواطف تنشأ فى الفرد قبل نشوء الفكر ، وأن عبادة آلهة متعددة تنشأ قبل عقيدة التوحيد ، وأن الإنسان كلما تقدم خرج من حكم العاطفة إلى حكم الفكر ، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الإله الواحد ؛ ومثل ذلك تماماً فى الأمم إذ يسبق عصرها الوثنى عصر التوحيد فيكون مسايراً للعاطفة لا للفكر ، حتى تصل الأمة إلى طور التفكير والإيمان ، ولهذا يكون العهد الوثنى معاصراً العهد العاطفى فى الأمم ، ولهذا أيضاً نجد شعر الشاعر الواحد فى شبابه — أيام تأجج العاطفة — أقوى من شعره فى شيخوخته عندما ينضج تفكيره .

عطية الشيخ

وزارة المعارف العمومية

مدرسة المعلمين العليا — إعلان

تعلن مدرسة المعلمين العليا أن آخر موعد لقبول طلبات الطلبة المستجدين من الناجحين فى شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص دور أول سنة ١٩٤٨ والذين يرغبون اللحاق بأقسام الرياضة ، اللغة الإنجليزية اللغة الفرنسية ، هو يوم ١٩٤٨/٩/٢٥ على أن يراعى الآتى : —

١ — يشترط لقبول الطالب بقسم الرياضة أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الرياضة سنة ١٩٤٨ .

٢ — يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الإنجليزية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٤٨ وأن يكون مجموع درجاته فى اللغة الإنجليزية لا يقل عن ٦٠ ٪ من نهايتها العظمى .

٣ — يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الفرنسية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية بإحدى الشعب الثلاث سنة ١٩٤٨ قسم اللغة الفرنسية ويجوز قبول طلبة القسم الإنجليزى بشرط أن يكون الطالب حائزاً على ٦٠ ٪ أو أكثر من درجة اللغة الفرنسية ويشترط أن ينجح فى امتحان لهذه اللغة تعقده المدرسة يوم ١١ / ١٠ سنة ١٩٤٨ .

٤ — ويشترط لقبول الطالب بالأقسام الثلاث : —

(ا) ألا يزيد سنه على ٢١ سنة فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

(ب) أن ينجح فى الكشف الطبى وفى الاختبار الشخصى اللذين يعقدان بالمدرسة يومى ٢٩ ، ٣٠ / ٩ سنة ١٩٤٨

٥ — يمنح الطالب المقبول مكافأة دراسية قدرها ٢٤ جنيهاً فى السنة إذا كان مجموع درجاته فى امتحان الشهادة التوجيهية لا يقل عن ٦٠ ٪ من المجموع الكلى للدرجات .

فعلى راغبى اللحاق بإحدى أقسام المدرسة أن يقدموا طلباتهم إلى حضرة المدير العام لمدرسة المعلمين العليا بالأورمان — جيزة — على استمارة ٣٤ د . م مصحوبة بشهادة الميلاد أو صورتها الرسمية وبالاستمارة البيضاء الدالة على النجاح فى الشهادة التوجيهية ومجموع الدرجات ، بالتعهد المطلوب الذى يصرف من المدرسة بالمجان موقعاً عليه من الطالب وولى أمره

١٦٤

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اقتراح للإذاعة:

عادت الإذاعة أخيراً إلى برنامج «أعلام الأدب العربي» الذي كانت قد بدأته ثم قطعته منذ شهور. وهي تجري في هذا البرنامج على تقديم البارزين في تاريخ الأدب العربي ابتداء من العصر الجاهلي، كامرئ القيس والأعشى وعنترة والمهلهل والنابغة الذبياني، وتختار للتحدث عنهم كبار الأساتذة، تعين لكل منهم من يتحدث عنه. وقد لوحظ أن الأساتذة المتحدثين يسلكون في تقديم تلك الشخصيات المسلك التقليدي المعروف في كتب تاريخ أدب اللغة العربية المتداولة في المدارس وغيرها، وقد وفى مؤلفو هذه الكتب تلك الشخصيات من الدراسة ما يربو على المطلوب للاذاعة، فلا يحتاج تقديمها للمستمعين إلى كبير عناء.

وفي الإذاعة برنامج آخر يشبه هذا البرنامج في شهرة أعلامه وقرب منالهم، هو برنامج «أعلام الإسلام» ويقدمه أيضاً كبار الأساتذة.

وأضم إلى ذينك البرنامجين أحاديث الصباح الدينية التي يقدمها الأعلام من علماء الأزهر، وهي مثلهما في سهولة الإعداد ووفرة المصادر، فقد جرى هؤلاء الأساتذة على أن يشغل متحدثهم خمس دقائق بشرح حديث من الأحاديث النبوية الشريفة، المختارة من كتب الحديث المعروفة وهي مخدومة في شروح وافية

تلك البرامج الثلاثة لها قيمتها الأدبية والعلمية والدينية، ولها أثرها في التثقيف والتقويم والتهذيب، فلا يتبادرن إلى ذهنك أني أهون من أمرها بذلك الوصف، إنما أقصد إلى الاقتراح التالي:

أرى أن تطلب الإذاعة إلى كليات الجامعة وكليات الأزهر، أن تختار لها من طلبتها من يصلحون لتقديم تلك البرامج؛ ولا شك أن الطلبة الذين يختارون لن يجدوا أية صعوبة في القيام بهذا العمل لتوافر المصادر وخاصة المؤلفات الحديثة المنظمة السهلة الأسلوب.

ولهذا الاقتراح ثلاث فوائد: الأولى تدريب الشباب وإفساح المجال أمامهم، ولا بد أن تظهر من بينهم «وجوه جديدة» فمن العدالة إتاحة الفرص لمواهب الناشئين. الثانية مساعدة الطلبة على مواجهة أعباء المعيشة وخاصة في هذه الآونة التي استشرى فيها الغلاء. الفائدة الثالثة لخزانة الإذاعة، فإن الطالب يكتفي بجنيه واحد تدفعه إليه بدلا من عشرة لأحد الكبار الذين لن يمضهم أن ينتفع أبناؤهم مهما كانت تضحيتهم.

وهذا الاقتراح أقدمه بالمجان لإدارة الإذاعة، فلا أكلفها ما يتقاضاه منها عضو بالمجلس الأعلى لقاء جلسة يقترح فيها مثل هذا الاقتراح، وهذه فائدة مادية ثانية للاذاعة. ومن الله الأجر والثواب.

ارسمي شجرة الزقوم:

نشرت جريدة «الأساس» مقالا بتوقيع «أمين صفوت» حمل فيه على صعوبة الامتحانات، وأورد أمثلة من الأسئلة الصعبة، منها سؤال في الرسم لطالبات السنة الثانية بالمدرسة السنية، نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم. إنا جعلناها فتنة للظالمين. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رءوس الشياطين. فإنهم لآكلون منها فالئون منها البطون. ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم. ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ...

«ارسمي ما تتخيلينه بعد قراءة الآيات السابقة عن الجحيم وشجرة الزقوم وعذاب المجرمين في الآخرة»

فماذا يتخيل هؤلاء الطالبات المسكينات عن الجحيم وشجرة الزقوم وما عليها من رءوس الشياطين؟ إنه لخيال لو قرأناه في «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، أو في «الكوميديا الإلهية» لدانتي اللاجيري — لعددناه من الإعجاز الأدبي، فما بالك بطالبات في أول المرحلة الثانوية يطالبن بهذا الخيال ورسمه؟

ويدافع بعض أساتذة الرسم عن مثل هذه الأسئلة بما هو أعجب منها، فيقولون إنهم لا يريدون أن يقفوا بفن الرسم عند «القلة والزير» وإنما يريدون أن يروضوا الطلاب على التعبير عن العواطف وتصوير الانفعالات، أوهم يريدون على الحقيقة أن يأتي الناشئون بالخوارق والمعجزات فيصورون عالم الغيب غير مكتفين بعالم الشهادة ...

ولو أن هذا النمط من الأسئلة أو من تعليم الرسم ، يؤخذ به طلاب تحققت لديهم الميول الفنيـة ، لهان الأمر ؛ ولـكنهم فى تعليم عام يحتشد فيه الجميع من ذوى الميول والاستعدادات المختلفة ، وليس يطلب من جميعهم أن يكونوا فنانين فى الرسم مقتدرين على التعبير والتصوير ، بل يكفى فى هذا التعليم العام أن تفرض الأصـول والخطوط الأولى فى الرسم . وليس تـكليف الناشىء العادى أن يكون فناناً معبراً فى الرسم ، إلا كمطالبته بإنشاء قصيدة من الشعر أو كتابة موضوع من الأدب الرفيع أو قصـة من القصص الإنسانى ، وليس كل ذلك إلا كمطالبته بإضافة أو وضع نظرية فى العلوم الطبيعية ، وقـل مثل ذلك فى سائر ما يتلقاه من العلوم والفنون .

أما بعد فقد سمعنا أن مشيخة الأزهر ستنشىء معهداً للبنات ، وإنى أشير عليها أن تستعير من المدرسة السنية الأسـتاذ الفاضل الذى وضع سؤال « شجرة الزقوم » وتسند إليه تدريس « رسم مشاهد القيامة » لبنات المعهد الأزهرى لأنهن سيكن ، بمشيئة الله ، أقدر من تلميذات السنية على الخيال المستمد من آيات القرآن الكريم

وهذه الصوافن :

ذكرت فى الأسبوع الماضى أن أعضاء اللجنـة الثقافية لجامعة الدول العربية ، اشتكوا فى أثناء الاجتماع الذى نظروا فيه مسـألة ترقية السينما العربية من أن الأفلام العربية ليست فى المستوى الراقى الذى ينشد منها وأنها تنافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القويمة ، ورجوا توصية الحـكومات العربية لإصلاح هذا النقص .

ولست أرى تدخل الحكومات فى ذلك مجدياً أو ناجماً إلا أن يكون « تأميما » وأن يكون لدى الحـكومة فنيـون قادرون مخلصون للعمل ، يستطيعون أن يقوموا بتنفيذ هذا التأميم على الوجه المنشود . أما بغير ذلك فإن عمل الحكومة المباشر لا يتعدى حذف ما ينافى الأخلاق والآداب العامة . وها هى وزارة الشؤون الاجتماعية تؤلف اللجان للنهوض بالسينما ، فتجتمع وتنفض ، وتنظر وتقرر ، وكل شىء فى السينما كما هو : أفلام بلا موضوع ، وقصص تجرد من قيمتها ، وتسلية فارغة ، ومجون مسف .. الخ ولست أدعو إلى تأميم السينما ، فليست الحـال ملائمة له ، وإنما أريد أن أقول إن الجمهور — من حيث إقباله أو إعراضه — هو أهم عامل فى ترقية السينما أو استمرار تفاهتها وسخفها . وقد ثار الرأى العام المستنير على هـذه الأفلام ، وبدأ الجمهور يعرض عنها إعراضاً يدخل فيه الوعى والملل من تـكرر الحوادث المتشابهة ، إلى جانب سوء المعيشة . وأحس السينميون بكل ذلك إحساساً يرجى أن يؤدى إلى الأخذ فى التحسن .

ثم أنتقل بعد ذلك إلى شىء آخر غير الأفلام التى شكا منها أعضاء اللجنة الثقافية كما يشكو منها الجميع ، ذلك الشىء هو نوع من الصحافة عندنا ، أقرنه بتلك الأفلام لأنه يماثلها فى أن كلا منهما « دون المستوى الراقى الذى ينشد منـه ، وأنه ينافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القويمة » وأقصد هذه المجلات التى لا ترى إلا إلى كسب القراء عن طريق التسلية الفارغة والمجون المسـف كالأفلام حذواً ... فـكل شىء يكتب للترفيه الخاوى والإضحاك الهابط ، ولا شىء وراء هذا أو ذاك من متعة فنيـة أو ثقافة نافعة ، وفتيات هذه المجلات لا تقل إغراء ولا فتنة عن كواكب تلك الأفلام ، وكثيراً ما تـكون هذه هى تلك ...

وإنى أسأل بعد ذلك ، وأنا أنظر إلى من خلف هذه الصحف من المخرجين والمشرفين عليها : ما هى رسالتهم ؟ ويقف السؤال مشفقاً من استخذاء الجواب ... فـكل ما يبغـون هو الربح المادى ، أى أنه ليس لهم رسالة ثقافية أو فنيـة أو إصلاحية . وننظر إلى الوراء فنعبر السنين الماضية لنرى ما كانت عليه الصحافة من قبل ، كان كل من يصدر صحيفة أو مجلة لابد أن يرى إلى غاية من تلك الغايات ولو مكرها بدافع الحيـاء من الناس ... وحتى المجلات الفكاهية كانت ذات موضوع ، فلم يكن هزلها خالياً من الأهداف الجدية .

وقد تقدمت الصحافة اليـوم تقدما كبيراً يغتبط له وإن كان فيه ما يؤسف ، وهو ما يشغل بعض الصفحات من الهذيان الذى يقدم منسوباً إلى الآداب والفنون ، ثم ذلك اللون التافه المسف من المجلات التى لا غاية لها تحمد عليها .

وقد ثار المستنيرون على هذه الأفلام وازور الجمهور عنها . وهذه الصحافة لا تقل عن تلك الأفلام جدارة بالشكوى منها ... فتى تنال من الاستنكار والإعراض ما يجعلها تحس إحساساً يؤدى إلى الأخذ فى التحسن ؟

اللجنة الثقافية واليونسكو :

ختمت اللجنة الثقافية للجامعة العربية اجتماعاتها بلبنان يوم الأربعاء الماضي ، وتوجه على أثر ذلك إلى دمشق أعضاء الوفد المصري في اللجنة برياسة الأستاذ محمد شفيق غربال بك ، تلبية لدعوة وزارة المعارف السورية ، وعاد الوفد بعد ذلك إلى مصر .

وقد أنبأت في الأسبوع الماضي بأهم قرارات اللجنة في الشؤون الثقافية العربية ، وكنت ذكرت قبل أن ستعرض على اللجنة في اجتماعها بلبنان مسألة موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو وما يلابسه من طلب تأجيله وسعي اليهود للاشتراك فيه . وأذكر اليوم أن اللجنة رأت أن تسير في طريق الإعداد للمؤتمر ، فدرست المسائل التي تتعلق باجتماعه في بيروت وأقرت خطة المساهمة فيه وتنظيم مظاهر النشاط الثقافي والعلمي والأدبي والفني الذي سيصحب المؤتمر طوال مدة اجتماعه ، ويطلق على هذه المدة « شهر اليونسكو » .

ثم اتخذت اللجنة قراراً يقضي بتأييد الحكومة اللبنانية في تمسكها بعقد المؤتمر ببيروت في موعده المحدد في أكتوبر القادم . ومن مصر كتب معالي السنهوري باشا وزير المعارف إلى سفير مصر في فرنسا أن يطلب باسم الحكومة المصرية مؤازرة الحكومة اللبنانية في خطتها بشأن عدم تأخير عقد مؤتمر اليونسكو عن موعده الأصلي وعدم تغيير بيروت كمقر للمؤتمر .

ولا يسع المتتبع للظروف المحيطة بهذا الموضوع إلا أن يتساءل : هل يجتمع مؤتمر اليونسكو حقاً بلبنان في موعده الأصلي ؟ ويبعث على هذا التساؤل ما قرره المجلس التنفيذي لليونسكو بباريس من قبول إسرائيل المزعومة في مؤتمر لبنان بصفة عضو مراقب إذا طلبت ذلك .. وهي لابد ستطلب . ولن يقبل العرب الاشتراك في المؤتمر وفيه الصهيونيون بأي صفة من الصفات ؟ لذلك يبدي بعض أعضاء اللجنة الثقافية شكه في أن يتم اجتماع اليونسكو في لبنان ما دامت المشكلة الفلسطينية قائمة .

طلائع الأدب في الحجاز :

وقع في يدي أخيراً كتاب « أريد أن أرى الله » فسررت به ، لأنه كتاب واحد من إخواننا أدباء الشباب بالحجاز ، وما إخال أدباء الحجاز إلا شباباً . أولئك الذين وجدت البذور الكامنة في تلك البلاد منافذ في ثقافتهم الحديثة ، فنبتت وترعرعت ، وجعلت تبهر الأنظار بما تؤتي من الثمرات الطيبات .

ومن أولئك الشباب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار صاحب كتاب « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة أقاصيص يفتح بها باباً جديداً في الأدب الحجازي الحديث . ويحتوي هذه المجموعة على قصتين اختار أولاهما وهي « أريد أن أرى الله » من قصص تولستوي ، والثانية من تاجور . ثم خمس قصص مؤلفة بدت فيها موهبته وقدرته على العرض والتحليل ، وتبدو في هذه القصص صور ظريفة من البيئة المحلية ، رسمها المؤلف بدقة ، وأشاع فيها كثيراً من الظرف والدعابة .

ليس المقام للاسترسال في الحديث عن تلك القصص ، وإنما أريد أن أعبر عن اغتباطي بنفحة من نفحات الحجاز .

من طرف المجالس :

أقبل صاحبنا فاتراً ، وأخذ مجلسه متهالكا ، ثم أرسل الصعداء ...

— مالك ؟

— محاضرة !

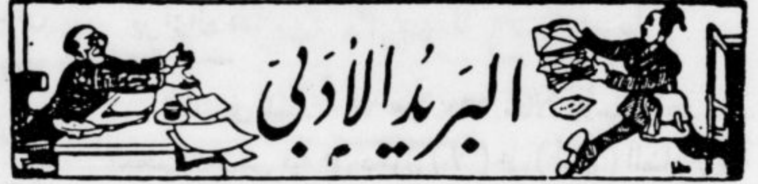
— ألست قد فرغت من إعدادها ؟

— أتظن أني أعد محاضرة لألقيها ؟ كلا ، لقد ألقيت عليّ محاضرة ... صبت عليّ ... إنني أعلم وقع هذه المحاضرات التي يحسب أصحابها أن ما يقولونه لا يعلمه إلا هم ، فيبدئون ويعيدون ، ويطيلون ويثقلون ، ولا يحسبون حساباً لما يشعر به السامعون من ملل وأسف لضياع الوقت . ولا أطيل عليكم كما يطيلون ، فقد رأيت بالأهرام أن الدكتور فلان سيلقي محاضرة بنادي كذا . ولست سريعاً إلى تلبية الدعوات إلى المحاضرات . ولكن الدكتور فلان محدث طلي صاحب فكرة ، وهو صديقنا ، فذهبت لألقاه هناك وأستمع إليه ساعة . فما راعني إلا اعتذاره من عدم الحضور وقيام أحد الحاضرين ليحل محله . وانهال علينا المحاضر « المتطوع » فأطال وأمل ، وأنا أتململ ... ومنعني الحياء أن أغادر المكان . وهكذا وقعت في الفخ ، ومن مأمني أتيت ...

قال له أحد الجلساء : تعيش وتسمع غيرها !

وقال آخر : لقد كانت إذن محاضرة « مبرحة » !

عباس خضر



خواطر مسجوعة :

(مهداة إلى الأستاذ حامد بدر)

فى الناس قوم لا يرون إلا الذهب ؛ ولا يسمعون إلا رنينه ، لا يبالى أحدهم أن يئد الأدب ، ويبيع فى سبيل العار وطنه ودينه . همه أن يقال شجاع جرىء ، وهو — فى الحق — صغير بذىء ، أو ينال الزلفى والجاه ، وإن عفر على الأعتاب الجباه .

يتظاهرون بأنهم مصريون ، ومصر منهم براء ، ويتباجدون بأنهم المعيون ، وهم — فى الحق — رقعاء . المال أعمى أبصارهم ، وأخمد نارهم ، فأنكروا دارهم ، وتجاهلوا جارهم ، ولجأوا إلى المغالطة والكذب ، وما ألجأهم إلا الذهب .

كم ظهر الفرح على وجوههم حين تنال مصر بشر ! وكم بدت الشماتة على ألسنتهم حين يمسها الضر ! فى القلوب حقد دفين ، يخفيه الطمع فى برها ، ويظهره الطمع فى غيرها . وفى الأخلاق داء مكين ، يجعل المنفعة أساسها ، ويجعل النفاق رأسها . مسكينة مصر ، تلقى منهم كل ضر ، يأكلون من خيراتها ، وينسبون إليها ، وهم ألد عداتها ، بل أقسى من عداتها عليها .

ومن عجب أن مصر تعرف كل ذلك ، ولكنها تغض الطرف عما هنالك . فى الصحف طعن عليها وسباب ، وفى المجالس نيل منها واغتياب ، ولكن الكرم الحاتمى أخص صفاتها ، والحلم الأحنفى رفيق حياتها ،

والنفس تأكلها الحسرة ، وتخنقها العبرة ، حين ترى المحسن يساء ، والمسىء يأخذ ما يشاء ، هل جاءكم نبأ موظف مصرى لا يعجبه فى مصر شىء ، ويعجبه فى غيرها كل شىء ؟ وهل سمعتم برجل من رجال العلم هو أداة طيعة فى يد المال يصرّفه كيف شاء ، ولا يبالى أحسن أم أساء ؟ ؟

نحن نعيش بين الصبر ، ولا نعرف المبتدأ من الخبر ، وعلى ألسنتنا القول ولا نقول ، وما غناء القول إذا تغابت العقول ...

على العمارى

مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

حول شعراء وأدباء فى جيش الفاروق :

قرأت فى عدد الرسالة الأخير (٨٩٢) كلمة للأستاذ محمد خليفة التونسى عن كتابى « شعراء وأدباء فى جيش الفاروق» فرأيت من « العدل » أن أعقب عليها بنية تبيان الحقيقة

١ — قال الناقد فى صدر حديثه « إننى ضابط ، ويعلم الله أننى لم أحظ بشرف الجندية ...

٢ — قال الأستاذ خليفة — نقلا محرفاً عن تعريف الناشر بى — « ينأى بنفسه عن إغراء المرأة حتى استأثرت به أخيراً « قديسة » تراه يفنى فى تقديسها ، فهو تعريف « تقريرى » للقراء أن يفهموا منه ما يفهمون كما يفهمون » ولو تحرى حضرته الدقة لأدرك أن الناشر يعنى « والدة » المؤلف !.

٣ — وصم الناقد المقدمة التى تصدرت كتابى والتى قررت فى خلالها أن الأدب والجندية لا يتنافران بأنها « صرخات فى الهواء » وكان أولى به بدلا من أن يلقى القول «جزافاً» أن يقدم الأدلة والبراهين ...

٤ — حين وضعت هذا المؤلف عن الشعراء والأدباء فى جيش الفاروق المعظم لم أبتغ إلا تقديمهم خارج النطاق العسكرى . وكان مثلى مثل « التاجر » الذى يقدم « بضاعته » و « يروج » لها بشتى السبل ...

٥ — فى حديث الناقد عن « ذوق » الكاتب فى اختيار « النماذج » كان مسرفاً فى التعبير ... ولو تحقق الناقد لأدرك أننا لم نقدم نماذج لليوزباشى سيد فرج ، والبكباشى محمد عبد الفتاح إبراهيم .

٦ — وكلمتنا الأخيرة تعنى بأنه ينبغى أن يعرف « الناقد » رسالته على حقيقتها فيكون على حد تعبيرنا أشبه بـ « جندى المرور » الذى يوجه الحركة ولا يكون كـ « الكونستابل» الذى يحرر « المخالفات » فحسب ! !

محمود عيسى

سكرتير تحرير مجلة الجيش

لبس فى اللغة « شغوف » :

كان بيمينى العدد ٧٨٤ من الرسالة الغراء وكنت أقرأ فيه

مقالا ماتعاً للشاعر الناثر الأستاذ الجليل محمود رزق سليم مدرس الأدب بكلية اللغة العربية ، فما إن بلغت من القراءة إلى لفظة (شـغوف) فى قوله فى صحيفة ٧٧٩ (جلس فى ظلالها جلوس الواله « الشغوف » حتى أمسكت لسانى عن متابعة القراءة ، ووقفت حيالها هنيهة أستذكر بقايا ما أحفظه من أبيات فيهـا ألفاظ تؤدى نفس هـذا المعنى ، ليس من بينها هذه اللفظة غير العربية التى نحن بصدد الـكلام حولها . وهذه الأبيات ليست فى كثرة وهي — قال البحترى (١) :

ولمة كنت« مشغوفاً » بجدتها فما عفا الشيب لى عنها ولا صفحا

وقال المتنبى (٢) :

كأن الحزن «مشغوف» بقلبي فساعة هجرها يجد الوصـالا

وقال الشاعر (٣) :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى « مشغوفة » بمواطن الـكتمان

وقال الشاعر (٤) :

« مشغوفة» بك قد شغفت وإنما حم الفراق فما إليـك سبيل

وتفصياً من الشك وسداً لثغرة الاحتمال بعد هـذه الأبيات على رغم قلتها ، وإن كان فيها غنية أى غنية فكنت قد اقترأت فريقاً من معاجم اللغة فى اهتمام تام ، وفى تيقظ وتحفظ فلم أعثر للفظة (شغوف) هـذه على أثر البتة ، وإنما الذى ألفيت هو (المشغوف) بالغين المعجمة « والمشعوف » بالعـين المهملة أيضاً ليس غير ، فيتضح إلى ذلك أن هذه اللفظة الغريبة ليست من اللغة العربية ، وإنما تسربت إلى أقلام بعض الـكتاب من سبيل الصحف التى لا سلطان لأدب اللغة عليها .

فالويل كل الويل للصحف من هـذه الآفة الرائعة البارعة فإنها لا تحفل فى أكثر الأحايين إلا بالمعنى فقط ؛ وأما اللفظ — ولا معنى بغير لفظه — فإنها ترسله على عواهنه إرسالا من غير احترام للأدب اللغوى .

(طرابلس الغرب)

محمد مهدى أبو حامد
كلية أحمد باشا

(١) البلاغة الواضحة ص ٨٧
(٢) مع المتنبى للدكتور طه حسين ص ٢٤١ .
(٣) البلاغة الواضحة ص ١٢٦ .
(٤) الأشمونى ص ١٣٧ ج ثانى — ذكر هتين اللفظتين المحيط والتاج والمصباح ، ومن العجب أن اللسان والصحاح لم يذكرا إلا التى بالعين المهملة فقط .

لا أزال :

قرأت فى العدد ٧٩٠ ص ٩٦٧ مقالاً للأستاذ أحمد أحمد العجمى اعترض فيه على دخول (لا) على (أزال) المضارع إلا فى الدعاء واستشهد بشعر ذى الرمة . وقد وهم الأستاذ فى اعتراضه فإن القاعدة قاصرة على الماضى فقط (زال) تدخل عليه (لا) فى الدعاء فقط وفى غيره تدخل ما .

قال الله تعالى : (فما زالت تلك دعواهم) سورة الأنبياء — وأيضاً : (فما زلتم فى شك) سورة غافر — وأما المضارع فالأصل فيه دخول (لا) قال الله تعالى : (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) سورة المائدة — وقال : (لا يزال بنيانهم) . فى التوبة — وقال (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم) . فى سورة الرعد — وقال : (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) . فى الحج — وقال : (ولا يزالون يقاتلونـكم) فى البقرة — وقال : (ولا يزالون مختلفين) فى هود — وليس فى القرآن الـكريم غير ذلك .

ومن هذا ترون أن الأستاذ العجمى لم يوفق فى اعتراضه وأن الصواب أن يقال (ما زال ، ولا يزال) فى الماضى والمضارع

عبد السلام النجار

تعقيباد :

١ — أحب أن تعلم الآنسة الأديبة سعاد كامل أنى لا زلت عند وعدى ، فسأتـكلم قريباً عن الشاعرين الـكبيرين محرم والكاشف على صفحات الرسالة ، وأظن الآنسة الفاضلة تعرف أنى بعيد عن القاهرة الآن ، فلا سبيل إلى دار الـكتب المصرية فى الريف ، وهى بما تحتويه من جرائد ومجلات أدبية ، مرجع الباحث عن قريض شاعرين عظيمين ، لم يقدر — بعد — لديوانيهما الظهور فى سفر شامل محيط ، فإلى الغد القريب إن شاء الله .

٢ — وقع فى قصيدتى «المجاهدة الشهيدة» المنشورة بالرسالة تطبيع أدى إلى اختلاف الوزن وغموض المعنى . وفيما يلى تصحيح الأبيات المحرفة .

كعصافير ظنت الأيك يخلو من شريك فبوغتت بالصقور
كل ليث يهيج فى صدره البأ س كنار تشب فى تنور
سمعت فى الدجى البهيم أنينا لجريح يئن تحت الصخور

محمد رجب البيومى

لو أصبح لليهود دولة ..

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥٩)

كالصليب الأحمر وغيره — عجبت أن يهتم هذا الاهتمام الذى يشكر عليه قليلا ، وأعجب منه ألا يخطر بباله أن أشباه الناس apes اليهود هم كانوا سبب هذه الكارثة . واعجب وأغرب أنه وهو يترك الحبل على الغارب لليهود لا يطلب من مجلس الأمن بكل شدة أن يرغم (إن كان عنده قوة للارغام) جميع يهود العالم أن يدفعوا أثمان جميع الأرزاق والأموال والأملاك وكل ما كان فى حوزة العرب — كل هذه التى نهبها اليهود من بيوت العرب وأملاكهم وحوانيتهم ، وهى تقدر بنحو ثلاثمائة مليون جنيه استرلينى ، هى الآن فى ذمة اليهود إن كان لليهود ذمم .

عجبت أن يسكت برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم وحاخامات اليهود عن المئة والإثنين والسبعين مليوناً من الدولارات الأمريكية التى تصدق بها نصارى أمريكا على منكوبى اليهود فى أوربا ، وما كانوا ملزمين لولا أن مسيحهم قال لهم : « احسنوا إلى من أساء إليكم » ! وإذا هؤلاء اليهود الأدنياء ينفقون تلك الملايين على محاربة العرب لأنهم لم يكن عندهم منكوبون يستحقون الإحسان ، بل عندهم جميع أموال العالم !

أنستغيث نحن بالأمم لكى نقوم بأود منكوبينا ويكون لنا عند اليهود ٣٠٠ مليون جنيه .

نذكر الجامعة العربية بهذا الحق الضائع لكى تطالب به برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم ، فقبل أن يحكم مجلس الأمن بدولة إسرائيل يجب أن نستخلص من بنى إسرائيل هذا الحق إن كانت تعرف الحق وتحترمه !

وعلى انكلترا أولا وأمريكا ثانياً حتى جميع الدول التى أقرت التقسيم أن تحصل هذا الدين من اليهود للعرب ، وعليها أيضاً أن تطالب اليهود بغرامة مائة مليون جنيه على الأقل لأنهم هم الذين ابتدءوا العرب للحرب ، فعليهم أن يدفعوا ما وقع على العرب من خسارة بسبب الحرب .

ثم إن هذه الغرامة وجميع المنهوبات التى نهبها اليهود من العرب تخول جميع الحكومات العربية أن تحجز جميع أملاك اليهود وأموالهم فى بلادها لكى تستوفى ماتستطيع استيفاءه من هذه الديون الملقاة على عاتق جميع يهود العالم بالتضامن ، لأنهم كلهم كانوا يجمعون الأموال للصهيونيين ، وهى أموال مبتزة من البلاد التى يقطنونها بطرق غير منتجة وغير قليل منها مبتز من العرب !

إذا كان عند الدول العظمى ذرات من الشرف كما عندها ذرات للقنبلة ، فلتحصل هذه الحقوق من اليهود للعرب !

نقولا الحداد

تصويب :

وقع فى افتتاحية العدد الماضى من الرسالة خطآن مطبعيان نصححهما فيما يأتى :

(وبكينا حتى نضب الدم) وصوابه الدمع .

(بالخادعة والغيش) ، وصوابه الغيش ، وهو يعنى (الغشر) و (المدر) فى لغة العامة .



صفقـــة !..

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

مثل المتهمان « سزار أزيدور رومنت » و« روسبر نابليون كورنى » أمام محكمة جنايات « السين » لشروعهما عن عمد فى قتل امرأة « رومنت » المتهم الأول ! ...

وزُجّ بهما فى « قفص الاتهام » فراحا يقلبان نظرات حائرة ، ويرددان أنفاساً مضطربة ... وكان كلاهما من أهل الريف .

وبدا « رومنت » ربعة قصير الذراعين والساقين ... قانى الوجه مرصع الديباجتين بالبثور ... وقد التصق رأسه الأكبس (١) بجسده القمىء الكروى ... وما بينهما من عنق ... وكان يقطن مدينة « كاشفيل - لا - جوبل » فى ولاية « كريكتوت » ويقتات رزقه من رعاية « الخنازير » وإنمائها ! ...

أما « كورنى » فرجل ضاوى الجسم غير فارع القوام ... يتدلى من كتفيه ذراعان مفرطان فى الطول ... أشوه الوجه ، أضجم الشدقين ، أحول العينين ... يرفل فى كساء أزرق كالقميص ، يطويه حتى الركبتين ... وينسدل على جبينه المريض بعض شعيرات مصفرة اللون ، تخلع على وجهه سمات بغيضة تعافها النفس ويمجها البصر ...

وكان القوم يدعونه بالقس لما أوتيه من براعة فى ترتيل الأناشيد بين جنبات الكنيسة ... حتى هام به بعض الناس ... فى « كريكتوت » ، وذابوا إعجاباً به وشغفاً بتسابيحه إلى الله !

واستقرت فى « منصة الشهادة » زوجة « رومنت » وهى فلاحة عجفاء بادية الهزال ... تكاد أن تخر من الوهن ، وتوشك أن تغرق فى النوم ... كانت واجفة واجمة لا تحرك ساكناً ، وقد عقدت راحتيها فى حجرها وراحت حدقتاها تدوران فى بلاهة واضطراب ... ونجلت فى صفحة وجهها آيات من الجمود ودلائل من الخمود ! ...

ابتدرها القاضى فى صوت رفيق رقيق مستأنفاً مسعاه فى التحقيق : —

« لقد أدركت — أيتها السيدة الفاضلة — أنهما اقتحما دارك . ثم ألقيا بك فى « البرميل » المترع بالماء ... فدعينا نلم بجلية الأمر فى إسهاب ... تكرمى بالوقوف » ...

فما إن همت قائمة ، حتى لاحت فى قبعتها كعمود شاهق ، وطفقت تجأر بقصتها فى صوت ترسله على مهل:

بينما كنت أقشر الفول ... دلفا من الباب معاً ... فحدثت نفسى « إن الشر يزمهر فى عيونهما ... ما أقبلا إلا لسوء ، وما أضمرا سوى الغدر ... سأمسك حذرى منهما » ومكثا يختلسان إلى نظرات شذراء ... وعلى الأخص « كورنى » الذى لا يفتأ يشوب الحول عينيه ... فأحسست لمرآهما معاً بالكمد يخذنى والحسرة تمضنى فما كان أحدهما ممن يشرف المرء ويثير زهوه ! . ولم ألبث أن قلت لهما « ماذا وراءكما ؟ ! » فما نبس أحدهما ببنت شفه ، بل ظل سادراً فى صمته ... مما دفع الريبة إلى قلبى ، وهاج الظنون فى نفسى ! ... »

فصاح « رومنت » المتهم فى حرد وجفاء :

— « لقد كنت أترنح وأنا سليب الوعى ! ... » فألقى « كورنى » بطرفه إلى شريكه فى الإثم ، وقال له فى صوت عميق كأنه عزيف الأرغن (١) :

— « ما كنت مجانفاً للحق ... لو قلت كلانا كان مترنحاً سليب الوعى ! ... »

فانتهره القاضى فى عنف ودهشة :

— « أو تقولان أنكما كنتما ثملين مخمورين ؟ ! ... »

رومنت — « وهل فى ذلك من حرج ؟ ! ... »

كورنى — « إنه يقع لكل البشر ! . »

فكظم القاضى غيظه ، وهو يروم الشاهدة :

(١) رأس أكبس ... مستدير ضخم . « ج »

(١) الأرغن آلة موسيقية لا تخلو منها الكنائس . « ج »

— « ناشدتك الله ... صلى ما انقطع من روايتك ... أيتها السيدة الفضلى ! . » فمادت المرأة تقول فى صوتها الأجش وهى ترسله فى تؤدة وعلى مهل :

— « ثم سألنى برومنت « هل لك فى خمسة فرنكات ؟! » فوافقته على سؤله ... لأنك لم تعثر على خمسة فرنكات تحت كل أيكة تصادفها ... فما لبث أن قال لى « هلمى معى ... وسوف أريك ما تفعلين ! ... » ثم مضى حيناً ... وعاد يدفع أمامه « البرميل » الضخم الذى نتلقى فيه ماء المطر ... ثم أقامه فى وسط المطبخ ... وهو يقول « هلا تملئينه حتى الشفا بالماء »

فشمرت عن ساعد الجد ، ولم آل جهداً ساعة ، وأنا أسعى بالدلوين بينه وبين البحيرة أحمل مزيداً ومزيداً من الماء ... فقد كان من الضخامة ، حتى لكأنه بئر بعيد الغور ...

أما هذان الزنيمان « برومنت » و « كورنى » فقد مكثا طيلة الوقت يعبان فى الخمر ... ويملآن الكأس تلو الكأس . . حتى لم أتمالك أن صحت فيهما « لكأنكما أكثر امتلاء بالخمر من هذا البرميل . . » فأجابنى برومنت : لا تبالى بما نحن فيه . . وثابرى على عملك أنت . . فلسوف يحين دورك . . » فلم أعره سمعاً . لأنى أعلم بما للخمر من عقبى تسل العقل من إدراكه ، وتمنع النفس صوابها .

حتى إذا فاض « البرميل » بالماء . قلت « يا هذا . لقد فرغت من عملى » فناولنى « كورنى » خمسة فرنكات — كورنى وليس برومنت يا صاحب السعادة . . إنه كورنى الذى منحنى أجرى . . ولكن لم يلبث « برومنت » أن قال : « هل لك فى خمسة فرنكات أخرى ! . » فقلت على الفور « نعم . . » حتى لا تفلت من أناملى هذه الفرصة الذهبية ... فانثنى يقول « هيا انزعى ثيابك ! ... » فصحت فيه وقد أخذتنى الدهشة والعجب « أنزع ثيابى ؟! . » فأجابنى « أجل » فسألته منكرة « أأنقضها كلها ؟ ! » فقال « إن كان هذا يثير انزعاجك ... فامسكى عليك قميصك ... إنا لا نبغى نزاعاً ... »

حسن ... خمسة فرنكات قدر لا يستهان به . . فما على من بأس لو قادعت هذين السفيهين . فرفعت قبعتى من فوق رأسى . ثم خلعت دثارى . . وسلت قدمى من النعلين ! . وحينئذ قال برومنت « ليس ثم داعى للخلاص من جواربك . . نحن قوم ورعون أولو تقى ! . » فهتف كورنى مرجعاً « أجل . . نحن قوم ورعون أولو تقى ! . »

وهكذا قمت أمامهما على شبه من أمنا « حواء » ! . فنهضا من جلستهما ترنحهما الخمر . وهما لا يكادان يثبتان على أقدامهما . عفواً يا صاحب السعادة . . قلت لهما « وماذا بعد ؟ ! » فصاح برومنت « أو مستعد أنت ؟! » فأجابه كورنى « مستعد ! »

ثم لم يلبث « برومنت » إن أمسكنى من رأسى ، وقبض كورنى على قدمى ... كالشاة التى تهيأ لغسلها ! . فما أن هممت بالصياح ، حتى زجرنى « برومنت » فى قسوة قائلاً « امسكى لسانك ... أيتها المرأة الوقحة ! . » ثم رفعانى فى الهواء ، وقذفا بى فى « البرميل » ... فسرت فى كيانى قشعريرة جعلت الدم يضطرب فى عروق ويتصاعد دافقاً إلى رأسى ... فتصطك أسنانى وأحس الجد يعترينى من ناصيتى حتى أخمصى ! . .

وسمعت برومنت يقول « ولكن رأسها ما برح لا يغمره الماء . إن هذا يدخل فى الحساب ! . » فرد عليه كورنى « ضع رأسها إذن تحت الماء !. » فلم يلبث أن دفع رأسى فى البرميل كمن يعمد إلى إغراق ... فاستشعرت الماء يتسرب إلى أنفى ... وتراءى كأنى أوشك أن اتخذ سبيلى إلى السماء ! . .

وما أنفك يدفعنى ... حتى غمرنى الماء ... ثم خالجه الخوف فجأة ، وساوره الندم ، وراودته الرحمة ... فماد يرفعنى قائلاً :

— « هيا جففى جسدك ، واخصفى عليك ثيابك ... يا حقيبة من العظام ... »

فلم أكد أثوب إلى نفسى وأتمالك مشاعرى ... حتى أطلقت لساقى الريح ، وهرعت إلى « راعى الكنيسة » ذلك الرجل الطيب القلب الكريم النفس الوفى الخلق ... فأعارنى دثاراً من ثياب خادمه ... وطفق يسرى عنى حتى أفرخ روعى ! . . ثم انطلق يدعو صاحب الشرطة والسيد « شيكوت » النائب ! . .

وعدنا أدراجنا جميعاً إلى الدار ... فألفينا برومنت و كورنى يتقاتلان كزوج من الكباش !.. وكان برومنت يزمجر والغضب يتقد فى عينيه « إن هذا وكس ... لقد أخبرتك أنها ليست دون « التر المكعب » .. لقد أسأنا العمل وأخطأنا الوسيلة ! . »

فضبح كورنى فى حنق « بل أربعة من الدلاء المتلئة ... لا تبلغ نصف المتر المكعب ... إنها حقيقة ... لا تملك لها إنكاراً ولا تجد منها خلاصاً ! . . » فدنا منهما صاحب الشرطة ، وحال بينهما فى صرامة ... وما كنت أحير شيئاً ! . . »

وتهالكت السيدة على مقعدها ... فانفجرت فى قاعة المحكمة عاصفة من الضحك ... وتناظر المحلفون ، وقد رفت على ثغورهم ابتسامات تحفها الرزانة ... حتى إذا رانت السكينة وخيم الهدوء خاطب القاضى « كورنى » المتهم :

« يبدو أنك الحرض على هذه المكيدة التى تفيض شناعة وتدر خزياً . أو عندك من الدفاع ما تقدمه بين يدينا جلاء لما قارفته ! »

فهم « كورنى » على قدميه قائلا : « لقد كنا نملين تعبث برأسينا الخمر ! » فأجابه القاضى فى رصانة وهدوء « إنى أعلم هذا صل حديثك ! » — « مهلا ! ... سيواتيك مالا تعلم ... حسن ! لقد جاءنى « برومنت » فى تلك الصبيحة ، ودعانى إلى كأس من شراب « البراندى » ... فجلست إليه وأفرغته فى جوفى ... وحفزنى الأدب إلى أن أقابل فضله بمثله ... فدعوت له بكأس آخر ... فأجابنى بكأس ثالث ، فرددت عليه برابع . ودالت بيننا الخمر ودارت منا الرؤوس .. حتى انتصف ميزان النهار .. فإذا بنا مخموران نترنح من النشوة ! ..

وطفق برومنت يجأر بالصياح . فخالجنى الأسف له وأحسست إشفاقاً عليه ! ... فسألته عن جلية أمره ! ... فقال « لا بد لى من ألف فرنك قبل الثلاثاء ! . » فانطويت على نفسى . بالطبع . بيد أنه شك غير طويل ، ثم قال فى مثل هدوئك وشبه وقارك يا سيدى : « سأبيعك زوجتى ! . »

حسن ... كنت ذاهب الواعى عاطل الرشد ... وكانت زوجتى قد لبت داعى المنون . فدار بخلدى — وهو مضطرب — أن من الخير أن استحوذ على امرأته . . ما كنت أدرى عنها شيئاً ... ولكن الزوجة دائماً هى الزوجة ... فانثنيت أسأله « وكيف تبيعها لى ؟! » فتطامن رأسه وهو يفكر ، أو لعله خلع على ذاته سمات التفكير ومظاهر التدبير . فالمرء إذا عانق الصهباء .. تبلبلت فى ذهنه الآراء ، وعاثت فى جسده الأدواء .

ثم لم يلبث أن أشرق وجهه وانبسط جبينه وهو يقول :

« سأبيعها لك بالمتر المكعب ! . » فلم يأخذنى الدهش ، فما برحت نشوة الخمر تعربد بين جوانحى . . كما أنى استخدم المتر المكعب فى تجارتى ! ... إن المتر المكعب يقدر بألف لتر ... فوافقت هواه ، بيد أن العقبة التى تنهض فى سبيلنا .. هى الثمن ، وهو رهين بما يتمخض عنه عديد الأمتار . . وعن لى أن أسأله :

— « وكم تود فى المتر المكعب ؟! . »

— « ألفى فرنك ! . . »

فوثبت من مجلسى كأرنب مروع . . ولكن جال بخاطرى أن ليس ثم فى الوجود امرأة تجاوز فى الكيل ثلاثمئة لتر ! . . قلت له :

— « إنك على شطط فيما عرضت ! . » فأجابنى وهو يهز رأسه :

— « لا آخذ دون ذلك .. فإنها لخسارة تفدحنى ! . »

كان يساومنى كأنه يبيعنى إحدى خنازيره ، وإنه لبارع قدير على بضاعته .. هه . . هه . . قلت له « : إن كانت شابة فتية فلسوف أغضى ولا أبالى .. أما إن كانت أخت عجز لطول ما أبليتها وأخلقت جدتها .. فما أدفع فيها سوى ألفاً وخمسمائة للمتر المكعب ولن تمس دانقاً مزيداً عليها أو ترضى ؟ » فارتفع صوته هادئاً رضيت ! . هيا نتصافح . . »

فهززت يده شداً على المهد . . وانطلقت متأبطاً ذراعه . . لا بد للانسان فى زحمة الحياة الشقية وموكبها الصاخب أن يمد يد العون لأخيه الإنسان !.. بيد أنى ما لبثت أن أغرقت فى الحيرة وفاض بى الدهش !!. فانقلبت أسأله : « كيف تسمى لكيلها ؟. وما هى بسائل ! .. لسوف يعيينا أمرها ! . »

فأبان لى عن خاطر ما كان يتجلى من عقل ثقلت عليه وطأة الخمر . وشاعت فى صفائه شوائب الثمل . قال : « سآتى ببرميل. ونملأه حتى يطفح منه الماء .. ثم نضعها فيه .. ونقدر ما ينسكب من الماء .. فهو جرمها . » فهتفت فى إعجاب : « إنه رأى سديد . وفكرة صائبة !.. ولكن كيف نقدر ما ينسكب من الماء ، وما يتناثر من الرشاش ؟. ولسنا له بحاصرين ! . »

فرمانى بالغباء ، ودمانى بالسخف . وأخبرنى أن كل ما نفعله هو أن نملأ « البرميل » تارة أخرى . . بعد أن ننتشل امرأته ،

ثم نقدر ما نضيفه من الماء بعد ذلك ! . إن كان عشرة دلاء فإن نظيرها متر مكعب !. آه .. ليس ثم في الوجود امرؤ أحدّ ذكاء وأمضى فطنة من هذا اللئيم ، والخمر ناشبة في رأسه ، جاثمة على عقله ! ..

وصفوة القول ... اتخذنا سبيلنا إلى بيته ... فلما وقع طرفي على المرأة . . . رحت أحدق فيها وأنفضها ببصري في نظرات فاحصة . . . لم تكن على مسحة من الجمال . . . وها هي ذي أمامكم ... فانظروها .. وحدثت نفسي .. « لا عليك ! . . . سواء تفيض ملاحة وتسيل قبحاً . فإنهن يؤدين جميعاً الغاية المنشودة ! ... » أليس كذلك يا صاحب السعادة ؟! ... كما أنها كانت عجفاء ضامرة الجسد كأنها العصا اليابسة . . . فساورني خاطر « أنها لن تجاوز أربع لترات ! . . . » إني خبير بهذه الأمور ... فهي سر مهنتي ! ...

وقدمت لكم ما حدث .. لم نجردها من قميصها وجوربها ، لما تعمر به قلوبنا من الورع ، وما تزخر به نفوسنا من الحياء .. مع ما في ذلك من خسارة لي ... فلما بارحت « البرميل » . . . مرقت من بين أيدينا ، وأطلقت لساقيها العنان تسابق الريح ... فصحت مشدوهاً « وي ؟ ... برومنت ... إنها تفر منا ؟ ... » فأجابني في صوت هادئ : « لا تحفل بأمرها . . . فلسوف تنكص على عقبيها سريعاً .. فأمسك بها لك في هوادة ... دعنا نحسب النقص ! ... »

فلم تتجاوز الدلاء أربعاً .. ها .. ها .. ها ! .. »

وانطلق السجين في ضحك يهزه هزاً عنيفاً .. حتى ربت على ظهره جنديه الحارس في رفق . . . فثاب إلى هدوئه وفاء إلى سكينته ، ثم استأنف حديثه :

« وصفوة القول .. لم تأت الأمور على ما يشتهي برومنت ، فتصايحنا ، ودوى صراخنا !.. ثم تعطلت لغة الكلام ، فأمسك كل منا بتلابيب الآخر يروم ضربه ، وطرحه على الأرض .. كنا سكارى . . . فحسبنا أن عراكنا سيدوم إلى يوم الحشد ! ... حتى فرق بيننا صاحب الشرطة .. وقبض على كل منا وزج به السجن .. وإني لأطالب بالتعويض عما لحقني ! . . »

وارتد « كورني » إلى مقعده ... فتهاوى عليه ... وكان « برومنت » يومئ برأسه بين الفينة والفينة مؤيداً شريكه ... معززاً لما جرى على لسانه .

وغاب المحلفون ساعة يقلبون الرأي في روية ، ويهيئون الحكم عن سداد ... وقد اكتنفتهم الحيرة ... ثم أعلنوا للملأ براءة كلا السجينين ... ولكنهم قرنوا ذلك بحد ... هو أن الزواج رباط مقدس لا يبيح صفقات التجارة ، ولا يحل فيه البيع والشراء !

وانطلق « برومنت » إلى عش الزوجية ، وزوجته في رفقته ! وعاد « كورني » طليقاً إلى حانوته !...

(طنطا) مصطفى جميل مرسي

سكك حديد الحكومة المصرية

تذاكر الاشتراك الكيلومترية

يتشرف المدير العام باعلان حضرات حاملى تذاكر الاشتراك الكيلومترية أنه فى حالة تأشير المحطة على اشترا كاتهم باعتماد السفر لقطار ما ثم طرأت بعد ذلك ظروف تدعو لتأجيل السفر إلى قطار آخر ففى هذه الحالة يتعين على حضراتهم تقديم اشترا كاتهم إلى موظف المصلحة المختص لتصحيح رقم القطار بالمداد الأحمر مع اعتماد التصحيح بتوقيع الموظف وبختم المحطة — أما إذا عدل المسافر كلية عن السفر فيلزم فى هذه الحالة تقديم الاشتراك إلى موظف المحطة قبل قيام القطار لالغاء هذه السفرية بالمداد الأحمر مع اعتماد هذا التصحيح بتوقيع الموظف وبختم المحطة . والمرجو من حضرات المشتركين ملاحظة أن كل تصحيح أو إلغاء لسفرية ما غير معتمد بتوقيع موظف المحطة وغير مختوم بختم المحطة لا يلتفت إليه وتعتبر السفرية كأنها تمت فعلا .

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩٥ — الإثنين ٢٧ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 ème Année No. 795 — Lundi — 27 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد «٧٩٥» القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

فى الروتين الحكومى :

إرادة الصغير إدارة الكبير

من العجائب التى قلما يعجب لها أحد أن هذه الأداة الحكومية على ضخامتها وجلالتها وخطرها ، إنما يحركها صغار الموظفين حيناً بالعقل وأحياناً بالهوى ؛ فإذا حدث فى أسافلها الخطل أو الخلل — وكثيراً ما يحدث ذلك عن جهل أو عن علم — اصّعّد آلياً فى أعاليها حتى يبلغ ذرى الرياسة فيدخل على المدير أو على الوزير ، مزوداً بالتقارير الشارحة ، مؤيداً بالتواقيع المختصة ، فلا يسعه إلا أن يصدق ما بين يديه ، فيقبل الخطأ على أنه صـواب ، ويرد الحق على أنه باطل . وتلك إحدى سيئات البيرُ شية (hiérarchie) وهي النظام الإدارى الذى يقضى بتدرج المناصب فى العمال والأعمـال والتبعات ، فيبدأ الأمر بالأصغر فالصغير ، ثم ينتهى إلى الكبير فالأكبر ؛ وكلما انتقل الأمر من درجة إلى درجة أسرع النظر فيه ، وقلت الرقابة عليه ، وخفت المسئولية عنه .

فالعهدة فى هذا النظام كما ترى على الضمير ، إذا سلم سلمت الأداة وانتظم العمل ، وإذا اعتـل اعتلت الحكومة واضطرب الحكم . أما حياطة القانون (للأوراق الرسمية) بتشديد العقاب على من عبث بها أو زوّر فيها فذلك أمر لا طائل من ورائه إذا خفى العبث أو غفت الرقابة أو اشتركت المنفعة !

تعال أقص عليك بعض ما أعلم على هذه البيرُ شية من سوء عسى أن يكون فى قصصه إنماش لضميرك إن كنت عاملا فى هـذا النظام وعبثت به ، أو تعزية لنفسك إذا كنت معمولا به وتأذيت منه :

* * *

غضب مالك الأرض فى قريتنا على شاب من شبابها الأخيار لأنه جرؤ عليه يوماً فطلب منه أن يردم بِرَكه التى تحيط بالقرية إحاطة الغُل بالعنق وأراه أن من الخير له أن يبقى فلاحيه حمى الملاريا ليظلوا قادرين على رى أراضيه بعرقهم وتغذية خزائنه بدمهم وكان لهـذا المالك الغضبان قرابة ببعض أولى الأمر فى وزارة الداخلية ، فاستعداهم عليه ، فألف الإدارى الصغير تقريراً غيابياً عن هذا الرجل رماه فيه بتهديد حياة الناس بالإجرام ، وتكدير أمن البلاد بالشغب ، ووافق المأمور المعاون ، وأيد المدير المأمور ، وصدق الوزير المدير ، وحُكم على البرئ حكما عسكرياً بالاعتقال ستة أشهر تجدد لمثل ذلك ، إذا لم يرض عنه المالك ! فلما علمت بالأمر طلبت الأذن على وزير الداخلية ، وكان يومئذ فؤاد باشا سراج الدين ، وعرضت عليه القضية ، فقال فى لغة أنيقة ولهجة رقيقة : إن هذا الرجل من الأشقياء (الخطرين) ، ولا أحب أن يشفع مثلك فى مثله . فقلت له : يا باشا ، إن الرجل من كرام قريتى ، وأنا أعرفه كما أعرف أبناء أسرتى . فقال : وماذا أصنع فى تقرير رسمى حققه المركز وأيدته المديرية واعتمدته الوزارة ؟

فانصرف حردان أسِفاً على الحق يدمغه تقرير باطل فيزهق ، وعلى العدل يصيبه تقرير جائر فيهلك . وبقى المسكين فى سجنه يقاسى ألم الجور وذل الاعتقال ، حتى سقطت الوزارة القائمة ، والغيت المسكرية الحاكمة ، فزالت عن الرجل فى التوّ صفات الإجرام ، وخرج من معتقله إلى أهله بسلام !

* * *

وفُصل من وظيفته محضر شاب كان يعمل فى محكمة (عنيبة) من مركز الدر ، لأنه غاب عن مكان عمله خمسة عشر يوماً من غير إذن . وسبب غيابه أن المرض أدركه فى آخر يوم من أيام أجازته السنوية ، وكان يقضيها مع أسرته بالمنصورة ، فطلب أجازة مرضية ، فأباها عليه مفتش صغير كانت بينه وبينه خصومة ، وقرر للرياسة أن الرجل صحيح البدن ولكنه مريض النية ، فهو يأبى العودة إلى بلاد النوبة ويتمارض ليبقى . وصدق الكبير فأمره بالعودة إلى العمل بعد انقضاء الأجل ، وكانت العلة شديدة والشقة بعيدة ، فلم يدخل عنيبة إلا ليقرأ كتاب فصله ، ويرجع بالشقاء والبؤس إلى أهله !

وقضى المسكين فى المطَل أشهراً يطعم أطفاله الأربعة وأمهم بالدين ، ويدافع الضر عنه وعنهم بالأمل ، حتى عرضت بنفسى ظلامته على صاحب المعالى إبراهيم باشا عبد الهادى وكان يومئذ يتولى وزارة العدل بالنيابة ، فاقتنع ببطلان تهمته ، وأعاده إلى وظيفته بمرتبه ودرجته ومدته .

وقضى المسكين فى العمل أشهراً يجاهد نصب العيش ويكابد وصب الداء حتى أودى به السُّلال على سرير موحش ووساد قلق . وكان فى إدارة المستخدمين بوزارة العدل عصبة من صغار الموظفين تتجر بمنح العلاوات والدرجات ، فينقضون المبرم ويبرمون المنقوض ، والكبار من غير فطنة ولا علم يحلون ما عقدوا ويعقدون ماحلوا ، فقررت هذه العصبة أن إعادة الموظف المرحوم إلى عمله بعد فصله كانت تعييناً من جديد يجُبُّ أربعة عشر عاماً قضاها فى الخدمة ! وانتظرت العصابة من ورثة الميت المساومة ؛ ولكن اليتامى الأربعة الضعاف ، والأيم الصغيرة الفقيرة ، كانوا لا يخرجون من مسكنهم النابى ، ولا يفيقون من حزنهم الطويل ، فأمضى الكبار ما قضى به الصغار ، وقدرت المكافأة بجنيهين تقطع منهما الدمغة ! !

وبلغتنى المأساة فعرضتها على صاحب المعالى أحمد مرسى بدر وزير العدل — وكان قد كشف بفطنته ويقظته سر هذه العصابة — فنظر فى هذه القضية بنفسه ، وكتب إلى (المالية) كلمة العدل فيها بيده .

* * *

وشكوت إلى (مصلحة الطرق والكبارى) بالمنصورة أن ضيعتنا جزيرة فى بحر الأمير طوسون لا يصلها بالشاطىء العام إلا طريق وعر غير سالك ، وسألتها أن تمهده ولو على حسابى . ولكن المهندس الصغير تلكأ لأسباب لا تعنى غيره ، فلجأت إلى الرياسة العليا فقررت الطريق وأمرت أن يمهد ويصان . فلما جاء الأمر بالتنفيذ ورم أنفه واستطار عناده وأقسم ليقفن دون هذا الطريق مهما يكن الأمر والآمر . وكتب تقريراً زعم فيه أن الطريق خمسة آلاف متر وهو لا يزيد على سبعين قصبة ، وأن فى بعضه عقبة كأداء وهو وحده هذه العقبة ! فلما رأت الإدارة هذا الاختلاف بين ما قررت وقرر أرسلت إلى العزبة ثلاثة من مهندسى القاهرة فوافقوا أمامى على ما قررت ، ورسموا الطريق على ماقدّرت ، ولكنهم حين خلوا إليه فى مكتبه أصبح الخفيف ثقيلا والممكن مستحيلاً والكذب صدقاً والعام خاصاً والضرورة ترفاً والمنفعة مضرة ! ومن هذا الزور الجرىء ألف الموظفون الصغار التقرير ، ورفعه كبيرهم إلى المدير ، فلم يسعه إلا أن يصدق الأوراق الرسمية ويعتمد التواقيع المختصة .

ورفعت أنا تقريرى إلى صاحب المعالى أمير الأدباء ووزير المواصلات ، فهو ينظر فيه نظر القاضى العالم ذالحاكم الحازم ، وسيستشهد بالطريق الناطق على التقرير المكتوب ، ويحتج بالواقع الصادق على التقدير المكذوب !

* * *

هذه أمثلة ثلاثة مما أعرف . ولعل أمثالها ألوف مما يعرف الناس ، سردتها عليك فى هذا الإيجاز لتصدق أن إرادة الصغير هى إدارة الكبير ، وأن مراقبة الموظفين محال إذا لم تكن للشرف والضمير !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

ما أشبه الليلة بالبارحة :

غدر يهود

للأستاذ عمر عوده الخطيب

[إن فى الغار الذى يكلل رؤوس العرب ، وإن فى العار الذى يجلل رؤوس اليهود ، لمادة ثرة للخيال المبدع ، ومداداً فياضاً لقلم الخالق]

الأستاذ الزيات

أذّن بلال للفجر ، وأرسل صوته الندى العذب بنـداء الإسلام ، وهرع المسلمون للمسجد لأداء الصلاة خلف رسول الله وعلى وجوههم سحابة حزن عميق ، وفى عيونهم ذبول هم دفين ، فلما التأم عقدهم ، جلسوا فى المسجد ينتظرون مقـدم الرسول ، وقد اشتد شوقهم لسماع حديثه الجميل الذى يُبرد غلة أفئدتهم ، ويزيل غمة نفوسهم ... ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى دخل المسجد ، وسلم على من فيه ، ثم تقـدم للصلاة واصطف حوله الأصحاب ، فركع الأولى ، ثم قام من الثانية ، ورفع يديه بالقنوت ، ودعا على قبائل (رعل وذكوان وسليم) الذين قتلوا القراء فى (بئر معونة) ونـكلوا بهم شرّ تنـكيل ... وأمّن المسلمون على دعائه ، وقد نال منهم مقتل إخوانهم كل منـال ، ونزلت عليهم بمقتلهم أفدح كارثة ، وأنـكى مصيبة ... ولم يجـد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى ما وجد على قتلى (بئر معونة) لأنه لم يرسلهم لقتـال ، وإنما أرسلهم ليبينوا شرعته ، ويبلغوا رسالته ... فلم يشهروا سلاحاً ، ولم يثيروا حرباً ...

* * *

وخرج الرسول من المسجد يسير مع صحبه فى أزقة المدينة ، وقد توسطت الشمس كبد السماء ، حتى أشرف على الصحراء . وهناك وقف (حسان بن ثابت) بينهم ينشدهم قصيدته فى رثاء قتلى (بئر معونة) ، وبينما هو يقول :

على قتـلى معونة فاستهلى   بدمع العين سحاً غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا   ولاقتهم منـاياهم بقـدر

وإذا بالقوم ينصرفون عن حسان ، ويتطلعون نحو الصحراء ويشيرون بأيديهم نحو خيال فارس بعيد يخب فى هـذه الرمال المحرقة ، ويبـدو قاصداً (المدينة) فيخفيه النقع المثار تارة ، ثم تظهره الآكام المرتفعة أخرى ، حتى أصبح قريباً منهم ، وتعلقت أبصارهم به . ولما أن دنا أبطأ فى سيره ، وشدّ لفرسه العنان ، حتى وقف إزاءهم ، فتصايح الجميع ... عمرو ... عمرو ... والتفوا حوله ، فترجل ثم تقـدم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسلم عليه ، ثم انفتل إلى الأصحاب ، فأدّى لهم التحية ...

وعرف الجميع أنه « عمرو بن أمية الضمرى » أحد القرّاء الذين بعثهم الرسول إلى القبائل لتعليم القرآن . وعقدت الدهشة ألسنة الجميع فلبثوا ينظرون إلى عمرو دون أن ينطق أحدهم بحرف وكأنهم لا يصدقون ما رأوا ، وقد أخبروا بأن القراء قتلوا عن آخرهم . وقطع عليهم حبل الصمت الطويل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسؤال عمرو عن مصير القوم وعن صدق مقالة الناس ...

* * *

قال « عمرو بن أمية الضمرى » : وذهبنا يا رسول الله إلى حيث أمرتنا ، وسرنا حيث أشرت علينا ، حتى وصلنا « بئر معونة » فبعثنا « حرام بن ملحان » إلى « عامر بن الطفيل » برسالتك فلم ينظر فى الـكتاب ، بل وثب على حرام فقتـله ... واستبطأنا حراماً ، فأقبلنا فى أثره ، فلما شعـر بنا « عامر » استصرخ علينا قبائل من بنى (سليم ورعل وذكوان) فنفروا معه ، فلما رأيناهم أخذنا سيوفهم ، وقاتلنا حتى قتل إخوانى عن آخرهم ، وبقيت وحدى ، أنتظر الموت ... وقد أخذنى القوم أسيراً ، فلما مثلت بين يدى (ابن الطفيل) قال لى : قد كان على أمى نسمة فأنت حرّ عنها ، وجز ناصيتى وأطلقنى عن رقبة زعم أنها كانت على أمه . فلما خرجت إلى المدينة صادفت بمكان يسمى (القرقرة) رجلين نزلا معى فى ظل كنت فيـه ، فقلت لهما : ومن أنتما ؟... فذكرا لى أنهما من بنى عامر ، فتركتهما حتى ناما ثم قتلتهما ثأراً لإخوانى الذين قتلوا فى (بئر معونة) . ثم عدوت بفرسى نحو المدينة . . حتى وجدتـكم هنا ... فغضب رسول الله حين سمع نبأ مقتل العامريين ، ونظر إليه ، وقد ظهر أثر الغضب

فى أسارير جبينه وقال له :

(بئس ما صنعت ! قد كان لهما منى أمان وجوار [١] سوف أدفع ديتهما ...)

* * *

رأى رسول الله أن مصاب المسلمين فى (بئر معونة) جعل المنافقين واليهود فى المدينة يتربصون بهم الدوائر ، ويعملون على الكيد لهم ، وقد ضعفت مكانتهم من نفوسهم ، وقلّت هيبتهم فى قلوبهم . . ورجعوا بذاكرتهم إلى انتصار قريش على المسلمين بأحد ... ففكر طويلاً فى أمر (يهود) وأراد امتحانهم ، لتتضح له نياتهم ، ويعلم ما تخفيه أفئدتهم ، فذكر أن اليهود حلفاء بنى عامر ، وأن خير امتحان لهم أن يسألهم معاونته فى دية العامريين اللذين قتلهما (عمرو بن أمية) خطأ ، فعزم على الذهاب إلى (العالية) حيث يقيم (بنو النضير) من اليهود على بُعد أميال من المدينة ...

ولما كان يوم السبت خرج رسول الله إلى مسجد قباء فصلى فيه ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، بينهم أبو بكر وعمر وعلى ... ثم ذهب إلى (بنى النضير) فى العالية ، فأظهروا الفرح بمقدمه ... والسرور لزورته ... ولما ذكر لهم ما جاء فيه تكلفوا الغبطة والبشر وقالوا : نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ... وجلس إزاءه بعضهم يتبسطون معه فى الحديث ، بينما انصرف سائرهم إلى ناحية أخرى يتشاورون فيما بينهم على الغدر بمحمد ، والقضاء على صحبه ، وذكروا آنئذ مقتل (كعب بن الأشرف) اليهودى ... وأرادوا أن يثأروا له ... ودخل أحدهم (عمرو بن جحاش) البيت الذى كان رسول الله يستند إلى جواره ، وتبعه ناس آخرون ، ولبثوا داخله طويلا ، يدبرون المكيدة ثم خرجوا وقد عزموا على أن يظهر (عمرو بن جحاش) على البيت الذى يستند محمد إلى جداره فيطرح عليه صخرة يقتله بها ... ورأى رسول الله أمارات الغدر فى عيونهم ، فارتاب فى أمرهم ، وخشى شرهم ، ولذلك انسحب من المجلس تاركا وراءه أصحابه يظنون أنه قام لبعض أمره ... وذهب تواً إلى المدينـة ، ولقيه فى ظاهرها بعض اليهود ، وكان قاصداً العالية ... ورآه وهو يتجه نحو المسجد .

ولما استبطأ المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم خافوا عليه ، وقاموا فى طلبه ، فلقوا الرجل القادم من المدينة وعرفوا منه أن الرسول دخلها وذهب تواً إلى المسجد ... فلحقوا به ...

* * *

صعد (عمرو بن جحاش) إلى البيت ليلقى بالصخرة على محمد وهو يظن أنه ما زال مستنداً إلى الجدار فإذا بذلك اليهودى الذى رأى الرسول فى المدينة يصل فيرى حركة قومه واهتمامهم فاقترب منهم يسألهم عن الخبر ، فأنبؤوه بما عزموا عليه ، وطلبوا إليه ألا يتكلم ... فضحك منهم وقال : الآن رأيت (محمداً) فى ظاهر المدينة ... فماذا تصنعون ؟!.. فأسقط فى أيديهم ، وحاروا فى أمرهم ولم يدروا كيف يعملون ، وأيقنوا أن محمداً سينتقم منهم ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم ، وقد رجع كيدهم إلى نحورهم وعادت سهامهم إلى صدورهم ... ودارت عليهم الدوائر ...

* * *

وصل الرسول المسجد ، ولبث ينتظر أصحابه فما عتم أن رآهم مقبلين من باب المسجد وقد تشوفت نفوسهم لمعرفة الأمر الذى حدا به إلى مغادرة المجلس فى العالية والقدوم سريعاً إلى المدينة . فلما أنبأهم الخبر ، وأفهمهم نوايا اليهود ، احمرّت منهم الأحداق وثارت منهم الحفائظ ، وغلت صدورهم كالمراجل من الغيظ ... ولما رأى الرسول ما بنفوس أصحابه من الثورة والسخط نظر إلى (محمد بن مسلمة) وقال له : (اذهب إلى يهود بنى النضير ، وقل لهم : رسول الله أرسلنى إليكم ، أن اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى بها ... لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم ... بما هممتم به من الغدر بى ... لقد أجلتكم عشراً فمن رُئى بعد ذلك ضربت عنقه ...)

* * *

وقع هذا الإنذار على اليهود موقع الصاعقة ، فتحيروا فى أمرهم ، ولم يجدوا لإنذار (محمد) دفعاً ، ومكثوا أياماً يتجهزون للرحيل حتى جاءهم رسول من عند (عبد الله بن أبىّ) ينصحهم ألا يخرجوا من المدينة ، وأن يقيموا فى حصونهم ، ويعدهم بأن يُعاونهم على قتال محمد ... فآمن بهذا قوم ، وكذّب آخرون ،

(١) كان مع العامريين عهد وعقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو .

العبقرية والحـــــرمان

للأستاذ أنور المعداوى

خطر لى أن أتعقب بعض العبقريات فى أدب العالم لأرى إلى مدى يمكن أن ينتج العباقرة فى ظلال الحرمان ... ولعل شيخاً من شيوخ الأدب هو الذى دفعنى إلى أن أقف من هذا الموضوع موقف الباحث المتأمل ، حين ذهب فى مجلس جمع بينى وبينه إلى أن الحرمان يلهب فيلهم ، وأنه أكثر إثارة لمكامن الشعور فى النفس الإنسانية مما عداه من أسباب الترف والنعيم ... ولم يستعرض الأستاذ يومئذ بعض النماذج الإنسانية فى الأدب العالمى ليدلك على مقدار ما فى هذا الرأى من صواب ، ومدى ما فيه من حقيقة ؛ ذلك لأن الحديث كان حديثاً عابراً يأخذ بطرف من هنا وطرف من هناك ، ولا يكاد يستقر على ناحية بعينها ليناقشها فى صبر وأناة .

وانفض المجلس ، وخلوت إلى نفسى أقلب الرأى على وجوهه المختلفة . لقد كانت جذوره متأصلة فى نفسى ولكنها كانت تترجح بين الشك واليقين .. أما اليقين فرجعه إلى أنى كنت أومن إيماناً عميقاً بأن الحرمان كما قال محدثى ، أكثر إثارة لمكامن الشعور فى النفس الإنسانية مما عداه من أسباب الترف والنعيم ، وكنت أرى أن الفنان الذى يعيش فى رحاب الحرمان يعيش متوثب الشعور دائماً ، تلتهب أفكاره من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان ولا كذلك الفنان المترف ، لأن الترف فى أكثر حالاته أقرب إلى الدعة والخمول ، منه إلى سبر غور أو بلوغ أعماق !

هذا ما كنت أراه ، ولكن الشك الذى كان يلوح بين ثنايا اليقين مرجعه إلى أنى حين رحت أستعرض بعض النماذج فى أدب العالم ، وجدت أن بعض هذه النماذج يهز جانباً من جوانب

ولم يكن لهم بابن أبى ثقة ... واختلط عليهم الأمر ، وضاقت بهم أسباب الحيلة ، وكادت تقع الفرقة لولا أن كبيرهم (حيى بن أخطب) وقف بينهم قائلا : (كلا ، بل أنا مرسل إلى محمد أنا لا نخرج من ديارنا وأموالنا ... فليصنع ما بدا له . وما علينا إلا أن نرم حصوننا ، وننقل الحجارة إليها ، وعندنا من الطعام ما يكفينا سنة ، وماؤنا لا ينقطع ، ولن يحصرنا محمد سنة كاملة) فأذعن القوم لمقالته ، وانصرفوا لشؤونهم .

* * *

بلغت مقالة (ابن أخطب) رسول الله ، وانقضت الأيام العشرة ، دون أن يخرجوا من ديارهم ، فاستعد المسلمون للحرب وساروا إلى فناء (بنى النضير) يشقون أجواز الفضاء بالتكبير ، وقام اليهود وراء حصونهم ، ومعهم النبل والحجارة ، فحاصرهم رسول الله وقطع نخلهم ، واعتزلهم (قريظة) وخذلهم (ابن أبى) فأيسوا من النصر بعد حصار دام خمسة عشر يوماً ، فاستسلموا وأكل اليأس قلوبهم ، وملك الرعب عليهم نفوسهم ، فأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمنهم على أموالهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة ، فصالحهم على أن يخرجوا منها ، ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاؤوا من الطعام والشراب والثياب ، وأن يتركوا الدروع والسلاح ، فرضوا بهذا ... ولما أيقنوا بالجلاء ، حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم ، فجعلوا يخربونها بأيديهم (حتى إن الرجل منهم كان يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره وينطلق) وصاروا ينقضون العمد والسقوف ، وينزعون الخشب والأوتاد ، وارتحلوا عن المدينة ، وقد تعفروا بغبار الذلة ، وتضرجوا بدم الصغار ...

ورجع رسول الله إلى المدينة ، يحمل ما تركوه من الدروع والأموال والسلاح ، وإذا بوحى الله ينزل عليه بهذه الآيات : (سبّح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم . هُو الذى أخرَج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر، ما ظننتم أن يخرُجوا ،وظنوا أنهم مانعتهم حُصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يُخربون بُيوتَهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ...)(١)

دمشق — المزة

عمر عودة الخطيب
فتى الفيحاء

(١) سورة الحشر

اليقين الذى كان متأصلا فى نفسى ... إن تولستوى فى الأدب الروسى مثلا قد وصل إلى أرفع درجات المجد الأدبى وهو يعيش عيشة الأثرياء المترفين ، وإن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى بحبوحة من العيش لا تتهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى الرفيع ، ونستطيع أن تضيف إليهما بلزاك فى الأدب الفرنسى ، فقد كان يحيا حياة مترفة أثقلت كاهله بالديون ، إلا أنه لم يستطع أن يخرج للناس أروع آثاره القصصية إلا فى تلك الساعات التى كان يقبل فيها على متع الحياة وتقبل عليه -- وقل مثل ذلك عن جيته فى الأدب الألمانى ، وعن شوقى فى الأدب المصرى !

هذه بعض نماذج لعبقريات أغدقت عليها الحياة ففجر منها الإغداق ينابيع البيان المشرق ، وعيون الحكمة الخالدة ، وأنهار الفن الرفيع .. وتعال نستعرض بعد ذلك نماذج أخرى لعبقريات لم تلق من الحياة إلا صنوفاً من الفاقة وألوان من الحرمان ، لنرى أن الأثر الذى خلفته هنا لا يقل عن الأثر الذى خلفته هناك .

ولا نعنى بالحرمان هنا ذلك الذى تعارف عليه الناس حين حصروه فى معناه الضيق ولم يتمدوا به نطاق الماديات ، كلا . وإنما نتعداه إلى شتى معانيه فى نطاق الماديات والمعنويات ... هناك حرمان يتمثل فى ذلك الأعمى الذى لم تشأ له الحياة أن يرى ضوء النهار ، وهناك حرمان يتمثل فى ذلك الأصم الذى حالت المقادير بينه وبين الإنصات لموسيقى الطبيعة ، وهناك حرمان يتمثل فى ذلك المصدور الذى ينفث دماً ولا يعرف طعم العافية إلا من أفواه الناس ، وهناك حرمان يتمثل فى ذلك المجنون الذى قدر له أن يشرف على الوجود بإحساس الفكر التائه والوعى الذاهل !

نعم ، هناك ملتن يرسل أعذب أنغامه وأرق أغانيه وهو محروم من نعمة البصر ، وهناك بيتهوفن يدفع إلى سمع الزمان بسحر موسيقاه وهو محروم من نعمة السمع ، وهناك كيتس يبعث إلى الصدور بدفء أشعاره وهو صاحب الصدر المحطم الذى لون قصائده بلون دمائه ، وهناك موباسان يخرج للدنيا من وراء العقل المفقود ومضات من العبقرية المبدعة قل أن تجد لها مثيلا عند فنان سواه ...

وكم فى رحاب الحرمان المادى من عبقريات أخرى لقيت من ضروب البؤس والشقاء ما يرفض منه الصبر وتخور معه العزائم ومع ذلك فقد كتب لآثارها كل بقاء وكل خلود ... وما أشبهها بالمعادن الكريمة يصفو جوهرها تحت وهج النار فى بوتقة الزمن !

نخرج من هذا كله بأن العبقريات معادن ... بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال ؛ فأديب مثل مكسيم جوركى كان يعانى أبشع ألوان البؤس الإنسانى فى أيام الحكم القيصرى ، ولكنه كان فى تلك الأيام الحافلة بالشقاء مثلا رائعاً للفنان الملهم .. ولقد بلغ من الفاقة حداً جعل الكاتب الإنجليزى ويلز يترك له كثيراً من ملابسه يوم كان يزور روسيا ليلقاه ويتحدث إليه ؛ لقد ترك ملابسه للفنان الذى أعجب به كما لم يعجب بأحد سواه !

ولما قامت البلشفية على أنقاض الحكم القيصرى خمدت الجذوة المتوهجة بلهيب الفن ، لأن صاحبها قد انتقل من الجحيم إلى النعيم . ويقرر بعض النقاد المعاصرين وعلى رأسهم هربرت ريد أن كتابات مكسيم جوركى فى أيام بؤسه وشقائه ، لا يمكن أن ترقى إليها كتاباته فى أيام الترف وإقبال الحياة ... !

وهكذا كان حافظ إبراهيم فى الأدب المصرى ... كان شعره يتدفق من أعماق الحرمان قوياً ، صادقاً ، معبراً ، نابضاً بالحياة ؛ فلما دفع به إلى دار الكتب وذاق جيبه طعم الذهب ، واستمرأت نفسه حياة النعيم ، نضب فيه معين الشعر وجف نبع الشعور .. ولما حاول بعض عشاق فنه أن ينطقوه كان قد أصفى !

إن العبقريات كما قلت معادن ... بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال ؛ وتلك أمور نقررها على هدى الدليل وفى ضوء المثال .

أنور المعداوى

في زمة الله :

زعيم الباكســــتان

للشــــيخ محمد رجب البيومى

كانت وفاة القائد الأعظم محمد على جنه مصيبة فادحة سالت لها الدموع ، وقد تلقيت نبأها الفاجع فى حيرة بالغة ، ودهشة محزنة ، وأخذت أتساءل عن مصير دولته الفتية بعد أن فقدت بطلهـا العظيم ، وربانها الحاذق ، كما استعرضت — فى كآبة قاسية — صوراً من الآمال المشرقة التى يتلمس العالم الإسلامى تحقيقها على يد الباكستان ، مذ أصبحت دولة مستقلة تسعى إلى تحقيق الوحدة الإسلامية ، وتشعر بمـا يشعر به أبناء العقيدة المحمدية فى جميع الآفاق .

ولقد أتيح لى أن أشاهد الفقيد الكبير أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة ، فراقنى منه هدوءه المطمئن ، ووقفت على صورة كاملة من مزاياه الطيبة التى تنطق بها ملامحه وإشاراته ، كما تتبعت فى كثير من الاهتمام نشاطه السياسى ، وقرأت عن كفاحه واستبساله ما زادنى اجلالا له فى حياته ، وألهب قلبى حزناً عليه غب وفاته .

ولا يقــدّر مصيبة الإسلام فى زعيم الباكستان غير منْ ألم بتاريخه إلماماً دقيقاً ، فقد وهب رحمه الله نفسه للدفاع عن حقوق طائفته المبعثرة المتناثرة ، فجعل منها قوة متشابكة متساندة تصل إلى أهدافها فى جرأة ، وتفصح عن رأيها فى قوة وإيمان ، وكانت — منذ أمد بعيد — هدفاً تتعاوره السهام الخاتلة من كل جانب ، وطعمة تتزاحم عليها الأفواه الجشمة من كل صوب .

وتاريخ جنه يرتبط أشــد الارتباط بتاريخ الأمة الإسلامية فى الهند ، فإذا كتب كاتب عن الزعيم الراحل فإنما يتحدث عن مائة مليون من المسلمين كانوا أباديد فى مختلف الجهات فوهبهم الله قائداً قوياً يجمع الشمل ويـلم الشعث حتى توحدت الـكلمة على يده ، ودنت الغاية المأمولة بجهوده . وسنعرض بإيجاز للحركة الإسلامية فى الهنــد وأثر جنه فى نجاحها الباهر ، وحسبه أن كان التعريف به مقروناً بسيرة أمتــه ، فكفاحها كفاحه ، وتاريخها تاريخه .

كان حزب المؤتمر الوطنى فى الهند ينظر إلى المسلمين بعين الازدراء والمقت فهم أقلية لايحسب لها حساب فى الأمة الهندية ، ولئن اصطبغ الحزب بالصبغة السياسية فقد كان أعضاؤه المتعصبون لا يتناسون ما يدب فى صدورهم من البغض للمسلمين ، فهضموا حقوقهم الأكيدة ، وأشاعوا عنهم المفتريات الآفكة ، فكانت الفتن الأهلية تندلع فى كل وقت مستمدة وقودها المتأجج من الأقلية المهضومة ، والحاكم الانجليزى لا يتوانى عن إشعال الضرام ما استطاع ، ليقيم دعائمه الاستعمارية على الخلاف الدينى والنزاع الطائفى ، ولم يجد المسلمون بداً من تأسيس رابطة جامعة تفند مفتريات الهندوكيين ، وتقوم بما تراه من الإرشاد والتوجيه

كانت الطائفة الإسلامية تضم نخبــة ممتازة من الأحرار الأمناء ، وكان الفقيدُ العظيم يبذل لها ما يملك من فكر ثاقب ، وقلب جرىء . ولا غرو فقد تثقف ثقافة عالية ، ونال شهادة الحقوق من انــكلترا ، ثم تقـلد مناصب قضائية أبرزت جانباً كبيراً من مواهبه وكفايته ، واشتغل بالمحاماة فطارت شهرته وذاع صيته . هذا إلى جانب خدماته السياسية المجيدة ، تلك التى جملته — فيما بعد — قائد أمة ، وزعيم دولة ، ورجل تاريخ ، وصاحب خلود .

كانت نفس جنه غنية بكثير من التسامح والود فلم يشأ أن يقطع صلته بحزب المؤتمر بعد تكوين الرابطة الإسلامية ، ولكنه ظل منتمياً إليه ليقوم بدور السفير فى تسوية ما يجد من تعارض الآراء ، واختلاف وجهات النظر . ولعله كان يطمع بتسامحه أن يكون مثلا ملموساً لأعضاء المؤتمر ، كيلا يفرطوا كثيراً فى المغالاة والتعصب ، ولقــد وفق بادىء الأمر فى سفارته توفيقاً محموداً ، حيث عقد اتفاق «لــكنو» سنة ١٩١٦ وبمقتضاه قدمت من الحزبين مذكرة مشتركة إلى الحــكومة البريطانية تطلب منح الهنود قسطاً من الحــكم الذاتى .

ولقــد ضاق الزعيم ذرعاً بتعصب الهندوكيين ، ويئس من اقناعهم بالعدول عن التعسف الشنيع فاستقال من حزب المؤتمر وهيأ نفسه للعمل فى طريق شاق تكتنفه المخاوف والمكاره ،

حيث كانت الطائفة الإسلامية تتلقى ضربات مختلفة من عدة جهات : فالمؤتمر – بأعضائه المتغطرسين – يؤلب عليها النفوس ، وحزب « مهاسبها » الذى ألف لمحاربة الرابطة الإسلامية يزاول مهامه الإجرامية فى بربرية وحشية ، فكانت المذابح الهائلة تسيل بالدماء على أيدى جنوده المتوحشين ، وقد أعلن فى غير مبالاة أن المسلمين ليسوا من الهند ، فهم دخلاء يجب أن يرحلوا إلى البلاد العربية التى تعترف بدينهم الإسلامى . ولا نبالغ إذا قلنا إن الأرواح التى أزهقت فى الهند كانت من جزاء هذا الحزب البربرى الهائج ، ولولا ثبات الرابطة الإسلامية وصمودها العجيب أمام أعدائها المتوحشين ، لتقلص ظل الإسلام فى هذه البلاد . ولعل من الأدلة القاطعة على بربرية حزب « مهاسبها » أن قاتل غاندى – وهو شاب مثقف راق – كان منتمياً إليه ، فلم يرقه تسامح المهاتما وموافقته على تقسيم الهند إلى دولتين ، فألف مع بعض أعوانه عصابة لاغتيال زعماء المؤتمر ، واحداً بعد واحد . فإذا كان هذا شعورهم المجرم نحو إخوانهم الهندوكيين ، فمن يحصى النكبات الفادحة التى جرها هؤلاء على المسلمين !

ولقد انتهز حزب المؤتمر نجاحه فى الانتخابات التى تلت دستور سنة ١٩٣٥ فأعلن أنه يمثل الأمة أتم تمثيل وتغاضى عن مائة مليون من المسلمين أقبح تغاض ، وراح يروج لنفسه بدعاية براقة خادعة ، مدعياً أن الزمام السياسى قد أصبح فى يده وحده ، ولكن الزعيم الأعظم محمد على جنه وقف فى وجهه باسم الرابطة الإسلامية ، وطاف على قدميه فى أنحاء المدن الإسلامية بالهند ، فنبه العيون وأسمع الآذان ، ودعا إلى توحيد الكلمة بين المسلمين ورسم أمامهم ما يتهددهم من المخاطر ، وخاصة أن الحكومة الجديدة قد رفضت رفضاً باتاً أن يشترك فيها عضو واحد من المسلمين او كثرت الفتن الداخلية كثرة أشعلت الأفئدة وألهبت النفوس ، فعرف المسلمون تمام المعرفة ما يدبر لهم من الكيد والبلاء ، بينما أخذ أعداء جنه يتهمونه بمساعدة الإنجليز ، كما أسرفوا فى التشهير بزعماء المسلمين إسرافاً لا حد له . ولم تمض مدة يسيرة حتى كان القائد الأعظم قد وفق فى مهمته أكبر توفيق ، فوافق حزب الرابطة سنة ١٩٤٠ على اقتراحه بصدد مشروع الباكستان ، وأخذ يعمل على الوصول إليه من كافة الطرق ، وقد تحسن موقف الرابطة كثيراً حين جاءت الانتخابات الجديدة سنة ١٩٤٦ ففاز المسلمون بجميع المقاعد المخصصة لهم فى المجلس التشريعى ، وأسقط فى يد المؤتمر الهندوكى حيث بان للعالم أجمع أنه ليس وحده الذى يمثل الهند ، وأصبح مركز الرابطة يسمح لها أن تستقل بالبلاد الإسلامية مما ترتب عليه شطر الهند إلى دولتين مستقلتين ، فارتفع العلم الإسلامى فى مملكة وليدة وتحقق أمل بعيد كان يظنه الجميع سراباً يلوح فى الصحراء .

لقد كان محمد على جنه زعيما من طراز فريد ، لأن جميع الزعماء ينشأون فى أمم مهيأة معروفة فيوجهونها إلى الطريق السوى ، ولكن القائد الأعظم قد أوجد أمة من العدم ، ومهر على نموها السريع فترعرعت فى حقبة وجيزة ، ولاقت من الأعاصير السياسية ما كاد يزعزعها عن مستقرها لولا حكمة القائد ونظره البعيد

أما أخلاق الزعيم الباكستانى فقد كانت موضع الاجلال من أعدائه ومعارضيه إذ كان يعمل فى وضح النهار ، ولم تسمح له مروءته ودينه أن يحيك الدسائس فى الظلام لمناوئيه ، وقد رزق من المحاماة مالا طائلا ، فلم يضن به فى سبيل غايته السياسية ، كما كان يعتنى اعتناء تاماً بمظهره ، فصارت أناقته مضرب المثل ، واقتدى به المترفون فى انجلترا والهند ، ثقة بذوقه الأنيق . ولقد كان شديد الثقة بنفسه فذهب إلى انجلترا واحترف المحاماة فيها أربع سنوات كاملة بين أساطين القانون وأعلام التشريع ، فكانت قضاياه العديدة تكلل بالنجاح .

أى زعيم الباكستان ! ! لقد أديت رسالتك فى الحياة خير أداء ، وقطفت بيدك الثمرة المشتهاة ، فنم قرير العين بما قدمت لنفسك من أجر عند الله ، وخلود فى صحائف التاريخ .

سلام وريحان وروح ورحمة   عليك وممدود من الظل سجسج

(الكفر الجديد)   محمد رجب البيومي

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

- ٣ -

قلت في مقالي السابق إن التدين ظاهرة واضحة كل الوضوح في الشعب السوداني ، وأن الشعراء قد استجابوا لهذه البيئة المتدينة فكانت صورتها فيما نظموا من شعر .

ولكن لا يمكن أن تخلو جماعة من الجماعات البشرية من الطيب والخبيث ، والغث والسمين ، وفي الشعب السوداني كما في كل شعب نقائص ومثالب دينية واجتماعية ، فهل استجاب الشعراء أيضاً لهذا المظهر ؟ وهل صوروا العيوب التي تقع عليها أعينهم كما صوروا المحاسن ؟

نستطيع أن نلتمس الجواب فيما كتبه الشاعر حمزة الملك في مقدمة ديوانه « الطبيعة » قال : « إننا نجهل أنفسنا فلا أستبعد ألا يرضى بعضنا عن بعض أوصاف صادقة لبعض الأفراد والجماعات وفي هذا كل الخطر .

نحن مرضى ، ولا خطر علينا من تشخيص الداء ، ووصف للحصول على الشفاء ، إنما الخطر كل الخطر في المكابرة والادعاء والزعم بأننا أصحاء أشداء . وإنه لمن أجدى الأمور لنا أن نعرف أنفسنا كما هي فنصلح ما فيها من عيوب ، وهي وأن كانت عيوباً تمت إلى أسباب بعضها طبيعي ، وبعض طارئ استوجبه اضطراب أحوال البلد في السنين الماضية ، فإنها كالأمراض التي لا يستعصى علاجها .

ومع ذلك فإنني لا أنسى أن أذكر لهذه المناسبة أننا من أكثر الشعوب تهيؤاً للاصلاح بعد الهنود » .

فهو — إذن — يرى عيوباً ، وهو يعتقد أن من الصالح له ولقومه أن ينبه على هذه العيوب ، وأن يصورها ، ويدعو قومه إلى مجافاتها ؛ وهو يشعرنا في كلمته بأنه يعتذر عن هذا الذي أقدم عليه من ذكر هذه النقائص ، فلا شك أنه كان يشعر بحكم الوسط الذي يعيش فيه — بأنه من غير اللائق أن يتحدث الشاعر عن رذائل قومه ، ولكنه يرى الشعر رسول الإصلاح ، ويرى الشاعر طبيباً اجتماعياً من واجبه أن يقف من المجتمع — ولا سيما المجتمع المتدين — موقف الناصح الأمين . غير أننا لا نجد الشاعر نفسه عالج بشعره شيئاً مما تراه عيناه ، ونجد من الشعراء الآخرين إجفالا عن الخوض في مثل هذا الحديث . نعم نرى من الشعراء من يصيح بقومه أن الدين قد وهى سلكه ، وانتثر عقده ، وضعف سلطانه على النفوس ، كأن يقول الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن صاحب ديوان (الفجر الصادق) :

بعدنا عن الدين الحنيف وهديه ... فيا ويلنا إن دام هذا التباعد

أو يقول :

من أين يرجى للبلاد تقدم ... والدين لم ترفع له أعلام

أو يقول :

خذوا بيد الفضيلة وانشروها ... فإن من المعرة أن تهونا

وهنا قد يبدو سؤال لا بد منه ، فإننا ذكرنا في مقالنا السابق أن من أظهر صفات السودانيين التدين ، فكيف يتفق هذا مع ما يردده شعراؤهم في الحين بعد الحين من الشكوى المريرة والرثاء للفضيلة والبكاء على الدين ؟

وليس من الصعب الجواب عن مثل هذا التساؤل ، فإننا إذا قسنا حياة الناس اليوم بما كان عليه الشعب السوداني منذ خمسين سنة لوجدنا البون شاسعا ، والفرق بعيداً ؛ فقد كانت أجواء السودان ممطرة بأنفاس الزهاد والصالحين ، وكانت لهم السطوة الروحية ، والهيبة الدينية ؛ أما الآن فإذا وجدنا فإنما نجد أفراداً يعدون على الأصابع ، فإذا أضفنا إلى هذا أن بعض وسائل المدنية قد دخلت السودان ، وأن المحافظين غير راضين عن هذه الوسائل ، فالسينما والقهوة ، وتعليم البنت ، والألعاب الرياضية الكثيرة ، كل هذه مما يرى فيه المتدينون المحافظون إبعاداً عن الدين ، مع الفوارق — بطبيعة الحال — بين هذه المبعدات .

يبدو أن تعليم الفتاة في السودان كان يلقى جدلا طويلا عريضاً ، وأن كثرة كاثرة كانت ترى فيه هدما للدين ، فجملت تحاربه ، وتبدى مخاوفها من السفور المنتظر ، وأن قوماً كانوا يؤيدون فكرة تعليم الفتاة . وأنا وإن لم أجد صورة واضحة في

الشعر لهذا الجدل ألا إنى قرأت هـذه الأبيات للشاعر الشيخ حسيب على حسيب فى قصيدة عنوانها (دعوها) يقول فيهـا :

دعو فى خدرها ذات الدلال ... فقد أرهقتموها بالجـدال
تذوب وقد تناظرتم حيـاء ... بفحش اللفظ أو هجر المقال
ويعلو خـدها خفر ينادى ... ألا ما للنساء من الرجال
أحيـا فى مناجاة الغوانى ... ترى أم ذاك زهـد فى المعالى
عجبت لحلمهم فى كل خطب ... وإن ذكر البنات دعوا نزال

وتأخذ الموالد صورتها المعروفة فى كل قطر من الأقطار الإسلامية ، ويعيا الوعاظ والمصلحون برد القائمين بها عن هذه المخازى التى تكون فيها ، فلا نعدم الشاعر السودانى الذى يدلى بدلوه فى هذا المضمار ، فهذا الشاعر محمد القرشى يقول :

أرى بدعا تشيب لها النواصى ... إذا ما جاء ميلاد الرسـول

ويتحدث عن مظاهر الاحتفال بهذا المولد من رايات وطبول وأنوار كثيرة ، ثم يتحدث عن ساحات اللهو ويعفى فيذكر (ربات القلائد والحجول) ثم يقول :

تجر ذيولهـــا متبرجات ... لتفتنك بالتبرج والذيول
بمجتمع النهار مقـــامرات ... مع الشبان فى الجمع الوبيل
مسارح للظباء خرجن فيها ... مراسح للخلاعة والخمـول

ثم يستطرد فى وصف تمسك عنه حتى يقول :

مصائب فى بنى الإسلام حلت ... وفاجعـة تجل عن المثيل

وحديث الشعراء السودانيين عن النفاق مستفيض ، والنفاق — فى ظنى — أبعد الصفات عن الخلق السودانى الذى طبع على الصراحة والشجاعة ، ولـكن هكذا يقول الشعراء .

وأ كثر ما أشكو النفاق فإننا ... لبسناه من دون النفوس ثياباً
تأصل واستشرى وأمعن مفسداً ... ورد البيوت العامرات خراباً
وأنشب فى روح الشباب مخالبا ... وأعمل فى روح الشبيبة نابا

ويقول الشاعر حمزة الملك :

أمـة فى غيهـــا غارقة ... بعد أن جرعها الله الشقاء
قسمت أعمالها بين هوى ... ونفاق وخمـــول وادعاء
تلك أدواء دهت أخطارها ... أمم الشرق سـواء بسواء
ضـاع شرع الله فيما بينهم ... مثلمـا ضـاع وفاء وإخاء

أما أنا فأزعم أن هـذا الشاعر كان ثائراً حين نظم قصيدته (الدويم) فطاش من يده القلم فقال ما قال مما يعف كاتب عن ذكره :

ويحدثنا الشاعر الـكبير الشيخ محمد سعيد العباسى [1] عن بعض العيوب التى يراها :

وكائن رأينا من أخ قل خيره ... بطىء عن الحلى كأن به سقما
ضعيف كليل الفهم أكبر همه ... وأ كثره ألا يجوع ولا يظما
وإن خف قوم للمعالى رأيتـه ... يجوس خلال الدور للشـادن الألمى

وقد عابنى من لا يقوم بمشهدى ... وليس له مثلى الفداة حمى يحمى
وجاء بأمـــوال التمـاويذ والرقى ... وأشياء أخرى لا أرى ذكرها حزماً

ونكتفى بهذا القدر فى هذه الفرض ، وموعدنا بالحديث عن الشعر الاجتماعى ، والشعر الغزلى ، والشعر الفكاهى ، وبالحديث عن شعر المدرسة الحديثة ، أحاديث تالية إن شاء الله .

(للحديث بقايا) **على العمارى**

---

(١) من كبار الشعراء السودانيين ، ومن أحسنهم ديباجة ، وأعمقهم معنى ، وأجملهم أسلوباً ، وهو — كما قال — صاحب شعراء السودان — يعد فى الطبقة الأولى من شعراء السودان حسن السبك ، متين الأسلوب ، وهو سليل بيت مجد وشرف ، ولا شك أن مصر تعرفه حد المعرفة ، كما أنه يعرفها معرفة العاشق الوفى ، ومن شعره الرقيق :
مصر وأيام الشـبا ب الغض ، من لى بهما !

دراسات تحليلية :

جـــلال الدين الرومي

للأستاذ عبـــد الموجود عبد الحافظ

في بيت العلم والدين ، وبين مظاهر الورع والتقوى ، ولد أعظم الشعراء الصوفيين ، جلال الدين الرومى بن بهاء الدين سنة ٦٠٤ بعد الهجرة النبوية في بلخ من بلاد الفرس . وكان أبوه من أكابر علماء الدين في بلاط خوارزم شاه حاكم المدينة ، ودرج الصبي في حجر والديه يشهد حلقات الدرس ويرى مظاهر الإجلال والإكبار تحف بوالده ، فنشأ مشغوفاً بالعلوم وخاصة ما كان منها متصلا بذات الله تعالى .

ورأى الحاكم ما عليه من مظاهر الورع والتقى وانصياع الناس له وإطاعتهم لأمره ، فداخله منه حسد وحقد وأضمر له السوء ، وبلغ ذلك بهاء الدين ، فعزم على الرحيل . وفي جوف الليل وقد آوى الناس إلى مضاجعهم يطلبون الراحة من عناء العمل ، ويبتغون الهدوء من نصب النهار ، خرج بهاء الدين بأسرته خائفاً يترقب . ورأى أن أول شيء يفعله ، أن يحج بيت الله الحرام ويزور القبر الشريف يستمد العون من صاحب البيت وساكن القبر ، وبينما الركب في الطريق التقى بالشاعر فريد الدين العطار ، فلما رأى جلال الدين توسم فيه خيراً ، ولمح في عينيه بريق الذكاء ، فدعا له بالبركة وأهدى إليه نسخة من كتابه (أسرار نامه) .

وفي البيت العتيق مكثت الأسرة ما شاء لها الله أن تمكث ، ثم خرجت تطوف بأرض الله ، حتى ألقت عصا التسيار في قونية ببلاد الأناضول وكانت تسمى إذ ذاك بلاد الروم ، وهذا سبب تسميته الرومى . وفي المقر الجديد جلس والده يعلم الناس كما كان في بلخ .

وكان لمقام الصبي في مكة ولمن لقى هناك من رجال الدين وهيامهم بحب الله أثر كبير في نفسه ، فظهرت عليه علامات الورع ولما يزل صبياً لم يبلغ مبلغ الفتيان .

وفي قونية سمع بالشيخ برهان الدين الترمزى ، فذهب إليه وتلقى عليه مبادىء التصوف وبدأت نفسه تتفتح إلى الآفاق العليا ، تفتح الزهرة تخللتها أشعة الشمس ، فقد صادف علم التصوف وكلام المتصوفين هوى من نفسه فانكب على دراسته . ولما قبض والده ، رحل إلى حلب ودمشق وغيرها من بلدان الشرق ، ليتزود من العلم ما تتوق إليه نفسه ويهواه قلبه ، وطاف بهذه البلاد يزور علماءها ويسمع من نساكها ، ثم عاد إلى قونية مرة أخرى ، ليجلس مجلس والده في حلقات العلم .

وسمع شمس تبريز الصوفى المعروف ، أن في قونية صوفياً مبتدئاً يتألق بالحب الإلهى ، فوصل إليه ليدله على الطريق الصحيح ويمهد له سبيل الوصول . واتصـــل بجلال الدين ، فاتخذه جلال الدين مرشده الروحى ، وما زال شمس تبريز ينفخ في هذه الجمرات المتقدة من الحب ويزكى ضرامها حتى جعلها شعلة نيرة ، ولازم كل منهما الآخر وقتاً طويلا ، وشغل جلال الدين بمرشده ، فنقم تلاميذه على شمس تبريز لأنه حرمهم أستاذهم فأجبروه على قونية ليخلو لهم جلال الدين ، ولكن هيهات فقد استأثر به شمس تبريز وقت وجوده وسحرته تعاليمه بعد فراقه ، فلزم داره وخلا إلى نفسه يبحث عن طريق الوصول إلى الذات العلية .

***

وشرح جلال الدين مذهبه الصوفى وأوضحه فيما ألف من شعر غنائى بالغ في الرقة والعذوبة . ويتميز شعره بسمو الفكرة وجمال الأسلوب وإشراق الديباجة ووضوح الخيال مما أكسبه روعة وجمالا .

وجمع ما نظمه في دواوين سمى أحدهما (ديوان شمس تبريز) لأن معظمه كان مما أوحى به إليه مرشده الروحى فسماه باسمه ؛ والآخر (المثنوى) وهو قصيدة واحدة كبيرة ، قيل إن نظمها استغرق أكثر من أربعين سنة ، وأنها جمعت في ستة كتب ، وفي هذه القصيدة صور مبتكرة متعددة تجمع بين رشاقة الأسلوب ودقة الصنعة .

***

وحب الروح ، والعمل على الاتحاد بذات الله تعالى ، والتخلص من شوائب النفس وأدرانها هو بيت القصيد في تعاليمه . فالحب يخلص أصحابه من الغرور والصلف ، ويرى فيه الدواء الناجع

والطبيب المداوى لأمراض النفس وعلاتها ، والإيمان الخالص مصدره الحب ، لأن المحب إذا اتحدت روحه بمحبوبه أغفل نفسه وأهمل شأنها وشغل بمن أحب ، ولا يضيره أن يتحمل المكاره ويستعذب الآلام ويصبر على الإحن لإرضاء محبوبه ، ولا يزال هذا حاله من السعى والجهاد حتى تفنى نفسه فى محبوبه ويصبح جزءا منه .

فإذا وصل إلى درجة الفناء فقد وصل إلى الكمال ، وبذلك يبعث بعثاً روحياً جديداً فيحيا الحياة الخالدة ، ويصير جزءاً من المحبوب فيبقى إلى الأبد . وفى ذلك يقول « فاختر حب الذى يبقى أبداً والذى يسقيك من الخمر التى تنمى الحياة وتهب الخلود » .

بالحب تتبدل الأشياء ، فيصير الظلام نوراً والألم لذة ، ويتحول الحديد ذهباً ، ويتغير طعم المر فيصبح حلواً . وبالحب يحيا الإنسان حياة سماوية وهو لا يزال فوق سطح الأرض فيقول : « العاشق المخلص هو الذى يقول له الله : (أنا لك وانت لى) » .

فالعشق الإلهى هو التسامى عن كل أعراض الحياة ، والطيران إلى الآفاق العليا ، وتمزيق الحجب التى تحول بين العاشق والمعشوق وتحطيم ما يقف سداً بين الإنسان ومن أحب . والعشاق المخلصون فى حبهم كالظلال إذا أشرقت عليهم شمس المعرفة تلاشت ظلالهم واختفت ، لأنها لا تقوى على البقاء فى النور القوى الذى هو النور الإلهى وفى ذلك يقول : « يا حياة العشاق فى الموت ، ولن تجد قلباً إلا بعد أن يحطم قلبك » .

والغرض من الحب والتضحية بالحياة الفردية وإفناء النفس ، هو نشدان حياة أسمى وأرفع ، ومن أراد إدراك الحقيقة فعليه أن ينكر ذاته ويعتبر نفسه غير موجود . وهو يقول : « أولا ، تنزع النفس من النفس ، ثم تفصل قدم عن قدم ، وأن تعتبر هذه الدنيا غير مرئية ، ولا ترى منظر نفسك » .

أما الحياة الدنيا وزخرفها ومتاعها ، والنفس ومشاغلها ولهوها ، فهى حجب كثيفة تحجب المحب عن بلوغ مأموله ؛ فعليه أن يجتاز هذه الموانع ليصل إلى النشوة الروحية حيث ينسى نفسه ويرتفع إلى جلال الحقيقة الخالدة فى بهائها وروعتها . فإذا وصل المحب إلى هدفه المنشود واتحد بالذات الإلهية فقد حصل على الخلود وانفلق له صبح السعادة وشع نور رب الأرباب فى روحه وملأ جوانب نفسه . وفى ذلك يقول « ذلك الذى حصل على مقام ومكان فى ملكوت السموات ونورها ، لا يزال يغرق فى النور دائماً » .

والحب الذى يصل إلى هذا النوع من التوله بحب الله والهيام بجلاله يكون قد حصل على الحياة المتحدة ، والإنسان إذا بلغ هذه المنزلة صار عارفاً بالله ، ولم تمد به حاجة إلى الوساطات والشفاعات . لذلك يرى جلال الدين أن الأنبياء المرسلين لا يحتاج إليهم إلا الأشخاص المادیون ، وأما من اتحد بالواحد وأصبح يسمع الصوت الباطنى فقد استغنى عن الكلمات الخارجية لأنه صار من أولياء الله الذين أسكرهم حبه فثملوا بخمره وغرقوا فى جلال عظمته ، واتحدوا مع البحر اللانهائى للذات الربانية فيقول جلال الدين فى ذلك « لقد طردت الإثنين من نفسى ورأيت العالمين عالماً واحداً ، وبحثت عن الواحد وعرفت الواحد ورأيت الواحد ودعوت الواحد . هو الأول ، هو الآخر ، هو الظاهر ، هو الباطن . ولست أعرف آخر سوى (يا هو) أو (يا من هو) » .

***

ويتصور جلال الدين الذات الإلهية داخلة فى جوهر الكون حالة فى مخلوقاته ، وأن المتأمل يرى ذات الله فى كل الأشياء لأن الكون ما هو إلا مرآة تظهر فيها آثار صفاته وبديع حكمته تعالى فيقول « رأيت الأبد مرآة عامة لك ، وفى عينيك رأيت صورة نفسى » .

والله تعالى جلت قدرته محيط بالكون مطلع على أسرار خلقه يعلم السر والنجوى وإن كانت لا تدركه الأبصار ، ففى نعمه الكثيرة وعطاياه المتعددة أكبر دليل على عظمته وسلطانه القاهر وحكمته السامية ، فيقول جلال الدين فى إحدى قصائده :

يا خفياً قد ملأت الخافقين ، قد علوت فوق نور المشرقين ،
أنت سر كاشف أسرارنا ، أنت فجر مفجر أنهارنا ،
ياخفى الذات محسوس العطا ، أنت كالماء ونحن كالرحى ،
أنت كالريح ونحن كالغبار تختفى الريح وغبراها جهار

ويعتقد أن الروح كانت فى البدء إلهية متحدة مع الحقيقة العظمى ، ولكن القدرة الربانية انفصلت عن الإنسان لتظهر ، وبتجلى الوجود فى المعدوم والباقى فى الفانى ، فبضدها تتميز الأشياء . فالمداد لا يظهر إلا فى الصحيفة البيضاء ، والنور لا يتجلى

إلا فى الظلام . فيقول جلال الدين : « كنا جوهراً واحداً مثل الشمس ، كنا بلا عيب وكنا فى صفاء الماء » .

والروح مرآة صافية تعكس نفس صاحبها ، واحتكاكها بما هو مادى وانغماسها فى حب الحياة ولهوها قد عكر صفاءها وشاب رونقها . والنفس أمارة بالسوء ميالة للهوى والمعاصى ، فعلى من أراد أن يحظى بالمنزلة عند الله وينال رضاه ، أن يتقرب إليه . ولن يبلغ هواه من التقرب إلا إذا كان نظيف الثوب طاهر الذيل خالياً من الأقذار ، فليغسل ثوبه من المعاصى ويجل روحه من صدأ الهوى ، وليتجمل بالصبر وتأديب النفس ومواصلة جهادها حتى تصفو المرآة فتعكس الصورة واضحة جلية ، فإن لم يفعل ذلك فهو الشقى البعيد . « إذا أنت أنفت من كل مسحة فأنى لك أن تصير مرآة مصقولة ؟ »

وكان جلال الدين كثيراً ما يذكر فى هذا المجال ما وقع بين الصينيين واليونانيين ليبين كيف أن الروح إذا صفت أظهرت الشىء فى أجمل صوره وأحسن أشكاله .

فيحكى « أن جماعة من الصينيين واليونانيين تخاصما أيهما أجود فناً ؛ ولجآ فى الخصومة ، ثم تحاكما إلى السلطان فحكم بينهما ، بأن أعطى كل فريق حجرة ليظهر فيها براعة فنه ، وجعل باب كل منهما مواجها للآخر وقدم لهما مايحتاجان إليه من ألوان وأدوات فأخذ الصينيون منها عدداً عظيما ، وأما اليونانيون فعمدوا إلى حجرتهم فصقلوا جدرانها وأزالوا ما بها من صدأ . وأخيراً ذهب السلطان إلى حجرة الصينيين فبهره بديع فنهم ، ثم ذهب إلى اليونانيين فإذا بصورة مما نقشه الصينيون قد انعكست على الجدار فازداد منظرها رونقاً وجمالا فشهد لهم بعظيم فنهم »

فاليونان بعملهم هذا يمثلون العارفين الذين طهروا قلوبهم وصقلوا نفوسهم فوصلوا إلى عين اليقين ، فليس الأمر أمر زخارف وألوان وصور وأشكال ، بل أمر صفاء وتطهير .

والذين يطهرون قلوبهم ويهذبون نفوسهم ويتخلصون من الأكدار ينجون من مجرد العطر واللون ، فيرون الجمال فى كل شىء وكل لحظة . وفى ذلك يقول : « إن روح الإنسان كالهواء المختلط بالتراب يحجب نور السماء فلا تستطيع العين أن ترى الشمس ، وحين يصفو الجو وينقشع التراب يصبح صافياً طاهراً .

ومن أغواه الشيطان وأضله الهوى ، ثم أراد العودة إلى ملكوت الله وتاب من ذنوبه ، فالطريق أمامه واضح جلى جلاء الصبح ، فعليه بتأديب نفسه وزجرها عن المعاصى وإماتتها فى نشدان المثوبة والغفران فالله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، وفى ذلك يقول جلال الدين :

« ما معنى تعظيم الله ؟ اعتبار المرء نفسه حقارة خاوية » .

« ما معنى توحيد الله ؟ حرق المرء نفسه بين يدى الواحد ذى الجلال » .

فإحياء الروح وخلودها لا يتأتى إلا بإماتة النفس وإفنائها فى ذات الله فيقول « إذا لم يسقط الزهر لايبدو الثمر ، وإذا لم يفن الجسم لا تسمو الروح ، وإذا لم يكسر الخبز لا يمدنا بالقوة والحياة ، وإذا لم تعصر الأعناب لا تعطينا خمراً » .

وطريق التوبة طويل الدروب وعر المسالك كثير الأشواك ، فإذا لم يكن الساعى إلى الوصل ذا صبر وجلد ، سقط فى الطريق صريعاً قبل أن يبلغ الهدف ويحظى بنعمة الوصل . فيقول جلال الدين فى الحث على مواصلة الجهاد ، والاستمرار فى السعى إلى كعبة الوصل : « فى كل صباح يأتيك صوت من السماء ينادى ، إذا أنت نفضت غبار الطريق ، فستنطلق إلى هدفك المقصود » ويقول : « فى الطريق إلى كعبة الوصل انظر تجد فى كل أيكة من الشوك ألوفاً من قتلى الشوق ضحوا بحياتهم ببسالة » ويقول : « ألوف سقطوا صرعى على هذا الطريق دون أن يصل إليهم نسيم من عطر الوصل كدليل من جوار الصديق » .

هؤلاء هم الذين أضجرهم طول الطريق ، ولم يصبروا على مكارهها فذهبت حياتهم قبل أن يبلغوا الهدف الأسمى من كعبة الوصل ونعمة القربى من ملكوت ذى الجلال .

***

فجلال الدين الرومى صوفى حلولى ، وفوق ذلك هو من أعظم الفنانين بإشراق ديباجته ، ووضوح خياله ، وإبراز معانيه . وهو أول من أنشأ الذكر الصوفى الذى يؤدى على نغمات الناى ، والذى نظم له من الشعر الشىء الكثير ، وتسمى طريقته (المولوية) وأساسها الحب الإلهى ومبدأها التفانى فى حب الله .

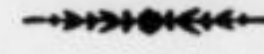
وتوفى جلال الدين سنة ٦٧٢ بعد الهجرة بقونية ودفن بها . ولم يقتصر مشيعو رفاته وارثوه على المسلمين بل كان من بينهم المسيحيون وغيرهم .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

٣ – طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى



بعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى، أراد طاغور أن يقوم بعمل إيجابى يحقق به آماله فى وحدة العالم، فذهب إلى أوربا ليجول بين بلدانها ويدعو شعوبها إلى التفاهم والتآلف والتآزر، ويحضها على إقامة وحدة دولية تضم مختلف شعوب العالم، وتريح البشر مما يعانيه من قلق واضطراب وخوف، ولكن هاله أن يسمع عن الهند، وهو فى أوربا التى يدعوها إلى التعاون، أنها تنادى باللاتعاون مع الغرب، وفزع لما رجع إلى بلاده ووجد غاندى يعلم الهنود محاربة الاستعمار الإنجليزى بالعصيان المدنى، وعدم طاعة القوانين الضارة بالبلاد، وتحاشى التوظف فى المناصب الحكومية سواء أكانت قضائية أو عسكرية، ويشجع الهنود على استعمال المغزل اليدوى ومقاطعة المنسوجات الأجنبية وحرقها حتى لا تحتاج الهند لمساعدات خارجية، ويطالب التلاميذ بهجرة المدارس الحكومية، ويناشد رجال العلم بتدريس تراث الهند الروحى القديم فى المدارس والجامعات وإهمال تدريس الثقافات الغربية. فلم يرض طاغور عن أسلوب غاندى فى المقاومة السلبية وأقلقه ذلك التغيير الذى أحدثه فى أفكار الهنود، وأخذ ينتقد طرق نضاله مع الإنجليز بالرغم من تقديره لسمو نزعاته الروحية، واحترامه لنبل مقاصده الوطنية، وإدراكه لمغزى جهاده السلبى.

ولقد بدأ طاغور نقده لغاندى بإعلان استيائه من اشتغاله بالسياسة، وأسفه على استغلاله الدين فى أمور الدنيا، واستعانته بالقوى الروحية فى حل القضايا السياسية، والمشاكل الاجتماعية، والأزمات الاقتصادية؛ وكان يود أن يظل غاندى — ذلك النموذج الكامل للقوة المعنوية، والبطل المقدس التى تضرب سيرته مثلا أعلى للحياة الروحية الفاضلة — بعيداً عن الألاعيب السياسية، محافظاً على رفعة حياته الروحية من قذارة الأساليب السياسية الخبيثة، غير معرض نفسه لتقلب أهواء السياسيين الدهاة، حتى لا يؤذى مقوماته النفسية، أو يضعف قواه الروحية. وكذلك عاب طاغور على غاندى تفريطه فى ثروة الهنود الروحية وبذلها رخيصة فى سوق الحياة العملية، واستخدامها استخداماً خطراً على نزعات الهنود فى مقاومة الإنجليز، وحزن لجناية غاندى على روحية الهنود، وتألم، لأنه حول القوة المعنوية التى تفتخر الهند بحوزتها من قديم الزمن إلى قوة عمياء تسخرها العواطف الوطنية فى تحقيق المآرب القومية دون الغايات الإنسانية التى يفرضها الدين الهندوكى على الهنود، وتوصلهم إلى أرفع مراتب الكمال الروحى...

ولم يقف نقد طاغور لغاندى عند حد خوضه السياسة وإقحامه الدين فى مشاكل الأرض، بل تعداه إلى ذم أساليبه السياسية وطمئنه فكره اللاتعاون مع الغرب، لأنه يؤمن بالاتحاد الحقيقى بين الشرق والغرب، ولم يستسغ مطالبة غاندى الهنود بمقاطعة الانجليز اقتصادياً، وتضايق من فرضه على كل هندى أن يغزل يومياً وينسج ويحرق ملابسه الأجنبية، ولا يلبس إلا ما غزل بالمغزل اليدوى. ويرى أن خطر هذه الآلات الصغيرة على الهند لا يقل عن خطر الآلات الكبيرة على الغرب، فهى تجمد حيوية الهند وتعرقل تقدمها، فلا يجب أن تتخذ منها الهند وسيلة لمعالجة الفقر والجوع. كما لم يرقه كره قومه الرذيل للثقافة الغربية، واعتبر مقاطعة المدارس والجامعات التى تدرس هذه الثقافات مظهراً من مظاهر ضيق الأفق وفقر المدارك، ولوناً من ألوان التعصب الإقليمى المنحط.

إن إهمال الهنود بحث الثقافات الهندية خطأ يعيبهم يجب أن يتداركوه، ولا يستحق منهم الإغضاء عن دراسة العلوم الغربية ولا يجب أن يتحرجوا من أن تستفيد الهند من خيرات الغرب الثقافية. ولئن كان غاندى لم يرم بسياسته إلى محو آثار المدنية الغربية من الهند، إلا أن ثورة الأهواء القومية تحمل لمبادئه فى اللاتعاون هذه المقاصد الفاسدة. ويخاف طاغور على طهارة الهند من غائلة بربرية أتباع غاندى الروحية.

لا ينكر طاغور أن تحقيق استقلال الهند أمر خطير ويحتاج إلى نوع من الحماسة والعاطفة، وإلى ضرب من الوطنية والتعصب إلا أنه يرى أن الاستقلال أكثر احتياجاً إلى روية الاختصاصيين

وتدبر الاقتصاديين وبحث العلماء ، فإن الحماسة وحدها لا تكفي لحل المشاكل الهندية ، وإنما يتطلب حلها كذلك الاستعانة بالعلم والكياسة والسياسة والاقتصاد ، فإن استئثار فرد — ولو كان زعيم الحب والحق — من دون الهنود جميعاً في رسم خطى السياسة العليا الهندية من اقتصادية وسياسية وثقافية لثقل تنوء بحمله قوى رجل واحد مهما تعددت مواهبه ، ويجب أن يسمح لجميع الكفايات في الهند بأن تساهم بجهودها في خدمة الهند ، فيعطى للاقتصادي فرصة لتدبير المال اللازم لرفاهية الشعب ، وللصانع فرصة لأن يشتغل بالصناعات التي يمهر فيها ، ويطلب من علماء التربية وضع الأسس الصالحة لتربية أبناء الأمة ، ومن رجال العلم تعيين البرامج الثقافية الملائمة للطالب الهندي ، ويشجع السياسي على استخدام دهائه وفكره في الحصول على استقلال الهند . وبغير ذلك لا يمكن أن تنال الهند الحرية وتنجي من العبودية . أما أن ينفرد شخص بمعالجة قضية الوطن ، ثم ينادي بقطع كل اتصال بين الهند والغرب ، فيلبي الشعب الضعيف دعوته بغير تبصر ، ويطيع أوامره في مقاطعة الغرب والقضاء على سبل التعاون معه طاعة عمياء ليدل على نوع من الاستبداد الروحي بشعب هزيل الروح قابل لعوارض غضب هستيري قد يعصف بكيان الأمة الهندية .

ربما تكون مقاصد غاندي من وراء المقاومة السلبية شريفة ، ولو طبق جميع الهنود مبادئه في اللاتعاون بنفس الروح التي يفهمها غاندي لما تعرضت الهند لأخطار العواطف القومية والثورات والفتن ولكن الخوف من المكافين بتنفيذ آراء غاندي ، فقد يتوهمون أو يوهمون أن اللاتعاون هو الغاية النهائية من حركة غاندي السياسية ، وليس وسيلة وقتية ، ويؤمنون به كدين قويم في اتباع حرفيته خلاص الهند من الاستعباد .

بينما خلاص الهند من الاستعباد لن يأتي إلا عن طريق التعاون مع بقية الشعوب والاندماج فيها وتكوين أمة عالمية تشمل جميع الشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها وثقافاتها وعاداتها ، لأن مشاكل العالم المتعددة لن يعرف لها حل نهائي ما دامت الأمم متفرقة بعضها عن بعض ، تعيش كل منها في نفسها ، تود لو تقضي على كل رابطة تربطها بباقي الأمم ، لا تثق في جدوى التعاون ، وتقبل أن تظل حبيسة حدود الوطن الضيقة خلف حواجز مصطنعة تفصلها عن سائر الشعوب ، وترضى أن تحيا على الدوام في حرب مع كل أمة تريد أن توجد بينها وبينها علاقة وطيدة ، أو تتدخل في شئونها . ولذلك سيظل العالم على ما هو عليه من قلق واضطراب وخوف طالما لا ترغب الدول في الاتحاد التام ، فيجب على الهند أن تلعب دوراً هاماً في سبيل توحيد العالم وتسبق جميع الشعوب في الدعوة إلى التفاهم والتآخي ، وتضرب مثلا حياً لدول العالم يسمو بسمعها الصادق في إنجاز وحدة الدنيا ، لأن الدين الهندوكي يقوم على حقيقة وحدة الوجود ، ويطالب الهنود بتحقيق هذه الوحدة من مشاعرهم وأفعالهم وفي داخل نفوسهم وخارجها ، ويحثهم على فناء ذاتهم الفردية في الذات اللامتناهية ، حتى لا يشعر أحد إلا بالروح الكلية التي تضم كل شيء في الوجود ، ولن يصل هندي إلى هذه المرتبة الروحية العالية إلا عن طريق الحب والوئام والتعاون ، فإذا سمت الهند إلى وحدة العالم ، فإنها تطيع أوامر الدين ، وتلبي في نفس الوقت نداء الإنسانية وتنقذ أهلها من رق التعصب الأناني ، وتطلقه من أسر النعرة القومية الهوجاء ، وتبرئه من مبادئ اللاتعاون التي تثير الحقد والكراهية في النفوس ، وتسلم العالم من أشرار الانفصال ، وتوصله إلى بر الاتحاد ، لأن الانفصال باطل يدعو إلى التعصب ، ويثير الشقاق ، ويحض على تهجم الروح الفردية على الروح الكلية فلا تتمتع أمة بسعادة أو تنعم بسلام .

ولا يحقق هندي ذاته ، أو يفوز بغايته الدينية ، وتصبح أمم العالم في تنابذ وتشاحن ، فيضطرب النظام الطبيعي في المجتمع الدولي ، ويخلق الظلم والاستبداد ، وتشرع القسوة والاستعباد فتعاون قوى العالم ونسيان ما بينها من أحقاد وأضغان ضروري لتفادي كل ما يعرقل وحدة الدول أو يعوق تعاونها ، واستمرار الهند في التفكير في الانتقام ، والسعي في الانفصال عن الغرب ، لن يخلصها من الجوع والفقر ، واتخاذها اللاتعاون سبيلا لطرد المستعمر من البلاد لن ينيلها الحرية الحقيقية ، لأن مشاكل الهند مرتبطة بمشاكل الغرب ، وحلها يتطلب مقدماً تعاون العالم ، فلا مفر من التعاون ، لأن واقع الحياة العالمية يمليه على الأمم لينقذها من وهدة الظلام التي تعيش فيها . فوق أن الدين الهندوكي يجبر

كل هندى على تحقيق الذات اللامتناهية التى تتلاشى فيها ذات الأفراد ، ولا يوجد بها إلا الحياة الكلية ، والتى تزول فيها القيم الظالمة القاسية ، ويبقى بها الحب والوئام والتعاون .

إن انتقادات طاغور لغاندى تدل على أن طاغور ثابت الفكر لا تتلون نزعاته الروحية بتغير الظروف ، فهو رجل يؤمن بقوة الروح ، ويعتقد فى الحياة الفاضلة ، ويثق فى الوحدة سواء أكان مجالها حياة الفرد أو حياة الأسرة أو حياة الأمة أو حياة العالم . ويود أن يحافظ الفرد والأسرة والأمة والعالم بأجمعه على هذه الأصول ، فلا تتحول القوة الروحية إلى قوة مادية حسب الأهواء القومية ، أو يستغنى عن الفضائل المعنوية فى سبيل الفوائد النفعية إذا اقتضى مصلحة الأمة ذلك ، أو تفضل الوطنية على الإنسانية والانفصال على الاتحاد لعلة من العلل المادية الوقتية . وعلى هذا الأساس وجه طاغور انتقاداته لغاندى ، ذلك الزعيم الروحى الذى تنم حياته الخاصة عن عيشة زهد وتقشف وإنكار للذات وتضحية بينما تنم سيرته السياسية عن خلاف ذلك ، فهو يقحم الدين الروحى فى السياسة المادية ، ويغلب تعصبه القوى على ميوله الإنسانية ، ويستبدل التعاون باللاتعاون فى محاربة الإنجليز ، ويدعو لانفصال الهند عن الغرب بدلا من الاتحاد معه ، فعارضت أساليبه السياسية حياته الخاصة ، وخرجت على تعاليم الدين الهندوكى التى تقوم على حقيقة وحدة الوجود . وكان على غاندى أن يرد هذه التهم ويفسر أساليبه ويدفع عن نفسه هذه الشكوك التى أثارها طاغور حول نزعاته الروحية والإنسانية ، ويبين أن سيرته الخاصة لا تناقض سيرته السياسية .

فقام غاندى يفند أقوال طاغور ويبرر آراءه وطرقه ويوضح أنها تستند على أسس من الدين وتتمشى والمبادئ الإنسانية ، فزعم أن حبه للهند أو تعصبه لقومه لايشهد بأنه خرج على الدين أو نبذ القيم الإنسانية وتعلق بوطنية حمقاء ، لأن الوطنية فى ذاتها لا تتعارض والإنسانية ما دامت لا تضر بالشعوب المعادية .

إن وطنية غاندى طاهرة لا تشوبها نقائص الأنانية الاستغلالية ، فهي وإن كانت تحثه على خدمة الهند وإصلاح شئون الهنود الخاصة والعامة والانتفاع بمقومات الحضارات القديمة إلا أنها لا تدفعه إلى أن يكسب شيئاً للهند ، ويسىء فى نفس الوقت إلى انجلترا ، أو تغريه على تنمية عواطف حب السيطرة فى نفوس الهنود ، حتى يقويهم على الاعتداء على الشعوب المجاورة . فوطنية غاندى لا تقوم على الكراهية ، إنما تقوم على الحب ، ولا تخالف الدين أو تهمل القيم المعنوية ، وإنما تستوحيها جميعاً وتمزجها .

أما عن اشتغال غاندى بالسياسة ، فيقول إن السياسة تلتف حول كل هندى إلتفاف الأفعى ، ولا سبيل للتخلص منها . ولكى يقضى غاندى على سموم هذه الأفعى ، اضطر إلى أن يقحم الدين فى السياسة . ويقصد بذلك أن حالة الهند وما هى عليه من تفكك وتصدع وذل واستعمار ، وظروف الهنود وما هم عليه من بؤس وشقاء وانحطاط ، وتطور الحوادث السياسية والاجتماعية فى الهند ، يُلزم أى هندى محب لترقية وطنه ، بأن يساهم فى تحرير بلاده وإصلاح حياة أهله . وبتأثير هذه العواطف الشريفة ، خاض غاندى معترك الحياة السياسية الخبيثة السامة مرغماً . ونظراً لأنه دينى بالفطرة ، سياسى بالضرورة ، شرع فى تطهير السياسة من طرقها الملتوية الحقيرة بإدخال الدين فيها ، حتى يسمو بالسياسة إلى سماء الدين . وعلم الهنود الإضراب الدينى السلمى ، الذى يعلن بقوة ووضوح ، الاحتجاج على الظلم بدون إحداث شغب أو تلف أو إراقة دماء . كما علمهم الارتكان إلى اللاتعاون ، كلما نزل بهم جور . فحارب الهنود الإنجليز بأسلحة سلبية لا تعتمد على العنف أو القوة المادية أو العصيان المسلح ، فحافظ غاندى فى نضاله السياسى على روح تعاليم الدين الهندوكى السلمية التى تكره العنف وتنادى بضرورة التذرع بسلاح الحب .

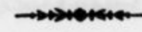
(البقية فى العدد القادم) **عبد العزيز محمد الزكى**

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية
بكفر الزيات

١٣ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

النهضة التعليمية فى النوبة

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود



لعلك تعجب إذا علمت أن منطقة النوبة الآن من المناطق المصرية ، التى ارتفعت فيها نسبة المتعلمين إلى درجة عظيمة ، لم تصل إليها كثير من بلدان الوجه البحرى ، وأن الجيل الحديث من النوبيين كله متعلم مائة فى المائة تقريباً .!!

ومن النادر أن تجد صبياً لا يذهب إلى المدرسة ، يتلقى العلم فى شغف وتواضع وطاعة محببة إلى النفوس . وبخاصة نفوس الآباء والمدرسين . . وإذا كنا نرى كثيراً من الصبية يهربون من المدارس فى مدننا وريفنا ، وأن كثيراً من الآباء وأولياء الأمور يعملون الحيلة للتخلص من إرسال أولادهم إلى المدارس فى الريف ، ليساعدوهم فى الحقل ، ويعاونوهم فى الحرث والرى والحصاد .. وقدينا لهم من جراء ذلك كثير من الغرامات المادية فلا يبالون بها ، ولا تردعهم عن مخالفتهم وتهربهم من العلم ، وفرارهم من التعليم ، وعزوفهم عن المدارس مع ما فيها من خير كثير .. إذا كنا نرى هذا ، فلن نجد لهذه الظاهرة أثراً فى النوبة على الإطلاق ، بل على العكس من ذلك ، نرى التزاحم الشديد ، والإقبال العجيب ، والتنافس فى الالتحاق بالمدارس على اختلاف أنواعها . وشتى ضروبها ، مما يثير فى النفس عوامل الدهش والارتياح ، والفرح والاغتباط ، ولعل هذا راجع إلى أن أولياء الأمور فى النوبة أدركوا الآن قيمة العلم ، وأثر التعليم فى تهذيب النفوس ، والحصول على المراكز السامية ، والمناصب الرفيعة ، وأنه الطريق الوحيد لسعادة أبنائهم وذراريهم ، وأنهم لا يحتاجون إلى مجهود أبنائهم الضئيل ، كما يحتاج إلى ذلك المجهود أولياء الأمور فى الريف المصرى فى غير منطقة النوبة ...

والمدارس فى النوبة أنواع كثيرة ، تدعوا إليها الحاجة ، وتتطلبها البيئة القاسية ، مما لا تتوفر فى كثير من المناطق المصرية ، فمنها :

١ — قسم ثانوى فى عنيبة لم يكمل بعد ، ويأمل النوبيون فى وزير العلم ، أن ينمو هذا القسم نمواً مطرداً يناسب نهضة البلاد ، وإقبال أهلها على التعليم الثانوى خاصة ، ولتكن مدرسة فاروق الأول الثانوية ، قائمة فى عنيبة بجانب أختها مدرسة فؤاد الأول الابتدائية ، وهذه أمنية غالية ، يعتز بها كل نوبى ، ويبنى عليها قصوراً من الآمال ، ويتمنى أن تتحقق لتكفيهم مشقة الجهد ، والانتقال من بلادهم إلى مختلف البلدان وعواصم الأقاليم المصرية ، حيث توجد المدارس الثانوية التى تتطلب كثيراً من النفقات وتبعد هذا الجيل الجديد عن موطنه الأصلى . وهو لا يزال فى حاجة ماسة إلى الرقابة الشديدة فى هذه السن ، سن المراهقة ، وتطلق له الحرية فى بيئة يسهل فيها الفساد واللهو ، ولهذا ينحدر كثيرمنهم إلى هوة الفساد والضلال ، ممايبعد به عن الغاية التى يهدف إليها ، وينصرف به عن البحث والدرس والتحصيل ...

٢ — مدارس ابتدائية : واحدة فى عنيبة تضم خمسمائة تلميذ تقريباً ، ويشترك فيها البنون والبنات بلا تفرقة ، وأخرى فى الدكة ، وثالثة فى قورته . وقد جاهد الأهلون جهاداً عظيماً فى سبيل إنشاء هاتين المدرستين الأخيرتين ، وقد أنشأت الوزارة مدرسة الدكة سنة ١٩٤٧ ، وسرعان ما قامت قيامة أهل قورته فبذلوا مجهوداً مشكوراً إن دلّ على شئ . فعلى روح التنافس ، وتوّج أخيراً بإنشاء مدرسة قورته فى العام نفسه على أن يكون ذلك بمثابة تجربة ، ولتبقى فى النهاية على المدرسة التى تثبت وجودها بكثرة ما فيها من التلاميذ ، وذلك لأن المسافة بين قورته والدكة حوالى سبعة أميال فحسب . ومن الغريب أن أقبل الأهلون على كلتيهما ، بحيث أصبح فى كل منهما ثمانون ومائة تلميذ تقريباً ، ولهذا ستضطر الوزارة دون ريب للابقاء على المدرستين كلتيهما ...

ويأمل النوبيون أن يتم إنشاء مدرستين أخريين ، أولاهما فى المركز الأصلى ، وهو الدر ، احتفاظاً بما كان له من مكانة ، وإحياء للمدرسة التى كانت به ، وهى أوّل مدرسة فى النوبة بأسرها .. والأخرى فى بلانة ، لما لهذه البلدة من مكانة زراعية ولما فيها من مشروعات كثيرة ، أدّت إلى ازدحامها بالسكان ،

مما يعطيهم هذا الحق، ويجعل إنشاء مدرسة ابتدائية في بلدتهم من أوجب الواجبات، وبخاصة وأنها ليست أقل شأناً من الدكة أو قورته، بل أعظم منهما شأناً، وأرفع قدراً..!

ولقد بذل الأهلون في سبيل ذلك جهوداً موفقة طوال هذا العام، وإذا تم لهم هذا أصبح في منطقة النوبة مدرستان ابتدائيتان في القسم الشمالي، هما قورته والدكة. ومدرستان ابتدائيتان في القسم الجنوبي هما الدر وبلانة، ومدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية في عنيبة، وبهذا تضمن النوبة تعليم أبنائها في المحيط الذي تحبه وتؤثره وترتضيه، إلى سن تؤهلهم بعد هذا للتعليم الجامعي والعالي، ولا تخشى عليهم انحرافاً عن الغاية، ولا بعداً عن المقصد ...

٣ — مدارس أولية: يشترك فيها البنون والبنات، والتعليم فيها كالابتدائي، نظام كامل طول اليوم، أي قبل الظهر وبعده بيد أنه ليس في مواده لغة أجنبية. وهذه المدارس بعضها تابع لوزارة المعارف، وهما مدرستا، عنيبة، وبلانة الجديدة. والبعض الآخر وعدده تسع وعشرون مدرسة، تابع لمجلس مديرية أسوان، وهي مدارس: (قسطل، بلانة، توشكي شرق والجنينة، عنيبة بحرى، إبريم، عافية، توماس قبلي، الدر، الديوان، كرسكو، شاترمه، وادي العرب بحرى، السيالة، قورته، العلاقي، الدكة، تشتمنة غرب، وتشتمنة شرق، جرف حسين، مارية، مرواو شرق، مرواو غرب، أبو هور، كلابشه، الأمباركاب، دهميت شرق، دهميت غرب، دابود)

٤ — مدارس إلزامية: يتعلم فيها بعض التلاميذ نصف اليوم وبعضهم في النصف الآخر، وكل هذه المدارس تابعة لمجلس مديرية أسوان، وليس فيها واحدة تابعة للوزارة، وهي اثنتا عشرة مدرسة في البلاد الآتية: أدندان، أبو سمبل، أرمنا، توشكي غرب، مصمص، توماس بحرى، أبو حنضل، المالكي، وادي العرب قبلي، المضيق، المحرقة، قرشة.

٥ — ملحقان، أحدهما في كرسكو، والآخر في مرواو غرب ...

٦ — أقسام تحفيظ للقرآن الكريم: وهي تابعة لمجلس مديرية أسوان كذلك، وهي ثلاثة أقسام، أولها تابع لمدرسة أدندان، والثاني تابع لمدرسة المالكي، والثالث تابع لمدرسة توشكي غرب.

وما أحوج بلاد النوبة إلى الإكثار من هذه الأقسام، لإقبالهم عليها إقبالا كبيراً، فهم يقدسون كتاب الله تقديساً، ويرتلونه ترتيلا يبعث الخشية في القلوب، والرهبة في الصدور، ويملك على الإنسان مشاعره وحواسه، ولهم في تلاوته روحانية تسمو بالسامع إلى مراتب نورانية من الإيمان والخشوع والطاعة والخضوع ...

٧ — مكاتب إعانة: تعينها الوزارة، فتعطي المدرس عن التلميذ الواحد عشرين قرشاً، أو ثلاثين، أو أربعين، وهي سبعة مكاتب: القصيرى بأبي سنبل، نجع تميدى بأبي سنبل، نجع الجلاب، نجع الخفير، الزيداب، البقمة، وادي السيالة. وهذه المكاتب تؤتي أكلها في كثير من البلدان، وذلك لأن المدرسين يبذلون جهداً مشكوراً في جلب التلاميذ من كل حدب وصوب، لما ينالهم من نفع عاجل، وخير قريب، فهذا النوع بالنسبة لمدرسي المدارس الإلزامية والأولية، يشبه الدروس الخصوصية، بالنسبة لمدرسي المدارس الابتدائية والثانوية، فهو إذن نوع من التعاون بين المدرسين وتلاميذهم ..!!

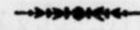
٨ — مكافحة الأمية، وهي نوعان (ا) أقسام مسائية مقرها المدارس، وتقبل التلاميذ ابتداء من سن الثانية عشرة فما فوقها ويتقاضى المدرس جنيهين في الشهر، ويتقاضى الرئيس جنيهين ونصف جنيه في الشهر، والإقبال عليها منقطع النظير، فإذا جن الليل تقاطر الرجال والشبان والشيوخ إلى هذه الأقسام فرحين مغتبطين يتلقون العلم، ويتعلمون مبادئ القراءة والكتابة، وفي النهار تجدهم منكبين على كتبهم وكراساتهم، يعيدون ما درسوا، ويتفهمون ما أخذوا، وقليل من إخلاص المدرسين ونشاطهم، يجعل أهل هذه المنطقة في درجة عظيمة من العلم والمعرفة ...

وهذه الأقسام في البلاد الآتية: أدندان؛ بلانة القبلية، بلانة الجديدة، أبو سنبل، أرمنا، توشكي غرب، عنيبة الأولية إبريم عافية، توماس قبلي، توماس بحرى، الديوان، شاترمه، وادي العرب قبلي، قورته، العلاقي، جرف حسين.

(ب) مكاتب إعانة لمكافحة الأمية، وليس مقرها المدارس

الجامعة والأســـاتذة

للأســـــتاذ وديع فلسطين



أثار الصديق الأستاذ عباس خضر — فى تعليقه على كلة للأستاذ توفيق الحكيم — موضوع اختيار الجامعة المصرية (ونعنى جامعتى فؤاد وفاروق) لأساتذتها ، فقال إن الجامعة لا تزال تقصر أمرها على أساتذتها « ولست أدرى هل فكرت فى الانتفاع بأعلام الأساتذة غير الرسميين أو لم تخطر لها هذه الفكرة بعد ؟ والواقع أن هؤلاء الأعلام أساتذة فى جامعة ليس لها مكان محدود ولا نظام موضوع ».

وللتفكهة أذكر أن معهد التحرير والترجمة والصحافة فى جامعة فؤاد فكر من بضع سنين فى الاستعانة ببعض كبار الصحفيين المصريين للاشتراك فى موسم محاضرات معهدية فيلقى كل منهم محاضرة عن اختباراته وتجاريبه فى الصحافة العملية ليكون للطلاب إلى جانب دراستهم النظرية إلمام عملى بالمهنة التى تهيئهم الجامعة لها بعد التخرج .

وأعدت قائمة بأسماء الأعلام من الصحفيين ذكرت فيها أسماء الأساتذة : كريم ثابت بك ، وعباس محمود العقاد ، وفؤاد صروف ، وطائفة أخرى . فاعترض المسؤولون فى المعهد على هاته الأسماء الثلاثة قائلين : إن أصحابها لا يحملون مؤهلات جامعية ، ولا تقرن أسماؤهم بألقاب مما تسبغه الجامعة على طلابها . وقد استبعد هؤلاء الثلاثة فعلا ، ولم يدعوا للاشتراك فى هذا البرنامج الموسمى !

وبعد ذلك ، هل للمرء أن يسأل : كم من الصحفيين اللامعين الناجحين أخرجهم هذا المعهد الذى اقتصرت تبعة التدريس فيه على الأساتذة الجامعيين ؟

وبهذه المناسبة أذكر أن جامعة أمريكية سمعت أن صياداً بارعاً قريب من دارها ، وأنه تضلع فى صيد الحيوان البرى والحيوان المفترس ، حتى سجل فى هذا المضمار أرقاماً قياسية غير مسبوقة . فما كان من إدارة الجامعة إلا أن تعاقدت مع هذا الصائد الأمى ليلقى على طلاب علم الحيوان سلسلة من المحاضرات بلغة مفككة متخاذلة ركيكة يبسط عليهم فيها عادات الحيوان ومغامراته فى صيده ومقابلات بين القوى البدنية لكل من هذه الكائنات الحية ؛ ولم تجد الجامعة ولا مجلس إدارتها ولا أساتذتها

بل أى مكان فى المسجد أو البيت أو الشارع ، ومدرسوها من الفقهاء ، ولهم مكافأة سنوية عن التلميذ بعد نجاحه قدرها خمسة وسبعون قرشاً ، يصرف لهم خمسة وعشرون قرشاً أولا ، وخمسون قرشاً بعد النجاح .. !!

وهى بالأماكن الآتية : جده بالديوان بلانه . كساب بأبى سنبل ، فرقنيت أورجه بأرمنا . أبو راسيا بأرمنا ، مرواو بتوشكى غرب ، زيدات بتوشكى غرب . وادى السبيل بأبى حنظل . الريجه بكرسكو ، النوبات بالسيالة ، الشيمة بقورته . دبنود بدابود .

ومفتش المعارف يلاقى كثيراً من الصعوبات فى سبيل القيام بعمله فى هذه الجهات كلها ، وذلك لتناثر هذه النجوع وتفرقها وبُعد المسافة بينها ، وكثرة المرتفعات والمنخفضات ، فلا بد والحالة هذه من الاستعانة بالباخرة البطيئة ، والمراكب الشراعية والمطايا ، ولا شىء غير هذا .

وقد يكون هذا الكلام غريباً على بعض الناس ، من الذين لا يعلمون شيئاً عن طبيعة هذه المنطقة ، أما الذين يعرفون هذه المنطقة ، وخدموا فيها فإنهم يدركون تمام الإدراك ما يعانيه المفتشون هناك من جهد وما يُقاسونه من نصب وتعب شديدين ...

وإذا أرادت وزارة المعارف خدمة العلم ومصلحة القائمين به وحرصت على نشر المعارف مخلصة فى ذلك ، فعليها أن تخصص لمفتش المعارف باخرة صغيرة (رفاص) أسوة بما تعمله غيرها من الوزارات ، كوزارة الصحة ، والأشغال ، أما إذا ظلَّ الحال على ما هو عليه ، فلن تؤتى هذه المدارس أكلها كما يجب ، ولن تعظم استفادة الأهلين منها ، فعلى ولاة الأمور أن يعطوا هذا الرجاء حقه من العناية والاهتمام .. !!

عبد الحفيظ أبو السعود

في هذا التصرف عيباً ينتقص من قدرها ، وإنما عدته سبقاً وكسباً لم يتح مثلهما لجامعة أخرى .

ومن يدري ، فقد يقوم بين رجال الجامعة من يسأل : وما هي مؤهلات شوقي الجامعية حتى ينشأ له كرسي باسمه في كلية الآداب ؟ هل تخرج في كلية الآداب ؟ أو هل منح درجات علمية معترفاً بها ؟

إن الحياة كثيراً ما تكون أقدر على إعداد المرء ثقافياً وعلمياً من الجامعة . وقد اعترف جورج برنارد شو بأنه لم يدخل جامعة ولا معهداً عالياً ، وإنه كان خامل الذكر في دراسته الابتدائية . وعندنا في مصر الأستاذ سلامه موسى ، فقد اعترف بأنه لم يهيء لنفسه دراسة عالية نظامية في جامعة أو في سواها من معاهد الثقافة الرفيعة ، وإنما غرف ثقافته من العلم المشاع في المكتبات مرتكناً على قوة ذاتيته وصدق عزيمته .

وأمامنا الأستاذ عباس محمود العقاد ، الذي يكفي أن يقدم كتاباً من كتبه — بغير اختيار — إلى الجامعة لينال عليه درجة الدكتوراه . ولكن هذا لن يحدث في مصر ، لأن على الأستاذ قبل ذلك أن ينال درجة الليسانس ، تتلوها درجة الأستاذية ، ثم مرتبة الدكتوراه !

وعندنا كذلك الأستاذ فؤاد صروف الذي كان أول من كتب في مصر عن تحطيم الذرة ، وفلق نواتها ، وإطلاق الطاقة الذرية من عقالها واستخدامها في شؤون السلم وأمور الحرب . وكان من أقدر الذين تعمقوا في درس علوم الطبيعة وسائر العلوم ، وله في ذلك مؤلفات تنم عن تأصل وتثبت واقتدار . وكان من الذين ابتدعوا مصطلحات علمية لمترادفات لها أعجمية ، فقال عن السكلوروفيل « اليخضور » ، وعن الهيموجلوبين « اليحمور » ، وعن الأسمنت المسلح « الأرق » ، وعن الإيستوب « النظير » وما إلى ذلك ... وكل سفر من مصنفاته يعده بدون أدنى شك للظفر بدرجة الدكتوراه من أكبر جامعات العالم ، أما في مصر فلا

وقد يذكر قراء الرسالة أنني اقترحت من نحو عام على جامعة فؤاد أن تمنح درجة الدكتوراه الفخرية لرواد الحركة الفكرية الحديثة في مصر ولأقطاب السياسة وفقهائها المعاصرين . وذكرت يومها أسماء الأساتذة : فؤاد صروف ، وأحمد أمين بك ، وأحمد حسن الزيات ، وأنطون الجميل باشا ، وخليل ثابت بك ، وخليل مطران بك ، ومحمود تيمور بك ، وسابا حبشي باشا ، واسماعيل صدقي باشا ، وعبد العزيز فهمي باشا ، وقلت يومئذ : إن هؤلاء جميعاً يستحقون الدكتوراه الفخرية اعترافاً من جامعات مصر بالخدمات الجليلة التي أسداها كل منهم في ناحية من نواحي الحياة العامة . ولكن الجامعة لم تأخذ بهذا الرأي ، وإن كانت قد منحت الأستاذ أحمد أمين بك هذه الدرجة في ما بعد في غير احتفال ولا احتفاء . .

وصفوة القول إن الجامعة في حاجة إلى شيء من سعة الأفق في التفكير ، فالشهادة لا تقوم صاحبها ولا ترفع من قدره الثقافي الفكري . ومهمة القائمين على هذه المؤسسة العلمية الكبيرة أن ينقبوا عن ذوي الكفاءات ليستغلوها خير استغلال ، وليكن هذا التنقيب في مصر أولا ، ثم في الخارج ، لأن الفقهاء المصريين كثيراً ما يتميزون على أقرانهم من الذين « يستوردون » من الخارج . ولو ترك الأمر لي ، لعينت مثل الأستاذ نقولا الحداد أستاذاً لنظرية أينشتين في كلية العلوم ، وعينت الأستاذ سلامه موسى أستاذاً لنظرية التطور في ذلك المعهد ، وعينت الأستاذ فؤاد صروف أستاذاً للعلوم الذرية ، وعينت الأستاذ توفيق الحكيم أستاذاً للأدب الروائي ، وعينت الأستاذ الدكتور صبري جرجس أستاذاً للسيكولوجية ... وهكذا . فهذه الكفايات المهملة لا ينبغي أن تظل مبعدة عن النطاق الجامعي ، ولا يصح أن تظل إما معطلة أو غير مستثمرة استثماراً ينفع الجيل الجديد .

ولقد قال لي الصديق الدكتور ابراهيم ناجي مرة : كان ينبغي أن تأمرني الحكومة مع الأستاذ سلامه موسى والدكتور سعيد عبده في مكتبة علمية وتطلب منا أن نصدر لها دائرة معارف طبية ومصنفات علمية طبية . فحرام أن تشتت الجهود أو توزع القوى هكذا .

إن مهمة الجامعة هي مهمة مزدوجة : التوجيه والإعداد . وفي مصر من ذوي الكفاية من يرفعون قدر البلاد و « يطيلون نحرها » . وما على إدارة الجامعة إلا أن تضع هؤلاء في موضعهم ليتمكنوا من إعداد الطلاب إعداداً طيباً .

وحينذاك لن تجد من يختلف على هل يعين الأستاذ الزيات في كرسي شوقي بك استجابة لاقتراح الأستاذ توفيق الحكيم ، أم هل يكون شاغله من نطاق الجامعة الحالي ؟

وديع فلسطين



الزهريات

للدكتور أحمد موسى

هى أوعية وأوان تسمى مشكاة يقابلها باللاتينية Vasa ، ليست لها فائدة عملية تذكر بالقياس إلى قيمتها الفنية لطالبي الفن واللغوية لطالبي اللغة الإغريقية وتطورها . ومع ضآلة فائدتها العملية فإنها من أهم ما عنيت بصنعه الشعوب المتحضرة بغية تجميل الحجرات أو الحدائق ، سواء وضعت فيها الأزاهير أو لم توضع .

وعملت كحليات للأعمدة وحيناً آخر وضعت إلى جانب القبور ، وكانت من الطين المحروق أو الصينى أو الزجاج ، كما أنها صنعت من الرخام أو المرمر أو من حجر الألباستر أو من المعدن .

ولا يعنينا من أنواع الزهريات فى هذا المقال سوى النوع الإغريقى الكلاسيكى بالنظر إلى المستوى الفنى العظيم الذى بلغه الأغارقة فى كل ما تناولوه .

ولا تعرف الدراسات الفنية هذه الزهريات إلا فى فجر القرن القرن الثامن عشر عند ما بدأ ظهورها بين المخلفات الأثرية بكثرة لفتت النظر إليها والعناية بها ، فكانت منذ ذلك الوقت موضع الدرس والتأريخ ، لما حوته من مصورات عجيبة فائقة فى الدقة والجمال ، فضلا عما تناولته هذه المصورات من إيضاح النواحى القصصية والاجتماعية والدينية والتاريخية إلى حد مثير لكل إعجاب وتقدير ، وكانت بذلك أشبه شىء بسجل حافل لكل راغب متأمل .

وتنوعت أشكالها تنوعاً كبيراً ولكنها لم تخرج أبداً على رشاقة التكوين الكلى ، على أن العناية بفحصها من الناحية الفنية كانت متأخرة عن فائدتها من الناحية التوضيحية للقصة وللحياة الإغريقية كما سبق التنويه .

وإذا كان تاريخ الفن لم يعرف هذه الزهريات إلا منذ فجر القرن الثامن عشر ؛ فإن دراستها وتبويبها من حيث التكوين الكلى والشكل ولون أرضيتها ولون المصورات التى رسمت عليها ، والمدارس الفنية التى عملت فيها لم يبدأ بصفة حاسمة إلا منذ منتصف القرن التاسع عشر عند ما توافرت أسباب الدرس والفحص بتوافر العدد الموجود من كل نوع منها

وأقدم الزهريات الكلاسيكية جميعاً عثر عليه فى طبقات أرض ترويا Troya (Ilium) وهى المدينة القديمة فى آسيا الصغرى (منطقة الدردنيل) حيث قامت الحرب سجالا بين الأمير مينيلاوس لاسترداد زوجته وبين باريس الذى اختطفها لنفسه ، كما تتضح أخبارها فى إلياذة هوميروس .



من ميكينا



من العصر الرومانى فى بلاد الراين (جرمانيا)

وكانت هذه الزهريات معمولة بيد الإغريقى دون الاستعانة بقرص الإدارة الذى يستعملونه حتى اليوم فى صناعة الأوانى الفخارية ، كما أنها كانت من الطين المحروق دون تلوين ، ذات شكل كروى أو أقرب ما يكون إليه ، يعلوه عنق أو رقبة اسطوانية غالباً ، كما برز من جانبين منها إصبعان مثقوبان للاستعانة بهما فى رفعها وفى تثبيتها إلى المكان الذى تعلق فيه من حبل مار بالثقبين المذكورين بدلا من القبضين الذين جاءا فى الزهريات المتأخرة (ش ١) .

وكانت زخارفها فى أول الأمر بسيطة لا تخرج عن خطوط حفرت حفراً على سطحها الخارجى حيناً ، أو لصقت بها قطع من الفخار صغيرة للغرض نفسه حيناً آخر (ش ١) .

وأبسط أشكالها على هيئة كرة ذات عنق غاية فى القصر بالقياس إلى ارتفاع البدن الكروى ، زودت برسوم بارزة لحيوان أو إنسان أو زخرف من نبات (انظر الستة الأشكال التالية) .

وكان هذا النوع الجدير بالدراسة كثير الصنع فى قبرص وله أشباه فى سوريا وتيرينز Tiryns فى أرجوليس التى تخربت فى عام ٤٦٨ ق . م .

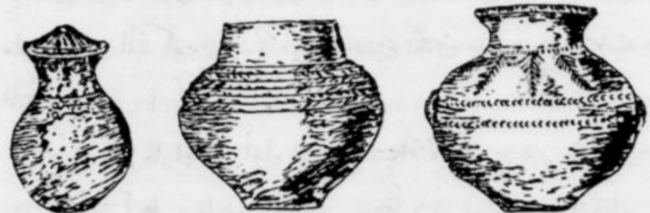
ووجدت منهـا أنواع قديمـة يرجع تاريخها إلى نحو عام ٢٠٠٠ ق . م ، ومن العجيب أن هذه مع قدمها صنعت بواسطة القرص الدائر ، علاوة على أنها كانت مزودة بنقوش ملونة بألوان غير لامعة ، وهى بهذه الصفة تشـــبه نظائرها مما وجد فى ميكينا Mycenae .

وللتفرقة بين هذه الأنواع « الـكلاسيكية » قديمها والجديد ، نجد أن أبرز الفوارق يتلخص فى أن القديمة كانت رسومها غير لامعة matt ، أما الجديدة منها (١٥٠٠ ق . م) فإنهـا قد تميزت بمـــا ظل مميزاً لـكل الزهريات ومصنوعات الفخار الإغريقية Ceramics بصـفة عامة ، ألا وهو استخدام الألوان المشتملة على الورنيش فى تركيبها Varnish—colours

وكانت الألوان رقيقة صافية نقية على سطح أملس ذى لون مائل إلى الصفرة ، بحيث يصبح اللون الزاهى والأسود الداكن على أكمل وجه من الإنسجام .

والأشـكال الخارجية للزهريات الـكلاسـيكية الإغريقية عديدة ، لم يميز مرحلتها الأولى عن سواها إلا الشكل المقوس على مقبضين جانبيين مقوسين .

وأخذت الزخارف شكل خطوط متوازنة فى اتجاهات مختلفة ومتقاطعة ، وشغلت جزءاً محدوداً من سطحها حيناً ، وحيناً آخر شغلت معظم ذلك السطح ، إلى جانب الوحدة الزخرفية المكونة من « الحلزونة » الحبيبة إلى نفوس الإغريق .


من العصر الحجرى المتقدم — من ميكينا — من منروبا

وكذلك وحدات خيالية بديعة للزهر الملتف حول سيقانه ، وزهور الماء ، والخطوط التى تسير فى شكل موجات وأشكال أسماك ونجوم بحرية وأشكال مرجانية وصدفية من مختلف الأنواع .

وانتشر هذا الطراز من الزهريات فى مناطق عديدة نذكر منها على وجه التخصيص منطقة ميكينا والساحل الشرقى لبلاد الإغريق والجزر الإيجية وجزيرة رودس كريت . وهـذه كلها يرجع تاريخ الزهريات فيها إلى نحو عام ١٥٠٠ ق . م كما سبق التنويه



(١) من تساليا (العصر الحجري) (٢) أبريق من ميكينا — الرسم غير لامع (٣) طراز الرسوم الهندسية

وهناك نوع اشتهر باسم الزهريات الديبلونية نسبة إلى المكان الذى وُجِدَت فيه عند أثينا Dipylon وكانت هذه أقل قيمة من ناحية الصنعة والزخرفة الفنية بالقياس إلى تلك التى وجدت فى ميكينا ، ذلك لأن الفخار الذى صنعت منه كان أكثر خشونة



(٤) من كريت (٥) من كنوزوس (٦) طراز ميكينى متأخر (من رودس)

وسطحه أكثر احراراً ، وعملت الوحدات الزخرفيـة بألوان حمراء بُنّـية مضافة إلى الورنيش المخفف ، كما أنها بلغت حجماً كبيراً فى كثير من الأحيان ، وقد أحاطت بها الزخارف أشبه شئ بحزام التف حولها ، وتكونت من خطوط متقطعة أو متصلة وخطوط متكسرة ومجموعات من النقط ودوائر داخل بعضهـا فى البعض أو حلزونية التصميم ، أما صور الحيوان أو الطير فقد رسمت فى المناطق الربعة الشكل الخالية من الزخارف . وكانت الصور فى مجموعها غاية فى البساطة ؛ فجاءت الزهريات جافة المظهر لا حياة فيها ، على أنها من ناحية تاريخ الفن ذات قيمة لا تنكر لأنها استغرقت المرحلة الزمنية بين الزحف الدورى (١١٠٤ ق.م)

وبين القرن السابع قبل الميلاد ، وهى بهذا تعتبر الأساس الأول الذى أقيم عليه فن عظيم خالد .

وجاءت الزهريات القبرصية متميزة على الأثينية بنعومة الطين المصنوعة منه ، سطحها ذو لون أصفر فاتح ، رسمت عليها الصورات بألوان الأسود البنى والأبيض والأحمر ، لبيان الزهور الخيالية والورود الابتكارية التى تعتبر أسلوباً زخرفياً جديداً يسجل الأثر الشرقى والاقتباس من الشرق !

وإذا كانت الزهريات القبرصية قد حملت الأثر الشرقى ؛ فإن الزهريات الرودسية (نسبة إلى رودس) تظهر فى وضوح ، المهارة التى تجلت من خلال رسوم الأجسام المختلفة والتى تبين الاتجاه الفنى عند الإغريق ، وذلك بتأمل الطريقة التى اتبعوها فى ملء الفراغ بما لا يتنافى مع إظهار الصور فى أروع أسلوب ممكن رغم قيود الشكل التكوينى ؛ فنجد أن بدن الزهرية قد قسم فى مهارة إلى أقسام تفصل بينها خطوط ، وتشغل مساحاتها مجموعات من صور حيوانات منها على وجه التخصيص الوعل والماعز الوحشى والأسد واقفاً أو رابضاً كأبى الهول Spxinh . وملئت الفراغات بزخارف وحداتها من براعم الزهر أو من أشكال هندسية كالدوائر الحلزونية وغيرها مما يشابه إلى حد كبير الزخارف التى كانت عند الميكينيين .

وتطور النشاط الفنى إلى اقباس المعانى من إلياذة هوميروس والتعبير عنها بالصور التى رسموها على الزهريات ، وقد وجدت أسماء المصورين فى ركن منها ، وأصبحت كتابة الأسماء هى القاعدة فيما بعد ، فلا ترى زهرية دون اسم مصدرها إلا فيما ندر .

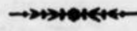
وكان من الطبيعى أن يصبح اسم المصور لازماً للمؤرخ الذى يريد تبويب الزهريات تمهيداً لدرسها ، فضلا عن أنها أظهرت من ناحية أخرى تطور الحروف الأبجدية الإغريقية .

وصادفت الزهريات الرودسية بالمقارنة بغيرها من الأنواع ذيوعاً وانتشاراً فى القرنين السابع والسادس ق . م . فى بلدان ساحل آسيا الصغرى وفى الجزر المجاورة ، فازدهرت صناعتها وذاع صيتها وامتد سلطانها نحو الغرب حتى بلغ وسط إيطاليا (أتروريا أو توسكانا) ، وهذا دليل قوى على ما بلغته من المستوى الفنى ، سواء من حيث أحجامها أو من حيث مادة صناعتها أو التفنن فى زخرفتها ، مما سيكون أكثر وضوحاً وأسهل تناولا فى المقال التالى .

أحمد موسى

موعد . . .

للأديب محمد محمد على السودانى



إذا ما الروض ناجانى بأنفاس العبير ضحى
وغنانى ربيب الرو ض صوتاً ناعماً فرحاً
وهلل خاطرى للطير يقفز فانتشى مرحاً
بكى جفنى بكى قلبى بكى روحى لرؤياك

***

إذا ما الغيم رف على شعاع البدر ثم جرى
سريع الخطو لا يدرى إلام يواصل السفرا
وفاض النور من أبها ئه فى الأرض وانتشرا
مشت أحلامى الولهى تطوف حول مثواك

***

تعالى ها هو المقعد لهيف يرقب الموعد
تذكر فيك عهد الرو ح بين غصونه الميد
لهيف ضارع ثمل فلو ملك القوى غرد
أغار عليك من نفسى وأرحمه لذكراك

***

سمعتك فى خرير الما ء جاز الصخر مندفعا
وفى أنشودة الطير على هام الربى سجعا
وفى إطراقة الكون إذا ما الكون قد هجعا
فإنك فى دمى لحن يهدهد قلبى الشاكى

***

رأيتك فى طيوف الفجر فى أندائه السكرى
ترفرف حولك الآما ل والأفراح والبشرى
وفى خطراتى المشبوبة المذعورة الحيرى
فهل فى ليلتى هذى ترى عينى محياك

محمد محمد على السودانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

تلقيت فى هذا الأسبوع خمسة أعداد من مجلة « الإحسان » التى أصدرتها فى هذا العام الجمعية الخيرية الإسلامية بحلب وهى زاخرة بالموضوعات الأدبية والاجتماعية ، يشرف على تحريرها الأستاذ حسنين حسن مخلوف المفتش بوزارة المعارف المصرية والمنتدب أستاذاً بالكلية الإسلامية بحلب ، وهو من الأدباء الذين يستهلكهم التعليم ، وقد رأيت له بالعدد الثانى فصلا عنوانه « فى مجلس الرافعى » أتى فيه على محادثة جرت بينه وبين الرافعى ، أفضى — أى الرافعى — إليه فيها أنه يحب الآنسة «مى» وأنها هى التى أوحت إليه ما كتب فى فلسفة الحب والجمال . وذكر الأستاذ أنه قال للرافعى فى هذه المحادثة : « أكبر ظنى أنك قرأت كثيراً من الأدب الأوربى المترجم فى الحب ، وعرفت أنه كان سبباً فى شهرة أولئك الكتاب وذيوع صيتهم ، وقد استولى على سوق الأدب فى العالم تصوير العواطف الإنسانية ممثلا فى المرأة ، ولقد استفاض هذا الفن ممزوجاً بالفلسفة الاجتماعية التى سرها إيحاء المرأة ؛ فأردت أن تحدث فى اللغة العربية حدثاً جديداً لم يبرع فيه أحد فى اللسان العربى على هذا النحو الأوربى العميق ؛ فتعلقت بأذيال هذه الكاتبة الأدبية وكان بيتها منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء فى مصر . حضرت مجلسها ثم شغلت بها نفسك لتكتب هذا النوع من أفانين العشق ، و كتبت إليها وما بها بأس أن تكتب إليك ، فطرت فرحا بهذا الحب حتى تخيلته حباً خالصاً وتفلسفت ما شئت فى تصوير العواطف منها وإليها» وقال الأستاذ مخلوف تعقيباً على ذلك : « وعز على الرافعى أن أصور حبه على هذا النحو وأدور به فى هذا المنحنى ، فلم يحدثنى عن حبه بعد ذلك وكان يحدث به الناس » .

ويظهر من ذلك أن الأستاذ مخلوف ، وهو من تلاميذ الرافعى رمى إلى إبداء رأى فى حب الرافعى ، فيقول بأنه حب مصنوع يقصد منه إلى إحداث لون من الإنتاج الأدبى .

وكان على مقربة منى وأنا أقرأ مقال الأستاذ مخلوف ، صديق الأستاذ كامل محمود حبيب ، وهو أيضاً من تلاميذ الرافعى ، فدفعت إليه المجلة ، وقرأ المقال ، ثم نظر إلى ونظرت إليه وأنا أتوقع معارضته لرأى الأستاذ مخلوف ، وإذا هو يضيف شيئاً آخر ، قال : لقد كان الرافعى متديناً شديد التمسك بالدين ، وكان يشعر من هذا بجفاف قلبه ، فأراد أن يرقق قلبه بالحب ، وأن يرقق أسلوبه بقراءة القصة الحديثة (الطويلة والقصيرة) وأراد أن يشعر الناس بهذه الرقة بالكتابة فى الحب على أسلوب دينى ، لأن الطبيعة الدينية كانت غالبة عليه ، ولم تكن فى الروح فحسب ، بل كذلك فى اللغة ، إذ كانت تظهر على أسلوبه المسحة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف .

هذان رأيان فى حب الرافعى لتلميذين من تلاميذه ، والرأيان — كما ترى — يتجهان إلى غاية واحدة ، هى أن الرافعى لم يكن صادق الحب . ولمن شاء بعد ذلك أن يقول إن ما كتب الرافعى فى تصوير العواطف وفلسفة الحب والجمال ، ينقصه « الصدق الفنى » .

فهل عند أحد من سائر تلاميذ الرافعى شىء فى هذا الموضوع ؟ ...

هذه الإذاعة :

قالت مجلة الإذاعة المصرية : « يدور البحث فى دور الإذاعة العالمية وفى الإذاعة المصرية فى هذه الأيام حول سؤال على طرافته خطير نطرحه على مستمعينا ليشتركوا معنا فى دراسته وتبين وجه الحق فيه : هل تكون مهمة الإذاعة مجاراة ميول الجمهور أم رفع مستوى الذوق العام ؟ » ثم قالت إن قسم الرغبات بدار الإذاعة المصرية مفتوح الباب لما يقول المستمعون فى هذا الشأن .

وأقول إن هذا البحث لا يحل مشكلة إذاعتنا ، لأنها ليست ناشئة من مجاراة الإذاعة لميول الجمهور أو من عملها على رفع مستوى الذوق العام ، ولو كان الأمر كذلك لرضى عنها

الجمهور إن كانت تجاربه ، أو رضى عنها المثقفون إن كانت مرتفعة عن ذوق الجمهور . والواقع أنها لا ترضى عامة الجمهور فيما تزعم أنها تقدمه ملاءمًا لهم ، ولا تنال رضا الخاصة بما تزعم أيضاً أنه للخواص .

إن القائمين بأمر الإذاعة ليسوا من ذوى الاختصاص ، وأ كثرهم محول عليها من المهن الأخرى ، وبلى مناصب هامة فيها من وصل إليها بغير الكفاية ، والعناصر القليلة الصالحة فيها هم بعض الشباب الذين ليس بيدهم شيء من القيادة وأ كثر الذين تقدمهم الإذاعة يعرفون الطريق إلى توثيق صلاتهم بأولئك المشرفين ؛ ومثال هذا العلاقة بين مؤلفى التمثيليات والبرامج الخاصة وبين المخرجين ، فالأولون من خارج الإذاعة ، والآخرون من موظفيها . ويعرف المؤلف أن « جواز » مؤلفه أن يخرجه فلان أو يقال إنه أخرجه . وينشأ من كل ذلك تقديم غير الصالح على الصالح والتكرير الذى يعل من الحسن ويزيد السخيف سخفاً .

تلك هى العلة الحقيقية فى إذاعتنا المصرية ، وهى ما يجب أن يعالج أولا . أما مسألة النزول إلى مستوى الجمهور أو رفع الذوق العام ، فتأتى فى المرتبة الثانية . على أن هذه المسألة إن كانت تبحثها إذاعات البلاد المتقدمة فى الثقافة والتعليم فلأن لها عندهم موضوعاً ، لأنهم يتجاذبون الرأى بين مسايرة الجمهور فى ثقافته العادية وبين الارتفاع إلى مستوى ذوى الثقافات العليا ، أما عندنا فالجمهور عامى والغالبية أمية ، فهل تكون مهمة الإذاعة (الدردشة) مع العامة والإبقاء على انخفاض الذوق العام ..؟

ذكرى سيد درويش :

كان يوم الأربعاء ١٥ سبتمبر الحالى يوم ذكرى الوسيقى المصرى الخالد سيد درويش ، وقد مضى على وفاته ربع قرن فاحتفى بهذه الذكرى معهد الوسيقى الشرقى بالاسكندرية إذ أقام فى مساء الأربعاء حفلة نقلتها الإذاعة إلى المستمعين . وقد كان من حسنات هذه الحفلة ما تضمنته من قطع غنائية وموسيقية من فن سيد درويش ، فكانت خير تحية لذكراه وأفصح دليل على استحقاقه الخلود ، وإن قصر القائلون فى ذكراه فقد وفى نفسه بنفسه .

لقد جعل سيد درويش الموسيقى والغناء فناً معبراً مصوراً له موضوع ، بعد أن كان مجرد أصوات للتطريب ، واستوحى البيئة وعبر عنها وارتفع بذوقها . وأحس إحساس الفرد الممتاز بآلام الجماعة وآمالها فجمع فى الهتاف بها بين القوة والجمال ، وأثبت بعبقريته الفذة أن الفن الحقيقى هو الذى يحيى النفوس وهو يمتعها .

لقد ردد القائلون والكاتبون فى ذكرى سيد درويش مآثره وأعماله فقالوا إنه أذكى الثورة سنة ١٩١٩ بأناشيده وألحانه ، وإنه أدى على المسرح تمثيليات موسيقية كان لها أثر فى الوعى القومى والتوجيه الوطنى . ونحن الآن نسمع ذلك ونتلمس فى حاضرنا ما يشبهه ، فنأسى للرجوع إلى مجرد التسلية والتلهية ، وانحصار التجديد فى تصوير المشاعر المترفة .

ثلاثة عبروا عن الشعب وخاطبوه فأثروا فيه : سيد درويش فى الموسيقى ، وحافظ إبراهيم فى الشعر ، والمنفلوطى فى الكتابة ؛ وقد عاشوا جميعاً فى الربع الأول من هذا القرن ، أوائل فى منحاهم ولم يتكرروا .

عاشوا بأدبهم وفنهم مع الشعب ، أخذوا منه موضوعاتهم ، ولم يبعدوا عنه بالأداء ، بل جذبوه بالطلاوة والسهولة ، والروح التى يشعر بها ويجدها فيهم . لم يترفعوا عليه ، ولم يبتذلوا بالنزول إليه .

وحظ الوطن بأولئك الثلاثة وإن كان كبير القيمة إلا أنه قليل العدد ، لأنهم ثلاثة من عشرات الأدباء والفنانين البارزين ، وهذا مع حاجة الوطن إلى ما يلائم العصر من لون إنتاجهم الديمقراطى فى الأدب والفن .

شهر اليونسكو :

أشرت فى الأسبوع الماضى إلى الخطة التى وضعتها اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لتنظيم مظاهر النشاط الثقافى والعلمى والأدبى والفنى فى خلال المدة التى يجتمع فيها مؤتمر اليونسكو ببيروت والتى يطلق عليها « شهر اليونسكو » .

وأذكر اليوم أهم مقترحات اللجنة التى ألفت لتنظيم شهر اليونسكو ، وقد تمت الموافقة عليها :

تدعو اللجنة الثقافية جميع الحكومات العربية لمشاركة لبنان

فى تنظيم المعارض والحفلات الفنية وسواها من المظاهر الفكرية والثقافية التى ستقام فى بيروت أثناء انعقاد مؤتمر اليونسكو بها. وتمد الحكومة اللبنانية معرضاً علمياً يمكن نقله بعد انتهاء المؤتمر إلى أى بلد عربى يرغب فى ذلك. ويقام معرض تشترك فيه جميع الدول العربية يقسم إلى ثلاثة أجنحة، جناح للتربية، وجناح للفنون، وجناح للمطبوعات والمخطوطات والصحافة العربية.

وتنظم الحكومة اللبنانية سلسلة من ثمانى محاضرات تلقى بالفرنسية أو الإنجليزية؛ وتختار — إذا أمكن — محاضرين عن كل قطر عربى بالاتفاق بينها وبين الحكومات العربية المختصة. على أن تخصص محاضرتان من هذه المحاضرات لموضوعى الحضارة العربية، والنهضة الحديثة فى الشرق العربى.

وتقرر إحياء ليلتين عربيتين بالموسيقى والغناء والرقص، يحيى لبنان واحدة، وتشترك البلدان العربية فى إحياء الثانية. وتنظم الحكومة المصرية حفلة مسرحية، وتعرض بعض الأفلام العربية الجيدة التى تصور مظاهر الحياة العامة فى الشرق العربى. وطلبت الحكومة اللبنانية بوساطة اليونسكو بعض الأفلام العلمية والتربوية والثقافية من أوربا وأمريكا.

ذكرى ابن سينا:

وقد تقر أيضاً فى اجتماع اللجنة الثقافية بلبنان، أن يحتفل بمرور ألف سنة على مولد ابن سينا. وتتخذ لذلك الوسائل الآتية:

١ — حصر مؤلفات ابن سينا ورسائله الموجودة فى مكتبات مصر والأقطار العربية الأخرى وتركيا وإيران وبلاد الغرب. ثم تقوم الإدارة الثقافية للجامعة العربية بأخذ صور فوتغرافية لها، فإن تعددت النسخ أخذت صورة أحسنها، فإذا اجتمع للادارة الثقافية صور المخطوطات غير المطبوعة من مؤلفات ابن سينا، استخرجت منها نسخاً بعدد الأقطار العربية والتركية والإيرانية وأهدت إلى كل قطر مجموعة منها تودع خزائن خاصة فى دور كتبه تخليداً لذكر ابن سينا وإظهاراً لعظمته.

٢ — تعهد الإدارة الثقافية إلى لجنة من المختصين، بنشر آثار ابن سينا نشراً علمياً.

٣ — تعهد الإدارة الثقافية إلى لجنة مختارة، بفحص خير الأبحاث التى كتبت عن ابن سينا فى اللغات العربية والفارسية والتركية واللغات الغربية، وترجمة ما لبس بعربى منها إلى العربية وجمعها فى كتاب تنشره الإدارة الثقافية.

٤ — إعداد مهرجان عربى يقام فى إحدى عواصم الدول العربية، ويعهد له باستكتاب المختصين أبحاثاً عن حياة ابن سينا وآثاره، ويلقى بعض هذه الأبحاث فى المهرجان ثم تجمع وتطبع وقد رؤى أن أليق العواصم لهذا المهرجان بغداد، فاستقر الرأى على إقامته فيها.

٥ — إنشاء مؤسسة تذكارية علمية تخلد ذكرى ابن سينا فى الطب والفلك وغيرهما من العلوم وتنشط الحركة العلمية العربية المعاصرة.

٦ — إقامة معرض فى المهرجان تعرض فيه آثار ابن سينا المطبوعة والمخطوطة لهذه المناسبة.

من طرف المجالس:

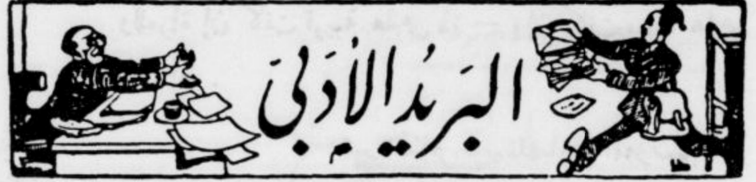
نحن اليوم فى جلسة نسائية بين مطربة كبيرة وسيدة أخرى قالت الأولى للثانية وقد خلا المجلس إلامنهما:

— من هذه الست المكتئبة المتشحة بالسواد؟

— هذه الست فلانه. مسكينة ... كانت متزوجة أحد القضاة ومات، وتزوجت فلان بك ومات، ثم تزوجت ..

فقاطعتها مكملة: ومات! ثم تمصمصت شفتيها وقالت: كل من عليها فان.

عباس خضر



مساواة ضيزى :

فى مقال الأستاذ الكاتب الغيور نقولا الحداد « فصيلة المخلوقات الخبيثة » فى العدد (٧٩١) من الرسالة ، الغراء جاء قوله : هل يعلم القراء أنه مكتوب على أبواب بعض الفنادق الأمريكية « ممنوع دخول اليهود والكلاب إلى هذا الفندق » ؟

وجوابى الصريح أن هذه العبارة الأمريكية إنما تحمل من المدح أضعاف ما تحمله من القدح لأولئك الذين سماهم الأستاذ بحق — فصيلة المخلوقات الخبيثة .. ذلك بأنها تسوى — خطأ — بين اليهود والكلاب وتغض الطرف عن أمور كان يجمل أن تأخذ محلها من الاعتبار فى سياق المساواة ، وإليك البيان :

١ — قال الشاعر :

وما يك فىّ من عيب فانى
جبان (الكلب) مهزول (الفصيل) (١)

٢ — وقال الآخر :

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة (بعيران) نرعى فى الخلاء ونعزب
وددت - وبيت الله - أنك (بكرة)(٢)
هجان ، وأنى (مصعب) (٣) ثم نهرب !

٣ — وقال غيرها :

يغشون حتى ما تهر (كلابهم) لا يسألون عن السواد المقبل

٤ — وقال الضليل :

وجيد كجيد (الرئم)(٤) ليس بفاحش
إذا هي نصته ، ولا بمعطل

٥ — وقال :

نظرت إليك بعين (جازئة)(٥) حوراء حانية على طفل

(١) كناية عن كرمه . (٢) أى ناقة فتية .
(٣) المصعب : الفحل الذى يترك فلا يركب .
(٤) الرئم : الظبي الأبيض الخالص البياض .
(٥) الجازئة : الظبية تكتفى بالقليل من الماء عن كثيره فهى ضامرة هيفاء .

٦ — وأخيراً قيل فى الطير دع النعم :

لو اطلع (الغراب) على [يهود] (١)
• وما فيها من السوءات شابا ! ... الخ

وبعد : فمن محصل أقوال القائلين أو بالأصح أبيات الشاعرين يستفاد أن بعض الحيوان الأعجم — وصفاً وحالا — أعظم قدراً وأنفع للناس من فصيلة المخلوقات الخبيثة ... أولئك الذين بدت سوءاتهم للعيان فى مجازر دير ياسين وطبرية وحيفا ويافا وغيرها من رقاع فلسطين ... وشتان بين كلب يحرسك وخبيث منهم يخونك ؛ بل شتان بين مُدر يعطى اللبن ، وبين خبيث منهم يفطم الولد ، ويبقر البطن ، ويقتل الجنين ! !

ثم ماذا ؟ ثم يبقى أن نقول إن مساواة العبارة الأمريكية اليهود بالكلاب ، وتشبيه الأستاذ صاحب المقال هؤلاء بفصائل الحيوان الأعجم هو مساواة ضيزى وتشبيه مع الفارق . هذا الذى بينت بعضه أبيات الشاعرين ، والبعض قد يغنى عن الكل وبخاصة فى مثل مقامنا ، والسلام .

(الزيتون) عدنان

(١) فى الأصل (تميم) والتغيير اقتضاه المقام ، ولا ملام !

إلى أبناء العروبة :

لم يعرف تاريخ مصر الحديث قائداً عبقرياً ولا مجاهداً عربياً ولا فاتحاً مصرياً دامت له عديد الأمصار ورفع علم العروبة خفاقاً فى العالمين كما عرف ساكن الجنان ابراهيم باشا — فلقد استطاع الفاتح المصرى العظيم أن يلقى على الدنيا درساً لن ننساه حتى ذهبت سيرته مثلا أعلى فى التاريخ تقرأ فى الجامعات وتدرس فى الكليات التى تخصصت فى تفهم سير الأبطال التى غيرت فتوحاتهم مجرى التاريخ ... وها نحن أولاء على أبواب (المائة عام) التى مضت على انتقاله إلى جوار ربه راضياً مرضياً ونحن أشد ما نكون حاجة إلى إعادة مجده واستذكار فتوحاته وأعماله — فهل للعروبة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهل للقادة من رجال الفكر ألا يعملوا على إذاعة هذه الذكرى التى تعبق بتاريخ العزة والنصر ، وتفعل فى النفوس فعل السحر وتدفع بالأمة العربية الباسلة إلى أن تترسم خطاه حتى تكون من تحقيق أمله قاب قوسين أو أدنى .

محمد عبد الوارث الصوفى

الأمجاد ليست جمعاً للمجد :

طالعت في العـدد الأخير من الرسالة الغراء ما دبجه يراع الأستاذ الـكبير محمود رزق سليم المدرس بكلية اللغة العربية تحت عنوان : من وحي حماة : وقد افتتح الأستاذ كلامه بقوله (لا أدري لماذا يهزني شوقي إلى حماة ويهفو قلبي إليها كلما ذكرت ويردد لساني اسمها في كثير من التقدير . وأقف عند ترديده وقفة المتأمل المستلهم . مستعرضاً على ذاكرتي لمحات تاريخها الفياض فتشرق منه في سماء الذهن ومضات من أمجادها الماضية) والذي نأخذه على الأستاذ الجليل قـوله (أمجادها الماضية) : ذلك لأن الأمجاد لم ترد جمعاً للمجد ولم تر المجد مجموعاً وقياس جمعه في القلة أمجد مثل سهم وأسهم . نعم قد جاء جمع فعل على أفعال ولـكن في كلمات شاذة يجب أن نقف عندها ولا نتعداها . من ذلك فرخ وأفراخ : وزند وأزناد : وفرد وأفراد : ومجد وأمجاد : أما أمجاد جمعاً للمجد فلم تذكر في كتب اللغة وإنما جاء أمجاد جمعاً لماجد أو مجيد . وفي الحديث (أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد) .

(الزقازيق) **محمد عبد المقصود هيكل**

هأنذا :

في العدد ٧٩٣ كتب الأستاذ الإشبيشي بجواز مثل هأنا بائع ولـكني هأنذا أدعوك أن تتبع كل ضمير سبق بهاء التنبيه تجد خبره اسم إشارة بطابقه ، والقرآن الـكريم لم يخرج عن هذه القاعدة وكفى به شاهد صدق .

وعبارة ابن هشام لغة تأليف لاعبارة تحقيق ، ولم لا تـكون مما يؤخذ عليه ؟ فلا تنهض لنهدم بها قاعدة .

وبيت البحتري لو أن الشعر وسعه أن يقول هاهوذا لـكان أشد تقريباً لمخاطبته ، فلا زالت القضية من وجوب الاتيان باسم الأشارة مطابقاً الضمير المسبوق بهاء التنبيه كما يقوله من يسميهم (التأديين) صحيحة .

وإليك عبارة المختار : يقال أين أنت ؟ فتقول هأنذا . والمرأة تقول هأنذه . ويقال أين فلان ؟ فتقول . إن كان قريباً — ها هو ذا – وإن كان بعيداً ها هو ذاك وللمرأة إن كانت قريبة ها هي ذه — وإن كانت بعيدة ها هي تلك أه .

عبد الفتاح عبد الصادق الملاحسي
مدرسة الاسماعيلية الأميرية للبنات

سودنة :

ليست هي تلك السودنة التي تقشعر منها الابدان كلما ذكرت ، بل هي سودنة خفيفة لطيفة ، لم تفرضها السياسة وأساليبها الملتوية ، وغاياتها المظلمة ، وإنما فرضها أمر يدل على وحدة التقاليد بين شطري الوادي ، جنوبه وشماله ، وخاصة ذات الطابع الديني منها ، كتلك التي تحرص على أن تشرك الأبن في جزء من اسم أبيه ، لينال كل منهما شرف إطلاق (محمد) عليه .

نشرت « الرسالة » الغراء في عددها ٧٩٢ قصيدة بعنوان (الدوحة الذاوية) وهي قصيدة كان على أن أسودنها قبل أن أدفع بهـا إليها فاضع بجانب اسمي (السوداني) ، ذلك لأن الأستاذ « محمد محمد على » يشاركني أو أشاركه في الاسم الـكريم وقد سبقني إلى الرسالة شاعراً وكاتباً ، وإلا لوجب عليه هو أن (يمصر) اسمه وأعفى أنا من هـذه السودنة الخفيفة اللطيفة برغم إعترافي له بالسبق في ميدان العلم والأدب .

محمد محمد علي السوداني

من الأقاصيص القصيرة :

الخـــوخ

للكاتب الروسى تولستوى

لما فرغ القروى (تيكو كوزميت) من جولته فى المدينة ، قفل راجعاً إلى منزله يحمل فى إحدى يديه صرة صغيرة . فلما بلغ إلى صحن الدار نادى أولاده جميعاً ثم قال لهم :

— انظروا يا أطفال ماذا بعث العم (إفريم) إليكم .!

فهرول الصغار إليه ثم توسطوه ، بينما كان — هو — منصرفاً إلى فض الصرة لإخراج محتوياتها ؛ فلما تم له ذلك ، صاح (ڤانيا) — وهو طفل صغير فى نحو السادسة من عمره :

— تأملى يا أمى التفاح الجميل ، كم هو رائع فى احمراره !

فعقب (سيرج) — الابن الأكبر — على الفور :

— ... بعيد عن الظن أن يكون هذا تفاحاً يا (ڤانيا) ؛ جرب أن تتحسس ملمسه ... ألا ترى له أثر ملمس زغب الدجاج فى يدك ! عندئذ قال الأب :

— إنه ليس تفاحاً ياولدى ... إنه فاكهة تسمى « الخوخ » أعتقد أنه لم يسبق لكم أن رأيتموها من قبل ! إليك يا امرأة أكبر الخوخات ؛ أما هذه الأربع ، فإنها لكم يا أولادى !

وفى المساء ، سأل (تيكو) أبناءه جميعاً كيف وجدوا الفاكهة الجديدة ؛ فأجاب (سيرج) ، الابن الأكبر :

— لقد وجدتها سائغة المذاق جداً يا أبت ، حتى لقد أزمعت غرس نواتها فى آنية ، لعلها أن تنمو وتثمر يوماً ... وتصبح شجرة خوخ جميلة ، تدر على — فى سخاء — مثل هذه الخوخات المستحبات ! فتبسم الأب ثم قال :

— ربما كنت (ياسيرج) فى قابل أيامك زرعاً كبيراً !

وقال الصغير (ڤانيا) : أما أنا يا أبت ، فقد وجدتها بالغة اللذة ، فارطة الحلاوة ، حتى لقد طلبت إلى أمى أن تعطينى نصف خوختها ! أما النواة ، فقد ألقيت بها ! فهز الوالد رأسه ثم قال :

— إنك مازلت بعد غريراً يا صغيرى !

وقال الابن الثانى (ڤازيلى) :

— ... لما ألقى (ڤانيا) بالنواة ... سارعت فالتقطتها ، وقد وجدتها شديدة الصلابة ، ولكننى لم أيأس ... وعالجت كسرها حتى أفلحت فى ذلك أخيراً ؛ وكم كان اغتباطى عظيماً يا والدى ، إذ ألفيت داخلها لوزة لها مذاق البندقة ! أما خوختى ، فقد تدبرت أمرها برهة ، ثم اخترت أن أبيعها على أن آكلها ، مجتزءاً باللوزة الظريفة ... مأكولاً لذيذاً !

فضحك الأب ملياً لمقالة (ڤازيلى) ثم قال :

— إن الوقت لم يحن بعد لتبدأ أعمال التجارة يا ڤازيلى !

— أتراك تستعجل امتهان الحرفة التى تؤثر ياصديقى !؟

خيم الصمت برهة ، التفت بعدها (تيكو) إلى (ڤولوديا) — ابنه الثالث — ثم قال مستغرباً :

— ... وأنت يا (ڤولوديا) ... لم تحدثنا كيف وجدت مذاق خوختك !؟ — ... لا أدرى يا والدى !

— لا تدرى ! كيف ؟ إنك لم تأكل واحدتك إذن؟ فأجاب (ڤولوديا) : لقد حملتها إلى (جوشا) إذ علمت أنه مريض طريح الفراش ؛ فلما دخلت عليه ، وجلست إلى جواره ، لم يفعل سوى أن ظل يتأمل الخوخة معجباً ، فعرضت عليه أن يأخذها ، لعلها أن تعجل شفاءه ، بيد أنه رفض ... ورفض فى إصرار ؛ فلم أجد حيلة لقسره على أخذها ، إلا أن أتركها ، وأنا — منصرف من عيادته — على نضد صغير متاخم لوسادة الرأس فى فراشه . وقد وضعتها ثمة ... فى رفق ، ودون أن يشعر ؛ ثم حييته وانصرفت .!

عندئذ جاش صدر الأب تأثراً لهذه العاطفة الكريمة ، وقال فى نبرة ناعمة حانية وهو يربت على كتف ابنه :

— إنك يا (ڤولوديا) كملك رقيق الحس ... نبيل المشاعر .!

عبد العزيز الكرداني

سكك حديد الحكومة المصرية

تذاكر الاشتراك الكيلومترية

يتشرف المدير العام باعلان حضرات حاملى تذاكر الاشتراك الكيلومترية أنه فى حالة تأشير المحطة على اشتراكاتهم باعتماد السفر لقطار ما ثم طرأت بعد ذلك ظروف تدعو لتأجيل السفر إلى قطار آخر ففى هذه الحالة يتعين على حضراتهم تقديم اشتراكاتهم إلى موظف المصلحة المختص لتصحيح رقم القطار بالمداد الأحمر مع اعتماد التصحيح بتوقيع الموظف و بختم المحطة —

أما إذا عدل المسافر كلية عن السفر فيلزم فى هذه الحالة تقديم الاشتراك إلى موظف المحطة قبل قيام القطار لالغاء هذه السفرية بالمداد الأحمر مع اعتماد هذا التصحيح بتوقيع الموظف و بختم المحطة . والمرجو من حضرات المشتركين ملاحظة أن كل تصحيح أو إلغاء لسفرية ما غير معتمد بتوقيع موظف المحطة وغير مختوم بختم المحطة لا يلتفت إليه وتعتبر السفرية كأنها تمت فعلا .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٦ — الاثنين ١٤ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٩٦ — الاثنين ٤ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 796

Lundi — 4 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٦ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مصرع برنادوت ...

للأستاذ نقولا الحـــداد

لو كانت الرصاصة التى صرعت برنادوت عربية لقل العجب ، لأنه كان مع اليهود على العرب . ولـكن حاشا للعربى أن يغدر . حاشا للعربى أن يقتل من لا يهاجمه . حاشا للعربى أن يقتل أعزل أو شيخاً أو طفلا أو امرأة . لا يمكن العربى أن يقتل برنادوت حتى ولو كان يهودياً !

كان العرب يحمون برنادوت وهو فى ديارهم ، ولقـد كان النقراشى باشا يبث العيون من حوله لوقايته من غدر اليهود الخونة وهو فى مصر .

برنادوت خدم اليهود : أيد التقسيم وغض النظر عن السلاح الذى كان يهرب إلى تل أبيب ، وغض النظر عن المهاجرين اليهود الذين كانوا يتسربون إلى فلسطين ، وغض النظر مئة مرة عن خرق اليهود للهدنة !

رحمه الله ! حابى اليهود كثيراً ! ولـكن اليهود كانوا يريدون أن يكتب فى تقريره بأن كل فلسطين وشرق الأردن هما حق حلال لليهود ! فلم يكتب هـكذا فقتلوه !

كان يريد تجريد بيت القدس من السـلاح ، وهم يريدونه عاصمة دولة إسرائيل فقتلوه ! كانوا يريدون مرفأ حيفا مفتوحاً على مصراعيه ، وهو يريد إقفاله ريثما تسوى مسألة فلسطين فقتلوه ! كانوا يحرمون عليه أن يبعث بتقرير عن نقضهم للهدنة إلى مجلس الأمن ، فلم يستطع أن يمتنع فقتلوه ! كانوا يريدون أن يخرج من فلسطين على الإطلاق ، فلم يجرؤ أن يترك المهمة التى انتدب لها فاغتالوه ! لمـاذا ؟ لأنه لم يكن يستطيع أن يعطيهم كل فلسطين ! ما كان يجوز أن يفعله العرب ببرنادوت لأنه أوثقهم بالحبال والحديد فعله اليهود !

إن هؤلاء الأوغاد لم يعودوا يقنعون بحصة من فلسطين ، بل صاروا يطمعون فيها كلها وبشرق الأردن معها وبسائر بلاد العرب كلها . فلما مرت طائرة عربية من لبنان إلى عمان تعقبوها وأسقطوها على الرغم من أن قائدها أبلغهم باللاسـلكى أنه ينقل ركاباً مدنيين ، وكان بظنهم من رجال هيئة الأمم الرقباء قد أخطأوا لحاول أن يصحح خطأهم ، ولـكنهم كانوا أرذالا يقصدون الشر مجاناً . فحطموا الطيارة وذهب ضحيتها صحفيان ، ولا ندرى ما ذا يكون حكم الصحف التى يمثلانها ؟!

لقد ثبت أن تقرير برنادوت كان أصلح لليهود من قرار التقسيم ولـكن اليهود توقحوا فلم يعودوا يقنعون بتقسيم فلسطين ، وإنما يطمعون فى كل موضع يحتلونه ، وخاصة بعد ما رأوا أن الدولة الثعلبة العظمى قد انقلبت من الحياد المـاكر إلى جانب التقسيم الصريح ، فقوى ظهرهم حتى فى مصر ، فصار النعاج منهم ذئاباً ! ذلك أن إرهابيين تسللوا من صهيون إلى مصر وجعلوا يلقنون هؤلاء النعـاج المزرائيين دروس الإرهاب والخطف والغـدر

والتحدى ، نخطفوا ثلاثة من رجال البوليس وحبسوهم فى معبدهم بحارة اليهود . وجرؤ بعضهم فأطلقوا المسدسات على الحكمدار !

هذه جراءة لم نعهدها من جبناء اليهود الأنذال قبل اليوم !

فا ذا جد حتى صارت لهم هذه الجرأة والوقاحة ؟ !

لعل وحياً جاءهم من قصر شايو فى باريس أن دولة عزرائيل صارت سيدة دول الشرق فتنمروا وتمردوا !

وإذا كانوا الآن — ولا دولة لهم — يستفحل أمرهم وشرهم هذا الاستفحال ، فما ذا عسى أن يكون إن صارت لهم دولة — لا سمح الله — وصار لهم سفير فى مصر وقنصل وبنك ، وصار لهم حاضرة أنيقة على ظهر جبل المقطم ، وصارت موطن ملاه ولعب ورقص وشرب ونصب ، وكان فيها حسان يلعبن بقلوب الكهول والفتيان ، ويستخدمن نفوذ الأكابر والأعيان ، فإذا بلغوا هذا المبلغ ، فأى حال يكون حالهم ، وعلى أى شكل يتغطرسون ، وفى أى واد يهيمون ، وفى أى سماء يسبحون ، وقانا الله شر هذا الفجور !

ترى هل تقتص حكومتنا السنية من هؤلاء الأرذال المتحصنين فى حارة اليهود القذرة ؟ وتؤدب هؤلاء الأنذال وتقى المدينة شرهم وتقمع فتنتهم ، فهم على قلتهم وضعفهم قد أنشأوا شبه حكومة لهم فى حارتهم الحقيرة وأقاموا لهم فيها حرساً يمنع مرور الناس ، وإن غلط أحد المارة ودخل معقلهم الحقير (بهدلوه) واعتقلوه وضربوه وربما قتلوه ! !

وهم على ضعفهم أشعلوا ثورة كادت تنتشر كالنار فى الهشيم ، وهم مسلحون بالأسلحة الحديثة وبالقنابل والمفجرات لا يهابون قانوناً ولا يخشون بوليساً ولا يوقرون حكومة !

فإذا كانت الحكومة لا تحرم عليهم صنع المفجرات حتى على الصبيانية منها ، ولا تطرد الخطرين منهم ، كانوا خطراً على الأمن ومبعثاً للقلاقل فى البلاد !

رجو ألا تغض الحكومة النظر عنهم كما غضت هيئة الأمم النظر عن قتلة برنادوت !

لقد قتل برنادوت ودفن جسمه واسمه ، ودفنت معه هيبة هيئة الأمم ، وأصبح خذلان مجلس الأمن أمراً واقعاً . وقد استمرأ اليهود سياسة الأمر الواقع ، وعادوا يفعلون ما يروق لهم ولا يحسبون حساباً للعواقب ، لأن الأمر الواقع ينفى كل عاقبة !

ولقد كان ذنبنا العظيم أننا لم نجنح إلى الأمر الواقع ولا عرفنا كيف نستفيد منه !

لو ألفنا حكومة عربية لفلسطين من أهل فلسطين منذ أعلنت انكلترا الثعلبية أنها ستلغى انتدابها فى أول مايو — لو ألفنا حينئذ الحكومة العربية ، وجعلنا مكانها فى مصر أو الشام أو بغداد كما فعلت بلجيكا وهولاندا ونروج فى الحرب الأخيرة من كان يمنعنا لو كان لفلسطين حكومة عربية — أينما كانت — من أن نحتل فلسطين فعلا حالما تركتها انكلترا ؟!

إن اليهود فعلوا ما كان يجب أن نفعله ، كانوا كلما ترك الإنجليز موضعاً احتلوه هم ، ولو كانت حكومة فلسطين العربية الحرة قائمة لكانت أسبق إلى احتلال حيفا من اليهود .

نعتب على الإنكليز أنهم أخلوا حيفا لليهود ، فهل كانت حكومة فلسطين على استعداد لاحتلال حيفا ومنعها الإنكليز ؟

احتل اليهود كل مكان أخلاه الإنكليز ، ونحن لم نستطع أن نحمى نساءنا وأطفالنا ، ففتك بهم أولئك الذئاب ، وفر من استطاع أن يظفر بالسلامة ! فحتام يا قوم نتبع سياسة التوانى ، ونعرض عن سياسة الفرصة السانحة ، والضربة السابقة ، والأمر الواقع ؟!

نقولا الحداد

مصر والعـالم

فى القرن الثالث عشر الميلادى

للأستاذ عطيه الشيخ
المفتش بوزارة المعارف

كنانة الله :

أيهـا المصرى الـكريم ! إذا ادلهمت حولك الخطوب ، وا كتنفتك المحن ، وطمع الانجليز فى جنوب واديك ، وكشر الصهيونيون عن أنياب غدرهم فى فلسطين ، ومالأت هيئة الأمم ظلم أعدائك وأهملت حقك ، فلا يهولنـك الأمر ولا ترع ، فمن قبل هـذه الأقوام كانت أمتك تحتضن الدهر وهو غلام ، وتعلم الشعوب وهم رعاع ، وتحمل مشعل العلم والمدنية والنـاس جميعاً فى ظلام ، ثم قامت عروش ، وتـكونت دول ، وبادت أمم ، وتغيرت خرائط العالم مرات ومرات ، ومصر هى مصر ، كنانة الله فى أرضه ، وجامعة المبادئ الفاضلة ، وملاذ المدنيات وقبلة العالمين . اقرأ إن شئت ما قامت به مصر فى القرن الثالث عشر الميلادى وحده ، لتعلم كم لبلادك العزيزة من أياد على الناس أجمعين ، وأنها بحق كنانة الله فى أرضه .

أمة تحتضر :

جاء القرن الثالث عشر الميلادى والخلافة العباسية فى بغداد تحتضر ، ويقوم بالحـكم الفعلى فى أرضها « الأتابكة[1] » وهم أمراء سلاجقة ، تقسموا الدولة بعد موت ملك شاه سنة ١٠٩٢ ميلادية . هـذا فى المشرق ، وأما فى المغرب ، فـكانت مدن الأندلس تتساقط تساقط أوراق الخريف أمام هجمات الأسـبان حتى سقطت « قرطبة » نفسها ١٢٣٦ م وكانت دولة الموحدين فى الشمال الإفريقى قد آذنت بزوال ، كما كانت سواحل بـلاد الشام جميعها لا تزال فى أيدى الصليبيين بعد أن استرد صلاح الدين الأيوبى مدنهم الداخلية ، أما فى مصر فـكان سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك يحكمون من القاهرة مملـكة قوية ، تضم فى معظم أيامها مصر ، والنوبة ، واليمن ، وبرقة ، وأكثر بلاد الشام وفلسطين ؛ ويمتد ملـكها من الأناضول شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً ، ومن الفرات شرقاً إلى تونس غرباً . وتعاقب على العرش فى هذا القرن الملك العادل أخو صلاح الدين « ١١٩٨ — ١٢١٩ » ثم الصالح أيوب بن الـكامل « ١٢٣٨ — ١٢٤٩ » ثم شجرة الدر زوجة الصالح ، وابنه نوران شاه « ١٢٣٩ — ١٢٥٠ » ثم انتهى سلطان الأيوبيين وورثهم المماليك « ١٢٥٠ — ١٥١٧ » وكانت مصر فى هذا القرن أقوى أقطار الإسلام لاتساع مُلـكها ووفرة خيراتها ، وما انضوى تحت لوائها من ممالك وأمصار ، ولمـا فى عنصر هذه الأمة الـكريمة من حيوية يشيب الدهر من حولها ولا تزال أبداً فتية ، ولأن حكامها آنذاك ، من أيوبيين ومماليك ، كانوا قواداً عسكريين ، قبل أن يكونوا ملوكاً حاكمين نبتوا فى كنف المعارك ونشأوا تحت ظلال السيوف .

أخطار ثلاثة :

كان أعداء الإسلام فى ذلك القرن ثلاثة : هم الصليبيون ، والمغول ، والحشاشون .

(ا) الصليبيون : قضى المسلمون القرن الثانى عشر كله فى جلاد مرير مع الصليبيين ، تزعمه عماد الدين زنـكى ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى ، وانتهى القرن الثانى عشر ومات صـــلاح الدين الأيوبى ١١٩٣ ، ولا يزال الصليبيون يملـكون سواحل الشام من أنطـاكية إلى غزّة ، وقد علمتهم حُروب صلاح الدين أنهم لا يستطيعون الاستقرار فى بلاد الشام ما دام فى مصر دولة قوية ، فوجهوا غزواتهم فى القرن الثـالث عشر إلى مصر ليفتحوها بعد القضـاء عليها ، وبذلك يُؤمنون مملـكة أورشليم . وكانت أول حملة صليبية على مصر فى هذا القرن « ١٢١٨ » بقيادة « جان دى برين » واستولوا على دمياط ، وأخذوا يزحفون على القاهرة ، فمات الملك العادل حزناً ، وترك أمر الدفاع لابنه الملك الـكامل الذى ورث البطولة عن أبيـه وعمه (صلاح الدين) ، فأقام الاستحكامات فى المـكان الذى سمى فيما بعد بالمنصورة ، وجاءته النجدات من اليمن والشام ، والمتطوعة من سائر البلاد الإسلامية ، وانتهز فرصة فيضـان النيل ، فقطع الجسور ، وأحاطت الميـاه بالصليبيين ، ورأوا استماتة المصريين

(١) الأتابكة : جمع أتابك . ومعناها فى التركية الأمير الحاكم

فى الدفاع ، فطلبوا الصلح وانقلبوا خائبين سنة ١٢٢١ م .

وفى سنة ١٢٢٨ م . استطاع فردريك (أمبراطور ألمانيا وملك جنوب إيطاليا وزوج ابنة قائد الحملة السابقة جان دى برين) بحسن حيلته وبما اشتهر عنه من حب الإسلام والمسلمين ، استطاع أن يعقد مع الملك الكامل اتفاقاً على أن يعطى بيت المقدس بشرط أن يحتفظ المسلمون فيها بأماكنهم المقدسة ، وأن يساعد « فردريك » « الكامل » على أعدائه ، وأن يمنع النجدات الأوربية عن الإمارات الصليبية الباقية فى سواحل بلاد الشام ، كطرابلس ، وأنطاكية . وقد أنكر هذا الاتفاق المسلمون أشد الإنكار ، لأنه أخرج بيت المقدس من أيديهم ، كما أنكره الصليبيون لأنه حرمهم سُبل النجدات الأوربية ، وتركهم فرادى فى بلاد الشام ، يحيط بهم المسلمون إحاطة السوار بالمعصم . وقد برهن الزمن على بُعد نظر الملك الكامل إذ حفظ بهذه المعاهدة مصر من الغزو ، وكانت أمل الإسلام والمسلمين فى هذا القرن ، واستطاع الصالح أيوب بن الكامل أن يسترد بيت المقدس سنة ١٢٤٤ م وأحرق أحياءها الصليبية .

ثارت أوربا لعودة القدس إلى كنف الإسلام فجاءت حملة صليبية بقيادة « لويس التاسع » ملك فرنسا ، واحتلت دمياط سنة ١٢٤٨ م . فعسكر المصريون فى قلعة المنصورة ، وكان الملك الصالح يقود الجيش محمولا على محفة لمرضه ، واستنجد بالمسلمين فجاءوه من كل مكان ، حتى اكتظت المنصورة بالعسكر ، ورابط الأسطول المصرى فى النيل تجاهها ، ولواؤه معقود « لبيبرس » ثم اشتدّ المرض على الملك فمات فى نوفمبر سنة ١٢٤٩ ، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ، وحملته فى تابوت سراً إلى القاهرة فى جنح الظلام ، وإمعاناً منها فى الإخفاء ، كانت تمد سماط السلطان كالعادة ، وتوقع باسم السلطان على ما تصدره من أوامر ، توقيعاً مشابهاً خطه لمهارتها فى الكتابة ، وأخذت البيعة لابنه « توران شاه » على الأمراء والقواد ، وأرسلت تستدعيه من الشام سراً . مع كل هذه التحوطات من شجرة الدر ؛ علم الأفرنج فى دمياط بموت الملك ، فزحفوا إلى الجنوب براً وبحراً ، واستولوا على فارسكور ، ووصلوا المنصورة فى ديسمبر سنة ١٢٤٠ يفصل بينهم وبين المصريين بحر أشموم[1] « البحر الصغير » وبدأت المناوشات

وكان المسلمون ينفردون بمعرفة أسرار النار الإغريقية فأصلوا الفرنج بها براً وبحراً ، ولم يستطع « لويس » بناء جسر على البحر الصغير ، ولكنه وقف من خونة بلدة سلامون « غير المسلمين » على مخائض فى البحر الصغير ، فعبرته فرقة كبيرة من جيشه إلى بر المنصورة ، وفاجأت المصريين على غير استعداد منهم ولا علم ، فقتل القائد المصرى ووصل « الصليبيون » إلى أبواب « القصر[1] السلطانى » وشجرة الدر تدير المعركة بجأش رابط فأصدرت أمرها لرجال الأسطول ، فأسرعوا بقيادة بيبرس ، وكانوا نحو ألف ، وأطبقوا على الفرنج ومزقوهم شر ممزق ، وقتلوا زهرة شبابهم ، فلم يستطع الإفلات منهم إلا القليل . وكانت واقعة المنصورة هذه فى فبراير سنة ١٢٥٠ ، وبعد عشرة أيام منها وصل توران شاه إلى الصالحية ، فأعلن وفاة الملك الصالح لأول مرة ، وسلمت إليه مقاليد الملك ، بصفة رسمية ، ثم جاء إلى المنصورة وتسلم من شجرة الدر القيادة ومقاليد الأمور . وكان الصليبيون لا يزالون معسكرين بجديلة ، فى العدوة الأخرى من البحر الصغير ، والمؤن تأتيهم من دمياط بطريق النهر ، فصنع المصريون سُفناً حملوا أجزاءها على ظهور الجمال ، وأنزلوها فى البحر بعد تركيبها قريباً من دمياط ، لتقطع الطريق على جيش الفرنجة ، فقامت بعملها خير قيام ، واشتد الأمر على الصليبيين وساءت حالتهم ، ودب إليهم الجوع والوَهن ، وكانت النيران التى تطلقها عليهم حراقات المسلمين تزيد كربهم . فطلب « لويس التاسع » المفاوضة ، ولكن المصريين لم يقبلوا ، فأخذ ينسحب بجيشه فى جنح الظلام ، ولم يدر أن عيون المصريين منه بالمرصاد ، فطاردوه طيلة ليله ، ولم يسفر الصباح حتى أحاطوا بجيشه براً وبحراً قرب فارسكور ، وهزموه شر هزيمة ، وقتل من جيشه ثلاثون ألفاً غير من غرق منه فى النهر . ولجأ الملك هو وخمسون من خاصته إلى قرية « منية أبى عبد الله » . « ميت الخولى عبد الله » ، وطلب الأمان فمنحه ، واعتقل بالمنصورة فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان ، وأرسلت البشائر إلى جميع الأنحاء نذكر منها على سبيل المثال رسالة توران شاه إلى نائبه بدمشق

(١) كان هذا البحر يتصل بالنيل شمالى المنصورة بنحو أربعة أميال وهو الذى اعترض الزاحف الفرنسى لعدم وجود جسر عليه .

(١) ثبت لدي بالتحرى وأيدنى فى ذلك ابن المنصورة الكريم الأستاذ الجليل « على بك الحاكم » أن ذلك القصر كان يقع فى المكان الذى تقوم فيه الآن « مدرستا المعلمات الأولية والفنون الطرزية » « وورشة مردخ سابقاً » .

« يبشر المسلمين كافة بما منّ الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تيأسوا من رحمة الله وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، وخلقاً لا يعلمهم إلا الله .

فلما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، وقد حل بهم الخزي والويل ، فلما أصبحنا قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غير من ألقى بنفسه في اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرَج ، والتجأ الفرنسيس « الملك » إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته .

وقد خلد الشاعر ابن مطروح ما حل بهذه الحملة في قصيدته التي منها .

قل للفرنسيس إذا جئتـــه مقال نصح من قئول فصيح
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد يسوع المسيح
سبعون ألفاً لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير جريح

تخلصت مصر من هذه الحملة .. ولكن مهمتها التاريخية لم تنته بعد ، إذ كان الصليبيون لا يزالون ممتلكين سواحل بلاد الشام ، فأخذ الظاهر بيبرس بعد أن تبوأ عرش مصر ينازلهم ، حتى استولى منهم على « صفد ويافا وأنطاكية » ثم جاء السلطان خليل بن قلاون من بعد ، وحاصر « عكا » وضيق عليها الخناق ففتحها سنة ١٢٩١م ولم ينج من حاميتها أحد ، وأحرق المدينة ، فدب الخور في قلوب الباقين من الصليبيين ببلاد الشام ، ولاذوا بالفرار ، مخلفين وراءهم قلاعهم وحصونهم ، وخلصت مصر المسلمين من شرور الصليبيين الذين دفعهم تعصب الباباوات إلى هذه الحرب الطاحنة التي استمرت قرابة قرنين من الزمان ، وعاد السلطان خليل إلى القاهرة يسوق أسرى الفرنج مكبلين ، وأعلامهم من خلفهم منكسة ، ورءوس قتلاهم على أسنة الحراب (وردّ اللهُ الذين كفرُوا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

(ب) المغول : في أوائل القرن الثالث عشر خرج « جنكيز خان » من أواسط الصين على رأس جيش من المغول ، وهجم على بلاد الإسلام ، فاستولى على التركستان ، وخراسان ، والهند وخرب مدنها سنة ١٢١٩ ، وعاد إلى بلاده بعد أن ترك البلاد التي فتحها في أواسط آسيا وجنوبها قفراً بلقعاً ، ثم غزا خلفاؤه بلاد فارس والعراق ، ولم تأت سنة ١٢٥٨ حتى كان « هولاكو » عاهل المغول على فارس ، قد استولى على بغداد ، وأزال ملك العباسيين وقتل الخليفة المستعصم وأفراد أسرته وعشرات الألوف من البغداديين ، في مناظر هائلة ، ومشاهد مروعة ، من التدمير والتخريب ، وتابع سيره نحو الشام كالسيل الجارف ، والريح العاصف ، فاستولى عليها في سرعة البرق ، وأرسل إلى مصر رسالة تهددها فيها بالغزو إن لم تخضع وتسلم ؛ وكان على عرش مصر إذ ذاك المملوك « قطز » الذي قابل رسالة هولاكو بما تستحقه فزقها ، وقتل رسله ، وكان هذا الرجل المجاهد قد أعلن المصريين أنه لم يتبوأ العرش إلا لتخليص البلاد من المغول ، وأنه سيترك الملك بمجرد الانتصار عليهم ، فسار بجيشه لملاقاة التتار ، وقابلهم على مقربة من بيسان في موقع يسمى « عين جالوت » ولأول مرة ذاق المغول على يد المصريين هزيمة منكرة فروا على أثرها هاربين إلى ما وراء نهر الفرات ، واستطاعت مصر أن تؤدي رسالتها التاريخية في حماية المدنية الإسلامية .

ولما تولى عرش مصر « الظاهر بيبرس » بعد قطز أخذ يعمل على إعادة الخلافة العباسية ، وإرجاع المغول إلى ديارهم .

ولتحقيق الغرض الأول ، استدعى أحد أبناء العباسيين إلى القاهرة ، ونصبه خليفة ، ولقبه « المستنصر بالله » وبقيت هذه الخلافة العباسية في مصر حتى فتحها العثمانيون .

ولتحقيق الغرض الثاني سار على رأس جيش كبير وعبر نهر الفرات على ظهور الخيل ، وأوقع بالمغول هزيمة شنيعة ، وطردهم من تلك الأصقاع .

يئس المغول من التغلب وحدهم على مصر ، فأخذوا يراسلون (بابا) روما ، وملوك أوربا ، لإرسال حملة صليبية ، تشاركهم في محاربة المصريين ، وكان ذلك في أيام السلطان « قلاوون » « ١٢٧٧ — ١٢٧٠ » فسار إلى المغول وهزمهم هزيمة منكرة عند « حمص » لا تقل عن هزيمتهم في « عين جالوت » كما أن السلطان خليل بن قلاوون قد حارب المغول واستولى على كثير من قلاعهم ، وبذلك قضى على الخطر المغولي المهدد لمصر قضاء تاماً .

طاغــــور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

(تتمة)

لم يجد غاندى فى مقاطعة الهنـد للغرب وعدم تعاونها معه ما يستوجب فزع طاغور وخوفه على الوحدة العـالمية ، لأن مساوئ الحضارة الغربية وضلالاتها ، واستهتار الغربيين البغيض للشعوب الضعيفة ، واستغلالهم الشره لمواردها الطبيعية ، زهد الهند من ناحية فى أن تقيم أية علاقة تربطها بهذا الغرب المادى الطاغى ما دام التعاون معه يعرضها لأخطار مدنية لا تعرف إلا صالحها ، ويعطى فرصة للدول الاستعمارية لأن تستغل مواردها المتنوعة من دون الشعب صاحب الحق فى الاستفادة منها ، ويجبرها من ناحية أخرى على أن تعتزل العالم ، وتقطع علاقاتها بتلك الأمم التى تفسد عليها حياتها المـادية والمعنوية ، وعلى أن تستغنى عن خدمات الغرب وتعتكف فى نفسها تستجمع قواها وتجدد نشاطها وتبعث مواهبها وتشحذ ملـكاتها ، وتنهض بمستوى الشعب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية ، وتخلصه من الجهل والبؤس والخوف ، وتسـمو بنزعاته الخلقية ، فيقدر أن يقوم بواجبه نحو الهند والهنود . وحينئذ فقط يطالب من الهند أن تساهم فى تأسيس الدولية العالمية ، وأن تفنى فى العـالم ، لأن الشعب المتحد القوى المثقف أقدر على تكوين هذه الوحدة من الشعب المفكك الجائع الجاهل الخائف . ومن صالح الهند والإنسانية جميعاً أن تعيش الهند لنفسها أولا ، حتى تتحد وتتقوى مادياً ومعنوياً ، وتتطهر من كل نقص وضعف قبل أن تبذل أى جهد فى خدمة الإنسانية ، أو تسمى لأن تلاشى كيانها فى العالم .

وكان غاندى مخلصاً لمبادئه ، فشجع الهند على أن تعتمد على نفسها فى رقيها ، حتى لا تأخذ من الغرب شيئاً . وعمل على أن يتبع الهنود نفس الأساليب الاقتصادية الهندية القديمة لتدعيم الحياة الهندية المادية ، واهتم بأن يستمينوا بالثقافات الأسيوية التى

(ح) الحشاشون أو الباطنيون : أسـس مذهبهم الحسن الصباح فى أوائل القرن الثانى عشر ، وكونوا فرقة إرهابية فى بلاد الإسلام ، لها حصون ومعاقل منيعة ، تمتد من خراسان إلى سواحل بلاد الشام ، وتميث فى الأرض فساداً ، وكانوا كما يقول أحد المؤرخين « أداة رائعة للقدر كالوباء والحرب ، كارثة على الملوك الضعفاء والشعوب المنحلة » .

وكم سفـكوا من دماء بريئة ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وتآمروا بملوك وسلاطين مع ترويج لعقيدتهم الزائفة التى يقول فيها الإمام الغزالى « مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الـكفر المحض ، ومَفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول عن أن تـكون مدركة للحق ، لما يعتريها من الشبهات ، ويتطرق إليه النظار من الخلافات ، وإيجاب طلب الحق بطريق التعليم والتعلم ، وأن كل زمان فلا بد فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من الدين . والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ، ورفع الحجاب ، واستباحة المحظورات واستحلالها ، وإنـكار الشرائع » .

اتخذ هؤلاء الأشرار عاصمتهم (حصن مصياب) فى بلاد الشام بالقرب من طرابلس ، وحاولوا غير مرة قتل صلاح الدين وتحالفوا مع الصليبيين على المسلمين ، وظلوا فى شرورهم المـادية والمعنوية ، عوامل هدم للدنيا والدين ، إلى أن سير الظاهر بيبرس حملة إلى بلادهم سنة ١٢٦٩ حاصرت قلاعهم واقتحمتها وفتحت (حصن مصياب) ومزقت الباطنية كل ممزق ، فانهار نفوذهم ، وأصبحوا شراذم لا أهمية لها ، وانتهى على يد المصريين أمرهم ، وطهرت الدنيا من أرجاسهم .

أيها المصرى الـكريم ! هذه أعمال بلادك فى قرن واحد ، سحقت جيوش المغول المدمرة ، وحملات الصليبيين الجـائرة ، وخزعبلات الباطنية الفاجرة ، منتصرة بذلك على كل ما فى آسيا وأوربا ، من جند وعدة وعتاد ، فهل يخامرك بعد الآن شك فيما ينتظر بلادك من مجد ، وما سيلاقيه الفهيونيون من هول وذل . أرجو أن تـكون متفائلا بالمستقبل ، عالماً أن مصر كالهرم والمقطم والنيل ، تقوض العروش وتزول الدول ، وهى هى تفنى الفناء وتميي العياء .

عطيه الشيخ

مرت بالهند فى ابتكار حضارة روحية هندية فتية تصون مقومات الهند وتخلو من مفاسد المدنية الغربية . فرد أولا على لوم طاغور فى اتخاذ الهنود المغزل اليدوى وسيلة للتكسب بأن ملايين الهنود يوشكون أن يموتوا جوعاً لأنهم لا يجدون عملا يرتزقون منه . فالفقر هو الذى أرغم الهند على أن تستخدم المغزل العتيق كوسيلة تكفل العيش لشعب فقير . بينما كان ما ينادى به طاغور من ضرورة تمسك الشعب بتعاليم الدين وسعيه فى تحقيق ذاته حتى يتجلى الله فى القلوب ، لا يمكن أن يشبع جائعاً ، وأن الله لن يتجلى لشعب يتضور جوعاً إلا فى صورة العمل والطعام الذى يتقاضاه أجراً عن هذا العمل ، فإن أناشيد طاغور الشاعرية الدينية لا يمكنها أن تسكن آلام الجائعين أو تغنيهم عن عمل يستطيعون به أن يجدوا ما يأكلون .

إن المغزل هو الذى ينقذ الهند من قسوة الفقر وآلام الجوع ويمهد لاستقلال حياة الهند الاقتصادية ، ويغنى الهنود عن خدمات الغرب المادى الجشع ، فعلى طاغور أن يغزل مثله فى هذا مثل أى هندى ، ولا يمارض ، لأن الغزل والنسج فريضة دينية يشرعها الواجب الوطنى على الهنود .

ورد غاندى ثانياً على نعت طاغور الهنود بضيق الأفق وضعف المدارك لتحيزهم السقيم للثقافات الأسيوية بأنه لا يمانع فى معرفة الشعب الهندى لأية ثقافة كانت ، ويود لو تترك دراسة جميع الثقافات حرة فى الهند سواء أكانت أسيوية أم غربية من غير أن تحاول ثقافة من الثقافات أن تفرض سيادتها على الثقافات المحلية ، وتدعى الرقى والرفعة ، وتقضى على كل ثقافة تنافيها ، وتزعم أنها تحاول أن توجد ثقافة موحدة ، وتتحكم فى الحياة الثقافية فى البلاد . فالمستعمر الإنجليزى يلزم الهنود تعلم اللغة الإنجليزية ويتهاون فى تعليمهم لغات البلاد ، ويضع لهم برامج ثقافية جميع موادها العلوم الغربية وتغفل الثقافات الأسيوية وهى أحق بالأولية من دراسة أى ثقافة غربية ، لأنها تلائم المزاج الهندى ، وتعرف الهنود مواضع القوة فى روحهم ، وتساعدهم على تأسيس ثقافة جديدة حية تعبر بصدق عن التفكير الهندى . فما أمر غاندى بمقاطعة الثقافة الغربية إلا ليعطى فرصة للثقافات الأسيوية لأن تثبت وجودها فى الحياة التعليمية فى الهند ويحمى اللغات القومية والتراث الوطنى من الضياع والنسيان

* * *

لم أقصد من عرض مناقشات طاغور وغاندى حول تآزر الغرب والشرق أو عدمه أن أقف بينهما حكما أفضل عالمية طاغور على وطنية غاندى ، أو أوازن بين واقعية غاندى ومثالية طاغور . وإنما قصدت أن يستفيد العالم العربى ، وهو فى ظروفه الحاضرة الملبدة بغيوم الشك وسحب الارتياب ، من غدر الغرب وسوء نيته ، وأن أرجع للأذهان مجادلة بين شرقيين عريقين فى الروحية أحسا بما نشعر به من انفعالات نحو الغرب ، أحسب أنها تفيدنا فى وضع خططنا العامة الدولية . فطاغور المفكر الإنسانى قد بين للشرق ما يجب أن يصبغه من روحية على ما يأخذه من الغرب من علوم وفنون وجد ونشاط ، وما يجب أن ينبذه من مادية وأنانية وحب للسيطرة وإمعان فى الإباحية واستهتار بالقيم الروحية. فلو سرنا على هديه لأخذنا من الغرب زبده ، وتركنا أوساخه وأقذاره ، ونهجنا السبل القديمة فى تكوين حضارة جديدة طاهرة تؤسس على روحية الشرق ونبوغ الغرب فى العلوم والفنون ومهارته فى العمل :

أما غاندى الزعيم الوطنى ، فقد علم الشرق كيف يحارب أنانية الغرب وغروره بغير عنف أو إيذاء ، ويتخلص من ضلالاته من غير حقد أو بغض ، ويستعين بأبعد الأسلحة عن العنت وإثارة الحقد ، ويتخذ من أقرب القوى إلى الحب والتسامح ذريعة فعالة لنيل المآرب القومية . فلو سرنا على هدى غاندى فى مقاومته السلبية السلمية ، وقاطعنا الدول الغربية ، وحاولنا أن نلم شملنا ، ونقوى من تماضدنا لأرغمنا الغرب على طلب التعاون معنا ، ولتنازل عن غروره وكبريائه ، وسلم بضرورة رد جميع حقوقنا التى سلبها منا عنوة وغصباً .

فكل من طاغور وغاندى قام بدور هام فى حياة الإنسانية ؛ فقد خدم طاغور الهند والشرق بل والعالم أجمع بسعيه فى ضم أشتات الدول المتخاصمة ، وتأسيس وحدة عالمية لها ثقافة واحدة لا حياة واحدة ، كما خدم غاندى الهند والشرق ، وعلمهما كيف يتسلحان بالطرق الروحية فى مقاومة مادية الغرب ، وجعله يشعر عملياً بأن أنانيته لن تفيده شيئاً ، بل تؤذيه وتضر بمصالحه ،

أبو خليل القباني

باعث نهضتنا الفنية

للأستاذ حسني كنعان

كان ذلك منذ خمس وتسعين حجة على وجه التقريب ، وفي أمسية من أماسي الربيع الضاحك الزاهي جلس « محمد أغا أقبيق » والد النابغ الدمشقي أحمد أبوخليل القباني في حقوة داره الكبيرة ذات البحرة الدفاقة المعروفة في حي الشاغور ، يستقبل وفود المهنئين من وجوه الحي وأعيان الشام بمناسبة احتفائه بختم ولده القرآن من فاتحته إلى خاتمته .

وكان في صدر الدار من الوافدين مفتي الديار الشامية الشيخ محمود حمزة وعالمها الأوحد الشيخ بكري العطار ، وكلاهم مغتبط مسرور بحفاوة رب الدار بهم وإكرام وفادتهم . وكان من عادة السامرين في هذه المجالس أن تكون الأحاديث فيما بينهم جميعها تدور حول امتداح المحتفى به على سبيل المجاملة ، وإدخال السرور على فؤاد والده ، وإيناسه وإثلاج صدره ، فشرع السكل يطري ذكاء أحمد ويمتدح نشاطه وشدة ميله إلى الدراسة والتعلم . فقال مفتي الشام فيما قال :

إني لأعجب يا حضرة الأغا المعجب كله لشدة ذكاء ولدك هذا ؛ إنه إلى حداثة سنه وصغر مداركه أراه لا يترك حلقة من حلقات التدريس التي يعقدها علماء الشام في المسجد الأموي إلا قصدها وكان من روادها . إنه لا يترك المسجد ساعة من نهار إلا في أوبقات الطعام ؛ فرواد الحلقات على كثرتهم وميلهم لطلب العلم لم أر بينهم من يفضله في ذكائه واجتهاده ونشاطه . إنه لا يحل حبوته أمام شيوخ الحلقات ، فلا يكاد ينتهي شيخ من درس حتى زحف إلى شيخ غيره ، وهكذا يظل سحابة يومه كالطائر الغرد يتنقل من فنن إلى فنن ، ومن دوحة إلى دوحة ، يجتني من الأغصان والأدواح الباسقة أطيب الثمار وأشهى الفواكه ، حتى ينصرف شيوخ الحلقات وروادها ويقفر المسجد ، وتتعطل لغة التدريس فيه . ولما سكت المفتي عقب الشيخ العطار على حديثه قائلاً :

أضف إلى هذا أنك تراه في الحلقات دائماً يكثر من تحريك أصابع يديه ورجليه ويكثر من التنغيم والترنيم همساً في فمه ، وكثيراً ما يسترسل في عمله إسترسالا يجلب إليه النظر ، فيبادر من بجانبه من صحبه وهو ساهم غائب عن الدنيا والعالم يفكر في شيء غير الدرس ، فينبهه ويفهمه أنه في المسجد وفي الدرس ، لا في اللهي والمسرح فينتبه فوراً ويصغي .

ولعل لهذا الفتى ميلاً خاصاً لأشياء أخرى غير ميله للدروس العلمية والفقهية ، وإن صدقتني فراستي فولدك هذا لا بد أن يتردد على مجالس الموسيقى ويعاشر الموسيقيين . فهل يسمع أحداً من أرباب هـذه الصناعة ، أم أن هناك ميولاً فطرية في طبعه أثرت عليه ، فولدت فيه هذه الناحية ؟

وكان الأب مغتبطاً مسروراً بما يسمعه عن ولده من مدح وثناء ، وقد طال سكوته وإصغاؤه لمثل هذه الأحاديث السارة البهجة دون أن ينبس .

وبعد تفكير عميق قطع حبل صمته قائلاً : ولهـذا أراك تكثر يا أحمد من إرتيادك مقهى المهارة الكبيرة ، فبحق عليك هلا أخبرتني عمـا تفعله هناك . واستحيى الفتى واصطبغ لون وجهه بالحمرة وكلل العرق جبينه وغدا كأنه صنم من الأصنام لم يحر جواباً ولم يتحرك ...

وكان هناك في الحفلة خال له يعطف عليه ويحبه حباً جماً ويعرف روحانه وجيآته ، وهو واقف على أسراره الوقوف كله . فالتفت إلى أبيه قائلاً :

وأجبره على احترام الشعوب الشرقية واحترام حقها في المساواة بالشعوب الغربية . وهذه السياسة الغاندية تجمع بين تقوية الهند وردع الغرب ، وتمهد في نفس الوقت لإقامة وحدة عالمية بطرق عملية . فغاندي لا يختلف عن طاغور في هـذه الناحية وإن بدا لنا وطنياً . وذلك لأنه آمن بأن إحياء وطنه أمر أساسي لاتحاد العالم ، لأن الوحدة لن توجد لها قائمة ما دام هناك دولة تستعبد دولة أخرى .

يجب أن تتحرر شعوب العالم جميعاً أولا ، ثم نعمل بعدئذ على توحيد العالم .

عبد العزيز محمد الزكي
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أجل إنه يؤم حى العمارة كل ليلة ويسمر هناك فى المقهى الكبير مصغياً إلى أهازيج «السكر كوزاتى» على حبيب ، ويشهد محاوراته مع الصور الخيالية المؤلفة من رسوم عنترة وعبلة والمهلهل والزير والزناتى خليفة والملك الظاهر ، وغيرهم من أبطال القصص التاريخية الخيالية الموضوعة لإلهاء الدهماء عن البحث فى أمور لا تعنيهم فى عهد الفاطميين .

وأزيدك يا عم علماً أنه يذهب فى كل أسبوع مرة أو مرتين إلى مكان خصصه ابن السفر جلانى وابن القبرة والأدلبى وغيرهم ممن لهم ميل خاص فى الموسيقى والأهازيج ، ليتمرنوا هناك على الغناء والتمثيل .

ولقد فاجأته أكثر من مرة وهو منفرد فى حجرته يقلد السيد على حبيب فى مخاطبته عبلة بأشعار عنترة ، ويمثل دلال عبلة على ابن عمها عنترة كما يفعل « السكر كوزاتى » على حبيب خلف الشاشة البيضاء التى أخفى الصور الخيالية خلفها ونثرها على ضوء المصباح الضئيل ، وأصغيت إلى صوته الشجى عند ما كان ينشد قول الفارس العبسى المدنف فى حبيبة قلبه وفاتنة عقله يخاطبها بقوله :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

ينبئك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ولما شعر بوقع أقدامى صمت بمقدار ما اتضح له أنه واهم ؛ ثم تابع إنشاده بنغمة غير سابقتها واستشرى صوته فى القاعة بدوى ؛ وكان يشير بيديه كالمعتوه الذى خولط فى عقله صائحاً :

وسيق كان فى الهيجا طبيباً يداوى رأس من يشكو الصداعا

ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

أنا العبد الذى خبرت عنه الخ ...

فلم أستطع الصبر على تركه وحده فى القاعة هكذا يخاطب نفسه كالمجانين ، وإنما فتحت عليه الباب الموصد ودخلت فجأة فأسقط فى يده وسكت . فصحت به ما هذا يا ابن أختى؟ ما الذى تفعله ؟ تقلد « السكر كوزاتى » ! ! أين « كراريسك » ودفاترك وأين كتبك وعنواناتك الدراسية ؟ أهذه هى الدروس التى تعلمتها فى المسجد على مشيخة الشام ونخبة علمائها ؟ تلهو بالقشور وتترك اللباب إنك والله لمن الخاسرين الذين يضيعون مواهبهم وذكاءهم فى أمور مخزية . ماذا يقول الأغا والدك غداً إذا علم بنزعتك هذه ؟ فما كان منه إلا أن جبهنى بقوله : أنا حر فى تصرفاتى ، وليس لأحد على سلطان . فأنا إنما أبنى لأهلى وبنى قومى مجداً مؤثلا فى ارتيادى هذه الناحية . وسترون منى ما يدهشكم من الأعمال الباهرة التى سأقوم بها خدمة للفن أنا وصحبى .

وكان الفتى يصغى مطرقاً إلى حديث الخال المحترم ، وعند ما سمع هذا الحديث عن تلميذه الذى كان مكبراً فيه ذكاءه النادر ومواهبه الفذة ، فلمس فيه هذه الناحية التى تخالف مبدأه الدينى ونزعته الصوفية ، لم يطلب القسام له فى تلك الحفلة النادرة بعد الذى سمعه ، نخف من المجلس على الأثر وهو يتمتم : أعوذ بالله ! تمثيل ... موسيقى ... غناء ، على حبيب ! إن هذا المنكر لا نطيق سماعه ، ولا نطيق السكوت عنه ، أنت يا أحمد مطرود من الدرس منذ الليلة .

قال الشيخ قوله هذا وزحف على قدميه وقد كور جبته وراء ظهره وعقد يديه فوق الجبة واستلم باب الدار دون أن يودع الحاضرين إستنكاراً للأمر وتظاهراً بالورع والتقوى ...

فتبعه الشيخ العطار وقفى على أثرهما بقية من فى الدار من الوجوه والأعيان ، وتقوض المجلس وخلا من سماره . وكانت هذه المحنة حافزاً للأب على الإيقاع بولده وغضبه عليه وهجرانه إياه . بقى الفتى يقاسى فى نزعته الفنية ألم الحرمان والغضب وانقطاع الوشيجة بينه وبين والده وأفراد أسرته مدة حتى توفى الله الوالد وانعتق الفتى من أسر الرقابة وأصبح مالك نفسه وحاكم أمره ، وكان قد بلغ سن الرشد فانقطع لخدمة الفن وتفتحت براعم عبقريته وأمسى يصل ليله بنهاره ونهاره بليله دأباً على التلحين ونظم القصائد والموشحات . وقد ساعده على الإجادة فى النظم ما كان قد أخذه عن شيوخه من قواعد اللغة والنحو والصرف حتى قال فيه أحد شيوخه لو ظل هذا الفتى متابراً على الدرس لتحدثت الشام عن علمه زمناً طويلاً ، كما قال أحد الخلفاء العباسيين فى إسحق الموصلى : لولا نزعته الموسيقى لوليته القضاء .

(للبحث تتمة) حسنى كنعان

في موسم الحج :

أبو نواس يحج !

للشيخ محمد رجب البيومي

شغل الحسن بن هانىء أذهان معاصريه ، فقد كانت سيرته ذائعة شائعة يتناولها الظرفاء متندرين معجبين ، ويتناقلها الزهاد لاعنين ناقمين ، وهو لا يفتأ يضرم النار ويشعل الوقود بما ينظم من شعر ما جن يتردد صداه في كل ناحية ، ويترنم به الحداة في كل ركب . وكثيراً ما يشفع القول بالعمل فيلجأ إلى الديارات الخليعة ويتصدر الأندية الداعرة ، يعب الخمر وينادم المرد ، ويقود الأسراب الطائرة إلى منابع السكر ، حيث تتجاوب الأوتار ، وتدور الكؤوس ، ويترأس أبليس الحفل ، فيفتح باب الغواية على مصراعيه ، ويوسوس لكل ماجن بما يسيء المروءة ، ويغضب الخلق الكريم .

وشاعر هذه نشأته وسيرته لا يمكن أن يفكر يوما من الأيام في الحج ، بل ربما نفر منه ودعا إلى حربه ، حيث لا يعود عليه بفائدة مما يبتغيه . وإذا كان شعراء الغزل في الدولة الأموية قد وجدوا في هذا الموسم الحافل معرضاً فسيحاً للجمال الفائق ، نخفوا إلى التمتع ببدائعه الفاتنة ، فإن الحسن لا يجد به مآربه المشتهاة ، فهو يناغي المرد الحسان ويهيم بالخمر المعتقة ؛ أما أسراب الغيد الطائرة حول البيت العتيق فلم تتمكن شبا كها الخاتلة — بعد — من اصطياده ، ففيم السير إلى مكة ؟ وعلام يتحمل الشاعر في سفره المشاق؟ بل إنه سئل عن موعد حجه فقال مستهتراً كعادته « إذا نفدت لذات بغداد[1] » وهيهات أن تنضب موارد اللهو في دار السلام !

ولكن الثابت في التاريخ — على رغم ما تقدم — أن أبا نواس قد حج البيت المكرم فطاف مع الطائفين ، ولبى مع الملبين ، وقد غمره شعور سماوي هيمن على عواطفه فأنطقه بتسابيح خالدة ، تستمد نغمها الحلو من قيثارة فاتنة ، فكيف تسنى ذلك لأبي نواس؟ وكيف ينبع في الصحراء الموحشة نهر دفاق ملىء؟ سؤال يتطلب رداً مقنعاً . ولعل الإجابة تظهر في تاريخ الرجل ، فقد شاء له حظه العاثر أن يهيم بجارية تمقته وتزدريه ، وترسل قذائفها المحرقة فوق رأسه ، وهو سليب العقل ، طائر الفؤاد ، يسير وراءها أنى سارت ، ويبعث خلفها الرسل يستعطفون منها قلباً جامحاً ، لا ينبض برحمة لهالك ، ولا يستشعر حناناً لمدنف . ولقد كان هذا عجيباً منه أي عجيب ، فقد اشتهر طيلة حياته بمجانبة الغيد ، فكيف يتورط إذن في هذا الحب الجديد ؟

كانت « جنان » جارية عبد الوهاب الثقفي ساحرة فاتنة ، ذات وجه أزهر صبيح ، إذا تأملته تعاظمك الإقرار أنه من البشر — كما يقول الحسن — تجمع إلى دل الحديث وسحر الملامح ذكاء وقاداً ، وفهما عميقاً للشعر الرفيع ، ورواية واسعة للأدب ، وقد خطرت ذات عشية أمام الحسن فأخذت عقله من مكمنه ، ونقشت صورتها في مهجته ، فترك عصابته الماجنة ، وسار يتعقبها في كل مكان تحل به ، فإذا كان في البصرة عرس واجتمعت النساء ، خرج يتلمس صاحبته في اهتمام بالغ ، فإذا وقعت عينه عليها لم يطق أن يسارقها النظر بعض الوقت ، فيخفض رأسه حزيناً باكياً إلى الأرض ، ويهيم في آفاق خياله فيعقد موازنة شعرية بين « جنان » وعروس الحفل ، وطبيعي أن يحكم بتفوق صاحبته في مضمار الحسن والملاحة ، ثم هو لا يكتم ذلك ، بل يعلنه على الناس إذ يقول :

شهدت جلوة العروس جنان ... فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوها ... فإليها دون العروس الإشارة

وإذا قام في البصرة مأتم حزين وهرعت العذارى إليه كعادتهن ترك الشاعر ما يملأ سمعه من النواح والعويل ، وأخذ يتلمس صاحبته في موقفها الدامع ، ويسبح في آفاق تفكيره ، فلا يوازن بينها وبين عذراء ممن شاهدهن كما فعل يوم العرس ، بل يجعل الموازنة بينه وبين الميت الفقيد . ولا غرو فقد قتله الحب فهو جدير بأن تبكي عليه صاحبته كما تبكي الآن على الراحل النازح ، ثم هو يبلغها ذلك في شعر رقيق هادىء . اسمعه إذ يقول .

(١) قال أبو نواس :

وقائل هل تريد الحج قلت له ... نعم إذا فنيت لذات بغداد

يا قمـــرا أبرزه مـــأتم يندب شجوا بين أتراب
يبكي فيذرى الدر من نرجس ويلطم الورد بعنـــاب
لا تبك ميتـًا حل في حفرة وابك قتيلاً لك بالبـــاب

وكانت « جنان » تعتقد خاطئة أن أبا نواس غير صادق فى حبه لأنها تعرف عنه خلاعته وادعاءه ، فكانت تسبه وتؤذيه وتطمنه فى رجولته ، وتنال من كرامته كل منال ، ولم تصف له غير حقبة يسيرة مرت فى حياة العاشق مرور الطايف ، وتركت وراءها طوفاناً جارفاً من السهد والدمع . وكأن الله عز وجل قد أراد أن يؤدب الحسن بهذا الحب ، فقد خلع كبرياءه وغروره وترك وقاحته وهُجره ، ثم هام كالشدوه على وجهه ، فإذا سأل عن جنان قوبل بما يكره من الأنباء الصاعقة ، والأخبار الفاجعة وهو فى كل دقيقة يتجلد ويتصبر . وقد يدق شعوره فيتصور سبابها المقذع تكريماً جليلا لشخصه ، لأنها تذكر اسمه لا محالة ، وفى هذا غنم كبير يساق إليه بلا حساب ، اسمعه يقول :

أتانى عنك سبك لى فسبى أليس جرى بفيك اسمى، فحسبى
تشابهت الظنون عليك فى ذا وعلم الغيب منـــه عند ربى

وليت شعرى لم يذكر اسم ربه فى هذا الوضوع وقد نسيه قبـل ذلك ؟ أيكون الحب قد جذبه قليلاً إلى روضة الإيمان ، أم أنه الضعف البشرى يتسلط على المرء فيلجئه إلى الاستعانة بربه ، وإن تقطعت السبل ، واستبهم الطريق .

ولقد تطايرت الأنباء إلى العاشق المدنف أن «جنان» ستحج مع مولاها إلى مكة وذهب الحسن يتأكد من النبأ ويستوثق من مصادره العليمة ، فعرف أنه حق لا مرية فيه ، ومن ثم فقد أعد العدة ، وأعلن لأصحابه أنه سيخف إلى مكة فى قافلة صاحبته . ولم يدهش البصريون لحج الشاعر ، فهم يعلمون أنه يقصد به غير وجه الله. ولقد كان يتتبع صاحبته فى كل مكان لاتترك بالبصرة ، فلا عليه إذا واصل مراقبته الدقيقة فى مكة ، مهما كلفه ذلك من صحته وماله . والطريف أنه لا يقبل أن يترك الناس فى حيرة من حجه الفاجىء ، بل يكشف اللثام عن باطن سره إذ يقول :

ألم تر أننى أفنيت عمـــرى بمطلبها ومطلبها عســـير
فلمـا لم أجـد سبباً إليها يوصلنى وأعيتنى الأمـــور
حججت وقلت قدحجت جنان فيجمعنى وإياها المســـير

وأنت لو قارنت بينه وبين ابن برد لأدركت العجب من ثبات بشار وخفة الحسن ، فقد خدع الأعمى قومه حين زعم أنه سيحج تائباً إلى ربه واتجه فى أيام الحج إلى « زرارة » وأقام بها مع أحد أصحابه ، ثم رجع مع العائدين من مكة فى يوم واحد ، وجلس يتقبل التهانى ، ويقص الأحاديث المسهبة عن زمزم والحطيم ، دون أن يفضح نفسه بكلمة واحدة ، حتى أماط صديقه القناع ، فكشف أمره أمام الناس فى أبيات فاضحة [1] ، أما أبو نواس فهو لا يريد أن يلبس على القوم حقيقته ، فيتستر بالورع والنسك ، ويدجل بالطواف والتلبية ، بل يذيع شعره الصريح على الناس فى جرأة واستخفاف . ومتى اهتم الحسن بالجمهور ، وقد جانب الحجة ، وخلع المذار ! !

ولقد ظهرت براعته العجيبة فى مـكة حيث عرف فتاته فى لجج طاغية من الزحام الحاشـد ، فجعل يتبعها خطوة خطوة ، ويتعقبها فى طوافها تعقباً يدعو إلى الغرابة والدهشة . ومن حيله الماكرة أنه التمس تقبيلها للحجر الأسود فقبله معهـا فى وقت واحد ، وطاف بخده على صفحة وجهها الفاتن ، وقد شاهده فى هذا الوضع المريب محمد بن عمر الجاز فصاح به : « ويحك ! فى هذا الموضع لا يزجرك زاجر ، ولا يمنعك خوف الله ، ولا يردك حياء من الناس؟ » فقال له الحسن« يا أحمق ، وهل حسبت قطع المهامه والسباسب إلا للذى حججت له ، وإليه قصدت » ، ثم شاد شيطانه الداعر أن يكشف حيلته للناس ، فقال هذه الأبيات

وعاشقين التـــف خداهما عنـد استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنمـــا كانا على موعد
لولا دفاع النـــاس إياهما لمـا استفاقا آخر المسند
ظلنا كلانا ســـاترا وجهه ممـــا يلى جانبـه باليد
نفعل بالمسجد مالم يكن يفعـــله الأبرار بالمسجد

ولقد كانت مشـاعر الحسن — وهو الشاعر المطبوع — متيقظة منتبهة فى طوافه وتلبيته ، فلم يكد يسمع الترانيم الشجية يصدح بهـا الملبون طوائف تتلاحق وتتتابع ، حتى حركت أوتار قلبه وأخذ النغم الساحر يسكب فى سمعه نشوة راقصة

---

(١) قال سعد بن القعقاع صاحب بشار فى رحلته :

ألم ترنى وبشـارا حججنا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيـد فمال بنا الطريق إلى زراره
فآب الناس قد حجوا أوبروا وأبنا مو قرين من الخساره

فنسى جنان بضع لحظات وسحره الجم الحاشد يصيح ويستصرخ ، قلبي مع الملبين تلبية هي في الواقع تغريدة عذبة صدح بها فنان موهوب ، فهو يقول في رنة حلوة وتوقيع جميل :

إلهنا ما أعدلك مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك وكل من أهل لك
لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك

والليل لما أن حلك والسابحات في الفلك
على مجارى المنسلك ما خاب عبد أملك
أنت له حيث سلك لولاك يا رب هلك

يا مخطئاً ما أغفلك عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك إن العز لك
والملك لا شريك لك والحمد والنعمة لك

ولله ما أبدع الحسن ! فقد كان شاعراً قبل أن يكون عاشقاً ؛ فهو يتأثر بالنظر الرائع فيبرز صورته الجميلة في مرآة شعره ، وإن شغله بعض الوقت عن فاتنته ، ولا يعقل أن ينقص هذا من حبه في قليل أو كثير ، لأن الشاعر حساس مرهف يتأثر بكل ما يرى ويسمع فيتغنى به في سهولة ويسر . ولئن كان المجنون قد طاف مع الطائفين ، وشاهد ما شاهده الحسن ، فلم يخض كصاحبه فيما خاض فيه الملبون ، ومضى يتساءل عن ليلاه ويرسل زفراته الشعرية المحرقة ، فلأن قيساً كان عاشقاً قبل أن يكون شاعراً ؛ فهو على النقيض من أبي نواس ، ولا تثريب عليه إذا اشتغل بليلى عن كل شاغل ، ونسى موسيق التلبية الفاتنة . وليت شعرى كيف يصيخ إليها تائه مجنون !

وكثيراً ما يقف الأدباء أمام مقطوعة الحسن في التلبية وما يشاكلها من أشعاره في الزهد والتوبة حائرين مرتبكين ، حيث يستغربون صدور هذه النفثات الصادقة من خليع مستهتر بالشرع الحنيف . ولقد فات هؤلاء جميعاً أن لكل نفس مهما غرقت في الخلاعة والفسق سبحات خاطفة تصلها بالسماء فتندم على ما فرطت في جنب الله ، وتتجه إلى الخالق مستغفرة باكية ، فلا عجب إذا أدركت الشاعر هذه اللحظات الخاطفة فقال أبياته الزاهدة ، ولا سيما والحسن برغم مجونه الزائد متصل السبب بالآثار الدينية والمواعظ الروحية ؛ فقد صحب في صباه أئمة الدين ، وروى الحديث النبوى ، حتى عده الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال من رواته ، وإن هجنه ووصمه بما يسقطه ويرديه ، كل ذلك يدعوه إلى الندم والحسرة على ما يرتكبه ويأتيه. وأعتقد أن شهرة الشاعر بالخلاعة قد جنت عليه أكبر جناية ، فقد طاب له أن يتناقل الناس نوادره وأشعاره وكلها طريف ممتع في بابه — وخيل إليه أنه إذا انقطع عن غيه ، سكت الناس عنه فلم يلهج بذكره ذاكر. وصاحبنا — كجميع الشعراء كاف بالشهرة مولع بالظهور ، بل إنه صرح بذلك لأبي العتاهية حين لامه في تهتكه . وإذا كان الصيت الذائع في رأيه لا يكون بغير الخلاعة الزائدة ، فليتطلبه من طريقها الشائن ... وهذا ما كان !

وكيفما كان الحال ، فقد رجع الشاعر من مكة كما ذهب إليها ، لم يتقرب إلى الله بتوبة ترفع عنه سيئاته ، وحسبه أن وجد في البيت العتيق طريقاً يوصله إلى جنان بدل أن يوصله إلى الله ! ! وليته ظفر بما يريد ، فإن صاحبته ما زالت برغم جنونه بها تمقته وتزدريه ، وعذرها في ذلك أنها لم تصدقه فيما يدعيه ، ولا جرم فقد جنت عليه شهرته السالفة بالمرد الحسان ، فحق لجنان الماكرة أن تعذبه بالحرمان .

وقد يئس الشاعر من صاحبته في النهاية ، فأكب على الشراب وحالف السكر محالفة تنسيه شواغل الوجد ولواعج الهيام ، ثم ترك البصرة بما فيها من معارف وأصدقاء واتجه إلى مدينة السلام، فرأى البصرة لا تقاس بها في الترف والمجون ، فقد حوت من المتع والملاذ ما يستخف الوقور ويصبي الحليم ، فغرق في الخلاعة إلى أذنه ، وهز بدلوه مع الغواة ، وبلغ ما يبلغ المرء بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثام !

عفا الله عن الحسن بن هانئ، فقد حج إلى البيت العتيق حجاً غير مبرور ، ونظم في الزهد والتوبة مالا يحسب إزاء آثامه ومخازيه ، ولكنه خدع من كتب عنه من المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية ، فزعم أنه تنسك وزهد ، وما كان الشاعر طيلة حياته من الزاهدين ، ولكنه قال قول الزهاد ، وفعل أفعال المجان ، فكان كصاحبة جميل تذبح العصافير في قسوة ، وتدمع عليها في رحمة .

فلا تنظرى يا بثن للدمع وانظرى إلى الكف ماذا بالعصافير تصنع

(الكفر الجديد)

محمد رجب البيومي

رحلة فى الديار المصرية فى القرن الثامن عشر (الميلادى) :

النحـــلة النصرية

فى الرحـلة المصرية[1]

لمصطفى البـكرى الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

لما دخل شهر جمادى الآخرة من سنة (١١٣٢ هـ ١٧١٩م) أراد الشيخ مصطفى البـكرى زيارة الخليل ومنها إلى القاهرة ، ذات الربوع الزاهرة ، وأقام فى الخليل أياماً ، جاءه فيها شيخ موهوب مجذوب يـكنى بأبى جاعد ، فسأله الشيخ بالإشارة عن التوجه إلى مصر ، فأومأ بيده نحو السماء ، مشيراً بأن العلم لله . وخرج مسرعاً ثم عاد ، فكرّر الشيخ السؤال فأعاد المجذوب الجواب . وأخبر عن رجل صالح أنه يقول إنه تراءى له سيدى اسحق وقال له قل لفلان يرجع إلى وطنه ، فعدل الشيخ عن السفر . ودعاه الأخ الشيخ عبد الرحمن الخطيب بن الشيخ أحمد التميمى إلى كرمه خارج الخليل ، وكان قد اتصل بطريقة الشيخ مثل ذلك ، فأجابه وكان الوقت قيظاً ، فحصل للشيخ من ذلك مشقة .

وعاد الشيخ مصطفى إلى القدس ، وأقام إلى أن مضى شهر الصيام . وفى شوال توالت الأخبار بأن جناب الدستور المـكرم والمشير المفخم الحاج رجب باشـا تولى الديار المصرية ، ومراده زيارة الأراضى القدسية والخليلية ، ومنها ينزل إلى العريش ، وكان له مع الشيخ محبة ومودة ، من مدة طويلة . وتحقق حلول ركابه فى مدينة نابلس ، فسار الشيخ لاستقباله مع شيخه الشيخ محمد الخليلى ، ودخلا عليه ، وكان الباشا ينزل عند نقيب أشراف نابلس السـيد محب الدين ، فدعا الشيخ لصحبته إلى أرض الـكنانة ، فأحاله على الشيخ محمد الخليلى فوجه إليه الخطاب فتململ ، ولـكن الباشا ألح وأبرم فقبلا الدعوة .

وبعد زيارة الخليل ، والمعاهد والمشاهد فيها ، سـارا صحبة الباشا إلى بيت جبريل ؛ ونصب لهما خيمة ، وعين لهما ما يحتاجان إليه من كثير وقليل ، ولم يكن للشيخ فى هذا السير رغبة ، لما فيه من المخاطر ، وما كان قد استعد لمثل هذه السفرة الشاقة ، وودع الذين صحبوه ، وشرع لفوره فى كتابة رحلته وسماهـا [النحلة النصرية فى الرحلة المصرية] وسار فى الصباح لغزة وقال فيها من قصيدة :

وارد الشوق غز فى القلب غزّة ... عند ما جئت أبتغى أرض غزة

ثم سار إلى خان يونس ، وبات فيها وقال فيها مواليا :

يافرحتى مذ بدا المحبوب لى يونس ... مسامرى بين ندمانى لخان يونس
سـألت ما الإسم بدرى قال لى يونس
وقلت والأصـل حبى قال لى يونس

واستأنس بأصحابه وبكر نحو العريش وقال من قصيدة :

عرش الحب فى الحشا تعريشا ... حين حل اللتاع فيه العريشـا

وأقام ثانى يوم ينتظر ذخائر القوم ، ثم توجه نحو (بير العبد) ذى الماء الملح ، فلم يطق فيه مقاماً ، وجهد حتى وصل (قطية) ومال لسهلها ونزل عليه ، ورحل إلى (الصالحية) وتلقاه هناك نذر من جند مصر المحمية . وكان رافقه من غزة هاشم الشيخ صالح مفتيها ، فتمرض فى الطريق ودفن فى الصالحية . ونحا بعد ذلك جهة (القرين) والوزير يرمقه والشيخ محمد الخليلى بعين ، ويتفقد أحوالهما فيزول عنهما الغين .

ونزل بعد ذلك نخيل (بلبيس) وارتحل للخانكه[1] وأتاها ليلاً ، وأمر الوزير بعض من عول عليه من جند مصر ، بإنزالهما داخل المدينة فى مـكان مناسب ، وأرسلهما مع خادمه إلى دار محمد بك المـكنى بأبى الشوارب ، وورد عليهما للسلام أعيان البلد ، وهى دار واسعة الأكناف ، ممتدة الجوانب والأطراف ، مقسمة إلى بيوت أربعة ، كل بيت يسع الصنجق[2] والذين معه . ويقول الشيخ فى وصف الدار « وكنا فى ربعها نتيه ، ونكاد إذا درنا فى جنباته أن نتيه » .

(١) مخطوط فى خزانة الـكتب الخالدية ببيت المقدس . ولد مصطفى البكري الصديق سنة (١٠٩٩ هـ وتوفى ١١٦٢ هـ) .

(١) أو الخانقاه ، هو الزاوية أو الرباط . بيت الصوفية

(٢) السنجق : اللواء والدائرة تحت لواء واحد .

ولما دخل مصر القاهرة ، شهد مدينة بالمباني الفاخرة ، ورأى فيها أشياء كثيرة ، لم يرها في غيرها من المدن الشهيرة ، فتحقق أنها بلدة جمعت محاسن خطيرة ، ولم يقل كما قال البعض أنهـا قرية كبيرة ، بل قال كما قال الإمام الشافعي عنها « كنت أظن أن مصر في الدنيا ، فرأيت الدنيا في مصر » .

وكان الوزير الكبير ، سأل الشيخ قبل دخول مصر ، عن محل نزوله ، فأجابه في محل يكون شيخه الشيخ محمد الخليلي فيه ، فسأله « ولم لا تنزل في بيت البكري الوسيع ؟ » فأجابه « رغبة في صحبة الشيخ الرفيع ، وإن دعانا شيخ السجادة إليه أجبناه » . ويقول الشيخ « وأقمنا في هذا البيت مدة ، وأظهرلنا كبير بيتناصده ، وجعلناحرفاً منسياً ، كن جاء شيئاً فرياً ، فنفرت النفس » . وارتحل إلى دار في الخرنفش صغيرة الدائرة ، تحت تصرف صديقه ابرهيم افندي ، القاضي ، وهي لصقة قاعة التجلي التي للسادة الوفائية ، وكان يتردد عليها ، وربما أقام ليلا ونهاراً لديها . ويقول الشيخ إن هذه القاعة نظير قاعة الجلال التي في بيتهم ، وقد دخلها شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي .

وأول ما ابتدأ به من الزيارات زيارة الحسيبة النسيبة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قال المناوي في ترجمتها : ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة وتزوجت اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، قدمت مصر ونزلت بهـا ببيت عمتها سكينة المدفونة بقرب دار الخليفة بمصر ، ولها بها الشهرة التامة بالولاية . ماتت بمصر سنة (٢٠٨ هـ) وكانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلي ، ودفنت في قبرها ببيتها بدرب السباع بالمراغة ، محل معروف بينه وبين مشهدها الآن مسافة بعيدة . ثم ظهرت في هذا المكان الذي يزار الآن وكان الشافعي يعتقدها ويزورها . قال الذهبي ، وكان والدها من سراة العلويين ، ولي المدينة للمنصور ثم حبسـه حتى مات ، فأخرجه المهدي وأكرمه ولم يزل معه حتى مات المنصور في طريق الحج . ولها كرامات كثيرة . ثم توجه للقرافة ، فزار مقاماتها . ومنها إلى زيارة مقام الإمام محمد بن ادريس (الشـافعي) ولد بغزة أو عسقلان سنة (١٥٠ هـ) وهي السنة التي مات بها أبو حنيفة ، وأجيز بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم رحل إلى الإمام مالك فأقام عنده مدة ، ثم لبغداد ، ولقب بناصر السنة ثم عاد لمكة ، ثم لبغداد ، ثم لمصر ، فأقام بها حتى مات سنة (٢٠٤ هـ) عن أربع وخمسين سنة .

ثم عطف بعد ذلك على زيارة شيخ الإسلام زكريا بن أحمد زين الدين الأنصاري السُنَيْكي ، (١) ثم القاهري الأزهري ولد سنة (٨٢٦) هـ) وتوفي سنة (٩٢١ هـ) . ثم زار أسلافه الكرام السادة البكرية ، ووقف قبالة القطب الكبير سيدي محمد ، وقرأ له فاتحة الكتاب .

وتقدم بعد ذلك لزيارة عم والده ، جناب العالم أحمد افندي نجل والد جده الشيخ كمال الدين البكري نزيل دمشق الشام والقاطن بها هو ووالده وجده ، وكان وفد الجد المذكور من مصر إليها ، ثم إنه استحسنها وعول في السكنى عليها . وعم والد الشيخ ورد على مصر من الحجاز معزولا عن قضاء مكة ، وتوفي ثاني يوم دخوله وذلك سنة (١١١٨ هـ) .

ثم سار لزيارة أبي الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ابن أبي الثنا الفهمي القرقشندي وهو من تابعي التابعين ، القائل رأيت نيفاً وخمسين رجلا من التابعين . وقال في حقه يحيى بن بكير ، الليث أفقه من مالك . وهو شيخ البخاري ومسلم ؛ ولد سنة أربع وتسعين وتوفي عام خمس وسبعين ومائة . وزار بعد ذلك جملة صالحة من سكان القرافة لا يمكن عدهم ، ولم يزد على التمثيل في العتبات الرفيعة إلا لدى سلطان العشاق سيدي عمر بن الفارض مولده (٥٥٦ هـ أو ٥٦٠ هـ) ووفاته (٦٣٢ هـ) .

ثم قصد زيارة سيدي محمد الحنفي نجل على شمس الدين الشاذلي [ولد سنة ٧٤٧ هـ — وتوفي سنة (٨٤٧ هـ) . ثم توجه لزيارة السند الجليل سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه ، ولد سنة أربع أو ست أو سبع واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سـنة إحدى وستين (بكربلا) . واعلم أنهم اختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره إلى الشـام أين صار ، وفي أي موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أنه طيف به في البلاد حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه

(١) نسبة إلى قرية من أعمال الشرقية

أميرها بها [1] فلما غلب الأفرنج على عسقلان [2] افتداه منهم الصالح طلايع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ، ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة ، وإلى ذلك أشار القاضى الفاضل [3] فى قصيدة مدح بها الصالح طلايع . وصار آخرون ومنهم الزبير بن بكار والعلاء الهمدانى إلى أنه حُمل إلى المدينة مع أهله فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الأمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلا بعد أربعين يوماً من القتل . ورجح القرطبى ، الثانى قائلا ما ذكر من أن فى عسقلان مشهداً هناك أو بالقاهرة باطل لا أصل له . انتهى . والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى .

ثم زار الشيخ ، علم هذه الديار ، وأحد أركان مصر ، سيدى عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى يتصل نسبه بسيدى محمد بن الحنفية نجل على رابع خلفاء المختار ، ولد تقريباً سنة (٨٩٩ هـ) وتوفى سنة ٩٧٣ هـ وقد ترجمه المناوى وغيره وترجم هو نفسه فى سننه ، وقد طالع الشيخ جملة من مؤلفاته ، وكرر له الزيارة فهو أحد أشياخه

ثم زار سيدى محمد الكردى الكائن بعد باب الفتوح ، ثم مال لزورة الخواص ، وضريحه بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح تجاه خوص ، توفى سنة (٩٣٩ هـ) .

ولقد دعاه جناب الشيخ على نجل الحنفى الولى ، إلى مكان نزيه ذى أبنية وثيقة ، فى مصر العتيقة ، وكان بحر النيل فى ازدياد على المعتاد ، فأركبه والشيخ محمد الخليلى ، قياسة له صغيرة ، وأرسلهما للتفرج على المقياس فسارا ورأيا العمود فيه مغطى بمياه فاقت (على) الأسفنطا ؟ ورأيا الماء نازلا عما عليه كان ، لأنه فاض من الدرج الخارج وعم ساحة المكان ؛ ثم عادا إلى محل الضيافة ، فإن أمواجه كانت كبيرة ، واختلاف أهويته كثيرة ، وكان كبير ذلك المحفل الجامع والداعى لبيته وضيافته جناب الشيخ عبد الرؤوف البشبيشى ، وقطما ذلك النهار ، والداعى الصفى نجل الحنفى الوفى يلاطفهما .

وبعد أيام دعى الشيخ للاصلاح بين الشيخ محمد شنن والشيخ أحمد (اللقدوسى ؟) وأقام معهم فى صفا ووفا ، على بركة الرطلى التى تمتلئُ إذا النيل وفا ، وكان يوماً مشهوداً بالأفاضل المعتبرين ممدوداً بمكارم الكريمى المستق هو وأخوه من بحر الشاذلى ، وكان أخوه قد دعا الشيخ بعد أيام للحضور فى داره ، وقصد بعد أيام لزيارة مقام زين العابدين .

ثم توجه صحبة الشيخ محمد الخليلى إلى جامع سيدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى فاتح مصر ، وقد لقب أبوه بالعاصى على أحد الأقوال لأنه كان يتقلد بالعصا عوضاً عن السيف فسمى بالعاصى . وكانت زيارته وزيارة سيدى عقبة بن عامر الجهنى تقدمت ، ورأى الشيخ فى الجامع مصحفين ينسبان للامامين سيدى عثمان وسيدى على رضى الله عنهما ، ويقول « إنه بالبعد عن المدينة ، اضمحلت بعض رسومه المتينة » ، وصعد المنبر ، فوعظ . وسار بعد ذلك إلى مصر العتيقة وكر ثانياً إلى المقياس . ويقول الشيخ ولو أراد سرد ترجمة من زارهم فى القرافتين وقبور المجاورين ، لاحتاج إلى وقت طويل . وكان من الذين أخذوا العهد على الشيخ ومن المترددين عليه الشيخ محمد الحفناوى . وممن دعا الشيخ إلى داره الشيخ محمد العنانى ذو النسب العمرى والحسب الشمسى القمرى ، وأغدق عليه المبرات .

ويقول الشيخ « وكنا نستعمل القصب بكثرة غير مختصرة ، حتى اتخذنا له من الخشب صغير معصرة ، ويقال إن الإمام المطلبى صاحب المذهب ، ابن عم النبى كان سبب نزوله القاهرة ، حبه فى القصب السكرى ، وفى ذلك يقول الإمام السيوطى :

نزلتُ على العصب السكرى   نزول رجال يريدون نهبه
بجز كجز رؤوس العـدا   ومص كمص شفاه الأحبة

وكان يتردد كثيراً مع الشيخ الخليلى إلى بولاق لأجل الاطلاق لا من الإملاق ، وكذلك لزيارة الشيخ فرج ، وصعد طبقة فرأى على جدرانها أبياتاً أثبتها منها :

ومن عجب الأيام أنك جالس   على الأرض فى الدنيا وأنت تسير
وسيرك يا هـذا كسير سفينة   بقوم جلوس والقـلاع تطير

وكان الشيخ قد زار فى أوائل قدومه الولى الشيخ محمد الدمرداش ، ودعاه أولاده الشيخ محمد صاحب السجادة والشيخ عثمان ، ودخل خلوة الشيخ .

(البقية فى العدد القادم)   أحمد سامح الخالدى

(١) بها مشهد عظيم بناه الفاطميين من خلفاء مصر (الأنس الجليل ج ٢ — ٤٢٢) . (٢) سنة ٥٤٨ هـ .

(٣) وزير السلطان صلاح الدين كان إماماً فى الانشاء توفى (٥٩٦ هـ) فى القاهرة .



الزهريات الاغريقية

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

كان أول مصنع أقيم لصناعة الزهريات فى بلاد الإغريق بمدينة كورينثيا Corinth فى القرن السادس ق . م . وانتشرت هذه الصناعة حتى بلغت جنوب ووسط إيطاليا وراجت منها .

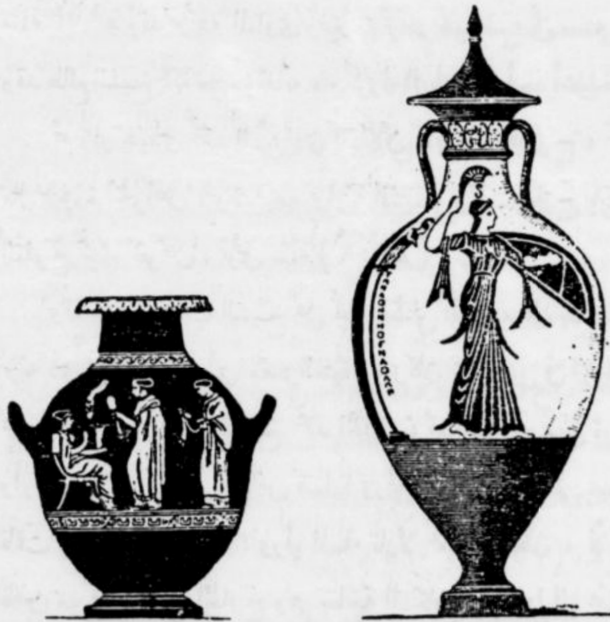
وكانت أول الزهريات الكورنثية صغيرة الحجم رقيقة التكوين ، صنعت من طين ناعم اللمس ، مزودة برسومات بُنّية حمراء رسمت على أرضية صفراء باهتة ، أما نقوشها فكانت عبارة عن خطوط أفقية متجاورة ، التفّت حول البدن ، وبين كل مجموعة من هذه الخطوط ، وبين ما علاها تركت مسافة ملئت برسوم للحيوان والإنسان فى أوضاع مختلفة ولكنها بسيطة بالقياس إلى ما سيليها .

وتتلخص الصفة الظاهرة لهذا النوع فى أنها مشابهة فى مجموعها لتلك التى عملت برودس ، من حيث الإخراج واختيار الألوان وأسلوب التصوير ؛ فترى غصن شجرة وقد بدا بالقرب من قاعدة الزهرية متجهاً إلى أعلى ، تفرعت منه أغصان أدق وأرفع ، وزعت فى نظام يدل على الخضوع لخطة مرسومة ، بحيث جاءت بينها مسافات أو مساحات استخدمها الفنان لتصوير الإنسان والحيوان كالأسد والثور وأبى الهول ، وما تبقى من المساحات زوده الرسام بزخارف من بينها الورود الصغيرة التى كانت محببة إلى الأغارقة بصفة خاصة .

على أن المستعرض للزهريات الكورنثية بصفة عامة يخرج بنتيجة صريحة هى أنها ذات أحجام صغيرة كما سبق التنويه ، وذات شكل كروى غالباً ، لها غطاء يوضع فوق العنق فى بعض الأحيان .

وقد طرأ تغيير ظاهر فى صناعتها فى أواخر القرن السادس ق . م . فبدت أكبر حجماً وذات مقبضين ويسمونها « أمفورا » Amphora ، وأصبح لون الأرضية أكثر احمراراً نتيجة لزيادة الحريق فى الأفران ، ورأى الفنان نفسه مضطراً إلى استخدام نوع داكن من الورنيش يتناسب مع لون الأرضية ، فتكون ألوانه أكثر وضوحاً ، كما أنه استخدم اللون الأبيض والأحمر البنفسجى .

وبدأ الفنان يعنى بتقسيم مساحة الزهرية كلها إلى أقسام معينة ، بعد ما كانت لا تشتمل إلا على فواصل جاءت دون قيد ودون خطة موضوعة . وكان أهم هذه الأقسام مخصصاً لتصوير قصص الأبطال فى أغلب الحالات . أما الأقسام الأقل أهمية فكانت مجالا لتصوير الحيوان أو الفرسان على ظهور الجياد أو ما شابه ذلك .



ش ١ — پان أثينا أمفورا   ش ٢ — مصورات باللون الأحمر

ولعل من أحسن الأمثلة على هذا الاتجاه زهرية مشهورة محفوظة بمتحف برلين تبين فرسان « أمفياراوس » Amphiaraos

وإلى جانب المشكاوات الكورنثية وجدت فى نفس المرحلة الزمنية مصانع للفخار وعمل الزهريات فى إيطاليا ، فظهرت فى الأفق مجموعة خالكيس Chalkis Collection التى تتميز بصور الرجال والنساء معاً باللونين الأسود والأبيض ، وكذلك خلوها من الزخارف النباتية التى وجدت بالزهريات الكورنثية .

وشاع ظهور المشكاوات المسماة « أمفورا » ذات المقبضين والتكوين الكروى القائم على قاعدة مستديرة . وقد التف حول وسطها حزام عريض ملىء بصور تمثل سير الأبطال Epos وأحوالهم كعراك هرقليس مع جريونيوس والعراك حول جثة أخيل ، والوداع بين هكتور وبين باريس الخ ، مما لا تتسع له إلا الكتب .

ولم يدم الحال طويلا على هذا المنوال ، فلم يكد يبدأ القرن الخامس قبل الميلاد إلا وكانت أثينا قد بدأت تتغلب شيئاً فشيئاً على المشكاوات التى انتشرت فى إيطاليا وانفردت بالرواج طوال القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد .

أنظر إلى المشكاة رقم ١ وهى المسماه « أمفورا » وتأمل بساطة الزخرفة ثم انظر إلى مجموعة الرجال وقد اتجه ثلاثة منهم نحو اليسار واثنان نحو اليمين كأنهم فى حديث هام ، والمعجيب أن الفنان استطاع التعبير عما يريد فى هذه الرقعة الضيقة بكل اتقان ، أما رقم ٣ وهى ما يسمونها « هيدرا » Hydra ذات مقبضين أفقيين اشتملت مصوراتها الألوان الثلاثة : الأسود والأحمر والأبيض وقسمت مساحتها إلى ثلاثة أقسام أفقية أوسطها لرجال ونساء وأعلاها لحيوانات وطيور، أما الأمفورا رقم ٦ فهى ولا شك أكبر حجماً وأرشق تكويناً — والصور الزخرفية هندسية الطابع أغريقية المزاج ، ولعلك تذكر أن الوحدة الزخرفية الموجودة أسفل الصورة مباشرة هى ما يسمونها مياندر Meander نسبة إلى نهر ذى تماريج يأتى ذكره فيما بعد .


ش ٣ آنية للتبريد — الأشكال بالون الأحمر — محفوظة بميونيخ


ش ٤ — زهرية أشكالها بالون الأحمر ، وهى تعد من أجل الزهريات الأغريقة — ميونيخ

وقد سارت المشكاوات الأتيكية فى أول أمرها متأثرة بنظائرها اليونية ثم بالكورنثية حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد حيث استقلت بنوع من التصوير يسمونه « التصوير الأسود اللون » .

وتمتاز الأتيكية المذكورة بجمال اللون الأحمر ورقته ودفئه وكذلك ببريق الورنيش الذى يراه الشاهد لأول وهلة .

هذا من حيث « الصنعة » أما من حيث الإخراج الفنى فقد امتازت المصورات بعناية المصور ومقدرته على تنفيذ الفكرة بأسلوب يدل على المران والتمكن .

كما أنه تفنن فى نوع الزخارف فضلا عن عنايته بضبط خطوطها وانحناءاتها وحسن اقتباسه لوحداتها مع التقليل منها ووضعها فى أماكن خصصت لها ، لا تطغى على المصورات ، بل تساعد على توجيه النظر إليها لوجودها فى النهايات كأنها إطار يحيط بالمشكاة .

وكان الموضوع المثير لاهتمام الفنان المصور ينحصر فى سير الأبطال يستلهم منها مادة فنه ، ويلى ذلك مناظر الحياة الاجتماعية والأحداث اليومية يعيش فيها ويتأثر بها ويسجلها فى سجله الخالد على الزمن .

ولعل الاتجاه الذى كانت له قيمته الخاصة ذلك الاتجاه نحو تسجيل المناظر الجنائزية فى مجموعة عرفت باسم Prothesisvase شكلها على هيئة « الأمفورا » إلا أنها أكثر منها ارتفاعاً وأكبر حجماً ، وكان الغرض منها تحلية المقابر والجبانات .

والملاحظ أن فى هذه المرحلة الزمنية بدأ الفنان يشعر بكيانه وبقيمة عمله فأخذ يسجل اسمه على كل مشكاة يصورها ، فجاءت مجموعة « بان أثينا أمفورا » Panâthenaiamphora ولا تخلو واحدة منها عن اسم المصور ، وهذه المشكاواة كانت تملأ عادة بالزيت لتقدم إلى أوائل المتسابقين اعترافا لهم بالتفوق والتقدير ، فى أعياد بان أثينا آلهة المدينة . وبمناسبة كتابة أسماء المصورين أراه لزاما أن أذكر « كليتياس » Klitias مصور زهرية فرنسوا المشهورة ، وأرجو تيموس Ergotimos وسوفيلوس ونيآرخوس Sophilos and Nearchos وأولاده الخمسة .

ويتلخص الفارق البارز بين الزهريات «ذات الأجسام الحمر» من «ذات الأجسام السود» فى أن الأخيرة رسمت عليها الأجسام

بهذا اللون وأحيطت بلون أرضية الزهرية ، على حين كانت ذات الأجسام الحمر عبارة عن خطوط تحديدية غطى ما يحيط بها باللون الأسود الدخيل على الزهرية .



ش ٥ — الأشكال باللون الأحمر من الطراز الأرخى ، متحف باريس ش ٦ — قنينة للزيت ، باريس

وببلوغ الصنعة هذه الدرجة من التجديد ، كان فن تصوير المشكاة قد تقدم من حيث الأسلوب ؛ فأصبح التعبير أكثر قوة عن ذى قبل ، كما بدت التفاصيل أكثر دقة وأكمل أداء بالقياس إلى سابقتها التى انفردت باللون الأسود وظلت حافظة على مستوى محدود من الاتقان وقفت عنده .

وبعد ما كانت الأجسام البشرية أشبه شىء بوسيلة من وسائل التعبير عن فكرة معينة ، أصبحت قوية من حيث إنشائها والأسلوب الفنى الذى تم به تصورها ، فكانت العنصر الهام الواضح الأثر .

وتقدم فن تصوير المشكاة تقدماً مستمراً من ذلك الحين أى منذ حكم بيزستراتس Pisistratus حيث ظهرت الأجسام باللون الأحمر ، حتى منتصف القرن الخامس ق . م . عندما ظهرت أسماء لامعة فى عالم تصوير المشكاوات أمثال أويفورونيوس وزميله إبيكتيت وغيرهما من المحدثين نسبياً أمثال دوريس وبريجوس وهيرون Euphronios , Epiktet , Duris , Brygos and Hieron ، ورسمت بعض المشكاوات مزودة بأسماء وتفسيرات لبعض مناظرها ، كما كتبت بعض المعانى الرمزية للتعبير عن مشاعر خاصة . ومن هذا نرى أن تصوير المشكاة كان فناً له خطره وأثره البالغ؛ إذ تكونت منها مجموعة هى سجل حافل بما يحيط اللثام عن حياة الأغارقة بين الواقع وبين الخيال .

وبالنظر إلى الزهرية رقم ٢ « أمفورا » نجدها تشتمل على أجسام باللون الأحمر رسمت فى عناية ودقة ملحوظة تمثل مناظر رياضية رائعة ، بدت فيها أجسام اللاعبين رشيقة التكوين .

ولا نستطيع أن نتناول بالوصف كل واحدة منها على حدة ، وإنما الذى نستطيعه هو أن نوجه نظر القارىء إلى ناحية هامة وهى أن الأشكال ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ رسمت كلها على أرضية سوداء أى بتحديدها ثم طلاء الأرضية بهذا اللون وترك الأشكال دون تلوين ؛ فتبدو حمراء بلون الأرضية .

ورقم ٤ تبين إبريقاً ، و٥ هيدريا Hydria و ٧ ليكيتوس Lekythos و ٨ كراتر Kråter و ٩ أريباللوس Arybållos وكلها تبين مرحلة عظيمة من مراحل تصوير المشكاوات الإغريقية .

بقى بيان عن كلمة ميآندر تعبيراً عن وحدة زخرفية تمثل خطوط متكسرة فى زوايا قوائم يدخل بعضها فى البعض الآخر [الزهرية رقم ٦ أسفل أرجل الحصان مباشرة] سموها كذلك تشبيهاً لها بنهر بهذا الإسم Maandros كثير التعاريج يصب فى بحر أيجة قبالة جزيرة ساموس . أما الزخارف الأخرى فقد اقتبست وحداتها من نباتات وتخيل يسهل فهمهما دون مشقة .

(له بقية)

أحمد موسى

ملحوظة : لأسباب فنية تعذر نشر الزهريات المقول عنها ، فنشرنا هذه بدلا منها ، وهى وإن اختلفت فى الموضوع ، فهى لا تختلف فى الجوهر.

بعد خمسة وعشرين عاما :

سيد درويش

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

دارت الكأس، والتقى الندماء   وأعادت أيامها الصهباء
وصفا مجلس الشراب ،وطابت   وصحا في عبيرها الإغراء
وبدت حولها المزاهر تشدو   ودعا الشرب ساهر وغناء
واستوى الضاربون فيها أفانـ   ـين ، وباتت على الغدير الظباء

***

الليالي والصفوة الندماء   وسقاة الملاحن القدماء
يا كرتهم في موسم الفن فانثا   لوا كما يجمع الفراش الضياء
يا ندامای : هـذه حان باخو   س ، وهذى أنغامه المذراء
نبضات الأوتار فيها ترانيـ   ـل ، وهمس الأعواد فيها دعاء
عصر الشعر كرمها من معانيـ   ـه ، ودارت بها النفوس الوضاء
فإذا القوم بعد خمس وعشر   ين نشاوى — كمهدهم - أنضاء
رقصت في أعصابهم نشوة الفن   وللفن سـورة وانتشاء

***

نغم عاجب ، ولحن رَواء   وهوى ساكب ، وطبع رخاء
وتصاوير للوجـود كما لو   شفه الرسم ، أو نحاه الطلاء
وتعابير عن معـان دقاق   لم يحوّم في جوها الشعراء
أنكرت عالم الفناء وضجت   في صداها الحياة والأحياء
صانع الخلد لا يموت وإن مد   ت عليه سجوفها الغبراء
هو في فنـه مقيم كأنه   زار بالربع القمـة الشماء
شاعر ترجم الأحاسيس ألحا   نا روتها الطبيعة الخرساء
ساخر يضحك اللحون ، غضوب   تتلظى أنغامـه الحمراء

***

علمته الأنسام كيف البكاء   وهدير الأمواج كيف الإباء
وعويل الرياح كيف التشكي   وعبير الورود كيف الغناء
رب لحن كأنه موكب الرعـ   ـد عتيـاً كأنه الكبرياء
ولحون كأنها رقصة النا   ر تغنيها الزعازع النكباء
ولحون كأنها لحظة الوصـ   ـل زهتها حلاوة ولقاء
ولحون تصور الناس ألوا   ناً ففيها الطيوف والأصداء
نغمات تردّد البـدع فيها   وسقتها البديهة الوطفاء
غال خلاقها الردى فتبنا   ها خلود ، وذاد عنها وفاء
يخفض الدهر عندها من جناحيه ، ويردى البِلى ، ويعيا الفناء
هي كالخمر كلما شيّخ الدهـ   ـر تناهى بها الصبا والفتاء
ينبض الحب في سناها وتدعو   ك إلى الله روحها الحسناء
ومن الفن ما يملك الحق   إذا موه الوجـود الرياء
ومن الفن ما يبشر بالرحـ   ـة دنيا طغا عليها الشقاء
ليس في جوهر الحقيقة إلا الـ   ـفن شيء ... وغيره أسماء
والذى صـور العوالم فنا   ن تظنّى في فهمه الفهماء

***

والليالي قصائد عصماء   وأولو الفن وحدهم أنبياء
ربمـا استقنت الحياة عن العـ   ـلم على رغم ما أتى العلمـاء
وعلى الفن وحده عاش أجدا   دك دهراً وهم به سعداء
إن من أطلقوا المقول علينا   لست تدرى: أأحسنوا أم أساءوا
والذى ظنها تراباً وماء   هو في نفسـه تراب وماء
شـد ما تجنح الحياة إلى الرو   ح وإن كان في الطريق التواء

طاهر محمد أبو فاشا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

صانع البؤس :

نشر أن لجنة ألفت لإحياء ذكرى عبد الحميد الديب ، فقررت جمع ما قيل فى حفلة تأبينه وطبعه فى كتاب ، وطبع ديوانه ، وإقامة حفلة للاحتفاء بذكراه . ونشرت بعض الصحف أخيراً كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى . وفى كل ذلك ، وفى كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب ، يصفه القائلون والكاتبون بالشاعر البائس ، وينحون باللائمة على مصر لإهمالها إياه ، وذهب بعضهم إلى أنه أهمل حياً وميتاً ، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لعدم عرفانها أقدار النابغين من أبنائها !

قيل كل ذلك ، وقيل مثله فى حفلة التأبين الماضية ، وسيدور حوله المحتفون بالذكرى فى الحفلة المزمعة ... فهل كان عبد الحميد الديب بائساً حقاً ؟ أو بتعبير آخر : هل ظلمه المجتمع وحرمه نعمة العيش الرخى ؟

إنما يأتى البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .. إذ كان من العفاة السائلين ، وكان ذا حيلة فى هذا المضمار تدر عليه الكثير من العطاء ، وكان يعاونه على ذلك أصدقاء ، منهم من هو معجب بشعره ، ومنهم من يتفكه بتصرفاته ومفارقاته ، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون .

وكثيراً ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات فى التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعى إلى التحرير بالصحف والمجلات ؛ فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل ، وفى بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدماً ، ثم يذهب ولا يعود !

وكان له زملاء فى أول العهد قاسموه التسكع فى الحى الحسينى ، وكانوا يسمونه « الحى اللاتينى » ، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل ، ومنهم الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير . ومما يروى من نوادرهم معه فى عهد البؤس أن أحدهم – وهو الآن صحفى معروف يكسب حوالى مائة جنيه فى الشهر – نازع الديب عدداً قديماً من جريدة الأهرام ، إذ أراد كل منهما أن يهيئ به فراشاً على (الرصيف) فى حرم المسجد الحسينى ، فاقتسماه ، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف ، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذى فيه « افتتاحية » العدد ... وكانت موقعة اسمها « معركة الافتتاحية » ، ويظهر أن الذى ظفر بهذا القسم غريم الديب ، فقد كان له فألا حسناً ، إذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات !

وكان الديب يقضى حياته الخاصة فى الظلام ، يباشر فيها أنواعاً منحرفة من أخس الآدميين ، وكان ينفق على هؤلاء ومعهم ما يجمعه من هنا وهناك . فهو يبدأ الجولة بقصد إحدى القهوات الكبيرة ، حيث يلقى بعض الأدباء والمياسير ممن يعطفون عليه ، فيسمعهم من شعره ، وقد يطرفهم بنوادر من شئونه الخاصة معرضاً بحاجته ، وقد يتعرض بخرق كبير فى (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء ، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين ؛ ثم يخرج عامر الجيب إلى حيث يفرغه فى تلك البيئات المنحطة ... ثم تنتهى الدورة بفترة البؤس الذى صنعه بتلك المقدمات !

ولم يكن وفياً للمغدقين عليه ، بل كان ينثنى عليهم بالهجاء ، بعد أن قدم المدح على العطاء ... ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر العطية ... وكان يعرف ذلك منه المرحوم أنطون الجميل باشا فكان لا يعطيه فى المرة إلا (شلناً) ويقول : لا أريد أن أستكثر من الشتم ! ولعل هذا هو الذى أوحى إليه نوعاً طفيفاً من المدح : بضعة أبيات لا يغالى بها فى مدح الممدوح ، وكان يسمى هذه المدائح « الشلنيات » نسبة إلى ما يرجوه من ورائها . وكان يطلق لسانه – حديثاً وشعراً – على كل من يحسن إليه ، قيل له : اهج فلاناً . فقال : ولماذا أهجوه وهو لم يحسن إلى ولم يعطنى شيئاً ؟ ورآه أصحابه مرة مقبلا عليهم فى تيه وكبرياء ، فقالوا إنه لابد أن يكون فى جيبه – على الأقل – عشرة قروش ... فلما سألوه فى ذلك ، قال : أنى لى ... وهل يترك مى كامل الشناوى شيئاً يا أستاذ ! ؟ والأستاذ كامل الشناوى معروف بعطفه عليه

واهتمامه بأمره ... وشاهده بعض أصحابه في ثياب رثة ، فقال أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : يعز علينا أن يكون الديب عارى الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلباب) ، وتطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلغة) ، فهلموا نوارى سوأته ... وأحضروا له ثياباً نظيفة وحذاء جيداً ، فأخذها وذهب ، وبعد برهة عاد إليهم مزهواً فيها ، ونظر إليهم شزراً... ثم قال : ألا ترونني وجيهاً يا كلاب ! ولم يكن يليق بهذا السؤال في هذه الحال إلا جواب واحد : بلى يا ذئب !

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن إليه ، إلا مع معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا . قال لى الأستاذ محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوقى باشا بقصيدة جيدة منها :

ولو هيأنو للديب رزقاً لكان بحمد كم صلى وصاما
ومالى لا أرود حمى رحيباً تكنف حافظاً ورعى حماما

وصحبته إلى معاليه ، فأنشده إياها ، فأعطاه خمسة جنيهات (من جنيهات ما قبل الحرب) ، وحقيبة كبيرة ملأى بالملابس ، وأحاله إلى (الترزى) ليصنعها على قده ... فكاد يجن من الفرح وراح يقارن بين حاتم الطائى وبين دسوقى باشا مقارنة انتهى فيها إلى أن الأول أسطورة كاذبة والثانى حقيقة ماثلة . ووالى إنشاء المدائح فيه . ولكن « الذئبية » أدركته مرة ، فقال أبياتاً أولها :

أبلغ أباظة عنى أنهم ورثوا مالا ولم يرثوا ديناً ولاخلقا

وبلغت الأبيات دسوقى باشا ، فابتسم ، ثم استدعاه ، ونفحه نفحة أخرى ، وقال : إن يكن قد هجانا ، فإنى أكافئه على الشعر الجيد . فاستمر يمدحه بعد ذلك حتى كان آخر ما قاله من الشعر فى مدحه ، ولم يجازه الجزاء « الوفاق » !

هذه هى الحقيقة في حياة عبد الحميد الديب كما يعرفها خلطاؤه لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ؛ فلم يكن البؤس يأتى إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان هو يصنع البؤس صنعاً ، كان يحصل على المال بتلك الوسائل ويبذره تبذيراً فى أدنا الوجوه ، وفى أقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى بصنعه ... وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ليكون بائساً حقيقياً . وكان لا يتحرج من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه . وقد صب جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يا رجال الشعر والقول الرصين لعن الله أباكم أجمعين

أما الناعون على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه فليلتمسوا المثال في غير عبد الحميد الديب ، وبعفوا التاريخ من التزوير والتزييف .

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان إنساناً منحلا منفكا متحللا تائهاً شارداً ... فليعفوا الأدب والفن مما يحبون .

أسبوع شوقى :

اقتربت ذكرى المغفور له أحمد شوقى بك أمير الشعراء ، فقد توفى فى الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفى مثل هذا الوقت من العام الماضى ثارت عجاجة حول برنامج حفلة وضع لإحياء ذكرى شاعر مصر الكبير ، لأن البرنامج كان فيه انحراف عما يليق بهذه الذكرى الكريمة ، وكان لنا بلاء فى مقاومة هذا الانحراف ، انتهى إلى نتيجة مرضية مؤسفة معاً ، إذ كان القائمون بالمشروع ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فعدلوا عما كان موضع المؤاخذة ، فكان ذلك عملا مرضياً ؛ أما المؤسف فهو أن الحفلة أجلت أشهراً ثم أقيمت متأخرة هزيلة .

ويظهر أن ذكرى شوقى كانت فى العام الماضى — على ما كان فيه — أحسن حظاً منها فى هذا العام ... فقد كان فى الأول كلام (والسلام) ، أما اليوم فلا نسمع لهذه الذكرى أى حديث مع الأسف الشديد !

أقول هذا وبنفسى فكرة أوحت إلىّ بها كيفية الاحتفال بذكرى سيد درويش ، فقد رأينا أن الرجل احتفى بذكرى نفسه إذ كان أكثر البرنامج من موسيقاه وأغانيه وأناشيده . فأقترح أن يخصص أسبوع لذكرى شوقى (ولا أقل من أسبوع) تشغل لياليه ، أو أكثرها ، بتمثيل مسرحياته وغناء شعره ، ويسمى هذا الأسبوع « أسبوع شوقى » ، ويمكن تنفيذه فى هذا العام وإن كان الوقت ضيقاً ، فسرحياته لدى الفرقة المصرية للتمثيل ، والممثلون مدربون عليها وحافظون أدوارهم فيها . وهذا ديوان شوقى ، وهذا عبد الوهاب ، وهذه أم كلثوم ، فإن لم يستطيعا

تلحين جديد ، فلديهما ما أخذاه من الديوان من قبل .

ولكن من يقوم بالتنفيذ ؟ تقوم به وزارة الشئون الاجتماعية فهي المشرفة على الفنون والمسارح ، وأذكر لها أعضاء اللجنة التي ألفت في العام الماضي لهذه الذكرى ، ومنهم الدكتور ابراهيم ناجي الذي ثبت في الميدان بعد أن تخلوا عنه وأصر على الاحتفاء بالذكرى ، على قدر ما استطاع ...

وممن تنفق الوزارة على هذا الأسبوع ؟ أظن ذلك لا يعجزها . ولو كان الأمر بيدي لأخذت المبلغ الكبير المخصص لاستيراد الفرق الأجنبية وأنفقته على هذا الأسبوع ويسرت على الناس مشاهدة حفلاته ، ليزبطوا ويذكروا شوقي ..

الشعر المعاصر :

صدر أخيراً كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقد بين فيه مذاهب النقد الأدبي ومقاييسه والمذاهب الأدبية وعناصر الشعر وما ينتمي إلى ذلك من أبحاث النقد الحديث ؛ وعرض عليها الشعر العربي المعاصر ، مستقصياً بيئاته وألوانه ، مبيناً طرائقه وسماته .

ولا يسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت إلى هذا الكتاب ويهتم به ، لأنه كتاب جديد في المكتبة العربية ، فهو أول مؤلف عربي — على ما أعرف — في موضوعه بشقيه : الكلام في النقد الحديث ، وتطبيقه على الشعر المعاصر . ومما يدعو أيضاً إلى الالتفات إليه والاهتمام به ، ظهوره في هذا الوقت الذي كاد ينعدم فيه النقد الأدبي ، فلم نعد نرى إلا هذه المجالات التي تكتب عن الكتب هنا وهناك ، بدافع المجاملات الشخصية ، والتي يكتفي كاتبوها — في أكثرها — بالقاء نظرة عاجلة على الفهرس والمقدمة إن كانت قصيرة ... وما أسوأ حظ النقد في أدبنا الحديث ، فقد انقلب إلى هذه الحال من الضد ، إذ كان فيما مضى شتائم وتجريحات ، فصار الآن مجاملات ومبادلة تحيات ..

وأعود إلى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » فأقول : إنه يبدو فيه ما بذله مؤلفه من جهد شاق مثمر ، ومن مميزاته الاتزان واستقامة النهج ، ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجاح [1] في ميزانه ، بما لاحظته في الكتاب منهما ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفي بهذه الإشارة ، لأن المقام لا يسمح بالتفصيل والتمثيل . وحسب الأستاذ السحرتي أنه وضع بكتابه هذا لبنة في بناء الأدب العربي الحديث .

التأليف المسرحي :

اتجهت الرغبة منذ أوائل هذا العام إلى النهوض بالمسرح ، ولما كانت الفرقة المصرية هي الوحيدة التي تواصل العمل المسرحي الراقي في مصر ، فقد كانت هي محور الاهتمام ، فضم إليها بعض الممثلين والممثلات وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي بك الذي أسندت إليه إدارتها ، مع بقاء الأستاذ زكي طليمات مديراً فنياً لها

وكان أول شيء استدعى الاهتمام في الاستعداد للموسم القادم هو أزمة التأليف المسرحي التي كانت تضطر الفرقة إلى تكرار المسرحيات القديمة . ولمواجهة هذه الأزمة وعلاجها اتخذت الخطوات الآتية :

١ — قررت اللجنة العليا لترقية التمثيل إجراء مسابقة عامة للتأليف المسرحي يدخلها المتسابقون من مصر وسائر الأقطار العربية ، وجعل لها ثلاث جوائز : للمسرحية الأولى ٢٥٠ جنيهاً ، وللثانية مائتان ، وللثالثة مائة وخمسون .

٢ — وقلت للأستاذ زكي طليمات : لوحظ أن المعتدين بأنفسهم لا يدخلون المسابقات ، وأن الإنتاج الذي يقدم فيها ضعيف ، فهل تتوقع مع هذا أن تنتج المسابقة نتاجاً يكفي الفرقة ؟ فقال : هذا صحيح ، ولذلك جعلنا مبلغاً مساوياً لمجموع الجوائز — وهو ستمائة جنيه — لتكليف كبار الكتاب المعروفين بالقدرة على التأليف للمسرح ، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم ، وهو الآن يعمل في مسرحية بناء على طلب الفرقة ، ويوسف بك وهبي يؤلف الآن مسرحية ، والأستاذ محمود تيمور بك ألف مسرحية اسمها « الملك الحائر » ، وهي تتناول شخصية امرئ القيس ، وقد نحا فيها نحو روايته الماضية « حواء الخالدة » .

٣ — هناك مسرحيات كانت قد قبلتها قديماً لجنة القراءة ودفع ثمنها ، وأخرى فازت بجوائز في مسابقة كانت أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية ، ولم يمثل من هذه ولا تلك شيء ، فاختار بعضها يوسف وهبي بك لمواجهة أول الموسم ريثما يفرغ المؤلفون من تآليفهم ، ومن هذه الروايات « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ أحمد على باكثير ، وسيبدأ بها الموسم في منتصف أكتوبر وتجرى الآن تجاربها في مسرح حديقة الأزبكية .

عباس خضر

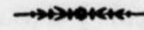
---

(١) التطفيف : بخس الوزن ؛ والإرجاح : زيادته .



في قافلة الزمان

تأليف الأستاذ عبد الحميد جوده السحار



لقد عرفنا الأستاذ عبد الحميد جوده السحار فيما أصدر من مؤلفات قاصداً مؤرخاً ، يكتب التاريخ بأسلوب قصصي شيق ويرسم لنا أبطاله رسوماً تنبض بالحياة . وقد أخرج لنا « بلال مؤذن الرسول » و« أبا ذر الغفارى » و « سعد بن أبي وقاص » و « أبناء أبي بكر الصديق » وقال فيها قسطاً مرفوراً من النجاح وعالج الأقصوصة الحديثة في كتابه « همزات الشياطين » لكن طابع السرعة وعدم الإتقان ، بدا واضحاً في معظم أقاصيصه . ثم عالج نقد المجتمع والجهاز الحكومى بكتابة صور فكهة تصور معايبه في الكتاب الذي أصدره بعنوان « في الوظيفة » فكان أنموذجاً عالياً في طرافة الأسلوب وروعة التهكم وجمال الأداء .

ولكن الكتاب الذي نتحدث عنه الآن يسلك سبيلا آخر لنقد المجتمع وعاداته هو سبيل الرواية . فكتاب « في قافلة الزمان » إذن رواية طويلة انتزعت شخصياتها من صميم المجتمع المصرى . ولكي يدرك القارئ ما بذل المؤلف من مجهود في تصوير عادات عدة أجيال من أمته ينبغي أن يعلم أنه بدأ الرواية في بداية القرن العشرين وانتهى بها في أواخر سنيه الحالية . أى أن الرواية سجل لحياة مجتمع في نصف قرن . ولم يكن هذا السجل لحسن الحظ مشوشاً مرتبكا ناقصى المعلومات ، بل كان مرتباً منظماً يلم بالشاردة والواردة ، قد دونته يد كاتب ماهر رمى إلى تقديمه بين يدى كل من يتوق إلى معرفة مجتمعه في فترة لم يكتب له فيها الوجود ، وبذلك يوفر عليه الاطلاع وإن لم يوفر له الوجود !.

فنجاح المؤلف من هذه الجهة لا ريب فيه . إذ أنه وفق كل التوفيق في نقل عادات الناس ، ورسمها بدقة وأمانة وإخلاص .

أما هيكل الرواية ففيه طرافة وتجديد . ونستطيع أن نلخصه في عبارة قصيرة ؛ فنقول إنه عبارة عن تاريخ حياة أسرة وأحفادها . فقد بدأت الرواية في التحدث عن الحاج أسعد وهو أبو الأسرة الأكبر ومن حوله أبناؤه الأربعة ولكل منهم زوجة وأطفال . ويظل هؤلاء جميعاً سقف واحد في البيت الكبير الذي يمتلكه الحاج أسعد . ثم تستطرد الرواية في استعراض حياة هذه الأسرة التي تتفرع وتتشعب وتتشابك شؤونها وتتعقد مشاكلها بازدياد أفرادها واتصال أعمالهم بأعمال الناس ، وبما يواجههم ما يواجه الإنسان في خضم الحياة من مشاغل تستولى على عمره . فهنا بيع وهناك شراء ، وهنا زواج وهناك طلاق ، وهنا مرض وهناك موت ، وإلى آخر ما يتعلق بالحياة من أمور . وعلى الرغم من أن السيطرة على دفة رواية تعالج نفسيات الناس وعاداتهم وتبسطها على خير الوجوه من الصعوبة بمكان ، فإن الأستاذ السحار أمسك بالدفة شأن الربان الماهر ، وعالج حياة هذه الأسرة وما تفرعت منها من أسر بدقة وإتقان . حتى أن القارئ ليخرج من الرواية وهو على أتم ثقة أن المؤلف لم يفتعل حادثة من الحوادث ليصور إحدى العادات ، وأن الرواية سارت في مجراها الطبيعى دون أن تتعثر بما في طريقها من صخور

ومع أن الرواية ليست من ذلك النوع الذي يعنى المؤلف برسم مشكلة لها هى العقدة ؛ تتشابك الحوادث حولها وتتكاثر الشخوص ، ومع أنها أيضاً لا تشتمل على حوادث غريبة مشوقة وإنما هى قطعة من الحياة مليئة بما يقع للمرء وما يشاهده في مجتمعه من الحوادث والعادات على مدار الأيام فإنها مع ذلك تجرى في أسلوب لين شيق يأخذ بانتباه القارئ فيستغرق في تلاوتها بلذة وإعجاب . وهذا ولا شك هو المقصود بنجاح الروائي وبراعته .

بيد أن كثرة شخصيات الرواية لم يفسح للمؤلف مجالا كى يرسمها جميعاً بالدقة المطلوبة — كما رسم شخصية مصطفى ونفيسة مثلا — فجاءت صور قسم منها باهتة لا تتسم بميزات وملامح واضحة برغم أهميتها . ومن ذلك القسم جاءت شخصيات سليم وأسعد ومارى . ولعل ذلك يبدو بصورة أوضح لو قارنا — على سبيل المثال — نجاح المؤلف في تحليل شخصية مصطفى بنجاحه في تحليل شخصية سليم . مع العلم أن الشخصيتين تتكافآن

فى الأهمية والدور . حقاً إن الفرق يبدو شاسعاً بين النجاحين . والواقع أن براعة المؤلف كما يتضح لى متجهة إلى غرضين يمكن القول أنهما شغلاه نوعاً عن الأغراض الأخرى : الأول والأهم هو تصوير حالة المجتمع المصرى فى نصف القرن الأخير وتسجيل عاداته وتقاليده . وقد سبق لى أن ذكرت أن المؤلف توفق فى هذا كل التوفيق . فاستطاع أن يكوّن صورة فى أذهاننا عن الزواج — مثلا — فى جميع مراحله : كيف تتم الخطبة ، وبعد « الجهاز » ويقدم « النيشان » ثم تقام الزفة التى يعقبها بناء الخطيب بخطيبته .

ولكى أكوّن لدى القارئ فكرة عن دقة المؤلف فى تصوير هذه العادات أورد الآن مقطعاً يتعلق بأحد مراحل الزواج الذى يسمى « النيشان » . فقد جاء فى صفحة (٢٠٥) من الكتاب ما يلى :

[وخرجت أمينة وعصمت وسكينة لشراء « النيشان » وهو هدايا يقدمها الخطيب لخطيبته قبل الزفاف ، ويتكون « النيشان » عادة من حذاء فضى ، وقماش من القصب المنابى ، وقفاز أبيض ، ومروحة كبيرة من ريش أبيض فاخر ، وطرحة بيضاء ، وحافظة بيضاء وجورب أبيض من الحرير الغالى ، ويطلق على هذه الأشياء « الطقم الأبيض » ، وهو ما ترتديه العروس ليلة الزفاف . ويحتوى « النيشان » كذلك على شباشب حمراء وصفراء وخضراء وجوارب ومناديل وروائح وصابون ممسك ، وصندوق تواليت فاخر ، وأقمشة متعددة وثياب داخلية]

هـذا عن الزواج ، وما يقال عن الزواج ، يقال عن كيفية علاج الناس للمرض والعقم واستغنائهم عن الأطباء بأولياء الله من أمثال سيدى البيدق ، وأولاد عنان ، وسيدى الشعراوى ، والسيدة نفيسة ، والمندورة . وهم شأن الأطباء ، لكل منهم اختصاصه : فسيدى البيدق يشفى من الصداع ويزوره المرضى بعد صلاة العصر ، وأولاد عنان يشفون المرضى المهازيل ، وسيدى الشعراوى يشفى مرضى النفس والحسد ، ولابد من زيارة ضريحة مريده فى اليوم فى الفجر وعند الغروب ، أما السيدة نفيسة فيزورها مرضى العيون ولم يحدد لزيارتها وقتا . والمندورة تشفى النساء من العقم .

هـذه العادات ، إلى غيرها من نظم المجتمع وما يتصل به ، حظيت من المؤلف بأكبر قسط من الاهتمام . ولذلك جاءت صادقة دقيقة تنساب فى سلاسة وبساطة محببة . وبذلك حقق المؤلف هدفه الأول .

أما الهدف الثانى فهو على ما أعتقد دراسة شخصية مصطفى ، التى تمثل شخصية المؤلف . وقد نجح الكاتب فى هـذا الغرض أيضاً ، حتى أن القارىء يظن أنه عرف مصطفى هذا قبل أن يقرأ عنه فى الروايه ، وهو قد عرفه فى الحق ؛ ولكنه عرفه فى خضم الحياة المليئة بأشخاص من طراز مصطفى . وقد أبدع المؤلف خاصة فى تحليل حب مصطفى وعواطفه ، وعندى أنه إن لم يكن قد بلغ القمة فيه فقد قاربها .

وهناك بعض المؤاخذات على المؤلف أهمها كثرة أبطال روايته . صحيح أن مجال الرواية واسع ، وأنها تشمل الحياة بكليتها ، ولكن هذا لا يعنى أن نعالج نفوس الناس بأجمعهم ، بل علينا أن ننتقى منها ما يمثل منهـا مجموعة بعينها . وحيث أن المؤلف عالج فى روايته أسرة معينة تفرعت منها أسر أخرى ، فإنه تعرض لجميع أفراد هذه الأسر .

ولكننى لا أتفق معه على طريقته هذه ، وأقل ما يقال عنها أنها توقع القارىء فى الارتباك فلا يستطيع معرفة الشخصيات معرفة دقيقة وهى على تلك الكثرة . وبالاضافة إلى ما قد ينجم عنها من ارتباك ، فانها دفعت المؤلف إلى تسجيل بعض الحوادث التافهة التى لاتستحق أن يُفرد لها مكان فى رواية جيدة كروايته . وأبسط مثال على ذلك شخصيات أصدقاء سليم وأسعد التى لم يكن لها لزوم فى الرواية إطلاقاً ، والتى تشعر القارىء دوماً أنها كل على الرواية ، قد أقحمت فيها إقحاماً ، ومهما حاول القارىء أن يتعرف على لون لها اصطدم بالحقيقة الواضحة وهى أنها عديمة اللون والطعم والرائحة !

وقد كاد المؤلف من الجهة الأخرى أن يشرك عنصر الفساد فى الرواية ، لا لذنب جنته إلا لكونها قد طالت . والظاهر أن ذلك الطول قد أقلق المؤلف ، لأنه عمـد إلى استغلال قانون السرعة استغلالا مضراً بمصلحة الرواية كل الضرر . ولعل القارىء يستطيع أن يلاحظ ذلك منذ بداية الصفحة الثلاثمائة .

إذ اتجه المؤلف إلى رواية الحوادث بأسلوب بسيط ساذج لا تميزه إلا السرعة ، وليس له أية علاقة بأسلوب الروائى الفنـان ، ثم ما تكاد تأتى النهاية حتى يصطدم القارىء بحقيقة أخرى ، تتمثل ببتر الرواية . صحيح أن نهايتها موفقة ، ولكن القارىء يشـعر شعوراً أكيداً أن المؤلف لم يقل كل ما عنده ، وأن عليه الاستمرار فيها لأنها لم تنته بعد .

وفيما عدا ذلك فإن الرواية على نصيب موفور من الروعة فى فنها وأسلوبها وأغراضها .

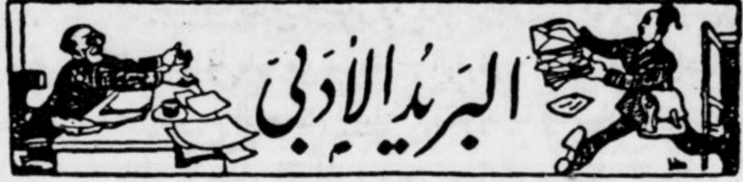
(القاهرة) شاكر خصباك

من نور القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف

القرآن ثروة الإنسانية الروحية ؛ وذخيرتها التى تعتز بها فى اجتماعها واقتصادها وسياستها وخلقها ؛ وهو موضع الحفاوة ؛ وهدف الدراسة ؛ ومثار النشاط العقلى بين ذوى القرائح الخلاقة ؛ غير أنه لم ينل فى البيئة الإسلامية كل ما يتطلبه فى هذه المرحلة الفكرية الجديدة ، كتحديد أهداف سوره ؛ والمحور الذى تدور حوله . مما يعين على تمثل أغراضـه ؛ والنفاذ إلى مراميه . ولعل أول محاولة رأيناها — النور — فى هذا الميدان هى ما اضطلع بها الأستاذ الجليل فى النهج الذى انتهجه فى تفسير الربع الأول من سورة البقرة وآل عمران والنسـاء . وهذا المنهج يتمثل فى أنه يبتدىء بكلمة عامة عن السورة يقدم فيها بين يدى — القارىء — العناصر الأساسية التى يتكون منها هيكل السورة ؛ ويهيىء الجو الذى يظله من السورة بظلاله . وهـذه خطوة لها أثرها القيم فى فهم أسرار القرآن واستلهام روحه صافية غير مشوبة ، حتى إذا وصل إلى الربع الذى هو بصدده أخذ يكشف لك عما يتناوله من أغراض . فإذا ما وضع تحت بصرك هـذه الأصول فقد اجتاز بك المنطقة الشائكة ؛ ثم يأخذ بعد ذلك يصور لك بأسلوبه الفكرى وبقلمه البيانى ، المعنى العام للربع ، إذا بك تجدك وقد وصلت إلى أهدافك من أيسر السبل ؛ دون أن يجشمك متاعب السفر ولا وعثاء الطريق ؛ فها هو ذا يستهل بحثه بكلمة عامة عن سورة — البقرة — ويملل طولها باشتمالها على تشريع الأحـكام العملية . وقد بدأها الله ببيان فرق الناس بإزاء الاهتداء بالقرآن ، وبين فيهـا البر وأحكام القصاص ؛ والوصية . والصيام . والحج . والنفقة . والخمر . والميسر . والزواج والطلاق . والعـدة . والإيلاء . والربا . والمداينة ، والتوثيق بالـكتابة : والإشهاد ؛ والرهن الخ ، حتى إذا استوفى هذا البيان العام وأعطاك الصورة الإجمالية للسورة ، انتقل بك من العام إلى الخاص ، وقدم إليك صورة صحيحة دقيقة لفهم روح القرآن وبيان أسراره . وعرض تفسير الربع الأول من سورة البقرة أبدع عرض ؛ وعلى هـذه السنة استن عمله فى آل عمران والنساء . فيا حبذا لو أخذ علماؤنا يعالجون القرآن تحت هـذا الضوء ، ويقدمونه على هذا الأسلوب ،لقربنا إذن الشقة بينه وبين الأذهان التى بعدت بها ظروفها عن الدراسات الدينية ؛ ولظهرت آثاره قوية فى أخلاقهم وأفـكارهم وحياتهم . فمتى ننتفع بهذه الثروة التى تـكفلت بسعادة العالم . متى !

محمد عبد الحليم أبوزيد



الأديب المدرس:

قرأت فى الرسالة الغراء تلك الكلمة القيمة التى يشكر فيها الأستاذ الزيات للأستاذ توفيق الحكيم ترشيحه إياه لكرسى « شوقى » واعتذاره عن هذا المركز الذى يحد من سلطانه. ويقلل من نشاطه ... وقد أتاحت لى هذه الفرصة الطيبة أن أقارن — فى ذهنى — بين الأديب المدرس، والأديب الحر، وربما بدا لكثيرين أن يقولوا إنه لا معنى لهذه المقابلة، لأن الأديب فى الحالين أديب من غير شك، وأدبه مقيداً بأغلال الوظيفة، أدبه طليقاً حراً ... وهو كلام إنما يصح إذا تصورنا أن الأدب ألفاظ وجمل، يتنوق صاحبها فى رصفها، ويتأنق فى صياغتها ويتمعل فى تدبيجها. أما إذا تصورنا أنه إلى جانب ذلك أفكار تتسامى ومعان تخلب وتروع، وأن العبارات إذا لم تكن مع الغرض النبيل، أشبه بالمرأة الحسناء فى المنبت السوء ... خصوصاً فى عصرنا الذى نعيش فيه، حيث صار الموظف موظف حكومة، لاموظف « مصلحة » أعنى أنه يتحتم عليه أن يكون أدبه فى حدود اللون الذى تتلون به « الوزارة القائمة » وكم رأينا أدباء قيد « حب العيش » أدبهم بهذا القيد فسقطوا من الأنظار، ولم يكن أدبهم محل اعتبار ... على أن المدرس إذا لم يكن فى « الفصل » كالممثل الذى يستجلب رضا الجمهور، ويستدر إعجاب المتفرجين، لاتقوم له قائمة، وفى سبيل ذلك لايبالى بسخط الفن، ولا باغضاب الحقيقة « المرة » وهذا التهريج إنما يروج بمقدار ثم لا يلبث القوم أن يمجوه تمشياً مع قاعدة البقاء للأصلح « وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » والأستاذ الزيات فى الرعيل الأول من شيوخ الأدب، لا لأنه كاتب فحل، أديب ممتاز، ولكن لأنه يستشعر الحرية فيما يملى عليه لسانه، ويهجس به وجدانه، والشباب يحفظ له الآيات البينات فى النقد، والتعليق على الحوادث والأخبار ... وافتتاحية فى « الرسالة » كفاتحة الكتاب نقرؤها للحفظ والتيمن، وإن كان فى ذلك كله مقلا فعذره أننا فى عهد التموين بالبطاقة ولكل شىء غاية، ولكل بداية نهاية.

ابراهيم على أبو الخشب

« الجوبيم » بين الأزهر والرسالة:

نشرت مجلة الأزهر مقالا تحت عنوان (أسباب تأخر المسلمين) بعدد ذى القعدة سنة ١٣٦٧ هـ لفضيلة الأستاذ الشيخ — عبدالحميد عنتر — المدرس بكلية اللغة العربية.

قال صاحب الفضيلة (ولم يحركهم للشر إلا أطماع «الجوبيم») يقصد بكلمة « الجوبيم » اليهود، وكتب معقباً (الجوبيم: اسم رمزى لليهود الصهيونيين الذين يريدون الاستيلاء على العالم كله ويعتبرون كل من سواهم من الناس بهائم. انظر مقالات الأستاذ نقولا الحداد عن اليهود فى أعداد الرسالة: مارس وإبريل ومايو سنة ١٩٤٨)

والذى قرأناه فى الرسالة وفهمناه من مقالات الأستاذ نقولا وأفدناه من مواثيق الصهيونيين، يخالف لما ارتآه الشيخ، بل الذى بمجلة الرسالة أن اليهود أطلقوا هذه الكلمة على غير اليهود من جميع الأمم

وبعد كتابة ما سلف، قرأت فى الرسالة للأستاذ الحداد ص١٠٥٨ عدد ٧٩٠ (لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لكي يحلبها شعب الله المختار «الجوبيم») فهذا الرأى الأخير للأستاذ الحداد فيه تأييد لما ارتآه الشيخ ومخالفة صريحة لمقالاته السابقة وتخطئة لفهمى. فما رأى الأستاذ الكبير « الحداد » بعد هذا؟ فهل كلمة « الجوبيم » تطلق تارة على اليهود، وأخرى على غير اليهود من العالم. أم ماذا ترى؟

(كيان المطاعنة) محمد أمين الشحات

تحقيق تاريخى:

أتابع ما يكتبه الأستاذ أحمد حافظ عوض بكثير من الاهتمام والحرص، ولقد قرأت المقال النفيس الذى نشره عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى مجلة المصور العدد (١٢٣٢) ص ٢٢ فوجدته يقول فيه « ولقد كان شاعر النيل المرحوم حافظ بك من المقربين إليه، وهو الذى ألحقه بالعمل فى دار الكتب المصرية وكان يسر كثيراً من فكاهته » فوقفت طويلا عند هذا الكلام لأن المرحوم الشيخ محمد عبده قد توفى فى ٩ يوليه سنة ١٩٠٥ مع أن شاعر النيل قد عين فى دار الكتب فى ١٤ مارس سنة ١٩١١ بوساطة المغفور له أحمد حشمت باشا ناظر المعارف حينئذ؛

وعليه يكون الأستاذ الإمام بعيداً عن هذه المسألة كل البعد كما ينطق التاريخ الرسمي .

هذا وقد حفظ الشاعر الكبير لحشمت باشا صنيعه الجميل فأشار إليه في رثائه الحزين حيث قال من قصيدة ممتعة لم تنشر في ديوان حافظ ، وإنما بقيت محفوظة في الجرائد لا يلتفت إليها أحد ، قال :

لك سنة قد طوقت عنق ما إن أريغ لطوقها ترعا
مات الإمام وكان لي كنفاً وقضيت أنت وكنت لي درعا
فليشمت الحساد في رجل أمست مناه وأصبحت صرعى
قد كان في الدنيا أبو حسن يولي الجميل ويحسن الصنعا
سلني فإني من صنائعه وسل المعارف كم جنت نفعا
تالله لولا أن يقال أتى بدعاً لطفت بقبره سبعا
قد ضقت ذرعاً بالحياة ومن يفقد أحبته يضق ذرعا

رحم الله الإمام والشاعر والوزير وأمد في حياة الكاتب الكبير

(الزقازيق) ابراهيم عبد المجيد التزري

تصحيح تصحيح :

جاء في مقال الأستاذ المحقق اللغوي الفاضل أحمد يوسف نجاتي « تصحيح تصحيف وتحرير تحريف » وذلك في العدد (٧٩٣) من الرسالة الغراء ص ٢٠٣٩ قوله « ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع في ذلك الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما في بيتي ابن المعتز صفحة ٢٦ :

أما ترى ملك بني هاشم عاد عزيزاً بعد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثله تستوجب الملك وإلا فلا

« ولعل صواب القافية في البيت الأول (بعد ما ذللا) لأن القصيدة من بحر السريع من عروضه الأولى المطوية المكسوفة التي ضربها مثلها على وزن فاعلن ، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب في البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه العروض لا يجمع بينهما » .

وأقول : إن ابن المعتز حين قال أبياته ما كان ينظر أو يلتفت إلى « العروض » بقدر التفاته إلى المعنى المراد تأديته على الوجه المطلوب . فهو حين أورد (عزيزاً) في شطره الثاني أعقبه وقابله بضده الذي هو الذل فقال (ذلا) وبه تمام المعنى ، وإن خانه المبنى . وفي المأثور « ارحموا (عزيز) قوم (ذل) » .

ولو افترضنا صحة تصويب الأستاذ (بعد ما ذللا) معنى ، لما كان ثمة موجب للتشبيه بالمثل في البيت الثاني حتى يستوجب الملك طالبه . أو يستأهل الدر حالبه !

وفي موضع آخر يقول ... وفي صفحة ١٨٤ البيت :

أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد باكي العين

« لعل الصواب (دامع العين) برفع دامع خبر المبتدأ هو » .

وأقول : البيت صحيح بصورته وزناً ومعنى ، وظهور حركة الفتح على الياء من (باكي) لا يفيد الحال وإنما الرفع مكانها على أنها خبر المبتدأ هو ، والاستثناء الشعري يجيز إظهار حركة في غير موضع حركة ، كما يجيز حذف حركة من موضع جوازها ، كقول من قال :

يا باري القوس برياً لست تحسنه
لا تفسدنها (١) وأعط القوس باريها

هذا ، والأستاذ — في البيت السابق — لم يلتفت إلى المقابلة اللطيفة بين (ضاحك وباكي) واستعاض عن البكاء بالدمع ، وإن كان الدمع من دلائل البكاء .

وبعد فالذي رأيناه أثبتناه ، والله الموفق إلى الصواب . والسلام .

(الزيتون) عمر عابد

(١) وفي رواية (لا تفسد القوس أعط القوس باريها)



التــاريخ العالمى

للكاتب الفرنسى أناتول فرانس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الكردانى

عندما خلف الأمير الشاب « سمير » أباه على عرش العجم ، استدعى جل علماء مملكته ، ثم قال لهم فى نبرة جادة مؤثرة :

— إن أستاذى — الدكتور سعيد — علمنى أن السلطان يتورط فى أقل ما يمكن من الخطأ ، إذا ما توخى فى تصريف شئونه وإبرام أموره ، أن يستهدى مثل الماضى وأن يستلهم عبر التاريخ ؛ ولهذا ... فإنى قد ارتأيت — بعد تدبر — أن أكلفكم بمهمة جليلة الشأن خطير ، هى أن تتوفروا على إعداد دراسة شاملة فى تاريخ الشعوب ... وبخاصة روادها وقادتها ... فما قولكم أيها السادة الأماثل فى هذا التكليف الخطير ؟ !

فتبادل العلماء النظر ، ثم أنهى واحد منهم إلى الأمير — بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن زملائه - استعدادهم للاضطلاع بهذا العمل الجليل . !

فما إن آبوا إلى دورهم ، حتى شرع كل منهم يكتل جهوده ويشحذ ملكاته توطئة للقيام بإخراج هذا « التاريخ العالمى » الجامع. وبعد عشرين سنة تقضت فى كد متلاحق و كفاح موصول ، عاد أعضاء « الأكاديمية » إلى الملك فى قافلة تتألف من اثنى عشرة جملاً مثقلة ظهورها بأجزاء هذا السفر المظيم !

وتقدم « سكرتير الأكاديمية » من الملك ، ثم أنشأ يتحدث فى هذه الكلمات :

— إن أعضاء « الأكاديمية » الموقرين ، ليشرفهم أن يضعوا عند درجات عرشكم المكين ، هذا المؤلف الفذ ، الذى يضم تاريخ الشعوب والرجال ، والذى لم يكن ليخرج إلى نور الوجود ، لولا التفات جلالتكم إلى ضرورة التأليف فى موضوعه ؛ ولقد خرج هذا التاريخ العالمى — يا مولاى — مستتم الحلقات ، مستكمل الفصول ، فليس من المغالاة أن نقول : إنه سفر — فى بابه — فريد !

— إننى لعاجز — بحق — عن التنويه بالجهد الذى استنفدتموه بإسادة ! ولكن ... ألا ترون معى أن رعاية شئون حكومتى ، تقتضينى ألا أتشاغل عنها بالانقطاع لاستظهار مثل هذا التاريخ الكبير ؟!

ومن ناحية أخرى ... ألا ترون معى أننى — بعد انسلاخ هذه السنوات الطويلات التى كنتم أثناءها تعملون — قد بلغت « منتصف طريق الحياة » على حد تعبير أحد الشعراء الفارسيين ! وبافتراض أننى كنت من المعمرين ، فإن ذلك لا ينفى استحالة قراءة سفر بالغ الضخامة كهذا السفر الجليل !

ولا أحسبنى قد جانبت الصواب ، حين قدرت — للوهلة الأولى التى استعرضت فيها عيناى أجزاء هذا الكتاب — أن مصيره القبوع كالجثة الهامدة فى خزانة كتبى !

لهذه الأسباب متآزرة — وددت لو تكرمتم بمحاولة اختصاره ، مستهدفين أن تجملوه فى مقدار فى مضاهاة الحياة البشرية القصيرة !

* * *

فاشتغل العلماء — عشرين سنة أخرى — بالتضييق — قدر الطاقة — من مشتملات الكتاب الضخم ... الهائل الحجم ، نزولاً منهم على رغبة الملك ؛ وإذ حققوا ما أراد ، توجهوا إليه — للمرة الثانية — فى قافلة صغيرة من ثلاثة جمال ، محملة أسنمتها بألف وخمسمائة جزء من السفر المظيم !

وقال « سكرتير الأكاديمية » :

هذا هو يامولاى عملنا الجديد ، نقدمه بين يديكم الساعة ، ونحن على بينة من أن هذا الاختصار ، لم يمس قط جوهر الكتاب ، ولم يهبط قط بمستواه .

فأجاب الملك :

— هذا بديع ... ولكن ، يؤسفنى ، ويحز فى نفسى أن أصارحكم القول باستحالة قراءة هذا التاريخ الجامع بالرغم من هذا

الاقتضاب .. ذلك أنني قد هرمت ، وغدا مما يهبط شيخوختي ويوهن من أنسجة بدني ، أن يفرغ ذهني الكليل للجهود الكبيرة ، فعسى ألا أكون قد كلفتكم شططاً لو رجوتكم — للمرة الثانية — أن توجزوا ... وتمعنوا في الإيجاز ، وأن تجملوا بالكم إلى تركيز المباحث وحذف المقول !

لم يسع هؤلاء الرجال الثابرين إلا الإذعان ، فاشتغلوا — للمرة الثالثة — بإخراج السفر الكبير ، إخراجاً جديداً ، وسلخوا في ذلك عشر سنوات ، هبط بعدها عدد أجزائه إلى الخمسمائة .

وقال « السكرتير مبتهجاً :

— أعتقد يامولاي أننا قد نجحنا — هذه المرة — في مهمتنا

فقال الملك مبتسماً :

— لا يتمشن في قلبك اليأس أيها السيد اعتقادي عكس ما تظن — إنني اليوم في خريف العمر أيهذا العالم الجليل ، فإذا رغبت إليك — للمرة الأخيرة — أن تنصرف وزملائك إلى معاونتي في تحقيق أمنيتي في مراجعة تاريخ عظماء الرجال قبل أن يدهمني الموت ، فعسى أن تنهضوا بتكرار المحاولة غير آسفين ولا قانطين ! وإني لفي الانتظار .!

تجرمت خمس سنوات ، عاد بعدها « سكرتير الأكاديمية » إلى قصر الملك . كان قد هده الكبر وقوست ظهره السنون ؛ وكان — وهو يرقى سلالم القصر — يضم إلى صدره — بذراعين معروقتين واهنتين — سفراً كبيراً ضخماً !

ولقيه أمين الملك ، فصاح به في نبرة لهيفة ... حزينة :

حث الخطى أيها الشيخ ؛ إن الملك يحتضر ..!

كان الملك يرقد على فراش الموت ، في رعاية أملاكه ، يعالج آخر سكراته ؛ فاستدار في إعياء ، ونظر بعينين خبا فيهما بريق الحياة ... إلى العالم وسفره الضخم ، ثم غمغم في تثاقل وصدره يموج بالتنهدات : هأنذا أموت ، دون أن ألم بتاريخ الرجال !

فسكت العالم برهة ، إجلالاً لرهبة الموت ، ثم رفع رأسه في بطء وعيناه مخضلتان بالدمع ، ليقول للملك المحتضر ... آخر ما صك أذنيه من كلمات :

— أيها الملك لقد ناشدتنا — غير مرة — أن نجمل لك تاريخ الرجال الأبطال الذين قضوا كما تقضي أنت الساعة . ألا فاعلم — أيها الملك المعظم — أن تاريخ هؤلاء الأبطال ليوجزن في هذه الكلمات : لقد ولدوا ، وتألموا ، ثم ماتوا !

عبد العزيز السكرواني

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٧ — الاثنين ٢٥ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٩٧ — الاثنين ١١ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩ ، ٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 797

Lundi — 11 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٩٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

حكم من أحكام الله !

قضى القضاء العراقى العسكرى العادل بالقتل شنقاً وبغرامة مقدارها خمسة ملايين دينار ، على فقيد الربا ، وشهيد الخيانة ، وعميد الصهيونية ، وعهيد الشيوعية ، وسليل شيلوك ، وصهر شرتوك ، ومالك القناطير المقنطرة من العروض والذهب فى البصرة ، وصاحب الملايين المصدرة من النار والحديد إلى تل أبيب ، المأسوف على حياته ، الخواجه شفيق عدس ؛ لأنه كفر بالعراق الذى نشّأه ورباه ، ثم آمنه وزعاه ، ثم رفهه وأغناه فاشترى بما نال من كرمه وادخر من نعمه ألوف الأطنان من مختلف السلاح والعتاد وأرسلها خفية إلى أوغاد اليهود فى فلسطين ليقتلوا بها إخوانه فى الوطن وأعوانه على الثراء ؛ فكان هذا القضاء وحياً من قضاء الله ، وكان هذا الحكم هدياً من ضياء العدل ، صفقت له الوطنية ، واغتبطت به العروبة ، وتمنى كل قطر من الأقطار التى مُنيت باليهودية الماكرة والصهيونية الغادرة أن يحكم كل قاض بمثله على كل يهودى يقف بين يديه وقفة المجرم . واليهودية هى الصهيونية محتجبة أو سافرة ، والصهيونية هى الفوضوية محتشمة أو داعرة . إذا عنيتَ باليهودية أقبح ما تعلم من مساوئ الدناءة والنذالة والإباحية والعصبية ، فإنك تعنى بالصهيونية أسوأ ما تفهم من معانى للشيوعية والرأسمالية والنازية والفاشية .

أقسم بالله جهد اليمين ما شفى صدرى وأرضى وجدانى كهذا الحكم الحازم الحاسم . فلعله يوقظ فى قضائنا الرءوف الرحيم شعور القسوة العادلة على مجرمى هذا الجنس العجيب الذى تحدى كرامة الإنسانية منذ تحملت أوزاره هذه الدار ، واعتقد أنه هو وحده شعب الله المختار .

لم يبق فى مصر ضمير يهودى لم يخن مصر ؛ ولم يبق فى مصر قلب يهودى لم يهو إلى إسرائيل ؛ ولم يبق فى مصر مال « يهودى » لم يحارب فى فلسطين ؛ وتقبض حكومتنا القادرة اليقظى على الكفار الفجار من سلالة يهوذا الذى باع المسيح بدوانق معدودة ، وفى نفوسهم نية الخيانة ، وفى أيديهم أداة الجناية ، وفى بيوتهم مادة العدوان ، فتنزلهم المعتقل على الرحب والسعة ، وتكفل لأموالهم وأهليهم الأمان والدعة . فإذا عجبت أن ترى اللئيم الممن فى لؤمه يكرم ، والظلوم الفحش فى ظلمه يرحم ، حاولوا أن يخففوا من عجبك بدعواهم أن لليهودى المصرى رعاية المواطن ، ولليهودى الأجنبى حق الإنسان ؛ كأنهم يريدون أن يقولوا إن اليهودى يشارك المصرى فى وطن ، أو يشارك الآدمى فى جنس ! !

لا ، يا سادة ! إن اليهودى لا يعرف وطناً غير صهيون ، ولا يألف جنساً غير يهوذا ، فمن يزعم غير ذلك فليسأل كل أمة فى الأرض وكل عصر فى التاريخ ، ما ذا جنت اليهودية على الإنسانية . ألم يكن لها فى كل ثورة وقود من الدسائس والأضاليل ؟ ألم يكن لها فى كل عقيدة مفسدة من البدع

إميـــــل لودفيــج

للأســـتاذ عمر حليق



مات إميل لودفيج فى ١٨ سبتمبر من هذا العام بعد أن ترك ثروة أدبية فى نوع فريد . ولودفيج من الكتاب الألمان القلائل الذين احتفظوا بسمعة عالية بالرغم من الويلات والمصائب التى ألمت بالحياة الأدبيـة فى نصف القرن الحالى فى تلك البلاد التعسة .

وثروة لودفيج خليط من المقالات السياسية فى قالب التراجم وفى المسرحيات السياسية والتاريخية والاجتماعية ، وله كتاب من نوع فريد أرخ فيه تاريخ ثقافة فى حياة نهر ، فكتابه « النيل » يجمع بين الطرافة الأدبية والدقة التاريخية ولمحات من التحليل العميق للحضارات العتيقة والحديثة التى أوحى بها هذا النهر الأزلى . وقد اختار لودفيج تراجمه من الشخصيات المعقدة التى تحتاج إلى تعمق فى الدراسة ، لا بسبب ما بها من عقد نفسية فحسب ، بل للظروف والملابسات التى أحاطت بها ، وبالأدوار التى لعبتها فى تاريخ الحضارة والإنسانية . فكتبه عن السيد المسيح ، وعن جوته وبيتهوفن وبسمارك أثارت مناقشات فى الأوساط السياسية والأدبية والدينية معاً ، وهذه من مزايا الأعمال الخاصة التى لا تنفرد بطابع التفكير الذى لا يتقيد بالمألوف ولا يجارى الاتجاهات التقليدية . وليست هذه الكلمة تحليلا لأعمال لودفيج ولا هى تعريفاً بانتاجه الأدبى ، وإنما هى عرض لحياة رجل من المثقفين الذين تركوا لمكتبة الأدب والتاريخ ثروة حافلة بالإبداع الفنى والتعمق الفلسفى ولمحات صادقة من تطور السلوك الفردى وتباينه فى مراحل نمو العظماء والبارزين الذين جعلهم لودفيج مواضيع لآثاره الفنية .

ولد إميل لودفيج فى برسلو بألمانيا عام ١٨٨١ ثم رحل إلى سويسرا وأصبح فى سن الثانية والثلاثين مواطناً سويسريا وأعلن أنه اختار سويسرا منفى لهطواعية بعد أن أثار بعض الجدل فى المحافل الأدبية والسياسية بسبب كتاباته عن بسمارك والعقلية الألمانية .

وكان والد لودفيج أستاذاً فى جامعة برسلو ، وهو يهودى اسمه هرمان كوهين إختار لابنه إميل كنية غير يهودية ليدفع عنه أذى المعادين لليهود فى ألمانيا .

والواقع أن يهودية لودفيج التى كان يفخر بها قد أفادته فى حياته الأدبية إلى أبعد حد ؛ فإن سيطرة اليهود فى كل دولة أوربية وفى أمريكا الشمالية على ألسنة الرأى العام ودور النشر وتجارة الكتب كانت سبباً هاماً فى توفير الإمكانيات للودفيج ولعشرات الكتاب اليهود فى ألمانيا وغير ألمانيا وتقديمهم إلى الأسواق العالمية ورعاية نموهم الأدبى كأحسن ما تكون الرعاية . وندر أن تجد فى الأوساط الأدبية العالمية من يتعرف أو يعترف بالأدباء والمثقفين الألمان من غير اليهود وندر أن تجد فى مكاتب أوربا الغربية وأمريكا من المنتجات الألمانية إلا إذا كانت صادرة عن أدباء يهود أو يمتون إلى اليهود بصلة — كما هى حال الكاتب الألمانى الشهير توماس مان الذى ساعد زواجه من امرأة يهودية على كسب رعاية اليهودية العالمية التى تعمل فى الحقل الأدبى والأوساط الثقافية الدولية . ومن الجدير ذكره بهذه المناسبة أن الأوساط الأدبية والفنية فى أمريكا تشعر بهذا التكتل اليهودى وتنفر منه ؛ فإن سيطرة اليهود فى أمريكا على الحياة الأدبية فى مصادر الإنتاج جعلت حظ الأمريكان من النجاح مقيداً بالنعرة اليهودية الضيقة التى تسهل الرقى والنجاح للادباء والفنانين من اليهود الأوربيين الذين يستوطنون الولايات المتحدة على حساب الناشئة من الكتاب والشعراء والفنانين الأمريكان . إنفرد لودفيج من بين الكتاب المعاصرين بمعالجة أدب

والأباطيل ؟ ألم يكن لها فى كل دولة جاسوسية تورث العداء والحرب ؟ ألم يكن لها فى كل أمة أسواق تنشر الغلاء والكرب ؟ ألم يكن لها فى كل مدينة (حارة) تشيع الفحش والفُجر ؟ ألم يكن لها فى كل صحافة لسان يذيع البذاء والهُجر ؟

قولوا بلى ، كان لهم كل أولئك ؛ ولكن الله أوعدهم ووعدنا أن يحبط أعمالهم ، ويطيش آمالهم ، ويديم إذلالهم ، فحققوا وعيد الله ووعده بمثل هذا الحكم ، واتقوا يوماً يجوز أن يتولى الشيطان فيه أمر الأرض ، فيجعل لهم القضاء عليكم ، فيقيموا لكم محاكم كمحاكم التفتيش ، ويومئذ لا يجدر بالعربى الأبى أن يعيش !

احمد حسن الزيات

انحراف المـــواهب

للأستاذ أنور المعداوى

قلت فى عدد مضى وأنا فى معرض الحديث عن الشخصية الأدبية إن من عناصر هذه الشخصية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه ، فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له ، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذى لا ينتج ولا يثمر ؛ عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت ، ويغنى الجهد الذى يبذل فى مكانه عن الجهد الذى يبذل فى غير مكانه .. هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق ، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق ، وهذا القاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الأدبى فلا يخرج بشىء .. كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر من عناصر الشخصية الأدبية ، عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات !

كلمات قلتها بالأمس وما أحوجها اليوم إلى شىء من الإفاضة والتطبيق ، والخروج بها من دائرة انحراف المواهب فى ميدان خاص إلى انحرافها فى ميدان آخر يتسع فيه المدى ، ويرحب الأفق ، ويمتد مجال البحث والدراسة ، وترد فيه الظواهر المموهة إلى ما خفى من الدوافع والأسباب ..

جورج ديهامل الكاتب الفرنسى الكبير وعضو الأكاديمى فرانسيز ، كان يعمل فى الحرب العالمية الأولى كطبيب فى المستشفيات الحربية ، وهو من الذين درسوا الطب فى بدء حياتهم واشتغلوا بهذه المهنة جرياً وراء الكسب المادى كما يفعل الكثيرون ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها هجر ديهامل الطب إلى الأدب فنبغ فيه نبوغاً أهله لأن يكون عميداً من عمداء الأدب الفرنسى المعاصر ... ظاهرة تستوقف النظر ، وتغرى بالبحث ، وتدعو إلى التأمل والمراجعة ، وأعنى بها ظاهرة انحراف المواهب ! .

ولقد كنت أبحث هذه الظاهرة عند عباقرة ثلاثة غير ديهامل يمثلون ثلاثة ألوان من الأدب العالمى الرفيع ؛ جمع بينهم فى مستهل حياتهم ميل إلى العلم وانصراف إليه ، ثم تحولوا عنه إلى الأدب فتهيأ لهم من النبوغ فى ميدانه مالم يتهيأ لهم فى ميدان العلم ... أول هؤلاء الثلاثة وهو الشاعر الألمانى جيته ، كان عالماً يبحث فى الألوان ، ويضع الأصول للرسم والنحت ، ويعالج التأليف فى الأزهار وفلاحة البساتين . وثانيهم وهو الكاتب النرويجى إبسن ، كان فى شبابه عالماً فى الكيمياء . وثالثهم وهو الكاتب الإنجليزى ويلز درس الكيمياء أيضاً فى شبابه ، ثم

التراجم فكتب دراسات عميقة عن نابوليون ، وهند نبرغ رجل ألمانيا العسكرى ، وعن مازاريك السياسى التشيكوسلوفاكى ، وعن كليوباترا ، وعن فرانكلين روزفلت ، والرئيس بوليفار أحد كبار الشخصيات السياسية فى أمريكا اللاتينية ، وله مؤلفات عن ستالين وسيجموند فرويد — صاحب نظرية التحليل النفسانى المعروف . ولم يقتصر لودفيج على التراجم فعالج القصة والرواية والموضوعات الأدبية البحث فى النقد الأدبى ومشكلات السلوك الفردى ، فن قصصه « الفن والقدر » و « هبات الحياة » و « ديانا » و « عطيل » . وله أيضاً دراسة فى « العبقرية والخلق » . ودون تاريخ حياته فى كتاب دعاه « نظرة إلى الوراء »

ومن بحوثه السياسية كتاب « أحاديث مع موسولينى » « والغزو الأخلاق لألمانيا » « وكيف تعامل الألمان » .

ومن مؤلفاته الأخيرة كتاب عن « البحر الأبيض المتوسط » ودراسته لنهر « النيل » .

وكان لودفيج يشتغل فى وضع كتاب عن الملك داود عند ما وافته المنية . ولم يترجم إلى الإنجليزية إلا القليل من أشعار لودفيج ومسرحياته التى استهل بها مطلع حياته الأدبية حتى سن الثلاثين

وكان لودفيج من مناصرى الحركة الصهيونية فى سويسرا . وقد استعمل نفوذه الأدبى فى سويسرا وإيطاليا لتسهيل النشاط الصهيونى عبر القارة الأوربية فى تجنيد الرجال والعتاد للغزوة الفلسطينية . وكان بيته فى إسكونا Ascona على الحدود الإيطالية السويسرية ملتقى رؤساء حركة التهريب الصهيونية كما ذكرت بعض الصحف الإيطالية منذ بضعة أشهر .

(نيويورك) عمر حليق

التحق بجامعة لندن ونال منها درجة فى العلوم ثم عين بها أستاذاً للباتولوجيا !.

ليس عجيباً أن يكون الرجل منوع المواهب فيكون عالماً وأديباً وفيلسوفاً فى وقت واحد ، ذلك لأن بعض المفكرين يمتازون بالجمع بين ألوان من العلم متعددة ، وضروب من الفن مختلفة ، لأنهم وهبوا من سعة الأفق وخصوبة الذهن وصدق الإحساس ووفرة التجارب مايؤهلهم لأن يشقوا طريقهم فى هذه الميادين جميعاً ، ولكن الشيء الذى لا شك فيه أن الموهبة الأصيلة تطبع ناحية من نواحى التفكير بطابعها القوى المتميز فتطغى على كل ما عداها من مواهب ، ويتجلى فيها الإعجاز فى أروع مظاهره وأخص مزاياه ... والدليل على ذلك أن يتحول رجل مثل جينته من العلم إلى الأدب ، فيصل بنبوغه فيه إلى الحد الذى دفع كارلايل إلى وصفه بأنه أعظم أدباء العالم بلا استثناء ، وأن يهجر رجل مثل إبسن العلم إلى الأدب ويعالج كتابة الدرامة فيمده النقاد واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحي الحديث ، وأن يشغف رجل كوبلز بالدراسات الأدبية ، فتكون مؤلفاته فى ميدان هذه الدراسات سلمه الوحيد إلى معارج الشهرة والنبوغ !

إن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا : لماذا تهيأ لهؤلاء الأدباء من النبوغ وذيوع الاسم فى رحاب الأدب ما لم يتهيأ لهم فى رحاب العلم ؟ .. ليس هناك غير جواب واحد هو أن مواهبهم الأصيلة كانت أدبية لا علمية ، والدليل على ذلك أنهم انحرفوا بها فى بادىء الأمر عن طريقها الطبيعى فلم تنتج الإنتاج المرتقب الذى يناسب ذكاءهم ، وذلك فى ميدان العلم ... فلما عادوا بها إلى ميدانها الأصيل وهو ميدان الأدب ، استطاعوا أن يشقوا طريقهم فى قوة حتى وصلوا إلى مرتبة الخلق والإبداع ! ومثلهم فى رأيى كمثل البذور التى يلقى بها فى تربة لا تلائم طبيعة نموها ، فهى قد تنبت وتنمو ولكنها فى الغالب لا تثمر .. فإذا ما ألقى بها فى التربة الصالحة نمت واشتدت أعوادها وأثمرت الثمر الشهى المرتقب فى مثل حالتها هذه الجديدة ، ومن الممكن أن نصف هؤلاء العباقرة الذين تمثلت فيهم ظاهرة انحراف المواهب فى شبابهم ، بأنهم كانوا بذورا أدبية ألقى بها فى تربة العلم فلم تكتب لها الحياة

وسؤال آخر يتبادر إلى الذهن فى انتظار الجواب .. لماذا ينحرف بعض أصحاب المواهب من الأدباء والفنانين عن طريقهم الطبيعى ليسلكوا طرقاً أخرى لا يجنون من ورائها إلا بعد الشقة بين ميدان لم يخلقوا له وميدان ما كان أحوجهم إليه ؟ !

إن الجواب الذى يقبله العقل على هذا السؤال هو أن المواهب تستغل فى غير ميادينها جرياً وراء المادة .. وهذه الحضارة التى نعيش فيها حضارة قوامها المادة تبدأ منها وتنتهى إليها ، وتدفع الناس إلى أن يتلمسوا الوسائل لكسب العيش عن طريق غير طريق الأدب والفن فى كثير من الأحيان ، لأنه طريق غير مرجو الفائدة ولا مأمول العواقب فى ميدان النضال مع الحياة . ومن هنا يتجهون باستعدادهم وملكاتهم اتجاهاً يبغون من ورائه الكسب المادى والمكان المرموق ، والفن فى رأى الماديين لا يحقق لهم شيئاً من هذا ؛ وماذا تجدى الشهرة فى رأيهم مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان ؟ !

إن صوت هربرت ريد فى كتابه « الفن والمجتمع » ليضيع وسط ضجيج المادية الأهوج حين يقول : « يجب أن ننظر إلى الفن نظرتنا إلى كل شيء لا يستغنى عنه ، مثله كمثل الخبز والماء ، وعلى أنه جزء من حياتنا اليومية لا يتجزأ ... وينبغى ألا يعامل الفن كضيف عابر ، ضيف يدفع أجر ضيافته ، ولكن كواحد من أفراد الأسرة سواء بسواء !

إن الحضارة الحديثة وتعقد مشكلاتها قد استبدت بالمواهب والعقول فوجهتها تبعاً لهذه المشكلات ، وما فيها من تعقد لم يدع لها من لحظات الفراغ ما يمكنها من استلهام الوحى فى الفنون الرفيعة .. وما أبعد الفرق بين الفنون فى ماضيها الغابر وحاضرها المشهود ! لقد كان الناس فى الماضى يعيشون للفن ويطربون له ، ويشجعون المواهب على أن تمضى فى طريقها فلا انحراف ولا اعوجاج ، وإنما اتصال مطلق بالطبيعة واستلهام لمظاهرها وروائعها ، فلما تعقدت الحياة وطغت المادية على كل شيء طغيانها القوى الجارف انحرفت المواهب عن ميادينها الأصيلة وانحرفت معها الأذواق جرياً وراء المادة .. وماذا تجدى الشهرة كما قلت فى رأى الماديين مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان ؟ ! .

أنور المعداوى

صلاة عصر في مسجد قرطبة عام ١٣٦٨ هـ

للدكتور محمـــــد موسى

منـذ فرغت من عملي في « السوربون » وأنا أحلم بزيارة للأندلس أرضى بها العقل بالتنقيب في مكتبة « الأسكوريال » والروح بالعيش فترة من الزمن في الأرض التي ذللها أجدادنا وقامت فيها عواصم للعلم والسياسة في الإسلام . وكان كل ما شاهدت من مدريد إلى اشبيلية حيث أنا الآن يؤكد لي أن أسبانيا بلد ليس بالغربي ولا بالشرقي ، بل هو بين بين . هو حقاً بين الشرق والغرب بما احتفظ من تقاليد الأول وعاداته ، وبما تمكن فيها عن الآخر من المسيحية التي تتعصب لها تعصباً شـديداً ؛ والأرض نفسها تمثل هـذا أيضاً بما تنبت من الزيتون والنخيل وقصب السكر والموز ، إلى جانب مزروعات الغرب التقليدية .

لـكن قرطبة عاصمة الأمراء والخلفاء شيء غير هذا كله . لقد كان القطار يسير بي من مدريد وأنا في شُغُل عما حولي ! كنت أعيش بخيالي وعاطفتي في قرطبة الإسلام ، في قرطبة التي صارت مقبرة لمصر من أكبر العصور الإسلامية ازدهاراً ، في قرطبة عبد الرحمن الداخل وأعقابه الأماجد ، في قرطبة ابن رشد وكبار العلماء الإسلاميين . لقد استبدّ بي الخيال ، وأسر تني العاطفة حتى خلتني مقدماً على بلد إسلامي يموج بعلماء الإسلام موجاً ؛ ولـكني وصلت إليها ، فإذا الأهل غير الأهل ، والوجوه غير الوجوه ، وإذا العجمة والمسيحية هي الحاكمة المستبدة في كل شيء !

وأخيراً ، ها أنذا في المسجد الذي يمثل الشيء الوحيد الحري بالزيارة في المدينة : هذا هو «صحن البرتقال» مجمع حلقات العلماء ؛ وهذا هو « اللّـوان » أو الدهليز اليميني حيث يجلس ابن رشـد يشرح أرسطو ويقربه للناس ؛ وهـذا هو الدهليز الشمالي حيث كانت تقام العدالة وتفصل الخصومات ؛ وبعد هـذا ها هو ذا المسجد نفسه الذي يحس المرء فيه بقبس من الخلود ، حيث كان العلماء من المسلمين واليهود والنصارى يتدارسون لغة واحدة هي العربية ، ويتعلمون ويعلمون علماً واحداً هو العلم الإسلامي كما ينقل « رينان » ! كل ذلك ذهب وصـار تاريخاً بعد أن كان حقيقة تملأ الأذن والبصر !

وفي وسط المسجد أقيمت الكاتدرائية ! إلا أنها على ضخامتها لم تنل من الأثر الإسلامي الخالد حتى كأنه لا يحس بها ! ومنارة المسجد التي تذهب إلى السماء ناحية الأزلية والخلود ، نحواً من خمسة وستين متراً جعلها التعصب برجاً للكنيسة بعـــد أقيم في جنباتها من نواقيس وما علاها من الصليب . إلا أن كل هذه المظاهر لم تنزعني من الجو الذي أعيش فيه ، حتى لقد صعدت المنارة وأذنت فيها بصوت سمعه من كان معي للعصر ، ثم أديت الصلاة في داخل المحراب بعد أن فتح لي خاصة ! وأظن أن رفيقي ، وهو أستاذ فاضل مستعرب قرطبي ، ظن بي الظنون ! وعلى كل فقد احترم عاطفتي ووقف هو وآخرون من المتفرجين على مبعدة !

وبجوار المسجد مقر الخلافة والخلائف الذي صار الآن مقر كبير رجال الدين . وقد نفّس عني قليلاً ما تذكرته من قول شـارلـكان وقد زار المسجد سنة ١٥٢٦ حين رأى الكنيسة وسطه : لقد « بنيتم هنا أثراً كان يمكن أن يبنى في أي مـكان ، وأفسدتم أثراً وحيداً في العالم ! »

والمسجد ومقر الخلائف يطل كلاهما على « الوادي الـكبير » التي لا تزال مياهه تجري في اســـتحياء ! وقد عبرت القنطرة على هـذا النهر إلى الجهة المقابلة التي كان العرب يسمونها La Campgne أو الريف في الجهة المقابلة . وبهذا النهر تنتهي المدينة القديمة .

بعد هـذا خرجت من المسجد وزرت محلة اليهود على مقربة جداً منه ؛ وبها منزل صـغير يحمل الآن رقم ١٨ رأى ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الأشهر فيه النور ؛ وبهـا معبد من معابدهم بني بعد ابن ميمون ، وإن كانت الحكومة أقامت في مدخله لوحة تذكارية لمرور ٨٠٠ عام على ولادته (١١٣٥ — ١٩٣٥م) لماذا لا تقام لوحة أخرى تذكارية لابن رشد معلم وشيخ ابن ميمون!

حسبي من زيارة قرطبة هذا المسجد ، وحسبي أني عشت فيها فترة لذيذة ومؤلمة في جو إسلامي خالص حتى كنت أؤدي فيها الصلاة في وقتها في أغلب الأحوال في الفندق الذي نزلت فيه .

أنتهي الآن وأنا على سفر إلى الجزيرة ، جزيرة طريف ، لعلي أستطيع منها العبور إلى طنجة ومراكش ، ثم أعود إلى الأندلس لرؤية غرناطة والله المستعان .

محمد موسى

أعلام الفكر فى عصر الحروب الصليبية :

عز الدين بن عبد السلام

٥٧٧ – ٦٦٠ ﻫ

للأستــاذ أحمد أحمد بدوي

نشأ فى شظف من العيش ، ورفعته ثقافته إلى أن أصبح ينادي الملوك بأسمائهم ، ولم يُعْشِه المجد عن الحقّ ، فنادى على رءوس الأشهاد بخطئه يوم بان خطؤه ، ولم يدعه حب السيطرة والسلطان إلى النزول عن كرامته أو الرجوع عن معتقده ، ولم تهيأ له وسائل الثقافة صغيراً ، ولكنه جد حتى صار أستاذ عصره وأعلم أهل زمانه .

ولد بدمشق حيث تفقه على فخر الدين بن عساكر ، وجمال الدين بن الحرستانى ، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدى ، وأخذ الحديث عن القاسم بن عساكر ، ودرس النحو ، ورحل إلى بغداد ، فأقام بها أشهراً. ونبغ العز فى أصول الفقه ، وأصول الدين ، والتفسير ؛ وبرع في الفقه حتى صار أعلم أهل عصره فيه ، قالوا : وانتهى به الأمر إلى مرتبة الاجتهاد فصار يفتى بما يؤدى إليه اجتهاده ؛ وكان موفقاً سديداً فى فتاويه .

ولى فى دمشق خطابة الجامع الأموى والإمامة فيه ؛ قال أبو شامة أحد تلامذته: « وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة » ؛ فأبطل صلاتى الرغائب ونصف شعبان ، وفى طبقات الشافعية للسبكى (جـ ٥ ص ١٠٥) نص فتواه فى تلك الصلاة ، وبيان الأسباب التى حملته على القول بإبطالها . وما كان عز الدين يسجع فى خطابته ، بل يقولها مترسلا ، واجتنب فيها الثناء على الملوك ، واستعاض عن ذلك بالدعاء لهم .

ودرّس عز الدين بالزاوية الغزالية بجامع دمشق ، حيث قصده الطلبة من الآفاق، يقتبسون منه ويأخذون عنه ، وارتفعت مكانته حتى راسله بعض ملوك عصره وأحبوا لقاءه ؛ فهذا الناصر داود بن المعظم عيسى يرسل إليه قصيدة يحزن فيها على ما أصاب الإسلام عندما أغارت الفرنج على نابلس ويقول له فيها :

أيا ليت أمى أيم طول عمرها ... فلم يقضها ربى لمولى ولا بعل
ويا ليتها لما قضاها لسـيد ... لبيب أديب طيب الفرع والأصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا ... فما بشرت يوماً بأنثى ولا فحل
ويا ليتها لما غدت بى حاملا ... أصيبت بما ضمت عليه من الحمل
ويا ليتنى لما ولدت وأصبحت ... تشد إلىّ الشدقيات بالرحل
لحقت بأسلافى فكنت ضجيعهم ... ولم أر فى الإسلام ما فيه من خلل

وكان الأشرف موسى يلهج بذكره ، ويؤثر الاجتماع به ، وقد دار بينهما نقاش انتهى باقتناع الأشرف برأى عز الدين وعقيدته ، وغرامه بكتبه وتآليفه ، ودعوة الناس إلى قراءتها والعمل بفتاويه . فلما مرض الأشرف مرض الموت أرسل إلى العز يستزيره فجاء إليه ، فلما استنصحه الأشرف نصحه العز بأن يولى وجهه إلى حرب التتار ، لا إلى حرب أخيه الكامل ، وكانت جفوة قد حدثت بينهما ، فقبل الأشرف نصيحته واستزاده ، فطلب منه العز أن يرسل إلى نوابه يحرم عليهم شرب الخمر والفسق وفرض ضرائب على المسلمين ، فأطاع أمره . ثم أمر له الأشرف بألف دينار ، فردها قائلا : « هذه اجتماعة لله لا أكدرها بشيء من أمور الدنيا » ؛ وعندما ملك الكامل دمشق ، وكانت الصلة بينهما وثقى ، وثقة الكامل فيه عظيمة ، ولاه قضاء دمشق بعد ما اشترط عليه عز الدين شروطاً كثيرة قبلها الكامل . فلما ملك الصالح اسماعيل دمشق ، وصعد نجم الدين أيوب إلى عرش مصر خاف الصالح اسماعيل خوفاً منعه المنام والطعام والشراب ، وصالح الفرنج على أن ينجدوه على الصالح أيوب ، ويسلم إليهم صيدا والشقيف وغير ذلك من حصون المسلمين . ودخل الفرنج دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا به عباد الله المؤمنين ، فشقّ ذلك على الشيخ مشقة عظيمة ، وعلى المتدينين من بائعى السلاح ، واستفتوا الشيخ فى بيع الفرنج السلاح ؛ فقال : « يحرم عليكم البيع لهم ؛ لأنكم متحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين » ؛ ويظهر أن عز الدين قد أثاره هذا الأمر ، فنال من الصالح اسماعيل على المنبر ولم يدع له ، وجدد دعاءه على المنبر ، وكان يدعو إذا فرغ من الخطبتين قبل نزوله من المنبر بقوله : « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تعز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن

معصيتك » ؟ والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين ، والنصر على أعداء الله الملحدين ، فعلم السلطان بذلك ، فأصدر أمره بعزل الشيخ واعتقاله ، فبقى مدة معتقلا ، ثم أطلقه على أن يغادر بلاده ، فخرج عبد العزيز من دمشق ؛ ثم بدا للصالح اسماعيل أن يعيده ، فأرسل خلفه رسولا أخذ يسوسه ، ويلين له القول ، وقال له : « بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير » ؛ فقال : والله يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدى فضلا عن أن أقبل يده . ياقوم، أنتم فى واد وأنا فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به » .

وبينما هو فى طريقه إلى مصر مر بالكرك ؛ فسأله صاحبها الإقامة عنده ، فرأى العز أن الانتفاع به سيكون محدوداً فى مثل هذه المدينة ، فقال له : بلدك صغير على علمى ، ومضى إلى مصر فقدمها سنة ٦٣٩ ، واستقبله علماؤها بالإجلال والإكبار ، وبالغ عبد العظيم المنذرى حافظ مصر فى الأدب معه ، وامتنع من الفتيا لأجله ، وقال : كنا نفتى قبل حضوره ، أما بعد مجيئه فمنصب الفتيا متعين فيه . وتلقاه الصالح أيوب عدو الصالح اسماعيل خير لقاء وأكرمه ؛ وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلى ، وفوض إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة ، فقام بالمنصب أتم قيام ، وتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم . وكان يسلك فى الإرشاد طريقاً عنيفاً . قال تلميذه الباجى : « طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه فى زينته ، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض بين يدى السلطان ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : « يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟! فقال : « هل جرى هذا ؟ » فقال : « نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ؟ ! يناديه كذلك بأعلى صوته ، والجند واقفون ، فقال : يا سيدى ، هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى » ، فقال : أنت من الذين يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة . فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة . قال الباجى : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذ الخبر : يا سيدى كيف الحال ؟ فقال : يا بنى ، رأيته فى تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ؛ فقلت : يا سيدى ، كيف الحال ؟ فقال : « والله يا بنى ، استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان قدامى كالقط » .

وحدث أن أستاذ دار الصالح وهو فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبل خانه ، وظلت تضرب هنالك ، فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين أمر بهدم ذلك البناء ، ومضى بجماعته وهدمه ، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان ، فأسقط عدالة الوزير ، وعزل نفسه عن القضاء . فعظم ذلك على السلطان ، وقيل له : اعزله عن الخطابة ، وإلا شنع عليك على المنبر كما فعل فى دمشق فعزله . وقد أمضى الخليفة المستعصم ببغداد حكم عز الدين فى فخر الدين ، فلم يقبل رسالة عن السلطان كان راويها للرسول أستاذ الدار .

أقام عز الدين فى منزله يشتغل عليه الناس ، ويدرس ، وأخذ فى التفسير فى دروسه ، حتى إذا بنى السلطان المدرسة الصالحية فوض أمر تدريس الشافعية بها إلى عز الدين .

وكان العز مع الفقهاء الذين قدموا على المعظم توران شاه ، وناظرهم السلطان ، وشهد معركة المنصورة سنة ٦٤٨ مجاهداً فى سبيل الله ، ولم يزل مرعى المكرامة فى عصر السلاطين ، يعتمدون عليه ويستشيرونه ، ويأخذون برأيه ، ومن ذلك أن التتر عندما هاجموا البلاد الإسلامية جمع المظفر قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه فى أمر التتار ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم ، فحضروا فى دار السلطنة بقلعة الجبل ، وحضر الشيخ عز الدين والقاضى بدر الدين السنجارى قاضى الديار المصرية ، وغيرهما من العلماء وأفاضوا فى الحديث ، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام . وخلاصة ما قال أنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم بشرط ألا يبقى فى بيت المال شىء ، وتبيعوا ما لكم من الأدوات المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر الجند على مركوبهم وسلاحهم ، ويتساووا هم والعامة . وأما أخذ الأموال من العامة

مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا .

وكان الظاهر بيبرس يعظمه ، ويقف عند أقواله وفتاويه ، وأقام الخليفة بعد استشارته ، ومما يدل على منزلته الرفيعة أن الظاهر لم يبايع المستنصر والحاكم إلا بعد أن تقدمه عز الدين ثم تلاه السلطان ثم القضاة (١) .

وفى عهد الظاهر بيبرس فى ١٠ جمادى الأولى سنة ٦٦٠ مات عز الدين بعد أكثر من عشرين عاماً قضاها فى مصر يحيط به الإكبار والإجلال . ويقال : إن السلطان أرسل إليه لما مرض ، وقال له : عين مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال عز الدين : ما فيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ففوضت إليه . وشهد الظاهر بيبرس جنازته ، وصلى عليه ، وحضر دفنه ، كما شيعه الأمراء والخاصة والأجناد وطبقات الشعب . ومما يدل على ما وصل إليه عز الدين من النفوذ ما يروى من أنه لما مرت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : الآن استقر أمرى فى الملك؛ لأن هذا الشيخ لو أمر الناس فى بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره .

ولعز الدين بن عبد السلام مؤلفات فى الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والتصوف .

ففى الفقه له كتاب القواعد الكبرى الذى قال عنه تاج التراجم : ليس لأحد مثله . وقال عنه السبكى : هذا الكتاب وكتاب مجاز القرآن شاهدان بإمامته وعظيم منزلته فى علوم الشريعة . واختصر القواعد الكبرى فى قواعد صغرى . وله فى الفقه أيضاً كتاب الغاية فى اختصار النهاية . وكتاب الإمام فى أدلة الأحكام ، والفتاوى الموصلية ، والفتاوى المصرية ، وهى مجموع مشتمل على فنون من المسائل والفوائد .

وله فى التفسير كتاب سماه بحار القرآن (بدار الكتب رقم ٣٢ تفسير) ورسالة تسمى فوائد العز بن عبد السلام وهى أسئلة وأجوبة متعلقة بالقرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٧ م تفسير) وأخرى دعاها كشف الإشكالات عن بعض الآيات ، وهى أجوبة عن أسئلة مشكلة فى آيات من القرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٣٦ تفسير)

واختصر فى الحديث صحيح مسلم .

ووضع فى علوم الكلام كتاب الفرق بين الإيمان والإسلام، وكتاب بداية السول فى تفضيل الرسول .

وفى التصوف — وكانت له يد طولى فيه — ألف بيان أحوال الناس يوم القيامة ، وفوائد البلوى والمحن ، وكتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز تكلم فيه عن بعض أحاديث وألفاظ من كلام القوم ، وكتاب مسائل الطريقة فى علم الحقيقة .

ولم يترك عز الدين كتباً فحسب ، ولكنه ترك تلاميذ صاروا من أعلام الأئمة ، ومن نوابغ العلماء ، نذكر منهم ابن دقيق العيد ، وهو الذى لقب أستاذه بسلطان العلماء ؛ وعلاء الدين الباجى، والحافظ الدمياطى والدشناوى، وهبة الله القفطى .

أما أخلاقه فأظهرها الصلابة فى الحق والجهر به ، يحاسب غيره عليه ويحاسب نفسه ، ولا يمنعه من الرجوع إلى الحق الخوف من أن يقال أخطأ ؛ فقد أفتى مرة بشئ ، ثم ظهر أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به فإنه خطأ . قالوا : وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنادرة والشعر يستشهد به ، وإن كان لم يقل من الشعر سوى بيت واحد هو :

لو كان فيهم من عراه غرام ما عنفونى فى هواه ولاموا

قالوا : إنه أنشده لطلبته ، وقال لهم : أجيزوه فقال عمر بن عبد العزيز بن الفضل الأسوانى :

لكنهم جهلوا لذاذة حسنه وعلمتها لما مهرت وناموا

وأنشد قصيدة طويلة منها :

مولاى عز الدين عز بك الملا فخراً فدون حذاك فيه الهام
لما رأينا منك علماً لم يكن فى الدرس قلنا : إنه إلهام

وآخرها :

جاوزت حد المدح حتى لم يطق نظماً لفضلك فى الورى نظام
فعليك يا عبد العزيز تحية وعليك يا عبد العزيز سلام

كما مدحه الجزار بقصيدة أولها :

(١) هكذا فى طبقات الشافعية ، وفى النجوم الزاهرة (ح ٧ ص ١١٠) أن أول من بايع الخليفة قاضى القضاة عبد الوهاب ابن بنت الأعز ثم السلطان ثم عز الدين بن عبد السلام ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم .

رحلة في الديار المصرية في القرن الثامن عشر (الميلادي):

النحـــلة النصرية

في الرحـلة المصرية

لمصطفى البكري الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

(تتمة ما نشر في العدد المـاضي)

في يوم السبت سابع جمادى الثانية، ودَّع القرافة وتوجَّه لزيارة سلطان الرجال أحمد المكنَّى البدوي العلوي، بصحبة الشيخ محمد الحفناوي وأخيه الشيخ يوسف، والشيخ حسن، والسيد عبد الله السلفيتي نجل المرحوم السـيد حسن، والأخ إبراهيم الحرستاني المعروف بالبلاصي، وما زال يسير إلى أن عدَّى في في المدية إلى قرية المرحوم وبات ليلة، وجاء السرَّاق في الليل يسطون على الخيل نخيب الله مسعاهم، وسار في الصباح مع إخوانه إلى قرية (مليج) وزار سيدي على المليجي صاحب المقام وتملَّى بالجامع الذي عمره إسمعيل بك ابن إيواز ونزل دار صديقه الحاج عمر، ثم استمرَّ في السير إلى أن لاحت قبة السيد المزور، فنزل في البلد جوار سيدي أحمد، وقرأ الفاتحة، وكان معه الشيخ محمد الأحمل الحنفي، وبقية الرفاق، وورد عليه المحب الشيخ محمد الاسقاطي وأخبره أن والده قادم للزيارة مع جماعة، واستفسر عن نية الشيخ للتوجُّه إلى دمياط وطلب أن يرافقه. وفي الصباح سار لزيارة سيدي عبدالوهاب الجوهري، صاحب المقام وأخبر أن جناب الشيخ محمد البديري بن الميت في قريته فتوجه إليه واجتمع عليه وطلب أن يرافقه الشيخ في المدية إلى دمياط، فقال له إنه وعد بذلك الشيخ محمد الاسقاطي، فقال إذن نزور في البر قبل الوصول إلى البحر جناب الشيخ محمد الشناوي، فأجابه لذلك. وعاد إلى المنزل فوفد عليه العالم والد الشيخ محمد جناب الشيخ أحمد الاسقاطي، وأكَّد كلام ولده، ثم ودَّعه، وعاد عند الظهر إلى الجامع الأحمدي، وبعد العصر، حضر لمنده فاضل، يدرِّس في الجامع قريباً من

سار عبد العزيز في الحكم سيراً لم يسره سوى ابن عبد العزيز
عمَّنا حكمه بعدل بسـيط شـامل للورى ولفظ وجيز

وكان معاصروه من العلماء يضمرون له أعظم الإجلال، وقد رأينا موقف الحافظ المنذري منه، أما ابن الحاجب فكان شديد الإعجاب به، متفقاً معه في لوم الصالح إسمعيل الذي أخرجهما معاً من دمشق، وكان ابن الحاجب يرى العز أفقه من الغزالي. وكان عز الدين وأبو الحسن الشاذلي يعجب كل منهما بصاحبه، يحضر العز عند الشيخ ويسمع كلامه في الحقيقة ويعظمه، وقال أبو الحسن الشاذلي: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشـيخ زكي الدين عبد العظيم، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقـائق أبهى من مجلسك. ووضع القاضي عز الدين الهكاري مصنفاً في سيرته. كما ترجم له السبكي ترجمة كلها إعجاب به بدأها بقوله: شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، وإمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وقوة جنان.

(حلوان الحمامات) **أحمد أحمد بدوي**

مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

مراجعه:
١ — فوات الوفيات حـ ١ ص ٢٨٧
٢ — النجوم الزاهرة حـ ٦ و حـ ٧ في مواضع متفرقة
٣ — طبقات الشافعية للسبكي حـ ٥ ص ٨٠
٤ — ذيل الروضتين ص ١٧٠ و ٢٠٨ و ٢١٦
٥ — تاريخ القضاء في الإسلام لعرنوس ص ١٩٣
٦ — حسن المحاضرة حـ ١ ص ١٤١ وحـ ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠
٧ — خطط الشام حـ ٤ ص ٤٧ و ١١٠
٨ — السلوك للمقريزي حـ ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦
٩ — المختصر في أخبار البشر حـ ٣ ص ١٦٩ و ١٩٦ و ٢١٥
١٠ — نهاية الأدب حـ ٢٨ ص ١٨
١١ — بدائع الزهور، لابن إياس حـ ١ ص ٩٤
١٢ — تاج التراجم ص ١٥١
١٣ — شذرات الذهب حـ ٥ ص ٣٠١
١٤ — كشف الظنون حـ ١ نهر ٢٢٠ و ٤٣٨ وحـ ٢ نهر ١٥٨٠
١٥ — كتبه.
١٦ — فهارس دار الكتب.
١٧ — معجم المطبوعات لسركيس حـ ١ نهر ١٦٤

الإمام ، وهو شريك الأخ الشيخ محمد على المرحوم جناب الشيخ أحمد الخليفى فدعاه لداره . وودّع الداعى بعد قيامه بأمر الضيافة فلما وصل فناء مسجد الشيخ ، رأى شاباً ممسكاً للشباك ، وهو يبكى والناس حوله يهدون الفواتح للسيد ، فإذا هو ليده ممسك مقيد ، فسأل الشيخ عن قصته ، فأخبر أنه سرق حمارة ، ففطن به ، فأنكر ، فأتى به إلى الشيخ لعله يتوب ، فوضع يده على الشباك ليحلف ، فأمسك الشيخ بيده فتاب وبكى ، فلم يطلق إلا بعد ساعتين أو أكثر حتى شفع فيه جميع من حضر .

وبات ليلته وجاءه الأخ محمد بما تيسر من الزاد ، وحضر الشيخ محمد الأسقاطى بالدواب فتوجّه معه إلى أن لحقوا بالشيخ محمد البدرى ، ونزل قريباً من زاوية الشناوى ، وما زالوا يسيرون حتى وصلوا المحلة الكبرى ، ونزل الشيخ فى وكالة الحرير ، وكان الشيخ أحمد الاسقاطى نزل عند محب قديم يقال له الحاج إبراهيم رضوان فأرسل ولده يستدعى الشيخ ، فذهب وبات عنده .

وفى الصباح توّجه يوم الخميس إلى قرية (سمنود) وركب والشيخ أحمد فى قياسة حتى وصل (المنصورة) وقصد زيارة الشيخ عبد الله الرفاعى ، وبعد صلاة العشاء أقلع والريح غير مريح ، فوصل قبل دخول صلاة الجمعة إلى (شربين) وبعد الصلاة زار مقام سيدى شمس الدين محمد الشربينى . وسأله الشيخ يوسف الزين شقيق الشيخ محمد الحفناوى تخميس بيتين ففعل .

ولما وصل (فارس كور) توّجه إلى زيارة الشيخ أبى مدين الحدادى ، وكانت ليلة مولده والفقراء يسمون إليه من كل نادى ، فقرأ له الفاتحة وزار على أثره الشيخ إبراهيم الأحمدى ، فقدم له رز حليب فأكل منه لقيمات وصلى الصبح فى جامعها الكبير ، وتوجه إلى مدينة دمياط ودخلها مع الظهر يوم السبت . وزار أبا على الصياد ، ونزل فى خلوة شيخه الشيخ محمد البدرى التى فى جامع البحر للمدّة للوارد على الدوام ، وصار الشيخ يتردد عليه ، ودعاه لداره وأكرمه . وكذلك أضافه عنده الشيخ أحمد الاسقاطى ، وأوقفه على بعض ما له من الحواشى . وجاءه بعض الإخوان برسالة للسيوطى وطلب نظمها ، فنظمها فى مائة بيت . وسماها النظام (البسط التام ، فى نظم رسالة السيوطى الهمام) وأخبره الشيخ أحمد الاسقاطى أن عنده على الرسالة شرحاً ، وأوقفه شيخه البدرى على قصيدة امتدحه بها الشيخ عبد الغنى النابلسى [1] وطلب منه أن ينسج على منوالها فتردّد ثم فعل .

وكان الشيخ البدرى لا يفطر إلا لديه ، ويصحب معه الفطور والقهوة ، ويجلس فى مؤانسته إلى الضحوة . ثم توجه به إلى زيارة الشيخ ضرغام ، فذهب فى قياسة وصحبه السيد أحمد الطرابلسى ، وخاله الحاج مصطفى وبعض الأحباب ، وبعد الزيارة دعاه لداره وأراه سبحة الشيخ الزطاوى ، وقال أن الشيخ أعطاه إياها غب الإجازة وأخبره بما سطره عنه فى (السيوف الحداد فى ترجمة سيدى محمد مراد النقشبندى) وسأله الأجازة فأجاب وذلك فى غرة رجب سنة ١١٣٣ ، وقد ذيلها بإمضائه ونسبه وهو : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البدرى [2] الدمياطى الشافعى الأشعرى الشاذلى النقشبندى .

وقصد زيارة الشيخ على السقا ، ثم زار سيدى الشيخ فتح ، ومر على الشيخ جمال الدين العجمى ، فقرأ له الفاتحة ، وحضر عند الشيخ فتح مجلس ذكر ، ثم ذهب إلى بستان السيد كمال النقيب سابقاً ومكث فيه إلى قبيل الغروب ، ثم رأى أنه ذكر سيدى إبراهيم المتبولى ، فأخبر بذلك الشيخ قاسم نجل الشيخ يوسف ، وقال له عن مراده فى زيارة السادة المتبولية ، وبعض المقامات ، فزار جناب الشيخ محمد المصيفرانى وجناب سيدى أبي العباس الحربى ، والشيخ الضيروطى وسيدى حسن الطويل ، وسيدى محمد الواجه له ، وزار سيدى محمد العياشى وأبا الطيب والشيخ محمد هارون والشيخ يوسف المغربى . وكان يخدم شيخه البدرى رجلاً اسمه صبح وكان بعض الناس يمازحه بقوله : بالله يا صبح لا تزرنى ، يا صبح بالله أنا دخيلك ، وهذا موشح قديم فقال الشيخ :

حى جفانى ، فطال ليلى ، وقد كوانى ، وهد حيلى ، ومذ سبانى ، بفرط ميل ، ناديت يا ليل بالمثانى ادخل فإنى دخيلك . الخ .

وممن دعا الشيخ وكرر الدعوة صديقاه الحاج محمد والحاج مصطفى وهما خالا السيد أحمد الأدهمى ، وكان يصحبه فى البعض شيخه الشيخ البدرى . ثم إن الشيخ المذكور عزم أوائل رجب

---

(١) صاحب الرحلة المشهورة من دمشق إلى القدس ، القطب الكبير . زار القدس سنة (١١٠١ هـ)

(٢) جد آل البديرى فى القدس .

على التوجه إلى مصر لأن له عادة فى النزول أوائل الأشهر الثلاثة واقراء الحديث الشريف فتوجه فتألم الشيخ لفراقه .

وكان قبل هـذا التاريخ اجتمع بالعالم الشيخ حسن المفتى الحنـفى ، وجاءه للخلوة ، ودعاه لداره ، فسر بالاجتماع به ، وممن اصطحب معه فى الخلوة الشيخ محمد المنيدى .

كان الشيخ قد سمع وهو فى الديار الشامية أن دمياط فيها سلطان الناموس فلا ينام فيها إلا بناموسية فقال لما لم يجد ذلك :

وقد قيل للناموس فيها سلاطة ولم أر ما قد قيل فى جامع البحر
ويمكن أن البحر لما به نوى وذاك ذكى الدين فر من البحر

وكان لحقه إلى القاهرة أخ اسمه عثمان ، وجاء من غير إذن من الشيخ ، نخالف المشورة ، وأمره الشيخ أن يركب من المنفر فى شيطية [1] ، فركب فى قياسة فأسرت دون غيرها وأخذ إلى ملطية [2] ، فحزن قلب الشيخ عليه ، ولم يطق رد ما أوصله مولاه إليه ، ولم يسمه إلا الحوقلة ، ولوجىء به كمادتهم أحياناً إلى الثغر ، لهرع أهله إلى شرائه من الأسر ، ولكان اشتراه الشيخ بالنقود ، ولكن لم يتم له ذلك .

وانشد صديقه السيد أحمد بن صالح الطرابلسى الأدهمى مصراع مواليا وطلب من الشيخ أن يضيف إليه وهو : بالله يا بدر خذ لى فى طرف عينك فقال الشيخ :

فإن مضناك يشكو سيدى بينك
ما فيك من شين غير الهجر يا حينك
لا أبعـد الله ما بينى وما بينك

وأنشد شطراً آخر وقال له أجز فانشد الشيخ :

بالله منيتى أرفق بهـذا الصب
رشأ بحبك لقد صب الدامع صب
يهواك طفلاً رضيعاً يافعاً بل شب
وكلما شاخ حبك فى حشاه شب

وأرسل الشيخ حسن إلى الشيخ زوادة لطيفة لما بلغه قرب سفره وكان ينتظر قدوم (البليك) فتعذر ذلك .

(١) من أسماء السفن التى جاء ذكرها فى الرحلة ، القياسة ، والبليك والشطية والمدية .

(٢) يستدل من هذا أن القرصنة كانت شائعة حينذاك .

وجاء المشار إليه مصاحباً معه سنده فى حديث المصافحة وقال له : أردت أن أتحفك بهذه التحفة ، وصافحه وقال « صافحتك كما صافحنى شيخنا الشيخ أحمد البنا ، كما صافحه شيخه سيدى أحمد بن عجيل اليمنى فى منزله ، كما صافحه شيخه تاج الدين النقشبندى ، كما صافحه الشيخ عبد الرحمن المشتهر بحاجى رمزى ، كما صافحه الشيخ محمود اسقرازى ، كما صافحه أبو سعيد الحبشى الصحابى ، كما صافحه سيد الأولين . وهـذا سند شيخنا البديرى ، كما هو مسطر فى ثبته مع زيادات فانتبه » وودعه مسروراً .

وكان قد وفد رجل طرابلسى استأجر [1] (شطية) مغفرة إلى البلاد فاجتمع به أصحابه السيد أحمد وأخواله وكلوه فى نزول الشيخ معه فاظهر القبول . ثم عزم الشيخ على التوجه إلى العزبة مع الرفاق وحضر لوداعه الشيخ أحمـد الاسقاطى ، فاستجازه بمروياته فأجازه ، وبعد أن ودع الإخوان توجه إلى العزبة ، وبات بها ليلة .

وفى الصباح تموقت (القياسة) حتى طلع الريح ، فلم يمكن المعدية أن تقطع العتبة فاحتاج أن ينام عند برج الشيخ محمد ، وكان قد قصده للتنزه والتفرج مع شيخه البديرى ، ويقول الشيخ « وهذا البرج فيه بعض مدافع [2] ، ترهب العدو ، إذ الأمر الإلهى ماله مدافع ، ولقد تمنيت أن لو مكنت فبنيت أبراجاً عدة ، على سواحل البحر ، يكون فيها للثغور نجدة وعدة ، وليست إلا حماية الله هى الواقية ، وكفاية الله هى اللاقية ، وجماعة العزبة عندهم رهبة للعدو وفى الفرار رغبة ، فـلا يستعمل على المراكب ، إلا كل مغربى متين السيوف راكب ، فإن لهم معرفة بالحرب ، وحب فى الطعن والضرب ، وبغض فى الكفرة اللئام ، واقتحام فى ميدان الاهوال العظام (كذا) فصمدنا البرج نهاراً ، وثبنا لديه إلى أن زاد الفجر إسفاراً ، وقطعنا العتبة أول النهار ، والبحر ساكن ، والقلب بعون الرب راكن ، ووصلنا (الشيطية) ، وأجلست فى القمرة التحتية ، وأعددت نزولى فيها من الذنوب السوالف ، حتى جرى الدمع على الخدود والسوالف ، ولقد كنت أتطير من النزول فى المنفر ، لما أسمع من تماطيهم المنكسر ، ولما عرف مستأجر المركب قبطانه فينا ، أخذ يلاطفنا ويصافينا ، حتى أنه

(١) يستدل من هذا أن التجار كانوا يستأجرون هذه السفن الأجنبية

(٢) فى هذا ما يدلنا على الأستحكامات الدفاعية لدمياط فى ذلك العهد

أذاب ماء وسكرا ممزوجاً بماء الليمون ، وأتاني به فلم أقبله خوفاً من نجاسة الماعون ، فنادى المستأجر وأخبره بطهارته ، فأعلمه بعدم شربه ، ومن مهارته أمره أن يغسل آنية ، وأن يتعاطى تذويب السكر بيده علانية ، ففعل كما أمر وجاءني بها الريس ، وأظن اسمه عمر ، فشربت بعض شربي ، حيث طاب قلبي ، وصار يتلطف بي ، ويدعي ودي وحبي ، وأنا برئ منه ومن وداده : وفي غنية عن حبه وانقياده » .

ونام أول ليلة وهو يأمل سرعة الوصول إلى يافا ، فتراءى له في المنام أحد شيوخ دمشق الشام واسمه أحمد سراج ، ونشر أصابعه الخمس ، فاستفاق الشيخ مذعوراً ، وبان أن المراد الإقامة في البحر خمسة أيام ، ومكث الريح المريح أربعة أيام يهب ويستريح وقابل هو وإبراهيم البلاصي الحريثي الرسالة المرسومة « بالمنهل العذب السائغ لوراده ، في ذكر صلوات الطريق وأوراده » وقابل « الألفية في طريق السادة الصوفية » . وضاق الشيخ ذرعاً لطول الإقامة في البحر ، من أمر النجاسة ، فإنهم أي أهل المركب كانوا غارقين فيها حساً ومعنى ولأنهم لا يعرفون أنها من الخساسة .

وفي ليلة الخميس ويومه ، طالت كربة الشيخ ومن معه ، فتوسل بسيدي أحمد البدوي أن يسوق له صبيحة الجمعة « الريح اللثم ليخلص من القبطان وجنوده ، جنود الشيطان ، وجاءه القبطان يشكو قلة الماء ، وأقسم بدينه أن الماء لا يكفيه غير اليوم مع التدبير ، ولم يبق عنده إلا أواني الخمر . فاغتاظ الشيخ من كلامه وتأثر ، وقال للمستأجر وكان هو الترجمان بينه وبين القبطان : إن الله سيسهل بالفرج وزوال الضيق ، فقال له قل له يأمر الركاب يجتمعوا ويدعوا الله عسى يجيب . فأجابه الشيخ قائلاً للترجمان قل له إن في هذا اليوم المبارك بعد الظهر بيسير ، يأتي الريح وندخل يافا قبل الغروب ولا أبات الليلة الداخلة إلا في يافا ذات الوجه النضير » . ففهم القبطان ذلك وسر ولم يقطع بقول الشيخ . ولما زالت الشمس هب النسيم ، ثم زاد على المعتاد حتى خال الشيخ (الشيطية) تطير في المسير ، وخاف الشيخ من تفريع القبطان ، وستر الستار الكبير ، وفرش له فوق قرته للتفرج على البحر ، وكشف البر عقيب العصر وزال الضيق ، وألقى المرساة ونزل الشيخ في (قياسة) صغيرة وبات في جامع البحر ليلة السبت وقد سر سروراً عظيماً . ورأى القافلة متوجهة إلى الديار ، فحمد الله على تسهيل قرب المزار . وبلغ الوطن [1] .

ولما استقر به المقام ورد عليه كتاب من الشيخ محمد البديري فلم يجب عليه إلا في بلاد الروم وأودعه في الرحلة الرومية ، وبعد ذلك أرسل كتاباً إلى مفتي ثغر دمياط الشيخ حسن ، وآخر إلى الشيخ محمد الحفناوي ، ثم مرض الشيخ وامتد أمر سقامه نحو سبعة أشهر وأيام ، وفي هذه الأثناء جاءه كتاب من الشيخ محمد المذكور . وكانت والدة الشيخ وردت عليه للزيارة

ثم اقتضى أمر أوجب سفر الشيخ إلى حلب الشهباء ذات الخفر ، ولم ير بداً من التوجه لأمر اقتضاء الحال فعزم على المسير بعد ما استخار الله ، وكان قبل ذلك بشهر ، قال له الدرويش يعقوب الهندي إن في نيته الذهاب إلى حلب فنفى الشيخ ذلك ، فقال له الهندي بل بعد ذهابك إليها ستتوجه إلى بلاد الروم ، فأجابه الشيخ ما الذي يصنع في بلاد الروم ولا غرض له فيها ؟ فقال له إنها بلاده ، ولما أراد السفر توجه معه إلى حلب ومنها فارقه إلى بغداد .

وتوجه بعد مدة إلى بلاد الروم وسطر ذلك في رحلة سماها (تفريق الهموم وتغريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم) وأبقى الوالدة في داره في بيت المقدس ، وقد حزن على فراقها ولكنه رضخ لحكم الأقدار (انتهى) .

أحمد سامح الخالدي

---

(١) بيت المقدس .

حب المنطـــق

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب تواتيه الحياة بأبهى ما يرجو شاب من الحياة . مال وافر ، وسمت جميل . وهو بعد ذو روح فنانة عذبة . لم تمل به كل هذه المقومات إلى ما ينزلق إليه الشباب ، بل كان منذ مطلع شبابه كبيراً على اللهو ، يرى فيه طفولة غـير جديرة به . وما زال كذلك حتى بلغ سنا يفاخر فيها الشباب بآثامهم ؛ فكان يجلس إلى أترابه ، يقص كل منهم عليه ما ارتـكب فى زهو . بل كان منهم من يخلق لنفسه جرائم كان يعلم صاحبي أن محدثه براء منها . ولـكنه كان يسعده بتصديقها فيسعد . ثم يقبل هؤلاء الأتراب على صاحبهم يسألونه ما فعل وما يفعل ، ظانين أنه سيقص عليهم ما يعجزون هم عنه ... وهو ذو السمت الجميل والمال الوافر . وكم تفيد هاتان الخلتان إذا شاء صاحبهما منهما إفادة ! ولـكن صاحبي كان دائماً يخيب ظنهم ، ويعلمهم أن أمره غير أمرهم ، فيعتقدون أنه كاذب فى ادعائه ، ويظن بعضهم أنه شديد الدربة والمران . ومن تمام المران ألا يخبرهم بما يفعل . ويحاول بعضهم أن يظن بصاحبي سذاجة ؛ ولـكن سرعان ما يرده عن تفكيره بديهة فيه متوثبة ، وسخرية لاذعة كان يقابل بها كل من يحاول من أمره عبثاً .

كنت وحدى أعلم السرفى ذلك ، وما كان لى أن أدعى بهذا معرفة لولا أننى عرفت الصديق طفلا حين كنت أنا طفلاً ، ثم درج ودرجت معه متلازمين لا نفترق إلا الفترة الوجيزة ، فهو فى غير حاجة إلى أن يطلعنى على سر استقامته . لقد نشأ الطفل فى بيئة تجعل من الطفل صبياً ، ومن الصبى شاباً ، ومن الشاب كهلا . فتراه فى طفولته يجلس إلى قوم يكبرونه فى السن . ولم تـكن الطبيعة قد هيأت له إذ ذاك أن ينظر نظرة منحرفة .. فإذا مال بهم الحديث رأى فى كلامهم وجهاً غير الذى يجرونه عليه حتى إذا كبر قليلا وفهم ما كان يقال على وجهه ، كان رفاق ندوته قد ملوا هذا الحديث وشبوا عنه ، فسار معهم حابسا كلاما ، كابتاً شعوراً ... لا يفضى إذا أفضى إلا لنفسه .

هكذا كانت الحياة ترتفع به عن مكان سنه ؛ وهكذا اضطرته أن يرتفع عما يفعله أترابه . فـكان فى شبابه كهلا واسع الأفق ، يجيد كلام الرجال ، ويحسن ما يحسنون . ولـكن أمراً واحداً كان يحيرنى فيه ... قد يستطيع الشاب أن يستقيم فلا يلتوى به الطريق ، ولـكن هل يطيق قلبه هذا الجمود ؟ ألم يحب؟ ألم يجمح؟ إن صديقى على استقامته واقعى يفهم الحياة كما هى ، ولا يحب أن يخدع نفسه عن نفسه . فهو يعلم أن لا حياة له إذا لم تقم بينه وبين الجنس الآخر صلة .

أقبل علىّ ذات يوم ضاحكا كعادته ، وكنت أفكر فى أمره فسألته فى مجابهة .

— ألم تحب ؟

فاربد منه ما كان ضاحكا ، وغامت عيناه ، وأطرق يخفى ما ألم به ، ثم تماسك قليلا ورفع إلىّ وجهاً باهتا وقال :

— حتى أنت تسألنى ؟ ومن أحب ؟ النساء يا أخى نوعان .. شريفة أرهب مفاتحتها بحبى ، وساقطة أرغب عن حبها اليسور لأننى أخشى .

— وهل يعرف الحب هـذه الحدود ؟ أو لك على قلبك كل هذا السلطان ؟

— إسمع ... أنا أعلم الناس بنفسى ... إننى شاب تخطيت سن البدء فى اللهو ، وأعرف فى قلبي رقة وإحداثا ، وهذان أمران إن وجدا فى قلب وأحب ، فهو بين أمرين : إما أن ينتهى بصاحبه إلى السعادة كل السعادة ، أو إلى موت لا قيامة له منه . فإذا أحببت من لا أعرف وأثق أنها تحبنى — معتمداً على نظرة أو بسمة يثبت لى بعدها أنها قد منحت عن غير قصد — فأنا إلى فناء . فترانى أمنع قلبي كلما أوشك أن يبدأ ... أمنعه بإرادة تظن أنت أنهـا قوية ، وهى فى الواقع مع القلب خائرة ... لأن كل ما تفعله هو أن تمنع هذا الحب قبل أن يبدأ . أما إذا بدأ ، فلا إرادتى ولا منطق بمستطيعين له ردا ... إننى إذا أحببت ، فسأحب بقلبي وإرادتى ومنطق جميعا . ولن يكون هـذا حتى

أسألها وحتى تجيب .

— وأين لك مثل هـذا ما دمت تهب الشريفة وتنفر عن الساقطة ؟

— أنا لا أحتم الإجابة الصريحة .

— أنا الآن أسألك كيف تستطيع أن تسأل ، لا كيف تجيب هى .

— إن اعتمادى يا صاحبي على الظروف .

— إننى لم أر فى حياتى رجلا يحكم منطقه فى قلبه كل هذا التحكم ... ويرجو بعد هذا أن يحب .. إن الحب يا صديقى قلب يتأجج وتتضرم به النار .. لا يعرف العقل ولا يسأله ، ولا يطيق العقل أن يقحم نفسه فى أمر لم يخلق له ... الحب يا صديقى هو السعادة ... شقاؤه سعادة ، والحرمان فيه سعادة .. والوصل فيه سعادة ... والهجر فيه سعادة ... الحب ...

— كفى كفى . أمحاضرة هى ؟ أنت تعلم مقدرتى على رواية الشعر . إنك فى كل قولك هذا لم تأت بجديد ... كل هذا كلام قرأناه وحفظناه حتى مللناه .. إننى شخصياً أحب الحب .. ولكنى حتى الآن لم أجد من أحوّل إليها عاطفتى ، وأخشى أن تنحرف بى العاطفة فتنحرف معها حياتى أجمع .. وثق أننى يوم أحب سوف يكون حبي أعمق من كل حب قرأت عنه أو سمعت به ، لأننى سوف أحب يومذاك بمنطقى كله ، وقلبي كله ، ولا أظن واحداً ممن خلد الحب اسمهم قد حكم المنطق فى حبه ؛ ولذا ترى معظمهم قد فجعوا فى حياتهم ، وانتهى بهم الحب إلى مالم يريدوا لأنفسهم ، ولم يخطر بمنطقهم يوم بدأ القلب يقوم بمهمته . وثق أنهم لو فكروا كما أفكر ، لكان الحب لهم نعيما كما سيكون لى إذا شاء الله .. أقسم أنك لم تفهم شيئاً مما قلت ، لأنك لا تحاول ذلك ... قم الآن فانثر ما قلت أو انظمه على من يطيب لك أن يسمعه . أما أنا فغنىّ عنه ... هيا .

— حسبك حسبك .. تزعم أن حبك سيكون أقوى حب فى التاريخ .. لقد والله انتهزت فرصة صداقتى وأسمعتنى هـذرا لا يسمع لك به إلا مجنون مثلك .

— ألم أقل إنك لم تفهم ما أقصد إليه . لم يكذب ظنى بك .

ومرت على هذا الحديث فترة لم ألقه فيها ، عاد بعدها تنضر وجهه ابتسامة لم أرها من قبل .

— ماذا ؟ أحدثت المعجزة ؟

فلم يزد على قوله .

— نعم .

— كيف ؟ ومتى ؟ وماذا قلت ؟ وماذا قيل لك ؟ وماذا تم ؟ وماذا تنوى أن تفعله ؟ وماذا تحس ؟ أجب أجب .

— لا جواب .. كل هذا مضى ، ولا شأن لك به . ولكن اعلم أن للعقل كما للقلب عاطفة ، وإن العقل بهذه الآصرة يتحكم فى القلب ، وإن الحب الصحيح هو حب القلب والمنطق جميعاً .

— والله لن أصدق حتى أجرب أو تقص .

— أما أن أقص فلست بذاك وأنت تعلم . وأما أن تجرب فهاءنذا أدعو الله أن يهيء لك هـذا الحب .. حب القلب ، وحب المنطق .

ثروت أباظة



الزهريات الكلاسيكية

للدكتور أحمد موسى

– ٣ –

مما يبعث السرور فى النفس وسط ما يحيط بنا فى هذه الأيام من مصاعب ومنازعات أن نرجع إلى حكمة جاءت على لسان ماتيو آرنولد الناقد الفنى العظيم حيث يقول :

مثل الرجل الذى يميل إلى الفن ثم يبتغى لهذا الفن غذاء فى غير مخلفات الإغريق ، وكذلك الذى يميل إلى الشعر من غير أن يستعين فى تنمية هذا الميل بهوميروس وأبى العلاء وشكسبير وجوته ، كمثل من يلتمس التهذيب والخلق القويم فى غير الكتب السماوية !

وعلى ذلك يقرر آرنولد Mâthew Arnold أن من الكتب السماوية ومن هوميروس وأبى العلاء وشكسبير وجوته ، ومن الفن الإغريقى ؛ مجموعة تلك المخلفات القديمة العظيمة الخالدة ، هى التى ستبقى أبداً الباعث القوى والمثال الحى والمعين الذى لا ينضب لأعمال الإنسان !

أكتب هذا بمناسبة خطاب وصلنى من (قارىء) يعتب على الكتابة فى فن الإغريق ، فى وقت ظهرت فيه القنبلة الذرية — ويقول أنه يرى من الخير معاصرة باحث الفن وناقده ومؤرخه للوقت الذى يعيش فيه ؛ فيكتب فى الفن الحديث وفى اتجاهاته ومدارسه .

وهذا قول لا غبار عليه لو أردنا الكتابة لمجرد الترفيه عن القارىء بكتابة ما يلذ له أن يقرأ ، ولكن « مجلة الرسالة » التى كافحت ستة عشر عاماً فى خدمة الأدب والعلم والفن الرفيع ولم ينزل صاحبها مرة إلى السوق ليعرف مطالبه ، بل ظل رابضاً

كالأسد يرفع من مستوى الناس ولا يهبط هواليهم ، حتى ولو عاد عليه هذا الهبوط بالرواج العظيم — ليست المجلة التجارية التى تريد اكتساح السوق !

ولما كنت أعتقد أن الخير كل الخير هو تثقيف القارىء تثقيفاً فنياً يعود عليه بإدراك معنى الفن إدراكا سليما فيرى ويسمع ويفرق بين الجيد وغير الجيد ؛ رأيت أن أكتب عن الإغريق غير مهتم بتسلية القارىء والترفيه عنه .

ولا أنكر أن معظم الناس يعتقد فى هذه الأيام بعد ظهور الاختراعات الحديثة كالقنبلة الذرية والرادار والتليفزيون والبنسلين أنهم أحسن بكثير من السلف ، وإنه لا داع بعد اليوم للتعلق بأهداب أعمالهم ، وهذا راجع ولا شك إلى ما أحدثته الحرب الأخيرة — وكذلك الحرب التى قبلها — من قلق واضطراب وتعلق بالماديات لم يمهد له مثيل فى سابق العصور ، حتى فى بلاد الشرق التى لم تدر فيها المعارك الحاسمة !

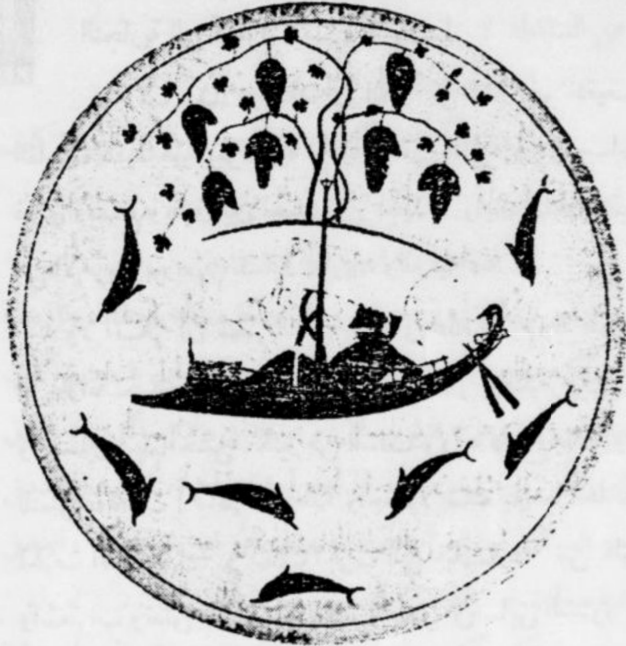
وأراه مناسباً فى هذا المقام أن أبين فى كل اقتضاب الأسباب التى من أجلها لا يزال الفن الإغريقى سيد الفنون جميعاً . فنحن معشر المصريين لم يبلغ تقديرنا للفن مبلغ تقديرنا للشعر والأدب والفلسفة ، ذلك لأن لنا فى مجال الشعر والأدب والفلسفة إنتاجاً قومياً عرف قدره فى الشرق كله وفى معظم البلاد الأوربية ، أما فى الفن ، فإن جهودنا ضئيلة تكاد لا تُذكر ، ولعل المقارنة بين الفن المصرى القديم وبين ما ننتجه الآن يحقق هذا القول .

ومهما يكن من شىء ؛ فإن المقرر أنه لولا ما للفن الإغريقى من التأثير المتواصل لما ارتفع الفن كثيراً فى كل أنحاء الأرض عن مستوى الفن الهندى أو الصينى أو الفارسى .

ففى المائة السنة السابقة على حروب الفرس التى وقعت بين عامى ٥٠٠ ، ٤٨٠ ق . م . كانت بلاد الإغريق بقسميها الأيونى والدورى أشبه شىء بشجرة أنبتت أغصاناً ناضرة انبعثت فى نواحيها المتباينة ، وما انبثق فجر القرن التالى لتلك الحروب ، حتى جاء هذا الغرس بأطيب الثمرات ، وأخرج لنا الأغارقة الآيات البينات ، التى ظلت حتى اليوم المثال الذى يحتذى به الإنسان ، والأفق العظيم الذى يمكن للعقل البشرى الوصول إليه!

والميزة الكبرى فى الفن الإغريقى أنه فن بسيط متوازن فى

تناسق ، يحاكي الطبيعة ويستلهمها في طموح مستمر نحو الـكمال ، فهو فن إنساني بكل ما تحمل هذه الـكلمة من معان .



ش١ — ديونيزوس ، إله الخمر في نزهة بحرية بمركبه الشراعي تعلوه عناقيد الـكرم وتحيط به الأسماك

وإذا كنت قد كتبت على صفحات الرسالة منذ عشر سنوات عن نواح مختلفة في الفن الإغريقي ؛ فإني أكتب اليوم ولا زلت مصراً على ألا أبدأ إلا به .

نعم كان في مصر فن وفي بابل وآشور فن ، وكذلك في كريت ، ولـكنه لم يكن إنسانياً بالمعنى الذي نفهمه من هـذه الـكلمة ؛ ذلك لأن فناني مصر وبابل وآشور وكريت انصرف اهتمامهم نحو تصوير عبادة الآلهة وتصوير الحروب والحياة البيتية والزراعية ، أما الصور الإنسانية بكل ما تحمل هذه الـكلمة من معان كما قلت ، فإنها لم تأت فيما ذكرت إلا رموزاً متواضعاً عليها خالية مما يثير الشعور ، بل إنها كانت خالية مما يبعث في النفس حب الجمال أو ما يسمو بالمشاهد فوق المستوى العادي .

عرف الإغريق آثار الفن الأولى ، ولـكنهم أبوا أن يجتذبهم ما اجتذب الفينيقيين والإترسكانيين الذين اقتصروا على تقليدها والنسج على منوالها . ذلك لأنه قد قامت في نفوس الإغريق عقيدة هي في طبيعتها أقرب إلى الوجدان منها إلى العقل وهي استحداث فن إنساني كامل !!

وللبيئة الطبيعية والاجتماعية آثار ظاهرة في نهضة الإغريق ، وسواحلهم الممتدة وكذلك مرافئهم ونهضتهم التجارية ، كل هذا مما زاد في جدهم لا سيما في منطقة الشواطىء الشرقية حيث كانت فينيقية ومصر وغيرها من الشعوب الشرقية ذات المدنية واقعة بالقرب منهم .

وهكذا كانت طبيعة البلاد وأحوال الاجتماع مما مهد السبيل إلى إيقاظ الفـكر الإغريقي النابت في أرض أوربيـة ذات جو (شرقي) معتدل .

هـذا بيان لم يكن منه بد — وفي اعتقادي أن مرسل الخطاب لم يستمع بالراديو إلى حديث حضرة الأستاذ الـكبير شفيق غربال بك في معرض الـكلام عن الـكتب الأوربية الحديثة ، فلو أنه استمع إليه عندما أشاد بذكر الإغريق والعقلية الإغريقية وفضلها الدائم على العمل البشري لما وجه إليَّ خطابه .

والآن أقول إن مصـانع الفخار في أثينا انتهت فجأة عقب الحروب الفارسية التي ألهبت العقل الإغريقي وأيقظت أحاسيسـه الدفينة ، مما عاد على الفن الإغريقي بالخير العميم !

وإذن لم يـكن غلق مصانع الفخار في أثينا نتيجة لاستحالة تصدير المشكاوات إلى وسط إيطاليا Etruria — Tuskana كما يتبادر إلى الذهن ، بل نتيجة لاتجاه المصور إلى المسـاحات الفسيحة على الحيطان بدل المسـاحات المحدودة على الزهريات ، فعلى حيطان المعابد الأثينية وردهات المباني العامة صورت المناظر العظيمة [سـيكون للتصوير الإغريقي بحث خاص] وأخذ



ش ٢ — فتاة تسند رأس صديقها وقد عاد إليها ثملا !

موضوع الإنشاء الفني يظهر كاملا في الأفق ، والانسجام بين أجزاء القصة الواحدة متوافراً .

ولـكن هـذا — مع الاعتراف بأثره الانقلابى العظيم — لم يكن ليقضى قضاء مبرماً على فن الشكاوات ، ولـكنه قضى على مبدأ تسجيل أسمـاء الفنانين عليها كما لو كان الفنان يترفع عن كتابة اسمه على مساحة بسيطة محدودة بالقياس إلى الصور الحائطية الهائلة .

والذى يهمنا على وجه التخصيص أنه قد نشأ عن انتشـار التصوير الحائطى الاقتصار فى صور الشكاوات على المناظر العاطفية الحيّـة ، فترى ما يسجل الوداع بين حبيبين أو لقاء بين عاشقين أو ممرضة تضمد جراح محارب تحنو عليه ، وغير هـذه وما يمت إليها بصلة ، هذا إلى جانب تصوير الورود والأزاهير والفاكهة .

أما إذا سجل الفنان مناظر قصصية فإنه يقتطف أحد مواقفها ويكتفى به للتسجيل ، فظهرت المصورات بسيطة الموضوع ظاهرة الغاية على نقيض المراحل الأولى ، وطبيعى أنه كلما كانت الفكرة محدودة وكان المعنى ظاهراً ؛ كلما أمكن الحـكم على مقدرة الفنان وتقدير مدى نجاحه ، لأن المساحة وإن تكن محدودة إلا أنهـا تسمح عندئذ بإظهار قوة الفنان من خلال رقة الخطوط التحديدية وقوة تعبيرها فضلا عن بيان الأجسام فى مرتبة من الاتقان تفصح عن رشاقتها وقوة تأثيرها على الشاهد التأمل .

واستخدم فى هذه المرحلة لون الذهب واللون الأزرق والأبيض ، وخصصت لأجزاء معينة من صور الجسم الإنسانى على الزهريات الصغيرة التى كانت تستعمل فى تجميل الحجرات .

ولم يبق من نماذج الشكاوات الملونة شيئاً حفظ مستواه الفنى



ش ٣ — الصديقتان

حتى القرن الرابع ق . م إلا النوع المسمى Lekythen وهى التى كانت توضع فى الجبانات وإلى جانب المقابر .

ومنذ منتصف القرن الرابع وبعده بقليل أخذت زهريات أتيكا تختفى ، وحلّـت محلها مشكاوات جلبتها أثينا بغية تصديرها



ش ٤ — المحارب العائد وقد طالت لحيته وتغضنت وجنتاه

إلى الخارج لا سيما إلى الجزء الجنوبى الغربى من روسيا ، وأهم المدن مثل باستوم وأبوليا وكانوزا وكابو Paestum ، Apulia Canosa ، Capua . وقد تشـابه الإنتاج الفنى للزهريات التى عملت بهـذه المدن مع نظائره التى عملت فى أتيكا — ولـكن هناك فوارق فنيه جديرة بالتنويه ، إلا وهى خشونة الطين المعمولة منه ، وظهور المصورات ضعيفة الخطوط مع الإكثار من الزخرفة لتغطية الضعف ، مثلها فى ذلك مثل المغنى الذى يلتزم الاختفاء بصوته وسط الدربكه الموسـيقية ! وظهرت الزخارف الخطية والخيالية التى تذكرنا بالمشـكاوات المبكرة ، على حين ظلت الاتيكية على جانب كبير من الذوق الفنى ، ولعل زهريات أبوليا كانت أبدع ما نذكره ، فمن بينهـا ما لا يزال مشهوراً بجماله وحسن تكوينه وطول عنقه فى انثناء كعنق البجع .

ومهما يكن من شىء فإنه لم ينته القرن الثالث الميلادى إلا وكانت الآثار الباقية من هـذا الفن ضئيلة ، وحلت محلها الزهريات المعدنية ، وعليها رسـومات بارزة Relief ذات بريق ولمعان ، انتقلت إلى بلاد الرومان وظلت فيها حتى اندثار دولتهم .

وتباهى روما ونابولى وفلورنسا مدائن باريس ولندن وبرلين وميونيخ وكارلزروه وفينا وكوبنهاجن وبطرسبرج بمجموعتها الفريدة التى تكوّن سلسلة متصلة الحلقات لمن يريد مواصلة الدرس

أحمد موسى

الفتوة عنـــد الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(مهداة إلى الأستاذ ضياء الدخيلي ، لمناسبة ما كتبه من أبحاث قيمة عن الفتوة في الإسلام وفي كتب اللغة والأدب وحياة الفتيان في الجاهلية والإسلام ؛ أوحت إلى كتابة هذا المقال) ع . ع

الفتوة : فعولة من لفظ فتى ، كالإنسانية من الإنسان والمروءة من المرء ، والفتى هو الشاب حدث السن ، قال الله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام « ودخل معه السجن (فتيان) — وقال (لفتيانه) » وقال عن قوم إبراهيم عليه السلام إنهم « قالوا سمعنا (فتى) يذكرهم يقال له إبراهيم » وقال عن أهل الكهف « إنهم (فتية) آمنوا بربهم » من هذا نرى أن الفتى اسم لا يشعر بمدح أو ذم كالشاب والحدث .

وللصوفيين رأيهم في الفتوة كما لغيرهم من اللغويين والأدباء والشعراء آراؤهم ، وكل يستعملها حسب هواه ، ويلبسها الثوب الذي يعجبه ويهواه ، فهم يستعملونها فيما يوافق تعاليمهم ويساير مذاهبهم ، في معاملة العبد لنفسه وصلته بغيره من الناس وصلته بخالقه جل شأنه ، وقد اصطلحوا على أنها منزلة من منازل الإحسان إلى الخلق ، وكف الأذى عن الغير ، والصبر على مايصدر منهم من أذى وسوء فعل ، وأنها الطريق الموصل إلى الذات العلية والحضرة الربانية ، وأنها نوع من أنواع المروءة : والمروءة ترك العبد مايشين أخلاقه أو يعود بالضرر على سواه ، والتحلي بمحاسن الأخلاق وحميد الصفات وكريم السجايا . فالفتوة عندهم كما قال قائلهم (الفتوة أن يكون المرء أبداً في أمر غيره) وهم يجعلونها منازل ودرجات كالأكثرية من تعاليمهم ، فهي عندهم ثلاث منازل أو ثلاث درجات .

المنزلة الأولى ، وتخص معاملة المرء لنفسه دون غيرها ، فيلزم من يتحلى بصفة الفتوة ، أن يترك الخصومة فلا يخاصم أحداً من عباد الله ، ولا يجعل نفسه خصما لأحد سواها ، فهي خصمه الذي يجب عليه أن يخصه بالخاصمة ويقف منه موقف الحذر والترقب ولا يجعل لها سلطاناً عليه ولا يتبع هواها ، لينجو من سوء ما تأمر به وعاقبة ما تسول له . وفي ذلك قال بعضهم : (الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وأن لا تتخذ لك عدواً سواها) . وقال الشبلي : (الفتوة أن لا تكون خصما لأحد سوى نفسك والشيطان) .

والفتى لا يخاصم بلسانه ولا ينوي الخصومة بقلبه — كما يفعل البعض الآن وما عليه الغالبية العظمى اليوم — ألسنتهم رطاب ، وبطائنهم أكباد صوادى — ولا يخطرها بباله وإن خاصم أو حاكم ، فيجب أن يكون خصامه أو تحاكمه في الله وإلى الله ، وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ فقد كان يقول في دعاء الاستفتاح : (وبك خاصمت ، وإليك حاكمت) .

— وأن يتغاضى عن هفوات غيره ، ويتغافل عن زلاتهم . وإذا رأى من أحدهم هفوة ، أو أخذ عليه زلة توجب الأخذ بها ، أظهر أنه لم يلحظ منه شيئاً حتى لا يعرضه للوحشة والخجل ، ليعفيه من تحمل مشقة العذر .

حكى أبو عثمان الدقاق رحمه الله قال : إن امرأة أتت حاتما فسألته عن مسألة ، وفي أثناء وجودها خرج منها صوت ، فظهر الخجل عليها وبان في وجهها ، فلما رأى ذلك منها قال لها ارفعي صوتك ، ليوهمها أنه أصم لم يسمع ما تقول ، فسرت المرأة وسرى ذلك عنها وقالت إنه لم يسمع الصوت ، فلقبوه من ذلك الوقت بحاتم الأصم .

وحكى غيره أن رجلا بنى بامرأة ، فلما دخل بها رأى بها الجدري فقال ، اشتكيت عيني ، وتصنعت العمى ، وبعد عشرين سنة ماتت زوجه ولم تعلم أنه بصير ، فقيل له لم فعلت ذلك ؟ قال كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها ، فقيل له : سبقت الفتيان .

— وأن ينسى إيذاء الناس له ، ويجاهد نفسه في نسيان مانا له من الضرر وينظر إلى من ناله بأذى نظر الصديق المتسامح واسع الصدر كريم النفس ، إلى صديق له زل أو هفا ، حتى لا يستوحش الناس وينفروا منه . قال عمر بن عثمان : (الفتوة حسن الخلق) وقال الجنيد : (الفتوة كف الأذى وبذل الندى) .

ولا يبلغ درجة الفتيان ويدخل في زمرتهم من نسى إساءة الناس له وتغاضى عن هفواتهم ، إلا إذا نسى كذلك إحسانه إلى من أحسن إليه وأسدى إليه معروفاً حتى يعتقد أنه لم يحسن إليه ولم يصدر منه ما يستوجب الشكر ، لأن ما أحسن به هو

من عند الله. فالواجب أن يشكر هذا المحسن إليه لأنه جعله يشكر الله الذي وهبه هذه النعم وأفاض عليه من خيره وبره . وهذا النوع من النسيان أعظم درجة وأرفع منزلة من السابق ، وفيه قال بعضهم :

ينسى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

والمنزلة الثانية هي منزلة الإحسان إلى الغير ، وهي أعلى مرتبة من الأولى ، لأنها تلزم المتحلي بها أن يقرب من أقصاه عن مجلسه وطرده من حضرته ، وأن يحسن إلى من أساء إليه ويكرم من أهانه ويعتذر إلى من اعتدى عليه ، ولا يتصف صاحب هذه الفعال بصفة الفتوة إلا إذا كانت فعاله هذه عن تواد وسماحة لا عن مصابرة وكظم ، ومن قوة وقدرة لا عن جبن وضعف ، وفضلوا هذه المنزلة على سابقتها ، لأنها تتضمن التغلب على عدوين ، النفس ومقابلة الشيء بضده ، فيكون خلق الفتى الإحسان والعفو ، وخلق غيره الإساءة والإيذاء ، وفي هذا قال قائلهم .

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

حكى أن رجلا من حجاج بيت الله ذهب لزيارة القبر الشريف ونام في المدينة ففقد مالا له ، فلما صحا من نومه فزع لضياعه ، ووجد جعفر[1] بن محمد قريباً منه فعلق به وقال له : أخذت مالي ! فقال : كم هو ؟ قال : ألف دينار . فأخذه جعفر حتى أدخله داره ووزن له قدر ماله . ثم إن الرجل عثر على ماله ، فعاد إلى جعفر يرد له المال ويعتذر عما صدر منه ، فأبى جعفر أن يقبله منه ، وقال : هذا شيء أخرجته من يدي لا أسترده أبداً . فسأل الرجل الناس : من هذا ؟ فأخبروه أنه جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال : إنه خير الفتيان . ثم قيل لجعفر : كيف تعتذر لمن جنى عليك ، وتحسن إلى من أساء إليك ، ولم يصدر منك ما يوجب الاعتذار . ألم يكن كافياً أنك لم تؤاخذه ؟ ألست باعتذارك إليه أنزلت نفسك منزلة الجاني لا المجني عليه ، والجاني خليق بالعذر . فقال لهم : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

فهو يعزو ما أصابه إلى ذنب صدر منه ، وأن هذا هو الانتقام الإلهي الذي يجب أن يناله كل مذنب . ومن كانت هذه حاله فهو بالاعتذار أولى وأحق إلى من جنى عليه ، وشكره والإحسان إليه . فمن كانت هذه حاله مع من أساء إليه عفا عنه وأحسن إليه مع ضعفه وفقره وحاجته إلى سواه ، فبأعظم من هذا يكافئه الفتى الذي وسع ملكه السموات والأرض وشمل إحسانه المؤمن والكافر والطائع والعاصي ، فيعفو عن إساءته كما عفا عن إساءة عبده ، فالجزاء من جنس العمل .

وقال ابن عياض رحمه الله « الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان » وقال غيره « من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشم رائحة الفتوة » ومعنى هذا القول أن من أساء إليك ونالك ضرره ، إذا علم أنك متألم مما وقع منه ، احتاج إلى أن يتقدم إليك معتذراً ، أو يلجأ إلى شفيع يشفع له عندك ليزيل ما في قلبك من كدر ، ويغسل ما علق به من زعل . فالفتوة كل الفتوة أن لا تظهر له العتب . ولا تغير ما كان منك له قبل الذي صدر منه ، ولا تحول عنه وجهك حتى لا تحوجه إلى طلب الصفح والشفاعة ؛ وإن لم تفعل ذلك وتخجل من قيامه بين يديك مقام الذلة والاعتذار لم يكن لك من الفتوة أو في نصيب .

فالفتى الحق من تغاضى عن عثرة غيره ولم يأخذه بذنب أتاه أو جرم اقترفه ، بل يجب أن يكون معه سمحا كريما يعامله معاملة صادرة عن سماحة خلق وطيبة نفس وانشراح صدر ، لا عن ضيق وكظم غيظ ومصابرة ، لأن هذا يعتبر تكلفاً وتصنعاً يوشك أن يزول وتبدو الأخلاق واضحة ، وتظهر الصفات جلية فيفتضح أمره بين الناس ، فإن التخلق يأتي دونه الخلق .

والمقصود من هذا أن يصلح الفتى باطنه كما يجمل ظاهره ، وأن ينقي نفسه من الشوائب كما ينظف ثوبه من الأقذار . كان بعض أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه ، ما رأيته يحمل حقداً لأحد منهم قط ، وما سمعته يدعو على أحدهم ، بل كان يدعو لهم ويطلب لهم من الله العفو والغفران . ثم قال : جئته يوماً أبشره بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأكثرهم إيذاء له ، فنهرني وتنكر لي وأشاح عني واسترجع ، ثم قام من فوره إلى بيت الميت فعزى أهله وقال لهم : أنا لكم مكانه ، لا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة أو عون إلا ساعدتكم فيه وعاونتكم عليه ، ونحو هذا الكلام ، فسروا به ودعوا له وأعظموا هذه الحال منه . ولما سمع أحد المتصوفين بخبر هذه الواقعة قال : (خير الفتيان من كانت له في هذا أسوة وبه قدوة) .

(للكلام بقية) عبد الموجود عبد الحافظ

(١) هو الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه .

أوراق مطوية :

عند ما يأتى الربيع !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قلت لليأس الذى خيم فى قلبى العليل
فكساه وحشة الليـل ، وأحزان الأصيل :
أيهـــا اليأس تمهل ، يا ضباب المستحيل
وترفق بشبابى ، وتأهب للـــرحيل
وكفى أزهار عمرى ما عراها من ذبول
فتمطت ظلمة اليأس ، وقالت فى ذهول :
عند ما يأتى الربيع !

قلت للأحزان ... أحزانى ! وقد جاء الصباح
ورأى الضوء نشوان على صـــدر الأقاح :
أنت يا أحزان فى قلبى دماء وجـــراح !
أنت فى عمرى دمـوع وأنين ونواح
فمتى تمضين عن قلبى الحزين المستباح ؟
فأجابت فى سكون : سوف أمضى كالرياح
عند ما يأتى الربيع !

قلت للآمال إذ لاحت بآفاق الخيـــال
كعذارى عاريات ، أو كأطياف الجمال :
عانقى قلبى ؛ فقد رانت على قلبى الظلال
عانقى روحى ؛ فقد خيم فى روحى الملـــلال
لا تـكونى كسراب راقص فوق الرمال
فمضت ترقص من حولى : وقالت فى دلال :
عند ما يأتى الربيع !

قلت للأفراح ، والأفراح أزهار الحياه
أنت فى عمرى تسابيح ، وفى روحى صلاه
وأنا عمرى عباب قد تناءى شـــاطئاه
وأنا روحى شراع ضـــلل الموج خطـاه
فتعالى إنمـــا قلبى غريق فى أساه
فأجابت وهى تنأى : ســوف آتى فى الغداه
عند ما يأتى الربيع !

وتحـــدثت إلى نفسى ، وقد جاء المســـاء
قلت : يا نفسى غـداً تمضى كآبات الشتاء
وغـداً يأتى الربيع السمح نشوان الضياء
ويرف الزهر فى عمـــرى ، ويشدو بالغناء
فإذا صوت عميق شـــق أجواز الفضاء
لست أدرى كيف وافى ، لا ، ولا من أين جاء
قال : يا شاعر يا مستاها روح الخفاء
يا صدى الآلام فى الدنيا ، ويا رجم الشقاء
إنمـــا تحيا على الدنيا حياة الشهداء
لا تؤمل فى سراب هو من وهم الظماء
كل ما قيل خداع ، فاستمع صوت القضاء :
لن يغيب اليأس والحزن ، ولن تلقى الرجاء
عند ما يأتى الربيع !

من مجمع الواقع :

البدر العـــاشق

للشيخ محمد رجب البيومى

« قصـة عاشقين فرقت بينهما عوامل البيئة ، وقسوة المجتمع ، ونـكد الطالع »

أبصر البـدرُ سناها يتراءى فغـدا بالشمس صبًّا مستهاما
عاشق ألق الهوى فى نفسه ذلة أعرفها عنـــد اليتامى
جن بالشمس ومن هذا الذى لمح الشمس ولم يفتن هياما
ذو حياء لم يشاهد مثـــله عند خود تلزم الخدر احتشاما
يتوارى إن بدت مستخذيا فإذا ما أدبرت ألـقى اللثاما
كم خطا بين الثريا ساهما كمريض يشتـكى داء عُقاما
زحل يبـكى له من رحمة ومهيل يطلق الدمع سجاما
عجبى للبـدر ، أمسى وجهه شاحب الطلعة لا يمحو الظلاما
نظرة يا ويلها من نظرة ذاق من جرائها الموت الزؤاما

كم شكا للشمس ما قد شفه   من سقام ، قاتل الله السقاما
وانبرى يســألها فى ذلة   كيف ترضين لمثلى أن يضاما
تاه ظنى فيك يا شمس الضحى   أدلالاً غبت عنى أمْ خصاما
زهرتى أودى بها لفح النوى   فإلامَ الهجر يا شمس إلاما ؟
آه لو تدرين نجوى مهجة   ترك البعد بقاياها حطاما
كبدى تصرخ من أعماقها   إذ مضى العمر ولم تطفىء أواما
أى عيب ضائر تخشينه   لوْ تفضلت بإتيانى لماما
أحسد الزهر إذا طفت به   ساجى الطرف فداعبت الكماما
أحسد اليمّ وقد غطيته   بسناً كان على الماء وساما
سرت فى الأرض فأضحى وجهها   كثنايا الغيد نوراً وابتساما
كل ما فى الكون لاق حظه   منك لكن أنا لم أبلغ مراما
لى رجاء فيك إن خيبته   حبذا بعدك أن ألقى الحماما

* * *

قالت الشمس له فى رعدة   قدك، قد أشعلت فى قلبى الضراما
صير الحب كيانى هدفا   يتلقى طيلة العمر السهاما
أرسل الزفرة حراً لاهبا   كجحيم موقد يشوى الأناما
أنظر الأفق إذا ولى الدجى   أترى للجمر فى صدرى اضطراما
أنظر الأفق إذا حان الدجى   شفقاً تلق عليه أم كلاما
قلب الطرف أميــلا كى ترى
لاصفرار الوجد فى وجهى ارتساما
مقلتى لاذقت يوماً داءها   حرم الشوق عليها أن تناما
أنظر الغيث تجده أدمعا   فارقتها لم تطق فيها مقاما
هـأنا الأخرى تفانيت أسى   فعلام العتب يا بدر علاما ؟
أنت فى الأفق مكين ثابت   وأنا أحبو على الأرض دواما
حولك الأنجم فى أفلاكها   تتفانى فيك حبًّا واحتراما
كيف ترجو زورة منى إذن   أيزور البدر من يغشى الرغاما
هاك عرف الناس ، من لم يرضه   تركوا أعظمه فيهم رماما
كلما أرقب وصلا قيل لى   جعل الرحمن لقيانا حراما
ما صنيعى فى آله قادر   صير الياس لقلبينا لزاما
ليته إذ مد أحبال النوى   صير الأشواق برداً وسلاما

* * *

هذه قصة حب ثائر   كشف الشعر لنا عنها اللثاما
أنت أنت الشمس ما أحظى بها   رغم وجدى وأنا البدر تماما

(الكفر الجديد)   محمد رجب البيومى

وزارة المعارف العمومية — إعلان

المعهد العالى للعلوم المالية والتجارية

يعلن المعهد عن حاجته لمدرسين ومعيدين فى المواد المذكورة فيما بعد

١ — مدرس للمحاسبة
٢ — « لإدارة الأعمال
٣ — « للرياضة المالية
٤ — « للقانون المدنى والتجارى
٥ — معيد للآلة الكاتبة العربية والاختزال العربى (طريقة بثمان سالم)
٦ — معيد للرياضة المالية والاحصاء

ويشترط فيمن يتقدم لوظيفة مدرس أن يكون حاصلا على مؤهل على أعلا من دبلوم أو ليسانس أو بكالوريوس ولوظيفة معيد أن يكون من خريجى المعهد ويفضل فى الاختيار لكل هذه الوظائف من له خبرة فى التدريس وإنتاج علمى

وتقدم الطلبات على الاستمارة ١٦٧ ع . ح إلى حضرة الأستاذ عميد المعهد بشارع صفية زغلول رقم ٢٦ بالقاهرة موضحاً بها جميع البيانات الخاصة بالطالب وإن كان موظفاً فى إحدى المصالح الحكومية فعليه أن يتقدم عن طريق المصلحة التابع لها وقد تحدد آخر موعد لقبول الطلبات يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ولا يلتفت لأى طلب يصل بعد هذا الموعد ولا للطلبات التى قدمت من قبل . ٣٦٩

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل عطاءات بديوان وزارة الدفاع الوطنى لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨ عن توريد ٢ مبرد مياه و ٢ مكنسة كهربائية ويمكن الحصول على الشروط من إدارة المشتريات والعقود بالوزارة مقابل ٢٥٠ مليم يضاف إليه أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليماً . ٢٧٣

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين في المغرب :

نشرت الصحف أخيراً أن الدكتور طه حسين بك سيسافر من فرنسا إلى إسبانيا تلبية لدعوة إلى إلقاء محاضرات بجامعاتها . وقد علمت أن الدكتور بعد أن يفرغ من مهمته في إسبانيا سيسافر منها إلى شمال إفريقية لإلقاء محاضرات ببعض المعاهد المغربية .

ولا شك أنك ستدهش لذلك كما دهشت أنا له ... فبلاد المغرب التي يحكمها الفرنسيون ، والتي سيتجه إليها الدكتور طه حسين بطبيعة الحال — تعد مغلقة أمام الثقافة العربية المشرقية الحديثة ، فلا يكاد يدخلها من مصر وما يليها من الأقطار العربية صحيفة ولا كتاب ! فكيف يدخلها طه حسين ويحاضر فيها وهو في الصف الأول من منتجي هذه الثقافة ؟ ولكن ما ذا أصنع وقد استقيت الخبر من مصدر عليم أثق به ، كما يقول زملاؤنا الصحفيون ، ولم يلقه إلىّ إلقاء ، بل أوضح كيف وصل إلى علمه إيضاحاً يبعث على التصديق .

ثم قرأت في العدد الأخير من مجلة « الإثنين » ما يلي :

« قال لنا أحد الحجاج المغاربة الذين مروا بمصر في طريقهم إلى الحجاز : إن الكتاب المصري أصبحت له سوق سوداء في شمال أفريقيا لندرة الحصول عليه ، وإن هناك مجاعة ذهنية بسبب خلو المكتبات من آثار مصر الفكرية » .

قرأت هذا فازدادت دهشتي من السماح للدكتور طه بدخول تلك البلاد ، وخطر لي خاطر استبعدته ، لأنه لا يمكن أن يساعد على التحدث عن الثقافة الفرنسية دون العربية !

إنها لمعجزة حقاً أن ينجح الدكتور طه حسين في « تهريب » الثقافة العربية إلى مناطق النفوذ الفرنسي في شمال إفريقية ...

كرسي شوقي أيضاً :

أفضى الأستاذ مصطفى عامر بك وكيل جامعة فؤاد الأول إلى مجلة « البشير » بتصريح في مسألة كرسي شوقي ، فقال : « يسر الجامعة ملء هذا الكرسي بدون توان ، وإنما الذي لا بد منه هو اختيار الشخص الذي يتذوق الأدب الحديث عامة ، المتشبع بشعر شوقي وروح شوقي وفلسفة شوقي خاصة ، حتى يتمكن من ملء الكرسي وإعطاء شوقي حقه ومكانه من أدباء العصر الحديث . وإذا تيسر الحصول على هذا الشخص ، فكلية الآداب لا تتردد في اختياره » . إلى أن قال : « أولى بنا أن نترك الكرسي شاغراً حتى يتيسر لنا الشخص المطلوب » . ولم يتعرض لنقطة اختيار الأستاذ من الجامعة أو من خارجها .

ويفهم من تصريحه نصاً أن الجامعة لم تقع عينها إلى الآن على شخص يصلح لهذه الأستاذية ، ولكن هل يفهم منه — عن طريق الاستنتاج — أن الجامعة لا تجد في أساتذتها — وهم تحت عينها — من يصلح ؟ أما غير أساتذتها من الأدباء ، فهل بحثت عمن يصلح منهم ؟ على أن هذا السؤال يجب أن يسبقه إقرار المبدأ وهو الاستعانة بأساتذة من خارج الجامعة .

والسؤال الأخير : هل صحيح أنه لا يوجد — في الجامعة أو في غيرها — من يتذوق الأدب الحديث ويلم بدقائق شوقي ؟

وما كان يصح أن يتكون هذا السؤال لولا تلك المقدمات ، فليس شوقي وشعره معضلة إلى هذا الحد !

اجتماع بجوار « كشك الموسيقى » :

شاء صديقي الأستاذ وديع فلسطين أن يفرّع الحديث في موضوع اختيار الجامعة أساتذتها ، فأرسل الكلام في شعب هذا الموضوع ، دائراً حول المحور الذي يظهر من قوله : « إن الحياة كثيراً ما تكون أقدر على إعداد المرء ثقافياً وعلمياً من الجامعة . وقد اعترف جورج برنارد شو بأنه لم يدخل جامعة ولا معهداً عالياً ، وأنه كان خامل الذكر في دراسته الابتدائية » .

وأذكر — لهذا — ما رأيته بعدد من جريدة « المؤيد » يقع تاريخه قبيل سنة ١٩٠٨ ، فقد كنت أتصفح أعدادها منذ سنوات بدار الكتب المصرية ، فلمحت هذا التوقيع عباس

محمود العقاد » تحت أسطر تتضمن دعوة الراسبين فى الشهادة الابتدائية إلى الاجتماع بجوار « كشك الموسيقى » بحديقة الأزبكية ... ولعل التلميذ عباس محمود العقاد كان يريد بهذا الاجتماع أن يتزعم زملاءه للمطالبة بعقد امتحان « ملحق » لهم، وقد يكون الأمر غير ذلك . ولكن المعروف فى تاريخ الأستاذ الكبير أنه لم يستمر فى دراسة مدرسية بعد التعليم الابتدائى، لحسن حظه ! فقد كسب بذلك وقتاً طويلا من عمره كان يضيع فى تعلم ما لا يريد ولا يفيد ، فاستغل وقته ووجه همه إلى ما أراد . وهو يعبر عن ذلك فى مقال بالعدد الأخير من مجلة الهلال بقوله : « ومما أحمد الله عليه أن أساتذتى جميعاً قد اخترتهم بنفسى ، ولم يفرضهم على أحد يملك سلطة التعيين والفصل دون غيره ، لأنهم كانوا جميعاً مؤلفين مشهوداً لهم برسوخ القدم فى صناعة التأليف أقرأ منهم من أشاء وأعرض عمن أشاء ، وأطلبهم حين أريد وحيث أريد » .

وقد بلغ العقاد فى الأدب والفكر ما بلغ ، ولست أقول كما قال الأستاذ وديع إنه يكفى أن يقدم كتاباً من كتبه — بغير اختيار — إلى الجامعة لينال عليه درجة الدكتوراه . ولا أذهب إلى ما ذهب إليه من المطالبة بالدكتوراه لرواد الحركة الفكرية الحديثة فى مصر . فالدكتوراه لا تزيدهم شيئاً ، إلا أن يكون المطلوب مساواتهم بعشرات الدكاترة من الخريجين العاديين .

إنما تمنح الشهادة أو الدرجة الجامعية لتدل على قيمة صاحبها العلمية أو الفنية ، فإذا ما ظهرت هذه القيمة وأصبحت معروفة بين الناس فما الحاجة إلى الدليل عليها ؟

مؤسسة الثقافة الشعبية :

تلقينا من مؤسسة الثقافة الشعبية التى كان اسمها الجامعة الشعبية ، بياناً ضمنته خلاصة ما قامت به منذ إنشائها سنة ١٩٤٦ ، جاء فيه أن من أغراض المؤسسة « تنظيم دراسات عقلية وفنية لتكوين الشخصية ، وترقية الملكات ، ورفع المستوى الثقافى ، والعمل على نشر الثقافة العامة بين طبقات الشعب على أساس من الرغبة الشخصية دون اشتراط مؤهلات معينة » .

ويبدو أن الكبار أحسن من الصغار حظاً بهذه المؤسسة ، ففى هذا الوقت الذى يواجه فيه الآباء مشقات إلحاق أبنائهم بالمدارس ، الناجمة من عدم وجود محل ، أو عدم توافر الشروط ، أو العجز عن أداء « المصروفات » وما يصحب ذلك فى الغالب من الوساطات والشفاعات — فى هذا الوقت يستطيع الكبير الذى لا تقل سنه عن ١٦ سنة ، والذى أتقن القراءة والكتابة ، وقد حرم من التزود بما يميل إليه من ألوان الثقافة وأنواع الفنون أن يستدرك ما فاته ويحقق رغباته فى وقت فراغه ، لا يتكلف غير رسم زهيد مائتى مليم فى السنة .

وبالمؤسسة عشر شعب ، نذكر منها شعبة الدراسات الأدبية ، وشعبة الدراسات الاجتماعية ، وشعبة الفنون الجميلة وتشمل الرسم والتصوير والزخرفة والموسيقى والأغانى والتمثيل ، وقد أنشىء للعام القادم شعبة اللغات الحية . وللمؤسسة فروع فى الأقاليم يشمل كل فرع منها جميع الشعب ، وقد بلغ عدد الطلاب فى العام الماضى بالقاهرة والأقاليم ١٠٥٠٤ منهم ٤٨٢٨ سيدات وآنسات أكثرهن فى شعب الثقافة النسوية .

نظرة فى منهج الشعبة الأدبية :

وفى زيارتى المركز العام للمؤسسة أطلعنى سكرتيرها الأستاذ محمود الفزاوى على منهج الشعبة الأدبية ، وأذكر أولا ما جاء فى آخر هذا المنهج من أن هدفها هو « أن تجعل من طالبها إنساناً متذوقاً للجمال الأدبى ، وقارئاً يقرأ عن فطنة ويدرك عن وعى ، وكاتباً يحسن التعبير عما فى نفسه ، ومتحدثاً يزن الكلام إذا نطق ، وأن تقضى على العامية اللغوية والفكرية وأن تحبب الشعب فى القراءة الجدية التى هى أهم وسائل المعرفة ، وأن تساهم فى الإعلاء من قدر الأدب الرفيع ومحاربة الأدب المزيل الرخيص » .

وهذا كلام طيب ، وهو الهدف الذى يجب أن يرمى إليه . ولكن هل المنهج المرسوم يؤدى إليه ؟ يحتوى المنهج إجمالا على : تعريف وتحليل للكتاب العربى ، تراجم وتحليل للشخصيات الأدبية ، دراسة علمية للأسلوب مع التفرقة بين الأساليب المختلفة ، تحليل وعرض لنصوص من جيد النثر على أن تكون تطبيقاً على ما فى الدروس العلمية .

وأنا أعتقد أن دراسة هذه الموضوعات لا تسير فى الطريق إلى تحقيق ذلك الهدف ، بل إنها تصد الناشىء فى الأدب عنه ، وكان يعد الموضوع الأخير ، وهو عرض النصوص ، من الاتجاه الصحيح ، لولا ما أفسده من أن المقصود به أن يكون تطبيقاً على الدروس العلمية .

إن هذه الموضوعات تدرس فى المدارس الثانوية وما يماثلها ، وتسخر أذهان الطلاب فى حفظ التعريفات وإحصاء الخصائص والفروق والصفات ، وليس وراء شىء من ذلك أى طائل ، فمثلا يحفظ الطالب فى السنة الثانية سبب تأليف أبى الفرج كتاب الأغانى ويحفظ وصف الطريقة التى اتبعها فى تأليفه وغير ذلك ، ولكن ليس فى ذهنه فكرة واضحة عن الكتاب ، ولو رآه ما عرف أنه المقصود بذلك الدرس الذى حفظه ...

يخيل إلى أن الذين يضعون هذه المناهج إنما يريدون أن يدلوا على علو كعبهم فى فنون الدراسات الأدبية ، كما تدل على علو كعبهم أيضاً تلك الكتب المدرسية التى يؤلفونها وفق هذه المناهج ، ولكنك إذا نظرت إلى هذا كله من جهة أخرى هى تعريفهم أنفسهم للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وتأملت الفرق الكبير بين حال الطلبة الناشئين وبين أسلوب هذه المؤلفات ومستوى تلك المناهج ، علمت ما فى عملهم هذا من مجانبة للبلاغة ودلالة على ضد « علو كعبهم » فيها ..

كنت وما زلت أود أن تخرج المؤسسة الشعبية على تلك المناهج الرسمية الجامدة ، فتقدم لطلابها الأدب نفسه خالصاً من تلك الدراسات ، تعرض نماذج سهلة منه وتيسر لهم قراءة الكتب الدانية من أفهامهم ، مع شرح من الأساتذة ، وتحليل طفيف يقصد منه إلى الإساغة والتذوق ، لا إلى معرفة الخصائص والاصطلاحات العلمية والبحث عن أسباب الصعود والهبوط فى (بورصة) الأدب !

إن الذين يطلبون الأدب فى مؤسسة الثقافة الشعبية ينبغى أن يكون أهم ما يقدم لهم رحيق الآداب المصفى ، لأنه هو الذى يستجيب لميولهم التى دفعتهم إلى طلبه ، وهو الذى يلائم شهيتهم البادئة . وهم بعد أحرار فى إقبالهم وإعراضهم ، لا تملك المؤسسة من أمرهم كما تملك المدارس من أمر تلاميذها .. وأخشى إن دأبت على هذا المنهج أن تضطر إلى إلغاء الشعبة الأدبية بعد أن تدل « التجربة » على عدم نجاح الدراسة فيها ..

عزيزتى السيدة بديعة مصابنى :

قرأت فى إحدى الصحف أنك تفكرين فى إحضار فرقة « باليه » راقصة من باريس للعمل فى مسرح (كازينو أوبرا) فى الشتاء القادم . فسررت لهذا الخبر ، ولا يسعنى إلا أن أشكرك بالنيابة عن الحكومة المصرية وعن دار الأوبرا الملكية لأن استقدامك فرقة الباليه من شأنه أن يعفى الدولة من الجهود والأموال التى تبذلها لاستقدام هذه الفرقة وأمثالها ، من شأن عملك هذا يا سيدتى أن يعفى مدير الأوبرا من الترحال والأسفار والتنقل بين البلدان الأوربية للبحث عن هذه الفرق والتعاقد معها ، ومن شأن هذا العمل الجليل أيضاً أن يعفى خزانة الأمة المسكينة من تلك الأموال التى تدفعها إلى تلك الفرق والتى ينفقها المدير فى رحلاته .

ومما يضاعف الشكر لك « يا ست بديعة » أن تكونى قد أردت معاونة الدولة فى أعبائها الكثيرة المرهقة ، إذ رأيتها تعمل جاهدة على استكمال ما ينقص هذا الشعب المسكين فتجلب الفرق الراقصة لعلاج أمراضه ومحاربة أعدائه الثلاثة المشهورة المعروفة بالفقر والجهل والمرض !

ورأيت من جهة ثانية أن الدولة مرهقة بأعباء أخرى جدية . . . كتدبير الخطط السياسية الخارجية وإيفاد الوفود إلى الهيئات الدولية ، فأردت — مشكورة — أن تقولى لها : خل عنك عبء الترفيه عن ذوى الهموم المترفة ! وتفرغى لغيره مما يليق بك ..

وسواء أصح ذلك الخبر أم كان من خيال زميل بارع ، فهو على كل حال يلقى ضوءاً على جهة الاختصاص فيتبين « بارى القوس » ليعطاها . . . وهو أيضاً فرصة طيبة لأكتب لك هذا وأحييك تحية فائقة ..

عباس خضر



إصطلاحات فنية :

فى افتتاحية الرسالة (ع ٧٩٥) ، عبر الأستاذ الجليل الزيات عن ال hiérârchie بـ (اليبرَرْشية) ؛ ولقد كنا نؤثر لو أن الأستاذ الكبير اصطفى لفظ « الرئاسية » ترجمة لهذا الاصطلاح الفنى ، متمشياً فى ذلك مع فقهاء القانون المصريين الأعلام . وفى اعتقادنا أنه لفظ مناسب تماماً لمفهوم ال hiérârchie الذى أجمله الأستاذ فى هذه الكلمات : « النظام الإدارى الذى يقضى بتدرج المناصب فى العمال والأعمال والتبعات ، فيبدأ الأمر بالأصغر فالصغير ، ثم ينتهى إلى الكبير فالأكبر » .

ولقد يكون من المفيد — فى هذا المجال — أن نشير إلى أن هذه « الرئاسية » هى أسلوب النظام الإدارى الموسوم بالمركزية (centralisation) ، وهو نظام بمقتضاه تنعقد السلطة الإدارية بيد الحكومة المركزية ، بينما لا يصير لما عداها من الهيئات والشخوص المعنوية الإقليمية أو المصلحية ، سلطة جوهرية محسوسة الأثر بالقياس إلى سلطانها الواسع الكبير .

وعلى العكس من ذلك نظام « اللامركزية » (décentralisation) ، الذى يتضمن اقتطاع (بعض) من هذه السلطة المركزية الكبيرة ، للهيئات المحلية المنتخبة ، التى تقوم مستقلة — بداءة ، وفى حدود رقابة خاصة — بمباشرة وظيفتها الإدارية الإقليمية أو المصلحية .

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر — كما يقولون — فقد يجمل بنا التنبيه إلى « لَبْس » تقع فيه الصحف هذه الأيام ، حين تعبر عن النظام الإدارى القائم الآن بوزارة المعارف المصرية — وأعنى به « اللاوزارية » (déconcentration) بـ « اللامركزية » (décentralisation) .

وهو « لبس » أدى إليه الاعتقاد — خطأ — بأن ترك المراقبين والمفتشين ونظار المدارس ومن إليهم من الرؤساء الإداريين بالأقاليم ، يبتون نهائياً — فى بعض أحوال خاصة — فى شئون وظيفتهم الإدارية ، دون الرجوع فى ذلك إلى مكاتب وزارتهم القائمة بالعاصمة ... يعنى أن الأسلوب المختار فى الإدارة فى وزارة المعارف المصرية هو الأسلوب اللامركزى

وقد فات هذه الصحف ، أن الشرط الأساسى والجوهرى لقيام « اللامركزية » ، هو أن تستمد الهيئات الإقليمية سلطانها المحلية من طريق الانتخاب لا التعيين ، وأن يكون الانتخاب — غالباً على الأقل — فى تكوين هذه الهيئات [1] .

فأين هذا من النظام القائم الآن فى هذه الوزارة ، والذى لا يعدو أن يكون « صورة مخففة » من المركزية المطلقة (الوزارية) concentration) ، يطلق عليها — أى على هذه الصورة المخففة — فى الاصطلاح الفنى لفظ : (اللاوزارية déconcentation) .

وهكذا يتضح من هذا البيان أن النظام المعمول به اليوم فى وزارة المعارف المصرية ، هو نظام مركزى فى صورة مخففة (لا وزارية) ؛ وعلى ذلك ... فمن الخطأ — فنياً — إدماجه فى دائرة اللامركزية .

عبد العزيز الكرداني

(الرسالة) آثرنا كلمة اليبرشية كما آثر من قبلنا كلمات الديمقراطية والأرستقراطية والتيوقراطية الخ .. لأن كلمة الرياسة وأشباهها لا تؤدى المعنى الكامل الرفيق للفظ الأجنبى إلا بقوة الوضع وكثرة الاستعمال وطول الزمن

يدعو إلى الإسلام :

ورد لى خطاب عن يد مجلة الرسالة من الأديب أحمد عادل يثنى فيه علىّ لما أكتبه فى الرسالة عن الصهيونية وفلسطين ثم يدعونى إلى الإسلام ، فأشكر له هذه الدعوة لأنه طبعاً يريد بها لى الخير . ولكننى عجبت من أنه يختصنى بهذه الدعوة ، وفى البشر نحو ١٥٠٠ مليون نسمة ليسوا مسلمين فهم أيضاً خليقون بدعوته . فهل يظننى حضرته ملحداً أو وثنياً ؟ لا . يا عزيزى . إن لى ديناً لا يقل عن الإسلام فى فضائله . دع ما يلابسه فى بعض الأحوال والأزمان من ترهات رجاله ، كما يلابس كثيراً من عقائد البشر . فى أمريكا طائفة نصرانية يقال لذويها « الموحدون » فهى تنبذ من المسيحية كل ما هو غير معقول كالتثليث والمعمودية الخ ويعتنقها جلة أهل العلم والفضل وتتمسك بتعاليم المسيح التى

(١) راجع فى هذا بتوسع رسالة الدكتور عثمان خليل « اللامركزية ونظام مجالس المديريات » — القاهرة — ١٩٣٩ ، وكتابه الجديد فى القانون الإدارى .

تصلح لكل ملة من ملل العالم كقوله : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى من أساء إليكم . اغفروا للمذنبين إليكم الخ ربما قابلها فى القرآن الشريف ما فى سورة « فصِّلت » .

فإنا إلى حد ما ، من هذه الطائفة . وقد جُمعت عقيدتى فى مطلع قصيدة للشيخ نصيف البازجى فى كتابه مجمع البحرين :

الحمـد لله الصمد حال السرور والكمد

اللهُ لا إلهَ إلاّ الله مولاك الأحد

لا أمَّ للـه ولا والدٌ له ولا ولد

أوّل كلّ أوّل أصل الأصول والعمد

الحوْل والطوْل له لا درع إلا ما سرد

إلى آخرها وكلها من هذا الطراز العاطل (لا نقط فى حروفه)

والأستاذ أحمد عادل بارك الله فيه يخشى على قراءة القرآن الكريم . فليعلم أن عندى مصحفين . وقد قرأت القرآن كله وقرأت بعض سوره مراراً . وأومن بكل فضائله ومحامده ، ولكننى لا أرى لماذا أنادى باعتناق الإسلام ولى من العقيدة الدينية العالمة ما أتمنى أن يكون للملايين غيرى حتى لجانب من المسلمين أنفسهم . وربما كنت أقرب إلى الإسلام من كثيرين من المسلمين . فليطمئن أخونا أحمد انى لست بعيداً عنه لا كثيراً ولا قليلا . اللهم إذا كان اعتقاده نظيفاً من الخرافات والترهات

بقيت بعض نقط أخرى فى كتابه لا محل لها فى الرسالة فإذا أنبأنى بعنوانه كاتبته بها .

نقولا الحداد

حول حب الرافعي :

قرأت فى العدد من « الرسالة » كلمة بسط قائلها فيها رأيى الأستاذين حسنين مخلوف وكامل محمود حبيب فى حب الرافعى .

والرأيان يرميان إلى أن حب الرافعى لم يكن صادقاً — كما قال صاحب الكلمة — وليس فى هذين الرأيين جديد ، فقد قرأنا من قبل رأى تلميذ من تلاميذ الرافعى لعله أقربهم إليه وهو الأستاذ محمد سعيد العريان ، وقد أورد رأيه هذا فى كتابه عن الرافعى فقال : « إن الحب عند الناس هو حيلة الحياة لإيجاد النوع . ولكنه عند الرافعى هو حيلة النفس إلى السمو والأشراق والوصول إلى الشاطىء المجهول .. هو مادة الشعر وجلاء الخاطر وصقال النفس وينبوع الرحمة وأداة البيان .. كذلك كان الحب عند الرافعى ، ولذلك كان يحب » ..

ويقول بعد هذا بقليل . « وبلغ الرافعى (بعصفورة) إلى غايته واشتهر شاعر الحسن » وترنم العشاق بشعره وما بلغت عصفورة إلى غايتها ، ثم مضى كل منهما إلى طريق ، وأتم الرافعى طبع ديوانه ، وكما ينتهى الحب الذى هو حيلة الحياة لإيجاد النوع إلى الزواج أو إلى الغايه الأخرى ، ثم يبدأ فى تاريخ جديد ، كذلك انتهى حب الرافعى وعصفورة وأنجب ثمرته الشعرية ، ثم كان تاريخ جديد ..

وعلى مثال هذا الحب كم كانت له حبيبات ، وكم أنجبت ثمرات ، وإنه ليخيل إلى أن الرافعى كان كلما أحس حاجة إلى الحب راح يفتش عن « واحدة » يقول لها : تعالىْ نتحاب لأن فى نفسى شعراً أود أن أنظمه أو رسالة فى الحب أريد أن أكتبها !

ولقد سمعته مرة يقول لإحداهن . . . وسمعت إحداهن مرة تقول له : متى أرانى فى مجلسك مرة لتكتب عنى رسالة فى « ورقة ورد » ؟

ويتضح من هذا أن الرافعى — رحمه الله — كان يبحث عن الشعر والفن فى الحب ، فالحب عنده وسيلة إلى تصوير عواطفه ، وتسجيل خواطره ، فلم يكن الرافعى يبحث عن الحب نفسه ، وإنما لغاية فيه .

على أن هذا لا يمنع أن يكون الرافعى قد أحب حباً صادقاً إحدى هؤلاء اللائى كتب عنهن ، فلا نحكم حينئذ جملة بأن حب الرافعى كان مصنوعاً كله . ويؤيد هذا كلمة قالها الأستاذ العريان فى (حياة الرافعى) : « . . . وسعى إلى الحب أول ما سعى على رجليه ، منطلقاً بإرادته ليبحث فى الحب عن ينبوع الشعر ، فلما بلغ أغلق الباب دونه ، فظل يرسف فى أغلاله سنين لا يستطيع الفكاك من أسر الحب » ..

وإذن فقد أحب الرافعى ، وظل يرسف فى أغلال الحب سنين طويلة .. فلا يمكن بعد هـذا أن يقال إن كل ما كتبه الرافعى فى فلسفة الحب والجمال شعراً أم نثراً غير صادر عن عاطفة صادقة وحب خالص .

ولا حاجة بنا أيضاً إلى سؤال تلاميذ الرافعى أو غيرهم عن توفر (الصدق الفنى) فيما كتب أم عدم توفره .

حسن صادق حميدان

القصص

الأعـــوذج

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

ترجمة الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

كانت بلدة (أترات) الهلالية الشكل ذات الجرف الأبيض ، والبحر الأزرق والرمل الذهبي ، تنام في هدوء تحت شمس شهر يوليو المشرقة ، وقد برز على طرفي الهلال قوسان من الصخور مدليان على الماء الساكن ، أصغرهما واقع إلى الشمال كأنه قدم قزم ، وأكبرهما إلى الجنوب كأنه ساق عملاق .

واحتشد الناس على طول الساحل راقدين على الرمل يتأملون المستحمين ، وازدحمت شرفة (الكازينو) بالقاعدين أو السائرين المتنزهين ، فبدت ملابس السيدات المزركشة ومظلاتهن الحريرية الوشاة كأنها حقل منسق الزهور . وابتعد البعض عند آخر الشرفة يتجول هنا وهناك ويتمتع بالطقس الهادىء اللطيف بعيداً عن ثرثرة البعض الآخر .

ومشى جان سمر الرسام الشاب المعروف بجانب مقعد متحرك يدفعه الخادم ، جلست عليه زوجه المقعدة تحدق في حزن إلى صفاء السماء تارة ، وإلى الحشد المبتهج الجالس تحت الشمس الزاهية تارة أخرى . كانا صامتين لا ينظر أحدهما إلى الآخر .

وأخيراً قالت السيدة إلى زوجها — دعنا نقف هنا لحظة .

فوقف وجلس الرسام على مقعد صغيراً استحضره له الخادم . كان كل من مر عليهما ويراهما صامتين ينظر إليهما نظرة أشفاق . كانوا يعرفون قصة غرامهما ، تلك التي أصبحت أسطورة البلدة . لقد عقد عليها الرسام على الرغم من عاهتها .

وجلس على مسافة غير بعيدة منهما رجلان يتحدثان ويتطلعان إلى البحر ، وتابع أحدهما حديثه قائلاً كلا ، هذا غير صحيح . إني أعرف جان سمر جيداً .

— إذا لماذا تزوجها ؟ لقد كانت مقعدة عندما عقد عليها أليس كذلك ؟

— أجل ، أنها الحقيقة . لقد تزوجها ... حسناً ... تزوجها كأي رجل تزوج ، لأنه كان مجنوناً .

— ولكن لابد وأن هناك سبباً آخر .

— سبب آخر يا صديقي ؟ ! لا يوجد هناك سبب آخر . إن الرجل مجنون لأنه مجنون . أنت تعرف أن الرسامين مشهورون بالغريب من الزواج . إنهم غالباً ما يتزوجون الفتيات اللاتي يرسمونهن ، وقد كن قبل الزواج خليلات لغيرهم من الرجال . أنهن سلع قديمة بمعنى الكلمة !

لماذا يتزوجونهن ؟ سؤال لا يستطيع أحد أن يجيب عليه إجابة شافية . وقد يظن المرء أن الاختلاط الدائم بهن يجعلهم يعافون مثل هذا النوع من النساء . ولكنه ظن غير صحيح . فانهم بعد أن يرسمونهن يتزوجونهن . حبذا لو قرأت كتاب «زوجات الفنانين» لألفونس دوديه إنه كتاب ثمين واقعي قاسي النقد

إن زواج هذين الاثنين قد حدث بطريقة محزنة غير مألوفة . وفي الحق ، لقد مثلت الفتاة مهزلة أو قل مأساة ، وقامرت بكل شيء في ضربة واحدة . هل كانت تحب جان ؟ لا يستطيع أحد أن يتكهن بذلك في مثل هذه الحالات . من ذا الذي يستطيع أن يتحدث عن مقدار عنصر القسوة ، ومدى عنصر الاخلاص اللذين يدخلان في أعمال المرأة ؟ إنهن دائماً لغز لا يستطيع الرجل حله . فنحن طالما نسأل أنفسنا . هل هن مخلصات ، أم هن يمثلن علينا دوراً ؟ يا رفيقي العزيز ، إنهن مخلصات وغير مخلصات لأن ذلك جزء من طبيعتهن . فكر في الوسائل التي يتخذها أمهرهن للحصول على كل ما يرغبنه منا . أنها وسائل معقدة وبسيطة في آن واحد . معقدة حتى أننا لا نستطيع أن نستنتجها ، وبسيطة لأننا بعد ما نقع في الشرك لا نملك إلا أن نتعجب دهشة ونسأل أنفسنا « حسناً ... هل هن حقيقة خدعننا بمثل هذه السهولة ؟ وهن دائماً يسلكن الطريق الذي رسمنه لأنفسهن . خصوصاً عند ما يرغبن في الزواج . على أية حال إليك قصة سمر .

« كانت الفتاة انموذجاً عنده . وكانت حسناء ساحرة ذات جمال فتان . ووقع الرسام فى شراك حبها كأى رجل يقع فى حب فتاة جذابة كثيرة التردد عليه . وخيل إليـه أنه يحبها حقيقة . إن تلك ظاهرة عجيبة . فإنه حالماً يرغب رجل فى امرأة يقتنع فى قرارة نفســه اقتناعاً تاماً أنه لا يستطيع من بعدها عيشاً . ولـكن الرسام كان يدرك تمام الادراك أن ما حدث قد حدث له من قبل ، وأنه عندما تشبع الرغبة يعقبها التقزز . وكان يعرف أنه لـكى يقضى سنى حياته مع مخلوق بشرى آخر ، فإنها ليست العاطفة الحيوانية البدائية الزائلة هى ما يحتاج إليه ، وإنما التشابه الروحى والتآلف فى الشعور والطباع ، وأنه يجب عليه أن يكون قادراً على التمييز — وسط الجاذبية التى تؤثر عليه — فيما إذا كان ذلك الانجذاب نتيجة عوامل طبيعية محضـة ، أو هو نوع من الخيال ، أو نتيجة اتحاد روحى متين .

ومع ذلك فقد ظن الرسام أنه يحبها ، وتعهد مئات المرات وأقسم على الاخلاص لها وألا ينظر إلى امرأة غيرها وكانت فى الحق رشيقة ؛ رشـاقة فتيات باريس . وكانت تثرثر وتتحدث بعبارات جنونية فى صور مسلية . وتومئ إليه بحركات جذابة ؛ وتقف أمامه وقفات فاتنة تسر كل فنان .

ولم يدرك جان مدة ثلاثة أشهر بأنها فى قرارة نفسها لا تختلف عن أية فتاة أخرى من طرازها . بل استأجر لها داراً فى (أندرس) لقضاء فصل الصيف . وكنت هناك ذات مساء عنـد ما ابتدأت أولى الشـكوك تفرض نفسها فرضاً على نفس صديقى . كانت ليلة بديعة ، فقررنا التنزه على ضفة النهر . وكان القمر يرقص على صفحة الماء المتألق ، فتتلألأ صورته بتأثير تيار الماء الجارى .

كنا نسير على طول الضفة ، وقد تملـكنا شعور مبهم من السعادة ، تلك السعادة التى كثيراً ما تغمرنا فى مثل ذلك المساء الـكامل . وشعرنا بأننا نستعرض منظراً ساحراً ، وبأننا وقعنا فى حب متساوى مع ما صورته لنا مخيلتنا الشاعرية . كنا ندرك فى عجب هذه الأحاسيس الغريبة المثيرة . وسرنا صامتين متأثرين من هذا الهدوء وبهجة هـذه الليلة . وظهر القمر كأن ضوءه يخترق ذاتنا ؛ يخترق الجسد فيغرق الروح فى حمام شـذى من الرضا . وفجأة انفلتت من جوزفين — وكان هذا اسم الفتاة — صـيحة وهى تقول — هل رأيت السمكة الـكبيرة وهى تقفز هناك ؟

فأجاب الرسام دون أن ينظر إليها أو يعى كلماتها — نعم يا عزيزتى .

ففقدت هدوءها وقالت : كلا إنك لم ترها ؛ فأنت تستدبرها

فابتسم وقال : إنك على حق . إن المساء من الجمال حتى لا أستطيع أن أفـكر إلا فيه .

فلم تفه بكلمة فترة من الزمن ، ثم قالت أخيراً وكأنها شعرت بأنها فى حاجة إلى الـكلام — ألن نذهب غداً إلى باريس ؟

— لست أدرى .

فقطبت قائلة — هل تعتبر ذهابك إلى نزهة دون أن نتحدث نوعاً من التسلية ؟ حتى الأغبياء يتحدثون !

فلم يجبها . ثم أدركت ببديهة المرأة المتمردة أنها أثارته ، فطفقت تغنى أغنية شائعة . فتمتم قائلاً — أصمتى أرجوك .

فردت فى حنق — ولماذا أصمت ؟

فأجاب — إنك تفسدين علينا لذة التمتع بجمال الليلة .

ثم حدث ما لا يستطاع تجنبه فى مثل هذه الظروف ، ذلك المنظر الـكريه . ابتداء بتوبيخات أعقبتها اتهامات ثم بكاء . وأخيراً عادا إلى الدار وتركها تصيح دون أن يقاطعها .

وظل ثلاثة أشهر يناضل فى يأس فى سبيل الفكاك من الأغلال التى كانت تقيده بها . وكانت قد استغلت عاطفتها المسيطرة عليه لتجعل من حياته بؤساً وجحيما ... ولذلك كانا يتشاجران ليل نهار .. وأخيراً قرر أن يضع حداً لـكل ذلك ويهرب .. فباع لوحاته واقترض مالاً وتركه وخطاب وداع على حافة المـدفأه ، ثم التجأ إلى منزلى .

وقبيل الساعة السادسـة بعد الظهر قرع الجرس فذهبت وفتحت الباب .. فبدا لى وجـه امرأة تحتنى جانبا ثم اقتحمت طريقها إلى مرسمى . كانت جوزفين . وهب الرسام واقفاً عند ما دلفت إلى الغرفة وألقت برسالته والنقود تحت قدميه فى اشمئزاز ظاهر ، ثم صاحت فى جفاء — إليك نقودك . لست فى حاجة إليها .

كانت ترتجف وقد شحب لونهـا وهى فى حالة تدفعها إلى

ارتكاب أى شىء . أما الرسام فكان منفعلا شاحب الوجه غيظاً وكمدا . فسألها — ما الذى تريدينه ؟

فأجابت — إنى لا أود أن تعاملنى كعاهرة . لقد أردتنى فاستجبت لرغبتك . ولم أطلب منك شيئاً . إنك لا تستطيع أن تنبذنى .

فضرب الأرض بقدمه وقال — كلا .. إن هذا لكثير . إذا كنت تعتقدين أن . .

فأمسكت بذراعه وقلت له — لا تقل شيئاً ياجان . دع الأمر لى .

وجعلت أتحدث معها فى لباقة ، واستعملت كل ما وعاه عقلى من مناقشة خليقة بهذا الموقف ، فأصغت إلىّ دون أن تتحرك وهى تحدق أمامها صامتة عنيدة . أخيراً بعد أن قلت كل ما استطعت قوله ، وبعد أن أيقنت أنه لا توجد ذرة من الأمل فى السلام ، فكرت فى إطلاق آخر سهم من جعبتى فقلت :

— إنه لا يزال يحبك يا عزيزتى . ولكن عائلته ترغب أن تزوجه . أنت تعرفين ما أعنى .

فاضطربت وقالت — آه ... لقد بدأت أدرك الآن .

ثم التفتت إليه وقالت — إنك ... إنك ستتزوج ؟ فأجاب فى شراسة — نعم .

وتقدمت خطوة نحوه ثم قالت — إذا تزوجت سأقتل نفسى . أتفهم ذلك ؟

فهز كتفيه وقال — حسناً ... أقتلى نفسك .

— أتقول ... أتقول ... أعد ذلك مرة أخرى .

فردد قائلا — حسناً ... أقتلى نفسك إن أردت .

فقالت وقد ازداد شحوب وجهها — لا تعتقد أنى لا أعنى ما أقوله . سألقى بنفسى من هذه النافذة . فجعل يضحك ، ثم ذهب إلى النافذة ، وفتحها . وأخيراً انحنى لها فى احترام قائلاً فى أدب ساخر — من هذا الطريق ... بعدك يا سيدتى .

فنظرت إليه هنيهة وقد ظهر وميض من الجنون فى عينيها . ثم ... ثم أسرعت كأنها فى سبيل اجتيازها سياج حقل ، وانطلقت أمامنا ، ثم تخطت حاجز الشرفة ، واختفت عن أنظارنا .

لن أنسى ماحييت تأثير تلك النافذة المفتوحة ، عند ما شاهدت الفتاة تسقط أمامى . وتراجعت بدون وعى إلى الخلف خشية أن انظر إلى أسفل ، كأنى سأسقط أنا الآخر . ووقف جان دون حراك ينظر فى ذهول .

وحملت الفتاة مكسورة الساقين ، وأصبحت عاجزة عن السير بعد ذلك . وجن عشيقها تحت تأنيب ضميره . وكأنه شعر بأنه مسئول عما حدث ، فعاد إليها وتزوجها .

... هذه هى القصة بحذافيرها يا صديقى »

كانت الشمس على وشك المغيب ، وشعرت الفتاة ببرودة الجو ، فرغبت فى العودة إلى الدار . وابتدأ الخادم يدفع المقعد صوب البلدة . وسار الرسام بجانب زوجه بعد أن مكثا ساعتين دون أن يفوه أحدهم بكلمة .

(الإسكندرية) **محمد فهمى عبد الوهاب**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٨ — الاثنين ١٨ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٩٨ — الاثنين ١٨ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 798

Lundi — 18 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٧ — ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

تشـــبه ... وشفاعة !

للأســـتاذ نقولا الحداد

دهش العالم العربي في الشهر الماضي من حكم محكمة الجنايات العراقية على المليوني اليهودي شفيق عدس بالموت ثم بغرامة خمسة ملايين دينار (جنيه) . وكانت الجريمة أن هـذا العراقي الذي اكتسب هـذه الملايين من العراقيين بالأحابيل المالية المعروفة عند اليهود كان يشتري من مخلفات الجيش الآلات والأدوات الحربية من دبابات ومركبات مصفحة ومدافع وطائرات الخ ، ثم يفككها ويشحنها إلى إيطاليا بوصفها حدايد « خردة » ومن هناك ترسل إلى تل أبيب ، ثم يعيد الصهيونيون تركيبها كما كانت!

بهذه الحيلة الخبيثة اكتسب الصهيونيون في فلسطين قدراً كبيراً من السلاح الذي كانوا يحاربون به العرب ، ومنهم العراقيون ، فكأن المال العراقي كان يسفك الدم العراقي !

وكيف تكون الخيانة العظمى غير هذا ؟

وقصاص الخيانة العظمى الموت !

ومنذ عهـد موسى إلى اليوم كان اليهود يعتبرون كل عمل لا يقبله شعب الله المختار خيانة عظمى يستحق فاعله الموت بوضعه في القائط المغلي . كذا ورد في التلمود الأصلي . أما حكومة العراق فاكتفت بالشنق !

ذلك ما فعلته حكومة العراق في أحد الخونة من رعاياها ... فما ذا فعلت سائر الحكومات العربية الأخرى ؟ أليس عندها خونة من اليهود الذين جمعوا الثروات الطائلة في جميع البلاد العربية ؟ لو تيسر لنا إحصاء ثروات البلاد العربية لوجدنا ثلاثة أرباعها لليهود ، واليهود أقلية في البلاد قد يناهزون الواحد في الألف ، ثم إذا تحققنا من مصير هذه الثروات وجدنا جانباً منها قد تسرب إلى تل أبيب لكي ينفق في محاربة أولاد نا وناسنا ، أليست هذه خيانة عظمى ؟ دعك من الحكم بالإعدام في مغلى القائط

لا نطلب حكماً بالإعدام على من يستحقون الإعدام فذلك شأن القانون ، إنما نطالب بجريد اليهود من المقدار الأكبر من هذه الثروات التي استنزفت من البلاد ، نطلبها لكي نعول بها إخواننا الفلسطينيين الذين شردتهم الأسلحة المقتناة بأموال اليهود المختلسة من البلاد !

إن أكثر من نصف مليون عربي فلسطيني طردهم اليهود طرداً من بلادهم وشردوهم شرقاً وجنوباً وشمالا ، ونهبوا أموالهم وغلالهم وحوانيتهم واحتلوا بيوتهم ونسفوا بعضها ... فكم يساوى هذا الذي اغتصبه اليهود ؟ ألا يساوي على الأقل ٥٠ مليون جنيه ؟

أفيعد ظلماً أن تسترد هذه الملايين من أغنياء اليهود المقيمين في البلاد العربية وهم يستنزفون أموالها ، قبل أن يقدموها هدايا سخية لدولة إزرائيل الملفقة ؟ أليس حقاً أن يمون بها هؤلاء المشردون ريثما تتيسر لهم العودة إلى بلادهم آمنين !

من مهازل بعض اللبنانيين أنهم يقترحون على المطران مبارك

معاهد العلم فى عصر الحروب الصليبية :

الجامع الأزهر
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

الجامع الأزهر أول مساجد القاهرة ، أنشأه جوهر الصقلى بأمر المعز لدين الله أول خلفاء الفاطميين فى مصر وتم بناؤه سنة ٣٦١ﻫ ، ومنذ ذلك الحين ظفر الأزهر بعناية الفاطميين جيلا بعد جيل .

وكانت الغاية الأولى من تشييده إقامة الصلاة فيه ، ولكن لم يمض على إنشائه وقت قصير حتى سأل الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ؛ وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا ، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة يخلع عليهم فى عيد الفطر

صار الأزهر منذ ذلك التاريخ من أهم مواطن الثقافة فى مصر ، ولكن التعليم قد اصطبغ فيه ولا ريب — بالصبغة المذهبية ؛ فكان الفقه يدرس فيه على مذهب الشيعة ، وتقرأ فيه كتب هذا المذهب ، من مثل كتاب الاقتصار الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت ، وكتاب دعائم الإسلام ، وكتاب الأخبار فى فضل الأئمة الأبرار له أيضاً ، كما كانت تقرأ فيه الرسالة الوزيرية ، وهى كتاب الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية ، وأفتى الناس بما فيه .

كانت الصبغة الدينية هى الغالبة على الأزهر ، أما العلوم الفلسفية فقد نهضت بها دار الحكمة ، وإن كان يبدو أن هذه العلوم أيضاً كانت تدرس بالأزهر فى حدود ضيقة ؛ فقد كان الدعاة وهم أساتذة دار الحكمة يجلسون للتدريس فى الجامع الأزهر أحياناً كثيرة ، وكان داعى الدعاة يدرس فيه درساً خاصاً للنساء .

الذى نفى بسبب مهازله السياسية ، ثم غفر له قداسة البابا فعاد إلى ميدانه ، يقترحون عليه أن يشفع عند اليهود للعرب اللاجئين لكى يسمحوا لهم أن يعودوا إلى بلادهم . ذلك لأن مساعى المطران جورج الحكيم ، مطران فلسطين ، لإغاثة اللاجئين لا تعجبهم ؛ فسألنا أحد هؤلاء المقترحين : ولماذا تطلبون شفاعة المطران مبارك ؟ فأجاب لأن للبنانيين أصدقاء اليهود فهم يقبلون شفاعتهم ويراعون خاطرهم !

ما شاء الله ! ألى هنا وصلنا ؟ نطلب وساطة مطران اليهود لدى اليهود لينعموا على العرب ببيوتهم !

من قال للمطران مبارك وللمقترحين الشفاعة عليه أن العرب يقبلون هذه الصدقة منهم ؟!

سيعود العرب — بقوة الله — إلى بلادهم مرفوعى الرأس مرهوبى الجانب عند ما تنكسر شوكة الطغاة الأراذل !

كنا نظن أن أصدقاء اليهود فى لبنان يقترحون على المطران مبارك أن يجمع الإعانات للاجئين إذا كان له نفوذ بين شعبه . وإذا كانت له هذه المكانة عند اليهود ، فلينقذ القرى اللبنانية التى غزاها اليهود وطردوا أهلها منها . أليست هذه القرى فى دائرة إرشيته ؟!

وهل يستطيع المطران مبارك أن يدفع الذئاب من اليهود عن العرب لو أتيح له أن يعيدهم إلى بلادهم . لماذا « طفشوا » ؟ أليس لأن أطفالهم ونساءهم العزل لا يستطيعون أن يقاوموا ذئاباً . فماذا أعد لحمايتهم من هؤلاء الذئاب ؟!

إن من البلايا التى نزلت بفلسطين أن بعض أثرياء اللبنانيين كانوا سببها ، لأنهم باعوا لليهود أملاكهم التى فى فلسطين ، فوجد الصهيونيون رحاباً فسيحة يزرعون فيها مستعمراتهم ، ويمدون منها أيديهم وأرجلهم إلى ماحولهم ، حتى يطغوا فى المستقبل على لبنان ، ويومئذ يصبح المطران مبارك حاخاماً لا مطراناً — فليهنأ هو وقومه حينذاك !

فإذا ذكرت نكبة فلسطين ، وذكرت إغاثة أهلها ، فليخرس الجانب الصهيونى من اللبنانيين !

حسبهم خزياً أنهم لم يفعلوا شيئاً فى حرب اليهود ، ولم يحموا بعض القرى اللبنانية منهم !

نقولا الحداد

ولست أدرى إن كان غير مذهب الشيعة الإسماعيلية فى الفقه وغيره قد وجد سبيله إلى الأزهر فى الأوقات التى كانت تضعف فيها حدة الدعوة الإسماعيلية كما حدث فى عهد الأفضل الإمامى المتسامح وزير الآمر، والعادل بن السلار السنى وزير الظافر.

غير أنه مما لا شك فيه أن مذهب الشيعة قد اختفى تدريسه من الأزهر يوم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية، وأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، ذلك أنه قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس، وهو شافعى، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد؛ فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع. والظاهر أن ذلك لم يكن إلا تبريراً لما أراده صلاح الدين من إهمال أمر الأزهر وصرف عناية الناس عنه، لأنه أقدم موطن لنشر دعوة الشيعة فى البلاد، ولولا ذلك لأمكنه أن يجمع فيه مرة وفى الجامع الحاكمى أخرى، ولكن إهمال الأزهر كان خطة رسمها صلاح الدين وخلفاؤه من بعده، فأنشئوا المدارس المختلفة التى نافسته، وأقبل عليها المدرسون أكثر من إقبالهم على الأزهر، لكثرة ما تدره هذه المدارس على مدرسيها وطلبتها، ولما كانت تظفر به من رعاية أولى الأمر؛ ولكن التدريس لم ينقطع من الجامع الأزهر برغم انقطاع خطبة الجمعة فيه، وإهمال السلاطين أمره، وها هو ذا عبد اللطيف البغدادى يأتى إليه فى عصر العادل ويتردد عليه عشر سنين، مستمعاً إلى الأساتذة المحاضرين حيناً، وقائماً بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حيناً آخر.

وظل الجامع مهملاً من سلاطين الدولة، والجمعة فيه معطلة زهاء مائة عام إلى أن سكن بجواره الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى عهد بيبرس، فانتزع كثيراً من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة، وتبرع له، وأصلحه وأقام فيه منبراً، وأذن القاضى الحنفى بإعادة الخطبة فيه، فأعيدت يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٦٦٥ هـ، وعمل الأمير فيه مقصورة رتب فيها مدرساً وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى، ورتب محدثاً يسمع الحديث النبوى والرقائق، ورتب سبعة لقراءة القرآن، ووقف على ذلك أوقافاً دارّة تكفيه، ولم يلبث الأزهر أن ظفر بمكانة سامية يدل عليها أن الذى تولى أمر خطابته فى عهد المنصور قلاوون وابنه هو عبد الرحمن ابن بنت الأعز، قاضى قضاة الشافعية، ومن بعده كذلك محمد بن ابراهيم بن جماعة.

وذاع صيت الأزهر منذ ذلك الحين، وأصبح معهداً علمياً يؤمه الناس من كل فج، ولقى الأزهر من العناية الشيء الكثير، وزاد فى مجده أن غزوات المغول فى المشرق قضت على معاهد العلم فيه، وأن الإسلام أصابه فى المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهية.

وحفظ التاريخ من أسماء مدرسيه فى عصر الحروب الصليبية محمد بن بركات بن هلال الصوفى، أحد فضلاء المصريين وأعيانهم أخذ النحو والأدب عن أبى الحسن بن بابشاذ فأتقنهما، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار، ولكنه كان منحطاً فى الشعر، يقول السيوطى عنه: ليس له أحسن من هذين البيتين:

يا عنق الإبريق من فضة ... ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت وأقصيتنى ... تقدر أن تخرج من قلبى ؟!

والظاهر أنه كان مضيقاً عليه فى الرزق، يدلنا على ذلك ما روى من أنه وقف للأفضل شاهنشاه أمير الجيوش، وهو راكب فى الطريق فأنشده:

يا رحمة الله التى ... واسمها لم يضق
لم يبق إلا رمق ... فاستبق منى رمقى
وعن قليل لا أرى ... كأننى لم أخلق

فسأل الأفضل عنه، فقيل له هذا بحر العلم ابن بركات النحوى، فقال له الأفضل أنت شيخ معروف، وفضلك موصوف، وقد حملنا عنك الوقوف وأمر له بشىء. ويبدو أنه اتصل بالأفضل بعدئذ، وألف له كتاب الإيجاز فى معرفة ما فى القرآن من منسوخ وناسخ، ولعل هذا الكتاب وما ألفه فى النحو من تصانيف من بين ما قرأه فى الأزهر على طلبته. كما أنه وضع كتاباً فى خطط مصر أجاد فيه، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٠ وله مائة سنة وثلاثة أشهر.

ومنهم الحسن بن الخطير أبو على النعمان الفارسى المعروف بالظهير؛ وقد اشتغل زمناً طويلا بالتدريس فى الأزهر، روى عنه ياقوت أنه قال: أنا من ولد النعمان بن المنذر، ومولدى بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز، فتفقهت بها، فقيل

لى الفارسى، وأنتحل مذهب النعمان وأنتصر له فيما وافق اجتهادى.

قال ياقوت : وكان عالماً بفنون من العلم ، قارئاً بالعشر والشواذ ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه والفقه والخلاف والـكلام والمنطق والحساب والهيئـة والطب ، مبرزاً فى اللغـة والنحو والعروض والقوافى ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم . ومما ساعده على معرفة ذلك كله أنه كان يحفظ فى كل فن من هذه الفـنون كتاباً ، فـكان يحفظ فى التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء ، وفى فقـه الشافعى كتاب الوجيز للغزالى ، وفى فقـه أبى حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمـد بن الحسن الشيبانى ، نظم النسفى ، وفى الـكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستانى ، وفى اللغـة كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكان يسردها — كما قيل — كما يسرد القارئ الفاتحة ، وكان يحفظ فى النحو كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وفى العروض كتاب الصاحب بن عباد ، وكان يحفظ فى المنطق أرجوزة أبى على بن سينا ، وكان قيما بمعرفة قانون الطب له ، وكان عارفاً باللغة العبرية ويناظر أهلها بها ، وقد ظل يحفظ متون هذه العلوم مدة أربع عشرة سنة كان يكتبها ألواحاً ، ويحفظها كما يحفظ القرآن .

وكان الغالب عليه الأدب واللغة يجلس بين يديه شيخ الديار المصرية عثمان بن عيسى النحوى ، ويسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشى اللغـة . وفى مرة سأله عن كلمة منحوتة ، ففسرها له ، وأملاه كلمات على مثالها فى نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسمى ما أملاه كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب . وكان ابن سناء الملك يسأله عن كلمات من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواهدها . وقد كانت معرفته باللغة سبباً فى انتصاره على المجير البغدادى عند ما دخل خوزستان؛ فقد بدأ مناظرته إياه بألفاظ حوشية أحب المجير أن يستفسر عنها؛ وهنا انتهز النعمان هذه الفرصة فشنع عليه وقال : انظر إلى المدعى رتبة الإمامة يجهل لغـة العرب ... والمناظرة إنما اشتقت من النظير ، وليس هذا بنظيرى ، لجهله بأحد العلوم التى يلزم المجتهد القيام بها . وكثر لغط أهل المجلس وانفض ، « وشاع فى الناس أنى قطعته » .

وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة ، فأغراه العزيز عثمان ابن صلاح الدين بالحضور معـه إلى القاهرة ، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً أو مائة رطل خبزاً ، وخروفاً وشمعة كل يوم ومال إليه الناس والعلماء ، وصـار له سوق قائمة ، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين شهاب الدين الطوسى ، ولـكن الطوسى فى يوم عيد انتهز كلمة مجاملة قالها الظهير للعزيز فى أثناء الـكلام ، ولم يبرر الطوسى النطق بها فأصماه ، وانكسرت حرمته عند العزيز ، وشاعت القصة بين العوام ، وانتهى أمره بأن انضوى إلى المدرسة التى أنشأها تركون الأسدى يدرس بها مذهب أبى حنيفة إلى أن مات سنة ٥٩٨ .

وكان قد أملى كتاباً فى تفسير القرآن وصل فيه إلى تفسير قوله تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . فى نحو مائتى ورقة ، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة . وله كتاب فى شرح الصحيحين ، اختصره من كتاب الإفصاح فى تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة ، وزاد عليها أشياء وقع اختياره عليها ، وكتاب فى اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ولم يتمه ، وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحواشيها .

ومن أساتذة الأزهر يومئذ نصر بن محمود الظفر الأديب النحوى اللغوى ، قرأ الأدب على ابن الخشاب والـكمال الأنبارى ، وسمع بمصر من البوصيرى ، ولعله قرأ بالأزهر رسالته فى الضاد والظاء ، ومات سنة ٦٣٠ .

وممن تصـدر للاقراء فيه شيخ الإقراء بالديار المصرية على ابن يوسف الشطنوفى المولود بالقاهرة سنة ٦٤٧ ، وقد تكاثر عليه الطلبة وكان الناس يكرمونه ، وينسبونه إلى الصلاح ويحمدون سيرته ، وانتفع به جماعة فى القراءة ، كما كان ممدوداً من النحاة ، وله اليد الطولى فى علم التفسير ، أملى فيه تعليقاً على طلبته ، وكان أستاذه الروحى عبد القادر الجيلى ، جمع أخباره ومناقبه فى ثلاثة مجلدات ، وسمى كتابه البهجة ، ولشدة إعجابه به دون كل ما سمعه عنه ولو كان الراوى غير أهل للثقة ، فدخل فى الـكتاب حـكايات كثيرة مـكذوبة . وقد ولى الشطنوفى أيضاً تدريس التفسير بالجامع الطولونى والإقراء بجامع الحاكم ، ومات بالقاهرة سنة ٧١٣ .

ومن أعلام الصوفية الذين جلسوا بالجامع الأزهر ، وتحدثوا بعبادتهم فيه يومئـذ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى المتوفى سنة ٧٠٩ ، كما كان يقيم عمر بن الفارض الشاعر الصوفى المشهور

(حلوان الحمامات) **أحمد أحمد بدوى**

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

٣ — الاتجاهات الحديثة فى الإسلام :

القـــانون والمجتمع (*)

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

... كان هناك من الجهة الأخرى حق واحد — كان التشريع الاجتماعى فى الإسلام حازما فيه ومشدداً ، هو حق العلاقات الشخصية التى تشتمل على الزواج والطلاق والإرث . وليس السبب فى هذا الحزم أن هذه العلاقات عامة يمتد تأثيرها إلى كل فرد فى المجتمع فقط ، بل أيضاً لأن تنظيماتها الأساسية واضحة فى القرآن . وليس هناك — كما رأينا — مسلمون — إلا قليلا — يرغبون فى الجدل فى أن القرآن هو الكلام الحقيقى لله . ولئن كانت الثغرة التى بين الاعتقاد فى ضرورة التغير ، وبين التغيير الحقيقى فى القانون ، لا يمكن وصلها بسهولة وسرعة فى أى نظام ، فإنها ستتأثر قطعاً بالثورة ؛ كما قد حدث فى تركيا . ولذلك نجد فى كل دولة إسلامية — ما خلا تركيا — أن القانون الفردى للمسلمين لا تنفذه المحاكم الأهلية ، وإنما تنفذه المحاكم الدينية أو الشرعية . بل كان لكل طائفة من الطوائف الدينية المختلفة محاكم تنفذ قوانينهم ، طبقاً لنظامهم الرعية فى تقاليدهم الدينية (١) .

وفى الحق أن ميدان العلاقات الشخصية هذا ، هو الوحيد الذى طالب المجددون فيه بالإصلاح ، وقد بلغ الخلاف أشده بين الأحرار والمحافظين . فليس من شك فى أن الوعى الاجتماعى عند الطبقات المثقفة قد أيقظته المساوىء التى صحبت انتشار الطلاق وتعدد الزوجات . فهم قد تنبهوا إلى نتائج قانون الميراث فى القرآن وقانون الأوقاف والصدقات ...

ويصف القرآن فى تفصيل دقيق ، الأنصبة والنسب التى توزع بمقتضاها التركة بين الورثة والمستحقين فأعطى لمن يرث من النساء بوجه عام — نصف ما يخص زملاءهن من الورثة المذكور . وليس من الصعب أن نلمس مدى عدالة هذه القاعدة ، عندما تطبق على الملكية المنقولة (التى كانت الشكل البدائى للملكية فى بلاد العرب) بيد أنه حينما تطبق على الملكية الزراعية ، أو رأس المال فى الصناعة ، تكون النتائج وخيمة من الناحية الاقتصادية . فأوقاف الأسر الموزة وهباتها كانت سبباً فى التدهور الأخلاق والخسارة الاقتصادية . ولزمن مضى كانت هناك حركة جامحة فى مصر وبعض الأقطار الأخرى لوضع حد لها .

ومن السهل أن نفهم المصلح المسلم المخلص ونواسيه فى المأزق الذى قد يجد نفسه واقعاً فيه ؛ فليس هو معاديا لمجرد سلطان التراث الاجتماعى الذى مضى عليه أكثر من ألف عام من الحكم المطلق ، بل هو معاد كذلك للمعارضة الطبيعية للرجل العادى ، فى التنازل عما يتمتع به من امتيازات . ثم إن عليه — بعد ذلك — أن يواجه الحقيقة ، وهى أن هذه التقاليد والعادات الاجتماعية فى حاجة إلى أن تغذيها نصوص واضحة مباشرة من القرآن . وهذه الصعوبة ليس لها نفس الأهمية عند غير المتدين ، على الرغم من أن المدنيين من غير رجال الدين يلقون نصباً فى متنهم الجدل الدينى ، لدرجة أن الإنسان لا يستطيع أن يتأكد دائماً من أن كتاباً أو مقالة عن « المسألة النسائية » فى الإسلام ، هى من وضع عالم دنيوى أو مصلح حديث !

وليس من شك فى أن الأمثلة على الجدل الدنيوى يمكن أن نجدها فى الأدب التركى الحديث ، وفى الأدب الهندى أيضاً ؛ ولكن الشك فى مدى ما تظهره هذه الأمثلة من رأى إسلامى عام — إلا فى تركيا . وإنه لعلى جانب كبير من الأهمية هنا أن ننظر فى بعض السبل التى اتبعها المصلحون المسلمون لمواجهة المشكلات .

ففى قصيدة من أشهر القصائد التى نقلها إقبال نادى الشاعر الاجتماعى التركى ، زياجوك ألب (المتوفى سنة ١٩٢٤) بوجوب الاعتراف بالمساواة الشرعية للنساء :

هنالك المرأة ؛ أمى ، وأختى ، وابنتى .

إنها هى التى تناجى العواطف المقدسة من أعماق نفسى .

(*) عطفا على ما نشر بالعدد ٧٩٣ من الرسالة الغراء .

(المترجم)

(١) حذفت مناقشات الاقتراحات الخاصة بإصلاح المحاكم الشرعية .

هنالك محبوبتى ؛ شمسى وقمرى ونجمى .

إنها هى التى تعلمنى كيف أفهم شعر الحياة !

كيف استطاع القانون السماوى أن يحط من قدر هذه المخلوقات الجميلة ؟

لعمرى إن المتعلمين قد أخطأوا فى تفسير القرآن :

أساس الأمة والدولة هو الأسرة .

وما دامت المرأة من غير اعتبار تبقى حياة الأمة ناقصة غير كاملة .

إن الأسرة يجب أن ترعاها العدالة .

لذلك كانت المساواة ضرورية فى ثلاثة ؛ فى الطلاق والانفصال وفى الوراثة !

وما دامت المرأة معدودة نصف الرجل فى الميراث ،

وربع الرجل فى الزواج ، فما أبعد الأسرة والأمة عن الرقى والعلا ... !

* * *

على أن زياجوك ألب لم يقنع باحتجاجاته الشعرية ، فقد أخذ على عاتقه — كاجتماعى — أن يستنبط مبادىء تفسير القانون ، من جديد . ولهذا الغرض نجده قد ميز بين العوامل « الآلهية » والعوامل « الاجتماعية » فى الشريعة . فالعوامل « الاجتماعية » فى رأيه ، لم تكن مؤسسة على نصوص واضحة ، بل كان أساسها « العرف » . وهذه الكلمة — التى تعنى القانون التقليدى فى عرف العلماء — عرفها هو بأنها « القرارات القيمة للناس أو الجماعة . وعلى ذلك فقد كان القانون الشخصى عرضة للتعديل ، بأية وسيلة يطالب بها « الرأى الجمى » أو « الشعور الوطنى » . وعلى كل حال فمن الواضح أن هـذه المحاولة لبسط الاختلافات ذاتية خالصة ، وأن وضع القانون التقليدى على قدم المساواة مع القانون السائر — ولو اعتبر خلاصة للتجارب التاريخية — يتعارض مع أسس الفكر الإسلامى[1] .

(١) ذهب العلماء إلى حد القول بأن هذا العرف يهتم به إذا لم يكن مخالفا لنص أو إشارة بمن القرآن أو السنة النبوية . وتوجد مناقشة شبيهة بمناقشة زياجوك هذه — على نطاق واسع — قدمها : جلال نورى بك ، فى « اتحاد الإسلام » (استنبول ١٩١٣) والترجمة العربية : القاهرة ١٩٢٠ ، ص ٤٢ وما بعدها .

• تجد الرأى الأزهرى فى نور الإسلام : س١ ص ٥٣٤ — ٤٠ .

ولست أعرف فى أية كتابات المجددين العرب الذين نقلت عنهم ، أسلوبا مشابها لهذا فى المناقشة .

ولقد ألح ممثلو الحركة النسائية العربية القديمة ، فى القضاء على نواحى الضعف الاجتماعية — أكثر من القانونية . وكان الشاعر العراقى : جميل صدقى الزهاوى ، أحد الأبطال الأوائل الذين نقدوا عزلة النساء الاجتماعية ، وصرحوا مراراً وتكراراً بميول أعظم نبلاً نحوهن قال ما ترجمته :

إن المرأة والرجل سواسية فى الجدارة .

فعلموا المرأة ، لأن المرأة عنوان الحضارة ! .

وأعظم القصائد انتشاراً قصيدته : « السفور » :

إخلعى الحجاب يا ابنة العرب ! لأن الحجاب داء يفتك بالمجتمع .

كل شىء يسمو إلى التجديد ، فلماذا تظل هذه الأعجوبة جامدة !

لم ينادِ نبى بالحجاب بشكله هذا ، لا ، ولا فاهت به أية حكمة !

إنه جدير باللوم فى نظر القانون السماوى والطبيعة ، والذوق والعقل والضمير !

لقد ادعوا أن فى الحجاب وقاية ، بل كذبوا لأنه فى الحق يجلب العار !

لقد ادعوا أن التبرج مخل بالآداب ، بل كذبوا لأنه أفضل طهر ووقار !

ليس الحجاب هو الذى يرعى شرف الفتاة .

إنما يحرمها تربيتها ومشاركتها فى الثقافة !

فهذبوا عقول العذارى ، حتى تظل أجساد العذارى فى مأمن من الشرور والآثام[1] !

ومهما يكن من شىء ، فإن الزهاوى لم يفعل أكثر من

(١) اللباب : ٣٦،٢٣٥ widmer ,op Cit , p . p . 44 - 45

(المترجم)

اضطررنا فى نقل هـذا النظم إلى « ترجمة الترجمة » بدلا من النص العربى الأصلى ؛ إذ لم نحصل على ديوان اللباب الذى ذكره الأستاذ المؤلف . والموجود منه فى دار الكتب المصرية الجزء الأول فقط (١٩٠٨) وكان فى المقارة ! ومن الطريف أن الزهاوى — مع دعـوته للسفور وحمله على الحجاب — لم يأذن لزوجته أن تسفر .

راجع مقال الأستاذ رفائيل بطى عن « المرأة فى شعر الزهاوى » ، بالهلال عدد مارس سنة ١٩٤٧ .

التلميح والإشارة إلى قوانين الزواج والطلاق . وأعظم من ذلك . الكاتب الاجتماعي التونسي طاهر الحداد الذي نشر في عام ١٩٣٠ كتاباً عن « نساؤنا في الشرع وفي المجتمع » . وقد ذكر فيه أن قوانين القرآن وأصول التشريع الإسلامي لا ينبغي أن تعتبر نهائية ، وثابتة لا تتغير ، بل يجب أن ينظر إليها بعين التطور . ورأى أن روح الحضارة الإسلامية تتطلب عمليات مستمرة من هضم مميزاتها الخاصة للرقي الحضاري .

كما أن الأدب العربي الحديث في مصر -- في تصويره وتحليله للمشكلات الاجتماعية — قد دخل فيه نقد مفهوم ضمناً للعقبات القانونية التي تقف في سبيل المساواة التامة للنساء . وكان من بين الاقتراحات الأولى التي حيرت وزارة الشئون الاجتماعية الجديدة — التي أنشئت في مصر عام ١٩٤٩ — تقييد تعدد الزوجات ، وتحديد حالات الطلاق . ولكن على الرغم من أن الحلول التي وضعتها الوزارة لم تشتمل على أكثر من جزء معقول من الإصلاحات التي يرغب فيها الرأي العام المثقف ؛ فإنها قد تسببت في ظهور شكوى ممثلي الرأي العام في الأزهر ، من أنها كانت تناقض الشريعة ، وأن الأجدر بالوزارة أن تنتبه إلى سباق الخيل والميسر وسائر المساوىء الاجتماعية الأخرى التي نهى عنها القرآن والسنة .

إن المجدد الحقيقي لا يمكنه أن يتخلص من مأزقه ، بتشتيته الشمل بسهولة ؛ إذ أن القرآن ينبغي أن يكون حقيقياً ونهائياً . ومع ذلك فليس من السهل أن نشعر بوجود شيء من الخطأ في السلوك الاجتماعي السائد بين المسلمين . ثم إن مما يجرح شعوره كمسلم ، أو يخدش كرامته كرجل ، أن يرى أن الشيء الوحيد الذي يعرفه رجل الغرب العادي عن الإسلام ، هو أن المسلم قد يكون له أربع زوجات ! ويزيد آلامه استفادة إرساليات التبشير من مشكلاته . فليس لديه سوى مخرج واحد ؛ فإن المثل العليا في الإسلام لا تقع في أي طريق من المستويات العليا ، وعلى ذلك فلا بد أن علماء القرون الوسطى قد حادوا عن الروح الحقيقية للقرآن والإسلام .

وهذه الأخطاء يجب أن يقتفي آثارها إلى منابعها ، ويشك فيها . وعندما تصبح واضحة فإن تعاليم القرآن والسنة ، ستظهر عدالة هذه القواعد تجاه الرجال والنساء . وستعني هذه التعاليم — قبل كل شيء — باتجاهات العامة ، وتحدد ما يجب أن يكون عليه روح التفكير في القانون وتنفيذه . وهذه الروح — فيما يتعلق بالنساء — لا يمكن أن تكون سوى جزء من المواساة الإنسانية ، واحترام الشخصية ، واجتهاد لدفع المساوىء التي خلقتها طبيعة المجتمع القاسية الناشئة .

وبعد فهم هذا الاتجاه ومعرفة قيمته وهضمه تماماً ، فإن التشريع القرآني سيفهم على وجهه الصحيح . ويرى المجدد أنه عندما يحدث كل هذا ، فإن موقف المسلمين تجاه المرأة ، ونظرتهم إلى شخصيتهم ومركزهم الاجتماعي ، والتشريعات الخاصة بحمايتهم ، كل هذه ستكون أعظم وأكثر سماحة في نوعها ، بل إنها تفوق مثيلاتها في سائر الأديان .

إذن فهذا هو العمل أمام المجدد . ويجب أن نكرر القول بأن أول أعمال المجدد المعارض هو إعادة مجد العقيدة في الإسلام ، بين المسلمين الجاحدين ؛ وذلك بإثبات أبهى محاسن دينهم بجلاء . ثم إقناع المسلمين المتأخرين (الطراز القديم) بأنهم بمحافظتهم الاجتماعية ، وتمسكهم بنصوص القانون الحرفية ، إنما يطفئون النور ! وإلى جانب ذلك لا يستطيع المجدد أن يقاوم الفرصة للقضاء على الابتسام الكاذب في وجه المبشر ، بمهاجمة التقاليد الجنسية في المسيحية ، واختيار أمثلة مؤلمة التاريخ والدستور الاجتماعي للعالم المسيحي . وعلى ذلك ففي مناقشة المسائل الدينية قلما يختلف المعارضون والمخالفون . وليس عجيباً أن المسلمين الذين يعرفون الغرب عن طريق الحياة في المدن الكبرى ، والأفلام والقصص والمجلات ؛ إن هؤلاء المسلمين ينظرون بازدراء إلى المستويات والتقاليد الجنسية في المجتمع الغربي .

(يتبع) محمد محمد علي

(الرسالة) نلاحظ على المترجم الفاضل أنه يؤثر الترجمة الحرفية ، ولا يستعمل المصطلحات الفقهية ، لذلك يغلب على أسلوب ترجمته الضعف ، وعلى معانيها الغموض .

من صميم القلب :

لك الله أيها العربى ! ...

للاستاذ صبحى ابراهيم الصالح

لك الله أيها العربى ! كم ثارت فى وجهك الشدائد فصمدت لها فى بطولة ، واعترضت طريقك العقبات فذللتها برجولة ! وكم أتى الدهر بنيانك من القواعد فاستأنفت البناء ، وداهمت حياتك النائبات فصبرت على القضاء !

لك الله ما أفقر دنياك وأغنى قناعتك ، وما أقسى عيشك وأسمى غايتك ، وما أبخل زمانك وأسخى راحتك !

أنت للفقر تدافعه ، وللبؤس تصارعه !

أنت للضعف تغالبه ، وللذل تحاربه !

أنت للعدو تجاهده ، وللدهر تعانده !

أنت لوزرائك تدينهم على التكاسل ، ولزعمائك تحاسبهم على التخاذل ، ولعلمائك تشكو ما هم فيه من تجاهل !

أنت لأغنيائك تألم من بخلهم ، ولفقرائك تبكى على ذلهم ، ولنفسك تتوجع على ما أصابها من حرمان ، وما تجرعت من كؤوس الهوان !

بل أنت للمصائب كلها ، وللخطوب جميعها ... فما أعظم ما تلقاه ، وما أقل حظك فى الحياة !

***

كأنى بفتن الدنيا تبحث عن محتمل لها فلا تظاهر إلا عليك ، وبمحن الزمان تنشد صابراً عليها فلا تتداعى إلا إليك ، فإذا عسف القوى يلقى الأشواك فى دربك ، وإذا ضعفك الموروث يدفن الاستغاثة فى قلبك !

فلك الله من شاك كظيم لا يجد سميعاً !

ولك الله من مجاهد عظيم لا يلقى تشجيعاً !

***

أين رجالك الذين وعدوك الكرامة فأذلوك ، وزعماؤك الذين لبسوا مسوح الرهبان فأضلوك ، وأغنياؤك الذين شربوا دمك ثم استأكلوك ، وعلماؤك الذين اتخذوا آلهتهم هواهم ثم أهملوك ؟

أين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ليقاتلن صفاً كالبنيان المرصوص أو يحرروا فلسطين ، ولينهض نهضة واحدة للغاصبين الغادرين ، وليعاقبن بالطرد أنذال الشعوب ، جرائم الفساد ، لصوص العالمين ؟

أين الذين أشعلوا بنارهم حماستنا ثم أطفأوها بمائهم ، وفتحوا بهتافهم عيوننا ثم أطبقوها برقادهم ، وما زالوا يعالجوننا بالعاطفة ونحن إلى العقل أحوج ، ويأخذوننا بالارتجال ونحن نروم النظام ، ويرقدوننا بالمسكنات ونحن نلتمس الشفاء !

***

إن هؤلاء سواء عليهم أدللتهم أم لم تدلهم لا يكترثون ، وسواء عليهم أذكرتهم بتقصيرهم أم لم تذكرهم لا يأبهون ، وسواء عليهم أصرحت لهم أم عرضت بهم لا يبالون .

ولو أنك أكثرت الصراخ المختنق ، ومزقت الصدر الحرج ، وقطعت الحنجرة المكروبة ، وأطلقت الحشرجة المكبوتة ، فلن تسمع منهم إلا ألسنة بليلة ، وأصواتاً ندية ، ربما أرضت البيان الرفيع ، ولكنها لا ترضى الحق الصريح !

ولكن ... هون على نفسك ، فلا تربض باليأس قلبك ، ولا تعصر بالقنوط فؤادك ، بل اصرخ أيها العربى فى النفوس الراقدة علها تفيق ، وفى الأرواح الهامدة علها تتحرك ، وفى الضمائر الميتة علها تحيا ، وفى المشاعر الساكتة علها تنطق ، فقد اقتربت النار وقضى الأمر ، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر ، وقد سرقوا متاعك بالخداع وبالمكر . على أنك إذا وثبت وثبك ، وأطمت قلبك ، أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار ، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار ، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار !

***

وإنى لأحذرك أيها العربى قوماً كالثعالب ، أنت تعرفهم بلحنهم الكاذب ، فقد لدغت من جحرهم مرات « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » ولقيت من مكرهم ويلات ، والمكر

...لا يخفى على ذى عينين ...

حذار من أولئك الثعالب لا تبـذل لهم مقادتك ، فإنهم لا أيمـان لهم ، ولا عهود عندهم ، ولا مواثيق لديهم « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » .

فثق بنفسك ، وتوكل على ربك ، واستمن باخوانك العرب فى مصر التى تُعلِّم مهولها الكرامة ، وفى سوريا التى تاق بطاحها دروس الشهامة ، وفى لبنان الذى تعود جباله الشم على الصبر ، وفى الحجاز الذى يهدى صعيده الطيب إلى الطهر ، وفى العراق التى تلهـم واحاتها الشجاعة ، وفى الأردن الذى توحى وديانه البسالة ، وفى اليمن التى تحبب رياضها بالإيمان ، وفى الجزائر التى تزين رمالها الـكفاح ، وفى كل قطر عربى لا ينام من حقـه ، ولا يفقد ثقته بنفسه ، ولا تزيد — إذا ما بهرته الشدائد ، وعصفت به الأهوال — على أن يهتف بملء صوته ، ومن أعماق قلبـه ، هتاف فخر العرب وسيد الخلق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يوم قال لعمه أبى طالب : « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

فلتأسُ جراحك بهذه الـكلمة النبوية الطاهرة فإنها خير بلسم ؛ ولتمسح بها الدموع عن وجنتيك ولا تضرب بكفك ولا تلطم . ثم إذا بقى الدهر يعاندك ، وظل العدو يجالدك ، فلك الله أيها العربى وهو خير الناصرين .

(طرابلس الشام) **صبحى ابراهيم الصالح**

الفتوة عنــــد الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما المنزلة الثالثة فهى تختص بما يكون من الفتى نحو خالقه ، وهذه المنزلة تشتمل على أمور ثلاثة :

أما الأمر الأول : فهو أن الفتى يجب ألا يتعلق فى الســير للوصول إلى الحضرة الربانية بدليل ، فالسائر فى طريق الوصول إلى هذا المقصد يسير على قدم اليقين ويستدل فى طريقه بالبصيرة والمشاهدة ، ويسترشد بما تقع عليه عينه من آيات باهرة تدل على قدرة الله وكمال ذاته ، فاسترشاده بغير هذا وسيره مع الدليل آية على عدم نفاذ بصيرته وسلامتها ، ودليل على أنه لم يخلص فى طلبه ولم يشتم رائحة اليقين ؛ وفى هذا قال بعضهم (من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم تحل له دعوة الفتوة أبداً) . والمعرفة عندهم ضرورية لا استدلالية ، لأن الرسل عليهم السلام لما أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى عباده ، دعوهم إلى عبادته وتوحيد ذاته ولم يدعوهم إلى الإقرار بالله سبحانه ، بل دعوهم دعوة من لا يشك فى وجود القدرة الإلهية ، وأن الله هو الصانع الحكيم ، وخاطبوهم خطاب من ليس عنده أدنى شبهة فى الإقرار به ، وأن وجوده ليس فى حاجة إلى الاستدلال عليه ، ولا مرشد للسير فى طريق الوصول إليه ، فخاطبوهم قائلين : (أفى الله شك فاطر السموات والأرض؟)

وكيف يدعى الفتوة من يطلب الاستدلال على من هو أظهر من دليله بل هو الدليل والمدلول ؛ فالقاصد له من نوره ودلائل قدرته وآثار حكمته أكبر دليل ، ومن خلص قلبه وكمل إيمانه وتفتحت بصيرته وضح أمامه الطريق وظهرت له معالم الشهود فيرى المشهود بغير دليل ، ولا ينال هذه المرتبة إلا من أفنى نفسه فى ذات مشهوده وترك ما سواه ؛ وهذا هو معنى الأثر الإلهى (إذا أحببت عبدى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، فبى يسمع وبى يبصر) .

أما توقف طالب الوصول وتقيده بالدليل الذى يهديه الطريق ، دليل على الشك فى إخلاصه . ومن يطلب الاستدلال على الوحدانية والمعرفة وكل آثاره جل علاه دلائل قائمة على وجوده ووحدانيته ومشيئته وقدرته — فليس له أدنى درجة من الفتوة بل يكون مخالفا لها من كل أوجهها .

سئل أحدهم عن ذلك فقال : لو أن رجلا بعث لك رسولا يدعوك إلى داره فقلت للرسول : لا أقوم معك حتى تقيم الدليل على وجود من بعثك ، وأنه مطاع فى أهله وأنه أهل لأن يقصد

ويغشى بابه ، لـكنت فى الفتوة دعيا) فـكيف تطلب الدليل على من وجوده ووحدانيته وقدرته وربوبيته أظهر من كل دليل تطلبه ، وأقوى من كل برهان تستدل به ، فما من دليل يطلب للاستدلال عليه إلا ووحـدانيته وكماله وعفوه وإحسانه أظهر من كل دليل . فأبعد الناس عن الفتوة من طلب الدليـل على من هو دليل على نفسه .

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهـار إلى دليل

فالسالك الصادق صاحب اليقين الذى وهبه الله نور البصيرة وكشف له عن جوهر الحقيقة لا يحتاج إلى دليل ، لأن تقيده بالدليل يفرق عزمة قلبه ، وهذا انقطاع وخروج عن الفتوة ، وفى هذا قالوا : إن الدليل يفرق والمدلول يجمع ، فالسالك يقصد الجمعية على المدلول ، فماله ولتفرقة الدليل . وشبهوا المتقيد فى سلوكه بالدليل بالمتكلم الذى يفنى حياته بحثاً فى الزمان والمكان والجوهر والأعراض ، ويقصر همه على هذه الأشياء لا يتجاوزها للوصول منها إلى خالق الـكون وعبوديته وتقرير وحدانيته بمقتضى أسمائه وصفاته ، لا يشتغل قلبه بسواه ولا يطلب دليلا على من هو أقوى دليل ، قال الحلاج : (إن المتكلم مستغرق فى معرفة حقيقة الزمان والمـكان ، والعارف قد ضنّ بالزمان أن يذهب ضائعاً فى غير السير إلى رب الزمان والمـكان) .

والأمر الثانى : أن تكون وجهة الفتى صادقة ، وإجابته لداعى الحق خالصة ، لايشوب محبته بعوض ، ولايطلب من الحظوظ غير الاستغراق فى محبة معبوده والفناء فى ذاته ؛ فإن فعل ذلك فقد نال كل حظ وفاز بكل عوض كما فى الأثر الإلهى :

(ابن آدم ! اطلبنى تجدنى ، فإن وجدتنى وجدت كل شىء ، وإن فتك فاتك كل شىء . أنا أحب إليك من كل شىء) .

فالفتى من يعبد ربه حق العبودية لا يطلب منه أجـراً على إخلاصه ، فإذا طلب العبد من سيده أجراً على قيامه بخدمته له سقط من عين سيده وصار عنده أحق يستوجب العقوبة ؛ إذ أن عبوديته تقتضى خدمته ، والذى يخدم بالأجر لا عبودية للمخدوم عليه ، ولا مكان لسيده عنده ؛ وهذا إما أن يكون حراً سيده نفسه أو مملوكا لسواه .

والخلق جميعاً عبيد الله وملـكه المتصرف فيه ، فهم يخدمونه بحق عبوديته لهم وملـكيته إياهم ، فطلبهم للأجـر خروج عن محض العبودية وخلاف لناموس الخضوع ؛ فالعبد الذى لايشوب خدمته بطلب العوض هو المقرب من مولاه الأثير عنده .

سئل أحدهم عن معنى هذا فقال : (إذا كان لك من العبيد أربعة ، أولهم لا يريدك ولا يريد منك ، بل قلبه متعلق ببعض عبيدك فله يريد ومنه يريد ، والثانى يريد منك ولا يريدك ، فهذا إرادته مقصورة على نيل حظوظه منك ، والثالث يريدك ويريد منك ، فهذا يخدمك ويتقرب إليك لنيل ماينبغى فإرادته لك وسيلة. والرابع يريدولا يريد منك ، فإرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك ، فهو لا شك آثر الجميع عندك وأقربهم منزلة منك وأحبهم إلى قلبك والمخصوص من إكرامك وعطاياك) .

ويظهر إخلاص العبد لسيده فى القيام بواجب الشكر على ما أولاه من نعم ووهبه من عطايا ؛ لأن حقيقة الشكر عبادة والشكر والشكر مبنى على قواعد خمس .

خضوع الشاكر للمشكور ، والفناء فى حبه ، والاعتراف بنعمه ظاهرها وباطنها والثناء عليه بهذه النعم — أى الإحسان منها إلى عباده وانفاقها فى أوجه الخير ، وهذا هوا الثناء بالنعم على النعم — وألا يستعملها العبد فيما يكره سيده ، والاعتراف بأن هذه النعم قد تفضل بها السيد على عبده وهو ليس أهلا لهـا . قال الجنيد : (الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة) ومن أنواع الشكر أن يفنى العبد نفسه فى ذات المنعم عن رؤية النعمة فلا تحجبه رؤيتها عن مشاهد المتفضل عليه والمنعم بها . قال الشبلى : (الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) .

والشكر درجتان : شكر العامة ويكون على المأكل والمشرب والملبس وقوة الأبدان وأعراض الدنيا ، وهذا ليس من الفتوة فى شىء ؛ وشكر الخاصة ، ويكون على التوحيد والإيمان وقوة القلب وصفاء النفس . ومعنى هذا أن يكون بالقلب خضوعاً واستكانة ، وباللسان اعترافاً وثناء ، وبالجوارح طاعة وانقيادا ، وهذا من خصائص الفتوة ، وكلما ازداد العبد شكراً ازداد المنعم عليه تفضلا ومنه تقريباً ؛ فى الأثر الإلهى : (أهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى) ويزيد بعضهم نوعاً ثالثا من الشكر وهو أن يكون على ابتلاء الله الذى ينزله بعبده ، فيعتبرون

هذا البلاء نعمة يذكرهم الله بها فهم دائماً فى حضرته .

سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه عن الفتوة ، فقال له ما تقول أنت ؟ فقال الرجل إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت فقال جعفر : الكلاب عندنا كذلك . فقال له السائل : يا ابن رسول الله فما الفتوة عندكم ؟ قال له : ان أعطينا آثرنا ، وإن منعنا أو ابتلينا صبرنا) وقال آخر : (الفتوة هي إظهار النعمة وإسرار المحنة) .

أما الأمر الثالث من هذه المنزله : فهو إعراض الفتى عن نفسه وعدم انشغاله بها ، وإهماله مطالبها ، وإذلالها فى سبيل الوصول إلى مقصوده الأسمى وغرضه الأعلى وأن يتهمها دائماً بالتقصير وبأنها العائق فى طريق وصوله ، فيخاصمها فى الله فيكون كما قال محمد بن على الترمذى : (أن تكون خصما لربك على نفسك) فيضعها دائماً موضع المتهم ليطامن من كبريائها ويحطم هذا الصنم الذى بينه وبين ربه ليصفو قلبه ولا ينشغل بسوى حبه والفناء فى حضرته . قال الجنيد : (الفتوة كسر الصنم الذى بينك وبين الله تعالى ، وهو نفسك) كما قال عمرو بن عثمان المكى (حرون خداعة رواغة فاحذرها وسقها بتهديد وخوف يتم لك ما تريد) .

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه كسر الأصنام لله إذ جعلهم جذاذا ، فالفتى من كسر صنما واحداً فى الله . وقد قيل (الفتوة ألا تكون خصما لأحد) وذلك فيما يتعلق بحقوق العباد ، أما فى حقوق الله وابتغاء مرضاته ، فالفتوة أن تكون خصما لكل ما سواه وإن كان الحبيب المصاق ، فالسائر إلى المحبوب لا يقف مع حظوظ النفس ، بل يفنى ذاته فى ذات من أحب لأن طريق السالكين والفتوة السائرين على دروب الفناء ، الخروج عن نفوسهم فضلا عن حظوطها ، لأن الفتوة ، العمل على أن يكون الفتى بالله لا بنفسه ، والرضى بأحكامه ساءته أم سرته . والخروج عن النفس ، هو حبسها على مراد الله وبذلها فى إقامة دينه وتنفيذه بين أهل المعارضة والبغى والعناد ، بصيح فيهم بالنصائح جهاراً لا تأخذه فى جهادهم فى الله لومة لائم؛ وهذا تعذيب للنفس فى حب الله وإفنائها فى ذاته ، وهذا عند الفتى الصادق أعظم العيش وأفر الحظ .

ولو ذهبنا نتقصى أقوال القوم فى الفتوة ومحالها لطال المقام وتشعب بنا الأمر فنكتفى بهذا القدر . ونسأل الله التوفيق ، وللأستاذ ضياء الدخيلى من الله حسن الجزاء ومنا وافر الشكر .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

مراجعه .

١ — الأعلام الذين ذكروا فى هذا المقال سنفرد لكل منهم بإذن الله بحثاً خاصاً به .

٢ — المراجع التى استقينا منها هذا المقال .

١ — مدارج السالكين .
٢ — الرعاية لحقوق الله .
٣ — مكارم الأخلاق .
٤ — التعرف لمذهب أهل التصوف .
٥ — صيد الخاطر .
٦ — المواقف .
٧ — التصوف الاسلامى .

شعوب القوقاز

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

(مهداة إلى الأستاذ محمد أسامه علية تعقيباً على ما نشره فى العدد ٧٨٤ ص ٧٩٧ من الرسالة الغراء)

سيدى الأستاذ : قرأت — وأنا على أهبة السفر إلى الإسكندرية فى طريقى إلى دمشق ، ما كتبته تحت عنوان : « نصوص تاريخية فى الرد على تعقيب » فلم يكن فى الوقت متسع ، ولا فى البال فراغ ، فلم أستطع الكتابة يومئذ ، ثم تلاحقت المشاغل ، وتواردت الموانع ، واتصلت حتى استطعت أخيراً أن أختلس بعض الفراغ لأبعث إليكم بهذه الملاحظات التى أرجو أن تلق لديكم بعض العناية والرعاية والصدر الرحب .

إنكم نقلتم عن تاريخ الجراكسة للأستاذ محمد بك فكرى ما نقله عن المؤرخ الفرنسى « س لامار » من أن الكرج ، والجركس ، واللزكى والحجبى فروع أصل واحد ، ثم نقلتم عنه أيضاً قوله : دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى (جد) مشترك .

وأحب أن أوجه نظركم الكريم إلى أن موضع النزاع بينى وبينكم — إن كان هناك نزاع — هو أن يكون الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجب شعباً واحداً ، لا أن يكونوا (فروع) أصل واحد ، أو منتمين إلى (جد) مشترك ! كيف ونحن — معشر المؤمنين بوحى السماء — ما زلنا نعتقد أن الشعوب كلها تنتمى إلى جد مشترك ؟ أما من هو هذا الجد المشترك ، أو الأصل الذى تفرعت عنه هذه الفروع وفى أى عصر كان ؟ فهذا ما لا أحب أن أعلق عليه أو ألق إليه بالاً ! . ويبدو لى أنك شعرت بينك وبين نفسك أن ما نقلته عن « س لامار » لا يجدى عليك فى دعواك فتيلا ، ولا يغنى عنك شيئاً ، فنقلت ما جاء فى كتاب الجراكسة لمحمد بك فكرى (حـ ١ ص ٦): « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية ، فيكون الجركس يؤدى مؤدى القوقاس » فمن أين للأستاذ محمد بك فكرى هذا ، وما سنده من التاريخ القديم ؟ .

وكيف استبحتم نقل مثل هذه الدعوى الخيالية من أى سند فى معرض التدليل ؟ .

وهل هذه إلا المصادرة المعروفة عند الجدليين ؟ ! .

على أن من الطريف أن محمد بك فكرى ادعى فى تاريخ الجراكسة (حـ ١ ص ٦) « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية » ثم رتب على هذه الدعوى هذه النتيجة : « فيكون الجركس يؤدى مؤدى القوقاس » . قبل أن يدلل عليها ، ثم نقل فى (حـ ١ ص ١٢) عن « س لامار » أن الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجب ، (فروع) أصل واحد ، وفى (حـ ١ ص ٢٢) قال : « دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى جد مشترك »

فهل هذا الذى نقله فى (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) يتفق مع ما ادعاه وقرره فى (حـ ١ ص ٦) ؟ .

ويظهر أنكم شعرتم باضطراب موقف صاحب تاريخ الجراكسة ، فغيرتم ترتيبه ، فنقلتم ما كتبه فى (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) أولاً ، ثم نقلتم ما كتبه فى (حـ ١ ص ٦) أخيراً . ولكن هل هذا التقديم ، وذلك التأخير غيرا من أصل الموضوع شيئاً ؟ . والظاهر أنك شعرت بهذا الاضطراب فى نصوص كتاب تاريخ الجراكسة وأنها لا تؤدى إلى ما قصدت فأوردت أسطورة — وإن شئت سمها أحجية — « أركس ، وآس ، وتركس ، وكسا » نقلا عن « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » للبدر العينى .

ولهذه الأسطورة عندى تاريخ قديم ، وحديث عجيب ، ما كنت أحب أن أعرض له لولا أنكم أوردتموها واثقين بها معتمدين عليها ، فرحين بها ، مغتبطين لها ، فقد حدثنى بها من عهد بعيد أستاذ جليل القدر ، كريم المنزلة ، أعزه وأحترمه وأحفظ له فى نفسى تقديراً واحتراماً ، وإكباراً وإجلالا ، ولا حاجة الآن إلى ذكر اسمه الكريم ، وإن كنت أعتقد أنه هو الذى أخبركم بأسطورة البدر العينى أيضاً . فصارحته برأيى فى قيمة هذه الرواية التى لم يعرفها أحد قبل عصر البدر العينى ، والتى لم تظهر إلا فى ظل سلطان المماليك وفى مقر دولتهم ، ومركز عزهم فى مصر ، وأذكر أنى قلت له يومئذ : إنها أشبه

بأسطورة أو أحجية من الأحاجي وضعت وضعاً لإرضاء السلطان وتزلفاً إلى أصحاب النفوذ . وإلا فكيف لم يطلع على هذه الرواية — إن كان لها أصل — أحد من المؤرخين قبل البدر العيني ، وخفيت عليهم جميعاً حتى أوحى بها إلى البدر العيني في الزمن الأخير في عهد صولة المماليك — وجلهم أو كلهم من الجراكسة المنتشرين في القوقاز الشمالي الغربي — وسلطانهم المبسوط على مصر والشرق ؟ (١)

كان هذا رأيي في رواية البدر العيني هذه من عدة أعوام ، وأن الأيام لم تزدني إلا إيماناً ، واستمساكاً بهذا الرأي . فهي رواية ولدت وترعرعت في ظل حكم المماليك الجراكسة من غير أن يكون لها سند من تاريخ ، أو مرجع تعتمد عليه .

ومن هذا القبيل ما شاع في كتب بعض المؤرخين الذين عاشوا في عهد المماليك واتصلوا بهم مثل ابن خلدون (٢) من إطلاقهم اسم جبال الشركس على جبال القوقاز أو تسميتهم شعوب القوقاز جميعاً شراكسة فإنه اصطلاح طارئ حديث نشأ في ظل سلطان المماليك الشراكسة ، وانتشر في عهدهم .

وفي ظني أن هذه الرواية التي أوردها البدر العيني ، وهذا الاصطلاح على تعميم اسم الجركس على جميع القوقازيين ما هو إلا من قبيل التقرب إلى السلطان الجركسي والتزلف إليه ، لأن معظم هؤلاء المماليك — أو كلهم — كان من أتى بهم من سواحل البحر الأسود حيث مساكن قبائل الجراكسة . ومن هذا القبيل أيضاً تلك الدعوى الطويلة العريضة التي كانت تزعم أن الجراكسة من قريش !. وألفت في يوم من الأيام لاثباتها الرسائل ؟ !

على أن البدر العيني — حسب رواية الأستاذ — يبدأ كلامه بدءاً غير موفق إذ يقول : ومن الترك الجركس الخ . فهل يسلم الأستاذ مع البدر العيني أن الجركس من قبائل الترك ؟ ثم إنك — يا سيدي الأستاذ — بعد أن تفرغ من رواية أسطورة البدر العيني وشرحها وتوجيهها كما تشتهي قلت :

« واتبع البدر العيني المصطلح القديم ، وهو إطلاق الجركس على القبائل الأربع التي في جوانب جبل القوقاز » .

فأي مصطلح قديم هذا الذي تشير إليه ؟ ومن الذي ذكره وقال به قبل البدر العيني ؟ .

وأما تفسير كلمة « جركس » وادعاء أن أصلها الكريم جهاركس . ومعناها في لغة الفرس الرجال الأربعة فإنه لا يهمنا في الموضوع الذي نحن بصدده قليلا أو كثيراً ؛ لأن هذه الدعوى وهذا التخريج مهما قيل فيهما لا يزيدان ولا يرجحان على محاولة سابقة لشرحه كلمة « الجركس » فقد زعم زاعمون من قبل أن أصلها مركب من كلمتي « جرا » ، « كسا » وأن المرحوم « كسا » كان من أشراف قريش ، فجنى جناية وهرب إلى القوقاز ، وأقام بها ، وعلى هذا يكون أصل الجراكسة من قريش !.

هذا تعليق حاولت أن أجمله وجيزاً جهد الطاقة على ما دعوته نصوصاً تاريخية ، وما هي من التاريخ في شيء .

وبعد هذا أضع بين يديكم بعض الأسماء التي كانت معروفة في التاريخ القديم لسكان جبل القوقاز ، والتي أطلقها عليهم قدماء المؤرخين . وأبدأ ذلك بأن المؤرخين العرب الأقدمين كالسمودي وغيره كانوا يسمون جبال القوقاز بلاد القبج أو جبال القبج لا جبال الجركس أو بلاد الجركس كما نص على ذلك المرحوم شيخ العروبة أحمد زكي باشا في قاموس الجغرافيا القديمة . هذا بالنسبة إلى منطقة القوقاز جملة .

وأما أسماء سكان البلاد تفصيلا ، فإن سكان الجهات الشرقية الشمالية من القوقاز — حيث مساكن الداغستان ، والحجب ، وشروان الآن — كانوا يسمون في بعض الكتب القديمة ألبانيين وكانت بلادهم تدعى ألبانيا . كما ذكر ذلك أيضاً المرحوم زكي باشا في كتابه السابق .

وإن اسم الحجب كان معروفاً قديماً ، وكان يطلق على الشعب الساكن في الشمال من بلاد الداغستان حيث مساكن الحجب إلى يومنا هذا .

كما أن اسم الأورا — وهم أسلاف اللوزكيين الحاليين من

---

(١) ولد البدر العيني في عينتاب سنة ٧٦٢ هـ وأقام في حلب ودمشق والقدس ومصر وكان من أخصاء الملك المؤيد ، وسمير الملك الأشرف وملازمه ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ

(٢) ولد ابن خلدون سنة ٧٣٢ هـ وولي السلطان الظاهر برقوق وتولى قضاء المالكية بالقاهرة ثم توفي بالقاهرة فجأة في سنة ٨٠٨ هـ .

الداغستانيين — كان معروفاً حول القرن الرابع الميلادى ، وقد أطلق على شعوب القوقاز الضاربين فى الجانب الشرقى للقوقاز أسماء مختلفة مثل الخزر ، قوميق ، ألان . وهذا الاسم الأخير يظهر لى أنه اسم اللزكيين القديم ، فهو يطلق فى الكتب القديمة على شعب مقيم فى مساكن اللزكيين الحاليين ، وأن ظن بعض الكتاب أنه اسم الأوسيت . ذلك أن الأوسيت معروفون باسم الأوسيت من قديم ، ويسكنون فى جهة تقع فى الشمال فى قلب منطقة الجبال على الشمال الغربى من مواقع اللزكيين .

هذا فى القسم الشرقى من القوقاز ، أما فى القسم الغربى منه فإن اسم الأديغة كان معروفاً من قديم ، وما زال يطلق على سكان الجزء الشمالى الغربى من القوقاز ، ويمكن اعتباره اسماً جامعاً لشتات قبائل الجركس المنتشرة فى تلك الجهة مثل : أبهاسو ، الأوبنج ، الشبوغ ، الأبزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . مع ما بين قبيلة الأبازة وبين بقية قبائل الجركس من اختلاف فى اللغة يتعذر معه التفاهم بين هؤلاء وأولئك .

هذه هى الأسماء التى كانت تطلق قديماً على سكان القوقاز الشمالى شرقيه وغربيه ، ثم ظهر فجأة اسم الجركس فى العصور المتأخرة ، وصار يطلق على بعض — وأحياناً على كل — القبائل الساكنة فى القوقاز الشمالى الغربى ، ثم انتشر هذا الاسم وصار يطلق — من غير تحقيق أو تدقيق — على جميع سكان القوقاز فى عصر المماليك كما فعل البدر العينى ، ومال إليه ابن خلدون ، ثم شاع هذا الاستعمال فى الشرق الأدنى فى فترة أخرى من التاريخ على أثر تلك الهجرة الواسعة النطاق التى قام بها الجركس إلى الممالك العثمانية على أثر تغلب الروس عليهم واحتلالهم لبلادهم

ولكن هذا كله لا يجعل هذا الإطلاق صحيحاً أو دقيقاً ، بل لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب التساهل من الكتاب أو عدم وقوف على حقيقة الحال من تنوع الشعوب فى تلك الأقطار الشاسعة ، واختلاف أصولها وتنوع أجناسها .

وإن الحديث عن شعوب القوقاز ، وكثرتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم حديث قديم طويل ، حتى كان المؤرخون القدماء من العرب يسمون القوقاز بلاد الشعوب والجبال ، وكان زاعمهم يزعم أن فى تلك البلاد نيفاً وسبعين شعباً لكل شعب لغته الخاصة به ! . وكذلك كان صنيع مؤرخى الرومان واليونان ، فاسترابون يؤيد نظرية نيف وسبعين شعباً ، وهكذا بقيت هذه الأسطورة عالقة بالأذهان إلى عصور متأخرة جداً حتى جاء علم اللغات المعاصر ، وأعار هذه القضية أهمية خاصة ، وبحث مسألة تعدد لغات القوقازيين بحثاً علمياً دقيقاً ، واستطاع أن يهدم تلك النظريات ، والآراء الشائعة المبنية على معلومات غير دقيقة ، ففى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ابتدأ العالمان الألمانيان : « تليدن أسناد » و « بالاس » الأبحاث العلمية عن أصول اللغات القوقازية ، واستطاعا إرجاعها إلى الأصول الآتية :

١ — اللغة التتارية : وهى لغة الشعوب التركية الأصل .
٢ — « اللزكية : وهى لغة الداغستانيين .
٣ — « الكستينية : وهى لغة الججانيين .
٤ — « السركسيانية : وهى لغة الأديغة .
٥ — « الأوستينية : وهى لغة الأوسيت من الشعوب الإيرانية القديمة .
٦ — اللغة الكرتفليانية : وهى لغة الكرجيين .

وأصبح هذا التقسيم للغات القوقازيين أساس علم اللغات القوقازية فيما بعد استند عليه علماء القرن التاسع عشر واعتمدوه وفى القرن العشرين أكد العالمان : « الفونس دير » و « نيقولامار » نتائج أبحاث أسلافهما فى تقسيم اللغات القوقازية ويرى عالم آخر من علماء القرن العشرين أن اللغات القوقازية يجب أن تقسم إلى فصائل أربع وهى :

١ — اللغة اللزكية : وهى لغة الداغستانيين .
٢ — « الججانية .
٣ — « الكرتفليانية : وهى لغة الكرج .
٤ — « الإبهاسية : وهى لغة قبائل الجركس .

ويعد بعضهم لغة الداغستانيين ولغة الججان من فصيلة واحدة وبناء على نتائج هذه الأبحاث العلمية يمكن تقسيم شعوب القوقاز الشمالى إلى قسمين أساسيين :

١ — سكان القسم الغربى من القوقاز وهم : الأبهاسو ، والأوبنج ، والشيسوغ ، الأبزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . وهى جميعاً قبائل جركسية .

٢ — سكان القسم الشرق من القوقاز الشمالى وهم : الداغستان والججان . وإلى هذين القسمين الرئيسيين يمكن إرجاع بقيــة الشعوب والقبائل المنتشرة فى القوقاز مثل : قره جاى ، بالـكار ، قوميق ، نوغاس ، وهذه كلها من الفصيلة التركية ، وأوستين . وهى من الفصيلة الإيرانيــة ، والتى منها الفرس والـكرد والأفغان .

هـذا وقد سلك العلامة شمس الدين سامى بك في قاموس الأعلام مسلـكا آخر فى تقسيم شـعوب القوقاز ، فهو يقسمهم أولا إلى سكان أصليين وأقوام طورانيين ، وأمم آرية ، ثم يقسم السكان الأصليين فيقول :

أما سكان القوقاز الأصليون ، فهم أقوام وأجناس وشعوب كثيرة ، ويمكن إرجاعهم إلى هذه الأقسام الرئيسية :

١ — الجركس الذين يسكنون حوض نهر قوبان وبالقرب من منابع نهر ترك الغربية فى القسم الغربى الشمالى من القوقاز ، ويمكن أن يضم إليهم الأبازة[1] السا كنون فى منحدرات سلسلة الجبال الغربية الجنوبية على القرب من سواحل البحر الأسود . والججن[2] السا كنون إلى الشمال من بلاد الداغستان .

٢ — سكان بلاد الداغستان الأصليون ، وهم اللزكيون السا كنون فى المناطق الشمالية الشرقية من جبال القوقاز ، وهؤلاء اللزكيون من سكان القوقاز الأصليين ، كانوا يسكنون هذه البقعة من أقدم العصور حتى إن « هردوت » ذكرهم بهذا الاسم فى تاريخه الذى كتب فى حدود سنة ٤٥٠ قبل الميلاد .

ويحتمل أن يكون لهؤلاء اللزكيين صِلات نسب وقرابة مع الـكرج والجركس واللاز وغيرهم من أمم القوقاز الأصليين ، غير أن إثبات هذه الصلة بين هؤلاء الأقوام يفتقر إلى ما يثبته ، فهو مجرد احتمال لا دليل عليه .

٣ — سكان المنطقة الجنوبية من سلسلة الجبال أمثـال الـكرج والإيمرت والمنـكرلى . وإذا كان بعض المحققين من العلماء حاول عد الـكرج من الأمم الطورانية أو الآرية إلا أن الأدلة التى ساقوها لإثبات ذلك لا تعد كافية .

على أن بعض الأبحاث التى أجريت حول لغة الـكرج تدل على أن الـكرج مثل بقية أمم القوقاز لا يمتون بصلة إلى الآريين أو الطورانيين أو الساميين ، بل يغلب على الظن أنهم بقـايا أمم قديمة منقرضة كانت اجتازت هذه المناطق فى أثناء هجراتها من آسيا إلى أوربا ، ومن أوربا إلى آسيا .

٤ — أمة الأوسيت ، وسوآنت السا كنون بالقرب من منابع نهر ترك .

هذه خلاصة وافية لما ذكره العلامة شمس الدين بك سامى فى قاموس الأعلام عن شعوب القوقاز، ومنه ومما قبله من بيانات وآراء للعلماء والمؤرخين الموثوق بآرائهم يتبين أن الداغستانيين والـكرج ، والججان ، والأوسيت ، والجركس أمم قائمة بذاتها لـكل واحدة منها لغتها أو لغاتها الخـاصة بها ، ولها كيانها المستقل . وعلى ذلك أرى أنى حين قلت فى الرسالة (العدد ٧٨٣ ص٧٧٠) : إن اللاز يمتون بصلة النسب أوالقرابة إلى الـكرج ، وأن الـكرج غير الجركس لم أكن مجانباً الحقيقة ، ولم أكن أحاول تسيير التاريخ حسب الهوى والغرض كما أردت أن تصورنى أمام قرائك ، بل كنت أقرر حقيقة علمية ثابتة لا سبيل إلى إنكارها ، أو التحايل على طمسها .

وبعد : فإنى أشـكرك — يا سيدى الأسـتاذ — جزيل الشـكر على أن أتحت لى هذه الفرصة للتحدث عن شـعوب القوقاز بشئ من الإفاضة والتفصيل . والسلام عليك ورحمة الله .

(دمشق) برهاى الدين الداغستانى

---

(١) يلاحظ صاحب الأعـلام أن بين لغة الأبازة وبين لغـة بقية الجراكـة اختلافاً كبيراً يتعـذر معه التفاهم بين هؤلاء وبين أولئك . ولذلك يتردد فى عد الأبازة من الجركس .

(٢) هذا مخالف لما سبق من عد الججن قسماً قائماً بذاته ، واعتبارهم مع الداغـستانيين وينبغى ملاحظة عدم وجود أية صلة بين لغة الججن وبين لغة الجركس .

رحلات فى ديار الشام فى القرن (الثامن عشر الميلادى)

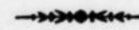
اردان حلة الاحسان

فى الرحلة إلى جبل لبنان (١)

لمصطفى البكرى الصديق

(١٠٩٩هـ-١١٦٢هـ-١٦٨٧م-١٧٤٨م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى



لا شك أن الدافع لرحلة الشيخ هذه وغيرها من الرحلات، ولتنقلاته المستمرة فى المدن والقرى، إنما كان حرصه على نشر الطريقة الخلوتية والاتصال بأعوانه ومريديه. ولقد كان الشيخ مكثاراً فى النظم والنثر، بل إنه ليؤلف الكتاب أو الرسالة فى أية مناسبة. ولا شك أن نظمه ونثره يمثلان عصره أصدق التمثيل فقد امتاز هذا القرن بالسجع، والركاكة فى الأسلوب، كما يتبين من دراسة رجال هذا القرن فى كتاب أعيان القرن الثانى عشر للمرادى.

ولقد انتقل الشيخ من دمشق إل القدس وتزوج فيها وتتلمذ على شيوخها وامتد نفوذه فيما بعد إلى جميع أنحاء فلسطين، وإلى سوريا بل وحتى إلى مصر والعراق.

وقد ساهم فى الحياة العامة فى فلسطين فعمر الحرم القدسى خلوة، وبئراً، وحاول أن يصلح البراغثة شيوخ بنى زيد وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم، كما شوق الحاج حسن بن مقلد الجيوش لزراعة الأشجار المثمرة حول قبة الصحابى سراقة فى (كور) من أعمال قضاء بنى صعب.

ويستدل من رحلته هذه أن حالة الأمن لم تكن مرضية فى زمنه، فقد جاء ذكر تعدى الأعراب على القوافل بين الخليل وعسقلان، كما تعدوا على الشيخ القافلانى مفتى الديار القدسية، فسلبوه بعض ثيابه وما كان يحمل من الكتب.

ويلاحظ أيضاً أن الشيخ كان يغير طرق سيره، فبدلا من أن يسلك الجادة السلطانية بين القدس والخليل مارأ ببرك سليمان، غير طريقه إلى بنى حسن وهى ناحية إلى الجنوب الغربى من القدس مخافة قطاع الطريق.

ويستدل من وصف الشيخ لبعض المدن التى اجتازها أن (حاصبية) كانت حينذاك قرية يقطنها الدروز وهى الآن مدينة كما أن مدينة حيفا التى بلغ عدد سكانها الآن مئة وخمسين ألفاً، لم تكن سوى قلعة حصينة على ساحل البحر المتوسط. ووصفه هذا لحيفا ينطبق على وصف معجم البلدان، بعض الشىء. فقد جاء فى معجم البلدان (ج ٣ — ص ٣٨٢): «حيفا غير ممدود، حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، لم يزل فى أيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين فى سنة (٥٧٣ هـ) وخربه».

ويصف لنا الشيخ زيارته أكثر من مرة للخليل، ويذكر كرومها، ويستدل من هذا أنها كانت محاطة بكروم العنب وهو حالها اليوم.

ويذكر الشيخ فيما يذكر أن الأمر السلطانى صدر باسم والدته لتعمير قناة الماء إلى الحرم القدسى. وهذه القناة ليست حديثة فقد جاء فى الأنس الجليل ج ٢ — ص ٣٨٧ عند ذكر الأمير تنكز الناصرى نائب دولة المماليك فى الشام «وهو الذى عمر قناة الماء الواصلة إلى القدس، وكان ابتداء عمارتها فى شوال سنة (٧٢٧ هـ) ووصلت إلى القدس ودخلت إلى وسط المسجد الأقصى فى أواخر ربيع الأول سنة (٧٢٨ هـ) وعمل البركة الرخام بين الصخرة والأقصى» وتعرف هذه الآن بالكأس، ويظهر أن هذه القناة خربت، فعمرت مدة ثانية كما يذكر الشيخ. وهذه القناة تمتد من برك سليمان إلى الحرم وتسيل بالانسياق لعلو برك سليمان عن الحرم القدسى، وهى من حجر.

والظاهر أن الشيخ كان أباً عطوفاً، فقد سر كثيراً بابنته (علما) وحزن حزناً عميقاً عند وفاتها وهى لا تزال طفلة، وقد رزق ولده محمد كمال الدين فى القدس. ولقد كان الشيخ يزور مقام (على بن عليل) وهو من نسل عمر بن الخطاب، ويعرف بسيدنا على بن عليم عند العامة، وله موسم يقصده الزوار كل عام.

ويسجل الشيخ بألم ظاهر فى هذه الرحلة وفاة قطبين عظيمين

(١) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية

تتلمذ عليهما ، وكان يحترمهما أبلغ احترام أولهما الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى القطب الكبير وصاحب الرحلة إلى القدس سنة (١١٠١ هـ) ويعتبر الشيخ من أخلص تلاميذه ، والثانى الشيخ محمد الخليلى مفتى الشافعية فى الديار القدسية ، والمصلح العمرانى ، والمؤلف القطب ، وهو من أبرز رجال القرن الثانى عشر فى فلسطين .

وفى الرحلة فوائد أخرى على رغم ركاكة الأسلوب ، وتكرار السجع الممل ، وانصراف الشيخ إلى نزعته التصوفية القوية ، وفيها بعض معلومات عن أصل سكان (الطيبة) من أعمال طولكرم ، ونسب البراغثة فى جبل القدس ، وعن وقف قرية (عابور) فى بنى زيد للحرمين الشريفين ، وما إلى ذلك .

ومن لطائف المصادفات أن يحضر إلى الديار القدسية الرحالة المصرى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى ، سنة (١١٤٣هـ) وينزل عند الشيخ ، ويأخذ عنه الطريق ثم يصف لنا لقاءه الشيخ فى رحلته المخطوطة ، « سوانح الأنس فى رحلتى لوادى القدس » وقد أثبتنا رأى اللقيمى فى الشيخ البكرى .

وخلاصة القول أن هذه الرحلة المخطوطة التى لم تزد معلوماتنا كثيراً عن لبنان الجنوبى ، شيقة برغم جميع مآخذها ، فإنها تمثل القرن الثانى عشر ، وهو قرن تنقصنا عنه المعلومات والمصادر الوافية ، فتصف لنا بعض نواحى الحياة الفكرية ، وبعض أحوال البلاد القدسية وعمرانها ، ورجالها ولو كان أكثر من اجتمع به الشيخ من رجال التصوف والزهد .

ويظهر أن الملاريا (الحمى الربعية) أصابت الشيخ لتردده على مقام سيدنا على ، وهى منطقة موبوءة بهذا المرض إلى عهد قريب ، فضايقته وأنهكته ، وحاول أن يتلخص منها بالدعاء والالتجاء إلى مقام سيدى داود !

ونحن بعد ذلك نترك للشيخ أن يتكلم ، إذ أنه بعد أن ختم الرحلة الرومية وبدأ فى المراقبة أراد أن يبتدىء برحلة بقاعية لبنانية فأسماها (اردان حلة الإحسان فى الرحلة إلى جبل لبنان) فيقول : « اعلم أيها الأخ الواقف على هذه المواقف أن هذا الجبل المعظم المبجل المقصود بالزيارة ، جبل مبارك له خواص عند الخواص أهل الإشارة ، إذ من المعلوم ، لدى أرباب الفهوم والاختصاص ، إن الله تعالى اختص بعض الأمكنة والأزمنة والأشخاص ، وقد طرق السمع ، من أهل المعرفة والسمع ، أن لهذا الجبل ، الذى يفوق الجبل ، حالا ظاهر الرجحان ، وإنساً باهر الميزان ، وأن كل من حوله ممن له قدم فى الولاية يأتيه زائراً ولو بالروحانية وهذه على فضيلته آية »

وكان كثيراً ما يجول فى الخاطر ، ويتكرر وروده على الضمير المخاطر ، أن يشد الشيخ الرحل على عيس السرى إليه ، لعله يحظى من بر أهله وبما لديه ، ولكن الأقدار كانت تمنع . ولما آن الأوان ، قصد البقاع العزيز ملتجئاً لحمى المهيمن الملك العزيز ، وبعد ما ودع الخلان والأصحاب والإخوان والأخدان يقول :

« وتوجهت مستعيناً بالديان ، نحو الديماس ، مع رفقة حسان يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة عام أربعين ومائة وألف (١٧٠٧ م) . وقصدت حى الصالحية ، وقرأت الفاتحة لسكانها أهل الرتب الفلاحية ، ثم صعدت إلى جبل قاسيون ، وحصلت نفحة إقبال من هداة فتحه وتجاوزت قبة السيار الشائقة ، التى تحت قبة النصر الشاهقة وممن رافقنا لهذه الزيارة والقدس الفياح ، الصديق الشيخ عبد القادر الموصلى ثم البغدادى السياح ، المنتمى للعصابة السهروردية المتصلة أنسابهم بالأسرة الصديقية ، والأخ السيد محمد السلفيتى العباسى ، المحب الآسى والصديق المواسى ، أول آخذ للطريق فى الخطرة الأولى ، وقد ذكرته فى الخمرة الحسية فى الرحلة القدسية ، وفى غيرها من الرحلات الأنسية ، وكان الأخ أكبر مساعد ومعين على إظهار الطريق فى الديار المقدسة ، وكنت قبل هذا التوجه الطويل المسافة أذنت له بلبس الكسوة والإرشاد لطلاب الإضافة . وممن صحبنى أيضاً زوج الوالدة ، لا برحت فى الجنان خالدة ، والأخ من الرضاع ، الحاج إبراهيم جميل الأوضاع ، المستقيم على قدم الحب من الصغر ، كأنما نقش على فؤاده نقش الحجر ، فلم يتغير بتوالى الزمان ، لأنه ذو باع فيه طويل ، قد عرف بابن الطويل فى النسب . وممن صحبنى أيضاً الأخ الواعى ، الشيخ محمد البقاعى ، خفيف الحركة ، ثقيل البركة ، فجملته للنسبة الوطنية دليل الركاب ، وسرنا نتملى بشهود وجوه أولئك الأحباب . ولما أظلنا وادى بردا [بردى] الظليل ، قابلنا بعده أول قتيل هابيل النبيل ، فقرأنا له الفاتحة .

وأنشدت الدليل قرب الديماس ، مرتجلاً بقصيد مفيد الإيناس :

قد أتينا لقرية الديماس نرتجى رشف خمرة الإقباس

ونزلنابها مع الرفاق (زاوية بنى تغلب) وبعد أداء الصلاة الوسطى وختام ورد العصر البسام ، ورد كتاب من الصهر الهمام الشيخ إسمعيل العالم النبيل المقدام ، مصدراً له بأبيات جسام وهى :

فرقة للحبيب يوم الخميس أورثت فى الجنان رعب الخميس

أهل ودى زاد التلهف منى حيث فارقتكم لدى التفليس

وتوجهنا للبقاع وهو جمع بقعة موضع يقال له بقاع كاب قريب من دمشق . قال فى المراصد : وبهذا البقاع قبر إلياس ولما وصلنا باب وادى القرن أنشدت موالياً :

لقد قرنا الصفا بالبسط أيا قرن لما أتينا صباحاً باب وادى القرن

ومذ عذول الحشا قد غاب ذاك القرن

دام التصافى لى مابعد نفح القرن

وجاءنى الأخ البقاعى ، بشيخ (١) نشره عابق للبشر داعى ، فكتبت وأنا على الدابة أسمه ما يجرى على القرطاس :

يا خليلىّ للبقاع فسيحا تريا مربعاً هناك فسيحا

واسقيانى كأس المدام لديه وانشقانى فيه خزاماً وشيحا

ولما أشرفت على الجبل ، إذ زال الخبل قلت :

يا ساكنين السفح من لبنان هيجتمو بسنا كم أشجانى

حولتمو قلباً أحب وقالباً فأتيتكم أسعى على أجفانى

وقد اقتفينا من الدليل العزيز الجليل الأبر ، الأثر ، لأنه أسلم ، وما زال يصعد بنا العقاب التى هى صعود للجوزاء بلاسلم ، لكن راقيها بإمداد من حل فيها للعناية والرعاية والحماية والكفاية يسلم ، حتى أتينا قرية نبى الله زربق فقلت :

يا نديمىّ من منام أفيقا هل أن تلتقيا لوصل طريقا

وانهجا منهج الحماة وسيرا للمعالى كى تنشقونى عبيقا

ثم زرنا فى القرية مقاماً للخضر أبى العباس ، وسبب تعدد مقاماته ، شهوده فيها لكثرة تطوراته ، وهذه علامة على حياته ، خلافاً لمن دندن بوفاته . وللدليل قريب فى القرية ثغره بسام ، أنزلنا لديه فقدم ما قدر عليه من إكرام ، وعزمنا فى الصباح أن بنزل مهل البقاع ، فرأيت مناماً دل على توديع السكان ، من ذلك النزل لمارض حر وعدم إركان ، فأتيت مع الرفاق إلى تل مشرف ، وأهديت النازلين من محمد وأركان الفواتح ، وقلت :

يا سراة نحو العزيز الخفير بلغوه سلام صب حقير (١)

خبروه بأننى مستهام فى هواه بحرقة وزفير الخ

وبعد أن ودعنا المضيف بالأمس ، جزنا إلى الشيخ يعقوب المنصورى ، وهذا الذى صنع البركة الإبريزية للملك الرشيد نور الدين الشهيد فعمل منها أوقافاً على عد عين تورا وزيد ، ومنها قاعة الفقراء فى الربوة بين تورا وزيد ، وزرنا أولاد شيخنا الجيلانى ، ثم تقدم بى الدليل بعد الزيارة إلى قرية (كوكب) قاصداً فيها صلة رحم وقرب أحباب ، فأنشدته مرتجلا لما غيم السكدر انجلى :

إننى فى سفرتى هذى التى فاق محياها سراجاً كوكبا

لم أزل أرقى الملا مع رفقتى ولهذا قد رقينا كوكبا

وسرنا إلى (الذنبة) ، بهمة طيبة الحضور والغيبة ، ولما امتلأت بالسرور المهيبة ، فتقت بالحبور الوفور الجيبة ، قصدنا بجمعنا قرية (حاصبية) فإذا هى قرية كبيرة مملوءة الأكناف بالطائفة الدرزية ، ومضينا للخان ونزلنا لديه ، ومنه جدينا السرى حتى أتينا قرية (ميس) ، الحاملة أهلها لواء ربيعة لا قيس ، الشيمة المائسين بحب الآل أى ميس . وهذه القرية من بلاد بشارة فأنشدت :

جاء ممن أحب ليلا بشارة مذ حللنا يوماً بأرض بشارة الخ

وصمدنا محلها المالى ذو الامتناع ، ونزلنا عند صديقنا الغالى على بقاع ، وأمسكنا لديه ممالا بإكرام ، وسرنا للدير والقاسى (٢) بأنس تام ، ونزلنا عند أحبابنا فى القاسى ، وحبب لى أن أمدح أهل الدير والقاسى ، لأنهم أهل قرب وقرابة كل منهم لا يرى تشفيهاً فقلت :

إذا رمت أن يسقيك سمعان فى الدير

أنخ جمل الترحال فى القاسى والدير الخ

وأشرت بصالحهم لصالح أكبر أولاد مراد فإنه صالح .

(لها بقية) أحمد سامح الخالدى

(١) الشيح بالكسر نبات منه أصفر الزهر يشبه السذاب فى ورقه وهو الأرمنى ومنه أحمر غليظ الورق وهو التركى ، وكله طيب الرائحة ومنه عربى ينبت فى بلاد العرب ترعاه المواشى .

(١) ممن ذكرهم الشيخ فى قصيدته ، شيث ، وإيليا ، ونوح ، وإلياس والنهرى ، وإيلون من الأنبياء ! وسيدى مسافر ، والرمانى ، والحداد ، والمنصورى ، وأولاد الجيلانى .

(٢) هى قرية دير القاسى من أعمال صفد الآن .

أذلاء صهيون ...

للأستاذ حامد بدر

أذلاء صهيون يريدونها غصبا
فهل قنصوا العنقاء أم خطبوا الخطبا ؟
أما طوا عن الغدر اللئام فأيقظوا
أسوداً تصب الموت فوق العدا صبا
(فلسطين) أرض لا ترام لناصب   وهل يطعم الرئبال من لحمه الكلبا
ومن يبتغ العنقاء يملن غباءه   وإن أخا (صهيون) فى بغيه أغبى
وماوعد (بلفور) سوى وهم واهم   به قومه أغرى فأضرمها حربا
وما الحرب إلا مصرع البغى وحده
ونصر لمن لله والحق قد لبى
ولست أرى فى مجلس الأمن منفذاً
لأمن ولكنى أرى الخوف والرعبا
ولم أر يوماً دولة ذات صولة   تنيل الضعيف الحق أو تضمر الحبا
ومن تخذ الخصم الألد مواليا   كمن تخذ الشيطان من جهله ربا
ومن سالم الطاغين يوماً فإنه   هو الحمل المسكين قد صادق الذئبا
وليس يرد البغى إلا بمثله   فويل لأهل البغى من فاتك هبا
وويل لهم من كل ظمآن زاحف   يعب دم الأعداء يوم الوغى عبا
وويل لهم من غضبة عربية
إذا التهمت نيرانها الرطب والصلبا
وويل لهم من ثورة لا ينيمها   سوى قطعهم طعناً وتمزيقهم ضربا

* * *

أذلاء صهيون على الوهم قد بنوا
لهم دولة فى الأرض ناطحت السحبا
أكاذيب آمال وآمال كاذب   وقد حلت الآمال لو لم تكن كذبا
وقد آمنوا الويلات فى وقفة الرحى
فلم يحفظوا للعهد واستأنفوا الحربا
فهل أطمعتهم (هدنة) قد سموا لها   وربضة ليث بالمنية لا يعبا ؟
وقد برزت أنيابه توهم الرضا
ولكن نفس الليث ما برحت غضبى
وهل نسى الباغون حرباً عنيفة
وقد ركب الباغون مركبها الصعبا ! ؟
فلم يتقوا سخط الحليم إذا انتضى   من الغمد صمصاما وجرده عضبا
وكل جبان يحسن القفز آمنا   وعند وثوب الليث لا يملك القلبا
وما حظهم من هدنة يخرقونها   سوى أنهم يبغون فى ظلها الوثبا ! ؟
وقد أمنوا الآساد لما تقيدت   بعهد عليها وحدها حرم الحربا
كأنهم الأطفال هاموا بلهوهم   فلم نلم الأطفال أن عشقوا اللعبا
ألا أيها الصنديد فى حومة الوغى   عدوك رعديد على الذل قد شبا
يهيم بجمع المال طول حياته   فيعشقه عشقاً ويعبده ربا
ومن يعبد الدينار لم يك باسلا   ولم يعل رأساً من على النشب انكبا

* * *

أذلاء صهيون ييممون ما به   يضن الجواد السمح . تباً لهم تبا
ولا نقص فيما يبيع يزعج بالهم
إذا العرض النامى على العرض قد أربى
هم يحسبون المال من أى مورد
غنى ومن الخسران قد طلبوا الكسبا
وقد زعموا فى الشرق نهبة ناهب
وضاقوا بيأس الشرق فاستظهروا الغربا
وأنصارهم فى الغدر من يعتصم بهم
فقد ثكل الأنصار والآل والصحبا
يريدون إطفاء الشموس جهالة   بأفواههم والله سبحانه يأبى !

حامد بدر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

عزيزي الأستاذ عباس خضر :

قرأت كلمتك في العدد ٧٩٥ من « حب الرافعي » وما كتبه في إحدى المجلات السورية حول هـذا الموضوع صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف « الأديب الذي استهلكه التعليم » ، وما عقب به صديقنا أيضـاً ... الأستاذ كامل محمود حبيب « الأديب الذي استهلكته الوظيفة » ، وما علقت به على ذينك الرأيين ، أو ذلك الرأي الواحد المعروض على القراء في صورتين ؛ ثم سؤالك من بعد : « هـل عند أحد من سائر تلاميذ الرافعي شيء في هذا الموضوع » ؟ .

وقد فهمت من سؤالك هـذا يا صديقي أنك تعنيني ، ولعل هذا ما فهمه أكثر قرائك أيضاً ... فلولا أنني مشغول الآن بما يكاد « يستهلكني » أنا أيضاً من أسباب الدفاع عن حريتي في الفن ، وعما ينالني به بعض أهل الأدب من أسباب الكيد — لرأيتني سريعاً إلى جوابك ؛ ولـكنه موضوع لم يفُـت أوانه على كل حال ...

أما أن الرافعي كان يحب « مى » صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، فشيء لا أنـكره ولا شك فيه ، وليس ينـكره أو يشك فيه الصديقان الأديبان مخلوف وحبيب ؛ ولـكن الذي ينـكرانه أو يشكان فيه هو « ماهية هذا الحب » هل كان حباً عقلياً ، أو حبـاً فنياً ، أو حبـاً إنسانياً ، أو حب كل رجل لـكل امرأة ... !

هذه هي القضية كما عرضها الصديقان فيما رويت عنهما ؛ وليس أمراً ذا بال — والمسألة بهذا الوضع — أن أخالفهما أو أوافقهما ؛ فإن المخالفة أو الموافقة في « الرأي » لا تمحو حقاً ولا تثبت باطلا ، وإنما يمحو ويثبت أن نختلف في « الرواية » ، وأنا قد « رويت » أن الرافعي كان يحب « مى » ، وقد « رويا » مثلي هذه الرواية ، ولـكنهما بعـد ذلك تناولا الأمر على نحو فلسفي ، فراح كل منهما يصف هـذا الحب في رأيه ويحاول استكناه حقيقته ، فزعما أن حب الرافعي لمى لم يكن حباً انفعالياً ، بل كان حباً إرادياً يقصد إلى هدف وغاية ... وهو نحو من التعليل قد يكون موفقـاً ، وقد يكون التعليل الصحيح غيره ؛ فهذه قضية سيكلوجية وفنيه يحتاج بحثها والفصل فيها إلى مقدمات ، وإلى دراسة نفسية معقـدة تستند إلى أسانيد من « الرواية » ، وإلى خبرة عملية في الحب . . . واسمح لي أن أستخدم هذا التعبير ...

وأنا قد حرصت منذ أول يوم حاولت فيه تأريخ الرافعي أن أكون « راوية » ... راوية فحسب ، لا فراراً من تبعة الرأي ، بل مبالغة في التجرد عند تأريخ حياة لم يزل صداها يرن في أذني وأنفاسها تعبق في جوي ؛ ولـكني مع هذا الحرص على التجرد الخالص لم أدع شاردة ولا واردة من ذكرياتي ، أو من مذكراتي ، عن حياة الرافعي ، إلا ذكرتها ؛ لتكون مقدمات الحكم ماثلة تحت عيون الباحثين من أهل الأدب حين تتقادم السنون ويصير الرافعي تاريخاً خالصاً لا تختلط به أصداء الذكريات الحية في نفوس بعض الذين عاصروه أو استمعوا إلى حديثه أو اتصلوا بحياته من قريب أو من بعيد ، وستجد يا صديقي في الفصل الطويل الذي تحدثت فيه عن « حب الرافعي » من كتاب « حياة الرافعي » من أسباب العلم بهذه « الحادثة » ما يهيئ لك أن تحكم وأن تـكون في هذه القضية صاحب رأي .

أما « رأيي » أنا ؛ فإني حتى اليوم — وقد مضى على وفاة الرافعي — أحد عشر عاماً وأشهر — ما أزال أشعر أني منه قريب قريب بحيث لا يتهيأ لي أن أكون في قضية من قضاياه صاحب رأي مجرد ...

ولـكني ما أزال مع ذلك أصر على أن الرافعي — رحمه الله — كان يحب مىّ صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، حباً ما ... وأنها أحبته ذات يوم ... حباً ما ؛ ولـكن حبها إياه قد انتهى

قبل أن ينتهى حبه ، أعنى قبل أن ينتهى عمره !

والسلام عليك .

محمد سعيد العريان

هذا ما تفضل بكتابته إلى صديق الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ، وحقاً كنت أعنيه ، فهو مؤلف « حياة الرافعى » ولكنى كنت أطمع أن يبدى رأيه من حيث كتابة الرافعى فى الحب ودلالتها على صدق العاطفة أو عدم صدقها ، مع الملابسات الواقعية التى يعرف دقائقها ، ولكنه آثر التجرد ... وأود أن تتاح الفرصة القريبة ليتجرد من هذا التجرد ويكتب « أدب الرافعى » الذى لابد أن يتضمن فصلا فى حب الرافعى ، وعندئذ لا يستطيع أن يتجرد من الخبرة المملية فى الحب ...

أين الأديب الحر ؟ :

أثار الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب ، مسألة الأديب الموظف والأديب الحر ، فعبر عن الأول بأنه « يتحتم عليه أن يكون أدبه فى حدود اللون الذى تتلون به الوزارة القائمة » واتخذ الأستاذ الزيات مثلا للكاتب الذى يستشعر الحرية فيما يكتب .

وأقول أولا إن المثل لا بد له من أمثال ، وأستاذنا الزيات له ظروف خاصة ليس لأحد مثلها ، هيأها وبلغها بجهده وقلمه ، وأصبح قلمه بهذه الظروف محرراً مما يقيد الأقلام ، فهو لذلك لا يصلح مثالا . وإذا تجاوزناه فإننا نبحث عن الأديب الحر بمصباح ديوجين .. سواء أكان موظفاً فى الحكومة أم غير موظف ، فأين هو ..؟

إن الأدباء غير الموظفين — أى الذين كان ينبغى أن يكونوا أحراراً — تتقاسمهم شتى القيود ، فنهم المقيد بالسياسة الحزبية ، ومنهم من يؤثر المنافع التى يملكها أصحاب السلطة فيكتب لهم ويغضى عنهم ، ومنهم من يحكمه لون من الصحافة يدر عليه الرزق الوفير .. وهـذا هو فلان الأديب الكبير الذى ترك الحكومة ليكون حراً فى عالم الكتابة .. هل صار حراً ؟ كان الله فى عونه ، ويسر له الرجوع إلى الوظيفة ، ليخرج فى ظلها الفن المصفى الذى كان يخرجه .

ثم انظر فى إنتاج الأدباء غير الموظفين وفيما يكتب الكتاب الأحرار ... أترى فيه شيئاً — فيما عدا السياسة الحزبية — كان يمكن أن تمنع منه وظيفة حكومية من حيث التحرر والتقييد ، وأين هو الأديب الذى أدى رسالة لا تتفق مع قيود الوظيفة الحكومية ؟ قد يكون هناك من آثر الصحافة مثلا على العمل الحكومى ، استجابة لميل شديد إلى الصحافة أو رغبة فى ربح مادى منها ، أو للعمل مع حزب من الأحزاب ، أو إباء تحكم الرؤساء ؛ ولكن من هو الذى رغب عن الوظيفة للحرية الأدبية فكان أديباً حراً ؟

ولعلنا نخلص من كل ذلك إلى قضية جديرة بالنظر ، وهى : هل فيما وراء أدبنا مجال وقف الأدباء عند شاطئه متهيبين أو عاجزين ، أو إنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟

من أخطاء الإذاعة :

أخطاء المذيعين فى اللغة وفى غير اللغة ، لا أول لها ولا آخر ، وهذا مما يؤسف له أشد الأسف ، لأن الإذاعة لسان مصر الناطق حقاً لا مجاز فيه ، فلا يليق أن يلحن هذا اللسان فى نطقه ويهلهل لغة البلاد ، ولا يليق أن يكون مدى علم المذيعين بشئون الأدب والثقافة ما يدل عليه خبطهم فى هذه الشئون خبط عشواء ... ولكن أى شىء لائق فى الإذاعة ؟

وكثيراً ما أتذرع بالصبر حيال تلك الأخطاء ، ولكن الذى لم أستطع الصبر عليه حذلقة بعض المذيعين والمذيعات بقولهم بعد انتهاء جزء من البرنامج : « سمعتم فى هذه الربع ساعة كذا » ويظهر أنهم مفتونون بهذا التعبير افتتانهم بإعلان أسمائهم مقرونة بإخراج البرامج والتمثيليات .. يظهر أنهم يستملحون ذلك التعبير فيكررونه ويتناقلونه مزهوين به كأنه « ذيل الذئب » الذى تنسب البطولة إلى من يأتى به . . ولا يدرون أنهم يصكون به أسماع أهل الذوق العربى السليم . وآخر ما سمعته كانت تنطق به مذيعة تجتهد أن تعرب فى أكثر الأحيان ، وتلحن أحياناً ... قالت : « سمعتم فى هذه الربع ساعة تقاسيم على الكمان من حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا » وقد أوقعها التقليد فى هـذا الخطأ وإن كانت تحرص على الصواب ، ولذلك أصححه لها هكذا : « سمعتم فى هذا الربع الساعة » أو « سمعتم فى ربع الساعة الماضى »

والأحسن أن تدع هذه الحذلقة كلها وتقول : « سمعتم كذا » وتخلص نفسها من هذه الورطة ، وتخلص صوتها الرقيق من تلك الشائبة . أما المذيعون (الخناشير) فليخبطوا كما يخبطون ...

ومن أخطاء المذيعين التي لاحصر لها ، نسبة الأغنيات إلى غير قائليها ، فما لعلي طه ينسب إلى محمود حسن اسماعيل ، وتصور ما لإيليا أبوماضي مثلا ينسب إلى محمد الأسمر !

وأشنع ما سمعت من هذا القبيل أن قدم أحد المذيعين أغنية لأم كلثوم من شعر شوقي فقال إنها من تأليف « محمد شوقي بك » ! ولا أظن هذا المذيع يخطىء في اسم « محمود شكوكو » كما يخطىء في اسم أمير الشعراء .

ومن أخطاء الإذاعة في تنظيم البرنامج ، هذه الأناشيد الحماسية التي تلقيها الأصوات المزعجة في منتصف الليل أو قبيله ، فهل يطلب من المستمعين أن يأخذوا قسطهم من الحماس قبل النوم ؟! وعلى من يبكر منهم في النوم أن يهب مذعوراً على صوت راديو الجيران أو القهوة المجاورة ، ليأخذ نصيبه من ذلك الحماس ! وعلى هؤلاء وأولئك أن يكونوا جميعاً وطنيين متحمسين في أحلامهم طول الليل . .

افتتاح دورة المجمع اللغوي :

افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، الدورة الحالية يوم الاثنين الماضي ، فانعقد مجلس المجمع برياسة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك باعتباره أكبر الأعضاء الحاضرين سنا ، وذلك لمرض صاحب المعالي لطفي السيد باشا رئيس المجمع .

ومما أقره المجمع في هذه الجلسة التوسع في تعزيز اللجان بالخبراء الفنيين الذين يندبون للعمل بلجان المجمع لقاء مكافآت ؛ فيعملون مع الأعضاء لإنجاز الأعمال الفنية .

وعرض على المجلس موضوع اختيار أعضاء مراسلين للمجمع من لبنان والجزيرة العربية ، فأجل النظر فيه ؛ والمقصود من هذا الموضوع استكمال تمثيل البلاد العربية في المجمع من حيث عضوية المراسلة ، فقد سبق أن اختير أعضاء مراسلون من سائر أقطار العروبة ماعدا هذين القطرين الشقيقين . والرأي متفق على هذا الاستكمال ، أما موضع النظر فهو تعيين الأشخاص .

اليهود دائماً :

جاء في تقرير كتبه عن اجتماع مؤتمر المستشرقين في باريس ، الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ممثل المجمع في المؤتمر — ما يلي :

« ولقد حاولنا أن نظفر بتقرير عقد الاجتماع المقبل للمؤتمر في القاهرة ، وكان لنا بين الأعضاء أنصار كثيرون ، ولكن الأمر انتهى للأسف بتقرير عقد الاجتماع القبل في اسطنبول . ومرد هذه النتيجة إلى أسباب أهمها » :

« ١ — التأخر في وصول الدعوة الرسمية بحيث لم تبلغ إلا قبيل انعقاد الجلسة الأخيرة .

« ٢ — تأثير مشكلة فلسطين على العلاقة بين الشرق والغرب عامة وبين مصر والدول الأوروبية والأمريكية بوجه خاص ، والجهود الكبيرة التي بذلها المستشرقون اليهود وأنصارهم في سبيل حمل المؤتمر على عدم تقرير اجتماعه المقبل في القاهرة . »

وهكذا يحارب اليهود الجهود العربية في كل مجال ، حتى في الهيئات العلمية ، وهكذا يستجيب لهم الغربيون حتى ذوو « الأرواب » العلمية .

عباس خضر



الجوييم :

وردت هذه الكلمة فى محاضر المؤتمر السرى الذى عقده شيوخ اليهود فى القرن الماضى ، وهو الذى لخصته فى مقالات فى الرسالة وعلقت عليه . وقد ذكرت اللفظة مراراً بنصها هذا كما ذكرها مترجم تلك المحاضر عن الروسية إلى الانكليزية وفسرها بقوله أنهم يطلقونها على جميع الأمم غير اليهودية ، وعلى النصارى على الخصوص . وفى أثناء نشر مقالاتى فى الرسالة علمت من خبير أن كلمة جوييم تعنى « الانجاس » والجوى « نجس » وهم يعنون أن جميع الأمم غيرهم « أنجاس » .

وفى العبارة التى نقلتها مجلة الأزهر عن الرسـالة ، ونصها : « لأن وظيفـة هؤلاء الحـكام الوطنيين (أعنى باشاواتنا) أن يمسكوا البقرة (اقتصاديات مصر) بقرنيها لـكى يحلبها شعب الله المختار (الجوييم) قصدت بأن « الجوييم » نعت لشعب الله المختار (كما يسمون أنفسهم) أعنى أنى نعتهم بما ينعتون به سائر الأمم لأن تصرفاتهم وسلوكهم وأخلاقهم تثبت أنهم أنجس الأنجاس كما يعلم كل إنسان على وجه الأرض .

نقولا الحداد

عقيدة جلال الدين الرومى :

اتهم الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ فى مقالة « جلال الدين الرومى » المنشور فى العدد الأخير من مجلة الرسالة الزاهرة بأنه « حلولى » وذلك بدون إبداء أسباب مقبولة أو إيراد أقوال صريحة عنه تؤيدان هذا الاتهام .

ومع الأسف الشـديد أؤكد أنه ما من باحث إلا ويلقى الـكلام فى الصوفية جزافاً ويرميهم بأحد المذاهب المضلة الباطلة التى لا يقرها عقل ولا يؤمن بها قلب ولا يعتنقها إلا كافر بالله أو ملحد لم يشم رائحة الإسلام الذى هو فى روحه ومعانيه يقدر موضع العبد من خالقه الذى ليس كمثله شىء .

ونعيذ المتصوفة أن تكون من الفئة المارقة الخارجة على الدين الإسلامى الحنيف . وإنى أسأل : هل شققنا عن قلوب هؤلاء المتصوفة فرأينا أنهم كانوا على الباطل فى حياتهم وأنهم تركوا الدين وراء ظهورهم فلم يؤدوا ما أمر الله به ولم ينتهوا عما نهى الله عنه أو انسلخوا عن الدين فاعتقدوا أن الرب عبد والعبد رب . إن هذا قول لا يقره عقل ولا دين .

وإنى إذ أبرىء[1] المتصوفة من مذهب الحلول تطيب نفسى أن تشهد بأن جلال الدين الرومى من هؤلاء الصفوة المختارة الذين كان لهم أثر محمود فى إظهار نور الشريعة قولا وفعلا واعتقاداً .

فلله هؤلاء الصوفية البؤساء الذين لم يسلموا من ألسنة الناس فى حياتهم وبعد مماتهم ، ورحمهم الله .

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

المفعول معه وواو المعية :

تعرض الأستاذ أحمد عبد اللطيف لمناقشة ما كتبته حول المفعول معه وواو المعية ، فأورد أموراً رأى أنهـا تحتاج إلى المناقشة فقال :

١ — إن سياق الآية « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم » بعيد عن الدقة لأنى قلت إن الإيمان منصوب على أنه مفعول معه . والرد على هذا من وجوه .

(ا) لست فى كتابتى للموضوع أبحث عن ترجيح إعراب للآية دون إعراب ، ولم أمنع أن فيها أوجهاً أخر ، والأستاذ متفق معى على أن الصبان فى حاشـيته على الأشمونى أوردها على الرأى الذى ذكرته ، وأزيده أن السيوطى فى كتابه همع الهوامع أوردها كذلك فقال « وجاز النصب على المعية وعلى إضمار الفعل الصالح نحو فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومثله تبوءوا الدار والإيمان . فالإيمان مفعول معـه أو مفعول به باعتقدوا مقدراً » . فإذا كان للآية أو للشاهد عدة أوجه — وكل وجه منها صحيح — كما فى الآية واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، بجر الأرحام عطفاً أو مقسما بها ، وبنصبها عطفاً به ، ألا يجوز للـكاتب أن يذكره فى معرض الاستدلال وبخاصة إذا كان سليما من التأويل والتقدير ؟

(ب) الآية وردت فى الأنصار . فمن قال بتقدير فعل مناسب احتاج إلى أن يقول : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان من قبل المهاجرين . ثم احتاج إلى أن يقول تبوءوا الدار

(١) يراجع مقالنا « لا حلول ولا اتحاد عند الصوفية » المنشور فى الجزء السابع من مجلة الكتاب القراء — يوليو سنة ١٩٤٨ — وفيه أسباب الاتهام والتبرئة .

من قبل هجرة المهاجرين . وذلك لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وإنما بعدهم وإن كانوا آمنوا قبل هجرتهم . ومن قال بتقدير فعل يصح انصبابه على الاسمين احتاج إلى أن يقول : لزموا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ثم لزموا .. من قبل هجرة المهاجرين . أو قالوا فى الحالين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وأخلصوا الإيمـان . أو لزموا الدار من قبل المهاجرين ولزموا الإيمان وعلى كليهما اضطررنا إلى تأويل وتقدير أو تقديم مع أن هناك قاعدة مشهورة وهى أن ما سلم من التقدير أولى مما احتاج إلى تقدير .

(جـ) أما من يرى أن الإيمان مفعول معه فقد تجنب أكثر هذا التكلف ، قال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : قال ابن عطية والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان وبهذا الاقتران يصح معنى قوله — من قبلهم — فتأمله .. اهـ

(د) يوهم ما كتبه الأستاذ أن الفراء والفارسى والمازنى إلى آخر من ذكرهم قد تعرضوا للآية عند التكلم على التوضيح إذا امتنع العطف والمفعول معه كقوله :

علفتهـــا تبناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناهـــا

وكقوله :

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيـونا

أضمر فعل ناصب للاسم الواقع بعد الواو وهذا قول الفراء والفارسى ومن تبعهما . وذهب الجرمى والمازنى والمبرد وأبو عبيدة والأصمعى واليزيدى إلى أنه لا حذف وأن ما بعد الواو فى « البيتين » معطوف على ما قبله ، وذلك على تأويل العـامل المذكور قبلهما بعامل يصح انصبابه عليهما معاً فهـو من باب التضمين « ومثل ذلك ذكره السـيوطى فى الهمع . فالشاهد الذى يعارضنى به الأستاذ وقد استمده من النسق — وأزيده أنه قد ذكره غيره — إنما هو فيما لا يحسن أن توضع فيـه واو المعية ولا يحسن فيه العطف فاضطروا إلى التأويل والتقدير أما الآية فهى فيما يجوز فيه النصب على واو المعية وإضمار الفعل الصالح . فالتنظير غير تام بين الآية والبيت . ومن كل هذا نخلص إلى أننى لم أكن بعيداً عن الدقة وإنما كنت أقرب إليها منه ، هذا فى الوقت الذى لم أكن أقصد فى بحثى الأسبق إلى ترجيح إعراب على إعراب وإنمـا كنت أقصـد إلى أن الواو فى المفعول معه نص فى المعية بدون تجوز أو تأويل ، وشواهدى التى سقتها صريحة فى هذا ومنها الآية الكريمة . ولا يكفى فى الرد أن يقال هذا بعيد كل البعد أو أن هذا ضعيف من غير تبيان وجه البعد أو الضعف ؛ فإذا ذكر بعض المفسرين أن المفعول معه فى الآية ضعيف بدون حجة يبديها ، لا يكفى فى الإبعاد والإضعاف ما دام التعبير سليما واضح المعنى .

٢ — يظاهرنى الأستاذ على نقدى تعريف المفعول معه ومن العجب أنه مع ذلك يريد أن يعتبر — بدون قصد — استذكرت والمصباح وأمثاله صحيحاً مع أننى قد بينت أنها أمثلة خاطئة إذ أنك لا تقول فى كلام عربى فصيح استذكرت مع المصباح وإنما تقول استذكرت على ضوء المصباح . ولعل الأستاذ لم يتنبه إلى مرادى فى بحثى الأسبق فـكان منه ما اعترض به .

٣ — إن أسلوب الأسـتاذ الإفهامى — الذى ذكره — ليستدنى القاعدة إلى أفهام تلاميذه إنما هو الواقع أسـلوب يستبعدها . ألا ترى أن التلميذ وهو فى الرابعة الابتدائية لايتابعك حين تقول له : « استذكرت والمصباح ، إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث إذ أن المصباح لا يستذكر . وإن المصباح مفعول معه وليس معناها اسـتذكرت مع المصباح أى مصاحبا المصباح وإنما حصل « الحدث » مقارناً للمصباح » . ولـكن يفهمك من أول الأمر إذا قلت خرجت والأصـيل ، أى مع الأصيل . وهذا ما قلته سابقاً وما جعلنى أخطىء مؤلفى كتب القواعد التى ابتدعوا فيهـا أمثلتهم فلجئوا إلى تعريف يوضح ابتداعهم العجيب .

٤ — قال الأستاذ إنى أحلت قول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتى مثله إلى الحال وأننى قد تجوزت فى رأيى تجوزاً بعيداً . وأنا من جهتى أعجب للأستاذ ألا يتنبه إلى أن قولى إنما كان « تمهيشاً » وضعته ليـكون ضابطاً لمعرفة واو المعية وفاء السببية ، ولن تجد شاهداً صحيحاً يخرج عن رأيى ، فالآية : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، معناها والله أعلم أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا مع حالة كونهم غير مكذبين بالله ومع حالة كونهم من المؤمنين . ومثل هذا يقال فى الأمثلة والشواهد التى ذكرتها فى بحثى الأسبق . وإنى لشاكر للأستاذ أن أتاح لى فرصة الإيضاح، ولعله تنبه إلى ما أردت وذلك على قدر ما أعلم ، وأختم بما ختم به وفوق كل ذى علم عليم .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

شجرة الزقوم فى امتحان الرسم :

نشرت « الرسـالة » مقالا للأستاذ عباس خضر ، انتقد فيه السؤال الخاص برسم الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين. إلى آخر ما ترمز إليه الآيات الشريفة . . وأرى أنه من الواجب قبل النقد أن يقف حضرته على الأسس التى بنى عليها هذا التطور المفاجيء فى طرق تدريس هذه المادة والغاية التى تسمى إلى تحقيقها ، هناك أمران مهمان :

أولا : يجب أن تخاطب الصورة المطلوب التعبير عنها « قلب » الطفل ونفسه فيمتلىء بها شـعوره وإحساسه ، بصورة خاصة أدركها فكره الخاص ، فإذا ملأت الصـورة قلبه وفاضت بها روحه واستحوذت على مشاعره ، كان لها عليه سلطان شديد . فإذا ما أعطى الفرصة للتعبير عنها ، جاء تعبيره ترجمة صادقة لما يجول فى عوالم نفسه . وما دام قد فاض الينبوع من صـدره وتفجر من أعماق نفسه ، ففى تعبيره هذا تأكيد لنفسه ولشخصيته ، وفيه شفاء لغليله ورياً لظمأه . وهذا يختلف عما إذا خاطبت الصورة المطلوب التعبير عنها « عين » الطفل ، فهو فى هـذه الحالة يحاول أن ينقلها لنا نقلاً جيداً فيصبح ذلك المقلد الماهر لما يراه لا المعبر الصادق لما يجول فى عوالم نفسه .. وشتان بين هذا وذاك ، كما أن الصورة المنقولة عن العين تخاطب « العقل » شأنها فى ذلك شأن سائر المواد الدراسية الأخرى التى يحيا فيها الطفل طول الأسبوع . أما الصورة المنقولة عن القلب فتخاطب « العاطفة » . ويجب أن نذكر أن فى هذا التنويع ضرورة لحياة الطفل فهو عقل وروح .

ثانياً : الصورة التى تخاطب العين تـكون واضحة فى ذهن الطفل فهى دائماً أمام عينيه واضحة كل الوضوح ، مما يجعل الدافع النفسى عند الطفل إلى التعبير عنها ضعيفاً أو معدوماً ، فلا حاجة به إذاً ، ولا دافع كذلك فى نفسه يدفعه إلى التعبير عنها حتى يراها أمام عينيه على ورقة الرسم . على العكس من الصورة التى تخاطب القلب فهى غامضة فى ذهن الطفل ، شـديدة التأثير فى نفسه كما يبدو ذلك جلياً فى الأحلام مثلا فيكون الدافع النفسى عند الطفل للتعبير عنها قويا شـديداً ، محاولا فى ذلك أن يزيح النقاب عن وجه الصورة التى يحسها — فغموضها فى ذهنه يدفعه إلى محاولة إيضاحها فى الرسم ، وقوة تأثيرها فى قلبه تدفعه إلى التعبير عنها بالرسم — ليرى فى النهاية ما أحسه بنفسه غامضاً قد أصبح واضحاً أمام عينيه على الورق .. كالحاجة الملحة التى تدفعنا إلى تذكر الحلم فى الصباح .

ولست أوافق الأستاذ عباس خضر فى أن يقصر « مقدرة التخيل » على المباقرة كأبى العلاء ودانتى ولـكنها عامة عند الجميع

ولعل فى ذكر الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشـياطين صوراً غامضة تثير نفس الطفل نحو التعبير عنها .

ولسنا نبغى من وراء هذه الخطة أن نكلف الناشىء العادى أن يكون فناناً كما ذهب حضرته فى ذلك ، وإنما رائدنا تكوين شخصية نامية مستقلة عند الطفل ، يحس بها إحسـاساً ذاتياً معتمداً عليها فى كل ما يعترضه فى الحياة . إذ يجب ألا يكون العالم الخارجى هو النموذج الأعلى عند الطفل يقلده فيحس بصغر شـأنه إزاءه ، ولـكن يجب أن يحس الطفل عملياً بقيمة نفسه ، وبأنه النموذج الأعلى فى هذا الوجود .

كامل بطرس عصفور

مدرس الرسم بمدرسة المنصورة الثانوية للبنات

وحدة الأسماء :

كتب الشاعر الرقيق — أحد من تشرفت بمشاركته فى الإسم الـكريم — الأستاذ محمد محمد على (السودانى) كلمة فى العدد الماضى من الرسالة ، عن اشتراك أكثر من واحد فى اسم واحد ! وقد عرفت من مطالعتى المستمرة للرسـالة ، أن هناك — فى محيط الرسالة على الأقل — ثلاثة يحملون اسمه الـكريم . أما الأول فهو مترجم السادهانا (كنه الحياة) لطاغور (وهناك مترجم آخر لها وهو الأستاذ طاهر الجبلاوى (تحقيق الحياة) . وأما الثانى فهو الشاعر (السودانى) . وأما الثالث فهو العبد الضعيف كاتب هذه السطور ، الذى نال شرفاً عظيما باشتراكه فى الإسم مع كرام أفاضل . وقد نشر له فى الرسالة الغراء فصول فى التاريخ والاجتماع ، مترجمة عن هانز كوهن والأستاذ جب . وهو طالب بليسانس الجغرافيا بـكلية الآداب .

لقد كان الصديق الشاعر على حق فى سودنة اسمه « سودنة خفيفة لطيفة » ليست أخف من قصيدته ولا ألطف ..

محمد محمد على

قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد



الاسكندر الأكبر (*)

تأليف الأستاذ أرثر ويجال

نحن اليوم نستقبل الصبح من نهضة فنية مباركة، تسرع شمسها نحو الشرق لتملأ الدنيا نوراً ودفئاً، ونحن اليوم أشد ما نكون رغبة في دراسة سير الأبطال ممن جاد بهم التاريخ — والاسكندر شخصية ذائعة الدوى في أسماع الزمن، فلا يكاد التاريخ يحدثنا عن ملك اجتمعت له كل أسباب الشهرة كما اجتمعت للاسكندر، فلقد شغل الكتاب والمؤرخين، والباحثين، والعلماء في كل زمان ومكان، ومن هؤلاء من رافقه من المهد إلى اللحد، ومنهم من كان في ركابه لما خرج من مقدونيا غازيا فلم تعظم عليه أشد البلاد بأساً وعناداً، ومنهم من اضطلع معه بشئون السياسة والإدارة فخبر أساليبه وما قدر لها من نجاح أو فشل، ومنهم من عنى بتدوين يومياته ومذكراته الخاصة وأقواله، فكان منهم المقسط وكان منهم المتحامل المتعصب الذي يرى فيه شاباً حالفته الشهرة ولم يسع لها سعيها وهو مؤمن. على أنه لم يكد ينتصف القرن الأول الميلادي حتى نشر الاسكندر أربعة بحوث هامة كتبها ديودور الصقلي وبومبي وأرفوس ولكن أوفاها ما كتبه بلوتارخ.

والمؤلف الذي بين أيدينا كتبه أستاذ كان مفتشاً عاماً للآثار بمصر وهو ممن تخصصوا في دراسة تاريخ حياة شخصيات التاريخ اللامعة، فنحن نعرف من مؤلفاته حياة أخناتون، الخاصة «وهو إمام الوحدين في العالم القديم»، «وحياة كليوباترا الخاصة» فاتنة الأجيال، ونيرون ومارك أنطونيو ... وهو يتناول سيرة الاسكندر ويعني بنسبه وموطنه، ويصاحبه طفلاً غريراً، وفتى يافعاً، وشاباً طموحاً، ومحارباً بطلا، وسياسيا فذا، وعاشقاً متزناً، لا يصرفه الغرام عن الواجب، وقائداً منصوراً لا يدفع به الظفر إلى الأسراف في البطش.

ويشير المؤلف إلى النقطة التي بدأ عندها بحثه فيقول: بدأت بحثي من النقطة التي ظل يعتريها الغموض أجيالاً طوالا فلم أرها واضحة كل الوضوح فيما قرأت من مؤلفات، تلك هي مشكلة ولادته. فلقد ظل يعتقد بأنه ابن للإله الأغريقي المصري (زيوس آمون)، ولعل هذا الاعتقاد قد أضفى على شخصه لوناً من القدسية ظلت عالقة في أذهان الناس قروناً بعد وفاته، ففي بعض بلدان العالم كان ينظر إليه كإله حق مبين ... وفي بلاد الأغريق والرومان كانوا يعتقدون أنه الإله الثالث عشر لأسرة الأوليمب، وتروى عنه أحاديث اليهود أنه كان خادماً ليهوه المبشر بالمسيح، وصاحب عرش سليمان، والمسلمون يرون فيه بطلا وفقه الله ليحق الحق ويمحق الضلال، وفي بعض كنائس المسيحيين كانوا يعتقدون أنه واحد من قديسيهم متجاهلين بذلك السبق التاريخي.

وينتقل بنا المؤلف إلى صبا الاسكندر، ويوضح لنا كيف كان في صباه فارساً مشغوفاً بالركوب والرياضة، مليئاً بالثقة بنفسه، كثير النقد لكبار رجال الدولة، يطعن في تصرفاتهم، ويثبت أخطاءهم، وهي صفات يقول عنها رجال التربية اليوم إنها من صفات النجباء المبرزين.

ويوضح لنا المؤلف ناحية دقيقة من حياة الاسكندر وأبيه، والمجتمع الذي نشأ فيه، فيقول: «ويلحظ الأب على ابنه الصبي أمارات الأنوثة» — لا يخطئها الناظر إلى تمثال الاسكندر الشاب المحفوظ بالمتحف البريطاني — «فهو مليح المحيا، وضاح الجبين، يجري في وجهه الأبيض حمرة خفيفة رائعة كالتي يراها المرء على وجوه فتيات الأغريق» إعتاد أن يميل رأسه بلطف ورقة .. له عينان ناعستان جذابتان، يحب أشعار هوميروس حتى أطلقوا عليه (عاشق هوميروس) ... يهوى الموسيقى ويلعب بأنامله الرقيقة على أوتار القيثار فيخرج بها أنغاماً لينة ناعمة.

كان كل هذا مما يقض مضجع الأب، فقد كان أشد ما يخشاه أن يمسي ابنه واحداً من غلمان مقدونيا ممن يتسرى بهم رجال الدولة، ولو أنه هو نفسه كان أحد هؤلاء الرجال. ففكر ودبر، وهداه طول التفكير والتدبير إلى أن يدفع به إلى أيدي أرسطو ليؤدبه ويعلمه الفلسفة والحكمة والعلوم الماشية.

ويصاحبنا المؤلف إلى جلسات التلميذ من أستاذه الفيلسوف

(*) نشرة آيروسبوتزود بلندن ١٩٤٨.

وبين لنا جانباً من تعاليم أرسطو للاسكندر ، وكيف هضم الاسكندر هذه التعاليم وتشبث بها واستخدمها وصار يفضى بها للناس كلما حانت ساعة الإفاضة .

وفى سنة ٣٣٥ ق م كان الاسكندر قد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وكان قد خلص من توحيد ممالك شبه الجزيرة تحت التاج المقدونى ، وكان قد فرغ من حشد حملته التاريخية التى خلدت اسمه ، وانطلق بها يغزو امبراطورية الفرس فى شرق الأرض

ومن أدق ما صوره لنا الأستاذ ويجال فى كلامه عن الاسكندر السنة الأخيرة من حكمه ، فقد أحصى المؤلف على الاسكندر حركاته وسكناته ، وساعاته ولحظاته ، وأورد لنا نصوصاً من خطبه فى جنده المتمرد ، وكيف تمكن بلباقته وحسن أدائه وسرعة خاطره من كبح جماحهم دون أن يذلهم ، وكيف كان الرجل صاحب فكرة ، فلم يكن فاتحاً تدفعه شهوة الفتح ، ولم يكن ملكا يبغى الملك ويعشق السلطان ، بل كان هذا وكان يدين بمبدأ الأخوة العالمية والاندماج العنصرى بين الشرق والغرب فأعد لجنوده حفلا كبيراً لتزويجهم من الفارسيات بالجملة ، واتخذ له بطانة من قادة السيف والعلم من الفرس وقربهم إلى نفسه فقرب إلى نفوسهم ، وأحبهم فعظم إخلاصهم له مما أحقد عليه أجناده المقدونيون .

ويحدثنا المؤلف عن بناء الاسكندر لأسطوله المعظم فى ثغور المشرق ليدور به حول أفريقا ويعود من بوغاز جبل طارق إلى الاسكندرية ، فيكون قد كشف ما خفى من أقاليم العالم ، ويتم له توحيدها تحت تاجه . وكان الأسطول يرقب يوم السفر حينما أصيب الاسكندر بالحمى — لعلها الملاريا — وألحت عليه العلة وهو يصارعها بما جبل عليه من حب الصراع . إلا أن الاسكندر قد رقد ولم يطل رقاده أكثر من ثلاثة أيام ودع بعدها الدنيا وهو أكثر ما يكون شباباً وحيوية وأملا فى إقرار عدل عالى ، ما أحوجنا اليوم قبس منه ...

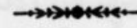
والكتاب بحث من البحوث العلمية الدسمة ، فهو لا يترك شاردة ولا واردة من حياة الاسكندر إلا أحصاها ، وينقد المراجع القديمة والحديثة نقداً علمياً متزناً ويخرج بالقارىء برأى المؤلف واضحاً لا غموض فيه ، وهو كتاب تاريخ لمن يحب التاريخ ، وكتاب أدب لمن يعشق الأدب ، وصفحة بطولة ومجد وفخار تهوى إليها كل الأفئدة .



وحيــدة

للكاتب الانجليزى دون آفنيل

ترجمة الأديب حسن فتحى خليل



كانت الحجرة الطويلة تلمع فيها الأضواء المنعكسة من زجاج النوافذ العالية، وضوء شمس الربيع الزاهية يلامس رؤوس المدعوين إلى حفل الزواج وقد انتشروا جماعات فى أركان الحجرة

وابتسمت السيدة تريل وهى واقفة وحدها على السلم الذى يفضى إلى تلك الحجرة .. وتذكرت فجأة أشياء غريبة .. فهاهى حلقة جديدة من حياتها تبدأ اليوم .

لقد كان أول ماتبدلت تلك الحياة حينما تزوجت من ريتشارد، ثم لحقها تغير آخر حين مات زوجها بعد عشرين عاماً .. والآن . هاهى ابنتها قد تزوجت، وقذفت الحياة أمها نحو مستقبل مجهول. ولأول مرة ستغدو وحيدة .

ولقد حدثتها نان فى ذلك قبل هـذا بيومين وهى تحيطها بذراعيها وقالت : « أرجو أن تكونى بخير فى وحدتك يا أماه .. لقد كنا معاً دائماً لمدة طويلة ، أنا أعرف أنك ستفتقديننى » فابتسمت السيدة تريل وقالت « لا تنزعجى يا نان ، سأتغلب على هـذا » .

فقالت ابنتها : « فى استطاعتك دائماً الإقامة معنا أنا وتوم يا أماه » فأجابتها « سنرى ذلك » .

ووقفت تراقب زوج ابنتها وهو يتنقل بين المدعوين .

ستغدو وحيدة ، لا تطهى طعاما لأحد ، ولا ترتب حجراتها لشخص ما ، ستعود إلى منزلها فى الغروب وتتناول عشاءها بمفردها .. وسيبقى الباب مغلقاً حتى الصباح .

منذ عشر سنوات وهى لم تشعر بانفرادها أبداً ، لقد كانت تحس بوجود نان بجانبها دائماً ، حتى وهى تحتسى القهوة مع صديقاتها أو وهى جالسة فى ظلام دار السينما . لقد كانت نان فتاة طيبة ، فحين توفى والدها أصرت على أن تبحث عن عمل ، وكانت حينئذ فى الثانية عشرة من عمرها . وباجتهادها وتوفرها على عملها أمكنها بعد سنتين أن تغدو سكرتيرة لرئيس العمل .

وبعد خمس سنوات تغيرت حال عائلة تريل فإذا هم يذهبون لقضاء أيام العطلات فى توركواى وينزلون فى الفنادق الفخمة ويقيمون حفلات الشاى والكوكتيل الأنيقة .

ولقد قالت السيدة تريل يوماً لابنتها نان « أليس من الأوفق يا عزيزتى أن نقيم فى أماكن أقل تكاليف ، فأنا أعتقد أن نقودك لن تحتمل كل هذا ، وأنا لا أرغب فى كل هـذه الكماليات كما تعرفين » .

ولكن نان ابتسمت وهى تقول « يجب أن نتمتع قليلاً يا أماه . إنى أوفر لك السعادة وما عليك إلا أن تستريحى وتتركى لى أنا التصرف فى أمورنا المالية » .

ولم تتناول السيدة تريل هذا الموضوع بالحديث ثانية . إن نان فتاة طيبة ، إنها لتذكر حين كانت تصحبها وهى طفلة إلى شاطىء البحر . كان زوجها ريتشارد ما يزال على قيد الحياة حينئذ ، كانتا تتمشيان على الشاطىء فتهمس إليهما الأمواج ويداعب الماء أقدامهما ، ويستمتعان بتلك الأنوار السحرية التى تلمع فى أركان السماء الداكنة ، ثم يقفان خلف المقاعد يستمعان إلى الموسيقى النحاسية تعزفها الفرقة العسكرية ... وكانا يحرصان خلال هذه الأيام على كل بنس يمتلكانه .

ولكن نان بدلت من كل هذا ، فلقد أصبح منزلها أنيقاً .

وهى تذكر دائماً كلما وضعت قبعتها ومعطفها صوت نان تسألها :

— « أخارجة أنت يا أماه » ؟

— « نعم يا عزيزتى » .

— « أتقصدين مكاناً معيناً » ؟

— « كلا ... سأمشى قليلا فى الحديقة » .

— « سأصحبك .. فلا يجب أن تذهبى وحدك أبداً ، وسنحتسى

القهوة معا حين نعود » .

وهكذا .. كانا يذهبان إلى كل مكان معاً ، وكانت تحرص نان على ألا تكون والدتها وحيدة .

وسار الحال على هذا المنوال حتى العام الماضى ، حينئذ ظهر اسم توم بيرنز فى أحاديث نان ، كان رئيسها ، وهو شاب طويل أنيق ذو ابتسامة جذابة .

وأصبحت نان ترتدى ملابسها فى أوقات الغروب وهى تقول لوالدتها :

— « أتسمحين لى بالخروج » ؟

— « طبعاً » ...

— « أقصد أنك ستبقين بمفردك هذا المساء » .

فتبتسم السيدة تربل لابنتها وهى تقول — « أنت فتاة طيبة يا نان .. أخرجى وتمتعى » .

وحتى فى هذه الأوقات وبالرغم من وجودها فى المنزل بمفردها ، كانت تشعر بوجود نان معها دائماً ، وكانت تعرف بأن المفتاح سرعان ما يدور فى ثقب الباب بعد الحادية عشرة بقليل . . . وعليها أن تقوم بتحضير القهوة وترتيب البهو فربما جاء توم مع ابنتها .

ولقد كان توم فتى لطيفاً ، وحينما طلب يد نان ابتسم فى خجل وهو يقول :

— « أنا أعرف أنكما متلازمتان . . وأنا لا أرغب فى أن تشعرى بالوحدة حين تتزوج نان ، وأرجو أن تعتقدى أننا نرحب بك للاقامة معنا دائماً » .

ولكن السيدة تربل كانت تخشى دائماً التدخل فى حياة أى فرد . إن الشابين الصغيرين سيرغبان فى الانفراد ، وعليهما أن ينعما بحياتهما الخاصة . لذلك قالت « سنرى ذلك يا توم » .

والآن قد بدأت الحلقة الجديدة ، وسيظهر أفق حديث فى حياة السيدة تربل . وكانت ما زالت واقفة فى مكانها على السلم وهى تبتسم لهذا الطوفان من الذكريات .

وتجمع الضيوف ولاحظت توم وهو يشير إليها ويصيح بكلماته التى لا تسمعها وسط الضجيج ، وبدأت تهبط السلم ، ثم سلكت طريقها بين المزدحمين . كان شعورها يبعد بها عن الضجة والمرح إن سعادتها يشوبها الجد وإحساس دقيق من الأسى لمرور الوقت وانتظاراً للحظة — الفاصلة — .

وأخذت نان بيدها وهى تنظر إليها بعينين لامعتين ثم قالت :

— « الوداع يا أماه . »

— « باركك الله يا نان . »

— « آه ... يا أماه ... أرجو ألا تشعرى بالوحشة ، بل يجب ألا تستسلمى لذلك الشعور » .

— « الوداع يا عزيزتى نان . »

وفتح الباب فانتشر ضوء الشمس وتعالت الأصوات المرحة حول السيدة تربل الواقفة فى هدوء على عتبة المكان وأشارت إليها نان بيدها وهى جالسة داخل السيارة . وضحك توم . . ثم تحركت السيارة . . وزادت سرعتها حتى اختفت فى منعطف الشارع .

وظلت السيدة تربل واقفة وقد غمرها شعور من الأسى ولم يقطع خيط تأملاتها سوى صوت يقول :

— « يا عزيزتى السيدة تربل .. كم ستفتقدين نان ! »

كانت جارتها فى المنزل ، فابتسمت قليلا ثم قالت فى هدوء :

— « سيبدو الأمر غريباً بدونها »

— ستغدين وحيدة ، لقد قضيت معها أوقاتاً طيبة . . أيام العطلات فى تور كواى . . مآدب العشاء فى المنزل ، كل هذه أشياء ستثيرك .. ومع هذا .. هل ستقيمين بمفردك ؟ »

فهزت السيدة تربل رأسها وهى تقول « أعتقد أنه يجب أن أسافر لبضعة أيام أولا ... »

وكانت ما زالت تبتسم فى هدوء والسيارة تنقلها خلال الشوارع المزدحمة إلى منزلها .

هبت نسمة دافئة حين وصلت السيدة تربل إلى تلك البلدة على شاطىء البحر التى اعتادت أن تزورها هى وابنتها وزوجها حينما كان على قيد الحياة ، وسارت السيدة تربل فى بطء بمحاذاة الشاطىء ، كانت الأضواء تتلاعب فوق رأسها ، وجعلت تراقب الصيادين وهم يقومون بعملهم .. وتمشت على الرمال ... وكانت معالم الناس تختفى فى ظلال الظلمة الهابطة ... وأحست بانفرادها لا يواجهها سوى البحر ، وسرحت نظرها فى الشاطىء من أوله إلى آخر ما يحده بصرها ..

كانت غارقة فى ذكرياتها ... لطالما مرت بها كل هذه المناظر من قبل ، وإذا بالماء يداعب قدميها ، فتشعر بإحساس من الغبطة يملأ نفسها بالرغم من وحدتها » .

حسن فتحى خليل

مطبعة الرسالة



العدد ٧٩٩ — الاثنين ٢٥ اكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 799 | Lundi — 25 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أول ما عرفت شـــوقي

(بمناسبة ذكراه السادسة عشرة)

عرفت شوقي عن عِيان سنة ١٩٢٧ في المهرجان الذي أقيم لتكريمه في القاهرة . عرفني به صديقي الأستاذ محمد كرد علي ، وكان قد وفد فيمن وفدوا من أقطاب الأدب وأعيـان العرب ليشاركوا مصر في تـكريم شاعر العربية العظيم ؛ فذهبت إليه في فندق الـكنتننتال أزوره ، فوجدته بالشرفة جالساً في قلادة من أولي الفضل يتوسطها شوقي . فلما رآني مقبلا هش لي ورفّ علي ، وقال لشوقي وهو يبتسم ويتهلل : هـذا هو الرجل الذي أنصفك ! فلما استسماني الشاعر النابه عجب الأستاذ كرد علي ألا يكون بيننا تعارف ونحن نعيش في بلد واحد ونسير في طريق واحد . وسماني له ، فتلقاني ببشره وشكره وأنسه . ثم توثقت بيني وبينه أسباب المودة سنتين كاملتين رحلت بعدهما إلى العراق . وفي أثناء مقامي ببغداد اصطفاه الله لجواره ، فلم أره بعد ذلك إلا رؤيا ، ولم أتمثله إلا ذكرى !

كان الأستاذ كرد علي يشير بانصافي لشوقي إلى مقال نشرته يومئذ في العدد الخاص بتكريمه من (السياسة الأسبوعية) عنوانه (ما لشوقي وما عليه) ؛ وكان أكثر ما كتب في هذا العدد عن شوقي أقرب إلى التكبير وأدنى إلى الجرح ، فداخل شوقي ظنون من إخراج هذا العدد ، وحك في صدره أشياء من جهة هيكل ؛ وأرهج بعض الناس بين الصديقين بالفساد حتى كاد أن تقع بينهما جفوة .

قال لي شوقي وقد أخـذ بذراعي والقوم منصرفون : إني أشكرك على نقدك وتقريظك على حد سواء ، فإن الحق فيما أخذت لي ظاهر ، والعدل فيما أخذت علي صريح . وإني أسلم لك ما عددت من هفواتي وأرده إلى اختـلاف الأمر بين عصرين وثقافتين وذوقين : وليس من السهل أن يتجرد الشاعر أو الـكاتب جملة أو فجأة من عوامل الوراثة والدراسة والبيئة ولـكن ما رأيك فيما كتب فلان وفلان ؟ وهل كان من مقتضيات الحال أن تنشر مجلة صديقي هيكل آراء خصومي في عدد تـكريمي ؟ فقلت له : إن رئيس تحرير السـياسة كاتب يعرف قيمة النقد ، ويرعى حرمة الرأي ؛ وقد طلب إلى طائفة من أعلام الأدب أن يدلوا بآرائهم في الشاعر من غير تحديد لجهة ، ولا تعيين لقصد ، ليـكون العدد الخاص على ما أعتقد دراسة فنية شاملة لنواحي الشاعر تتعارض فيها الآراء ، وتتقارع فيها الحجج ، فتتألف من هنا ومن هناك صورة تامة لفن الأمير تـكون في وسط هذا المهرجان تمثالا فيه الجمال والجلال ، ولـكن فيه كذلك الصفات الطبيعية الأخرى التي يريدها الخالق الـكامل للمخلوق الناقص . فقـال شوقي بصوته الخفيض وابتسامته الوديعة : يظهر أنك لا تقرأ ما بين السطور ولا تعرف ما وراء الستور . فقلت له : ربما !

ووقفت بنا سيارته على (كرمة ابن هانئ) ، وكانت ليلتئذ تتلألأ بالنور والسرور ، وتزدان بالزهور والحضور . فأصاب

القوم ما شاءوا من مرىء الطعام وهنيء الشراب ، ثم تجمعوا زمراً فوق أرائك البهو وكراسي الردهة ، يستمعون إلى اللحن الناشئ والمغني المحدث محمد عبد الوهاب وهو يغني بصوته الرخيم الخافت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » . وكان شوقي آنس الله وحشته يؤثرني بالرعاية ويخصني بالحديث ، شأنك مع الصديق الجديد والزائر المحتشم .

وفي أصيل اليوم التالي بعث إليّ بسيارته الفخمة تحملني إلى داره ؛ وكانت الدار حين دخلتها ساكنة كالصومعة ، رهيبة كالمعبد ؛ فمن رآها ليلة الأمس ثم رآها عصرية اليوم تذكر حال السكران الطافح ترنحه الخمر فيعربد ، ثم يهوّده الخمار فينام .

كان شوقي جالساً في ركن من الشرفة ومعه على المائدة الصغيرة حافظ وعبد المطلب وحفني محمود ، فلما أخذت موضعي من المجلس قال شوقي إنما دعانا على هذا الوضع من اختلاف السن والذوق والثقافة لنقرأ تونيته التي نظمها للمهرجان . وأخذ حافظ يقرأ القصيدة فنقف عند كل بيت ، ننظر في سياقه وموسيقاه ، ثم نروّي في معانيه وألفاظه ، فربما استبدلنا لفظاً بلفظ ، وآثرنا عبارة على عبارة ، وذوق الشاعر العبقري من وراء أذواقنا جميعاً ، ينقد ويوازن ويفاضل ويختار ، حتى استوى القصيد على فنه الرفيع منضد اللفظ نقي المستشف . وأردنا بعد ذلك أن نسمع حافظاً ، برد الله بالرحمة ثراه ، فاعتل بعلة لا أذكرها ؛ ولكنه رأى من خلال المناقشة تجانساً بين ذوقي وذوقه فسألني أن أصحبه في المودة . وفي قهوة بميدان الأوبرا كانت موضع ملهى (بديعة) اليوم ، جلست أنا وحافظ رأساً إلى رأس ، يقول في شوقي وأسمع ، ويفتن في النكات وأضحك ، حتى قال : سأنشدك قصيدتي لترى فيها رأيك . وأخذ شاعر النيل يقرأ لي عينيته المشهورة بصوته الفخم وإلقائه المعبر حتى فرغ منها ؛ ثم نظر إلى نظر المستفهم المطمئن المعجَب ، فقلت له : هنيئاً لك التصفيق الحاد والاستعادة المتكررة يا حافظ ! قصيدة شوقي للقراءة وقصيدتك للسماع ، ومعانيه للخاصة ومعانيك للجمهور ! فقال في لهجته الساخرة الفكهة : وهل يعنيني غير الجمهور ؟

توالى اللقاء بيني وبين شوقي بعد ذلك اليوم ، مرة في داره ، ومراراً في (صولت) . وكان كلما أنشأ عبقرية من عبقرياته أقرأني إياها ؛ وذلك شأنه في جميع أطوار عمره : يعرض ما يقرض على الآذان المتباينة والأذهان المتفاوتة ليعلم موقعه من كل ذوق ، وأثره في كل نفس . وكان أشد ما مكن الألفة بيني وبينه مشابه في الطبع من فرط الحياء ، وحب العزلة ، وقلة الكلام ، والانقباض في الندىّ الحافل ، والابتعاد عن الحفل الجامع ؛ فكأن كلاً منا كان يرى في الآخر عزاء عن نقصه وعوضاً من حرمانه .

كان شوقي يرى كأكثر الناس أن الرجل إذا لم يعمل في الحكومة كان أشبه بالمتشرد . لذلك كان قلقاً علىّ من هذه الناحية ، فهو يستكبرني على العمل الحر ، ويعجب ألا يكون لي مكان في وزارة المعارف . ثم أخذ يسعى من وراء علمي لدى وزير المعارف على الشمسي باشا ويمهد لي السبيل للقائه . وفي ذات ليلة من لياليه قال لي ونحن في ركن من أركان صولت : سأنتظرك غداً هنا في الساعة الحادية عشرة ، فتعال ومعك مجموعة من كتبك لنزور وزير المعارف : فقلت له : وما شأني بوزير المعارف ؟ فقال إنه يود أن يراك ، ولعل من الخير أن تراه . فلما دخلنا على الوزير في الموعد الموقوت قدمني وكتبي إليه ، فسلم الرجل تسليم البشاشة ، وشكر شكران الغبطة . وجرى في حضرته حديث عن استجاز شوقي فيه ما لا يجوز إلا للشاعر من المبالغة في المدح والمجاملة في الثناء .

ولما خرجنا من عنده ربت على كتفي وقال وهو مبتهج : لقد وعدني الوزير أن يضمك إلى الوزارة ! فقلت له ولم أدهش لأني حزَرت ذلك من قبل : ألهذا جشمت نفسك يا سيدي ونفسي ؟ حدُّ الله ما بيني وبين الحكومة ! لقد حاول هذه المحاولة منذ أربع سنين طاهر باشا نور وعبد الفتاح باشا صبري فجذبت عناني من يديهما ومضيت . وأراد صديقي طه حسين وأستاذي لطفي السيد أن يدخلاني الجامعة منذ سنتين فلذت بالفرار بعد صدور القرار . أنا يا سيدي أستاذ في الجامعة الأمريكية ، مرتبي ضخم ومكاني مرفوع ورأيي مسموع وحريتي مطلقة . فهل نافعي أن أدع الطريق الذي قطعت أكثره إلى طريق أبدأه من جديد ، وأن أعمد إلى رجليّ الطليقتين فأضعهما في قيد من حديد ؟

ولكن شوقي الصديق الشفيق لم يرضه هذا المنطق ، فظل مشفقاً علىّ من العمل الحر حتى رحلت عن هذا البلد ، فودعني راضياً وما كنت أدري وا أسفاه أنه وداع الأبد !

(القاهرة) احمد حسن الزيات

اليهودية=الصهيونية=الشيوعية

للأستاذ نقولا الحداد

سألني الأستاذ حكمت علي من بغداد عما إذا كان ثمت فرق بين اليهودية والصهيونية . . . أجل يا سيدي ، الصهيوني يهودي واليهودي صهيوني ولا فرق . وإنما استنبطوا كلمة صهيونية لقوم أفاقين جاءوا من الآفاق إلى فلسطين لكي ينشئوا دولة صهيونية ، أي يهودية ، أي إسرائيلية . وكلمة صهيون في الأصل كانت اسماً لجبل أو تل في الجنوب الغربي من مدينة أورشليم (القدس) ثم أطلقت على كل أورشليم عاصمة فلسطين .

وإنشاء مملكة يهودية أو إسرائيلية هو أمنية كل يهودي سواء أكان سامياً أم آرياً ... لما حكم فلسطين الولاة الرومانيون وخربوا هيكلها العظيم سنة ٧٠ ميلادية تشتت اليهود في العالم . والآن يحل محل ذلك الهيكل الذي لم يبق منه طلل ، جامع قبة الصخرة . ولم يبق لليهود في أورشليم إلا جدار يبكون أمامه هيكلهم وماضيهم .

من ذلك الزمان إلى اليوم يتوق اليهود إلى مملكة فلسطين وإلى بناء هيكلهم فيها من جديد . أينما يكن اليهود يتمنوا هذه الأمنية ويبذلوا كل غال ورخيص في سبيلها . ولا يغرنك قول اليهودي إنه ليس صهيونياً ؛ فإنما يقوله للتمويه فقط ، إذ يخشى أن يتهم بأنه يخالف قوانين البلاد العربية في تحريم إرسال مال إلى الصهيونيين في تل أبيب . وهم يرسلون الأموال من أمريكا جهاراً ومن البلاد العربية سراً لهذا الغرض . وشفيق عدس الذي شنق في بغداد مثل من أمثلة الخونة الذين يهربون الأموال والعتاد إلى يهود فلسطين . فأينما رأيت يهودياً فقل إنه صهيوني ، وإنه يتحين الفرص لكي يعمل للصهيونية .

***

بقي على العرب أن يعلموا — إذا كان الإنكليز والأمريكان لا يعلمون — أن الصهيونية أخت الشيوعية بل أمها ؛ لأن اليهود الذين قبلوا الحكم القيصري كانوا كلهم يهوداً ما عدا لنين . ولما أنشأوا دولة البلشفية جحدوا الدين وطردوا الأكليروس النصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا كلهم يدينون بدين كارل ماركس الاشتراكي ، فلم تعد تفرق بين اليهودي وغير اليهودي ، ولم تعد تعرف من هو اليهودي ومن هو المسلم . ولكن الذي كان في القلب بقي في القلب . وبقي اليهود يتحينون تلك الفرصة لكي يملكوا روسيا ولو بصفة كونها اشتراكية . ولكن ستالين فطن لمؤامراتهم التي كانوا يدبرونها لكي يقلبوا سلطته فأباد كثيرين منهم . ومن يعرفهم فلمل جروميكو وفيشنسكي منهم .

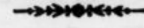
قد يظن بعض الناس أن اليهود لا يمكن أن يكونوا اشتراكيين أو شيوعيين لأنهم رأسماليون ، والشيوعية نقيض الرأسمالية ؛ ولكن فليعلم من لم يعلم أن اليهود كالحرباء يتلونون بكل لون لكي يصلوا إلى أغراضهم . فيمكن اليهودي أن يكون رأسمالياً تارة واشتراكياً أخرى ؛ ويمكن أن يكون أرستقراطياً أو ديموقراطياً ويهودياً أو مسلماً أو نصرانياً . يمكن أن يكون أي شيء إذا كان يظفر بالسيطرة ؛ فإذا كان اليهود اشتراكيين ثم قبضوا على زمام الحكم الاشتراكي أو الشيوعي العالمي ، أفلا تصبح أموال العالم كلها في أيديهم ؟ — هذا ما يسعون إليه الآن ، وسيرى ستالين أو خلف ستالين أطال الله بقاءه أن الشيوعية صارت في قبضة الصهيونية . وحينئذ تصبح موسكو تحت سيطرة تل أبيب تتلقى أوامرها منها ؛ وحينئذ تصبح أوربا كلها وبعدها أمريكا شيوعية ، وكلها واقعة تحت سيطرة موسكو ، وبالتالي تحت سيطرة تل أبيب . وكل آت قريب .

فهل يعلم الأمريكان أنهم وهم يناهضون الشيوعية يخدمونها في تأييد دولة إسرائيل المزعومة ؟

نقولا الحداد

صديقى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ أنور المعداوى



أشكر الظروف الطيبة التى هيأت لنا أسباب اللقاء ، وتلك اللحظات الممتعة التى جمعت بينى وبينك حول مائدة الأدب والفن تحدثنى وأحدثك ، وتصغى إلى وأصغى إليك ، ونغترف معاً من شتى الطعوم والألوان ...

ولقيتنى لقاء الصديق للصديق ، وكأننا كنا على ميعاد . وأشهد لقد أكبرت فيك كثيراً من نواحى الشخصية الإنسانية ، تلك التى كنت أجهلها قبل أن ألقاك . ولقد قلت لنفسى بعد أول لقاء : ليتنى قد عرفتك من قبل ، لتستقيم لى النظرة إلى فنك على هدى الخصائص الأصيلة فى شخصيتك ... ومع ذلك قد هيأ لى هذا اللقاء أن أبلغ منتصف الطريق إلى الغاية ، وأن أكشف الغطاء عن كثير !

وكان لقاء آخر طويت فيه الطريق كله حتى بلغت منتهاه ، والفضل فى ذلك منسوب إليك ؛ لأنك حدثتنى عن نفسك وعن فنك حديثاً طويلا لمست فيه حرارة الصدق المنزه عن الأغراض .

لقد هاجمتك فى الأيام الأخيرة مرة هنا ومرات هناك ، وعلى الرغم من هذا كله فقد شاء أدبك أن تشد على يدى ، وأن تثنى على قلمى ، وأن تلقانى لقاء الصديق ... ويشهد الله أننى ما هاجمتك إلا لأننى أقدرك كل التقدير ، وأحمل لك فى نفسى رصيداً مذخوراً من الذكريات الغالية . أنت فى عالم القصة معدن نفيس ، ومن حقى أن أزيل بيد الناقد ما علق بالمعدن النفيس من غبار الحياة ...

هذا ما كنت أقوله لكل من يلقانى معاتباً على موقفى منك ، وكنت أزيد على ذلك قولى : لقد عودنى توفيق الحكيم أن ألقاه فى القمم ، فإذا ما هبط مرة عن مستواه ، فمن حقى أن أثور عليه لأرده بهذه الثورة إلى مكانه الطبيعى !

قلت لك هذا فقدرت الدافع وشكرت القصد ، وملأت نفسى إعجاباً برحابة صدرك وسماحة طبعك ، وتقبلك النقد بروح مثالية هى روح الفنان .

وخضنا أيها الصديق الكريم فى حديث طويل خرج منه الأدب والفن بنصيب كبير ، وخرجت منه « أخبار اليوم » بتلك الكلمة القيمة التى كتبتها على أثر لقائنا وبوحى من نقاشنا حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ...

أما حديثنا ، فقد التقينا فيه حول الكثير ، وافترقنا حول القليل ، والفضل فى ذلك أيضاً منسوب إليك ؛ لأنك حين رحت تقص على كثيراً من المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، تلك التى يستجيب لها قلمك ويخضع لها فنك ، وضعت بين يدى كثيراً من الوثائق التى يحتاج إليها الناقد ، إذا ما أراد أن يقيم الميزان للعمل الفنى مرتبطاً بشخصية صاحبه ، ومتصلا بأسباب النفس والحياة ... ومن هنا حلت نظرة جديدة إلى فنك محل النظرة القديمة ، تلك التى لم يكن أمامها أن تنظر إليك غير طريق واحد ، كل معالمه سطور وكلمات !

ما قصدت من وراء هذا المقال إلى أن أسجل ما دار بينى وبينك من نقاش حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ، وحول أمور أخرى تطرق إليها الحديث ، لأنها تتصل بنقاشنا من قريب أو من بعيد ، إن لذلك كله مناسبة أخرى أرجو أن أعرض فيها لكثير مما اتفقنا أو اختلفنا عليه ...

كل ما أقصد إليه هو أن أكشف لقراء الرسالة عن ناحية من نواحى شخصيتك الأدبية والإنسانية تركت أثرها البعيد فى نفسى ؛ ومن حقك على أن أشير إليها فى كثير من التقدير والإعجاب ، وهى دعوتك المخلصة إلى توثيق عرى الصداقة فى الأدب ، وإيمانك العميق بجدوى الصفاء بين الأدباء ...

وأذكر أنك كتبت فى هذا الموضوع مرة فى (الرسالة) ، وتعرضت فى سبيل تلك الغاية الكريمة لهجوم بعض أصحاب الظنون ممن لم يؤمنوا بصدق دعوتك !

أما أنا ، فقد لمست حرارة إخلاصك ونبل مقصدك فى موقفين لن أنساهما لك : أولهما موقفك من الصديق النبيل صاحب (الرسالة) حين قلت فيه كلمة حق لا أدرى لم غصت بها حلوق فلم تنطق بها شفاه ! وثانيهما موقفك من الدكتور طه حسين ، حين لم يجد كلمة عزاء تنسيه وحشة الطريق وتنكر الصديق ؛ لقد وقفت وحدك لتصافحه بروحك من وراء الآماد والأبعاد ...

إنك بكلمتيك هاتين قد أقمت الدليل على أن الدنيا ما زالت

مسألة تاريخية

للدكتور جواد على

بهذا العنوان حرر الأستاذ الكبير ساطع بك الحصرى مقالة نشرها فى مجلة الثقافة (١) كانت بمثابة ردّ على ما كتبه «شمس الدين كون التاى» أحد الكتاب الأتراك فى مجلة «مجمع التاريخ التركى» التركية بمناسبة الاحتفال التذكارى الذى أقيم فى سنة ١٩٣٧ فى كابل وطهران واستانبول لمناسبة مرور تسعمائة عام على وفاة الفيلسوف الحكيم «ابن سينا» وقد تنازع على أصله الإيرانيون والأتراك والأفغان وكتبوا فى ذلك الكتب والمقالات. كل يدعى أنه منهم. ولم يتنازع الناس عليه يوم كان حياً؛ ولكنها الدنيا لا تعرف قيم الأشخاص إلا بعد الوفاة

(١) عدد ٤٩٧ و ٤٩٨ تاريخ ٦ يولية سنة ١٩٤٨ و ١٣ يولية سنة ١٩٤٨.

وقد تعرض الأستاذ «أبو خلدون» فى جملة ما تعرض له من نقاط إلى موضوع «الأتراك» وأثرهم الثقافى فى البصرة و «معبد الجهنى» وأثره فى «الجبر والاختيار» وعلم الكلام. فقد زعم «شمس الدين كون التاى» فى جملة ما زعمه أن «عبيد الله بن زياد الذى كان قد ولى على خراسان مأموراً للاستيلاء على ما وراء النهر فى عهد الخليفة معاوية كان قد أعجب إعجاباً شديداً بالثقافة العالية والمهارة العسكرية التى يتحلى بها أهل بخارى فانتخب من بينهم ألفى شاب من المهذبين المثقفين، وأرسلهم إلى العراق بغية جعلهم معلمين للعرب وأسكنهم البصرة. وإن هذه المعلومات التى ينقلها لنا أقدم مؤرخى الإسلام البلاذرى تحل اللغز الذى كان يكتنف مسألة منشأ الحركة الفكرية الأولى فى الإسلام».

وقد تساءل هذا الكاتب التركى: لماذا نشأت هذه الحركة فى مدينة البصرة أولا؟ فأجاب «لأن الذين أثاروا هذه الحركة الفكرية الأولى كانوا هؤلاء الشبان المنقولين من بخارى هم وأولادهم، وإن الشخصيين اللذين كانا وضعا الحجر الأساسى فى

بخير، وأن أصحاب الفضل لن يعدموا من يقول فيهم كلمة الحق، ولو حال بينها وبين الجهر بها كثير من الدوافع والأغراض!

لقد كان حديثنا فى آخر لقاء يدور حول هذا الموضوع لا يكاد ينأى عنه حتى يعود إليه ... ولقد قلت لك فيما قلت: ليتنا يا صديقى نملك كثيراً من أمثالك؛ أولئك الذين يحفظون عهد الصديق، ويلتمسون سبل الخير، وينشدون وجه الحق، ولكن أين هم؟ أين من يطلق رأياً كرأيك بكلمة صدق تقال فى الزيات؟ وأين من يرفع صوتاً كصوتك بكلمة عزاء توجه إلى طه؟! لقد انتظرت رجع الصدى لما كتبت، فضاع الأمل وخاب الرجاء! أما أنت فقد أخجلتنى حين قلت لى: يا أخى، حسبى أنك تقف إلى جانبى ...

وحين رحت أقص عليك بعض ما أعلم وتعلم من جدوى الصداقة على الأدب، متمثلا ببعض النماذج الإنسانية فى أدب العالم، عقبت على ذلك بقولك: يا أخى، إن الأدب الرفيع حق كله، وخير كله، وجمال كله ... فلم نشوه الحق بالضغائن، ونطمس الخير بالسخائم، ونفرش طرق الجمال بالأحقاد؟! إننا

نقبل هذا فى دنيا السياسة، لأن رجالها قوم مشدودون إلى الأرض، ينظرون إلى يومهم وما فيه من أسلاب، ولا يتطلعون إلى غدهم وما فيه من أمجاد!

أما فى دنيا الأدب، فما أوسع الشقة وأبعد الفارق، إن رجال الأدب قوم تربطهم بالسماء خيوط إلهية غير منظورة، وما أحرى المتصلين بالسماء أن يكونوا قدوة حسنة لهذا الجيل الصاعد فى صفاء النفس ونقاء السريرة وشرف الغاية ...

ترى لو فقد الجيل الصاعد إيمانه بنا، نحن الذين أقمنا من أنفسنا هداة تدله على مواطن الخير وترشده إلى معالم الطريق، فماذا يبقى له ليؤمن به؟!

لو تحقق الصفاء فى الأدب لما أنكر حق من الحقوق، ولما ضاع قدر من الأقدار، ولما اختل فى تحديد القيم ميزان!

يا صديقى توفيق، مرة أخرى أعود فأقول لك: ليتنا نملك كثيراً من أمثالك، أولئك الذين يحفظون عهد الصديق، ويلتمسون سبل الخير، وينشدون فيما يقولون وجه الحق.

أنور المعداوى

بناء المذهبين المتعارضين فى اللاهوت كان كلاهما من أهل ذلك القطر . إن معبد الجهنى الذى أسس المذهب القائل بحرية الإرادة البشرية كان قد ولد فى بلدة جهينة الكائنة فى نواحى جرجان وطبرستان ، كما أن جهم بن صفوان الذى أسس المذهب المعارض لذلك هو أيضاً كان تركياً من أهل بلخ وكان قد تقدم بآرائه هذه لأول مرة فى مدينة « ترمذ » من ديار الأتراك » .

ولقد لفتت هذه الدعاوى نظر الأستاذ « ساطع الحصرى » — وهو من المحامين عن الثقافة العربية الذا بين عنها — فراجع المصادر التى استند عليها « شمس الدين » فلم يجد فيها ما يشير إلى ما ذهب إليه هذا الكاتب من نقل المثقفين والعلماء الأتراك من طبرستان إلى البصرة لا تصريحاً ولا تلميحاً ، وإنما تحدث عن سبى من السبايا الذين نقلوا كالعادة من طبرستان إلى جنوب العراق . وبهذا دل المؤرخ التركى على أنه لم يكن يستند فى قوله هذا على أى سند أو دليل .

ثم عرج « ساطع الحصرى » على قضية « معبد الجهنى » ونسبته إلى الأتراك فاستعرض الآراء فى « جهينة » وفى نسبة « معبد » فيهما ثم خرج من كل ذلك إلى أن « الجهنى » من « جهينة » القبيلة العربية المعروفة ؛ وقد استند فى نهاية حديثه إلى ما رواه السمعانى فى كتابه « الأنساب » حيث قال : الجهنى — هـذه النسبة إلى جهينة وهى من قضاعة : نزلت الكوفة ومنها محلة ينسب إليها جماعة ... منهم معبد بن خالد الجهنى كان يجالس الحسن البصرى ، وهو أول من تكلم بالبصرة فى القدر . فسلك أهل البصرة بعده مسلكه فيها » .

وما كان الأستاذ — فى نظرى — بحاجة إلى إثبات أو نفى نسب « معبد » وتعيين منزلته فى العرب أو الأتراك . وفى القرآن الكريم والحديث النبوى ، وفى خطب الصحابة مثل خطب الإمام على المدونة فى نهج البلاغة ، وفى أسئلة الصحابة للرسول ، وفى الأسئلة الكثيرة التى كان يوجهها العراقيون إلى زعيمهم الإمام عن الحرب والفتنة ، أكان ذلك بعلم الله وقضائه وفى بحث التابعين فى هذه المواضيع قبل نشوء « معبد » وقبل تفوه « جهم ابن صفوان » زعيم « الجهمية » . نعم فى كل ذلك ما يغنى عن الرد على صاحب هذه المقالة . اللهم إذا زعم « شمس الدين » أن القرآن تركى وأن الرسول تركى وأن « الحـديث النبوى » تركى بلغة « التاى » .

وقد أعادت هـذه المقالة إلى ذهنى ذكريات « المؤتمر اللغوى الثانى » الذى عقده الأتراك فى الأستانة بين ١٨ — ٢٣ آب والذى رأسه المرحوم « أتاتورك » وحضره ما يزيد على (٦٠٠) شخص من أرقى طبقات الأتراك كان من بينهم فخامة الرئيس الحالى « عصمت إينونو » وكاظم باشا رئيس المجلس الوطنى الكبير ورجب بك السكرتير العام لحزب الشعب .

وقد افتتح المؤتمر معالى وزير المعارف فى ذلك المهد فذكر أن الأمة التركية أقدم الأمم تمدناً وحضارة ، وأنها هى التى نقلت الحضارة من أواسط آسيا إلى أوربا الشرقية والشرق الأدنى ، فأصبحت سبباً فى تحضر الأمم الأخرى وتمدنها . وادعى أحمد جواد بك أحد أعضاء المؤتمر أن اللغات الهندية والجرمانية والسلافية واليونانية واللاتينية والقفقاسية والفنية (لغة فنلندة) هى من أصل يرجع إلى اللغة التركية القديمة المسماة لغة « التاى » وهى لغة الأتراك القديمة .

وتكلم عضو آخر هو « نعيم حازم بك » عن « علاقة اللغة السامية » فزعم أن المدنية التركية كانت بمثابة خميرة للمدنيات العالية ، وأن اللغـة التركية كانت الأصل لجميع اللغات ، وأن الأقوام السامية إنما أصبحت ذوات لغات واسعة غنية باحتكاكها بالأتراك . وضرب مثلا على ذلك اللغة العربية فقال إن العرب كانوا قد استمدوا كثيراً من الكلمات من اللغة التركية تصرفوا بها وعربوها وصقلوها فى جاهليتهم وفى أيام إسلامهم ، وجاء بأحد عشر قاعدة فى كيفية أخذ العرب قديماً للكلمات التركية وتعريبهم لها . وذكر أمثلة على هذه القواعد .

وأيد هـذه النظرية لغوى آخر هو « يوسف ضياء بك » نائب اسكيشهر إذ بحث عن الكلمات التى انتقلت من لغـة « التاى » أى اللغة التركية القديمة إلى اللغات السامية ولغة العرب على الأخص .

وساقت العاطفة بعضهم إلى الادعاء بوجود علاقات قوية بين لهجة « مايا » فى المكسيك ولغـة الأتراك وطلبوا لذلك الاهتمام بدراسة هـذه اللغة ودراسة لغة أخرى تشبهها هى لغة « تولتك » لمعرفة أنساب الأتراك والحصول على كلمات تركية

مرصد مراغة ومكتبتها

اللذان شيدهما نصير الدين الطوسي في بداية العصر المغولي

(صور لدنيا العرب والإسلام في ذلك العهد الرهيب)

للأستاذ ضياء الدخيلي

يقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك) الذي نشرته مجلة « المقتطف » : إن نصير الدين الطوسي أحد الأفذاذ القليلين الذين ظهروا في القرن السادس للهجرة ، وأحد حكماء الإسلام المشار إليهم بالبنان وهو من الذين اشتهروا بلقب (علامة) . ولد في بلدة طوس سنة ٥٩٧ هـ الموافقة ١٢٠١م ودرس العلم على كمال الدين بن يونس الموصلي (١) وعين المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي (٢) ، وكان يتنقل بين قهستان وبغداد وتوفي سنة ٦٨٢ هـ ببغداد حيث دفن في مشهد الكاظم .

(١) صالح زكي – آثار باقية – مجلد ١ ص ١٧٨

(٢) محمد بن شاكر – فوات الوفيات مجلد ٢ ص ١٤٩

ويقال إن الطوسي نظم قصيدة مدح فيها الخليفة العباسي ، وإن أحد الوزراء رأى فيها ما ينافي مصلحته الخاصة فأرسل إلى حاكم قهستان يخبره بضرورة مراقبته – وهكذا كان – فإنه لم يمض زمن إلا والطوسي في قلعة الموت ، حيث بقي فيها إلى مجيء هولاكو في منتصف القرن السابع للهجرة . وفي هذه القلعة أنجز أكثر تآليفه في العلوم الرياضية التي خلدته وجملته علماً بين العلماء . (وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه ...) (١) وقد عهد إليه هولاكو بمراقبة أوقاف جميع الممالك التي استولى عليها .

عرف الطوسي كيف يستغل الفرص فقد أنفق معظم الأموال التي كانت تحت تصرفه في شراء الكتب النادرة وبناء مرصد مراغة الذي بدىء في تأسيسه سنة ٦٥٧ هـ . وقد اشتهر هذا المرصد بآلاته وبمقدرة راصديه . أما آلاته فمنها (ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس : الأولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل . والدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب)(٢) وأما عن راصديه فقد قال الطوسي :

(١) محمد بن شاكر - فوات الوفيات - مجلد ٢ ص ١٤٩

(٢) فوات الوفيات – مجلد ٢ ص ١٥١

منسية من جهة أخرى .

وبعد فإني أعتقد أنك بعد أن وقفت على هذه الآراء الرسمية المجملة التي أخذتها من المحضر الرسمي للمؤتمر سوف لا ترى في مزاعم « شمس الدين » شيئاً كثيراً بالنسبة إلى تلك المزاعم .

ظن أولئك الذين أرادوا إحياء الأمة التركية أن الإحياء يكون عن طريق التبجح بالماضي والتباهي بالأجداد والترفع عن الشعوب الشرقية التي ساهمت في تكوين التاريخ التركي ، وطرد الكلمات العربية والفارسية التي تمثل التفاعل العقلي بين الأتراك وبين العرب والفرس ، والاستعاضة عن تلك الكلمات بكلمات فرنسية ، فلم يزدهم ذلك في نظر الغربيين منزلة ، ولم تخرجهم تلك المقالات الطويلة العريضة من عالم التفكير الشرقي ، ولم يجعلهم التاريخ الذي ادعوه لهم أمة من الأمم المعظمة التي لها في مجلس الأمن وفي المجالس الدولية كرسي ثابت وصوت مسموع . لا زالت تركية الحديثة التي ظن زعماؤها أنها ستأخذ مكانها تحت الشمس بابتعادها عن العرب والشرق الأدنى ، لا زالت في نظر الغربيين تركية القديمة لا يحسب لها حساب إلا عند النظر في كفة الميزان وفي أهميتها من حيث أنها بقرة حلوب يستفاد منها ؛ لأن المنزلة لا تأتي عن طريقة التبجح بالأجداد وبأجداد الأجداد وبالابتعاد عن الناس والانضمام إلى السباع إذا لم تكن لديه قوة السباع . والذي يتكل على الماضي ويترك الحاضر ولا يعمل له ، يهمله الزمان ويتركه يعيش في عالم الماضي . فلنعمل بعقلية الحاضر ولنجعل أنفسنا أقوياء حقاً ، أقوياء في تفكيرنا وفي صناعتنا وفي معاملنا ولنتقدم على علوم الطبيعة التي استبدلت بالحديد الذرة ، حينئذ يقول العالم أنهم عقلاء وأنهم ناس وأن لهم شأناً بين الناس ، وحينئذ يقول العالم إن تاريخهم كان خير تاريخ وأنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

(دمشق) جواد علي

« ... إنى جمعت لبناء المرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضى من دمشق والفخر المراغى كان بالموصل والفخر الخلاطى الذى كان بتفليس والنجم دبيران القزوينى وقد ابتدأنا فى بنائه سنة ٦٥٧ بمراغة ... » ويروى كتاب آثار باقية أن محيى الدين المغربى كان أيضاً أحد أعضاء لجنة المرصد ، وكيفية مجيئه هى أن هولا كو لما استولى على حلب مقر حكومة الملك الناصر سمع رجلا يصيح أنا منجم ، فأمر بالإبقاء عليه وبإرساله إلى مراغة حيث يقيم نصير الدين .

أما المكتبة التى أنشأها فى المرصد فقد كانت عظيمة جداً أكثرها منهوب من بغداد والشام والجزيرة ، ويقدر ما كان فيها بـ ٤٠٠٠٠٠ مجلد مكتوبة باليد . ونصير الدين من الذين كتبوا فى نلثلثات والهيئة والجبر وإنشاء الاسطرلابات وكيفية استعمالها

ومراغة التى أقام بها الطوسى المرصد والمكتبة يحدثنا عنها ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦هـ) فى المعجم أنها بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان طولها ٧٣⅓ درجة وعرضها ٣٧⅓ درجة ؛ قالوا وكانت المراغة تدعى « افرازهروذ » فعسكر مروان بن محمد بن الحكم وهو والى أرمينية وأذربيجان فى منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها وكان فيها سرجين (زبل) كثير ، فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها ، فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة ، وهذه قرية المراغة فحذف الناس القرية وقالوا مراغة ، وكان أهلها قد لجأوا إلى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه أهلها فكثروا فيها وعمروها . ثم إنها صودرت مع ما صودر من ضياع بنى أمية وصارت لبعض بنات الرشيد . فلما عاث الوجناء بن رواد الأزدى وأفسد وولى خزيمة بن خازم أرمينية وأذربيجان فى خلافة الرشيد بنى سورها وحصنها ومصرها وأنزل بها جنداً كثيفاً . فلما ظهر بابك الخرمى لجأ الناس إليها فنزلوها فسكنوها وتحصنوا فيها ، ورم سورها فى أيام المأمون عدة من عماله ، ثم نزل الناس بربضها (فى المنجد الربض على وزن الذهب هو ما حول المدينة من بيوت ومساكن وهو أيضاً سور المدينة). وينسب إلى المراغة جماعة من المحدثين والفقهاء وبها آثار ومدارس وخانقاوات حسنة ، وقد كان فيها أدباء ومحدثون وفقهاء [(١)] وقد ابتنى الطوسى (كما يحدثنا ابن شاكر فى فوات الوفيات ، وقد توفى عام ٧٦٤ هـ أى بعد وفاة الطوسى باثنين وتسعين عاماً) بمراغة قبة ورصداً عظيما (واتخذ فى ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة وجعل له الأوقاف [(٢)] .

وكما يحدثنا ابن الفوطى فى كتابه « الحوادث الجامعة » أن الطوسى استمر مدى حياته يجمع لمكتبة المراغة الكتب ، فقد نقل أن الطوسى ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل المرصد الذى وضعه بمراغة عام ٦٥٧ هـ وعين فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتجز سنة ٦٧٢ (راجع حوادث سنة ٦٥٧ من كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى) [(٣)]

وابن الفوطى هذا هو أمين مكتبة مراغة . قال العزاوى فى كتابه (العراق بين احتلالين) نقلا عن شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى : إن ابن الفوطى صاحب الكتاب المعروف « الحوادث الجامعة » أسر فى واقعة بغـداد وخلصه النصير الطوسى الفيلسوف وزير الملاحدة فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل وبرع فى الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم واشتغل على غيره فى اللغة والأدب حتى برع ومهر فى التاريخ والشعر وأيام الناس ، وأقام بمراغة مدة ولى بها كتب الرصد بضع عشرة سنة وظفر بها بكتب نفيسة وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه [(٤)] . وفى الوقت الذى يثنى فيه بعض المؤرخين على جهود الطوسى فى جمع تلك الكتب من التلف ولم شتاتها فى مكتبة مراغة كما ترى العزاوى يقول فى ترجمة الطوسى ص ٢٧٨

---

(١) معجم البلدان الجزء ٨ ص ٤

(٢) فوات الوفيات وفى الوافى بالوفيات للصفدى أيضاً

(٣) الحوادث الجامعة لابن الفوطى أمين مكتبة مراغة وفى كتاب العراق بين الاحتلالين لعباس العزاوى

(٤) العراق بين احتلالين للعزاوى وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى .

وهنا تقول إن أعمال هـذا الرجل مصروفة إلى مناصرة العلماء والحكماء وأنه حينما ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ تصفح أحوال بغداد ونظر أمر الوقوف والبحث عن الإجناد والمماليك ، وفى هذه المرة جمع من العراق كتباً كثيرة لأجل المرصد الذى وضعه بمراغة (١) فها أنت تراه يشايع ابن الفوطى فى أن تكوين مكتبة مراغة ورفع قواعدها وجمع الكتب لها كان من عمل الطوسى وأن تلك المؤسسة وليدة رغبته فى تشييد بيوت العلم ؛ إلا أن الأستاذ محمد كرد على فى كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ج ١ ص ٣٠٢ بعد أن يعرض مأساة سقوط بغداد بصورة مؤلمة ويستعرض نهب نفائس دار الخلافة العباسية يذكر من ذلك نهب مكتبات بغداد وغيرها قال : « وبينما كانت فى هـذا الشرق القريب كتلة صغيرة تدفع الصليبيين عن سرة بلاد الإسلام مصر والشام فتخرب مدن وحصون وتندك معالم وجوامع كان جنكيز يخرب فى أواسط آسيا بلاد المسلمين . ولم تكد تدفع الشام عنها عادية الحروب الصليبية حتى جاء هولاكو بغداد يخربها ويقتل الخليفة المستعصم ويقضى على جلة الفقهاء ورجال الدولة يضع السيف فى دار السلام أربعين يوماً ويستخرج الأموال والتحف بأنواع العذاب ويحرق معظم تلك المدينة الساحرة وزادت عدة القتلى عن ثمانمائة ألف عدا الأطفال ومن هلكوا فى السراديب والقنى والآبار وأحرق قبور الخلفاء ونبش عظامهم وبنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن . وقيل إن ماء دجلة تغير لونه لكثرة ما ألقى فيه التتر من الكتب والأوراق ، وقيل إنه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة هذا عدا ما نهب من البلاد التى احتلها فلاً فى (مراغة) خزانة عظيمة من الأسفار نهبها من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد (٢)

أما عن المرصد فإن محمد باقر الخونسارى فى كتابه (روضات الجنات) يحدث نقلا عن كتاب (محبوب القلوب) لقطب الدين الأشكورى وعن صاحب (مجالس المؤمنين) إن هولاكو خان بعد أن قضى على الخلافة العباسية ببغداد أمر بالرصد واختار محروسة مراغة فى أعمال تبريز لبناء المرصد فرصد فيه ، واستنبط الطوسى عدة من الآلات الرصدية ، وكان من أعوانه على الرصد من العلماء وتلاميذه جماعة أرسل إليهم المالك هولاكوخان ، منهم العلامة قطب الدين محمود الشيرازى صاحب شرف الأشراف والكليات وهو فاضل حسن الخلق والسيرة مبرز فى جميع أجزاء الحكمة محقق مدقق مفيد ومستقبله فى صحبة الطوسى ، ومنهم مؤيد الدين العرضى الدمشقى وكان متبحراً فى الهندسة وآلات الرصد توفى بمراغة فجأة سنة ٦٠٤ ، ونخر الدين وكان طبيباً فاضلا ، حاذقاً ونجم الدين القزوينى وكان فاضلا فى الحكمة والكلام ، ومحيى الدين الخلاطى وكان فاضلا مهندساً متبحراً فى العلوم الرياضية ، ومحيى الدين المغربى وكان مهندساً فاضلا فى العلوم ، وضبطوا حركات الكواكب ، ومات المحقق الخواجه نصير الدين وبان النقص فى كتاب الزيج وانقصهم عن ذلك لم يتموه (١) وقد أضاف إليهم عباس بن محمد رضا القمى فى كتابه (الكنى والألقاب) نجم الدين الكاتب البغدادى قال وكان فاضلا فى أجزاء الرياضى والهندسة وعلم الرصد (٢)

ونقل ابن شاكر فى فوات الوفيات وصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى فى الوافى بالوفيات (ج ١ ص ١١٢) قال شمس الدين الحريرى (وفى الوافى أنه الجزرى) قال حسن ابن أحمد الحكيم صاحبنا سافرت إلى مراغة وتفرجت فى الرصد ومتوليه صدر الدين على بن الخواجة نصير الدين الطوسى وكان شاباً فاضلا فى التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين ابن المؤيد العرضى وشمس الدين الشروانى والشيخ كمال الدين الأيكى وحسام الدين الشامى فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحلق وهى خمس دوائر متخذة من نحاس الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض ودائرة معدل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل ورأيت الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب وإسطرلابا تكون سعة قطره ذراعا وإسطرلابات كثيرة وكتباً كثيرة .

وأخبرنى شمس الدين العرضى أن نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هـذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى خارجاً عن

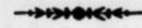
(١) الفراوى (٢) الإسلام والحضارة العربية

(١) روضات الجنات .
(٢) الكنى والألقاب .

طرائف من العصر المملوكي :

البردة وأثرها في الأدب العربي

للأستاذ محمود رزق سليم



البردة هي القصيدة البارعة المشهورة التي نظمها شرف الدين البوصيري المتوفى عام ٦٩٥ هـ في مدح النبي عليه الصلاة السلام. وقد ولد البوصيري عام ٦٠٨ هـ في « دلاص »، ونزح منها صغيراً مع أمه إلى « بوصير »، وكلتا القريتين من بني سويف. وقد نسب البوصيري إليهما معا فقيل له « الدلاصيري » ولكنه اشتهر بالبوصيري وأهل الإسكندرية الآن يقولون : « الأباصيري ».

وقد عاش البوصيري متكسباً بالكتابة في دواوين الدولة، متنقلا فيها من مدينة إلى أخرى وعانى في هذه الدواوين كثيراً من عنت كتابها ورؤسائها. وقد سجل ألواناً من فسادهم في إحدى قصائده، فأصبحت بذلك ذات قيمة تاريخية ثمينة.

وكان بالبوصيري ميل إلى النسك والزهد، ويبدو أن هذا الميل هو الذي أغرى به رؤساءه فنموه أحياناً مرتبه. وقد كانت خاتمة مطافه بالإسكندرية حيث مات ودفن، وبها قبره ومسجده الشهير.

والبوصيري من أصل مغربي، يمت إلى صنهاجة إحدى القبائل البربرية بالمغرب الأقصى ولكنه مصري المولد والإقامة. وقد قرض الشعر حتى عد من مشهوري شعراء مصر في القرن السابع الهجري. ولم يكسب هذه الشهرة من لفظ رائع أو أسلوب بارع أو معان يلفتك جمال صورتها، ويأسرك رونق جدتها؛ ولكنه كسبها من خصوصيات ومزايا ندرت نظائرها في غيره من الشعراء ... كتسجيلاته الشعرية لبعض حوادث عصره، وصوره الاجتماعية.

الجوامك (المرتبات) والرواتب التي للحكماء والقومة (١) (يقصد القائمين على الأمر والقيم على الأمر هو متوليه كقيم الوقف ونحوه).

وإن هذه الزيارة التي قام بها حسن بن أحمد الحكيم لا شك في أنها كانت بعد وفاة الطوسي وتولى شئون الرصد ابنه صدر الدين وكذلك بعد وفاة مؤيد الدين العرضي وأخذ مكانه من قبل ابنه شمس الدين كما سنبين ذلك عند نقل ما ترجمته أنا من كتاب جورج سارتون (المقدمة إلى تاريخ العلوم) ولنصغ إلى الطوسي نفسه يحدثنا عن المرصد فقد قال في كتابه (الزيج الايلخاني) إنني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضي من دمشق والفخر المراغي كان بالموصل والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس والنجم دبيران القزويني وقد ابتدأنا في بنائه سنة ٦٥٧ بمراغة والأرصاد التي بقيت قبلي وعليها كان الاعتماد دون غيرها هي رصد أبرخس وله مذ بنى (١٤٠٠) سنة وبعده رصد بطليموس بـ (٢٨٥) سنة وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد وله (٤٣٠) سنة والرصد البتاني في حدود الشام والرصد الحاكمي بمصر ورصد بني الأعلم ببغداد ولها (٢٥٠) سنة.

وقال الأستاذون إن إرصاد الكواكب لا تتم في أقل من ثلاثين سنة لأن فيها تتم دورة هذه السبعة (الكواكب) فقال هولاكو أجهد في أن رصد هذه السبعة يتم في اثنتي عشرة سنة قلت أجتهدت في ذلك (١).

قال ابن شاكر وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه فأقام ببغداد مدة ومات وخلف ثلاثة أولاد (٢).

وقد نقل العزاوي في كتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) في اللحق ناقلا عن كتاب تركي (إسلامده تاريخ ومؤرخلر) إن الطوسي حين ورود هلاكو إيران اتصل بعلماء الصين وأنه بأمر من هولاكو اقتبس الزيج الايلخاني من عالم صيني جاء إلى إيران يدعى (توميجي) وكان قد استفاد منه كثيراً مما يتعلق بقواعد النجوم فكان بينهما تبادل علمي واتصال وثيق (٣).

(البقية في العدد القادم) ضياء الدخيلي

---

(١) فوات الوفيات والوافي بالوفيات

(١) الزيج الايلخاني للطوسي

(٢) ابن شاكر والصفدي . (٣) اسلامده .

والبردة إحدى هذه الخصوصيات . فإن تلك الصوفية التي بدت فيها وفي غيرها من مدائحه النبوية ، أثر من آثار الحياة الروحية التي نزع إليها بعض الناس في هذا العصر امتداداً لنظيرتها في العصر الأيوبي الذي عاش فيه ابن الفارض الشاعر المتصوف المشهور . وقد كانت تلك الحياة بمثابة رد فعل لما انتشر بين المسلمين من مفاسد كثيرة . غير أن ابن الفارض اتجه بشعره إلى الغزل الإلهي ، بينما انصرف البوصيري إلى الغزل النبوي . فبردته بما فيها من وجد وحنين ولهفة وشرق ، ودموع وذكر ديار ، أقرب إلى باب الغزل منها إلى باب المديح أو الشعر المذهبي . وهذا هو الفن الشعري الجديد الذي ولده البوصيري في الشعر العربي ، فكان بذلك فذاً بين شعراء المديح النبوي من لدن الأعشى وكعب وحسان ومن بعدهم .

ونزعة الحب التي نلمسها في نفس البوصيري تفسر لنا في يسر وسهولة تلك الأوصاف التي نشهدها في ثنايا البردة وغيرها ، يقدس بها الرسول ، ويضفي عليه هالات من السمو ، وبخاصة إذا قرن اسم الكريم باسم غيره من أنبياء وملائكة ، وقد يعيبها عليه بعض النقاد ويعتبرونها مبالغات لا داعي إليها ، بينما هي في قرارة نفس الشاعر ، أضيق الألفاظ وأيسر الأساليب التي تعبر عما فيها من إحساس صادق وشعور دافق ، هو وليد الحب الخالص الصراح الذي لا شائبة فيه . فقدسية المحبوب والتسامي به ، أبسط مظاهر الحب الصادق .

لم يكن البوصيري — فيما أعتقد — شاعراً طامحاً إلى الشهرة يسعى إليها عن طريق شعره . ولذلك لم يتكسب به ، ولم يسع إلى باب من أبواب الرؤساء . وكذلك لم يكن يعنيه أن يكون شعره جيداً بديع النظم رائع الأسلوب ، بقدر ما كان يعنيه أن يكون صدى لما في نفسه ، ورجعاً لهجسات فؤاده . فأغلب شعره شعر شخصي يسجل خواطر الشاعر وأحاسيسه النفسية . وقد خرج البوصيري مرة عن طبيعته ، فنظم قصيدة غزلية وروى حكاية له مع جارية حسناء ، فدل ما فيها من الغزل الساذج وحيله البدائية ، على أن الرجل مقلد في غزله ، وأن الغزل ليس أصيلا في نفسه . — أما غزله النبوي وبخاصة في البردة ، فإن شخصيته تبدو فيه ناطقة ونابة في كل بيت . فالبردة منظومة نفسية جاشت بها نفس الشاعر في الباطن ، وعلق عليها آمالا ، قبل أن يتحرك بها لسانه ويجنح إليها في الظاهر . — وهذا أيضاً يفسر لنا الرؤى التي رآها البوصيري وأصحابه ، متصلة بهذه القصيدة ونظمها ، وتفسر لنا المثوبة الجارفة التي استطاع بها هذا الرجل أن يعالج نفسه من فالجه الذي أصابه . فإنه لما حار في علاجه فكر في نظم قصيدة نبوية ، يستشفع بها الله أن يعافيه . فنظمها وكرر إنشادها ثم بكى ودعا وتوسل ونام ، فرأى النبي عليه الصلاة السلام في نومه فسح بيده المباركة على مكان دائه ، وألقى عليه « بردة » فانتبه من نومه وفيه نهضة وأحس بالشفاء .

ونحن لا نرتاب في صحة الأحاديث النبوية المتصلة برؤيته الشريفة ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال : « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ، ومن رآني في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . وبعد فهل كان البوصيري كاذباً في دعوى الرؤيا ؟ هذه مسألة يخشى من ينصف نفسه أن يجازف بالحكم فيها على غير ظاهرها ، وبخاصة أن البوصيري يعلم أن من كذب على النبي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ليس هناك ما يمنع البوصيري من أن يرى النبي في نومه ، وليس هناك كذلك ما يمنع من أن يشفى من فالجه بسبب قصيدته ؛ وقصيدة البردة — وبعضهم يسميها البرءة — لا تشفي ولا تبرىء من سقم . فالله سبحانه وحده واهب البرء والشفاء . ولكن إذا أخلص مريض النية ، واتجه إلى الله بقلب مؤمن ودعاه واستشفع بالنبي عليه السلام ، أو بتلاوة القرآن ، أو قراءة البردة أو نحوها ، فليس هناك ما يمنع أن الله يستجيب الدعاء . والمريض في حاجة قصوى إلى مثل هذه المثوبة يعين بها طبيبه على علاجه .

وأطلق لفظ « البردة » على قصيدة البوصيري ، لما لابس نظمها والاستشفاع بها من ذكر بردة النبي عليه السلام . وقد روى أن الصاحب بهاء الدين بن حنا — وكان صديقاً للبوصيري — إحتفظ نسخة من القصيدة لديه . ثم أصيب سعد الدين الفارق برمد أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام هاتفاً يدعوه إلى

الصاحب بهاء الدين ليأخذ منه « البردة » ويضعها على عينيه فيشفى بإذن الله ، فذهب إلى الصاحب وطلب منه « البردة » ، فقال له الصاحب «ما أعرف عندى من أثر النبى صلى الله عليه وسلم بردة » . ثم تذكر قصيدة البوصيرى ، فقال لعلها المراد بالبردة ، وأعطاه إياه . ومن ثم سميت القصيدة بالبردة .

وبعد ، فأبيات البردة نحو مائة وستين بيتاً . وهى أجود مدائح البوصيرى وأسلسها أسلوباً وأرقاها عبارة وأكثرها رونقا ، وأجمعها أغراضاً وأروعها أمثالا وأوفرها معانى تنشدها العامة وتكرر إنشادها فى مناسبات كثيرة تيمنا بذكر ممدوحها ، ومن شأن التكرار فى مثل هذه المناسبات أن يعقب الملل ، ويورث النفور ، ويبعث على الإبتذال ، ومع ذلك لا تزال القصيدة محبوبة أثيرة عند العارفين .

وقد تناول الشاعر فيها — فضلا عن ذكر الديار والأحبة ووصف الشوق والحنين ، والنزوع الصوفى والدعوة إلى الزهد والتحذير من الهوى إلى غير ذلك — موضوعات السيرة النبوية وما امتاز به الرسول الكريم من عظيم الصفات ، وهذه الموضوعات منثورة فى كتب السيرة ، فليس للشاعر هنا فضل ابتكار ، وإنما فضله فى نظمها هذا النظم السائغ حتى انحدرت إلى الأسماع جميلة الإيقاع ، ورددها اللسان رائعة الألحان . وقد زودها الشاعر ببعض الحلى البديعة التى لا يمل وسوامها ولا يثقل جرسها .

قال فى المطلع :

أمن تذكر جيران بذى سلم ... مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق فى الظلماء من اضم

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا ... وما لقلبك إن قلت استفق يهم

وقال فى التحذير من هوى النفس :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقد تناول الحديث عن « النفس » فى عدة أبيات تصلح للدراسة النفسية ، يتناول فيها الدارس مسألة الغرائز وتربيتها ، والعادات وتكوينها ، بما لا يقل فى جملته عن الدراسات النفسية الحديثة . ومن هذه الأبيات قوله عن النفس بعد أبيات عن المشيب :

من لى برد جماح من غوايتها ... كما يرد جماح الخيل باللجم

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها ... إن الطعام يقوى شهوة النهم

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ومن أبياته فى وصف الرسول عليه السلام قوله :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى ... أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وشد من سغب أحشاءه وطوى ... تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

وراودته الجبال الشم من ذهب ... عن نفسه فأراها أيما شمم

وبعد ، فإن الحديث لا يتسع لإيراد أبيات هذه القصيدة الفريدة ، التى كان نظمها فتحاً مبيناً فى الأدب العربى ، أفاء عليه ثروة لولاه ما فتحت مغالق كنوزها . لا نغلو فى ذلك ولا نبالغ. والحق أن البردة بحاجة إلى رسالة مستقلة تتحدث عنها وعن أثرها ، وقد تناولها الدكتور النابه زكى مبارك بالحديث فى كتابه الممتع « المدائح النبوية » ؛ ولكن إذا علمنا أن البردة قد وضعت لها شروح عدة ، وعورضت ، وشطرت ، وخمست ، وسبعت ، ووضعت شروح أخرى لكثير من هذه المنظومات الناشئة عنها ، علمنا أى ولوع ذلك الذى انتاب الشعراء والكتاب بالبردة من لدن عهد البوصيرى إلى عهد أمير الشعراء شوقى بك ، وعلمنا أى إيجاز مخل ذلك الذى نتوخاه هنا فى هذه العجالة ونحن نتصدى للحديث عن أثر البردة فى الأدب العربى .

وفى دار الكتب المصرية ، ودور الكتب فى الأقاليم ، وفى كشف الظنون وكتب التراجم وتاريخ آداب العربية لجورجى زيدان ، وفى غير ذلك من المظان إشارات إلى مؤلفات شعرية ونثرية ، كانت البردة سماء وحيها ومتنزل إلهامها . وهى فى انتظار البحث وترقب التمحيص . ولا تضاهى البردة فى هذا الفتح قصيدة أخرى .

وفى الحق أن بعض القصائد العربية حظيت بنصيب من مثل هذه العناية فشرحت أوعورضت أو نحو ذلك ، مثل «بانت سعاد»

ولامية العجم ، ولامية ابن الوردى . ولكن لم تبلغ إحداها شأو البردة ، ولا شقت غبارها . — ونذكر هنا بعض هذه المؤلفات على سبيل المثال والاستدلال . منوهين قبل ذكرها ، بأن هذا الفن الشعرى الجديد — وهو الغزل النبوى — قد سرت روحه فى كثير من شعراء المديح النبوى بعد البوصيرى ، بل فى جميع الشعراء ، وقد قضى نهجه الجديد على نهج من تقدمه من شعراء هذا المديح ، وتأثر به — بلا ريب — ابن نباتة وابن حجر وغيرهما فى نبوياتهم . هذا وممن شرح البردة : الشيخ الباجورى المتوفى (١١٩٨ هـ) وحاشيته مشهورة ، والشيخ خالد الأزهرى المتوفى (٩٠٥ هـ) ، ومن شراحها الجلال المحلى المتوفى (٨٦٤هـ) وشمس الدين بن الصائغ (٧٧٦ هـ) وزين الدين زكريا الأنصارى (٩٢٦ هـ) وشهاب الدين الأقفهى المعروف بابن العماد (٨٠٨هـ) وعلاء الدين مصنفك (٧٧٥ هـ) وشهاب الدين القسطلانى (٩٢٣ هـ) وأبو عبد الله المرزوق المغربى (٧٨١ هـ) .

وقد عارض البردة كثيرون ، ومن أبرزهم فى العصر الحديث : البلوودى فى قصيدته « كشف الغمة » وهي فى نحو ٤٥٠ بيتاً ، وشوقى فى قصيدته « نهج البردة » . — ومن أبرزهم فى العصر المملوكى وما بعده أيضاً ، أصحاب البديعيات . والقصيدة البديعية — كما نعتقد — منظومة عارض بها ناظمها بردة البوصيرى ، فالتزم بحرها ورويهـا وغرضها . على أن هذا الغرض — وهو المديح النبوى — ليس الهدف الأول من المعارضة ، وإنما إيراد الأنواع البديعية هو الهدف الأول المقصود .

أما المديح فقد كان من أهم المشهيات التى جـذبت أصحاب البديعيات إلى النهج البوصيرى والنظم على نمط البردة . وقد التزموا أن يضمنوا كل بيت من أبيات البديعية ضربا من ضروب البديع ، وزاد عز الدين الموصلى هذا الالتزام بأن التزم التورية بكلمة ماعن اسم الضرب البديعى المضمن . فأصبحت قيود البديعية خمسة ، غير أن القيد الخامس لم يلتزمه كثير من البديعيين . وفى الوقت نفسه ترى أبياتا فى بديعية عز الدين اقتصر فيها على التورية باسم النوع البديعى دون ذكر مثاله .

وقد نظم بعض الأدباء فيما بعد ، بديعيات لم يلتزموا فيها بحر البردة ورويها وغرضها ، وهـذا فى رأينا انحراف عن الشروط الأولى للبديعية ، وخروج بها عن جادتها الأصلية .

ومن أصحاب البديعيات : صفى الدين الحلى (٧٥٠ هـ) ، وابن جابر الأندلسى الضرير (٧٨٠هـ) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) وتقى الدين بن حجة الحموى (٨٣٧ هـ) وشرف الدين بن المقرى اليمنى (٨٣٧ هـ) وتاج الدين بن عربشاه (٩٠١ هـ) والجلال السيوطى (٩١١ هـ) وعائشة الباعونية (٩٣٠ هـ) ولها بديعيتان وعبد الغنى النابلسى (١١٤٣ هـ) وله بديعيتان أيضاً .

ومبتكر فن البديعيات ، صفى الدين الحلى ، وقد صرح بذلك فى مقدمة بديعيته ، وروى رؤيا ذات شبه برؤيا البوصيرى ، وذلك أنه عرته علة طالت مدتها واشتدت شدتها ، فرأى النبي عليه الصلاة والسلام فى نومه ، يتقاضاه المدح ويعده البرء . فنظم على إثر ذلك بديعيته . ومن يقرأ ديوان الحلى يشعر أن الرجل قد طاع له من البديع ذهبه ، ولان حديده ، فاستطاع أن يبتدع فى صوغه حلى قل أن يجاريه فى صوغها شاعر .

وهذا مما يؤيد دعواه فى ابتكار فن البديعيات . — على أن الدكتور زكى مبارك فى كتابه «المدائح النبوية» رأى أن مبتكر هذا الفن هو ابن جابر الأندلسى ، ولم يقم وزناً لهذه النزعة البديعية الجارفة التى طغت على نفس صفى الدين ودعته إلى التجديد فى البديع ، ولا لسبقه ابن جابر فى الوفاة بنحو ثلاثين عاماً . وقد عقب على ما ذهب إليه الدكتور ، زميلنا الفاضل الأستاذ أحمد موسى المدرس فى كلية اللغة العربية ، فكتب فصلا ممتعاً عن البديعيات ، فى رسالته الشائقة « الصبغ البديعى » . وقد كشف كشفاً فى هذا الموضوع له خطره ؛ إذ وجـد أن الشاعر أمين الدين السليمانى الأربلى المتوفى عام ٦٧٠ هـ ، قد نظم قصيدة غزلية فى ستة وثلاثين بيتاً ، فى كل بيت منها نوع بديعى . وعزز الأستاذ كشفه بما رواه ابن معصوم المتوفى عام ١١٢٠ هـ شرحاً على بديعيته من « أنه كان يظن أن صفى الدين أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب حتى وقف على قصيدة أمين الدين السليمانى » .

ورأى الأستاذ أن أمين الدين المذكور هو مبتكر فن البديعيات . — على أنى أعتقد أن المسألة لا تزال عند موقفها

الأول ، وأن كفة صفى الدين لا تزال الراجحة . وأن الفارق بين أمين الدين وصفى الدين فى ابتكار فن البديعيات ، كالفارق بين زهير وأبى تمام أو المتنبى فى ابتكار الحكمة ، وأنت ترى صفى الدين فى مقدمة بديعيته يقول إنها نتيجة لدراسة سبعين كتاباً فى فن البديع .

وبعد ، فأى خطر للبديعيات ، حتى نعنى بها كل هذه العناية ؟ البديعيات — على أى حال — فن شعرى جديد فى حينه بلغت به النزعة البديعية قمتها شعراً ، كما بلغتها بالمقامات نثرا .

هذا إلى أن البديعيات نمط من شعر العلوم والفنون ، لم يطرق قبل هذا العصر . ومنزلة البديعية فى علم البديع ، كمنزلة ألفية ابن مالك — مثلا — فى علمى النحو والصرف . — هذا إلى أن كثيراً من البديعيات وضعت لها شروح قيمة فأضافت بذلك ثروة جديدة إلى علوم البلاغة والأدب ، ومن أجل شروحها « خزانة الأدب » لتقى الدين بن حجة الحموى .

هذا . وقد شطر البردة كثير من الأدباء . منهم فى عصرنا الحديث : عبد العزيز باشا محمد ، ومحمد بك فرغلى . ومنهم الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى (١٣١٦هـ) والشيخ أحمد بن عبدالوهاب الجرجاوى (١٢٥٤ هـ) وأحمد بن عثمان العوامى الزبيرى ، فرغ من تشطيره عام (١٢٠١ هـ) والشيخ أحمد الحفظى اليمنى — كان حياً عام ١٢٩٣هـ — .

وخمسها بعض الأدباء ومنهم محمد بك فرغلى ، ومنهم زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى (٨٠٨ هـ) ومجد الدين اسماعيل الكنانى القاهرى (٨٠٢ هـ) وبرهان الدين البهنسى (٨٤٦ هـ) وفتح الدين بن الشهيد (٧٩٣ هـ) وزين الدين القرشى (٨٢٨هـ) وشمس الدين محمد الفيومى — لعله من أدباء القرن التاسع — وعبد الرحيم السيوطى المالكى الجرجاوى توفى بعد عام (١٣٢٠هـ) . وفى دار الكتب المصرية مجموعة خطية بها تسعة وستون تخميسا من بينها تخميس لابن حجة الحموى . ومجموعة أخرى خطية بها ثلاثون تخميسا .

وسبعها بعض الأدباء ، ومنهم الشيخ محمد اللطفى المصرى الخلوتى ، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى . وقد التزم أن يبدأ كل تسبيعة بلفظ « محمد » والقاضى ناصر الدين البيضاوى (٦٩٦ هـ) والتزم أن يبدأ كل تسبيعة بلفظ الجلالة .

وهناك شك فى نسبة هذا التسبيع إلى البيضاوى ، فقد نسب إليه مرة ، ونسب إلى الأمير عثمان بك ؟ مرة ، ونسب إلى شهاب الدين أحمد بن عبد الله المالكى المكى مرة أخرى . وقد قرأت هذا التسبيع نفسه فى دار الكتب بالمنصورة منسوباً إلى أديب اسمه صلاح الدين أحمد بن محمد الرفاء الدمشقى ، وهو بها مخطوط (رقم ١١٧٢ أدب) . فمسألة هذا التسبيع تحتاج إلى شىء من التحقيق .

وبعد ، فها نحن أولاء نرى من حديثنا الوجيز عن البردة أنها استطاعت وحدها أن تنشىء دولة أدبية كبرى لها جنودها وعتادها . وأن هذه الدولة كانت ذات صولة فى العصر المملوكى . ثم أخذ ظلها يتقلص شيئاً فشيئاً ، حتى كادت أحداث العصر الحديث الجارفة تمحو آثارها وتطمس أخبارها .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

— ٤ —

لم يعد للشعر فى العصر الحديث ما كان له فى العصور القديمة من سيطرة وقوة وإيحاء ، ولم يصبح — كما كان — مرآة صادقة تظهر فيها حياة الأمم ، وتخلد فيها مآثرها ومثالبها . ولئن كنا نستطيع أن نستخرج من الشعر الجاهلى — مثلا — صورة صادقة لحياة العرب فى باديتهم فنرى فيها مضارب خيامهم ، ومعامع حروبهم ، وأسراب ظبائهم ونسائهم ونعمهم وشائهم تضطرب فى صحرائهم إلى غير ذلك مما حفلت به حياتهم ، واصطبغت به معيشتهم ، لئن كان ذلك فى مقدورنا فإننا لانستطيع أن ندعى أن أمة من الأمم الحديثة كان شعرها (ديوان حياتها) ، ولذلك أسباب كثيرة تختلف باختلاف الأمم .

ولاشك أن من الأسباب القوية فى هذا الشأن قصور الشعراء وتقصيرهم ، وإن كان ذلك لا يرضى بعض المدارس الحديثة التى ترى أن الشاعر لم يخلق ليكون حاكيا لأحوال المجتمع ، وإنما خلق ليرسم للناس صورة نفسه ، فالشاعر الذى يودع شعره الأحداث السياسية والاجتماعية ليس بشاعر ، إذ أن الشاعر لم يخلق ليكون واعظا أو مرشدا للجماعات ، وإنما خلق — زعموا — للفن وحده ، وليرسم نفسه بهذا الفن البديع ، فيتحدث عن أفراحها وآلامها ، وعن عواطفها ورغباتها ، وقد كان لهذا المذهب أثره القوى فى ناشئة الشعراء ، فرأيناهم لايكادون يتعدون دائرة خواطرهم الضيقة ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فزوروا على أنفسهم ، فأخذوا ينوحون وهم يضحكون ، ويشببون تشبيبا عذريا وهم فى اللذات غارقون ، وهكذا أرادوا أن يصدقوا فكذبوا ، وهربوا من تصوير حياة الجماعة فصوروا أنفسهم مشوهة ! .

لهذا ولأسباب أخر فقد الشعر مكانته ، ولم يستطع أن يكون سجلا لحياة الجماعة ، نستطيع أن نقول هذا فى الشعر المصرى ، ونستطيع أن نقوله فى الشعر العراقى ، ونستطيع أن نقوله فى شعراء الشام والحجاز ، ونستطيع أن نقوله فى الشعر السودانى ، وإن كان هروب الشعراء السودانيين من حياة المجتمع أوضح ، وربما اعتذر الشعراء الذين عاشوا فى أوائل هذا القرن عن تخلفهم بقول الشاعر :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم ... نطقت ، ولكن الرماح أجرت

ولكن ما عذر هؤلاء الشعراء الذين رأوا رماح قومهم تنطق الأخرس ، حتى هذه الرماح التى أجرت كان على الشعراء أن يبكوها ، وأن يستنهضوها ، كما يقول أحدهم .

أنظر إلى السودان إن به شبابا ناهضين ... قعد الزمان بهم وما هم بالشباب القاعدين

غير أن الذى يعزينا أن الشعر العامى لا يزال يحتفظ بقوته فى هذا المعنى ، فلو هيئ لباحث أن يدرس الشعر العامى وأن يتبين اتجاهاته لظفر بشئ كثير من صور الحياة التى يحياها هؤلاء . ولقد اطلعت على شئ من شعر السودان العامى فرأيت فيه تصويرا دقيقا لبعض ما يكتنف القوم ، وخيل إلى أنى لو استطعت أن أظفر بمجموعة من هذا الشعر لتمكنت أن أنقل عنها كل مظاهر الحياة فى الريف السودانى .

أما الشعر المعرب فالبون شاسع بينه وبين ما تضطرب به الحياة من شتى المظاهر والاتجاهات ولاسيما فى أوائل هذا القرن ، فإن الشعراء الذين عاشوا منذ ثلاثين سنة حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة جدا أكثرها احتذاء للشعر القديم فى أغراضه ، ولكن حين تقدم الزمن ، وبدت مظاهر النهضة تأخذ طريقها إلى الحياة ، وكانت بقية من هؤلاء الشعراء لا تزال تنعم بنسائم السودان البليلة الرخية ، وتشرب من ماء النيل العظيم ، لم تجد هذه البقية بدا من أن تشارك ناشئة الشعراء فى الحديث عن هذه المظاهر ، وإن بقيت من ناحية الأسلوب والمعنى وكثير من الأغراض متشبثة بأذيال القديم . والدارس يلاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا يصلون إلى هذه الأغراض بطرق ملتوية ، فكانوا يتخذون المناسبات الدينية والمدائح النبوية سلما إلى ما يريدون ، فينفسون بذلك عن بعض الرغبات المكبوتة فى نفوسهم ، وإن بقيت أقلامهم مجفلة عن تصوير المجتمع ، بل منهم من كان يرى أنه من غير اللائق أن يتحدث الشاعر عن مثالب قومه ، ثم تقدم الزمن خطوة أخرى فرأينا الشعراء يدخلون المجتمع من باب أوسع فيتناولونه من نواح كثيرة ، أرهفوا آذانهم ، وفتحوا أعينهم ، لما يحدث أمامهم من خير وشر ، فصوروا بعضا وأمسكوا عن بعض

وكان للتعليم نصيب كبير من عنايتهم ، فلا تفتح مدرسة ، ولا يتخرج فوج جديد من كلية حديثة ، ولا تنشأ فرقة تمثيل إلا قالوا ، وهنأوا البلاد ، وتمنوا لها الخير والتقدم ، كما كان للغة العربية قدر وفير من اهتمامهم ، وكذلك ألحوا إلحاحات خفيفة إلى بعض ما يسيطر على المقول من خرافات . وهنا أعتب على شعراء الأمصار عتباً شديداً ، وأرى أنهم أغضوا عن تقاليد غير طيبة كان يجب أن يحاربوها كما حاربتها الحكومة ، وكما حاربتها الأذواق السليمة ، وأهمس فى أذن الشاعر الصالح الشيخ عبد الله عبد الرحمن الذى يقول :

سأبلغ جهدى فى القصائد حرة ... على أن جهد الشعر فى الشعب ضائع
فروض أؤديها وشكوى أبثها ... وما أنا ذو بأس وما أنا طامع

والذى يقول :

خذوها بى أى قوافى عاتب ... عليكم بها (لا عن جفاء ولا صد)
قواف ألقاها من الوحى صادقاً ... وأرسلها من حيث تجدى ولا تجدى

أهمس فى أذنه كيف فاته أن يؤدى فروض الشعر فى هذه التقاليد ، وكيف لم يرسلها دون أن ينظر أتجدى أو لا تجدى ؟ وأين جهده الذى بلغه فى هذا الذى أشير إليه ؟ كما بلغ جهده فى نواح أخرى كثيرة .

أليس بعجيب أن يقف الشعراء على الشاطىء ، ويجفلوا عن الخوض فى أمور هى القذى فى الأعين ، والشجى فى الحلوق .

بعد هذا نريد أن نستخرج بعض مظاهر للمجتمع السودانى من دواوين الشعراء ، وأنا أحصر طرفى هنا فى ديوانين اثنين ، وبعض مقطوعات أخرى ، وأنا مضطر لهذا ، فن جهة لم يهيأ بى أن أحصل على كل الدواوين التى خرجت ، والشعراء لم يساعدونى بإرسال شىء من أشعارهم منذ بدأت أكتب هذا البحث ؛ ومن جهة أخرى لم أجد فيما اطلعت عليه من شعر ما يعيننى فى هذه الناحية إلا هذان الديوانان ، فالأول ديوان (الطبيعة) للشاعر حمزة الملك ، فإن فيه صوراً صادقة ، من ذلك صورة (الحاوى) وقد التفت حوله الناس تخدع أبصارهم ، بل خدع الشاعر نفسه حيث يقول :

قد رأيت المحال رأى عيان ... ليس فى حاجة إلى برهان
رجل كالرجال جاء بما يعـ ... ـجز عن فعله بنو الإنسان
يأمر المـاء بالوقوف فينصا ... ع ، وإن شاء لج فى الجريان
يضع الشىء فى يديك فتلقا ... ه على الرغم منك فى يديان

وبعد أن يعدد الألاعيب أخرى من فعل الحاوى ، وهى كلها غريبة عجيبة يقول :

هذه ما نراه أم هو جد ... ومن الناس أم من الشيطان ؟
زعموا أنه الخداع ولكن ... كيف فى الشىء تخدع العينان؟

ثم ينتقل بعد كل هذا طفرة واحدة ، فيسوق إليك حجة على أن للكون إلهاً فيقول :

أيها الملحدون هذى أمور ... من صنيع الجهال والغلمان
عللوها فإن قدرتم فقولوا ... إنه لا إله للأكوان

وتترك هذه الصورة لنأخذ فى صورة أخرى حيرت الشاعر أيضاً ، ولعبت بلبه ، وانتهى أمره فيها إلى أن يبقى فى حيرته ، تلك هى صورة صاحبة (الودع) . (فأم عباس) قد أنبأته بالغيب وقد وقع ما انبأته به ، وقد كان ينكر عليها أن تعرف شيئاً من عالم المستقبل ، فراهنها ، ونذر لها نذراً ، ولكنها فازت بالرهان ، واستحقت النذر ، غير أن للشاعر عقلا لا يخضع لهذه الترهات ، وهكذا يحاربن عقله ، وبين الواقع الملموس :

أرت أم عباس أعجوبة ... تضل كبير الحجى (بالودع)
وما أم عباس إلا عجو ... ز تبقى بها نزعة للورع
تجادل أن أنا جادلتها ... كمن هو فى فنه قد برع
وتحلف إن لم أنل ما ترى ... فليست تعود (لحط الودع)
فواعجبى كيف نبأتها ... وُديعاتها بأمور تقع
وواعجبى كيف فى عصرنا ... تصح الخرافات فى المجتمع
وإن كنت صدقتها ما ادعته ... فما أنا إلا لعقلى تبع
أمور أرى بعض أسرارها ... ن صدقاً به من رآه اقتنع
أصدق منها صحيحاتها ... وليست تجوز على الخدع
ولكن من الحق أن نترك الا ... باب مشايعة للبدع

وهكذا لا يصل الشاعر إلى قول فصل فى هذا الموضوع ، فيبقى فى ظلام دامس يخبط يمنة ويسرة ، ولا يهتدى .

ويتحدث هذا الشاعر عن نماذج بشرية رآها فى حياته ، فن فتى كالذئب باسم السن يظهر الإخلاص ويسر الغدر ، ومن شيخ شاب فى اللؤم ، وحرم زوجه بألف طلاق ولكنه لا يزال يباشرها ، ومن رجل يظهر فى زى النساء ويفخر بالقوام

الرشيق ، والخد الأسيل ، ومن دعى موغل فى كبره ، يدعى الجود وهو سليل بيت البخل والشح ، ومن جاهل يدعى العلم ، وما هو إلا بيفاء تهرف بما لا تعرف ، ثم ينتهى به المطاف إلى أن يقول :

نخـــر كل منهم أن له ألف وجـه بين صبح ومساء

وفى قصائده (سافرة) و (لقيط) و (سأم قاتل) و (زميل) صور ناطقة فى المجتمع .

أما الديوان الآخر فهو (الفجر الصادق) للشيخ عبد الله عبد الرحمن ، والحق أن صاحب هذا الديوان من المخضرمين فهو يأخذ خير ما فى المدرسة القديمة ، ويتناول أشياء كثيرة من المدرسة الحديثة ، وفى هذا الديوان مجتمع سودانى ، وأهم ما يأخذ القارىء فى هذا الديوان أمران .

عنايته بالتعليم ، وهـذا الموضوع قد استغرق جزءاً كبيراً منه ، فيتحدث عن المدرسة الأهلية ، وعن مدرسة الأصفاد ، وعن كلية غردون ، وعن تكريم البعثات العلمية ، وعن يوم التعليم ، إلى أشياء كثيرة من هذه الموضوعات .

ونستطيع أن تقول أنه يندر أن يفلت من بين يديه أمر يتعلق بالتعليم دون أن يقول فيه ، ومن شعره فى كلية غردون .

لهـا علينا وإن ضنت بموعود قديم عهد وحق غير مجحود
كم خرّجت من فتى حلو شمائله مشمر الساق فى الأتراب محمود
كأنمـا الجهل طوفان يحيط بنـــا
وهى السفينة قد أوفـت على الجودى
يا معهداً طاب ماضيه وحاضره لا كان ربعك يوماً غير معهود
لا أنت فى واجب السودان وانية ولا مقامك فيها غـير محمود
قالوا وفود على أبوابك ازدحمت وهل سمعت بعذب غير مورود

وعنايته باللغة العربية ، وشعراء السودان يولون هذه الناحية نصيباً من جهودهم ، ولكن الشيخ عبد الله صريح كل الصراحة حين يتناول هذا الموضوع . قرأت قصيدة طويلة للشيخ عبد الله البنا عنوانها (دمعة على اللغة العربية) بكى فيها حاضرها وأشاد بماضيها ، وللشيخ عبد الله أبيات كثيرة ، يسوقها كلما سنحت له الفرصة ، يقول فى قصيدة نبوية :

بنى وطنى أن قمت للضاد داعياً فـــإنى أدعو للتى هى أقوم
أرى الضاد فى السودان أمست غريبة
وأبناؤها أمســت لهـــا تتجهم
تولت وما دمع عليها بفائض وما أحـد منهم لهـا يتألم
ونبئت بالسودان قومـــاً تآمروا
على اللغـة الفصحى أساءوا وأجرموا

ويقول مخاطباً قومه وعشيرته بعـد أن أشاد بجهود مؤتمر الخريجين فى التعليم .

بنى عمنا لبـوا النداء فحسبكم تنازع مأموم بهـــا وأمام
فلسـتم بأحياء ولسـتم أعزة إذا الضاد لم يؤذن لها بقيام

وعلى ذكر الخلاف نقول إن صاحب الديوان قد أشار إليه غير مرة ، ودعا إلى اتحاد الـكلمة ، ومن كلماته الرقيقة فى ذلك

أفى الدار مصغ للحديث فسامع أم الدار قد سدت عليها المسامع؟
توهمت آيات لهـا فمرقتها لستة أعوام وذا العام سـابع
وطوفت أستبكى عيون قصائدى عليها ، وقد تبكى القصيد الفجائع
مشى بين أهليها الخلاف فأصبحوا
تصدهمو عن كل خـــير موانع
أرى النار شبت فى نواح كثيرة ولم ينج متبوع ولم ينج تابع
إذا القوم لجوا فى الغواية كلهم فقبح مـدفوع وقبح دافع

ولا نختم هذا الحديث حتى نشير إلى هذه الصورة التى رسمها الشاعر الشيخ حسيب على حسيب ، وهى صورة طالما رأيناها ، وألمنا لهـا :

عجباً أرى المقدام أصبح مذنباً يقصى وذا الوجهين أضحى مكرما
إنى عرفت الدهر حتى خلتنى إياه فاسمع سائلى ثم احكما
إن شئت أن تحيا سعيداً بينهم كن تابعاً ما يشتهون معظما
حتى إذا قالوا الظلام أجننـا والشمس مشرقة ، فقل ما أظلما

وهذا شاعر يئس من المجتمع ، ونظر إليه نظرة كلها حسرة ، وألم ، وماله لا يفعل وهو الذى يقول ، ونقول معه ؟

ماذا أعاتب يا زمان وأتـق أهلى أم الأيام أم حـادى ؟

ويقول عن قلبه :

ألف الهموم برغمه وألفنـه فغدا بواد والسرور بوادى

ويقول عن أقاربه :

هم مزقوا عرضى لغير جريرة وقضوا على بأن يطول سهادى
يسمون فى خفضى وأطلب رفعهم شتان بين مرادهم ومرادى

(للحديث بقايا)

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

النيـــل والسودان (*)

للأستاذ محمود غنيم

سائلاه أأنت نبعَ الجنان ؟   أم جنى النحل أم رضاب الغوانى!
أم رحيق طالت عليه الليالى   لم يعتّـق أمثاله فى الزمان ؟
يا نديمىَّ إنمـا أنا صب   بابنة النيـل لا ببنت الحان
أترعا من منابع النيـل كأسى   واهتفا باسمهن ثم اسـقيانى
يا نديمىَّ تلك ساعة صفو   سنحت فاختلستها من زمانى
أسقيانى سلافة عُصرت من   قبل خلق الـكروم فى البستان
خمرة لم تطش بلب لبيب   شربها شعبة من الإيمان
عصر الناس كل خمر وخمرى   عصرت كرمها يدُ الرحمن
سائلاه أبين عبريه ماء   أم لجين وعنبر سائلان ؟
شِيب آذيّه فكان عقيقاً   وصفا فهو ذوب حب الجمان
وأطـافت به الرياح رخاء   فهو حلم فى خاطر الوسنان
وأطافت به الأعاصير هُوجا   فهو طيش الشباب فى عنفوان
وسـخا فهو حاتمىّ المطايا   وطغى فهو عارم الطغيـان
واستوى فهو كالقدود اعتدالا   وتثنى تثنى الخيزران
وتلوى فى سـيره أفعوانا   لا يمج السموم كالأفعوان
مثل صدر الحليم فى الرحب أوفى   ضيق صـدر المدلل الغضبان
يرد النـاس حوضه أبد الدهـ   ـر ولا يشتكى من النقصان
هو طِب الجسوم من كل داء   هو طهر لهـا من الأدران
كاد أن يغسل القلوب من الحقـ   ـد ويمحو كوامن الأضغان
شق مجراه وابتنى شاطئيـه   بيديه مهندس الأكوان
أنا أهواه ما سقى يانع الرو   ض وما بل غـلة الظمآن
أنا أهواه ما حييت فإن مت   فخوكوا من عشبه أكفانى

* * *

أيها النيل كم لبثت ؟ ومن أيـ   ـن تفجرت ؟ ما درى الثقلان
سابق أنت للمجرّة أم أحـ   ـدث عهداً أم أنتما توءمان
يا سجل التاريخ حدث بما عا   ينت ليس السماع مثل العيان
كيف حاد المؤرخون عن القصـ   ـد وجاءوا بالإفك والبهتان
قد شهدت الإنسان يأوى كهوفا   ويؤاخى فصائل الحيوان
وشهدت الإنسان ينتطح السحـ   ـب ويؤوى رفاته الهرمان
حدث الناس عن فراعين مصر   كيف بذوا الشعوب فى البنيان
كيف دانت لدولة الفرس مصرٌ   كيف دانت لماهل اليونان ؟
هات يا نيل ليـلة من ليالى   « كيلُبطرا » وقيصر الرومان
حدث الناس عن بسالة عمرو   وجنود الفاروق فى الميدان
أنت يا نيـل معرض للحضارا   ت وشتى الشعوب والأديان
أفأبصرت كالحنيفـة دينـا   أو رسولا يحكى فتى عدنان ؟

* * *

يارفيق البنان كيف حفرت الصـ   ـخر بالظفر يا رفيق البنان ؟
كيف دانت لك الهضاب العواتى   كيف لانت صلابة الصوان ؟
كيف جبت الفلا بغير دليل   وملأْت الصحراء بالعمران ؟
حوّلت كيمياؤك الترب تبراً   ونفخت الحياة فى الصفوان
ليت شعرى أساحر بعصاه   أنت أم أنت عالم روحانى ؟
كم نسجت الثياب من غير نول   ثم وشيتها بألف دهان
رب حقل كسوته بعد عرى   فإذا الحقـل أخضر الطيلسان
ما بكت أو غنت سواقيك لكن   لك رتلن آية الشـكران
أنت يا نيـل فاتح فتح المد   ن بغير الحديد والنيران
سائر لا تحيد فوق صراط   كقطار يمشى على قضبان
دائر بين لجـة وبخار   كنجوم السماء فى الدوران
لك فى الأرض والهواء مدار   حار فيـه مقوّم البلدان
قربوا الشـاء للسماء وزفت   كلُّ خود إليك فى مهرجان
ليت شعرى أأحسنوا لك صنعاً   أم أسـاءوا بذلك القربان ؟
أقلوب الأرباب مثل قلوب النـ   ـاس تهوى فواتر الأجفان ؟

* * *

فيك حيَّيت كل ذات شراع   تتهادى تهـادى النشوان
وبنات البخار إذ هي تعدو   عدْو خيل الطراد يوم الرهان
الجوارى روائح وغـوادٍ   فيك يرقصن كالجوارى الحسان
أرسل الفلك فى الفضاء صفيراً   رن فى مسمعى رنين الأذان
ومشى يمخر العباب ويلقى المـ   ـوج سكانه على الشطآن
فإذا الموج فوقهـا يترامى   كترامى الولدان فى الأحضان
رقصت موجة وغنت سواها   بخرير منظم الألحان
قلت — والموج راقص ومغن   ليت شعرى أذاك حفل قران
وتهـادى النسيم ألين مسا   من رفيف الندى على غصن بان
وتوالت على العيون المرائى   مرهفات للحس والوجدان

(*) ألقى الشاعر هذه القصيدة فى حفلة التكريم التى أقامها له نادى الخريجين بأم درمان .

البقاع ولبنان تسعة عشر يوماً . وأخذ الشيخ بعد ذلك يدور في فلسطين ، ويزور مشاهدها ويدون لنا في رحلته ما شاهده من الآثار ، ومن اجتمع به من السادة الأخيار .

* * *

ويقول الشيخ : « ودخل العيد ونحن في صفاء ما به أكدار ، ووردت علينا بعد أيام مكاتبات من أحباب أخيار فخام ، وأرسلنا الجواب البار ، إذ شاقنا التذكار لأهل حلب والشام ، وبقية خطاب كرام ، وحصل بعد الحضور فتور قريحة فلا نثر ولا أشعار ، وكان الأخ السلفيتي توجه إلى مربعه ، وبعد أيام من الإقامة وجمع جامعه لسكل مرة مداحة ، حصل رمل عين ، أورث نكد عين ، ثم اتبعتها أختها وحصل الشفا . وحين هل هلال محرم الحرام ، سنة (١١٤١هـ) استقمنا على نظام واحد في الخيام ، هاجرين منهج النظام قهراً ولما آن أن يدنو منه التمام ، بشرت بحمل وقيل أنه غلام ، قلت ما جاء هدية من السلام ، فهو لدينا مقبول ولا ملام ، وعسى أن تكون بنية ذات حال سما ، لاسميها باسم والدتي الشريفة عُلما . وفي صفر الخير اتضحت البشارة ، وزال في شهر المولد لبس الستارة ، وكان الأخ السيد محمد (السلفيتي) وعد بالعود ، لأجل أن يرافقنا في الزيارة العليلية (١) فعزمنا على المسير إليها ، ورافقنا الأخ الشيخ رضوان نجل رضوان الزاوي ، والأخ الشيخ نورالدين الهواري ، وغيرهم من الإخوان ما لهم مساوي . وذلك نهار السبت السادس من شهر ربيع الأول شهر المولد » .

الزيارة العليلية :

« وحين واجهنا سيدنا (شمويل) (٢) قرأنا لجنابه فاتحة الكتاب ، وبعد هنيهة في المسير ، أنشد رضوان الزاوي :

شوش الجمال قلبي حين نادى بالرحيل
قلت للجمال خذني قال لي حملك ثقيل

« وما زلنا على نجد نحب الأرض حباً والوقت أدلى أردان بسطه علينا وذوقنا قضباً وحباً وفاكهة ، ونزلنا للاستراحة وقت الضحى ، ولم نعقل الدار غب طي تلك المسافة إلا في (عابود) ونزلنا غب استقبالهم المضافة . وفي يوم الاثنين غلساً سرنا ، وللاستراحة في (نزلة) نزلنا ، وانعطفنا على زيارة سيدنا يهودا وهو أحد أولاد سيدي يعقوب . فقلت :

يا خليلي متلف الوجد عودا وانشقاني نداً عهدت وعودا

وبتنا بقريته المأنوسة ، في دعوة الصديق الشيخ إبراهيم الخليلي القاسمي ، وفي الصباح أتينا (يازور) وزرنا مقام سيدنا حيدرة المنسوب لسيدنا علي بن أبي طالب ، ودخلنا (ساقية) . وفي الضحى سرنا إلى (يافا) ، وقد تلقانا أحبة ، لهم صدق خلوص وفي (الجامع الجديد) حللنا به ، إذ الرفاق جمعهم جمع ، ودعانا الأخ السيد صالح محرم للدار ، وبتنا عند أخينا العواد ، نافين الأكدار ، وتوجهنا للحرم العليلي ، وحضره قبلنا الأخ الحاج حسن مقلد ، وجاءنا نفر من أهل يافا ، وبصحبتهم الشيخ خاطر المجذوب وختمنا بعد العصر الربعة الشريفة ، وعملنا المحيا ليلة الجمعة وأقمنا فيه يوما » .

العودة عن طريق نابلس :

وبعد العشا ، وبعد الفشا ، توجهنا إلى (بنيامين) وقرأنا الورد السحري لديه ، وأتينا (كور) وأقمنا بها ليلتين ، ثم وردنا نابلس المحمية ، ونزلنا بساحة (الدرويشية) ودعانا المحب ، الحاج حمدان الطويل ، وأخذ ولده الدخيل الشيخ يوسف وصالح للتكميل ، وقام بما يلزم من إكرام جناب صالح باشا بن توقان [طوقان] ، وزرت مع الأخ السلفيتي في جبلها الشرقي سيدي الشيخ غانم القدسي ، وتوجهنا بمن معنا إلى قرية (عينبوس) ، وأخذنا العهد الشيخ عمر مملوء الطسوس ، وحضر الأخ المأنوس السيد محمد وقال ما أثرت في مبايعة أحد من إخواني ، مثل ما أثرت في مبايعة هذا الأخ الجناني ، ولا سمعت ذكراً أحلى من ذكرك حال التلقين الاحساني ، فاني بمجرد قراءتك الآية الكريمة خشعت أركاني ، وهمت أجفاني . فقلت له كان الوقت طيباً مغموراً بحضور أهل النور الصمداني .

---

(١) نسبة إلى سيدنا علي بن عليل : ومقامه شمالي يافا وهو من نسل عمر بن الخطاب . توفي (٤٧٤ هـ) ويقول في الأنس الجليل أنه أخبر أن الأفرنج إذا أقبلوا على ضريحه وهم في البحر كشفوا رؤسهم ونكسوها .

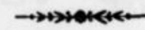
رحلات فى ديار الشام فى القرن الثامن عشر الهجرى :

٢ ـ اردان حلة الاحسان فى الرحلة إلى جبل لبنان(*)

لمصطفى البكرى الصديق

(١٠٩٩ هـ - ١١٦٢ هـ - ١٦٨٧ م - ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى



كان صديقنا والد الأولاد المرحوم الشيخ مراد توفى فى شهر ربيع الأول فعملنا عند قبره ختما ، وطلب ليلة المسير الولد الكبير الأندراج فى السلك مع اخوته فأجبته ، فأخذ صالح الدأب على الخير، وتبعه أخوه خير وأخوتهما ومصطفى وعلى وخالد وعمر وأولاد صالح ، وسرنا بعد أن ودعنا الاخوان وصلينا الجمعة فى (سحمواته) وجاءنا من صفد ، من له الغرام بالتحريك أوثق صفد ، وبتنا فى (قلمة ممليا) الرفيعة ، وفى الصباح عاد أهل صفد وصحبهم الأخ الشيخ عمر البقاعى وأرسلت معه كتاباً للصهر . ومنها توجهنا بمن معنا إلى الساحل ، وقبلنا لدى ذى النون المصرى المقيم الراحل ، فقلت :

وصرنا بلصق جدران (عكة) بلدة فى الثغور ثورت عكة
وحديث بمدحها فضعيف بـكها الجسم لا تقسه بيكة
وقطعنا نهر الدعائم سرعاً وأصـبنا لدى المقطع ركة
ونزلنـا قريب قلمة حيفا وسككنا الجفا على العنق صكة
وسألنا الإله تقريب قدس وارتحالا لطيبة ثم مسكة

وبتنا فى قرية (صدفند) بعد مشقة ، ومنها أتينا حمى (عتيل) وعزمنا فى الصباح على الرحيل ، ونلنا من أهلها إكراماً له حال ثقيل، وحثثنا المطى بلا وقوف، إلى (الطيبة) الطيبة الخلوف، وهذه القرية من قرايا بنى صعب[1] التى يأمن بها الخائف ويهون الصعب ، وهم بطن من كندة ومن بجيلة ، و كندة بالكسر ، قبيلة من اليمن ، وقيل الكندى لقب ثور بن عفير أبى حى باليمن لأنه كند[1] أباه النعمة ولحق بأخواله . قاله فى القاموس . وفى المصباح المنير بجيلة قبيلة من اليمن والنسبة إليها بجلى بفتحتين ، مثل حنفى فى النسبة إلى بنى حنيفة ، وبجلة مثل تمرة قبيلة ، والنسبة إليها على لفظها انتهى . ومنها حوّل نبأ الدليل السلفيتى ، إلى قرية (كور) فقدرّ بها مبيتى ، لدى الأخ الحاج حسن بن مقلد[2] وسرنا إلى الخربة الطيبة الماء والتربة ، وفيها ورد علينا الأخ الشيخ نور الدين [الهوارى] ضحوة النهار ، وفى صباح يوم الخميس ، أول ذى الحجة الأنيس ، سرينا حتى أتينا (صنّير) ، عازمين أنا بعد الغدا نسير ، والقصد التوجه إلى جنة (الداوية) ، لدعوة رضوانها المنتمى لهلال مرابعها المداوية ، فبتنا لديه ، وأدخلنا صهره السيد محمد الطيارى على ابنته الصغيرة . وبايع بعد العشاء جماعة تفوق على العشرين ، وتقدمنا إلى (ديرغسّان) ، وبتنا فيها بليلة حسان ، ودعانا الشيخ إبراهيم الرابى للغدا ، فتوجهنا لزيارة (الخواص) سيد إبراهيم وافر الندى ، فقلت :

أيها الواردون للخواص إن هذا المقام نزل الخواص

وتوجهنا صبحاً إلى قرية (عابود) لدعوة أهلها ففتحنا باب الوفود ، ورقينا تلك المنازل ذات الصعود ، وبتنا فيها وحبل السرور ممدود ، ومنها سرينا نجد فى السير إلى (بيتلو) للاصطباح ولم نبت إلا لدى (نبى الله شمويل) ولما أرسينا بشطه وأمسينا فيه ، وفد علينا من القادسة من نصطفيه ، فكانت الورّاد من المنزل القدس تنوف على العشرين . وفى ضحوة نهار الثلاثاء سادس الحجة عمدنا الديار المقدسة محبة الأحباب ، وتلقانا أناس أطهار أخيار ، وإخوان صفا أولى ادكار وأذكار ، ودخلنا مصاحبين الفاقة والذلة والإنكسار ، رجاء الانجبار نتلو البردة الشريفة على عادة أهل الديار ، إلى أن وصلنا قبة السلسلة المرفوعة الأطوار ، وزرنا بعد ختم الذكر المغارة والصخرة الشهيرة الأنوار ، واجتمعت بالأهل والبنية صانها الستار ، وحصل بالاجتماع كمال السرور للحضار » .

وقد استغرقت هذه الرحلة من دمشق إلى القدس عن طريق

(*) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية .

(١) هى قضاء طولكوم الآن وأصلها طوركوم .

(١) كندا النعمة كندها .

(٢) هو حسن بن مقلد الجيوسي ، شيخ بنى صعب . وآل الجيوسى يسكنون قدية كور حتى اليوم .

البقاع ولبنان تسعة عشر يوماً . وأخذ الشيخ بعد ذلك يدور فى فلسطين ، ويزور مشاهدها ويدون لنا فى رحلته ما شاهده من الآثار ، ومن اجتمع به من السادة الأخيار .

* * *

ويقول الشيخ : « ودخل العيد ونحن فى صفاء ما به أكدار ، ووردت علينا بعد أيام مكاتيب من أحباب أخيار فخام ، وأرسلنا الجواب البار ، إذ شاقنا التذكار لأهل حلب والشام ، وبقية خطاب كرام ، وحصل بعد الحضور فتور قريحة فلا نثر ولا أشعار ، وكان الأخ السلفيتى توجه إلى مربعه ، وبعد أيام من الإقامة وجمع جامعه لسكل مرة مداحة ، حصل رمل عين ، أورث نكد عين ، ثم اتبعتها أختها وحصل الشفا . وحين هل هلال محرم الحرام ، سنة (١١٤١هـ) استقمنا على نظام واحد فى الخيام ، هاجرين منهج النظام قهراً ولما آن أن يدنو منه التمام ، بشرت بحمل وقيل أنه غلام ، قلت ما جاء هدية من السلام ، فهو لدينا مقبول ولا ملام ، وعسى أن تكون بنية ذات حال سما ، لاسميها باسم والدتى الشريفة عُلما . وفى صفر الخير اتضحت البشارة ، وزال فى شهر المولد لبس الستارة ، وكان الأخ السيد محمد (السلفيتى) وعد بالعود ، لأجل أن يرافقنا فى الزيارة العليلية [1] فعزمنا على المسير إليها ، ورافقنا الأخ الشيخ رضوان نجل رضوان الزاوى ، والأخ الشيخ نورالدين الهوارى ، وغيرهم من الإخوان ما لهم مساوى . وذلك نهار السبت السادس من شهر ربيع الأول شهر المولد » .

الزيارة العليلية :

« وحين واجهنا سيدنا (شمويل) [2] قرأنا لجنابه فاتحة الكتاب ، وبعد هنيهة فى السير ، أنشد رضوان الزاوى :

شوش الجمال قلبى حين نادى بالرحيل

قلت للجمال خذنى قال لى حملك ثقيل

« وما زلنا على نجد نحب الأرض حباً والوقت أدلى أردان بسطه علينا وذوقنا قضباً وحباً وفاكهة ، ونزلنا للاستراحة وقت الضحى ، ولم نعقل الدار غب طى تلك المسافة إلا فى (عاود) ونزلنا غب استقبالهم المضافة . وفى يوم الاثنين غلساً سرنا ، وللاستراحة فى (نزلة) نزلنا ، وانعطفنا على زيارة سيدنا يهودا وهو أحد أولاد سيدى يعقوب . فقلت :

يا خليلى متلف الوجد عودا وانشقانى نداً عهدت وعودا

وبتنا بقريته المأنوسة ، فى دعوة الصديق الشيخ إبراهيم الخليلى القاسمى ، وفى الصباح أتينا (يازور) وزرنا مقام سيدنا حيدرة المنسوب لسيدنا على بن أبى طالب ، ودخلنا (ساقية) . وفى الضحى سرنا إلى (يافا) ، وقد تلقانا أحبة ، لهم صدق خلوص وفى (الجامع الجديد) حللنا به ، إذ الرفاق جمعهم جمع ، ودعانا الأخ السيد صالح محرم للدار ، وبتنا عند أخينا المواد ، نافين الأكدار ، وتوجهنا للحرم العليلى ، وحضره قبلنا الأخ الحاج حسن مقلد ، وجاءنا نفر من أهل يافا ، وصحبتهم الشيخ خاطر المجذوب وختمنا بعد العصر الربعة الشريفة ، وعملنا المحيا ليلة الجمعة وأقمنا فيه يومها » .

العودة عن طريق نابلس :

وبعد العشا ، وبُعد الغشا ، توجهنا إلى (بنيامين) وقرأنا الورد السحرى لديه ، وأتينا (كور) وأقمنا بها ليلتين ، ثم وردنا نابلس المحمية ، ونزلنا بساحة (الدرويشية) ودعانا المحب ، الحاج حمدان الطويل ، وأخذ ولده الدخيل الشيخ يوسف وصالح للتكميل ، وقام بما يلزم من إكرام جناب صالح باشا بن توقان [طوقان] ، وزرت مع الأخ السلفيتى فى جبلها الشرقى سيدى الشيخ غانم القدسى ، وتوجهنا بمن معنا إلى قرية (عينبوس) ، وأخذها العهد الشيخ عمر مملوء الطسوس ، وحضر الأخ المأنوس السيد محمد وقال ما أثرت فى مبايعة أحد من إخوانى ، مثلما أثرت فى مبايعة هذا الأخ الجنانى ، ولا سمعت ذكراً أحلى من ذكرك حال التلقين الاحسانى ، فانى بمجرد قراءتك الآية الكريمة خشعت أركانى ، وهمت أجفانى . فقلت له كان الوقت طيباً مغموراً بحضور أهل النور الصمدانى .

---

(١) نسبة إلى سيدنا على بن عليل : ومقامه شمالى يافا وهو من نسل عمر بن الخطاب . توفى (٤٧٤ هـ) ويقول فى الأنس الجليل أنه أخبر أن الأفرنج إذا أقبلوا على ضريحه وهم فى البحر كشفوا رؤسهم ونكسوها .

« وسرنا إلى قرية (جماعين)[١] وبتنا بها ليلة الأحد ذات السحاب المبين، وقرأنا الورد السحرى فى الجامع على جمع من الأعيان. ونحونا نحو (مردا) لم نجد عنها مردا، وبعد ما اظهرنا مضينا إلى قرية (كفر عين) راجين صلاح بنى زيد، عسى المعين عليه يمين، وبتنا بها فى دار على جلبابها السرور دارا، ونهجنا منها إلى (دير غسان) بوجدنام، وقلب رهين منهان، وأقمنا فيها لأجل الإصلاح، إذ بدا شر بتلك البطاح، وأخذنا عطوا شهر للراحة، وسرنا للمنازل بنفوس مرتاحة، ولدى (بيت ريما) أنزلنا قصراً للاكرام، وفى (تبتلو) تمنا وبها مدت موائد انعام، ولم نصل الظهر إلا فى بيت الحرم، الكائن عندى فى الدار الممدود من النعم، ورجع أخونا السيد محمد ومن معه للمنازل وأرسلت للصهر المحترم كتاباً جملته عن كتب جواباً. وصدرته بقصيدة.

سيف الهوى ما أقله   بعد بلى ذاك سله

وأرسل جواب هذا الكتاب مصدراً بنظم مستطاب مطلعه

غضب الهوى ما أسله   ياويح من رام سله
به الفــؤاد عليل   ياليتــه ما أعــله
فصار جسمى نحيلا   من الضنا كالأخله
وقد سرى فى عروق   مثل الدما وأحله
حتى كسانى وجـداً   قد صار للقلب حله الخ

وجاءنى منه كتاب ثان ينبىء عن الحب الرفيع الشأن، وذكر فيه موشحاً للسيد يعقوب الكيلانى، نجل السيد عبد القادر الحوى الدانى، وهو على طريقة الأندلسيين. وبعد أيام من ورود الكتاب القندى[٢]، وجاءنى الدرويش الحاج يعقوب السندى، وطلب منى حال عزم على السفر مكاتبات أربعة أحدها لشيخنا الشيخ عبد الغنى (النابلسى) ومطلعه :

يا لقومى من لصب ما غفا   طرفه فدام نادى القدس
صافماً هم الثنائى فى الصفا   إذ تملى بالجمال الأنفس الخ

وكنت أجبت الدرويش يعقوب لما طلب المكاتبات الأربعة إنى منذ أتيت هذه الديار، أتنكاف لكتابة مكتوب حروفه مجمة وإن أردت النظم والنثر العادى، أراه متعسراً على، ولو تمعل له فؤادى. فما زاده الإعتذار إلا إلحاحاً وإلزاماً فى الطلب، فدفعت له مكاتبة الأستاذ الملاذ [أى الشيخ عبد الغنى النابلسى] فقال إنه يهديك هدية سنية تفوق لديك الملاذ، ثم كر على طلب البواقى، فعملت له مكتوباً لشيخنا الساقى الشيخ ياسين الحوى الجيلانى فقلت :

وكذا نهدى تحايا قدسمت   وزكت أين ذكا منها أخى
وثنايا سحبها فيضاً همت   بسطها للقبض زوى أى زى الخ

وأرسلت للصهر الأمجد كتاباً مصدراً بموشح :

أصبحى أربحى أرجحى   لوذعى المى أجمى
افوجى أروحى أنجحى   إرفمى اشجعى ارتق
أنصحى إبطحى إسمحى   إبدعى إطوعى أجرعى
ثمرة بت البخارى وأنا   مسلم كأس الموطأ محتسى
ولكم إذهب عنا من عنا   وعياء وعلى ذا فقس الخ

وكتبت كتابا للأخ الحيم الشيخ عبد الكريم المشهور بنسبه الكريم، بالشرابانى النديم وصدرته بموشح :

أيها السيار سر بى للحمى
واسقنى من صرف صافى الاكؤس
وإذا ثنيت ثلث فالظما   قد غالى للمقر الأنفس الخ

ولما أتممت المكاتبات المطلوبة، وأحضرتهم على كيفية مرغوبة، تأخر الدرويش يعقوب عن السير، منتظراً للاذن المحبوب للقلوب عند الطروب. وكان قدم علينا غب العودة من الزيارة رجل مصرى يدعى موسى انتمى إلينا فيها، وقصده التجارة لكنه مغلوب نفس، منهوب حدس، محجوب عبارة، ملسوب حية أمارة؟

« وفى يوم الأربعاء من أواخر شهر ذى الحجة توفى الأخ الأمجد الأوحد السيد محمد السلفيتى وسيأتى تاريخ وفاته وبعض ترجمته فى حال زيارة ترتبه ومرثيـــة قلتها فيه، ما زالت الرحمات توافيه ».

« يتبع » أحمد سامح الخالدى

(١) هى (جماعيل) من أقضية جبل نابلس، وأحد مراكز العلم فى القرون الوسطى.
(٢) القند عسل قصب السكر إذا جمد.

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدروس الخصوصية :

يهتم معالى عبد الرازق السنهورى باشا وزير المعارف بمشكلة الدروس الخصوصية ، ويعمل مع رجال الوزارة على إيجاد حل حاسم لها . وداء الدروس الخصوصية قد تغلغل فى السنوات الأخيرة حتى تسرب إلى رياض الأطفال هابطا وبلغ الجامعة صاعداً . . وقد أحس معالى الوزير بخطره منذ العام الماضى فأصدر قراراً بأن يكون الحد الأقصى لكل مدرس فى الدروس الخصوصية تسع حصص فى الأسبوع ، ويكون ذلك عن طريق ناظر المدرسة ولكن أحداً لم يتقيد بهذا الحد وظلت الحال على ما هى عليه ، وقال النظار إنه لم تقدم لهم طلبات فى شأن الدروس الخصوصية ، وبدت المشكلة بهذا الوجه تحاول أن تستعصى على العلاج .

والواقع أن الدروس الخصوصية تجنى على الطلاب وأوليائهم كما تجنى على المدرسين أنفسهم ، وإذا نظرنا إلى الأفكار الحديثة فى التربية التى تؤيدها المشاهدة والتجارب ، والتى ترمى إلى تكوين شخصية الناشئين عن طريق استقلالهم فى مواجهة التبعات والصعاب مع الملاحظة والتوجيه عند الاقتضاء — إذا نظرنا إلى ذلك نجد أن هذه الدروس الخصوصية إنما هى رجعية منكرة فى التعليم . وهى بعد تغرى الطالب بالتكاسل والتشاغل عن الدروس فى المدرسة ، اعتماداً على أن « بابا » سيتفق مع المدرس فى آخر السنة على كذا من الحصص بكذا من الجنيهات ، ويتم النجاح بفضل هذه الجنيهات !

ثم هؤلاء الأطفال الذين نحملهم إلى الرياض ليلعبوا ويمرحوا ويحيوا حياة اجتماعية تناسبهم ، ولتنتهز المربيات الفرص لتنمية ملكاتهم وأذواقهم وتنشيط أذهانهم وإمدادها بقليل من المبادئ ماذنبهم حتى نزعجهم بطلعة المدرس فى المنزل ونستبدله لهم بما يحبون من الدمى واللعب ! ونغرس فى نفوسهم منذ الصغر كراهية التعليم ؟

وأنا لا أستطيع أن أتصور إثما فى التعليم أشنع من إعطاء الدروس الخصوصية لطلاب الجامعة ، لأنه إخلال بوظيفتها الأولى والأخيرة وهى التعويد على البحث وتكوين الفكر المستقل ، على أن من شر الدروس الخصوصية فى التعليم العام أنها تدليل على للطالب يفسده على الدراسة الجامعية ، فما بالك إذا دلل الكبار فى الجامعة ؟ ..

أما آباء التلاميذ وأولياؤهم — من أبناء هذا الشعب المكدود — فهم مساكين . . يوشكون أن يلقوا فى المدارس ما يلقى الناس فى المستشفيات من أطباء يتراخون فى المستشفى وينشطون فى العيادة !

وأما المعلمون فهم أشد مسكنة من الجميع ، لأنهم يجدون أنفسهم مضطرين إليها مع ما تصيبهم به من الإرهاق وما تسببه لهم من قعود عن الاطلاع وتزويد أفكارهم وأذهانهم بما يفيد ويمتع من ألوان الآداب والعلوم والفنون .

إن المعلم على رغم ما ناله فى السنوات الأخيرة من تحسن طفيف ، لا يزال يلقى العنت فى حياته المادية ، فهو قلق فى هذه الحياة التى لا يوصله فيها مرتبه إلى مطالب عيشه الضرورية ، فهو إذ يلجأ إلى الدروس الخصوصية لا ينبغى أن يواجه بالمنع أو العقاب ويسكت على ذلك ، بل يجب أن ييسر له العيش الكريم تيسيراً يحفظ عليه كرامته ويصل به إلى مستوى يستطيع فيه أن يستغنى عن هذه الدروس الخصوصية ، فإذا سعى إليها طامع جشع ردع بما يستحق من العقاب .

ولا يكفى فى حل هذه المشكلة أن يحدد ما يباح لكل مدرس من عدد الدروس الخصوصية ، بل يجب أن تحسم بالتحريم القاطع ، إلا فيما عسى أن يكون من ضرورة تلجئ إليها حالة التلميذ . وثمة نقطة لا بد من الالتفات إليها ، وهى أن المعلم لا يعطى دروساً خصوصية لأن عنده فضلا من جهد ونشاط ، فهو مرهق فى المدرسة ولا شك ، وإنما تبعثه إليها الرغبة فى رفع مستوى عيشه ، فلا يصح أن يكون من علاج مشكلة الدروس الخصوصية أن يزاد عمله فى المدرسة وتضاف حصص إلى « جدوله » بل أنا أذهب إلى عكس ذلك فأقول بالتخفيف عنه ليتاح له أن يعالج فى نفسه مشكلة الاطلاع والتزود الفكرى ، وأبيح لنفسى — ولست بعيداً عن المعلمين — أن أقول صراحة إنهم يعيشون فى إجداب فكرى يهدد مستقبل الثقافة فى هذه البلاد ، وهم يدورون فى

المدارس دورات آلية تتكون كل منها فى حجرة المدرسين حيث يبدأ بنقل ما فى الكتب المدرسية إلى دفاتر التحضير ثم يلم التلاميذ شعثها ويضمونها فى كراساتهم التى يحملها المعلم إلى حيث بدأ للتصحيح ... ويتم كل ذلك بطريقة آلية مكررة لا تجديد فيها ، وأكاد أقول : ولا تفكير !

وليس ذلك لأن المعلم عاجز أو تنقصه الكفاية ، فقد درس وحصل وتخرج فى الكلية وفى أعلى معاهد المعلمين ، ولكنه أرهق بالعمل وحرم الفراغ الذى يستغله فى مداومة الاطلاع ، فاضطر أن يحيا فى شبه انقطاع عن زاد العقول ، كما اضطر أن يؤدى عمله على الطريقة الآلية السابقة .

حول صانع البؤس :

تلقيت رسالة من أستاذ جليل ضمنها رأياً فى « الخلق والفن » لا يتفق — من حيث العرف الاجتماعى والاعتبار الرسمى — مع مكانه من المجتمع والرسميات . ولهذا قال فى أول رسالته : « أنا — كما يعلم كثير من الأدباء — يزعجنى أن يطرح اسمى مطرحاً يجعله موضوعاً لحديث عام ؛ وربما جاشت النفس بالخاطر يثيره رأى منحرف ، أو نظر حصيف ، وأعيا أمام شهوة الكتابة ، فأسترها مبالغاً ، حتى أوفق بين العاطفتين المختصمتين . لذلك أضع هذا الخطاب الخاص بين يديك على أنه أمانة لا يحل التصريح باسم صاحبها ، ولا وصفه وصفاً محدداً ، إن أنت عرضت له فى أسبوعياتك ؛ وغضب الله عليك إن خنت هذه الأمانة » .

ولذلك ابتعدت عن الوصف المحدد ، وعن غضب الله ... وأقدر للأستاذ الكبير حريته — المقيدة بمركزه — فى إبداء رأيه ، وأشكره على ما أضفاه على من عبارات التقدير والثناء ، وإنه ليسرنى أن أكون عند مثله كما وصف .

وأعرض بعد ذلك الموضوع الذى عرض له ، قال : « أخذت عليك رأيك فى « صانع البؤس » ، فإن صانع البؤس ليس الديب ، ولكن انحراف مزاج الديب ، الذى ما كان يملك تقويمه ، ولا يستطيعه لو حاوله . وفى الشاعر الحاذق النواسى ، الذى ما كان الديب ولا غير الديب يتعلق بغباره ، والذى يقول فيه النقاد : إن الشعر كان أقل أدواته ، ما يقرر مذهب الديب فى الحياة ؛ ثم فيما قاله هو عن نفسه : « أى شاعر يتبمّله ابن الحباب » مايقطع بأن الانحلال الخلقى ليس معوقاً عن الفن الرفيع ؛ بل ربما جازت

به ... فقلت : إن الخلق الكريم والفن الرفيع قلما يلتقيان . وعلى الجملة كل ما قلته صحيح ، ولكن الحكم على فن المنحلين بما حكمت فى حاجة إلى استدراك » .

وأقول : أولا إننى لم أحكم على فن عبد الحميد الديب ، وإنما أردت أن أصحح خطأ شائعاً يتعلق بحياته فقلت : إنه لم يكن بائساً حقيقياً ، وإنما كان يصنع البؤس ، وتضمن السياق ما يدل على انحلاله . وسواء أكان الديب هو صانع البؤس أم انحرافه ، فهو وانحرافه « متضايفان » ، وقد تعلمنا أن الإسناد إلى أيهما صحيح

أما مسألة الانحلال ، فقد كان لكلامى فيها إشارة إلى لون من الناس يحلو لهم أن يصطنعوا الانحلال دلالة على أنهم أدباء وفنانون ! ألم يكن الديب الشاعر منحلا ؟ وهم منحلون ، فهم إذن فى الأدب والفن عباقرة العصر فى مصر !

وأنا وإن كنت أوافق الأستاذ على أن الانحلال الخلق لا يعوق الفن إلا أننى أقف عند قوله : « إن الخلق الكريم والفن الرفيع قلما يلتقيان » فلا أسلم بهذه القضية .

إن النابغين من ذوى الانحلال الخلقى يجيدون حقاً فى التعبير عن ميولهم وتصوير تجاربهم ، وهم كثيرون ، ولكنهم لا يغلبون على ذوى الخلق الكريم ، وأنا لا أميل إلى التعبير الخطابى ، وإنما أريد أن أفرق بين الانحراف فى الخلق الشخصى وبين الانحلال فى الصفات الإنسانية الرفيعة ، وقد اجتمع الاثنان للديب ، ومن النوع الثانى فيه الحقد وعدم الوفاء ومقابلة الإحسان بالمساءة ، وهذا النوع لا يقبله الفن الرفيع . وعلى ذلك أقول الآن : إن الديب لم يكن ذا أدب رفيع .

الشخصية السليمة :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة نفسية موضوعها « الشخصية السليمة » بنادى رابطة الأدباء يوم الأحد الماضى ، فعرف الشخصية بأنها التجاوب المنسجم بين البيئة وبين العقل والشعور المتماسكين ، وشرح التماسك بأن وحدات العقل واتجاهات الشعور قد تختلف فيما بينها ولكنها كجاذيف السفينة تختلف اتجاهاً وتتحد فى الهدف ، فالعوامل النفسية تتنازع ، ولكنها تتفق على الغاية فتمضى إليها كالتيار الجارى . ويقابل التماسك الصراع وهو أن تتعارض العناصر ويعمل كل منها ضد

الآخر ، فينفك بناء الشخصية . وقال إن فى متناول أيدينا أن نجمل من اتجاهات نفوسنا طرقاً قوية متلاصقة متلاحمة متوازية ، وأول عامل فى بناء الشخصية هو ما يسمى « قبول النفس » وهو أن يقبل الإنسان نفسه كما هى ، لا يجزع من عيوبه ولا يمدها مهانات بل قيوداً عليه أن يحطمها ، ولا يمدها عوائق بل حوافز تدفع إلى الأمام ، فيواجه نقائصه ولا يهرب منهـا ، كما فعل سقراط إذ ألف أرستفانيس مسرحية تندر به فيها ، وكان سقراط حاضراً يوم تمثيلها فلما عرضت شخصيته وقف لكى يراه الجماهير. فليس الشعور بالنقص عيباً فهو أمر طبيعى ، وإن أول سبب لاعتلال الشخصية هو اعتبـار الصفات الغريزة عاهات يجب تغطيتها بمختلف الوسائل ، فالواجب تحويل النقص إلى كمال ، فصاحب الحياء أو محب العزلة يمكنه أن ينتفع بعزلته فى البحث والتأليف ، وصاحب الفضول والتطلع ينتفع بطبعه هذا بأن يكون شرطياً سريا أو صحفياً .

ثم تساءل الدكتور ناجى : هل البيئة الواحدة تخلق شخصيات واحدة ؟ فأجاب بأن البيئة تضع من يعيشون فى دائرتها فى قالبها العام ولكنها لا تجبر كل واحد على نفس ذلك القالب ، على أن لكل فرد أسلوبه الخاص فى الحياة . وتحدث عن علاقة الغـدد بالشخصية فقال إن الغدد تؤثر فى الأمزجة والطباع حقيقة ، ولكن الشخصية قد تتكون رغم ذلك ، ولا لزوم للحكم على شخصية الإنسـان من شكله الذى أدى إليه تركيب غددى خاص . ثم قال : إن مميزات الشخصية السليمة أن يكون لها ظل خارجى ممتد ، وعند ما يصير الهدف إنسانياً أو اجتماعياً يكون فجر الشخصية قد انبثق ، فإذا صـار الهدف روحانياً فقد بلغنا مستوى أعلى هو مستوى الإيمان ، وهو تلك القوة الخارجية التى تشع فى داخلنا الجلد والصبر والعزيمة .

الشخصية المعتلة :

وأعقب الأسـتاذ وديع فلسطين الدكتور ناجى ، فألقى محاضرة عن « الشخصية المعتلة » قال : اعتلال الشخصية أنواع نقصر حديث اليوم على نوع منها يسمى « السيكوباتية » وهى السلوك المرضى ، والسيكوباتى عدو للمجتمع ولا يسـلم هو من عداوته لنفسه ، ولا يصدر سلوكه المرضى عن وعى أو إرادة ، وإنما ينساق فى تصرفاته انسياقاً أعمى مشبعاً بطفولة فى الاتجاه الفكرى واستغراق فى لذات عارضة هدامة ، وسير فى الحياة بلا هـدف أو وراء هدف صورى لا وجود له . فقد يشعل النار فى نفسـه لا رغبة فى الانتحار بل حباً فى رؤية النار محصد جسمه ، وقد يسرق ، لا رغبة فى المسروق ، بل لمجرد الإيذاء والعدوان . وهو لا يقدر على التكيف والانتظام فى عمل . ولا ينفع فيه التقريع والعقاب ، لأن فطرته عودته على الاضطراب والخلل .

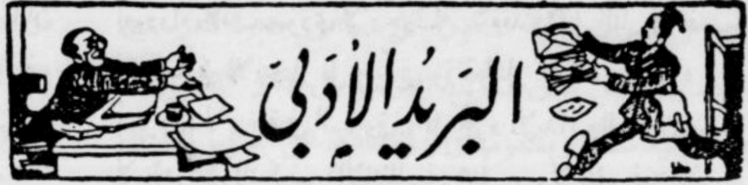
ثم قال إن المريض بالسيكوباتية لا ينبغى أن يسلك مع المجرمين ، لأن المجرم المحترف يدبر لنفسه ويقدر جميع الاحتمالات لينجو ويفلت من العقاب فله إرادة ومنطق وغاية ؛ أما السيكوباتى فهو يقترف جريمته دون قصد أو تعمد ، وكثيراً ما يكون أول من يصاب بجرمه ويلحقه أذى تصرفه المنحرف . ومن المؤسف أن هؤلاء المرضى يعاملون فى مصر إما معاملة المجرمين فيزج بهم فى السجون ، أو يحسبون مجانين فيحالون إلى مصحات عقلية لا تجديهم نفعاً . وجدير بنا ، وقد استطاع الأطباء العقليون أن يشخصوا داء السيكوباتية ويبينوا أعراضه ومظاهره ، أن نفكر تفكيراً جدياً فى تهيئة الوسـائل التى من شأنها مساعدة هؤلاء المرضى على أن يألفوا الحياة الاجتماعية شيئاً فشيئاً ، وعلى أن يصبحوا أداة نافعة فى المجتمع ، أو يجنب المجتمع آثارهم السيئة .

ارسم « أبو رجل مسلوخة » :

قرأت الكلمة التى أراد فيها أحد معلمى الرسم الأستاذ كامل بطرس عصفور ، أن يعلمنى الأصول التى كان يجب أن أقف عليها قبل نقد السؤال الذى طُلب فيه من تلميذات المدرسة السنية أن يرسمن شجرة الزقوم ورؤوس الشياطين ؛ وأهم هذه الأصول أن تخاطب الصورة المطلوب رسمها قلب الطفل وتملأ نفسه . وهأنذا قد وقفت على هذه الأصول ... بفضل معلمى الفاضل ... ولكنى لا أرى فيها شيئاً ينقض ما قلت ، فأين شجرة الزقوم وأين رؤوس الشياطين من قلب الطفل ونفسه ؟ ! وما هى تجربته إزاء هـذه الأشياء حتى يعبر عنهـا ..؟ فليطلب الأستاذ من تلاميذه رسم « البعبع » أو « أبو رجل مسلوخة » أو ما ماثل ذلك مما ينطبق على أصوله ... أما الجحيم وشجرة الزقوم ورؤوس الشياطين فلا .

وهو يقول إنه لا يوافقنى على قصر التخيل على العباقرة وأنا ما قصرته عليهم إطلاقاً ، إنما قصرت تخيل الجحيم وما فيه على أولئك العباقرة . أما ما دون ذلك فللأستاذ أن يجول فيه بتلاميذه أو تلميذاته كما يشاء .

عباس خضر



رأى الدكتور يعقوب صروف في أسلوب الآنسة مي:

بمناسبة ما نشر الكاتب الفاضل طاهر الطناحي في نسخة شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ من مجلة الهلال عن الآنسة مي وأثر الدكتور يعقوب صروف في حياتها ، وقوله في رسالة إليها ، « إنها تفكر بلغة أوروبية قبل ما تعبر عن رأيها بالعربية » أرى خدمة للحق والتاريخ أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء كتاباً من الدكتور صروف كتبه إلى منذ أربع وعشرين سنة أبان فيه عن رأيه في أسلوب الآنسة مي في إنشائها ، وكشف عن أشياء لم تنشر بعد عنها .

ولقد كان هذا الكتاب جواباً عن خطاب مني سألته فيه عن سبب تقديم نشر مقالاتها في المقتطف على مقالات بعض كبار الكتاب وتحدثت عن أسلوبها وما في بعض معانيه من غموض وأجود الكلام كما يقول أهل الفن « ما يكون جزلاً سهلا لا ينغلق معناه ولا ينبهم مغزاه » .

وقد كنت يومئذ أتولى تحرير جريدة التوفيق وأشارك في تحرير جريدة المنصورة وأراسل جريدتي السياسة والمقطم .

وهذا كتاب الدكتور صروف من خطه لم أغير منه حرفاً ولم أخرم منه كلمة :

مصر في ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤

حضرة الرصيف الكريم

سلاماً واحتراماً ، وبعد فقد تلوت ما تكرمتم به وفيه أمران، الأول ترتيب المقالات فهذا يراعى فيه زمن ورودها أو وصول بدى إليها إذا كانت عندى ، فليس في تقديمها وتأخيرها نظر إلى فاضل ومفضول . والثاني ما تكتبه الآنسة « مى » وأنا أعرف كثيرين من الذين لهم الكعب الأعلى في الإنشاء مثل المرحوم إسماعيل باشا صبرى ، ومثل السيد مصطفى الرافعي ، يجلون قدرها ويمدحونها بالكلام والكتابة؛ وقد رأيت اسماعيل باشا صبرى يقبل يدها في بيتى ، ورأيت له ولولى الدين يكن وخليل مطران قصائد في مدحها . وأظنني رأيت للرافعي أيضاً كتاباً لها يطنب فيه في مدحها ، فهل نسفه كل هؤلاء وهم من أئمة الأدب العربي أو نتهمهم بأنهم يقولون في الحضرة شيئاً وفي الغيبة ضده ؟ ثم إنني لا أستحسن هذا النوع من الإنشاء بدليل أنني لا أجرى عليه ، ولكنني أفهمه لأنني أحسن لغة أوربية. وأرجح أن أكثر الذين يحسنون الفرنسوية أو الإنكليزية يستحسنونه . وقد جرى عليه الآن أكثر أدبائنا في أمريكا الشمالية والجنوبية وبعض أدباء الشام . وسيمكث الأصلح في ضروب الإنشاء .

هذا وأشكر فضلكم على حسن ظنكم بالمقتطف خاتماً بأطيب تحية .

يعقوب صروف

هذا هو كتاب الدكتور يعقوب صروف وهو ولا ريب وثيقة تاريخية مهمة تنفع كل من يعنى بتاريخ الآنسة مى ويحرص على درس تاريخها .

(المنصورة) محمد أبو ريه

الأزهر ومعهد القراءات :

دأب القراء المحدثون على أن يرتلوا كتاب الله بالأوجه التى تواترت في كتب القراءات كالشاطبية والطيبة . يتلقونها تلقيناً ويأخذونها مشافهة .

وأكثر القراء الآن مع الأسف لا يفهمون السر في أوجه التغيير التى قد تطرأ على الروايات ولا يدركون اختلاف الأعاريب وعللها . ذلك لأن مقصدهم عند تلقيهم إنما هو الإسماع والتطريب لا الدراسة والتحليل .

ومع أن القرآن الكريم — بأوجه قراءاته — هو أصل الأصول للدراسات العربية والمصدر الأول للتشريع فإننا لا نجد معهداً علمياً خصص له دراسة مستقلة لقراءاته . ولا أعنى بالدراسة المستقلة تلقين المدود ومذاهب القراء في الإمالة مثلا ، وإنما الذى أعنيه هو أن تخصص له دراسة في الكليات العربية كدار العلوم واللغة والآداب تتجه إلى أمثال ما يأتى :

١ — دراسة اللهجات العربية دراسة مستفيضة .

٢ — الإلمام بتاريخ القراء ومبلغ تأثرهم باللهجات .

٣ — أثر القراءات فى التفسير .

٤ — أثر القراءات فى النحو والبلاغة .

٥ — أثر القراءات فى التشريع . إلى غير ذلك من الموضوعات التى كان للقراءات فيها أثر كبير . وليس من المعقول أن يلم بأمثال هذه الدراسة أولئك الذين حفظوا القرآن فحسب ، وإنما يستطيع أن يتابعها من ألموا باللغة العربية والشريعة إلماماً واسعاً لا يقل عن شهادة الأزهر الثانوية ، فهم الذين يمكنهم أن يفهموا ما يلقى عليهم من محاضرات علمية جامعة . وأمثال هذه الدراسات ليست من السهولة بمكان ، ولا يكفى أن يقوم بتدريسها من حفظ الشاطبية والطيبة والنشر مثلا ، بل لابد من أن يلقيها أساتذة لهم من الدراسات العلمية واللغوية ما يؤهلهم لفهمها وإفهامها . وكنت أحسب أن الأزهر الشريف حينما أنشأ معهد القراءات التابع لكلية اللغة العربية أراد هذا اللون من الدراسات غير أننى حينما قرأت وسمعت عن الدارسين بهذا المعهد وجدته لا يشترط فيهم إلا ما يشترط فى معلمى « المكاتب » زيادة أن يجوزوا امتحاناً فى الشاطبية والدرة وأمثالها ، فكأن معهد القراءات « مكتب » منظم لتخريج مقرئين فقط . أما الغاية الكبرى فليست من منهج هذا المعهد . فهل تجعل كليات دار العلوم واللغة والآداب للقراءات فى مناهجها نصيباً ، أو أن الأمر سيظل ضئيل الأهمية لا يجد من العناية ما يليق بكتاب الله وأوجه قراءاته ؟ ولعلى إن شاء الله أقدم أنموذجاً لبعض هذه الدراسات إن وجدت — كما أعتقد — من أستاذنا الزيات ورسالته صدراً رحيباً

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

يهودى فى المعتقل :

ورد فى مقال صاحب الرسالة (حكم من أحكام الله) تعليقاً على حكم قضاء البصرة العادل : (فتنزلهم) (والهاء يعود الحكومة المصرية والميم على اليهود على الرحب والسعة وتكفل لأموالهم وأهليهم الأمان والدعة) .

وليت الأستاذ الزيات يعرف ما تصيبه طائفة اليهود من مغانم فى المعتقلات المصرية .

وإنى أوفر على نفس نصب التدليل والبرهان وأكتفى بسرد القصة الآتية : فى كلية الصيدلة يطلب شاب يهودى العلم فى السنة النهائية ، وهذا الطالب يعيش عيشة ضنك وحرمان ، وفى أوقات فراغه يزاول عشرات الحرف ليحصل على طعامه . وقد ذكر فى حديث له أن أخاً له كان ينفق عليه وتخلى عن نفقته ؛ ومن منظره وهندامه يتبين أنه مبالغ فى قوله فلا أعتقد بأنه خرج من أم وأب وله أخوة وإنما هو ابن الفقر الأوحد .

وشاء حظه الحسن أن تمادى مصر الصهيونية وسمع بأنها تقبض على كل من تشتم فيه رائحة العداء ، فأطلق لسانه بكلام وما قصد إلا الخير وهو أكل القوت فى المعتقل ، وتم له ما ابتغى وغاب عن الكلية أشهراً ثم عاد إليها مخفوراً ليؤدى الامتحان ، وإذا بابن الفقر قد أصبح عاقاً لوالده ، ولعله هجر صحبته من يوم أن دخل المعتقل فخرج فى وجه ولبوس غير اللذين دخل بهما . وسأله زميل له : من أين لك هذا النعيم وأنت معتقل ؟

فتبسم اليهودى قائلا : ليت مصر حاربت اليهود من يوم أن خرجت للدنيا ! ولو أن الجنة كانت كالمعتقل كما يصفها المسلمون لأسلمت من الآن . وما كنت قبل حديث هذا اليهودى أتصور بأن الحكومة تعاملهم فى المعتقل بكادر وتجرى عليهم راتباً يومياً وتدعهم أحراراً ينفقون أموالهم كما يشاءون ! فطوبى لكل يهودى يعيش تحت سماء مصر !

عبد الرحمن فراج

إلى الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ :

قرأت فى عدد الرسالة ٧٩٧ فى مستهل مقال الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ الفتوة عند الصوفيين هذه العبارة (والفتى هو الشاب حدث السن) وقوله حدث السن تركيب لم يرد فى متون اللغة ، بل نص فى بعض الكتب على منعه ، فقد ورد فى الأمالى للقالى (حـ ١ ص ٣٦) فى مطلب أسماء الرجل يحب محادثة النساء ما يلى :

(الحدث : الشاب ؛ فإذا أضيف إلى السن قالوا : حديث السن ولم يقولوا حدث السن) .

وفقنا الله إلى الاستعمال الصحيح الفصيح .

اسماعيل أبو ضيف

الأزهرى



القلب الواشي

للكاتب الأمريكي ادجار الان بو

حقاً ، لقد كنت عصبياً ، ولا زلت فى حالة عصبية مخيفة . ولكن .. لماذا تقول إنى مجنون ؟ إن الداء قد أرهف حواسى — لم يدمرها — ولم يضعفها ، ولا سيما حاسة السمع الحادة . لقد سمعت أصوات من فى الأرض ومن فى السماء ، حتى من فى الجحيم . فكيف إذن أكون مجنوناً ؟ أصغ لى ، ثم لاحظ كيف أقص عليك القصة بحذافيرها وأنا فى تمام الصحة وفى غاية الهدوء.

إنه لمن المستحيل أن أعبر كيف أثرت تلك الفكرة على عقلى بادىء ذى بدء . ولكنها أصبحت تلازمنى ليل نهار . أما عن الدافع فلقد كنت أحب ذلك الكهل . إنه لم يخطىء فى حقى البتة ، ولم يوجه إلى أية اهانة ، ولم أكن أرغب فى ماله . ولكن عينه هى السبب ، نعم كانت هى السبب . إنها تشبه عين الطائر .. عين العقاب . كانت زرقاء تغطيها طبقة شفافة لامعة . وكنت فى كل مرة تلتقى عيناى بها ، تثور ثائرتى ، ويهيج هائجى . ولهذا قررت أن أنهى حياة الكهل ، وبذلك أتخلص من تلك العين إلى الأبد . هذا هو الدافع . إنك تتخيلنى مجنوناً . ولكن ليتك رأيتنى أقوم بالعمل وأنا فى كامل وعيي. ليتك شاهدتنى وأنا أنجزه فى حيطة وحذر . كنت أشفق على الكهل فى أيامه الأخيرة أكثر من إشفاقى عليه فى أيامه السابقة . وكنت فى منتصف كل ليلة أدير أكرة بابه وأفتحه فى هدوء ، وباله من هدوء ! ثم أطل برأسى عليه بعد أن أقلل من ضوء المصباح تدريجياً حتى يشع نوره داخل الغرفة . كنت أحرك الباب فى بطء حتى لا أزعج نوم الكهل ، فيستغرق ذلك منى وقتاً طويلا . هل يمكن لرجل مجنون أن يكون عاقلا إلى هذا الحد ؟ فإذا ما أطللت برأسى داخل الغرفة ، أزيد من ضوء المصباح باحتراس ، بكل احتراس ، فأسمح لشعاعة ضئيلة تسقط على عين العقاب .

كنت أفعل ذلك سبع ليال متتالية ، ولكنى كنت أجد العين دائماً مغمضة ولذلك كان من المستحيل على أن أنجز عملى . لأنه لم يكن الكهل هو الذى يثيرنى ، بل كانت عينه الشريرة . وكنت فى كل صباح ، عندما تشرق الغزالة ، أذهب إليه فى شجاعة وأتحدث معه فى جرأة ، وأدعوه باسمه فى لهجة ودية وأسأله كيف قضى ليلته . وهكذا ترى أنه لم يشك فيما كان يحدث كل ليلة وهو نائم ما لم يكن بعيد النظر !

وأقبلت الليلة الثامنة ، وكنت أكثر حذراً فى فتح الباب . كنت أسيطر على شعور الانتصار فى قوة عجيبة وأنا أفكر فى ذلك الكهل الذى يجهل ما الذى أفعله وما الذى أفكر فيه . وابتسمت ثم ضحكت . وسمعت حركة فى الفراش . لعله سمعنى أضحك فقام فزعاء ولعلك اعتقدت أنى تراجعت . ولكن .. كلا ، فقد كانت الغرفة حالكة الظلام ولا يستطيع رؤيتى وأنا أفتح الباب . ولذلك ظللت أدفعه فى انتظام . وأطللت برأسى . وكنت على وشك إضاءة المصباح عندما انزلقت يدى فأحدثت صوتاً . وهب الكهل من فراشه صائحاً « من هناك ؟ » ظللت ساكناً ولم أفه بكلمة . ومكثت ساعة كاملة دون أن تتحرك عضلة فى جسمى . ولم أسمعه يرقد ثانية . كان لا يزال جالساً فى فراشه يتسمع مثلما كنت أتسمع ليلة إثر أخرى .

ثم طرق أذنى أنين خافت ، أنين من الرعب المميت . لم يكن أنين ألم أو شجن .. كلا ! كان صوتاً خافتاً مخنوقاً يرتفع من أعماق روح امتلأت رعباً ووجلا . وكنت أعرف ذلك الصوت جيداً ، وأدرك ما يشعر به الكهل ولذلك كنت أشفق عليه وأنا أقهقه من أعماق قلبى ! وتصورته راقداً مستيقظاً تزداد مخاوفه كلما تقلب على الفراش ، ويحاول أن يتغلب عليها وهو يوهم نفسه بأن ما حدث مجرد أوهام . وتخيلته يتحدث إلى نفسه قائلا « إنه حفيف الريح داخل المدخنة — إنه فار صغير يعبر الغرفة » نعم ، كان يحاول أن يسرى عن نفسه بشتى الافتراضات دون طائل . دون جدوى ، لأن الموت كان يقترب منه رويداً رويداً ويطارده بشبحه الأسود ، ويحيط به من كل جانب . وكان تأثير ذلك الشبح عليه هو الذى جعله يدرك وجودى داخل غرفته دون أن يرانى أو يسمعنى . وانتظرت وقتاً طويلا بصبر عجيب دون أن أسمعه يرقد . ثم عزمت على إضاءة المصباح قليلا . قليلا جداً ، وخرجت شعاعة واحدة .. شعاعة كأنها خيط العنكبوت . خرجت من فتحة المصباح فسقطت على عين العقاب . كانت مفتوحة تماماً ، فعصف بى غضبى من رؤيتها ، وكانت واضحة أمامى بلونها الأزرق وغلالتها الشفافة ، فأصابتنى رعدة شديدة تغلغلت فى ذات نفسى حتى وصلت إلى عظامى . ولم أر من وجه الكهل أو جسمه سواها ،

وكأنها وجهت الشماعة بشعور غريزى لا إرادى إلى تلك العين الملعونة بالذات. ألم أخبرك أن ما تعتقده جنوناً ليس إلا أرهاف الحواس؟ ثم وصل إلى سمعى صوت خافت سريع التردد كأنه صوت ساعة مغلفة بالقطن. فعرفت ذلك الصوت. إنه نبضات قلب الكهل، فاستشطت غضباً وامتلأ قلبي غيظاً وحقداً. ومع ذلك ظللت ساكناً وحبست أنفاسى. وأمسكت بالمصباح دون أن أتحرك وقد سلطت الشماعة على عينه. كانت ضربات قلبه تزداد ويرتفع صوتها فى سرعة غريبة. واستنتجت أن الكهل قد وصل رعبه إلى أقصاه. وارتفع الصوت، وتعالى. ألم أخبرك أننى عصبى؟ نعم، لقد كنت فى حالة عصبية شديدة. وولد ذلك الصوت فى نفسى، فى ذلك الوقت المتأخر من الليل، وبين ذلك السكون المطبق الموحش، ولد فىَّ شعورا من الرعب لا يقاوم. ومع ذلك ظللت صامتاً ساكناً. وكانت الضربات تتعالى ثم تتعالى حتى خلت أن قلبه على وشك الانفجار. ثم تملكتنى ثورة جديدة! ألا يجوز أن يسمع الجيران ذلك الصوت؟ إذن فقد حانت ساعة الكهل!

وصحت صيحة مدوية، وأضأت المصباح ثم قفزت إليه. فصرخ صرخة واحدة! وفى لحظة كنت قد سحبته إلى الأرض وألقيت فوقه الفراش. ثم ابتسمت فى رضاء. لقد انجزت أخيراً مهمتى. وظل القلب ينبض فى صوت مختنق لبضع دقائق، وأخيراً صمت. لقد مات الكهل. وأزحت الفراش وفحصت الجثة. نعم كان ميتاً كالحجر. ووضعت يدى على موضع قلبه وتركتها لحظة. لم يكن هناك نبض. لقد مات حقاً، ولن تعود عينه تضايقنى بعد الآن. إذا كنت لا تزال تظن أنى مجنون، فإن ما قمت به من احتياطات وما فعلته لإخفاء الجثة سوف يبدد هذا الظن. كان الليل على وشك الرحيل فبذلت همة ونشاطاً، وقمت بإنجاز العمل فى سكون. قطعت أطراف الجثة، ثم انتزعت ثلاثة ألواح خشبية من أرض الغرفة، وحفرت فى موضعها، ثم أخفيت الجثة فيها، وأخيراً وضعت الألواح فى مكانها. وعادت الغرفة إلى ما كانت عليه.

كانت الساعة قد أشرفت على الرابعة عندما انتهيت من كل شىء، وكان الظلام لا يزال مخيماً. وعندما دقت الساعة دقاتها سمعت صوت طرق على باب الدار، فنزلت أفتح بقلب مطمئن — فما ذا يخيفنى الآن؟ وجاء ثلاثة من رجال الشرطة، وشرحوا لى أن أحداً أبلغهم سماع صرخة صادرة من الدار. وابتسمت، ما الذى يخيفنى الآن؟ ورحبت بهم، وقلت إن الصرخة صدرت منى أثناء نومى وأنا أحلم. وأدعيت أن الكهل على سفر. وطلبت منهم أن يفتشوا الدار .. يبحثونها جيداً. وأخيراً أوصلتهم إلى غرفة الكهل. وأطلعتهم على ثروته دون أن يمسها أحد. كنت واثقاً من نفسى كل الثقة، ولذلك أحضرت إليهم مقاعد وأجلستهم فى الغرفة حتى يستريحوا من عناء البحث. وجلست أنا المنتصر فى وقاحة على أحد المقاعد بعد أن وضعته على المكان الذى ترقد فيه الضحية. وكنت أجيب على أسئلتهم فى سرور. وجعلو يتحدثون ويثرثرون وأنا أستمع إليهم فى رضاء.

ولكن لم تمض فترة طويلة حتى شحب وجهى، وآلمنى رأسى وسمعت طنيناً فى أذنى، فتمنيت عندئذ أن يرحلوا، ولكنهم ظلوا جالسين يتجاذبون الحديث، وعلا الطنين وازداد وضوحاً، واستمر يتعالى ويتعالى. وارتفعت عقيرتى بالحديث حتى أتخلص من هذا الشعور المؤلم، ولكن الطنين زاد وضوحاً، فتيقنت أخيراً أنه لم يكن مبعثه أذنى. ولم يكن هناك أدنى شك فى أنى كنت شاحب الوجه. ولذلك طفقت أتكلم فى طلاقة وبصوت حاد ومع ذلك ارتفع الطنين. ما الذى أستطيع فعله؟ لقد كان صوتاً مروعاً كأنه «صوت ساعة مغلفة فى قطن!» وأسرعت أنفاسى ونظرت إلى رجال الشرطة فظهر لى أنهم لم يسمعوا ذلك الطنين. وجعلت أهذى فى حديثى وأثرثر وازداد صوتى حدة. ولكن الطنين كان يرتفع فى انتظام. وقمت وتجادلت فى شتى المواضيع التفهة بصوت عال وإيماءات متعددة، ولكن ذلك الطنين كان يطغى على صوتى. وسألت نفسى لماذا لا يرحلون؟ وذرعت الأرض جيئة وذهاباً بخطى ثقيلة. ولكن الصوت .. ذلك الصوت! أواه .. يا إلهى .. ما الذى أستطيع عمله؟ وغلى مرجل غضبى، وتمتمت وأقسمت وضغطت بالمقعد على الأرض وصررت به على الألواح الخشبية. ولكن ذلك الصوت .. كان لا يزال يرتفع تدريجياً .. واستمر يتعالى فى شدة .. فى شدة .. فى شدة! وما زال الرجال يتحدثون ويمزحون ويتضاحكون. هل من المحتمل أنهم لا يسمعون شيئاً! يا إلهى! كلا .. كلا! لا بد أنهم سمعوه! واشتبهوا! وعرفوا! إنهم يسخرون من رعبى! ذلك ما ظننته وذلك ما أظنه. وما أفظعه من عذاب! وما أبشعها من سخرية! إنى لا أستطيع احتمال هذه الابتسامات المنافقة بعد ذلك! وشعرت أنه يجب على أن أصرخ .. ولكن هذا الصوت كان يزداد وضوحاً .. وصرخت فيهم قائلا «أيها الأشرار انفضوا .. إنى أعترف بارتكابى الجرم! انزعوا الألواح هنا! هنا! هذا الصوت هو خفقان قلبه .. قلبه الواشى المختبىء هناك!»

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٨٠٠ — الاثنين أول نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 800

Lundi — 1 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — أول نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فكاهة لهـــا مغزى

لا أدرى ما الذى أخطر ببالى فى هـذه الأيام هذه الواقعة الضحكة وقد مضى على وقوعها ثلاثون سنة دون أن تجرى على لسانى أو تدور بخاطرى ؟ اسمعها أولا ثم حاول بعد ذلك أن تملل ورودها بما تشاء :

كان بلديَّتنا الشيخ عبد الجبار خادم المسجد شموس الطبع طائش الحلم ، يده أسرع من لسانه ، ولسانه أطوع من عقله ؛ ولكنه كان كسائر النَّـزقين أبيض القلب سليم الصدر ، لا تبطئ ريحه أن تسكن ، ولا تلبث أناته أن تعود . ذهب ذات يوم إلى المنصورة يقبض مرتبه من مأمورية الأوقاف ، ويمتار لعياله من سوق المدينة . فلما كان عائداً إلى القرية ، فوقه مظلته العتيقة ، وتحته جحشته الريِّضة ، قابله فى مضيق الطريق حماران يسيران متوازيين وعليهما سماد الزبل والسِّرجين ، فاقتحم العقبة من بينهما فصدم خُرجُه الأبجر أحد الحمارين فأزال عن ظهره النبيط . فاستشاط سائق الحمار وقال للشيخ فى فورة غضبه : لا عجب ولا ملامة ، خُرج فوق خُرج ! ! فوقف عبد الجبار دابته وصعَّر خده وقال للمتهكم الغضبان بلهجة التحدى : ولِمَ لا تقول حمارٌ وراء حمار ؟ ! فأجابه الفلاح وقد تنمر له وهمَّ به : عطلى وتسفه ! ثم جذبه من ذراعه بقوة فسقط فى حفرة ، فبرك فوقه وأعانه شاب آخر وانهالا عليه طحناً بالصدر وعجْناً بالأيدى ، والمسكين تحتهما ماقى على ظهره ، يضرب الهواء برجليه ، ويحاول أن يدفع اللكم بيديه ؛ ولكنه كان أشبه بالسلحفاة المقلوبة ، تحرك أطرافها ولا تتحرك ، وتقلب رأسها ولا تقوم ، حتى شاء الله الذى يؤخر النفس إذا لم يجئ أجلها أن يمرَّ به فى هذه اللحظة الشيخ عبد الرحمن ، أخوه فى القرآن ، وزميله فى الحرفة ، وجاره فى الحارة ؛ فلم يكد يراه على هذه الحال حتى ترجَّل وانقضَّ على الرجلين انقضاض النسر ، فأزاح هذا بيمناه وذاك بيسراه ، ثم أعمل فيهما يديه جميعاً . ورأى الشيخ عبد الجبار صدره خفيفاً فنهض كأنما نشط من عقال ، وأسرع إلى حمارته فوثب عليها ، وانطلق دون أن ينفض التراب عن ثوبه ، ودون أن يقول للشابين بارك الله فيكم ، وللشيخ عبد الرحمن السلام عليكم ... وشفى غليله من الأتان فأنحى عليها سبًّا باللسان وضرْباً بالعصا وطمناً بالمنخاس ولكزاً بالفخذين حتى بلغ الدار وصك رأسُه الجدار .

وفى المساء أقبل الشيخ عبد الرحمن وعلى إهابه وجلبابه آثار المعركة فجمع له الناس وقال : يا شيخ عبد الجبار ! كيف أنصرك وتخذلنى ، وأحييك وتقتلنى ، وأرفع عنك العبء فتلقيه علىَّ ، وأنقذك من الرجلين فتتركهما إلىَّ ؟ !

فأجابه فى لهجة خليط من الخزى والبلادة والمكابرة : كان بينى وبين فلان وعد فى صلاة العصر . ومَعاذ الله أن أخيس بوعد أو أحنث فى يمين !

فقال له : أمرك يا مولانا عجيب ! تحافظ على وعد وتفرط فى روح ، وتنظر إلى مصلحة وتغضى عن كرامة ! !

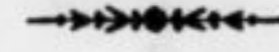
فقال له الشيخ عبد الجبار وقد غلى دمه وهو لا يغلى إلا فى السِّلم : سبحان الله يا أخى ! لماذا تتجهمنى هذا التجهم ، وتعنفنى هذا التعنيف ؟ من قال لك انزل ؟ هل كنت مغلوباً فانتصرت لى ، أو مكروباً ففرجت عنى ، أو ضعيفاً فأشفقت علىّ ؟ وهَبِ الأمر كان كذلك ، فهل بعد خُروجى مأرب ، أو بعد حارتى مركب ، أو بعد روحى حياة ؟ !

احمد حسن الزيات

من قصص العصر الفاطمى :

خاتمــــة حيــــاة

للأستاذ أحمد أحمد بدوى



خذ يا نصر ، فليس هذا بكثير عليك .

قال ذلك خليفة مصر الظافر بأمر الله وهو يقدم إلى نصر ابن عباس عشرين طبقاً من الفضة مملوءاً كل واحد منها بعشرين ألف دينار . فأجابه نصر : شكراً يا مولاى ، إننى لم أزد على أن أرحتكم من وجه كنتم تبغضونه ، وإن سرور مولاى هو كل ما أسمى إليه وأبغيه . قال الخليفة : ذلك قليل يانصر ، لقد قضيت أكثر من أربع سنين وأنا أحمل هذا الوزير شجى فى حلق ، وقذى فى عينى ، ومن الغريب أنه كان يسمى نفسه الملك العادل ، وأى ظلم أكبر من سلب حق واغتصاب سلطانى ! هـذا أول يوم أشعر فيه بمجد الملك وعظمة الخلافة ، وستكون تلك الليلة تذكاراً لهذا العهد الجديد السعيد .

وما إن أقبل الليل حتى كان قصر الخلافة جوهرة غارقة فى النور ، وجاء الندماء يمنون النفس بليلة سارة وساعات شهية ، ولم تلبث جنبات القصر أن تجاوبت بأصداء الغناء ، ودارت الساقيات الجميلات بينت الكروم تلعب بالرءوس وتفعل ما تشاء بالألباب ، ولمـا انقضى من الليل أكثره تفرق الجمع ، ولـكن الخليفة لم يرد أن تنقضى تلك الليـلة من غير إنعام جديد على قاتل وزيره ابن السلار ، فوهب نصراً مدينة قليوب ، وأوصاه أن يبكر فى الحضور إليه ، فإنه ما كان يصبر على البعد عنه .

خرج نصر فرحاً بما أُعطى ، ولمـا قابل أباه عباساً (وقد صار وزيراً) أخبره بأمر هذه الهبة ، فما زاد أسامة بن منقذ أحد جلساء الوزير على أن قال : « ما هى فى مهرك بكثير يا نصر » .

وهنا اربد وجه الفتى ، وغلى الدم فى عروقه ، وأقبل يدافع عن نفسه فى حماسة وقوة ، حتى قال له والده : « نحن لا نصدق يا بنى ما يقال ، ولـكن الناس يلوكون عرضك وعرض الأمير ، فبالله إلا غسلت هذا العرض . إن جمال الوجه كثيراً ما يجلب على صاحبه الأقاويل ، ولقد خجلت لـكثرة ما سمعت عنك وعن مولاك » . فخرج نصر وقد صمم على أمر .

لم يبد على صلة الصديقين فتور ، بل اطردت كما هى : يقضى نصر معظم وقته مع الخليفة ، حتى إذا كان يوم اشتد فيه إقبال الظافر على نصر ، قال له نصر : « لقد نلت منك يا مولاى كل أنواع التكريم ؛ فهل يضيف سيدى إلى نعمه تشريفه إياى فى وليمة خاصة بنا فى منزلى الليلة ، وسوف أفاجئ مولاى بما يلذ له من جيد الغناء ، وعتيق الخمر ، وأجمل النساء » . ولم يكد نصر يسمع من الخليفة ترحيبه بالدعوة وقبولها قائلا له : « ذلك هو العيش يا نصر » ، حتى خرج يعد للأمر عدته .

وفى الليـل الساجى ، والظلام الذى لا تتبين فيه شخوص السائرين ، خرج الخليفة الشاب من قصره مستخفياً ، لا يصحبه غير خادمين ، ولا يكاد يتميز عمن حوله من النـاس ، حتى إذا دخل منزل مضيفه ، واستقر به مجلسه ، انقض عليه وعلى أحد خادميه من أعدهم نصر للانقضاض ، وبعد بضع دقائق كانت جثة الخليفة ملقاة فى بئر هناك ، ومضى نصر يخبر والده بما فعل !

تنفس الصبح فشاهد الناس فى البـكور الوزير عباساً ميمماً قصر الخلافة يتبعه ألف جندى شاهرون سـلاحهم ، ودخل القصر ، وطال جلوسه ، فاستدعى زمام القصر ، وقال له : « إن كان لولانا مايشغله عنا فى هذا اليوم عدنا إليه فى الغد » ؛ فمضى الزمام وهو حائر يبحث عن الخليفة فى كل مكان ، ثم عاد يقول لعباس : « خرج الخليفة البارحة لزيارة ولدك نصر فلم يعد ! فقال عباس : « تكذب يا عبد السوء ! لقد دبر أخواه قتله حسداً له على الخلافة ، واتفقتم على هذا القول » ؛ فقال الزمام : « معاذ الله ! » ؛ قال عباس : « فأين هما ؟ » ؛ فخرجا إليه ، فسألهما عن أخيهما ، فأنـكرا معرفة مكانه ، فأمر غلمانه بقتلهما ، فقتلا بين يديه ! !

وفى ليلة حزينة ثقل الهم فيها على عباس وابنه ، فقد آذاهما أن يشتركا فى قتل ابن مصال وزير الظافر الأول ، وقتل ابن السلار

وزيره الثانى ، وأن يقتلا الخليفة وأخويه ، ثم يبحثا حولهما فيجدا السلطة التى جدا فى الحصول عليها تكاد تفلت منهما وتمضى ، فأقبل أحدهما على صاحبه ودار بينهما حديث :

— أرأيت يا نصر : إن الأمر لم يصف لنا كما كنا نؤمل ، وإن الجمهور لم يجز عليه ما أحكمناه من حيلة وتدبير !

— الذنب فى ذلك ذنب رجالى يا أبى ، فإن خادم الظافر الذى أفلت من يدهم هو الذى أذاع سر الجريمة ، وكشف ما كنا نحرص على ستره .

— وهذا الشعب الذى ألفنا منه الطاعة أصبح ثائراً متمرداً يسمعنا أنى مررنا أوجع الكلم وأحط أنواع السباب ، ينادى بالثأر ، ويهتف بالانتقام .

— ليت الأمر يا أبى وقف عند الهتاف والكلام ، فإن الفتنة قائمة ، والأنصار الذين كنا نعتمد عليهم قد انفضوا من حولنا ، وأصبحت لا أرى إلا وجوهاً عابسة ، ونفوساً متبرمة ، وجواً ينذر بعاصفة .

— لقد كنت يا بنى سائراً بالأمس فرأيت هاونا ألقى على ، ولولا حظى الحسن لحطم رأسى . وأول أمس ألقى على ماء يغلى كاد يحرقنى لولا فضل الله !

— وهل جاءك نبأ طلائع بن رزيك ، لقد بعث إليه الأمراء يستنجدون به ليأخذ بثأر من قتلناه . أما أخوات الظافر فقد بعثن إليه بشعورهن فى كتب سوداء ، وأطلعنى جاسوس لايزال مخلصاً لنا على قصيدة طويلة أرسلها إليه القاضى الجليس يحثه فيها على الانتقام ، ولا إخال طلائع إلا منتهزاً تلك الفرصة النادرة ، وقادماً إلى القاهرة ليجلس على كرسى الوزارة الذى ينتظره ، ويثأر منا إن ظفر بنا .

وهل ننتظر حتى يظفر بنا ؟ لا بد من الهرب يا بنى !

— وإلى أين يا أبى ؟

— إلى الشام عند نور الدين محمود ، وسنطلعه على ما وصلت إليه مصر من الضعف والانحلال ، ونزين له فتحها ، ونكون له عمالا عليها ، وسوف يمهد لنا الطريق إليه الأمير أسامة بن منقذ رفيقنا فى رحلتنا .

* * *

حث الرسل الخطا إلى طلائع فاستشار من حوله من رجاله ، وأجمعوا أمرهم بينهم على الزحف السريع إلى القاهرة ، وانضم إليهم قبائل كثيرة من العرب والسودان ، حتى إذا دنوا من القاهرة لبسوا جميعاً ملابس سوداء ورفعوا رايات سوداء ، ونشروا شعور السيدات على أطراف الرماح ، وخرج أهل المدينة لاستقبال الجيش الزاحف هاتفين بالثأر من القاتلين .

لم ينتظر نصر ووالده ومن معه حتى يدهمهم عدوهم فى عقر دارهم ، بل جمعوا ما بقى لهم من رجال ، وحملوا كل ما يملكونه من متاع ومال ، ولما جن الليل فروا من القاهرة مهطعين ، غير أن عيون أخوات الظافر سرعان ما نقلوا خبر فرارهم إليهن ، ففكرن فى الأمر ملياً : هل يتركن الأسير يفلت ؟ وهل يدعن الانتقام ممن حرمهن الأخ الصغير والأخوين الكبيرين ، وأهان عرش الآباء والأجداد ؟ أو يكتفين بأن يذهب العدو ويدعهن أحراراً فى بلادهن ؟ وهل يأمن جانب هذه الأفعى وهو رأس المؤامرات وأساس الفتن والدسائس ؟ إنهن لا يأمن جانبه ولا يعرفن قصده ولا نواياه . ومن يدرى ما ذا تكون النتيجة إذا ترك حياً ، فربما كان فى بقائه خطرجديد يهدد الأسرة والعرش .

والآن ، لا بد من التفكير السريع قبل أن يطير العصفور من القفص ، وتفلت الفرصة من اليد . سيهرب نصر ووالده إلى الشام ، وسيمران بأرض الصليبيين فى طريقهما ، وإذا كان الصليبيون أعداء مصر فلا بأس من الاستعانة بهم فى القبض على القاتل الفار ؛ ولما كان الأمر يتطلب سرعة فى التنفيذ ، أرسلن رسولا يثقن فيه كل الثقة ، وطلبن منه أن يسابق الريح حتى يصل إلى هدفه قبل أن يفر نصر .

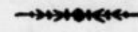
وجد القائد الصليبى لقلعة عسقلان فيما عرض عليه الرسول المصرى ما يغريه بمقابلة نصر وأبيه ، فالقائد مطمئن إلى النجاح والظفر بما مع الفارين غنيمة باردة وبما وعدت بتقديمه أخوات الظافر من المال ، فأصدر أمره إلى الجند بالتأهب لمقابلة الفارين .

وبينما كان نصر وعباس يمنيان النفس بكبار الآمال أبصرا جند الصليبيين يحيطون بجمعهما ، فلم يجدا بداً من الدفاع عن أنفسهما فى معركة خاسرة ، مات فيها عباس وابن له صغير ، بينما حرص الجند على أن يظفروا بنصر حياً ليثابوا — كما وعدوا — بأجزل الصلات ، فلما سقط فى أيديهم وضعوه فى قفص من جديد .

الركب سائر إلى القاهرة ، وفؤاد نصر قد ملئ بما شغله من

المصحف المبوب

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



عصرنا هذا عصر تجديد فى كل شىء ، وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع هذا العصر أثراً فى مصحفنا ، لأنه يحوى بين دفتيه أعز شىء عندنا ، وهو القرآن الكريم الذى نسعد به فى دنيانا وأخرانا ، فلا يزال هذا المصحف يظهر بيننا فى شكله القديم ، لا شىء فيه إلا ما فى هامشه من بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وليس فى هذا أثر للاخراج العلمى الذى يبذل فى عصرنا عند إخراج الكتب البشرية ، إذ تلحق بها أشياء كثيرة ترغب فى الاطلاع عليها ، وتساعد على الاستفادة منها .

ولا شك أن جودنا بإزاء ما يلزم لمصحفنا فى عصرنا يخالف كل المخالفة حال سلفنا الصالح بإزاء هذا المصحف ، فقد كان القرآن الكريم مفرقاً على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى العسب واللخاف وصدور الرجال ، وقد مات وهو على هذه الحال ، فلما كانت وقعة اليمامة فى خلافة أبى بكر أتاه عمر فقال له : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال له أبو بكر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . ولم يزل يراجعه حتى شرح الله صدره لذلك ، وأحضر زيد بن ثابت فقال له : إنك شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن ، اجمعه . فتتبعه زيد يجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى جمعه فى صحف مكتوبة ، ثم أخذها فأعطاها أبا بكر ، وقد ائتمروا ما يسمون ذلك ؟ فقال بعضهم : سموه السِّفر . فرُدَّ عليه بأن هذا تسمية اليهود ، فكرهوه ، وقال بعضهم : رأيت مثله بالحبشة يسمى « المصحف » فاجتمع رأيهم على أن يسموه « المصحف » ، وكان هذا أول تجديد فى ترتيب المصحف وتسميته .

ثم اختلف الناس فى قراءة القرآن على عهد عثمان ، حتى اقتتل

الهم ، فظل قابعاً فى قفصه يفكر فى ماضيه ، ويتخيل الوزير ابن السلار زوج جدته وهو ينقض عليه من غير ذنب جناه ، والخليفة الظافر وقد انساب إليه الرجال يقتالونه على مرأى منه وفى داره ، وهاهوذا يفقد أباه وأخاه ويقاد إلى مصير لاشك فى شدته وقسوته .

لقد جاءت رسل من القاهرة تتعجل قدومه فأنبأته بأن جثة الخليفة أخرجت من بئر فى بيته ، وأن طلائع بن رزيك وضعها فى تابوت سار خلفه حافياً حاسر الرأس ، وتبعه الأمراء والقادة والشعب حفاة حاسرى الرءوس ، وأن الجميع فى انتظار نصر على أحر من الجمر .

كل ذلك وأسير القفص لا ينبس ببنت شفة طول الطريق ، حتى إذا أشرف على القاهرة وبدت لعينيه أبوابها الضخمة ومآذنها العالية تنهد وقال :

بلى ، نحن كنا أهلها ، فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

ومرت برأسه ذكريات مجده القريب ، وذكر المواكب التى كان يختال فيها على جواده ، تنعقد عليه الآمال ، وتستعظمه العيون والنفوس ، أما اليوم ، فها هو ذا يدخل القاهرة مقيداً مغلولا ، وما إن لمحه الجمهور حتى هاجت المدينة وماجت كل يريد أن يراه فى قفصه الحديد ، ولم يدع الشعب إهانة ولا سخرية لم يلحقها بنصر ووالد نصر . أما أخوات الظافر ، فما كدن يسمعن بقدومه حتى أرسلن يستعجلن حضوره ، وقد سمح لهن طلائع أن يفعلن به ما يشفى غليلهن ، وكم حزن عند ما علمن أن الموت حال بينهن وبين الانتقام من عباس !

لم تستقبل أخوات الظافر نصراً إلا بالأخفاف والقباقيب ، حتى إذا تعبن من ضربه وأدمين وجهه وجسمه ورأسه ، أرسلن إلى أحد الأطباء ، فصلم أذنيه ، وجدع أنفه ، وأخذت هذه الأشلاء فطهيت ، وأجبر نصر على أكلها ، ثم وضع فى قفصه الحديدى ، وطيف به فى القاهرة لم يترك شارع ولا حارة ولا درب إلا شهد الأصلم الأجدع واشترك فى إهانته والسخرية منه ، فإذا تم طوافه بالقاهرة أخذ حياً وعلق على باب زويلة ، وظل هناك عدة أشهر حتى مل الناس رؤيته ، فأنزل وأحرقت جثته وذريت فى الهواء .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول

الفلمان والمعلمون بالمدينة ، وكانوا قد قرأوه بلغاتهم على اتساعها ، فبلغ ذلك عثمان فجمعهم وقال لهم : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ! فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً . يا أصحاب محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً . فجمعوا اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فبعثوا إلى الصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر فأتوا بها ، وكانت محفوظة فى بيت عمر عند ابنته حفصة ، فأعادوا كتابتها على لغة قريش وحدها ، لأن القرآن نزل أولا بلغتهم ، ثم وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فلما حصل ذلك الخلاف رؤى أن الحاجة إلى تلك التوسعة قد زالت فاقتصر فى كتابته على لغة واحدة ، وكان هذا ثانى تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم فسد اللسان العربى باختلاط العرب بغيرهم بعد الفتوح الإسلامية ، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن ، لأنهم كانوا يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلا ، أعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ ، فلما ظهر ذلك الفساد أشفق المسلمون على تحريف ألفاظ القرآن ، فوضع أبو الأسود الدُّؤلىُّ من التابعين علامات فى المصحف بصبغ مخالف لما يكتب به ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله ، وجعل علامة الضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين ، وذلك فى عهد معاوية ، وكان ثالث تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر نقط الإعجام بنفس المداد الذى كان المصحف يكتب به لتتميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وكانا تلميذين لأبى الأسود الدؤلى ، وقد فعلا هذا بأمر الحجاج بن يوسف ، وفى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان هذا رابع تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم اخترع الخليل بن أحمد الشكل المستعمل الآن ، لأن نقط الإعجام كانت تشتبه أحياناً بنقط الشكل ، وإن كانتا تكتبان بصبغين مختلفين ، وكان من الصعب وضياع الزمن كتابتهما بمدادين ، فجعل الضمة واواً صغيرة فوق الحرف ، وجعل الفتحة ألفاً صغيرة ، وجعل الكسرة ياء صغيرة ، وجعل الشدة رأس شين ، وجعل السكون رأس خاء ، وجعل همزة القطع رأس عين ، وقد أتى بعد الخليل من اختزل فى هذا الشكل وزاد عليه حتى صار إلى حاله المعروف الآن ، وكان هذا خامس تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وقفت كتابة المصحف عند هذا الحد ، إلا ما حصل من كتابتهم بهامشه بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وهو عمل قليل النفع ، ضعيف الفائدة ، لايدعو إليه إلا ما اعتدناه من العناية فى القرآن بالحفظ دون الفهم ، فقسمناه إلى تلك الأجزاء والأحزاب والأرباع ، لتكون لنا منها أوراد نتلوها للتبرك ، لا للعظة والاعتبار ، لأنه لا يوجد فى ذلك التقسيم ما يلفت إلى الفهم فى القراءة ، ولا تمكن عظة بقراءة من غير فهم .

فيجب أن نعدل عن ذلك التقسيم الذى لا فائدة فيه إلى تبويب السور بهامش المصحف تبويباً يعتمد فيه على الغرض المقصود من كل سورة ، فيقسم إلى أقسام مرتبة متميزة ، تلفت القارئ إلى ما ينطوى تحتها من المعانى ، وتوجهه فى قراءته إلى ما تشير إليه من المقاصد ، لتكون قراءة نافعة مفيدة ، مؤدية إلى ما أنزل القرآن لأجله ، وهو الهداية .

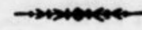
وسيكون هذا تجديداً عظيما فى ترتيب المصحف وكتابته ، تظهر به سوره متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، فلا يظن ظان أنه ينقصها شىء من اتساق معانيها وانتظام مبانيها ، وقد وقع فى هذا الظن الآثم بعض المستشرقين ، لأنه لم يجد أمامه مثل هذا المصحف الذى تُبوَّب سوره بهامشه ذلك التبويب ، وتقسم فيه إلى تلك الأقسام المرتبة المتميزة ، ولو أنه وجده لما وقع فى ذلك الظن ، ولعرف أن سور القرآن متسقة المعانى منتظمة المبانى على خلاف ما ظن ، ولقد مهدت لهذا المصحف بكتابى (النظم الفنى فى القرآن) ، وسيظهر قريباً هذا الكتاب ، ولعلنا نرى قريباً بعده هذا المصحف المبوب .

عبد المتعال الصعيدى

طرائف من العصر المملوكي :

الزجـــل والزجالون

للأستاذ محمود رزق سـليم



أطلق الزجل على الشعر العامي الذي اختلفت قوافيه، وتنوعت أوزانه في القصيدة الواحدة، وأهملت حركات إعرابه، وروعيت فيه العامية بضروب بيانها ومسالك حديثها، وما يغشيها من لحن وتحريف وقلب ودخيل، وأمثال سوقية، إلى غير ذلك

وقد كانت الموشحات الفصيحة بما أتيح لهـا من حرية في الوزن والقافية، مرحلة انتقال بين الشعر الفصيح والعامي: غير أن السبب الأصيل الذي هيأ السبيل لظهور الشعر العامي هو فساد ألسنة العوام وانحرافها في تخاطبها من الفصيحة إلى العامية.

والشعر العامي له أهميته وخطره، وبخاصة بعد أن سلخ من عمره سنين، ونضج في مختلف العصور نضجاً مرموقاً. فإذا جازلنا أن نقول إن الشعر الفصيح يمثل الأمة خير تمثيل، فإنه يمثل خاصتها تمثيلا أدق. أما العامة، ولا سيما بعد فساد لسانها وتأبيه على الفصيحة، فإن الشعر العامي أصبح يمثلها إلى حد بعيد. إذ هو منظوم بلغتها، محكي بأساليبها في تأدية معانيها، محتو على كثير من تصوراتها وأخيلتها وطرق تفكيرها ومظاهر شعورها. فهو لذلك بحاجة إلى العناية بنتاجه ودراسة هذا النتاج. واعتقادنا أن هذه العناية تفيد الفصحى ولا تضرها، فضلا عما تضفيه على التاريخ والأدب من معونة، تلقي — على الأقل — ضوءاً على مدى تحول العامية بين عصر وعصر.

والقصيدة الزجلية تسمى « حملا » تشبيها لها بحمل الدابة، لانقسام شطورها — غالباً — إلى قسمين. وينقسم الحمل إلى عدة مقطوعات تحتوي كل مقطوعة منها على عـدة أبيات، وتسمى المقطوعة «دوراً» أما المقطوعة الافتتاحية فتتألف عادة من بيتين، وتسمى « مذهباً »، ويلتزم شيء من قوافيها — غالباً — في الأبيات الأخيرة من كل دور. وعرفت القصيدة الزجلية أيضاً في مصر باسم « البليقة » وجمعها « بلاليق ». وربما كانت تطلق على الموشحات القصيرة.

وتعددت أوزان الزجل وتنوعت قوافيه، حتى قيل في بلاد الأندلس: « إن من لا يعرف ألف وزن ليس بزجال ». وقد ذاعت منه أنواع، عرفت في مصر الشام وغيرهما. ومنها: الدوبيت، والقومة، وكان وكان، والمواليا. وتعتبر هذه الفنون الثلاثة الأخيرة — عند البعض — مستقلة عن الزجل. ومهما يكن من شيء، فإنها جميعاً تجمعها صفة العامية، ومغايرة الشعر الفصيح.

وقد برز الزجـل — على ما رواه ابن خلدون — في بلاد الأندلس أولا، على عهد الأمويين ملوك قرطبة، وذلك بعد فساد الألسنة وظهور الموشحات، والتحلل من قيود الوزن والقافية. ونفقت سوقه في دول البربر لمكان أمرائها من العجمة، وقرب فهمهم للعامية. واشتهر في إحدى دولهم وهي دولة الملثمين، إمام الزجالين « أبو بكر بن قزمان ».

وقد سرت عدوى الزجـل من المغرب إلى بلاد المشرق، ومنها مصر، فلقي بها رواجاً عظيماً، فتعددت أنواعه وأغراضه. وذاع بخاصة في العصر المملوكي وأقبل السلاطين والأمراء والناس على سمـاعه أو إنشاده؛ وذلك للعجمة أو الاستعجام واستبداد العامية بالألسنة وضعف الثقافة الأدبية بعامة. وبذلك عبد السبيل أمام أهل الزجل، فنشطوا نشاطاً ملحوظاً، واحتفلوا بفنهم، وشاركوا الشعراء في كل ميـدان تقريباً، وزاحموهم في أخص أغراضهم الشعرية بل شأوهم في بعضها، وأربوا عليهم، وسجلوا من الحوادث وأبدوا من الشعور ما لم يبده أو يسجله شاعر.

طرق الزجالون إذاً أبواباً شعرية عدة، فنظموا الغزل البديع والخمريات الصافية، والنقد المر اللاذع، ووصفوا مناظر الطبيعة وسجلوا الحوادث العامة، والحروب الناشبة، وحمسوا ورثوا، ووقفوا على أعقاب المـدن الزائلة، والأحياء الدارسة، والدول الذاهبـة، فدونوا أحداثها وذرفوا الدموع على أحداثها، واستخرجوا درر الحكمة من ثناياها، هذا إلى مجون صريح، وتفكه مليح. إلى غير ذلك.

لا بدع حينذاك أن يحتفي النـاس بهم ويحتفلوا بنظمهم، وأن تتقدم منازلهم عند الرؤساء والعامة. وللعامة إقبال على كل

ما يمس مشاعرها ، ويترجم عن خواطرها ، من الأغانى والأناشيد ونحوها .

وقد رُوى أن النيل فى عام ٩٢٢هـ بلغ حد الوفاء فى فيضانه، قبل شهر مسرى ، على غير عادته منذ زمن طويل ، فكان هذا مثار الاستبشار ، ومبعث الابتهاج والفرح ، فنظم بعضهم أغنية بهذه المناسبة مطلعها :

يا حبيب اهنا وطيب   النيـل أوفى فى أبيب
وقد بقينا فى هنا   يا فرحنـــا

وعكس ذلك وقع فى عام ٧٠٩ هـ ، فقد شح النيل وتمنع عن الوفاء . وكان السلطان الناصر بن قلاوون — وكان به عرج — قد عزل نفسه من السلطنة ، فوثب إليها الأمير « ركن الدين بيبرس الجاشنكير » وكانت العامة تلقبه « بالركين » وكان نائب سلطنته هو الأمير سلار ، وأصله من التتار ، وكان أجرد تنفشى فاه بعض شعرات . فشاع بين العامة زجل تفكهوا به عليهما ، وضمنوه عواطفهم نحوهما ونحو سلطانهم المعزول ، قالوا :

سلطاننـــا ركين   ونائبـــو دقين
يجينا الماء منين

هـاتوا لنا الأعرج   يجى الماء يدحرج

وقد غشيت الزجليات لوثات البديع ، ولحقت بها علاقاته ، مابين توريات لطيفة وتلميحات طريفة ، إلى تضمين وجناس وطباق ونحو ذلك . ونحن هنا نأسف أشد الأسف لعدم معرفتنا الفنية برسم الأزجال المأثورة ، وعدم علمنا بلهجات نطقها ، وهذا من شأنه أن يضع صعوبات جمة فى سبيل فهمنا الحقُ لكافة معانى الزجلية ، وإدرا كنا التام لجميع صورها . وكأنى بابن حجة قد شعرسلفاًبهذه الصعوبات فنوه بها فقال« الزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى ، لجولانه فى ميادين الأغصان والخرجات ، وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة إلا من عرف اصطلاحه . وقد روى زجلا فريداً لعلى بن مقاتل ، يتغزل فى شاب مليح خياط . ومطلعه « نهوى خياط سبحان تبارك من الجمال جلوا » ثم قال معقباً بعد روايته « كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هـذا الزجل ، فأنكره ، لبعده عن رسم الألفاظ المعربة الخالية من اللحن ، ويعذر فى ذلك لأنه ليس له إلمام بمصطلح رسمه . ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذ له مرسوم ، فإنه يؤديه إلى خطأ وزنه وإعراب لحنه . ومصنفه أبو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير. قال فى خطبته : وقد جردته من الإعراب ، تجريد السيف من القراب . ولم يطلب من الزجل غير عذوبة ألفاظه وغرابة معانيه » .

هذا وقد أورد ابن خلدون فى أحد فصول مقدمته نماذج من الزجل ، كثير منها من نظم زجالى مصر والشام فى العصر المملوكى ولم ينسبه لقائله . ويفهم من حديثه أن الزجال كان يقال له « شاعر » ونقول إنه كان يطلق عليه « القيم » أيضاً . وبهذه المناسبة نذكر أن بعض كبار الشعراء فى العصر المملوكى مثل محيي الدين بن عبد الظاهر ، وابن الوردى ، وابن حجة الحموى ، نظموا أزجالا . وكذلك قرض كثير من الزجالين الشعر . ومما رواه ابن خلدون قول بعضهم فى الشكوى الغزلية وهو من المواليا :

يا من وصالو لأطفال المحبة بح   كم توجع القلب بالهجران أوه أح
أودعت قلبى حوحو والتصبر بح

كل الورى كخ فى عينى وشخصك دح

هذا ، ونذكر أن ابن إياس الحنفى المؤرخ الكبير صاحب كتاب « بدائع الزهور » سجل لنفسه فى كتابه أزجالا عدة ، كل منها بمناسبته . ومنها ما نظمه يصف فيه جور السلطان الغورى حينما أرغم القاضى شهاب الدين أحمد بن يوسف ، على أن يعطيه قطع الرخام الثمين التى تزدان بها قاعة أبيه المسماة « نصف الدنيا » ليجمل بها قاعته البيسرية . فقال ابن إياس موريا :

سلطاننا الغورى قـد جار   والصبر منا قـد أعيا
وصـار فى ذا الجور عمال   حتى خرب نصف الدنيـا

ولزين الدين العجمى مواليا يصف فيها ارتياعه وقت البين ، رواه ابن حجة فى كتابه « كشف اللثام » . قال :

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل
ملهوف لا حمـــل يمنينى ولا تحميل
والعين قـد حلفت يا بدر فى التكميل
لا تكتحل بالكرى إن غبت عنها ميل

وترجم السخاوى فى الضوء لمجذوب يدعى « أحمد حطيبة » توفى بدمياط عام ٨٠٨هـ ، ويبدو أنه كان أديباً عاشقاً ، وقد جن

غيرة . ومن زجله فى المغنى :

مرى فضحته وأنتم سركم قد صنت
فقصدى رضاكم وأنتم تطلبون العنت
ذليت من بعد عزى فى هواكم هنت
ياليت فى الخلق لا كنتم ولا أنا كنت

ومن الشعراء الزجالين : صدر الدين بن المرحل ، وهو محمد ابن عمر ، ويعرف فى الشام بابن الوكيل . عاش بين سنتى ٦٦٥ ﻫ ، ٧١٦ ﻫ ، وقد توفى فى القاهرة . كان من فقهاء الشافعية ذكياً عجيب الحافظة مجادلا كثير الاطلاع ، شارك فى علوم كثيرة ، واشتغل بالتدريس فى قبة الشافعى والمشهد الحسينى وغيرهما . ونظم الشعر الرقيق والموشحات الرائعة والأزجال العامرة . واعتبره ابن إياس شاعر عصره ، وعده من الفحول . وطرق أغراضاً شعرية كثيرة . وقد ترجم له السبكى فى طبقاته ، وابن شاكر فى فواته ، وابن حجر فى الدارر ، ولم يرووا شيئاً من زجلياته ، على الرغم من شهرته ، على الرغم من شهرته بالزجل والبلاليق ، فإليك شيئاً من شعره ، قال من خمرية .

لتذهبوا فى ملامى إنهم ذهبوا فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
والمال أجمل وجه فيه تنفقه وجه جميل وراح فى الدجى لهب
لا تأسفن على مال تمزقه أيدى سقاة الطلا والخرد العرب

وتغزل فى مليح فقال :

تلك المعاطف أم غصون البان لعبت ذوائبها على الكثبان
وتضرجت تلك الخدود فوردها قد شق قلب شقائق النعمان
مايفعل الموت المبرح فى الورى ما تفعل الأحداق فى الأبدان

ويبدو أن صفى الدين الحلى تأثر بألفاظ هذه الأبيات ، فى قصيدته البارعة التى مطلعها :

خلع الربيع على غصون البان حللا فواضلها على الكثبان

ومن أشهر زجالى العصر المملوكى قيم الزجل الكبير « خلف الغبارى » الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، وتوفى فى أوائل التاسع فى عهد السلطنة الثانية للناصر فرج ابن برقوق . وكان حاذقاً فى صناعة الزجل ، أدخل إليها خصوصيات الشعر وسماته فى التصوير والتعبير ، وولج بها أبوابه وفنونه ، فتغزل ووصف ومدح وهنأ ورثى وسجل الحوادث ، إلى غير ذلك . وحسنت صلته ببنى قلاوون وبخاصة الأشرف شعبان ، ثم بالظاهر برقوق ، وهو طويل الباع مديد النفس ، تبلغ زجليته أحياناً ثمانين بيتاً أو تزيد .

وفى مطلع غزلية يقول ، وفيه توريات لطيفة :

جار حبيبى فقلت دا الحجاج حا يجـــور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشـــيد

وعندما اعتلى الأشرف شعبان حفيد الناصر بن قلاوون سلطنة مصر عام ٧١٤ ﻫ هنأه الغبارى بقصيدة زجلية منها :

حب قلبى شعبان ، وفق رشيد وجـالو أشرق وما لو حدود
وأبوه الحسن وعمـه الحسن وارث الملك من جدود لجدود

* * *

سل لحظك صـــارم لقتل العـدى
وأنت منصور طول المدى والسنين
زعق السعد بين يديك شاويش فرح القلب بعد ما كان حزين
ونصب لك كرسى على المملكة وظهر لك نصره بفتحو المبين
والعصايب من حولك اشتالات خفقت فى الركوب عليك بنود
فاحكم احكم فى مصرنا سلطان فجميع الملاح لحسنك جنود

ولما قتل الأشرف المذكور رثاه الغبارى رثاء حاراً طويلا بقصيدة لا نبالغ إذا قلنا بليغة . ومن أبياتها قوله فى أحد أدوارها :

ضم الأشرف قبر ليت شعرى هو لقنديل نور ضياه جامع
أو صدف فيه خالص الجوهر أو فلك فيـه غاب قمر طالع
أو نقول غاب فيه أسد ضارى أو حفير جواه حسام قاطع
أو كناس فيه أحسن الغزلان أو حمى فيـه أفرس الفرسان
أو جسد فيه روح من الأرواح أو سـواد مقلة وفيه إنسان

ونلاحظ فى زجليات الغبارى أن « المذهب » وهو مطلع الزجلية ، ينظمه فى موضوعها ، فليس تقديما ولا غرضا إضافيا ، وهو عادة يجمع خلاصـة وجيزة لتفاصيل القصيدة . وقد هنأ برقوقا مرة ، أيام أن كان أتابكيا أى قائدا للجند ، وقبل اعتلائه السلطنة ، بقصيدة وصف فيها انتصاره على عدوه الأمير « بركة » فسجل بذلك موقعتهما . وذلك عام ٨٧١ ﻫ . وفى نفس العام اعتدى عرب البحيرة على مدينة دمنهور فسلبوا ونهبوا ، فهب لهم الأمراء والجند من القاهرة وأثخنوا فيهم وأسروا منهم ، فسجل الغبارى هذه الحادثة فى حمل وصفى بديع ، وفصل دقائقها وخوافيها فى نحو ٧٢ بيتا لا تجد لها ضريبا فى بابها بين الشعر

الفصيح ، وأولها :

باسم رب السما ابتدى فارج الهم والـــكرب
ويفيــد للذى حضر قصـــة الترك والعرب

(راجع الزجليتين فى ابن إياس ج ١ ص ٢٤٧ ، ٢٥٢) .

ومن أئمة الزجل علاء الدين على بن مقاتل الحموى الذى أشرنا إليه فيما سبق ، وهو من أدباء القرن الثامن ولد بحماة عام ٦٧٤ هـ ، وعاصر ابن نباتة والصفى الحلى ، وكان يفد على الملك المؤيد صاحب حماة كما كانا يفدان . وأنشد بحضرته وهما بين يديه غزلية فريدة ثلاثية الأدوار أعجبوا بها أيما إعجاب . جانس فى البيت الأخير من كل دور من أدوارها بين ضربه وعروضه فضلا عن الدقائق الأسلوبية والتصويرية التى راعاها . وهذا دأبه فى غزلياته وقد أثبت ابن حجة فى خزانته الغزلية المذكورة . وفى مطلعها يقول :

قـــلبى يحب تيـــاه ليس يعشــــق إلا إياه
فاز من وقف وحيـــاه برصـــد على محيــــاه
بدر السما لو يطبـــع من رام وصالو يعطب

* * *

صغير بحـــير فى أمرو غـــزال قهـــر بسمرو
ليث الهـــوى وغـــرو فاعجب لصغـــر عمرو
ريم ابن عشر وأربـــع أردى الأســـود وأرعب

واشتهر بفن الزجل فى أخريات العصر ، ومنذ عهد الأشرف قايتباى ، الأديب اللبق البـــارع « بدر الدين الزيتونى » وهو أبو النجاء محمد بن محمد العوفى . ولد عام ٨٣١ هـ وتوفى عام ٩٢٤ هـ بعد أن شهد عهد النورى ، وعاصر مصرعه . وقد سجل فى زجلية رحلة السلطان قايتباى إلى الديار الشامية عام ٨٨٢ هـ ، وذلك على نمط فريد مفصل بدقائق الحوادث ومذهبها :

سلطاننا الأشرف خــــرج فى أربعين
من العساكر حين ســـافر حماه
ومن حلب عدّا يروم الفرات فاسقى الخيول من ماه وربه حماه

وسجل حادث الطاعون الجارف الذى أصـاب البلاد عام ٨٩٧ هـ ورثى فى تسجيله أهل مصر رثاء بليغاً مليئاً بالحكمة . وعلى هذا الغرار رثى قايتباى مشيراً إلى بعض وقائع عصره . وفى عام ٩٢٢ هـ وقعت فاجعة « مرج دابق » المشئومة ، فهزت كيان مصر ، واضطربت بها فقارها ، وفزعت لها من أعماقها . وقد قتل فى هذه الموقعة سلطانها الشهيد الأشرف النورى ، وانفتحت السبل أمام الغزو العثمانى البغيض . يصور لك بدر الدين الزيتونى هذه الخواطر والمخاطر فى زجلية عصماء تبلغ نحو ١٢٠ بيتا يرثى بها دولة النورى وليس لها ضريب فى الشعر الفصيح . ونلاحظ أن هذا الأديب كان يعنى بذكر اسمه وشىء عن نفسه فى كل زجلية ينظمها .

وعلى نمط منه شب ابنه بدر الدين محمد ، وقد رثى أباه بزجل أغر ، عدد فيه مناقبه ، وذكر محامده .

ومن الزجالين : الشاعر الحسن بن هبة الله الإدفوى ذكره صاحب الطالع السعيد ، وتوفى بقوص عام ٧٢٠ هـ ومنهم شرف الدين بن أسد المصرى ، الخليع الماجن المتوفى عام ٧٣٨ هـ ، وله زجلية ماجنة تفكه فيها بشهر الصيام ونوه به صاحب الفوات . ومنهم ابراهيم الشاعر الأمى ، وله أزجال بارعة ، وتوفى عام ٨٧١ هـ ويضيق المقام دون ذكر أخبارهم وأشعارهم ، فحسبنا ما روينا ؟

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حب المنطـــق

للأستاذ ثروت أباظه

بعد أن ظهر مقالى بالرسالة يحمل هذا العنوان ، جمعتنى بالرفاق ندوة جرى فيها حديثهم حوله . قال أحدهم :

— عرضت لنا فى هذا الأسبوع شخصية غريبة لم نر لها مثيلا بين المجتمع ! وقد عرض صديقك آراء عجيبة من الحب وأطلقها فى جرأة تدفعها ثورة الشباب ، وإن حاول هو أن يكسوها وقار الشيوخ .

قلت : لا تنس أنى لم أعلن موافقتى على رأيه .. وأنا عرضته متخففاً من تبعته .

— يزعم صديقك . .

— لا تناقشنى .. فأنا معه على موعد هنا .

وحان الموعد ، وجاء الصديق ، وعرفوه وعرفهم ، واطمأن بنا المجلس ، ولكن لم يكد يطمئن حتى التفت إلى الصديق يكسو وجهه عتب وغيظ وقال :

— ما ذا ؟ أأصبحت تؤثر قلمك على صداقتك ؟ قلبى أفتحه لك وأنا ضنين بما يحوى ، وأنت تعلم ، فلا تعف بك الأمانة عن إظهاره للناس جميعاً . ثم لا تكتفى بذلك ، بل تعرفنى بأصدقائك ، وتخبرهم أنى صاحب ما قرءوه من الآراء ! هل أصبحت الأسرار ...

— هوّن عليك . إن الجالسين أصدقاء قدماء ، لم تواتنى الفرصة لأعرفهم بك . ولكننى عقدة الصداقة بينكم منذ أن عرفتهم ؛ فسرك عندهم فى أمان . أما أننى أعرض قلبك ، فوالله ما قصدت إلى ذلك ، وإنما هى آراء جديدة لم أسمعها ، ولابد لها أن تُسمع ، ولا أحد من القراء يعرفك .

هدأ صديق بعض الشىء . وكاد أن يجرى الحديث إلى غير ما كانوا آخذين فيه ، لولا أن تشجع أحد الأصدقاء وعاد إليه يقول

— الآن وقد أوضح لك صديقك مكاننا منه ومكانك منا . فهل لنا أن نسألك بعض الإيضاح لآرائك . . . قلت إن للعقل عاطفة يتحكم بها فى القلب فهل تعنى أن القلب إذا أحب يذهب إليه العقل قائلا : لا ؟ إن هذه لا تنفعك .. إن تلك التى اخترتها لا تصلح لك ، إنها ليست من طبقتك ، فيطيع القلب ويسلم القياد ، وينحرف عما اندفع إليه وسيبحث عن غيرها ؟ ؟ إذن لا تعترف أنت بما تراه من كوارث الحب ، ثم إن هذا القلب الهادىء المستكين . كيف تجسر فترميه بأنه أحب ؟ ؟ أيحب ويقبل النصيحة ؟ ؟

قال الصديق : إن العاطفة الجياشة القوية التى يزخر بها القلب الحب هى التى تنشأ عن معرفته بالحبيبة ودراسته لها ، فلا يمكن أن أصدق إنساناً وقع فى الحب منذ النظرة الأولى ، لأن الجمال وحده فى هذا النوع من الحب سيكون العماد . ولو كان الأمر كذلك لأحببنا كل الجميلات اللائى يمررن بنا فى الشوارع ، ولتدلهنا فى ممثلات الشاشة . الحب وليد خبرة ومعرفة ودراسة . والخبرة والمعرفة والدراسة أمور يختص بها العقل وحده . والعقل يتدخل أيضاً ليعرف إذا كان صاحبه محبوباً أم لا . وعلى هذا المدى يتجه القلب .

قال صديق آخر : لعلك محق فيما ذهبت إليه ، ولو أن الواقع لا يؤيدك .

— إن الواقع لا يؤيد هذا لأن الفكرة السائدة عند القوم أن الحب لا يكون إلا من النظرة الأولى . وذلك ما يجرهم إلى هذا الحب . إنهم يعتقدون أنهم أحبوا وهم فى الواقع براء من الحب

— حسن . . ولكن ما مسألة حب المنطق هذه ؟ إن بعدت الحبيبة أحسست بالشوق إليها فى عقلك ؟ وإن خفق خافق فيك عند اللقاء أيكون ذلك الخافق عقلك ؟ كيف يتهيأ للعقل أن يحب ؟

— إننى لم أقل هذا . ويظهر أنك لم تحسن قراءة المقال . بل إننى أرى أنه لا شىء فى الإنسان يحب غير قلبه . ولكن كيف يبدأ هذا الحب ؟ بالقلب وحده ؟ أم أن العقل يتدخل فى هذا الأمر ؟ إننى أرى أن العقل والإرادة يتدخلان ، حتى إذا تم الحب ، فإنهما يبتعدان كل البعد ولا رأى لهما فى الأمر بعد هذا . بل إن المحب إذا أحب يفكر بقلبه . . وبقلبه وحده ، ولهذا يخشى عليه إذا كان لم يحسن الاختيار فى بادىء الأمر . هذا ما أقصد إليه . لعلك فهمت . فإن لم تكن فأنت مثل صديقك هذا لا تريد أن تفهم

مرصد مراغة ومكتبتها

اللذان شيدهما نصير الدين الطوسي في بداية العصر المغولي

(صور لدنيا العرب والإسلام في ذلك العهد الرهيب)

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ويتفق المؤرخون على أن الطوسي كان قد شيد في مراغة حياة علمية خصبة بالإنتاج وشجع الفلاسفة والحكماء وكفل لهم أرزاقهم ؛ وكان يتعصب للفيلسوف ابن سينا ويرد عنه هجمات خصومه : قال الصفدي : وشرح الطوسي إشارات ابن سينا ورد في شرحه على الإمام فخر الدين الرازي وما قاله في شرحه القديم وقد قال هذا به جرح ، وما هو بشرح.

وقال عن شرحه أنه ألفه في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً(١) .

وقال المؤرخ الفقيه أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ في كتابه شذرات الذهب الجزء الخامس: وفي سنة ٦٧٢ هـ توفي أبو عبد الله نصير الدين محمد بن حسن وكان رأساً في علم الأوائل ذا منزلة من هولاكو . قال العلامة شمس الدين ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان) ما لفظه: لما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والإلحاد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هلاكو شفي نفسه من أتباع الرسول وأهل دينهم فعرضهم على السيف حتى شفي إخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم وجعلهم خاصته وأولياءه ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل (إشارات) إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك ، فقال هي قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين . فلم يتم له الأمر . وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام انتهى بلفظه(١) .

(١) الصفدي .

وهذا تحامل غريب سنعرض عليك بعده إعجاب مفكري الغرب وكبار علمائه بالطوسي وما تركته كتبه من انقلاب فكري وأثر بعيد في الحضارة الأوربية الحديثة ؛ وكلمة هذا المتعصب تريك عقلية أولئك الذين كانوا يقاومون الفلسفة ويضطهدون الفلاسفة ؛ فإذا كان الشيخ ابن سينا إمام الملحدين فعلى الإسلام السلام .

والذي ينقله المؤرخون عن الطوسي أنه كان باراً بالعلماء والفقهاء هذا العزاوي يقول في كتابه ص ٢٧٤ (في سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) وصل السلطان أبا قاخان (ابن هولاكو وخليفته في السلطان) إلى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر والخواجه نصير الدين الطوسي وعبر دجلة وتصيد ثم عاد إلى بغداد ، فلما انقضى الشتاء عاد إلى مقر ملكه .

وأما الخواجه نصير الدين الطوسي فإنه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف أورد أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها(٢) .

وقال ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات والصفدي في الوافي نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب علم الرياضي كان رأساً في علم الأوائل ولاسيما في الإرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه وكان حسن الصورة كريماً

(١) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان لابن القيم وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين .

وأشار إلى مغيظاً ، فقد خيل إليه أنني أنا الذي دبرت له كل هذا الهجوم . ولكنه رأى اقتناع الجالسين فارتاح إلى ذلك ، والتفت إلى ساخراً

— وماذا تنتظر ؟ قم إلى ورقك وقلمك . وسجل الحديث قبل أن يندّ منه حرف أو كلمة .

وهأنذا أصدع بأمره . فما عودته إلا الطواعية والامتثال .

ثروت أباظة

حسن المشرة غزير الفضل .

وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده . وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصرفه في جامكيات (مرتبات) المقيمين بالرصد وما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الإرصاد .

وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم . وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم . وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى .

وقد كان منجما لأبغا (أبا قاخان بن هولاكو وقد ولي السلطان بعد أبيه) بعد والده . وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال احتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به[1] أفلا يكفي هذا شاهداً .

وكان هولاكو شديد الاعتقاد بعلم النجوم فكان هذا مدخلا للطوسي ليستولي على فكره وطبعاً ليس الفضل في نجاحه في السيطرة عليه وصواب ما يشير به عليه في استشارات هولاكو له كان لعلم التنجيم الخراقي الطافح بالخزعبلات .

وأيما كان الأمر لدهاء الطوسي وبعد نظره وإن ظن هولاكو المغولي جهلا أن إصابة الطوسي للاهداف مرجعه علم التنجيم . وقد استغل الطوسي هذا النفوذ وتلك الهيمنة على ذلك السفاح في إغاثة الناس وحمايتهم من شرور هذا الجلاد المغولي الظالم إذ يحدثنا المؤرخون أنه خلص ابن الفوطي من أيدي التتار[2] ونقل العزاوي أنه عندما أراد هلاكو الاستيلاء على داخل المدينة ببغداد أمر الخواجه نصير الدين أن يقف عند باب الحلبة ويؤمن الناس للخروج من هذا الباب . فأخذ الناس يخرجون جماعات كثيرة[3] .

وقال أيضاً وفي سنة ٦٥١ هـ وصل التتار إلى بلاده تون ثم استولوا على بلدة شهرستان وتوجهوا نحو طوس ففتحوها وتوجهوا إلى دامغان وخربوا (الموت) عاصمة الاسماعيلية . وفي هذه الأثناء لازم الخواجه نصير الدين الطوسي هولاكوخان . وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسيني الاسماعيلي فحظى عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغة ثم توجه نحو خورشاه ملك الاسماعيلية للاستيلاء على قلاعه وبلاده .

(١) فوات الوفيات لابن شاكر والوافي بالوفيات للصفدي .
(٢) و (٣) العراق بين احتلالين لعباس العزاوي .

وكان من محاسن الصدف — كذا قال الخواجه رشيد الدين — مرافقه نصير الدين الطوسي لهلاكو في هذه الحملة وكان هو السبب في حقن الدماء وتسليم البلاد لهلاكو لأن الناس كانوا لا يستطيعون الحرب معه فسعى في مسالمة وأخذ ينصح خورشاه بطاعة هلاكو والانقياد له فقبل خورشاه النصيحة .

وكان يتباهل في إظهار الطاعة إلى أن حاصروه من جميع الجهات حتى اضطروه إلى التسليم وقتل فافتتحت بلاد الملاحدة .

فترى من هنا بداية اتصال الطوسي بهولاكو .

قال ابن الفوطي في الحوادث الجامعة (ص ٣١٣) ثم أرسل السلطان إلى متولي (قلعة الموت) يعرفه نزول ركن الدين إليه ويأمره بالتسليم فأبى وامتنع فسير إليه الجيوش فأحاطوا به وحاصروه وضيقوا عليه فسأل الأمان فأجيب إليه فسلم القلعة فهدمت .

ولما فتحت قلعة الموت خرج الإمام العلامة نصير الدين محمد الطوسي . وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي وحضر بين يدي السلطان فحظي عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغه[1] .

ونقل في روضات الجنات عن صاحب (صحيفة الصفاء في ذكر أهل الاجتباء والاصطفاء) أن الطوسي كان من حملة عرش التحقيق في الفلسفة والرياضي والكلام .

وكان محبوساً في حصن الديلم بأمر خورشيد شاه القرمطي فلما غلبت الترك عليه وقتلوه وأخذوا حصن الديلم أطلقوا الفيلسوف الإلاهي من الحبس وأكرموه لعلمه بالنجوم وكان في عداد وزرائهم وقصته مع ابن الحاجب مجمولة لبعد بعيد بين زمانيهما[2]

والحق أن الطوسي قد خدم الحضارة الإسلامية خدمات جلى كان منها استنقاذه الكتب العربية وحفظها للأجيال وأبقى قبساً من نتاج العلماء المسلمين في فجر النهضة الإسلامية فجعلها متصلة الحلقات موصولة الأسباب .

ولنذكر ناحية ثانية استنقذت بها كتب بغداد عند دخول التتار وقتلها وقد لوح إليها ابن الفوطي إذ قال ص ٣٣١ قيل إن عدة القتلى ببغداد[3] زادت عن ثمانمائة ألف نفس عدا من

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطي .
(٢) روضات الجنات و (صحيفة الصفاء في ذكر أهل الاجتباء والاصطفاء) . (٣) عندما خاربها المغول .

ألق من الأطفال فى الوحول ومن هلك فى القنى والآبار وسراديب الموتى جوعا وخوفاً ووقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف . وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء . وكان يسقط على المطعومات فيفسدها . وكان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفسية وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير .

قال ووضع السيف فى أهل بغداد وما زالوا فى قتل ونهب وأسر وتعذيب للناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوماً فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل .

قال وسلمت دار ابن العلقمى وسلم بها خلق كثير وسلمت دور آخرين كدار صاحب الديوان ودار حاجب الباب ودور النصارى وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيها أحد إلا من كان فى الآبار والقنوات وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد . وكانت القتلى فى الدروب والأسواق كالتلول ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى؛ ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التى لا يعبر عنها بلسان وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاوس العلوى إلى السلطان وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم (١) .

وفى هذه المجازر الدموية كان موقف الطوسى حرجاً حتى كاد مرة أن يبطش به هولاكو (٢) . وكان يستعمل الحيل ويبتكر الأساليب لتخليص الناس من بطش هولاكو .

قال ابن شاكر فى فوات الوفيات والصفدى فى الوافى بالوفيات دهاء الطوسى ما حكى أنه حصل لهولاكو غضب على علاء الدين الجوينى صاحب الديوان فأمر بقتله فجاء أخوه إلى النصير وذكر له ذلك فقال النصير هذا الخان أن أمر بأمر لا يمكن رده خصوصاً إذا برز إلى الخارج . فقال له لا بد من الحيلة فى ذلك فتوجه الطوسى إلى هولاكو وبيده عكاز وسبحة ثم اصطرلاب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً وناراً فرآه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم ، فلما وصل أخذ يزيد فى البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه ويضعه فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا على هولاكو وأعلموه ، ثم خرجوا إليه فقال لهم الخان أين هو ؟ قالوا جوا (أى داخل المخيم) قال طيب معافى موجود فى صحة ؟ قالوا نعم ، فسجد شكراً لله تعالى ، ثم قال لهم طيب فى نفسه؟ قالوا نعم ، وكرر ذلك مراراً وقال أريد وجهه بعينى ، فدخلوا فأعلموه ، وكان فى وقت لا يجتمع به أحد فقال على به ؛ فلما دخل ورآه سجد وأطال السجود فقال له ما خبرك ؟ قال اقتضى الطالع فى هذا الوقت أن يكون على الخان أمر فظيع عظيم للغاية فقمت وعملت وبخرت بهذه البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله تعالى صرف ذلك عن الخان . وينبغى الآن أن يكتب الخان إلى سائر ممالكه بإطلاق من فى الاعتقال والعفو عمن له جناية لعل الله عز وجل يصرف هذا الحادث العظيم ولولم أر وجه الخان ما صدقت ، فأمر فى تلك الساعة هولاكو بما قال ، وانطلق علاء الدين صاحب الديوان فى جملة الناس . قال ابن شاكر وهذا غاية فى الدهاء بلغ مقصده ودفع عن الناس أذاهم (١) . وبعد فإنك واجد الطوسى كان يسير هولاكو إلى العفو عن المسلمين من طريق علم التنجيم وقد استغل إيمانه بخرافات المنجمين وأكاذيبهم — فى بناء مرصد مراغة ومكتبتها العظيمتين اللذين خدما الثقافة الإسلامية خدمات عظمى وتقدما بعلم الفلك والهيئة ، ولنسمع الأستاذ قدرى حافظ طوقان يحدثنا عن الطوسى ومرصد مراغة فى كتابه (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك وهو كتاب يبحث فى أثر العرب فى تقدم الرياضيات والفلك وسير أعلام رياضييهم وكبار فلكييهم) وقد نشرته مجلة (المقتطف) كهدية سنوية لتستمع إلى حديث ابن طوقان عضو الجمعية الملكية الأسيوية بلندن وعضو جمعيات العلوم الرياضية فى إنجلترا وأمريكا وعضو مجلس

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى
(٢) روضات الجنات .

(١) فوات الوفيات لابن شاكر .

التعليم العالي في فلسطين ومساعد مدير كلية النجـاح بنابلس وأستاذ الرياضيات فيها : إن هذا الرجل قد غذى الروح القومية والغرور العربي بشـعلة متأججة من وطنيته ، فمن يقرأ كتابه يخرج رافعاً رأسه اعتزازاً بآبائنا العظام فإلى مثل هذا الـكتاب نحظ المؤلفين فإنه تأليف به تتألف جيوش الأمة لتندفع في سبيل المجد ومضمار الرقي ، هكذا اكتبوا وألفوا يا حملة الأقلام العربية ولا تزجوا الشباب في مساقط الرذيلة ومهاوي الشهوات العمياء برواياتكم المترعة بالخيانات الزوجية النتنة بروائح الخمور والفجور اصغوا إلى ابن فلسطين يتحدث عن الحضارة الإسلامية العربية فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها ، وسوف أشفع حديثه بما ترجمته أنا من المصـادر الإنجليزية قال : ص ٦٥ عن المراصد وآلاتها وأزياجها :

لا شك أن العرب لم يصلوا بعلم الفلك ما وصـلوا إليه إلا بفضل المراصد ، وقد كانت هذه نادرة جداً قبل النهضة العلمية العباسية . وقد يكون اليونان أول من رصد الـكواكب بآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذي أنشيء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد هو أول مرصد عنه ويقال أن الأمويين ابتنوا مرصداً في دمشق ، ولـكن الثابت أن المأمون أول من أشـار باستعمال الآلات في الرصد وقد ابتنى مرصداً على جبل قيسون في دمشق وفي الشماسـية ببغداد وفي مدة خلافته وبعد وفاته أنشئت عدة مراصـد في أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية ، فلقد ابتنى بنو موسى مرصداً في بغداد على طرف الجسر وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر ، وبنى شرف الدوله أيضـاً مرصداً في بستان دار المملـكة ويقال أن الـكوهي رصـد فيه الـكواكب السبعة . وأنشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصداً عرف باسم المرصد الحاكي وكذلك أنشأ بنو الأعلم مرصداً عرف باسمهم ، ولعل مرصد المراغة الذي بناه نصير الدين الطوسي من أشهر المراصد وأكبرها وقد اشتهر بآلاته الدقيقة وتفوق المشتغلين فيه واشتهرت أرصاد هذا المرصد بالدقة اعتمد عليها علماء أوربا في عصر النهضة وما بعده في بحوثهم الفلـكية : وهناك عدا هذه مراصد أخرى في مختلف الأنحاء كرصد ابن الشاطر بالشـام ومرصد الدينوري بأصبهان ومرصد البيروني ومرصـد ألغ بك بسمرقند البتاني بالشام ومراصد غيرها خاصة وعمومية في مصر والأندلس وأصبهان .

وكان للراصد آلات وهي على أنواع وتختلف بحسب الغرض منهـا وقد وضع الخازن كتاباً سماه (كتاب الآلات العجيبة) اشتمل على كثير من آلات الرصد غياث الدين جشيد رسـالة فارسية في وصف بعض الآلات وأتى تقي الدين الراصد على ذكر الآلات التي اخترعها هو وقد اعترف الأفرنج بأن العرب أتقنوا صنعة هذه الآلات (كما في تراث الإسلام) .

وفي هذه المراصد أجرى المسلمون أرصاداً كثيرة ووضعوا الأزياج (١) القيمة الدقيقة .

ومن أشهر الأزياج زيج ابراهيم الفزاوي وزيج الخوارزمي البتاني وأزياج المأمون وابن السمح وابن الشاطر وأبي البلخي والأيلخاني وعبد الله المروزي البغدادي والصفاني والشـامل (لأبي الوفاء) والزيج الشـــاهي (للطوسي) وشمس الدين وملـكشاهي والمقتبس لأبي العباس أحمد يوس بن الـكاد وزيج العلائي وزيج المصطلح في كيفية التعليم والطريق إلى وضع التقويم والزيج الـكبير الحـاكي وزيج الميداني وزيج الآفاق في علم الأوفاق الخ ... وبالجلة فإن للعرب فضلا كبيراً على الفلك لأنهم (أولا) نقلوا الـكتب الفلـكية عند اليونان والفرس والهنود والـكلدان والسريان وصححوا بعض غلاطها وتوسعوا فيها — وهذا عمل جليل لاسيما إذا عرفنا أن أصول تلك الـكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية وهذا طبعاً ما جعل الأوربيين يأخذون العلم عن العرب فكان العرب بذلك أساتذة العالم .

و (ثانياً) في إضافتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التي تقدمت بعلم الفلك شوطاً بعيداً و (ثالثاً) في جعلهم علم الفلك استقرائياً وفي عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان و (رابعاً) في تطهير علم الفلك أدران التنجيم وكانت هذه خطة أغلب علماء الفلك المسلمين وفق تعاليم الإسلام .

(بغداد) ضياء الدخيلي

(١) الأزياج جمع زيج قال ابن خلدون في مقدمته ومن فروع علم الهيئة علم الأزياج وهو صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الـكواكب في أي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام والتوريخ الماضية وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونهـا في جداول مرتبة تسهيلا المتعلمين وتسمى الأزياج .

رحلات في ديار الشام في القرن الثامن عشر الهجري :

٣ - اردان حلة الاحسان
في الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكري الصديق
(١٠٩٩ هـ - ١١٦٢ هـ - ١٦٨٧ م - ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

انشغال الشيخ بعمارة داره بالقدس وولادة ابنته :

« وكنا لما اشترينا الدار شرعنا في العمارة ، فأشغلنا الأخ بنقل التراب ورفع الحجارة ، لكي تلين منه نفسه الغدارة المكارة . ولما دخل شهر الصيام والقيام الموجب النضارة تأهل المحل السفلي للجلوس فيه ، دون إتمام القصارة .

« وحين ودع وسار بعسار سحبها غزار ، وقد وفدت علينا من الغيوب العزية البُنية الرشيدة السعيدة الفريدة والجوهرة الوحيدة ، التي وقمت لتسميتها الإشارة الشريفة (علما) ، جعلها الله ممن قدرها لديه سما ، وذلك في السادس والعشرين من شوال المبارك ، فتلقاها الفؤاد فرحاً بها لكونها هدية المولى تعالى وتبارك ورأيت كعبها كقصيدة كعب بن زهير لا زالت مظهراً للبر حسنة السير كثيرة الخير .

« وقد حضر لدينا رابع يوم ذى القعدة الحرام الأخ السعيد محمد سعيد البصرى ذو الإقدام ، وكان ذلك يوم عقيقة [1] ابنتي ، المذكورة المحروسة ، وكان قدومه من البصرة إلى حلب المأنوسة . ولما وصل كنا مع الإخوان خارج البلد .

الزيارة العلية الثانية عن طريق الخليل وعسقلان :

ولما دخلت سنة (١١٤٢ هـ) عزمنا على زيارة الخليل ، ومن هنا يفقد الزيارة العليلية ، وحين دخلت عاشورا اجتمع لدينا من الإخوان أخدان ، وتوجهنا عن طريق (بنى حسن) [2] لأنه طريق أمين ومسلك وعر بالأمان حسن ، وثبنا عند الحلاحلة [1] في (ممنين) وسرنا صباحاً للمدينة بقلب رهين وعندما أشرفنا على الحرم قرأنا على الإقدام فاتحة الكتاب وتقدمنا إلى المقام وزرنا الأنبياء ، وبدأنا بوالدهم شيخ المرسلين العام (ابرهيم الخليل) وثنيت بولده سيدى اسحق الغيور ، ثم أثنيت مقام سيدى يعقوب الغوث وختمت بسيدى يوسف بدر التمام ، ونزلت في التكية القادرية [2] عند باب الحرم الشريف ، لنحظى في أغلب الأحيان بالزيارة المنتجة التشريف . وكانت الكروم [3] على أوائلها لم تتكامل حلاوتها في غلائلها . وبعد ما أقمنا ثلاثة أيام في الجوار نتردد صباحاً ومساء على السادة الأطهار ودعنا ، وقصدنا مسجد اليقين ، وتوجهنا إلى مقام سيدنا لوط . وعندنا في الصباح على مدينة الفلاج وزرنا حماة تلك البطاح ونجدنا (بيت جبريل)[4] وبتنا فيها ، وسرنا إلى (الفالوجة) وزرنا أحمدها النزيل ، وصلينا الجمعة فيها وخطيبنا الأخ الراعى الشيخ عبد الحماعى [5] وكان وكان مرادنا زيارة عسقلان فأخبرنا بخراب ما حولها من عمران [6] ، وفي الصباح طرنا بلا جناح وطلبنا دليل في تلك المسالك يعرفنا إلى (المسمية) بالدرب السالك ، فانتحى المجذوب الشيخ ديب لذلك ، ولما توسطنا البرية ، مثل هذه قبة سيدنا صالح فقرأت الفاتحة ، وبجارت علينا من بعد خيل أعراب بهم في تلك الصحارى أذية أغراب ، فقلت لمن يحمل الإشارة سر على الجادة ولا تخف غارة ، فسقط عن دابته كبيرهم وانتكس وشرد مركوبه ، وبقصده انعكس ، ثم لحقونا (للقسطينة)

---

(١) عقف الشيء يعقفه عطفه وعرجه . والعقاف داء في قوائم الشاة تعوج منه .

(٢) اسم لقضاء يشمل قرى المالحة ، وبتير ، والولجة ، والرأس الخ إلى الجنوب الغربي من القدس ، وفي فلسطين أقضية باسم بنى صعب ، وبنى مرة وبنى مالك الخ بأسماء القبائل التي نزلت البلاد .

(١) هم أهل حلحول قرية إلى يسار السالك إلى الخليل .

(٢) في الأنس الجليل ج ٢ - ٤٢٦ ، ٤٢٧ « إن الزاوية القادرية بظاهر البلد . وفي الخليل زوايا عدة منها زاوية الشيخ المزى ، وزاوية الشيخ عبد الرحمن الأرزروى ، وزاوية البسطامية ، وزاوية السهابنة وزاوية الشيخ عمر المجرد ، وزاوية أبي عقافة ، ورباط الطواشي ، وزاوية شيخون ، ورباط مكى ، وزاوية الشيخ رضوان ، وزاوية الشيخ خضر ، وزاوية الصلاطفة ، وهي داخل الزاوية الأدهمية ، وزاوية الراى ، وزاوية الشيخ على كنفوش الأدهمى ، وزاوية الشيخ محمد البيضة ، وزاوية الوقع ، وزاوية الشيخ ابرهيم الحنفى ، وزاوية أبى كال بظاهر المدينة ، ورباط الحماعيلى ، وزاوية الخضر وزاوية الأعنس الخ » .

(٣) يستدل من هذا أن كروم العنب كانت تحيط بالخليل كما هو الحال الآن

(٤) بيت جبرين وهي بين الخليل والفالوجة .

(٥) من عائلة مقدسية كنانية ، تعرف ببيت الخطيب ، وعليها الخطبة في المسجد الأقصى .

(٦) قامت بقربها الآن مدينة المجدل

وجاءوا معتذرين وثبنا فى (المسمية) بنفوس سمية ، وجد بنا إلى قرية (يُبْنى) المقول فيها أن مثلها ما يبنى ، وعمدنا إلى جامع سيدى عبد الرحمن أبى هريرة ، واختلف فى اسمه الشريف ، المحدثون ، والذى رجح الأعيان عبد الرحمن ، ورجح صاحب القاموس عبد الله . وبعد ما صليت الضحى ، قلت :

قصور الولا من رامها أن له تبنى عليه بابن يثنى الركاب إلى يبنى

وبعد الزيارة توجهنا إلى (يازور) وزرنا سيدى حيدرة المنسوب لسيدى على الطالبى ، وبتنا بالقرية داخل الجامع المأنوس المعمور اللامع ، وفى الصباح قصدنا قرة العين الحصن الأمنع سيدى سلمة بن الأكوع الصحابى (١) المهاب ، وغب الزيارة .

ارتقيت الطبقة طارقاً من باب الالتجاء الحلقة ، فانفتح الباب بمعونة الوهاب فقلت فى مدحه :

شرف بذكر الحب خلى مسمعى واعد على حديثه يا مسمعى
وادر كؤوس خمور سلمى جهرة فلعلها تشفى فواراً موجعى
وإذا سكرت فلا تلمنى انني فى حال شربى لا أفيق ولا أعى

وعدنا إلى (يازور) حيث البسط بفور ، وما مكنا خليلها الخ من المسير نحو (يافا) ذات الوجه النظير ، وفى صباح يوم الثلاثاء حللناها واللحظ ينبعث انتعاشاً وبتنا فى دار أبى سليمان العواد ونى الأخ الخواجه أحمد المنجاز العواد إلى الوداد . وسرنا يوم الخميس قبل بزوغ الشمس إلى المقام العليلى ، ووفد بعد الاستقرار ، الحاج حسن بن الشيخ مقلد وبات معنا . وأقمنا فى ذلك المقام المبارك الأنور ثانى يوم ووفد علينا قوم أحبة ، وختمنا الربعة الشريفة تلك الحضرة المنيفة ، وأهدينا ثوابها للمزور المشهور ، وللأخ السيد محمد السلفيتى المشكور ، وتوجهنا بعد صلاة الفجر ووداع المزار إلى (كفر سابا) وزرنا خباب بنامين شقيق سيدى يوسف الصديق ، وكذلك السيد الصحابى سراقة ؛ وعند الوصول إلى (كور) ، ووفد علينا يزور الحاج يعقوب السندى ، وقصدنا فى الصباح شرب أقداح اصطباح ، عند بستان تسامى ضمن هاتيك البطاح ، وامتد زمان الانشراح إلى أن قرأنا ورد العصر ، داخل قبته الصغيرة ، الكبيرة المراح ، وكان الحاج يعقوب ممن حضر وناح ، وتذكرت الأخ المرحوم السيد محمد العباسى [السلفيتى] .

« وأشرت على الأخ الحاج حسن منح فى الحب فهماً ، أن يغرس فى صفحاته كرماً ، وبعض أشجار تين فأبدى عزماً ، وجعع فى الأمر جزماً ، وفعل ما به أشرنا .

« وبعد أن استوفينا أيام الإقامة فيها توجهنا إلى نابلس المحمية ، ونزلنا على عادتنا فى (الدرويشية) والأخ الحاج حسن معنا . وبعد أيام الإقامة ، ودعنا ، وتوجهنا (جماعين) وقصدنا قرية (سلفيت) وزرت ضريح الأخ المرحوم السيد محمد السلفيتى ، وختمنا الربعة الشريفة لديه . وقلت :

ما هذه دار البقاء روحى روحى إلى باب اللقا المفتوح

« وأتينا دير غسان ، بعزم راجح الميزان لنوفق الخ . بين الزيود ، فما تيسر الاصلاح ، وتوجهنا إلى زيارة رجال (سوفا) المشهورين وبت لديهم ليلة الجمعة فى العشر الأول من صفر . ولم نلبث أن سرنا إلى (عابود) ومنها إلى (شقبة) ثم أتينا مزار (عِنَّير) وجلسنا فى محله المنير ، ودعانا إلى (الجانية) الشيخ صالح النوبانى ، وعدنا للديار المقدسة فى نصف صفر الخير .

« وكان الأخ محمد سعيد البصرى ألح فى طلب مقامة عراقية على نمط غير نمط الرومية فشرعت فيها وسميتها « المقامة العراقية والدامة الإشراقية ، وتمت فى شهر ربيع الأول ، وجاءنى زائراً بعض المغاربة بصلوات سيدى على بن محمد وفا ، وكنت شرعت فى شرح عليها فى الديار الرومية [أى التركية] ولكن النسخة تهدم بناء بعض حروفها ، فأجبته إلى طلبته وسميتها (جريدة المآرب ومزيدة كل شارب شارب) . وجردت الهمة وشددت العزمة فى منتصف هذا العام إلى تبييض الجزء الثانى من (شرح الورد السبحانى المسمى بالضيا الشمسى على الفتح القدسى) وعرضت كراساً منه على الأخ محمد سعيد ليتأمل فيه وجاءنى فى الصباح ومعه معترفاً بعجزه .

ورأيت الأخ محمد سعيد عنده بعض فتور ، ونحن مع جماعة فى جبل الطور ، فخاطبته وبلديه موسى ناصحاً وقلت :

خليلى عن شوق بركابكما حثا إذا رمتما فى الروع أن تدركا نفثا

ولقد جاءنى الأخ محمد سعيد صرور الفرار فرقمت سطورا فى قرطاس ورفعتها له :

وجوه الورى من واجهوا أشرف الورى
وللأثر السامى اقتفوا حالة السرى الخ

« وجاءنى من مدينة الخليل الشيخ محمد الزغانى فرآنى

(١) مقامه فى قرية سلمة وبه سميت .

أقصوصة شعرية :

الحسناء والبلبل

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

(هذه الأقصوصة الشعرية تصور ما قد ينشأ بين الإنسان وغير الإنسان من عواطف نبيلة ، ومشاعر سامية . وهى مهداة إلى الذين يقدسون معانى الحب والوفاء فى هذا الزمان)

هى حسناء فى ربيع الحياة   تتراءى كأجمل الذكريات
حسنها قبلة العيون جميعاً   ومَراد الأحلام والأمنيات
وصباها أرق من طلعة الفجـ   ـر ، وأبهى من روعة الزهرات
وعلى وجهها الجميل من الفكـ   ـر سمات أنعم بها من سمات
هى شوق إلى معانقة المجـ   ـهول يبدو فى حيرة النظرات
ومعان عميقة لست أدريـ   ـها ، ولكن أحسها فى حياتى

عندها بلبل يغنى غنـاء   يحمل القلب هائماً حيث شاء
ويثير الأحلام فى كل نفس   تبصر الحلم كوكباً وضاء
كلما زادها من الشدو والأنـ   ـغام زادته روحها إصغاء
وهى مفتونة تكاد تراه   عاشقاً يملأ الحياة بهاء
فتراها تضمه إن أتاها   وإذا غاب أتبعته النداء
وأمانى النفوس تبدو رموزاً   حينما تستكن فيها حياء

وجدته فى بيدر مهجور   يتغشاه مثل صمت القبور
وهو من جرحه يئن أنيناً   يترامى على الثرى فى فتور
فانثنت نحوه ، وخفت إليه   وانحنت فوقه بقلب كسير
وأست جرحه ، وعادت به تسـ   ـمى إلى بيتها الجميل الصغير
ثم جادت له بحب وفير   مثلما يشتهى ، وماء نمير
وأقامت له هنالك عُشًّا   مهدته له بزهر نضير

أتراه لما تقوى وطارا   ترك العش خاوياً وتوارى ؟
كيف ينسى من أنقذته وقد كا   ن يرى الموت ليله والنهارا ؟
إن أضاع الذمار والعهد إنس   فمن الطير ما يصون الذمارا
كان يمضى كما يشاء قريباً   أو بعيداً يسابق الأطيارا
ثم تدعوه بالصفير فيهفو   ثائر الشوق لا يطيق انتظاراً
كغريب نائى الديار دعته   فمضى مسرعاً يؤم الديارا

علمته الغناء والألحانا   فشأى الطير منطقاً وبيانا
فإذا ما سمعته يتغنى   خلته فى غنائه إنسانا
وإذا ما رأيته وهو يهفو   بجناحيه حولها نشوانا
خلته عاشقاً يطوف بمعشو   ق يغنيه حبه ألحانا
يا له من هوى يؤلف ما بيـ   ـن الغريبين خلقة ولسانا
يا لهذا الغناء ترسله الرو   ح ، فيلقى من الفها ترجمانا

حين يأتى المساء كان يغنى   فيثير المنى بحلو التغنى
فتناغى شقيقها كل نفس   وتناجى رفيقها كل عين
وهى مسحورة تهم من الشو   ق فراش الهوى ، ومهد التثنى
فإذا ما انتهى من الشد ونامت   وبأعماقها صدى كل لحن
ثم راحت تهيم فى عالم السحـ   ـر ، ودنيا الهوى ، وأفق التمنى
حيث تحيا كما تشاء الأمانى   حين يسمو بها الربيع المغنى

وإذا ما الصباح هلّ عليها   وهفا قلبه الرقيق إليها
فاستفاقت من حلمها غير ذكرى   لم تزل تستكن فى ناظريها
أرهفت سمعها فطارت من البلـ   ـبل أنغامه إلى مسمعيها
فإذا قلبها يحركه الشو   ق فيذرى الدموع من مقلتيها
وإذا ما استراح قامت إليه   وهى مسحورة تمد يديها
فغذته بالحبّ من راحتيها   وسقته بالماء من شفتيها

داخل بستان فى الحرم الدانى ، فقال لو وسمته كان حسناً وأمر الدنيا فانى ، فقلت هذا فى خاطرى معنى يبدى لعيانى ، فيسر الله فى مطلبه تلك الأيام ، وتم على وجه حسن جميل وأكمل نظام ، وكان المجمع التحتانى فى دارنا تم ، والمولى جل وعلا طم أنعامه علينا وعم ، ولما انضم إلينا زكريا بن الحاج يحيى نسيبة (١) ، وجماعات أخر من أحباب منحوا فتحاً يملأ العيبة ، حصلت منهم مساعدة جسيمة فى أمر العمارة الحرمية . وبعد ما كمل عام (١١٤٢ هـ) وتمت أيامه ولياليه ذات المدد المسكين .

(يتبع) أحمد سامح الخالدى

(١) عائلة مقدسية خزرجية ، بيدها حتى اليوم مفاتيح كنيسة القيامة ، خرج منها علماء وقضاة .

هكذا ظلت الحياة زماناً ... تتجلى سعادة وأمانا
وتُعد الحسناء بالحب والشو ... ق ، فتفتنُّ في الأماني افتتانا
غير أن الزمان من شأنه الكيـ ... د ومن ذا الذي يكيد الزمانا ؟
والليالي إلى المودة آناً ... والليالي إلى العداوة آنا
وأرى العمر ساحة ينبت الده ... ر عليها نباتَه ألوانا
فهو إن شاء ينبت الفرحة الكبـ ... رى ، وإن شاء ينبت الأحزانا

في مساء من أمسيات الشتاء ... تدرك النفس فيه معنى الفناء
وتنوح الرياح نوح الثكالى ... فتضج الجبال بالأصداء !
أخذ البلبل الجميل يغني ... أغنيات تهيم في الظلماء
وإذا صوته يسيل دموعاً ... فكأن الغناء رجع بكاء
أتراه يُحس خطو المنايا ... حين تسري بركبها في المساء ؟
أتراه يرى الحياة تهاوى ... في وهاد سحيقة الأرجاء ؟

وأتاها الكرى مثير الخيال ... فانتشت روحها بخمر الليالي
فرأت في منامها أن نسراً ... محكم الخلق ، مدمج الأوصال
أبصر البلبل العزيز يغني ... وهو يمضي محلقاً في الأعالي
فانثنى نحوه ، فأنشب فيه ... مخلباً حده كحد النصال
ومضى مصعِداً ، وللبلبل الشا ... دي صريخ يغني كطيف الخيال
فجرت خلفه تولول حتى ... أبصرته يغيب خلف الجبال

وتراءى الصباح جهم المحيا ... تعصف الريح فيه عصفاً قويا
فاستفاقت من نومها وهي تشكو ... ألماً كامناً ، وحزناً خفيا
أرهفت سمعها لتسمع منه ... نغمة حلوة ولحناً شجيا
لم تجد صوته ، فهبت من الرو ... ع تنادي من ليس عنها قصيا
فإذا البلبل العزيز المغني ... جمل الموت صمته أبديا
ووجت ساعة ، وفي القلب منها ... حُرقات تطوي الجوانح طيا

وجرى دمعها فأنت أنيناً ... يجمل الموت خاشعاً مستكينا
ثم راحت تضمه في حنان ... وتنادي به نداء حزينا :
أيها البلبل العزيز أما تبـ ... صر قلبي يسيل دماً سخينا ؟
كنت في هذه الحياة طليقاً ... كيف أمسيت للفناء رهينا ؟
سوف تبقى معي هنا أبد الدهـ ... ر ، وإن كنت تستثير الحنينا
سوف تحيا ذكراك في قلبي البا ... كي ، وإن كنت في التراب دفينا

لم يا بلبلي ارتضيت الفراقا ... فشببت الحنين والأشواقا ؟
ما لهذا الظلام يغمر نفسي ... فيبيد الضياء والإشراقا ؟
ما غناء الحياة من غير إلف ... يحمل القلب وانياً خفاقا ؟
سوف أبكيك طيلة العمر حتى ... يأتي الموت مسرعاً سباقا
سوف أمضي مع الحياة بقلب ... ليس يبغي من الهموم انطلاقا
كلما مرت الليالي عليه ... لم تزده إلا هوى واشتياقا

دفنته — وليس ذاك عجيباً — ... حيث قضّى حياته تطريبا
كيف ترضى بأن يكون بعيداً ؟ ... كيف ترضى بأن يكون غريبا ؟
فإذا أقبل المساء تراها ... تؤثر الصمت أو توالي النحيبا
وترى طيفه يغني مُهيباً ... فإذا قلبها ينوح مجيبا !
وإذا أقبل الصباح تراها ... تسأل الليل أن يعود قريبا
لترى حولها من الصمت والوحـ ... شة ما يشبه الفناء الرهيبا

لم تزل هكذا زماناً طويلاً ... وهي تزداد من أساها نحولا
وتنادي الفناء حتى أتاها ... عاصف الداء من لدنه رسولا
ثم جاء الفناء يسعى رهيباً ... فطواها ، وسار عنها عجولا
فثوت في مكانها حيث كانت ... تسمع البلبل العزيز الجميلا
وتلاقى الروحان بعد افتراق ... في مكان لما يزل مجهولا
ومضى عنهما الزمان ، فصارا ... قصة للوفاء ، تُروى فصولا

إبراهيم محمد نجا

صلاة

للأديب رشيد ياسين

رب أنزل على ضميري السكينه ... وقني هاجسات نفسي اللعينه
واطو ما تنشر الرغائب من جور ... وما يخلق الهوى من ضغينه
وأنر لي دربي ولا تنس عبداً ... تائهاً في الظلام يقفو ظنونه
واغتفر عثرتي فما كنت شيئاً ... غير ما شئت خالقي أن أكونه
أنا ما كنت غير رسم شقي ... أنت ظللت بالهوان جبينه
طينة صورت — كما شئت — قلباً ... مستبداً ، وعزمة موهونه ..
أعلى ما برت يداك يقاضي ... عدلك السرمدي تلك الطينه ؟!

(بغداد) رشيد ياسين



تنسيق الزهـــور

للدكتور أحمـــد موسى

ليس من الغريب أن يكون تنسيق الزهور فناً ، ولكن الغريب أن يتصور البعض أن الأزاهير وما يتعلق بتنسيقها لا يهم إلا فريقاً معنياً من الناس ؛ والحق هو أن هذا الفن الذي قد يبدو ضئيلا عند النظرة الأولى يهم كل مثقف وكل متعلم ، لأن الاستمتاع بمرأى الزهر في أكمل وأجمل صورة له من شأن الراغب في التذوق ، ولا يوجد مثقف أو متعلم لا يرغب في هذا التذوق !

والتذوق في ذاته لا يتم إلا بدراية الفن ولو في أبسط معانيه وصوره ، لذلك نعني في هذا المقال بإيضاح الموضوع بغية الوصول إلى النتيجة المرجوة التي تتلخص في فهم الوسائل والطرق التي يسير الناس عليها في تنسيق الزهور في بيوتهم وفي حجرات جلوسهم وغرف استقبال ضيوفهم ، ينظرون إليها على اعتبارها جزءاً متمماً للجو البيتي الذي ينشدون فيه الجمال .

ولتذوق جمال الزهر تاريخه القديم وتاريخه المتوسط وتاريخه الحديث ، ولكننا لسنا في مجال تاريخ الفن في هذه المرة وإنما نحن في معرض تذوق جمال الزهر نتيجة تنسيقه ؛ فإذا رجعنا إلى معابد المصريين ومقابر ملوكهم رأينا عجباً ، ففي ممفيس وطيبه ودندره وأبي دوس وغيرها مناظر تسجل افتتان المصريين بالزهر وإمعانهم في تنسيقه .

ولا يقل الحال شأناً عند الإغريق الذين اتخذوا من وحدات الزهر والنبات مادة لزخارفهم ونقوش مبانيهم ، والرومان من بعدهم لم يكونوا أقل اهتماماً من أساتذتهم .

والمستعرض للفن الإسلامي يجد فيه الكنوز الحافلة بما يسجل عشق المسلمين للأزاهير ، وفي أشعارهم القدر الكافي مما يؤيد ذلك ، وحتى في غزلياتهم كانوا يقتبسون من حسن قوام الغصن ولون الزهر صفات طبقوها على المحبوب اعترافاً منهم بما للأزاهير من جمال وبهاء .

فكأننا أمام موضوع له خطره وله قيمته ! وعليه فلا بد لنا من أن نعرف كيف نحب الزهر وكيف ننسقه ثم كيف نحافظ عليه منتعشاً أطول مدة ممكنة .

والذي يجب أن نعرفه مبدئياً أنه لا يشترط لجمال الزهور بادية في أجمل وضع لها أن تكون سيقانها موضوعة داخل زهرية جميلة في ذاتها ، أو قيمة من ناحيتها المادية ، ذلك لأن من الجائز جداً أن تكون المشكاة بسيطة التكوين قليلة الألوان ليس فيها ما يبهر النظر ، ومع هذا تكون مناسبة لإبراز معالم جمال الزهر ولفت حاسة الانتباه إليه ، وهذه مسألة فاتت الكثيرين الذين يضعون الزهر في مشكاة ثمينة رائعة الألوان ؛ فيطغى جمال الصناعة على جمال الطبيعة ، ويكون الإعجاب والاستمتاع موزعاً .

وربما كانت أبسط القواعد لمعرفة طبائع الزهر وأنواعه وعلاقة لونه بتأثيره في مكان أو ركن معين من البيت خير رائد لنا للوصول إلى الغاية .



ش١ — ري البستان ، عن صورة حائطية بإحدى مقابر طيبه — الدولة الحديثة

فما لا شك فيه أن لون الحائط خلف الزهرية ولون المائدة وكذلك لون الزهرية نفسها ، كل هذه الألوان متجمعة تلعب دوراً هاماً في إظهار الورود والزهور في أجمل صورة وأقوى وضع لها ، أو على النقيض تبعد النظر عنها وتضعف من قيمتها .

هذا إلى جانب الدور العظيم الذي يلعبه الضوء بقوته حيناً وضعفه حيناً آخر ، إلى جانب وقوعه على الزهر مباشرة أو انحرافه عنه .

وإذا كان لون الحائط والمائدة ، والنور وزاوية وقوعه على الأزهار ذات أثر بالغ ، فما لا نزاع فيه أن مساحة الحجرة ومساحة المكان المخصص للأزاهير لا يمكن إغفالها ، وهذا معناه أنه لا يجوز وضع مجموعة كبيرة من الزهور في حجرة صغيرة والعكس بالعكس .

وعلى ذلك تكون القاعدة الأولى هي التنسيق والتناسب مع المكان وليست غنى المظهر ، وأنت تعلم أن شقة حجراتها معدودة في نظام فني ، خير من مبنى متسع الأرجاء لا نظام فيه ولا ارتباط بين أثاثه .

وربمـا كان من الضرورى أن نذكر أنه لابد من اختيار الأزهار ذات الألوان المنسجمة مع طراز الأثاث ولونه ، وهـذا القول وإن بدا على شيء من الغرابة فإنه صحيح ، فإذا وضعت زهر عباد الشمس وهو شديد الصفرة متوهجاً ، داخل حجرة أثاثها من خشب القرو وهو ذو لون باهت أقرب إلى الصفرة ، فإنك تجد هذه الزهرة الجميلة فاترة ضعيفة على الفور ، على نقيض وضع هـذه الزهور نفسها فى حجرة أثاثها من خشب الماهوجونى الداكن اللون ، على مائدة تعلوها سجادة داكنة أيضاً ، على أن تكون بالحجرة نافذة كبيرة يدخل منها نور قوى .

ولتكون سيقان الزهر وطولها قيمته الفنية ، وللسيقان وطولها علاقة وثيقة مع الزهرية ، فلا ينبغى وضع أزهار ذات سيقان رفيعة قصيرة فى مشكاة طويلة واسعة .

وليس من الغريب أن يكون قانون التماثل أو التناظر أو ما يسمونه « قانون السيمترى » باطل الأثر بالنسبة إلى فن تنسيق الزهور ، بل إن الخضوع له وتطبيقه يؤديان إلى التقليل من الجمال المظهرى لها ، لما ينطوى عليهما من وجوب وضع زهريتين متشابهتين فى مكانين متقابلين وما يؤدى إليه هذا من التكرار الممل

ولكل وقت من أوقات النهار ما يناسبه من الزهر ، فعلى مائدة الإفطار ذات المفارش الخاصة بها يمكن وضع زهر الجرونيا أو منقار الغرنوق Geranium والأقحوان أو كحلة الجنائن Calendulas والتيولب أو الخزامى Tulips والنستوريوم أو زهر أبو خنجر Nasturiums ، وهى أنواع إذا نظرت إليها وجدت أن تأثيرها على المشاهد ينحصر فى وضعها متقاربة غير منثورة فى الزهرية ، على حين يناسب مائدة الغذاء خليط من مختلف ألوان الزهر يوضع فى زهرية واطئة أشبه شيء بطبق ، بحيث لا يحول بين وجوه الجالسين حول المائدة ، هـذا فضلا عن عدم قابلية الطبق للسقوط على المائدة أو ميله على أحد جوانبه عند أقل حركة أثناء الجلوس أو القيام . أما الأزهار اللائقة لمائدة العشاء فهذه تكون عادة ذات أغصان طويلة رقيقة تمتد رؤوسها إلى أعلى وليس إلى اليمين أو اليسار فيتخللها النور الساقط من المصابيح المثبتة بسقف الغرفة فتبدو فى أروع مظهر ، على أنه لا ينبغى أن تكون متعددة الألوان ، ولعل الورود أحسن من غيرها فى هذه الحالة .

ومما لا ينبغى الوقوع فيه وضع بعض الأوراق أو الأغصان على المفرش سواء أكان العشاء لأصحاب البيت أو لزائريهم . وقد رأينا البعض يضع لوحاً من البلور أو زهرية أمام مرآة المشجب وهذا لا غبار عليه ، ما دامت الأزهار لا تمتد كثيراً إلى أعلى فتحجب المرآة . ولون الزهرية وموضوع اختياره من المشاكل الجديرة بالدرس ، فالثابت أننا إذا نظرنا فى ضوء الشمس الساطع إلى الأزهار ذات اللون الأحمر والأزرق والأصفر وإلى جانبها جميعاً اللون الأخضر وهو لون الورق والأغصان والحدائق والحقول ، فإنها عندئذ تبدو فى حالتها الطبيعية ، حالة كونها تبدو على نقيض ذلك فى النور الخافت نهـاراً والضوء الضعيف ليلا ، ونجد أن لونها ليس طبيعياً ، وعلى ذلك يجب مراعاة هـذه العوامل عند التنسيق . واللون الأصفر مما يناسب معظم الحجرات والأماكن ، وهذا هو السر فى أن معظم العارفين يتخيرون الكالندولا أو كحلة الجنائن فى غالب الأحوال ، على حين نجد أن الزهور الزرقاء مجردة عن رونقها فى الأركان القليلة النور ، وهذا لا يمنع من اعتبارها جميلة ذات تأثير محبب إلى النفس متى وضعت بالقرب من شباك يدخل منه النور القوى ، أما فى الليل فهى تفقد رونقها وتبدو كالحة اللون رمادية أو سنجابية .



ش ٢ — سيدة جالسة إلى جانب شباك كما المنسق بالأغصان والأزاهير

على أن أوراق الشجر وأغصان الزهر تلعب دوراً هاماً بوضعها إلى جانبها ، فالالتفات إلى إيجاد الانسجام بين هـذه الأوراق

والأغصان وبين الأزهار نفسها أمر لا مناص منه . فوضع الورق الأخضر الداكن إلى جانب الأزهار الباهتة يميت لونهـا ، كما أن وضع الورق الباهت إلى الزاهى من الأزاهير يضعف من رونقها وكأننا أمام قاعدة ثابتة تتلخص فى وضع اللون السمنى إلى جانب الأحمر الداكن ، واللون الأبيض إلى جانب الرمادى . واللون الوردى إلى جانب الأبيض !

ومما لا يحتاج إلى بيان أن ذوى الذوق الجميل يجدون الفرصة مواتيـة للتصرف حسب ما يمليه الذوق عليهم ، فتكون لديهم المقدرة على حذف زهرة وإضافة أخرى أكثر انسجاماً . هذا إلى جانب مايكتسبه المرء من المران والاختبار للوصول إلى الغاية المثلى .

مما تقدم يمكن أن نصـل إلى القول بأنه إذا أريد تنسيق بعض الأوراق الخضر مع الزهر الأحمر والأصفر والأبيض فإنه يجب والحالة هذه الاعتناء التام باختيار الوضع الملائم لـكل منها فى الزهرية ، ذلك لأنك إذا وضعت الأزاهير الحمراء حول المجموعة تجد أن النظر لا ينتقل منهـا إلى الأزاهير الداخلية بل ينصرف عنها إلى خارجها لشدة لونه وقوة شخصيته .



ش ٣ — أنموذج للانشاء الفنى لتنسيق الزهر

ومن بين الأزهار ما يبدو فى أجل صورة له عند ما يكون مستقلا قائماً بنفسه إذ استغنينا بضع أوراق خضر تمين المشاهد على التركيز النظرى . والزهور كائن حى رقيق الحس ولذلك لا مناص من معرفة بعض القواعد عن كيفية قطفها ومعاملتها والمحافظة عليها أطول مدة ممكنة فيطول بذلك أمد الاستمتاع بها .

فأنسب وقت لقطفها وقت بزوغ ألوان الفجر أو عند الصباح الباكر وقتما تكون قطرات الندى قد رصعت تيجانها وبدت فوقها كحبات اللؤلؤ . أما القطف فلا يكون كما اتفق بل نلاحظ فيه أن تكون السيقان طويلة بقدر الإمكان ليمكن تنسيقها حسب الإرادة ووفقاً لعمق الزهريات التى ستوضع فيها والأوانى المخصصة لها.

كما ينبغى عدم تجريدها كلية من أوراقها تمهيداً لتنسيقها . والقطف لا يكون قاصراً على الزهور المفتحة فحسب بل يجب أن يشـتمل على درجات النضوج الثلاث وهى بدء التفتح وتوسطه وكماله ، كما أن من الأوفق كثيراً استخدام القص المخصص لهذا الغرض أو على الأقل استعمال سكين حادة ، على أن يكون القص أو القطع مائلا كثيراً بقدر المستطاع وليس قصاً أو قطعاً أفقياً وذلك لتمكين ساق الزهر من امتصاص الماء وهو غذاؤه داخل الزهرية .

وأول عمل تجريه عنـد وصول الزهور إلى البيت هو غمرها فى الماء البارد داخل إناء كبير يتسع لها دون ثنيها أو كسرها بحيث يصل الماء قمة العنق ، مع تركها بعض الوقت بحالتها هذه فى مكان قليل النور رطب الهواء بقدر المستطاع .

ولا يتسع المجال لذكر كل أنواع الزهور ومعالجتها بالوصف الخاص — والإجمال لا يخل بالموضوع ما دمنا نستعرض أكثر الزهور استعمالا ، فزهر الخنجر Gladiolus يقطع بمجرد بدء الزهرة الثانية على الساق فى التفتح ، لأن البقية تتفتح بعدئذ فى ماء الزهرية خلال الأسبوع الذى تعيشـه فى البيت . وعند ما يلاحظ أثناء تغيير المـاء — وهو أمر لازم يومياً — أن نهاية السيقان قد أصبحت لينة لزجة ، فإن الضرورة تقضى بقص هذه النهاية بعد عصر الساق .

أما زهرة الداليا Dahlia فهى من الزهور الطويلة العمر إذا قطفت عند ما يقرب تفتحها من الـكمال ويكون القطف فوق الوصلة مباشرة حتى تكون الساق مفتوحة من أسفلها ، فلا تقابل الماء عقبة أثناء مروره للتغذية .

وفصيلة السوسن أو الزنبق Irises تقطع عند ما يبدأ أول زر فى التفتح ، وذلك لأن التى قد تفتحت يوماً أو يومين قبـل القطع تكون قصيرة العمر .

والورود تقطع بسيقان طويلة بقدر الإمكان ، بعد ترك جزء

من سـاقها فى الأرض لاستكمال نموه . ويضع بعض المغرمين بالأزاهير قطعة من الفحم النباتى فى قاع الوعاء ليكون الماء عذباً أطول مدة ممكنة . وهناك فريق يضع قرصاً من الاسبرين لإنعاش الزهر . وغير هؤلاء وهؤلاء نجد من يمزج فنجاناً من السكر على لتر ماء توضع فيه زهور الكريزانتيم فتظل حافظة نضارتها أسبوعاً كاملاً .

أما ضرورة قص أطراف السيقان يومياً إكمالاً لعملية تغيير الماء فهذه مسألة يعرفها معظم الناس ولكن هناك ما يدعو إلى التنبيه وهو أن عملية القص يجب أن تجرى تحت حنفية الماء مفتوحة يتدفق ماؤها على السيقان حتى يحول هـذا العمل دون دخول الهواء إلى سـاق الزهر فيقضى عليه . ولا يصح وضع الكثير من الزهور فى زهرية ضيقة العنق لأنها بهذه الكيفية تختنق إذلا يمر الهواء من بينها ولا يستطيع الماء الوصول إلى قممها .

وأنواع الزهريات كثيرة وألوانها متباينة وطرزها بين قديم وحديث لا حصر لها ، فالعبرة بحسن الاختيار والتفرقة بين ألوان الزهر وبين ألوان الزهريات ووضع ما يلائم واحدة منها فى مكانها المناسب لها . وكلما كانت الزهور رقيقة كانت الأوعية الزجاجية الرفيعة أكثر صلاحية لها .

والفن داخل البيوت موضوع قديم عند كل الأمم المتمدينة وإن يكن حديث عهد فى بلادنا ، وهو فى وقتنا الحاضر يتلخص فى البساطة والبعد عن الزخرفة والزركشة والازدحام ، مما أدّى إلى الاستعانة بالزهر على تجميل البيوت ، التى إن عرفنا كيف نجملها لما احتملنا البعد عنها .

ويستعين العارفون بما يسمونه « الماسك » أو القابض على سيقان الزهر للربط بينها لتظل فى وضعها المرغوب ، وغير هـذا توجد قطع مستديرة من البلور ذات ثقوب ، وهذه القطع توضع فى قاع الزهرية التى تكون عادة متسعة العنق أو على هيئة طبق ذى قطر كبير ، وذلك لتثبيت السيقان فى أوضاعها المختارة بوضع نهاياتهـا السفلى فى تلك الثقوب . ويلعب الرمل النظيف دوراً هاماً فى المساعدة على تنسيق الزهر ، فبوضعه فى قاع الزهرية يعين على التثبيت ، فضلا عن أنه لا يعوق وصول الماء إلى السيقان لتغذية الزهر الذى يكون غالباً من النوع الرقيق القصير كزهرة البانسى Pansies والفيوليا ويسمونهـا زهرة الثالوث وهما من فصـيلة البنفسج ، وزهرة الزعفران Crocuse وزنبق الوادى Lillies Of The Valley . على أنه لا ينبغى أن يبـدو الرمل ظاهراً أمام عينى المشاهد .

ومما نحسد عليه بلادنا العزيزة أن الزهر لا ينقطع طوال أيام العام على حين تجده فى أوربا نادراً لا سيما فى الشتاء القارس . والعقبة التى تصادف هواة الزهر فى الأقطار الشرقية هى سرعة ذبوله فى الأوقات الحارة ، ولـكنا إذا عالجناه كما ينبغى أمكن البقاء عليه مدة كافية .

وكقاعدة عامة نقول أنه كلما قل الزهر عدداً وحسن تنسيقه كلما كان مظهره بسيطاً جميلا . والعجيب أن نجد الفنان اليابانى يأبى إلا أن يسير على هذه القاعدة ؛ فتراه حتى فى لوحاته المصورة لا يأبه إلا بغصنين أو غصنين تملو كلا منهما زهرتان ، يصورها فى أروع ما يكون من الجمال وحسن التنسيق وإبداع الإنشاء الفنى



ش ٤ — حجرة الطعام وقد ازدانت بمجموعات ثلاث من مختلف الازاهير

وإذا كان القارىء من المحظوظين الذين يمتلكون بستاناً ، فإن عليه أن يختار الأغصان ذات الانثناءات ، فهى فى الزهرية تكون رشيقة كالحسناء ذات القوام المشوق ، وتبدو الأغصان مائلة بعضها نحو بعض كأنها تتحدث حديث حب وغرام .

فأغصان الرمان المزهر وأغصان الليلك (لعلى) Lilac والـكمثرى لها تكوين ساحر خلاب يحمل أزاهير يانعة رقيقة إن تأملتها عن كثب زدت إعجاباً بقدرة الخالق وعلمت بأن الطبيعة هى أم الفن وأننا مهما أوتينا من العلم فلن نصل إلى قطرة من ذلك الخضم اللانهائى

أحمد موسى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أحاديث الرهبان في قصص العريان :

دأب الأستاذ محمد سعيد العريان ، في قصصه التاريخية ، على اللجوء إلى ما يرجى عنده معرفة الحوادث قبل وقوعها ، من التنجيم وأحاديث الرهبان ، واستخدم الأحلام استخداماً غير طبيعي ، وقد تعقبته في هذه النقطة بالرسالة غير مرة ، ففي قصة « قطر الندى » جعل المربية العجوز تحلم وتموت دون أن تفضي إلى أحد بحلمها ، وذكر تفصيل الحلم ! وفي قصة « شجرة الدر » أنطق المنجم بما وقع فعلا ! وصنع شيئاً من ذلك في قصة « على باب زويلة » .

وأخذت عليه كل ذلك ، وقلت فيما كتبته عن « شجرة الدر » : إن كان لا بد من الاستعانة بالتنجيم في تصوير البيئات والعصور التي كان للتنجيم فيها شأن وذيوع — فإني أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل .

وكأن الأستاذ أراد العناد . . . فتوسع في ذلك المجال بقصته الجديدة « بنت قسطنطين » التي حلل بها شخصية مسلمة بن عبد الملك وما أحاط به من ظروف وسبب عدم توليته الخلافة على رغم جدارته بها ، وصور فيها البطولة العربية وجهادها الرائع بين سواحل الشام وثغور الروم ، فبلغ الغاية في التحليل والتصوير .

فإنه لم يكد يمضي في هذه القصة حتى ساق رجلين من أبطالها ، هما مسلمة والنعمان بن عبيد الله أحد المجاهدين ، إلى راهب بأحد الأديار ، وكان مسلمة يعد العدة لفتح القسطنطينية ، فيقول له الراهب فيما يقول : « يدنو (يعني مسلمة) حتى يكون قاب قوسين ، فيقف بين بين ، ثم يفلتها بعد الأين ؛ بينه وبين ما يأمله مئتان ومئتان وثلاثمئة ؛ ثم يكون ما أراد ، حين لا متاع له بشيء من ذلك الزاد ، إلا عين جارية ، وسيرة باقية ؛ ويذكر أبو أيوب ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مراد ! . . »

ثم يحاصر مسلمة القسطنطينية حتى يكاد يفتحها ، ولكنه « يفلتها بعد الأين » وبعد سبعمائة سنة (٢٠٠ و ٢٠٠ و ٣٠٠) يفتحها محمد بن مراد العثماني !

وليس هذا وحسب ، بل ينبىء الراهب عما يقع من الحوادث في القصة بعد ذلك ، ويكون حديث الراهب محوراً يدور عليه الحوار فيما يأتي بعده .. ويتصل بهذا المحور محور آخر ، هو تلك الرؤيا العجيبة التي رآها مسلمة والنعمان في وقت واحد وفي طريق واحد وعلى صورة واحدة (كنسختين بالكربون) !

والأستاذ العريان يتخذ ذلك ، لحبكة السياق ، ولإبراز الخواطر التي تختلج في نفوس أبطال القصة ، ولبث بعض الطلاوة في الحوار . ولا أثر لذلك الصنيع في القصة غير هذه الأغراض وما يشبهها ، أما بناء القصة فهو قائم بغير طلائه ، وحوادثها جارية لا يعوقها منه شيء ؛ وقد يتأتى للأستاذ أن يحقق تلك الأغراض ، من حبكة السياق الخ ، من غير تلك الخرافات ... وأما أسأله أخيراً : هل يعتقد صحتها ؟ ولا أنتظر منه جواب هذا السؤال فهو معروف ، وإذن فلم يحشوها ، كأنها حقائق مسلم بها ، في قصص مؤلف من وقائع الحياة فيما مضى ، وتخيل ما يماثل هذه الوقائع ؟

وغاية ما أرجو أن يخلو من ذلك ما يؤلفه بعد من هذه القصص التي يجلو فيها التاريخ في صور من الفن الممتع . وأنا لم أتعب من تعقبه ، ولن أتعب ما أمهلتنا الحياة .

الجيل الجديد :

تلقيت كتاباً من الأديب صبري حسن علوان ، فأذكر أولا أنني اغتبطت بما تضمنه من الثناء على « الأدب والفن » ولا داعي للرياء ...

وأقول ثانياً إنني استبشرت به ، لأنه يعزز أملي في الجيل الجديد على الرغم مما يبدو من عوامل اليأس . وصبري طالب في الجامعة قد « عدت له عجلة الحياة من السنين ثمانية عشر ولما تتم دورتها الأخيرة » وهذا نص تعبيره في كتابه . وقد حدثني في بعض

الموضوعات الأدبية حديثاً يدل على فطنته وحسن تذوقه ، كما يدل على أن الجيل الجديد — إن كان لصبرى أمثال كثيرون - مفتح عينيه لما يجرى الآن فى الحياة الأدبية ، فهو يقول إنه يقرأ «الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية فيرى فيها شيئاً لا يرتاح له . نعم إن النشر ليس مقياس الجودة . ولكن الذى يستحق التنويه أن الأسماء التى لها سابقات فى الأدب والفن تأتى بالغث المزيل الذى تأباه الأذن وتضيق عنه القلوب .. ! »

وأفسح قليلا لهذه الملكة الناقدة المتفتحة ، فأنقل النقد الآتى بنصه كما جاء فى ذلك الكتاب :

« ومن الأسماء المشهورة ما قاله أحدهم عن « ذكرى شهداء فلسطين » فى جريدة الأهرام .

لسنا بمن يذرى الدموع على الدم بـل نحن أبناء المنايا فاعـلم

كأنى به فى كتاب من كتب العلم القديمة يقول مؤلفه : فاعلم وفقك الله أن ... وأن ... والله أعلم !

ثم يقول بعد أبيات :

ظلم (اليهود) الناس ثم تظلموا منهم فن للظالم المتظلم ؟!

إن قلبى الذى كان يتوقع النور من الفن أحدق به الظلام حتى إنه تظلم إلى الأدب والفن .. من تكرار الظلم المرذول . إنه يخيل إلى أن كلمة « ظلم » هذه تمن على اليهود بشىء من الرحمة والرأفة »

وقد تلقيت عدة رسائل يشكو أصحابها من « عدم النشر » وكل ما عندى فى هذا الموضوع قلته فى العدد (٧٩٠) من الرسالة غير أنى رأيت بعضهم كالأديب كيلانى حسن سند « يتواضع » فيفرض أن من لا ينشر له جهل نفسه فرقمه حب الشهرة إلى معالجة فن لا يحسنه ، ويقول : « ألم يكن من الخير له وللأدب أن ترشدوه وتوجهوه وتعرفوه حقيقة المنبع الذى تفيض به نفسه ليستغله وينتفع به؟ » .

فهل من العمل الصحفى — فى الأدب وفى غيره — أو هل من مهمة الكاتب ، الإرشاد الشخصى ؟

نعم إن الكاتب يتناول الظاهرة العامة ويكتب فيها للجميع ، أما أن يتناول الأفراد واحداً واحداً فيوجه هذا ويرشد ذاك ، فهذا من عمل المدرس الخاص ، وأظنك وقفت فى الأسبوع الماضى على رأيى فى الدروس الخصوصية ، ولعل المطالبة بالإرشاد من آثارها ..

والذى لا يعرف أين يتجه ، مما يقرأ ويشعر ويلاحظ ، فليرح نفسه .

وبعد فإن قلبى مع هؤلاء الشباب وإن كنت لا أستطيع لهم شيئاً .

دراما وكوميديا :

انضم الأستاذ يوسف وهبى بك أخيراً إلى الفرقة المصرية مديراً لها ، وهو بلا شك ممثل كبير ومحبوب لدى الجمهور ، وانضمامه للفرقة كسب لها ومدعاة لإنهاض المسرح المصرى من الغفوة التى طالت مداعبتها لأجفانه .

ذلك كله لا شك فيه ، وقد استبشر محبو المسرح بالنشاط الذى أبداه يوسف وهبى فى مفتتح هذا الموسم ، ولكن ذلك اقترن بحركة دعاية واسعة ظفر منها يوسف وهبى بنصيب الأسد ، فقد ملأت أحاديثه الرنانة أنهار الصحف والمجلات ، وعاد النقاد من زياراته يكتبون الفصول فيما يوشك أن يقع من معجزات الفن ولم يكتف هو بذلك ولا بالإعلانات التى نشرت فى كل مكان وقد تضمنت أن يوسف وهبى يقوم فى رواية « سر الحاكم بأمر الله » بدوره التاريخى العجيب ، فرأينا بالصحف فصلا يتضمن نبأ افتتاح الفرقة موسمها ، موشى بتمجيد بطل الرواية مدير الفرقة فى دوره العظيم ، وقد نشر فى عدة صحف بنص واحد .

ولو أن الأستاذ يوسف صاحب فرقة خاصة لكان له أن يعلن عن نفسه كما يريد .. ولكن الفرقة المصرية لها كيان مستقل ، وهو موظف فيها ، والمال الذى ينفق فى الدعاية من خزانتها ؛ فأين هى وما نصيبها من كل هذا الطبل والزمر ... ؟ ولنفرض أنه تركها وقد طغى عليها بالدعاية لنفسه ، فكيف يكون حالها ؟

هذه هى « الدراما » أما « الكوميديا » فهى أن الأستاذ يوسف وهبى معروف بظهوره فى الأدوار المنيفة وتمثيل الشخصيات الكبيرة ، فيخطب ويبطش ويكتسح ... وهذه الطبيعة متأصلة فيه ، ومما يدل عليها أنه لما جاء إلى الفرقة المصرية جعل يبحث فى محتوياتها حتى عثر على رواية (مركونة) كانت قد فازت فى مسابقة قديمة ، وهى رواية « سر الحاكم بأمر الله » فوافقت هواه ، إذ رأى فيها ما يوصله إلى القمة ... فطالما كان زعيما وعبقريا

ومصلحاً كبيراً ، ولكن كل ذلك كان فى حدود « البشرية » أما فى هذه الرواية فيمثل الحاكم بأمر الله الذى ادعى الألوهية ... وهكذا يصل الممثل الكبير إلى نهاية الخط ...

المشاكل الدولية :

كانت الإذاعة تقدم مساء الأحد من كل أسبوع ، الأستاذ محمد رفعت بك : ليعقب على الشؤون الدولية فى سلسلة أحاديثه « مصر تطل على العالم » وقد رؤى أخيراً أن يتناوب معه فى الحديث عن هذه الشؤون الدكتور محمد عوض محمد بك أسبوعاً بعد أسبوع .

وقد بدأ الدكتور عوض بك يوم الأحد الماضى ، فتحدث عن المشاكل التى تشغل بال مصر وبال العالم فى هذه الأيام ، فتناول أولا مسألة فلسطين من حيث غدر اليهود فى الأسبوع الماضى بحشد قواتهم فى الجنوب ومحاولة الهجوم على الجبهة المصرية ، فقال إنهم أرادوا بذلك أن يستولوا على جنوب فلسطين، فإن تم لهم ما أرادوا زحفوا شمالا . ولكن القوات المصرية أحبطت خططهم وحطمت آمالهم فردتهم على أعقابهم خائبين مدحورين . وقال إننا نستخلص من ذلك أمرين ، الأول أن ما يهولون به من استعدادات اليهود وقوتهم ليس بشىء إزاء القوة العربية ، فقد جمعوا كل ما أمكنهم جمعه فى هذه المعركة فلم يستطيعوا شيئاً . الأمر الثانى أن اليهود سيدأبون على الغدر فيجب أن نعمل حساب غدرهم فى كل وقت ؛ وهم يعلمون أن هيئة الأمم المتحدة لن تستطيع أن تمنعهم ما دامت غير مستندة إلى قوة عسكرية ، والأمم الغربية لا ترضى أن تبعث إلى فلسطين بقوة عالية فيها روسيون .

ثم تحدث عن مشكلة برلين ، ومما قاله فيها إن الدول الغربية لما لم تستطع الاتفاق مع روسيا عرضت الأمر على مجلس الأمن ، ومعنى ذلك أن الدول الكبيرة عجزت عن التفاهم فاحتكمت إلى الدول الصغيرة . .

وبعد أن تحدث عن مشكلة إضراب العمال فى فرنسا ، لم يفته فى ختام الحديث أن يهنىء هيئة الأمم المتحدة بعيد ميلادها الثالث ويتمنى لها أطيب التمنيات ... وقد نطق هذه العبارات الأخيرة بنبرات صوت تدل أبلغ الدلالة على انصراف القلوب عن هذه الوليدة الكسيحة ..

مسابقة المجمع اللغوى الجديدة :

وافق مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسة يوم الاثنين الماضى — على نظام المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ الذى وضعته لجنة الأدب ، وتشمل هذه المسابقة البحوث الأدبية والقصة ، ولم يدخل فيها الشعر كما كان فى مسابقات السنوات الماضية ، إذ رأت اللجنة إبعاده حتى يجد فى آفاقه ألوان جديدة. وقد جعلت مسابقة القصة لجميع أدباء العرب ، وخص بالبحوث الأدبية أدباء وادى النيل ، وقد عدل هذا التعبير بعد أن كان « أدباء مصر والسودان » على أثر مناقشة طريفة قيل فيها إنه لا ينبغى أن يتوهم متوهم أن السودان قطر آخر منفصل عن مصر كما أن فى شمول المسابقة لأدباء وادى النيل توكيداً لمعنى الوحدة ، وكان ذلك بمثابة تحية للعضو السودانى الزائر الذى حضر الجلسة وهو السيد عبد الله عبد الرحمن الأمين .

وقد خصصت للبحوث الأدبية ستمائة جنيه ، مائتان لكل بحث من البحوث الآتية :

١ — أحسن تحقيق لكتاب عربى قديم وضع على أساليب النشر الحديثة سواء طبع أم لم يطبع .

٢ — أحسن دراسة لرفاعة بك الطنطاوى وأحمد فارس الشدياق ومحمد قدرى باشا وأثر كل منهم فى وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

٣ — أحسن بحث فى نقد الشعر العربى من منتصف القرن التاسع عشر إلى الآن ، ولا يدخل فى ذلك نقد الشعراء الأحياء .

وخصص مائتا جنيه لقصة تدور حول أحد الموضوعات الآتية:

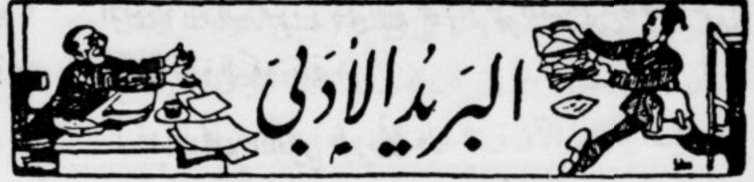
١ — بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب .

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

وسيذيع المجمع بعد قليل بياناً للمسابقة يتضمن شروطها ومواعيد التقديم وما إلى ذلك .

عباس خضر



انت في واد وأنا في واد:

عاد الأستاذ أحمد عادل يرغبني بالإسلام ويحببني به بانتقاد الإنجيل ، ثم بتسفيه بعض أقوال المسيح ، ثم بالطعن بالنصرانية ثم بالتقريع بزعماء النصارى — ذلك في رسالة لي منه أشغلت ١٢ صفحة ، ومن أصعب الأمور قراءة خطها السقيم . وفي النبذة التي نشرتها « الرسالة » لي قبل العدد الماضي أفهمته بالمعقول وبالمفتوح أن ديني يمتاز على جميع أديان البشر بأنه يقال بكلمات معدودة : الله محبة ، وهو يأمرنا بأن نحب بعضنا بعضاً ، وأن نسامح بعضنا بعضاً ، وأن نغفر لمن أساء إلينا . هذا هو الدين الإنساني العملي الذي لو عمل به كل فرد من الأنام لما وجد من يضربك على خدك الأيمن لكي تحول له الأيسر ، ولا وجد من يسيء إليك لكي تسامحه وتغفر له ، ولو صار كل الناس من هذا المبدأ وساروا عليه لانتفت الخصومات من العالم وتعطلت المحاكم وأقفلت دور الشرطة وانطفأت نيران الحروب .

هكذا أعتقد ، وهكذا أجتهد أن أسلك في هذا العالم المملوء آثاماً وشروراً ، فلو فهم الأستاذ جيداً هذا لما جعل يجادلني في الدين ، ولفهم أني لست نصرانياً ولا مسلماً ولا بوذياً ولا مجوسياً ؛ بل أنا مسيحي بحت ، وديني دين إنساني يصلح لكل أمة وكل قبيلة من الناس !

وليعلم الأستاذ أحمد أن الأناجيل لا تريه صورة خالية من الشوائب عن يسوع وحياته وتعاليمه .

وكنت أظن أني والأستاذ أحمد نعتقد عقيدة واحدة إذا جردنا الدين من الترهات والخرافات ، والمعتقدات المخالفة للمعقول فإذا هو في واد وأنا في واد ، فلا محل للجدال في الدين بيني وبينه وعسى أن تكون هذه الكلمة مقنعة له ، وتغنيه عن تسويد الصفحات في دعوته لي إلى الإسلام .

أرجو أن يعلم بعض القراء عنواني إذا كانوا يجهلونه حتى لا يزعجوا إدارة مجلة الرسالة بتحويل رسائلهم إلى : ٢ شارع البورصة الجديدة . القاهرة

نقولا الحداد

حسين شفيق المصري :

(كتب أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في وصف هذا الصحفي القدير ، وكان قد كتب هذه الكلمة منذ ربع قرن يقرظ بها جريدته « الناس »)

(المنصورة) محمود أبو ريه

الأستاذ حسين شفيق المصري الذي يمتع الأمة بهذه الصحيفة (جريدة الناس) ماجن ظريف ، لو تقدم به الزمن لتهاداه الملوك والأمراء ، فقام على بساط منشداً ، وجلس على آخر نديماً ، وتقلب على ثالث مضحكا ، وعربد على رابع ، وجلد على خامس — ولعل الله أخره إلى دهرنا رحمة به أن يأمر أحد الملوك فيملأ فاه دراً بعد أن فرغ من إنشاده المعجب المطرب — ويشره هو إلى الثروة والغنى فيفتح فمه إلى أقصى الحلق فتدخل اللآلىء وتخرج الحياة .

وهذا الأديب في عصرنا إنما هو بقية فن من أبدع فنون الأدب ، كان لا ينبغ فيه إلا عقول معدودة لا تقصر في حكمة الكلام عن غاية ، ولا تتخلف في ظرف البلاغة عن شأو ، ولا تجيء بما تأتي به إلا على الأسلوب الذي يهز النفس من طرفيها ، كأن الله قد وهبها سر القدرة على ما يسر وما يؤلم فلا تتناول معنى إلا انشق لها عن فنون غريبة تهديها إلى ما فيه من الضحك الذي لا ينكشف إلا للنفس الشاعرة ، والتهكم الذي لا يظهر إلا للنفس الحكيمة ، والمزاج الذي لا يبدو لغير النفس الظريفة . وما الشعر والحكمة والظرف إلا أسرار ذلك الأسلوب النادر الذي لا ينقاد إلا لأعقل العقول متى أريد به استخراج المعاني المجنونة من الطرب .

فالبلاغة الظريفة الماضية التي بعضها من سياسة وخز الإبر ، وبعضها من سياسة الظهر والعصا ... قلما تستجيب إلا للعقول المبتكرة التي خلقت متسلطة على النفوس من أقرب جهاتها ، وهذه العقول لا تسرف القوة الأزلية في خلقها ، بل هي حين ترحم الناس بها ، فتجعلها قليلة نادرة . وإنك لتجد أهنأ الضحك ذلك الذي ينفجر من القلب ولكنه إن طال انفجر القلب ، ولست أعرف تلك العقول إلا في كبار رجال السياسة الذين يدبرون أمر الممالك ، وفي كبار رجال الأدب الذين يدبرون أمر العواطف ، وفي كبار رجال الفلسفة الذين يدبرون كل شيء ولا يدبرون شيئاً ! فمن أي أولئك نعد (حسين شفيق) هذا الذي لو تألفت من رؤوس الأدباء صيدلية لطب الكلام لكان هو (دولاب السموم)

فيها . . لا نعرف من أمثال كاتبنا هذا فى تاريخ الأدب على تقادم الزمن إلا قليلين يسمونهم أصحاب النوادر ، وقالوا إن المشهورين منهم : ابن أبى عتيق وأشعب وأبو الغصن وجحا وأبو العبر وأبو العنبس وابن الجصاص ومزيد المدنى . وهم ثمانيـة ، فإذا توسعنا وأضفنا إليهم الشعراء الماجنين أبا الرقعمق وصريع الدلاء وأبا الحكم الجاهلى والأسطرلابى وابن حجاج ، فلا نكون قد زدنا فى القليل إلا قليلا ، فإذا استقصينا بغاية الاستقصاء وعممنا عليهم بأصحاب الأجوبة المسكتة كأبى العيناء ونظرائه ، فلا نزال حيث كنا . ولايذهبن عنك أننا لا نعد إلا المشهورين الذين أوتوا ملك النادرة لا بالرقاعة والحمق ، ولكن بالأدب والبلاغة والشعر والحكمة وتوجيه كل ذلك إلى الجهة الضاحكة المسفرة من الحياة

ثم إن لهذا الأديب بعد ذلك فضلا كثيراً على العربية إذ يمكن لها بين قرائه من العامة وهم ألوف كثيرة ، وينشر الفكاهة بمقالاته القصيرة فى أذواقهم وألسنتهم . ولا سبيل إلى إحيـاء العربية فى هذا العصر إلا أن نجعل العامة أشبه بالعرب الملوحين لا ينكرون الفصيح ولا يأبونه لمكان طباعهم وإن كانوا لا يستطيعونه على وجهه لمكان ألسنتهم .

(فجريدة الناس) صحيفة من الصحف ولكنها مع ذلك ناموس اجتماعى عظيم دائب فى ترقية الطباع والأذواق ، ولو أن لها من القراء عدد من عندنا من العامة لكان ذلك من فضل الله علينا وعلى (الناس) .

مصطفى صادق الرافعى

تعليق وتحقيق :

اطلعت فى عدد « الرسالة » ٧٩٨ على ما كتبه الأستاذ الداغستانى عن (شعوب القوقاز) ، فرأيت أن أنقل كلمات فى الموضوع من تعليق للعلامة العبقرى الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى (ترجمة دائرة المعارف الاسلامية) العدد ٩ ج ٦ ص ٣٤٥ :

إن الكتب المؤلفة فى القوقاس والقوقاسيين إلى الآن غير كافية ولا شافية فى الاطلاع على جلية أحوال تلك البلاد وأهليها لأن أمم جبل القوقاس كانوا أقوياء أشداء لا يسمحون للأجانب أن يطأوا أرضهم وديارهم ، ولا أن يتوغلوا خلالها بعلة إجراء بحوث علمية ، واستمر ذلك إلى سنة ١٩٢٧ هـ عام انهزامهم النهائى بعد حروب دامت نصف قرن ، ولم تمض منذ ذلك التاريخ مدة تتسع لبحوث شاملة عنهم ، ولا كان هناك حافز قوى يحمل الباحثين على تجشم المشاق فى سبيل اجتلاء حقائق عن أمة باسلة قاربت حافة الفناء ، ولذا نجد كلام من يتحدث عنهم من الأجانب لا يعدو حد الحدس والتخمين إلا فى الندرة . وليس بمستبعد أن يأتى يوم يغوص فيه الباحثون على ما يتعلق بذلك الجبل ، ولا سيما لهجات القبائل التى أنجبها مهد الجنس الأبيض القوقاسى المنتشر فى بقاع الأرض ، حرصاً من هؤلاء الباحثين على تعرف صلة لغات أمم أوربة اليوم بلغات تلك القبائل القديمة .

والمعلومات الوثيقة عنهم هى ما فى بطون الكتب المؤلفة فى عهد الدولة الجركسية بمصر ، لأنها مستمدة من أبناء القوقاس مباشرة فى ذلك العهد . ثم إن لبعض الباحثين من أهل تلك الجهات بعض مؤلفات عن الجبل وقبائله تنير كثيراً من أحوال القبائل . وأبناء القوقاسيين لها أدوار تجب دراسة كل دور منها بعناية خاصة ، منها ما قبل التاريخ الميلادى إلى أقدم عهد ، ثم من أول التاريخ الميلادى إلى الفتح الاسلامى فى عهد الفاروق ، ثم القرون الاسلامية فى العهدين الأموى والعباسى ، إلى استيلاء المغول على القوقاس ، ثم صلتهم بالدولة الأيوبية ، ثم تأسيسهم الدولتين البحرية والبرجية بمصر ، ثم صلتهم بالعثمانيين قبل استيلائهم على البلاد العربية وبعد استيلائهم عليها وصلاتهم بشتى الدول فى القوقاس وغيره . وتلك مباحث متشعبة تتطلب جهوداً جبارة . ومما يجب على من يريد الإلمام بذلك أن لا يهمل المصادر الصينية وما كتبه مؤرخو الصين عن اللان والهون ، لأنه سبق للصينيين أن اتسعت رقعة حكمهم إلى الجهات الشرقية من بحر الخزر . وكذلك لا بد لمن يريد أن يعرف تاريخ القوقاسيين من الاطلاع على التواريخ القديمة التى ألفها مؤرخو بزانطة لأنها تشتمل على أخبار الأقوام الآسيوية القديمة الذين اجتازوا إلى أوربة عن شمال القوقاس أو جنوبه . وهؤلاء الزاحفون من الطريقين ما كانوا كلهم من عنصر واحد ولا كلهم أتوا من الشرق الأقصى أو من جهة الشمال ، بل كان للقوقاسيين الذين هم فى طريقهم أثر مهم فى توجيههم وقيادتهم حتى أصبحت أسماء قبائل المتزعمين على هؤلاء كأسماء لجميعهم ، وها هى اللانة من أسماء جبل القوقاس فيما حكاه ملطبرون وخونية قبيلة فرعية من القبائل الأربع للجراكسة ، والآوار قبيلة فى الجبل يقطنون فيه منذ قديم محتفظين بسحنتهم الخاصة ولهجتهم الخاصة وهم وابير اخوان فى عداد الآص .

محمد أسامة عليبة



الطــالع

قصة للكاتب الإنجليزى امبروز روبرتسن

قال له وهو يمد له طعام إفطاره — هذه رسالة لك .

— أشكرك ولكن ما الذى أعددته لى هذا الصباح ؟

— كما ترى ، بعض الكعيكات والبيض والخبز والشاى .

وجعل يتناول الطعام وهو يتساءل ، من الذى بعث بهذه الرسالة ؟ وتأمل الغلاف ، لقد حول إليه من محل إقامته السابق . من الذى يراسله فى هذه الساعة ؟ لعله أحد الدائنين يطالبه بماله من مال . أن مثل هؤلاء لا يتركون الإنسان فى راحة أبداً !

ولكنه كان قد عزم على ألا يفسد عليه شىء لذة تناوله الطعام لكم تحسن الطهى عن أيامه السابقة . وتذكر ، كان لا يعتقد أنه سيستسيغ هذا الطعام يوماً ما . ولكن ، كم كانت دهشته عندما وجد معدته قد تهيأت له واعتادت عليه .

وانتهى من طعامه ، فقرر أن يقرأ الرسالة . ففض الغلاف وقرأ :

« سيدى الفاضل — أبعث إليك بطالعك كما أردت . وقد اختصرت من المصطلحات الفلكية قدر استطاعتى ، وجعلت رسالتى قاصرة على مستقبلك .

« حقاً أنك رجل محدود . ذلك ما أثبته طالعك . وأود أن أقول إنه قل أن أجد مستقبلاً باهراً بين من أكشف عن طالعهم مثل مستقبلك . فدعنى أهنئك تهنئة حارة .

إنى شديد الأسف لتأخرى فى الرد عليك . ولكن رسالتك كانت قد وصلتنى متأخرة ، ولعل ذلك يرجع إلى خطأ من البريد .

أخيراً دعنى أشكر الفرصة التى واتتنى لدراسة مستقبلك المخلص ... أستاذ علم العرافة . »

كان قد انتهى من شرب قدح الشاى ، فأشعل لفافة بعد أن قدم غيرها للآخر ، ثم جعل يقرأ طالعه وهو ينفث الدخان من صدره .

« أن تاريخ ميلادك وهو ، ٤ فبراير كما تقول فى رسالتك تدل على أنك من مواليد برج « الدلو » تحت علامة « حامل الماء » ، العلامة الحادية عشرة من منطقة الأبراج . وهى علامة تصاعدية ترمز إلى الجيل المقبل ، الجيل المظيم .

«وأهم ما يميز مواليد هذا البرج أنهم لا يبالون بالتقاليد ، بل كل همهم ينصب فى البحث عن الحقائق . ولذلك تجدهم يتحلون بشجاعة لا نظير لها ، وعقلية مرنة متزنة . ويميلون إلى العمل جماعة ، وفى اتحاد متين .

« وهم مثاليون فى علاقاتهم الغرامية ، أسخياء فى حبهم ، يجودون بكل شىء فى سبيل ذلك الحب .

« ومواليد هذا البرج يفضلون الأعمال الذهنية ويبرزون فى أعمال الجيش والحكومة . وهم معرضون للنقد ، ولكنهم يواجهونه فى شجاعة فائقة . »

« واكتفى من قراءة هذا القدر من الرسالة . ثم أعطاها إلى الآخر ، فألقى عليها نظرة ، وأخيراً أعادها إليه قائلا — إنها لا تفيدنى فى شىء ، فأنا من مواليد شهر يوليو .

وتناول منه الرسالة وعاود القراءة » لقد اجتزت حياتك الأولى فى مشقة . ويبدو أنك الآن فى مركز حرج . ولكنك سرعان ما ستتغلب على المصاعب ، وتبدأ فى طلب ما تتمناه من الحيــاة ....

« إنك تميل إلى الناحية العلمية . والعمل الجدى فى هذه الناحية سيولد لك العجائب . لقد سبق لك أن فكرت فى ذلك ، واهتممت بالمخترعات . إن النجوم تشير إلى أنك ستقوم باختراع ما ، يغير من مستقبلك . وستأتيك الثروة بعد أن تجتاز الكثير من الصعاب . وسيأخذ منك اختراعك بعض الوقت . ولكنك

ستصبر وتصبر لأنك تدرك بأنك ستصل حتماً إلى ذروة المجد . وعند ما تعتقد أنك فقدت الأمل ويتملكك اليأس ينقلب كل شيء انقلاباً مفاجئاً في صالحك ، وعندئذ تقبل عليك الثروة ، ويأتيك الجاه .

لقد شقيت كثيراً في حياتك الأولى ، ولذلك ستحافظ على كل قرش تكسبه . وفي الحق ، فإن المال يجلب المال . وستهتم بالناحية الصناعية اهتماماً يؤدي بك إلى أن تصبح ملك الصناعة .

أما عن حياتك الخاصة ، فإن علامتك تدل على أنك في صحة جيدة . ولكنك في حاجة إلى الرياضة لتظل كما أنت . ولحسن الحظ يبدو أنك تقوم بذلك عن طريق التعود . ولكن يجب أن توجه عنايتك إلى عينيك وعنقك وقدميك والدورة الدموية في جسمك . وستنتابك بعض الأسقام وسرعان ما ستتغلب عليها . وهناك من الدلائل ما يشير على أنك ستعيش عمراً مديداً .

« وأما عن حياتك الغرامية فإن النجم يشير إلى أنك ستتزوج في خلال شهر يونيو ، وهو الشهر المفضل لك . أن حياتك الزوجية ستكون في مد وجزر ، ولكنها — على أية حال — ستغمرك بالسعادة . والنجوم تشير أيضاً إلى أنك ستكون رب عائلة وستنجب ذرية — أربعة من الأولاد — سيكون لها شأن كبير في الحياة . وستفتخر بك عائلتك ، وستعيش زوجك من بعدك ، ولكنك ستعيش حتى ترى ذريتك في أوج شبابها .

« وستسمع أثناء حياتك الطويلة عن حروب ولكنك لن تشترك وعائلتك فيها . وستتغير أحوال العالم الاقتصادية ولكنها لن تؤثر عليك .

« وعندما يحين الحين وتقابل باريك ، فالنجوم تبين أن نهايتك ستكون نهاية هادئة . أن كل الدلائل تشير إلى أنك ستموت أثناء نومك .

« وأخيراً دعني أهنئك تهنئة حارة بحسن طالعك »

وانتهت الرسالة ، وانتشرت على وجه قارئها ابتسامة فاترة . ثم أشعل لفافة أخرى ، وأخيراً ناول الآخر الرسالة قائلاً — ما رأيك في هذه الرسالة ؟

فقرأها ثم أجاب — أنها مسلية للغاية !!

***

وما أن انتهى من كلامه حتى سمعا صوت وقع أقدام تسير في الممر ، ثم فتح الباب ودلف منه حاكم السجن ورئيس حراسة والطبيب والكاهن . وخاطب صاحب الرسالة قائلاً — هل أنت على استعداد للقيام بنزهتك الأخيرة ؟

فأجابه وهو يرمقه بنظرة باردة عميقة من عينيه الزرقاوين — نعم ، إني على استعداد .

وسار وبجانبه حارسه الذي كان يلازمه في سجنه وقد أحاط بهما الركب حتى أدى بهما السير إلى فناء السجن في صباح يوم من شهر يونيو ، واقتربوا من تلك المنصة الخشبية التي أقيمت عليها ... المشنقة !!

(الاسكندرية) محمد فتحي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٨٠١ — الإثنين ٨ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 801

Lundi — 8 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٦٨ — ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبة

كنا فى سنة ١٩٢٠ نسكن حى غمرة فى شمال القاهرة ؛ وكان يساكننا فى العمارة التى نحن فيها أسر مختلفة الجنس والدين والطبقة تعيش كل أسرة منها فى انعزال عن الأخرى فلا يتلاقى الجيران إلا على السلم أو لدى الباب . وربما لقى الجار جاره فى بعض الطريق فلا يعرفه ، إلا إذا كان ممن يعلق شخصه بالذهن لسمة تميزه من سائر الناس كحسن يخترق البصر ، أو قبح يسترعى النظر ، أو شذوذ يشغل البال ... من هؤلاء الذين يدخلون فى هذا الاستثناء المعلم فهمى رزق أستاذ الدروس الخصوصية فى حى (الظاهر) ، ومدرس الدين والعربية فى مدرسة (التوفيق) ، فلا تجد أحداً من سكان العمارة ولا من قطان الحى ينكره إذا رآه ، أو لا يذكره إذا عرفه ! كان يسكن الشقة المقابلة لشقتنا ، وكانت هذه الشقة لا تفتح فى اليوم كله إلا أربع مرات : مرتين حين يغدو هو وأخوه الأصغر فى الصباح ، ومرتين حين يروحان فى المساء ، ثم لا يدرى غير الله أتغلق بعدهما على أم أو زوج أو أخت أو خادم . لا يستطيع بشر أن يعرف ذلك ، لا بالعين لأنه لا يرى إنساناً فى نافذة ، ولا بالأذن لأنه لا يسمع صوتاً فى غرفة . أما الشذوذ الذى يغرى به الطرف ويجمع له البال فهو فى شكله العجيب : كان مفرط القصر واسع البطن دقيق الأطراف أوقص العنق مخروط الوجه أخوص العين أكزم الأنف أهرت الشدقين غليظ الشارب والحاجبين . ومالى أطيل عليك الوصف ، وأنت تستطيع أن تخفف مؤونته على قلمى إذا تصورت كرة أرضية من الخشب أو من غيره قطرها متران ، وُضع فوق قطبها الأعلى وجه عليه طربوش ، وتحت قطبها الأسفل قدمان فيهما حذاء ، ثم تدلى من الجانب الأيمن ذراع قصيرة فى آخرها مذبة عاج ، ومن الجانب الأيسر ذراع أخرى فى طرفها جريدة (الوطن) ، ثم اكتسى الظهر والذراعان جاكتة كحلاء ، واكتسى البطن والساقان بنطلوناً أبيض ؛ فإذا تخيلت بعد ذلك هذه الكرة تمشى فتدب فى البطء دبيب السلحفاة ، وتخطو فى السرعة خطو الأوزة ، اجتمعت فى ذهنك صورة مقاربة للمعلم فهمى حينما رأيته لأول مرة يتدحرج هابطاً فى السلم ؛ وكان قد علم من قبل أن جاره مدرس الأدب فى الإعدادية الثانوية ، وناقل آلام فرتر هذا العام إلى العربية ، فلما أبصرنى صاعداً حيَّانى وعرَّفنى بنفسه ، ثم سألنى أن يجلس إلىَّ فى القهوة قليلا ليعرض علىَّ مسائل فى الإعراب له فيها رأى . فقلت له : ولماذا نجلس فى القهوة وبين بيتى وبيتك خطوتان إذا شئت خطوتهما إليك فى أى وقت تحدده . فقال : أفضل أن أزورك فى عشية الغد .

وفى الجلسة الأولى جرى بينى وبينه حديث فى السياسة ونقاش فى النحو تبينت من خلالهما أن الرجل طيب القلب ، وآفة الطيبة أنها تصاب أحياناً بالغفلة فتوقع صاحبها فى الزهو وتورطه فى الدعوى ؛ فهو يفخر بأنه خطأ قول الشنقيطى فى

اللغة ، وزيّف رأى اليازجى فى النقد ؟ ويدعى أن مصطفى كامل كان يستشيره فى خطبه قبل أن تلقى : وأن سعد باشا كان يسترشده فى بياناته قبل أن تنشر .

وفى الجلسات الأخر علمت أن الرجل لم يتم التعليم الابتدائى ، وأنه بحث عن مرتزق لا يضر فيه الجهل فلم يجد غير التعليم والصحافة ، فاختار التعليم فى المدارس الابتدائية ، وتخصص فى تدريس اللغة العربية ، فكان يعلمها مشاهرة فى المدرسة بجنيه ، وفى البيت بريال . ومن هذا المال اليسير ينفق على كسوته وقهوته وتبغه ، ثم يعتمد فيما جاوز ذلك على مرتب أخيه ، وهو موظف بالابتدائية فى وزارة المالية ، وعلى تدبير أخته ، وهى تخيط فى بيتها لبعض البيوت التجارية . وهو وهذا الأخ وهذه الأخت ، هم الأقانيم الثلاثة التى تتألف منها هذه الأسرة المسيحية الطيبة ؛ ففهمى هو الأب ، وشحاته هو الإبن ، وعايدة هى روح القدس ! ثلاثة أرباب وثلاثة عبيد ، كل منهم لأخويه إله بالاحترام وعبد بالحب . وثلاثتهم يعيشون على الإيثار والتضحية ؛ فالأخ الكبير قد نيف على الأربعين ولا يريد أن يتزوج لأن أخته لا تزال آنسة ! والأخ الصغير قد أربى على الخامسة والثلاثين ولا يبغى الزواج لأن أخاه لا يزال عزباً ، والأخت قد هدفت للسادسة والعشرين ، وهى تدفع الخطاب عن يدها لأنها لا تحب أن تترك أخويها عزبين .

وكل أخ يؤثر أخويه على نفسه ؛ فالمعلم فهمى يحنو على عايدة وشحاته حنو الوالد الحدب : يقوم عنهما بشؤون البيت مع الناس ، ويجلب لهما حاجة المطبخ من السوق ، ويقبل مُكرهاً أن يخصه أخواه ببعض المال لأنه بكر الأبوين ومظهر الأسرة

وشحاته افندى يؤدى مرتبه أول كل شهر إلى أخته فلا يأخذ منه إلا شهرية الحلاق . وماذا يصنع بالنقود ؟ إنه لا يركب الترام ، لأن له قدمين قويتين تحملانه إلى الديوان ثم إلى البيت ، وإنه لا يشترى الطعام ، لأنه يأخذ فطوره معه كل صباح : رغيفاً فى منديل ، وطعمية فى علبة ، أو ملوخية فى قارورة ... فإذا رجع من عمله ، تولى كنس الغرَف ونفض الأثاث وغسل الآنية . ثم يجلس بعد ذلك إلى أختـه فيدير لها آلة الخياطة ، أو يرفه عنها بأحاديث المدينة ، أو يذهب إلى التجار بالمخيط ليعود من عندهم بالقماش .

أما الآنسة عايدة فتُشبل على العزَبين إشبال الأم العطوف : تدبر لهما المنزل ، فتطهى وتغسل وتكوى ؛ وتدبر منهما الجسم ، فتقي وتُعالج وتمرّض ؛ ثم لا تكلفهما بعد لباس البيت إلا فستاناً بسيطاً كل عام تذهب به أيام الآحاد إلى القداس .

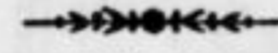
وكان مرض الواحـد مرض الثلاثة ، إذا شكا أحدهم علة شكا الآخران ألما معه . وقد حرص المعلم فهمى على أن يقيس حرارة أخويه إذا لحظ عليهما فتوراً أو سمع منهما شكوى . وفى ذات ليلة من ليالى الشتاء طرق علىّ الباب فى أخريات الليل ، فانتبهت فزعاً وفتحت فإذا هو ينتفض انتفاض المحموم وينشج نشيج الطفل . فقلت له : خير يا صديقى ، ما الذى يبكيك ؟ فقال : أختى فى نزاع الروح ، وإن حرارتها ثلاث وأربعون درجة وقد بعثت أخى فى طلب الطبيب القريب ؛ فلما أخبره أن حرارتها ثلاث وأربعون درجة أغلق الباب فى وجهه وهو يصيح : اذهب يا مجنون إلى الحانوتى ولا تضع وقتك !

قال هـذا المعلم فهمى وهو يجذب يدى حتى دخل بى غرفة المريضة ، فوجدتها راقدة على سريرها العالى ، لحافها دائر على خصرها ، ويداها مشبوكتان على صدرها ، ونفَسها يتردد هادئاً كنفَس الطفل ، ووجهها يشرق ندياً كوجه الصبح . وكان على مقربة من سريرها منضدة عليها مصباح كبير من طراز المصابيح التى كانت تضىء الصوارين فى الأعراس والمآتم قبل أن تعم الكهرباء ، فلما وقفت إلى جانب سريرها جسست يدها ومسستُ جبينها وجدت حرارتها توشك أن تكون طبيعية ؛ ولكن أخاها أرانى الميزان فوجدت زئبقه على الآخر . فنفضت الميزان ووضعته فى فم المريضة المستسلمة ثم قرأته فإذا هو سبع وثلاثون درجة ونصف ! فلما نطقت بالرقم دبت الحياة فى عايدة ففتحت عينيها ، وعاد الهدوء إلى فهمى فكفكف دمعه ، وأخذ شحاتة الدهش ففغر فاه ، وسرى النشاط من الغرفة إلى سائر البيت فقفزت من تحت الكنبة أرنب ، وقاقت من فوق المائدة دجاجة ، ونمطت من بين الفراش هرة . ولكن المعلم فهمى أراد أن يتأكد مما قلت ، فأخذ الميزان وأدناه من المصباح لضعف بصره ، ثم أخذ يقلبه وينظر ، ثم يقلبه وينظر ، حتى مضى على الميزان دقيقتان بجانب المصباح المشتعل ، ثم اهتدى أخيراً إلى الزئبق الصاعد فإذا هو فى آخر الطرف الأعلى من الميزان . فقال وهو يرتجف : أنظر ! ها هى الدرجة ثلاثاً وأربعين ! فقلت له وأنا أبتسم ابتسامة عريضة : هذه يا صديقى درجة المصباح لا درجة المريضة !

(للحديث بقية) **احمد حسن الزيات**

الخلاف على القنبلة الذرية

للأستاذ عمر حليق



قنبلتان ألقتهما طائرتان يقودهما نفر من الطيارين الأمريكان على جزر اليابان فقتل ١١٥ ألف شخص وأصيب ١١٠ آلاف آخرون بجراح مختلفة ، وزالت من الوجود معالم مدينتين كانتا تمجان بالحياة . وأصبحت كارثة هاتين المدينتين اليابانيتين (ناكى ساكى) و (هيروشيما) علماً على البعبع الذرى الذى يهدد الحضارة والإنسانية .

لم يكن وزن هاتين القنبلتين يزيد على بضعة أرطال ، ولكنهما كانتا مشحونتين بقوى متفجرة تعادل ٤٠ ألف طن من أشد الديناميت والبارود تفجراً ، وتحتاج إلى عشرة آلاف طائرة ضخمة لتنقل هذه الأطنان وتلق بها على هاتين المدينتين .

هذا تقدير للفظاعة الكامنة فى القنبلة الذرية — التى حاولت هيئة الأمم المتحدة معالجتها خلال السنوات الثلاث الماضية فلم تفلح حتى الآن .

إن مراقبة الطاقة الذرية على نطاق دولى مشكلة لا تعطيها الصحافة العالمية وألسنة الرأى العام الدولى ما تستحقه فعلا من أهمية ودراسة ، خصوصاً وإن الروس والأمريكان وحلفاءهم قد اختلفوا اختلافاً شديداً لخطورة هذه المراقبة ، ولخطورة الطاقة الذرية وما تنتجه من قنابل ومهلكات جهنمية . وسبب هذا الاختلاف لا يعود إلى عجز فى التقدير ، ولكن لأن المصالح الشخصية للدول الكبرى قد طغت على مصلحة الإنسانية والحضارة وصدّت مندوبى الدول الكبرى وصناع السياسة فيها عن تضحية منفعتهم الفردية العاجلة المؤقتة فى سبيل الحضارة والمدنية التى تهددها الطاقة الذرية وأسلحتها الجهنمية بالمحق والإبادة .

وقد أحال مجلس الأمن الدولى قضية مراقبة الإنتاج الذرى على الجمعية العمومية فى دورتها الثالثة الحالية بباريس وأردف هذه الإحالة بتوصية فحواها أن هذه القضية تحتاج إلى اهتمام خاص ومزيد من الجهد والعناية والرغبة فى التعاون والإخلاص وحسن النية .

ومن سخرية القدر فى شؤون الطاقة الذرية أن اختلاف الدول الكبرى على مراقبة الإنتاج الذرى قد حال بين الإنسانية وبين أن تستفيد إفادة لا حد لها من هذه الطاقة الهائلة التى لولا القيود على إنتاجها لاستطاعت الآن أن توجّه توجيهاً فيه خدمة للصناعة السلمية وما يلحق بها من نواحى الحضارة والتقدم الآلى والفنى فى عالم يعانى أزمة فى الغذاء والمواصلات وتزايد السكان ومشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة . فإن الطاقة الذرية إذا أنتجت لمنفعة الصناعة السلمية ستحل مشاكل الوقود من البترول والكهرباء والفحم الحجرى وهى مواد يشتد التنافس الدولى عليها وتدفع إلى الحروب وتعانى الشعوب الفقيرة الحرمان منها .

كان أول خطوة فى سبيل هذه المراقبة الدولية اجتماع تمهيدى عقدته حكومات بريطانيا وكندا والولايات المتحدة فى منتصف نوفمبر ١٩٤٥ فى مدينة واشنطون عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية . وقررت هذه الحكومات الثلاث فى ذلك الاجتماع بأن مصلحة السلم العلمى تتطلب مراقبة الإنتاج الذرى على نطاق دولى واسع وبالتعاون الوثيق بين حلفاء الغرب وروسيا السوفييتية وحلفائها . ثم كانت الخطوة الثانية فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٥ نفسه ولكن الاجتماع كان فى موسكو هذه المرة لمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى . وأقر اجتماع موسكو نفس المبدأ الذى أقره اجتماع الحلفاء الأنجلوسكسون فى واشنطون فى اجتماعهم الأول . وقررت الدول الثلاث الكبرى (روسيا وبريطانيا وأمريكا) فى اجتماع موسكو هذا دعوة فرنسا والصين وكندا لوضع مشروع دولى لمراقبة الطاقة الذرية وتقديمه إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى دورتها الأولى بلندن فى مطلع عام ١٩٤٦ . وقررت الجمعية العمومية فى تلك الدورة تأليف « لجنة الطاقات الذرية » لتحقيق مشروع مراقبة الإنتاج الذرى على نطاق دولى .

وهذه اللجنة مؤلفة من ١١ عضواً هم أعضاء مجلس الأمن الدولى مضافاً إليهم كندا ، لأن كندا إحدى الدول الثلاث التى تملك سر القنبلة الذرية .

وأعطيت الصلاحية للجنة الطاقة الذرية هذه أن تضع مشروعات عملية لتحقيق المراقبة الدولية على جميع أنواع الإنتاج الذى تستعمل فيه الطاقة الذرية والتأكد من أن الدول التى

تستطيع الإنتاج الذرى لا تستعمله لبناء أسلحة ، بل لخدمة الصناعة السلمية والطب وما إلى ذلك من نواحى الحضارة والعمران ، وكلفت اللجنة باتخاذ خطوات عملية لمساعدة هيئة الأمم المتحدة لتتثبت من صرامة المراقبة الدولية ومفعوليتها بالتفتيش والاستقصاء وما إلى ذلك .

واجتمعت لجنة الطاقة الذرية هذه لأول مرة فى نيويورك فى صيف عام ١٩٤٦ ووضع أمامها اقتراحان لمراقبة الإنتاج الذرى أحدهما قدمته أمريكا وهو يشمل وجهة نظر الحلفاء ، والآخر قدمته روسيا السوفياتية . وقد مضى على اللجنة عامان كاملان دون أن تصل إلى الموافقة النهائية على أحد الاقتراحين ، وكان آخر أعمالها أن ألقت بهذين الاقتراحين فى أحضان الجمعية العمومية التى تجتمع بباريس أما فحوى الاقتراحين فهى كما يلى :

١ — الاقتراح الأمريكى يدعو إلى إنشاء سلطة دولية لتحسين الإنتاج الذرى ليخدم الصناعة السلمية والطب والمواصلات وما إلى ذلك . ويكون لهذه السلطة حق الإشراف على جميع وسائل الإنتاج الذرى فى جميع الدول ويكون لها الحق كذلك فى أن تمنع أى دولة من الدول من صنع المنتجات الذرية الفتاكة .

ولهـذه السلطة الدولية أن تصل إلى فرض مراقبتها على خطوات إلى أن تستطيع نهائياً منع إنتاج القنابل الذرية منعاً باتاً وعلى نطاق دولى واسع . وقد نص الاقتراح الأمريكى على التخلص من القنابل الذرية الموجودة الآن فى حوزة بعض الدول الكبرى ، كما نص على أن حق النقض (الفيتو) الذى تتمتع به الدول الكبرى فى هيئة الأمم المتحدة يجب أن لا يطبق على الدول التى تخالف هذه السلطة الدولية لمراقبة الإنتاج الذرى . وبالإجمال فإن الاقتراح الأمريكى يدعو إلى التعاون الدولى لمراقبة التسلح الذرى على أسس عملية تتطلب حسن النية والرغبة فى خدمة السلام .

٢ — أما الاقتراح الروسى فهو يختلف اختلافاً جوهرياً عن الاقتراح الأمريكى فى جميع النقاط . وهو يدعو إلى تحطيم القنـابل الذرية الموجودة فى حوزة حلفاء الغرب ، ومنع إنتاج الأسـلحة الذرية من قنابل وغيرها منعاً باتاً ، ويدعو الاقتراح الروسى الأمم المتحدة لمؤتمر دولى يسن القوانين لمنع التسلح الذرى ويضع أسس المراقبة الدولية على نطاق عالمى . وأصر الروس على الاحتفاظ بحق الفيتو فيما يختص بشؤون الإنتاج الذرى .

ولم يوافق الروس على الرأى الأمريكى القائل بضرورة وضع جميع مشـاريع الإنتاج الذرى التى تقوم بها الدول تحت سلطة عالمية واحدة تسيطر على جميع وسائل الإنتاج وحدها وتمنع جميع الدول من العمل فى الإنتاج الذرى منفردين . ورأى الروس أن تظل حرية الإنتاج الذرى فى يد الدول ، ولـكن يجب أن يأخذ عليها عهد بعدم استعماله للتسلح وصنع القنابل الجهنمية .

وظلت لجنة الطاقة الذرية تبحث هذين الاقتراحين الروسى والأمريكى سنتين ، وكانت نتيجة مراحـل البحث أن وافقت أكثرية أعضـاء اللجنة ومن بينها — سوريا — على الاقتراح الأمريكى ولم يصوت مع روسيا سوى حليفتها أكرانيا .

ويقول مناصرو الرأى الروسى أن الاقتراح الأمريكى لمراقبة التسلح الذرى وإنتاج الطاقة الذرية يرمى إلى جعل الولايات المتحدة صاحبة النفوذ الأعظم فى الإنتاج الذرى ، خصوصاً وأن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى أتقنت صناعة هذا الإنتاج ، وأن رغبتها فى تقييده الآن يرجع إلى رغبتها فى منع الدول الأخرى عن بلوغ المستوى الذى بلغته هى فى التقدم الفنى والصناعى فى شـؤون الطاقة الذرية . وينتقد أنصـار الرأى الروسى الاقتراح الأمريكى أيضاً بأنه يشتمل على التدخل فى شؤون الدول المستقلة وهو اعتداء على سيادتها واستقلالها الداخلى .

ويجيب أنصار المشروع الأمريكى على ذلك قائلين أن أمريكا بموجب اقتراحها قد تنازلت عن حقوقها فى احتكار إنتاج الطاقة الذرية ووضعتها فى يد سلطة دولية تستطيع روسيا المشاركة فيها فى إخلاص وحسن نية . أما أن الاقتراح الأمريكى يتضمن التدخل فى شؤون الدول المستقلة ويعتدى على سيادتها فهو لا يتفق مع روح التعاون الدولى ، وأن أى مشروع يتطلب التعاون الدولى يجب أن يكلف الدول التنازل عن بعض حقوقها فى خدمة السلام والتعاون الدولى .

هذه بإيجاز مشكلة مراقبة الطاقة الذرية — وهى مشـكلة خطيرة فى ظروف دولية تضع الشـعوب على أهبة الاستعداد العسكرى ، وهى مشكلة مخيفة لعلها أهم المشاكل الدولية قاطبة . وهى الآن معروضة على الجمعية العمومية بباريس . ترى هل تستطيع الثمانى والخمسون دولة المجتمعة هناك أن تحلها ؟

يقول الخبراء إن هـذا مستحيل — لأن فى المشكلة نقاطا فنية وعسكرية لا يحلها الجدل السياسى ، وليست الجمعية العمومية إلا برلماناً دولياً محصوله السياسة والجدل القانونى .

كتاب البرهان في وجوه البيان

للدكتور علي حسن عبد القادر

« تصحيح خطأ علمي ، وتحقيق شخصية كتاب ، ورد اعتبار على مؤلف طغى على اسمه الزمان »

كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحق ابن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » ، حرره وأخرجه الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادي ، منسوباً إلى أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الأسكوريال رقم ٢٤٢ من فهرس دربنبرغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتي رقم G767 تحت عنوان « كتاب البرهان في وجوه البيان » ، وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع ، وتزيد المخطوطة التي بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريباً . ولم نشك في أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في المخطوطة الأسكوريالية ، وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على أربعة وجوه للبيان : —

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثاني الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيان الرابع الكتاب . والبيان الرابع (الذي هو الكتاب) غير موجود في النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب .

وجمل بهذه الدعوى الكتاب كاملا بذاته ، وهي دعوى قد فرضها المحقق على الكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فإنه لو كان قد فحص الجزء الذي بيده من الكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه في أثناء الكتاب على أشياء سيذكرها بعد ، ومع ذلك لم يأت لها ذكر . فمن ذلك قول المؤلف (صفحة ١١٨ من طبعة دار الكتب) : « وأما الحديث ، فهو ما يجري بين الناس في مخاطبتهم ومناقلاتهم ومجالسهم ، وله وجوه كثيرة : فمنها الجد والهزل والسخف والجزل ، والحسن والقبيح والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب والصدق والكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعي » ؛ ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب ، ولكن القول في الخطأ والصواب لم يتم ، كما أن القول في الصدق والكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط . ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في باب تأليف العبارة (ص ٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الكتب) : « وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغني من نظر فيها ... إلا أنا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمى نذكرها فيه إن شاء الله » تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله ».

وليس في نقد النثر كما نشر أي ذكر أو إشارة إلى باب المعمى وذكر العروض والقافية . ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه جاء في آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة : « وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له ، فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » .

وإذا تصفحنا كل ما جاء في النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو إشارة « لمراتب القول » ولا « لمراتب المستمعين له » على الحقيقة ؛ وبهذا يظهر أن المخطوطة الأسكوريالية والكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً ، وأن محقق الكتاب لم ينتبه إلى هذا النقص الواضح أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص ، وتلمس في بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الكتاب ، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التي بأيدينا ، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب ، واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً أصلياً ، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقي من وجوه الحديث وجهاً وجهاً ، وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبة مرتبة ، فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هي النسخة الكاملة للكتاب . ويظهر أن مخطوطة الأسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله

وأغلب الظن أن مشكلة الطاقة الذرية ستظل شوكة في حلق هيئة الأمم — وستعاد إلى لجنة الطاقة الذرية لتبحث فيها من جديد لعلها تقنع الدول الكبرى المتنافسة بأن تتفق على حماية نفسها من ويل هذه الذرة الجهنمية .

(نيويورك) عمر حليق

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية بنيويورك

« وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » ، وهى عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثـــل ذلك فى كتاب الوزراء والـكتاب للجهشيارى مثلا .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر فى أنها النص الكامل للـكتاب كما كتبه مؤلفه (أى أكثر من ضعف النص المطبوع) ، بل إن لهـا أهمية أخرى أكبر من ذلك ، وهى معرفة مؤلف هذا الـكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف فى مخطوطتنا اسمه كاملا فى أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين ، فقال فى أول البيان الرابع ، وهو جزء مفقود من النسـخة الأسكوريالية : « قال أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الـكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله ... » . وهو تصريح يبطل نسبة الـكتاب إلى قدامة بن جعفر ، ويضـع حداً فاصلا للنزاع فى مسألة مؤلف الـكتاب ، كما أن مخطوطتنا زيادة على هذا تحمـل الإسم الصحيح للـكتاب ، وهو كتاب « البرهان فى وجوه البيان » .

وإنه وإن كنا لم نعثر على اسم هذا الـكتاب ، أو اسم مؤلفه مذكوراً فى أى مرجع من المراجع المعروفة عندنا ، فقد وصلنا إلى أن هذا الـكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبى الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه فى أثناء كتابه بل من أجل أدلة أخرى مضمومة إلى هذا الدليل :

أولا : يذكر مؤلف الـكتاب فى أثناء كتابه أربعة كتب له ، وهى : الإيضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة . وهذه الـكتب الأربعة لم يذكرها أحـد من مؤرخى قدامة فى فهرس كتبه أو ما يشبهها فى الإسم أو الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم « البرهان » أو « نقد النثر » .

ثانياً : وقد نسب إلى قدامة كتاب فى الـكتابة ، ولـكن هذا الـكتاب لم يسمه قدامة باسم « البرهان » أو « نقد النثر » وإنما سمـاه « كتاب الخراج وصناعة الـكتابة » ، وهو غير الـكتاب الذى بأيدينا ، فإن كتاب قدامة هذا ، أو على الأصح النصف الثانى منه معروف ، وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلى بالآستانة ، وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقى من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الـكتب الوطنية بباريس وقد استخرج دى غويه نبذا منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » ، وهذه النبذ هى الأبواب الثـانى والثالث والرابع والخامس والحادى عشر من المنزلة الخامسة ، والبـابان السادس والسـابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الـكتاب فى هاتين النسختين (الأصلية والمنقولة) « الخراج وصناعة الـكتابة » ، وقد وصف ياقوت هـذا الـكتاب فى ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب فى الخراج وصناعة الـكتابة » ؛ وله كتاب فى الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الـكاتب إليه ، وكان على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً » . ويقول المطرزى فى كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريرى (مخطوطة المتحف البريطانى) « وله تصانيف كثيرة منهـا كتاب « الألفاظ » وكتاب « نقد الشعر » ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء ، وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الـكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل ، وكل منزلة منها تحتوى على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الـكتاب والبلغاء : « وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن فى الخراج وصناعة الـكتابة » .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا ، وأن هذا الـكتاب يسمى « الخراج وصناعة الـكتابة » وأنه كان على تسـع منازل أو سبع منازل وفى كل منزلة أبواب . وهـذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » إذ أنه على أربعة أبواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الـكتابة ؛ وفضلا عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج فى كتابنا « البرهان » والنتيجة البديهية هى أن قدامة وأبا الحسين كتب كل منهما كتاباً فى الموضوع ولـكن كلا منهما سلك مسلكه الخاص فى علاج الموضوع .

ثالثا — وقد رجح دى غوبة فى مقدمته الفرنسية لـكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة فى صناعة الـكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث فى أثناء كتابه عن مليح الأرمنى على أنه معاصر له ، ويشـير أيضا إلى إغارة أسـفار الديلمى على قزوين فى سنة ٣١٦ ، وإلى الشنائع التى جـرت على يد مرداويج وأتباعه فى السنين التالية

لحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله أبو حيان التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة (ج ٣ ص ١٤٥ — ١٤٦) أن قدامة عرض كتابه هذا فى سنة ٣٢٠ على علىّ بن عيسى حيث يقول « وما رأيت أحدا تناهى فى وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر فى المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا على بن عيسى الوزير عرض علىّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد فى وصف فنون البلاغة فى المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى » . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعا . أما كتاب « البرهان » فلم يكن موجودا فى هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة .

أ — يقول أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم فى البرهان : « وقد رأيت شيخنا على بن عيسى رحمه الله يكاتب أم المقتدر » وإشارة أبى الحسين فى كتابه إلى وفاة على بن عيسى تدل قطعا على أن على بن عيسى لم يعش حتى يرى هذا الكتاب ، وقد مات على بن عيسى سنة ٢٣٥ ، وهو أمر يدل على أن أبا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول أبو الحسين أيضا « ومنه ترجمة لآل مقلة ولأبى الحسن بن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان أبو الحسن ابن خلف هذا حيا إلى سنة ٣٣٠ (راجع أخبار الراضى والمرتضى للصولى ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

ج — ويقول أبو الحسين فى « البرهان » أيضا مشيرا إلى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان فى جيشه على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين أهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » . وقد حدث هذا فى سنة ٣٢٠ (راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣) وأبو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيما يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد أن تكون قد مرت عليها سنوات أصبحت بها مثالا للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد أن يكون قد ألف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التى نجمعها من كل ذلك هى أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن أبا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية فى ثنايا الكتابين .

رابعا — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » فى كتابه الشعر أيضا ، فلو أنه كان لقدامة لما احتاج إلى معالجة هذه الموضوعات مرة أخرى بمثل هذا البيان الكافى ، وفضلا عن ذلك فإن معالجة الشعر فى « البرهان » تختلف اختلافا جوهريا عنها فى كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية ، وما قصيدة الأستاذ العبادى فى تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم أمام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن قدامة فى « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة يذكرها مجملا : « فلاسفة اليونان » ، فى حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال أرسطوطاليس » .

خامسا — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيها شيعيا من غير شك . ودليل ذلك منثور فى أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائما عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمة عليهم السلام . الأئمة الصادقين . الأئمة المستودعين علم القرآن . روى عن الصادق عليه السلام » اهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملا فى تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم فى بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه فى نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج ، وإنما كان نصرانيا فى الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفى بالله ، وإذا أسلم نصرانى على يد خليفة عباسى — وذلك إنما يكون عادة طمعا فى مناصب الدولة — فمن المستبعد أن يصير علويا متشيعا مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادى فى توجيه مسحة التشيع الظاهرة فى الكتاب من أن قدامة قد جارى بنى بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخى ، وقد كتب قدامة كتابه فى الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاما على الأقل ، ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادسا — وصاحب كتاب « البرهان » يصر فى كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظما لهم فخورا

بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا أبو على الحسن بن وهب رحمه الله ... » وقال أبو أيوب رضى الله عنه : « وقد ذكر أبو أيوب رحمه الله رجلا مشهورا بالبلاغة . ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة إلا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » وأبو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجد المؤلف .

سابعا — وهناك أمر يجب التنويه إليه وهو أن البطليوسى فى كتابة « الاقتضاب شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولا طويلة بنى عليها مقدمته فى شرح الكتاب (ص ٦٦ — ٩٠) وهذه الفصول تتفق فى لفظها فى معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصــول كتاب البرهان ، وفى بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسى لم ينسبها إلى أبى الحسين ولا إلى قدامة ، وإنما أشعر بنسبتها إلى على بن مقلة (المتوفى سنة ٣٢٧) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وأن البطليوسى نقل عنه بعد أن أثبتنا أن « البرهان » ألف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمانى سنين ، كما أن شيوخ صاحب « البرهان » كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخا لعلى بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن على بن مقلة شيعيا . والقدر المتيقن أن البطليوسى لم يحتسب على أى حال قدامة بن جعفر مؤلفا للكتاب الذى نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل أن يكون « البرهان » قد نسب مرة إلى على بن مقلة كما نسب إلى قدامة ابن جعفر وجهل أمر صاحبه . ومن المحتمل أيضا أن يكون البطليوسى ومؤلف كتابنا هذا من قبل كلاهما قد نقل نقولا من كتاب لابن مقلة فى هــذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول أن مؤلف كتاب « البرهان » يجب أن تتوفر فيه من الشرائط :

(١) كونه شيعيا . (٢) أن تجمعه أواصر القربى بآل وهب . (٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد أبواب كتابه على أربعة أبواب كاملة .

وهذه الأحــوال لا تجتمع فى قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن أن تجتمع فى مؤلف آخر . وفى يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها إسمه فى متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب إليه إلى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكرا لهذا الكاتب أو لمؤلفاته فى المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هــذا الكتاب قد نسب إلى قدامة ابن جعفر فى طرة المخطوطة الإسكوريالية ، وكذلك فى طــرة المخطوطة التى بأيدينا مع ورود إسم المؤلف فى أثنــاء الكتاب وهو أمر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فإن الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه فى الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا إسمه على هــذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين . ونذكر مثلا قريبا لذلك كتاب « أسرار البلاغة » نشر بمصر وجاء فى خاتمة الكتاب أن مؤلفه أتمه فى سنة ٨٥٥ ومع ذلك نسب فى طرة الكتاب لبهاء الدين العاملى المتــوفى سنة ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين . وفى كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

وبعد فإنصافا للعلم والعلماء ، وإنصافا لأنفسنا كذلك ، لا يسعنا إلا أن ننوه فى ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك فى نسبة كتاب « نقد النثر » إلى قدامة بن جعفر ، وأنه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من أهل القرن الرابع . وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد على ، فاستحقا منا التقدير والثناء . وهانحن أولاء قد قمنا بمــا تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب إسمه « البرهان » وأنه من تأليف أبى الحسين إسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذى نشر منه تحت إسم « نقد النثر » ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلى الذى قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدى العلماء فى القريب إن شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم .

ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم مجتبى مينوى بلندن زميلى فى تحقيق هــذا الكتاب وإعداده للنشر ، فهو يشاركنى مسئولية إخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

(المركز الثقافى الاسلامى بلندن) **على حسن عبد القادر**

أحمد الزين «الانسان»

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

فى ٥ نوفبر من العام الماضى روعت الدوائر الأدبية بفقد الشاعر العالم الراوية (أحمد الزين) . وما أظن أحداً من عشاق الأدب يجهل قيمته الأدبية ؛ ويكفى أن نقول إنه شارح روضابط ومصحح العقد الفريد ، وإمتاع الأسماع ، ونهاية الأرب وما إليها من أمهات الكتب بمفرده حيناً وبالاشتراك مع آخرين من الفضلاء أحياناً . كذلك يكفى أن نقول إنه كان فى مقدمة « ارواة » فى العصر الحديث ، بل ربما يكون قد انتهى بموته عهد « الرواية الأدبية » ...

ومع هذا فلست أريد فى هذا الحديث أن أتكلم عن أدبه مرجئا ذلك لفرصة أخرى ؛ وإنما أريد أن أحاول تصوير بعض ملامح شخصيته الطريفة النادرة تصويراً سريعاً قبل أن تغمرها موجة النسيان ؛ فقد كان الفقيد نموذجاً فريداً فى الحياة من طراز خاص وأسلوب خاص ومزاج خاص منقطع النظير .

الزين الظريف :

كان رحمه الله ظريفاً إلى أقصى حدود الظرف فى كل حركاته وسكناته . وقد تجلى ذلك فى معظم منظوماته حتى فى المراثى ! ! ولا زلت أذكر يوم اشترك فى تأبين شاعر النيل (حافظ إبراهيم) بقصيدة مطلعها :

أفى كل حين وقفة إثر ذاهب   وصوغ دم أقضى به حق صاحب
أودع صحبى واحداً بعد واحد   فأفقد قلبى جانباً بعد جانب

وبالرغم من هذه البداءة الحزينة التى لاءمت المناسبة الحزينة فإن ظرفه سرعان ما غلب عليه ونقله من الحزن الخالص إلى التهكم الذى أضحك الحاضرين على من سماهم « المجددين » فقال مقارنا شعر (حافظ) بشعرهم :

فذاك جلال الشعر لا شعر عصبة   يطالعنا تجديدهم بالحواصب
دواوين حسن الطبع موه قبحها   وهل يخدع النقاد نقش الخرائب
فيا ضيعة الأوراق فى غير طائل   ويا طول ما تشكو رفوف المكاتب

كذلك فى قصيدته فى ذكرى (تيمور باشا) غلب عليه طرفه فنقله أيضاً إلى التهكم على الناقلين عن اللغات الأجنبية بلا فهم لدقائقها ولا تمكن من لغتهم الأصيلة بأبيات جاء فيها :

من كل ألكن نابغ فى عيه   لهج بدعوى العلم وهو جهول
ويكاد يرشح عقله أمية   حتى عليه يشكل التشكيل
إن رام شعراً لم يقم ميزانه   ورويه قيد عليه ثقيل
أو رام نثراً عىّ دون مراده   لفظ يطول وما به معقول
وإذا يترجم كان فى تعقيده   قبر به المعنى البرىء قتيل
لا تجحد الغربى سحر بيانه   لكن سوء النقل عنه يحيل
سفراء سوء باعدت ما بيننا   ولربما جلب الشقاء رسول

وكان طبيعياً أن يتجلى ظرفه أكثر من هذا فى ألوان الشعر الأخرى حيث تتسع الفرصة للتهكم والسخرية .

أذكر أنه أراد ذات مساء أن يعتذر تليفونياً عن موعد هام واتفق أن ظل التليفون مشغولا بأحد الثقلاء أكثر من نصف ساعة ... إذ ذاك نظم قصيدته (المسرة) التى يقول له فيها :

تجدّ فى أذنها أو اهزل   وقل ثناء بها وثلبا ...
فلا تراها تسد أذنا   مهما تطل لو قرأت كتبا
وكم ثقيل الحديث لولا   جمودها أو سمته سبا
تكاد مما يطيل فيها   تفر ممن دعا ولبى
فيالها آلة ترى   ذا الجهل بالذوق لو يربى

وذات ليلة دعاه أحد أصدقائه لسماع مغن وكان — كالمنتظر — سقيم الصوت ، فنظم بهذه المناسبة أبياته المشهورة التى يقول له فيها :

حمار لا يمل من النهيق   يضيق به التجلد أى ضيق
مغن يجلب السلوى ويفنى   بقايا الشوق فى قلب المشوق
منى الأوتار لو أمست سياطا   يصب بها على الجلد الصفيق
بطانته ـ حماك الله ـ رهط   كأن صياحهم جرس الحريق
وكانت ليلة ياليت أنى   دفعت بها لقطاع الطريق
جزى الله المغنى كل خير   عرفت به عدوى من صديق

إلى غير ذلك من النوادر التى لا حصر لها .

الزين والمجتمع :

كان معظم الناس عنده « خلائق » لا يرتفعون عند حسن

ظنه . وكان يقسمهم إلى أقسام عجيبة فى دلالاتها : (بلاوى — حميد الصفات — علامة — سبع) !

فكل (باشكاتب) يجلس فى الأماكن العامة متحلياً بخاتم ثمين وساعة ذهبية وياقة منشاة و (يحشر) نفسه فى الأدب والفن دون دراية فهو « بلاوى » !

وكل (مخلوق) حلو الشمائل وديع الصوت سليم الطوية ولكن لا علاقة له بالأدب فهو « حميد الصفات » !

وكل أديب يعرف من أين تؤكل الكتف فينتسب — بالإلحاح — إلى جريدة كبيرة أو يتقرب — بالزلفى — إلى عظيم أو وزير ويصل من وراء ذلك إلى ما يبتغيه فهو «علامة» !

وكل أديب لا تعدو وظيفته أن تكون من الدرجة السادسة أو أقل فهو « سبع » !

وغرضه من ذلك وصف الأديب بالقدرة على البطش والقناعة مع هذا (بلقمة العيش) ..

ولا غرو فقد كان رحمه الله (سبعاً كبيراً) أى موظفاً باليومية لولا أن أسعفه قرار (الإنصاف) ثم (التنسيق) فرق فى آخر شهر من حياته إلى الدرجة الخامسة .

الزين والأدباء :

وكانت علاقته بمعظم المحدثين من الأدباء مضطربة لصراحته فى إبداء رأيه فى أدبهم ، بل إنه كان يكره أحياناً أن يستمع إلى شعرهم الذى كان يصفه بقوله :

عناوين كالألغاز حيرت النهى وما تحتها معنى يلذ لطالب
هم جدرى الشعر آذوا جماله بما ألصقوا فى حسنه من معايب
وكم دافعوا عن مذهب العجز جهدهم
فما غسلوا أسواء تلك المذاهب
وكم ملأوا بالزهر والنهر شعرهم بلا طيب مستاف ولا رى شارب
وكم يذكرون الأيك والطير صدحا
عليها فلم نسمع سوى صوت ناعب
وكم هاتف بالخلد منهم وشعره توفى سقطا قبل عقد العصائب
وشباك أذاة الحب أطفأ جمره بشعر كبرد الثلج جم المثالب
فأقسم لو يبغى وصالا بشعره لجانبه من لم يكن بمجانب !!

أما علاقته بشيوخ الأدباء وكهولهم فكانت مشبعة بالصفاء والوفاء لمحض المودة من جهة وتقديراً لأدبهم من جهة أخرى . فمثلا كان يوقر حضرات أعضاء لجنة التأليف (وبخاصة أحمد أمين وأحمد زكى) ... وكان يعشق أسلوب (الزيات) ونظم فى هذا الصدد قصيدة بائية رائعة لم أحفظها مع الأسف ولم تنشرها (الرسالة) حتى لا تتهم بمحاباة رئيس تحريرها فيما أظن (١) .

وكان يعجب بطه حسين إعجاباً بالغاً بدا بعضه فى تقريظه لكتاب (مع أبى العلاء فى سجنه) بأبيات بارعة جاء فيها :

يا مؤنس المسجون فى سجنه وسلوة المحزون من حزنه
من كنت فى السجن له صاحبا فسجنه الجنة فى حسنه
أساء بالعالم ظنا ... ولو أدركته حسن من ظنه
أقسم لو خير فى عينه وفيك لاختارك عن عينه !!

إحساس الزين :

ولعلى لم أصادف كثيرين فى مثل دقة إحساسه . وبالرغم من تسامحه الملحوظة مع معارفه فقد كان ينفعل وأحياناً ينزوى فى بيته عن الناس جميعاً أياماً بل أسابيع إذا أحس بإهانة صغيرة من أحدهم . وربما كانت دقة إحساسه من أهم أسباب استمرار غبنه لخجله من الشكوى .

أذكر أنه طلب مقابلة أحد الوزراء يوماً ما ليرجوه فى انتشاله مما حاق به من غبن ، فتذكره الوزير كصديق قديم واحتفل به وأخذ يردد له بعض ما يتعلق بماضيهما فآثر (الزين) أن يقصر المقابلة على استعادة الذكريات دون أن يخدش إحساسه برجاء !

الزين المحب !

وعلى كثرة ما باح به لأخصائه من أسراره فإنه لم يبح لأحد بشيء عمن أحبها وإن كان دائم البوح بطهارة حبه وطهارتها . كانت هذه مصدر شعره الغزلى الجيد من نحو (عاود القلب حنينه) و (عللينا بالأمانى) و (ما غناء الراح) . الخ .

والغريب أنه كان كثيراً ما يرتاب فى حبها له ويخشى أن يكون منها ضربا من الشفقة والمواساة . و(الزين) إذا ارتاب تغالى

(١) أرجو ألا يشطب هذه الفقرة رعاية لحق التاريخ

محمـــد إقبــــال
شاعر الشرق والاسلام

للأُسـتاذ مسعود الندوى

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

(لو كان وحى بعد وحى محمد
لانشق ذاك الوحى عن آياته)
أمير البيان

يعرف قراء العربية شيئاً كثيراً عن زعيم الهنادك غاندى وزعيم الهند الإسلامية دفين الحرم القدسى الشريف (١) محمد على رحمه الله ، وشاعر بنغال طاغور وغيرهم من رجال الهند وزعمائها . ولكن معرفتهم بشاعر الشرق والإسلام الدكتور محمد إقبال ضئيلة جداً . والتبعة فى ذلك علينا ، إذ لم ننقل أفكاره إلى لغة الضاد ، حتى فاضت قريحته بهذه الشكوى اللطيفة :

نواث من به عجم آتش كهين أفروخت
عرب زنغمة شوقم هنوز بى خبراست

(١) وهو الذى قال فيه أمير شعراء مصر :
أفنى بدفنك عند سيدة القرى ... مفت أراد الله فى إفتائه

لقد أذكى شعرى النار الخامدة فى قلوب العجم ، ولكن العرب لا تزال تجهل ما أبثه من آيات الوجد والشوق .

لذلك رأيت أن أتحدث إلى قراء الرسالة — وهم الصفوة المختارة من قراء العربية — عن محمد إقبال ، الشاعر الحكيم الذى أوتى نوراً من القرآن الحكيم ، وقبساً من أسرار الكون ، ومنحه الله نظرةً ثاقبةً فى حوادث المستقبل ، وبصيرةً نافذةً فى حقائق الأشياء .

نعم ، أريد أن أتحدث إليك عن الرجل الذى أيقظ فى شباب الأمة وشيوخها فكرة الاعتزاز بالقومية الإسلامية ، وجعل من هذه الأمة البائسة المسكينة أمة قوية الشكيمة ، متعصبة العزيمة ، وثابة إلى المجد ، حريصة على تراث أسلافها .

إنى أود أيها القارئ العربى ، أن أعرفك بالشاعر الحكيم الذى جعل من الشبيبة المسلمة الهندية ، وهم متعمقون فى القومية (١) الملونة ، مسلمين صادقين مؤمنين بالوحدة الإسلامية محاربين لنزعات الإقليمية والجمود والإلحاد ، وما أكثر عددهم ؛ فكم من متسكع فى ظلمات الزندقة والإلحاد ورد ماء شعره ،

(١) أريد بالقوميـة الملونة « القومية » التى تدعى فى مصطلح الافرنج بكلمة Natiomalism وهى فكرة سياسية تناقض مبادىء الاسلام كما لا يخفى . أما القومية المرادفة لكلمة Nationality فلا مشاحة فيها ، لأن الاسـلام لا يحول بين المرء وبين العطف على بنى قومه وعشيرته والتودد إليهم .

فاستحال عليه الاطمئنان ... وقد رحمها الله من هذا الارتياب المنيف إذ ماتت قبله بنحو سنتين وحاول هو أن يرثيها فلم يستطع ومات وفى صدره قصيدتها .

الرزيه الوالد :

ومن المؤلم أنه نكب فى أولاده فماتوا فى طفولتهم . وأخيراً رزق طفلا هو الآن فى الثامنة من عمره ، ولكنه مع الأسف نكب فيه حياً بأفظع مما نكب فى إخوته أمواتاً ! فقد اكتشفت مدرسته الأولية ضعفاً فى نظره بالرغم من حسن منظر عينيه ؛ وهرع (الزين) إلى الطبيب ، وحينئذ علم أن الولد مصاب بمرض ورائى له أثره الخبيث فى شبكية العينين وأنه من المحتمل أن يفقد الإبصار فى مرحلة الشباب !

وخرج من العيادة ضرير الماضى يجر فى يده ضرير المستقبل .

الرزيه العائل :

كان يعول الفقيد العزيز بخلاف ولده هذا زوجة كريمة تقية ولست أدرى شيئاً عن مصيرها بعده .

والرأى لأولى الأمر لعلهم أن يعملوا على تقرير معاش لهما .. فلقد أفنى الرجل نضارة عمره فى الإنتاج الأدبى المثمر أكثر من عشرين عاماً بين جدران «دار الكتب» دون أن يحظى بالتثبيت فى وظيفة دائمة بسبب عاهته ، بينما حظى به آلاف من ذوى العيون التى لم تقرأ كتاباً واحداً !!

عبد الفتاح البارودى

فوجـد فيه ما يثلج الفؤاد ، وينور العـقل ، ويهذب النفس . وكأين من متشـكك فى عقيدته دخل حديقة شعره الغناء ، وهو يريد أن يتنزه بين جداوله وأنهاره فشاهد فيها الزهرة الباسمة التى علقت بفؤاده ، والنرجس النضر الذى أسر فؤاده بجمال مُحياه ، فجعل يدخل فيها الفينة بعد الفينة ، وأخذ يرد عينها الصافية بين آونة وأخرى ، حتى يُشرب فى قلبـه بعض ما أشرب صاحبها من حب الإسلام والثقافة الإسلامية .

— ١ —

تخرّج محمد إقبال فى الـكليات المصرية ، ودرس فيها علوم الفلسفة والتاريخ إلى أن نال الشهادة العليا فى الفلسفة . فعُيّن معلماً للفلسـفة فى الـكلية الأميرية Goverememt College بلاهور ، وذلك فى السنوات الأولى من هذا القرن ؛ ثم سافر إلى لندن ، وأقام فى جامعة كيمبردج زمناً يدرس الفلسفة والحقوق إلى أن منح شهادة المحاماة Ber—at low ، ثم سافر إلى برلين لدراسة الفلسفة وما زال بها حتى نال لقب الدكتوراه Ph. D. ورجع إلى مسقط رأسه سالماً غانماً .

نشأ إقبال مفطوراً على التأمل والتعمق فى حقائق الـكون ، وبدأ يقرض الشـعر وهو فى عهد الطلب . وظهرت من أول قصائده أمارات النبوغ والـكمال ، مع أنها كانت منسوجة على منوال شـعراء العصر فى الغزل والنسيب ؛ ثم أخذ يقرض مقطوعات شعرية فى الطبيعة وذكرى بعض الشعراء ورثاء بعضهم حتى ترقت فـكرته الشعرية وأخذ يحس بما ناب وطنه وأهله من النوائب ، فبدأ يجيش صدره بأبيات فى الوطنية تأخذ بمجامع القلوب وتحرك النفوس الخامدة . ومن أحسن قصائده فى هذا العهد وأبلغها أثراً فى القلوب قصيدة نفثة مصدور ، (تصوير درد) التى صور بها حال الهند السيئة وما فيها من تطاحن وشقاق بين أبنائها . وهى أول شعر له عرف به الناس أن ناسج برده شاعر مطبوع يُلهم القول إلهاماً . وكذلك نجد كلمته (بلال) الروح الدينى الذى امتاز به الشاعر ، والذى جعله فى ما بعـد يتبوأ كرسى شاعر الإسلام الخالد الذى كان فارغاً منذ مئات من السنين . وجملة القول أن شاعرنا فى أول عهده بالقريض ، كان شاعراً مطبوعاً وطنياً يترقرق الإخلاص فى كل ما يجيش به صدره ؛ لـكنه لم يكن إذ ذاك الشاعر الحـكيم الذى يشعر بتفكك أوصال الرابطة الاسلامية ، فيدعو أمته إلى الاستمساك بعروتها الوثقى ، وينظر فى مساوىء الحضارة الغربية فيحذر أهل الشرق من الوقوع فى شركها والانخداع بمظاهرها الخلابة ...

— ٢ —

سافر محمد إقبال ، أستاذ الكلية الأميرية فى لاهور إلى لندن وبرلين ليتخصص فى الحقوق والفلسفة ، وقد شاهد الناسُ هذا الشاب الهندى فى جامعات كيمبردج وبرلين مكباً على دراسته ، مشتغلاً بالبحث والتنقيب ؛ لـكنهم قلما تنبهوا للروح الاسلامى الذى بقى يضطرب طول إقامته بلندن وبرلين ، ولم تقع أنظارهم على ذلك الشاب المسلم الذى ظلّ يراقب أحوالهم عن كثب ، ومكث يُعمل بصيرته فى اكتناه أسرار رقيهم ، حتى إذا رجع ، رجع إلى وطنه مسلماً صادقاً ، قد زادته التجارب قوة إلى قوته الايمانية وأطلعته الأيام على مصير المسلمين وأسباب تقهقرهم وانحطاطهم .

ذهب صاحبنا إلى أوربا سنة ١٩٠٥ وقفل منها عام ١٩٠٨؛ فمكث بها ثلاث سنين ، مُكباً على دراسته العلمية ما اشتغل فى ظلالها بالشعر إلا قليلاً . ولـكن ذلك النزر القليل الذى فاضت به قريحته فى تلك الفترة قد جاء ، وعليه مسحة من الشعور الدينى العميق ، والاشمئزاز من مظاهر التمدن الحديث ، والتبرم بالمتفرنجين من أبنائنـا . وعلى ذلك فقد أحسّ أول مرة فى أوربا بالجامعة الاسلامية وشعر بأن الوطنية الجغرافية لا تزيد المسلمين إلا تمادياً فى الغىّ وبُعداً عن منهج الإسلام الصحيح . فتحولت فـكرته الوطنية إلى فـكرة دينية إسلامية ، شاملة لـكل من يدين بكلمة الإسلام . ومن هنا ترى أن شعره فى هذه الفترة ، على قلته ، أبسق فرعاً ، وأحلى جنىً ، وأطيب ثمراً منه فى دوره الأول ، فتراه يقول :-

نرالا سارى جهال سى اس كو عرب كى معمارنى بنا
بنا مهارب حصار ملت كى اتحاد وطن يس الله

قد اتخذ (أى دار الإسلام) البنّاء العربى فنا فريداً ممتازاً عن

سائر أبنية العالم ، فليست الوحدة الوطنية أساساً لبناء قوميتنا .

وكذلك نجده يشكو المتفرنجين المفتتنين بأوربا وبُعدهم عن الدين ، ويقول بأسلوبه الشعرى البديع الآخذ بالألباب نعرّب معناها ، مجردة عن اللطائف الشعرية :

«بالأمس كان رجل ثائر يبكى ويصرخ على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن مسلمى الهند ومصر يريدون أن يهدموا بنيان الإسلام ، ومهما أراد زوار حرم الغرب هؤلاء أن يرشدونا إلى الخير ، فإنهم لا يمكن أن يكون لهم أى سلطان علينا ، لأنهم طالما غفلوا عن اتباع سننك والاهتداء بهديك » .

ثم يقول فى هذه المقطوعة ما يبكى له قلبُ كل مسلم :

« ومن يُصغى إلى كلامك يا إقبالُ ؟ فإن الزمان قد تغير وإنك تقصُّ علينا الأحاديث البالية فى هذا العصر الحديث » .

ولله درُّه إذ يقول من كلمة له ، يخاطب بها القافلين من سفر الحج :

يا ليت من يسأل الحجاجَ القافلين من بيت الله الحرام : ألم يجدوا هنالك شيئاً يهدونه إلينا غير كأس من ماء زمزم ؟

وأجود شعره فى دوره الثانى ، كلمته الوجيعة التى رثى بها صقلية حين عودته إلى الوطن . فإنه حينما مرت باخرته على تلك الجنة المفقودة عاودته الذكرى ولم يكد يملك فؤاده وعينه ، فبكى ملء عينه وجاد طبعه بأبيات أبكت جماً غفيراً من الناس ولا تزال تُبكى ألوفاً من الشبان .

ولله درُّ تلك القريحة المبدعة التى جادت بهذه الكلمة العصماء التى أولها (١) :

تعالى ، ساعدينى أيتها العين الثرثارة وابكى ما شئت دموعاً ودماء فإن تربة المدينة الحجازية ماثلة أمام أعيننا .

ثم تطرق إلى ذكر العرب فهزَّته العاطفة وجعل يُعدِّدُ مفاخرهم التاريخية :

كانت هذه البلاد يوماً ما مركزاً لأولئك العرب الذين كانت البحار ملعباً لسفنهم فى سالف الأزمان

والذين زلزلوا عروش الأكاسرة والقياصرة

والذين كانت سيوفهم مخدعاً للبروق والرواعد

(١) وأنى لهنا الكاتب العجمى أن يفرغها فى قالب من لغة الضاد جدير ببيان الشاعر الناصع الجزيل ، فنكتفى بترجمة معنى الأبيات بصرف النظر عن جمال الأسلوب ، وروعة البيان . وذلك عملا بقوله تعالى : « فإن لم يصبها وابل فطل »

ثم تفنن فى القول وقال : إن بلبل شيراز (سعدى) بكى على أطلال بغداد ، وسكب (داغ (١)) سجال دموعه على (دهلى) الشهيدة ، وأدمى (ابن بدرون) فؤاده رثاءه للأندلس المرحومة ، ومُنى إقبال الحزين بالبكاء على أطلالك وتذراف الدموع على تربتك ، فكأن القدر اصطفى القلب الذى كان حرياً لحبك محرماً

وفى ختام الكلمة بيتٌ ، هو مرآة قلب الشاعر وبيت فيه بيان الحقيقة ، وبها تنتهى الكلمة ، قال سقى الله ثراه ونضر وجهه يوم القيامة . يناجى صقلية :

اشرحى حالك لى وبوحى بما تكنه جوانحك من تباريح الشوق ، فإنى رجل قتله الحب وأضناه هوى مثلك ، وبقية من الركب الذين كنت منزلهم ومحط رحالهم ، سأذهب بهديتك إلى الهند وأبكى فيها أناساً ، كما أنا أبكى ههنا أمامك .

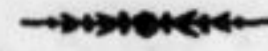
(يتبع) مسعود الندوى

(١) شاعر هندى من أهل دهلى ، عاصمة الهند ، وقد شاهد خرابها بعينه عام ١٨٥٧ م بيد الانجليز فرثاها أوجع رثاء .

دراسات تحليلية :

الجنيد

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ



في حاضرة الخلافة العباسية مدينة العلم والنور وبين مجالس الزهد والتقوى ومراتع اللهو والمجون، ولد العالم الأديب المحدث الفقيه الصوفي المتقشف أبو القاسم[1] الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، ودرج في بيت أبيه لا يرى فيه من مظاهر النعمة والثراء شيئاً مذكوراً، ولا تسمع أذناه سوى ارتطام القوارير التي كان أبوه يبيعها. ولما بلغ مبلغ الصبيان صار يذهب إلى دكان أبيه، فكانت كثيراً ماتقع عيناه على موكب من مواكب الخليفة يسير في شوارع بغداد خارجاً لصيد أو ذاهباً إلى مسجد لأداء الصلاة تحف به مظاهر الأبهة والملك وتحيط به حاشية من وزراء وقراء وجنود وصحاب، فكانت تستهويه هذه المواكب، وتسحره هذه المظاهر، ويتمنى — شأن كل من في مثل سنه — أن يكون كأحد هؤلاء الذين يحيطون بالخليفة ويحفون به. أو يمر على حانة من حانات القصف واللهو تختلط فيها رنة الكأس بأصوات المغنيات، وتتعالى فيها صيحات الاستحسان من قوم سلبتهم بنت الحان عقولهم، فيقف ينصت لما يقولون ويسمع ما به يترنمون، فيود لو جلس بينهم وشاركهم لهوهم وفرحهم، فإذا آب إلى بيت أبيه في أحد أزقة بغداد هاله الفرق البعيد وأخرجته مرارة الحقيقة التي تتجلى له والتي هو رازح تحت كلكلها، من تصوراته البديعة وتخيلاته العريضة التي كان سابحا في ملكوتها، إلى واقع حياته وحياة من يحيطون به.

ولما صار فتى ألحقه والده بحانوت خزاز ليتعلم صنعة تكون له غناء في حياته ووقاية له من الفاقة، وكان كثيراً ما يسمع عن أسماء بعض الفقهاء والعلماء، وأقوالهم ومجالسهم وما حباهم الله به من نور وعرفان، فتاقت نفسه إلى مشاهدة مجالسهم وسماع أقوالهم. وذات مساء ذهب إلى إحدى الحلقات التي يؤمها كثير من طلاب العلم، وهناك جلس في ركن من أركانها قانتاً خاشعاً في وقار وتهيب وخشية وخوف، يسمع ما يقال ولا ينبس ببنت شفة، وسحره القول وأعجبه الحديث، فصار يتردد على هذا المجلس حتى تفتحت بصيرته وانشرح قلبه لنور ربه، وبدأ يفهم ما يقال ويتأمل ما يسمع.

ثم سمع بإبراهيم بن خالد الكلبي صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه، فورد عليه وأنصت لما يقول فجذبه قوله واستأثر به حديثه فلزم مجلسه. واسترعت مواظبة الجنيد وحضوره مبكراً نظر الكلبي فقربه إليه وأدناه من مجلسه، وأعظم فيه مظاهر الورع والتقى على صغر سنه، ورأى علائم النجابة بادية عليه، فاتخذه تلميذاً له يرعاه ويحدوه بعنايته. ولم يقتصر الجنيد على الفقه بل أخذ من كل علم بطرف، فكان في الأخلاق تلميذ معروف الكرخي، وفي التوحيد تلميذ الحارث المحاسبي ...

وصار الجنيد قبلة الأنظار وهو في سن العشرين. وفي أحد الأيام قال له خاله السري السقطي وكان من أساتذته، تكلم على الناس وعظهم حتى تفيد وتستفيد، ولتعظ نفسك قبل أن تعظ الناس، فامتنع عن ذلك لأنه كان يرى نفسه ليس أهلا لذلك، فرأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت ليلة الجمعة، فقال له النبي عليه السلام: تكلم على الناس. قال فانتبهت من نومي وأتيت باب السري قبل أن ينبلج الصبح، فلما دققت الباب قال لي: لم تصدقنا حتى قيل لك[1]. قال: فقعدت في هذا اليوم للناس بالجامع. ثم صار له أتباع ومريدون وأصبح أوحد أهل عصره. فقد كان يفتي في المسألة الواحدة وجوها لم تخطر على بال العلماء. سأله أحد الفقهاء عن مسألة فأجابه فيها بأجوبة لم تخطر له، فقال يا أبا القاسم لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت فأعدها علي، فأعادها بجوابات أخرى، فقال والله ما سمعت هذا قبل اليوم، فأعده علي، فأعادها بجوابات أخرى غير ذلك، فقال لم أسمع بمثل هذا فأمله علي حتى أكتبه. فقال الجنيد: لئن كنت أجريه فأنا أمليه، أي أن الله هو الذي يجرى ذلك على قلبي وينطق به لساني؛ وليس هذا مستفادا من كتب ولا من تعلم؛ وإنما هذا من

(١) لم أعثر على تاريخ مولده بالضبط فيما تحت يدى من مراجع.

(١) وفيات الأعيان ج ٣.

من فضل ربى يلهمنيه ويجريه على لسانى . وسمعه بعض المتزلة فقال : رأيت فى بغداد شيخاً يقال له الجنيد ما رأت عينى مثله . كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وكلامه ناء عن فهمهم .

وبينما هو يسير فى الليل فى درب من دروب بغداد سمع غناء فى دار فماد به الحنين إلى عهد الطفولة فأنصت ، فإذا جارية تقول :

إذا قلت أهدى الهجر لى حلل البـــلى
تقولين : لولا الهجر لم يطب الحب
وإن قلت هـذا القلب أحرقه الجوى
تقولين : نيران الهوى شرف القلب
وإن قلت ما أذنبت قلت مجيبة
حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصاح وخر مغشياً عليه. ولما أفاق ورجع إلى بيته أخذ يطيل الفكر فيما سمع ، وترن فى أذنيه قول الجارية (حياتك ذنب لا يقاس به ذنب) فبدأ يتخلف عن مجلسه ويطيل وحدته ويتأمل صنائع الإله وما أبدع فى الكون وبذلك انتقل إلى مرحلة التصوف

والميثاق الذى ورد فى كتاب الله جل شأنه والذى بمقتضاه أقسمت الأرواح أن تؤمن به قبل أن تحل فى أبدانها وقبل أن يخلق الله هذه الأجسام ، هو مذهب الجنيد الذى اعتنقه ونادى به . وصاحب هـذا المذهب يؤمن بوجود حقيقة الإنسان فى الوقت الذى تمهدت فيه الأرواح بالإيمان لخالقها ، وأن البدن باطل لا وزن له ولا يساوى أية قيمة ؛ وأما الحقيقة الإنسانية فهى تنحصر فى الجوهر الروحانى الذى لا تشوبه شوائب المادية ، وفى هذا اليوم الذى تمهدت فيه الأرواح لخالقها بالإيمان تقرر مصير الإنسانية وتحدد نهائياً . ومن هذا اليوم اختار الله السعداء من خلقه فاصطفاهم لحضرته فانكشفت لهم الألوهية فى ذلك الوجود النقى الصافى الذى كان يحتويهم قبل عالم الأشباح ، ثم بعد أن صاروا فى عالم الأشباح لا زال الله يجذبهم إلى العودة إليه من ثنايا هذه الحياة . ولهذه العودة درجات كثيرة مختلفة ومتعددة ، ولـكن أعلى هذه الدرجات وأولاها المعرفة ، وأول مبادئها التوحيد ، ثم تحديد الوحدانية الإلهية ، ولا يكون هذا التحديد حقيقياً إلا بالتنزيه وهو جحود الكيف والحيث والأين ، ولا يحظى بهذه المنزلة إلا من شاء الله له ذلك عن طريق السكر التنسكى وهو نوع من الجنون الفجائى يمن الله به على من اصطفاه فيصبح بواسطته فى حال يصدر فيها عن القول والفعل دون أن يكون مسئولا عما يقول أو يفعل . ومن يمنحهم الله المعرفة ، ويتجل عليهم بهذه المنزلة يستول عليهم بعنف جليل . وفى هذا يقول الجنيد عن هؤلاء الذين خصهم الله بقـربه واصطفاهم لحضرته « هؤلاء هم الذين اعتزل الله بهم » .

والمعرفة عنده معرفتان : معرفة حق ، وهى إثبات وحدانية الله تعالى على ما أبرز من الصفات وما أظهر من آثار قدرته فى الأنفس وفى الآفاق . وهذه المعرفة هى معرفة المؤمنين عامة . ومعرفة حقيقة : وهى مشاهدة السر من عظمة الله وتعظيم حقه وإجلال قدره وتنزيه ربوبيته عن الإحاطة ، لأن الصمد لا تدرك حقائق نعوته وصفاته ؛ فالحق سبحانه وتعالى يشاهد من عظمته . وفى هذا يقول : «المعرفة تردد السر بين تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك » . أما من اكتفى بظاهر الحياة وما يشاهد فى قلبه من صور ، واعتقد أنه بهذا وصل إلى المعرفة فقد خانه التوفيق وجانبه الصواب والجنيد يقول : «المعرفة أن تعلم ما تصور فى قلبك فالحق بخلافه » . لـكنه وجود يتردد فى الـكون ويحكم تدبيره ، لا تتهيأ العبارة عنه ، ولا تؤدى الـكلمات المقصود منه . فالإنسان مسبوق ، والمسبوق غير محيط بالسابق ، فصاحب الحال قائم موجود عياناً وشخصاً وصفة ونعتاً .

والمعرفة تجعل العارف الذى تعلق بحقيقة الخالق لا يشهد حاله ، بل يشهد سابق علم الحق فيه وأن نهايته صائرة إليه ومصيره إلى ما سبق له ، ومن لم ينعم الله عليه بشهود ما سبق له من الله تحير ، لأنه لا يدرى ما علم الحق فيـه ولا ما جرى القلم به ، ومن عرف ما سبق له من القسمة لا يتقدم ولا يتأخر وتعطل عن الطلب ، فقد عرف أن الله متولى أمره . ومن عرف أن الله متولى أمره تذلل له فى أحكامه وأقضيته وسار فى طريقه مستقيما متذللا . وفى هذا يقول « المعرفة شهود الخاطر بعواقب المصير ، وأن لا يتصرف العارف بسر ولا تقصير » . والعارف هو من لبس لـكل حال لبوسها فيكون فى كل حال بما هو أولى وما يناسبه فلا يرى بحال واحدة ، لأن أمره ليس بيده وتصرفه غيره . ولما سئل عن صفة العارف قال : « لون الماء لون الإناء »

وكثيراً ما كان يحكى فى هذا المقام ماحدث لأبى بن كعب . قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب (إن الله أمرنى أن أقرأ عليك) فقال أبى : أو ذكرت هناك يا رسول الله ! قال نعم : فبكى أبى ولم يرحالا يقابله بها ، ولا شكراً يوازى نعمه ، ولا ذكراً يقوم بما يستحقه المولى جل شأنه ، فانقطع فبكى فقال له النبى عليه السلام (عرفت فالزم) .

***

وذكر الله هو سبيل الوصول إلى الحضرة الربانية ، والهيام به هو تصريح المرور إلى مجلس الأنس الأسمى ، ولا يكون حقيقة من القلب إلا إذا استروح الذاكر حب الله وعاين الحق وثمل من كأس الحبيب وسكر بخمره . وهوقوت القلوب الذى تحيا به ، وزاد الأرواح التى تتزود به ، وأنس النفوس الذى يذهب عنها الوحشة ويزيل همها وكربها ، والماء الذى يطفىء ظمأ الفؤاد ويخفف من حدة اشتعاله ، وهو الدواء الشافى من العلل والأسقام ، والبلسم المطهر لجراحات القلوب ، وهو حبل الوصل بين الذاكر والمذكور ، وسبيل القرب بين المحب والمحبوب ، وكلما ازداد الذاكر فى ذكر محبوبه استغراقاً وهياماً ، ازداد الحبيب المذكور إلى ذاكره تقرباً وإلى لقياه اشتياقاً . والذكر عنده نوعان : ذكر اللسان وهو أيسر النوعين وأقلها مشقة وأخفها عناء ، وهو ملك للجميع وفى هذا يقول:

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى

فإذا وافق القلب فى الذكر اللسان ، نسى الذاكر فى جنب الله كل شىء وهان عليه كل شىء وحقر فى نظره متاع الدنيا وزينتها ، وطرح مباهجها وراءه ظهريا ، وتعلق بذكر محبوبه وهام به وغرق فى بحر ملكوته القدسى . ومن كانت هذه حاله حفظ الله عليه كل شىء وعوضه بلذة ذكره عن كل شىء ، ومن وصل إلى هذه الدرجة فهو الذى من الله عليه بنعمة الوصل والتعرف؛ لأن من بلغ هذا المقام فقد عرف الله حق المعرفة ؛ ففى الأثر الإلهى: (إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه[1]) وفى هذا يقول الجنيد « من ذكر الله عن غير مشاهدة فهو مفترى »

والذكر بالقلب هو أصل المحبة وعنوان التقرب لأنه يغزو قلب الذاكر وفى هذا يقول : « المحبة ميل القلوب » فالذاكر إذا أحب من يذكره مال إليه قلبه وانجذب إلى حضرته وفنى فى ذاته ، فيكون حبه من غير تكلف ، وهيامه عن صدق وإخلاص . وما دام الذاكر قد مال قلبه إلى من يذكره واتصلت به محبته فإنه يرى اللذة والسعادة فى الخضوع له والتذلل فى حضرته وإطالة الوقوف ببابه طلباً للمثول بين يديه ، والطاعة فيما يأمره به من أعمال ، ويبتعد عما ينهاه عنه ، ويرضى كل الرضا بحكمه فلا تثور نفسه ولا يضجر قلبه إذا نزل به مكروه أو حاقت به نازلة ، يفعل كل ذلك ليحظى بالقرب وينال الرضا من المحبوب ، فإن حظى بمراده وبلغ مأموله فقد طابت له الحياة وصفا عيشه ؛ لأن المحب يتلذذ بكل ما يرد عليه من المحبوب من خير أو شر . وفى هذا يقول : « المحبة لذة والحق لا يتلذذ به لأن مواضع الحقيقة دهش واستبقاء وحيرة » .

وإذا ملك الحب شغاف القلوب ، وتكشف الحال بين الحب والمحبوب ، وأصبحت المحبة تمظاما يحل الأسرار ، وقربا يحيى موات القلوب ، فإذا سمع المحب ذكر محبوبه اضطربت منـــه الجوارح طرباً بالذكر محبوبه فيصبح فى حال من الوجد والهيام ، والمحب إذا كان ضعيفاً إيمانه ضعف وجده ، وضعف الوجد ينتج حالاً من التواجد وهوظهور علامات الهيام على المحب . وأما القوى الإيمان الراسخ القدم الصافى القلب الصادق الحب ، فيكون وجده قوياً وحبه خالصاً ، ومن قوى وجده تمكن فسكن فتراه فى حال من السكر لا يفيق منها أبداً ، وهــذه الحال هى حال العارفين . ولا شك أنها خير من الحال الأولى لأن كتمان الحب دليل على قدرة المحب وصبره على تحمل ما يلقى فى سبيل حبه . وفى هــذا يقول الجنيد :

الوجد يطرب من فى الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود
قــد كانــ يطربنى وجدى فأشغلنى عن رؤية الوجد من فى الوجــد موجود

***

والجنيد صوفى متنسك وهو زيادة عن ذلك عالم فقيه محدث

(١) قرن الإنسان من ماثله سناً ، تقول هو على قرنى أى على مثل سنى ، والقرين الصاحب (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) أى صاحب ، والمراد من الحديث القدسى ، أن العارف بذكره وهو مستحضر عظمته مستشعر جلاله وقدرته .

الأزهر والإصلاح

للأستاذ محمد سيد أحمد الشال

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى فى العدد سنة ٧٨٦ من الرسالة الغراء ، وما علق به الأستاذ سليمان دنيا فى العدد ٧٨٩ من المجلة المذكورة . ومقاله الأستاذ الشرقاوى كما وصفه الأستاذ دنيا قد صور الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر حتى يتحقق له أن يكون قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ليقاوم ما ينتاش العالم كله من أباحية والحاد .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن يخرج الأزهر طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هـذه الأمة الإسلاميـة وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم .

ولقد عتب الأستاذ الشرقاوى أنه لم يرسم الخطوط ولم يبين المعالم للاصلاح . وأنا بدورى أعتب على الأستاذ دنيا أنه لم يحاول أن يكون له فضل السبق إلى بيان الطريق الموصل إلى الإصلاح بعد قوله : فمن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر يجاهدون ما وسعهم الجهد لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة . ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولاتهم ولـكنهم دائبون حريصون ؛ ومن الأزهريين كثير من المشغوفين بالحـديث عن الإصـلاح فى الأزهر حتى أصبح شغلهم الشاغل وهمهم الذى يتـداولونه فى غدوهم ورواحهم وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ولهم فى هذه السبيل نشاط مذكور .

وأنا لا أشك فى أن الأستاذ دنيا من هذا النفر الـكريم الذى يعملون فى هدوء ويفكرون فى سكينة ولا يطلع أحد على مجهودهم أولا يحبون أن يقف أحد على مجهودهم . ولا أدرى إلى متى يظلون يفكرون ويقلبون الرأى ويمحصونه ويستخلصون من وراء ذلك كله ما لا يطلع عليه أحد أو ما لا يريدون أن يطلع عليه أحد .

وعلى هؤلاء وحدهم ممن يشعرون بالمسؤولية ويلمسون النقص وبين جوانحهم ضمائر حين تفكر فى النهوض بالأزهر إلى المستوى اللائق به تقع التبعة أمام الجيل الحاضر والأجيال القادمة بل أمام الله وأمام رسوله .

وإلى متى يظل هؤلاء فى تفكيرهم وسكوتهم . ألم يسمعوا المرسوم الصادر بإنشاء قسم للشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق لدراسة فقه القرآن والسنة والفقه الإسلامى وأصـوله وغير ذلك من المواد ؟ ألم يسمعوا بما اعتزمته الجامعة العربية من إنشاء معهد للفقه الإسلامى ودراسته مع ما يتعلق بذلك من دراسة القوانين الوضعية والمقارنة بين القوانين ؟

وإلى متى يظل التفكير فى الإصـلاح وطرقه ؟ وأظن أنه سيظل إلى أن ينفذ المرسوم بإنشاء قسم للشريعة فى كلية الحقوق ، وبإنشائه تكون السبيل قد مهدت لتوحيـد القضاء الشرعى وهو المظهر الضيق الباقى من آثار التشريع الإسلامى . وإلى أن تنفذ الجامعة العربية ما قدرته من إنشاء معهد للفقه الإسـلامى تتوسع فيه كل التوسع وتمتز به كل الاعتزاز وتؤازره كل المؤازرة حتى يخرج رجالا لهم دراسات واسـعة مطابقة للأوضاع الحديثـة والاصلاحات الجديدة فى الاستنباط والتطبيق والاجتهاد .

وأظن أنه لا يشك أحد أن فى تنفيذ ما تقدم سلباً لـكثير من حقوق الأزهر واختصاصه واعتداء على ما هيأ نفسه له .

وأى شىء يبقى له بعـد ضم دار العلوم للجامعة وبعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه الاسلامى ؟ وأى باعث على ضم دار العلوم

وله كثير من المؤلفات منها (كتاب التوحيد ، وكتاب الفناء ، وكتاب الميثاق ، وكتاب دواء الأرواح ، وكتاب آداب الفقر ، وكتاب سر أنفاس الصوفية ، وغير ذلك كثير) كما أن له رسائل هامة وأجوبة على كثير من الأسئلة التى كانت توجه إليه . وكان ورده فى اليوم ثلثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة . ولما حضرته الوفاة جعل يصلى ويتلو القرآن فقيل له لو رفقت بنفسك فى مثل هذا الحال ؟ فقال: لا أجد أحوج منى إلى ذلك الآن ، وهذا أوان طى صحيفتى . ثم فاضت روحه ، وكان ذلك سـنه ٢٩٨ للهجرة النبوية ، فبكاه الأمراء والعظماء وسارت وراء نعشه بغداد كما كانت تسير وراءه أيام حياته ، وحزن عليه الأصحاب والمريدون .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

رحلات فى ديار الشام فى القرن الثامن عشر الهجرى :

٤ ـ اردان حلة الاحسان
فى الرحلة إلى جبل لبنان
لمصطفى البكرى الصديق
(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ -- ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

سنة ١٤١١ هـ وفيها قدم الرحالة المصرى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي إلى بيت المقدس :

« تمت علينا بركات سنة (١١٤٣ هـ) فعملنا عاشورا وتألفنا للسير إلى الزيارة(١) ، وتأهب للتوجه معنا جمع أخيار منهم الأخ الأمجد العديم الأنظار الشيخ أحمد المراغى سالف الأعصار ، والأخ محمد سعيد البصرى البار ، وزكريا النسيبى السيار ، وجملة حضار وبتنا فى السيد (شمويل) ومن حماه كن للأوكار طار ، وإن استقر منا للراحة فى بعض الممار قدار إلى بلدة (لد) المعمورة الجهات والأقطار ، بالمدرات المسرات المار من خطار ، واجتمعنا بصديقنا الفاضل المسعود الشيخ أبى السعود ، فأكرم وحيا ، وزرنا أخاه المرحوم الشيخ حسين رحمه الله ، وسرنا صباحاً إلى يازور ونزلنا داراً تعزى إذ تنسب الملاح وبتنا ليلة الخميس ببسط ما عليه مقيس ، وفى ذلك اليوم الجالب التعيس ، سادس عشر محرم توجه الأخ زكريا (نسيبه) ليغتسل فى البحر ، وما درى السباحة بقيس ، فغاب فيه روحاً وجسما عن العين ، وما ظهر إلا يوم الجمعة فكدر رائق وقت أنيس ، ثم انا استرجعناه ودفناه فى مقبرة الجامع الجديد التأسيس(١) ، وسرنا إلى الحرم(٢) نترحم على المفقود وعملنا له ختمة قدها يميس ، وأهديناه تهليلة جليلة ، وكان الحاج حسن القلدى (الجيوسى) وفد علينا الاسكلة(٣) ، وأقمنا

(١) كانت هذه الزيارة سنوية إلى مقام على بن عليل على ساحل يافا .

(١) هى المقبرة شمالى سراى يافا الآن . والجامع الجديد بنى فى هذا القرن وقد وقف على تعميره الشيخ محمد الخليلى .

(٢) الحرم هو مقام سيدنا على ويعرف بالحرم .

(٣) هى الميناء ، والمقصود يافا .

للجامعة وهى تأخذ طلبتها من أبناء الأزهر وقد توحدت أو كادت البرامج بينها وبين كلية اللغة وتشرف وزارة المعارف على الامتحانات فى كلية اللغة .

أفما كان الأولى أن تضم دار العلوم للأزهر بدلاً من ضمها إلى كلية الآداب فالأزهر أمس بها رحما وأقرب صلة من الجامعة . ألم يكن فى ضمها للأزهر قضاء على المنافسة التى تتجدد بين حين وآخر واستتباب للأزهر بتقوية إحدى دعائمه وحفز للحكومات المختلفة على أن توليه الكثير من العناية لاعتمادها عليه فى تخريج معلم اللغة العربية التى قام بحراستها منذ ألف عام .

وأى شىء للأزهر بعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه ؟ وهل عقم الأزهر أو استعصى على الإصلاح حتى يفكر أولو الأمر فى هذا الانشاء ؟ ولم لم يتجهوا إلى الأزهر ويشتركوا مع رجاله فى رسم خير الطرق لهذه الدراسات . وهل امتنع الأزهر ورجاله عن مشاركتهم ومدارسة الأمور حتى يرسموا لاصلاحه ما ينهض به لمجاراة العصر مع المحافظة على كيانه وطابعه . وأغلب الظن أن المراد بإنشاء معهد للفقه الاسلامى هو العمل على سلب جزء آخر من اختصاص الأزهر حتى إذا ما استوى ذلك المعهد تقرر ضمه للجامعة أيضاً كما ضمت دار العلوم . وبذلك لا يبقى للأزهر من الاختصاص إلا ما يمس دراسة أصول الأديان وطرق الدعوة وهذا أمر هين . وليس بغريب أن نرى عما قريب اقتراحاً آخر بإنشاء هذا القسم وضمه إلى كلية من كليات الجامعة ، وبذلك يسلب الأزهر جميع اختصاصه ولا يبقى لوجوده أى مسوغ ما دامت الجامعة قد قامت برسالته فى فروع مختلفة . وأظن أن هذا تنفيذ لما رسمه الدكتور طه حسين بك فى كتابه مستقبل الثقافة من توحيد البرامج فى الابتدائى والثانوى والاستغناء عن الأزهر بإنشاء قسم للاهوت وإلحاقه بإحدى كليات الجامعة كما هو الحال فى جامعات الغرب وبخاصة فرنسا . وإذا لم يكن تنفيذ هذه السياسة سافراً فظاهر الخطوات المتقدمة توحى بأن العمل جار على تحقيقها إذا لم يتدارك رجال الأزهر الأمر بالعمل السريع على إصلاح الأزهر إصلاحاً عاماً شاملاً يتناول ما يتصل بالمعلم والطالب والكتاب .

(للكلام بقية) **محمد سيد أحمد الشال**

مندوب الأزهر لتدريس الشريعة
بكلية المقاصد الاسلامية ببيروت

فى الزيارة ليلتين ، وودعنا وسرنا إلى أن دخلنا قرية المذكور (كور) ومنها تملقت بنا حمى الربع الجالية الأجور ، السابق قضاء وقدر مسطور ، ووجلنا نابلس المحروسة الطلول والدور ، وأقمنا ثلاثة أيام أنسها يعور فلا يغور ، وأتينا (جماعين) ونزلنا المحلة الفوقية ومنها عمدنا (الزاوية) ونزلنا منها إلى دير غسان لإلحاح الإخوان بها ووقفنا على تلك الآثار ، وفى الصحاح وغسان إسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ، منهم بنو جفنة ، رهط الملوك ، ويقال غسان إسم قبيلة . انتهى . وفى لب الألباب فى تحرير الأنساب للسيوطى ، الأزدى بفتح وسكون فهملة إلى إزد شنوءة بن الغوث ... إلى إسماعيل وفى اللب ، الغسانى بالفتح والتشديد إلى غسان قبيلة من الإزد ، وجد غسان رأس الغسانية من المرجئة ، وبضم أوله إلى غسان بن جذام بطن من الصدف ، قال فيه الصدفى بفتحين وفاء إلى الصدف ، بكسر الدال قبيلة من حمير . انتهى .

وأهلها المقيمون فيها الآن ينتسبون إلى جدهم برغوث(١) ولذا لقبوا بالبراغثة ، وهم مشايخ بنى زيد الآن وجباة وقف الصخرة والخليل ، فى تلك الأوطان ، لكنهم بقلة الحكم وضعف ولاة الزمان جبوا لأنفسهم ، وأكلوا ما للوقفين استبان حتى مال منهما القبان ، إلى الخفا بعد الميان ، وتوجهنا إلى (عابود) بلدة سيد الأكوان الداخلة فى وقف الحرمين من غابر أوان ، ومنها ختمنا مقابلة (العرائس القدسية) المفصحة عن الدسائس النفسية بحضور إخوان فى واديها المصان وعدنا إلى الأوطان ، وسلينا والد المفقود بما أمكن وبشرناه بحلوله جنة الأمان . وأرسلت كتاباً إلى الشيخ محمد المكتبى ، وأرسلت آخر إلى الأخ الأمجد الشيخ أحمد نجل سمية خطيب الحسروية . وكتبت آخر للأخ الحميم عبد الكريم الشراباتى ، وقلت :

مر للمنـــازل يا نديمى تسق من الخمر القديم (الخ)

ولما دخل شهر ربيع الأول ورد علينا من صديقنا الروحانى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى كتاب يطلب فيه التدانى من حينا القدسى ، ويتشوق للقا النفسى الحسى الأركانى ، وطلب كتابة كتاب لوالده نرجى منه الإذن بالمسير فأجبته وصدرته بقولى :

راح الحشا والروح والريحان وصل سما روحاً مع الريحان

وكتبت له ، ولوالده ، طالباً الإذن للولد بالزيارة وأن يعود إن شاء الله فى أقرب مدة .

« وقدم علينا الديار عقب هذا المكتوب الصديق القديم الشيخ داود الدمياطى وسألناه عن المكاتبة فأخبر بوصولها ، وأن الأخ المكاتب عن قريب يجوب ، وفى هذه الديار يتملى بالأنوار ولوطنه يؤوب ، ولما عزم على المسير إلى الشام ، طلب أجازة ، فكتبت له . ثم ورد علينا من الصديق الشيخ مصطفى كتاب يعلم بقرب الجواز . فأرسلت له كتاباً وقلت :

سلام على أهل وادى الهوى أناس فؤادى إليهم هوى (الخ)

وأرسلت للصديق السيد أحمد الأدهمى نجل السيد صالح الطرابلسى السمى ، جواباً عن كتابين أرسلها إلى بحال همى والمذكور له صحبة قديمة محفوظ عهدها أكرمى ، فى بلده ، وأخرى جديدة تؤذن بعدد نمى فى دمياط لما أتيتها والفؤاد محتمى فقلت .

لفتى الصبابة يا سعاد ترحمى مضنى لغير جمالك لاينتمى (الخ)

وجواب الكتاب الثانى ، صدرته بقولى .

أيها النفس باختيارك موتى واخرجى عن ملابس الناسوت

الحمى تنتهك الشيخ ، وينتظر مولودا جديدا :

« ولما تمادت الحمى فى غيها على ، وزادنى كرب عيها الواصل إلى ، ولم يفد فيها بده ساعة دوا ، ولا أنجع قلم له وصف ارتوى ، ورد على الفؤاد وارد ، وهو امتداح جناب الخليفة السيد الممود سيدى داود ، فقلت غب زيارته يوم الخميس المشهود .

إن قلبى نحو الحظائر نودى حين فوجى بلمع نور وجودى

إلى أن قال .

فلهذا ناديت والجسم أضحى ضمن نار كالنار ذات الوقود
يا حبيبى داود كن لى شفيعاً إن دائى قد كاد يفنى وجودى

وقد استجاب الله دعاء الشيخ ثم يقول :

وكان أواخر ذى القعدة الحرام من سنة (١١٤٢ هـ) تبين حمل وفى ذى الحجة عاد كاليقين ، وفى محرم اتضح ذلك الابهام ، وكانت البنية السعيدة الجنانية الفريدة ، بلغت عاماً ونصفاً أو أقل بأيام ، تخفنا عليها الغيلة ، فميناها بالفطام .

وكنت كثيراً ما أسمع قصيدة شيخنا جناب الشيخ عبد الغنى (النابلسى) التى مطلعها البسام :

(١) هم آل البرغوثى شيوخ بنى زيد ، وبلدتهم دير غسانة ، وهم منتشرون فى قرى بيت ريما ، وقداوة ، وكفر عين ، ودير نظام الخ .

يا أشرف الرسـل ضاقت فأرسل الفرجا
فإننى فيـــك قـد أملت ألف رجا

فأحببت أن أقتدى بهذا المولى فقلت :

يا سيد الخلق إن القلب مبتهجا   أضحى بحبك للتقريب منتهجا

المولود الجديد محمد كمال الدين :

ولما هل هلال شعبان المبارك ، ومضى منه ثلاث ليال ، ولد الولد المحمود محمد كمال الدين وكنيته أبا الفتوح ، منح الرفد التام السعيد إن شاء الله تعالى وتبارك ، أنشأه الله نشوء عبد الله ابن المبارك .

وعندما دخل شهر الصيام كنت أبيض الجزء الثانى من (شرح الورد السحرى) . فنجز فى يوم الاثنين ختام العشر الثانى من شهر رمضان سنة ١١٤٣ هـ .

قدوم الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى الرحالة :

وحين دخل العيد الصغير ، ومضى منه يوم أول وثانى وثالث توجهت لزيارة سيدى داود ، وبت فى جوار الخليفة داود ، مع أنفار أمنوا المهار كل خيفة ، وذلك فى أواخر القعدة ، لداع دعا للمبيت فى تلك الخيام ، وفيه قدم الأخ الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى ، ولما تلاقينا معه بسطنا بساط المباسطة ، واختلينا واجتلينا عرائس الأنس وما بيننا واسطة ، فى بيتنا المعمور . ولما أخذ وانتسب وأقبل ما احتجب أقام فى خلوة حرمية واستقام فى جلوة كرمية ، مشمراً ذيل الاجتهاد ، ممعراً اللب بالاستمداد . وكنت فى أواسط شوال المبارك ، شرعت فى عمارة دارنا الفوقية فتم منها المراد ، ونزلت أشطح معه فى السطح الحرى ، وتارة أسبح ناحية المهد فى يم البسط البهى ، وما برح يتلقى ويستقى سلاف الأسلاف ويسقى ويأتى المنزل مجداً لم يهزل ، فنحيك معه ثوب المؤانسة ونغزل ، ونطلب له من ربه الجليل عطاء يجزل بكل بر جميل .

وصف الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى لقاءه الشيخ البكرى والاجتماع به :

وإننا نترك الآن الشيخ اللقيمى الحسنى سبط بن غانم المقدسى السعدى الخرجى يصف لنا فى رحلته (كتاب سوانح الأنس برحلتى لوادى القدس سنة ١١٤٣ هـ (١)) إجتماعه بالشيخ البكرى ببيت المقدس قال « ثم دخلنا المدينة من باب الخليل ، وجاء الأنس بالسعد لنا دليل ، فنزلنا بمنزل قطب دائرة الأفلاك الحسنية ، وواسطة عقد العصابة الهاشمية ، خلاصة السادة الأشراف ، وصفوة بنى عبد مناف ، من قال بحسن سيرته النجوم الزواهر ، وبجميل طلعته البدور النواضر ، الراسخ فى العلم الإلهى ، المكاشف عن أسرار الحقائق كما هى أستاذ كل أستاذ وملاذ كل ملاذ ، مولانا السيد مصطفى البكرى الصديقى قدس الله سره الشريف ، وأسكرنا من كأس خمره الرحيق فبرؤيته وردت على واردات السرور من كل جانب ، وأيقنت ببلوغ المآرب والمطالب ، وعند ذلك جاد الجفن بالدمع وسمح ، لما اعتراه من المسرة والفرح ، فتلقانى بوجه طلق بسام ، وعذوبة لفظ تذرى باللآلىء فى النظام ، فان أستاذنا المذكور قدس الله سره الشريف ، بمظهر الجمال فى أرفع محل منيف ، مع لطف بلغ غاية الكمال ، وحسن خلق وفضل وإفضال ، فوالنجم إذا هوى ، إنه لجميع المحاسن قد حوى ، وهو الذى يقتدى به المقتدون ، وبسمته يهتدى المهتدون ، وبمحاسن الصفات محلى ، رفع الله له فى الملا محلا .

مولى تحلى بالفضائل والتقى   وأشاد من طرق الحقيقة ممهدا
ودعى إلى النهج القويم مسلكا   لطريقه منها شهدنا الشهدا

انتهى كلام اللقيمى » .

وفاة الشيخ عبد الغنى النابلسى :

« وفى أوائل شوال ورد خبر وفاة شيخنا الهمام المفضال بركة الديار وشامة الشام جناب الشيخ عبد الغنى المقدام فشرعت فى عمل ترجمة مختصرة على المكاتبات التى كتبتها لجنابه مقتصرة ، وسميتها : « الفتح الطرى الجنى فى بعض مآثر شيخنا الشيخ عبد الغنى » ، وعملت فى آخرها مرثية مطلعها السنى المختوم بالا كؤس الأنسية :

---

(١) رحلة مخطوطة نفيسة ، نشرت ملخصها فى كتابى رحلات إلى ديار الشام ، ولدى البكوات آل مكى فى المجدل نسخة اعتمدت عليها . وقد جاء اللقيمى من مصر عبر الصحراء إلى القدس ومنها إلى دمشق فصيدا فقبرص وعاد إلى مصر .

سلام على عيش صب هنى — لقد سار مذ سار بدر سنى

ومذ مات بالحى أرخ وهم — لقد عاش بالحق عيشاً هنى

وما زال الأخ اللقيمى القدم فى مدة إقامته التى فيها يتقدم يستعمل أوراداً فيجد أمداداً ويفتح أبواباً شداداً ، فيمنح أحوالا سداداً ، إلى أن قرب عيد الأضحى ، فلقنته الإسم الثانى فصحى غب ، ما خبا اضحى ، ومحا التقريب لاحيا للاحى فرحاً ورأيت معه رسالة للحاتمى ، ذكر فيها مبشراته النبوية ، فاقتفيت أثر مناهجه الرضية ، وسميت الكراسة « بالدرر المنتثرات من الحضرات المندية ، فى غرر المبشرات بالذات المبدية المحمدية » .

بئر للخلوة البيرمية فى الحرم القدسى .

« وكنت قلت للأخ الحاج حسن حبى ، لما طلب فى الحرم أثراً ينتج البيرمتنى ، أن الخلوة (البيرمية) تحتاج إلى بئر صغير فانتدبت له طالباً من النصير التيسير ولما أحضرت ما يلزم من الأحجار والجير ، أمرت باحضار ، فعلة لأجل الحفير ، وألهمت أن أشرت بحفر محل معين بمعونة الخبير ، فحفر خندق ، وباشره من حضر من أجير ، فظهرت ثانى يوم مصفاة بئر قديم التعمير ، ثم عثرنا بعد ذلك بفضل القدير ، فتوفر علينا بوجدانه شىء كثير ، ورأينا ما دورته تزيد على الكأس (١) الشهير ، ورفعنا بناءه نحو ثمانية أذرع لجمع الماء النمير . ولما رآه شيخنا الشيخ محمد الخليلى ، قال هذه كرامة من غير نكير ، لفلان وعلامة تهوين وتيسير ، وإلا كان يمكنه أن يشير فى الحضير إلى غير هذا المحل لاتساع كبير ، قلت ووقع لهذا التسهيل نظير عندنا فى الدار حال التعمير ، فلم نستر لأجل الستارات الكبا شيئاً بقطمير ، واحتجنا إلى روزنة (٢) فى المطبخ لأجل التنوير ، فقال البناء أين أحفر قلت هنا وتوكل على القدير ، فظهرت روزنة قديمة فعجب وقال هذا حال خطير ، قلت بل اتفاقية أبرزها التقدير .

دخول سنة (١١٤٤هـ) ، الزيارة الخليلية ، المنوية وظهور الطاعون ببيت المقدس :

« وعند ما دخل العيد الكبير وتمت بعدها عمارة البير، بقى من لوازمه المصارة ، وهى تحتاج إلى إتقان ومهارة ، فأحضرت لها ما يلزم ، وواقفنا عليها رجلا على الباشرة عزم ، ولما نوى العام المؤرخ على الرحيل ، ودخلت سنة (١١٤٤هـ) بتكبير وتهليل ، حضرنا بقية الشهر فى المسجد ، وتوجهنا غرة صفر الخير إلى زيارة على بن على نرتجى البر ، وكان حضرنا الأخ الشيخ رضوان الزادى والشيخ ابرهيم العرابى ، وسرنا معهم جملة إخوان منهم الأخ الشيخ مصطفى أسعد [اللقيمى] ، وكانت الحمى الربعية لم تفارق ، لأمر إلهى نوره بارق ، وبتنا فى القر الشمويلى الأنزه ، وقلت :

ألا أيها الطلاب سيروا إلى اللقا — عساكم به تسقون كأساً مروقا

وتوجهنا على بنى حمار (١) ومنها إلى (سبطاره) التى تشن العرب حولها الغارة ، وجلسنا فيها مع الأخ اللقيمى نتذاكر بأنس يأتى بكل قرية خير . وكان الأخ المذكور أثر فيه برد البلاد فتغير مزاجه وفى (يازور) زاد ، وتوجه صحبة شريكه النجار إلى (يافا) ولحقناه فيها نتصافى ، ثم سرنا منها إلى المقام المليلى الندى ، وورد علينا فيها الأخ الحاج حسن القلدى ، وبعض مضى أوقات الزيارة ، سبقنا الأخ اللقمى لوادى نابلس الفياح وتنقلنا إلى أن وصلنا (كوثر) والقلب مشتغل ، والفكر فيه بالحى فتور ، وجاءنا الخبر أن الشيخ عبد الرحمن السمان جاء نابلس للزيارة القدسية وصحبته الملا عباس تلميذ شيخنا المرحوم الملا الياس المتوفى سادس عشر شعبان سنة (١١٣٨هـ) . ثم أن ورد علينا بمن معه (كور) ، وعدنا جميعاً إلى نابلس فى حبور ، وبعد ثلاثة أيام من الإقامة فيها ودعنا الأخ اللقيمى وبقية الأحباب وسرنا إلى (جماعين) . ورأى جامعها السمان فسر به وقال إنه وعهد واف لجامع فى قاف ، لكن ذلك كبير واسع وماؤه فيضه هتان . قلت له : أتدرى إمامه الذى فيه يصلى مفره بصان . قال : نعم ، رأيته والقوم كلهم له فى ذى المقام . ثم عدنا للديار المقدسة ، وبقى خاطرنا عند الأخ اللقيمى ، وجاءنا الخبر بتوجهه إلى وطنه الصبيب (أى مصر) . وكان ورد البلاد العالم الفاضل المراد الشيخ عقيلة المكى الوطنى اليمنى الأصل والمولد ، يوم الخميس من شهر ربيع الأول الأنيس ، واجتمعت به فى منزله للسلام ، وحضرت درسه العام باستسلام ، وأخبر عن تأليفه الإحسان . ولما أوقفنى عليه قرظته :

يا راقياً لمدارج الإحسان — أحسنت فى الإحسان بالإحسان

(النهاية فى العدد القادم)

أحمد سامح الخالدى

(١) هو بركة فى وسطه ما يشبه الكأس بين المسجد الأقصى والصخرة حيث يصب فيه الماء فى برك سليمان .

(٢) الروزنة هى النافذة المطلة على الطريق وقد علاها قضبان من الخشب أو الحديد لمنع الكشف .

(١) فضاء يقع شرق الرملة قاعدته بلدة « نعلين » .

في موكب العيد :

من وحي اللاجئين

للأستاذ إبراهيم الوائلي

لكم العيــد نعيماً وهناء ولنا العيد جحيماً وشقاء
لكم العيد كأنفاس الضحى ألقا يبسم حسناً وبهــاء
ولنا العيد ظلاماً دامساً لم نطالع فيه للفجر ضياء
لكم العيــد نشيداً ورؤى وأهازيج ولحناً وغنــاء
ولنا العيد حنينــاً وأسى ومناحات وشجواً وبكاء
لكم العيد ابتهاجاً ومنى ضاحكات وانطلاقاً وازدهاء
ولنا العــيد قلوباً ذوبت فأذالتهــا مآقينا دماء
لكم العيد قرى فارهــة وبيوتاً تملأ النفس رجاء
ولنا العيد تهاويل دجى تبعث الرعب صباحاً ومساء
نحن ما نحن أفى أوطاننا نلبس التشريد والذل رداء ؟!
نحن ما نحن أعن تربتنــا للطريدين غدونا طرداء ؟
الطفولات عراهــا ما عرا من أذى اليتم ولم تلق عزاء
والأيامى وســلوا تاريخها هل أباحت لسنا الشمس سناء
هيمن الثكل عليها ومضت تعبر البيــد وتطويها حفاء
هي بالأمس ترى ســيدها حارس البيت كما شاءت وشاء
وهي اليوم تراه شبحــاً لثم التربة واشتاق الثواء
كلمــا نادت به لم تستجب غير دنيا القفر للثكل نداء
زمر باتت على مسغبة تحصد الشوك وتقتات الغثاء
فيتيم أفلــت اليتم به من وحوش ملئوا الليل عواء
وفتاة أسندت راحتهــا طفلة تبكي وأماً نفساء
ورضيع كلما اشــتد به ألم الجوع احتسى الدمع غذاء
لم يجد في الثدي — إذ يلمسه بيد واهنــة — إلا ذماء

* * *

لكم العيد مروجاً تزدهي ونسيماً في مجاليهــا رخاء
ولنا العيــد رمالاً تلتظي وأعاصير وشوكاً وعراء
لكم العيــد تضحون به ما تشاؤون من الضأن فداء
ولنا العيــد وما فديته غير أحرار تفانوا شهــداء
كتبوا تاريخ جيــل ثائر ما ونى يوماً ولا ارتد وراء
واسـتجابوا لأماني وطن كافح الظلم وداس الكبرياء
البطولات وما أعظمهــا قد خبرناها رجالاً ونساء
والميادين وكم قد حجبت بدخان الثورة الكبرى سماء
قد ولدنا نحن والحرب معاً واحتملناها فلم نشك العياء
وخضدنا شوكة (البغى) التى غرستها (لندن) فى الشرق داء
وتسابقنا فلم نخش الردى يوم أن ثرنا ولم نحـذر فناء
ثورة الشرق وما ازدادت لها شعل إلا لنزداد مضــاء
أيها التاريخ هــذى صفحة سوف تطويك خـلوداً وبقاء
قد كتبناها ولـكن بدم ونشرناها على الدهر لواء
ونضال طال لـكن ما رأى غيرنا فيه الضحايا الأبرياء
عبر الوحش فألفى تربة خصبة المرعى وأفيــاء وماء
ومضى يكرع ما شاء وقد كان يشكو فى المتيهات الظماء
وعلى (المانش) يد عاتية كلما أوغـل زادته احتماء
يد (جنبول) ويادنيا اشهدى كم أساءت يد جنبول وساء
هــذه التربة ماذا كابدت منذ أن كانت تقل الدخلاء
صيروهــا مزقاً خاوية وأحالوها عظـاماً ودماء
فإذا نحن حيـارى فزعاً نستجير البيد والقفر الخلاء
ونرود الماء لـكن ما نرى غير أوشـال فنرتد ظماء

* * *

أيها العـدل سلاماً فلقد صيروا عهدك فى الـكون هباء
ملأوا العالم رعباً ومضوا يدعون الحق كذباً ومراء !
فإذا (الأمن) خيال كاذب وطيوف تتجافانا ازدراء
جفت الأرض من الرى فيا خالق النبتة أمطرها السماء

(القاهرة) ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الحاكم بأمر الله:

مسرحية تاريخية، ألفها الأستاذ علي أحمد باكثير، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات، ومثلتها الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا في مفتتح موسمها التمثيلي. وتدور القصة حول الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، وتصور شذوذه وغرائب أفعاله، والحادثة الهامة فيها أو «العقدة» هي ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية، وقد تخيل المؤلف — لكشف سر هذا الادعاء — أن «المجمع الفارسي» بعث جماعة على رأسهم رجل اسمه حمزة الزوزني، للعمل على هدم الدين الإسلامي في مصر، فراقب حمزة الحاكم حتى ألم بأحواله وعرف أنه يروض نفسه على الحرمان من طيبات العيش والتخلص من الرحمة وسائر العواطف الإنسانية التي يسميها ضعفاً بشرياً، فيتصل به ويوهمه أنه إله ويستعين على ذلك بتلفيق كتاب يدعي حمزة أنه مخطوط قديم ورثه عن آبائه، ويتنبأ الكتاب بظهور ملك في مصر يحل فيه روح الله، وتنطبق أوصافه على الحاكم بأمر الله، فيضطرب الحاكم أولا ثم يقتنع بأنه إله، ويتخذ حمزة رسولا له. وتسير الحوادث على هذا الخط حتى يفتضح أمر الفارسي بوقوع رسالة آتية إليه من المجمع الفارسي في يد الحاكم بأمر الله، فتتكشف له الحقيقة ويكفر بنفسه..

ويبدو للمتأمل أن المؤلف لا يريد بيان سر الحاكم بأمر الله، وإنما يرمي إلى تحليل شخصيته، فتخيل خداع الفارسي للحاكم لا يتجه إلى حقيقة تاريخية، من حيث إبداء رأي تاريخي في الباعث للحاكم على ما كان منه، وإنما هو حبكة مسرحية غايتها خلق المواقف وترتيب الحوادث للوصول إلى تصوير هذه الشخصية الغريبة وبيان ما أحاط بها، واستغلال كل ذلك في تقديم فن ممتع.

هذه هي غاية القصة كما أفهم، وقد وصل فيها المؤلف إلى درجة لا بأس بها، فقد صور الصراع بين الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك، وصور الصراع بين الحاكم وبين نفسه، ووجه طاقته إلى إبراز الأحاسيس وخوالج النفوس، فنجح في كل ذلك، وإن كنت ألاحظ أنه عزز جانب الألوهية وقوى حجة ما سماه التخلص من الضعف الإنساني، فأظهر — مثلا — الحاكم بأمر الله في ذبحه الغلام بمظهر الفيلسوف المنطقي، وكان لابد من عمل شيء للسخرية من هذا المنطق. ومن ذلك أيضاً الحجة الدامغة التي أجراها على لسان حمزة الزوزني عند ما رد على الرجل الذي اعترض على الحاكم لأنه يسأله ويجب أن يكون عالما بما يسأل عنه إن كان إلها حقاً... رد حمزة بأن الله يسأل عباده يوم القيامة عما فعلوا بدنياهم وهو عالم به!

وما هو «المجمع الفارسي» الذي يعمل لهدم الإسلام في مصر؟ أليس إبهامه في الرواية يوهم بأنه كان هيئة رسمية في الدولة الفارسية الإسلامية!؟.

وحقاً إن الشعب المصري كان إذ ذاك ضعيفاً مسكيناً مسالماً، ولكن لم إبراز ذلك على المسرح والتنويه به على أنه صفة دائمة له وفضيلة راسخة فيه؟

وتنتهي المسرحية بختام يبدو غير طبيعي، فإن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله التي كانت تقاوم جبروته وتعمل على أن ترده إلى صوابه ولما يئست منه دبرت قتله — تلتقي به في خلوته بجبل المقطم فيجري بينهما حوار يبدي فيه الحاكم ندمه ويستغفر ربه ويطلب منها الصفح عما بدر منه في حقها، وكان هذا يقتضي أن ترق له وتحول دون تنفيذ القتل بعد ما بان لها صلاح أمره. ولست أدري هل المؤلف هو الذي جمل الحاكم بصحيح موقفه أمام أخته ثم تقتله، وهي عنصر خير في الرواية، أو حدث تعديل هذه النهاية في الإخراج ليكسب يوسف وهبي (ممثل الحاكم) محبة الجمهور وعطفه...؟

ويدل الإخراج والتمثيل على الكفايات المختلفة التي تضمها الفرقة المصرية الآن، وقد أعجبني بل أطربني أن ممثلي الفرقة ينطقون اللغة العربية نطقاً طبيعياً كأنها اللغة اليومية العادية، فلا تكلف إلقاء ولا نبرات خطابة ولا تعثر في التلفظ، وهذا شيء آخر غير

النطق السليم فلا تخلو الحال من بعض الخطأ في الضبط مما لا يسلم منه لسان. وقد أثبتوا أن الفصحى هي لغة المسرح الراقي وأنها تفي بكل أغراضه حتى التهكم والتفكه، مما زعم بعضهم أنه لا يؤدى إلا بالعامية، وقد برع فؤاد شفيق في ذلك حتى تكاد عربيته تقطر ظرفاً وفصاحة. أما رنين جرس العربية على ألسنة الممثلات فهو الطرب حقاً. ولله در أمينة رزق! فهي عروس هذه المسرحية، وقد أدت دور «ست الملك» فأجادت في مواقفه المختلفة، وخاصة عندما دخلت على الحاكم مع قواد الجيش، وطعنها الحاكم في شرفها، فمثلت الانفعالات النفسية أدق تمثيل. وأعتقد أن أمينة رزق أجدى على اللغة العربية من المجمع اللغوي! وهي في ذلك قوة لا يستهان بها ولا تقل عن أم كلثوم في غناء شعر شوقي.

وقد تعاون المؤلف والممثل (يوسف وهبي) في تصوير شخصية الحاكم بأمر الله وتحليل نوازعه. وقد تحول يوسف وهبي في هذه المسرحية، عن طريقته المعروفة، تحولا محسوساً، وذلك لطبيعة الدور، فهو يمثل شخصية جبار متأله يتكلم في رقة ممزوجة بالاستخفاف لأنه يملك كل شيء ولا يحتاج إلى العنف والتهريج، وقد كان يوسف وهبي يكتسح ويتغلب بالكلام والصياح، أما الآن فهو يطيح بالرؤوس ويزهق الأرواح وهو هادىء وديع رقيق، ولماذا يصخب وهو القادر على كل شيء؟! وهذه هي طبيعة الموقف ولا شك. ولكن لم يستخدم يوسف وهبي أو الحاكم بأمر الله قدرته في «تكبير» الممثلة الفتاة التي مثلت «أم الحاكم»؟ لقد كانت تسرع إلى حضنه رشيقة لفاء خفيفة الحركة.. له في ذلك حكمة!

والغلام الذي أتى به إلى الحاكم ليذبحه في أثناء رياضته للتخلص من الضعف البشري — لم يكن يشبه ابنه علياً كما اشترط ذلك إمعاناً في الرياضة، ولم يكن يشبهه تمام الشبه كما قال عندما شاهده. وأظهر فرق بين علي وبين الغلام (مرجان) أن الأول أبيض والثاني أسود فاحم؛ وقد مثل الاثنين بنتان... وكان صوت علي صوت بنت هي التي مثلته.

وثمة كلمة أخيرة يقتضيها إنصاف المؤلف، فقد نشرت الإعلانات عن الرواية بالصحف والمجلات وعلقت بالجدران، وأظهر ما فيها اسم يوسف وهبي وصورته في دور الحاكم بأمر الله ثم اسم زكي طليمات مخرج الرواية. أما المؤلف فلم يبد اسمه إلا في بعض الإعلانات ... في الآخر و بـ (بنط) صغير ... حتى الإذاعة ... لما أذاعت الرواية لم تكتب في برنامجها اسم المؤلف!

وأذكر أن يوسف وهبي أعلن أنه يمد يده إلى الأدباء ليعاونوه بالتأليف على النهوض بالمسرح، فهل هو يمد يده إلى الأدباء ليبتلع إنتاجهم ويطوي أسماءهم، ويأكل لحمهم ويرمي عظامهم؟ ...

ذكرى الزين:

في مثل هذا الأسبوع من العام الماضي توفي الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين. وطالما لقيت هذا الصديق الفقيد في خلال هذا العام ...

نعم، لقيته ولا أزال ألقاه في كل مكان صاحبته فيه، وعند كل ما يذكرني به. تحوم ذكراه على نفسي، فآنس بها، وأستوحش لبعده المادي أنساً ووحشة مجتمعين ... وكثيراً ما أتمثله يحدثني حديث المحلق فوق الحياة، الساخر من سخف الأحياء وتفاهة مراميهم، ولا أكاد أجد ما أحدثه به، إذ أراه واقفاً على كل ما هنالك ... وأستغرق في هذا الشعور[1] حتى تنجلي عني الذكرى لأمر مما يشغلني، فأنصرف إلى ما أنصرف إليه وفي نفسي من الأسى طعم شديد المرارة!

كنت أسير في يوم من الأيام الماضية بشارع يقع فيه منزل رجل من الأعلام ممن كان الزين يسعى لزيارتهم مدفوعاً بدافع الصداقة، وإذا هو كأنه يسير بجانبي وقد أحطت ذراعه بذراعي، وكأننا نقصد منزل ذلك العلم كما كنا منذ سنوات. ولكنه يقول لي: لا. لن نزوره، قلت فيه شعراً، ثم تقطعت الأسباب!

وبهذا الإيجاز أدرك مايعني، فقد كان الزين يحرص على مودة أصدقائه من أهل الفكر والأدب، وكان ينفق عليهم من شعره وهو الضنين به على غيرهم من ذوي الجاه والسلطان، وكانوا يحتفون به ويحسنون استقباله ... ثم مضى. ومضى معه كل

(١) وضح لي هذا الشعور الذي كان غامضاً في نفسي، بعد قراءة ما كتبه الدكتور طه حسين بك بكتابه «رحلة الربيع» في الحديث عن ذكرى صديق لم يسمه، وقد فهمت أنه الشيخ مصطفى عبد الرازق.

شيء ... تقطعت الأسباب !

ومضى عام ولم يوف حقه من تأبين ورثاء ، ولم يطبع ديوانه المخطوط ، ولم يصنع لليتيم شيء ذو بال . ولم يكن للزين ذنب إلا أنه كان شاعراً كبيراً ، وكان موظفاً (باليومية) في دار الكتب المصرية ، وقد ظل بها أكثر من عشرين عاماً يخرج لها وللناس كتب الأدب مصفاة دانية القطوف ، فلم تفكر هذه الدار في أن تصنع له شيئاً ، ولم يكن أقل من حفل للتأبين أو للاحتفاء بذكراه بعد مرور عام على وفاته .

والديوان المخطوط قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه بالمجان لابن الشاعر الفقيد ، وراح الصديق الوفي الأستاذ ابراهيم الابياري يطلبه ، فوجد أن أخاه الشيخ محمد الزين قد أخذه ، فاتصل به وأبلغه قرار اللجنة ، فوعد بتسليمه ولا يزال لديه إلى الآن . وفي الديوان قصائد لم تنشر ، وفيه قطع خفيفة سهلة في «الساعة» و «المنبه» وما ماثل ذلك ، وهي قطع رقيقة فيها وصف دقيق وتعبير طريف ، فهي من أحسن ما يقدم لتلاميذ المدارس .

ويسرني أن أذكر أن في وزارة المعارف الآن (استمارة) لإعفاء أسامة أحمد الزين التلميذ بإحدى المدارس الابتدائية من المصروفات المدرسية . وسترسل مذكرة إلى مجلس الوزراء للموافقة على تعليمه بالمجان في جميع مراحل التعليم . وهي تحية طيبة من معالي السنهوري باشا لذكرى الشاعر الكبير .

من طرف المجالس :

نحن اليوم مع جماعة من الأدباء أغشى مجلسهم في بعض الأحيان بإحدى القهوات الكبيرة . وأكثر ما يكون حديثهم عن الأشخاص في نواحي النقص التي ينفذون إليها فيمن يتحدثون عنه ، وكثيراً ما يكبرونها على طريقة « الكاريكاتير » وعدتهم في هذا التكبير أو هذا التشنيع ألسنة ذلقة حداد .. ولا يعفون من لواذع هذا « الفن » صاحباً غائباً ولا جليساً قام فمضى .. وإنه ليخيل إلي وأنا منصرف عنهم وقد صرت في الطريق أني أسمع ما يقولون عني . . وأذكر من كان يحدثنا أنه طلب إليه أن يكتب مقالات لإحدى الصحف الكبيرة ، وألح عليه صاحب الصحيفة ، فكتب مقالتين دفع إليه لقاءهما عشرة جنيهات . . وانصرف المتحدث ، فقال واحد من من الجماعة : إني أشك في صحة هذا الذي قال . فتحفز آخر للكلام ، وخلته قد تحمس للغائب ، وإذا هو يقول . إني أجزم بأن فلاناً (صاحب الصحيفة) لا يعرفه !

وأصغيت مرة إلى أحدهم يتحدث عن شاعر من «أصدقائه» بأنه تزوج فتاة من غير مهر ، وأراد المتحدث أن يعبر عن انخداع الفتاة فقال إنها اغترت بما في شعره من ألفاظ كالظلال .. والحرور . . . ومدّ ألف الظلال وواو الحرور حتى خلتهما يصلحان مهراً ...

وفي الجلسة الأخيرة « وقع » ذكر شاعر « صديق » فقال قائل : تصور أنه تغزل في امرأته ! وقال آخر : حسبك . . إنه ليس شاعراً ، وقال شاعر من الحاضرين : أنا قد هجوت زوجتي! وأنشد ما قال وفيه إقذاع ، فقالوا : هذا هو التعبير الصادق ، وهو الشعر لا ذلك الزيف . وروى أحدهم أن أعرابياً سئل : كيف بغضك لزوجتك ؟ قال : تكون بجانبي وتمد يدها على فأود لو أن آجرة خرت من السقف فقدت يدها وضلعاً من أضلاعي !

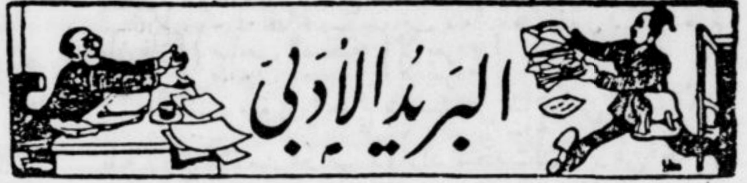
ثم قال الأول : أتدرون كيف يتغزل الشاعر في زوجته ؟ إنه يتغزل فيها كما يحرص على ألا يسهر في الخارج ويعود إلى المنزل متأخراً .. وإن كان بالأول يستجلب العطف ويتقي بالثاني سوء العاقبة ...

استقبال عضوين جديدين في المجمع اللغوي :

انتخب مجمع فؤاد الأول للغة العربية في دورته الماضية ، عضوين جديدين به هما الأستاذ محمد رضا الشبيبي عن العراق مكان المغفور له الأب أنستاس ماري الكرملي ، والأستاذ خليل سكاكيني عن فلسطين ولم تكن ممثلة من قبل في المجمع فرؤى أن يحل عضو منها محل المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقد قرر المجمع أن يحتفي باستقبال العضوين الجديدين في حفلة افتتاح مؤتمره السنوي ، وهو الذي يحضره الأعضاء الأجانب من شرقيين وغربيين ، وسيكون ذلك في اليوم السابع من ديسمبر القادم ، وسيقدم الأستاذ العقاد الأستاذ الشبيبي ، ويقدم الدكتور منصور فهمي باشا الأستاذ سكاكيني ، ويتناول كل منهما صاحبه بتعريف ودراسة شاملة . ويتحدث كل من العضوين الجديدين عن سلفه ، وقد أرسل المجمع إلى كل منهما بذلك :

عباس خضر



بين توفيق الحكيم وقرائه :

تحت هذا العنوان تلقيت عن طريق مجلة الرسالة إحدى الرسائل التى تحمل توقيع «عبد الحميد فاضل المحامى» ، ولقد تفضل المحامى المهذب نخصنى بفيض من التجريح الرخيص بمناسبة المقال الذى كتبته فى عدد مضى من الرسالة عن الأستاذ توفيق الحكيم !.. أما نص الرسالة التى وجهها إلى فأنا على استعداد لنشرها والتعقيب عليها ، ولكننى أود قبل أن أقدم على النشر والتعقيب أن يتفضل الأستاذ المرسل بذكر عنوانه الذى تعمد أن يغفله ، لأننى أشك فى أن يكون له فى نقابة المحامين مكان !

إن مما يضاعف من شكى فيما ذهبت إليه أن الرسالة التى وجهها إلىّ مكتوبة على الآلة الكاتبة وليس بها من خط يده غير توقيعه ... ولقد عودنا المحامون أن تحمل رسائلهم أسماءهم مطبوعة وإلى جانبها عناوين مكاتبهم وأرقام التليفونات ، ولكن هذه الرسالة العجيبة تخلو من هذا كله خلواً مقصوداً يثير الظنون !..

وليصدقنى القراء إذا قلت لهم إننى تعودت أن ألقى كل ما يكتب بحس الناقد قبل أن ألقاه بحس القارىء ؛ ومن هنا فقد قرأت هذه الرسالة المريبة مثنى وثلاث ورباع ... ويخيل إلى أننى وصلت من وراء أسلوبها إلى أشياء هزت جوانب اليقين فى نفسى ، من ناحية أن يكون مرسلها هو صاحب هذا التوقيع !.. مهما يكن من شىء فأنا أرجو أن يتفضل الأستاذ المحامى بذكر عنوانه لأتحقق من شخصه ، وإذا لم يفعل فأغلب الظن أن هذه الرسالة من أديب تخلت عنه الشجاعة حين راح يخاطبنى من وراء الأسماء المستعارة !

هل يستطيع المحامى أن يذكر لى عنوانه حتى لا أذهب فى الظن إلى أنه ذلك الأديب المعروف ، الذى يستطيع كل متذوق للأساليب الأدبية أن يحكم بأن هذا هو أسلوبه ؟ !.. وسواء أكان الذى كتب إلى هو ذلك المحامى الذى لا أعرفه أم ذلك الأديب الذى يخيل إلىّ أننى قد عرفته ، سواء أكان هذا أم ذاك فأنا أستحلفه بحق الشجاعة الشهيدة أن يواجهنى بحقيقة شخصه لأستطيع أن أنشر رسالته وأعقب عليها .

أنا فى انتظار شىء من الضوء يبدد هذا الظلام ... ومعذرة ، فقد تعودت أن ألقى خصومى فى وضح النهار !

أنور المعداوى



المهـــرج

للكاتب الروسي ماكسيم جوركي

كانت النافذة المستديرة المرتفعة لزنزانتي تطل على فنـاء السجن . فإذا ما نظرت منها بعد أن أعتلي منضدة بجوار الحائط ، أشاهد كل ما يحدث في هـذا الفناء ، وأراقب الحمام يبني عشه على الحافة العليا من النافذة ، وأسمع هديله يتعالى فوق رأسي . وكان لدي من فسـيح الوقت ما يسمح لي بالتعرف على نزلاء السجن كلما أطللت عليهم . وهـكذا عرفت نوتش أكثر السجناء مرحاً . كان رجلا وسطاً ، ضخم الجثة ، أحمر الوجه ، عريض الجبهة ، براق العينين ، يرتدي قلنسوة على مؤخرة رأسه ، وقد التصقت أذناه على جانبي وجهه في شكل يلفت الأنظـار . وكانت كل حركة من حركات جسمه تبين في جلاء أنه يمتلك روحاً لا تبالي بالـكآبة أو الحزن . لقد كان دائم المرح ، كثير الضحك ، محبوباً لدى رفاقه ، يحـوطونه فيمازحهم بمختلف الدعابات ، ويضفي على أيامهم الباهتة ، جواً من البهجة والسرور .

وفي ذات يوم خرج نوتش من زنزانته وقت النزهة وقد قيد ثلاثة جرذان بخيط ، وجعل يعدو وراءها في الفناء وكأنه يقود مركبة . فاندفعت الجرذان وقد أرعبها صياحه ، اندفعت منطلقة في ذعر وجنون . وضج السجناء بالضحك يشـاهدون ذلك الرجل البدين وهو يقود « مركبته » .

كان نوتش يعتقد أنه ما خلق إلا ليجذب إليه الأنظار . وكان لا يعوقه عائق ما في سبيل ذلك . لقد استطاع ذات مرة أن يلصق شعر أحد السجناء بالغراء بحائط الفناء . كان السجين صبياً مستلقياً على الأرض بجوار الحائط وقد أخذته سنة من الـكرى . وعند ما جف الغراء ، أيقظه نوتش فجأة ، فهب الصبي من نومه مذعوراً وقام على قدميه ، ثم أمسك رأسه بيديه المتخاذلتين ، وأخيراً سقط على الأرض يبـكي . وقهقه السجناء من ذلك المنظر وابتسم نوتش في رضاء . ولـكني شاهدته بعـد أن ابتعد رفاقه يرفـه عن الصبي ويطيب خاطره .

وكان هناك هر سمين نحاسي اللون ، محبوب لدى السجناء ، ومدلل منهم . ينتهزون وقت نزهتهم اليومية فيداعبونه فترة طويلة ، ويمر الهر من يد إلى أخرى ، ثم يعدون وراءه ، ويدعونه يخدش أيديهم وأرجلهم وهو يلاعبهم .

وكان الهر محط أنظارهم عندما يبدو في الفناء ، فيوجهون إليه اهتمامهم وينسـون نوتش ومهازله . وكان نوتش إذا ما رأى ذلك يجلس في ركن من الفناء يراقبهم وهم في غفلة عنه . وكنت أشاهده من نافذتي وأشعر بما يختلج في صدره من شعور وأحاسيس ، فأعتقد أنه سيضطر إن عاجلا أو آجلا إلى قتل ذلك الحيوان عند أول سانحة تسنح له ولذلك كنت آسفاً عليه. إن رغبة الإنسان في أن يكون محط الأنظار غالباً ما تصبح وبالا عليه . فإنه لا يوجد ما يقتل الروح كتلك الرغبة في إدخال السرور على النفوس .

إن أتفه الحوادث عندما يكون المرء وحيداً ، منفرداً ، حبيساً في سجن ، لتسترعي انتباهه ، فيوليها اهتمامه . ولذلك كان من السهل أن تفهم سبب اهتمامي بمـا أتتبعه من حوادث من وراء نافذتي ، وتلهفي إلى معرفة نتائجها .

وفي ذات يوم صفت سماؤه ، اندفع السجناء إلى الفنـاء . فلاحظ نوتش دلوا به طلاء أخضر ، كان قد تركه من يقومون بطلاء سقف السجن . فتوجه إليه ، وحام حوله ، ثم غمس أصبعه فيه ، ثم صبغ شاربه بالطلاء . فأثار منظره ضحك السجناء . وعمد صبي من الزمرة إلى تقليده ، فجعل يدهن شـفته العليا . وإذا بنوتش يغمس يده كلها في الطلاء ويصبغ بها وجه الصبي ، ثم جعل يرقص حوله . وضج السجناء بالضحك وهم يشجعون نوتش في صيحات تدل على رضائهم عما يفعله .

وفي ذات اللحظة أقبل الهر يتهادى في الفناء وقد رفع ذيله غير هياب ولا وجل ، وسار بين أقدام الحشد المتزاحم حول نوتش والصبي الذي كان يحاول أن يزيل ما علق على وجهه من طلاء .

فصاح أحدهم — أيها الرفاق ، إن ميشكا هنا !

وصاح آخر — آه أيها الأفاق الصغير !

ثم أمسكوا به ، ومر فى أيديهم الواحد تلو الآخر وهم يربتون على ظهره ...

وقال أحدهم — انظروا كم هو سمين !

— وكيف ينمو بسرعة !

— إنه يخدشنى . يالك من شيطان صغير !

— أتركه . دعه يثب .

— سأحنى ظهرى له . إقفز يا ميشكا .

ونسوا نوتش ، فوقف وحيداً يمسح الطلاء العالق على شاربه ، وينظر إلى الهر يقفز على أكتاف زملائه . أخيراً قال فى نبرات تشوبها رنة التوسل والرجاء — أيها الرفاق ، دعونا نطلى الهر .

فصاح واحد — ولكنه يموت .

فقال — من الطلاء ! ؟ هراء !

فقال رجل عريض الكتفين ذو لحية حمراء — يا لها من فكرة غريبة ! إنك لشيطان حقاً !

ولم ينتظر نوتش موافقتهم ، بل حمل الهر بين يديه وسار به نحو الدلو وهو ينشد أنشودة مضحكة يصف فيها الهر . وابتسم السجناء وابتعدوا يفسحون له طريقاً . وشاهدته وقد أمسك بالهر من ذيله ثم غطسه فى الدلو وهو يرقص وينشد . وقهقه الجميع ، واهتزت الأجسام ، وأصابت القوم عاصفة من الضحك أوصلتهم إلى حالة من الجنون . وأطل النساء السجينات من جناحهن يبتسمن ، وشاركهن الحراس فى الضحك . وأخيراً صاح ذو اللحية الحمراء — كفى أيها الرجل . فليأخذك الشيطان !

وازدادت حماسة نوتش بعد أن التف حوله رفاقه ، وبعد أن أصبح محط أنظارهم ومبعث سرورهم . وغمر المكان ضحكات جنونية كانت الشمس تضحك وهى تشرف على البناء ، والسماء الزرقاء تبتسم فوق السجناء ، وحتى الحوائط القذرة فقد بدت وكأنها مبتهجة بما كان يحدث فى الفناء . وافترت ثغور النساء فتلألأت أسنانهن تحت أشعة الشمس . وانزاح ذلك الفتور القابض الذى كان يبعث فى المكان جواً من السأم والملل ، وأصبح مشرقاً تتردد فى إنحائه صدى الضحكات .

وأخيراً وضع نوتش الهر على الأرض ، ثم واصل مرحه وهو يلهث والعرق يتصبب منه ، وشيئاً فشيئاً تلاشى الضحك بعد أن تعب السجناء منه ، وأخيراً ران على المكان الصمت ، لا يقطعه إلا صوت نوتش وهو ينشد ويرقص ، ومواء الهر وهو يزحف على الحشائش ، ويتعثر فى سيره بأقدام مرتعشة ، ويقف بين الفينة والفينة كأنما التصق بالحشائش الخضراء التى أصبح من المتعذر تمييزه عنها .

وصاح ذو اللحية الحمراء — ما الذى فعلته أيها الوحش ؟

وتطلعت إلى نوتش الأنظار شزراً . وصاح الشاب وهو يشير إلى الهر — أنه يموء . فجعلوا يراقبونه فى صمت .

وقال آخر — أيظل أخضر اللون بقية حياته ؟

فأجاب رجل ممشوق القامة أشيب الشعر وقد اقترب من ميشكا — أنه جف فى الشمس ، وسيلتصق شعره ، وسيموت .

وظل الهر يموء فيثير بذلك شفقة السجناء ؛ وسأل الصبى قائلا — أيموت ؟ ألا نستطيع أن نغسله ؟ فلم يفه أحدهم بكلمة . كان الهر قد ارتمى تحت أقدامهم عاجزاً عن التحرك . وهنالك نوتش على الأرض وهو يقول « لقد غرقت عرقاً ! » ، فلم يأبه أحد . وانحنى الصبى على الهر وأخذه بين ذراعيه . ولكنه سرعان ما ألقاه على الأرض وهو يقول — إنه ساخن جداً . ثم نظر إلى رفاقه وقال فى حزن — مسكين يا ميشكا ! لن يكون هناك ميشكا بعد اليوم . لماذا تودون قتل ذلك المسكين ؟

فقال ذو اللحية الحمراء — لعله يتغلب على الموت .

وواصل الهر زحفه على الحشائش تراقبه أعين عشرون . ولم يبد على وجوه القوم أى أثر لابتسامة . كانوا جميعاً صامتين واجمين فى حزن كأنما اتصلت بهم آلام الهر وشعروا بما يشعر به من عذاب .

وقال الصبى — لا أظنه يتغلب على الموت . هاك ميشكا الذى كنا نحبه . لماذا تعذبونه ؟ أنه لمن الأفضل وضع حد لآلامه .

فقال السجين ذو الشعر الأحمر غاضباً — ومن الذى فعل ذلك ؟ أنه ذلك المهرج . ذلك الشيطان . فقال نوتش محاولا أن يهدىء من ثائرتهم — ألم نشترك سوياً فى ذلك الفعل ؟ ثم احتضن نفسه كأنه يشعر بالبرد .

فقال الصبى ساخراً — كلنا ! عظيم جداً ! إنك وحدك الملوم .

فحذره نوتش قائلا — لا تهدر أيها الثور !

والتقط السجين الكهل الهر وجعل يتفحصه جيداً ثم اقترح قائلا — ألا نستطيع إزالة هذا الطلاء إذا ما جعلنا الهر يستحم فى البترول ؟

فقال نوتش وهو يتكلف الابتسام — خذه من ذيله واقذف به من فوق الحائط . إن ذلك أبسط حل للمشكلة . فرمجر ذو الشعر الأحمر قائلا — ماذا ! ؟ لنفرض أنى قذفت بك أنت فوق الحائط ، أيعجبك ذلك ؟ وصاح الصبى — أيها الشيطان .

ثم أمسك بالهر وعدا به . وتبعه بعض الرجال . وظل نوتش وحيداً بين البقية الباقية من السجناء وهم ينظرون إليه شزراً . فصرخ فيهم مستغيثاً — لست أنا وحدى أيها الرفاق .

فقاطعه ذو الشعر الأحمر وهو يلتفت يمنة ويسرة — صه ، لست أنت . إذاً من ؟

فصاح المهرج قائلا — ولكنكم مشتركون جميعاً فى المسألة.

فقال الرجل — أيها الكلب . ثم لكمه على وجهه . فتراجع نوتش إلى الخلف ليتلقى ضربة أخرى على عنقه . وجعل يصيح فيهم متوسلا « أيها الرفاق . . » ولكنهم التفوا حوله بعد أن تأكدوا من بعد الحراس عنهم وأسقطوه على الأرض يشبعونه ضرباً . كان كل من رآهم مجتمعين يعتقد أنهم مشتركون فى حديث ودى ، ورقد نوتش تحت أقدامهم ، وكنت تسمع من وقت لآخر صوتاً مكتوماً كانوا يركلونه فى ضلوعه ، يركلونه فى تؤدة وهدوء ، وينتظرون حتى يظهر منه وهو يتلوى على الحشائش كأفعى فرجة تسمح لهم بركله مرة أخرى . واستمر ذلك ثلاث دقائق صاح بعدها أحد الحراس فجأة : لا تبتعدوا كثيراً أيها الشياطين !

ولم ينفض السجناء فى الحال ، بل تركوا نوتش يركله الواحد تلو الآخر ، وظل نوتش راقداً بعد أن رحلوا منبطحاً على الأرض وكتفاه يهتزان ، كان يبكى فى حرقة ، وظل يسعل ويبصق ، ثم حاول أن ينهض فى حذر كأنما يخشى السقوط وقد ارتكن على ذراعه اليسرى ، ولكنه نبح كالكلب المريض ، ثم تخاذلت ساقاه ، وأخيراً تهالك على الأرض . وصاح الرجل ذو الشعر الأحمر مهدداً : إياك أن تتظاهر !

فتحامل نوتش على نفسه وقام على قدميه ، ثم سار يترنح فى خطوات ثقيلة ، وأخيراً ارتكن على الحائط ، وقد انحنى ظهره ورأسه ، وكان يسعل باستمرار ، فشاهدت قطرات قاتمة تتساقط من فمه على الأرض وتتناثر على الحائط . وحاول نوتش جاهداً أن يمنع قطرات الدم من أن تلوث الحائط ، فجعل يمسحها بطريقة مضحكة . وإذا بالابتسامة تعود فتشرق على وجوه من يراقبونه ، وإذا بالضحكات تعود فترن فى أنحاء الفناء .

ولم أر الهر بعد ذلك ... وأصبح نوتش محط أنظار رفاقه دون أن يكون له مزاحم آخر !

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٢ — الاثنين ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٠٢ — الإثنين ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 802
Lundi — 15 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٦٨ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبـــة

— ٢ —

أقلعت الحمى المزعومة عن جسد عائدة الرشيق الغض ، فشعرت شعور الفتاة الصحيحة بأن رجلاً أجنبياً في غرفتها فنهضت بحكم الغريزة تتعهد مواضع احتشامها ، وتجمع بيدها ما تشعّث من هندامها . ثم نظرتْ إليَّ بطَرفها الساجي نظر المطمئن الشاكر .

فقلت لها : كيف تجدينكِ الآن يا آنسة ؟

فأجابت في ابتسامة خجِلة وصوت خَريد :

— أجدني والحمد لله كأن لم يكن بيَ شيء . وإنَّا لنعتذر إليك يا سيدي من إزعاجك في مثل هذه الساعة . والحق أني لا أعرف كيف جرى ذلك ! شكوت أول الليـل فترةً في جسدي لعلها مسَّةٌ من البرد ؛ فلما قاس أخي حرارة جسمي وقال إنها ثلاث وأربعون درجة اعتقدت أني مشفيةٌ على الموت ، لأن فهمي لا يمزح في مثل هذه الحال ، والميزان لم يغشنا قبل هذه المرة ؛ وحينئذ شعرت بدمي يفور ، وبنفَسي يتتابع ، وبنبضي يسرع ، وبروحي تذوب ، وبجسمي ينحل ؛ ثم نزلت بي غشية الموت فرأيت ثُلة من القديسين وفي أيديهم الأناجيل يرتلون من حول آيات الغفران وأدعية الرحمة . فلما أوشك السراج أن ينطفئ سمعت قديساً من بينهم يقول ضاحكاً : إن حالتها تكاد أن تكون طبيعية ، وإن حرارتها سبع وثلاثون درجة ونصف ! ففتحت عينيّ فإذا بك واقف على سريري وفي يدك الميزان ؛ ثم فهمت من الحديث الذي جرى أن حرارة المصباح الشديدة هي التي رفعت الدرجة حين أدناه أخي من لهيبه وقلّبه طويلاً على حره . حينئذ فتر الدم الغالي وأبطأ النبض السريع وتماسك الروح القلق وخف الجسم الثقيل ، فنهضت أشكر عائدي الكريم وأعتذر إليه ، وجلست أطمئن بيتي المرتاع وأسرّي عنه .

فقلت : نحمد الله على أن جعل مرضك وهماً لا حقيقة ، ونسأله ألا يصيبك المرض إلا بهـذه الطريقة . ثم هممت بالانصراف ، فأقسم المعلم فهمي ألا أخرج حتى أشرب قدحاً من شاي شحاتة ، أو كأساً من عرق (عزّور) .

فقلت له وأنا أمكّن لنفسي في الكرسي المخلّع :

— لا بأس أن أبرّ يمينك بأخف الضررين . هات الشاي نشربه على صحة الآنسة .

فذهب شحاتة يطبخ شايه وسرعان ما رجع خزيان يعتذر بأن زجاجة المصباح الأصفر قد تحطمت في الفزعة التي سبّبها المصباح الأكبر .

فقلت لهم : وماذا يضطركم إلى الاستضاءة بالنفط والمدارة كلها تستضيء بالكهرباء ؟

فأجاب المعلم فى لهجة الأستاذ وهيئة العبقرى :

— خلاف بينى وبين شركة النور على التأمين الذى تأخذه مقدماً من المشترك ، هى تريد أن (أدفعه) ، وأنا أريد أن أمنعه . ومعاذ الله أن أكون مغفلاً كجميع مشتركيها فأنزل لها عن بعض مالى بغير حق . إن التأمين مال ميت ، لأنك لا تستفيد منه ما دام النور ، والنور لا تستغنى عنه ما دامت الحياة . وقد تحدثت فى ذلك إلى رئيس الوزراء فاقتنع ووعد بأن يطلب من الشركة إما أن تأخذ التأمين بأجر ، وإما أن تكتفى منه بالتأمين على استهلاك شهر .

ومنذ تلك الليلة تفتحت بيننا الأبواب وتكشفت دوننا الحجب ، فأصبحنا نتذاكر فصول النحو فى مكتب فهمى ، وأمسينا نتناقل شهى الحديث فى مجلس عائدة . واتفقت لى مع الآنسة الطيبة خلوات أنست فيها النفس بالنفس ، واطمأن عليها الضمير إلى الضمير ، فعلمت من دفائن صدرها أنها أحبت ، وأن حبيبها كان من أهل الرواء الباهر والثراء القليل ، كان يعمل فى تقطير (العرق) وجلب (الملوحة) ، ويطمع منها فى صداق ضخم يوسع به معمله ، ويبنى عليه مستقبله ؛ وكانت هى ترجو أن تدبر له هذا الصداق من تجارة أبيها الرابحة فى القطن والزيت . ومضى على هذا الحب المنيف العفيف ثلاثة أعوام كانت فى خلالها تلق فتاها فى إيابها من المدرسة ، أو فى ذهابها إلى الكنيسة ، فينضحان هواهما المكظوم المحروم بما تيسر من أناشيد الغزل وأحاديث المنى ، ويتشاوران فى مستقبل هذا الحب الجائش النامى : متى يعرف الأبوان ، ومتى تعلن الخطبة ، ومتى ينعقد (الجبنيوت) ، ومتى يكون الزفاف ؟ وانتهى التشاور بينهما ذات يوم إلى أن يتقدم الخاطب فى الأحد القريب إلى أبويها فيطلب يدها ويعلن خطبتها . ومضت هى تهيئ سمع أمها إلى هذا الخبر ؛ وكانت الأم قد عرفت عن طريق غريزتها وأمومتها سر هذا الحب فلم تدهش حين صارحتها ابنتها به . ووعدتها أن تظفرها فى وقت واحد برضا الأب وضخامة الصداق . ولكن أمها مرضت فى ذلك الأسبوع مرض الموت فتأجلت الخطبة . ولحق بها أبوها بعد عام فتجدد التأجيل . ولم يمل الخاطب الحبيب هذا الانتظار ، لأن حظ عائدة من الجمال يتسع له الصبر ، ونصيبها من تركة أبيها يستحيل منه العوض . ولكن تركة المرحوم تكشفت بفضل المضاربة فى البرصة عن دين فادح كان يستره بجمال الظهر وحسن السياسة ، فلم يجد بنوه شيئاً فى البنوك ولا فى الدفاتر . فخرج فهمى من المتجر وتبطل ، وانقطع شحاتة عن المدرسة واشتغل ، واعتكفت عائدة فى بيتها عن الناس فلم تزر أحداً ولم تقبل أن يزورها أحد . ثم قصرت جهدها على أخويها وحبها على المسيح ؛ فهى تعمل طول الأسبوع فى البيت ولا تخرج إلا يوم الأحد إلى الكنيسة . ثم استعاضت عن عشرة الناس بعشرة الحيوان ، فهى تربى الأرانب فى المطبخ ، وترعى الدجاج فى الصالة ، وتقتنى كلبها فى الغرفة ، وتصطحب هرة فى السرير . ولكنها منذ عرفتها وتألفتها نظفت البيت ونظمت الأثاث وجملت النظر واكتفت من خلطائها العجم بالكلب والهرة .

ثم تعاقبت السنون وتبدلت الأحوال فانتقلنا من حى إلى حى ، وتحولنا من ناس إلى ناس ، فانقطع علم ما بينى وبين هذه الأسرة الطيبة ، فلم أعد أرى فهمى البطين ، ولا شحاتة الأعجف ، ولا عائدة الرشيقة .

وفى يوم من عطلة عيد الأضحى الماضى كنت واقفاً أجيل النظر فى المعرض الزجاجى لمكتبة من مكاتب الفجالة ، فرأيت بجانبى رجلاً أشمط الرأس معروق العظام يحمل قرطاساً من البلح الأمهات ويديم النظر إلىّ وفى عينه استفهام وعلى شفته كلام . فلما حدقت ببصرى إليه عرفت فيه شحاتة أفندى ، فسلمت عليه بشوق ، وسألته عن أخويه بلهفة . فقال لى والأسى يقطر من وجهه ويظهر فى كلامه : قضى فهمى بالشلل ، وقضت عائدة بالسل ، وقضى الله أن أعيش بعدهما لأبكى عليهما وحدى ، ثم لا أجد من يبكى عليهما ولا علىّ بعدى !

فشجعته ثم ودعته وانصرفت وفى نفسى أن أحيى ذكرى هذه الأسرة الطيبة بهذه الكلمة فى « الرسالة » .

احمد حسن الزيات

من معاهد العلم فى عصر الحروب الصليبية :

المدرســـة الصلاحية

للأستـــاذ أحمد أحمد بدوى

كان التعليم فى مصر قبل مقدم صلاح الدين إليها ، فى الجوامع والمساجد ، وأول ما عرفت مصر إقامة درس من قبل الخليفة بمرتب ثابت كان فى عهد خلافة العزيز بالله الفاطمى ، فقد سأله وزيره يعقوب بن كلس صلة رزق جماعة من الفقهاء ، يقومون بالتدريس فى الجامع الأزهر ، فأطلق الخليفة لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ، وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلاً ، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة وحبه .

ثم أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة وجعلها أشبه بجامعة تلقى فيها الثقافة العالية من فقه ونحو وحديث وأدب ولغة وهيئة وطب ورياضة ومنطق وفلسفة ، وأجرى على أساتذتها الأرزاق الواسعة وجهزت بمكتبة ضخمة .

وكان الهدف من التعليم فى الجامع الأزهر ودار الحكمة بث مبادىء الشيعة ونشر مذهبهم . ولم تدع المدارس فى مصر فى عهد الفاطميين ، بل لم ينشأ فيها سوى هذه المدرسة التى أنشأها ابن السلار وزير الظافر العبيدى وكان من غلاة السنيين ، فبنى بالاسكندرية سنة ٥٤٦ مدرسة للشافعية أسند أمرها إلى العالم الشهير أبى طاهر السلفى . وقبل هذه المدرسة أنشأ أحد وزراء الحافظ مدرسة لتعليم الشريعة بالاسكندرية أيضاً .

فلما جاء صلاح الدين عمل على تأسيس المدارس المختلفة ، ليشيع فى البلاد مذهب أهل السنة ويعيدها إلى طريق الجماعة ؛ فأنشأ بجوار الجامع العتيق مدرستين : إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية ، وحول قصر الوزير المأمون البطائحى مدرسة للحنفية اتخذت اسم المدرسة السيوفية ؛ لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها ، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينى ، وأخرى بالاسكندرية ومدارس بالقدس ودمشق .

ويظهر أن أعظم ما شيده هو المدرسة الصلاحية التى أقامها بجوار قبر الإمام الشافعى ؛ ولعل صلاح الدين ، وكان شافعياً ، أراد بإنشائه هذه المدرسة أن يحيى بها ذكرى الشافعى من ناحية ، وأن يكون انبعاث مذهبه قريباً منه حيث يرقد ؛ فوكل أمر إنشائها إلى نجم الدين الخبوشانى ، فنهض ببناء مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها ؛ لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ؛ وكان يخيل لمن يطوف بها أنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها الحمام وغيره من مرافقها ، فكانت أشبه بمدينة جامعية ؛ ولم يضن عليها صلاح الدين بمال ، بل كان يقول لنجم الدين : زد احتفالا وتأنقاً ، وعلينا القيام بمئونة ذلك كله . ووقف عليها حماماً بجوارها ، وفرنا تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيرة التى كانت تسمى جزيرة الفيل بالنيل خارج القاهرة . ولعلها بعد أن تم بناؤها سنة ٥٧٢ أصبحت أعظم مدرسة فى العالم الإسلامى كله ، فكانت لذلك تدعى : تاج المدارس .

وجعل صلاح الدين أمر التدريس ، والنظر فيها لنجم الدين الذى تولى أمر بنائها ، ورتب له فى الشهر أربعين ديناراً عن التدريس ، وعشرة دنانير عن النظر فى أوقاف المدرسة ، وجعل له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا ، وراويتين من ماء النيل . ولما مات وليها شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الجوينى فى حياة صلاح الدين . فلما مات السلطان ولى النظر فى وقفها بنو السلطان واحداً بعد واحد ، ثم خلصت بعد ذلك ، وعاد إليها الفقهاء والمدرسون .

ويدلنا على ما لهذه المدرسة من القدر أن جماعة من أعيان العلماء قد تولوا التدريس فيها ، نذكر من بينهم شيخها الأول نجم الدين الخبوشانى ، وهو فقيه شافعى ولد بناحية نيسابور سنة ٥١٠ ، وتفقه على محمد بن يحيي تلميذ الغزالى ، وكانت له معرفة بنجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين ، وعند ما قدم إلى مصر نصب نفسه لذم الفاطميين وثلبهم ، وجعل تسبيحه سبهم ؛ ويقال إن الفاطميين حاولوا استمالته فلم يقبل . ولما عزم صلاح الدين على قبض العاضد وأشياعه واستفتى الفقهاء أفتوه بجواز ذلك ، وكان أكثرهم فى الفتيا نجم الدين الخبوشانى ، كما كان أول من

خطب لبنى العباس .

ولنجم الدين كتاب تحقيق المحيط فى شرح الوسيط الذى ألفه الغزالى فى فقه الشافعية ، وكتب الشرح فى ستة عشر مجلداً وقد اختلف المؤرخون فيه ؛ فالسبكى يراه إماماً جليلا ورعا آمراً بالمعروف . وشاهده ابن جبير وأثنى عليه . وابن خلكان يقول : رأيت جماعة من أصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه ، وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة بأحوال الدنيا . وابن أبى أصيبعة يراه ثقيل الروح متقشفاً فى العيش يابساً فى الدين يأكل الدنيا بالناموس .

والذى يظهر من أعماله أنه كان شديد المغالاة فيما يعتقد ، وكان بينه وبين الحنابلة فتنة قائمة يكفرونه ويكفرهم ؛ ومن مغالاته أنه نبش قبر ابن الكيزانى ، وأخرج عظامه من رمسه الذى كان بجانب قبر الشافعى قائلا لا يتفق مجاورة زنديق لصديق . ولكن كرهه للفاطميين وشدة إخلاصه للأيوبيين هى التى جعلت صلاح الدين يثق به ويكرمه ويقربه ؛ برغم أنه لما مات وجدت له ألوف الدنانير ، فلما سمع ذلك صلاح الدين قال : ياخيبة المسعى ! وتوفى نجم الدين سنة ٥٨٧ .

وفى عهد صلاح الدين أيضاً درس فيها محمد بن هبة الله البرمكى الحموى ، وهو فقيه فرضى نحوى متكلم أشعرى العقيدة مرجع أهل مصر فى فتاويهم ، وله نظم تعليمى كثير : ألف أرجوزة فى العقائد لصلاح الدين وأخرى فى الفرائض أهداها إلى القاضى الفاضل .

ودرس بها كذلك سيف الدين الآمدى أذكى أهل زمانه وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية والمذاهب الشرعية والمبادىء المنطقيـة .

وأفضل الدين الخونجى ممن قام بالتدريس فيها ، وهو فقيه شافعى يقول عنه ابن أبى أصيبعة : « سيد العلماء والحكماء أوحد أهل زمانه وعلامة أوانه ، قد تميز فى العلوم الحكمية : وأتقن العلوم الشرعية » ؛ وجعله الصالح أيوب قاضى قضاة مصر ؛ ولتميزه فى المعقولات كانت أكثر آثاره فيها ؛ فله مقالة فى الحدود والرسوم ، وكتاب الجمل فى علم المنطق ، وكتاب كشف الأسرار فى علم المنطق أيضاً ، وكتاب الموجز فيه كذلك . وكان الخونجى عالماً بالطب أيضاً وله فيه : شرح ما قاله ابن سينا فى النبض ، وكتاب أدوار الحميات . ولما مات سنة ٦٤٦ رثاه عز الدين الإربلى بقوله :

قضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل ... ومات بموت الخونجى الفضائل
فيأيها الحبر الذى جاء آخراً ... فحل لنا ما لم يحل الأوائل
ومستنبط العلم الخفى بفكرة ... بها انضحت للسائلين المسائل
فليت المنايا عنه طاشت سهامها ... وكانت أصيبت عن سواه المقاتل
فإن غيبوه فى الثرى عن عيوننا ... فما علمه خاف ولا الذكر خامل

ومنهم قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز الذى ولى المناصب الجليلة ، واجتمع له منها ما لم يجتمع لغيره ، فأسند إليه نظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة وتدريس قبة الشافعى ، والصلاحية والصالحية ، والخطابة . وكانت له منزلة كبرى عند الظاهر بيبرس ومات فى رجب سنة ٦٦٥ .

ودرس بالصلاحية ، وتولى قضاء القضاة أيضاً ابنه عمر ، فسار على طريقة أبيه ، بل أربى عليها شدة هيبة . وسلك فى ولايته طريق الخير والصلاح ، وتحرى الحق والعدل ، وتصلب فى الأحكام . قال السبكى : « ولا يوجد أهل بيت بالديار المصرية أنجب من هذا البيت ، كانوا أهل علم ورياسة وسؤدد وجلالة » ؛ ثم عزل نفسه واقتصر على تدريس الصلاحية وتوفى سنة ٦٨٠ .

ولما مات ولى أخوه عبد الرحمن المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضاً عن أخيه مضافاً لما بيده من نظر الخزائن . وفى أيام قلاوون عرضت على عبد الرحمن الوزارة فأبى ثم قبلها بعد إلحاح ، فلما ثقلت عليه تركها . وكان للكارهين للملك الأشرف خليل ، وبينه وبين وزيره ابن السلعوس تنافس وعداء ، فعمل الوزير وسعى حتى عزله عن كل ما بيده من المناصب ، وكانت سبعة عشر منصباً ، وبالغ فى إهانته ؛ ثم سعى له بعض الأمراء فعين بالمدرسة الصلاحية ، ولكن ذلك لم يرض ابن السلعوس فعقد له فى ذى القعدة سنة ٦٩١ مجلساً وندب له العلم ابن بنت العراقى الذى نسب إليه كثيراً من المظالم فاعتقل وتوعد بالقتل ، وظل فى بلاء إلى أول شهر رمضان سنة ٦٩٢ ، حيث أفرج عنه ، ومضى مع الركب إلى الحج ، وزار النبى صلوات الله عليه ، وأنشده قصيدة يمدحه بها ومات عبد الرحمن سنة ٦٩٥ .

٤ — الاتجاهات الحديثة في الإسلام :

القانون والمجتمع

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

(تتمة)

ولما كان من الواضح أنه يستحيل مناقشة مئات الآلاف من الكتب والنشرات ، وتلخيص محتوياتها ؛ فإن الأفضل شرح الاتجاهات العامة ، وتلخيص الفصل الذي كتبه سيد أمير على عن مركز النساء في الإسلام .

والحق أن الكاتب كان شيعياً ، واتخذ وجهة نظر عقلية تجاه القرآن ، بيد أنه أظهر عملياً ما بلغه المجدد المعارض حول الموضوع ، وقد اتبعه كثير من الكتاب المتأخرين الذين كرروا تأكيداته في كل لغة إسلامية بدرجات أقوى وأشد . قال سيد أمير على : « في مراحل خاصة من التطور الاجتماعي ، يكون هناك ما يبرر تعدد الزوجات ، فلا يمكن تجنبه . وإن حروب القبائل المتكررة ، وما يعقبها من مذابح تقضي على الذكور من السكان ، مع السلطة المطلقة التي يملكها الرؤساء ، كل هذا خلق تلك المادة التي نعتبرها بحق شراً لا يطاق في الأزمنة الحديثة » .

إن النزعة العلمية في العبارة الأولى خطيرة ، تتبعها مجموعة ملاحظات موجزة عن تقاليد الزواج عند مختلف الأجناس القديمة ، ثم مناقشة حول سماح الكنيسة المسيحية الأولى بمزاولة تعدد الزوجات سراً وعلانية ، « حتى أن القسس استفادوا من عادة الإبقاء على عدة زوجات ثانويات (غير شرعيات) بواسطة الحصول على ترخيص من المطران أو الأسقف (١) » .

(١) « يظهر أنه شاع بين القسس اقتناء الخليلات اللائي كن غالباً زوجاتهم كما يقول كولير» P. 323 « في كل بلد يحتفظ العلماء الدينيون والعلمانيون بنساء في بيوتهم ، والاتصال الجنسي على أساس رموز متعارف عليها ، فيتجاهلون المثل العليا» . ومن الصعب أن نصدق أن متعمقاً في الانجليزية — مثل سيد أمير على — يكون غريباً عن التقاليد الانجليزية لدرجة أنه يعتقد أن استخدام الجمع في هذه الصفحات معناه تعدد الزوجات أو الخيلاء ! .

« ووكل أمر التدريس فيها سنة ٦٧٨ إلى قاضي القضاة محمد ابن الحسن بن رزين بعد عزله من وظيفة القضاء ؛ لأنه توقف في خلع الملك السعيد ، وقرر له نصف المرتب الذي كان يتقاضاه الخبوشاني .

ولما مات ابن رزين وليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على أن يأخذ ربع المقرر ، فلما عين بها الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري قرر له المرتب كله ، وقد عين الخضر قاضياً للقاهرة والوجه البحري ، وجلس للحكم في المدرسة المنصورية بين القصرين ، ورسم له أن يجلس في دار العدل فوق قاضي القضاة ابن بنت الأعز ، ومات فجأة في ٩ صفر سنة ٦٨٦

وكانت هيئة التدريس في هذه المدرسة مكونة من مدرس وعشرة معيدين ، ومر بها ثلاثون سنة خلت فيها من مدرس واكتفي بالمعيدين . ولسنا ندري بالضبط تحديد تلك الفترة التي خلت فيها المدرسة من المدرسين ، ولعلها سبقت تولية تاج الدين ابن بنت الأعز أمر التدريس فيها ؛ لأن سلسلة مدرسيها متتابعة منذ ولايته ، كما لا ندري السبب الذي دفع أولي الأمر إلى الاستغناء عن مدرس بها .

وعرفنا من بين من قام بالإعادة في هذه المدرسة محمد بن علم الدين بن القماح الذي استقر معيداً بتوقيع شريف سنة ٦٨٠ ، وجعفر ابن يحيى التزمنتي الذي كان شيخ الشافعية بمصر في زمانه وأخذ عنه فقهاء عصره ، وألف شرح مشكل الوسيط ، وكان مدرساً بالمدرسة القطبية وتوفي سنة ٦٨٢ ؛ وشمس الدين الأصفهاني العالم المشهور في المنطق وأصول الدين وأصول الفقه والمؤلف فيها ، والمعروف بالهيبة والوقار في دروسه . وقد أنف هذا الأستاذ أن يكون معيداً بالمدرسة عند ما عين ابن دقيق العيد مدرساً بها .

قال السبكي : « ونحن نقيم عذره ، من جهة مشيخته وقدم هجرته ، وإلا فحقيق به وبأمثاله الاستفادة من إمام الأئمة تقي الدين » .

ومن المعيدين فيها عماد الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن الدمنهوري وهو فقيه شافعي ألف على التنبيه في الفقه كتاباً له دعاه النكت وتوفي سنة ٦٩٤ .

وبقيت هذه المدرسة عامرة بالدراسات المتنوعة إلى أن لاشتها الحوادث في أوائل القرن التاسع .

(حلوان الحمامات)

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

وقد كان أعظم خطأ ارتكبه الكتاب المسيحيون ، هو قولهم إن محمداً صلى الله عليه وسلم ، خلق تعدد الزوجات أو جعله قانونياً ، فإنه لم يجده منتشراً بين العرب فحسب ، بل كان منتشراً بين اليهود مع سائر العادات والتقاليد الكثيرة التي تحط من قدر النساء .

« إن نبي الإسلام (ص) قد أوجب احترام النساء كقاعدة عامة من أحكامه الرئيسية المقدسة ؛ وحباً في ابنته الشهيرة وتخليداً لها قد أطلق أتباعه عليها « سيدة الجنة » كمثلة لبنات جنسها . إن سيدتنا هي جماع كل ما هو مقدس في النساء ، وكل طهر وقدسية في جنسها . إنها أنبل مثل للخلق الإنساني [لا تنس أن أمير على كان شيعياً] وقد اتبعها سلالة طويلة من النساء اللائي شرفن جنسهن بفضائلهن . من ذا الذي لم يسمع برابعة الطاهرة ، وألف من أترابها ؟ » .

ثم يذهب المجدد ويضيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن للنساء حقوقاً لم يكن يملكنها من قبل . أي أنه وضعهن على قدم المساواة التامة مع الرجال أمام القانون ، كما حد من طغيان تعدد الزوجات ، وذلك بتحديده النهاية الكبرى للزوجات المشتركات بأربع ، ولكن إذا تعذرت عليك المساواة والعدل بين النساء وجب عليك أن تتزوج واحدة فقط . وهذا الأمر هام جداً ، إذ أن العدل المطلق في المسائل العاطفية من الأمور المستحيلة ؛ لجاء القرآن وفصل فيها (١) .

لكن تعدد الزوجات يعتمد على ظروف كثيرة ... وإن تلاؤم القوانين أعظم اختبار لمدى فائدته ونفعه (٢) .

« هذه أحكام القرآن ، وهي لا شك — ملائمة لمعظم المجتمعات المتحضرة وغيرها . أما الضربات والسهام التي صوبت نحو الأمم الإسلامية ، فرجعها سوء استخدام مبدأ الاجتهاد . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يتبع فيه كلام الله في حل المشكلة . سواء اتبع المسلمون محمداً (ص) أو مشايخهم الذين أغضبوا الله ليشبعوا رغباتهم أو يستجيبوا لمطالب الخلفاء والسلاطين — وكانوا خدماً لهم » .

وهذا ينتج من التنوع في نظرة الحقائق ، والفهم الصحيح للسنة النبوية : وقد أصبح الشعور ضد تعدد الزوجات عقيدة اجتماعية أكثر منها أخلاقية . وجرى العرف بين مسلمي الهنود على أن يشترطوا شرطاً في عقد الزواج من شأنه أن يمنع الزوج من استخدام حقه في الزواج الثاني أثناء استمرار الزواج الأول . وفي الوقت الحاضر يشيع الزواج بالواحدة (مونوجامى) بين ٩٥ ٪ من مسلمي الهنود . والأمل أن يعلن شيوخ المسلمين نظرياً ، أن تعدد الزوجات — مثل الرق — يعارض أحكام الإسلام .

وأعقب هذه المناقشة صفحات عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعارض وكذب ما قيل عنه من أنه يرجع إلى إشباع رغبات النفس . ثم اتجه نحو الطلاق ، واتبع نفس الأسس التي اتخذها في مناقشة موضوع تعدد الزوجات قال :

« ليس من شك في أن أحكام القرآن في معاملة النساء في الطلاق (وليس في الطلاق نفسه) رحيمة تتمشى مع العدالة » .

ومع أن النبي (ص) كان يكره الطلاق (١) ، وجد أنه يتعذر القضاء على التقاليد نهائياً في ظروف المجتمع السائدة . وبالتدريج سمح للأزواج بأن يطلقوا زوجاتهن بشروط خاصة . وقد أبرزت الإصلاحات المحمدية مرحلة جديدة في تاريخ التشريع في الشرق . فينبغي أن تقرأ نصوص القرآن في ضوء اتجاه الشرع . ولقد تجاهل أئمة المسلمين مبادئ كثيرة في العدل الإلهي . ومهما يكن من شيء فإن هذه القوانين أكثر عدالة ورفقاً بالنساء من نصوص القانون الروماني الذي نشأ في رعاية الكنيسة (المسيحية) .

وأخيراً يهاجم حجاب النساء ، أو البردة كما يسمى في الهند . ويبدأ بأنها من بقايا التقاليد العتيقة التي من شأنها أن تعوق نهضة الأمم الإسلامية . مع أنه يقرر أن هذه البردة لها مزايا مختلفة عند المجتمعات غير المتحضرة ، والبدوية .

« ولم يجيء في القرآن أي نص على أن الحجاب جزء من أحكامه

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام : ج ٢ ص ١١٣ ، نور الإسلام ؛ س ٢ س ٦٤ — ٨٢ ، س ٥ ص ٥٢٨ — ٢٩ .

(٢) أحدث المناقشات في هذا الموضوع — بعد إعلان معالى عبد العزيز فهمي باشا رأيه القيم — في الرسالة : عدد ٧٦٤ والأعداد التالية (فبراير — ابريل ١٩٤٨) [المترجم]

(١) أبغض الحلال إلى الله الطلاق : حديث شريف . (المترجم)

الجديدة . ولما ظهرت البروتستنتية ، قضت على جميع الفوارق الاجتماعية ، والاختلافات فى نظرة المشرعين إلى مركز المرأة . وقد عامل المسيح (عليه السلام) المرأة بكل رفق ورحمة ، فى حين أن أتباعه أخرجوها من نطاق العدالة . وهذا الاتجاه الذى شاع فى الأزمنة الحديثة يرجع إلى فرسان الصحراء وقد انتقل إلى الغرب بواسطة الصليبيين والتروبادور ، وانتشر فى عصر التبريرين فى أوربا ، وفى القرون الأولى للاسلام . وكانت المرأة تشغل مكانها اللائق — كما فى المجتمع الحديث . ومع التحسينات التى أدخلت على المركز الاجتماعى للغربيات ، فإن مركزهن الشرعى لا يزال منحطاً فى أعظم المجتمعات تمديناً فى العالم المسيحى » .

إن المشرع الذى يعطى حقاً للمرأة ، عذراء أو متزوجة ، أماً أو زوجة — فى عصر ليس فيه مجتمع ولا دولة ولا نظام — قد حرمت منه فى الأمم المتمدينة ، هذا المشرع جدير بأسمى صفات الإنسانية . ولو أن محمداً (ص) لم يفعل أكثر من هذا لكان بلا جدال مصلح الإنسانية .

فإذا كانت هذه الخلاصة لم توضح شخصية أمير على فى مناقشته ، فليس هذا مقصوداً .

وفى محاضرته السادسة يناقش التفاعل بين القانون والمجتمع ، وبعد أن يشير إلى « النظرة الديناميكية للقرآن » التى لا تتعارض مع فكرة التطور ، يقرر أنه فى مجتمع كالإسلام لا يزال استعادة التعاليم القديمة قائماً . وقد نجح الإسلام إلى حد كبير — بأحكامه الواضحة — فى خلق ما يشبه الإدارة أو الشعور الجمعى ، بين مختلف الجماهير من معتنقيه .

***

ثم يعود إقبال ويقول :

« إنى أعلم أن علماء الإسلام يحتجون فى النهاية بالمدارس العامة للشريعة الإسلامية ؛ ولكن ما دامت الأشياء قد تغيرت ، وأثر فى العالم الإسلامى قوى جديدة ، نشأت من تطور التفكير البشرى فى جميع الاتجاهات ، فإنى لا أرى سبباً فى أن يظل هذا الاتجاه ثابتاً للآن » .

ثم يرجع إلى موضوعنا ويترك مسألة الطلاق ليناقش مشكلة الميراث ، مشيراً إلى قصيدة زيا جوك ألب ، التى سبق نقلها :

.. إن المساواة فى الطلاق والانفصال وفى الميراث ، ليست ممكنة فى الشريعة الإسلامية . ولست أعلم ما إذا كان للنهضة النسائية فى تركيا ، مطالب لا تناقش من غير تفسيرات خاصة وأسس ثابتة . وقد ارتبط القضاة من الهنود المحافظين بالأعمال المقننة ، والنتيجة أن الناس يتحركون ، فى حين يظل القانون ثابتاً ! .

وبالتأمل فى مطالب الشاعر التركى ، فإنى أخشى أنه يجهل قانون الأسرة فى الإسلام ، وأنه لم يفهم الأهمية الاقتصادية لقانون الوراثة فى القرآن . فما ينبغى أن نفهم من عدم المساواة هذه أن القانون يفرض تفوق الذكور على الإناث ، فإن مثل هذا الفهم لا يتفق وروح الإسلام ؛ فقد جاء فى القرآن : ولهن مثل الذى عليهن . فليس نصيب البنت فى الميراث على أساس التقليل من شأنها أو تحقير أمرها ، ولكن باعتبار الفرص الاقتصادية التى أمامها ، ومركزها الذى تشغله فى الجماعة ، وهى جزء منها .

ولا بد أن يلاحظ — كما قلت — أنه يمكن استخراج حكم عام من رأى إقبال وهو « أنه مع عدم المساواة الظاهرة فى الميراث ، فإن المشرع قد ضمن المساواة التى ينشدها الشاعر التركى » . ولكن إذا حاولنا أن نثبت ذلك ، لا نحصل من القرآن على نص يضع من شأن الإناث بجانب الذكور . وقد غض الطرف عن الحقيقة ، وهى أن العبارة الآتية التى وضعت لهذا الغرض هى : « وللرجال عليهن درجة [1] » .

فإذا اتجهنا إلى الناحية العملية عند المجددين ، وجدنا بعض اختلافات . فإنى أشك فيما إذا كان يوجد فى العالم الإسلامى — خارج تركيا — أى طبقة محترمة من المجتمع ، تتمتع نساؤها بما يشبه المساواة الاجتماعية التى ينشدها المجددون — إلا الطبقات المتوسطة المتفرنجة فى مصر ! حقاً إن تعليم البنات فى كثير من الأقطار الإسلامية يخطو خطوات واسعة ، وأنه يوجد اتجاه عام نحو التحرر الاجتماعى للنساء ، ولكن حتى فى مصر ، لا يزال مجال الفرص الاقتصادية محدوداً . ولا يزال النقاب محتفظاً به قال مستر سميث . بل إن عدداً كبيراً من المثقفين ، والمسلمين

(١) سورة ٢ ، آية ٢٢٨ : « البقرة » .

الأحرار والأولياء الهنود ، ينظرون إلى البرقع بين الاجلال والإكبار ، ويجعلون نساءهم وبناتهم يحتفظن به . وعلى ذلك فالتراجع من تعدد الزوجات إلى الحجاب يقف فى مرحلته الأخيرة ؛ عندما يصل إلى انفصال الجنسين segregation (١). ولم يكن إقبال شاذا فى هذه القاعدة العامة .

« وقد عارض هؤلاء الذين يعتقدون أن النساء قد يشاركن فى العالم المناسر الجديد . وقد تصور الأوربيات بلا قلوب ، يكرهن الأمومة والحب والحياة ! أراد أن تظل النساء « طاهرات » فى حماية وأمن ، ولم يرد لهن نشاطا ولا حرية .. يجب أن تظل المرأة كما كانت فى صدر الإسلام محتجبة فى عزلة ، مطيعة للرجال .. يجب أن تبقى وسيلة إلى غاية . ولقد جمل إقبال نساءه يحتفظن بالبردة ، وأخرج للعالم رأيه فى المرأة المثالية فاطمة الزهراء :

هى ربة الشرف الرفيع ، خير النساء وفخرهنه (٢)
والأمهات كما أرى فى النبل فاقت جمهنه
وكأنها بفعالها حصلت على سر النار والجنه
وبمالها تبدو لنا خير النساء أبرهنه
كانا كفرد إن بدت لهما على الأيام محنه
أيا تكون ترنمت بكلام ربك مطنته

ومع ذلك فإن إقبال وجب عليه أخيراً أن يعترف بخطئه فى أمر النساء . وقد ختم قصيدة صغيرة له بقوله (٣) .

لقد ظلمت المرأة ، لذلك أعتذر لها
غير أن المشكلة معقدة ، فلم يكن فى الإمكان حلها

وليس من شك فى أن منطق التاريخ سيغير تغييراً شاملا موقف المجتمع الإسلامى من هذه المشكلات . فقد تبين للمحافظين والأحرار على السواء ، أن حرية الطلاق هى السبب فى الأخطار المحدقة بالمجتمع الإسلامى (٤) . ومما يجدر ذكره أن المجددين — فى معارضتهم للمدنيين الذين يرغبون فى فصل التقاليد الاجتماعية عما يربطها بالأحكام الدينية — ظلوا يعترفون بالعلاقة الأساسية بين السلوك الاجتماعى والاعتقاد الدينى ، فأعلنوا أن المجتمع إذا أصلح ، فينبغى أن يأتى الإصلاح من طريق دينى ، أولا يكون مستقلا عن الدين أو معارضاً له . وقد جهلوا الاختلافات بين المجتمع الإسلامى والمجتمعات الغربية فى النشأة والأحوال الجغرافية والظروف الاقتصادية والاتجاهات الثقافية .

وعندما تتطور مثل هذه التيارات الاجتماعية فى الإسلام — بتأثير التطور المحلى ، ستظهر للمشكلات حلول ، ليس من الضرورى أن تتفق مع الحلول فى الغرب ، بل ستؤسس على التجارب وحاجات المسلمين .

ترجمة

محمد محمد على

---

(١) weifred Crutwell Smith ' Mobern Islam in India ' (Lahore ' 1643 PP . 180 — 181)

(٣) عرض هذا القصيد بهذا الأسلوب صديق الأديب كمال لطفى أبو طربوش : (المترجم)

(٣) idi ' ' P ' 162

(٤) انظر مقالة عباس طه فى نور الاسلام : س ٦ ص ٢٦٣ — ٦٩ وهو يثبت التعديلات التى أدخلت فى قانون الأسرة فى التشريع المصرى ١٩٢٠ و ١٩٢٩ (Schact ' op ' cit ' p 223) على أن الكتاب المحافظين لم يمتنعوا عن الدفاع عن تعدد الزوجات . نور الاسلام : س ٢ = ص ٥٦٤ — ٨٢ ؛ س ٧٠٦ — ١٣ ، وفريد وجدى بك س ٥ ص ٥٢٨ — ٣٨ . وتجد موقف رشيد رضا والرأى السلفى ملخصاً فى كتاب : Henri La onst Le Califat dans la de Rechid ' 35 ' n ' 292 ' P (1638) أما عن الهند فيراجع : Smith : op cit . pp . 79 — 321 . ونقطة الضعف هى الجدل فى أن التقاليد الاجتماعية المؤسسة على اعتراف الاسلام بتعدد الزوجات ، أفضل من تلك التى أساسها القانون المسيحى الذى يقر وحدانية الزوجة « مونوجامي » ، التى تعكر صفوها العاهرات . وقد يقبل هذا الجدل إذا كانت تؤيده الوقائع ، ولكنهم يغضون الطرف عن انتشار العاهرات فى المجتمع الاسلامى .

محمد إقبال
شاعر الشرق والإسلام

للأستاذ مسعود الندوى

١٣٨٩ — ١٣٥٧ ١٨٧٣ — ١٩٣٨

— ٣ —

١٩٠٨ — ١٩٣٣

سُحبٌ من الدماء متراكمة تريد أن تمطر على طرابلس الغرب ، وأخرى كِسَفٌ من الغمام بدأت ترسل النجيع الأحمر مدراراً على سُهول أدرنة ، وفى الجو طائرات تريد أن تنقضَّ على الدولة العليَّة — ودولة الخلافة — فتسلبها البقية الباقيةَ من تراث أسلافها ؛ وأجسادٌ من شيوخ المسلمين وشبانهم مضرجة مطروحة على شارع من شوارع (كان پور (١)) محميَّة بالجند ورجال الشرطة ... مشهد مؤلم فى طرابلس الغرب أهاب بالمجاهد العربى فهزَّته الحميةُ الإسلامية وجعل يهتف : الله أكبر ، سيف الحق مسلول ؛ ومأساة فاجعة فى أدرنة أنطقت شاعر الكنانة وجعلته يرسل أنغامه دُرراً منظومة :

يا أخت أندلس عليك سلامٌ . هوت الخلافة عنك والإسلام
نزل الهلال عن السماء ، وليتها طُويت وعمَّ العالمين ظلام

وهذه المآسى المحزنة ، وتلك الفجائع المؤلمة ؛ وأخرى من مهازل الاستعمار فى طول الهند وعرضها ، جعلت صاحبنا شاعراً إسلامياً يتألم لكلّ ما يصيب المسلمين من أذى أو مكروه ، فتجود قريحته المطبوعة بما يربط جأش المجاهد ويُبصِّر الفقيه المنعزل فى زاويته ويُرشد المتنوه الأبله المنخدع بأضاليل الغرب وترهاته.. وهو بين هذا وذاك مُؤمن بالله لا يتسرب اليأسُ إلى نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان . فهو يقول :

إنك مسلم ، فاجعل قلبك معموراً بالأمانى والآمال
واذكر دائماً وعد الذى قال : (إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعاد)

وتراه لا يجزع للنوائب والملمات :

« عشية الألم تسفر عن صباح العيد ؛ هاهو ذا تبلَّج فجر الأمل من بين دياجير اليأس » .

ولله قريحته حيث جادت بهذا البيت النفيس :

هل ننثر الأزهار والرياحين على قبر الشهيد
الذى فعل المسفوح من دمه بأمتنا ، فعل الغيث بالشجرة النابتة

وهذا المعنى — أى معنى الحياة بعد الممات والفرج بعد الشدة والنجاح بعد اليأس — مثله كمثل غرض تماوره الرماة ، فمنهم من هو مقصرٌ دونه ، ومنهم من هو واقع يميناً وشمالا ، ولم أر أحداً أصاب المرمى كصاحبنا ممن تقدم وتأخر . ولكن من أين لى ذلك البيان الذى يُضاهى بيان شاعرنا ، شاعر الإسلام . وهذا عذرى إلى من وجد الترجمة ركيكة . فمن أبياته الراقية فى هذا المعنى :

ما لنا نحزن ونكتئب ، إذا تتابعت النوائب على العثمانيين(١)
فإن الفجر لا ينبثق إلا بعد ما تهراق دماء مئات الألوف من الكواكب

رجع محمد إقبال من أوربا ، والهند الإسلامية تكاد تحس بتقهقرها فى ميادين العمل والكفاح ؛ ولزعمائنا المتفرنجين فى دينهم وأخلاقهم والرجعيين فى سياستهم ، سلطانٌ عليهم ، فاتخذ من شعره البليغ المعجز آلة لإيقاظ النائمين من سباتهم وتثقيف الشبان العاملين وصرفهم عن الاغترار بمظاهر التمدن الحديث ، ووسيلة لتربية ملكات المتعلمين النفسية والخلقية وتطهير نفوسهم من أدران الأقليمية واللون والنسب . وبدأ يقرض القصائد ويطبع الدواوين حتى أنبتت بذرته وأثمرت وآتت أكلها . وما هذه النهضة التى نُشاهد اليوم آثارها إلا وميض من بروق إقبال وصنيعة من صنائعه :

صنائع فاق صانعها ، ففاقت وغرسٌ طاب غارسُه فطابا

وكان من حُسن حظ الشاعر الحكيم — أجزل الله مثوبته فى الدارين — أن قد شاهد هذا الغرس ينمو ويكبر أمام عينيه إلى أن أصبح شجرة باسقة الفروع ، وهو حىٌّ يرزق .

---

(١) إشارة إلى مأساة مدينة كان پور التى وقعت عام ١٩١٣ ، والتى هدمت فيها الحكومة جزءاً من مسجدها الجامع لتوسيع أحد الشوارع الكبرى ؛ فثار ثائر المسلمين وأرادت جماعة منهم أن تبنى للجامع من جديد وتعيده إلى سيرته الأولى بالرغم من الحكومة وجنودها . ولما بدأوا بالعمل أطلقت عليهم الجنود النيران وفتكت بهم فتكا ذريعاً .

(١) يريد آل عثمان ، حملة لواء الخلافة يومئذ .

فى الطور الثالث من حياته الشعرية جاش صدر إقبال بشعر قومى بليغ ، ممتلىء حكمةً وقوة ، نبّه النائمين من غفلتهم القاضية عليهم وأرشدهم إلى الصراط السوى فى حياتهم السياسية . ومن خصائص هذا الشعر أن صاحبه يُفرغه فى قالب من التحدى بليغ كأنى به يُلهَـمُه إلهاماً . أما معانيه السامية فما لا يُستراب فيه أنها لا تتسنى إلا لمن فتح الله قلبه لأسرار الطبيعة ، وحوادث المستقبل . وأحسن كلمة له فى هذا الطور « منارة السارى » أو « دليل الطريق » (خضرراه) التى بين فيها الشاعر الحكيم بلسان الخضر مشاكل السياسة الأوربية وأسرارها ، وحذّر المسلمين وأهل الشرق من الوقوع فى شركها ، وأنار لهم فيها الطريق السوى الضامن لسعادتى الدين والدنيا ، إلى غيرها مما جاء فى ثناياها من دور الحكم وغررها . وهاك ترجمة بعض أبيات منها . قال — برّد الله مضجعه — يكشف النقاب عن وجه الجمهورية الغربية الدميم :

« ما هـذه الجمهورية الغربية إلا تلك القيثارة العتيقة التى لا يظهر من أوتارها غير أصوات الهرقلية والكسروية ؛

وهذه الملابس الجمهورية المزركشة يمرح فيها شيطان الاستبداد ويختال ، وأنت تزعم أن عروس الحرية الجميلة تميس فى بردها ؛

وهذه مجالس التشريع والإصلاح ولجان الحقوق كلها أدوية حُلوة المذاق ، اخترعها الطبُّ الأفرنجيُّ للتنويم والتخدير »

وسقى الله تلك القريحة المبدعة التى أرادت أن تُصورّ حال العالم الإسلامى بعد الحرب العظمى فأحسنت وأبدعت :

« قد ذهب أبنـــاء التثليث بتراث إبراهيم

وأصبحت تربة الحجاز أساساً لبنيان الكنائس الأوربية ؛

« وأضحت دماء المسلمين رخيصة كماء النهر الجـــارى ؛

وما بكاؤك لهذه الحال المؤلمة إلا لأنك لا تعرف حكمة الله فى عباده »

وفى الختام يصف دواء ناجعاً لجميع أدواء الأمة :

« لا يمكن تخليص الشرق من براثن الاستعمار ونجاته من سلطته إلا إذا اتحد المسلمون ، واجتمعت كلمتهم ، ولكن أهل آسـيا لا يزالون يجهلون هذه الحكمة البالغة . وحذار أن تبقى مُتلهياً بالنظريات السياسية الباطلة ، وادخل فى حمى الدين من جديد ، فإن الملكة إنما هى ثمرة من ثمرات الدفاع عن الحرم .

فليتحد المسلمون وليكونوا كتلة واحدة متضامنة للذود عن بيت الله الحرام من شاطىء النيل إلى أرض كاشغر .

والذى يُفرّق فى ذلك بين اللون والدم ، سوف ينعدم وجوده من وجه الأرض .

سواء فى ذلك التركى الأبى والعربى النبيل .

وإن آثرت أيها المسلم عنصرك وسلامتك على دينك ، فلن يبقى لك عين فى هذه الدنيا ولا أثر » .

وجـدير بالاستماع والأدكار ، رأىُ صاحبنا فى الحضـارة الجديدة من هذه الكلمة ، لأنه ممن قتل الغرب بحثاً ونخـل علومهم نخلا . قال « لله دره » :

« تعجبكم هذه الحضارة الحديثة وبهر عيونكم جمالها وما هى إلا كفصوص موهتها يد الصناع وجلتها فاختطف الأبصار لمعانها الكاذب .

والحكمة التى يفتخر بها حكماء الغرب ويتشدقون ببركاتها هاهى قد عادت بأيديهم سيوفاً تقطر دماً .

أترون أن هذه الحضارة يكتب لها الخلود بالحيل التى يدبرها لها ساستها ؟ لعمر الحق ، أن كل حضـارة أسِّس بنيانها على التنافس فى الأموال والتكالب على الشهوات سوف تنهـــار ويتبدّد شملها » .

وفى هذا الدور من شعره كلمات أخرى مأثورة مشهورة فى « طرابلس الغرب » و« فاطمة الشهيدة » و« الشكوى إلى الله » وغيرها من القصائد المنثورة فى ديوانه « نداء الرحيل » (بانك درا) لا يتسع المقام للاقتطاف من أزهارها .

بلغ الشاعر فى المرحلة الثالثة من حياته الشعرية قمة مجده فى الأدب ، وحلّ من محل قلوب المتأدبين محلاً يتنافس فيه المتنافسون ، وذلك أن شعره فى هذه المرحلة كان مرآة لمواطف الأمة وأمانيها ، وصورة صـادقة لنهضاتها السياسية والأدبية ، فوجـدت الأمة فى زفراته وتأوهاته ، صدًى لآلامها المتتابعـة والنوائب المتوالية المنصبّة على رؤوسها ، وفى دعوته وعظاته ، ضالتها المنشودة وأمنيتها . وهو بعد كل ذلك شاعر يهز مشاعر النفس ، وخطيب يُذكى فى أعماق الفؤاد جذوة العمل والكفاح ، وحكيم يقيهم مهالك الغرب وخزعبلاته ، ويرشدهم إلى طريق الخير والسعادة .

قد أدى شاعرنا مهمة كبيرة من حياته فى هـذه المرحلة الشعرية ، حيث أبلغ الأمة دعوته أو رسالته ؛ لـكنه ما وهبه الله هذا البيان والحـكمة ليـكون شاعر شعب دون شعـب ؛ وإنما أراد ربك أن يكون شاعر الأمة الإسلامية جمعاء ، يدعوها إلى التـكاتف والتعاضد ، ويُريهم سبل الحق والسلام ، وينير لهم المحجة البيضاء فى ظلمات المادية الحالـكة . أما شعره فى الأردية فما كان ليخترق حدود الهند ، فاختار اللغـة الفارسية واتخذها وسيلة لتعميم دعوته أولا ، وتثقيف المتأدبين (١) من أهل الهند ثانياً .

وأول شـعر نشره باللغة الفارسـية مجموعة « أسرار خودى » (أسرار فلسـفة الذاتية التى يؤمن بها « إقبال » ويدعو الأمة إليها دائماً) . وهذه المجموعة من شعره تحتوى على أسرار وحِكم مفرغة فى قالب الأدب ، تبين للمسلم السبيل التى يُمكَّن بها من ترقية ملـكاته النفسية حتى تخضع الطبيعة لإرادته ، وينزل القدر عند مشيئته . وهذه هى فلسـفة « خودى » (تربية الملـكات الذاتية) التى جعلها الشاعر قطباً تدور حوله جملة كبيرة من شعره البليغ فى هذه المجموعة وغيره من الدواوين . فإنه اهتم به « خودى » كثيراً ورأى أنه لا يُكرم فى الدنيا إلا الذى يكرم نفسه ، ويُرى للعالمين ما فى نفسه من إباء وسموهة وعلو فـكرة . ويكفينى مؤونة التطويل فى شرح الذاتية « خودى » ما بيَّنه الشاعر من ثمراتها فى بيت له :

اشحذ قوتك الذاتية (خودى) وأزردها فى مكانة من القوة والعلو حيث يسأل الله العبـد عن مرضاته قبل أن يجمل لشىء أجـلا .

لا يريد الشاعر أن الله تعالى يسأل العبد عن مرضاته فى الحقيقة ؛ وإنما جعل ابتغاء الله لمرضات عبده مثلا فى تربية القوة الذاتية . وإنما يريد صاحبنا من المسلم أن يربى قواه النفسية تربية تخضع لإرادته الأرض وما فيها من القوى المـادية والأدبية . وليس معنى ذلك أن يختار المسلم فى ترقية مواهبه سبيلا غير سبيل الـكتاب والسنة . وبما أن فلسـفة الذاتية (خودى) من أهم أجزاء دعوة حـكيم الشرق ، عُنى بها أهل الشرق والغرب ، وترجم الدكتور نـكلسن ، أستاذ صاحبنا ، ديوان أسرار (خودى (١)) بالإنجليزية . وكذلك عُنى بهـا جميع من أهل الغرب فى مسلمى الهند وقادة أفكارهم . وهاك فى ما يلى نبذة من أقوال الدكتور (تائيتس) فى كتابه الإسلام الهندى ، Indisn Islam (٢) لعل أكثر المعاصرين نفوذاً وأبلغـهم تأثيراً فى إسلام الهنود ، هو الشاعر الفلسفى السر محمـد إقبال الذى أبلغ أبناء دينه رسالة كان لها أثر فى نفوسهم . فإنه بين لهم إمكان التجديد الفردى وترقية القسم العالى من الشخصية بتقوية الإرادة وبتأدية اسمي ما يمكن للمرء أداؤه فى هذه الحياة الدنيا حسب ما أمر به الله ورسوله .

وكذلك جاء فى كتاب دين الإسلام Irlamie Eaih (٣) للعالم النزيه الشهير الدكتور آرنـكد ، وهو من أعرف الناس بمسلمى الهند ورجالهم ما تعريبه ، وبذلك يعرف القارئ ما فى شعره من فلسفة :

ووجدت الحركة الجديدة فى الهند لساناً فصيحاً فى شعر السر إقبال ، أحد من درسوا الفلسفة الغربية بجدٍّ واهتمام وأحاطوا بها، ولقد أثر فى الناشئة تأثيراً بليغاً ، ولـكن شعره ما استطاع أن يكون بطبيعة الحال أساساً لحركة دينية عامة منظمة للصبغـة الفلسفية التى اصطبغت بها دعوته ، ولعل ذلك لم يكن قط من إرادة الشاعر ولا مرماه .

« يتبع » مسعود الندوى

(١) يرى شاعرنا أن التربية العقلية الناضجة التى أراد أن يربى الأمة وينشئهم عليها لا ينتفع بها إلا من أوتى حظاً وافراً من التعليم . ومن هناك اختياره للغة الفارسية لأنه لا يعرفها فى الهند إلا المتأدبون والمتعلمون

(١) تـكلم الشاعر عن هذه الفلسفة فى جميع دواوينه التى طبعه فى ما بعد ، لـكنه اختص هذا الديوان لإيضاح الفلسفة الذاتية . وتبين نتائجها ، ولذلك وقع عليه اختار الدكتور نـكلسن .

(٢) ص ٢١٥ (٣) ص٧٧

الأزهر والإصـــلاح

للأستاذ محمد السيد أحمد الشال

— ٢ —

تكلمت فى المقال السابق عما أراه يحاك للأزهر مما ظاهره أنه توسع فى التعليم وتشعب فى الثقافة وإنى لا أعتب على القائمين بشئون التعليم أن يفكروا مثل هـذا التفكير ويتجهوا مثل هذا الاتجاه ، فلهم فى هذا بعض العذر أمام وقوف الأزهر وعدم مسايرته للتطورات الحديثة فى الدراسات وطرقها ، وإنما أعتب العتب كله على رجال الأزهر أنهم لم يرسموا لأنفسهم نهجاً من الإصلاح يسيرون عليه . ولا يكفى أن يفكروا فيه فى غدوهم ورواحهم وأن يكون شغلهم الشاغل كما ذكر الأستاذ دنيا ما دام لم يظهر لهـذا التفكير وهذا الشغل أثر ينم عليه .

ولقد بدأ الأستاذ المراغى عليه رحمة الله الإصلاح ورسم له من الطرق ما أعتقد أنه ينهض بالأزهر ويجعله يؤدى رسالته ؛ ثم مرت مدة من الزمن وقف فيها رجال الأزهر على الـكثير من المآخذ على هذه النظم مما تسمع حديثه فى الـكثير من مجالسهم وترى آثار التبرم والسخط بادية على الـكثير من رجاله . ولـكن هذه الأحاديث لا تعدو أن تكون تفريجاً عما فى النفوس ثم لا يكون لها من الأثر ما يتجاوز هذه المجالس . وقد يكون هناك فريق إذا ما ذكر أمامه الإصلاح أراح نفسه من حديثه بقوله أنه لم يمض على هذه النظم من الوقت ما يكفى للحكم عليها . وإذا استعرضنا قانون الأزهر كما قدمه المرحوم الأستاذ المراغى وصدر به المرسوم الأخير للإصلاح ونظرنا ما وضعه من النظم فى مراحل التعليم المختلفة نجده بصفة إجمالية قد أثقل طالب الابتدائى بالعلوم الرياضية بعد أن منعها من القسم الثانوى . وفى رأيى أنه لو بقيت الرياضة موزعة بين الابتدائى والثانوى كما كان الحال قبـل صدور المرسوم الأخير لـكان أفضل وأجدى على الطالب وأنفع له . وأما توزيع باق المـواد سواء منها المواد الأزهرية أو المواد الاجتماعية فى القسمين فهو توزيع حسن يتناسب مع مقدرة الطالب وكفايته فى المرحلتين .

بقى علينا أن ننظر إلى توزيع المواد فى الـكليات المختلفة ، فأقول إن هذا التوزيع قد راعى فيـه واضع القانون جهة الاختصاص فقط وأهمل ناحية أخرى هامة وهى شـدة الصلة وقوة الارتباط بين المواد الأزهرية بحيث لا ينفك البحث فى إحداها من أن يجر الباحث إلى أن يتعرض إلى قضايا مختلفة من المـواد الأخرى لا غنى له عن استيعابها حتى يمكن أن يتم بحثه وأن يحققه تحقيقاً علمياً دقيقاً ، وإذا لم يكن الباحث ملماً إلماماً تاماً بما يعترضه من قضايا المواد الأخرى لا يمكنه أن يتم بحثـه على الوجه الذى يتطلبه التحقيق العلمى . والأمثلة على هـذا كثيرة يدركها جميع رجال الأزهر . فدارس التفسير لا يمكنه أن يستغنى عن دراسة الأصول فضلا عن دراسة مواد اللغة . ودارس الأصول لا يستغنى عن دراسة المواد اللغوية أيضاً . وطالب كلية الشريعة وأصول الدين لا يكفيه فى دراسة اللغة ما حصله فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، ونحن نعلم أن الدراسة فيهما تكاد تكون تلقينية . أضف إلى ذلك تركه فى هذه المواد فى مرحلة الـكلية مما يجعله ينسى الـكثير من قضاياها . والدارس فى كليتى اللغة وأصول الدين لا يستغنى عن دراسة الأصول بل هو فى أمس الحاجة إليـه حينما يدرس شيئاً من التفسير والحديث . ولا يكفى ما هو مقرر فيهما من المذكرات الموضوعة فى هذه المادة فهى لا تعدو سرد القضايا دون التعرض لتفهمها وعرضها عرضاً يتذوق منه الطالب جمال هذه المادة ويدرك حاجته إليها فى الـكثير من المواد .

ولا يليق بطالب كلية اللغة والشريعة أن يتخرج وهو لا يعلم شيئاً عن أصول الأديان والعقائد مكتفياً بما عرفه من دراسة القليل من علم التوحيد فى كتبه الموروثة فى المرحلتين السابقتين وهى كتب لا تشفى غلة ولا تبل صدى .

هذا من ناحية القصور العام فى توزيع المواد فى الـكليات ؛ وإذا انتقلنا إلى الدراسة فى التخصصات ونظرنا إلى المواد المقررة فى تخصص التدريس مثـلا عجبنا كيف يرضى رجال الأزهر لناشئته أن يضيع من سنى حياتهم سنتان فى دراسة طرف من علم النفس والتربية وتاريخها وبعض المواد الأخرى مما يمكن أن يستوعبه الطالب بأقل مجهود أو بدونه فى سنى الدراسة فى الـكليات، وكان الأولى أن ينظم هـذا التخصص وأن يزاد فى سنى دراسته سنة ثالثة وأن يقرر فيه دراسة بعض المواد الأساسية فى الـكليات المختلفة دراسة تمتاز عن دراسة الـكليات بسمة البحث والتعمق

فيه وتنوع طرقه مما يمد الطالب إعداداً كاملا ؛ وأظن فى وجود هذا التخصص على هذا النحو استغناء عن تخصص المادة .

وهكذا لا يعدم الباحث فى شأن التخصصات الأخرى جميعها من أن يرى بعض النقص الذى يستوجب تداركه .

وإنى إن أذكر ذلك لا أدعو إلى إدماج الكليات والرجوع بالأزهر إلى نظامه القديم ، ولكنى أقول أن اللازم أن يراعى فى تقسيم الكليات صلة المواد بعضها ببعض فوق ما هو مراعى من جهة الاختصاص ، فلا يقطع بين الطالب وبين جميع المواد الأساسية فى كلية أخرى ؛ بل يدرس فى كل كلية ما لا يستغنى عنه عالم أزهرى رسالته الأولى الدعوة إلى هذا الدين والدفاع عنه . فيعمم فى جميع الكليات دراسة أصول الأديان جميعها وما طرأ على فروعها المختلفة من تغيير أو انحراف أو جمود وأسباب ذلك ، وحال المسلمين الآن والوسائل الناجعة لتوحيد كلمهم ورجوعهم إلى دينهم . كما يدرس فى كل كلية من القضايا الأساسية فى كل مادة أصلية فى كلية أخرى ما تمس الحاجة إليه دراسة توسع وبحث واستيعاب لا دراسة سرد قضايا وتعداد أحكام كما هو الحال فى دراسة الأصول فى كليتى اللغة وأصول الدين . وتدرس جميع المقررات فى الكليات ولا يكتفى بدراسة البعض والامتحان فيه كما هو الحال الآن . بل تقسم المادة إلى قسمين قسم يقوم بدراسته أستاذ المادة بتناسب مع الزمن المقرر لها بحيث يلتزم الأستاذ بالانتهاء منه ، وقسم يترك للطالب تحصيله واستيعابه بحيث يكون الامتحان فى جميع المادة . وهذا العمل فوق فائدته التامة للطالب من ناحية دراسته لكل المادة له فائدة أهم وهى تعويده الاعتماد على نفسه فى دراسة ما يترك له مما يكون له شخصية مستقلة لا تركن فى كل ما يعن لها إلى السؤال والاستفهام . بل تركن إلى البحث والتنقيب .

ورأيى أيضاً أن ينظر إلى الكتب المقررة نظرة فاحصة ليختار لكل مادة من الكتب ما تكون بعيدة عن الحشد والتعقيد والاستطراد وسرد المسائل التى لا يستفيد منها الطالب إلا تضييع الوقت وتعويده التشكك فى كل ما يعن له من بحث . وأى فائدة تعود على الطالب الذى يريد دراسة مادة من المواد من صرف جل وقته أو كله فى تصحيح عبارة أو الوقوف على خطأ تعريف أو معرفة الأولى إلى غير ذلك مما يضيع عليه الكثير من معرفة قضايا المادة وحقيقتها . ولو كان هذا بقدر حتى ينبه الذهن إلى تجنب الخطأ لكان حسناً ، أما أن يكون هذا سبباً فى صرف كل المجهود إليه فهذا ما لا يقره منطق .

ونحن الآن نرى تطلع المسلمين إلى الأزهر وحاجتهم إلى علمائه يبصرونهم بدينهم ويهدونهم إلى شريعتهم . وليس كل المسلمين ولا غالبيتهم ممن يعرفون العربية أو يفهمونها . فالأزهر الآن فى أشد الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية فى جميع سنى الدراسة حتى يمكنه أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل سواء فى المحيط الإسلامى أو فى المحيط العالمى . فالعالم الآن على مفترق الطرق يتطلع إلى خير النظم التى تكفل الاستقرار والسلامه لجميع الناس ، ويتخبط المفكرون منهم فى بيداء التفكير والبحث علهم يقفون على طريق يوصل إلى الغاية ؛ وليس هناك من طريق موصل إلا طريق الإسلام .

وأنى للعالم أن يهتدى إلى ذلك إذا لم يقم رجال الأزهر بنشر دعوته وتبيين حقيقته ودحض المفتريات التى يذيعها المغرضون أو الجاهلون عن الدين مما ينشر كل يوم باللغات المختلفة ولا نعلم من أمره شيئاً .

وفى السكوت على نشر مثل هذه المفتريات وعدم تجلية حقيقة هذا الدين للعالم تقصير عن أداء رسالة الأزهر ورسالة الإسلام .

ولقد اتخذ كثير من كتاب الغرب حال المسلمين وماهم عليه من جهل بدينهم وانحراف عنه وتأخرهم وانحطاطهم حجة يقوون بها مفترياتهم ويؤيدون بها دعاواهم فى أن هذا الدين لا يصلح لتنظيم المجتمعات ولا لأسعاد الجماعة .

هذه ناحية ، وهناك ناحية أخرى وهى أنه يوجد بين أضابير المكتبة الأزهرية كثير من الرسائل فى المواد المختلفة تقدم بها إما طلاب منتهون لنيل الشهادات النهائية ، وإما أجلة العلماء للحصول على عضوية هيئة كبار العلماء . ولقد عفى على هذه الرسائل الزمن وعلاها كثير من الغبار ولا يسمع أحد بها ولا يطلع أحد على ما فيها ؛ ولم لا تتخذ هذه الرسائل نواة لأصلاح الكتاب ؟

وهل هذه الرسائل لا يرتفع قدرها إلى قدر ما كتب منذ ثمانية قرون أو يزيد على طرق من البحث وأساليب من التفكير تتناسب والعصور التى كتبت فيها .

وإذا لم يكن لهذه الرسائل من التقدير ما يجعلها أرفع شأناً

مما كتب فى تلك العصور فلم قدرت من اللجان التى نظرتها تقديراً استحق صاحبها بسببه أن ينال شهادة أو يظفر بشرف العضوية ؟

ولا أدرى سبباً لإهمال هذه الرسائل اللهم الا أن تكون هناك عقيدة لتقديس الآثار فظن من تمسك بها أن الخير كل الخير فى التعلق بها ، وأن الشر كل الشر فى الخروج عليها ، وأتباع ما جد من البحوث والأفكار . ولعل فى الرجوع إلى هذه الرسائل وبعثها وتقدير ما يصلح منها للدراسه تشجيعاً لمن يريد البحث وحثا له على بذل كل فى وسعه لوضع ما يقدر عليه فيما يزفيه فيكون فى هذا العمل تشجيع للتأليف والمؤلفين وتوسعة للبحث وإنهاض للباحثين فيتسع مجال التفكير ويكثر الإنتاج الأزهرى كما كثر الإنتاج الجامعى .

هذا قليل من كثير مما يتعلق بالبرامج العامة للدراسة وما يتعلق بالكتاب .

أما إصلاح الطالب فيكون بإصلاح نظم الامتحانات والرجوع بها إلى رفع درجة النجاح إلى ٦٠٪ وعدم السماح للطالب بدخول الدور الثانى إذا قصر فى أكثر من مادتين . وفى المادتين لا يسمح له بالإمتحان إذا لم يحصل على نصف النهاية الصغرى لكل مادة . وأخذه بالحزم والشدة فى جميع التشكيلات ويكون هذا بالعقوبات الرادعة النافذة .

وأما إصلاح المدرس ففى إصلاح البرامج ونظم الدراسة والكتاب ما يكفى لإصلاحه . وهناك ناحية كان لها شأنها فى العصور الخالية واستمرت إلى عهد قريب وهى الصلة العلمية بين الطالب وأستاذه حتى كان الطالب يفخر بأنه تلقى العلم على فلان . وكان لكل أستاذ من الصبغة العلمية والفكرية ما يظهر أثره فى مدرسته وتلاميذه . وخير شاهد على ذلك المدرسة القريبة العهد بنا وهى مدرسة الأستاذ جمال الدين الأفغانى وتلميذه الإمام الشيخ محمد عبده . ولقد امتازت مدرسة الشيخ محمد عبده بما امتاز به أستاذها من استقلال الفكر وتعمق البحث والتحرر من الجمود وعدم التقيد بالموروث . فإذا أمكننا أن نحيي هذه المدارس فاحياؤها لا يكون إلا على يد هيئة كبار العلماء بتكليف رجالها بإلقاء دروس للعلماء الناشئين ، ولا يقل ما يلقيه كل منهم عن درسين أو ثلاث فى الأسبوع يتخذ كل منهم مادة من المواد يدرسها دراسة توسع وبحث دون تقيد ببرامج أو خضوع لزمن ، ويكون له فى دراستها طابع خاص يمتاز به .

وفى هذا العمل من الفوائد مالا يخفى على من أدرك الأستاذ الإمام وساعده الحظ بالجلوس فى مجالسه والاستماع إلى دروسه .

ولا زالت الصلة العلمية بين الأستاذ وطلابه المنتهين موجودة فى النظم الجامعية الغربية . وكانت هذه الصلة سبباً فى المحافظة على الطابع العلمى والجامعى وهذه بضاعتنا نبت زرعها وترعرع بين جدران الأزهر واستمر حقباً طويلة ثم تركها الأزهريون ففقدوا كثيراً من طابعهم الجامعى ! فهلا رجعنا إليها حتى نصل ما انقطع ونجنى ما درس .

ولا يكفى ما يقال من أن كل عضو من أعضاء الهيئة الموقرة يقدم بحثاً فى كل عام ، وأى أثر ظاهر لهذه البحوث ؟ وهل سمع بها أحد أو أطلع عليها أحد أو استفاد منها أحد ؟ وهل هذه البحوث أصلحت كتاباً أو هذبت مادة أو تعرضت لما يعن للعالم من شاكل اقتصادية أو اجتماعية أو كشفت ما غشاه من إلحاد أو هدته إلى الخروج من حيرته .

وهل يكفى أن يقال إن تراثنا التشريعى غنى بما حواه من أفكار القدامى وأبحاث السلف . وإذا كان غنياً فلم لم يتخذ منه الباحثون أداة للاصلاح التشريعى العام ؟ ولم لم يعملوا على عقد الصلة بين هذه الأبحاث وبين ما يعرض للناس من نظم مالية واقتصادية وصلات عمرانية واجتماعية وتطورات أخلاقية ؟

وهل يكفى أن نتغنى بأمجاد السلف ونأسف على أيامهم ، ونقف حيارى لا نهتدى إلى سبيل والعالم يتقدم ويجد فيه من الأحداث ما يقتضى تطور التشريع وتغير الحكم ؟ ونكتفى بأن نقول إن التشريع الإسلامى صالح لكل زمان ومكان . وأى صلاحية تبقى له إذا تركناه كما هو يسرد قضايا قد ذهب زمنها ويعدد أحكاماً قد ولى رجالها ونختلف فيما بيننا هل باب الاجتهاد مفتوح أم ذهب زمنه ورجاله ؟ لا ، لا يليق بمن يبغى البقاء أن يقف والعالم يتطور . ولو بقى على حالة أخشى أن يذهب به أعصار أو يتخلف عن الركب .

ولعلى بهذا أكون أديت بعض ما يجب على نحو الأزهر الذى أعتز بالانتساب إليه وحققت بعض دعوة الأستاذ دنيا . هدانا الله وإياه إلى معرفة طرق الإصلاح والأخذ بأسباب النجاح

محمد سيد أحمد الشال

مندوب الأزهر لتدريس الشريعة بكلية المقاصد الإسلامية بيروت — لبنان

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

تمهيد :

لكل قبيلة أوجهة عادة لغوية تميزها عن غيرها وهي ما تعارف الناس الآن على تسميتها لهجة : تتحكم فيها عند نطقها بالألفاظ وأدائها للكلمات ويلحظها من استمع إلى المتكلمين بها فلا يكاد يخطىء في إلحاق المتحدث بقبيلته أو جهته إذا أوتي شيئاً من الدراية بتلك اللهجات، وهذه العادة كانت تندرج قديماً تحت كلمة اللغة حيث أطلقوها في الصدر الأول على عدة معان .

١ — على الخلاف بين القبائل في إعراب الكلمات وبنائها وصيغها ؛ حكى علي بن محمد النوفلي قال سمعت أبي يقول لأبي عمرو : خبرني عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة ؟ قال أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات .

٢ — على تباين الألفاظ التي تترادف على معنى واحد . وذلك مثل ما يرد في معاجم اللغة كقولها : الزمهرير القمر بلغة طيء ، والبينط النساج بلغة اليمن ، والليث اللسن البليغ بلغة هذيل .

٣ — على طريقة أداء الكلمات وإعطائها نغمة أو غنة تميزها عن غيرها من القبائل كالإمالة والتسهيل والتفخيم والترقيق . وذلك مثل ما يروى في كتب اللغة والأدب من قولها : وليست الإمالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ، وأشدهم حرصاً عليها بنو تميم .

وفي الحديث عن صفوان بن سالم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يحيى قيل له يا رسول الله تميل وليس هو لغة قريش؟ فقال هو لغة الأخوال بني سعد .

ويروى أن أبا عمرو كان أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، وأن سيبويه أخذ النحو عن الخليل ويونس وعيسى ابن عمر وغيرهم وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير .

أما اللغة باصطلاحنا الحديث فقد كانت تسمى اللسان . والقرآن الكريم لم يستعمل غيرها عند إرادتها .

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » سورة إبراهيم .

« لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » سورة النحل .

« لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » سورة الشعراء .

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » . سورة الروم .

« وهذا كتاب مصدق لساناً عربيا » سورة الأحقاف .

وقد سمى ابن منظور كتابه « لسان العرب » وسميت المدرسة التي كان يرأسها رفاعة بك الطهطاوي « مدرسة الألسن » .

هذا وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يقرءوا القرآن بلهجات العرب .

وتلك الإباحة تفهم من الحديث الذي رواه صفوان بن سالم ويرشد إليها الحديث المرفوع « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » .

وقد جاءت تلك الإباحة لأنها في الواقع لا تؤثر في المعنى ولا تخل بنظم الآية ، وهذا النطق من القبائل مترتب على عادتهم اللغوية وطريقة أدائهم للألفاظ ؛ فالقبيلة التي اعتادت ألسنتها على الإمالة يكون العسير عليها أن تنطق بالفتح ، والقبيلة التي تسهل الهمزة يكون من الشاق عليها تكلف النبر .

فليس من الممكن إذن التضييق على القبائل العربية بحملها على نهج واحد وتسلك طريقاً بعينها مخالفة بذلك عادتها اللغوية أو لهجتها ؛ ودين الله يسر لا عسر ؛ إلا أن اللهجات المستكرهة التي فيها إبدال حرف مكان حرف أو زيادته كطمطانية حمير وكشكشة أسد وعنعنة تميم واستنطاء هذيل وسعد بن بكر والأزد والأنصار وغير ذلك من مستكره اللهجات تعتبر القراءة بها شاذة من الناحية الشرعية حيث لا تصح بها الصلاة والعبادات؛ أما من الناحية اللغوية والأدبية فلا خلاف في أنها منهل مورود لطلاب اللغة وآدابها .

ويرجع الخطر من الناحية الشرعية على اللهجات المستكرهة

إلى ما اشترطه أئمة الشريعة فى القراءة الصحيحة من أنها يجب ألا تخرج عن كونها .

١ — صحيحة السند .

٢ — ووافقت العربية ولو بوجه .

٣ — ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا . فإذا جمعت هذه الشروط تعد واجبة القبول سواء كانت من القراء السبعة المشهورين أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين .

والذين انتهى إليهم من الصحابة سند القراء هم عمر وعثمان وعلى وعبد الله بن عباس والحسين بن على وعبد الله بن عياش المخزومى وعبد الله بن السائب المخزومى وهم قرشيون ، وعبد الله ابن مسعود من هذيل ، وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وهم من الأنصار ، وأبو موسى الأشعرى من الأشعرين وهى قبيلة يمنية ، وأبو هريرة من الأزد ، ثم صارت مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق مقرأ لشيوخ القراءات فى صدر الإسلام .

فبمكة عبد الله بن كثير من القراء السبعة ، ومحمد بن محيصين من الأربعة عشر ؛ وبالمدينة نافع من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة ؛ وبالكوفة عاصم بن أبى النجود ، وحمزة ، والكسائى من السبعة ، وخلف من العشرة ، وسليمان الأعمش من الأربعة عشر وبالبصرة ، أبو عمرو من السبعة ، ويعقوب من العشرة ، والحسن البصرى واليزيدى من الأربعة عشر ؛ وبدمشق عبد الله بن عامر من السبعة .

وقد اشتهر غير هؤلاء جماعة بالأمصار الخمسة السابقة كحميد بن قيس بمكة ، وشيبة بن نصاح بالمدينة ، ويحيى بن وثاب بالكوفة ، وعبد الله بن أبى اسحق الحضرمى بالبصرة ، وعطية ابن قيس الكلابى بالشام . إلا أن رواية قراءاتهم كاملة لم تدون كما دونت قراءات الأربعة عشر ولا يعرف عنهم إلا ما تناثر فى كتب التفسير والتراجم ؛ وما كان لهم من استاذية على بعض القراء المشهورين حيث اختاروا من قراءاتهم لأنفسهم ما وافق شروط الاختيار .

وأول من تتبع وجوه القراءات وتقصى الأنواع الشاذة فيها وبحث عن أسانيدها من صحيح ومصنوع هو هرون بن موسى القارئ المتوفى سنة ١٧٠ هـ إلا أنه لم يؤلف باستقصائه كتاباً . ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ فكان أول من استقصاها فى كتاب ، ويقال إنه أحصى منها خمساً وعشرين قراءة مع السبع المشهورة .

أما أول من اختار السبعة المشهورين فى عهدنا هذا فهو أبو بكر بن مجاهد وذلك فى أواخر القرن الثالث الهجرى ومفتتح الرابع .

ولم يكن الكسائى معدوداً من السبعة قبل عهد المأمون ؛ وقد كان من الأئمة قبل ابن مجاهد من أخرج حمزة والكسائى من السبعة وأدخل بدلا منهما أبا جعفر ويعقوب ؛ فلما جاء الإمام الشاطبى اختار من اختارهم ابن مجاهد وألف منهم منظومته حرز الأمانى المسماة الشاطبية فاقتصر عليهم المتأخرون تبعاً له اختصاراً واختيارا .

وقديماً كانت ثقافة القراء واسعة فلم ينصب أحد نفسه للاقراء بعد استنباط النحو ما لم يكن عالماً بالعربية وأوجه الخلاف فيها ، كما أنهم لم يعدوا المرء عالماً بالعربية ما لم يكن ملماً بالكثير من القراءات .

وفى بدء الإسلام لم تكن هناك حاجة إلى علم القارىء بالنحو الذى لم تستوف أصوله بعد وإن كان له مع ذلك إلمام واسع بمأثور العرب فى حين أن اللسان العربى صحيح والسليقة لم تفسدها العجمة . فإذا سرنا مع الزمن وجدنا كل قارىء إماما فى العربية بجانب إمامته فى القراءات .

فهذا أبو عمرو بن العلاء كان حجة فى كلام العرب ولغاتها وغريبها .

وهذا الكسائى جمع إلى إمامته فى القراءة إمامة الكوفيين فى النحو .

وهذا ابن مالك صاحب الألفية التى صارت مرجع كل عالم فى النحو كان حجة فى القراءات وإماماً . قدم الشام من الأندلس وصار شيخ الإقراء بالمدرسة العادلية بدمشق وألف قصيدة

دالية فى القراءات السبع ؛ أما الإمام الشاطبى صاحب المنظومة المشهورة فى القراءات فقد كان أعلم الناس بالعربية وعلومها (١) .

هذه نبذة مختصرة رأيت الإلمام بها قبل أن أعرض للقبائل ولهجاتها وأثرها فى القراءات .

قبيلة تميم :

هى من أشهر القبائل التى كان للهجتها أثر فى القراءات والعربية أقامت قديماً بتهامة ثم نزحت فى أواسط القرن الثانى قبل الهجرة نحو العراق واستقرت فى باديته وما يليها جنوباً آخذة جزءاً من نجد ، ويجاورها من ناحية الغرب قبائل أسد شمالا وقيس جنوبا ، ويجاورها من ناحية الجنوب بنو حنيفة من بكر بن وائل وعبد القيس من جديلة ، وتفصل بين بعض بطونها قبائل من بكر ابن وائل . وقد توزع كثير من التميميين فى الفتوح الإسلامية وشملت البصرة والكوفة فى مبدأ إنشائهما عدداً كبيراً منها .

ديانتها :

كانت الوثنية شاملة لجزيرة العرب قبل الإسلام ، وقد اتخذت القبائل بيوتاً للعبادة وأصناماً خاصة بها بجانب احترامها للكعبة . والأصنام المشهورة اللات والعزى ومناة ، فما كانت تنفرد به تميم صنم اسمه تيم ولهذا قيل لتميم كلها فى الجاهلية عبد تيم ؛ وكان لها بيت للعبادة اسمه « رضاء » ولها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها فى الإسلام .

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفرا بقاع أسحما

وقد دخل جماعة من التميميين أيام الجاهلية فى المجوسية لقربهم من العراق التابع للفرس . وعبد جماعة منهم نجما يسمى الدبران ، وأسلمت تميم فى حياة الرسول ، فلما قبض إلى الرفيق الأعلى ادعت سجاح بنت الحارث فيهم النبوة فتبعوها ثم عادوا إلى الإسلام مرة أخرى وأسلمت متنبئتهم سجاح .

(١) العادلية مدرستان بدمشق : الكبرى أنشأها السلطان نور الدين ولم تتم ثم شرع فى إتمامها السلطان العادل أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى وتوفى ودفن بها ولما تم واليه تنسب ، ثم أكمل بناءها ولده المعظم سنة ٦١٨ وكان بها فرع للاقراء ممن تولى مشيخته أبو عبد الله محمد بن مالك صاحب الألفية . والعادلية الصغرى أنشأتها زهرة خاتون ابنة الملك العادل .

نسبها :

تميم قسمان : الصغرى وهم أبناء تميم (١) بن عبد مناة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر ، ومنهم قطام صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب التى اشترط فى مهرها

ثلاثة آلاف وعبد وقينسة   وضرب على بالحسام المصمم

والكبرى وهى صاحبة الشهرة التى تراد عند الإطلاق وهى التى نعنيها بالبحث والمقصودة دائماً فى جميع الكتب هم أبناء تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ولها بطون وعشائر كثيرة أصبحت شبه مستقلة فى منازعاتها ومفاخراتها بل وفى بعض لهجاتها .

عاداتها :

كان للعرب فى الجاهلية عادات مختلفة شملتهم جميعاً ، منها وأد البنات وزجر الطير والاستقسام بالإزلام ، والعقر على القبور ؛ غير أن أهل نجد ومنهم تميم قد يخالفون الحجازيين فى بعض العادات كما يخالفونهم فى اللهجات ، فالسانح من الطير والظباء وهو ما مر من مياسرك إلى ميامنك يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح وهو ما مر من ميامنك إلى مياسرك بعكس الحجازيين فيهما قال ذو الرمة وهو نجدى :

خليـــلى لا لاقيتما ما حييتما   من الطير إلا السانحات وأسعد

وقال النابغة متشائماً بالبارح وهو نجدى .

زعم البوارح أن رحلتنا غداً   وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وقال كثير وهو حجازى ممن يتشاءم بالسانح .

أقول إذا ما الطير مرت مخيفة   سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هذا هو الأصل عندهم ؛ ثم قد يستعمل النجدى عادة الحجازى فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدى .

فبيتى على طير سنيح نحوسه   وأشأم طير الزاجرين سنيحها

رجالاتها :

اشتهر من تميم كثير من الحكماء والزعماء والعلماء والشعراء

(١) كما فى العقد الفريد وتاريخ ابن خلدون ؛ أما لسان العرب والقاموس والجمهرة ونسب عدنان وقحطان وسبائك الذهب والتأمل فاسمها تيم ولعله الأصوب وهناك تيم أخرى بطن من هذيل .

وغيرهم فى الجاهلية والإسلام منهم أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية ومن قوله :

أيتها النفس أجملى جزعاً إن الذى تحذرين قد وقعا

ومنها : الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

ومن قوله :

ولست بخابىء لغد طعاماً حذار غد ، لكل غد طعام

ومنهم أكثم بن صيفى حكيم العرب فى الجاهلية ، ومن حكمه : مصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم ، ومقتل الرجل بين فكيه. ومنهم حاجب بن زرارة من مشاهير فصحاء زمانه وفد على كسرى وضمن قومه برهن قوسه عنده ، ولذلك قصة مشهورة. ومنهم الأقرع بن حابس وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف . ومنهم الأحنف بن قيس سيد تميم البصرة وعروة بن جرير أول خارجى قال : لا حكم إلا لله يوم صفين ، والمنذر بن سارى صاحب هجر وقطرى بن الفجاءة الخارجى الأزرقى ومن قوله :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعى

فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى

فصبراً فى مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

ومنهم عبدالله بن أباض رئيس الأباضية من الخوارج ، وعبدالله ابن صفار رئيس الصفرية وجرير والفرزدق الشاعران ورؤبة ابن العجاج الراجز والسليك بن سلكة من العدائين المشهورين ومية صاحبة ذى الرمة وسجاح المتنبئة .

أما علماؤها فنهم زفر الفقيه الحنفى وأبو عمرو بن العلاء وسنفرد له ترجمة خاصة ، وأبو عثمان المازنى النحوى والنضر بن شميل النحوى ويحيى بن أكثم قاضى المأمون غلب عليه حتى لم يتقدمه أحد من الناس جميعاً ، ولى أول الأمر قضاء البصرة وهو صغير فاستصغره أهلها وقالوا كم سن القاضى ؟ فعلم أنه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن .

(للبحث بقية)

عبد المنار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

إعلان

عن مباراة مجمع فؤاد الأول للغة العربية لأدباء العرب فى وادى النيل وغيره سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية منح مائتى جنيه أحسن قصة بالعربية الفصحى مخطوطة أو مطبوعة . بشرط ألا يكون تاريخ المطبوع منها قبل يناير سنة ١٩٤٧ ، على ألا تقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لا تقل كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) .

ويشترط أن يكون مدار القصة حول أحد الموضوعات الآتية : —

١ — بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

***

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجائزة أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة فى موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختى الانتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحا ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن جازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المقدم إليها ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع .

***

وترسل الموضوعات بعنوان : لجنة الأدب — مجمع فؤاد الأول للغة العربية — شارع قصر العينى ١١٠ — القاهرة .

نفـــاق المخلص

للأســتاذ ثروت أباظه

رجل أصابه الدهر بنكبات تصيب إحداها الشديد فتصرعه ، غير أنه كان أقوى من الشدة فثبت ، ومرت به الزعازع لم تصب منه مكسراً ، ولم تقصف له عوداً ، ولـكن نفسه ضمفت دون أن يمر بها الخطب ولا يؤثر فيها .. فانعقدت بها العقدة ، وكره أن يرى السعادة ؛ فخصص حياته الباقية لحرب الخير ، ومناهضة الرفاهة ، وتدعيم الشر ، ومباركة الشقاء .

عرفته وهو يستقبل المصائب ، وكان إذ ذاك لا يفرح لفرح الناس ، ولـكنه كان أيضاً لا يفرح لحزنهم . ثم شهدته والمصائب تعتوره من كل جانب حتى لم يعد فيه مكان لإصابة ، فصار إلى ما هو عليه .

ولنا صديق رأى سعادته وسعى إليها ، فسارع إليه الرجل ذو العقدة يثنيه عما يروم ، باذلا في سبيل ذلك ما شاء من خسة وكذب . وكان الصديق يعرف في الرجل عقدته وخسته ، ولـكنه لم يفكر يوماً أن تصيبه هو هذه الخسة وهو الذي يبذل له الود الصادق والعطف الـكريم .. وظل يحسن به الظن حتى انكشف له لؤمه وكذبه ، فرمى بقوله عرض الأفق ، وأتم ما كان مقدماً عليه ، وكفأ الرجل ذو العقدة على مرجله غطاء من ود ظاهر .

ظننت أن صديقي سوف يشيح عنه بحبه وعطفه ، وأنا أعلم فيه صدقاً في وده ، فلا يمنحه إلا صادراً عن قلبه . ولـكن الصديق أخلف ظني ، وراح يظهر للرجل مثل ما كان يظهر ، حتى احتسبت الله في صفائه ، واعتقدت أن الحياة علمته خداعاً كان يجهله ، ولـكنني لم أطق أن أودع فيه خلالا حدتها له زمناً قبل أن أسأله :

— أراك ما تزال تحبه ، وهو الذي فعل ما فعل . وأعرفك لا تبذل حبك من لسانك !

— إن ما فعل لا يعرفه إلا أنا وهو وأنت . فإذا تغيرت عليه ظهر ما لا أحب إظهاره .

— وتنافق ! ؟

— وما ذا في ذاك ! ؟

— كأني أكلم شخصاً لا أعرفه .. ألا تعرف ما ذا في النفاق ؟ .. فيه أنه نفاق . خداع وكذب ، وإجراء نفسك على غير ما تحب ، وظهورك بغير ما تبطن .

— لعل دهشتي من كلامك أكبر من دهشتك . إن ما تقوله لفظ أنيق تخلى عنـه منطقك الواقعي .. إن النفاق شر إذا هدف إلى الشر ، أما إذا حدت إليه عواطف الخير فهو خير هادف إلى خير .. أما اعتقادك أني أجرى نفسي على غير طبيعتها ، فإني مرتاح إلى ذلك ما دمت لا أحمل في نفسي غضاضة الشر .

— وكيف أعرف نفاقك من إخلاصك ما دمت هـكذا ؟. كيف يتسنى لي أن أميز بين ودك خالصاً وبين ودك مشوباً ؟

— ودعني أسميه نفاقاً مهما يكن هادفاً إلى خير — كيف يمكنني ذلك ما دمت تقدم على الإخلاص وغيره بهـذا السمت البريء الذي عرفت به ؟

— إن مقياسك في ذلك هو نفسك .. فإن كنت تضمر لي الشر وتبديه حتى أحسه منك ، ثم تراني بعد هـذا أقدم لك من الود ما عودتك فأنا معـك منافق ، أبقي على احترام الناس لك ، وأخشى عليك قالتهم ، راجياً منك الخير بعد الشر ، والوفاء بعد الغدر .

— أولا تعتقد أن الرجل شاعر بأنك تبدي له هذا الود عن غير إخلاص .. هل بلغ به الجحود حداً لا يعرف به أنه أساء إليك وأنت تحسن إليه ! ؟

— لا .. بل إن الرجل يعلم علم اليقين أن هـذا الود الذي أبديه له أصبح وداً غير حقيق ، ويعلم أيضاً أنني أذكر له كل الشر الذي قدم .

— أولا تعتقد أن صلتك إياه تؤلمه أكثر من قطيعتك له ؟

— ربما جال هذا بنفسه إن كان بها بقية من ضمير ، ولـكنه من الذكاء بحيث يعلم أنني أفعل ما أفعل لأبقى عليه الستار الذي أسدله أمام الناس .. أما إذا كان ضميره قد انجلى عنه ، فهو مسرور بما أفعل ، مرتاح إليه ، مقبل عليه كما كان يقبل .

وهـكذا لم أودع في الصديق ما عرفت له من الخير ، بل استقبلت منه تمرساً بالحياة ، ومجاراة لها ، وتحويلا من شرها إلى خير ، ومن نفاقها إلى إخلاص .. إنه ينافق لا شك ، ولـكنه نفاق المخلص .

ثروت أباظه

رحلات فى ديار الشام فى القرن الثامن عشر الهجرى :

٤ ـ اردان حلة الاحسان
فى الرحلة إلى جبل لبنان
لمصطفى البكرى الصديق
(١٠٩٩ هـ - ١١٦٢ هـ - ١٦٨٧ م - ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سـامح الخالدى

« تتمـة »

إتمام البئر وانتشار الطاعون :

وبعد ما تم بناء البئر أردت أن أدخله فى الحضير ، فشرعت فى تقتيم الستارة ، وابتدأنا يوم الاثنين فى العمارة ، وكان أفرط عند الطاعون ، أحوج لاستعمال ما فى الماعون ، وتعرض الأخ محمد سعيد ليلة الثلاثاء بوارد شديد ، وما زال الأمر يزيد إلى أن اصطفاه إليه ليلة السبت الحادية والعشرين من ذى الحجة شهيد ، وترجمته فى كراسة وسميتها (العقد الفريد النضيد فى ترجمة محمد سعيد) وحصل له مشهد فريد ، ودفن فى مأمن الله .

سنة ١١٤٥ هـ

ولما دخل عام (١١٤٥ هـ) توجهنا والأحبة على عادتنا للزيارة [مقام على بن عليل شمالى يافا] وأقمنا بعد ما قطعنا بلاداً مع السيارة وبتنا لدى المزار ليلتين ، ومنه أتينا بعـد التنزه فى المروج ذات الزهور ، مع الجموع قرية (كور) وكنا تخلصنا بامداد الشكور، من الحمى ذات العبور ، إلى تجوم الجسد المنخور ، وعطفنا على (نابلس) المحروسة ، ولم ننزل إلا الدرويشة ، لاتساع مبرور ، وكان الحاج حمدان ، قصد جامع النصر المعمور ، والخلوة التى لديه وأذنا لولده الشيخ يوسف بالحضور ، وسرنا بعد إكرام تام ، وما زلنا بالبداءة والختم بالأوراد إلى أن وصلنا المنازل المقدسة . وكنا قد أكدنا مع الأخ الحاج حسن مقلد أمر الحج ، ورجونا أنا بعـقد جواهره نتقلد ؛ وفى أوائل رجب جاءنا رجل مغربى سمى نفسه محمد السابع ، وزعم أنه عائم فى بحر المعارف سابح ، وحدثنـا بعجائب من بنيات صدره ، ووعدنا مواعيد عرقوب صانها فى قدره .

وحين اشتد العزم على السير نحو الحجاز ، وصله مودعاً إلى جيوض (السيلة) وفارقناه . وذكرت ما وقع فى هذه الحضرة الكريمة فى رحلة سميتها (الرحلة الإحسانية الحجازية الثانية) ولما عدنا إلى الديار المقدسة محبنا الأخ الشيخ محمد المكتبى الحلبى وكان بعد ما توجهت من حلب للقدس أرسل كتاباً للفقير مطلعه :

ذاب من حرّ فؤادى جسدى   وغدا فودى بياضـاً مفعما

وبعد ما زار الأنبياء العظام والأولياء الأماجد ، أقام لدينا نفسه مسلماً مصاحباً منادماً متيماً ووالهاً فى حبه هيماً ، وفى أثناء إقامته ، ورد أول كتاب من الأخ مصطفى اللقيمى مطلعه :

وأمنيت للمسـجد الأقصى والحرم
بعد انقضـاء أداء النسـك بالحرم

وقد ذكر فيه أنه أحرم ، ثم دخل من باب السلام ، وطاف بالكعبة سبعاً ، وأسرع إلى عرفات ، وبات بمزدلفة ، وأصبح فى المنى ، ثم رمى بالجمرة ، ثم قدم مكة وطاف طواف الإفاضة ، ثم سعى ، وحلق ، ومضى لمضىء عمرة ، وختمها بطواف ، وسعى وتوجه تلقاء مدين قرب جدة ، وعاد إلى المسجد الأقصى .

« ولما أقام الأخ الشيخ محمد المكتبى مدة أيام ، وتلقن بعض أسماء حضر من الشام صديقنا الشيخ عبد الرحمن السمان ، ومكث قليل أيام وزار المشاهد ، وبعدها هم على الرحيل لوطن المقام وعزم على السير معه الأخ المكتبى فكتبت له أجازة بالإذن كما أرسل أجازة للأخ اللقيمى .

سنة ١١٤٦ هـ

ولما هل شهر رجب ١١٤٦ هـ ورد علنا الأخ الحاج ابراهيم بن حسن البكانى الحرستانى ، وحرستى بلدة سيدى محمد بن الحسن صاحب النعمان (الربانى) ومعـه رفيق من أهالى (بيت سوا) يدعى عبد الغنى ، وبعد أيام دخل الخلوة ، ثم تشفع برجوعه بابنتى علماً فقبلت شفاعتها فيه ، وأجزته لما مدة إقامته انتهت .

وفى أواسط شعبان طلب الأخ الشيخ عمر المنبوسى عمل

معراج نبوى مختصر مسمياً له (اليم الفدا المواج فى ذكر أحاديث الإسرا والمعراج) وشرعت فى تسويد شرح على المنفرجة المنسوبة لأبى عبد الله النحوى ، وكان ذلك عن طلب السيد على الحنق ، وسميته (الفقه النضيد المشيد الحجة ، على القصيدة المسماة بالمنفرجة) وقابلته مع الشيخ محمد بن السيد عيسى الكردى ، وأرسلته مع الشيخ المذكور ، إذ مراده المسير إلى تلك القصور .

وكنت بعد العود من الحج بأشهر وأيام أرسلت للأخ الشيخ محمد الحفناوى [فى مصر] أجازة وإذناً عاماً بالإرشاد . وقد وردنى فى أواخر ذى الحجة منه كتاب جواباً على كتابى والأجازة .

صدور خط سلطانى باصلاح قناة الماء للحرم القدسى :

وفى أوائل سنة ١١٤٦ ﻫ صدر خط سلطانى معرباً ممجمه بأن الوالدة أثابها الله فى الجنان ، انتدبت لعمارة ما يلزم القناة القدسية ، فعينت أحد أعيان الدولة ، ووجهت له ما يحتاج إليه فوفد بصوله والمذكور (قبله لى زاده) فتوفى قرب حصول ما أراده ، وكان حسن النية والإرادة ، ثم ورد مباشراً على أغا بن حمود ، وبعد تمام بعض نظام رجع لوطنه للزهو يقود ، وكتب أهل الولاية له محضراً بما جرى ، شاهدين فيه أن ماء الكأس لمهله جرى ، وحصل للناس فرج وفرح .

سنة (١١٤٧ ﻫ) وفاة الشيخ محمد الخليلى :

وكان ورد على كتاب من الأخ الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى فى عشرين محرم سنة (١١٤٧ ﻫ) مصدراً بقصيدة ثانية مطلعها :

عيون بنى الصديق بالصحو قدّت
عيون أولى التصديق بالمحو فدّت

وفى أواخر ربيع الأول أرسلت كتاباً للأخ الشيخ مصطفى العمرى مصدراً بقصيدة :

أيها المصطفى من الخلان كن بمولاك داعياً للمعان

واجتمعت ليلة الحادية عشر من شهر ربيع الثانى (سنة ١١٤٧ ﻫ) بالشيخ يسن الغزى الخلوتى ، وكان الأخ الشيخ إبراهيم الشهير بابن صفر أغا أخبر أنه كان منكراً عليه ما يظهر منه من مخالفات تنسب إليه حتى استبان له الأمر فانقاد وزاد منه فيه الحب والاعتقاد .

وفاة الشيخ محمد الخليلى :

وفى منتصف جمادى الثانى ليلة الخميس ، انتقل شيخنا العالم العامل المحدث الفقيه الشيخ محمد شمس الدين أبو الوفاء الخليلى (١) إلى المقام الأرفع ، فكانت ليلة ليلاء على أهل إيلياء ، كان رحمه الله جاور فى الجامع الأزهر ، ثم ورد إلى بيت المقدس ، فانتفع به أهلها ، وقد أخذت عنه الإجازة فى الحديث سنة ١١٢٢ ﻫ لسند عال ، ثم تأكدت المحبة بيننا وبينه لتكرر الخطرات القدسية ، ثم نمت وزادت سنة (١١٣١ ﻫ) لتأهل فى الديار القدسية ، وقد ذكرته فى النحلة النصرية فى الرحلة المصرية) وقد تكررت صحبته فى زيارة الخليل ، والكليم ، وقلت مرتجلا فى امتداحه :

أيها الذات فى حمى الذات قبلى فلقد لذّ لى لديها مقيلى

وبعد وفاة الشيخ بثلاثة أيام اندرج بالوفاة إلى رحمة الله صديقنا الشيخ برهان الجعفرى الرفاعى الخليلى الأوطان ، وكان المذكور اجتمع علينا فى ثانى خطرة للزيارة الخليلية وأظهر المحبة كأخيه الشيخ أحمد السابق للمنازل الإحسانية ، وقد ظهرت لها على أخبر به بعض أتباعه ، كرامات تعرّف بمقامه .

وفى أواخر هذا الشهر ورد على كتاب من الأخ اللقيمى وفيه :

شوق إلى علينا جنابك طافح أخفيه وهو خفى سر فاضح

فأجبته بكتاب :

للعارفين خواتمٌ وفواتح أنداؤها فى العالمين فوائح

وفى أوائل شهر رجب شرعت فى عمل مقامة مشيرة لفن الأدب سميتها « المدامة الشامية فى المقامة) أودعت فيها من القصائد الجامعة ، وشرعت فى أخرى (مغربية) وسميتها (النهامة الغربية فى المقامة المغربية) .

ثم شرعت فى شرح قصيدة الإمام الحجة صاحب المنهاج .

الرحلة إلى الديار الرومية :

وفى ذى الحجة تحرك الخاطر إلى الديار الرومية ، وما زال

---

(١) هو صاحب الفتاوى الخليلية على المذهب الشافعى كبرى فى مجلدين وصغرى فى مجلد ، ترجمه حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه « تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشر » وقد أخذ عنه المرادى . عمر جامع يافا الجديد ، واسترجع مقام النبي شمويل من اليهود ، وهو الجد الثامن لأم كاتب هذا المقال .

العزم بتقوى إلى أن دخل محرم ، فتوجهت إلى الشام لأجل أن يكون المسير مع ركب الحجاج ، وشرعت فى الرحـلة الرومية الثانية وأسميتها (الحلة الفانية الدانية ، فى الرحلة الرومية الثانية) وعدنا منها ثانى يوم من شهر الصوم .

مرض ابنته علما ووفاتها :

وعدت فوجدت بنتى المحمية لسرى وقلبى ، القربة إن شاء ربى ، متمرضة بأمر جرنى ، فقاد كاباً ذيله طويل ، وبعد أيام غابية لا قليلة ، أحبت مجاورة مولاها بنفس ذليلة . فحصل بفراقها ألم مؤلم ، وذلك فى الليلة التاسعة من شهر رمضان .

وترجمتها فى رسالة أسميتها : (الغيوب الملجمة ، والغيوث المسجمة ، فى ترجمة ابنتى النقية قدراً سما ، الشريفـة الصديقة العباسية علما) وقد كتبت على شاهدة قبرها مؤرخاً :

قصر الجنـان من يدى جدى هنــا تسلمـًا
رضوان ربى داعـًا يهمى عليهـا كالسما

وما زالت المدامع بعد بُعدها سخية إلى تمام ذلك العام

سنة ١١٤٩ هـ البدو بسلبوه الشيخ التافلاتى :

وبعد دخول العام الجديد سنة ١١٤٩ ورد علينا الأخ الشيخ محمد التافلاتى ، وأخبر أنه جاءنا على طريق التيه وأخذ منه أعراب الطريق بعض أثواب ، وكتاباً من الصديق الشيخ محمد الحفناوى

وفى أوائل شهر ربيع شرعت فى تأليف مولد نبوى وسميته (المولد الدرى فى المولد النبوى) وقرأته ليلة المولد على الإخوان متبركا

وجاءنا فى هـذه الأثناء السيد على من بيت كريم الدين صاحب الجدود الفاخرة ، والحسب ، وكان مجيئه فى جمادى الأول بعد ما طلع لأرض الروم ، ونزل وتوجه من القاهرة ، بوجوه غير سافرة ، ووصل إلينا مفصول المرا ، كن قرا ولـكنه ما درى ، وكنت أرسلت للأخ الشيخ محمد الحفنى كتاباً محرضاً له على الحضور لنزل قدس وافر السرور ، فتيسر الأمر عليه وقدم والسعد بين يديه ، منتصف جمادى الثانى سنة ١١٤٩ مصحوباً بالتهانى . وأرسلت ولدى يستقبله فرحاً بقدومه ، واشتغلت بنظم أبيات ، أسميتها له هب الإنعام فسرَّ بها ، وكانت ساعة التلاق ميمونة . ومطلعها :

در كؤوسى من الرحيق الشهىّ ثم ثنى من العتيق البهى . الخ

ولما استقر به المقام ، وحل الرحاب منه ، سار ذكره كالمثل السائر ، وكنت أكتب فى شرح الهمزية ، المسمى (باللمح الفريدة المزية ، فى شرح القصـيدة (الهمزية) ، فصرت مهما كتبت أعرضه على أسماعه ، وقلت :

عروسة صون بدا عطفها على صبها مذ هدا عطفها

وقابلت معه المعراج ، والمولد النبوى ، وشرعت فى أوائل شعبان فى مقامة يمنية ، وعرضتها عليه مقابلة فأحب أن ينسخها لنفسه ،وسميتها (العمامة اليمُنية فى المقامة اليمنية) ، وألحقت بها (المقامة الموسومة بالحمامة الورقا القصرية فى المقامة المنقا المصرية) وأتبعتها (بالصمصامة الهندية فى المقامة الهندية) وكنت وصفت (السكامة النرجسية السندسية ، فى المقامة الأنسية القدسية) .

الختام :

ولما دخل شوَّال تحرك المحب الرحال السيد موسى الكريمى إلى المسير ناحية (غزة) وطن الصبابة ، ونزل الأعزة ، فطلب الأخ الشيخ محمـد التوجه صحبة المذكور ، إلى الوطن الأصلى المشهور ، فأردت إبقاءه إلى أن يقع لى الإذن بالذهاب ، ثم خشيت أن أطول عليه أدان الفراق ، والاغتراب ، لعدم ظهور وقت المسير ، إلى تلك الديار ، على أنى كنت وعدت الزائر بالعود لدياره صحبة الاهل والعيال وطول الإقامة فى جواره ، فرغب فى إنجاز الوعد ، فقلت لم يأت الإذن بعد ، وحصل التوجه أواخر شوال المطير بمياه الأشجان ، وخرجت معـه للوداع إلى القرشى (١) والدجانى (٢) . ولم يقسم له نصيب فى زيارة الـكريم والخليل ، فقرأنا لهم الفواتح ، وحرَّضت الأخ على إظهار خفى الطريقة فى الديار المزية والمصرية ذات الأطوار العبيقة ، وكان يوم الفراق لدغ حمة ولذغ إحراق . ولما رجعنا من وداعه بقينا أياماً فى توحش اجتماعه ، وما طال أمل الإذن بالتوجه إلى ذلك المنتزه النزيه وأقمنا نتدارك أمر السفر إلى أوائل صفر ، واتضح لنا

(١) أبو عبد الله الولى المغربى دفن فى مأمن الله توفي ٥٩٩ هـ
(٢) القطب أحمد الدجانى جد العائلة الدجانية بالقدس ، وحارس مقام النبى داود ، توفى سنة ٩٦٣ هـ . ودفن فى مأمن الله ، وقبره قرب القدس ، وعلى كليهما قبة .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش مسابقات المجمع اللغوى :

١ — رأت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية إبعاد الشعر من المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ ، وقصرتها على القصة والبحوث الأدبية ، لأنها لا ترى فى الإنتاج الشعرى الحالى ما يستحق أن يجاز . ويبدو لى أن هذا الرأى يتصل بما حدث فى العام الماضى حين احتفل المجمع بإعلان نتيجة مسابقات سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ بدار الجمعية الجغرافية ، إذ وقف الأستاذ المازنى عضو لجنة الأدب يقدم الفائزين فى الشعر فقال : إن الشعر كسائر الفنون لا يخلد فيه إلا الأعلون ، وذا كرة الدنيا لا تعى غير الأفذاذ ، والوسط كالردئ فى ميزانها . ثم قال : إن الدواوين التى تلقاها المجمع كلها من الشعر الوسط ، وإنه آثر التشجيع وتسامح فأجاز أربعة دواوين منها .

الإذن المشير بالمسير ، وجاءتنا أحباب نصاح لنعدل عن الرواح ، فاعتذرنا ، ولما سهل الحق الأسباب ، توجهنا غلس صبيحة يوم الاثنين الثالث من صفر المبارك إلى جهة فلسطين المسماة (بالرملة) البيضاء ، ومنها القصد إلى (غزة) ذات اليد البيضا .

وفى التاريخ ختمنا (الأردان) بطابع ختامه مسك وهكذا كان ، فإن التوجه والنية المقصودة الحج . وهاتيك المعالم المشهودة.

وأن ممن ساعد وما قصر ، لا كن فى ساعديه عنها قصر ، إخواننا المنتمين للعصابة النجمية والخيرية وبعض أصحاب لهم محبة فى الأمور الخيرية ، وبدأنا من هذا الحين فى جمع رحلة سميتها : (الرحلة الثالثة للرياض المصرية والحجازية والشامية ، ذات الإمدادات النصرية السامية الإنجازية) والحمد لله ...

أحمد سامح الخالدى

وبين يدى اللجنة الآن بضعة دواوين مقدمة فى مسابقات العام الحالى (٤٨ — ١٩٤٩) ، وهى « آخر دفعة » من الشعر فى مسابقات المجمع حتى يرد إلى الشعر اعتباره ...

ويرى المتأمل أن موقف المجمع من الشعر غير سليم ، لأنه إما أن يكون قد حكم على جميع الإنتاج الشعرى ، ما يعرف منه وما لا يعرف ، وما يقدم إليه وما لا يقدم ، وهذا غير ممكن ولا ميسور له ؛ وإما أن حكمه نتيجة النظر فيما قدم إليه ، وهنا يسأل سؤالين الأول : أليس من الجائز أن يقدم إليه فى مسابقة العام القادم التى أخلاها من الشعر إنتاج يستحق الإجازة ، فلم إذن يقفل الباب ؟

والسؤال الثانى يأتى بعد ذكر حقيقة ملموسة ، وهى أن هناك شعراً جيداً كثيراً لا يقدمه أصحابه للمجمع ، وبعد ذلك يسأل : لم ضعف الإقبال على مسابقات المجمع حتى صار لا يقدم إليه إلا هذا الذى لا يعجبه وهو مع هذا قليل ؟ !

أرجو مخلصاً أن ينظر المجمع فى هذا السؤال مليا ويعالج علة ذلك الإعراض ، فالأمر يوشك أن ينتهى بالقصة والبحوث إلى مصير الشعر ...

٢ — واشترط المجمع فى مسابقة القصة لسنة (١٩٤٩ — ٥٠) أن تبحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر ، أو تعرض حياة بطل من أبطال العرب ، أو موقفاً من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ . وهذا الاشتراط يوعز بتحويل العمل الفنى إلى دراسات اجتماعية أو تاريخية ، وأنا لا أدرك الحكمة فى تحديد موضوعات القصة ، أو ليس المطلوب قصة فنية ناضجة؟ وماذا يضير إن كانت ذات فكرة أو موضوع غير هذه الموضوعات ما دام المقصود هو التشجيع على الإنتاج الجيد ؟

٣ — عمم المجمع مسابقة القصة لجعلها لجميع أدباء العرب ، وهذا حسن ؛ ولكنه خص بمسابقة البحوث أدباء وادى النيل ، فلم لا تكون المسابقات كلها لجميع العرب؟ قيل إن هناك «لائحة» تنص على أن يخص أدباء مصر ستمائة جنيه من الثمانمائة المخصصة للمسابقات الأدبية كل عام . وأقول : لم هذه « اللائحة » ، أو لم لا تغير ؟ وقد أمكن التوسع فى منح الستمائة الجنيه فأصبحت فى المسابقة الجديدة تشمل جميع أدباء وادى النيل . وكم أود أن يكون « مجرى الضاد » أوسع من مجرى النيل .

أساطين الإذاعة :

قام الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة المصرية ، برحلته فى أوربا وزار محطات الإذاعة فى روما وباريس ولندن وقد عاد أخيرا من هذه « النزهة الإذاعية » ونشرت مجلة الإذاعة المصرية حديثا له عن رحلته وما أفاد من جولاته فى دور الإذاعة الأوربية فكان من أهم المسائل التى تناولها الحديث بل أهمها مسألة الكفايات المطلوبة فيمن يشرفون على الإذاعة ، قال : « إن مسألة الآلات والبرامج وما إلى ذلك من الأمور التى تخطر على الذهن عادة ، إنما تأتى فى المرتبة الثانية من الأهمية ، بعد أن أدركت أن المسألة الرئيسية فى تنظيم الإذاعة هى اختيار الرجال الأكفاء للاشراف على أعمال الإذاعة المختلفة ، وتحملهم المسئولية الكاملة فى إدارة الأقسام أو الإدارات التى يعهد إليهم بها » .

وهكذا عرفنا أن « النزهة الإذاعية » لم تكن عبثا — فقد استفاد سعادته منها حقيقة مهمة فى مسألة الإذاعة الرئيسية . وأعترف أني يوم تساءلت عن فائدة هذه الزيارات وقلت إن البرامج يمكن سماعها فى مصر — كنت غافلا عن أن زيارة سعادته ستتيح له الوقوف على أن المسألة المهمة هى اختيار الأكفاء لإدارة الإذاعة . . ولا اعتبار لما قد يقوله المحرومون أمثال هذه النزهات من أنه يمكن معرفة ذلك فى مصر ، وهو شىء لازم لكل عمل لا للاذاعة فحسب ، لا اعتبار لذلك لأن الحقائق المتعوب فى الحصول عليها وجلبها من وراء البحار غير التى نصل إليها هينة بالبداهة فى مصر !!

ثم لندع هذا وندخل فى صميم المسألة الرئيسية فى الإذاعة ، وهى اختيار الأكفاء ، فيفهم من كلام المدير أن إذاعتنا ينقصها الأكفاء ، وهو مهتم بسد هذا النقص تطبيقا لما استفاده من الرحلة . . وإن أريد إلا مصلحة إذاعتنا التى نرجوها لخير البلاد .

يشرف على تنظيم الإذاعة ثلاثة ، هم المدير العام ، والمراقب العام ، والمراقب المساعد ؛ أما المدير العام فهو من رجال التعليم قضى دهراً فى وظائف التدريس ومناصب التربية عرف فى خلاله بالخلق والكفاية ، ولم تعرف له مشاركة ولا إنتاج فى الأدب والفنون ولا ملابسة لشىء مما يتصل بالاذاعة التى تولى إدارتها أخيراً .

وأما المراقب العم فهو ذو ثقافة تجارية متوسطة ، نشأ فى محطة الاذاعة موظفاً كتابياً صغيراً ، وقد وصل مرتبه أخيرا إلى حوالى سبعين جنيها . وكان يحاول أحيانا أن يعزز مكانه ببعض نشاط إذاعى لم يوفق فيه بمقدار ما وفق فى التقرب من الرؤساء .

وأما المراقب المساعد فهو من اخواننا الشعراء ، يقول الشعر على نحو يسرح به مع عرائس الخيال ويبعده عن التمرس بفنون الاذاعة واداتها ، ويشكو الأدباء المتصلون بالاذاعة من بعض تصرفاته .

أولئك هم أساطين الاذاعة المصرية الذين يشرفون على تنظيمها ويوجهون دفتها ، وأنا لا أغمط أقدارهم ، وإنما أقول — بعد أن بينت من صفاتهم — إنه حين ينظر فى « المسألة الرئيسية » للاذاعة يجب أن يشملهم النظر . . فلا ينبغى أن تظل الاذاعة فى مصر محرومة من كفايات أبنائها متخلفة عن نواحى النهوض فيها ؛ وهذه وسائل الاتصال الثقافى والفنى بالجمهور فى مصر قد ارتقت وتقدمت تقدماً كبيراً جذب اليها أنظار الشقيقات العربيات ، وأصبحت فيها مثلا يحتذى ؛ وذلك على عكس الاذاعة فان الاذاعات العربية الأخرى أرشد من اذاعتنا ، وما أحوجنا إلى احتذائها فى كثير .

ومما يدعو إلى الأسف أن الاذاعة المصرية على تلك الحال ومصر تزخر بالعناصر والجهود الفكرية والفنية التى لم يتح للاذاعة إلى الآن أن تستفيد منها ، لا فى تنظيم الادارة ولا فى استغلال المواهب . ومما يضاعف الأسف أن ذلك واقع مع أهمية الاذاعة وبعد أثرها ، باعتبارها أوسع أدوات التثقيف والامتاع الفنى انتشارا ، وأقدرها على التنويع فى تقديم الانتاج ، وأيسرها منالا للجمهور .

شاعر وثلاث من الحسان :

قال الدكتور ابراهيم ناجى (فى مجلة الاستوديو) يمدح المطربة شهر زاد :

شهر زاد ويا ضياء الأهلة زهرة أنت من خميلة مطله
ليلة أنت من جمال وحسن قرأتها القلوب فى ألف ليله

وقال سبعة أبيات فى سامية جمال ، ثم قال يمدح سهام رفقى :

إذا غفرت لشعرى فقلبى واستعيدى

ترن فيــه « سهامــا » فان أردت فزيدى
مما يصيب ويدمى الـ ـقلوب قبـل الجـلود

وقد نفست عليه — والحق يقال — لانفراده بالثلاث الحسان . . قرأت الشعر فوجدت فيه بعض الهنات ، فرأيت فى التعقيب عليه نوعا من المشاركة قد يغنى . . وكنت أتجاوز عن هذه الهنات لولا خطر الفول فيهن .

فى بيتى « شهر زاد » عيب من عيوب القافية وهو نوع من السناد فنى أحد البيتين حرف ردف وهو الياء خلا منه الآخر . والشطر الثانى من البيت الأول غير مستقيم الوزن .

وفى أبيات « سهام رفق » يستزيدها من السهام ، ويحدد النوع الذى يريده منه بأنه الذى يدمى القلوب « قبل الجلود » والمتأمل يرى هذا النوع من السهام لا وجود له ، أعنى التى تدمى القلوب ثم تدمى الجلود ، وهو بطبيعة الحـال يريد سهاماً تدمى القلب فقط . وأقول — على طريقـة أسلافنا من النقاد — إنه لو قال « دون » بدل « قبل » لاستقام وسلم .

ومعذرة إلى الدكتور ناجى إذ وقفت منه موقف « العذول »

مؤتمر اليونسكو :

تنعقد الدورة الثالثة لمؤتمر اليونسكو ببيروت فى ١٧ نوفبر الحالى . ويمكن الجزم الآن بأن دولة إسرائيل المزعومة لن تشترك فى هذا المؤتمر، وذلك بفضل الموقف الحازم الذى وقفته الحـكومة اللبنانية ، فقد أبدت تشددها فى ذلك وأنها لن تسمح لممثلى اليهود بدخول لبنان . فوقفت بذلك هيئة اليونسكو أمام الأمر الواقع ، إذ كانت قررت نهائياً عقد المؤتمر ببيروت، ولا سبيل لليهود إلى بيروت

وسيجتمع مندوبو البلاد العربية فى بيروت قبل انعقاد المؤتمر لتوحيد الخطة العربية وبحث بعض المسـائل كانتخاب أعضاء المجلس التنفيذى للهيئة والاتفاق على العضو العربى فيه بعد انتهاء مدة الأستاذ محمد شفيق غربال بك فى هذا المجلس ، فإما أن يجدد انتخابه أو يرشح بدله عضو عربى آخر .

وستشغل مصر جانباً كبيراً فى المتاحف والمعارض التى ستقام فى شهر اليونسكو ببيروت ، فقد أعدت وزارة المعارف كثيراً من الأعمال المدرسية الفنية ، وبعثت دار الـكتب المصرية بمجموعة وافية من المطبوعات والمخطوطات والمنقوشات ، وكذلك أرسلت بعض دور النشر فى مصر مجموعات من الـكتب التى أخرجتها ، وستحتل الصحف والمجلات المصرية من معرض الصحافة جانباً هاماً

أما إقامة الحفلات الساهرة ، فقد اتفق بشأنه على أن تقوم لبنان بحفلات الغناء والرقص ، وأن توفد مصر الفرقة المصرية للتمثيل لتحيى ثلاث ليال من ٢٢ — ٢٤ نوفبر ، تمثل فى إحداها مسرحية حواء الخالدة لتيمور ، وفى الليلة الثانية انتقام المهراجا ، وفى الثالثة ثلاثة فصول من مسرحيات عالية مثلتها الفرقة قبل ذلك

ويتألف وفد مصر فى المؤتمر من الأستاذ محمد شفيق غربال بك رئيساً ، والدكتور أحمـد زكى بك ، وأحمـد عبد السلام الـكردانى بك ، ومصطفى عامر بك ، والدكتور محمد عوض محمد بك أعضاء أصليين ، وستة أعضاء احتياطيين ، وخمسة خبراء وثلاثة سكرتيرين .

وقد جاء فى الأنباء الواردة من بيروت أن الحـكومة اللبنانية شيدت مدينة ثقافية لتـكون مقراً لاجتماعات اليونسكو ، على مقربة من العاصمة تطل على البحر وتشرف على المدينة ، وقد بذلت فى إنشائها وتجميلها جهود فنية كبيرة ، وأعدت فيها وسائل الراحة وما تتطلبه الاجتماعات من أدوات وأجهزة ، ومكاتب للصحافة ، وقاعات للمعارض ، ومحطة للاذاعة ، وغير ذلك .

وقد أصدرت هيئة اليونسكو فى بيروت العدد الأول من نشرة « رسالة اليونسكو » باللغة العربية لمناسبة انعقاد المؤتمر فى إحدى البلاد العربية ، وقد نشر فى هذا العدد مقالات لـكبار كتاب الشرق والغرب كالدكتور شارل مالك ، والدكتور طه حسين ، والمستشرق لويس ماسينيون ، وفيه مقال للسيد حميد فرنجية وزير التربية والخارجية اللبنانية ، ومقال للمستر جوليان هكسلى المدير العام لليونسكو

وقالت أنباء بيروت إنه تقرر دعوة الأدباء العالميين مع الوفود الدولية لحضور المؤتمر ، على أن يحلوا ضيوفاً على الحـكومة اللبنانية ، وكذلك رؤساء تحرير الصحف العالمية الـكبرى . ولم يذكر هل تشمل هذه الدعوة أدباء العرب ورؤساء تحرير الصحف العربية أولا ؟ ولا شك أن اجتماع كبار الـكتاب والصحفيين العرب بأمثالهم من الغرب فرصة طيبة للتعارف وتبادل الأفكار ، مما هو بسبيل تحقيق أهداف اليونسكو فى التقارب والتعاون الفـكرى العالمى .



١ — الى الأستاذ الفاضل نقولا الحداد :

تحيتي إليك وسلامي ؛ وبعد فإن العروبة قاطبة لتعتز بقلمك الذي حملته وشهرته في وجه الصهاينة الباغين . ولقد كان دفاعك عن فلسطين دفاع العربي الأبي الذي يأبى الضيم والذل ويذود عن وطنه العربي .

لقد دافعت يا سيدي فأحسنت الدفاع وسللت الحسام من غمده وشحذمته . وما حسام الكاتب إلا قلمه وبيانه إذا ما ادلهم الخطب ونزلت الفادحة . ولقد كنت للعروبة لساناً وللحق مؤيداً ونصيراً ، وكنت وما زلت بل وما تُزال وهذا عهدى بك للحق على الظلم معيناً . ولقد صدق أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد حينما رأى دفاعك عن العروبة وحملتك الشعواء على الصهاينة ، وقد وقفت في الميدان وحيداً ترتدى جلد النمر وتكشر للباغين عن أنياب الليث وتكيل لهم الضربات وترد على الادعاءات ... وكان العقاد وهو يعلم جد العلم أن أدلة الصهاينة لا تستند على أساس ، وأن حججهم واهية ، وأن قضية العروبة مكسوبة ، فأشفق عليك ونصحك بأن ترفع مطرقة من مطارقك إلى حين حتى تكون قد صنعت بهم كما صنع الحداد . وقد كان .

فوالله أنت للعروبة سند وللحق داع . وما أنت يا سيدى إلا عربي شهم كريم ، وتقبل منى شكراً مضاعفاً على ما بذلت وتبذل لخدمة قضية العروبة من جهد .

٢ — الهدنة في الاسلام :

كتب الأستاذ الفاضل محمد أسامة عليبة في العدد ٧٣٨ من الرسالة الغراء كلمة عن الهدنة ووقف القتال فلم يتعرض للهدنة في التاريخ الإسلامي حتى بكلمة واحدة بل أفاض في الهدنة من الناحية القانونية الدولية . وللحقيقة والتاريخ أقول « ليست الهدنة بجديدة على التاريخ الإسلامي فلقد أطال أبو العباس أحمد القلقشندى في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا الكلام عنها وذلك في الجزء الرابع عشر من الصفحة الأولى إلى ص ٧٨ أى في قرابة ثمانين صفحة من الحجم الكبير ، فذكر منشأها وتكلم عن أول هدنة في الإسلام وكانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وذكر كذلك أقوال الفقهاء فيما يتعلق بشروط الهدنة في الإسلام . ثم تكلم في الشروط التي تستقيم بها الهدنة وذكر عدة من الكتب التي تبودلت بين ملوك الإسلام وملوك النصارى ورؤسائهم ولا سيما طائفة الاستبدادية وهى طائفة من الفرسان . ومن هذه الكتب العديدة التي ورت في الكتاب تستطيع أن تقول « أن الهدنة في التاريخ الإسلامي كانت لمصلحة المسلمين

أمر غير لائق

نقل المذياع احتفاء « رابطة القراء » بعيد الهجرة من المسجد الحسيني ، وهذا عمل صالح باعتبار المقصود منه وهو إذاعة ما يرتل من القرآن الكريم ، وما يترنم به من الموشحات الدينية بذلك الحفل في تلك الليلة المباركة ، ليتسنى استماعه للجميع . ولكنا نسمع قارىء القرآن يقرأ فما يكاد يقف حتى ترتفع الأصوات وتتعالى الصيحات بمثل : « اللهّ يا شيخ عمر » و « صلى على جمال النبي » و « الله يفتح عليك ويزيدك » وما إلى ذلك من العبارات والكلمات .

وتدرك من سياق القراءة وطريقتها وصيحات أولئك الصائحين ، أنهم ليسوا مأخوذين بمعاني الآيات وأغراضها ، وإنما هم مأخوذون بالتطريب أو يقصدون « التمليح » فيثنون على القارىء ويدعون له . .

ونتيجة ذلك هذا المظهر غير اللائق بقراءة القرآن خاصة وكرامة الدين عامة ، من حيث التصايح المنكر والتخليط الذى يدل على جهل فاضح . والناس يستنكرون مثل ذلك في محافل الغناء ، فما بالك بمجالس القرآن ؟

وانظر أى « صورة سمعية » للمسلمين في مصر تنقلها الإذاعة بذلك إلى حيث يتراءى صوتها في أرجاء العالم ...

عباس خضر

وكان المسلمون يخرجون دائماً منها فائزين دون خسارة ولم يلحقهم بمقدها حيف أو ظلم وكانت تنفذ شروطها بدقة وعناية . وها نحن اليوم وفى القرن العشرين نشاهد مهزلة الهدنة وإهمال مراقبي هيئة الأمم المتحدة وتحيزهم الظاهر ضد العرب . نعم إن فى التاريخ لعبرة ولعل التاريخ يعيد نفسه يوم ما ! وإن مآل الظلم والاعتداء لن يطول .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ

مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبى سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ على النحو الآتى : —

أولا — لأدباء وادى النيل

تخصص مائتا جنيه لـكل بحث من البحوث الآتية بشرط ألا يقل البحث عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) : —

١ — أحسن تحقيق لـكتاب عربى أدبى قديم وضع على أساليب النشر الحديث سواء اطبع أم لا يطبع ، على الا يكون تاريخ المطبوع هنه سابقا ليناير سنة ١٩٤٥ .

٢ — أحسن دراسة لرفاعة بك الطهطاوى أو أحمد فارس الشدياق أو محمد قدرى باشا وأثر كل منهم فى وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

٣ — أحسن بحث فى نقد الشعر العربى فى الفترة التى تبدأ من النصف الثانى للقرن التاسع عشر إلى اليوم (ولا ينقد شعر الأحياء) .

ثانيا — لأدباء العرب فى وادى النيل وغيره

تخصص مائتا جنيه لأحسن قصة بالعربية الفصحى مخطوطة أو مطبوعة . بشرط ألا يكون تاريخ المطبوع منها قبل يناير سنة ١٩٤٧ ، على ألا تقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لا تقل كلمات الصفحة عن ١٨٠ كلمة) .

ويشترط أن يكون مدار القصة حول أحد الموضوعات الآتية :

١ — بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب .

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة فى موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختى الانتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها.

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على انتاج له فى فرع المسابقة المتقدم اليها ، ولا أن يعاد تقديم أى انتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع .

وترسل الموضوعات بعنوان : « لجنة الأدب — بمجمع فؤاد للغة العربية — شارع قصر العينى — القاهرة » .

إلى الأستاذ المعداوى :

ماذا يعنيك بمن أرسل إن كان لا يضيرك ما أرسل ؟ واجه الحقائق ، وثق بأنه (لا يهوّش) وثق أيضاً بأنه يشتغل فى شركة موجود بها — والحمد لله — آلة كاتبة وكتبة و ... إلخ ! ولك العذر إن كنت تريد أن تجعل من الحبة قبة ! ومرة أخرى : واجه الحقائق !

عبد الحميد فاضل
ليسانسيه فى القانون من ست سنوات

تعقيب :

فى العدد (٢٧٤) من جريدة (الزمان) كتب الأستاذ الفاضل محمد محيى الدين عبد الحميد — المفتش بالأزهر — كلمة حول بيت عنترة :

فيه اثنتان وأربعون حـلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحم

فقال عن الخزانة « يروى بنصب (سود) ، صفة لحلوبة » .

وأقول : لو صح نقل الأستاذ وكان السواد صفة للحلوبة المفردة — لفظاً ومعنى — لـكان الصواب أن يقال (سوداء) وصفاً للمفردة وليس (سودا) وصفا للجمع . ومن ثم لا يكون (سود) — فى البيت — صفة للحلوبة ، وإنما هو صفة للجمع على المعنى ، وهو اثنتان وأربعون ؟ لأن التميز المفرد إذا وصف جاز أن يؤتى بالوصف جمعاً تبعاً للمعنى المتضمن عليه الـكلام والسلام .

(الزيتون) عدنان



الأشارة !..

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

كان المضجع الوثير ، الناعم ، يضم مدام مارجيونسي دي ريندون في كثير من الوله والحب !.. وكانت المطلقة الحسناء : قد فتحت عينيها على صخب وضجيج ينتهيان إليها في غرفة الاستقبال، فأصغت بقليل في الانتباه ، فإذا هي تميز صوت صديقتها البارونة الصغيرة دي جرانجيريه مشتبكاً في نقاش حاد مع الخادمة ، تلك تريد مقابلة صديقتها لأمر خطير ، هام ، وهذه تأبى عليها مقابلة سيدتها ، وإزعاجها في مثل هذه الساعة المبكرة !.. وعندئذ تسللت من فراشها ، وأخرجت رأسها اللطيف ، المكلل بثروة من الذهب الخالص ، وهتفت متسائلة :

— مابك يا عزيزتي ... لم قدمت في مثل هذه الساعة المبكرة ؟ إنها لم تبلغ التاسعة بعد ؟ !

وأجابت البارونة الصغيرة الشاحبة الوجه الذابلة العينين من الانفعال ، المرتجفة غضباً وانزعاجاً :

— أريد أن أحدثك يا عزيزتي عن مسألة خطيرة ... لقد وقع لي ما لا يتصوره العقل !

— تعالي يا عزيزتي ... تعالي .

ودخلت البارونة المخدع وراء صديقتها .. وتبادلتا العناق والقبل . وعادت مارجيونسي إلى مضجعها الوثير . بينما كانت الخادمة تزيح السجف الثقيلة عن النوافذ ، ليتجدد في الغرفة الهواء ، ويدخل إليها النور ... ولما انصرفت الخادمة ، قالت مدام رليندون : والآن يا عزيزتي ... هات ما عندك من حديث !

وانفجرت مدام جرانجيرية باكية . وانهمرت من مآقيها الدموع ... هذه الدموع التي لو ترقرقت في عيون المرأة لزادتها فتنة على فتنة ، وحسناً على حسن ! ... ولم تمد منديلها إلى عينيها لتجفف دموعها ، خوفاً عليهما من الاحمرار ... وقالت :

— إن ما حدث لي يا عزيزتي فظيع ... فظيع ، لم تغمض له عيناي طول الليل ... حتى ولا دقيقة . أتسمعين ؟.. ولا دقيقة آه .. ضعي يدك هنا على قلبي . رباه ! إنه يخفق ويضطرب !

وأخذت يد صديقتها ، ووضعتها على موضع القلب من صدرها هذا الصدر الجميل ، الذي يفتن ويغري ... ولكن قلبها الآن ، كان حقاً شديد الأضطراب والخفقان . ثم قالت

— حدث ذلك نهار الأمس ... كانت الساعة الرابعة ... أو النصف بعد الرابعة ، لا أتذكر تماماً . أنت تعرفين منزلي ، وتعرفين غرفة الاستقبال منه ، حيث تعودت أن أجلس ، وأتفرج بمراقبة الناس . وهم يروحون ويجيئون في شارع لازار . وبالأمس كنت أجلس في الفراندة على كرسي منخفض ، وكانت النافذة مفتوحة ، وأنا خالية البال من كل ما يشغل البال ، ويبلبل الخاطر، أوه ... لعلك تذكرين كم كان جو الأمس لطيفاً ، والمناخ معتدلا. وفجأة ، رأيت امرأة ترتكز على مرفقيها ، في نافذة البيت المقابل ... وكانت ترتدي المايوه ... لباس البحر الجذاب .

لم يسبق لي أن رأيت هذه المرأة ذات الثوب الأحمر الخليع . ولكنني عرفتها جيداً لأول نظرة . كانت امرأة من ذلك الصنف الذي يتجر بنفسه !!

ووجدت نفسي أتابع حركاتها . كانت تنظر إلى الرجال ، والرجال يبادلونها النظرات ، وكانت تدعوهم إليها : ألا تشرفنا يا سنيور ؟ فكان بعضهم يرد عليها : متأسف ... الوقت ضيق!

— في فرصة أخرى .

— لا ... ليس الآن .

وكان بعضهم يردعها ، ويمنعها : اخسأي ... حقيرة !

لو تستطيعين يا عزيزتي ، أن تتصوري ، كم كان عملها هذا مثيراً للضحك ! وفجأة رأيتها تغلق النافذة...لقد وقع في صنارتها واحد من المتفلين ! .. ووجدت لذة كبيرة في مراقبة هذه المرأة الوضيعة ، وهي تقوم بعملها المجيب ! وأحسست برغبة ملحة تدفعني لتقليدها ... أتكون هذه الحمقاء ، أقدر مني على اجتذاب الرجال ؟ .. هيهات !!

وقلدت حركاتها ، وغمزاتها ، وإذا أنا أؤديها أحسن منها بكثير ... وعندئذ اتخذت مكاني من النافذة .

وانتصرت عليها ... وجذبت نحوي كل الرجال من كل صنف ، بعضهم أجمل من زوجي .. بل أجمل من زوجك...أقصد آخر أزواجك ... إيه يا عزيزتي ... نحن النساء لنا بعض عقول القردة المقلدة ... هكذا قال لي أحد العارفين بالنفس ... ألا نحب

تقليد بعضنا بعضاً ؟!

قلت لنفسي : لأجرب مرة واحدة ... لمجرد التغيير ... ترى، ما الذي سيحدث لي ؟ ... لا شيء على كل حال ... وسأنساها !

وبحثت عن رجل .. رجل جميل ... أجمل من كل الرجال . وفجأة رأيت النموذج الكامل للرجل الذي أردته .

رشقته بنظرة ساحرة ، وابتسمت له بطريقة خاصة ، ففهم إشارتي ، وإذا هو يتجه نحو الباب الكبير !!

وجننت .. وتملكني خوف شديد ، فإذا هو يتحدث مع الخادم يوسف .. يوسف المخلص لزوجي ، فسيظن أنني على صلة بهذا الرجل من قبل ! .. ماذا أستطيع أن أفعل يا عزيزتي ... ماذا أفعل إذا طرق الباب ؟

فكرت في أن أقابله بنفسي ، وأخبره بأنه مخطىء ، وأرجوه أن ينصرف ... لعله يعطف على امرأة ... ضعيفة ، مسكينة :

وذهبت إليه أقول :

— انصرف بربك يا سنيور ... انصرف من هنا ... أنت مخطىء يا سنيور ... أشفق عليّ يا سيدي !

وبدلاً من أن ينصرف ، ضحك مني ساخراً ، وقال :

— صباح الخير يا آنسة ... لم كل هذا الدلال ؟.. فلست أجهل قصصكن ... ستقولين إنك زوجة لرجل غيور وإنك مني لفي خطر شديد ، وستطلبين أربعين فرنكا بدلا من عشرين ... ولكن لا بأس ... سأدفعها لك ، إذا أفسحت لي الطريق .

ولكنه لم ينتظر جوابي ... بل دفعني إلى غرفة الاستقبال ، وظل يتفحصها في دهشة ، وقال :

— ما أجمل هذه الغرفة ... لاشك أنك موفقة في عملك ، وتكسبين كثيراً ، وتوسلت إليه .

— أرجو يا سنيور ، تفضل بالانصراف . أن زوجي سيكون هنا بعد دقائق ... أقسم لك أنك مخطىء .

فأجابني في برود شديد :

زوجك ؟!.. سأمنحه خمسة فرنكات ، يشرب بها كأساً من النبيذ في الحانة المقابلة .

ثم وقعت عيناه على صورة زوجي راؤول ، فقال :

— أهذا هو زوجك ؟

— نعم

— أوه . . رجل لا بأس به ، ومن هذه ؟ . واحدة من صديقاتك ! وكانت هذه صورتك — نعم ... واحدة من صديقاتي !

— جميلة . . لعلك تقدمينها إليّ

— في فرصة أخرى .

وعندئذ دقت الساعة خمس دقات ... لقد حان موعد قدوم زوجي إلى البيت ... رباه ... ماذا يحدث لو جاء راؤول ورأى عندي هذا الرجل ؟

وفكرت في أن أحسن طريق للتخلص من هذا أن ... أن أرضيه بأسرع وقت ، وأصرفه عني . هل فهمت ما أعني ياعزيزتي هل فهمت ماذا حدث ؟!!

وضحكت مدام ريندون ... واهتز السرير تحتها لشدة ضحكها ، ثم قالت والدموع تترقرق في مآقيها :

— ولكن .. أكان منظره جذاباً حقاً ؟

— كان رائعاً ... في غاية الروعة .

— من حسن حظك ... ولكن ، إذا كان رائعاً كما تقولين ، فلماذا جئت تشتكين ؟!

— لأنه ... لأنه سيعود ثانية ، في نفس الوقت وأنا شديدة الخوف ، فماذا أفعل لو نفذ وعده ، وجاء مرة أخرى ؟!!

واعتدلت مدام ريندون الجميلة في مضجعها ، وقالت لصديقتها :

— دعيه يعود

فتملكت المسكينة دهشة عظيمة ، وتساءلت :

— ماذا ؟ ماذا تقولين ؟.. كيف أدعه يعود ؟

— هذا شيء بسيط ... اذهبي إلى مدير البوليس ، وأخبريه بما حدث ، وقولي له أن هذا الرجل يضايقك منذ مدة طويلة ، وعندئذ سيبعث إليه ببعض رجاله ، ويقبضون عليه متلبساً بالجريمة!

— ولكن يا عزيزتي ... ربما اعترف .

— من يصدقه ... أنت سيدة معروفة في البلد .

لا ... لا أستطيع .

— أن لم تخبري البوليس ... فسيعود إليك كل يوم !

— طيب ... والفرنكات التي تركها لي ؟.. ماذا أصنع بها ؟

وبعد أن فكرت مدام ريندون قليلاً ، قالت ضاحكة :

— عزيزتي . . يجب أن تخلدي هذه الحادثة في هدية صغيرة لزوجك العزيز راؤول .. نعم ، هذه أحسن فكرة !!!

(البصرة : عراق) **يوسف يعقوب حداد**

مطبعة الرسالة



العدد ٨٠٣ — الاثنين ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ — السنه السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٥٤١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 803
Lundi — 22 — 11 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٠٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٦٨ — ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

هل نجح خادم اليهود؟

للأستاذ نقولا الحداد

لم ينجح ترومان ولم يفشل دوى . وإنما نجح الحزب الديموقراطى وفشل الحزب الجمهورى ؛ لأن أكثرية الشعب الأمريكى الساحقة هى ديموقراطية المبدأ . إن المبدأ الجمهورى يميل إلى تعضيد الرأسمالية ، وجميع أعوانه ماليون وممن يلوذون بالماليين وأصحاب الأعمال الكبرى المساهمون والمضاربون وكل من يشتغل بتثمير المال . وأما المبدأ الديموقراطى فيعضد العمل وأعوانه الزراع والصناع وأهل الحرف والمهن والصناعات والمستخدمون ومتوسطو الحال . وهم ولا شك السواد الأعظم من الشعب . ومع ذلك صوّت كثيرون منهم مع دوى اعتباراً لشخصيته لا لمبادئه . ولكنهم لم يكفوا الترجيح كفته .

وطالما غرس الصهيونيون الأفاكون فى عقول الناس أن الرعاية الأمريكية فى أيديهم وأنهم إذا راعوا ترومان كان ترومان، وإذا راعوا غيره كان غيره ... ولعل ترومان كان يظن هذا أيضاً . ولكن لما حميت معركة الانتخابات انحاز يهود ولاية نيويورك (وتعدادها ١٨ مليوناً ويهودها ثلاثة ملايين وهم نصف يهود أمريكا كلها) انحازوا إلى دوى لأن مصالحهم المالية تكون مضمونة فى عهد رياسة دوى ولا تهمهم فلسطين عشر معشار ما تهمهم ماليتهم . وكان رجال العلم والسياسة والأعمال والمال والاقتصاد يراهنون مئة إلى واحد مع دوى ليقينهم أن دوى رجل الساعة . وهو أكفأ ألف مرة من ترومان . ولذلك صوت معه كثيرون من الديمقراطيين (من خصوم حزبه) . ومع ذلك خاب وخسروا الرهان . وقد نسى هؤلاء المراهنون عواطف الأمة . الأمة لا تسعى وراء العلم والمقدرة السياسية ونحوهما ، وإنما تسعى لمن يضمن لها مصلحة الفرد أولا ومصلحة الجمهور أخيراً . ولذلك انتخبت ترومان لا لأنه ترومان بل لأنه كفيل بتنفيذ المبادىء الديمقراطية . فليس ترومان هو الذى انتصر ، وإنما الديمقراطية هى التى انتصرت . وستظل تنتصر ما دام الحزب الجمهورى يناصر المال وأصحاب المرافق وأسباب الأرزاق يتحكمون فيه .

هذه سنة الاجتماع الأخيرة . والحزب الجمهورى لن تقوم له قائمة بعد الآن إلا إذا نقّح مبادئه وعدّلها كثيراً بحيث تستهوى طبقة المتعيشين بكدهم وكدحهم .

كان الحزب الجمهورى متفوقاً على عهد تيودور روزفلت السابق الذى تولى رئاسة الجمهورية مرتين ، وكان فى سياسته يخالف مبادىء حزبه أحياناً ليمالىء الحزب الديمقراطى . وكان كثيرون من الرؤساء السابقين جمهوريين لأن الصولة كانت للماليين وأرباب الأعمال الكبرى أيام كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية عرضة للرياح السياسية الخارجية وتخشى عليها منها يوم كانت الولايات المتحدة لا تزال الثالثة بين الدول الكبرى فكانت تحتاج إلى قيادة رأسماليين وأرباب أعمال —

قيادة متينة قوية . ولـكن لما خرجت من الحرب الـكبرى الأولى وأسطولها الثانى شرعت تستقل فى كيانها وتطغى فى بنيانها . وما شبت الحرب الثانية الأخيرة حتى صار أسطولها البحرى الأول وأسطولها الجوى الأول وقوتها البرية ترعب . حينئذ صارت تطمح إلى الاستعمار التجارى والبترولى . فلم تعد تستند إلى حزب جمهورى رأس مالى بل إلى حزب شعبى عملى صناعى زراعى . فقويت فيها الديمقراطية . فمن يكن مرشح الحزب الديمقراطى يحرز قصب السبق ولو كان مغفلاً .

ولعل القارىء يعجب ويتساءل : لماذا صوت يهود ولاية نيويورك لديوى وهم نصف يهود أمريكا ؟ والجواب أن اليهود رأسماليون ، فيهرعون إلى حيث تكون خيانة المال . فصوتوا مع الجمهوريين لأن الضمانة هناك أشد ، وما كان تشدق الصهيونيين بأن ترومان يسترضيهم لـكى يصوتوا له إلا أفكا وبهتاناً . ودعاية فى الشرق فقط .

ولا ريب أن ترومان كان يراعى خواطرهم إلى حد ما لـكى يكسبهم فى معركة الانتخابات ؛ ولـكنه لم يحتج إليهم وعنده معظم الشعب . وأخيراً عرف نفاقهم حين صوتوا لديوى . فهل يا ترى يبقى مغفلا يخدم أغراضهم كما يزعمون ، أم أنه يشيح بوجهه عنهم بعد الآن وينظر إلى مصلحة بلاده قبل مصلحتهم وأمامه أربع سنين هو فيها غنى عن اليهود ، على فرض أنهم ينفعونه بشىء ؟

مع كل ذلك لم يخدمهم الخدمة الجلى كما كانوا يتوقعون . كانوا ينتظرون أن يجهز لهم قوة عسكرية كافية لتنفيذ مشروع التقسيم . ولو فعل لتم التقسيم فعلا فى يوم واحد . ولـكن لم يشأ أن يفعل ولم يستطع أن يفعل لأن الـكونجرس لا يوافقه على أن يرسل أبناءه الشبان الأمريكان لـكى ينشئوا دولة لبنى إسرائيل

أما الآن فلا ندرى هل يصر ترومان على أن يحول دون مشروع العقوبات لناقضى الهدنة وهو يعلم أن اليهود لا العرب كانوا ولا يزالون ينقضونها . فكان يود أن ينقذهم من العقوبات .

على أن الأمر المضحك فى هذه الهدنة أنها تنقض كل ساعة ومجلس الأمن يتهدد كل ساعة ناقضيها بالعقوبات . وإلى الآن لم نر عقوبة وقعت على ناقض هدنة .

وأغرب من كل غريب أن مندوب أمريكا فى مجلس الأمن يقترح تأليف لجنة لبحث إجراءات تنفيذ الهدنة ، حتى إذا خالفها أحد الطرفين كان على اللجنة أن تبادر إلى دراسة ما تراه إجراءات تأديبية لتوقعها على المخالف . ووجه الغرابة هو وضع الحصان وراء العربة لا أمامها ؛ لأن العادة فى كل تشريع أن يكون إعلان العقوبة قبل ارتكاب الجناية . وهنا لا يعلن نص العقوبة إلا بعد ارتكاب الجناية أى بعد أن يعلم أى الفريقين نقض الهدنة .

والهدنة تنقض كل يوم ويبلغ خبرها إلى مجلس الأمن ولا تكون نتيجة البلاغ إلا تكرار دعوة مجلس الأمن العرب واليهود إلى احترام الهدنة ، وهو يعلم أن اليهود لا العرب هم الذين ينقضونها . وإلى الآن لم يعترف مجلس الأمن بأن الهدنة غير محترمة . فما معنى إصدار أوامر لا تحترم يوماً بعد يوم ؟ والله لو كان صبيان يتولون الأمر لرأوا بأنفسهم أن يكرروا إصدار هذه الأوامر السخيفة .

وحتام نذكر الهدنة بالخير ولم نعرف الهدنة ساعة واحدة . ما نحن إلا فى حرب . فعلى جامعتنا العربية إن كانت تحسن عملا أن تنعى الهدنة لمجلس الأمن وتبلغه أننا فى حرب ما دام اليهود يهجمون ونحن مضطرون أن ندافع — حتام تمثل هذه المهزلة ؟

والمهزلة الـكبرى أن مجلس الأمن « الوقر » لا يريد أن يلتفت إلى مسألة اللاجئين الذين أشفوا على الهلاك كأن أمرهم لا يعنيه وكأن نكبتهم ليست من نتائج القضية التى ينظر فيها أو يتولى أمرها أو كأنها ليست من مخلات الأمن التى هى فى دائرة اختصاصه .

اليهود الملاعين طغوا وبغوا وقتّلوا ونكلوا وأخرجوا الناس من بيوتهم إلى العراء ، ومجلس الأمن الموكل بالأمن يترك أمر المشردين لأهل البر والإحسان .

فما هو الأمن الموكل به مجلس الأمن ؟

إن أقذار اليهود واقعة على رأس مجلس الأمن وقد تورط كل بدنه فيها . ومع ذلك لا يزال يزعم أنه يحافظ على الأمن . أى أمن هـذا يا هؤلاء ؟ أليس لـكم عيون تبصر وآذان تسمع وقلوب تفقه ؟ ألا تخجلون أن يركبـكم الصهيونيون وينخسوكم بالناخيس ؟

إن كان فى عروقـكم دم يجرى بالنخوة والمروءة فحصّلوا من يهود العالم المتضامنين الأموال التى نهبها الصهيونيون من العرب وأنفقوها على اللاجئين والمشردين ، وإلا فمجلس الأمن وهيئة الأمم لليهود شركاء ، وهم جميعاً فى العدوان والطغيان سواء .

نقولا الحداد

قصة شـــاعر (*)

للأستاذ على الطنطاوى

لقد وعدت الأستاذ أنور العطار بهذه المقدمة منذ خمس وعشرين سنة من يوم أسمعنى أول مقطوعة له . قلت له ستصير يا أنور شاعراً كبيراً وسأصير أنا كاتباً وأكتب مقدمة ديوانك

ولقد صار أنور شاعراً كبيراً فهل صرت أنا كاتباً ؟ إننى كتبت إلى اليوم أكثر من خمسة آلاف صفحة ، أنشأتها إنشاء ولم أجمعها جمعاً ، ونقلتها عن قلبي لم أنقلها عن الكتب ، ولكنى لم أصر كاتباً . لأننى أعجز الليلة عن إنشاء أحب الفصول إلى ، وأوجبها على : هذه المقدمة التى وعدت بهـــا أنور من خمس وعشرين سنة !

لقد قعدت لأكتبها ، فأحسست أنها قد عادت لى أيامى الواضى التى افتقدتها وأيقنت أنها لن تعود ، ورفع لى الستار عن عالم كله حب وطهر وجمال . عالم عشت فيه أنا وأنور أمداً ، ثم أضعناه وضللنا طريقه . عالم كان حقيقة فصار (مع الأسف) ذكرى ، وكان واقعاً فغدا خيالا ، وكنا فيه فصرنا غرباء عنه ، لا نراه إلا بقلوبنا من خلال ضباب الماضى .

فتحت على أبواب الذكريات ، وكر على هذا الماضى ، كأنما هو (فلم) حافل بكل جميل ونبيل ، فلم طويل عرض فى لحظات وقد تصرمت فى تأليفه وإخراجه ثلاثون سنة ، فلم كنا نحن أبطاله وكنا نحن ممثليه ، فصرنا نرى فصوله تعرض علينا من بعيد :

رأيت الفصل الأول من هذا الفلم وكان فى المدرسة الثانوية الوحدة فى دمشق (مكتب عنبر) فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، عندما أبصرت أنور العطار أول مرة . أبصرت تلميذاً رقيق العود ، دقيق الملامح ، أنيق المظهر ، من غير أن يبدو عليه أثر الغنى ، شارد النظرات ، يمر فى ظلال الجدران خفيف الوطء ، حالم الخطى ، كأنه طيف يمر على خيال نائم ، يعتزل التلاميذ لا يكاد ينب وثبهم ، ولا يلعب لعبهم ، فسألت عنه من يعرفه ، فقال : هذا تلميذ شاعر اسمه أنور العطار . وما كنت يومئذ أومن بغير شعراء الجاهلية والشعراء الاسلاميين ولا أرضى لنفسى أن أقرأ شعر المتنبي ولا يرضى ذلك لى مشايخى ، لئلا تفسد (قالوا) ملكتى ، ولم أسمع بعد باسم شوقى ولا باسم المنفلوطى ، فما أبهت لهذا الشاعر الذى اسمه أنور العطار ، ولا طلبت صحبته ، ولا ظننت أنه سيكون بينى وبينه اتصال ، حتى كانت تلك المصادفة المسعدة التى كان لهـا فى حياتى وفى حياته أبلغ الأثر :

كانت هذه المصادفة على باب (المدرسة البادرائية) فى ليلة من ليالى رمضان ، أيام كان رمضان يزور دمشق حقاً ، وكانت تدرى دمشق بزيارته وتحتفل بلقياه ، وكنت خارجاً منها فواجهت أنور داخلا إليها ، فوقف يحيينى ووقفت أحييه ، وكلمنى وكلمته ، واتصل الحديث ونحن قيام تحت مصباح الشارع ، حتى جاء ذكر شوقى ، فأنشدنى قصيدة له ، قرأها بصوت عذب حالم حنون ، فأحسست أنه كان يحس بكل كلمة من القصيدة حبة القلب منى ، فأحببته . وأنت تلقى المرء أول مرة فتحس بأنك تحبه أو أنك تكرهه ، لا تدرى لحبك ولا لكرهك سبباً . سر ركبه الله فى نفس الانسان .

وفهمت منه أنه يسكن فى (السمانة) وكنت أقيم فى (الديمجية) فاصطحبنا ، وذكرت له موت والدى فى تلك الأيام ، فطفق يحدثنى عن موت والده وهو صغير ، واجتزنا سوق المهارة ، والمهارة فى دمشق كحى الحسين والأزهر فى مصر ، إن ضاع منك رمضان ببهائه وجماله وجدته فى الحسين أو فى المهارة ، وإن خفيت عنك معالم حسنه فى كل مكان وجدتها فى المهارة أو فى الحسين ، ولكن ما أدركت تلك الليلة شيئاً من هذا البهاء : لقد كان ما أسمع من أنور أبهى عندى مما أرى ، وجعلنا طريقنا على (الدحداح) ، وهنالك ، على قبر أبيه وعلى قبر أبى ، ولدت هذه الصداقة التى أثمرت شعراً ونثراً وحباً وإخلاصاً ، وكانت من أسعد الصداقات . وهنالك فى مدينة الأموات ، عاشت هذه المودة التى لا يستطيع أن يعدو عليها الموت ، لأن الأدب أكسبها الخلود وكرت فصول الفلم تتتالى ، فرأيتنى غدوت صديقه وغدا

(*) مقدمة (ديوان أنور العطار) الذى يصدر فى أوائل ديسمبر ١٩٤٨

صديق ، يبثني شكاته وأبثه شكاتي ، ويجد في حياتي مشابه من حياته وأجد في حياته مشابه من حياتي ، قد ألف بيننا الأدب وألف بيننا اليتم ، وإننا كنا مستورين ، على حالة هي فوق الفقر ودون الغنى .. حتى كأنني هو وكأنه أنا .

وصار يسمعني شعره ، فأجد بواكير شاعر متمكن ، لا محاولات طالب مبتدئ ، وأجد في هذه (البواكير) قوة في التعبير ، وجدة في التفكير ، وأبياتاً سائرة ، وصوراً رائعة ، فهو يقول في الدموع :

عجبي من لغة غامضة تطرب الناس على شتى لغاها

وهو بيت نبيل في مبناه وفي معناه

ويقول في وصف العمر (عمر البائس) :

والعمر يحكي مستغيثاً علا أنينه ثم تولى صداه

وطفق أنور يرسل قطع الشعر ، شعر القلب ، تترا . يستقيه من معين صاف لا ينضب ، فتتناقله الألسنة ، وتمشي به الصحف ، وتستقبل فيه العربية شاعراً جديداً ملهماً ، ويفتح له أستاذنا محمد كرد على أبواب المجمع ، فيقيم له ولإخوانه الثلاثة حفلة تكريمية ينشد فيها أنور قصيدة من الشعر الجيد ، عنوانها (الشاعر) ، يحسن اختيار موضوعها وألفاظها ومعانيها ، وتشق له هذه القصيدة الطريق إلى مجلة (الزهراء) التي كان يصدرها في مصر خالي محب الدين الخطيب ، والتي كانت أرقى مجلة أدبية في تلك الأيام ، وكنت أود أن ينشرها الشاعر في هذا الديوان (الذي لم يضم إلا الأقل من شعره) ليعرف منها القراء كيف كان أنور ينظم الشعر قبل عشرين سنة ، وكنت أود إذ لم تكن في الديوان أن أرويها كلها ، ولكنها طويلة تملأ صفحات من هذه المقدمة

وشعر أنور في تلك الفترة آهات أبدعها الفن صوراً ، ودموع صاغها البيان شعراً ، ومقطعات حلوة ، ما أدري ماذا زهد الشاعر فيها فلم يثبت منها في هذا الديوان إلا مقطوعة (الحمامة) .

ورأيت فصول (القلم) تتتالى ... فرأيت فيها كل دقيق وجليل من حياة أخي في الصغر وفي الكبر ، ورفيقي في السفر وفي الحضر ، وأنيسي في المسرة وفي الكدر : أنور .

رأيت أيامنا في المدرسة ، ونحن تلاميذ نعيش من الأدب في دنيا الخيال ، إذ أعجزتنا دنيا الواقع أن نجد فيها ما نصبو إليه ونتمناه ؛ لا نصدق متى ينقضي النهار ، ونتجومن هذيان جماعة الرياضيات ، وطلاسم أصحاب الكيمياء ، حتى نفر إلى كتب الأدب ، نقرأ كل بارع من القول ، ونتدارس كل رائع من البيان .

ورأيت أنور وقد بذ الأدباء جميعاً في (العلم ...) بالرياضيات ، حتى لقد عرف قطر الدائرة ، وأضلاع المثلث ، ولم يبق عليه ليبلغ نهاية العلم إلا أن يعرف القاسم المشترك الأعظم الذي لم يسمع به امرؤ القيس .. رأيته دائباً يكد ذهنه ، ويمسح عرقه ، يحاول أن يفهم سر المعضلة الكبرى التي لا يفهم لها سر ، ويحل المشكلة التي لا يعرف لهـا حل : الجذر التكعيبي . وأشهد أني جزت الأربعين من عمري ، ورأيت أياماً سوداً واقيت شدائد ثقالا ، وسلكت البوادي المقفرة ، وركبت البحار المائجة ، وعلوت متون السحب ، فما رأيت في البر ، ولا في البحر ، ولا في الجو ، شيئاً أشد ولا أصعب ، من هذا الجذر التكعيبي .

ورأيتنا وقد فرقت بيننا الأيام أمداً ، فاشتغلت أنا بالصحافة ، وغامرت في السياسة ، وآثر أنور التعليم ، فكان مدير المدرسة الأولية في (منين) ، في هذه القرية الناعمة في حجر (القلمون) الأدنى ، نرى مواكب الأحلام بأجمل (عين) وأشدها سحراً ، وأكثرها فتوناً : عين منين من لم ير عين منين ، ما عرف سحر العيون ، ولا رأى جمال الينابيع ، ولا رشف خمر الجمال على مائدة الطبيعة .. فكنت أزوره فأقضي ليلة أو ليلتين في جنة قد جمعت فيها النعم ، أسكر فيها سكرين : سكر الجمال ، وسكر البيان ؛ وأخضع فيها لسحرين : سحر الطبيعة ، وسحر الشعر ؛ وأجمع فيها الماضي البهي ذكرى حلوة ، والآني الشهي أملا مرتجى ، في حاضر ضاع في نشوة اللذة حتى لم يبق لنا منه حاضر نحسه وندركه . نقضي الأصباح نستمع إلى أسمار السواقي المتحدرة من الينبوع وأسمار أنور ، ونقطع الأماسي عند الصخور التي أفضنا عليها من قلوبنا الحياة فصارت تحنو علينا ، وتولينا الحب ؛ وأرقنا عليها البيان فأمست تحدثنا ، تتلو علينا أحاديث الغابرين ، وتقص قصص الأسلاف ، من غسان أصحاب المجد المؤثل ، فنحس كأن قد عاد الماضي ، ورجعت (القصور البلق) عامرة ، وبعث المجد ، وعاش الحب ، حتى لكأننا نسمع همس المشاق وآهات نشواتهم ووسوسة قبلاتهم ، ونرى خيالات المناق من وراء الأستار !

أيام سعدنا بها ، وما سعدنا بالصخر ولا بالماء ، ولكن

بأحلام الشباب . رحمة الله على شبابنا ، وعلى تلك الأيام !

ورأيتنا وقد صرت أنا معلماً فى الجبل من دمشق (فى المهاجرين) ، وصار هو معلماً فى السفح (فى الصالحية) ، فكنا نرتقب المساء ارتقاباً ، فإذا حل انحدرت أنا من هنا ، وانحدر هو من هناك حتى نلتقى عند (المنيف) ، نفرح بهذا اللقاء فرح حبيبين التقيا بعد طول الفراق !

ورأيت أيام العراق ، زهرة أيامنا أنا وأنور وزينتها ، أيام بغداد ! سلام المحبة والوفاء منا على بغداد ! وسلام على أهليها ! وسلام على الأثرى والجوادى وروح الراوى وعلى إخواننا وعلى تلاميذنا فيها ... ويا ما كان أحلى أيام بغداد ، ويا ما أبهى لياليها ، ويا ما أطيب ما حملنا منها من ذكريات ... على دجلتها سلام بردى ، وعلى نخيلها سلام الحور ، وعلى أبوذيتها سلام المتابا ، وعلى أعظميتها وكرادتها ورستميتها سلام الربوة والمزة والشاذروان

لقد كنا فيها معاً أبداً ، يدرّس أنور فى صف وأنا فى صف ، وربما دخلت فدرّست مكانه وقعد فاستمع ؛ وربما دخل فدرّس مكانى وقعدت فاستمعت . ونمشى على الجسر معاً ، وما فى الأرض مكان أحفل بذكريات المجد والشعر والغرام من جسر بغداد — ونتبع الشط ، ونرتاد الرياض ، نزور قصور الخلفاء ، ومواطن الشعراء ، وخلوات المحبين ، نؤم الديارات والأطلال والمقابر ، نتنسم عرف الأجداد ، ونستروح رائحة الماضى ، نستنطق دجلة ، ونستخبر الآثار ، ونسأل النخيل ، ونسمع من الأرض ومن الناس أخبار الماضى الفخم ، وأحاديث الجدود العبقريين ، وقصص المجد الذى لم تر عين الزمان ولم يحمل متن الأرض مجداً أجل منه ولا أعظم ، ولا أرسخ أساساً ولا أعلى ذرى . ولم يكن يرانا الناس إلا معاً ، ولا يقولون إلا أنور وعلى ، وعلى وأنور ، وربما خلطوا فقالوا على العطار وأنور الطنطاوى ...

لقد كانت أيام بغداد أجدى الأيام على أنور ، ففيها اختزن فى نفسه أجمل الصور ، وفيها نظم أروع القصائد ، وفيها ابتدأ فى حياة الشاعر عهد جديد هو عهد الشعر القومى : شعر الحماسة الوطنية ، فازدادت بذلك هذه القيثارة السحرية وتراً جديداً ، خرجت منه أطيب النغمات .

رأيت هذا كله فأحسست أن الدنيا تدور بى ، واختلطت علىّ الصور وتداخلت المشاهد ، فلم أعد أستطيع أن أتبين شيئاً ، ولم أستطع أن أكتب شيئاً ...

ورأيت فصول (القلم) تتتالى ، فإذا نحن فى سنة ١٩٣٠ ، وقد بقيت بلا عمل (عقب عودتى من سفرتى الثانية إلى مصر) ، فأخذنى أنور إلى إدارة فتى العرب ، فقدمنى إلى معروف الأرناؤوط لأعمل معه فى الجريدة ، وقد عملت معه شهوراً ، وصارت الجريدة ملتقانا أنا وأنور ، وصارت مدرستنا الثانية نأخذ فيها من نفس معروف ، ومن أدب معروف . وما رأينا فى الأدباء من هو أحلى حديثاً ، وأظهر صفاء ، وأملأ بالأدب الحق من فرعه إلى قدمه من معروف ، إذ كنت تشعر وأنت معه أنه يعلو بك عن المادة ، ويسمو عن المطامع ، ويوصلك بحديثه وابتسامته وطفولته إلى عالم كله حب وعاطفة وتجرد . وشىء آخر كنت أحسه ولا أملك التعبير عنه ، شىء مثل الذى تحسه وأنت تقرأ فى رواية معروف (عمر بن الخطاب) ، ومثل الذى تحسه وأنت تسمع حديث أنور ، عندما يكون أنور فى سبحاته الشعرية .

ورأيتنا ، ونحن فى مطلع سنة ١٩٣٣ ، وقد لقيت أنور ، فقال لى : لك عندى مفاجأة تسرك . قلت : وما هى ؟ قال : لا ، إلا أن تتغدى معى فى الدار ، فذهبت معه فإذا هى مفاجأة تسر حقاً : العدد الأول من مجلة الرسالة .

ومن ذلك اليوم دخل بيننا (نحن الاثنين) صديق ثالث ، أحببناه وأحبنا ، وهو الزيات ورسالته ، وصارت الرسالة مدار أحاديثنا ، وصارت مستقر أدبنا ، وصار الزيات أخاً لنا كبيراً ، وصديقاً عزيزاً ، وإن كنت لم أره إلا بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ، ولم يره أنور إلى الآن .

ورأيت أيام المعجزة التى ظهرت على يد الصديق منير العجلانى وكانت تظن من باب المستحيلات ، أيام المجمع الأدبى ، حين ألف بين رجال ما كنا نتخيل أنها تؤلف بينهم الأيام ، لاختلاف مذاهبهم فى الأدب وتباعد مسالكهم فى التفكير ، وتباين طرقهم فى الحياة ، وكانت أيام ألفة ونشاط وأمل ، فأعقبها أيام افتراق وكسل ويأس ... فياليت منيراً الوزير يكمل ما بدأه منير المحامى !

رأيت هذا كله ، فحرت ماذا أصف وعم أتكلم ، وكيف

أستطيع أن أجمع في كلمات دنيا من العواطف، وعالماً من الذكريات، وآلافاً مؤلفة من المشاعر، كانت أثبت من الزمان لأنها بقيت وقد ذهب الزمان، وكانت أجمل من العمر لأنها هي جمال العمر؟

رأيت (هذا) كله وما (هذا) إلا تلخيص لحياة أنور الشاعر الذي عاش حياته كلها كما يعيش الشعراء الخلص الملهمون شعراء القلب والروح واللسان، لا شعراء الألفاظ وحدها والبيان الشاعر في قلبه المتفتح أبداً للجمال المترع بالخير الممتلىء بالحب، وفي لسانه الذي يفيض أبداً بالبيان، وينفث السحر الحلال.

وفي هذا التلخيص تحليل شاعرية أنور، فإذا أخذتم عليه أنه كان حليف الحزن صديق الأسى، قد وقف شعره على تقديس الألم العبقري فبكى الأحلام الضائعة كما بكى الأوراق المتناثرة في (الخريف). وخلد مظاهر الأسى في النفس وفي الطبيعة؛ فاعلموا أنه لم يكن يستطيع غير ذلك، وأن الشاعر لا يطبع نفسه كما يشتهي ولكن يطبعه الله بطابع البيئة والزمان، ويكون مشاعره في طفولته، قبل أن يشعر هو ليكون مشاعره كما يريد؛ ولو استطاع أن يصغر فمه أو يجمل أنفه لاستطاع أن يبدل قلبه ويحول عواطفه.

وقد نشأ أنور مثلما نشأت أنا، وفتح عينه على الدنيا والحرب العالمية قائمة، ودمشق في أشد أيامها، ومظاهر البؤس والألم في كل مكان، فكان يرى الازدحام كل صباح على الفرن، ولم يكن يفتح منه إلا كوة صغيرة يبرز منها رأس الخباز ليعطي السعيد من الناس كتلة سوداء لا يعرف ما هي على التحقيق وإن كان يعرف أن إسمها (الرغيف)، والجياع ينبشون المزابل ويأكلون قشور البطيخ، والنساء يعملن من دون الرجال لأن رجال دمشق قد أكلتهم الحرب، والإسم المرعب إسم جمال باشا يملأ القلوب فزعاً. ثم رأى المشانق وشهد المآتم، فامتلأت نفسه بهذه الصور القاتمة حتى لم يبق فيها مكان لغيرها. وإذا هو رأى الأعراس والأفراح أيام فيصل، فان هذه الأيام لم تكد تبدأ حتى انتهت، ولم نكد نستمتع بفرحة الاستقلال في حفلة التتويج، حتى ذقنا غصة الانتداب في مأساة (ميسلون).

فلا تلوموا أنور إن كان الحزن طابع شعره، وأن الفرح فيه مثل الفجر الأول لا يكاد يبدو بياضه في الأفق حتى تبتلعه بقايا الليل فهذا هو السبب.

ولا تلوموه إن تغزل، فتكلم عن الرؤى والأحلام، وترك الحقائق وعلا إلى سماء الخيال ولم ينزل إلى أرض الواقع، وأنه عمم وجمجم، فلم يخصص ولم يصرح، فإن البيئة التقية التي نشأ فيها أنور لم تكن ترى في الحب إلا (ذنباً) على صاحبه أن يستغفر الله منه، وأنا أؤكد أن أنور، كـ (نصيب) الشاعر الذي سمي قوسه ليلى ليتغزل بها. إن أنور لم يتصل في حياته بفتاة على نحو ما يفعل شباب اليوم، وإنه كان أعف وأشرف من أن يفكر في هذا أو يحاوله، فمن هنا جاء الذي تلومونه عليه.

ولا تأخذوا على أنور أنه حبس نفسه في هذه الدائرة الضيقة وقصر عليها شعره ولم يخرج إلى الفضاء الأرحب، ولم يمش في الدنيا الواسعة التي يعيش فيها أكثر الشعراء والناس، فإن أنور أمضى صباه كما أمضيت صباي في عالم ضيق كانت حدوده تلك المسالك الملتوية الموصلة إلى مكتب (عنبر)، وتلك الساقية الصغيرة المطيفة بمقبرة الدحداح، وذلك الطريق الموحش الذي كان ينتهي عنده العمران، ويبدأ منه عالم الظلام والفزع واللصوص، والذي كان اسمه (قفا الدور) فصار يسمى اليوم (شارع بغداد) أفخم شوارع دمشق الجديدة.

إن أنور يخشى اليوم أن يفارق عالمه الشعري الذي أحبه، أو يتجاوز حدوده كما كان يخشى من قبل أن يتجاوز (قفا الدور)، أو يتخطى (مكتب عنبر) ولكن عالم أنور الشعري، عالم واسع على ضيقه لأنه عالم القلب، ولأنه متصل بالله؛ وقد تضيق على المرء الأرض كلها إن اقتصر عليها، ولا يضيق عليه شبر واحد سما حتى اتصل بالسماء.

وعاش أنور في عهد جد ويقظة، وإقبال على العلم والعمل، وحفظ أنوراً كثر من عشرة آلاف بيت من جياد أشعار العرب، فجاء أسلوبه كالماء الصافي فيه عذوبة ولين، وفيه إن تدفق قوة ومضاء. وكان شعره أثر الجد ومؤهلات الخلود، لا كأشعار أصحاب المناسبات وطالبي إعجاب العوام. وكان نسجه كالحرير المتين الملفوف المنقوش النقش البارع، لا كالنسج الرخيص الذي يتمزق من اللمس، وتذهب ألوانه من رؤية الشمس.

دفاع عن الأدب

للأستاذ أنور المعداوى

الأدب الذى أعنيه هنا هو أدب الاعترافات ، أو أدب التراجم الذاتية ، أو أدب البوح والافضاء كما يسميه الفيلسوف الإيطالى بندتو كروتشه .

ومن العجيب أننى حين تناولت القلم لأكتب عن أدب الاعترافات ، وقعت على رأى لكروتشه يهاجم فيه هذا الأدب هجوماً عنيفاً ، ويرميه بالتأنث والسفاهة وقلة الحياء والضعف والانحلال ! .. ولو أن رجلا غير كروتشه قد أبدى هذا الرأى فى مثل هـذا اللون من الأدب لما أثار فى نفسى شيئا من العجب أو شيئا من الانكار ؛ ذلك لأنه يبدو أمام المتتبعين لنظرياته فى فلسفة الفن متناقضا مع نفسه ، مترجحا بين اليمين والشمال ، لا يكاد يستقر على رأى ينادى به حتى يعود فيتحول عنه ... إن من يقرأ رأيه فى أدب الاعترافات منفصلا عن رأيه فى نقد المذهب الأخلاق فى الفن ، ليتبادر إلى ذهنه أن كروتشه من أنصار هذا المذهب والداعين له ، مع أنه من أكثر خصومه الحاحا فى الخصومة ، وإغراقا فى التحامل ، واسرافا فى الهدم والتشهير ! .

يقول كروتشه فى تعليل ازدياد عدد الكاتبات من النساء : وعندى أن علة ذلك الحقيقية هى هـذا الطابع الاعترافى الذى اصطبغ به الأدب الحديث ، فبهذا الطابع إنما فتحت أبواب الأدب على مصاريعها أمام النساء اللواتى يمتزن بالانفعال والنشاط ، فإذا قرأن كتب الشعر لاحظن فيها ما ينطبق على مشاعرهن الشخصية وفواجعهن العاطفية ، فلم يصعب عليهن أن يفرغن ما فى قلوبهن بدون أن يعنين بالأسلوب (والأسلوب كما قال بعضهم بحق لا يأتى من امرأة) . فلئن أصبح للنساء إذن نشاط ملحوظ فى حقل الأدب فلأن الرجال قد تأنثوا بعض الشىء من الناحية الفنية ؛ ومن علامات هذا التأنث قلة الحياء فى عرض مباذلهم ، وهذه الحمى من الصدق التى ما دامت حمى فليست صدقا ، وإنما هى شىء من التصنع الذى يوصل المرء بالسفاهة إلى اكتساب ثقة الناس على نحو ما فعل روسو لأول مرة » ...!

هذا هو رأى الفيلسوف الإيطالى فى أدب الاعترافات ... تأنث وسفاهة وقلة حياء ، ويزيد على ذلك قوله بأن هذا اللون من الادب يتسم بالضعف فى طريقة التعبير ، فهو على التحقيق أدب لا أسلوب له ! وقبل أن أعرض لرأى كروتشه فى نقد المذهب الاخلاق فى الفن ، كاشفا عما فيه من تناقض مع رأيه فى أدب روسو وكل أدب آخر يحمل ذلك الطابع الاعترافى ، قبل هذا كله أود أن أقول إن تلك الحملات التى شنها الفيلسوف الايطالى على هذا اللون من الأدب تبعد كل البعد عن جوهر الواقع الملموس ؛ لأننا لو وضعنا اعترافات روسو أو يوميات أندريه جيد

ما مشى أنور على الطريق الذى فتحه له من قبله ، بل على طريق شقه هو لمن بعده . وكان أنور إمام جماعة الشباب ولم يكن مؤتماً تابعا . ولولا نفس من شعر شوقى فى مثل (ليل الحزين) من بواكيره ، وروح من الأدب الفرنسى فى بعضها ، لقلت بأن أنور لم يقلد فى أسلوبه أحداً أبداً . وهل لشاعر مثل الذى لأنور فى وصف الطبيعة وفى وصف البلدان وفى وصف الرؤى والأحلام، حتى يقلده أنور ؟

وبعد فهذا ديوان الوفاء للعربية : نخل مفرداتها فاختار أطيبها ، وعرض أساليبها فاصطفى أحلاها ؛ وديوان الوفاء لأقطارها : جرى بردى منذ الأزل ، وقام لبنان ، فهل قال شاعر فى بردى مثل الذى قال أنور ؟ هل نظم فى لبنان مثل ما نظم ؟ وهل يعرف القارىء فى الشعر العربى كله قصيدة فى وصف الطبيعة أعظم من (لبنان) التى اشتمل عليها هذا الديوان ؟ أنا لا أبالغ ولا أغالى ، وهذا الشعر العربى بين أيدى الناس فمن عرف أعظم منها فليقل ... ولكن المعاصرة حرمان ، وأزهد الناس فى العالم أهله وجيرانه ، وستمحص السنون هـذا الشعر وهذا النثر ، وتميز الزجاج من الجوهر ، والنحاس من الذهب؛ وهنالك بعد أن يذهب الرجال ، وتنقطع الصداقات والعداوات ، ولا يبقى إلا الأدب الذى يستحق الخلود ، تعرف قيمة (لبنان) وقيمة (بردى) ، وهنالك بعد أن يعفى النسيان على أسماء كثيرة تملأ اليوم الأسماع ، وتشغل الناس ، يحتل اسم أنور العطار مكانه مع أسماء الشعراء الخالدين .

(دمشق) علي الطنطاوي

فى ميزان النقد ، لا كتملت لها كل الصفات التى ينشدها الباحثون عن حقيقة الفن . . الفن فى كلمات هو أن يعيش الفنان فى أعماق الحياة ، وأن يستخدم كل حواسه فى تذوق هذه الاعماق ، وأن يملك القدرة على التعبير الصادق عما شهد وأحس حين يتناول ريشته ليسجل انعكاس الحياة على الشعور ، وتلك أشياء يلمسها الناقد فى اعترافات روسو ويوميات جيد .

الاعترافات واليوميات صورة واقعية لفترة من حياة الكاتبين الكبيرين ، تمد فى حقيقتها لونا من الترجمة الذاتية التى تضع فى يد القارىء والناقد مفتاح شخصيتهما الادبية والإنسانية ؛ فاطلاق الرأى فيها بضعف الاسلوب أمر لا ينطبق على الواقع ؛ لان الصدق فى التعبير صفة من صفاتها الرئيسية وسمة من سماتها الأصيلة ... وليس هناك أسلوب مهما اتصف بالقوة أو بالجمال يستطيع أن يشق طريقه إلى القلوب والآذان ، مالم يستند إلى أقوى دعامة يمكن أن يستند اليها ، ونعنى بها الصدق فى التعبير! ومع ذلك فإن صدق التعبير وجماله يتهيآن لروسو فى أكثر فصول كتابه ، وبخاصة فى تلك المواضع التى تشير إلى علاقاته الوجدانية بمدام دى ڤارنس .

ولعل فى رى الأدب الاعترافى بالتأنث كثيرا من الإغراق فى التجنى والاسراف والتحامل ، وذلك لان كتاب الاعترافات يقدمون إلى النـاس صفحات من سجل الحياة سطرت بمداد الصراحة والامانة والصدق ... صفحات عارية لا تكاد تتشح بغلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعى وتملق عواطف الجماهير . ولعمرى أن الكاتب الذى يعرض أمام الناس فترة من فترات حياته بما فعلت من خير وشر ، من فضيلة ورذيلة ، من لذة وألم ، دون أن يخشى فى ذلك نقدا أو ملامة أو زلزلة لمكانته الأدبية والاجتماعية ، هذا الكاتب فى رأيى ورأى الحق رجل قوى جدير باحترام الأقوياء وليس متأنثا كما يدعى كروتشه ... إن هناك كتابا يتظاهرون فى كتاباتهم بحب الخير والتمسك بأهداب الفضيلة وهم غارقون فى حمأة الموبقات ، فهل نستطيع أن نسمى أدبهم أدب قوة ؟ كلا ! ولا نستطيع أن نرفع قيمة هذا الأدب إذا ما قسناه بمقياس الفن الصادق ، مقياس صدق التعبير عن الحياة ؛ لأنه أدب يعبث بالحقائق ، ويشوه الوقائع ، ويكذب على الحياة والناس ! ... إن أندريه جيد لولم يكن متأثرا فى كتاباته بفيلسوف القوة نيتشه ، لما تهيأ له أن يتناول قلمه ليكتب ما كتب فى اليوميات ! .

ونعود إلى تهمتى السفاهة وقلة الحياء لنرد عليهما بكلمات من نقد كروتشه للمذهب الأخلاقى فى الفن ومنها يتبين مدى التناقض الذى وقع فيه الفيلسوف الإيطالى حين دافع عن حرية الفن فى مكان ، ثم عاد فهاجم الحرية فى مكان آخر ...

يقول كروتشه : « إن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب ، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء ، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا منحطة ، فهو — كفنان — لا يعمل ولا يفكر ، ولكنه يعبر ... إن فنا يتملق بالأخلاق أو اللذة أو المنفعة ، هو أخلاق أو لذة أو منفعة ولكن لن يكون فنا أبدا ! » .

ويقول : « لئن كانت الإدارة قوام الإنسان الفنان ، فليست قوام الإنسان الفنان ؛ ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإدارة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاقى ... إنك لا تستطيع أن تحكم بأن فرانسسكا Francesca دانتى منافية للأخلاق ، ولا أن جورديليا Cordelia شكسبير أخلاقية ، وما هما إلا لحنان من روحى دانتى وشكسبير ليس لهما إلا وظيفة فنية ، إلا إذا استطعت أن تحكم على المربع بأنه أخلاقى وعلى المثلث بأنه لا أخلاقى ! ... إن من تفرعات المذهب الأخلاقى قولهم إن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير ، ويبث فيهم كره الشر ، ويصلح من عاداتهم ، ويقوم أخلاقهم ، وإن على الفنانين أن يساهموا فى تربية الجماهير وتقوية الروح القومى أو الحزبى فى الشعب ، أو اذاعة المثل الأعلى الذى يفرض على المرء أن يحيا حياة بسيطة جاهدة وما إلى ذلك ... والحق أن هذه أمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة ذلك . فهل عجز الهندسة هذا يجردها من حقها فى الاحترام ؟ فليت شعرى لم يريدون إذن أن يجردوا الفن من مثل هذا الحق فى مثل هذه الحال ؟! »

هذه الكلمات التى يسوقها كروتشه ليدافع بها عن حرية الفن لا تتفق بحال وما ذهب اليه فى نقده لأدب الاعترافات ... ومع ذلك فلا يمكن أن نجد خيرا منها فى مجال الدفاع عن اعترافات روسو ويوميات جيد ! .

أنور المعداوى

كتاب جديد لتوماس مان :

« دكتور فاوستس » (*)

للأستاذ عمر حليق

هذا الإنتاج الفنى الرائع لأمير البلاغة الألمانية مقالة عن الحضارة الألمانية المعاصرة كتبها عقل يمثل هذه الحضارة خير تمثيل ويستوحى فيها ألواناً من التحليل الفلسفى العميق لنواحى العظمة والضعف فى العقلية الألمانية والخلق الألمانى .

وأكبر الظن أن الشعب الألمانى لن يقرأ هذا الكتاب ، ولن يتأثر به كما يريده توماس مان أن يتأثر . فهؤلاء التيوتونيون الذين يملكون القول الفصل فى حضارة أوروبا وسلام أوروبا وعظمة أوروبا مشغولون الآن بالجوع والحرمان والبلبلة السياسية والفكرية والسعى لإزالة هذا الحطام الذى تركته قنابل الأنجلوسكون وجحافل الروس فى أزقة المدن وحقول الأرياف ، وفى الأنفس البشرية التى تحطمت معنويتها فى موجات متلاصقة من زوابع سياسية تعصف بهم تارة من موسكو وطوراً من العالم الجديد .

فكتاب مان الجديد أسطورة فى تاريخ الأخلاق الألمانية وسجل لهذا الوضع المحزن الذى يكتنف الألمان من كل جهة فيسد عليهم منافذ الفكر والإبداع الفنى مؤقتاً على الأقل .

وأكبر الظن كذلك أن الشعب الألمانى لن ينتفع بالكتاب لأن مؤلفه اختار الوطن الأمريكى مقراً ، وكان قد استقر به فى أوائل النازية لاختلافه معها على حدود الدولة فى حرية الفرد وتفكيره وما يؤمن به ويدعو إليه من مبادىء ، وما يفسر به شؤون العقل والحياة مما لا يجد فى الفلسفة النازية مكاناً . وإذا صلح الحكم المطلق لتنظيم الفوضى السياسية والتفكك الاقتصادى فى فترة من حياة أمة فإنه لا ينبغى مطلقاً أن يقيد الفكر كما يقيد الانتاج الصناعى ، ويحدد كما يحدد اتجاهات السياسة .

وفوق ذلك فإن توماس مان ظنين الولاء لوطنه . كان المعجبون بعبقريته « وألمانيته » ينتظرونه ليعود فيشارك هذا الشعب النشيط مسؤوليته الجسيمة فى فترة عويصة يحتاج فيها إلى رسالته الفنية كما يحتاج إلى رسالة « شاخت » الاقتصادية ، ولكن مان - ولعله بتأثير زوجته اليهودية - لم يعد لألمانيا بعد ، ويبدو أنه لن يعود ، وهو يقطن الآن على بعد دقائق من هوليود مدينة السينما .

على أن ولاء توماس السياسى لا يعرف حدوداً إقليمية كمعظم المثقفين المتازين ، ولكن ولاءه الثقافى لا يزال ألمانياً ، فلا يكتب بغير الألمانية ، ولا يكتب إلا عن الألمانية ، ولا يجارى هؤلاء اللاجئين من كتاب أوروبا الوسطى - ومعظمهم يهود - فى تهالكهم على الإندماج فى الثقافة الأمريكية المزدهرة اندماجاً فيه كثير من النفاق ، وفيه كثير من « المادية » التى تفسد مقاييس الإعجاب الفنى والإنتاج الفنى .

هذا الكتاب الجديد دراسة للملة الألمانية ، وتوماس مان حريص على أن لا يوصى بعلاجها أو بإيجاد حل لها ، فإذا قرأته - وقراءته من أمتع القراءات فى الأدب الغربى المعاصر - خرجت منه بشىء واحد ، وهو أن هذه العلة الألمانية حقيقة ثابتة ، لم تستمد وجودها من النازية ولكن من صميم الثقافة الألمانية والخلق القوى الألمانى .

هو حوار بين توماس مان ونفسه ، وهو تحليل لهذا الانفعال العقلى الشديد الذى ألم بتوماس مان بعد أن شاهد المحنة تلم بالثقافة التى ولد فيها وأحبها وأنشد روائعها فى قوة وإجادة . وهذا الحوار قصة بطلها فنان ألمانى معاصر هو (أدريان ليفركون Adrian Levrkoin) ، وهو مجدد موسيقى توفى فى أوج المجد النازى عام ١٩٤٠ قصها على القارىء أستاذ فى مدرسة ألمانية اختلف مع النازية حول فلسفة التربية فانزوى فى الأرياف يكتب ويفكر ، فلا هو منقطع عن الحياة الألمانية - فإن له ولدين فى الجيش - ولا هو قانع بالاتجاه الذى تسير فيه هذه الحياة الألمانية .

والظاهرة الخالدة التى تتكرر فى إنتاج توماس مان هو هذا التوازن فى الوضعية ، والصراع العقلى الذى ينشأ عن هذا التوازن - صراع الآمن فى عزلته فى الأرياف ، والفنان الثائر على الوضع يحمل على أكتافه عبء المعرفة ، الصراع بين

(*) الطبعة الأصلية بالألمانية نشرت فى ستوكهولم بالسويد والترجمة الألمانية بدار Alfried Knopf New York

« الصحيح » و « المعتل » . خذ أى قصة من قصص توماس مان (جبل السحر) (بود نبروك) (يوسف وأخوته) يأسرك هذا الصراع ، إذ أنه سبيل إلى تمليل كلا الوضعين فى اتزان العقل الألمانى المدقق الذى جعل من قصص مان إنتاجاً فلسفياً بالإضافة إلى كونها روائع أدبية خالدة .

ولقد حبك توماس مان هـذه القصة فى مهارة تنتزع منك الإعجاب .

فراوى القصة (الأستاذ المتقاعد) يعبد عبقرية بطل القصة أدريان ، وهذه العبادة ليست وليدة التقدير الحق لهذه العبقرية ، ولـكن من قبيل عبادة الأبطال ، وهى ظاهرة متأصلة فى العقلية الألمانية تعمد توماس مان إبرازها لأنها من الأسس الراسخة التى تدفع الألمان أن لا يسلكوا على نحوما سلكوه مع هتلر ومع غير هتلر ممن تعاقبوا على الزعامة فى التاريخ الألمانى .

هذه العبادة هى مزيج من العقل والعاطفة ، وهى المسؤولة عن هذا الولاء الشديد ، هـذا التفانى فى المطاوعة والامتثال التى تتأصل فى الخلق الألمانى .

فأدريان فنان مترفع — يعلم مقدار عبقريته وينزع إلى الغلظة والشراسة بفضل هذا العلم ، وذلك لأنه تواق لأن يوفى هذه العبقرية الفنية حقها لا أن يجارى المعجبين .

وأدريان رجل يعيش فى المجتمع ولـكنه لا يتقيد به ؛ ذلك لأنه نذر نفسه لأن يخدم هـذه العبقرية وأن يوفى الفن حقه فى الإنتاج والإبداع . فألقى فى نفس أدريان أن يحمل الإبداع إلى أبعد ما يستطيعه الخيال . وهذا الوضع الذى صاغ فيه توماس بطله أدريان هو وضع العقلية الألمانية التى تميل إلى العزلة عن المجتمع الإنسانى لأنها فخورة بهذا العمق الثقافى وهذه المهارة المادية ، ولأنها تود أن تستغل هذا العمق وهذه المهارة لأنهـا تعتقد بأن البروز والتجلى يستلزمان واجبات للمضى قدماً فى إعلاء هذا البروز وهذا التجلى .

ولك أن تفسر النداء الهتلرى « ألمـانيا فوق الجميع » بأنه خلاصة لهذا الاتجاه العقلى لدى الألمان صيغ فى لغة شعبية .

استمع إلى أدريان يحدث صديقه المدرس (راوى القصة) عن حرب ألمانيا الأولى (١٩١٤) ويدافع عنها بأنها الوسيلة الوحيدة لألمانيا لأن تحقق ما هى خليقة به بحكم كيانها ومقوماتها العقلية والنفسانية والمادية :

« إن فى قرار العالم مشكلة واحدة ، وهذه المشكلة هى العالم نفسه ، كيف يمكن للمرء أن ينفذ منه ؟ وكيف يخرج منها إلى الفضاء ؟ ما السبيل للمرء أن يشق الغشاء ويخرج إلى النور كالفراشة ؟ » .

والجواب عن كل هذا راسخ فى عقل أدريان ومستمد منه . فلم يشأ توماس مان أن يصيغ الجواب فى شىء أقل عنفاً من مرض الزهرى الخبيث .

فأدريان على ترفعه وعمق ثقافته وعبقريته أحب عاهرة نقلت إليه المرض . كانت الشيطان يزين له الخروج من محنته فآمن بها وتمتع ووجد مخرجاً ولـكن إلى حين — وبثمن باهظ . استمع إلى أدريان يقول :

« إننا لا نخلق من العدم شيئاً جديداً — فذلك من شأن الآخرين . إننا نفرج عن أنفسنا فقط ، ونطلق الحرية . إننا ندع الموج والشعور بوطأة النفس والشكوك وسواها تذهب إلى الشيطان . فعليك أنت أن تمهد السبيل ، فاضرب فى الأرض وشق الطريق إلى المستقبل فإذا الصبية يتبعونك ، فهم ليسوا بحاجة إلى جنون ليفعلوا ذلك ، فجنونك أنت كفاهم شر الجنون . فعلى جنونك يعيشون أصحاء ، وعلى أكتافهم تعيش أنت صحيحاً . أفهمت ؟ فإنك لن تشق لنفسك الطريق وسط صحاب الزمن ، بل إنك تشق الطريق وسط الزمن نفسه ... واحرص على أن تكون بربريا . بربرياً مضاعفاً لأنك آت فى أعقاب اللطفاء » .

هـذه محنة ألمانيا وسوادها مستمد من صميم القوى الألمانية نفسها .

وقصة توماس مان ليست على هذه البساطة ، فالحبكة الفنية فيها بارعة . وهذه المحنة ليست محنة النازية فإن مان يكاد يتجاهلها . فهى محنة العقلية الألمانية كما هى وكما كانت ، ولعل الألمانى حين يتساءل كما تساءل أدريان :

« لماذا يبدو لى كل شىء فى هذا الـكون مشوه الأوضاع ؟ » لا يصور انفعالاته فقط ، بل يصور نفسه كذلك ومعه المجتمع البشرى بأسره .

(نيويورك) **عمر حليق**

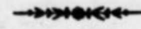
سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

طرائف من العصر المملوكي :

رسالة الدار عن محاورات الفار

أو فن القصة

للأستاذ محمود رزق سليم



هذا عنوان طريف حقاً ، يثير الطرب ، ويدفع السامع إلى تلمس الخبر واستطلاع الأثر . فكم للفار بين الدار من آثار ، وكم للدار عند الفار من أخبار ، وما ينبئك مثل خبير . فهو ربيب فتوقها ودعي شقوقها . إتخذ من أحجارها مأمنه ، وبين جدارها مسكنه . فحفظ أخبارها وكتم أسرارها . والدور تتقلب بها الأيام كما تتقلب بالرجال . فتشقى مرة وتسعد أخرى . وتفيض تارة بالخير ، وتبوء تارة بالفراغ منه . وعليها من خارجها طلاء يغشى جدرها ، يبهر العين ويخدعها عما وراءها .

أما الفار فهو بها الضيف المقيم ، والزائر الذى لا يريم . يشاركها فى سرائها وضرائها . يسعد إذا هبت عليها انسام السعادة ، ويشقى إذا عصفت بها ريح الشقاء .

وكثيراً ما تضم دور الكرماء طوائف الفيران وجماهير الجرذان . ولها مما فضل نصيب ، تمد منه الموائد ، وتتنادى إليها ضيافن ، لم يوجه لها نداء ولم يرسل إليها استدعاء ، فحسبها أنها فى دور الكرماء ! فتملأ البطون وتعبىء الحصون ، وتمهد إلى وقت سامرة ، وتنقلب إلى مخادعها شاكرة ذاكرة . — أما دور البخلاء — جنبت جنابها ووقيت أعتابها — فإنها لا فضل فيها لجائع ، ولا ثمالة لظامىء ، ولا ستر لمحروم . طالما نصب أهلها للفار المصائد ، ودبروا المكائد . فانقلب عنهم ساباً شاتماً يذكرهم بكل قبيحة ، ويرميهم بكل مذمة : ونفسه فياضة منهم بالعجب لأنهم يختزنون — فضلا عن المال — ألواناً من الطعام والشراب . فإذا لم يكن للفار فيها نصيب ، فلمن يختزنونها ، ولأى شىء يقتنونها ؟

والعجب كل العجب أن يلتئم الغنى والبخل ، وينسجم الفقر والبذل ! أما الأغنياء فبخلاء ، لا يَنون باسم الأناقة والنظافة ، والخوف من الداء وانتشار الوباء ، يرأبون الصدوع ، ويسدون الفرج ، ويملطون الدهان ، ويبثون الفخاخ . وإذا طعموا فبالقسطاس ، وإذا شربوا لا يبقون فى الكاس . وإذا أفضلوا فاليسير من الفتات الذى لا يصلح للأقوات ؛ فلا يقوى عليه الضعيف ، ولا يسمن منه النحيف .

أما الفقراء فكثير منهم كرماء . ينضحون بالبر على بنى الحيوان من الإنسان وغير الإنسان . يتهاونون فى الحرص على أطعمتهم وأشربتهم ، ويهملون الجدار حتى يمتلىء بالأحجار ، فتمج بالزائرين من كل أمة .

والفار بينهم من الأعيان ، يجد فى الدار مسرحه ، وفى الجدار مطرحه . وله بين هذا وتلك ما شاء من طعام وشراب ...

وتنعقد بينه وبين الدار صحبة يمتنها المقام ويمكنها الالف ، فلا يبنى كلما بان عنها يذكرها ، وهى لا تفتأ كلما غاب تتفقده ... ولو على رضا منه ، وكره منها .

وكثيراً ما تنتقل الصحبة بينهما من الدار إلى أصحابها ، ومن الجدر إلى أربابها . فتزول الوحشة ، ويقوى الأنس ، وتستأنس العين . حتى ترى وفود الفار تترى زرافات لا تهاب ولا توجل . وتدير أعينها فى الحاضرين كأنما تتقاضاهم أجر الحراس وثمن الإيناس ...

وهذه الدار التى تنشر رسالتها وتقص للناس قصتها ، وتحب أن تحدثهم عن الفار ووفوده إليها ، وتبسط لهم ما دار بينها من الحوار عن عهد رخائها وبؤسها ، وأيام عزها وليالى تعسها ، هى دار شاعر ! عاش فى العصر المملوكى . وهو عصر ، كما علمنا ، لم يدر للشعراء دره ، عاشوا فيه عيش الحرمان ، بينما سال سيل خيره فى غير مجاريهم ، وفاض ثريه دون ودیانهم .

أما الشاعر فهو صفى الدين الحلى الذى طوحت به الأيام فنزح عن بلاده ، وحمى آبائه وأجداده ، إلى ملوك بنى أرتق بماردين ، وتنقل فى مساكنها من دار إلى دار ، حتى استقر فى « دار ابن الدكناس » وكتب على لسانها هذه الرسالة .

ولهذه الرسالة أو المقامة سبب اتخذه الشاعر الناثر وسيلة لأن يكتبها على لسان داره .

وقد أفصح عن هذا السبب بقوله :

« أنشأتها عن لسان الدار التى أسكنها بعاردين ، وتعرف بدار ابن الدكناس ، إلى القلمة الشهباء . وأرسلتها إلى السلطان الملك الصالح أبى المكارم شمس الدين . أشكو بفحواها مماطلة نائب له بدين ، كان بعضه لى ، وبعضه على يدى ، بمبلغ طائل كتبه على نفسه ، وأخرجه على مصالح الدولة ، وتعذر عليه وفاه . ولم أوثر مخاشنته لسابق صحبة بيننا . فأنشأتها على سبيل الخلاعة والمزاح . فلما وقف السلطان عليها أطلق المال من خزانته العالية . » الخ .

وقد بدأت الرسالة بأن تكلمت الدار . فسمت ، وتقدمت وتسمت . وأخذت تخاطب القلمة الشهباء مقام الملك الصالح فدحتها وأثنت عليها . ثم انتقلت إلى الشكوى مما أصابها من هجر ما لسكها الأول ، بعد أن رأت منه ضروباً من العز والنعيم والتمتع . ثم مما كابدت من بعده من هم وبؤس . حتى هال فيرانها بؤسها ، فتحدثت عنه فيما بينها ، وأهمها أمرها ، فتناقشت فيه واتخذته موضوعاً لجدال جاد .

فقام من بين الفيران خطيب سرد قصة الدار على سامعيه ، ثم أوصاهم بالساكن الجديد خيراً . — والساكن الجديد هو صفى الدين ! . — ثم تحدثت الدار عما كان من أمر صفى ، وكيف أنه أعاد إلى رحابها عهد السرور والأنس ، ومد فيها موائد الحبور والبهجة ، حتى ضاقت ذات يده ، وتغيرت به الأحوال ، وتقلب عليه الليل والنهار . حتى جأرت الدار بالشكاية له ورثى لحاله فيرانها ، وعاد أمره بينها مثارا لجدل جديد …

ثم بينت أن سبب نكبته ، ذلك الدين الذى أقرضه لنائب السلطان … وتضرع الدار فى الخاتمة إلى القلمة الشهباء أن ترثى لحالها وتقبل شفاعتها فى ساكنها ، حتى يرد إليه دينه فتسمد حاله .

هذا ملخص سريع لمقامة صفى الدين . ومما قالته الدار فى مفتتحها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . المملوكة والمحرومة المرحومة ، الموحشة بعد الإيناس ، دار ابن الدكناس ، تقبل الأرض بين يدى القلمة الشريفة ، والذروة المنيفة . المعززة الثناء سيدة القلاع ، وواسطة عقد البقاع ، وإنسان عين اليفاع ، التى قلائدها النجوم ، ومطارفها الغيوم ، وقرطاها الفرقدان ، وقلباها السماكان . ونطاقها الجوزاء . ومجولها الهواء . وفرقها المجرة ، ونثر إكليلها الإكليل والنثرة ، حصن النجباء وكهف الغرباء وكعبة الأدباء . القلمة الشهباء . » … الخ ومن شكواها قوله :

« وتنهى أن المملوكة ، والمظلومة المضنوكة ، يسكنها الحياء والأدب . وينطقها الإعياء والنصب . وشكوى الجماد إلى الجماد ، كشكوى العباد إلى العباد . وإن المعهود ، من تقادم العهود ، أن الله إذا خص مخلوقا بنعمه ، عم بها أبناء جنسه ، وأشركهم فيها مع نفسه » . إلى أن قالت تصف حالها بعد ساكنها : « فلما طوحت بساكنها الأيام ، إلى أقصى الشام ، جفاها الإخوان حيناً طويلا ، وهجرها الرفاق هجراً طويلا ، فكابدت بعده هما وبوسى ، وأقامت فارغة كفؤاد أم موسى . لا تجد أنيساً فى عراصها القفار ، ولا تسمع حسيساً غير صهيل الفار . حتى رثت لها أكثر البيوت ، وخيم على وجهها أسرة العنكبوت » … الخ .

ومن كلام الجرذ الخطيب فى إخوانه ، قوله بعد حمد الله والصلاة على النبى بتطويل وتنويع ، موصياً إخوانه بحسن لقاء الساكن الجديد — صفى الدين — راسماً لهم سياسة هذا اللقاء :

« هذه الدار المباركة أول تربة بركم أترابها . وأول أرض مس جسمكم ترابها . فلا يمكن على أيديكم خرابها . ألا وإنها منذ خلا مسكنها من ساكنها ، وتمكن العفاء من أماكنها ، جعلتموها ندوة نهاركم وليلكم ، وحلبة رجلكم وخيلكم ، والآن فقد انجابت عنها أيام البئوس ، وأفلت طوالع النحوس ، ولحظها الدهر بعين الرضا ، وقضى بسعدها فصل القضا . وتولاها نعم المولى . وابتدر لسكناها الصفى الحلى . وفى يومكم هذا يرسل إليكم من يلم شعثها ، ويطهر خبثها . ومتى رآكم بها سارين وفى قرارتها راسبين . كره مغناها ، واتخذ لنفسه سواها . فعاد ربعها كالرمس . ومتى تقبلها إذا قابلها ، أخصب ربعها ، وتعدى إلينا نفعها . ألا وإن من استرشد بحكمتى ، واتبع كلمتى ، أثبته فى أمتى ، وأتممت عليه نعمتى » …

والرسالة تقع فى نحو سبع صفحات من القطع المتوسط . وهى فكاهية النزعة إلى حد كبير ، جميلة الأسلوب رقيقة العبارة تمتاز عن رسائل صفى الدين الأخرى ، بالوضوح والسلاسة بالرغم من قيود البديع التى راعاها ؛ ولكنها سلمت من التعسف والثقل . وبها بعض الملتزمات اللفظية التقليدية للرعية فى رسائل العصر من نحو « المملوكة » و « تقبل الأرض » و « تنهى » .

واجتمعت بها أغراض كتابية عدة منها الدعاء والشكوى والمدح والوصف والمجون والحكمة .

وقد عرضنا فى هذا المقال لهذه الرسالة لكى تبرز إحدى خصوصياتها الهامة ، وهى القص والحوار . ونستطيع أن نفهم منها أن فكرة النثر التمثيلى كانت تتراءى فى مخيلات بعض الكتاب فى ذلك العصر . وإن نقصها شىء من الإطالة ، والتناسق وحسن الترتيب وقوة الحبكة وروعة الوقائع ودقة الاتصال بينها .

حقاً ! أصبحت القصة فى عصرنا الحديث فى مقدمة فنون القول ، وكذلك التمثيليات . وألف من هذه وتلك ، وترجم عدد لا بأس به . وتناولها النقاد على اختلاف نزعاتهم بالنقد والتنويه والتعليق والتوجيه . وهم يبذلون محاولات جاهدة لكى يقننوا نقدهم ، ويضعوا له الأسس والمناهج ، حتى يعاونوا على تشييد صروح القصة والتمثيلية على دعائم متينة تسمق بفضلها إلى الكمال المنشود . —

غير أننا نكلف الأيام ضد طباعها ، ونرهق الزمن بما لا يطيق إذا نحن حاسبنا الأقدمين وفق شروطنا ، ووزنا أعمالهم بموازيننا، ضاربين الذكر صفحاً عن الفروق بين ملابساتنا وملابساتهم ، واتجاه الزمن بنا وبهم .

والذى نحب أن ننوه به هو أن القصة كانت لها حياة ، وكان لها وجود ، فى العصر المملوكى ، ولو إلى حد ما . وأن من مظاهر حياتها — فضلا عن القصة الصريحة — المقامات والمحاورات والمفاخرات والموازنات والرسائل الوصفية ، وتراجم الرجال والأبطال .

وفى مقدمة ما نشير إليه من ذلك كله كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » .

ومؤلف هذا الكتاب هو شهاب الدين أحمد بن عربشاه الطبيب والمؤرخ الأديب صاحب كتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » أصله دمشقى أنصارى ، ولد بدمشق عام ٧٩١ هـ ، وقد هاجر مع أسرته منها حينما دهمها تيمور لنك التترى ، وطوحت به الأيام حتى طاف بآفاق أسيوية عدة ، ثم عاد إلى بلاد الأتراك العثمانيين واشتغل فى ديون إنشائهم ، وأتقن عدة لغات ، ومهر فى جملة علوم . واعتزل العمل بأخرة ، وعاد إلى وطنه . ويمم شطر حلب ، وزار مصر فى عهد سلطانه جقمق العلائى وقال السخاوى إنه لقيه بها عام ٨٥٠ هـ . وقد لبث بمصر حتى وافاه أجله عام ٨٥٤ هـ ودفن بالخانقاه الصالحية .

نعود بعد هذا إلى كتابه « فاكهة الخلفاء » . فهو مؤلف قصصى بديع ، اجتمعت فيه الأمثال واكتنزت به الحكم وتجلت به ضروب الدهاء والحيل ، وغير ذلك من عدالة وصدق وأخلاق إنسانية ، لا بأسلوب فج جامد خشن صريح ، ولكن بأسلوب قصصى جذاب ممتع فيه خيال وتصوير ، فروى على ألسنة الحيوان مما يمشى على أربع ، ومما يطير بجناحين ، ومما يزحف على بطنه . فهو إذاً غير مبتكر لهذا الضرب من القص ، فقد سبقه به فى العربية عبد الله بن المقفع أول من سن هذه السنة الحسنة لمن جاء بعده من الأدباء والقصاصين فى كتابه « كليلة ودمنة » غير أن ابن عربشاه كان مبتكراً فى صلب القصص ومتن الحكايات . وقسم الكتاب إلى عشرة أبواب فى كل منها قصة طويلة يستطرد خلالها إلى قصص جزئية أخرى . ومن أبوابها — على سبيل المثال — باب فى نوادر ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع ...

وقد جمع ابن عربشاه فى أسلوب قصصه بين طريقة ابن المقفع وطريقة كتاب المقامات وبخاصة الهمذانى والحريرى .

فابن المقفع ابتدع — كما يقال — شخصية «دبشليم» الملك أحد ملوك الهند ، يجلس فى محفله ويطلب إلى شخصية أخرى هى « بيدبا » الفيلسوف أن يحدثه ويضرب له الأمثال ، فيحدثه بيدبا ويقص قصصه على ألسنة الحيوان . وكذلك فعل ابن عربشاه فإنه افترض ملكا عظيما يحدثه رجل حكيم . ولكن بفارق يسير . ذلك أن الملك والحكيم كليهما أخوان لأب واحد كان من قبلهما ملكا عظيما خلف أبناء خمسة . وملك من بعده كبيرهم هذا وعاش الأربعة تحت ظله فى وئام وطاعة ، حتى عصفت بينهم ريح الشقاق والخلف . فتنافرت القلوب وتجافت النفوس وتفرقت الأهواء، فهال الأمر أصغرهم واسمه «حسيب» وكان حكيما فيلسوفا زاهداً . ولم يتركه أهل النم والوقيعة حتى أفسدوا ما بينه وبين أخيه الملك . فجمعه الملك فى حفل من أعيان دولته ، وأخذ يستطلع علمه وحكمته رغبة فى التشهير به وتسفيهه . ففاض بينهم بحكمه وأمثاله ، وساق قصصه على ألسنة الحيوان ، وتكرر الحفل وتمدد القص ، حتى اعترف له الجمع بالفضل والنبل .

(البقية فى العدد القادم)

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٢ —

تكلمت[1] في المقال السابق عن تميم مشيراً إلى أنها كانت تسكن جزءاً من نجد .

وأذكر أنها مع القبائل التي تجاورها يشتركون في بعض اللهجات ، وإذا ما وردت لهجة في كتب النحو والقراءات واللغة خاصة بنجد كانت شاملة ضمنا لها . كما يغلب أن تشترك القبائل النجدية الأخرى فيما يذكر لهذه القبيلة ، لتجاورهم في المسكن وقرب اتصالهم . وتميم شاركت أحيانا قبيلة أسد لمجاورتها لها من ناحية وشاركت بكر بن وائل من ربيعة لمجاورتها لها من ناحية أخرى وشاركت لخما المتأثرين بالفرس لمجاورتها لهم من ناحية ثالثة ، وما ذلك إلا لأن تميما منها بطون كثيرة كيربوع وطهية ودارم ومازن وحنظلة . وقد تنفرد كل قبيلة مجاورة لتميم بما يؤثر عنها من لهجات وذلك ما نراه حادثا حتى الآن في بلدين متجاورين من اختلاف في معاني الألفاظ أو طريقة أداء الكلمات .

وسأعرض للهجة كل قبيلة مستقصيا ذلك ما أمكن مشيراً إلى ما كان للهجتها من أثر في القراءات أو اللغة أو نحوها وصرفها وأولى اللهجات التي سأذكرها هي لهجة تميم .

١ — ما الحجازية وما التميمية :

تعمل « ما » عمل ليس في لهجة الحجازيين فترفع الاسم وتنصب الخبر بشروطها . أما عند التميميين فلا تعمل ويكون الاسمان بعدها مرفوعين . وجاء في القراءات على لغة الحجازيين : « وما منكم من أحد عنه حاجزين » « ما هذا بشرا » و « ماهن أمهاتهم » وقد قرأ عبد الله بن مسعود على لغة التميميين برفع بشر وقرأ المفضل عن عاصم برفع أمهاتهم على لغتهم . وقد تظرف أحد الشعراء النحاة حيث يذكر لنا أنه طلب من محبوبه الانتساب إلى قبيلته فلم يجبه بصريح القول ، وإنما ذكر له تعبيراً فهم منه القبيلة التي ينتسب إليها فقال :

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب   فأجاب : ما قتل المحب حرام

فاجابته « ما قتل المحب حرام » أفادت أنه تميمي لأنه لم يعمل « ما » تنصب الخبر ، ولو قال : ما قتل المحب حراما ، لفهم منه أنه حجازي .

٢ — لغة تميم وكثير غيرهم عدم الفك في المضارع المضعف المجزوم والأمر : مثل شد ولم يشد قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفي القرآن قوله تعالى : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » في قراءة القراء ما عدا نافعا وابن عامر وأبا جعفر الذين قرءوها بفك الأدغام وقوله تعالى « لا تضار والدة بولدها » في قراءة من جعل « لا » ناهية وتضار من الضرر وهم ما عدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدي الذين جعلوا « لا » نافية فرفعوا وأبا جعفر في بعض طرقه الذي جعل تضار من ضار يضير وما عدا الحسن الذي فك الإدغام فقرأها لا تضارر . وقوله تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » بالجزم وتشديد الراء رواية أبي زيد عن المفضل عن عاصم ، أما الباقون فبالرفع أو جعلوا الفعل من ضار يضير وجزموا ، وقرأها أبي بن كعب يضرركم مجزومة ، بفك الإدغام .

وقد ورد كثير في القرآن على لهجة الحجازيين ، منه قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم » « إن تمسسكم حسنة تسؤهم . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . اشدد به أزري . واغضض من صوتك . واحلل عقدة من لساني ... » .

وهناك من بني تميم من يحرك آخر الأمر في المضعف بحركة فاء الكلمة فيقول مُدُّ بضم الدال تبعاً للميم وعضَّ بفتح الضاد تبعاً للعين وعِزّ بكسر الزاي تبعاً للعين . إلا أن القبائل العربية جميعها اتفقت على الإدغام في هلم وحركت آخرها بالفتح ما عدا قبيلتي كعب وغنى فانهما حركتاه بالكسرة غاية ما في الأمر أن الحجازيين استعملوا هلم[1] للمفرد والمثنى والجمع تذكيراً وتأنيثاً

(١) ذكر صفوان بن سالم في المقال السابق وصحته صفوان بن عسال أما سالم فخطأ من الطبعة الموسوية لكتاب الاتقان .

(١) واستعملت هلم في القرآن على لغة الحجازيين « قل هلم شهداءكم » و « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » .

بدون إلحاق ضمائر وبنو تميم ألحقوا بها ضمير المؤنثة والمثنى والجمع بنوعيه . كما اتفقت قبائل العرب على فك الإدغام فى صيغة التعجب التى على وزن أفعل به فيقولون أحبب بمحمد .

٣ — يجوز الإبدال عند التميميين فى الاستثناء المنقطع التام المنفى ، والمنقطع هو ألا يكون الاسم الذى بعد إلا من جنس ما قبلها ومنه قول الشاعر :

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن   لنا خاطب إلا السنان وعامله

وقوله :

وبلدة ليس بهـــا أنيس   إلا اليعـــافير وإلا العيس

فالسنان مرفوع وهو بدل من خاطب ، واليعافير مرفوع وهو بدل من أنيس .

قال الزمخشرى فى قوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » إنه استثناء منقطع جاء على لغة بنى تميم أما غير التميميين فيوجبون النصب فى مثل هذا الاستثناء .

٤ — بعض بنى تميم ومثلهم بنو عامر يجعلون إعراب الملحق بجمع المذكر السالم فى آخره ويلزمونه الياء وينونونه إذا كان نكرة ولا يحذفون النون فى الإضافة وذلك فيما عدا عشرين وأخواتها فإنها تعرب كجمع المذكر السالم وقد جاء عليه قول الشاعر :

دعانى من نجد فان سنينه   لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

لكن القراءات جاءت على الأكثر : وما أدراك ما عليون الذين جعلوا القرآن عضين . عن اليمين وعن الشمال عزين . فلبث فى السجن بضع سنين .

٥ — يربوع وطهية بطنان من تميم يبنون حيث على الفتح دائماً يقولون : حيث التقينا ومن حيث التقينا بفتح الثاء فيهما وقد قرأ عبيد بن عمير الليثى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » بفتح الثاء والمشهور فى حيث البناء على الضم وبعض القبائل تعربها .

٦ — لغة تميم ومثلهم فى ذلك قيس وأسد وربيعة كسر حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون . وقد قرأ زيد بن على ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير إياك نعبد بكسر النون[1] ، وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلى وأبو نهيك « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بكسر التاء فيهما ، أما بعض قبيلة كلب فإنهم يكسرون جميع أحرف المضارعة .

٧ — الإمالة لهجة تميم وعامة نجد من قيس وأسد ، وهي الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء لأسباب تكفلت بها كتب النحو والقراءات وأشد القبائل حرصاً على الإمالة تميم وفى الحجازيين إمالة قليلة إلا أنها فى الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وجميع القراء الأربعة عشر أمالوا ما عدا ابن كثير وابن محيصين المكيين . والذين أمالوا لهم شروط خاصة وقد يتفقون وقد يختلفون . والفتح يقابل الإمالة فى اصطلاح القراء . وفى القراء من تقل إمالته كابن عامر وفيهم من تكثر والمكثرون منهم من يميل إمالة صغرى كطريق الأزرق عن ورش ومنهم من يميل إمالة كبرى كحمزة والكسائى وخلف ومنهم من يكون بين الصغرى والكبرى كأبى عمرو ، فمثلا حمزة والكسائى وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن فى اسم أو فعل وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى والسلوى وذكرى ، وألحقوا بذلك موسى وعيسى ويحيى وكل ما كان على وزن فعالى بالضم أو الفتح كسكارى ونصارى وكل ما رسم فى المصاحف بالياء نحو بلى ومتى واستثنوا من ذلك حتى وإلى وعلى وما زكى فلم تمل بحال وأمالوا من الواوى ما كسر أوله أو ضم كالربا والضحا وأمالوا وأمال غيرهم من القراء غير ذلك مما لا يحصره بحثنا الآن .

٨ — النبر والتخفيف فى الهمز :

أحرص العرب على تحقيق الهمزة تميم . وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا قال ابن منظور فى لسان العرب « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا » . وفى الرضى على الشافية « تخفف الهمزة قوم وهم أهل الحجاز ولا سيما قريش » هذا وبعض تميم فى الهمزة التى تكون آخر الكلمة وقبلها ساكن عند الوقوف عليها يبقون الهمزة ويتبعون العين الفاء فى الرفع والنصب والجر فالبطء بضم فسكون والرِّدء بكسر فسكون والخبء بفتح فسكون يقولون فيها هذا البطؤ بضم الباء والطاء والردئ بكسر الراء والدال والخبأ بفتح الخاء والباء ، ومن تميم من يبقى الهمزة وينقل حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا وذلك فى حالة الوقف فيقولون هذا البُطُؤ بضم الباء والطاء ورأيت البطأ بضم ففتح ومررت بالبطىء بضم فكسر

(١) قرأ عبيد بن عمير وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش « نستعين بكسر النون » .

أما الحجازيون فإنهم يحذفون الهمزة وينقلون حركتها إلى ما قبلها إذا كان سا كنا فإذا كانت آخر الـكلمة حذفوا الهمزة ووقفوا على ما قبلها إذا كان سا كنا وفى حالة التنوين فى المنصوب وقبل الهمزة سا كن يقلبون التنوين ألفا لا غير ويحركون السكون قبلها يقولون رأيت بطا وردا وخبا . والتى قبلها متحرك تدبر بحركة ما قبلها فالخطأ تقلب ألفا دائما رفعا ونصبا وجرا وأكمؤ تقلب واوا دائما وأهنئ تقلب ياء دائما وقد روى أن قوما من جهينة جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بأسير وهو يرعد من البرد فقال لهم « ادفوه » أراد عليه السلام ادفئوه من البرد فحسبوا أنه يريد الإجهاز عليه من قولهم دفوت الجـريح أدفوه دفوا إذا أجهزت عليه فذهبوا به وقتلوه فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم ديته .

وإن اختلاف القراء فى التخفيف والنقل واسع جدا وأكثر ما يرد التخفيف من طريق القراء الحجازيين كابن كثير وابن محيصين المكيين ونافع وأبى جعفر المدنيين وأبى عمرو التميمى البصرى لأن مادة قراءته عن أهل الحجاز . ومما يلحق بهذا أن التميميين يقولون فى الأمر من سأل اسأل وقد وردت كثيرا فى رواية حفص عن عاصم : فاسأل الذين يقرءون الـكتاب . واسأل القرية . فاسأل بنى إسرائيل . فاسأل به خبيرا . واسألوا الله من فضله » . أما الحجازيون فيقولون فى الأمر سل ، وقد جاءت فى رواية حفص أيضا « سل بنى اسرائيل . سلهم أيهم بذلك زعيم » وبعض القراء كابن كثير ، يقرأ ما جاء فى رواية حفص بلغـة الحجازيين فيحذف الهمزة وينقل حركتها إلى ما قبلها فمثلا : واسأل القرية يقرؤها وسل القرية » .

٩ — لغة تميم تسكين الوسط المتحرك تخفيفا قال السيوطى فى كتابه الإتقان(١) : قال أبو عبيدة : أهـل الحجاز يفخمون الـكلام كله إلا حرفا واحدا وهو عشرة إذا ركبت مع احدى واثنتين إلى التسع فانهم يجزمونه ، وأهل نجد يتركون التفخيم فى الـكلام إلا هذا الحرف فانهم يقولون عشرة بالـكسر : وقد قرأ جمهور القراء بسكون الشين وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وابن أبى ليلى والمطوعى عن الأعمش بكسر الشين وذلك فى قوله تعالى « اثنتا عشرة عينا » . هذا وقد ورد فى القرآن كثير من الألفـاظ قرئت باسكان وسطها وتحريكه كرسلنا وخطوات ونهر ولا يمـكن حصرها وحصر قرائها فى مقال ، وقال جرير على طريقة التميميين :

ســـيروا بنى العم والأهواز منزلـكم
ونهر تيرى فما تعرفـكم العـــرب

باسكان الفاء من تعرفـكم مع أنه لم يسبقه جازم .

ومما يلحق بهذا الإسكان ضمير الغائب والغائبة هو وهى ، فالتميميون إذا سبقه الواو(١) أو الفاء أو اللام أو ثم ، يسكنون الهاء . وهى تجرى بهم . وهو بكل شىء عليم . فهو خير لـكم . فهى خاوية . لهى الحيوان . ثم هو وقد قرأ أبو عمرو والـكسائى ونافع من رواية قالون والحسن واليزيدى بالإسكان وأبو جعفر فى أغلبها بالإسكان ، أما الحجازيون فإنهم يتركون الهاء على حركته بدون تسكين وهو ما جرى عليه باقى القراء .

هذا ولا يفوتنى أن أذكر أن إسكان الوسط يكون عند اجتماع ثلاث حركات وأن قبيلة أسد وبعض سكان نجد يشاركون تميما فى ذلك كما أن بعض القراء لا يسكن الحرف ولا يحركه وإنما يجرى على ما يسمونه اختلاسا وهو الإتيان بأكثر الحركة فمثلا « بارئكم » قرئت بكسر الهمزة وباسكانها وباختلاس الـكسرة .

١٠ — لغة تميم فى « أنا » ضمير المتكلم إثبات ألفه وصلا ووقفا أما غيرهم فإثبات الألف وقفا وقد قرأ نافع(٢) وأبو جعفر مع أنهما مدنيان باثبات الألف فى الوصل فى مثل قوله تعالى : « أنا أحيى وأميت » . أما باقى القراء فبالحذف وصـــلا .

١١ — « هيهات » لغة تميم فيهـا بناؤها على الـكسرة ، وكذلك قبيلة أسد وبهـا قرأ أبو جعفر « هيهات » ، أما لغة الحجازيين فبناؤها على الفتح ، وبها قرأ الباقون .

١٢ — اللذان واللتان وهذان وهاتان لغة تميم فيها تشديد النون وكسرها وبها قرأ ابن كثير مع أنه مكى أما باقى القراء فبكسر النون بدون تشديد .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

---

(١) وقال السيوطى فى موضع آخر من كتاب الاتقان ، إن تسكين الشين لغة تميم وكسرها لغة الحجاز وفتحها لغة بلى . لـكن الرواية السابقة صريحة فى أن كسر الشين من عشرة انفردت به تميم . وفى تفسير البحر ما يؤيد ذلك وفى لسان العرب ما يؤيد ذلك أيضا .

(١) والهمزة أيضا لأنها تجعل الضمير معها كـكلمة محركة بثلاث حركات قال الشاعر :

فقمت للطيف مرتاعا وأرقنى فقلت أهى سرت أم عادنى حلم

(٢) قرأنا نافع أيضا « إنى ليحزننى أن تذهبوا به بضم الياء وكسر الزاى ، وهى لغة تميم من أحزن ، أما باقى القراء فبفتح اليـاء وضم الزاى من حزن .

محمد إقبال

شاعر الشرق والإسلام

١٣٨٩ – ١٣٥٧ ١٨٧٣ – ١٩٣٨

للأستاذ مسعود الندوى

— ٤ —

نعم ، شعره منقسم إلى قسمين : نوع لا يدرك كنهه إلا الذين أوتوا حظاً وافراً من العلم ، والذوق الأدبى ، وهو الذى أخرجه للمتعلمين والمتأدبين خاصة ، وفيه فلسفة وشعر وحكمة وانتقاد لنظريات فلاسفة الغرب وآرائهم . وقسم فيه الدعوة إلى الجهاد وإيقاظ النائمين من سباتهم وإماطة اللثام عن وجه الحضارة الغربية والسياسة المصرية وغيرها من العظات وأسرار الطبيعة ؛ وهذا يمكن فهمه والانتفاع به لكل من له إلمام بالشعر والأدب . وفوق ذلك أن بعض كلماته كالشكوى إلى الله (شكوه) وشكاة الأمة إلى نبيها (فرياد أُمّت) تُنشدها العامة وتهتز لها طرباً ، لأن الشاعر أعرب فيها عن عواطف جمهور الأمة فصادفت هوى فى قلوبهم . وأضرب لك مثلاً بكلمته الشهيرة السائرة الشكوى إلى الله (شكوه) التى شكا فيها الأمة ورفع شكاتها إلى الله تعالى من إنعامه على الكافرين وإغداق النعم عليهم وسوء حال المسلمين فى العالم وغيرها من أمور يشكو منها المسلمون فى هذا العصر ويتذمرون عليها فى هذه الحياة الدنيا . وقد بدأها الشاعر بقوله :

« ربنا اسمع قليلا شكوى عبادك الأوفياء المخلصين ،
واستمع هنيهة لشكاة الذين تلهج ألسنتهم دائماً بالثناء عليك ،
ولا ريب أننا معروفون بالصبر والاستسلام للقضاء ،
لكننا نسمعك الآن نفثات القلوب المكلومة لأن نوائب الأيام أجبرتنا على ذلك » .

إلى أن رفع عقيرته قائلا :

« كان يسكن هذه المعمورة السلاجقة والطورانيون ،
وكذلك كان أهل الصين فى الصين والساسانيون فى بلاد فارس
وأيضاً كان يقطن اليونانيون بهذه الأرض الواسعة .
ولكن قل لى بنفسك : أيهم تناول السيف بيده لإعلاء كلمتك ؟
وأيهم قام لإصلاح المجتمع وقطع دابر الفساد من الأرض ؟ »

وهكذا ذهب به كل مذهب فى هذه الشكوى حتى خاطب ربه متألما :

« رحمتك تتوالى على الأجانب ودورهم ،
أما المسلمون فليس من حظهم إلا رعود النوائب وبروقها ؛
والبلية كل البلية أن الكفار ينعمون بحور مقصورات
وقصور مشيدة ، والمسلمون المساكين يعللون بوعود الحور فقط »

وتخلل هذه الشكوى كثير من مزايا الأسلاف وخصائص أعمالهم الجليلة التى افتخر بها الشاعر أمام ربه كقوله فى وصف المجاهدين الأولين :

وكلما حانت الصلاة أثناء صليل السيوف ،
ولت الأمة الحجازية وجهها شطر القبلة وسجدت لله تعالى شاكرة
ووقف محمود (الأمير) وإياز (المملوك) فى وصف واحد
فلم يبق هنالك عبد ولا مولى ، وأصبحوا جميعاً عبيداً لله ؛
واتحد العبد والمولى والفقير والغنى ،
ولما وصلوا فى حضرتك ، صاروا وحدة جامعة وكتلة متراصة » .

وكلمة (شكوه) هذه سائرة مسير المثل فى طول بلاد الهند وعرضها . وكذلك يضاهيها فى الشهرة والقبول جواب الشكوى (جواب شكوه) التى رد فيها الشاعر على كل بيت من شكواه وذلك بلسان الله عز وجل ، وكلتاهما أشهر من « قفانبك » ، وقد تُرجمت بلغات عديدة . ولكن العارفين بدخائل الكلام يرون أن الشاعر لم يكن موفقاً فى الرد مثل نجاحه فى عرض الشكوى . وذلك غير بعيد من شاعر مطبوع متألم من مصير بنى قومه ، وهو فى ريعان شبابه . وعلى كل فإن الشاعر نجح إلى حد بعيد فى إرشاد إخوانه إلى مواطن ضعفهم فى الدين والأخلاق

هذا وقد عرفت ما بلغه الشاعر الحكيم من علو الفكر ، وسُمو البيان فى الدور الثالث من حياته الشعرية ، نريد أن نُعرف القراء بشئ من غرر شعره وفرائد حكمه فى الدور الرابع من شاعريته حينما جاوز حد الفتوة ، وأصبح فى عداد الحكماء أكثر منه فى الشعراء . ولكن حكمه منتثرة فى مطاوى دواوينه ، كثيرة متنوعة فى مواضيعها ، بحيث لا يمكن تقدير إحاطتها وتنوعها

بعدة من الأمثلة ، ولذلك يجدر بالمقام أن نبتدئ أولا بذكر دواوينه والإشارة إلى مواضيعها ، ليكون القارىء على بينة من كثرة منظومه وتنوع أفكاره وحكمه ، ثم نلخص نتفاً من آرائه السديدة وحكمه البالغة . أما دواوينه الشعرية ، فهاك بيانها :

١ — بانك درا (صوت الجرس) : مجموعة شعره (باللغة الأردية) في الأدوار الثلاثة الأولى ، وأكثرها دعوة إلى الجهاد وتذكير بالماضي واستهزاء بالحضارة الجديدة في التعليم العصري ونتائجه السيئة .

٢ — أسرار خودى (أسرار فلسفة الذاتية أى فلسفة الاستقلال بالرأى والعزم) : وقف الشاعر هذا « المثنوى » (نوع من الشعر الفارسي) لإيضاح فلسفة « خودى » وبيان نتائجها ، مستدلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية . وفيه تفسير لسورة الإخلاص نفيس في تبيين هذا المعنى ، وذلك بلسان سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه . وقد ترجم هذه المجموعة الدكتور نكلسن بالإنجليزية وهذا الديوان أيضاً من آثار شبابه

٣ — بيام مشرق (رسالة الشرق) : نظم الشاعر هذا الديوان رداً على (الديوان المغربي) للشاعر الألماني الشهير (غوته) وبين فيه الحقائق والحكم التى تساعد الأمم على تربية عقولها وتثقيف أبنائها بثقافة ناضجة محكمة . وقد أضاف إليه الشاعر مقدمة ممتعة بين فيها ما كان للأدب الفارسي من تأثير في الأدب الألماني ، وأن ديوان غوته المعروف « بالديوان المغربي » أيضاً نتيجة من نتائج هذا التأثير . وهذا أول الدواوين التى نشرها في الدور الرابع من حياته الشعرية . وقد تلقاه أهل الأدب في الشرق والغرب بالقبول . وكان الشاعر أهداه إلى الملك أمان الله خان ، ملك بلاد الأفغان وقتئذ ، حيث كانت الأمة قد عقدت عناصرها عليه وكان صاحبنا يرجو منه شيئاً كثيراً في سبيل أحكام أواصر الأخوة الإسلامية وتوطيد دعائم المجد الإسلامي .

٤ — زبور عجم (زبور العجم) للناس أقوال في تفضيل بعض دواوينه على بعض ، حتى إن بعض الشبان الثائرين يفضلون ديوانه الأول « بانك درا » على جميع دواوينه لكونه مشتملا على روح الثورة والجهاد . ولكن جميع الناقدين متفقون على أن « زبور عجم » شعر ، كما أن « أسرار خودى » فلسفة و (بيام مشرق) حكمة . وفي هذا الديوان من مكنونات أسرار الحياة وغوامض الحكم ما تهش له النفس ويفرح به القلب ،

٥ — « جاويد نامد[1] » سلك فيه الشاعر مسلك المعرى في رسالة « الغفران » و « دانتى الإيطالى فى ديوانه « Divine Camedey » حيث صاحب الحكيم العارف بالله جلال الدين الرومى وارتقى معه درجات السماء فى عالم الخيال ، فلقى هنالك أرواح المجاهدين وأمرَّ إليها بذات نفسه ووصف لها أدواء الأمة واستفسر عن دوائها ، فوصف له الدواء الناجع أمثال السيد جمال الدين الأفغانى و « والسلطان الشهيد » (تيبو سلطان[2] ملك ميسور الشهيد) وسعيد حليم باشا ، وحمل حملة شعواء على اللورد كتشنر بلسان المهدى السودانى وأنَّبه على نبش قبره تأنيباً شديداً . وفى الديوان كلمة حكيمة حماسية من السودانى إلى ملوك العرب ، ابتدأها لسان الشاعر بقوله :

« فؤاد[3] وفيصل وابن سعود » .

والتى قال فيها : « ذاك بطحا خالد ديكر بزاى »

ياليت أرض الحجاز أنجبت خالداً آخر .

وكذلك بلغ الشاعر حد الإعجاز فى تصوير الخيانة والغدر فى أبشع صورة ، حينما ذكر جعفراً[4] وصادقاً[5] ، وقال إنه رآهما مطروحين من وراء النار ، لأنها استنكفت من دخول الخائنين فيها . وأى بيت أبلغ فى ذم الخائنين من قوله فيهما :

جعفر از بنكال وصادق أزدكن   ننك آدم ، ننك دين وطن

جعفر البنغالى وصـــادق الدكنى

كلاهما عارٌ للانسانية والدين والوطن

« يتبع »   مسعود الندوى

---

(١) سماه باسم نجله « جاويد » سلمه الله ، وكان إذ ذاك صبياً . و « جاويد » كلمة فارسية معناها « الخلد » . ففى هذه التسمية تورية كما لا يخفى .

(٢) علم من أعلام الجهاد فى الهند الإسلامية ، وطود من أطواده الشامخة ، قتل شهيداً على باب حصنه وهو محاط بجنود الانجليز ، ويلقب فى التاريخ الإسلامى بالسلطان الشهيد.

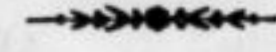
(٣) « ال » معناه « يا »

(٤) الوزير جعفر ، كان وزيراً لصاحبه وولى أمره ، سراج الدولة فى بنغال ، فخانه وغدر به فى حرب « بلاسى » التى انكسرت فيها قوات سراج الدولة ؛ وكانت هذه الوقعة هى السبب الأعظم في رسوخ قدم الإنجليز فى الهند ، فأصبح مضرب المثل فى الغدر والخيانة . أما سراج الدولة فيعده المسلمون والهنادك جميعاً بطلا من أبطال الحرية .

(٥) صادق هذا كان وزيراً للسلطان الشهيد الميسورى ، وقد خانه إذ أطلع الأعداء على مواضع الضعف فى الحصن . ودلهم على تدابير السلطان الشهيد الحربية الاستراتيجية — حسب تعبير أهل العصر — فكان سبباً فى انكسار السلطان وسقوطه فى معترك الجهاد ، وهو مثخن بالجروح ولا يزال قبر صادق معلوماً بجنب قبر السلطان الشهيد ، حيث يبصق عليه كل من يجىء لزيارة الشهيد والدعاء له وتسكاب دموعه على ضريحه .

عـــــودة

للأستاذ حسين محمود البشبيشي



إني رجعت وكل إحساس فؤاد شـــيق
في جانبيَّ تلهف وبناظريَّ تشـــوق
وعـــلى المحيا بسمة بحنين قلبي تنطق
ويفيض من عيني هيام جامـــح يتدفق
ويكاد قلبي بالتشوق والتوجـــع يشرق
وأكاد من فرط الصبابة يا حياتي أصعق
هيهات بعدك يا حبيبي فــــرحة تتألق
مذ غبت عني لم يزل قلبي بعهدك يخفق
وإلى ظـــلالك يا حبيبي لم يزل يتشوق
واليوم وحدى قد رجعت على سماك أحلق

ورجعت لست بمبصر شيئاً ولست بشاعر
تمتادني أوهام إحساسي وومض خواطري
ويهزني شـــوق تدفق ثائراً بذواكري
وتسوقني أصـــداء أيامي وعطر أزاهري
وتحيط بي ذكرُ العهود توثبت بمشاعري
فهنا تضرعُ عاشـــق . وهنا تدلُّل ساحر
وهنا رماد الذكريات الزُّهر عفر ناظري
ورجعت ليتك قـــد رجعت مي لعهد غابر
كانت لنا دنيا وكنت بهـــا سعادة شاعر
واليوم وحـدى قد رجعت فيا لقلب سادر

في كل ركن ها هنا ذكـرى تجن لمقدمي
وأكاد ألمس لفحها يجري ويصرخ في دمي
فبكل غصن كنت تبصره تلفت مغـــرم
وبكل طـــير كنت تسمعه حنين متيم
إني رجعت وفي دمي شوقي وشعري في فمي
وعبير ثغرك لم يزل يسري بعطر مبسمي
وحنانـــك الدفاق غامرُ قلبيَ المتحطم
وســـنا عيونك رغم بعدك لم يزل كالأنجم
شفت دواكن وحدتي وسرت بقلب مظلم
فكأنها الأمـــل البعيد بدا بأفق مبهم

سل عن مهادي كل نجمٍ في سمائك ساهر
الليـــل يصحبني وأصحبه لوهم ســـادر
وأبثه شـــوقاً بقلبي كاللهيب الساعر
ويلفني بســـكونه وألفه بمشاعري
وأحس بين نجومه طيفاً يضيء بخاطري
ويعيد أيامي ويغمر بالعبـــير أزاهري
أنا واهم ياليـــل ، رفقاً بالشريد الحائر
أنا واهم أحسو السراب بخاطري وبناظري
أنا واهم ، أنا واهم ، من لي بهـــدْي غامر
يأتي إلى قلبي الرجاء فلا تضل سرائري

أنا واهم . هل هذه الأطلال تعلم ما بيه ؟
أنا واهم . ثارت بقلبي ذكريات ضاريه
وطغى على عيني السراب وطوقتني الغاشيه
فحسبت أنك قد رجعت ، وإن روحك حانيه
ياليت أني ما رجعت إلى ظـــلالك ثانيه
لم ألق غير توجعي . لم ألق غـــير الهاويه
لم ألق غـــير عهودنا تبكي وتصرخ ناعيه
في مهجتي خدع الظنون على سرابك جاريه
وبناظري لجج التشوق نحو ظلك ساريه
وأنا هنا ... وظلال حبي في الفؤاد كما هيه

حسين محمود البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أسلحة من براغ :

نشرت إحدى الصحف الأسبوعية لمراسلها من براغ ، أن اللغة العامية المصرية وغيرها من اللغات العامية بالأقطار العربية — تدرس في كثير من جامعات العالم وفي جامعة براغ ، كما تدرس فيها اللغة العربية « الكلاسيكية » واسترعى انتباهي ما قصد إليه الكاتب من تعظيم شأن العامية على حساب الفصحى . . وخاصة قوله :

« ويعتقد كثير من أعلام المستشرقين الأوربيين أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة الفصحى وتحل محلها يوماً ما فتصدر الصحف وتطبع الكتب باللغة الدارجة التي يتكلمها الشعب وتبسط الكتب الدراسية وتنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية وحظها بعد أن تفرعت عنها اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية » .

وأنبه أولا على أن هذا الكلام من « براغ » عاصمة تشيكسلوفكيا أو العاصمة الصهيونية الثانية بعد تل أبيب . . . كأن لم يكفها إمداد اليهود في فلسطين بالأسلحة والعتاد الحربي لمحاربة العرب ، فأراد دعاة الصهيونية هناك أن يصوبوا سهماً إلى لغة العرب الجامعة بينهم ، لتتحقق أحلامهم في تفريق العرب ، فهذا حلم يبدو لهم جميلاً ، وأي شيء أجمل لديهم من أن تنهزم العربية وتتقهقر لتحل محلها اللغات العامية ، ولكل شعب من الشعوب العربية عاميته ، فيصدر بها الصحف ويؤلف الكتب ، فتنال اللغة العربية نصيب اللغة اللاتينية ، وتنحل رابطة اللغة بين أقطار العرب ؟ . . .

وذلك من غير شك سهم طائش ، وليس هذا أول كلام قيل في هذا الموضوع ، فقد سبقته محاولات خائبة ، تتحد معه في الغاية والمرمى ، وإن كان لكل منها مصدره وباعثه . . . فالغاية أن تنمحي اللغة العربية وتتفرع عنها لغات كالإيطالية والفرنسية . . . الخ ، والبواعث شتى ، فمن أعجمي لا يبين ، ومن عامي يريد أن يكون شيئاً ، ومن متظاهر بالتقدمية الجوفاء ، ومن شاعر في أحشائه بلذعة الفلفل من العروبة . . . فيتبرد مرة بالفرعونية ، ويتذرع أحياناً بالعامية . . . ثم جاءت الصهيونية في آخر الزمن تريد أن تساهم في هذه الخيبة . .

ولا شك في حسن نية الصحيفة التي نشرت ذلك الكلام أو — على التدقيق — في غفلتها . . . وكان عليها أن تتنبه له ولبعض العاملين في تحريرها من ذوي المحاولات القديمة الخائبة . ومن يدري فقد يغزو صحفاً أخرى مراسلون من براغ . .

ولتدرس جامعة براغ أو أي جامعة أخرى ما تدرس ، وليتعلم بها العامية نفر من أبناء بلادها أو غيرهم ، فهل هؤلاء هم الذين سيصدرون الصحف ويؤلفون الكتب باللغة الدارجة المصرية ويكتسحون ويفرعون ؟ . ثم من هم المستشرقون الذين يعتقدون أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة العربية الفصحى . . الخ ؟ لم يذكر لنا الكاتب اسم واحد منهم ، وأكبر الظن أن هؤلاء الذين سماهم « أعلام المستشرقين الأوربيين » إما أنهم صهيونيون وإما أنهم أشباح تمثل أحلام ذوي المحاولات الخائبة والسهام الطائشة .

وبعد فكيف تنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية ؟ لقد تفرعت اللغات الأوربية الحديثة عن اللاتينية القديمة مع النهضة التي قامت اللغات الجديدة بأعبائها ، وكانت مظهراً من مظاهرها ، وهذا يختلف عن حال اللغة العربية كل الاختلاف ، إذ وسعت اللغة الفصحى النهضة العربية الحديثة واستقلت بها ، فهي لغة الآداب المصرية ولغة الكتابة والتأليف في سائر الفنون والعلوم ، أي أنها واجهت النهضة وقامت بأغراضها وعبرت عنها وأصبحت لغتها وانتهى الأمر ، فلم تخلي مكانها لتحل محلها لغات متفرعة ؟ أمن أجل سواد عيون الوعول التي تكسرت قرونها . . أم لتحقيق أحلام الصهيونية في تمزيق الأمة العربية ؟

عزيزتي الآنسة أم كلثوم :

قرأت فى أخبار اليوم أن محطة الإذاعة يتجه تفكيرها إلى الاتفاق معك على أن تدفع لك ألف جنيه فى الشهر مقابل إذاعة أغنياتك المسجلة حسبما ترغب ، بدلا من أن تدفع خمسين جنيهاً عن إذاعة كل مسجل من هذه الأغانى .

ولم أتبين مقصد الإذاعة من ذلك ، أهى تريد الاقتصاد ... لأن عـدد إذاعة المسجلات فى الشهر مضروبا فى خمسين جنيهاً يساوى أكثر من ألف جنيه ... أم أن حاصل الضرب أقل من ذلك وتريد زيادة التقدير أو تلبية رغبة فى الزيادة ؟.

والواقع على أى حال أنها تدفع لك مبلغاً كبيراً لا يقل كثيراً عن الألف فى الشهر مقابل أغنيات أخذت ثمن كل منها ثلاثمائة جنيه عند التسجيل .

وأنت تستحقين كل خـير ، وفنك المالى لا يقدر بمال .

ولـكن محطة الإذاعة ... محطة الإذاعة مسكينة (غلبانة) أعنى هؤلاء الفنانين والفنانات الذين يأخذ أحدهم مقابل الحفلة الغنائية خمسة عشر جنيهاً يقاسمه فيها أفراد (التخت) والمؤلف ، وأعنى الذين لا تعطيهم المحطة أجراً على إذاعة مسجلاتهم كما تصنع معك وحدك ، وأعنى الذين تضيق بهم المحطة ورجالهـا وإن كانوا ممتازين فى فنهم ، وأعنى كل فكرة أو مشروع إذاعى نافع يقف فى سبيله ضيق الميزانية ، ثم أعنى هؤلاء الذين يسمون لإرضائك ويرضخون لقوة شخصيتك . فارحمى كل أولئك المسـاكين وكونى عادلة مقتصدة فى معاملة الإذاعة ، عامليها مثلا كشركة (بيضافون) التى كانت تعطيك ثمن التسجيل ، ثم تبيع (الاسطوانات) ولا يدفع إليك كل من يدير (اسطوانة) فى (الفنغراف) أى شىء .

يا كروان الشرق ، إن كنت تريدين المال فبعض هـذا يكفى ، وإن كنت تريدين إعلاء الفن فلست فى حاجة إلى إغلائه ؟ فقد أعليته حتى بلغت به سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم .. واعلمى أنك من الأعلام الخالدين وأنك لا تقلين إن لم تزيدى عمن خلدهن أبو الفرج فى « الأغانى » مع الفارق الذى به تفوقينهن ، من حيث ما أضفاه عليك روح العصر من استقلال الشخصية والـكرامة العامة .

فأسألك بالله وبحق الفن ، أن ترأفى بحال الإذاعة ، فهى لك مطواعة ، وتبذل من أجلك ما فوق الاستطاعة ، وغيرك لا ينال إلا بالشفاعة . وتفضلى بقبول تحيتى واحترامى .

« حسونة » الانسان :

هو ذلك الشـاب الأعرج بياع الصحف الذى ظهر فى فلم « اليتيمتين » إنساناً ينبض قلبه بالعطف والحب والخير ، برغم سوء بيئته ورقة حاله . يرى فتاة ضريرة ضالة فيشفق عليهـا . وتقع هى فريسة فى يد أمه الشريرة الضارية ، فتستغلها فى بيع ورق « اليانصيب » وتعاملها بقسوة ووحشية ، فيتألم لها حسونة أشـد الألم ويبذل وسعه فى التخفيف عنها ومقاومة أمه وأخيه الذى يعاونها على قسوتها ، حتى يستطيع آخر الأمر أن ينقذها من براثنهما . وكم كان مشهده رائعاً وهو يحضر لها ما يقدر عليه من الطعام ويهيىء لها شيئاً من الفراش ويصنع لها على السلم درابزيناً لتتحسسه وليقيها السقوط فى صعودها وهبوطها . كان حسونة فى هـذا الفلم نبضة إنسانية رائعة ، من النبضات التى تخلد الفنون ، وهو مثل ينبغى أن ينظر فيه السينميون المصريون ليروا كيف يمكن أن تكون السينما فناً رفيعاً لا مجرد استعراض للتهتك الذى يتخلله الوعظ المـكشوف .

وفلم اليتيمتين الذى عرض بسينما الـكوزمو ، لم يذكر له مؤلف ، وأكبر الظن أنه مقتبس بمصر ، من تلك الأفلام التى تنسب إلى المخرج فقط ، وإن كانت حادثته تبدأ بلقيطة وتنتهى بلقاء الوالدة وابنتها بعد ما كبرت وجرت عليها حوادث القصة ، فهذا قالب من القوالب المعروفة التى يتكرر صب القصة فى كل منها بالأفلام المصرية ؛ فإن كان هذا الفلم ممصراً فقد أجيد تمصيره حتى بدت فيه ملامح البيئة المحليـة وقوامها كأنه مصنوع على قدها ... أما إن كانت القصة إنشـاء مصرياً فمن هو المؤلف الفنان الذى أبدع حسونة الإنسان ؟ .

مؤامرة نغرين تتكرر :

ألقى البكباشى عبد الرحمن زكى محاضرة يوم السبت الماضى بنادى الاتحاد الثقافى المصرى ، عن ابراهيم باشا فى تاريخ مصر الحربى ، فبين مزايا البطل العظيم فى الناحية العسكرية بإلقاء

نظرات على ميادين القتال التى خاضها ، وعرض لحملته على الموره وبلاء الأسطول المصرى فى مياههـا ، فقال إن الجيش المصرى كان يحارب فى بلاد الموره أوربا كلها ،التى كانت تمد اليونانيين بالرجال والأسلحة والعتاد ، وانتهزت انجلترا وفرنسا وروسـيا فرصة انشغال ابراهيم باشـا بتنظيم الجيش البرى وتآمرت على السفن المصرية فكانت موقعة نفرين المشهورة التى كانت فى الحقيقة مؤامرة ولم تكن موقعة ، لأن أسـاطيل هذه الدول أخذت الأسطول المصرى والتركى على غرة .

والواقع أن موقعة نفرين حادث من الأحداث التى بدا فيها التعصب الغربى ضد الشرق ، ومن قبلها الحروب الصليبية ، ومن بعدها معارك فلسطين الجارية ، فالغرب فى القرون الوسطى هو الغرب فى القرن التاسع عشر ، وهو هو فى القرن العشرين ؛ وهو بعد الذى يرمى الشرق بالتعصب ..

عوائق الفكر المصرى :

قال الأسـتاذ إبراهيم المصرى فى مقال بالعدد الخاص بعيد الجهاد من أخبار اليوم : « إن هناك ثلاثة أخطار تهدد مستقبل الفـكر المصرى هى : إغراء السهـولة ، وضعف النقد ، ونقص الحرية » ثم فصل ذلك بقوله إن الـكاتب قد شعر بقوة الصحافة فأصبح لا يحفل فى الغالب بالفـكر المتئد الناضج العميق ، قدر احتفاله بالفكر البسيط السهل يذيعه فى مختلف الصحف ويتقاضى عليه أجراً كبير لا يكلفه طويل عناء . والفـكر لا ينهض بدون نقد ، وظل النقـد قد تقلص اليوم فى مصر ، فمعظم الصحف والمجلات تشير إلى الـكتب الجديدة دون أن تبحثها وتحدد قيمتها وقيمة أصحابها ، وحرية الفكر المصرى ما تزال مقيدة ، فهو إن مس التقاليد سخط عليه المحافظون ، وإن بحث فى العقائد نقم عليه الرجعيون ، وإن نقد نظام المجتمع ثار عليه البيروقراطيون واستبدوا به واضطهدوه شر اضطهاد .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث :

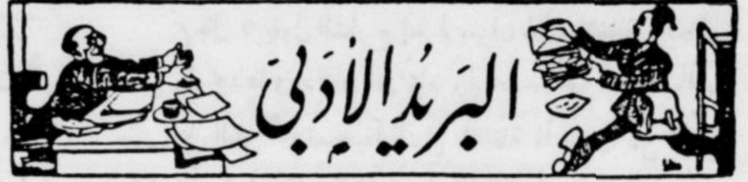
يشرف « الاتحاد الأممى للمجامع العلمية » على إصـدار « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » الذى رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين من مختلف الأقطار يبلغ عددهم اثنين وأربعين مستشرقا ، وتولى الدكتور ا . ى . ونسنك طبعه بمطبعة بريل فى مدينة ليدن بهولندة ، ونشر منه أحد عشر فصلا يحتوى كل منها على تسعين صفحة من أكبر قطع ، وبعد وفاته استأنف العمل الدكتور ى . ب . منسنج فوصل إلى الفصل السابع عشر .

وهـذا المعجم موضوع عن كتب الحديث الستة المعروفة وثلاثة أخرى هى مسند الدارمى وموطأ ابن مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل . وطريقته وضع جزازة لـكل نقطة من ألفـاظ الحديث الواردة فى هذه الـكتب التسعة ضمن الجملة التى هى فيها ، ثم الدلالة على موقع هذه اللفظة من هذه الأصول التسعة بتوضيح إسم الأصل ثم إسم الـكتاب ورقم الباب أو رقم الحديث سواء أكانت هذه اللفظة فى أصـل واحد أو أكثر . أما فيما يختص بمسند أحمد فيما أنه لم يطبع إلا طبعة واحدة ، ففيه الدلالة على الحديث بتعيين رقم الجزء ورقم الصفحة .

وقد وصل العمل فى آخر جزء ظهر إلى مادة صبر من حرف ص . ويقدر إتمام المعجم فى مثل ما ظهر من الأجزاء أى نحو سـبعة عشر جزءاً أخرى . وقد احتاج المشرفون عليه إلى إعانة مالية تمـكنهم من مواصلة العمل ، فجاء الدكتور منسنج إلى مصر فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وقابل فيمن قابل معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بقصد أن يرعى هذا العمل ويعده بالإعانة ، ثم سافر بغتة دون أن يتم الاتفاق ولما افتتح المجمع مؤتمره السنوى فى أول هذا العام ذكر لطفى باشا فى جلسة الافتتاح أن من ضمن أعمال المجمع القيام بعمل المعجم المفهرس للقرآن وللحديث . وعلى أثر ذلك تحدث معه الأسـتاذ فؤاد عبد الباقى ، فأشار إلى أن الأولى بالمجمع أن يعين على إتمـام معجم المستشرقين بدل أن يتـكلف إنشاء العمل ، فطلب منـه الباشا أن يكتب إلى المشرفين عليـه ليبينوا ما يلزم لإتمام طبع المعجم وما يحتاج إليه العمل من المال سنويا ونصيب مصر مقابل الاتفاق على طبعه ، فـكتب، ولم يرد الرد المطلوب إلى الآن .

وفى انتظار الرد أحيل الموضوع إلى مكتب المجمع ، فاعتذر بعدم كفاية الميزانية للقيام بالإعانة المطلوبة ، ولـكنه كتب إلى وزارة المعارف والجامعتين والجامع الأزهر ، مقترحا على كل منها شراء عدة نسخ من الأجزاء الصادرة على سبيل التشجيع ، وكل ما تم من الإجراءات الإيجابية العملية فى هذا الموضوع هو قرار الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف شراء خمسين نسخة .

عباس خضر



سئلت ولم أجب فلا بد أنه أعترف :

سألتني ياسيدي عما وجبه الشرع في زكاة في مالك – وقد كثر عدده وطال أمده – فلم أجبك وسكت وفي نفسي من الخجل والخزى ما الله يعلمه نعم سكت ولم أجبك ؛ وكيف أجيبك عن زكاة مالك ولا عهد لي بجنيهاتك في كتب الزكاة – لقد درست المتون والشروح والحواشي حنفيها وشافعيها ، وعرفت (الدرهم والدينار والدانق والمثقال ، وعرفت حكم الرائجة والصحاح ، والنبهرجة والستوقه) ولا تبحث عن هذه النقود عبثاً يا سيدى فهي لا توجد في غير خزائن الأزهر ، أعني في مقصراته ومطولاته التي حملتها معي من مكتبة جدى الأكبر يوم أن دخلت الأزهر وما زلت أقرأها كتباً مقررة إلى الآن .

أما أوراقك الخضر ، فلا تسلني كم نصابها وكم زكاتهـا ؛ ولا لوم على ولا تثريب .

– أنا واحد من آلاف طلاب الأزهر ، ندرس الدين في أسفار أجدادنا الأقدمين كما حملت إلينا بدون تهذيب ولا تنقيح وبدون احترام لشريعة الرقي والتطور . أين نقود فجر الإسلام التي نحسب نصابهـا ونعدد زكاتها – وقد صارت في جوف التاريخ – من نقود عصرنا الحاضر التي لم يرسم قرش منها في كتاب لدينا .

– ويحي ما أحمقني ! أقضي سنين طويلة في الأزهر ، أجهد فيها ما أجهد ، من أجل دراسة آثار بالية لا تنفع ولا تشبع ! ؟

أجل . كتب الفقه في الأزهر ملأى بمسائل باهتة رثة ، تحتاج إلى تنقيح وتوضيح . انشر أى كتاب من كتب الشافعية ، وتجلد في مطالعته بعض الوقت فإنك لا بد قارىء : (وكثير الماء قلتان ، والقلتان خمسمائة رطل بغدادى تقريباً في الأصح) ثم يتكرم الشارح ببيان هذا الرطل البغدادى فيقول (والرطل البغدادى مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم تقريباً) وما درى غفر الله له أنه فسر الماء بالماء كما يقولون ، وسواء أدركت مقدار الماء الكثير أم لم تدرك ، فحسبنا هذا الخيال البارع : قلة تزن مائتين وخمسين رطلاً ! !

وكتاب العتق ؛ الكتاب الأسود – كما يسميه بعض إخواننا – ما قيمة دراسته في هذا الزمان وجعله خاتمة كتب الشافعية ؟ أليست خاتمة بيضاء ؟ ذكروا فيه (أن الشارع متشوف إلى العتق) وقد عتق العبيد بحمد الله ولم يبق منهم واحد إلا في كتبنا وأدمغتنا كأنا لم نعرف بعد أن أحط صنوف البشر قد أصبحت أحراراً طلقاء ؛ أو كأنا نرجو أن يبعث الشارع (المتشوف إلى العتق) دولة العبيد ثانية فنطبق عليها الأحكام .

وبعد . فتلك ثورة هادئة أرجو بعدها الله أن يوفق أولى الشأن في الأزهر إلى تطهير موارد العلم وتنقيتها من القذى والفضول وذلك أمر سهل إن كانوا جد حريصين على تأدية رسالة الأزهر بصدق وإخلاص . وكم في الأزهر من جهبذ نحرير يعوزه التشجيع والتعضيد ليخرج للناس آيات بينات في التصنيف والتأليف .

اسماعيل أبو ضيف

في كتاب (النقد الأدبي) :

قرأت للصديق الناقد الكبير الأستاذ سيد قطب كتابه الجديد في النقد (النقد الأدبي) ولا أغلو إذا قلت إنه كتاب فريد في بابه وأسلوبه وطريقتـه في تناول موضوعاته وعرضها عرضاً كله الروية والاتزان وحسن البيان

وليس غرضي من كلمتي هـذه حول الكتاب البحث في محتوياته وبيان قيمته – تلك التي لا يلمسها إلا القارئ قراءة العين لا سماع الأذن – وإنما بحسبي أن أشير ألفت الأستاذ الصديق إلى مواضع زايلها الصواب نتيجة التطبيع أو التصنيع ، أجملها فيما يلي :

١ – من التطبيع ما جاء في قول القائل :

فأصبحت في الإثراء أزهد (زاهداً) وإن كنت في الإثراء أرغب راغب

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ومن أين؟ (الثنايات) بعد المذاهب

والتطبيع فيهما ظاهر ؛ والأصل (زاهـد) وفي الثاني (والغايات) بالواو .

٢ – ومن خطأ النقل نتيجة السهو قول من قال :

وسنان (أيقظه) النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنـائم

وصوابه :

وسنان (أقصده)(١) النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنـــائم

وكذلك قول الآخر:

وأرشفنا على ظمإ زلالاً ألذ من المدامة (والنديم)!

وصوابه:

وأرشفنا على ظمإ زلالاً ألذُّ من المدامة (للنديم)

وقول الثالث:

يقول بشعب بوان حصانى (أمن) هذا يسار إلى الطعان؟!

وصوابه:

يقول بشعب بوان حصانى (أعن) هذا يسار إلى الطعان؟!

إذ ليس مراد الشاعر السير (من) محلة إلى محلة، وإنما غرضه (التحول) عن شعب بوان إلى الطعان.

٤ — بيت ابن ارقاع:

وعلمت حتى (لست أسأل عالماً) عن (حرف) واحدة لكي أزدادها

روايتها عندي وهي الرواية الثابتة المقبولة:

وعلمت حتى (ما أسائل واحدا) عن (علم) واحدة لكي أزدادها

وكذا البيت:

أيهـــا المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف «يلتقيان»

وفي الأصل وهو الصواب على قرب الملتقى:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف «يجتمعان»

٥ — وقع في البيت:

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم .. ليست تزول

تطبيع بالحذف، وصوابه:

... ... أن نجوم (الليل) ليست تزول

٦ — وهذان البيتان كل على حدة:

وغر الصدور إذا (وكنت) لهم نظروا إليَّ بأعين خـزر

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح (صياحا)

أحفظ لهما في صدري روايتين لست أزعم أنهما الأصل، ولكنهما يحتاجان إلى تحقيق ومناقشة للجزم بصواب الأصل أياً كان، والروايتان هما:

وغر الصدور إذا (ركنت) لهم نظروا إلى بأعين خزر

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح (فصاحا)

٧ — أورد الأستاذ المؤلف عن صاحب الوساطة لأبي تمام البيت:

ألم يقنعك فيه الهجر حتى (بكات) لقلبه هجراً يبين

ثم قال «يقول الشارح إنه لم يعرف لهذه اللفظة (بكات) معنى ولم يجدها في ديوان أبي تمام ولم نجدها نحن!». وأقول يغلب على الظن أن تصحيفاً لحق باللفظة فأخرجها عن المعنى، ولعل الأصل (وكات) إن لم يكن «نكات».

وبعد: فتلكم هنات عرضت لنا وألحنا إليها مذكرين وليس منتقدين. ولعل الصديق الأديب يوليها بعض الاهتمام في الطبعات التالية للكتاب، والسلام.

«الزيتون» عدنان

عود على بدء:

كنت قد أشرت في كلمتي «تحقيق تاريخي» المنشورة في عدد قريب من «الرسالة» الغراء إلى مرثية شاعر النيل حافظ بك إبراهيم في فقيد المعارف أحمد حشمت باشا، وقلت إنها من الشعر الذي لم يسجل في ديوانه المبتور!!

ولقد حدثني بعض الأدباء متعجباً لخلو الديوان من هذه القصيدة الفذة وما درى أن في باب المراثي وحده قصائد عديدة لشاعر النيل لم تسطر في ديوانه، ومن العجيب أن الذين ملأوا الصفحات بذكر شعره المنسي لم يقفوا عليها فيما رأوه، وأهم هذه القصائد ما يلي:

١ — قصيدة في رثاء السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ومطلعها:

رحم الله صاحب النظرات غاب عنا في أحرج الأوقات

٢ — رثاء شهداء العلم والغربة الذين اصطدم بهم القطار في أوربا ومطلعه:

علمونا الصبر نطق ما استمر إنما الأجر لمحزون صــبر

صدمة في الغرب أمسى وقعها في ربوع النيل مشئوم الأثر

٣ — رثاء كريمة حشمت باشا ومطلعه:

يادرة نزعت من تاج والدها فأصبحت حلية في تاج رضوان

وغير ذلك كثير!

على أني أعجب كل العجب من أن الديوان قد أعيد طبعه عدة مرات وهو لا يضم قصيدة من القصائد المنسية التي يكتشفها القراء بين حين وآخر! فما فائدة التنبيه على الشعر المنسي إذن؟ ولم لا يلتفت إليه القائمون بإعادة طبعات الديوان؟ وهل كان حتم عليهم أن يحافظوا على طبعته الأولى فلا تلحق بها بما يكملها من روائع حافظ المغبون؟!

«الزقازيق» ابراهيم عبد المجيد التزري

(١) أقصده: أي أصابه فلم يخطئه

المصحف المبوب :

قرأت ما كتبه أستاذى الجليل عبد المتعال الصعيدى عن المصحف المبوب وقد صدر فضيلته مقاله بقوله :

« عصرنا هذا عصر تجديد فى كل شىء وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع العصر أثرا فى مصحفنا » .

فهل يسمح لى فضيلته — وهو من نعلم عنه سعة فى الصدر — أن أقول له : إن من الخير لنا أن نترك المصحف الشريف على حالته ، وأن لا تمتد اليه أيدينا بشىء من التغيير فى الطبع والإخراج — وإذا كان ذلك قد جاز لسلفنا الصالح فلأن مصلحة القرآن كانت تقتضى ذلك إذ كان مفرقا فجمعوه . ومهملا فأعجموه . واخترع الخليل الشكل للحاجة اليه . ونحن اليوم نقرؤه صحيحا فى طبعات جيدة أنيقة .

أقول هذا لأنى أود أن يشعر المسلمون بأن كتابهم مقدس وليس عرضة لكل مبتكر ؛ إذ من الجائز أن يختلف الترميب والتبويب فيظهر المصحف فى عدة طبعات ؛ فإذا بوبه اليوم فلان فسيبوبه غداً غيره . فيقولون قرآن فلان ، ومصحف فلان وتكون فتنة . ويتبع ذلك أن يقول قائل فلنكتبه على الرسم الإملائى وكلما تفلسف شخص أضاف فكرة جديدة ما دمنا قد فتحنا هذا الباب .

خير لنا أن نترك الكتاب الكريم ، وأن نولى وجهنا شطر تعاليمه ، فنجاهد فى سبيل تحقيقها ونعمل على نشرها والدعوة اليها فى كل مكان ، وأن نعتنى باللب ونترك القشور ، وإن الله لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى الأعمال . وما يضر المسلمين بعد أن يحققوا رسالة كتابهم أن يكون على ما هو عليه ؟

وإذ تنطع مستشرق وفهم خطأ فالذنب ذنبه فأمامه كتب التفسير إن جهل شيئا .

وبعد فأود أن لا أكون قد جاوزت حدى مع أستاذى الكبير .

عمر اسماعيل منصور

أزمة معلم اللغة العربية فى المدارس المصرية :

تفيض جداول الصحف اليومية بأن هذه الأزمة بلغت حداً لا يصح أن يسكت عنه ، لا من المسئولين فحسب بل من ذوى الرأى فى العالم العربى ؛ إذ أنها تتصل بلغته وهى ميراث الآباء والأجداد! فقد روت إحداها بقلم مدرس رمز إلى اسمه بالحروف أن أربعة فصول ثانوية بإحدى مدارس الشرقية لها معلم عربى واحد مما اضطر ناظرها إلى أن يشرك معه فى تعليمها مدرسى (الأعجمية) من الرياضة وغيرها ! وأنا كمعلم أعرف أن من مضاعفات هذه الأزمة إن لم يكن عاملها الأول هو سلخ وزارة المعارف تفتيش مكافحة أقسام الأمية عن تفتيش التعليم الأولى بالمراكز وتعيين معلمى العربية بالمدارس مفتشين خاصين بها ! وفى وسع هذه الوزارة أن تعمد فى الحال وبدون إمهال إلى أن تعيد هؤلاء إلى عملهم الأصلى فى المدارس وأن تسند تفتيش المكافحة إلى (المعلم الأولى) فهو بمرانه وتجاريبه العملية أكثر خبرة فى هذه الناحية من أى موظف آخر مهما تكن ثقافته العلمية والفنية ... وعندها إن أرادت الوسائل الكفيلة بتهيئة هـــذا المعلم لواجبه الجديد بالدراسات والاختبارات الشخصية والرسائل الفنية ... (ومجلة الرسالة) الحفيظة على تراث العربيـة المجاهدة فى سبيل نهضتها وإعلاء شأنها مسئولة إلى حد كبير إذا لم تلق دلوها لتفريج هذه الأزمة وإزالة تلك الغمة ! !

خورشيد عبد العزيز
معلم دميرة

بيان :

تود الإدارة الثقافية بالأمانة العامة للدول العربية أن تلفت الأنظار إلى أن مسابقة التأليف التى سبق الاعلان عنها فى مطلع هذا العام ، والتى اختير لها الموضوعان التاليان :

(ا) تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى خروج العرب منها ، وما يتصل بذلك من الحوادث فى بلاد المغرب .

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان المغرب - جزيرة العرب) من سقوط بغداد إلى أول القرن الهجرى (التاسع عشر الميلادى) .

وقدر مبلغ ٥٠٠ جنيه مصرى جائزة لأحسن ما يكتب فى كل من الموضوعين ، قد امتد آخر موعد لتقديم الرسائل المكتوبة فيها إلى أول مايو سنة ١٩٤٩ بدلا من الموعد المحدد سابقاً وهو أول مايو سنة ١٩٤٨ .



رجـــــل وامرأة

للكاتب الفرنسي لوى جربيو

« هذه ليست قصة بالمعنى المقصود منها ، ولكنها صورة صادقة من صورة الحياة المعقدة التي نجدها في كل بقعة من بقاع العالم وفي كل زمان من أزمنته »

(المترجم)

كان الدرج يؤدى إلى الفناء ، وقد جلست المرأة بأسفله تبكى وتنتحب طول الصباح . كانت فى منتصف العقد الرابع من عمرها سمراء ممشوقة القد ضعيفة البنية ، وظلت تنشج بالبكاء ، وتتمتم بكلمات مبهمة كأنها تتوعد من حولها . وكم ذهب إليها الجيران يحاولون الترفيه عنها وإرشادها إلى عين العقل دون جدوى .

كانوا يقولون لها : لا يصح أن تثورى كل هـذه الثورة . من الأفضـل لك أن تصعدى إلى شقتك . إنك ستصدعين رأسك ببكائك المتواصل . وهل يجدى البكاء ؟ » ولـكنها كانت تجلس وكأنها لا تعى كلامهم . ما شأنهم فى ذلك ؟ أليست هى حرة تفعل ما تشاء ؟ وصاحت فى أعماق نفسها « لقد سئمت كل شىء »

وكانت أحياناً ترتكن برأسها على السور الحـديدى للدرج تحاول النوم دون جدوى . ثم تخفى وجهها بين يديها وتبكى فى حرارة ، فيسيل الدمع من بين أصابعها كما يسيل الماء من نبع لا ينضب . وتأوهت ، ثم انتابتها موجة من الصمت وهى تتلفت حولها بلا غاية . وأخيراً جلست دون حراك وقد ارتكن ذقنها على راحة يدها ، ومرفقها على ركبتها فى ذلك الوضع الذى يفضله الرجل عندما يؤوب من عمله . أن هذا أول ناحية من نواحى انتقامها . لقد طافت بها الأفكار منذ أن بدأ الشجار إلى أن تحول هـذا التحول على أية حال ، ليس لديها الآن إلا التفكير فيما قد حدث.

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى لجأت فيها إلى الدرج . كم كان ذلك يغضبه أشد الغضب . ولـكن ... أليس هـذا ما توده هى ؟.. ولماذا توده ؟.. لم تستطع الإجابة على هذا السؤال . لقد كان من المستحيل عليها أن تقوم بأى عمل آخر ، فالتجأت إلى الدرج . إنه بالطبع يستطيع أن يهددها بأن يعتدى عليها بالضرب . ولـكنها كانت واثقة بأنه لن ينفذ تهديداته التى تصدر منه أثناء غضبه . فمهما فعلت فإنه لن يهجرها أبداً . لعل هذا هو السبب فى أنها تزداد تهوراً .

كان الناس يصعدون ويهبطون ويمرون أمامها ، فيلقون عليها نظرة إشفاق ، أو يرنون إليها فى دهشة ، أو يهزون أكتافهم . وكانت تتظاهر بعدم رؤيتهم ، ولا تتحرك ، حتى لو اندفع شخص نحوها وتخطاها ، ولطم إحدى يديها ، لظلت ساكنة دون أن تتحرك . ولعلها كانت تود ذلك . قالوا لها إنه قد أزف الوقت لتعود إلى شقتها ، فلم تجب ، ولماذا تعود ؟ وهـل جلست هنا لتجيب على مثل هـذه الأسئلة ؟ وهل مكثت لتكون موضع شفقتهم ؟ . . كلا ... إن شفقتهم لا تعنيها فى شىء . لقد جلست هنا ليشاهدوها ، وليعرفوا كيف أوصلها هو إلى هذه الحالة ، وأى نوع من الحياة تحياها ، وحتى يعرف هو الآخر أنهم قد شاهدوا وأدركوا حالها . نعم أن هذا هو ما ترغبه الآن ... على الأقل . أنه أول جزء من برنامج انتقامها . وكانت فى كل مرة يتحدثون معها ، تجيبهم بإطلاق العنان لعبراتها وهى تحاول أن تجد موضعاً مريحاً تسند عليه « رأسها المسكين » بشعره المهوش الذى لم تهتم حتى بترتيبه .

كان الشجار قد بدأ مبكراً ، ولم تمر الساعة الثامنة إلا وكانت على الدرج . ولن تبرح مكانها فإنه لا يوجد ما يؤدى بها إلى التفكير فى مبارحته . ها هو ذا الظهر قد أقبل ، وسيعود هو بعد لحظات . ما الذى سيقوله لها ؟ لعله سيحدث ما حـدث فى المرة السابقة ، فيمر عليها دون أن يعيرها انتباهه . ولـكنه لن يظل وحيداً فى الشقة أنه لم يحتمل هذه الوحدة — آخر مرة — أكثر من ربع ساعة ثم عاد يبحث عنها . ومما لا شك فيه أن ذلك سيحدث ثانية .

لقد تركها والغضب يعصف به ، وصفق الباب وهو يقسم أن هذه هى المرة الأخيرة ... المرة الأخيرة . أنه لا يستطيع احتمال

هذا المسلك الجنونى . ولكنه سيجد عندما يصل إلى مقر عمله من فسيح ما يسمح له بالهدوء والتفكير فى تؤدة .

وفتح باب الفناء ، وميزت وقع أقدامه . ولم تتحرك عضلة من عضلات جسمها ، وانقلب كل شىء فيها ساكناً ، وقد تركز كل كيانها فى الاستماع إلى وقع خطواته ، وبدت كأنها لا تشعر بما يدور حولها . واقتربت الخطوات . سرعان ما ستراه . ولكنها ظلت دون حراك وقد ارتكن رأسها على سور الدرج . وأغمضت عينيها نصف إغماضة وهى تنتظر . وكاد أن يتعثر فوقها ، وعرته دهشة بالغة ، ثم تراجع وهو يحاول أن يستعيد رباطة جاشه وقد أغمض عينيه كان رجلا بدينا فى الحلقة الرابعة من العمر ، يرتدى زى الكتبة ، وقد أمسك بمظلة .

وتمتم قائلا فى صوت خال من الغضب — ما الذى تفعلينه هنا ؟ فلم تجبه وابتدأ القلق يساوره ، وغاض الدم من وجهه ، وارتجفت اليدان وهما تقبضان على المظلة . ثم اكتسحه شعور من الضعة لا نهائى وإحساس بالاحتقار لاحد له . ووقف دون حراك بجوا المدخل . كان الضوء يسقط عليه من الخارج ، فلم تستطع تمييز ملامحه . وظهر لها كأنه شبح بدين يحمل مظلة . ثم ردد فى صوت خافت وكأنه يتحدث إلى طفل — ما الذى تفعلينه هنا ؟ فلم تجب . لا بد أنها مكثت هنا ساعات . وهز كتفيه . إذن لا توجد نهاية لذلك . وجعل يفكر فى شجارهما هذا الصباح ، ويلوم نفسه ... ولكنه كان يأمل .

— أمعتزمين البقاء هنا ؟ فلم تجب . وكانت لهجته تنذر بانفجار بركان غضبه . وكان يلاحظ ما يختلج فى نفسه من عواطف ثائرة ، ويعرف أن غضبه ينهكه ، فقال — هيا ... دعينا نصعد إنه لغباء ...

وولدت كلة « الغباء » فى عينيه نظرة من الشراسة . وتنهد فى حزن وقال : « يالها من حياة ! كل ذلك لأجل ماذا ؟ » وجعل يتفحصها بنظراته بأمعان . وكأنما عزم أن يعمل ما فى وسعه ليحل المشكلة فهز رأسه يمنة ويسرة ثم قال — حسن ... ماذا ؟ ما الأمر ؟ ولم يكن هذا مايود أن يقوله ، ومع ذلك سيان عنده أقال ما قاله أو تفوه بشىء خلافه . وابتدأ يصعد الدرج . ولكنه سرعان ما استدار فجأة وصاح فى صوت جفلت منه : « والطفلة ؟ »

وانحنى فوقها ، وشعرت بأنفاسه تهب على شعرها . الطفلة ؟ ! لم تكن قد أعارتها أدنى اهتمام . إن نسيانها الطفلة كان ولا شك جزءاً من انتقامها . ومع ذلك شعرت بالقلق يستحوذ عليها .

— ما الذى فعلته بالطفلة ؟

وخيل إليها أنه سيهم بضربها ، ولكنها كانت قد صممت على ألا ترد عليه . ثم شعرت برأسها يدور . إنها حقاً لم تهتم بالطفلة .

— أجيبى ! ها هو ذا قد انفلت منه زمام غضبه . ونزل الدرج ، ثم وقف أمامها ، وأسند مظلته على الحائط ، ومد يده تتلمس طريقها إلى وجهها التى تخفيه . ثم قال فى صوت هادىء — متى ، متى ستكفين عن تعذيبى ؟ متى ... متى — أواه ، يا إلهى ؟ ...

كانت ثورة نفسه لا تحتمل . وعادت به الذاكرة فجأة إلى الليلة التى هربت فيها . تلك الليلة التى ظل يبحث عنها طويلا وهو يخشى أن تكون قد ألقت بنفسها فى النهر ..

— تكلمى ! ووضع يده على ذقنها ، فلم تقاوم ، ورفع وجهها . وطغى على نفسه شعور من الشفقة ، فقال لها — لماذا أنت هكذا ؟ وابتدأت شفتاها ترتعشان ، وارتفع كتفاها ، وغمغمت بكلمات تعذر عليه سماعها فسألها — ماذا تقولين ؟ فأجابت — لا شىء .

وفجأة تغير كل شىء ، فقال — لا شىء ! حقاً ؟ إذن لماذا ؟ لماذا ؟ ألا تخبريننى بالله لماذا ؟ ما الذى تقصدينه بما حدث فى الصباح ؟ وما الذى فعلته بالطفلة ؟ لقد كنت عازمة على ذلك منذ الصباح .

وهزها وهو يصيح بعد أن عصف به غضبه ، وقد كان يظن أنه ملك زمامه . إن هذه الانفجارات ، وهذه التأسفات : هذا التحول من الشفقة والحنان إلى القسوة والشراسة التى تصحب دائماً مشاجراتهما ، كانت كأنها تمثيل مسرحى . وكم كانت تهده هداً وتستنفد قواه . ها هو ذا قد جرح شعورها ، فهبت واقفة ، تبتعد عنه وهى تصيح « أيها الوحش ! » .

وصاح صوت من أعلى الدرج قائلا — إن الطفلة معنا . لا داعى للقلق . سنعطيها غذاءها .

ولم يجب فى الحال على الرغم من شعوره بالطمأنينة . إن فكرة وجود جيرانه واقفين بأعلى الدرج يستمعون ويراقبون . هدأت من غضبه . قالوا — ألا تسمع ؟

فصاح — لقد سمعت ... شكراً !

وبحركة آلية التقط مظلته وهو يتمتم قائلا — « لقد عيل صبرى ، عيل صبرى ! » فالتفتت إليه زوجه بوجه متقلص وعينين جامدتين وقالت فى صوت مختنق ورأسها يهتز « عيل صبرك ، عيل صبرك ، ممن ؟ » وكأنه قد عزم على الصمت ، فظل ساكناً لا يفوه بكلمة .

— حسن ، إنى فى انتظار ردك .

فقال — لقد سئمت الشجار .

— هل هذا كل شيء ؟

— نعم .

— إذن ... هل أنا المسئولة عما حدث ؟

فقال فى تهكم — كلا ... إنه صبى الجزار !

ثم انفجر ضاحكا . كم كان جوابه مضحكا ! وسرعان ما تلاشى ضحكه عند ما قالت — ما ذا يهمك إذا كنت أتعذب ؟

فأجاب — ليس هناك ما يجعلنى أهتم ... فتنهدت وتمتمت قائلة — إنى أعرف ذلك ...

وران عليهما الصمت . هدوء مستمر . كان قد نسى تماماً أنهما لا يزالان على الدرج ، وأنه يشعر بالجوع وأنها لم تستعد بعد ... نعم ، لقد استسلمت نفسه مرة أخرى إلى سحر المشاجرة وسقط فى الشرك طواعية . وأنشأ يتحدث ويشرح لها كم هو تعس ، ويصف لها لواعج قلبه . وود لو استطاع أن يقنعها .

— ألا ترين ؟ ... إنها لغباوة أن يحدث ما حدث ... وكم هو مضيعة للوقت ! ألا تكفى مشاكل الحياة المعقدة ؟ .. إذن .. لماذا ؟ لماذا ؟ ... خبرينى ؟

ووضع يده على كتفيها وجذبها إليه قائلا — هل انتهينا من الشجار ؟

فوضعت خدها على خده وأخذت تبكى .

— كفى ... كفى لا تبكى . لقد انتهى النزاع .

إن هذا الهدوء والحنان ، وذلك الحديث عن الحب ، هو كل ما توده منه . لقد نسيت تماماً كل شيء عداها . وقالت — هنرى ... قربت على خدها قائلا — هيا نصعد ... لماذا نظل واقفين هنا ؟

فتبعته وهى تقول — أليس من الأفضل أن نستحضر الطفلة ؟

— دعيها ... من الأفضل تركها حيث هى الآن .

***

كانت الشقة على حالها منذ الصباح دون نظام أو ترتيب ، ولم تزل النوافذ مغلقة ، وروائح الليل تفوح فى الشقة المظلمة . وخلع قبعته وظل ممسكا بها لحظة ، وتملكته الحيرة ... أين يضعها ؟ وأخيراً ألقى بها والمظلة على مقعد . ثم وهو يراقبها تتوسط الغرفة وقد تدلى ذراعاها « حسن ... حسن ... ماذا ؟ » .

وعبست عبوسة صبيانها ، كأنها على وشك البكاء مرة أخرى . ومرت بيدها على جبينها .

— لقد أصابك الصداع !

— نعم ، إنه مؤلم .

— ألم تنته بعد ؟

فبكت من قلبها وهى تقول — أواه ... نعم .

وأخذها بين ذراعيه وضمها إليه فى حنان . كان يود أن يظل ساكناً دون أن يفوه بكلمة . ولكنه أنشأ يتكلم مدفوعاً بنزوة لا تقاوم . فقال فى حنان — لماذا تفعلين ذلك ... لماذا ...

فقال — وأنت ؟

— أنا ؟ !

— نحن اثنان ... فإذا كانت هذه الهفوات من جانب واحد فقط .

— ولكنها ليست غلطة أحد منا ذلك هو السبب .

— السبب فى وجود الشجار ؟

— نعم ، ربما .

— على أية حال ، لقد انتهى الغضب .

فقالت فى لهفة : أوه ... نعم .

— أتستطيعين أن تذكرى ما الذى دار عليه الشجار هذا الصباح ؟ إنى لا أستطيع أن أتذكر . إنه لم يكن إلا كلمات ، كلمات تافهة . لقدنسيتها تماما ... تـكفى مشاكل العالم المقبلة .

لقد كانت تعرف طريقته فى الجدال فقالت :

— لننس ما حدث !

وتراخت أذرعتهما ، وابتعد عنها . ثم تهالك جالساً على مقعد وقال وقد ابتدأ يعود إليه غيظه .

— انك امرأة لطيفة ... ألم تقرأى صحف الصباح ؟

يا له من سؤال ! الـكأنها تهتم دائما بالصحف !

واستطرد يقول : بالطبع هناك مشاكل . إنى أقول الحقيقة .

— أعرف ذلك ...

فانفجر قائلا : حسن ، إذا كنت تعرفين ذلك جيدا ، فما الذى تعنيه من ... من مكونك بهذا الشكل بالدرج تبكين على شىء لا يعلمه إلا الله ... ؟

— أوه ... اصمت .

ولـكنه كان قد صمت قبل أن تتكلم ، وجعل يفـكر فى كل ذلك وهو يتأملها . لقد كرهها ... حقا لقد كرهها . وأصبح يعافها ويشمئز من تهديداتها .

وسألها وهو يخرج ساعته من جيبه : ما الذى سفنا كله ؟

ثم هز رأسه قائلا :

— لقد تأخر بنا الوقت .

فقالت : أستطيع تحضير بعض البيض والخضر أيكفى ذلك ؟

— نعم .

واختفت فى المطبخ ، وتمدد هو على الفراش ينتظر . ما الذى قاله لها هذا الصباح حتى أثارها وجعلها على تلك الحالة ؟ وجعل يفـكر ويفـكر دون أن يتذكر . وسمعها تقوم باعداد الطعام بالمطبخ فناداها : مارسيل .

فأجابت وقد توقفت لحظة عن عملها : نعم .

— ما الذى قلته هذا الصباح حتى ... ؟

ولم تفه لحظة ثم قالت : لا شىء .

— بل هناك أشياء ... خبرينى !

— كلا ... وما الفائدة ؟

— فقال كنت أرغب ...

فقاطعته قائلة : ألا يستحسن عدم التحدث عن ذلك ؟ ولـكنه ظل منتظراً . لماذا لا تريد أن تخبره ؟ وشعر بحب استطلاع غريب يدفعه عدم تذكره ما حدث .

— ألا تتذكرين يا مارسيل ؟

— أجل !

— حسن . إذن خبرينى !

— لماذا ! إنه من الغباء أن نعود إلى ترديد هذه النغمة ثانية . وأدرك أنها لن تخبره أبداً ، فتمتم قائلا : حسن على أية حال . نعم ، على أية حال ... من الأفضل ألا يتذكر . فهو مرتاح إلى .. إلى هذه المعيشة ! !

محمد فتحى عبد الوهاب

سكك حديد الحـــكومة المصرية

تخفيض أجـور السفر

ابتداء من أول نوفبر سنة ١٩٤٨ أجرت المصلحة تخفيضاً محسوساً فى أجور السفر بالدرجات الثلاثة بين مصر ومحطات مديرية الفيوم وبنى سويف ومحطة الفيوم كما وتصرف بطاقات (كارنيهات) لعشرة سفريات مفردة بأجور مخفضة بين باب اللوق والمعادى وبين بور توفيق والأربعين .

عربات الديزل الجـــديدة

ينتظر وصول قاطرات قوية جديدة فى أواخر هذا الشهر وستبدأ المصلحة تسييرها على خطوطها الرئيسية بحيث تقطع المسافات فى زمن أقل مما تستغرقه القطارات الحالية .

مطبعة الرسالة



العدد ٨٠٤ — الاثنين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٤٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 804 — Lundi — 29 — 11 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٦٨ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مثل المهذبين من بنى آدم

عندنا فى دارنا الريفية عصبة من كلاب الحراسة مختلفة الأسنان والألوان والجنس تعيش فى حال مدنية عجيبة : فى الليل تتعاون على النباح وتتساعد فى الهجوم ، فإذا نبح أحدها سواد إنسان أو ريح ذئب استنبحها جميعاً واستمداها جميعاً ، لا تسأله ما ذا نبح ولا لمـا ذا عدا . وفى النهار تربض متقابلة فى ظلال الشجر ، أو ترقد متجاورة على قش الأرُز ، تتهارش حيناً وتتفلّى حيناً ، والصغير يمد إلى الكبير فيعضه وهو هادئ مستسلم ، والضعيف يجرؤ على القوى فيركبه وهو وادع مستكين . ثم هذبناها فتهذبت ، ودربناها على النظام فتدربت ؛ وأُلقى فى روعها أن تأخذ بطرَف من مدنية الكلاب الأوربية فأحسنت لثم الفم ، وأتقنت ملق العين ، وأجادت بصبصة الذيل ؛ ثم أسرفت فى الرقة وأغرقت فى التظرف حتى ليكاد كل كلب منها أن يقول : ضعوا على رأسى القبّعة ! !

تلك حال كلابنا ما دامت خارجة من سلطان البطن عاليه وسافله ؛ فإذا قدّم إليها الكلاب وجبة الغداء ، أو عثر أحدها على عظمة فى حواشى الفناء ، انقلب التراحم قسوة ، والتعاطف جفوة ، والتهارش حرباً ، والتفلية عضًّا ، والمدنية وحشية ، والإيثار أنانية ؛ فالأم تنكر ولدها ، والأخ لا يعرف أخاه ، والطعام الوافر المختص والمشترك تتنازعه المخالب الحداد والأنياب العُصل ، فيخرج بالخطف من فم إلى فم ، وينتقل باللقف من يد إلى يد ؛ والكلاب الضعاف والجراء الصغار يقفن منكمشات على بعد ، يسألن بالحق ويتوسلن بالقرابة فلا يرين إلا النظر الشزر ، ولا يسمعن إلا الزئير المهدِّد ؛ حتى إذا غاب الطعام فى الأجواف ، ولعقت الألسن آثاره على الخراطيم ، أشبلت الأم على ولدها ، وأقبل الذكر على أنثاه ، وعطف الأخ على أخيه ، وعادت إلى الكلاب حياتها المدنية من مرح الهراش وحنان التفلية وألفة النباح ! !

ذكرت بهذه العصبة عُصَباً أخرى فى (ليك ساكسس) وفى (قصر شايو) تلبس الفِراك ، وتحذق المواضعات[1] ، وتحفظ الرسوم ، وتفننّ فى الظرف ، وتبالغ فى المجاملة ؛ فإذا لمس أحدهم ثوب الآخر عن غير قصد اعتذر ، أو لفظ جملة من غير ابتسام تأسف ! يقضون أيامهم فى التشاور الرقيق ، ويمضون لياليهم فى التزاور البهيج ؛ ويأدب بعضهم لبعض المآدب الفخمة ، يتساقون فيها الوسكى على نُقل (الكافيار) ، ويتناوبون الرقص على نغم (الجاز) ، ويتبادلون باللسان المعسول ألفاظ السلام والأمن والعدل والإنسانية والحرية والديمقراطية والعهود والمواثيق ؛ حتى إذا جلسوا إلى مائدة السياسة ، وقُدم إليهم الطعام العربى المرئ والشراب الشرقى الهنئ ، تحلبت الأشداق ، واحمرت الأحداق ، وانقلبت حُلل الفراك جلود نمور ، وتحولت الأصابع فى القفافيز مخالب صقور ، ووقف

(١) المواضعات : الإتيكيت ، والرسوم : البروتوكول .

أين كنا وأين صرنا ؟

للأستاذ نقولا الحـــداد

كنا قبل عصر برنادوت لا نقبل دولة إسرائيل المزعومة ولا حديث لنا إلا عروبة فلسطين فإذا بنا الآن لا حديث لنا إلا الهدنة . وكل يوم نذهب إلى مجلس الأمن باكين ناحبين صارخين: « اليهود خرقوا الهدنة » . نسينا مشروع التقسيم ونسيه اليهود أيضاً . نحن رضينا بالهدنة الدائمة ، واليهود لم يرضوا بالهـدنة المؤقتة . الهدنة علينا لا عليهم . الهدنة لهم لا لنا .

لنا وفود سبع دول رسمية في مجلس الأمن وليس لليهود وفد واحد رسمي ، لأن دولة إسرائيل لا تزال مزعومة ، وقد نسينا مشروع التقسيم الذي كنا نجحده ونرفضه رفضاً باتاً وأصبح همنا الآن هل نقبل مشروع برنادوت أو نقبل هدنة بونش الأبدية التي تسمى صلحاً .

إن مصيبتنا هذه جاءت أولا وآخراً من الإنجليز — قبحاً لها من دولة فاسقة مارقة .

كان جيشـنا المصرى على أهبة أن يحتل تل أبيب ؛ وإذا اليهود يستغيثون لأنهم أصبحوا على شفا الهلاك ، وأنجدهم مجلس الأمن بأن اقترح هدنة ٣٦ ساعة ، وإذا المندوب الإنجليزى كادوجان يقول لا ٣٦ ساعة لا مادا تنفع ؟ يجب أن تـكون الهدنة ٤ أسابيع . وإذا بها صارت أسابيع ، لأن إنجلترا تهددت بأنه إذا كان العرب لا يقبلونها فيحرمون السلاح فقبلوها ولا سلاح واليهود لم يقبلوها وهم يخرقونها كل يوم وهم طلبوها لـكى يقبلها العرب ويخرقوها هم . وهـكذا كان .

وانتهت الأربعة أسابيع ولـكن اليهود لم يبلغوا كل مآربهم فالتمـسوا تجديدها فجددها لهم برنادوت هدنة دائمة . ففعلوا فيها ما شاؤوا لمصلحتهم حتى إنهم قتلوا برنادوت لأنه ارتأى أن يـكون النقب للعرب وهم لا يريدون أن يبقى شيء للعرب حتى ولا بقعة الرمل هذه .

فى الهدنتين جاءتهم الأسلحة من كل ناحية حتى صاروا فى مأمن والعرب صابرون ويقولون لا نقبل إلا عروبة فلسطين ودولة فلسطين العمومية ولا دولة لإسرائيل . وبنو إسرائيل يصادقون على هذا القول بالقول . ولـكنهم بالفعل هم على غير هذا القول . والإنجليز يقولون لنا : لا بأس ، اقبلوا هذه الهدنة الدائمة واعتبروها صلحاً ، ولـكن لا توقعوا على شروط صلح .

انظر هذه البراعة البريطانية . اقبلوا الهدنة كما هى وخلوا جيوشـكم فى أماكنها ولا تتقدموا . يوم كان اليهود ينهبون سلاح الألمان وغير الألمـان بعد معركة العلمين ويرسلونه تحت ذقوننا إلى فلسطين كنا نقول للانجليز إن هؤلاء اليهود الاثام ينهبون السلاح من معسكراتـكم وأنتم غاضون الطرف . لماذا ؟ أليس لـكى يحاربوننا به ؟

ولـكن الإنجليز كانوا يرمون إلى هذا بدليل أنهم إذا أمسكوا عربياً معه بندقية شـنقوه ، وأما يهودى يسوق مركبة مصفحة ملآى بالسلاح فيقولون له ياسمين مبروك .

والآن يـستورد اليهود السـلاح من كل مكان رغم أنف مجلس الأمن ، وإذا استورد العرب سلاحاً من أى مكان حال الإنجليز وغير الإنجليز دونهم .

إذا قلت لـكم أيها العرب أن العـالم كله يحاربكم ، فهل ظننتمونى مهوّلا ؟ ها قد وصلنا لها .

أيها العرب عيب أن تنوحوا وتنتحبوا لمجلس الأمن . وعيب أن تتذمروا من دول أوربا لأنها تمنعكم أن تتـسلحوا ، وأن تتغيظوا من دول أوربا لأنها مستبدة بكم ولأنها غير منصفة لـكم .

نعم دول أوربا وأمريكا غير منصفة ، ولا يمكن أن تـكون منصفة ، لأن الإنصاف ليس من مصلحتها . تقولون أنها لا تخجل أن تـكون جائرة . نعم لا تخجل ولا تستحى ولا يهمـها أن تعيروها بقلة الحياء . كان يجب أن تملوا هذا الدرس ؛ وأن تضحوا بكل شئ فى سبيل مصلحتكم لأنـكم فى وسط هذه أخلاقه ... نعم العالم كله ضدكم لأنـكم أكلة دسمة سهل طبخها .

المتـلحون بالحق والمنطق على بُعد من المائدة ينظرون بالأعين العَـبْرَى إلى مالهم المنهوب وتراثهم المغصوب ، ولا يملـكون إلا أن يحتجوا راغمين ، ثم يقولوا نادمين : يا ويلتنا ! ما لسيف الحق لا يقطع ، وما لبرهان المنطق لا يفيد ؟ !

يا قوم ، لقد قلنا لـكم : إن القوة هى الحق وما سواها باطل ؛ وإن ابن آدم على الرغم من دينه وعلمه ومدنيته لا يزال عبد العصا وضيعة الدينار . فمن شاء أن يعيش مرهوب الجانب محفوظ الحق فلْـيَدعْ سماحة موسى وبلاغة هارون ، ولـيتخذْ قوة شمشون وغنى قارون !

احمد حسن الزيات

لمحة من سيكولوجية الطفل
عود على بدء

للدكتور فضل أبو بكر

شرحنا فى المقال السابق باختصار - آمل ألا يكون مخلاً - ناحية من سيكولوجية الطفل ووعدنا القارىء الكريم بالعود على ما بدأناه . ولما كان وعد الحر دين - كما يقولون - فإنا نفى بوعدنا فى مواصلة البحث حتى يكون القارىء فكرة واضحة جلية على قدر الإمكان عن هذا النوع من الدراسات النفسانية .

إن إدراكنا لحقائق الأشياء يأتى عن طريق الملاحظة والتجارب بواسطة الحواس كالسمع والبصر ، أو عن طريق المقارنة والاستنباط بواسطة العقل والبصيرة . وهذه التجارب مادية كانت أو معنوية تكتمل عندنا شيئاً فشيئاً كقطرات الماء تتساقط على الأناء الفارغ فتحتل فراغه وتفعم سعته . وكما أن الأوانى تختلف من حيث السعة والطاقة كذلك التجارب عند الناس مختلفة فنها الواسع المترامى ومنها الضيق المحدود الجوانب .

والتجارب نفسها لا بد لها من أسس ودعائم ترتكز عليها ومن ضمن تلك الدعامات نذكر اثنتين هما الذاكرة والخيال وهما موضوع بحثنا فى هذا المقال الموجز .

الذاكرة عند الطفل :

ذكرنا فيما سبق كيفية ملاءمة الطفل - أو غيره من الأحياء - للبيئة التى يعيش فيها وقلنا إن ذلك لا يتم إلا عن الإخضاع والتمثيل « Assimilation » وطريق الخضوع والتكييف « Accomodation » .

والذاكرة - كما سيتضح لنا - يكون عملها عن طريق الإخضاع كما أن الخيال يكون مفعوله من ناحية الخضوع .

وذاكرة الطفل - كما هو متوقع - تختلف اختلافاً أساسياً عن ذاكرة الكبار لأن الذاكرة جزء من « كلية » العقل والعقل محدود الجوانب ، صغرها عند الأطفال يتناسب مع صغر أعمارهم وأجسامهم وهى ظاهرة فسيولوجية طبيعية .

وطريقة عمل الذاكرة على وجه العموم تكون بواسطة الطرق الأربع الآتية :

(١) تثبيت الذكريات « Fixation dés Souvenirs »

(٢) بقاء الذكريات «Conservation des Souvenirs»

(٣) مكان الذكريات «Localisation des Souvenirs»

فلماذا أنتم هكذا ؟ أتتوقعون من إنجلترا أن تسلحكم ؟ لماذا لا تنشئون آلات ومعامل لصنع السلاح ؟ أليس عندكم مال ؟ أليس عندكم عقول ؟ أليس عندكم عضل ؟ .

أمس كتب الملحق التجارى للسفارة الأمريكية أن بترول الشرق الأوسط هو ٦٠ بالمائة من بترول العالم . فهل هذا قليل وأى سلاح أمضى من البترول . هل تطير طائرة أو تسير سيارة أو تدب دبابة أو تتحرك سفينة إلا بهذا البترول .

بعد ٣ سنين لا يكفى بترول أمريكا أمريكا شهراً أو بضعة أشهر فى سنة ١٩٥٢ تجوع المدنية الغربية كلها إلى البترول أكثر جداً مما يجوع اللاجئون الآن إلى الخبز .

بعد بضع سنين تتهافت المدنية الشامخة على بترول العراق والحجاز والبحرين وإيران وبترول الصحراء الذى لم يستنبط بعد تهافت النمل على قصعة عسل أو تهافت الذباب على المزابل . بعد بضع سنين يرتفع ثمن لتر البترول من شلنين إلى عشرة شلنات .

ولو شاء أصحاب البترول لأمكنهم أن يرفعوه الآن ولا أحد يمتنع عن دفع الثمن لأنه ضرورى للحياة وللحرب .

يا ناس عندنا سلاح قوى جداً ولا نستعمله - ليس فى أمة تخاذل كهذا التخاذل وجبن كهذا الجبن

واليهود من أين يأتون بالبنزين لسياراتهم وطياراتهم و ... الخ أليس من بترول العراق والحجاز . يأخذون بترولنا ويحاربوننا به يا قوم تيقظوا . إن الويل اليهودى القادم عليكم لا تحسون به الآن لأنه لم يقع بعد . ومتى وقع فلا ينفعكم لو ولا ليت .

قيل إن اللاجئين فى شرق الأردن أصبحوا فى درجة من اليأس لا يحتمل وهم يفكرون فى مفاوضة اليهود . وهذا ما يتوقعه اليهود . فإذا حدث سقطت فلسطين كلها فى أيدى اليهود ، ثم تلتها شرق الأردن . ثم ... ماذا وماذا ؟ الويل ثم الويل ...

نقولا الحداد

(٤) استدعاء الذكريات « Evocation des Souvenirs »

هـذه هي العوامل الأربعة اللازمة للذاكرة حتى تؤدي وظيفتها وسنشرح فيما يلي كل عامل على حدته :

١ — تثبيت الذكريات . إذا عرضنا أمام ناظر الطفل بعض الأشياء أو الصور أو روينا له حكاية بسيطة مسلية وطلبنا منه بعد حين قصير أن يصف لنا ما شاهده أو يقص علينا ما سمعه تبين لنا أن قوة التثبيت ضعيفة عنده كما أن الماديات تكون أثبت في ذاكرته من المعنويات وأنها تعتمد كل الاعتماد على الحس .

٢ — بقاء الذكريات : يكون عنده بطريقة غير متساوية من حيث المدة فقد ينسى ما تقصه عليه منذ ساعات قلائل ثم يتذكره بعد مضي بعض الوقت كما أن بقاء الذكريات يكون مرهوناً بغريزة تمركز اهتمام الطفل حول نفسه « Egocentrisma » ويبدو الطفل هنا أنانياً متعرضاً كما هو الواقع بدليل أن الأشياء التي تهمه دون غيره أو يرى فيها إرضاء لرغبته تكون أبقى في ذاكرته وإن كان هذا البقاء نفسه قصير الأمد ، ولكنه عند الأطفال يخضع لسلطان « الوعي » بخلاف الحال عند الكبار إذ يكون بقاء الذكريات من عمل « اللاوعي » .

٣ — مكان الذكريات : ونقصد بذلك المكان الذي تحتله بالنسبة لزمن حدوثها وتتابعها وفقاً لدرجة أسبقيتها ، وفي هـذه الحالة يتضح لنا ضعف ذاكرة الطفل لأنه يجهل فكرة « الزمن » ومن هنا يتعذر عليه ترتيب الذكريات ومن هنا كان لغطه وخلطه للحوادث ، ولا ينتظم ترتيب ذكريات الطفل وإحلالها المكان اللائق لها إلا ما بين العام السابع والحادي عشر من عمره إذ يكون وقتئذ قد كون فكرة عن الزمن .

٤ — استدعاء الذكريات : هو نوع من الاجترار لما يختزنه مستودع الذاكرة إذ يتسنى للكبار أن يستدعوا ذكرياتهم ، وقد تسعفهم في كثير من الأحيان لأنه في استطاعتهم أن يوجهوا تفكيرهم في ناحية خاصة ويتحكموا فيه بخلاف الحال عند الأطفال إذ يكون بطريقة تلقائية غير إرادية كالببغاء وهذا ما يحدث عند الطفل ما بين سن الثانية إلى الخامسة وهو ما نشاهده عند الأطفال حينما يسمعون قطعة من المحفوظات فيكون إلقاؤهم لها بصوت على وتيرة واحدة لا تتغير نبراته بطريقة حرفية تلقائية خالية من الفهم والوعي لما يلقونه .

أسباب ضعف ذاكرة الطفل :

قلنا إن تثبيت الحوادث وبقاءها وترتيبها حسب الزمن واستدعاءها عند اللزوم في ذاكرته كل ذلك إنما يكون بطريقة بدائية غير مكتملة ، وذكرنا الأسباب المؤدية لذلك . وهنالك عاملان يؤديان إلى ضعف ذاكرة الطفل وهما : (١) النسيان . و (٢) تشويه الذكريات وتبديلها في ذاكرته .

١ — النسيان : يحدث عند الكبار لعدة أسباب : منها « الفسيولوجية » بمعنى أن يعتري الذاكرة نوع من « التأكسد » وعدم القابلية للاستيعاب بسبب التعب الجسمي أو العقلي . وهنالك أسباب « سيكولوجية » كالصدمات النفسية العنيفة التي تحدث في النفس نوعاً من القبض « Inhibition » فيشل التفكير ويغيض معين الذاكرة . وأسباب «باثولوجية» كما يحدث في بعض الأمراض العقلية كالذهان والعُصاب ، أو بعد نوبة الصرع ، أو لأمراض معدية أو وبائية كالحمى التيفودية والالتهاب السحائي ، كل هـذه الأمراض تسبب ضعفاً في الذاكرة ينتج منه النسيان .

كل ما ذكرنا من أسباب إنما هي شخصية تعتري الشخص نفسه فتسبب له النسيان . وهنالك أسباب أخرى خاصة بالأشياء « Odjectives » تتصف بها تلك الأشياء فتسبب أو تساعد على نسيانها . مثال ذلك تفاهة الأشياء والأثر الضعيف الذي تتركه في الذاكرة فلا يلبث أن يزول وتختفي معالمه . ومنها كون الأشياء بغيضة على النفس غير محببة لها فتلفظها لفظ النواة وتسقطها من حسابها .

أما عند الطفل فأكبر سبب للنسيان ناشيء عن انحطاط درجة تفكيره الذي يشمل الذاكرة أيضاً ولأن إدراكه « Perception » للأشياء خاطيء وقد سبق أن شرحنا ذلك وبينا الأسباب المؤدية إليه وهي غير الأسباب المؤدية للنسيان عند الكبار .

٢ — تشويه الحوادث وتبديلها في ذاكرة الطفل : تأخذ الحوادث والأشياء صورة ممسوخة مشوهة في ذاكرة الطفل وهو يعتقد بصحتها ، كما أنه من الصعب بل المتعذر في كثير من الأحيان الوصول إلى تغيير هذا الوضع الخاطيء في ذاكرته .

ولنضرب لهـذا مثلا وهو إذا روينا قصة لطفل ورجوناه

بعد قليل من الوقت أن يروى لنا ما سمع أو يقصها على طفل آخر ورجونا هذا الأخير أن يقصها على طفل ثالث تبين لنا فى النهاية أن القصة الأولى قد مسخت وكادت معالمها أن تزول ؛ وذلك أن كل طفل يزيد عليها من الحواشي والتعاليق بما يتفق وهواه ؛ كما نلاحظ ظاهرة أخرى وهي نزعة الطفل إلى « الخرافة « Fabulation » كما قد تبقى آثار هذه الظاهرة عند الكبار ولكنها تصدر منهم عن « وعى » بخلاف ما يحدث عند الأطفال إذ تصدر من « اللاوعى » .

الخيال عند الأطفال :

علمنا مما سبق شرحه بأن الذاكرة عامل لابد منه لملاءمة البيئة وهى عند الطفل تخضع لظاهرة الإخضاع «Assimilation» ملؤها التحيز والأنانية والمادية ، وهى صفات فسيولوجية وسيكولوجية لازمة لنمو الطفل .

إن الذاكرة والخيال يعملان معاً ويكمل كل منهما الآخر ؛ ولكن فى بدء حياة الطفل يكون أثر الذاكرة أوضح ظهوراً وأقوى مفعولا من أثر الخيال الذى يكون فى بادىء الأمر ضئيلا جداً ، ثم ينمو بنمو جسم الطفل وعقله وهو بلا شك أسمى مرتبة من الذاكرة ، ويعد خطوة واسعة إلى الأمام فى سبيل التطور العقلى ، وهو بالعكس من الذاكرة يخضع لظاهرة الخضوع والمصانعة « Accomodation » وهو العامل الثانى اللازم لملاءمة البيئة ، وظاهرة الخضوع والمصانعة هى ظاهرة شاقة عسيرة على الطفل وفيها نوع من التضحية من جانبه .

والخيال — على وجه العموم — هو المقدرة على رسم صور لما وعيناه أو تأملناه من فكر وأشياء ، ثم الربط بين تلك الصور والأفكار وإبرازها جليه واضحة فى مخيلتنا فى شبه « لوحة « Tableau » كاللوحات الزيتية التى يصورها ويرسمها الفنانون والرسامون .

والخيال ضد الواقع ، وإذا قيل عن إنسان إنه خيالى فمعنى ذلك أنه ليس واقعياً ، وكما يعرف الفيلسوف الفرنسي « باسكال « Pascal » بأنه قد يكون مصدراً للأخطاء والأغلاط

يختلف خيال الكبار عن خيال الأطفال لا فى وسعه وخصوبته وذكائه عند الكبار فحسب ، ولكن فى نوعه وطريقة عمله ، فهو أجنح إلى المادية يعنى بها أكثر بكثير من عنايته بالمعنويات كما أنه تلقائى « Spontanée » يصل إلى الهدف عن أقرب طريق .

فإذا ما شاهد الطفل مثلا قطرات الندى فى الصباح الباكر تكلل الحشائش أو تتدلى من أعطاف الورد فقد يتبادر إلى ذهنه فوراً بأن الورد حزين باك يذرف الدمع ؛ وإذا رأى فراشاً ملوناً « Papillons » يتطاير فى الحقول فقد يظنه زهوراً طائرة .

فمن هنا نرى أن خيال الطفل يصل إلى هدفه من غير كبير عناء . وقد يتراءى لنا فى هذه الحالة بأن للطفل مسحة شاعرية لأن الشاعر فى مثل هذه المواقف وبعد أن يكد خياله ويتذوق ما فى المشهد من جمال وروعة لا يقول أكثر مما قاله الطفل بأن الورد قد احمر خجلا أو بكى حزناً ، أو أن الزهور تتطاير فرحاً أو هلعاً ، وكل ما هنالك من فرق هو أن الشاعر يحلم ويتذوق والطفل يجزم ويجد ما يقع تحت ناظره ويرتسم على خياله .

يقول الفيلسوف « أوجست كت » مؤسس مذهب الإيجابية بأن الخيال يمر بثلاثة أطوار :

الطور الأول : هو الطور الدينى فقد تخيل الإنسان الأول فكرة الدين والآلهة ، وهى فكرة مرماها الفسيولوجية ، والسيكولوجى هو ملاءمة الإنسان لبيئته وأمله فى الخلود تتجلى فيها ظاهرتا الإخضاع والخضوع بصورة جلية واضحة . يخضع للآلهة ويتقرب إليها حتى إذا ما فاز منها بالحظوة والرضا استعمل بدوره تلك الحظوة وذلك الرضا فى إخضاع بيئته من طبيعية واجتماعية وأصبح أقوى نفساً وأشد مراساً فى حربه الدائمة السرمدية مع تلك البيئة .

ذكرنا أيضاً فى المقال السابق بأن «الحيوية» «Animisme» هي من مميزات عقلية الطفل يشاركه الإنسان الأول فى هذه الصفة إذ كان يعير الأصنام والجمادات شيئاً من الحيوية والإرادة والتفكير ومن هنا كان يخشى بأسها ويرتجى معونتها . كذلك الطفل فى سنه المبكرة يرى فى بعض الجمادات حياة وإرادة ، فانظر إليه يناجى لعبته ويناغيها حيناً ، ثم لا يلبث أن تتغلب عليه صفة القلق السريع والتحول المفاجىء فينبذها ويقصيها . وقد تتغلب عليه غريزة « الإخضاع » والسيطرة وحب الذات إذا لم تسر على هواه أو تتكيف على صورة خاصة كما لو كانت ذات وعى وإرادة .

الطور الثانى : هو الطور « الرومانتيكى » والوهمى يظهر فيه

الطفل تقدماً محسوساً ، فبعد أن كان فى الطور الأول يعتقد فى حيوية بعض الجمادات من أدوات لعبه تتضح له ماهيتها الحقيقية ، ولكنه فى هذا الطور يلجأ إلى « الفرض » ويستعمل « المجاز » فيتخيل مجازاً بأن لعبته كائن حى لأن فى ذلك لذة شاعرية نفسانية وهذا الفرض نفسه إنما ينتج عن « الوعى » . ويمكننا أن نعتبر هذا الطور بداية الشاعرية والخيال الحقيقى . كذلك بعد أن كان الأطفال فى الطور الأول يعتقدون فى وجود « بابا نويل » ولا يرتابون فى أمره وبأنه هو الذى يهبط من السماء فى صبيحة رأس السنة الميلادية وعيدها ويأتيهم بالهدايا والتحف يبدءون يتشككون فى أمره بل ينكرون وجوده وإنما هى حيلة ودعاية من والديهم وذويهم يقصد منها جلب السرور إلى أنفسهم. غير أن هنالك نوعا من خيبة الأمل تحدث للأطفال حينما تتبين لهم حقيقة « البابانويل » أو غيره من الأشياء التى كانوا يتخيلونها على هواهم ؛ لهذا يفرضون مجازاً وبمحض وعيهم وخيالهم بأن « البانويل » يهبط من أعلى السماء ويأتيهم بما يشتهون لأن فى الوهم الرومانتيكى لذة نفسية ، كما أن ذلك يحلو للكبار ويشعرون بشىء من السرور لبقاء آثار هذا الطور الرومانتيكى عالقة فى أذهانهم وإن كنا لا ننكر بأن غبطة صغارهم هى العامل المباشر لجلب السرور إلى أنفسهم . وهذه اللذة النفسانية يشعر بها مؤلفو قصص الأطفال والأمثال الخرافية مثل أمثال لافونتين الخرافية .

الطور الثالث : يتولد فيه عند الطفل كبير من الوعى وينقد فيه ما كان يسلم به تسليما آليا تلقائيا « Sens Critqué » كما يجنح إلى الواقعية ويصبح خياله مرتبطاً منظما بعد أن كان مفكك الحلقات مفقودها فى أغلب الأوقات وهو ما يظهره خطأ أو يتراءى للانسان وسمه بالنسبة لعقلية الطفل هذا الخيال الذى كان واسعاً سطحياً — لتفككه يصبح عميقاً — لتركزه وربطه — محدود الجوانب . كما تبدو عند الطفل آثار قوة الملاحظة.

كما أن آثار الطور الثانى لا تزال تبقى لدى الطفل ولكنها تضمحل شيئاً فشيئاً ويحل محلها الخيال العلمى وهو كما يلقبونه « بطور البناء » هو بداية الإنتاج والابتكار لدى الطفل .

هذا وقد يعترى الخيال نوع من الشذوذ فى سن المراهقة وهى كما نعلم أخطر الأطوار فى نمو الطفل جسمياً وعقلياً ونفسانياً نذكر بعضها باختصار .

١ — « الميثومانية » Mytinmahoie وهى نزعة يجنح فيها لخلق الأكاذيب والمقدرة على حذقها وتصبح له عادة وهواية لا ينفك عنها بل تلازمه طيلة حياته إذا لم يبادر بملاجه منها .

٢ — « البوفارزم » Bovarysme وهو نوع من « الميقالومانيا » هو تخيل المراهق بأنه ذات مصونة وشخصية مرموقة .

٣ — « الشزويدية » Schigoidie وهو أخطر أنواع الشذوذ والأمراض النفسانية التى قد يصاب بها المراهق . ومن خواصها وعوارضها أن المراهق يستسلم « لأحلام اليقظة » ويستحيل الاستغراق فيها يطلق لخياله العنان ويسبح فى ملكوت الأوهام ثم يجنح إلى العزلة يهاب المجتمع أو يحتقره فى بعض الأحيان ويبنى « قصوراً فى الهواء » كما يقول المثل .

هذا الشذوذ قد يصاب به بعض الفلاسفة والفنانين ولكنه يقف عندهم عند هذا الحد . أما لدى الطفل فقد تشتد وطأته ويفضى به إلى ما هو أدهى وأمر ، ونقصد بذلك داء « الفصام » Schizophrén e

ومن علامات ظهوره عند المراهق هى اشتداد عوارض « الشزويدية » فينطوى الطفل على نفسه انطواء تاماً ويبدو خجولا متكتما ولا سيما فى حضرة من هم مثل سنه ، وإذا أرغم على مجالسة غيره فقد يفضل أن يكون ذلك مع الكبار .

يصور له خياله آفاقاً بعيدة وأهدافاً عالية تصبو نفسه إلى تحقيقها ولكنه لا يبدى مجهوداً لتحقيقها لأن المجهود يتطلب مواجهة الواقع ومصارعة الصعاب وهو ما يفر منه فراراً فيفضى به الحال إلى الإخفاق فيحز ذلك فى نفسه ويزيد من فصامه فى شكل « دائرة خبيثة » وكلما ازداد تحفزه وطموحه وتوثبه ازداد إخفاقه وابتعاده عن غايته على حد قول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

أو كما تقول الحكمة القائلة « السائر على غير هدى كلما ازداد جداً ازداد عن غرضه بعداً » .

هذه لمحة مختصرة من سيكولوجية الطفل علّ القارئ أن يجد فيها بعض الفائدة .

(باريس) **فضل أبو بكر**

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

بين البحترى وشوقى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

انتهت المؤامرة التى دبرها المنتصر مع الأتراك ، بقتل الخليفة المتوكل سنة ثمان وأربعين ومائتين من الهجرة ، وكان البحترى الشاعر فى المجلس الذى تم فيه ذلك الاغتيال ، فثارت عواطفه ، فأنشأ قصيدة رثى بها مولاه القتيل ، ويقرع فيها ابنه ولى العهد رأس هاته المؤامرة ، ويقول :

أكان ولى العهد أضمر غدرة … فمن عجب أن ولى العهد غادره
فلاملّى الباقى تراث الذى مضى … ولا حملت ذاك الدعاء منابره
ولا وأل المشـكوك فيه ولا نجا … من السيف ناضى السيف غدرا وشاهره

فكانت تلك القصيدة من عوامل الجفوة ، بينه وبين الخليفة الجديد . والظاهر أن الشاعر قد اضطهد فى بدء ذلك العهد ، فنبت به بغداد وسر من رأى ، وأزمع الرحيل حتى يعود إلى الجو نقاؤه وصفاؤه ، وحتى ترجع حياته إلى سابق عهده بها ، لينة مهلة وادعة ، فاختار أن يرحل إلى المدائن عاصمة دولة الفرس القديمة ، راجياً أن يجد فى تلك الرحلة المظة والتسلية . ولقد أثمرت رحلته تلك قصيدة رائعة قل نظائرها فى الأدب العربى كله ، وكان لها صدى فى نفس شاعرنا المغفور له شوقى ، فقد نفى فى أيام الحرب العظمى الماضية إلى الأندلس ، وظل بها حتى وضعت الحرب أوزارها ، فرأى واجباً عليه قبل العودة إلى وطنه ، أن يزور آثار العرب التى خلفوها بتلك الديار ، وكان البحترى رفيقه فى الترحال ، وسينيته التى خلد بها إيوان كسرى تملك من شوقى نفسه ، قال « فكنت كلما وقفت بحجر ، أو أطفت بأثر ، تمثلت بأبياتها ، واسترحت من مواثل العبر إلى آياتها ، وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترى إيوان كسرى … وشفتنى القصور من عبد شمس

ثم جعلت أروض القول على هذا الروى ، وأعالجه على هذا الوزن ، حتى نظمت هذه القافية المهلهلة » .

بدأ الشاعران قصيدتيهما محنقين مما رمتهما الأيام به ؛ أما البحترى فسر حنقه خوفه على رزقه أن يطفف ، وخشيته على عيشه أن ينقص :

بلغ من صبابة العيش عندى … طففتها الأيام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفه … علل شربه ووارد خمس
وكأن الزمان أصبح محمو … لا هواه مع الأخس الأخس

وهنا يثور فيه الحنين إلى وطنه الشام ، فيرى أنه لم يكن حكيما ، يوم باع هذا الوطن ، واشترى به العراق ، ولكنه لا يسرف فى هذه الثورة ، ولا يطيل ، بل يكتفى بقوله :

واشترائى العراق خطة غبن … بعد بيعى الشآم بيعة وكس

أما شوقى فيبدأ قصيدته بالحنين إلى الشباب وملاعب الشباب ، والحنق على هؤلاء الذين حرموه الإقامة فى وطنه ، وأبعدوه عنه ، ويرق شوقى فى حديثه عن قلبه الذى لم يسل بلاده ، فهو متنبه مستطار ، إذا استمع إلى البواخر مقلعة أو عائدة ، فيقول :

وسلا مصر ، هل سلا القلب عنها … أو أسا جرحه الزمان المؤسى
كلما مرت الليالى عليه … رق ، والعهد فى الليالى تقسى
مستطار إذا البواخر رنت … أول الليل أو عوت بعد جرس
راهب فى الضلوع للسفن فطن … كلما ثرن شاعهن بنقس

فهذا القلب يكاد يطير من بين أضالعه كلما أصغى إلى باخرة تصيح فى هدأة الليل ، وهو كالراهب المتبتل يدق ناقوسه ، كلما ثارت سفينة ، تزمع الرحيل ؛ وهنا يأسى شوقى لحرمانه من وطن ينعم به حتى غير أهله وذويه :

أحرام على بلابله الدوح ، حلال للطير من كل جنس

وإذا كانت ثورة البحترى على بعده عن وطنه قد وقفت عند حد إعلانها ، فلم يحدثنا عن هذا الوطن قليلا ولا كثيرا ، فإن الذكريات تنهال على شوقى ، وصورة بلاده تتمثل أمامه ، فيطلق شوقه بالحديث عن طبيعتها حيناً ، وعن آثارها حيناً آخر ، وإنه ليسمو إلى أبعد الغايات فى تصوير هذا الشوق إذ يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه … نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
وهفا بالفؤاد فى سلسبيل … ظمأ للسواد من عين شمس
شهد الله لم يغب عن جفونى … شخصه ساعة ولم يخل حسى

وينتقل خيال شوقى بين الإسكندرية ، وعين شمس ،

والجزيرة ، والنيل ، والجيزة ، وبين الأهرام وأبى الهول ، وإذا كنت لا أستسيغ بعض أخيلة شوقى هنا : كتصوير الجزيرة عرساً :

قدها النيل فاستحت فتوارت   منه بالجسر بين عرى ولبس

أو تشبيه الأهرام بعيران فرعون .

أو قناطيره ، تأنق فيهـا   ألف جاب وألف صاحب مكس

فإن حديثه عن أبى الهول حديث معجب حقاً ، يبعث فى النفس تعظيم الأثر ، ومقيمى الأثر .

ورهين الرمال أفطس إلا   أنه صنع جنة غـير فطس
تتجـلى حقيقة الناس فيه   سبع الخلق فى أسارير إنسى

ثم يقف شوقى مستلهماً العظة من حوادث الأيام ، فيرى دولا تقوم ، وأخرى تسقط ، وملوكا ينهضون بالملك ثم لا تلبث شمسهم أن تتوارى . وهنا ينتقل انتقالا طبيعياً إلى الحديث عن دولة العرب فى الأندلس ، فيقف عند آثارهم يستوحيها ، كما وقف البحترى عند آثار الأكاسرة يستلهمها ، وهنا يبدو تأثير البحترى واضحاً فى شوقى ، فقد وصف البحترى ما رأى بعينه ، وصور له الخيال ماضى تلك الآثار ، فرسم ما تخيل ، ووازن بين الماضى والحاضر ، وكانت تلك الموازنة مصدر التأسى والاعتبار ، وعلى هذا النسق سار شوقى فى قصيدته الأندلسية .

راع البحترى ما رأى من خالد الأثر ، فانطلق يملن إعجابه ، معترفا بأن تلك الآثار الجليلة لا يمكن أن يوزن بها أطلال العرب ولا آثارهم فى صحاريهم القفرة :

حلل ، لم تـكن كأطلال سعدى   فى قفار من البسابس ملس
ومســاع لولا المحاباة منى   لم تطقها مسعاة عنس وعبس

ولقد كان البحترى متفننا ماهراً ، يحاول أن ينقل إليك الأثر الذى أحس به عند ما وقف أمام آثار الفرس ، فيلجأ إلى التشبيه حيناً ، وإلى تصوير ما رآه حيناً آخر ، وإلى الخيال يكمل به الصورة ، حتى تصبح واضحة مؤثرة : فهذا الجرماز — وهو قصر بجانب القصر الأبيض -- قد صار مقفراً مهجوراً ، يوحى إلى النفس بالوحشة التى تملؤها عند رؤية القبور ، وإن فى هذا القصر من العجائب مايدل على عظمة منشئيه ، ومن بين ذلك صورة تسجيل معركة حربية دارت بين الروم والفرس عند مدينة أنطاكية ، وقد وقف الشاعر أمام هذه الصورة مذهولا لما فيها من الدقة والإحكام ؛ فهذا أنوشروان يقود الجيش ، مدفوعا إلى القتال بهذا العلم المنصوب ، يحفز الهمم ويحث العزائم ، وقد ارتدى المليك لباساً أخضر ، وامتطى صهوة حصان يزدهى عجباً ، ويختال تحت راكبه ، وهذا الجيش قد أقبل على المعركة يصطلى نيرانها ، ولا تكاد تسمع إلا صوت السلاح ، فهذا جندى يقبل على عدوه بالرمح ، وذاك يتقى السنان بالترس ، ولقد بلغ من إحكام تلك الصورة أنها تخيل لرائيها أن مايراه جيش حقيقى لا صورته ، كما ملأ الوهم نفس البحترى ، فأقبل يلمس الصورة بيده ، ليتأكد أنها صورة لا حقيقية ، قال :

فإذا ما رأيت صورة أنطاكية   ارتعت بين روم وفرس
والمنـايا موائل ، وأنو شروان   يزجى الصفوف تحت الدرفس
فى اخضرار من اللبـاس على   أصفر يختال فى صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه   فى خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح   ومليح من السنان بترس
تصف العين أنهم جد أحياء   لهم بينهم إشـارة خرس
يغتلى فيهم ارتيابى حـتى   تتقـراهم يداى بلمـس

وهذا الإيوان فى القصر الأبيض عجيب الصنعة تراه فيخيل لهـذه الـكآبة التى تغمره أنه مزعج بفراق إلف عزيز عليه ، أو مرهق بتطليق عرس ، فكأنه يشعر بأحداث الزمان ، ويحس بثقـله عليه ، ولـكنه يحتمل متجلداً ، وبرغم ما أصيب به من استلاب زينته ، وعرائه من بسط الديباج ، وستور الدمقس ، لم يزده ذلك إلا عظمة وجلالا ؛ ويجمل الشاعر إعجابه الذى لا حد له فى قوله :

ليس يدرى ، أصنع إنس لجن   سكنوه ، أم صنع جن لإنس

وهنا يسبح الخيال بالبحترى ، فيعود به إلى عهد العظمة والمجد ، الذى ظفر به فى القديم هـذا القصر الوحش الضخم ، فها هو ذا المليك بين حاشيته ، وقد جلسوا فى مراتبهم ، يستقبل الوافدين عليه فى إجلال وخشوع ، بينما القصر يموج بمن فيه : قيان يملأنه بالغناء ، ويعمرنه بالسرور ؛ أما اليوم فقد انقضى كل شىء ، وصار موضع عظة وعبرة ، ولا يبخل البحترى على القصر بدموع يذرفها ، برغم أن الدار ليست داره ، ولا الجنس جنس

قومه ، ولكنه يحفظ للفرس هذه اليد التى أسدوها إلى اليمنيين أهله ، يوم أعانوهم على التخلص من غزو الحبش الذين بعثوا إليهم بجيش يقوده أرياط ، ونشتم رائحة الشعوبية من بعض أبيات القصيدة كما مضى ، ومن هذا البيت الأخير الذى ختمها به ، وفيه يعلن إعجابه بالأمجاد من جميع الأجناس ، لا فرق بين عربى وعجمى ، قال :

وأرانى من بعد أكلف بالأشراف طراً من كل سنخ وأس

ويسير شوقى هذا النهج تقريباً ؛ يصف الأثر فى حاضره ، ويمضى به الخيال إلى الماضى ، فيصف ما كان له من أبهة وجلال زار شوقى قرطبة فراعه ما آل إليه أمر تلك العاصمة القديمة فقد انتقص الدهر أطرافها فعادت قرية حقيرة لا شأن لها ، بعد أن كانت فى القديم على عهد العرب ، أعظم بلاد أوربا وأرقاها ، يقول شوقى :

لم يرعنى سوى ثرى قرطبى لمست فيه عبرة الدهر خمسى
يا وقى الله ما أصبّح منه وسقى صفوة الحيا ما أمسى
قرية لا تعد فى الأرض كانت تمسك الأرض أن تميد وترسى
غشيت ساحل المحيط وغطت لجة الروم من شراع وقلس

وإذا كان البحترى قد تخيل قصور المدائن وجلالها ، فقد تخيل شوقى قصور قرطبة وأبهتها ، وقلده فى تصويره الناصر تحت الدرفس . ويعود البحترى إلى يقظته فيرى الدار خلاء ، كما عاد شوقى إلى يقظته فوجد الدار ما بها من أنيس ، وخص البحترى الإيوان بجزء من قصيدته يمجده ، وشوقي قد خص المسجد العتيق بجزء من شعره يخلده ، وأرى هذا الجزء أروع أجزاء القصيدة وأقواها ، إذا استثنينا تشبيهه أعمدة المسجد بألفات ابن مقلة ، إذ هو أشبه بوزن الجبل بالنملة . أما الأثر الذى أحس به شوقى عندما وقف أمام هذا المسجد العتيق ، فقد نجح فى تصويره تصويراً ينقل هذا الأثر إلى نفوسنا ، إذ يقول :

ورقيق من البيوت عتيق جاوز الألف غير مذموم حرس
أثر من (محمد) وتراث صار (للروح) ذى الولاء الأمس
بلغ النجم ذروة وتناهى بين (ثهلان) فى الأساس و (قدس)
مرمر تسبح النواظر فيه ويطول المدى عليها فترسى
وسوار كأنها فى استواء ألفات الوزير فى عرض طرس
فترة الدهر قد كست سطريها ما اكتسى الهدب من فتور ونعس
ويحها ، كم تزينت لعليم واحد الدهر واستعدت لخمس
وكأن الرفيف فى مسرح العين ملاء مدنرات الدمقس
وكأن الآيات فى جانبيه يتنزلن من معارج قدس
منبر تحت (منذر) من جلال لم يزل يكتسيه أو تحت (قس)
ومكان الكتاب يغريك رياً ورده غائباً فتدنو للمس
صنعة الداخل المبارك فى الغرب ، وآل له ميامين شمس

ومما لا ريب فيه أن الذى دفع البحترى إلى لمس الصورة ، أقوى مما دفع شوقى إلى لمس مكان الكتاب .

وزار شوقي الحمراء ، ووقف عند آثارها ، ولا سيما مجلس السباع الذى أصبح خلاء مقفراً ، خلده شوقى فى شعره ؛ ويقف شوقى حزيناً كئيباً ، يتخيل العرب وهم يغادرون بلاد آبائهم فى ذلة وضعف فيقول :

خرج القوم فى كتائب صم عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشاً وكانت تحت آبائهم هى العرش أمس
رب بان لهادم ، وجموع لمشتت ، ومحسن لمخس
إمرة الناس همة لا تأتى لجبان ، ولا تسنى لجبس
وإذا ما أصاب بنيان قوم وهى خلق ، فإنه وهى أس

وكما ختم البحترى قصيدته بشكر الفرس على ما كانوا قد أسدوه إلى قومه اليمن ، من سابق اليد ، ختم شوقى قصيدته بشكر الأندلس على ما قدمت إليه من كرم الضيافة له ولا بنيه .

أحمد أحمد بدوى

محمد إقبال

شاعر الشرق والاسلام

١٢٨٩ – ١٣٥٧ ١٨٧٣ – ١٩٣٨

للأستاذ مسعود الندوى

(تابع)

٦ – « مسافر » : مجموعة شعره الذى قاله أثناء سفره إلى أفغانستان سنة ١٩٣٢ على دعوة[1] من مليكها الشهيد الغازى نادر خان . وفيه نصائح لشبان بلاد الأفغان ورجالهم . ومما يسرنا ذكره بهذه المناسبة أن شباب الأفغان يدرسون شعره ويستفيدون من حكمه مثل شباب الهند . وقد بين لنا ذلك أستاذنا الجليل ، العلامة المحقق السيد سليمان الندوى – أمتعنا الله بطول بقائه – الذى كان زميل شاعرنا فى هذا السفر . وذكر لنا الأستاذ – أدامه الله – شيئاً كثيراً من مزايا محمد إقبال مما لا يتسع المقام لذكره . ومما ذكره الأستاذ بوجه خاص أنه حينما زار محمد إقبال جلالة الملك نادر أول مرة فى كابل جعلا يبكيان ساعة من الزمن ، والقوم صامتون ينظرون إلى مسلمين مخلصين ، أحدهما حكيم والآخر ملك ، يتكلمان بدموع العين ، لقد صدق من قال :

لسانى عيى فى الهوى وهو ناطق   ودمعى فصيح فى الهوى وهو أعجم

٧ – بال جبريل (طير الناجبريل) : كان الشاعر بادىء ذى بدء يقرض فى الأردية ، ولذلك ترى جميع عيون شعره من الأدوار الأولى فى هذه اللغة . ولما سمت فكرته ونضجت آراؤه اتخذ من الفارسية آلة لإبداء أفكاره وجعلها وسيلة لإذاعة شعره فى جزء غير يسير من أنحاء العالم الإسلامى ، ولذلك جاءت جميع دواوينه بعد « بانك درا » فى اللغة الفارسية . وقد شدا بذكرها فى بيت له من « بيام مشرق » ولله دره حيث قال :

(١) كان دعا جلالة ملك أفغانستان ، الأساتذة الأجلاء : السيد سليمان الندوى ، والدكتور محمد إقبال والسر راس مسعود « حفيد السر سيد أحمد خان » ليستشيرهم فى تأسيس بنيان الجامعة الأفغانية بكابل ، لكن المنية عاجلته رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فراديس جنانه .

تم كلى زخيا بان جنت كشمير

دل أز حريم حجاز ونواز شيراز است

إن جسمى ريحانة من رياض الجنة الأرضية كشمير[1] ، والقلب منبته بلاد الله الحرام وأفانين الكلام مقتبسة من ألحان شيراز .

لكن اللغة الفارسية ، حينما وسعت نطاق المعجبين بشعره فى خارج الهند ، قللت من قرائه والمستفيضين من ينبوع حكمته فى داخل البلاد ، وطالت شكوى أهلها من شاعرهم ، حتى إن بعض حماة الأردية أرادوا أن يغضوا من شعره الفارسى ، وتقول غيرهم أن الشاعر اختار الفارسية ليكون فى مأمن من قوانين الحكومة الصارمة . لأجل هذا وذاك أراد الشاعر أن يعود « والعود أحمد » إلى الأردية ، فنشر سنة ١٩٣٢ هذا الديوان الذى بذ جميع دواوين شعره فى الحكمة وتعمق الأفكار ومعظم كلماته فيه نتيجة ما شاهده وتأثر به خلال أسفاره إلى بلاد أوربا ... لندن وباريس وروما والأندلس ... وبلاد العرب عام ١٩٣١ ، ولقد أجمع النقاد على أن صاحبنا كان شاعراً أو فلسفياً فى مجاميع شعره السابقة ، لكنه حكيم فى هذا الديوان ، لا غيره . ومن خصائص هذه المجموعة أن صاحبنا تناول المشايخ (المعروفين بـ « ملا » فى الهند) والمتصوفين بالنقد اللاذع فى غير واحدة من كلماته . شىء لم نره فى مصنفاته السابقة . ومن ميزاته أنها تشتمل على معجزات القصائد التى ألهمها صاحبنا فى الأندلس وفلسطين حينما تكشفت لعينيه الحجب الظاهرية ورأى بعينه ما لا يتيسر لغيره أن يراه . لكن هذا الديوان ، على ما فيه من بدائع الحكمة ومشاهدات الأندلس وفلسطين ، ينقصه شىء عظيم ، وهو أن معظم المولعين بشعره لا يقدرون على إدراك مغزى كلامه ، لكونه مصبوباً فى قالب من الشعر المتأنق والحكمة العميقة البالغة ، وإنما يتذوقه المتأدبون والذين لهم ذوق فى الشعر متأصل .

٨ – ونظراً إلى ذلك عنى بنشر ديوان آخر سماه « ضرب كليم » (ضربة موسى كليم الله) أودعه آراءه فى جميع شعب الحياة العصرية ، مجردة عن الفلسفة وزخارف الشعر ، بحيث يفهمه

(١) أصل الشاعر الحكيم كشميرى من عائلة برهمية . ثم نزح آباؤه إلى بلدة سيالكوت فى بنجاب وفيها نشأ وترعرع وتعلم إلى أن انتقل إلى مدينة لاهور فى آخر عهده بالطلب ثم استوطنها وبها توفى .

كل من له أدنى إلمام بالأدب ، إن كان له حظ فى المسائل الدينية والسياسية المعروضة على بساط البحث والنقد .

وقد فسر الشاعر الحكيم بنفسه اسم هذا الديوان (ضرب كليم) بأنه « إعلان حرب على العصر الحاضر » وقد صدق رحمه الله ، فى هذا التفسير ، لأنه فنَّد فيه آراء أهل الغرب والتفرنجين وقطعها إربًا إربا ، وانتقد جميع نظرياتهم السياسية ؛ فلا ريب أن (ضرب كليم) « إعلان حرب على العصر الحاضر » وقد أجمع المتأدبون بأدبه والمتذوقون لشعره وحكمه على أن شاعر الإسلام لم يجمع هذه الأفكار الثمينة فى كتاب واحد . ومن خصائص هذا الديوان أن حكيم الإسلام تعرض فيه لانتقاد القاديانيين وغلامهم[1] الكذاب ، فذكرهم غير مرة وكشف الغطاء عن دجلهم وكيدهم للاسلام والمسلمين . وذلك بأسلوبه المعجز المدهش .

(٩) ارمغان حجاز (هدية الحجاز) : عنوان ديوانه الذى ظهر بعد وفاته ، رحمه الله ، (باللغتين الفارسية والاردية) ، وقد سماه هدية الحجاز ، لسبب خاص . وبيان ذلك أنه سافر إلى بلاد أوربا مراراً وزار بعض بلاد العرب أيضاً ، لكنه ما قُدِّر له أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين، على ما به من تباريح الوجد والشوق إلى زيارة بيت الله الحرام وقبر النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من أمنيته أن يتمتع بهما ، وقد وطد العزم على ذلك ، وجعل يقرض أبياتاً ومقطوعات شعرية ، مواجهاً بها بيت الله الحرام ومثوى النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فكأنى به كان يعد عدته لذلك السفر الميمون ويهيىء الزاد الذى يقدمه إلى عشاق أدبه والمفتتنين بحكمه ، حين قفوله من الزيارة المباركة ، إلا أن مرضه الأخير قد أنهك قواه ، وبقى يتقلب على أحر من الجمر زهاء عامين يتجرع غصص النوى حتى وافاه الأجل المحتوم ، ولما يقض لبانته . وفى أيام المرض العصيبة قد جادت قريحته بأبيات ومقطوعات لا تنسى أبد الدهر . وإن ننس لا ننس البيتين اللذين رثى فيهما نفسه ، وأنبأ المولعين بأدبه وشعره بدنو أجله :

سرود رفتـــه باز آيد كدنه آيد
نسمى از حجاز آيد كدنه آيد
سر آن روزكار اين فقرى ٠ دكر وأنات راز آيد كدنه آيد

ليت شعرى ، هل للنغمة المفقودة من رجعة ؟ ولا أدرى ، هل أجد بعد اليوم نسيم الريح التى تهب من جانب البطحاء ؟ أما هذا الفقير إلى الله فقد آن أوانه ودنا أجله ، فلا يعلم إلا الله ، هل ينبغ فى هذه الأمة حكيم آخر عالم بأسرار الكون ودقائق الأمور ؟

وكذلك قوله على فراش المرض قبل وفاته بأيام :

بيشتى بير أرباب يم آست بيشتى بير پاكان حرم آست
بكوبا مسلم هنـــدى كدخوش باش
بيشتى فى ســـبيل الله بم آست

هناك فى الدار الآخرة جنة للذين يجودون بأموالهم ويضحون بذات يدهم ، وجنة للزهاد والنساك المتقطعين إلى ذكر الله .

وقل للمسلم الهندى أن لا يحزن ولا يتألم ، فإن هناك جنة أخرى غيرها ، ألا ، وهى التى ينعم بها على الذين يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

— ٥ —

آراؤه وأفكاره :

نريد الآن أن نترجم بعض آرائه فى مختلف المسائل من ديوانه (ضرب كليم) ، ليعرف القراء وجهة نظره فى السياسة والدين والأخلاق ، إلا أنه لا يمكن أن يبقى فى الترجمة عشر معشار الروعة والتأثير اللذين امتاز بهما شعره .

الاجتهاد :

أنّى لأحد أن يتعلم أسرار الدين فى الهند
لأن العمل والأفكار العميقة مفقودة فيها ؛
فلا تجد فى المشتغلين بالعلم والتعلم حرية الفكر والتفكير السديد .
فتبًّا وتعسًا للعبودية وعدم التحقيق ؛
لا يغيرون أنفسهم فحسبُ ، بل يريدون أن يبدلوا كلام الله
ويحرفوا الكلم عن مواضعه ؛

(١) اسم هذا المتنبىء الذى ظهر فساد دعواه فى الخافقين ، غلام أحمد والقاديانى نسبة إلى قرية « قاديان » التى ولد فيها وتوفى بها

ما أبعد عن الحق هؤلاء الشيوخ والفقهاء وما أضل سبيلهم !
يرى هؤلاء « العبيد » أن كتاب الله ناقص
لأنه لا يرشدهم إلى طريق العبودية .

المسلم الهندى :

يقـول المنـــادك[١] إنه خائن لوطنـه
ويرى الانكليز أن المسلم متسول ومتـكفف
وشرذمة أصحـــاب[٢] النبـوة ، تفتى
بأن هذا المسلم « العتيق البالى » كافر
فلا أدرى متى يرتفع صوت الحق ومن أى جهة ؟ وقلبى
حائر قلق أمام هذه الأقوال المتضاربة .

الجهاد :

لقد أفتى الشيخ بأن هـذا عصر القلم ، وأما السيف فلم
يبق له اليوم عمل يذكر ؛
ولـكنى أسائل حضرة الشيخ : أولا يعرف هو أن هذه
الموعظة لا تجدى اليوم بشىء فى المساجد ، فأين السيوف والمدافع
بأيدى المسلمين ؟
وإن كانت فالقلوب قد ذهلت عما فى الموت من لذة ؛
ومن لى بالذين تجف قلوبهم خشية الموت ؛
حتى لا يرضوا أن يضحوا بنفوسهم تضحية الـكفار ؛
من لى بهم أن ينفضوا عنهم غبار الجبن والخمول ؛
ويبذلوا مهجهم وأرواحهم بذل المسلمين المخلصين ؟
وما أحرى الذين يرتعد العالم خوفاً من آلاتهم الجهنمية ،
أن يلقنوا الأمن والسلام ويدعوا إلى ترك « الجهاد » ،
« جهادهم » الباطل .
أو لا ترى أن أوربا قد غرقت فى بحار من حديد
للمحافظة على الباطل وجنـوده ، واستعداداً للحرب[٣]
الضروس القادمة .

(١) أريد بالهنادك مشركى الهند من غير المسلمين أما « الهندوس » فالظاهر أنه خطأ شائع ، لأن « الهندوس » (Hindus) جمع « هندو » فى الانكليزية بالسين (S) ولعله قد جرى على أقلام كتاب العرب لتقلهم من اللغات الافرنجية .

(٢) يريد القاديانيين .

(٣) قيلت هذه الكلمة قبل الحرب الأخيرة بأعوام .

ونحن نود أن نسأل الشيخ المتزلف إلى الـكنيسة الغربية
والاستعمار الغربى : أليست الحرب شراً فى الغرب ، إذا كانت
كذلك فى الشرق ؟
وإن كنت تريد الحق ، فهل يليق بك أن تحاسب الإسلام
وتضرب صفحاً عن أعمال أوربا وفظائع مقترفاتها ؟

الإسلام الهندى :

حياة الأمة منوطة بوحدة الأفـكار ،
وما الوحى[١] الذى يمزق هذه الوحدة إلا ضلال وخرافة ،
ولا ضمان لهذه الوحدة إلا القوة ؛
أما العقل والحـكمة فلا يحركان فى هذا الشأن ساكناً ، لأن
المسألة مسألة القوة ؛
ولـكنك أيها المسلم ، لست فى شىء من تلك القوة ، فاجمل
بك أن تلتجىء إلى كهف أو مغارة ، وخير لك أن تجتهد فى
إيجاد إسـلام[٢] آخر ، يدعو إلى الفقر ، والعبودية ، واليأس
الدائم . وبما أن الملا ، (الشيخ) قد أبيح له فى الهند أن
يركع ويسجد .
يزعم الأبله أن الإسلام حر فى هذه الديار (كأنى به
لا يعرف من الدين إلا الركوع والسجود فقط) .

محمد على الباب :

كانت خطبة (الباب) بين يدى العلماء غريبة ؛
كان المسكين يحرف أعراب (السماوات) عن موضعه ؛
وكان العلماء يبتسمون ، ساكتين على خطأه ؛
فأجابهم إنـكم لا تعرفون درجاتى العالية ؛
كانت آى القرآن محبوسة فى قفص (الاعراب) ؛
والآن حل إسارها لوسيلة (إمامتى) .

(البقية فى العدد القادم) مسعود الندوى

(١) إشارة إلى القاديانى .

(٢) يريد ديناً آخر غير دين الاسلام الحق الذى دعت إليه الرسل الكرام عليهم السلام من لدن سيد البشر آدم عليه السلام ، إلى خاتمهم وسيدهم مولانا وسيدنا النبي العربى الأمى صلى الله عليه وسلم .

طرائف من العصر المملوكى :

رسالة الدار عن محاورات الفار

أو فن القصة

للأستاذ محمود رزق سليم

بقية ما نشر فى العدد الماضى

اتبع كذلك المؤلف طريقة الحريرى والهمذانى فى ابتداع شخصيتين فى القصة، شخصية راوٍ هو «حسان» ومروى عنه وهو «الحكيم حسيب» الذى أشرنا إليه فيما سبق. فيقول مثلا «قال الراوى حسان. معدن الظرافة والإحسان: فتوجه الحكيم حسيب الأديب الأريب إلى إيراد الأخبار. عن الهداة الأخيار. فحكى أن ملكا من ملوك الأمصار. وسلاطين العجم يدعى «شهريار» ... الخ». وذلك شبيه بما كان يقوله مثلا أبو القاسم الحريرى: حدثنا الحارث بن همام ... ثم يقص قصته عن أبى زيد السروجى.

وقد توخى المؤلف فى كتابه، مفاكهة الناس على اختلاف درجاتهم وتباين مشاربهم، من الحديث الشوق الذى يجذبهم إلى سبل الخير. وأسلوبه وإن كان مزدحماً بالبديع وبخاصة السجع، لأنه من المولعين به، من الحق علينا أن ننصفه، وأن نذكر أنه أخف مئونة من أسلوب المقامات العباسية حين بلغت أوجها على يد الهمذانى والحريرى. وهو أكثر حكمة وأوفى مثالا وأدق تعبيراً وأكثر تحليلا لخفايا النفوس، وإظهاراً لهواجسها. فلم يقتصر على الأوصاف الحسية بل حلل وتعمق وأمعن ودقق. فليست البراعة الأسلوبية رائده الأول أو دافعه الأكبر على تدبيج قصصه وتأليف كتابه. وبهذا كله يفترق عن كتاب المقامات.

أما المقامات فقد عرفناها منذ عصر بنى العباس، قصصاً وصفية يعنى فيها بإظهار البراعة فى الصناعة البديعية. وقد اتجه من أدباء العصر المملوكى إلى إجادة هذا الفن من القول. وقد تعددت موضوعاتها واتسع نطاق الوصف فيها، وخرجت عن سمت الاستجداء، واستوت المقامات فأصبحت فى مقدمة الأغراض الكتابية فى العصر المذكور، ومظهراً من مظاهر الصناعة البديعية، مع قلة تعسف، وخفة مئونة. وقد قرأت أربع مقامات لزين الدين بن الوردى (٧٤٨ هـ) التزم فى أولها أن يقول: «حدث إنسان. من معرة النعمان» أو نحو ذلك. ولعله يقصد بالإنسان نفسه، وأولى هذه المقامات «المقامة الصوفية» وقد صور لنا فيها رجلا لقى عشرة رجال كانوا يتجادلون فى أمر الصوفية فطفق الرجل يشرح لهم ما خفى عنهم من أمور الصوفية وأسرارهم وشروطهم وما إلى ذلك. فكأنما هى درس تعليمى لا قصة كما نفهم القصة فى العصر الحديث. وضمن منثوره شيئاً من النظم المناسب المقام. وفى مقامته الثانية «الأنطاكية» حدث عن مدينة أنطاكية وما فيها من مظاهر طبيعية جميلة، وقد لقى فيها واليها، فجلس إليه، وأخذ الوالى يبثه شكواه من البغيضة الضاربة الرواق بين عجم المدينة وعربها. وخلل نثرها على عادته بأبيات عدة. ومن وصفه فيها قوله عن المدينة: «سورها منيع، وعاصيها مطيع. وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح. وأنهارها مطردة وعيونها سوارح. ونسيمها يبطل رائحة المسك السحيق. وما كنها يزهى على الغصن الوريق. يصدأ بهوائها السلاح، وتجلى به القلوب والأرواح. برية بحرية. سهلية جبلية. منثورها منثورها:

متكامل فيها السرور لمن بها ... يوماً أقام كما تكامل سورها
وخلت قلوب قصورها فاستضحكت ... إذ عاش شاكرها ومات كفورها» ... الخ

وأنت ترى أن هذه مقامة وصفية. وعلى هذا النسق تقريباً جرى فى مقامتيه الأخريين «المنبجية» و «المشهدية». وله مقامة أخرى تعرف «بصفو الرحيق فى وصف الحريق» بدأها بقوله «حدث غيث بن سحاب عن ندى بن بحر» واشتملت على وصف حريق شب فى مدينة دمشق.

ومن كتاب المقامات صلاح الدين الصفدى (٧٥٤ هـ) وله مقامة وصف حريق أيضاً. ويبدو من سياق حديثه فيها أنه نفس الحريق الذى وصفه ابن الوردى فى مقامته.

ولتقى الدين بن حجة الحموى (٨٣٧ هـ) مقامة عارض بها المقامة الزورائية للحريرى. وللشاب الظريف (٦٨٨ هـ) مقامة

وصف بها شاباً برح به الغرام . ولشرف الدين بن أسد المصرى (٧٣٨ هـ) مقامة فكاهية روى فيها حكاية أحد النحاة مع أحد الأساكفة ...

ومن فرسان المقامات جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) الذى ضرب فى كل فن بسهم . وله عدد ضخم من المقامات فنها « بلبل الروضة » وصف فيها جزيرة الروضة . والمقامة « الوردية » وهى قصة تمثيلية أبطالها الأزهار ! فقد افترض الكاتب أن الأزهار اجتمعت عساكرها وعقدت مجلساً حافلا للجدل والمناظرة لاختيار أحقها بالملك فصعد كل منها المنبر وحاور وجادل . فتحدث الورد أولا ثم النرجس فالياسمين فالبان فالنسرين فالبنفسج فالنيلوفر فالريحان ، ورشح كل منها نفسه وزكاها ببيان أوصافها وذكر مزاياها ... ثم أسلم الجميع للريحان وخضعوا لسلطانه .

وعلى نمط مقامته الوردية دبج عدة مقامات أخرى وصف فيها أنواعاً من الثمار أو الأحجار الكريمة أو نحو ذلك مثل المقامة « المسكية » و « التفاحة » .

ومن أطرف مقامات السيوطى مقامته « رشف الزلال من السحر الحلال » وتسمى أيضاً « مقامة النساء » وقد وصف فيها عشرون عالماً فى فنون مختلفة — ما بين نحوى ومفسر وفقيه وأصولى ... الخ — ما جرى لكل منهم بينه وبين عرسه ليلة دخوله ... وورى كل منهم فى حديثه بمصطلحات علمه وفنه ...

وعلى نمط المقامات تعددت وتنوعت مظاهر القصة الأخرى من رسائل ومحاورات وموازنات ومفاخرات كالموازنة بين النار والتراب ، والمفاخرة بين السيف والقلم .

أما سير الأبطال وتراجم الرجال فما أكثرها فى هذا العصر وما أجلها وأعظم شأنها ، غير أنها أقرب إلى النزعة التاريخية منها إلى النزعة الأدبية . ومن بينها موسوعات ضخمة ، ومن بينها تراجم فردية مستقلة . ومن أمثلة الأخيرة وهى التى تقص سيرة رجل واحد ، كتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » لشهاب الدين بن عربشاه (٨٥٤ هـ) الذى أشرنا إليه من قبل . و « التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر » وهى سيرة السلطان جقمق كتبها ابن عربشاه أيضاً . وكتاب « تاريخ الناصر بن قلاوون » لمؤلفه شمس الدين الشجاعى و « ترجمة الأوزاعى » لابن حجر العسقلانى (٨٥٤ هـ) و « سيرة نور الدين زنكى » لبدر الدين بن الشهيد الدمشقى كتبه عام (٨٧٤ هـ) . وغير هذه المؤلفات كثير .

وقبل أن نختتم هذا المقال نحب أن ننوه بشيئين هما من القصة بسبيل : أحدهما الشعر القصصى ، والثانى الشعر التمثيلى وهما من الأدب العربى — إلى عهد قريب — نادران . ومن العجيب أن ترى فى العصر المملوكى نشاطاً من الشعراء فى ميدان القصص ، وقد نوهنا فى مقالتنا عن « البردة » عن جهود أصحاب البديعيات ، وعن أدباء البردة الذين عارضوها ، ومنظوماتهم عبارة عن قصة الرسول عليه الصلاة والسلام . وللشعراء فى غيرها جهود محمودة ، فمن منظوماتهم « سيرة بيبرس » لمحيى الدين بن عبد الظاهر (٦٩٢ هـ) و « سيرة برسباى » لبهاء الدين الباعونى (٩١٠ هـ) وهى أرجوزة فى ٥٥٧ بيتاً . والجوهرة فى سيرة المؤيد شيخ نظمها بدر الدين العينى (٨٥٥ هـ) . والعجيب أن ترى هذه النزعة القصصية لدى الزجالين ، وقد نوهنا بذلك فى مقالنا عن الزجل والزجالين وأشرنا إلى جهود القيم خلف الغبارى ، والقيم بدر الدين الزيتونى ...

أما الشعر التمثيلى فليس له وجود بالمعنى الذى نفهمه فى العصر الحديث أو عنه فى العصور القديمة فى الآداب الأجنبية . غير أن بعض أدبائنا عثروا عن كتاب « طيف الخيال » لمؤلفه الشاعر الناثر الماجن الطبيب شمس الدين بن دانيال الموصلى (٧١٠ هـ) الذى كان يعيش بالقاهرة ، وقد تصفحنا هذا الكتاب فى دار الكتب المصرية . وهو مطبوع فى أوربا وبه مقدمات مكتوبة بالألمانية . ولعل المطبوع منه قسم من المؤلف الأصيل . ونستطيع القول إنه عبارة عن مقامة تمثيلية طويلة يصف فيها المؤلف لعبة « خيال الظل » . وينطق فيها أبطال التمثيل على مسرح أمام النظارة ، خلف ستار يضاء بالشمع . أما الأبطال فشخوص متعددة منها ما يمثل آدميين ، وما يمثل حيوانات . ومن الآدميين : الريس ، وطيف الخيال وهو شخص أحدب ، وحويش الحاوى ، وعسيله الماجينى ، ونباتة المشاب ... الخ

ومن الحيوانات . الأسد والدب ... الخ . ولكل من هؤلاء جميعاً دور يؤديه وحديث يلقيه. يتقدم فيحدث ويحدث ويحاور ثم يتوارى ويترك الميـدان لغيره ، وهكذا دواليك . ويتخلل الحوار المنثور أبيات وأغاني وأناشيد عدة . والقطعة المطبوعة من طيف الخيال تتألف من جملة فصول أو مناظر ، لـكل منها حديث وحوار . واعتقادنا أن ما أورده ابن دنيال فى طيف خياله هذا ، ما هو إلا نمط من أنماط عدة كثيرة ، ورواية من روايات مختلفة كانت تمثل بين الناس فى تلك العصور الخالية للهو والتسلية والعظة والاعتبار؛ فالـكتاب على ما فيه من مجون وفـكاهة فيه أيضاً مثل وحكمة . وعلى أية حالة فهو يومى إلى أن التمثيـل المسرحى والرواية التمثيلية والشعر التمثيلى كانت كلها تدور فى مخيلات القوم فى ذاك الزمن السحيق ، ولو إلى حد ما .

ولا يتسع حديث واحد كحديثنا اليوم لاستيعاب القول عن مظاهر القصة فى العصر المملوكى . فكل مظهر منها يحتاج إلى دراسة ، فلعلنا — أو لعل غيرنا — يعود إليها فى فرصة أخرى .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

أبو خليــــل القبانى
باعث نهضتنا الفنية

للاستاذ حسنى كنعان

— ٢ —

شاع فى الفيحاء ما بين سمار الأندية ورواد المجالس ، أن الفتى الشاغورى نابغة بنى أقبيق قد أقصاه شيوخه عن دروس المسجد الأموى ، وطرده والده من داره لنزعته الوسيقية والتمثيلية لئلا تـكون هذه الأسرة المرموقة المنظور إليها فى حى الشاغور المحافظ على تقاليده وعاداته غرضاً للنقد والغميزة الممضة .

وانتشر ذلك كسرعة البرق بين رواد الحلقات ، فأسف على حرمانه من الدرس أناس وفرح آخرون ، أسف الذين كانوا يرقبون له مستقبلا لامعاً من إنصرافه إلى العلم ، وفرح الذين كانوا ينفسون عليه نبوغه ، ويعدون وجوده بينهم حائلا دون ظهورهم ، وكان من أشد الناس أسفاً على حاله ، خاله أبو أسعد النشواتى . فأدناه من مجالسه ، وكفل معيشته ، وجعله وكيلا عنه فى قاعة النشا ، ولمـا ارتاش وانتعشت حالته المادية عند خاله بدا له أن يستقل فى عمله ، فاشترى من وفره « قبانا » واستأجر محلا فى سوق البذورية وهو من أشهر أسواق دمشق التجارية ، وجعل يتـكسب من هذه الصناعة ، وأمسى يكنى بالقبانى ، فتغلبت هذه الـكنية ، فيما بعد على أسرته وغدا يطلق عليها أسرة القبانى ، وكان خاله يعتقد أن إزالة صخرة كبيرة من مكانها أهون عليه من إزالة هذه التحيزة المتأصلة فى نفس هذا الفتى النـابغ العجيب . ومما جعله يعطف عليه هذا العطف كله أن أبصره أكثر من مرة يجمع حوله فى مقام الحسين فى القسم الخارجى من الأموى جماعة المؤذنين والذكرين ، وأبطال المراسلات فى آذان الفجر وفى الأسحار فى ليالى رمضان ، فيعلمهم الأذان والمراسلات من نغمة الصبا ، والحجاز ، والجهاركاه ، والسيكا ، وكانوا لا يعرفون سوى نغمتى الراست والبياتى ، وكان ذلك وهو فى الثانية عشرة من سنى حياته ، وكان صوته على مأذنة عيسى القائمة فى جانب من جوانب المسجد الأموى يفتن السامعين وقت السحر وهو فى هذه السن ويجعلهم فى حيرة من أمره وذهول . وإلى هذه المواهب التى لا ينضب معينها ، نراه منصرفاً إلى العلم والتجارة والـكسب ، حيث لا تمر عليه ساعة من نهار دون أن يفيد منها .

وكثيراً ما كان يرى فى أوقات الفراغ ممسكا بيده مطرقة من حديد يطرق بها جانب قبانه طرقات موقعة على الأوزان الموسيقية ينشد الموشحات والأهازيج على حسب الإيقاع إنشاداً يفتن به الألباب ويخلب عقول أهل السوق ، فيتـكونون حوله يرقصون كأنهم سكارى لعبت إبنة الحان بعقولهم ، فيصفقون ويستديرون على أنفسهم بدون شعور من شدة النشوة والطرب ، مما جمعت هذه المواهب القلوب على محبته وجلبت إليه الرزق فذاع إسمه فى المدينة وتحدث عنه الخاص من أبنائها والعام .

وكانت تقـام له حفلات السمر لدى صحبه وعاشقى فنه فى كبريات الدور ، يمتد فيها وصحبه المحاورات والروايات الساذجة

٣١٠٤٤

المؤلفة من أربعة أشخاص أو خمسة ، تعرض فيها فصولا بالمفاضلة ما بين الكسلان والمجتهد ، والتاجر والعامل ، والعالم والجاهل ، ولما طال الأمد عليه وهو يدب في هذه الصناعة دبيب الطفل الزاحف الذي يحبو على يديه ورجليه ويتحفز للوثوب خطر بباله أن يأخذ دور عنترة ويجمل دور عبلة لصديق من أصدقائه مقلداً في ذلك أستاذه الأول على حبيب الذي كان يتخذ من الصور الخيالية أشخاصاً فيكلمهم خلف الشاشة ويحاورهم ويداورهم كما مر معنا في البحث الماضي ، فنجح في هذا الباب نجاحاً كتب له فيه الظفر ، وفاق فيه أستاذه . إذ أن ذاك كان يحاور صوراً خيالية ،وهذا يحاور ويمثل مع أشخاص حقيقيين .

وفي عهد ولاية المرحوم الوالي « صبحي باشا » حضرت إلى دمشق من فرنسا فرقة تمثيلية ومثلت في مدرسة « العزارية » روايات إجتماعية وأخلاقية في باب توما ، وهي أقدم مدرسة لدينا كانت تقوم ولا تزال قائمة حتى الآن بتعليم اللغة الفرنسية ، وكان القباني قد شهد هذه الروايات جميعها وأخذ فكرة عن المسرح والتمثيل والممثلين وتوزيع الأدوار « والمكياج » ، فتمم بذلك ما كان ينقصه من فكرة التمثيل والمسرح ، وأمسى أكبر همه أن يؤسس في دمشق مسرحاً ، ويؤلف فرقة ، بيد أن الذي عاقه عن المضي في سبيله ، قضية ظهور الفتيات على المسرح ، وما يعتور هذه الفكرة من طرق شائكة وصعاب وعقبات .

فالمرأة التي كانت حبيسة بيتها . وكان لا يسمح لها في الخروج منه سوى مرة واحدة في العمر تلك هي المرة التي تخرج فيها من البيت مزفوفة إلى بيت بعلها ، ومرة واحدة بعد الموت ، تلك هي المرة التي تخرج فيها محمولة على الأعناق إلى مقرها الأخير ... فكيف تستطيع أن تظهر على المسرح وحالتها حالتها ، وحبسها حبسها ، إن دون ذلك خرط القتاد وإراقة الدماء وإسالة النفوس .

بقي القباني يفكر في تذليل هذه العقبة وتسهيلها مدة من الزمن حتى بدا له أن يمضي في طريقه غير وجل ولا هياب ، ويستعيض بدلا عن النسوة الفتيان « الفرانق » ذوي الشارات الحسنة والميامم المنرية . ولما شرع في عمله ، ورأى الإقبال عليه والتشجيع والتنشيط من كل صوب وناحية وأصبح العارضون أنفسهم عليه من الفنانين أصحاب المواهب ومن الفتيان ما يفيض عن الحد المطلوب طار من إهابه فرحاً ، لا سيما وأكثرهم عرض نفسه عليه بدون أجرة تشوقاً ولذاذة ، فألف على الفور فرقة تمثيلية كانت تمثل الروايات في بدء عهدها ، في البيوت والقاعات الخاصة ، فذاع خبر هذه الروايات في الشام حتى بلغت مسامع « الوالي » التركي « صبحي باشا » ، وكان ممن يقدرون الفن والمواهب ، فحضر بنفسه تمثيل رواية من الروايات في حفلة أقيمت على شرفه بصورة خاصة في بيت ثري من أثرياء الشام وهم كثر في ذلك العهد ، فدهش مما سمع ورأى ، وهام بحب أحمد كل الهيام وأدناه من مجالسه ، وجعله موضع عنايته ، فصار شفيعاً ووسيطاً ما بين الحاكم والرعية ، ما من أحد عرضت له مهمة لدى الوالي وقصد أحمد بها إلا قضاها له .

رأى الباشا في هذا النابغ الدمشقي الشروط المتوفرة للقضاء على الجمود الفكري في الشام وتهذيب النفوس الجامحة بواسطة التمثيل والموسيقى ، فأوعز إليه أن يؤلف جوقة ويقيم مسرحاً في المكان الذي يختاره .

ولقد رمى الوالي بهذه الفعلة إلى غاية سياسية الجلة تلك أهمية صرف الشعب المتوثب عن الحياة الطليقة التي كان أوجد نواتها في البلاد قادة الثورة الفكرية الشيخين المصلحين الإمامين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

فتم له بذلك ما أراد ، وكان إقبال الشعب على مشاهدة روايات القباني يفوق حد الوصف ويشب عن الطوق ، فأقام مسرحه في خان من خانات البذورية ، وأول رواية عرضها على الجماهير الحاشدة رواية ناكر الجميل ، فأحرزت شهرة فائقة ونالت نجاحا عظيما في الأوساط ، ثم اتبعها برواية وضاح فلم يكن إفتتان الناس بهذه الرواية أقل من افتتانهم بسابقتها ، وهكذا دواليك أخذ هذا النابغة الموهوب يتدرج بفنه من حسن إلى أحسن ومن جيد إلى أجود ، حتى طارت شهرته في جميع الأنحاء السورية ، وتخطتها إلى الأقطار المجاورة ، فصار حديث القباني الممثل المطرب والمنشد البارع والملحن الأوحد مالىء دنيا الشام وشاغل أهلها .

ولما أقبلت عليه الدنيا إقبال الأتى المنهمر ، وبسم له الدهر وصلحت حاله ، أخذ محلا فى « خان الكمرك » فى المصرونية بالقرب من المدرسة العادلية ، وأقام مسرحه هناك فى منتصف المدينة . وهنا استفاض الحديث فى المنازل والمجالس عن عظيم مواهبه وسحر فنه ، وكثر رواد مسرحه ، وعشاق موسيقاه ، وتمثيل رواياته ، فلا حديث فى المدينة إلا حديثه ، ولا ذكر إلا ذكره ...

وكان كلما تدفقت عليه الأموال ينفقها فى سبيل تحسين مسرحه وجلب الحاجات الفنية الغامضة إليه ، ففتن الناس وخلب عقولهم حتى بلغ من شأن الإهتمام برواياته أن صار الفقير منهم الذى لا يملك ثمن بطاقة الدخول يبيع فراشه وأوانى بيته وحلى زوجته ليشاهدها ويجتلى طلعته فيها ، وكان لشدة الإزدحام يؤم الواحد منهم القاعة من الصباح ويبقى فيها حتى المساء ليشاهد الرواية ، فإذا ما انقضت اللذة بمشاهدة رواية تولدت شهوة ولذة بمشاهدة غيرها . ومن شدة الإزدحام على أبواب القاعة المقام فيها للمسرح أسس الدخول إليها لا يكون إلا تحت إشراف السلطات المحلية ، وصارت تباع التذاكر لدى مكاتب المتعهدين قبل ثلاثة أيام ، ومن يتأخر عن حجز مكان له فى أسبوع قبل ثلاثة أيام أو أربعة أيام يضطر مكرها للحظوة بمشاهدة هذه الروايات فى الأسبوع الذى يليه .

وكان للوالى فى قاعة المسرح مقصورة يقصدها كل ليلة ويمتع سمعه وبصره بهذا الفن الأخاذ بالرغم من جهله اللغة العربية التى يمثل فيها القبانى رواياته .

ومن عادة الدهر ألا يبقى على حالة واحدة ، وأنه إذا ضحك لإنسان يوماً ما سيتجهم له إذا دالت دولته وولى زمانه وشالت نعامته ، وخانه صحبه وأوطانه ، وقديماً قال الشاعر : « من سره زمن ساءته أزمان ... »

(البحث صلة) حسنى كنعان

الضمير العالمى

للأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو

طالت على الأيام رقدته ... وخلا من الوجدان والمهج
فتى ترى تفتر مقلته ... وتقرُّ عين العالم اللهج ؟

ثملت من الإغفاء عيناه ... أم ذاب تحت جفونه البصر ؟
ياليت شعرى أين مثواه ... بين الجوانح أيها البشر ؟!

تصحو المظالم إن جرى الوسن ... فى مقلتيه ويمحى العدل
وإذا تنبه نامت الفتن ... بين الورى واستأمن الكل

فيم « الجوامع » أيها الناس : ... قول يسر ومنطق عجب ؟
و « مواثق » يتعجب الناس ... من حسنها والدر والذهب

فيم « الجوامع » راح يهزم ... حق بها ويعز بهتان
لو صحت النيات والذمم ... لم يشق تحت الشمس إنسان

لو لم تك الأهواء رائدكم ... يا من ملكتم قبضة الكون
ما احتاج حق أن يناشدكم ... — عبثاً — له قبساً من العون

لو لم تك الأهواء غالبة ... ومطامع تعدو وتستبق
لم تخذلوا للعرب واضحة ... غراء مثل الشمس تأتلق

تاه السلام وحار بينكم ... ويكاد يقضى نحبه طفلا
تتشدقون به وفعلكم ... يردى السلام ويورث القتلا

أوقدتموها بيننا شعلا ... حتى قهرتم طاغياً حرنا
ومن العجائب : كل ما فعلا ... معكم فعلتم شبهه معنا

سيظل بين جوانب الأرض ... تمس الوجوه وضيعة الأمل
ما شمت طى جوانح البعض ... أسطورة للذئب والحمل

عبد الرحيم عثمان صارو

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليونسكو في بيروت :

ينعقد الآن في بيروت المؤتمر العام الثالث لهيئة « اليونسكو » وقد افتتح يوم ١٧ نوفمبر الحالي بكلمة لرئيس الجمهورية اللبنانية موضوعها « القيم الروحية والقوة الهوجاء » وقد تتابعت الجلسات في الأيام الخمسة الماضية إلى وقت كتابة هذا ، وحفلت هذه الجلسات بكلمات من المندوبين وتلاوة التقرير السنوي للهيئة الذي وضعه المدير العام ، وقد أثيرت مسائل مختامة في الاجتماعات الماضية ، أهما موضوع تمثيل الهيئات اليهودية الذي أعلنت لبنان رفضه وأيده سائر البلاد العربية ، ولكن مندوبين غربيين قالوا إن المؤتمر الثقافي هيئة إنسانية لا طائفية ولا عنصرية ودعوا إلى التسامح بقبول ممثلي الدولة المزيفة في المؤتمر ، فرد بعض المندوبين العرب بأن البلاد العربية ترفض لا لسبب عنصري أو طائفي بل لمارستها السياسية في قيام دولة يهودية . وبعد نقاش حاد قرر المؤتمر أن تمثل الهيئات الدولية غير الحكومية بمراقبين لا حق لهم في الاقتراع . وقال مذياع بيروت إن الأستاذ يوسف خاطر مندوب لبنان قام بعمل بارع إذ اقترح أن يقصر تطبيق ذلك على الهيئات التي أرسل إليها فعلا وأجابت بالموافقة ، فأيد المؤتمر هذا الاقتراح وعلى هذا ينطبق ذلك القرار على ٣٦ هيئة ليس بينها هيئة صهيونية ...

ومن المسائل التي أثيرت مسألة تعليم الشبان الفلسطينيين اللاجئين إذ اقترح مندوب استراليا أن تقوم اليونسكو والدول الأعضاء فيها ببذل المعونة في ذلك ، وقد شكره شفيق غربال بك مندوب مصر ، ثم أعلن الرئيس الموافقة على الاقتراح فأحيل إلى لجنة التعمير الفرعية لدراسته .

ويعمل مذياع بيروت في المكان المخصص له بمدينة اليونسكو ، فيذيع أهم ما يدور في الجلسات ، كما يسجل كلمات المندوبين ويذيعها ، وقد سمعت منه كلمة شفيق بك غربال ومما تضمنته الإشارة إلى بعض المسائل التي يتم الاتفاق عليها خارج اليونسكو وهي أولى ببحثها وتنظيمها كمسألة موجات الإذاعة التي وزعت بطريقة غير عادلة .

وقال مذياع بيروت في التعقيب على اجتماعات اليونسكو : إن هذا المؤتمر العالمي يجتمع بلبنان في جو سمح حر بعيد عما يلابس المؤتمرات العالمية من محاولة البلاد التي تجتمع بها التأثير في مجرى أعمالها لتوافق هواها .

وقد لوحظ في تأليف وفد مصر إلى المؤتمر أنه يشمل إلى جانب الأعضاء الرسميين بعض الخبراء غير الرسميين كالدكتور بشر فارس وقد دعت حكومة لبنان الدكتور طه حسين بك إلى حضور المؤتمر بصفة شخصية ، على أن يكون ضيفاً لديها ، فلبى الدعوة ويسافر من القاهرة إلى بيروت في ٢٥ نوفمبر ، ويلقي هناك محاضرة عن الحضارة العربية وما أسدت الحضارة الغربية .

تعقيب :

يخيل إلى من يستمع أو يقرأ ما يجرى في اجتماعات اليونسكو أن البحر قد أصبح (طحينة) كما نقول في أمثالنا العامية ، فنشر الفكر وحرية الأنباء وإنماء الثقافات وتعاونها على إقرار السلام يتحدث عنها أولئك المفكرون الأفذاذ من مندوبي العالم وهم مستغرقون في الخيال ... والمسألة كيف ينتقل ذلك كله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة أو كيف يمكن نقل هذه الأشياء إلى مجال العمل والتنفيذ ؟ ثم كيف يوجهون التيارات الثقافية إلى صالح السلام ونصف القوة العالمية غير ممثل في اليونسكو ، وهو روسيا ؟ وسينفض هذا المؤتمر الثالث ، ونرجو عند اجتماع المؤتمر الرابع أن يكون العالم بخير ...

صديقنا الزين يتراءى لنا :

كتبت في عدد مضى من الرسالة منذ قليل ، كلمة في ذكرى الصديق الكريم والفقيد المظلوم الشاعر الراوية أحمد الزين ؛ وما أحب إلى أن أعود الآن إلى الحديث عنه في التعبير عن خاطرة

تتعلق به ، وهو جدير بأن تؤلف فى أدبه وشخصيته المؤلفات ، فلا أقل من كلمات .

قلت إن اللقاء لم ينقطع بين الصديق الفقيد وبينى على رغم وفاته ، ألقاه فى كل مكان صاحبته فيه وعند كل ما يذكرنى به . إلى آخر ما عبرت به عن هذا الإحساس . ثم كتب بعد ذلك فى مجلة « الثقافة » الأستاذ عبد الفتاح البارودى كلمة طيبة فى ذكرى الزين ، فلم يكن من الغريب ، وهو من أصدقاء الشاعر الفقيد ، أن نتفق فى الإحساس نحو صديقنا الراحل ، قال : إن « طيفه الرقيق الوديع قلما يبرح مخيلتى إلا ليعود إليها » ثم بنى مقاله على رؤيا رآه فيها .

ومنذ بضعة شهور رأى الأستاذ محمود لطفى أمين مكتبة المجمع اللغوى ، وهو أيضاً من أصدقاء الزين — رأى فيما يرى النائم أنه يقف بأسفل سلم ، والزين على إحدى درجات هذا السلم ، وبينهما ست درجات . وقال العالم بتأويل الأحلام : إنك لا تزال فى الدنيا ، وقد صعد الزين منها ، وتلحق به بعد ستة أيام أو ستة أشهر أو ستة أعوام ... فانزعج صديقنا لطفى وأخذ فى الحساب ... الستة الأيام مضت ، والستة الشهور يبقى منها نصف شهر ... وأعد عدته وجد فى تحسين خاتمته ، ولكن الله سلم ؛ فهل كسب الصديق فى عمره ستة أعوام ... ؟

وليس بعجيب أن يتراءى لنا صديقنا الخالد ، فى المنام وفى غفوات اليقظة ، فقد كان صافى النفس ، خالص الوجدان والفكر مما يصطنعه الناس من الرياء والنفاق ، لا يملق قلبه بما تملق به أحابيل المرائين والمنافقين من غايات . وكان روحه ينسرب فى نفوس أصدقائه خلال حديثه إليهم لصدقه وصراحته ونظرته إلى الأمور نظرة إنسانية عالية .

وكان يبدى رأيه فى الأشخاص صريحاً ، وكان يرغب عن مصانعة من يتنازل بعض الناس عن حريته فى مصانعتهم ، ضناً بأدبه أو كرامته أن يكون لها ثمن من حطام أو سراب ... مما جر عليه حقد أولئك الناس وجحودهم قدره ، وكان حرياً بكل تقدير وإعزاز .

ذلك هو الإنسان الذى يتراءى لناطيفه ، لأنه خالد فى نفوسنا وما أسعدنا به حياً وميتاً .

الشعب ينفق على تلهية الأغنياء :

جاء فى مقال للدكتور طه حسين بك فى « الأهرام » قوله : « فكان من الديمقراطية مثلا ، فى أواسط القرن الخامس قبل المسيح ، أن يفرض على الأغنياء تلهية الشعب بتنظيم حفلات التمثيل على اختلافها ، فكان الأغنياء وحدهم هم الذين ينفقون على إعداد القصة التمثيلية وإخراجها ، يأجرون الشاعر الذى ينشئها ، ويأجرون الممثلين الذين يعرضونها ، ويأجرون الذين يشرفون على هذا الإخراج ، ويؤدون كل ما يحتاج إليه الموسم التمثيلى من نفقات » .

كان ذلك فى أوربا منذ خمسة وعشرين قرناً ، أما الآن فالأمر عندنا فى مصر على عكس ذلك ، أى أن الشعب هو الذى ينفق على تلهية الأغنياء ...

الحكومة تمنح الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى نحو خمسة عشر ألف جنيه فى العام ، وتنفق على استقدام فرق التمثيل الأجنبية مالا يقل عن ذلك المبلغ ، ولا أعرف بالضبط ما تنفقه على دار الأبرا الملكية ، ولكنا نعلم أنها دار فخمة لها مدير ووكيل وفيها موظفون فنيون وإداريون وسعاة وفراشون وما إلى ذلك ، عدا مرافقها المختلفة وما يتطلبه إعداد الروايات من أثاث وثياب ورسم مناظر وغير ذلك ، فلا بد أن لها « ميزانية » كبيرة . وهناك أيضاً لجنة ترقية التمثيل ، وجوائز مالية تمنح فى مباريات التأليف للمسرح .

وكل ذلك يصرف من خزانة الدولة التى تتكون من الضرائب التى يدفعها الشعب على اختلاف طبقاته ، ويقصد منه إحياء فن التمثيل وتحقيق المتعة والفائدة ، ولكن من يستمع ويستفيد ؟ الأغنياء طبعاً لأنهم هم القادرون على « دفع ثمن التذاكر » أما الفقراء ومن يليهم من المتوسطين فحسبهم النظر إلى الإعلانات وصور الممثلين والممثلات فى الصحف وعلى الجدران ، لقاء ما ساهموا به من الإنفاق على التمثيل باعتبارهم « دافعى ضرائب » .

أليس معنى ذلك أن الأغنياء يشاهدون التمثيل على نفقة الفقراء ؟

ولعل ذلك بعض الجواب عن تساؤل الدكتور طه : أين نحن الآن من معنى الديمقراطية

كثرة التأليف من علامات الساعة:

هكذا يقول أثر من الآثار المصرية القديمة يرجع عهده إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، إذ وجد منقوشاً على حجر من هذه الآثار أن « من علامات الساعة أننا صرنا إلى زمن لا يتورع فيه كل من هب ودب عن التطلع إلى التأليف والتصنيف » .

وإذا كان الكاتب القديم فى ذلك الزمن السحيق يقول ذلك فماذا نقول نحن الآن وقد صار كل إنسان يستطيع أن يكون مؤلفاً ما دام يملك نفقات الطبع ويستطيع أن يؤلف أى كلام .. حتى انصرف الناس عن قراءة الكتب ، وأصبح الكتاب فى أزمة شديدة بفضل « المؤلفين » الذين كان يمكن أن ينتفع بهم فى إنتاج سلع أخرى ؟

فإن كان قدماؤنا قد هالهم ما رأوا من إقبال غير الأكفاء على التأليف حتى عدوه من علامات الساعة ، فيظهر أنا وقعنا ، مما نرى من فوضى التأليف ، فى « الساعة » نفسها ! والله المستعان .

من طرف المجالس :

كان الحديث عن هؤلاء « القصاصين » الذين يوالون الإنتاج بسرعة عجيبة ، حتى ملئوا الصحف وأخرجوا العديد من مجموعات القصص والأقاصيص . سأل أحد الجلساء : كيف يتسنى لكاتب أن ينشىء فى أسبوع واحد عدة قصص ، عاش فى أجوائها وهضم فكراتها واستوت له عقدها و ... فقطعت عليه الإجابات سبيل استرساله ، قال الأول : رويدك ! رويدك ! أى أجواء وأية عقد ؟ إنها حكايات و (حواديت) يجتذبون القراء إليها بسرد وقائع الشباب الفائر وعرض الأنوثة الصارخة !

وقال الثانى : بارك الله فى قصص الغرب . فما على الواحد منهم إلا أن يجرد القصة من القبعة ثم يضع عليها الطربوش أو العمامة ومع ذلك تبدو عليها ملامح السحنة الغربية .

وقال الثالث : ولكن هناك كثيراً من هذه القصص تكتب غربية بحوادثها وأشخاصها وأماكنها وليس على القصة إلا اسم أخينا المصرى ، وما أحسبه يدعى تأليفها ، فممن ترجمها أو اقتبسها أو لخصها ؟ الواقع أن هذا النوع من ... التأليف ... أو من الترجمة أو مما لا أدرى اسمه — قد حيرنى !

وأمسك الجميع حين رأوا ذلك الأديب الكبير الذى يتصدر المجلس — متهلل الوجه تدل هيئته على أن عنده شيئاً طريفاً فى الموضوع ، قال :

تلقيت من فلان المجموعة القصصية التى أصدرها أخيراً ، وقد أرفقها برسالة يرجو فيها « عدم المؤاخذة » لما فى الكتاب من أخطاء نحوية ولغوية سببها أنه طبع فى بلد بعيد فلم يستطع مباشرة التصحيح ... فعجبت لهذه المطبعة التى تعصى الفيروزابادى وتخالف أوامر سيبويه ! ولكن عجبى ذهب عندما رأيت قوله « لعلكم تتفضلون بتشجيع الخطوات التى يخطوها (الناشئين) وتذليل ما (يجدوا) من صعوبات »

ثم ظهرت على فم أديبنا الكبير ابتسامة ساخرة وقال : وقد هان على الخطب لأننى اطمأننت على الطباعة !

الجامعة والمعاهد العالية :

جاء فى الجزء الخاص بالتعليم من خطاب العرش ما يلى :

« وتعتزم حكومتى إنشاء مجلس موحد لمعاهد التعليم الفنى العالى ، يكفل القيام على شؤونها المشتركة ، لما تبين من صواب قيام هذه المعاهد بجانب الكليات الجامعية ، لغلبة الصبغة العملية عليها ، ولتمكين طائفة غير قليلة ممن أتموا التعليم الثانوى من إتمام التعليم العالى بها » .

وقد نشرت الصحف أحاديث لمدير جامعة فؤاد الأول ، يشكو فيها من تضخم الجامعة لكثرة من قبلتهم من الطلبة فى هذا العام ، وهم مع هذا ليسوا كل المتقدمين إليها من الناجحين فى « التوجيهية » وقد بين سعادته ضرر زحمة الطلاب بالجامعة ؛ من حيث صعوبة إشراف الأساتذة والمدرسين على العدد الكبير من الطلبة واستحالة قيام العلاقة المرجوة بين الطالب والأستاذ .

والواقع أن الإقبال أشتد على التعليم العالى فى السنوات الأخيرة ، وليس كل المقبلين راغبين فى التعليم ذاته ، فهناك كثيرون يريدون شهادات ذات (كادرات) وليس كل الراغبين فى التعلم صالحين للتعليم الجامعى ، فليس من وضع الأمور فى مواضعها إثقال كاهل الجامعة بكل هؤلاء .

وعلى ذلك فإن الاتجاه إلى الإكثار من معاهد التعليم الفنى العالى اتجاه سديد ، إذ تنصرف إليها طائفة كبيرة من الطلبة لإعدادهم إعداداً فنياً عملياً فى مختلف الشؤون والفنون ، ويتجه إلى الجامعة ذوو الاستعداد الملائم لها .

عباس خضر



إلى الأستاذ شفيق أحمد عبد القادر :

جاءنى أيها الأخ العزيز بضعة وعشرون رسالة من طراز رسالتك التى تكرمت مجلة الرسالة بنشرها فى عدد ١٥ نوفمبر الحالى صفحة ١٣٠٦ ، وقد تفضل كاتبوها كما تفضلت وأسبغوا على من ثنائهم الكريم ما أغرقنى فى بحر من الخجل . بعضهم كتبوا إلى عن يد الرسالة وبعضهم كتبوا إلى رأساً . ولم أشأ أن أنشر رسائلهم لئلا يؤخذ علىّ أنى أطنطن بخدمة عربية هى واجبة علىّ كالخدمة العسكرية . ولو كنت فى شرخ الشباب خالياً من المسؤولية لحملت بندقيتى ومشيت وراء المثل الأعلى الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة مع المتطوعين ممن قادهم إلى ساحة القتال يوم توالت الخطب فى الجامع وكانت خطبته كلمتين : « ليست خطبتى إلا أن أحمل بندقيتى وأمضى إلى الميدان فمن شاء أن يتبعنى فهلم »

وقد سمعت الأستاذ أحمد حسين غير مرة يخطب فما خيرت عنه المغفور له مصطفى باشا كامل . ولكن هاتين الكلمتين اللتين خطبهما فى الجامع كانتا أوقع فى نفوس السامعين .

ولو لم أكن قد بلغت من العمر عِتياً ، ولم يُبقِ الوهن فى جسدى من القوة شيئًا ، لحملت بندقيتى وجريت وراء الأستاذ طائعاً مجاهداً رضياً ، وإنما ترك لى الوهن قلباً سوياً ، يهز قلماً عربياً يزلزل لواء صهيونياً ، ويدك عرشاً إزرائيلياً .

ولكن يظهر يا عزيزى أن مهاجمة الصهيونية لم تعد نافعة بل صار من الواجب « مواخزة » (من الوخز) الجامعة العربية عسى أن تتدارك الموقف وقد صار روياً . والله أسأل أن يغنينى عنهم وقد كنت بحول الله عنهم غنياً ، إن الله كان بعباده المؤمنين مخلصاً وفياً .

نقولا الحداد

حول سوداء وسودا :

جاءنى فى « البريد الأدبى » تعقيب على كلمة كتبها الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد المفتش بالأزهر حول نصب (سود) صفة (لحلوبة) فى بيت عنترة :

فيه اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

وقد قال الأستاذ المعقب : « لو صح نقل الأستاذ ، وكان السواد صفة للحلوبة المفردة — لفظا ومعنى — لكان الصواب أن يقال (سوداء) وصفاً للمفردة وليس (سودا) وصفاً للجمع ومن ثم لا يكون (سود) — فى البيت — صفة للحلوبة ، وإنما هو صفة للجمع على المعنى وهو اثنتان وأربعون » .

ونصحح البيت أولا فنقول : إن أصله « فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... » وليس كما ذكر « فيه اثنتان ... » .

ثم نقول : إن (سودا) هذه فيها أربعة أوجه : وجه بالرفع وثلاثة بالنصب ، وأحد هذه الثلاثة أن تكون (سودا) صفة لحلوبة ، وليس يلزم أن نقول (سوداء) لتكون وصفاً لحلوبة المفردة ، لأن (سودا) بالجمع تصح أن تكون وصفاً لحلوبة حملا على المعنى .

وليس هذا المعنى هو (اثنتان وأربعون) كما قال الأستاذ المعقب ، وإنما المعنى هو أن (حلوبة) بمعنى (حلائب) فصح وصفها بالجمع وهو (سود) .

(اسكندرية) **حسن صادق حمیدان**

١ — اللباب فى الأنساب لابن الأثير :

يشترك كثير من العلماء : من أدباء ومؤرخين وفقهاء ومفسرين ومحدثين ، وغيرهم ، فى نسبة واحدة ، كالنسبة إلى بلد أو جد أو صناعة أو قبيلة أو غير ذلك . فاذا ذكر أحدهم بنسبته فى مرجع من المراجع ربما التبس بغيره ممن يشاركه فى هذه النسبة لذلك ألف بعض العلماء كتباً باسم (الانساب) جعلوها كمعاجم لذلك ، يضبطون النسبة ثم يسردون أسماء من اشتهر بها ، مع المهم من ترجمته ، ولا سيما مولده ووفاته ، ويذكرون سبب شهرته بهذه النسبة ، إلى غير ذلك .

ومن أعظم هذه المعاجم كتاب الانساب للسمعانى ، لكنه توفى قبل تهذيب الكتاب فجاء فيه أغلاط كثيرة فى الضبط ، وأهمل كثيراً من الانساب ، ونسب العلماء إلى بلد أو جد ، وهم فى الحقيقة ينتسبون إلى غيرها ، إلى أوهام فى تعيين مواضع بعض البلاد ، وغير ذلك .

فغدا الكتاب فى حاجة إلى عالم بارع نقاد يستدرك ما فات السمعانى من الانساب ليكون المعجم كاملا ، ويصحح أوهامه ، فقام بذلك شيخ المؤرخين عز الدين بن الأثير ، الذى اشتهر عنه أنه أملى كتابه (أسد الغابة فى الصحابة) من حفظه ، بلا مراجعة كتاب ، ولم يستطع من بعده من المؤلفين فى هذا الباب من كبار الحفاظ أن يستدركوا عليه إلا أشياء يسيرة

نهض لهذا الواجب العلمى فى تهذيب انساب السمعانى والاستدراك عليه ، وقال فى مقدمته :

اننى أذكر جميع تراجم كتابه لا أخل منها بترجمة واحدة ، إلا أحوال الشخص التى لا حاجة إلى ذكرها ولا تزيد النسب وضوحا ، وأن كثيراً منه لم آخذ منه سوى ما ذكرت لأنه لم يحتمل الاختصار ؛ وإذا عثرت على وهم فى كتابه بينته وأظهرت الحق فيه ، لا قصداً لتتبع العثرات ولا إظهاراً لعيبه ، وإنما فعلت ذلك إرادة لاظهار الحق ، وأن أنزه نفسى عن أن يقال رأى الخطأ فلم يعرفه ... وتبلغ تحقيقاته واستدراكاته على السمعانى نحو ربع المعجم

وقد نشرت (مكتبة القدسى) جزءين من هذا المعجم فى ٨٧٠ صفحة ، والباقى منه نحو ٣٠٠ صفحة أى ربع الكتاب جزاها الله خيراً

٢ — مر أنابيب البترول السعودى (عبر سورية) :

يقع مثل هذا التعبير فى الصحف بين حين وحين ؛ وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون فى صحة هذا الاستعمال ، ولكنى وقفت على شاهد له فى (تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام للذهبى ج١ ص ١٢٣ المطبوع حديثاً بالقاهرة) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمرت عن ساقى الأزار ووسطت
بى الذعلب الوجناء (عبر السباسب)

الذعلب : الناقة السريعة ، السباسب جمع سبسب وهي المفازة

٣ — من سمى عمراً من الشعراء :

قال الأستاذ التنوخى فى الجزء ٩ من المجلد ١٥ من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : لمحمد بن داود بن الجراح مصنفات ممتعة جمة ، منها كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب من سمي عمراً من الشعراء فى الجاهلية والإسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعثر على غير كتاب الورقة . (ويترجم فيه لكل شاعر فى نحو ورقة واحدة)

مع أن فى دار الكتب المصرية كتابه (من سمى عمراً من الشعراء) وقد جرد جل أو كل ما فيه الإمام المرزبانى فى كتابه (معجم الشعراء) المطبوع بمصر

محمد أسامة

الأسبتاريه لا الأستباديه :

فى كلمتى عن المدنة فى الإسلام بالبريد الأدبى فى العدد الماضى وقع تصحيف فى كلمة الاسبتاريه فأضحت الاستباديه .

والأسبتاريه « Hospitallers » ، هى طائفة من الفرسان أسسها جيرارد « Gérard » سنة ١١١٣ م . وقد آلت إلى جيرارد هذا إدارة مستشفى « Hospital » بالقدس ، لعلاج الفقراء والمرضى من الحجاج اللاتين . ومن هنا أطلق عليهم الـ « Hospitallers » ونقل المؤرخون العرب ومنهم القلقشندى هذه الكلمة مع بعض التحريف البسيط فأضحت الأسبتارية .

ولما توفى جيرارد سنة ١١١٨ م ، آلت إدارة المستشفى إلى ريموند « Raymond » الذى نقل عن فرسان المعبد الكثير من نظامهم العسكرى وأدخلهم على الأسبتاريه . هذا وقد لعبت هذه الطائفة من الفرسان دوراً كبيراً فى الحروب التى أثارها الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى فى الأراضى المقدسة .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ
جامعة فؤاد الأول



الجد

للأستاذ عبد المغنى على حسين

من كان يرتاد أحد المتنزهات الكبيرة بالقاهرة كان يرى فى ضحى أيام الصيف مشهداً يتكرر يوماً بعد يوم وفى رتابة ودقة موعد، ويسترعى نظر من تستهويه نواحى الجلال والجمال والعاطفة

كان يرى « سامى بك » ذلك الضابط القديم الذى يحتفظ فى السبعين بقامته وسمته فى الأربعين يعلوهما تاج من شيبة جليلة، بشيخ طويل مهيب، وليس فى بنيانه وقسمات وجهه غير التناسب الجميل، يقبل كل يوم فى موعد لا يتغير، بمشيته التى وهنت قليلاً لكن لم تزايلها ثباتها وانتظامها العسكرى، وعصاه الخفيفة بيمينه لا يتوكأ عليها بل لا يلمس بها الأرض إلا لماما، ترافقه على الدوام حفيدة له، صبية فى نحو العاشرة، فيقصدان تواً إلى مقصف المتنزه ويجلسان إلى نضد بركن منه، ويأخذ الشيخ يطالع صحيفته والصبية تتسلى بتقليب صفحات إحدى المجلات ومشاهدة المتنزهين والمتنزهات، واللاعبين على العشب الأخضر واللاعبات.

ولم يكن يماثل إعجاب الناظر بروعة منظر الشيخ وحسن سمته سوى إعجابه وعجبه من الصبية الصغيرة أيضاً. كانت ذات ملاحة وظرف وحسن، لكن محاسنها لا تبدو إلا لمن يرقبها عن كثب لانطوائها وراء هدوء وصمت ورزانة تكبر سن الصبية بكثير، وتكاد تضارع فيها جدها الكبير.. كانت تمشى بجانب جدها فى خطو متزن وقامة معتدلة، ثوبها طويل محتشم وحقيبتها اللطيفة تتدلى من كتفها، ووجهها الصغير المستدير صامت جاد، ونظرتها إلى الأمام.. فإذا جلسا لم تكن تهز رجلا أو تتلفت أو تبادىء جدها بحديث. فإذا طوى الجد الصحيفة نظر إلى حفيدته فى فرط حنان وإشفاق، وقال لها شيئاً، لعله يسائلها إن كان ثمة ما تريد، أو يريدها أن تطرح بعض احتشامها وتنزل إلى العشب لاهية مثل لداتها، فتجيبه بهزة نفى من رأسها الصغير وابتسامة شكر على ثغرها الرقيق.

هـذا ما كان يطالع منهما عين الناظر العابر. لكن عين الناظر لا تستطيع أن تقرأ ما وراء الصور العابرة من قصص الحياة.. إن سامى بك تزوج فى صباه من سيدة ذات محتد وعاشا عمرهما لم ينجبا غير ابن وحيد. وتزوج الابن فأنجب ابنة هى هذه الحفيدة، وقسا القدر فات الابن، ثم لحقت به زوجته بعد قليل، وخلفا الطفلة الصغيرة لا راعى لها إلا جداها الكبيران ثم قسا القدر على الشيخ قسوة أخرى كبرى فمات زوجته، وخلفته فى شيخوخته يرعى نفسه ويرعى الحفيدة الصغيرة وحده، ينظر إلى شجرة الأسرة التى أنشأها فلا يرى باقياً منها إلا هو فى طرف الحياة من عند نهايتها وهذه الصغيرة فى الطرف الآخر عند المبدأ.

إن فرط حنان الجدود على الصغار من أحفادهم وحبهم لهم أمر معروف، أما الحنان والحب من شيخ كبير وحيد لحفيدة صغيرة وحيدة يتيمة الأبوين لا راعى لها إلا هو فهما لا شك يبلغان الغاية أو يتجاوزانها. إن حنان سامى بك وحبه لحفيدته « عزيزة » مما تعجز الكلمات عن تصويره.

إنه ينظر إلى الرصيد القليل المتبقى له من أيام الحياة. ترى هل يمتد به حتى يرى « عزيزة » زوجة سعيدة؟ لقد كان فى صباه لا يرهب الموت، وعلى الأهبة فى كل لحظة لبيع حياته بيعاً سمحاً عندما يقتضيها الواجب. كان ذلك والحياة قيمة، والشباب قشيب، وبساط الأمل زاه فسيح، وأفق المستقبل متألق بسام. واليوم وقد انقضت الحياة إلا نفاية من وهن وأوصاب، وبساطها قد انطوى إلا طرف يرتمش للانطواء، والأفق تخبو أضواؤه مؤذنة بانسدال الستار، يجد الشيخ نفسه أشد ما يكون حباً للحياة وحرصاً عليها.. من أجل « عزيزة ».

وكانت له فى الحياة أمانى أشتات، تزدحم بنفسه فى بعض الأوقات بالمئات، تحقق منها ما تحقق وأخفق منها ما أخفق، واليوم لا يعرف غير أمنية وحيدة، هى أن يعيش ليرى عزيزة ولجت باب الحياة، وثبتت على أرضها قدميها، ولم تعد بحاجة لقبضته الواهنة تأخذ بيدها، ويستطيع أن يستودعها ركناً آمناً

هانئا ، ويستقبل المصير المحتم لكل حى بقلب رخى وبال خلى .

لكن هب أن الأجل امتد به وتحققت الأمنية ، وذهبت عنه عزيزة فى زيجة سعيدة فكيف تكون حياته بعد ذهابها ؟ إنه حقا إنما يعيش من أجلها ، لكنه فى الوقت نفسه لا يعيش إلا بها . كانت فى حياته أنجم وأقمار وشموس فأفلت كلها إلا كوكب واحد هو هذه الصغيرة ، فإذا زحزحت هى الأخرى من سماء حياته ففى أى ديجور بعدها سيعيش ؟ ليس فى الوجود أرق نغما من صوتها ، ولا أعذب لفظا ونطقا وأظرف معنى من حديثها ، والحوار معها فى دروسها المدرسية متعة عقله وروحه وعود جديد إلى عهد الصبا الجميل ، والنزهة معها سبح مع ملاك فى فراديس ، ووجودها فى البيت يجعل فقره الموحش روضة من جنات النعيم . . أى بيت يكون هذا بغير وجودها ، حيث لا رفقة تبقى لذلك الشيخ غير الخدم والشيخوخة والأوصاب ؟ رفقة أشباح دميمة فى قاعات مظلمة بدار عذاب !

لكن هل شىء من هذا يهم ؟ وهل لشىء مما يتعلق بذاته الغاربة تلقاء ما يتعلق بذات « عزيزة » أى وزن ، وكيف لعاطفة صغيرة حقيرة من أنانية شوهاء أن تواجه فى نفسه القوى العارمة من الحنان والحب والواجب ؟ إن محيط نفسه الزاخر تلغط جميع أمواجه هاتفة بتلك الأمنية وصوت الأنانية ضئيل هزيل فى موضع سحيق بقاع المحيط لا يصل إلى أذنه ولا يستبين .

ومضت سنون ، وأتمت عزيزة دراستها ، واستوى قدها ، واكتملت أنوثتها ، تلك الهمسة الخفية التى تسرها الطبيعة فى نواة جسم الأنثى فاذا حان الحين نبت السر متلويا فى قامة هيفاء لدنة كغصن البان ، وحقاق على الصدر مرمرية فى استدارة الرمان ، والمفاتن الأخرى التى لا يغنى فيها بيان عن عيان . . لكن الأنوثة وإن كانت واحدة إلا أنها تختلف كاختلاف لون الورود وعطرها . لقد نمت عزيزة إلى فتاة ممشوقة نحيلة القوام ، صامتة جادة حيية ، فى بياض بشرتها شفافية لطيفة عاجية ، ووجهها حلو القسمات صغير مستدير ، وعيناها جوهرتان أصفى من الندى أشربتا بلون عنبرى عميق .

ولم يكن العريس الحبيب عليها بعزيز ولا منها ببعيد ... إنه شاب وسيم يكبرها ببضع سنين ، يشغل وظيفة طبية فى مؤسسة مصرية كبيرة ، يمت إلى عزيزة بقربى من ناحية الجدة ، ويمت اليها بما هو أقرب ، تماثل فى العقلية والطبع الهادىء الجاد الرزين . واسمه « فريد » .

لقد تقدم لخطبتها غيره كثيرون ، لكن ما منهم من ارتاح إليه البك الارتياح كله لأسباب ارتآها ، أو هفت اليه عزيزة بكامل قلبها لأسباب لا تعرفها ، إلا فريد فقد حل من نفسيهما معا فى المكان المكين .

وتمت خطبة عزيزة لفريد ، وراح يعد المدة لاستكمال نصفه الذى صحا ذات يوم على افتقاده . كم هى حافلة تلك الأيام يخطو فيها الشاب خطواته ليصبح ربا بعد أن كان فردا ، ويأخذ إلى فلكه كوكبا ليدورا معا وكان يدور حول نفسه فقط .. وكان لفريد دارة (ڤيلا) صغيرة راح يعدل فيها ويهىء كى تصبح العش الجميل له وللالف الحبيب .

وأخذت عزيزة تتهيأ لتقلد وظيفتها وأداء رسالتها ، رسالة الحب وما يؤدى إليه من صنع خيوط جديدة فى نسيج البشرية .

وجاء فريد ذات يوم ليتفق مع البك والعروس على يوم الزفاف وحدده ، وانصرف الشاب ، وشيعه البك وهو يشد يده فى تهنئة دافئة ودعابة لطيفة .

والتفت البك إلى حفيدته العزيزة ليهنىء ويداعب ، فلم يرعه منها إلا نظرة إليه بعينيها الفاتنتين تترقرق فيها دمعتان كقطرتى ندى على نرجستين .

قال الشيخ مندهشا : ما بك يا ابنتى ؟! . هل تبكين ؟!

قالت : يا جدى لا أدرى كيف أبعد عنك وأتركك تعيش وحدك !

فأحس الشيخ رجفة نفسانية ، وكاد أول وهلة أن يشاطر الفتاة الجزع لكن لم يلبث أن تجلد وربت كتف عزيزته وهو يقول : يا ابنتى لن تكونى بعيدة . أما عن عيشى وحدى فلا تنسى أنى جندى ، والاخشيشان والاستكفاء الذاتى بعض ما عرفته وألفته ، ومهما تقدمت بى السن فلن أضيق بشىء من ذلك ولعلى أتوق إليه .

هذا ما قاله لها . أما ما دار بخاطره فهو : ترى ماذا يمنع من أن تعيش وحيدتى العزيزة هذه معى هنا هى وفتاها بعد زواجهما

حتى أموت ؟! . لم لا أخاطب فريدا فى هـذا فقد يرضى به ؟ .. لـكن لا . لقد كنت يوما شابا خاطبا مثله ، ولم يكن يخطر ببالى إذ ذاك ، ولى بيت أن أعيش بزوجتى مع أهلها فى بيتهم ، ولو طلب إلى ذلك ما كنت أفعله إلا كارها .. كلا ، ليس أحب إلى عروسين صغيرين من عش خالص لهما ، يمرحان فيه على هواهما ، ويضحكان بطلاقة ، ويتحابان بلا تحرج ، ويختلفان إذا لزم الأمر بغير كبت . حرام على أن أنشد هنائى على حساب شىء من هنائهما . كلا ، لن أثقل عليهما بظلى فى شيخوختى مثقال ذرة .

وجاءته عزيزة فى يوم آخر متهللة الوجه ، تجر وراءها فريدا من كمه ، قالت : ياجدى ، لقد أقنعت فريدا بأن يترك فلته ونعيش معك هنا فى بيتنا .. ورضى

— أقنعته ؟ ! .. ورضى ؟ !

قال الشاب : إنى على استعداد يا سيدى البك لأن أفعل أى شىء يكون فيه راحتك وهناء عزيزة .

فأطرق الشيخ برهة ، ثم قال . يا بنى إن فلتك جميلة جدا ، وأنا أتطلع إلى اليوم الذى أزوركما فيه هناك وأجلس فى شرفاتها اللطيفة وأستمتع بما يحيط بها من مناظر بديعة . إنى شيخ كبير وأصبحت أسأم المكان الواحد وأحب تغيير المناظر .

فأطرق الشاب مرتبكا ولم يدر ماذا يقول . وحدقت الفتاة أمامها وقـد أسقط فى يدها هى الأخرى . وزفت عزيزة لفريد ، وسافرا لقضاء شهر العسل فى مصيف لطيف .

فلما حل يوم عودتها كان الشيخ الكبير فى انتظارهما بالمحطة ، ولو قبع فى داره مستريحا لخفا اليه حال عودتهما ، لـكنه لم يستطع صبرا ، ولم يكن يدرى هل غابت عنه عزيزة شهرا أم دهرا . وبعد أن ضمها وقبلها فى الجبين عرف من أحاديثها الفرحة أن السعادة التى كان يحلم بها لها صارت حقيقة .. وتركهما يذهبان وعاد إلى داره قرير العين .

وفى الغد زاراه فى داره : وبعد الغد أخـذ سمته إلى فلتهما لزيارتهما ، فراحا يحتفيان به ويجلسان فى كل غرفة وكل شرفة ليمتعاه بالفيلا الجميلة والمناظر البديعة كما كان يقول .. وكان وجهه يتهلل بشرا وسعادة ، وقل صمته وجده ، وكثرت دعاباته اللطيفة وملحه الطريفة . وغادرهما فى المساء وعاد إلى داره .

وداعب خادمه النوبى لأول مرة فى حياته حتى ابتسم الخادم عن نواجذه البيض أمام سيده لأول مرة أيضا .. وتناول عشاء خفيفا ، بعض الفاكهة وفنجانا من القهوة ، ثم أوى إلى فراشه .

واستيقظ بعد انتصاف الليل على ضيق فى التنفس وحزة فى القلب واسطة الجسم وصميم الحياة . فتح عينيه وتقلب كيما يخف الألم وتسترجع الأنفاس ، لـكن الألم لم يخف والضيق ازداد . فمد يده وأضاء النور ، ثم تحامل حتى جلس متكئا ، فلم يغنه ذلك شيئا . فمد يده ودق الجرس مستدعيا خادمه ، وكان الخـادم قد أحس بقظة سيده فى تلك الساعة من الليل على غير عادة ، فخف اليه فرآه ممسكا بصدره مكروبا .

— مالك يا سيـدى ؟! .. سلامتك يا سيدى ! .. هـل استدعى الدكتور ؟

— لا .. إعمل لى شيئا من شراب ساخن .. فنجانا من اليـنسون

وعندما عاد الخادم بفنجان الينسون ألقاه على نضد وقد كاد أن يسقط من يده .

— سلامتك يا سيدى ! . هل أستدعى سيدتى عزيزة هانم ؟

— لا تزعجها .. بلغها .. سلامى .

وتنهد .. وانتهى .

عبد الغنى على حسين



معـــنى النـكبة *

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

«معنى النكبة» هو كتاب جديد للدكتور قسطنطين زريق وكتاب الدكتور زريق هذا يذكرنا بكتاب سابق له هو وإنما ينزعان إلى رأى واحد كتاب «الوعى القومى». وليس الكتابان فى موضوع واحد وفكرة واحدة، هى الفكرة القومية، التى يرى فيها الدكتور من دون غيرها فكرة الخلاص للشعوب العربية فى جميع أقطارها ومع أن كتاب «معنى النكبة» يقوم على الفكرة القومية إلا أنه كتب عن الوضع الحاضر فى فلسطين. وعنوان الكتاب يدل على أن الدكتور يعتقد (ونحن نوافقه) أن ما وقع فى فلسطين كان نكبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. بل هو يقول: إنها جاءت «محنة من أشد ما ابتلى به العرب فى تاريخهم الطويل على ما فيه من محن ومآس».

ويتناول الدكتور فى كتابه هذا الصغير، الذى ينشره فى وقت ملائم، مواضع تدل عناوينها بعض الدلالة على ما فيها؛ فهو يبدأ بالحديث عن «فداحة النكبة» ثم يتحدث فى فصل آخر عن «معنى النكبة» فى هذا الباب وعن «الحل الأساسى» و«المعالجة القريبة» لدرء هذه النكبة التى حلت بالعرب. وكان المؤلف قد كتب قبل أن ينشر هذا الكتاب فصلين أذاعهما قبل ظهور الكتاب: أحدهما عن «الصراع بين المبدأ والقوة فى قضية فلسطين» والآخر عنوانه «لماذا نجاهد فى فلسطين»

وأنت تقرؤ الكتاب كله فتشعر بميزتين أو ثلاث له، تبرز بروزاً واضحاً لا غموض فيه: فأما واحدة من هذه الميزات فهى أن الكتاب يعبر تعبيراً تاماً عما يجول فى خاطر الناس بعد ما وقع فى فلسطين. فالناس بعد هذا الذى وقع تبلبلت أفكارهم وتحيروا ماذا يقولون. وقد عبر المؤلف تعبيراً صادقاً وألم به إلماماً موفقاً. وميزة أخرى للكتاب هى أنه ينظم البحث تنظيما يدل على فكر منظم وعقل مدبر. وقد عرف هذا عن الدكتور زريق فى تآليفه، وبظل ما عرف عنه صحيحاً فى هذا الكتاب الصغير. وميزة ثالثة للكتاب نوردها لأننا نتحدث عنه لا لأنها كبيرة الأهمية وهى الوضوح فى التعبير، والجمال الطبيعى فى الأسلوب، والجدة فى الأداء؛ صفات تستهويك حين تطالع فصول الكتاب فتكسبه عند عامة القراء قوة على إبلاغ الرأى الذى يراه المؤلف إلى ذهن القارىء فى يسر وإمتاع.

وعند ما يتحدث الدكتور زريق عن «معنى النكبة» التى حلت بالعرب فى قضية فلسطين، يقول شيئاً يجد القارىء المادى صعوبة فى إدراكه، ولكنه صحيح وإن كان مطبوعاً بالطابع النظرى المحض. فالدكتور يقول: إن النكبة تقاس بمقدار تأثيرها فى نفسية الشعب العربى. فإن هى أرهقت هذه النفسية وشلت قدرتها على الصمود فى وجه التعسف والإغراء، وإن هى مكنت لقوى الرجعية العربية من السيطرة وانهزمت أمام هذه القوى، وإن هى لم تثر مواطن الضعف ولم تحتفظ بعناصر القوة فقد وقعت كنكبة، وإن كان الأمر على العكس من ذلك فلم يرهق النفس العربية ولم تشل قدرتها على الصمود فى وجه الظلم ولم تهن أمام قوى الرجعية والإغراء، عادت وكأنها ليست نكبة وإنما كانت مناسبة لتنقية جوهر الأمة العربية وبلورة كيانها.

وهذا كله صحيح وإن لم أشعر أن المؤلف الكريم وفق كل مرة إلى وصف الطريقة التى تمكننا من أن نصمد لما حل بنا، وأن نخرج منه بعبرة للمستقبل بحيث نخرج كما قال «من العسر يسر ومن النكبة بذور ظفر» وسأبين ذلك عن قريب؛ لأننى أحب فى هذه اللحظة أن أتحدث عن أهم ما تناوله الكتاب، وأهم ماجاء به فى نظرى هو الحل الذى يراه للنكبة التى وقعت بفلسطين، وهو يقسم الحل إلى قسمين: أحدهما «المعالجة القريبة» والآخر «الحل الأساسى» وكلا الموضوعين هام تطالعه فى شغف وسرعة وهو يرى أن المعالجة القريبة تقوم على أركان خمسة: هى تقوية الإحساس بالخطر، وتجنيد قوى الأمة الحربية بكاملها، وتحقيق أكبر قسط من التوحيد الممكن بين الدول العربية فى ميادين الحرب والسياسة والاقتصاد وسواها. والركن الرابع هو إشراك القوى الشعبية فى النضال، أى لا يقتصر الجهاد على الحكومات والجيوش النظامية، والركن الخامس فى الجهاد العربى لحفظ فلسطين هو استعداد العرب للمساومة، وللتضحية ببعض المصالح لدرء الخطر الأكبر

هذه هى الأركان الخمسة عند الدكتور زريق للمعالجة القريبة

(*) التى حلت بفلسطين

لقضية فلسطين ، وهو يشرح كل واحد من هذه الأركان شرحاً وافياً لا مجال للخوض فيه ههنا ، وأنا أثق على كل حال أن القارىء الكريم سيعرف شيئاً من المقصود بهذه الأركان من مجرد ذكر عناوينها ، وذلك لثقافة الناس العامة الآن بقضية فلسطين وبقضايا بلادهم . ولا أتعرض لأى واحد من هذه الأركان اللهم إلا لركن المساومة السياسية هذه ، التى يتحدث عنها الدكتور ، على أساس موجب أشد الوجوب للنقد ، وسأوضح لك ذلك عما قريب .

أما المعالجة البعيدة لقضية فلسطين ، أو الحل الأساسى فيتطلب عند المؤلف « حرباً مديدة الأفق بعيدة الأجل » وتبدلا « أساسياً فى الوضع العربى ، وانقلاباً تاماً فى أساليب تفكيرنا وعملنا وحياتنا بكاملها » إنه يتطلب « كياناً عربياً قومياً متحداً تقدمياً » « وإنشاء هذا الكيان هو الركن الأول للجهاد العربى البعيد » ثم يمضى الأستاذ فيشرح كل واحدة من هذه الصفات التى يجب أن يتصف بها الكيان العربى . وهو يلاحظ أثناء هذا الشرح أن اساليب تفكيرنا ما تزال عتيقة وأننا لا نساير الزمن فنأخذ مما فى الحضارات الإنسانية من قيم عقلية وروحية .

ولو أردنا تقريب تسمى الحل لقضية فلسطين من أذهان القارىء الكريم لقلنا إن الدكتور زريق يضع أركاناً خمسة لكل من الحلين القريب والبعيد لقضية فلسطين . ومجموع ما يريد من كلا الحلين يتلخص فى خلق أمة عربية على طراز الأمم الغربية . ويشمل ذلك القوة العسكرية والقوة العلمية والخلقية والاقتصادية وبعض هذه القوى يحتاج إنشاؤه إلى زمن طويل . والذى أراه أن أعجل ما يمكن أن يأتى بنتيجة من آراء الدكتور هو ما أسماه « المساومة » فالواقع أن هذا سلاح ماض جداً فى أيدى العرب إذا سددوه إلى ناحية أصاب الهدف وأصمى .

فالعرب يشبهون فى عالم السياسى الحاضر وضع اليهود بين حزبى الجمهوريين والديمقراطيين فى أميركا أو وضع حزب الأحرار بين حزبى العمال والمحافظين فى بريطانيا — إذا مالوا بثقلهم مهما هان شأنه على ناحية من ناحيتى الكتلتين العالميتين اليوم ، رجحت كفته بثقلهم وانتصر على خصمه . وهذا السلاح الماضى لا يقتضى إلا اتفاق الرأى بين العرب فى جميع أقطارهم على الناحية التى يرجحونها . وهم غير مضطرين حين يرجحون كفة أن يظلوا على موقفهم زمناً طويلا . بل الواجب يقضى أن يبدلوا موقفهم بحسب الظروف تبديلاً يلائم مصلحتهم كأمة . وهذا السلاح الماضى من أسلحة المعالجة القريبة يستطيع العرب أن يفيدوا منه منذ الآن ، إنه لا يحتاج إلى مثل ما يحتاج إليه الأسلحة الأخرى من استعداد طويل ووقت بعيد ، ففى العرب اليوم فئة من الساسة المحنكين الذين يفهمون التيارات السياسية العالمية وما يحمل فى طواياها من مغازم قادرون إذا أخلصوا أن يوجهوا شعوبهم معهم إلى الناحية التى يجدون فيها الخير لهم .

وهنا أستطيع أن أوضح لك الخطأ الكبير الذى ارتكبه الدكتور زريق حين تحدث عن أحد أركان المعالجة القريبة وهو « المساومة » ، وحين شرح لقرائه معنى كلمة « تقدمى » التى وصف بها الكيان العربى الذى يريده . قال الدكتور إن الخطر الصهيونى لا يرده إلا كيان عربى قوى متحد تقدمى . وهو حين استعمل هذه الصفة (تقدمى) يقول « إن قوميينا إذا أرادوا أن يحاربوا الشيوعية حقاً فسبيلهم الوحيد أن تكون قوميتهم مجارية لقوى الزمان (ص ٤٨) فمحاربة الشيوعية عند الدكتور إذن إرادة صميمة يدل الناس على السبيل الوحيد إليها . ولكنه حين تحدث عن أركان الجهاد العربى لحفظ فلسطين تكلم عن استعداد العرب للمساومة مع الدول الأخرى على أساس تبادل المصالح والمنافع . وهذا حق فى نظرنا . فإذا أراد أن يبسط معنا للقارئ قال : « لا نحالف مثلا الدول الديموقراطية على الشيوعية ونضطهد الأحزاب اليسارية فى بلادنا لوجه الله وجرياً مع الصداقة أو لمجرد التخاذل » إن الاستعداد للمساومة على الحقوق المتبادلة عنصرها من عناصر الجهاد العربى كما ذكرنا والعرب يفتقرون إلى استخدامه كل الافتقار ، والعالم الآن منقسم إلى قسمين فقط : الديموقراطية والشيوعية . فإذا نفى الدكتور قابلية المساومة مع الشيوعية لأننا يجب أن نحاربها كما سبق ، فلم يبق معنا من طرف نساومه إلا الديموقراطية ، فإذا أدركت الديموقراطية أن المساومة لا تكون إلا معها بكل معنى المساومة وتمننت الديموقراطية معنا فأخذت منا دون أن نأخذ منها ، وهذا هو السر الأكبر للضعف فى موضوع فلسطين فى الوقت الحاضر ، والدكتور لا يخلصنا منه ، وإنى أثق أن المؤلف فعل ذلك عن نية حسنة .

وبعد فقد قال الدكتور فى مقدمة كتابه « لست أدعى أنى فى هذه الدراسة قد « اخترعت البارود » وإنما هى محاولة لتصفية تفكيرى فى هذه الأزمة الخانقة » . والحق أن الكتاب لابد وأن يكون قد أحدث صفاء فى التفكير عند القراء الذين طالعوه فى الوقت الذى يجب أن يطالعوه فيه . والفضل فى ذلك يعود إلى المؤلف الكريم .

١ – بناء دولة – مصر محمد على

[للدكتور محمد فؤاد شكري الأستاذ بجامعة فؤاد الأول وزميليه الأستاذين عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل]

هذا كتاب كنا ننتظر صدوره من زمن بعيد ، فقد أضاف إلى مكتبة « محمد على » كتاباً جديداً حافلا بالدراسة المستقلة من ناحية ، وبالوثائق السياسية من ناحية أخرى . أما الدراسة المستقلة فقد عالج المؤلفون فى القسم الأول من الكتاب موضوع أحوال مصر الداخلية فى عهد محمد على معالجة لم تعتمد على تكرار ما هو متداول فى كتب التاريخ ، مما هو معروف ومشهور ، بل أضافوا نواحى جديدة لم تظهر قبل فى مؤلف عربى . وقد أتاح لهم ذلك اطلاع واسع على مكتبة « محمد على باشا » الفنية فى المؤلفات الأوربية . ولم يكتف المؤلفون بسرد آراء الأجانب على سبيل التدوين ، وإلا كان الكتاب سجلا تضيع معه قيمة التحقيق العلمى ، ولكنهم كانوا يناقشون الآراء فى اعتزاز وصحة حكم حتى بدت على وجهها الصحيح .

أما الوثائق السياسية فهى خير علمى يضاف إلى ما فى الكتاب من خير كثير ، فقد عمد المؤلفون إلى ترجمة بضعة من التقارير المعاصرة لعهد محمد على وهو يهم ويمضى فى بناء دولة مصر من الداخل ، وهى وثائق يطمئننا المؤلفون إلى أنهم رأوا فى اختيارها ما يجعلها جديرة بالاطمئنان إليها فى رسم صورة دقيقة للمصر الذى تتناوله . ومهما يختلف الرأى فى قيمة التقارير تبعاً لما تمليه أهواء أصحابها أو عواطفهم فإنه مما لا شك فيه أن الأجانب كانت عيونهم مفتوحة على كل حركة يصدرها العاهل الكبير ، وأنهم لم يدعوا ناحية من النواحى البنائية الإنشائية فى مصر محمد على إلا درسوها دراسة جدية ؛ حتى أن أحد هؤلاء وهو السير جون بورنج لم يترك فى تقريره عن مصر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فتحدث عن الزراعة والصناعة والضرائب والإدارة والجيش والتجارة والصحة العامة والقضاء والتعليم حديثاً مدعما بالإحصاء ومؤيداً بالملاحظة الدقيقة ، ولما كانت البيانات الرسمية غير مسعفة له فقد كان يتصيد البيانات من مصادرها الأولى ؛ كافعل فى إحصائه عن معامل السكر التى كان يملكها ابرهيم باشا ؛ فقد طلب البيان من ناظر المعامل وترجمه ليكون ضمن تقريره .

وكان السير بورنج موفداً من قبل حكومته لوضع تقرير شامل عن حالة مصر ، فقدم إليها سنة ١٨٣٧ ، واتصل بكثير من الموظفين فيها للحصول على بياناته ، واستعان كثيراً بالقنصل الإنجليزى « كامبل » الذى زوده بكثير من الإحصاءات الزراعية والصناعية .

لقد كانت تقارير بورنج وكامبل وهودجسون ومن إليهم فى غير متناول القارىء العربى ، إلا ما كان من نتف هنا وهناك يترجمها المؤرخون المصريون فى معرض الحديث عن شىء معين ؛ ولكن مؤلفى هذا الكتاب قرّبوا هذه التقارير كاملة من القارىء العربى ، بل سهلوا الحصول على تقرير بورنج الذى لا توجد منه فى العالم إلا نسخ قليلة جداً .

٢ – الشمس الحزينة أو حياة غاندي

(تأليف الأستاذ محمد كاظم)

وهذا كتاب لطيف فى حياة غاندى ، وهو أول كتاب عربى ألف فى حياة المهاتما بعد مماته . ويمتاز بسلاسة فى التعبير كأن المؤلف يحكى حكاية عن شمس كانت ساطعة ثم جنحت إلى الغروب . وقد كانت أم غاندى تنتظر الشمس ؛ عند شروقها فإذا ما رأتها ساطعة تهلل وجهها بالبشر كما خفق قلبها بالدعاء ؛ وكانت السحب الكثيفة حينما تلف وجه الشمس بالحجاب تبدو هذه الشملة السماوية فى ثياب الحزن ، كما تحزن أم غاندى ويحزن معها ولدها الصغير لأن السماء مظلمة .

ولهذا سمى المؤلف كتابه « الشمس الحزينة » .

لقد ظهرت كتب فى العربية عن حياة غاندى كان المؤلفون يلتمسون منها المثالية الكاملة فى إنسان رفعته الإنسانية العالية إلى مراتب « السوبرمان » . وظهر بعـــد وفاة غاندى كتاب الأستاذ كاظم هذا ، وكتيب آخر للأستاذ طه السيد ظهر منذ بضعة من الأيام . فبدا غاندى بعد مماته أروع مما كان فى حياته ؛ لأن الفكرة الخالدة لا تموت .

وكانت فى حياتك لى عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان غاندى – كما يقول المؤلف – يصوم (ليواجه غضب الطبيعة وجهل البشرية ...) ؛ أما الطبيعة فلا سبيل إلى إرضائها متى ثارت ؛ لأنها تثور فوق إرادتنا ، وتجرى على غير مشيئتنا ، فهل إلى تعقل البشرية الحمقاء من سبيل ؟

عبد الغنى

شلى بروميثوس طليقا

ترجمة لويس عوض

« ماجستير فى الأدب الانجليزى من جامعة لندن والمدرس بجامعة فؤاد »

دراما غنائية رائعة فى أربعة فصول كتبها الشاعر الانجليزى المعروف بيرش شلى ونقلها إلى العربية الأستاذ عوض ، وقد قدم الكتاب بمقدمة عن الحركة الرومانتيكية ولكنها مقدمة طويلة تحتل نصف الكتاب تقريباً ، وهى رغم طولها طريفة شيقة تمهد لمعرفة جو المسرحية ، وختم الأستاذ لويس كتابه بترجمة قصيدة أدونيس لشلى وهى تلك المرثية الرائعة التى نظمها فى موت صديقه الشاعر جون كيت .

وقد تحدث فى المقدمة عن الانقلاب الصناعى فى انجلترا ، وأثره فى دراسة الأدب ، وتخرج الفوج الأول من المدرسة الرومانتيكية وهم : وردزورث و كولريدج رشدى وسير والترسكوت والفوج الثانى منها وهم : بيرون وشلى ؛ وكيت وعرض عرضاً تاريخياً للنظم السياسية فى إنجلترا ، ثم انتقل إلى كلمة الرومانتية وبين أصلها فى اللغة ورأى الأدباء والشعراء فى تعريفها فى أوربا

أما المسرحية فيمكن تلخيص فكرتها فى تلك العبارة : « إن القوة المطلقة خطيئة » وهى عبارة قالها بروميثوس فى الفصل الأول من المسرحية وتعرض لرأى شلى أيضاً فى السياسة والأخلاق والاجتماع ؛ فجوبتر ملك الأرباب والشياطين وسيد الأرواح نصب نصبه حاكما مطلقاوأخضع سائر الآلهة إلابرميثوس صديق البشر الذى سرق النار الإلهية وهى نار العلم وخلص البشر من الجهل فصلبه جوبترعلى شفا هاوية سحيقة وأطلق عليه النسور الضوارى تنهش جسده وربات الانتقام أو النوريات يصبن قلبه بجراح معنوية غائرة ولكن بروميثوس عول على محاربة جوبتر بسلاح الخير فهوى جوبتر من فوق عرشه العظيم وتقوضت أركان ملكه المكين ، وظهر هرقل رمز القوة ففك أغلال بروميثوس رمز الحرية فى الوجود حيث أعرس من آسيا نور الحياة وصورة الجمال التى ليس لها نظير …

والمسرحية تصور ثورة الحرية على الطغيان وما هى إلا صدى للجهاد المنيف فى سبيل حقوق الإنسان الذى تأثر به شلى ، ولا يزال العالم يكتوى بناره حتى اليوم وأسلوب الترجمة يرتفع حيناً إلى آفاق البلاغة وينحدر حيناً إلى أعماق الركاكة ويرجع هذا إلى المؤثرات فى مزاج المترجم من حين إلى حين ، وفى الأسلوب بضعة أخطاء حرفية ونحوية واستعمالات لألفاظ وجمل مبتذلة تنبو عن أسلوب أستاذ جامعى كلفظة « أسطوات » و « عاشا فى تبات ونبات » ويمكن للمترجم السمو بأسلوبه بقراءة الكتب العربية القديمة ولكن أسلوب الترجمة لقصيدة أدونيس يرتفع عن المسرحية فى بعض المواضع

مهما يكن من شىء فجهد الأستاذ لويس جهد مشكور ونتمنى أن يتحف المكتبة العربية دائماً بنفائس الأدب الإنجليزى

ابراهيم جمال الدين الرمادى

مطبعة الرسالة



العدد ٨٠٥ — الاثنين ٦ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٤٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 805

Lundi — 6 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٣٦٨ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

حقوق الانسان فى هيئة الأمم

للأستـــاذ عمر حليق

سنتان والنقاش مستمر فى هيئة الأمم المتحدة حول إقرار ميثاق عالمى لحماية حقوق الإنسان .

وأمام الجمعية العمومية بباريس الآن اقتراحات بعضها مشوه وبعضها متناقض فى مبادىء أساسية فى تقرير الحرية والحقوق والواجبات التى لا بد منها لـكل ميثاق يوضع لحماية حقوق الفرد نحو الفرد والفرد نحو المجتمع ، والفرد نحو الدولة والدولة نحو الفرد . ولا تزال هذه الحقوق موضوع بحث ومناقشة وتعديل فى لجنة حقوق الإنسان التى أسسها المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الأمم المتحدة فى أواخر عام ١٩٤٦ .

وفى خضم الجدل السياسى العنيف الذى يشوب اجتماعات الأمم المتحدة يكاد مشروع ميثاق حقوق الإنسان لا يجد من ألسنة الرأى العام من ينوه به ويشير إليه بما يستحقه . ذلك لأن إقرار ميثاق عالمى متين لحماية الحرية والحقوق والواجبات سيكون معلمة خالدة من معالم الحضارة المعاصرة .

ولـكن روح السخرية التى جلبتها هيئة الأمم المتحدة على نفسها بعد مهازلها السياسية فى فلسطين وأندونيسيا وحيدر أباد وكشمير واليونان وكوريا وغيرها جعلت جهود الأمم المتحدة فى سبيل هذا الميثاق لونا من ألوان الجدل البيزنطى العقيم .

على أن الآراء التى أبداها مندوبو الثمانى عشرة دولة التى تؤلف لجنة حقوق الإنسان فيها طرافة وانعكاسات عميقة فى ناحية مهمة من نواحى التفكير والاتجاهات والمذاهب السياسية والاقتصادية المعاصرة . وسأحاول هنا أن أعرض بعض هـذه الآراء وطرفا من الجدل الذى احتدم حولها بين مندوبى هذه الدول .

أمام اللجنة الدولية التى وكل إليهـا وضع ميثاق حقوق الإنسان صيغة تحضيرية لا يزال المندوبون يتناولونها فقرة فقرة بل كلمة كلمة .

خذ مثلا المادة الثانية التى تنص على أن لـكل فرد الحق فى جميع ما ينص عليه الميثاق من حقوق وواجبات « بدون تمييز فى الجنس واللون واللغة والعقيدة والمذهب السياسى ومميزات الثروة أو المراقة أو المحتد .

هذه المادة كانت موضوع جدل عنيف جداً ؛ لأن مندوب الاتحاد السوفياتى أصر على إدخال كلمة « الطبقة الاجتماعية » فى هذه المميزات المحرمة ، والطبقة كما لا يخفى تحتل مكانة أصيلة فى الفلسفة الماركسية .

وأصر الروس على إجراء هذا التعديل وتألفت لحل هـذا الإشكال لجنة فرعية مؤلفة من أمريكا وفرنسا وروسيا واتفقوا بعد جدل عنيف على إضافة كلمة النسب إلى الأنظمة الاجتماعية

التى يجب أن لا تكون مميزة للفرد على الفرد .

وبالرغم من أن جميع مندوبى الدول وافقوا مبدئياً على روح الميثاق إلا أن الخلاف على تفاصيله وصياغته كانت من أصعب الأمور التى كانت الأمم المتحدة القيام بها .

وهذا ما اشتكى منه الدكتور شارل مالك أستاذ الفلسفة فى جامعة بيروت الأمريكية سابقاً ومندوب لبنان فى هيئة الأمم ، فهو المقرر للجنة حقوق الانسان بالإضافة إلى رئاسته للمجلس الاقتصادى والاجتماعى .

ذلك لأن الخلاف على الصياغة وحرفية الميثاق يستمد عنفه من التباين فى المذاهب السياسية والاقتصادية والدستورية والاجتماعية والفكرية التى تدين بها دول الجيل المعاصر .

خذ مثلا خطبة الافتتاح التى استهلت بها المسز فرانكلين روزفلت مندوبة الولايات المتحدة ورئيسة لجنة حقوق الإنسان قالت مسز روزفلت : « إن هذا الميثاق (ميثاق حقوق الإنسان) يجب أن لا يفرض التزامات قانونية على الدول ، مع العلم بأن مبادئه هى أسس الحرية التى يجب أن يكرن السمى لتحقيقها هدف جميع الدول والشعوب » . ووافقها مندوب السوفيات الدكتور بافلوف Pavlov على ذلك . ومع هذه الموافقة كان نقاش مسز روزفلت والدكتور بافلوف من أعنف ما شهدته اللجنة .

وبروح السخرية الخفية قالت المسز نيولاندز مندوبة نيوزيلندة بأنها وإن كانت تواقة لأن ترى الدول توافق على ميثاق عالمى لحقوق الإنسان إلا أنها ترى من الأهم ، قبل كل شىء ، أن يوضع مشروع عالمى مماثل يضمن إخلاص الدول فى تنفيذ هذا الميثاق . وتابعت مندوبة نيوزيلندة الكلام مشيرة إلى أن الدول والشعوب تتفاوت فى مستوى التقدم الفكرى والرقى الاجتماعى والمناهج السياسية والأنظمة الاقتصادية ، وإن لكل منها كياناً خاصاً يختلف فى كثير من الأوجه عن كيان الدول الأخرى وأن أية محاولة لحملهم على التقيد بميثاق موحد يفرض عليهم فرضاً دون تعديل وتحوير محاولة لن تسفر عن النتيجة المتوخاة ، وأن التراث الثقافى والتاريخى الذى تستمد منه الدول مبادئها وآراءها وفلسفتها فى الحياة يستوجب التريث قبل أن ترتبط الدول بالتزامات أدبية ودولية تقتضيها روح ميثاق حقوق الإنسان ونصه . وأن على كثير من الدول أن تعيد النظر فى مدار هذا الميثاق على ضوء الأنظمة القانونية والتقاليد والعادة والعرف التى تدين بها المجتمعات التى تعيش فيها .

واتخذ مندوب اليونان حقه فى النقاش وسيلة إلى التنويه بالديمقراطية التى نشرت الثقافة اليونانية فى عصور الجهالة القديمة ، وقال إن الأمم المتحدة مسؤولة أمام الحضارة عن إقرار هذا الميثاق .

وانتقد كثير من المندوبين الصيغة التحضيرية للميثاق لأنها لا تصر إصراراً كافياً على واجبات الفرد بنفس الحماسة التى تصر بها على حماية حقوقه . وكان مندوب جمهورية كوبا فى أمريكا الجنوبية هو بطل الحملة فى هذه النقطة المهمة . وتكلم مندوب الاتحاد السوفياتى معقباً فقال إن الدستور السوفياتى والنظام الشيوعى ، وتعاليم ماركس ولينين تصر جميعا على إقرار حقوق الفرد بنفس القوة التى تطلب بها منه القيام بالواجبات .

وتابع المندوب الكوبى الدكتور جينوروز D' genoros تفنيده للميثاق مشيراً إلى أن حقوق الفرد الاجتماعية (بالمقارنة إلى حقوقه السياسية والاقتصادية) ليست تحتل المكانة التى يجب أن تحتلها فى الميثاق ، وأن تعديلات أساسية لإثبات حقوق المرأة وحمايتها يجب أن تدخل فى صلب الميثاق المقترح .

وعند بحث هذه النقطة تكلم مندوب المملكة العربية السعودية السيد جميل البارودى فلفت النظر إلى أن الميثاق على الجملة لا يلائم المبادىء والعادات ومفهوم الحقوق والواجبات التى يدين بها المجتمع السعودى ، وهى مبادىء وعادات تختلف — فى بعض الأحوال — اختلافات جوهرية عن المبادىء التى نص عليها الميثاق والمستمدة من الحضارة الغربية والتراث الثقافى الغربى . ومن الطريف ذكره أن السيد جميل البارودى مندوب المملكة السعودية مسيحى من لبنان يستوطن الولايات المتحدة ، وقد استخدمه الوفد السعودى ليمثله فى بعض أعمال هيئة الأمم ، وقد دافع عن وجهة نظر السعوديين فى أهمية الثقافة الإسلامية بالرغم من أنه لايدين بها . وكذلك فعلت السيدة إليس قندلفت مندوبة سوريا فى لجنة حقوق المرأة فى مناسبة مماثلة .

وأثار مندوب اتحاد جنوبى أفريقيا مسألة حقوق الأقليات فقال إن حكومته لا توافق على نص الميثاق بخصوص الأقليات . فإن ممارسة الحقوق — فى رأيه — يجب أن تكون مصحوبة بتوفر المؤهلات . وهو بذلك يعنى تقييد حقوق العبيد والهنود فى اتحاد جنوبى أفريقيا الذين لا يزالون يصارعون فى سبيل الحصول على حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية هناك .

وتكلم مندوب الاتحاد السوفياتى الدكتور بافلوف بإسهاب فى إحدى الجلسات الأخيرة فقال إن فى لجنة حقوق الإنسان ثلاث جهات : جهة تقول بأن الميثاق المقترح يذهب إلى أبعد مما يجب. وجهة ثانية أظهرت بعض الحماس لبعض مواد الميثاق وأهملت البعض الآخر ، ولكنها على الإجمال راضية عنه . أما الجهة الثالثة فلا تعتقد أن الميثاق المقترح يلبى الحاجة ويسد الفراغ ، وأنه يجب أن يعدل ليكون أكثر ملاءمة للتطور التقدمى الذى يكتسح العالم ، والاتحاد السوفياتى منضم إلى الجهة الأخيرة .

واشتكى المندوب الروسى بأن بريطانيا تحاول أن تتخلص من قبول الالتزام بشأن شعوب مستعمراتها ، وأن الدول المستعمرة إجمالا قد تحالفت فى اللجنة وأسقطت من الميثاق المقترح الحقوق الأساسية التى قد تستطيع الدول الخاضعة للاستعمار بواسطتها التخلص منه .

وأجاب المستر مايهو Mayhew المندوب البريطانى على تعليقات المندوب السيوفياتى مذكراً بالالتزامات الأدبية التى يفرضها الميثاق المقترح إذا اتخذ مثلا عاليا أعلى لحقوق الإنسان . وقال إن بريطانيا ستطبق مبادىء الميثاق على الدول الواقعة تحت حكمها أو انتدابها .

وأجاب إجابة مباشرة عن اتهامات المندوب السوفياتى قائلا : إن اتهام بريطانيا باستغلال حريات الشعوب هو من قبيل الدعاية التى يلجأ إليها الروس فى المحافل الدولية بين آن وآخر ، وأن خير مثل على استعباد الشعوب واستغلال حرياتهم هى الشيوعية وعملها من السوفيات ، فإنها أعنف أنواع الديكتاتوريات التى عرفها العالم . إن الأحرار الذين نالوا الويلات على يد الفاشية والنازية وجدوا الآن أنفسهم مضطرين إلى النجاة بأرواحهم من طغيان الشيوعية فى أوربا الشرقية . وتابع المندوب البريطانى قائلا : إن مندوب السوفيات الذى يقف هنا نصيراً للحرية يجدر به أن يتذكر بأن حكومته هى الدولة الوحيدة من بين دول العالم التى حققت توسعاً استعماريا إقليميا فى السنوات الأخيرة . وقال إن الشيوعية قد شنت حملات شعواء على الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى بريطانيا وفى جميع البلدان خارج منطقة النفوذ السوفياتى .

وجاءت هذه الحملات ارتجالية دون تحد سابق إلا الداء الكامن الذى تكنه الشيوعية لجميع المبادىء التى تخالفها فى الغايات والسبل . وإن من الإنصاف أن ترد بريطانيا التهمة عن نفسها .

وقال مندوب جمهورية كولومبيا فى أمريكا الجنوبية إن هدف هذا الميثاق هو فى الواقع تقرير مبادىء أساسية لا التدخل بين الدول ورعاياها أو بين الفرد والمجتمع .

وأصر مندوب بولندا على أن تكون بعض المبادىء الجوهرية للميثاق مستمدة من الفلسفة الماركسية وتقدم بأربع نقط ليدعم بها الميثاق وهى :

١ — إن الحقوق السياسية عديمة الجدوى إذا لم تعزز بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

٢ — يجب أن يكون القيام بالواجبات شرطا لإعطاء الحقوق للفرد وحمايتها .

٣ — للشعوب الواقعة تحت الحكم الأجنبى أن تتمتع بمزايا الميثاق تماماً كما تتمتع به الشعوب المستقلة والدول الحاكمة .

٣ — يجب أن لا تكون موافقة الدول على الميثاق مدعاة إلى التدخل فى شؤونها الداخلية .

وعقب مندوب بلجيكا الكونت دى ويارت wiart على نقطة الواجبات مطالباً بأن يتضمن الميثاق نصاً بالتزامات حسن الجوار ، واقترح لهذا النص إحدى الوصايا العشر التى نص عليها الكتاب المقدس وهى « أحب لجارك ما تحب لنفسك »

وأبدى بعض المندوبين روح تسامح وسعة أفق ورغبة صادقة فى التغلب على الخلافات الحادة . فقال مندوب جمهورية الشيلى فى أمريكا الجنوبية مثلا .

إن تحضير نص لميثاق هام كميثاق حقوق الإنسان أمر يتطلب

الصبر والأناة وسعة الأفق والتسامح والرغبة الصادقة فى التعاون وتقريب وجهات النظر . فإذا عجزنا أن نحمل السوفيات وحلفاءهم والدول الغربية على التسامح والتنازل عن بعض الخلافات الحادة ، فلن يجدى جدلنا هذا نفعاً . ويجب كذلك أن تسعى لتقريب وجهات النظر فى المبادىء الجوهرية بين حضارة الغرب وبين حضارات الشرق وبين الأنظمة القانونية التى تختلف جوهرياً فى العالم الأنجلو سكسونى مثلا عنها فى العالم اللاتينى .

وناشد الدكتور كريم عزقول مندوب لبنان اللجنة بأن توافق على الميثاق لتعيد إلى الإنسانية المبلبلة الفكر المتوترة الأعصاب إيمانها بالقيم الروحية ومكانة الفرد وعزته .

ولا تزال اللجنة تواصل النقاش حول مواد الميثاق

(نيويورك) **عمر حليق**

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

قائد الأسطول المصرى فى عهد صلاح الدين :

حســـام الدين لؤلؤ

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

حسام الدين لؤلؤ من جند مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، أعجب صلاح الدين بشجاعته ، فأسند إليه قيادة الأسطول ، وكان السلطان قد عنى بأمر الأسطول ، وأفرد له ديوانا خاصاً ، وعين للانفاق عليه موارد ثابتة ، فكان الاختيار موفقاً ، لأن حسام الدين كان شجاعاً خبيراً بالبحر والقتال فيه ، فسار النصر فى ركابه ، وصاحب خطاه النجح والتوفيق ، وسجل له التاريخ معارك انتصر فيها على الفرنج عند ساحل الشام .

وكان صلاح الدين يرسل إليه كى يهاجم أسطول الفرنج حيناً ، أو يحول بينه وبين إيصال المدد إلى من بالشام من الصليبيين حيناً آخر ، أو ليضطر جيشهم إلى الدفاع عن الساحل بينما صلاح الدين يهاجم جيوش الفرنج بالبر ، فيلزم عدوه أن يقسم قوته ، ويصد هجومين فى وقت واحد معاً ، وهكذا كان الأسطول وعلى رأسه لؤلؤ إحدى يدى صلاح الدين وجناح جيشه .

واشتهر لؤلؤ فى معركة عكا ، وساهم فيها بالنصيب الأوفى ، فمنذ ما حاصرها العدو سنة ٥٨٥ أرسل صلاح الدين فى طلب الأسطول فقدمت منه خمسون قطعة على رأسها البطل البحرى ، فانقض على أسطول الصليبيين وبدده ، وظفر ببطستين كبيرتين بما فيهما من الأموال والرجال والغلال ، وقويت نفوس أهل المدينة بقدوم الأسطول واستظهروا برجاله على العدو ، وكانوا زهاء عشرة آلاف ، وظل الأسطول يكافح فى المعركة ، يحارب حيناً ويجلب الميرة والأمداد حيناً آخر .

وكان مما خلد ذكر هذا القائد ما دار بينه وبين الصليبيين فى البحر الأحمر سنة ٥٧٨ ، ذلك أن صاحب الكرك ، وهو من ألد أعداء المسلمين ، وأشدهم نكاية فيهم ، فكر فى مهاجمة المسلمين فى البحر الأحمر ، ظنا منه أنهم غير مستعدين فيه ، وتأديباً لحامية أيلة التى كانت تغير عليه ، ولا سبيل له عليها ، لأنها تقيم بقلعة فى جزيرة وسط البحر ، فبنى سفناً ، ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل ، وجمعها فى أسرع وقت ، وشحنها بالمحاربين وآلات القتال ، وسارت السفن وقد افترقت فرقتين : أقامت إحداهما على حصن أيلة تحصره وتمنع أهله ورود الماء ، فأصاب حاميته شدة وضيق ، ومضت الثانية ، وهى فرقة فدائية ، إلى عيذاب فأحرقوا فى البحر ستة عشر مركباً ، وأخذوا فى الثغر مركباً كان يأتى بالحجاج من جدة ، كما أخذوا فى البر قافلة كبيرة كانت قادمة من قوص إلى عيذاب وقتلوا جميع أفرادها ، واستولوا على مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن ، وأحرقوا أطعمة كثيرة على الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة ، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع بمثلها فى الإسلام ، فقد فاجئوا الناس على حين غفلة فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا لا تاجراً ولا محارباً . وأرادت الحملة أن تقطع طريق الحج ، فقد كانت الغزوة فى شهر شوال سنة ٥٧٨ ، وأن تمضى إلى المدينة المنورة لتنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنقل جسده الشريف إلى بلادها ، وتدفنه هناك ، ولا تمكن المسلمين من زيارته إلا بجعل . فسارت الفرقة إلى بلاد الحجاز ، وجاء الخبر إلى مصر ، وبها الملك العادل نائباً عن أخيه صلاح الدين ، فأمر قائد الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ أن يتبع هؤلاء الغزاة ، فأخذ الأسطول وانقض على محاصرى أيلة انقضاض العقاب وقاتلهم فقتل بعضهم ، وأسر الباقى .

ثم مضى إلى عيذاب وأخذ يتتبع مراكب العدو حتى عثر عليها بعد أيام ، فأوقع بها ، وأطلق المأسورين من التجار فيها ، ورد عليهم ما أخذ منهم .

ورأى العدو قد أوغلوا فى طريق المدينة حتى لم يبق بينهم

وبينها إلا مسافة يوم ، فمضى خلفهم على خيل أخذها من الأعراب وحاصرهم هناك فى شعب لا ماء فيه ، حتى استسلموا ، فقتل أكثرهم وأرسل بعضهم إلى منى ليقتلوا بها عقوبة لمن رام إخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله ، وعاد بالباقين إلى مصر .

فكان لدخولهم يوم مشهود ، وطيف بهم فى القاهرة والإسكندرية ، ورآهم ابن جبير بالإسكندرية وقد تجمع الناس حولهم ، عند ما أدخلوا البلد راكبين على الجمال ، ووجوههم إلى أذنابها ، وحولهم الطبول والأبواق .

وأرسل صلاح الدين إلى أخيه العادل يثنى على أمير البحر ويغبطه ، ويأمر بقتل أسراه ، ويقول له على لسان القاضى الفاضل : ... وقد غبطناه بأجر جهاده ، وبنجح اجتهاده ، ركب السبيلين براً وبحراً ، وامتطى السابقين مركباً وظهراً ، وخطا فأوسع الخطو ، وغزا فأنجح الغزو ، وحبذا العنان الذى فى هذه الغزوة أطلق ، والمال الذى فى هذه الكرة أنفق ؛ وهؤلاء الأسارى فقد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ... ولابد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل على عورات المسلمين » .

وأرسل صلاح الدين بنبأ هذا النصر إلى بغداد ، وانتهى الأمر بقتل الأسرى ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة .

خلدت هذه المعركة ذكرى بطلها ، وأقبل الشعراء يشيدون بذكره ويمجدون جهاده ، فأنشأ أبو الحسن بن الذروى أشعاراً كثيرة يمدحه بها ، منها قوله يصف أسرى المعركة :

مر يوم من الزمان عجيب ... كاد يبدى فيه السرور الجماد
إذ أتى الحاجب الأجل بأسرى ... قرنتهم فى طيها الأصفاد
بجمال كأنهن جبال ... وعلوج كأنهم أطواد
قلت بعد التكبير لما تبدى ... هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الأعادى ... وسواه من اللآلى يصاد

وقوله يصف هذا الجهاد :

يا حاجب المجد الذى ماله ... ليس عليه فى الندى حجبه
ومن دعوه لؤلؤاً عندما ... صحت من البحر له نسبه
لله ما تعمل من صالح ... فيه وما تظهر من حسبه
كفيت أهل الحرمين العدا ... وذدت عن أحمد والكعبه

كما قال فيه الرضى بن أبى حصينة المصرى يخاطب الفرنج :

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه ... والدر فى البحر لا يخشى من الغير
فأمر حسامك أن يحظى بنحرهم ... فالدر مذ كان منسوب إلى النحر

ويظهر أن صلاح الدين والعادل قد أغرقا العطاء على القائد المقدام فأثرى ثراء ضخما .

غير أنه لم يشأ أن يستأثر وحده بهذا الثراء ، فإنه بعد أن زوج بناته ، وكن أربعا وجهزهن بجهاز كاف ، وأعطى ابنيه ما يكفيهما ، شرع يتصدق بما بقى معه على الفقراء ، قال العماد الكاتب : ومن دلائل سماحه ما شاهدته بالقاهرة ، فى سنة إحدى وتسعين من مبراته الظاهرة ، أنه لما حط القحط رحله ، ... وتم الغلاء ، وعم البلاد ، ابتكر هذا الحاجب الكبير مكرمة لم يسبق إليها ، وذلك أنه كان يخبز كل ليلة اثنى عشر ألف رغيف ، فإذا أصبح جلس على باب الموضع الذى فيه حشر الفقراء ... فما زال قاعداً حتى يفرق الألوف على الألوف .

وكان هذا دأبه فى هذا الغلاء ، حتى هب رخاء الرخاء ، فحينئذ تنوعت صدقاته ، واستغرقت بالصلاة أوقاته ؛ وكان بهى الشيب ، نقى الجيب ، قد جعل الله البركة فى عمره ، وخصه مدة حياته باستمرار أمره ، فأنجده فى أوان ضعفه بتضعيف بره » .

وكان هذا الكرم مثار إعجاب الشعراء كذلك فمدحه ابن الذروى بقوله :

لئن كنت من ذا البحر يا لؤلؤ الملا ... نتجت ، فإن الجود فيك وفيه
وإن لم تكن منه لأجل مذاقه ... فإنك من بحر السماح أخيه

وفى اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ٥٩٦ وارت مصر التراب بطلا من أبطالها ، وقائداً من أبرع قوادها ، قال عنه العماد وهو يؤرخ وفاته :

كان فى الأيام الصلاحية أشجع الشجعان ، وأفرس الفرسان ، وله مقامات فى الغزاة ، ومواقف مع العداة .

(حلوان الحمامات) **أحمد أحمد بدوى**

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

المراجع .
(١) الروضتين فى أخبار الدولتين ح ٢ ص ٣٥ و٣٦ و١٤٨ و٢٤٠ .
(٢) خطط المقريزى ح ٣ ص ١٣٨ .
(٣) شذرات الذهب ح ٤ ص ٣٣٦ .
(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٩ .
(٥) الكامل لابن الأثير ح ١١ ص ٢٢١ وح ١٢ ص ٢٠ .
(٦) السلوك للمقريزى ح ١ ص ٩٣ و ١٠٢ .

محمـــد إقبـــال
شاعر الشرق والاسلام

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

للاستاذ مســـعود الندوي

(تتمة)

مكة وجنيف :

لقد عمت فى هذا العصر مجالس الأمم
لـكن الوحدة الانسانية بقيت مختفية عن الأنظار ،
والهدف الذى ترى إليه حكمة الافرنج ، هو تفريق الأمم
وغاية الاسلام إنما هى الوحدة الانسانية .
فقد بعثت مكة إلى جنيف بهذه الرسالة :
ما ذا تريدين : « عصبة الأمم » أم عصبة بنى آدم ؟

المرأة والتعليم :

إذا كانت الحضارة الغربية مهلـكا للأمومة
فنى الرجال ليس لها أثر غير الخسران والموت الخالق ؛
والعلم الذى يجعل المرأة مجردة من خصائص الأنوثة
ما أجدره أن يسمى بالسم الناقع وما أقربه إلى دواء الموت منه إلى العلم النافع .
وإن كانت مدرسة النساء خالية من الدين ، فلا يكون العلم والصناعة إلا موتاً للحب والوداد .

مسجد باريس :

كيف أنظر إلى ما فيه من بدائع الصناعة
فان هذا الحرم الغربى بعيد عن الحق ؛
بل ليس هذا بحرم ، وإنما أخنى صناع الافرنج
روح الوثنية فى جثمان الحرم ؛
وإنما أسس هذا المعبد أولئك السفا كون
الذين دمروا دمشق بأيديهم .

سياسة الافرنج :

رب ! ان سياسة الافرنج أصبحت قرينتك فى الملك
اللهم إلا أن عبـادها الأمراء والأغنياء والملاك ؛
لقد خلقت من النار إبليساً واحداً
وخلقت هذه من الطين ألوفاً من الأبالسة .

أمر إبليس لابنائه السياسيين :

الرجل الصعلوك الذى لا يهاب الموت أصلاً ،
أخرجوا روح (أى تعليم) محمد صلى الله عليه وسلم من بدنه ؛
واصبغوا أفـكار العرب بصبغة الافرنج أولا ،
ثم أخرجوا الاسلام من الحجاز واليمن ؛
والدواء الناجع لغيرة الأفغان الدينية ،
إن أخرجوا (الملاّ) من جبالهم وفيافيهم .

أوربا وسورية :

منحت أرض سورية للافرنج
نبى العفة والمواساة والرفق فى المعاملة ؛
وجاء من أوربا إلى سورية ، مكافأة بصنعها
الخمر والقامرة وكثرة المومسات .

الشام وفلسطين :

أدام الله خمارة الأحرار الفرنسيين ،
حيث نرى كؤوس حلب مملوءة بالصهباء؛؟
إن كان لليهود حق على فلسطين ،
فلماذا لا يكون للعرب حق على إسبانيا ؟

هذا غيض من فيض وبرض من عد وقليل من كثير من أفـكاره وآرائه الحـكيمة المبثوثة فى ثنـايا دواوين شعره . ومما يجدر بالاشارة إليه ثانياً أن هـذه الأفـكار والآراء مقتبسة من ديوانه (ضرب كليم) الذى نشر قبـل نشوب الحرب العالمية الثانية ببضعة أعوام

— ٦ —

سياسته :

لم يكن صاحبنا فى شبابه من رجال السياسة ، ولم يشـاطر

بنى جلدته مسراء الجهاد وضراءه ، وإنما اكتفى بالقريض الحافز للامة والنافخ فيهم روح الحياة ، كما أعرب عنه بنفسه فى بيت له :

إن إقبالا « مبلغ » كبير تأخذ أحاديثه بالألباب .

لكنه يغزو بالأقوال فقط ولم يتيسر له أن يكون عاملاً مجاهداً .

وبقى شاعرنا كذلك منقطعاً عن الحياة السياسية مرمياً من قومه بالجمود والازورار عن الجد والكفاح ، إلا أنه ترشح سنة ١٩٣٦ « للمجلس التشريعى » الذى قال فيه قبل ذلك :

« مجالس التشريع والاصلاح والحقوق

« كلها أدوية حلوة المذاق اخترعها الطب الغربى لتنويم أهل الشرق .

وأول ما عرفنا من مشاركته فى السياسة العملية سنة ١٩٣٠ حينما رأس المؤتمر السنوى لعصبة المسلمين (Muslim League) مؤتمر المائدة المستديرة (Round Jálele Conference) منعقد فى (لندن) . وإنما انعقد مؤتمر عصبة المسلمين وقتئذ ليبين لأعضاء المائدة المستديرة مطالب المسلمين ، ويؤكد استمساكهم بها . فانتخب محمد إقبال رئيساً للمؤتمر ، لغياب الزعماء السياسيين وسفرهم إلى لندن بمناسبة انعقاد المؤتمر وحضور جلساته ، فخطب خطبته الرئيسية التى أحدثت ضجة عظيمة فى الهند والدوائر السياسية فى (لندن) ؛ والتى تناولتها صحف الهنادك والوطنيين بالنقد اللاذع وأعادت وأبدأت فيها . وذلك أن صاحبنا بين فيها نظرية جديدة للسياسة الاسلامية وهى أن تتكون مملكة إسلامية مؤلفة من ولاية كشمير ومقاطعات بنجاب والحدود الغربية الشمالية والسند فى ضمن المملكة الهندية الكبرى ، لأن مسلمى الهند — فى رأى صاحبنا — أمة مستقلة مغايرة للهنادك فى الدين والثقافة واللغة والأوضاع والتقاليد .

وهذه هى النظرية التى جعلها بعض الشبان المقيمين فى (لندن) أساساً لحركة (باكستان) .

ثم تبدلت الأحوال وتقلبت الظروف إلى أن جعلت عصبة المسلمين تطالب بتقسيم الهند ، وتأسيس مملكة مستقلة باسم (باكستان) وقد تحققت هذه الأمنية فعلا . ولست فى هذا المقام بصدد البحث فى السياسة الهندية وقضاياها المتشعبة ، فان لها موضعاً آخر من البحث والكلام . والذى أردت ذكره فى هذا الموضع أن صاحبنا هو الذى كان أبا عذرة هذه النظرية الجديدة وأظهرها لأول مرة فى خطبة عامة للصحف ، وإن كان يحلم بأمثالها كثير من السياسيين المسلمين . والمسألة أشهر من نار على علم . ومما لا بد من ذكره فى هذا الصدد أن خطبته هذه غيرت مجرى مؤتمر الدائرة المستديرة ، حيث كان الأعضاء مكبين على إيجاد حل للمشكلة الطائفية ، فأبى أعضاء الهنادك قبول مطالب المسلمين وتوجسوا منها شراً . وقال الدكتور (م . ر . جيكار) بصراحة : « إنا قد اطلعنا الآن على ما تضمره أفئدة المسلمين ، ونشكر للدكتور إقبال صراحته وصدق لهجته » . وعلى كل ، فان هذه الخطبة كانت فاتحة باب جديد فى السياسة الهندية . وقد صدق الدكتور ذاكر حسين ، عميد الجامعة الملية الاسلامية ، حيث قال لصاحبنا ، طالباً إليه أن يكف عن الوقوع فى حمأة السياسة :

« لقد خطبت خطبة تكفى المسلمين لمائة سنة » .

ثم ظل صاحبنا يعمل بضع سنين مع الذين كانوا يناوئون الحركات الوطنية إلا أنه لم يقدر أن يسايرهم زمناً طويلا ، لأن أولئك كانوا يعارضون الحركة ، حباً فى الاستعمار والتطفل على مائدته . وأما شاعرنا فكان يناوئها بغضاً فى الهنادك ورجال سياستهم ، فاعتزل جميع الحركات السياسية ، إلا أنه كان يعطف على عصبة المسلمين (Muslim League) ويؤيد قضيتها بنفوذه وتأثيره البليغ فى الشبيبة الناشئة . ومن أعماله التى تذكر وتشكر موقفه الجليل فى الآونة الأخيرة من حياته بازاء القاديانيين . فانه حمل عليهم حملات شعواء قصمت ظهرهم فى معقلهم (بنجاب) ، ولولا مساعدة الحكومة لهم لانعدموا ، لأن أئمة الكفر منهم كانوا يدعون من قبل ، أن المشايخ « والمولويين » هم الذين يكفروننا لتعنتهم وجمودهم . ولما آن صوب ملك شعراء آسيات كما كانت تدعوه دائماً جريدة (Light) الأحمدية اللاهورية سهام محاضراته[1] الفلسفية إلى نحورهم ، سقط فى أيديهم وجعلوا يسبونه ويصبون عليه وابل الملام والشتم ، وبدأوا ينقصون من

(١) من شاء العلم الواسع والاطلاع على دسائس القاديانيين فليقرأ رسالة « الاسلام والأحمدية » (Klam aud Ahmadism) ، كحليم الأسلام رحمه الله وبرد مضجعه .

شعر الرجل الذى كانت تلهج ألسنتهم بالثناء عليه صباح مساء ، ولقبته مراراً صحيفتهم الأسبوعية السائرة (Light) ، بـ (Poet Laureateof Aela) ، اللقب الذى لقبته به أولا الشاعرة الهندية الطائرة الصيت سروجنى نائيدو[1] (Sarojani Naidu) . ولم يقتصر على الحملات اللفظية بل استقال من رئاسة جمعية (حماية إسلام[2]) وكلياتها الملحقة حتى تتطهر — حسب تعبيره — من كل من لا يقول بختم نبوة النبى العربى صلى الله عليه وسلم .

— ٧ —

خدماته العلمية :

قد سبق لى الكلام أنه قضى عهد الطلب فى وطنه مدينة سيالكوت ولاهور ، ثم عين معلماً فى الكلية الأميرية بلاهور؛ وبعد أن اشتغل بالتدريس بضعة أعوام ، سافر إلى كيمبردج وبرلين ونال شهادات المحاماة والدكتوراة فى الفلسفة .

وبعد الرجوع من أوربا ، تعاطى المحاماة ، لكنه لم ينجح لاشتغاله بالتفكير الفلسفى والتحقيق الملى . فانقطع إلى العلم والتفكير ورزق فيهما نجاحاً باهراً وقبولا عظيما ، فألقى محاضرات عديدة فى مختلف جامعات الهند وأوربا ، منها محاضرته التى ألقاها فى جامعة مدراس (جنوبى الهند) ، ونشرتها جامعة أكسفورد بعنوان : « التشكيل الجديد للفكر الدينى فى الاسلام » ، (Reconstruction of Religious Ihougbroin Jslam) وهو كتاب دقيق فلسفى لا يقدر على فهمه إلا من أوتى حظاً وافراً من الفلسفتين الجديدة والقديمة ، والعلوم الاسلامية . وكذلك انتدبته جامعة أكسفورد لإلقاء محاضرة (رودس) عن « الزمان والمكان » (Jimeq Space) وجدير بالذكر أنه أول شرقى أنتدب لإلقاء محاضرة (رودس) . ولم نعرف مدى ما بلغ فيه من الحذق والإجادة لعدم الالمام بالموضوع . وكذلك ألقى محاضرات عديدة علمية عن الاسلام والأدب الفارسى والفلسفة الجديدة فى جامعات (حيدر آباد) و (على كره) والجامعات الأخرى . ونظراً إلى مكانته العلمية منحته الحكومة (Sir) ومنحته جامعات (بنجاب) و (على كره) و (رها كه) (شرقى بنغال) شهادات شرف بالدكتوراه فى الحقوق (L. L. D.) والدكتوراه فى الآداب (D. Litt) .

هذا ما أردت إجماله فى سيرة محمد إقبال وشعره وتوسعت فيه قليلاً ، لعدم معرفة قراء العربية بمواهبه . فان نجحت فى مهمتى ، أى مهمة التعريف بشعره البليغ وحكمه الرائعة ، فذلك حظى ؛ وإلا فليس هذا بأول مجهود ما قدر له النجاح والقبول . وحسبى أنى بذلت جهدى حسب ما كنت أستطيعه ، والعبد لا يكاف إلا ما يطيقه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مسعود الندوى

معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية

(١) الشاعرة الهندية الشهيرة ، وهي من كبار زعماء الحركة الوطنية الهندية . وقد عينت والياً لمقاطعة الولايات المتحدة بعد نيل الاستقلال منذ سنة .

(٢) أكبر جمعية إسلامية فى مقاطعة (بنجاب) تسعى وراء نشر التعليم وتعميم الثقافة . لها كليات ومدارس عديدة .

عيادة المطالعة

للاستاذ ايليا حليم حنا

أنواع القراء :

« عيادة المطالعة ! » ربما يدهشك هذا العنوان وتراه عجيبا ولكن رجال التربية فى أمريكا وجدوا أن القراءة فن مهمل فألحقوا بكلياتهم عيادات يعالجون فيها الذين لم تغرس فيهم عادة القراءة أو الذين لا يعرفون كيف تكون المطالعة الجدية .

والآن أقدم لك أيها القارىء دكتور روبرت مدير « عيادة المطالعة » فى كلية درتموت يحدثك عن عيادته :

عيادة المطالعة — اسم غريب ولكنه فى الحقيقة ليس بغريب ... فالكثيرون من المتعلمين مرضى ولا يعرفون أسس القراءة الصحيحة . وأما مرضهم فهو أنواع ؛ فمن الناس من يعجز عن تركيز الذهن فيما يقرأ . ومنهم من يحاول أن يسابق زملاءه كما تحاول السلحفاة أن تلاحق الطائرة . ومنهم من يشعر بدوار كراكب البحر بعد أن يقرأ صفحات معدودة . ومنهم من لا يقرأ مطلقا ... أجل عيادة المطالعة وما أحوجنا إلى عيادات » .

ويحدثنا الكاتب الفرنسى (أندريه موروا) عن أنواع القراء فيقول : « من الناس من لهم ولع شديد بالقراءة يدفعهم إلى التهام كل شىء يقع عليه بصرهم من الكتب والصحف والمجلات وغيرها فرارا من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال ، وهؤلاء لا يستفيدون إلا القليل التافه من قراءتهم » .

ويقول نورمان لويس أستاذ القراءة بعيادة المطالعة بجامعة نيويورك : « إن القراءة أهم ما نتعلم ونحذق ، فإنه لا يوجد عمل إلا وهو يحتاج إليها . وفى بعض البلدان يقل عدد البالغين الأميين ولكن ستين فى المئة فى الأقل ممن يعرفون القراءة لا يحسنونها »

وعندنا يتخرج الطالب فى مدرسته أو كليته وهو يكره الكتب وإن قرأ فهو لا يقرأ إلا الصحف والمجلات ويهمل مسائل العالم الأخرى من سياسية واجتماعية وثقافية . وكلما تقدم فى السن ازداد تعلقا بآرائه الأولى التى شب عليها فهو فى ركود نفسى لا يتطور مع الزمن ولا يساير الآراء الجديدة فى الأخلاق والاقتصاد وأنواع الثقافات الأخرى المختلفة .

لماذا لا يقرأ المتعلمون ؟

ويرجع كره المتعلمين للقراءة إلى الأسباب الآتية : —

١ — اغفال المدرسة لأساليب التربية الحديثة واعتبار الطفل كإناء فارغ واجب المدرس أن يصب فيه المعلومات التى أشار بها واضعو المناهج ، ويبقى الطفل هذه المعلومات فى رأسه خوفا من العقاب أو الرسوب فى الامتحان ويظل يكافح فى إبقائها على مضض حتى يأتى يوم الامتحان فيفرغ ما امتلأ به رأسه ويخرج حامدا الله على أنه أطلق من أسره وتخلص من عبئه ؛ ثم يقسم على أنه لن يفتح كتابا فكفاه ما لاقى فى قراءة الكتب المدرسية من آلام وعذاب؛ وهو بذلك لا يقبل على القراءة لأن جهازه العصبى قد تكيف بالألم من جراء الطريقة التى وصلت بها المعلومات إلى رأسه بدون مراعاة ميوله ورغباته وإثارة تشوقه .

٢ — القراءة فن جميل لم يتعلمه الطلبة فى المدرسة ، ولذلك لا يتذوقون الكتب عند قراءتها كالشخص الذى لم يتمرن على كيفية العزف على إحدى الآلات الموسيقية ويجد أن أنامله لا تنتج إلا أنغاما لا ترابط ولا انسجام بينها تصدع رأسه . هكذا الكتب لا يتذوقها إلا الذى درس فن القراءة الصحيحة وأصولها .

٣ — لأن الطلبة لا يفهمون ما يقرأون من الثقافات العالية لأنهم لم يتعودوا التفكير فيما يطالعون ولم ينضجوا ذهنيا فاكتفوا بقراءة مجلات اللهو والتسلية وتركوا الكتب الدسمة لأن عقولهم لا تقوى على هضمها .

٤ — لأن المشرفين على تربيتهم لم يوجهوا غرائزهم إلى الناحية السامية فانقلبت هذه الغرائز إلى النواحى الدنيا فمال كثير من المتعلمين إلى الأدب المكشوف الذى لا يثير فى قرائه إلا أحط الرغبات .

٥ — لم تتكون فيهم عادة القراءة لأن منزل الطفل يخلو من الكتب ، وأمه أمية أولا تكره غير الكتب ، وأبوه لا يحب الكتب ، وهو لا يجد كتبا فى منزله يتناولها ويقلبها لعله يجد ما يلذه

بين الأدب والأخلاق :

الصداقة فى رأى ابن المقفع

للشيخ محمـــد رجب البيومى

(ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه ، وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه بثه ، وإذا فرق بين الأليف وأليفه فقد سلب قراره وحرم سروره ، وعشى بصره) « ابن المقفع »

بينى وبين ابن المقفع صداقة أعتز بها كل الاعتزاز ، فقد كان أول كاتب تثقفت بأدبه فى العربية ، ولا أزال أذكر قصصه الشائقة الممتعة التى قرأتها فى كتابه الخالد « كليلة ودمنة » وكنت حينئذ لا أتجاوز العاشرة ، ولكنه كان يجذبنى — بوضوحه المشرق — إلى متابعته دون سآمة أو ملل ، وكنت أستوعب روائعه فى لذة وشغف ، فإذا ما خلوت إلى الناس كانت محور السمر ، وأداة الحديث ، ومهما يكن من شىء فقد جعلتنى أعتبر ابن المقفع — فى سن الطفولة — نادرة الكتاب ، وأستاذ البلغاء . وما زلت أنظر إلى الرجل هذه النظرة العالية حتى اليوم ، فلا غرو إذا تحدثت عنه حديث الدارس المستوعب ، فغير كثير عليه أن تسطر فى أدبه الصحائف ، وتهتم بآثاره الأقلام !!

وقد لاحظت أن أديبنا الكبير قد أكثر من الحديث عن الصداقة إكثاراً يدعو إلى الدهشة والعجب ، فما يكاد فصل واحد من كتابته يخلو من التصريح أو التلميح بما يشتجر فى نفسه من العواطف الإنيسة الرفيعة ، مما دفعنى إلى التنقيب فى حياة الكاتب ، ودراسة تاريخه دراسة فاحصة .

وقد اتضح لى أن عبد الله كان صديقاً وفياً لصفوة مختارة من الأدباء والشعراء ، فكان يقضى الأمسيات الضاحكة فى سمر ممتع لذيذ ، فإذا عاقته ظروفه — يوماً ما — عن منتدى أصفيائه حنّ إليهم حنيناً ينبىء عن وفائه وولائه ، وقام يراعه البليغ بالتعبير عن عواطفه النبيلة فنفث السحر ، وأدار السلاف ! ...

وقد تحدث كثير من الكتاب عن الصداقة والأصدقاء ، فما وجدت لأحاديثهم جاذبية تدفعنى إلى التعليق عليها ، وما شعرت بارتياح تام إلى تحليلها وتشريحها ، لأن جل هؤلاء فى الواقع يقولون ما لا يفعلون ، فهم يسهبون فى الحديث عن الوفاء والتسامح والإيثار ، فإذا رجع الباحث إلى تواريخهم المظلمة ، وجدها تنطق بالغدر والحقد والكيد .

أما أديبنا الحكيم فذو تاريخ نبيل مجيد ، تقرأه فتخفض رأسك إجلالاً لصاحبه وتتساءل — كما أتساءل الآن — عن هذا الذى ملك عواطفه ، وحكم مشاعره ، فلم يخضع يوماً إلى منطق الحقد ، ولم تتخطفه نوازع الهوى ، بل سار فى مهيع لاحب مستقيم تحدوه الكرامة والعزة ويرفرف عليه ظل وارف من النبل والوفاء .

وإذا كانت حياة الإنسان أعز شىء لديه ، ثم يليها فى المرتبة ما يملك من مال وعتاد ، فإن ابن المقفع قد نظر إلى حياته وماله نظرة هينة رخيصة ، فذكر أكثر من مرة أن التضحية بالنفس والمال أقل ما يجد على الإنسان نحو صديقه الأمين ، ونحن نسمع هذا الكلام من كل كاتب ، ولكن عبد الله لا يسطر الرأى إلا بعد أن يعتقده ويقوم بتنفيذه دون تردد وإحجام ، فقد شاء القدر العنيد أن يمتحنه أمام الناس ، ليظهر فى ثوبه الشفاف ، ولقد انتهى الامتحان الرهيب بنجاح ابن المقفع وانتصاره فى ميدان الكرامة أبهر انتصار .

كان عبد الله صديقاً حميماً لعبد الحميد الكاتب ، فقد تراسلا

مطالعته وإخوته وأخواته الكبار يتصفحون كتبهم المدرسية بغير اشتياق أو عناية .

ولذا نرى أن البيت والمدرسة مسئولان إلى حد كبير عن هذا الكره ، والحل يتطلب تغيرا أساسيا فى المدرسة وفى حياة الطلبة لكى يتهيأ لهم الجو الذى يحببهم فى القراءة ويجعلها عادة فيهم . والحاجة ماسة إلى بيئة منزلية تعينهم على تعهد هـذه العادة حتى لا تنقرض أو تضعف .

ايليا حليم حنا
دبلوم عال فى التربية
الأبيض — السودان

حقبة من الدهر ، وأعجب كلا الرجلين بصاحبه إعجاباً زائداً ، وحين عصفت رياح الزمن بالدولة الأموية ، وهب العباسيون يتعقبون أولياءها فى كل مكان .

فر عبد الحميد إلى صديقه واختبأ فى بيته مدة كان فيها موضع التكريم والإكبار ، وشاء طالعه الأشأم أن يقف أرباب السوء على مكانه ، فأبلغوا الخبر فى أسرع من البرق إلى الخليفة السفاح وفاجأه الطلب الصاعق فى منزل ابن المقفع فقال رسول الخليفة للصديقين : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما «أنا» ، خوفاً على صاحبه ، وأوشك الجند أن يقتلوا ابن المقفع لولا أن صاح بهم عبد الحميد ، قائلا : ترفقوا بنا ، فلكل منا علامات يعرف بها أنتم تعرفيها ، فوكلوا بنا بعضكم ، وليمض البعض الآخر إلى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ، ففعلوا كما أشار ، واتضح لهم عبد الحميد فقتلوه !!

فهذه الحادثة وحدها كافية لإثبات رجولة ابن المقفع ، وهى تدل دلالة ناطقة ، على أن الرجل يتقيد بما يوجبه على غيره من حقوق الصداقة والوفاء . وناهيك بمن يبذل نفسه تضحية رخيصة فى سبيل صديقه ، وكما قيل : الجود بالنفس أقصى غاية الجود !!

وبديهى أن الذى يقدم نفسه ضحية لصاحبه ، لا يتردد لحظة فى إنفاق ماله عليه ، ولقد كان عبد الله فى سعة من الخير ، ورفاهية من العيش ، وكم بذل من الثروات الطائلة فى سبيل أصدقائه ومعارفيه ، وأخباره فى هذا الباب لا تندرج تحت حصر ، ويكفى أن نذكر على سبيل المثال موقفه مع صديقه «عمارة بن حمزة» وهو كعبد الله كاتب أديب ، وقد كان عاملا لأبى جعفر المنصور على الكوفة ، وكان ابن المقفع إذ ذاك بها .

فبينما هو ذات يوم عنده ورد على عمارة كتاب وكيله بالبصرة ، يعلمه أن ضيعة جوار ضيعته تباع وأن ضيعته لا تصلح إن ملكها غيره ، وثمنها ثلاثون ألف درهم ، فقرأ عمارة الكتاب وقال : ما أعجب هذا !! وكيلنا يشير علينا بالابتياع ، ونحن فى جدب وإملاق ، ثم كتب يأمره ببيع ضيعته والتوجه حثيثاً إليه ، وسمع عبد الله الحديث فقام إلى بيته وكتب إلى الوكيل على لسان عمارة ، «أما بعد فقد كنت أمرتك ببيع الضيعة ثم حضر لى مال فلا تبعها واشتر الضيعة الأخرى وهاك ثمنها» ففعل الوكيل ما أراد ، وجاء الخبر إلى عمارة ، فأخذه العجب من ذوق ابن المقفع كل مأخذ ، ثم قال له مداعباً : بعثت بثلاثين ألف درهم إلى الوكيل ، وكنا فى حاجة إليها ؟ فقال له من فوره : وإن عندنا لفضلا ، وبعث إليه بثلاثين ألفاً أخرى» ! فهل ترى بعد ذلك صديقاً كعبد الله يدفع عن أصفيائه النوائل بنفسه وماله ؟ وهل يليق بنا أن نغفل حديثه عن الصداقة بعد أن ضحى فى سبيلها بأكثر من الواجب وجعل نفسه المثل الأعلى للصديق النبيل !

ومهما اختلفت الآراء فى الصديق ، فقد كان الأديب الحكيم رفعه إلى منزلة عالية ويضعه فى مرتبة فوق مرتبة الشقيق ، وكثيراً ما عقد بينهما موازنة طريفة تنتهى بتفضيل الصديق عمن عداه . ولقد قال له بعض الناس أما بالصديق آنس منى بالأخ ، فعرف السرور فى وجهه ، وانبرى يدلل على صحة ما سمع ، فقال لصاحبه : صدقت ، فالصديق نسيب الروح ، والشقيق نسيب الجسم !! وكثير من الحكماء يؤيدون الكاتب فى دعواه بل ربما يسرفون إسرافاً يميل بهم إلى التحامل على القرابة بدون موجب . ومنهم من يقتصد فى حكمه اقتصاداً لا يخرج به عن الإنصاف ، فقد قيل لبزرجمهر ، من أحب إليك ؟ أخوك أم صديقك ، فقال ما أحب أخى إلا إذا كان صديق . وقال أكثم بن صيفى : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة .

وينبغى ألا نغفل عن حقيقة ملموسة ، وهى أن ابن المقفع ومن سار معه فى طريقه ، لم يضطروا إلى الموازنة بين الصديق والشقيق إلى حين وقرت فى نفوسهم منزلة الأخ .

وعجزوا أن يحولوا عنها الأنظار ، فكان كل همهم أن يعارضوها بمنزلة الصديق ، وهيهات أن يبلغوا ما يريدون ؟ فالأخوة رباط ربانى صنعته يد الخالق ، والصداقة رباط إنسانى عقدته يد المخلوق ، وإنما كثر التحامل على الأخ والتشهير به أكثر من الصديق ، لأن الشقيق مظنة الإيثار والعطف ، فكل هفوة تصدر منه فهى كثيرة الكبائر وأم الذنوب[1] .

أما الصديق فمهما سمت منزلته فلن تستغرب منه الهفوات لأنه

---

(١) تناظرت منذ عامين فى المفاضلة بين الصديق والأخ وكان يؤيدنى فى الرأى أخى الأستاذ محرز أحمد خفاجى ، ويعارضنى فيه صديقى الأستاذ أمين عبد البر على .

بوضعه الطبيعي أجنبي بعيد ، ومن هنا سكت عنه اللاغون — إلى حد ما — واتجهوا باللائمة القارصة على الأخ الشقيق !

وما نقوله في المفاضلة بين الصديق والشقيق نقوله أيضاً في الموازنة بين الصديق والمشيق ، فقد طاب لبعض الناس أن يرفعوا الصديق إلى منزلة المشيق فقال الحسن بن وهب : غزل الصداقة أرق من غزل الملاقة .

وقال آخر : النفس بالصديق آنس منها بالعشيق ، وأمثال هذه الأقوال قد تجد جانباً من الرواج لدى العاطفيين البله ، ولكنها تتبخر أمام التحايل النفسي العميق ، فالمشيق في مرتبة دونها الصديق والشقيق معا ، فكيف نفهم هذا الكلام المجيب ؟ ولقد خدع الشريف الرضى نفسه بهذه الأقوال المرتجلة ، فانبرى يقول في صديقه ما لا يقال في غير المشيق ، ولا أدرى كيف تقبل منه صديقه الأديب الشاعر أبو الحسن البتى قصيدته التى يقول فيها بدون مبالاة .

أغار عليك من خلوات غيرى   كما غار المحب على الحبيب
ولى شوق إليك أعل قلبى   ومالى غير قربك من طبيب
أكاد أراب فيك إذا التقينا   من الألحاظ والنظر المريب

وهى قصيدة طويلة تتجلى فيها غفلة الشريف إلى حد ما ، وله من صفاء نفسه ورقة قلبه شفيع أى شفيع ، ولعل من الأدباء من يوافق مذهبه كل الموافقة ، وإن كنت وإياه على طرفى نقيض!

وإذ كان الصديق فى رأى ابن المقفع مفضلا على النفس والشقيق ، فانه ينصح دائما بالتؤدة فى اختياره ، ويدعو إلى التريث الزائد فى اصطفاء الأصحاب ، وكأنى به وقد أدرك ما فى الطبائع الإنسانية من لؤم وغدر ، فحرص على الامتحان المنيف حتى يتميز الخبيث من الطيب ، فلا يختار العاقل غير من كان فى درجة عالية من الكمال ، ليكون أهلا للفداء والتضحية من أجله إذا دعت الحال . وقد يسرف الكاتب فى الحيطة والتؤدة اسرافا يدعو إلى التملص من الصداقة بادىء ذى بدء ، فهو يقول « إذا أقبل إليك مقبل فسرك ألا يدبر عنك فلا تنعم الإقبال عليه والتفتح له ، فإن الانسان طبع على ضرائب لؤم ، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به ، ويلصق بمن رحل عنه ، إلا من حفظ بالأدب نفسه وكابر طبعه » وهذه الحيطة فى البداية مقبولة معقولة ، لا سيما وابن المقفع

يرى أن الصداقة « زواج كاثوليكى » لا انفصام له ، وهو لا يرى خلة أبشع من الهجرة والجفاء . ويعجبنى جدا قوله فى هذا السياق ، « ولتعلم أنه لا سبيل لك فى مقاطعة أخيك ، وإن ظهر لك منه ما تكره ، فإنه ليس كالمملوك الذى تعتقه متى شئت ، أو كالمرأة التى تطلقها إذا شئت ، ولكنه عرضك ومروءتك وشرفك ، وإنما مروءة الرجل إخوانه وأخواته ، فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلا من إخوانك ، — وإن كنت معذراً — نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء ، والملال فيه ، وإن أنت مع ذلك تصبرت على مقارنة غير الرضى عاد ذلك إلى العيب والنقيصة ، فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت !! » .

ولا يقتصر الحكيم الفارسى على ابداء رأيه فى هذا الموضوع بل يلجأ إلى الافتراض والتمثيل ، ومع أنه لا يمثل الإطناب فى القول فان حرصه على تدعيم رأيه ، يُلجئه إلى الاسهاب والتكرار ، ولا ينسى أن يضرب الأمثلة التطبيقية ليهلك من هلك بينه ويحيى من حىّ عن بينة . وفى كتاب كليلة ودمنة[1] أقاصيص عديدة تدور حول هذه النقطة الهامة ، وما أبرع عبد الله حين يقنعك بأقصوصة فرضية يختلقها اختلاقا ، فتقوم مقام ألف دليل ، وتغنى غناء تاما عن التحليل والتأويل ؛ واليك المثال .

قال الكاتب « إذا استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك » وهذا رأيه السالف فى الاحتراس من الناس ، ولكنه يتبعه بمثال فرضى يقطع به كل اعتراض ، فيقول بعد ذلك « ولا تأمن أن يصلك من ضيفك أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث » ثم يسرد فى إيجاز قصة وهمية عن قملة استضافت برغوثا دون أن تعرفه ، وأسكنته فى فراش نائم سمين ثم أوصته أن يتريث فلا يلدغ النائم قبل أن يتأكد من رقاده ، ولكن الضيف الأحمق يتسرع فيلدغ الرجل ويهب من فراشه مذعوراً ليبحث عن الجانى فيطير البرغوث ، وتصدع القملة بجريرة ضيفها الأثيم » فأى عاقل يسمع هذا المثال الحكيم ثم لا يجعل آراء ابن المقفع دستوراً حكيما يطبقه على نفسه

(١) يؤكد ثقاة الباحثين أن عبد الله بن المقفع قد أملى كتاب كليلة ودمنة من خاطره ثم نسبه إلى غيره ، ونحن نتمسك بهذا الرأى الصحيح ، وليت شعرى من بيدبا ؟ ومن دبشليم ؟!

فيتشدد تشددا تاما فى اختيار الرفيق .

وقد يفهم القارىء من آراء ابن المقفع أنه يدعو إلى التؤدة والتريث مع كل إنسان وهذا ما يتضح جليا مما قدمناه ؛ ولكن يخيل الينا أن هناك فرقا بين إنسان ربطتك به جامعة أو إدارة أو بلد ، فلم يصل إلى سمعك من أخباره ما يسوّد صحيفته ، ويسىء سمعته ، وبين انسان نجم أمامك فجأة فلم تعلم عنه مايزين أو يشين ؛ فالمبالغة فى الحيطة مع الأول قد تكون تعنتا لامبرر له ، ومع الثانى يجد ما يسوغها بل يفرضها فرضا لازما على كل عاقل . ولقد أبدع الكاتب حين أسهب فى الحديث عن صداقة الجرذ والغراب ، فقد اطلع القارىء على ما يجب عليه من التريث التام فى قبول الصديق بادىء ذى بدء ، حيث صور الغراب فى صورة مستكينة ذليلة وقد وقف أمام الجرذ يخطب وده ويرغب فى مصاحبته ؛ وهنا يبرز عبد الله حيطة الجرذ ناطقة فى قوله للغراب ، « ليس بينى وبينك تواصل ، وإنما العاقل ينبغى أن يلتمس ما يجد اليه سبيلا ، ويترك التماس ما ليس اليه سبيل ، فإنما أنت الآكل وأنا طعام لك » ويطنب أديبنا الحكيم فى هذا المنى فيقول مرة ثانية على لسان الجرذ « إن العداوة التى بيننا ليست تضرك وإنما ضررها عائد على ؛ وإن الماء لو أطيل إسخانه لم يمنعه من إطفاء النار إذا صب عليها . وإنما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها فى كمه . والعاقل لا يستأنس إلى العدو الأريب » وما أظن بعد ذلك تهذيبا لمتهذب وإرشادا لمسترشد . ويجدر بنا أن نشير إلى أن ابن المقفع قد اختار الجرذ والغراب بالذات ليمحو ما قد وقر فى بعض الأذهان من أن العداوة إذا وقرت فى القلب لا تمحى منه ، فهو يريد أن الإنسان بكياسته وحزمه قادر على أن يخلق من عدوه صديقا مهما تغلغلت جذور البغضاء فى قلبه ، وهذه دعوة سافرة إلى التسامح الإنسانى والرجوع إلى مبادئ الاخاء والتواد ، فالمرء لا محالة مدنى بطبعه ، وان خيمت فى الأفق غيوم قاتمة من الإحن العانية فمن قريب ستتبدد فى هوج الرياح .

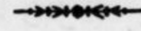
على أن حديث الغراب والجرذ لم ينقطع بعد ، فقد شاء الأديب الكبير أن يجمل الحجة للغراب فى مطلهه ، فيذكر على لسانه من الحكم الغالية ما يستنزل به العصم من معاقلها الشم ، كأن يقول للجرذ « لا تصعب على الأمر بقولك ليس إلى التواصل بيننا من سبيل ، فان العقلاء الكرام لا يبغون على المعروف جزاء ، والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها ، ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب ، بطىء الانكسار سريع الإعادة ، هين الاصلاح إن أصابه ثلم أو كسر ، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار ، سريع الانكسار ينكسر من أدنى عيب ، ولا وصل له أبدا . والكريم يود الكريم ، واللئيم لايود أحداً لاعن رغبة أو رهبة » ثم تنتهى القصة الممتعة بمصادقة الغراب والجرذ ، وتعاونهما على النوائب فى الحياة ، تعاونا يصل بهما شاطىء السعادة الهنيئة . وإذن فقد بلغ الكاتب ما يريده ، حيث صور أولا ما ينبغى بادىء الأمر من الحيطة والاتئاد ، وكشف ثانيا عن خطأ ما يتوهمه الناس فى أعدائهم المتناحرين ، إذ أن من السهل الهين على هؤلاء أن يصبحوا بقليل من الكياسة ، أحبة متوادين كأحسن ما يكون !!

(البقية فى العدد القادم) محمد رجب البيومى

موقعـــة نصيبين

٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩

للأستاذ السيد كمال درويش



أجمع المؤرخون على أن موقعة نصيبين هى بلا جدال أكبر انتصار أحرزه البطل الفاتح ابراهيم باشا فى حروبه ضد الدولة العثمانية .

حدثت هذه الموقعة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨٣٩ وبدأت فى الساعة الثالثة بعد الظهر ولم تدم سوى ساعتين ، انجلى بعدهما الميدان عن انتصار ساحق للمصريين وهزيمة شنيعة للجيش العثمانى ، ذلك الجيش الذى لاذ أفراده بأذيال الفرار بعد أن تركوا أربعة آلاف قتيل فى الميدان وما يتراوح بين اثنى عشر ألف وخمسة عشر ألف أسير . أما الذخيرة التى استولى عليها الجيش المصرى فقد قدرت بما يقرب من عشرين ألف بندقية وأربعة وسبعين مدفعاً . ومع ذلك فلم تكن هـذه الغنائم على كثرتها شيئاً يذكر بجانب العثور على خزانة الجيش العثمانى التى لم يتمكن العثمانيون فى فرارهم من أخذها ؛ وكان بها من النقد ما قيمته ستة ملايين فرنك ؛ وأخيراً الاستيلاء على خيمة حافظ باشا قائد الجيش بما كان فيها من الأرائك التركية المطعمة بالصدف والأوراق الرسمية وحتى الأوسمة التى كان يتحلى بها ذلك القائد وقعت هى الأخرى فى يد ابراهيم .

ولئن دلت هـذه الغنائم على مدى أهمية ذلك الانتصار من الناحية الحربية والعسكرية البحتة ، فلقد كان لتلك الموقعة الحاسمة من النتائج السياسية ما أدى إلى أن أصبح محمد على قاب قوسين أو أدنى من الجلوس على عرش السلطنة العثمانية بعد أن فقدت سلطانها الذى مات قبل أن تصل إليه أخبار الهزيمة ، وجيشها الذى انهار فى نصيبين وأسطولها الذى انضم بقائده إلى محمد على ؛ لولا التدخل الأوربى وتطور المسألة الشرقية نتيجة لهذا التدخل .

هذه لمحة سريعة عن أهمية هذه الموقعة التى كان بطلها ابراهيم .

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن خطورة ذلك الدور الذى قام به ابراهيم خلال تلك الموقعة حتى أحرز ذلك النصر الحاسم . ولكى يتبين لنا أهمية ما قام به ابراهيم يكفى أن نعلم أن السلطان العثمانى كان قد استعد لهذه الموقعة استعداداً كبيراً بولاية مصر إذا تم له الانتصار . وكان الجيش العثمانى هو البادىء بالتحدى وباجتياز الحدود المتفق عليها . وكان السلطان قد استعان بمجموعة من الضباط البروسيين لتنظيم الخطط الحربية للجيش العثمانى وإقامة تحصيناته وإعداد وسائل دفاعه وهجومه على أحدث النظم الأوربية . وهكذا أخذ الجيش العثمانى يواصل استعداداته وبناء استحكاماته فى نصيبين حتى إذا انتهى من ذلك بدأ قائده يدس الدسائس ضد ابراهيم تمهيداً للاشتباك فى موقعة فاصلة حاسمة .

وأدرك ابراهيم حقيقة الموقف فلم يأل جهداً فى الاحتياط وفى تنسيق خطته هو الآخر ؛ حتى إذا أشار عليه محمد على بتأديب العدو وتعقبه كتب إلى حافظ باشا يقول : « إذا كنتم قد تلقيتم الأمر باستئناف القتال فما بالكم تدسون الدسائس ؟ هلموا إلى ميدان القتال بصراحة وخوضوا غمرات الحرب كما يجب أن تخاض » .

كان جيش العثمانيين يبلغ حوالى أربعين ألف مقاتل وكذلك كان جيش ابراهيم . وكان يقود الجيش العثمانى حافظ باشا ويعاونه أركان حربه من كبار الضباط البروسيين وكان من بينهم هلموت فون ملتكه (الذى قاد فيما بعد الجيش الألمانى فهزم به فرنسا أثناء الحرب السبعينية المشهورة وخلد ذكره فى موقعة سيدان) وكان من بينهم فون ملباخ . وعلى ذلك يمكن القول أن الجيش العثمانى كان يمتاز على جيش ابراهيم بأركان حربه الألمان ، وبقوة استحكاماته فى نصيبين ، وبخبرته بميدان القتال ، وبابتداء الهجوم والعدوان ، وبوفرة الجند والذخائر . أما ابراهيم فكان يعتمد على حماسة الجيش المصرى وتماسك أفراده وشجاعة جنوده وحبهم للطاعة والنظام ثم على عبقريته الحربية كقائد .

وأيقن ابراهيم أن عليه إذا أراد النصر أن يفاجىء الجيش العثمانى قبل أن يفاجأ هو بالهجوم . وكان الجيش المصرى مرابطاً فى الغرب من نصيبين . وأدرك ابراهيم أن الهجوم على العثمانيين فى نصيبين مع التعرض لاستحكاماتها مجازفة خطيرة ، لذلك قرر

مهاجمتها من جهتها الشرقيه بعيداً عن الاستحكامات القامة فى غربها . وقام ابراهيم بالإلتفاف بجيشه جنوب نصيبين حتى وصل إلى شرقها وعبر فى سبيل ذلك القنطرة القامة على النهر ثم بدأ ينظم موقعة فى شرق المدينة . والواقع أن ابراهيم وهو صاحب فكرة القيام بحركة الإلتفاف هذه كان يدرك مدى خطورتها إذ كان يحتمل أن يخرج العثمانيون من استحكاماتهم لمهاجمته أثناء القيام بها فى الجنوب من نصيبين أو أثناء عبوره القنطرة القامة على النهر ؛ لذلك أتقن تلك الحركة وقام بتنفيذها بمنتهى الدقة والحرص والنظام حتى قال الضباط الألمان عنها فيما بعد : « لقد كانت حركات الجيش المصرى تسير طبقاً لخطط الجيوش الأوربية المدربة على أرق فنون القتال العلمية » .

وكما كان النجاح فى تنفيذ تلك الحركة دليلا على دقة ابراهيم وسرعة بديهته وحسن تصرفه وانتهازه للفرص وإدراكه الصحيح لما يتطلبه الموقف ؛ نجدها أيضاً كانت دليلا على جمود الجيش العثمانى وجمود قائده وتردده فى انتهاز فرصة الهجوم على الجيش المصرى أثناء التفافه معارضاً بذلك نصيحة مستشاريه الألمان الذين غضبوا فقدموا استقالاتهم ولم يسحبوها إلا حين قيل لهم : « إن الجندى لا يستقيل قبل الوقعة » . لقد كانت خطة حافظ باشا ترمى إلى تفضيل البقاء فى نصيبين بدلا من القيام بالهجوم فى تلك المنطقة المكشوفة ، ولذلك أخذ فى إقامة استحكامات جديدة وعلى عجل فى الجهة الشرقية حتى يعتمد عليها جيشه أثناء الموقعة .

ونظر ابراهيم فوجد القائد العثمانى فى تسرعه قد أهمل تحصين أكمة مرتفعة تجاه جناح جيشه الأيسر ، وتقع فى الشمال الشرقي من نصيبين . عند ذلك اغتنم تلك الفرصة فأرسل فرقة من جيشه فاحتلتها وبدأت تقيم فيها الاستحكامات وتنصب المدافع . ولم يتنبه حافظ باشا إلى أهمية تلك الأكمة إلا بعد فوات الأوان فأرسل فرقة عثمانية لاسترجاعها ولكنها ردت فى الحال على أعقابها .

وواجه ابراهيم بجيشه شرق نصيبين وأدرك أن الجيش العثمانى قد ركز قوته كلها فى الميمنة والقلب . ولذلك كانت ميسرته أضعف جهاته . وكانت الأكمة التى احتلها ابراهيم قد كشفت ذلك الجناح بأمره فجملته تحت رحمته . وفى ذلك الحين أدرك إبراهيم أهمية احتلال تلك الأكمة كما أدرك ذلك أعداؤه ، لا سيما المستشارون الألمان الذين قالوا عنها فيما بعد : « لقد كانت حركة احتلال الأكمة هى مفتاح النصر فى هذه الموقعة » .

عند ذلك قرر إبراهيم تركيز الهجوم على الميسرة فى الوقت الذى يهاجم فيه العدو من جميع الجهات .

وبدأت الموقعة ، ودوى صوت المدافع ، واشتد الضرب من الجانبين وسقط القتلى والجرحى واستبسل العثمانيون . ونفدت فى أثناء ذلك ذخيرة المدفعية المصرية ، فخفتت أصواتها انتظاراً للامداد فانتهز العثمانيون الفرصة ، فصبت المدفعية التركية نارها بشدة على مواقف المشاة المصريين ، فتقهقرت الصفوف الأولى ، وكانت فرصة نادرة لهجوم الأتراك على مواقع المصريين ولكن إبراهيم يظهر بنفسه ويقف بين الجنود فى تلك اللحظة الحرجة فيثبت المنهزمين ويجدد الحماسة فى النفوس فيبدأ الهجوم من جديد وتصل الذخائر فيشتد ضرب المدفعية المصرية ويستمر الضرب والهجوم حتى تشتت شمل الجنود غير النظاميين فى الجيش العثمانى ؛ فأحدثوا الاضطراب بالجيش ، وتحطمت صفوف الجند النظاميين وارتبك الجيش كله فلاذ أفراده وسط الذعر والخوف بالفرار ، وكما فعل الجيش فعل قائده الذى فضل الفرار على الوقوع فى أسر المصريين .

ويسير إبراهيم فى ميدان المركة فيجد خيمة حافظ باشا ، وينظر منها فلا يجد أحداً من الأعداء أمامه ، فيكتب إلى أبيه ليعلمه بالنصر ثم يقول له فى ذيل خطابه : « وإنى أود أن أقتفي أثر الأعداء ولكنى لا أجد منهم أحدا » .

حقاً ؛ لقد كان إبراهيم قائداً حربياً ممتازاً . ولئن دلت موقعة نصيبين على مهارة الجيش المصرى وكفاءته فإنها لتدل أيضا على ما امتاز به قائده من عبقرية نادرة مكنته من إحراز ذلك النصر الحاسم الذى يعد بحق من أعظم الانتصارات الحربية فى التاريخ .

كمال السيد درويش
مدرس بمدرسة الرمل الثانوية
وعضو الجمعية التاريخية لخريجي جمعية فاروق

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٣ —

يخطئ من يحسب أن القبائل العربية كانت تجرى فى تمديتها للأفعال أو تصريفها على منوال رتيب . ومن العسير معرفة ما إذا كانت هذه القبيلة تتجه إلى زيادة مبنى الألفاظ أو تلك تميل إلى اختصارها ؛ فمثلا قبيلة تميم تقول أجزأ عنى بمعنى قضى وأمضى هذا الأمر . وأسحته (١) الله وآلاته عن وجهه . وغيرها يقول جزى عنى ومضى وسحته ولاته بينما تقول تميم جبرت فلاناً على الأمر . وهلك (٢) الله الظالمين وخلا فلان على اللبن بمعنى اقتصر عليه وغيرها يقول أجبرته واهلكهم وأخلى . ونجد تميما تقول : حسب (٣) يحسب على وزن علم يعلم وبرئ المريض يبرأ على وزنه كذلك ويقول الحجازيون حسب يحسب بكسر السينين وبرأ يبرأ بفتح الراءين . هذا فى حين أن تميما تقول رضع يرضع وعرض له الأمر يمرض على وزن ضرب يضرب فيهما ويقولها الحجازيون على وزن علم يعلم كما تقول القبائل بما فيها تميم جنح لكذا بفتح النون ويختلفون فى نون مضارعها فتميم تفتحه (٤) وقيس تضمه وغيرهما بكسره . أما من حيث الزيادة والنقص فنرى تميما تقول اتخذت (٥) وهو الذى ينتقد الدرهم ، والكراهية . وليـــلة أضحيانة وغيرها يقول تخذت وهو الذى ينقد الدراهم وليلة ضحيانة . هذا فى حين أن تميما تقول مذ وأيم لله بدون نون فيهما ، وتفتح همزة أيم ، وثنتان بدون ألف ؛ وغيرها : اثنتان ومنذ وأيمن الله ومن القبائل من يقول أيم بكسر الهمزة وهم بنو سليم . ولم بدون ياء وهم أهل اليمامة وأغلبهم بنو حنيفة .

ومن حيث الواو والياء والألف نجد تميا تقول : القنوة وقلنسوة والقار ويقول الحجازيون القنية وقلنسية والقير فى حين

(١) قرأ يسحتكم من الرباعى حفص وحمزة والكسائى ورويس وخلف والأعمش وقرأ الباقون من الثلاثى بفتح الياء والحاء .

(٢) قال العجاج : ومهمه هالك من تعرجا . هائلة من أهواله من أدلجا

(٣) قرأ ما ورد مضارعاً لحسب على لغة تميم ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر والحسن والمطوعى وقرأ الباقون بالكسر على لغة الحجازيين

(٤) قرأ جهور القراء على لغة تميم بالفتح فاجنح لها .

(٥) كل ما جاء فى القرآن بقراءاته على لغة تميم اتخذ واتخذت واتخذوا

أن قبائل نجد ومنهـا تميم يقولون القصيا (١) وتجمع تميم وضبة القنو (٢) على قنيان بالياء وضم القاف والحجازيون يقولون القصوى ويجمعون القنو على قنوان بالواو وكسر القاف وقبيلة قيس تقول القصوى وتجمع القنو على قنوان بواو وضم القاف ، وقبيلة كلب تجمعه على قنيان (٣) بالياء وكسر القاف .

ومن حيث الحركات نجد تميا وتشاركها فى بعض ذلك قيس وأسد تقول : الزعم (٤) والفواق (٥) والأسوة (٦) ومرية (٧) بضم أول الكلمات ويفتح الحجازيون أول الأولين ويكسرون أول الأخيرين . فى حين أن تميا تقول عقر الدار والشهد وربوة (٨) بفتح أول الكلمات ، والمصحف والمطرف والمغزل والرجز (٩) بكسر أولها ويضم الحجازيون أول الرجز وعقر الدار والشهد وربوة وتضم قيس أول المصحف (١٠) والمطرف والمغزل .

فنحن كما نرى لا نجد لأى قبيلة طريقة واحدة فى أوزان الأفعال وكيفية تمديتها ولا منهجاً متفقاً فى الميـــل إلى الزيادة أو النقص ولا خطة ثابتة تسلكها فى صوغ الكلمات .

أما ما ذكرته سابقاً من الإمالة والتسهيل ونحوهما فذلك من

(١) قرأ جمهور القراء القصوى وقرأ زيد بن على القصيا على لغة تميم

(٢) هو العذق ويسمى الكباسة وهو عنقود النخلة .

(٣) هذا كما فى اللسان ، أما كتاب النهر الماد من البحر فقال قنوان بالكسر لغة الحجاز وضمها لغة قيس وقنيان بالضم لغة ربيعة وبالضم والكسر لغة تميم ونسب البحر للفراء أن الضم مع الواو لغة قيس وأهل الحجاز ، ثم ذكر أبو حيان أن ما رواه فى مفرداته هو قنوان بالكسر لغة الحجازيين وقد قرأ الجمهور على لغة الحجازيين بالكسر والواو . وقرأ الأعمش على لغة قيس بضمها ورواه السلمى عن على بن أبى طالب ولم يقرأها أحد بلغة تميم أو ربيعة أو كلب وقرئت بالفتح والواو ولم تنسب لغتها إلى أى قبيلة .

(٤) قرأ الكسائى والشنبوذى عن الأعمش بالضم واقتصر فى تفسير البحر على نسبة الزعم بالضم إلى قبيلة أسد ونسبها المزهر واللسان لتميم وقرأ باقى القراء بالفتح وقرأ ابن أبى عبلة بفتحتين ، وهناك لغة لبعض بنى تميم وقيس بكسر الزاى لم يقرأ بها :

(٥) الفواق مقدار ما بين حلبتى الحالب ورضعتى الرضيع .

(٦) قرأ عاصم والأعمش بالضم على لغة قيس وتميم والباقون بكسرها لغة الحجاز .

(٧) قرأ بضم الميم الحسن وهى لغة أسد وتميم والباقون بالكسر .

(٨) قرأ ابن عامر وعاصم والحسن بفتح الراء والباقون بضمها وقرأ ابن عباس والمطوعى عن الأعمش بكسرها ولم تنسب إلى لغة .

(٩) قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب وابن محيصن والحسن بضم الراء والباقون بكسرها .

(١٠) هذا كما فى اللسان وفى جمهرة ابن دريد فى أحد مواضعها لكن هامشها قال كسر الميم لغة الحجاز نقلا عن نسخة أخرى للجمهرة : وذكرت الجمهرة فى موضع آخر أن ضم الميم لغة تميم وكسرها لغة أهل الحجاز .

(١١) إمالة الحجازيين سببها أنهم يميلون الألف لأجل الكسرة .

العادة اللغوية التي لا تشذ عن قالبها الجماعة المرتبطة والبيئة المتفقة ولما كان حصر كل الألفاظ التي وردت في المعاجم والكتب منسوبة إلى القبائل مما لا يعنينا على وجه العموم فسأقتصر في الألفاظ على ما جاء في القرآن بقراءاته . ولست أزعم أنني قد حققت جميع ألفاظه ؛ إذ أن كثيراً من الكلمات لم تنسب إلى قبائلها مع أن فيها لغات مختلفة تجعلها متغايرة الأوزان . ولما كنت قد أخذت على نفسي أن أذكر ما لكل قبيلة من لهجة كان لها أثر في القراءات أو اللغة ونحوها وصرفها فإني أكمل أولا ما اختلفت فيه قبيلة تميم من جهة النحو والصرف ولولم يكن له أثر في القراءات

(١) تنوين الترنم :

يقسم النحاة التنوين إلى (ا) تنوين التمكين . وهو اللاحق للأسماء المعربة . (ب) تنوين التنكير وهو اللاحق للأسماء المبنية (حـ) تنوين المقابلة وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم (د) تنوين العوض وهو اللاحق للأسماء المنقوصة (هـ) تنوين الترنم وهو يلحق أواخر القوافي المطلقة التي في آخرها حركة . وهذا التنوين في لغة تميم وقيس تلحقانه للمحلى بأل وبالفعل سواء كان ماضياً أم مضارعاً وبالضمير وبالحرف . والاصطلاح على أن اسمه الترنم مخالف لأثره الناشئ عنه إذ أنه في الواقع يقطع ترنم المنشد حين يشبع الحركة بما يجانسها من حروف العلة فينطق بنون ساكنة تصحب الحركة القصيرة ولهذا سماه بعضهم تنوين قطع الترنم ومن شواهده التي تروى لاحقاً للمحلى بأل والفعل قوله :

أقلى اللوم عاذل والعتابن   وقولى إن أصبت لقد أصابن

ولاحقاً بالحرف قوله :

أزف الترحل غير أن ركابنا   لما تزل برحالنا وكأن قدن

ولاحقاً بالضمير قوله : يا أبتا علك أو عساكن .

هذا وسماه صاحب الإتقان تنوين الفواصل إذا كان في القرآن وخرجوا عليه قول الله تعالى « وأكواب كانت قواريرا » قال الزمخشري وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة .

وكذلك قال في قراءة من قرأ « سلاسلا » بالتنوين : إنه بدل من حرف الإطلاق أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر حيث يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعاراً بترك الترنم كما قال الراجز « يا صاح ما هاج الدموع الذرفن » .

وقرأ أبو الدينار الأعرابي « والفجر ... والوتر .. يسر » بالتنوين في الثلاثة . قال ابن خالويه : هذا كما روى عن بعض العرب أنه وقف على آخر القوافي بالتنوين وإن كان فعلا وإن كان اسماً فيه ألف ولام .

(٢) لغة تميم إهمال « ليس » [١] إذا اقترنت بها « إلا » كقولهم : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله برفع طاعة والحجازيون ينصبونها . قال الأصمعي : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمر ما شيء بلغني عنك تجيزه ! قال وما هو ؟ قال بلغني أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » بالرفع قال أبو عمرو نمت ياعيسى وأدلج الناس ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ثم قال أبو عمرو قم يا يحيى يعني اليزيدي وأنت يا خلف ، يعني خلفاً الأحمر ، فاذهبا إلى أبي المهدي فلقناه الرفع فإنه لا يرفع واذهبا إلى أبي المنتجع فلقناه النصب فإنه لا ينصب فذهبا فأتيا أبا المهدي فلقناه الرفع فلم يرفع وقال : ليس هذا لحني ولا لحن قومي ، ثم أتيا أبا المنتجع فلقناه النصب وجهدا به فلم ينصب وأبى إلا الرفع . فأتيا أبا عمرو وأخبراه فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده وقال . ولك الخاتم هذا ، والله فقت الناس .

(٣) كم الخبرية : تمييز كم الخبرية واجب الخفض ويكون مفرداً ومجموعاً إلا أن التميميين يجيزون نصب تمييزها إذا كان مفرداً وقد جاء في رواية لبيت الفرزدق :

كم عمة لك ياجرير وخالة   فدعاء قد حلبت على عشاري

بنصب عمة على أنها تمييز لكم الخبرية على لغة التميميين ، وقيل إن كم هنا استفهام تهكمي . واستعملت كم [٢] في القرآن بأن يقترن تمييزها بحرف الجر « من » ، « وكم من ملك » أو يتصل الفعل بها مباشراً « كم تركوا من جنات وعيون » .

(٤) أمس : يبنى الحجازيون أمس على الكسر رفعاً ونصباً وجراً . ظرفاً وغير ظرف يقولون رأيته أمس وذهب أمس بما فيه وما رأيته مذ أمس . وقد ورد :

منع البقاء تقلب الشمس   وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها حمراء قانية   وغروبها صفراء كالورس

---

(١) لم يرد في القرآن استعمال لليس وبعدها إلا ما عدا قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » و « أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار » ويلاحظ أن الخبر فيهما مقدم وهو شبه جملة فلا يظهر عليه إعراب يوضح اختلاف الحجازيين مع التميميين .

(٢) ذكر السيوطي في إتقانه أن كم الاستفهامية لم تقع في القرآن وهذا سهو منه كاد يوقعني في الخطأ إذ أنها وقعت فيه أربع مرات : كم لبثتم مرتين، كم لبثت ، سل بني إسرائيل كم آتيناهم .

اليـــوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس

أما تميم فتبنى أمس على الكسر فى حالتى النصب والجر وتعربه إعراب مالا ينصرف فى حالة الرفع ، وقد قيل :

اعتصم بالرجاء إن عن يأس وتناس الذى تضمن أمسُ

ومن بنى تميم من يعربه إعراب ما لا ينصرف فى حالتى النصب والجر أيضاً ، وقد قيل :

لقد رأيت عجبــاً مذ أمسا عجائزاً مثـــل السعالى خمساً
يأكلن ما فى رحلهن همساً لا ترك الله لهن ضرســا

ومن بنى تميم من يعربه إعراب المنصرف فينونه فى الأحوال الثلاث ، والقرآن الكريم لم يستعمل أمس وإنما استعملها معرفة بالألف واللام مجرورة بالباء « فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه . قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون » .

(٥) ما كان علماً على فعال يعربه بنو تميم ممنوعاً من الصرف وبعضهم يصرفه وقد جاء :

قد مر دهر على وبار فأهلكت جهـــرة وبارُ

أما الحجازيون فيبنونه على الكسر وأكثر بنى تميم يوافقون الحجازيين فيما كان آخره راء كحضار وبعضهم يعربه أيضا كإعراب مالا ينصرف وأغلب الأشعار جاءت على لغة الحجازيين قال لجيم بن صعب :

إذ قالت حزام فصدقوها فإن القول ما قالت حزام

وقال النابغة :

أتاركة تدللها قطـــام وضـــناً بالتحية والكلام

هذا وقد اتفق الحجازيون والتميميون وسائر العرب على بناء فعال المعدول على الكسر إذا كان مصدراً إلا بنى أســد فإنهم يبنون هذا النوع على الفتح تخفيفاً وقد جاء على الأكثر :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذار من بطشى وفتكى

(٦) المصدر النكرة الواقع بعد أما يجوز رفعه عند التميميين يقولون « أما علم فعالم » ؛ إلا أن الأرجح عندهم النصب ، والحجازيون يوجبون نصبه ، وإذا كان المصـدر بعد أما معرفة فالأرجح عند الحجازيين رفعه ويجيزون نصبه نحو أما العلم فعالم لكن بنى تميم يوجبون رفعه ، وقد روى على لغة الحجازيين بجواز النصب فى المصدر المعرفة قول الشاعر :

ألا ليت شعرى هل إلى أم معمر سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا

بنصب الصبر بعد أما .

(٧) تقول العرب فى كلامها : بعداً له وسحقاً أو قبحاً له وترحاً ، أما تميم فإنها ترفع فتقول بعدٌ له وسحق كقولك غلام له وفرس .

(٨) من ثلاثة إلى عشرة تنصب عند الحجازيين على الحال إذا أضيفت إلى ضميرها تقدمها يقولون جاء القوم ثلاثتهم ورأيتهم ثلاثتهم ومررت بهم ثلاثتهم » بنصب ثلاثتهم فى الجميع أما بنو تميم فإنهم يتبعون ذلك لما قبله فى الإعراب توكيداً له فيرفعون فى المثل الأول وينصبون فى الثانى ويجرون فى الثالث .

(٩) بنو تميم يتمون مفعولا من الياء فيقولون ثوب مخيوط ورجل مديون وقد ورد : فـكأنها تفاحة مطيوبة » وورد « يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم » وقول الشاعر أيضاً :

قد كان قومك يزعمونك سيداً وإخال أنك سيد معيوب

وبعضهم يجرى ذلك فى الواوى أيضاً وقد جاء : « والمسك من عنبره مدووف » وورد فرس مقوود وثوب مصوون ورجل معوود ، أما غير تميم فإنهم يعلون ذلك بالحذف سواء أكان من الياء أم من الواو فيقولون مخيط ومدين ومصون . . الخ

(١٠) لبنى تميم فى الحلقى العين الثلاثى تفريعات :

(ا) أن يكسروا الحرف الحلقى فإذا كسروه فقد يتبعون فاء الكلمة لعينهـا يقولون نِخِذٌ « اسماً » ونِهِلَ « فعلا » بفتح الأول وكسر الثانى منهما ، أو نخذ ونهل بكسر الأول والثانى منهما .

(ب) أن يسكنوا الحرف الحلقى يقولون نَخْذٌ ونَهْلَ بفتح فسكون فيهما

(ج) أن ينقلوا حركة عين الكلمة وهى الكسرة إلى فائها ويسكنون عينها يقولون نِخْذ ونِهْل بكسر فسكون فيهما .

وما كان على وزن فعيل يكسرون فاء كلمته تبعاً لعينها إذا كانت العين أحد حروف الحلق وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء يقولون : زئير وشهيق وسعيد ورحيم وشخير ورغيف بكسر أولها وثانيها جميعاً . ومنهم من يفعل ذلك فى فعيل ولو لم يكن عينه حرف حلق فيقولون كبير وجليل هـذا وتشاركهم فى أغلب ذلك قبيلتا قيس وأسد .

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فرج
محرر بالمجمع اللغوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو:

يوالي مؤتمر اليونسكو عقد جلساته في بيروت ، وتلقى في هذه الجلسات خطب تتضمن الإشادة بمثل الثقافة الإنسانية والتعاون العالمي في الميدان الفكري ، وتقدم اقتراحات ، وتؤلف لجان . ويلاحظ في تبادل التحيات بين ممثلي الدول المختلفة ، ما يبديه رجال الغرب من تنويه بفضل ثقافة العرب على الحضارة الغربية ، وعزم على توثيق الروابط الفكرية بين الشرق والغرب ، ثم ثناء على كرم الضيافة العربية .

وكل ذلك جميل رائع ، ولكن لست أدري أي شيطان بعث إلى تصوري بجانب ذلك صورة كلاب الحراسة التي ضربها أستاذنا الزيات مثلا للمهذبين من بني آدم[1] ... قلت لنفسي ، أو قال لها ذلك الشيطان : إنها نوبة التهارش ! ألست تتمثل أولئك المندوبين العالميين في قصر اليونسكو تحت ظلال أشجار الأرز بلبنان .. ؟ يكادون يذوبون من فرط الرقة والتلطف والمجاملة فليس هناك وجبة تقدم ولا عظمة في حواشي الفناء ... المسألة كلها خطب وفلسفات ، فما الداعي إلى العراك وتحلب الأشداق واحرار الأحداق ؟ هذا مكانه (ليك ساكسس) و (قصر شايو) حيث يأكلون لحم الأمم الصغيرة وعظامها أيضا . أما في مؤتمر الثقافة فلا بأس من التظاهر بالتعاطف والثناء على الشرق وكرم الضيافة العربية . وسينفض المؤتمر ويترك الحبر على الورق ويعود المندوبون رجال سياسة ، كما يعود الزعماء والوزراء وغيرهم من الكبار إلى قصورهم ومكاتبهم بعد زيارة الفلاحين في حقولهم وتقديرهم لجهود الفلاح وفضله ، ورثائهم لسوء عيشه ، ووعدهم بتحسين حاله ورفع مستواه .

(١) افتتاحية الرسالة في الأسبوع الماضي .

وعد بنا إلى كلاب الحراسة تحت ظلال الشجر ... هذه الكبار توطىء أكنافها للصغار وتبدي لها الود ، وهؤلاء مندوبو الغرب يقترحون على اليونسكو مساعدة اللاجئين الفلسطينيين في حدود اختصاصها ، ويشكرهم مندوبو البلاد العربية . ويقول لي ذلك الشيطان : أترى في ذلك أكثر من المطف المقيم في أثناء التهارش تحت ظل الأشجار ... أم ترى اليونسكو تملك شيئا جديا لهؤلاء المساكين غير « التوصيات » .. !

ذكرت بذلك حكاية جارية غنت في مجلس فأجادت ، فقام إليها رجل من الجالسين وقال لها : بأبي أنت وأمي ، وددت لو كان لي مال فوهبته لك .. ولكني أرجو أن يجعل الله لك كل حسنة لي ويحملني عنك كل سيئة عليك . فأقبلت عليه الجارية وشكرته . فتقدم رجل آخر وقال لها : كل مملوك لي حر وكل امرأة طالق إن كان قد وهب لك شيئا أو حمل عنك ثقلا ، فماله حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فعلى أي شيء تشكرينه ؟

عزيزي الأستاذ محمد عبد الوهاب :

أعبر لحضرتكم عن شعوري إذ أقول إن قلبي كان معكم حينما كتبت إلى الآنسة أم كلثوم في شأن تحكمها في الإذاعة ، أو إغداق الإذاعة عليها ، بمنحها خمسين جنيها في كل مرة تذاع لها أغنية مسجلة مأجورة عند تسجيلها ، حتى يقدر مجموع ذلك بنحو ألف جنيه في الشهر .

كان قلبي معك يا أستاذ عبد الوهاب ، لأن الإذاعة تخص أم كلثوم بتلك المعاملة الهائلة .. أما أغنياتك المسجلة فتشكو إلى الأثير جراحا .. ولذلك سرني ما نشر من أنك طلبت عدم إذاعة أغانيك ، وأن الإذاعة رجتك أن تعدل عن هذا الطلب مؤقتا إلى أن تعقد معك اتفاقا جديدا .

فامض في طلبك وتشدد فيه ، فإن هذه الإذاعة لا ينفع معها غير ذلك . وإنك لابد ظافر بألف جنيه في الشهر ، واعلم أنك وأم كلثوم الدعامتان اللتان يقوم عليهما فن الغناء والموسيقى في هذا العصر ، وأن أمثالكما من كبار الفنانين في روسيا الشيوعية ينالون أكبر الأجور ويصيبون أوفر حظ من الترف والنعيم ، كما يترامى إلينا من وراء الستار الحديدي .

فاحرص أيها الفنان العظيم على ذلك الحق « الشيوعى » كما تحرص عليه أم كلثوم ، وكما يحرص عليه كبار الموظفين فى الإذاعة وإن لم يكونوا من الفنانين — وعلى كل من يذيع بعد ذلك ، وعلى الديموقراطية ، وعلى الإذاعة ، السلام ... وسلام عليك .

نحو الحياد الثقافى :

نشرت « المصرى » لمراسلها بباريس نقلا عن أنباء موسكو أنه صدر فيها بلاغ رسمى جاء فيه أن أكاديمية العلوم ستنشر ٤٢ كتاباً فى سنة ١٩٤٩ عن الدراسات الشرقية منها كتب هامة عن العرب والأدب العربى الحديث ، وقد كتب عن الموضوع الأخير المستشرق برجنانى كراشكوفسكى ، وأهم ما كتب فيه يتعلق بالمؤلفين والكتاب العرب فى خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، وستنشر الأكاديمية أيضاً كتاباً عن تحليل ما بقى من اللغة العربية فى اللغات التى يستخدمها سكان جمهورية أوزبك السوفيتية ، وعنوان الكتاب « العرب فى آسيا الوسطى » .

وعلق المراسل على ذلك بأن هـذا الاهتمام من جانب روسيا بشؤون العرب لا يقاس إلى جانب المعركة الخفية بين رجال الحزب الشيوعى وبين رجال الدين الإسلامى فى جنوب الاتحاد السوفيتى وذكر المراسل كلاماً كثيراً دلل به على هذه المعركة ، منه امتناع التلاميذ المسلمين عن المدارس لاعتقادهم أن فى المواد الدراسية ما يتنافى مع الدين الإسلامى ، ومنه استغلال بعض الكتاب حرية النقد فى الطعن على الإسلام وإنكار وجود الله .. الخ .

ولا شك أن المقارنة بين اهتمام روسيا بالشؤون العربية الأدبية والثقافية وبين المعركة الدينية الخفية ، خلط ظاهر ... فالخبر نفسه ذو أهمية كبيرة ، فنحن نسعى إلى رواج أدبنا وثقافتنا فى العالم ونحب أن نعرف بأنفسنا ، وأن يتحقق التعاون الفكرى العالمى بالأخذ والعطاء بيننا وبين سائر الدول شرقية وغربية . والأمم الرشيدة تعمل لنشر ثقافتها فى خارج حدودها ، وتبذل فى هذا السبيل جهوداً كبيرة . فلا يجوز أن نواجه اهتمام أى دولة بآدابنا وشؤوننا الفكرية — بالتهوين من شأنها بمثل هذا الكلام . وهل نحن نقول للمستشرقين الفرنسيين إن جهودكم فى خدمة التراث العربى لا قيمة لها لأن فرنسا تصنع بمسلمى المغرب ما تصنع ؟ وهل نقول مثل ذلك للمستشرقين الهولنديين لتنكيل هولندة بمسلمى أندونسيا ؟ ثم انجلترا التى تقفل جنوب السودان فى وجه الإسلام وتيسر للمبشرين من إرساليات الكاثوليك والبروتستانت أن ينشروا هناك دعاياتهم الدينية — أنرفض التعاون مع مستشرقيها لذلك .. ؟

وإذا كنا ندعو إلى الحياد السياسى أو نختلف فيه ، فما أظن الحياد الثقافى إلا جديراً بتأييده والاتفاق عليه .

ضيعة الشباب فى مصر :

تلقت وزارة المعارف كتاباً من اتحاد الطلبة لجامعات فرنسا يطلب فيه موافاته بما قامت به مصر فى خدمة شبابها . وقد أخذت الوزارة فى إعداد البيان المطلوب .

وخدمة الشباب هى استغلال أوقات فراغهم فى إنماء ثقافاتهم وإبراز ملكاتهم الفنية وتعهدها ، وتربية أذواقهم وأبدانهم ، بالمطالعة والمحاضرة والسينما الثقافية والرحلات والألعاب وغير ذلك من مختلف الوسائل . وتقوم بها فى مصر إدارة خدمة الشباب بوزارة المعارف وبعض الجمعيات الكبيرة كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية وجمعية الإخوان المسلمين ، والثانية أكثرها نشاطاً فى هذا المضمار .

أما إدارة خدمة الشباب فهى إدارة صغيرة ناشئة تشق طريقها جاهدة فى حدود « المستطاع » وهو قليل . وحسبك أن تعلم أنه لا ميزانية لها .. بدأت العمل وسارت فيه وقطعت أشواطاً وليس لها اعتماد مالى !

لم تقف أمام ضيق الميزانية جامدة ، بل تلفتت حولها فلمحت إلى جانبها « إدارة التأمين الاجتماعى » وهى ذات صندوق يتكون ما فيه من النقود التى يدفعها طلبة المدارس الثانوية بقصد التعاون الاجتماعى بينهم ، ينفق منها على من يحتاج منهم إلى المساعدة فى الأغراض والحالات الضرورية . نظرت إدارة خدمة الشباب إلى أختها إدارة التأمين الاجتماعى ، وهشت لها وتلطفت قائلة : ألسنا نتحد فى الغاية وهى العمل لمصلحة الشباب ؟ فلم تضن عليها بل وضعت نفسها وما تملك فى خدمتها أى خدمة الشباب ...

وبذلك استطاعت إدارة خدمة الشباب أن تعمل ، فنظمت

المهرجان الأدبي والفنى ، ودعت طوائف الشباب إلى مشاهدة الأفلام الثقافية فى دارها ، وتعاقبت أفواج منهم فى الاصطياف بمخيماتها على شاطىء الاسكندرية فى الصيف الماضى . وأخيراً تم إنشاء سبعة فروع منها موزعة بمدارس القاهرة ، فى كل منها ما يتيسر من وسائل التثقيف وأنواع الفنون والألعاب .

كل ذلك ليس بشىء إلى جانب ما ينبغي لخدمة الشباب فى هذه البلاد التى تتسكع ملذات أكبادها فى طرقاتها كالـكلاب الضالة .. واذهب إلى الأحياء التى تسكنها الطبقات المتوسطة ، وهى التى يتكون منها سواد الطلبة فى المدارس ، مثل عابدين وجنينة قاميش وبعض جهات شبرا والعباسية ، وانظر ماذا يصنع الشباب فى أوقات الفراغ . . فهذه جماعات على الطوار تحملق فى الغاديات والرائحات ، وتصطنع نوعاً من الغزل « الشوارعى » كثيراً ما يجر المشاكل والمعارك . والمحظوظون السعداء هم الذين ظفروا من ذويهم ببعض النقود فاستبقوا إلى دور السينما والمقاهى . وهذه الطبقات تنعدم فيها أسباب الفائدة فى قضاء أوقات الفراغ إلى ما هو معروف من الفوضى فى حيـاة الأسر وسوء التربية المنزلية ؛ ومن ثم ندرك الحاجة الماسة إلى الوسائل العامة لخدمة شبابنا ، ومما يرثى له أن هذه الحاجة لا يقابلها ما ينبغى لها من الجهود والعناية ، على حين نجد البلاد التى ليست حال الشباب بها كذلك لتقدم الحياة الاجتماعية فيها تهتم بخدمة الشباب اهتماماً لا يذكر بجانبه ما تظفر به هـذه الخدمة فى مصر ، فلو أحصى من تصل إليهم أسباب إدارة خدمة الشباب لم يزيدوا على ألف شاب من القاهرة ، ويبقى بعد ذلك فى العاصمة والأقاليم مئات الآلاف مضيعين ، بل إن الذين يستفيدون فعلا لا يتحقق لهم مما يرجى إلا القليل .

إنه إذا أمكن حصر الخدمات التى تقوم بها الدولة والهيئات للشباب بمصر فى أى تقرير أو بيان ، فإن ضيعة الشباب بهـا لا ينتهى الكلام فيها عند حد ...

من طرف المجالس :

كان موضوع الحديث مذهب « السريالزم » فى الفنون الذى يرمى إلى القضاء على وصفها بالجمـال .. فأنك تنظر إلى الصورة فلا تعرف لها معنى ، وتستمين بصاحبها فلا تجد فى شرحه غناء . والشىء الوحيد الذى تتركه هذه الصور فى نفسك هو تأثرك من بشاعة منظرها وما فيها من العبث بالطبيعة ... وقد سرب هذا الاتجاه إلى قليل من الشعر العربى الحديث ، وإن كان يقف بهذا القليل عند من يأتى به !

قص أحد الأصحاب ما حدث أخيراً فى أحد المعارض الأوربية إذ زاره رسام أمريكى وشاهد فيه بعض الصور مقلوبة الوضع ، وراجع ما كتبه النقاد من أنصار « السريالزم » عن هذا المعرض فوجدهم قد أثنوا على صوره ، وخصوا الصور المقلوبة بوافر الثناء ولم يلاحظ أحد منهم أن أعلاها فى أسفلها وأسفلها فى أعلاها !

قال آخر : العجيب أن « السريالزميين » يقولون إنهم ينتفعون بالنظريات العلمية والثقافات الحديثة ، ولـكن ما أثر هذه النظريات والثقافات فى إنتاجهم هذا ؟

قال ثالث : أثرها واضح يا أخى كل الوضوح .. ألست ترى ما فيها من آثار مذهب دارون فى النشوء والارتقاء .؟

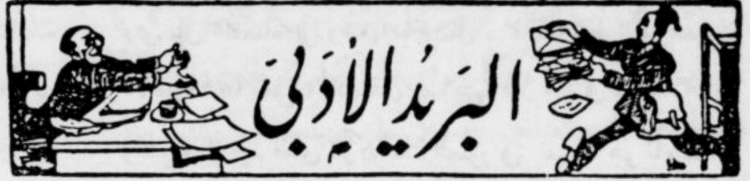
تركيب :

نظرت لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى هذا التركيب : « يحب ابنه كما لا يحب والد ولده » هل هو صحيح ، وما هو التركيب الفصيح الذى يؤدى هذا المعنى ؟

قال بعض الأعضاء إنه تركيب سليم وتخريجه : يحب ابنه مثل حب عظيم لا يحبه والد ولده .

فقال عضو آخر : إننا إذا فرضنا صحته فإن الركاكة بادية عليه ولم اللجوء إليه وإلى تصويبه والتعبير الفصيح الماثل له ورد فى القرآن الـكريم وهو « ومن كفر فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ؟ وعلى ذلك يكون ذلك التركيب فصيحاً هـكذا : يحب ابنه حباً لا يحبه والد ولده . فاستحسن الأعضاء هذا الرأى وأقرته اللجنة .

عباس خضر



كاد (أن) :

درجت أفهم فى صحيح اللغة أن المضارع الواقع فى موضع خبر (كاد) لا يقترن بـ (أن) وذلك هو القياس المطرد ، وكل ما جاء على خلاف فهو من الضرائر — إن كان شعراً — ومن الشذوذ — إن كان نثراً — كقول رؤبة :

ربع عفاه[1] الدهر طـــولا فامحى
قد كاد من طول البلى أن يمصحا[2]

قال سيبويه : وقد جاء فى الشعر (كاد أن) يفعل شبهوه بعسى ؛ قال رؤبة : « قد كاد من طول البلى أن يمصحا » ؛ وكقول آخر :

وجدت فؤادى كاد أن يستخفه
رجيع الهوى من بعض ما يتذكر[3]

فهو أيضاً من الضرائر الشعرية وليس بأصل لحد قول الآلوسى فى « ضرائره » . وقد كنت هكذا أفهم استعمال (كاد) وخلو خبرها المضارع من أن ؛ حتى طلع علينا الأستاذ الزيات صاحب الرسالة وأستاذ البلاغة بالخبر اليقين حين قال[4] : « إن حالتها (تكاد أن) تكون طبيعية ... » فآمنت بخلاف ما كنت أومن، وقوَّى إيمانى به فى حينه ما ورد على الخاطر ممـا ورد فى صحيح البخارى « وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم » ثم ما جاء فى الحديث أيضاً — وهو نادر — « كاد الفقر أن يكون كفراً »

وبعد . فهذا الذى سبق هو مفهومى من القول الفصل مع قصر الباع والذراع ... وعلى المريدين أن يدلوا بدلوهم فى الدلاء كل على قدر شطنه ورسنه ... والسلام .

عدنان

(الرسالة) : الذى نذكره على البعد من كتب المراجعة ، أن الأفعال الناقصة التى يجب أن يكون خبرها فعلا مضارعاً يجب اقترانه بأن فى أفعال الرجاء، ويمتنع فى أفعال الشروع ويجوز فى أفعال المقاربة على قلة فى بعضها وكثرة فى البعض الآخر ، كما نذكر كذلك قول البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختـال ضاحكا   من الحسن حتى كاد أن يتكلما

---

(١) عفاه : درسه . يقال عفـا الربع : عفته الريح أى محتـه فهو (متعد ولازم) . (٢) أمصح : خلق وأغلق .
(٣) البيب لذى الرمة .
(٤) العدد (٨٠٢) من الرسالة ص ١٢٨١ (أسرة طيبة) .

المصحف المبوب :

ما كنت أظن أن نجد فكرة المصحف المبوب معارضاً ، لأنها أمنية طالمـا تمناها كبار العلماء لتظهر بها كل سورة من سور القرآن الكريم متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، معروفة الأغراض ، محددة الأبواب ، وليس هذا علم الله فى القشور ، وإنما هو لب اللباب ، وحدث عظيم فى ترتيب المصحف .

ولـكن كيف يمر هذا من غير معارض ، وقد طال بنا إلف كل قديم ، حتى صار السكون عندنا بركة ، وكرهنا كل حركة ، وأسأنا الظن بكل جديد ، وأخذنا الجديد النافع بذنب الجديد الضار .

وماذا فى فكرة المصحف المبوب من الضرر ؟ يقول الأستاذ الفاضل عمر إسماعيل منصور إنه يود أن يشعر المسلمون بأن كتابهم مقدس ، وليس عرضة لكل مبتكر ، إذ من الجائز أن يختلف والتبويب ، فيظهر المصحف فى عـدة طبعات ، فإذا بوبه اليوم فلان ، فسيبوبه غـداً غيره ، فيقولون قرآن فلان ، ومصحف فلان ، وتكون فتنة ، وكلما تفلسف شخص أضاف فكرة جديدة ، ما دمنا قد فتحنا هذا الباب .

فالأستاذ عمر إسماعيل منصور فى هـذا يكره الابتكار لذات الابتكار ، ولا يفرق فيـه بين نافع وضار ، ثم يوهم أن التبويب سيحدث تغييراً فى نظم المصحف ، مع أنه سيكون بهامشه ولا يدخل فى صلبه ، فمثله كل المصحف المفسر الذى ظهر منـذ سنين ، وتناوله عدد من المفسرين ، ولـكل عدد منهم طريقته فى تفسيره ، وفى موضعه من المصحف باختلاف طرقهم فى التفسير ووضعه ، بل اختلفت القراءات بيننا ، وقيل قراءة فلان وقراءة فلان ، وهو اختلاف يرجع إلى لفظ القرآن ، فلم يحدث منه فتنة أيضاً ، وسيكون هذا شأن المصحف المبوب ، إن شاء الله تعالى .

عبد المتعال الصعيدى

الحصار السلمى فى الشرع الدولى :

هو منع السفن من الدخول أو الخروج من مرافئ الدولة التى يفرض الحصار عليها ؛ وأول مرة وقع فيها ذلك كان عام ١٨٢٧ حينما حاصرت دول فرنسا وبريطانيا وروسيا صرفاً نافارين منعاً للقتال فى بلاد اليونان ، ثم تـكرر ذلك عند ما حاصرت بريطانيا سواحل اليونان عام ١٨٥٠ تأييداً لمطالب أحد رعاياها اليهود ، فتوسطت فرنسا فى هذا الشأن ، وعرضت القضية على

لجنة التحكيم التي ظهر لها بعد التحقيق أن مطالب اليهودى المذكور هى ١٥٠ فرنكا ؛ ووقع ذلك للمرة الثالثة لما حاصرت الدول العظمى عدا فرنسا سواحل اليونان عام ١٨٨٦ ولكن هذا الحصار كان مفروضاً على السفن اليونانية وحسب

ويشترط فى صحة الحصار أن يبلغ إلى الدولة المنزلة (الحيادية) وتعاقب السفن التى تخترق خط الحصار طبقاً لإحدى النظريتين الفرنسية أو البريطانية ؛ فالنظرية الفرنسية تقضى بالقبض على السفينة حتى ينتهى الحصار ، ولا يسمح بامتلاكها واغتنامها ؛ أما النظرية البريطانية فتبيح امتلاك السفن التى تخترق خط الحصار ، وتعدها غنيمة . ولكن النظرية الفرنسية هى المتبعة فى الجمعية الدولية ؛ وقرار مجمع الحقوق الدولية المنعقد عام ١٨٨٧ كان موافقاً لها

محمد أسامة عليبة

أوهام لغوية :

قرأت فى الرسالة العدد ٨٠٦ تحت عنوان سر الحاكم بأمر الله للأستاذ عباس خضر هذه العبارة « ... والحادثة الهامة فى القصة أو المقدة فيها ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول « الحادثة المهمة ؛ ففى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ؛ وأهمك من الأمر ما أقلقك وأحزنك . والهامة ، فى الصحاح أيضاً ، الرأس والجمع هام وهامة القوم رئيسهم .

فى عرض الدكتور على حسن عبد القادر لـ « كتاب البرهان فى وجوه البيان » تحقيق مستفيض عن صاحب الكتاب . وقد كتب فى موضع من بحثه القيم أنه تحقق من « نسبته لأبى الحسين » وهذا وهم لغوى أيضاً ! والصواب قوله : « بنسبته إلى أبى الحسين » . وللأستاذين الفاضلين الخضر وعبد القادر إعجابى وإكبارى .

أحمد عزيز بيتوغن

تصويب :

ورد فى افتتاحية العدد الماضى :

وإن ابن آدم لا يزال عبد العصا وضيعة الدينار

والصواب : وصنيعة الدينار .

صاحب الدولة أحمد حلمي باشا :

فى مساء الخميس الماضى شرف حضرة صاحب الدولة أحمد حلمى باشا رئيس مجلس الوزراء فى عموم حكومة فلسطين دار مكتبة الأطفال وقد كتب دولته فى دفتر الزيارات الكلمة التالية يحيى فيها جهود الدار فى سبيل خدمة النشء العربى ...

مكتبة الكيلانى للأطفال

زرت مكتبة الكيلانى للأطفال فأكرم بها روضة علم وأدب ، وخزانة حكمة ومعرفة . تشرق بمؤلفاته المفيدة ، وتزدان بآثاره الفريدة ، التى تدل على عبقريته ، وحسن اختياره ودقته . كما تدل على عنايته بما ينفع أطفالنا ويهذبهم بالأدب الرفيع الذى يذكى عقولهم ويشرح صدورهم فهى منارة مصر . ومفخرة العصر . حباه الله وأدامه مناراً للعلم والأدب فى شرقنا العربى وأكرم به عالماً نحريراً ، وأديباً كبيراً يزر برده على الوفاء ، ويضم جناحه على الولاء . حفظه الله ورعاه وأدامه لأخيه وصديقه المخلص .

أحمد حلمى

أخطاء مطبعية :

وقعت فى مقالى « دفاع عن الأدب » الذى نشر فى العدد الماضى من الرسالة بعض الأخطاء المطبعية ، وقد رأيت أن أصححها هنا ليستقيم المعنى المقصود من بعض العبارات ؛ أما هذه الأخطاء فتتمثل فى العبارات التالية :

« لئن كانت الإدارة قوام الإنسان الفنان ، فليست قوام الإنسان الفنان ؛ ومتى كان الفن غير ناشئ عن الإدارة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاقى » وصحتها : « لئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير ، فليست قوام الإنسان الفنان ، ومتى كان الفن غير ناشئ عن الإرادة الخ ...

« ولعل فى رى الأدب الاعترافى بالتأنث كثيراً من الإغراق فى التجنى والإسراف والتحامل » وصحتها : « والإسراف فى التحامل » ... « هـذا هو أرى الفيلسوف الإيطالى فى أدب الاعترافات » وصحتها : « هذا هو رأى الفيلسوف الايطالى الخ » « يعرض أمام الناس فترة من فترات حياته بمـا فعلت من خير وشر » وصحتها : « بما حفلت من خير وشر » .

أنور المعداوى



موسى كليم الله (١)

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد مطاوع المدرس بالأزهر

قصة سيدنا موسى ، عليه السلام ، معروفة إجمالا وتفصيلا للخاصة وللعامة من اليهود والمسيحيين والمسلمين شرقاً وغرباً ؛ لأنه نبي معترف بنبوته في الديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام ، وهو أظهر أنبياء العهد القديم ؛ شأناً وسيرة ، وقد تحدث بسيرته « القرآن الكريم » في مواضع عدة حسب مناسبات مختلفة حديثاً لم يتحدثه بأحد غيره من الرسل والأنبياء . وكذلك الأحاديث النبوية ، وتبعتها أحاديث الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأخباريين والقصّاص والمؤرخين والمفسرين .

من أجل ذلك كانت الكتابة المفصلة في هذا الموضوع عرضة لخطر التكرار المملول الذي تضيق به الأسماع والقلوب ، وكان تلمس الجدّة عند محاولة الكتابة فيه أمراً بالغ الخطر واجب الرعاية . وما الجدة المراد تلمسها أمراً متعذراً ولا متعسراً على راغبيها المقتدرين ، وهي ألزم ما تكون لمن يخاطبون بكتابتهم الخاصة لا العامة كمؤلف هذا الكتاب .

ونقرأ هذا الكتاب فنجده خالياً كل الخلو من الجدة ، فهو تأليف بكل معنى هذا اللفظ في أصله اللغوي العام وهو « الجمع » : الجمع لمعلومات أغلبها تافه ملفق وأغلبها جليل صحيح ، فكثيره احتطاب ليل وقليله اجتناء لا حيلة فيه ولا مناص منه ، لأن المعول عليه في القرآن الكريم . ولم يحاول المؤلف الخروج عن الجمع الساذج إلى شيء إلا الوعظ الرخيص وتلمس العبر التافهة بأسلوب ممجوج ، فنحو ثلثي الكتاب عظات واستنتاجات « خطابية » ونحو ثلثه تاريخ مجموع على النحو الساذج الذي أشرنا إليه لم يعن فيه جامعه بما يعنى به المؤرخون على اختلاف مناهجهم وكفاءاتهم وأمزجتهم وأهدافهم .

فهو كتاب وعظ لا تاريخ مع أن صاحبه يتظاهر فيه بأنه مؤرخ لا واعظ ، وهو في حديثه يسوق الكلام إلى مايقبل العقل والذوق وما لا يقبلان . ترصد الصيد عظة رخيصة أو افتعالها . وتكاد تتكرر في كل صفحة « قيل » و « قال » ولا شيء بعدهما عدا العظات ، ولو تأدى تصديق القيل والقال إلى التعرض في المحال والتطوح مع الخيال إلى أبعد حدود الضلال

في الكتب الإسلامية قصص يسميها العلماء « الإسرائيليات » يدور أكثرها حول موسى خاصة وبني إسرائيل عامة ، ولقد حذر « الفاهمون الغُير من العلماء » من التورط في تصديق هذه « الأساطير » التي دسها « الإسرائيليون » في « الإسلاميات » رغبة العبث والضلال ، ورواها عنهم بعض « الطيبين » من علمائنا ، أو نحلها إياهم هؤلاء « الإسرائيليون » ثم نقلها الخلف عن السلف بأسانيدها أو بغيرها بنية « سليمة » ضرورة أن في القرآن آيات تتضمن قصصا لا بد من تفسيرها ، ولم يكن لأحد الجرأة على الخوض في تفسيرها بالحق حيناً وبالباطل أحياناً ، إلا علماء « يهود » الذين عندهم علم « كل » شيء كان وكل شيء « سيكون » فما من أمر في السماء وفي الأرض حدث أو سيحدث إلا وفي « توراتهم » ذكره ووصفه وميقاته وكل ما يتصل به لا مجملا بل مفصلا أوضح تفصيل وأدقه ، ولا ريب أن من القراء من أتاهم نبأ « الإسرائيلي » الذي حدث عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام بأن وصفه وأخلاقه وملبسه ، بل يوم موته بالتحديد مدون في « التوراة » . وإذن فلا ريب أن هذه التوراة قد أحصت كل شيء علماً ، وأحاطت به خبراً ، وأنها صورة من علم الله .

وهذا الكتاب قد حشرت له « الإسرائيليات » حشراً لم يترك منها فيما يتصل بهذا الموضوع حتى ما لم توح به نصوص القرآن ولا يرتضيه عقل مستقيم ولا يقبله ذوق مهذب . وإليك مثلا من عشرات وقعت في الكتاب وُصف الله فيها بصفات « توراتية » معاذ الله فالذي وصف فيها هو « يهوه (١) » رب

(١) ١٨٨ صفحة طبع بدار الكتاب العربي بشارع فاروق بالقاهرة سنة ١٩٤٧

(١) يهوه هو اسم الإله عند اليهود ، وهم لا يتلفظون به فإذا ورد في التوراة استدلوا به (أدناي) ومعناه سيدي

الجنود » كما يسمى اليهود إلههم ويلقبونه . فى هذا المثل ترى « يهوه رب الجنود » فى أقصى جنونه الوحشى يدبر المكايد ، ويتجنى على « الضعفاء » الذنوب ويدفع بفرعون دفعاً إلى الكفر والعناد ثم ينتقم منه أبشع انتقام ويشمت به أقبح شماتة : هذه مؤامرة يشترك فيها « رب الجنود » مع جبريل وميكائيل ضد فرعون الذى وقف مع جيشه على شاطىء البحر متردداً فى اقتحامه خلف الإسرائيليين الهاربين من وجهه ، ووزيره هامان ينصحه بالإحجام فيرسل « رب الجنود » جبريل أمامهم يغريهم ، وميكائيل من خلفهم يزفهم ، ويحسنان لهم عبور البحر ، ويوقظان فيهم شهوة النكال بموسى ، ثم لم يكتفوا بذلك ، فامتطى «جبريل فرساً أنانا عريضة الكفل حسنة المنظر (تأمل هذين الوصفين) فتقدم بها جواد فرعون الفاره وضرب فرسه فتحركت أمامه وجرت تخايله فاندفع جواد فرعون (كذا) وتدافع قومه بعده بخيلهم ورجالهم» ص٨٩ وأتاه جبريل ــ وهو يشرف على الغرق ــ وأراه فُتيا كان قد خطها فرعون بيده مغزاها أن العبد الذى يجحد فضل سيده جزاؤه الغرق فى البحر « فناوله جبريل إياها وأطلعه عليها والماء يلجمه ويغصه ، فعرف خطه وبكى حظه ، ثم ندم ، ولات ساعة مندم .

أرأيت تفصيلات هذه المؤامرة الصبيانية التى لا تليق بإنسان رشيد له قلب يعطف أدنى المعطف فضلا عن إله وملائكته ؟ إن شئت غيرها فأمثالها فى الكتاب كثير تبلغ عشرا وعشرات.

وفى الكتاب عشرات المحالات فى غير ضرورة من دين أو عقل أو ذوق ، وهاك مثلا : أرسل موسى وهو فى التيه ــ اثنى عشر نقيباً من الإسرائيليين « البواسل » إلى أرض كنعان للتجسس ، فلقيهم كنعانى « وهو عوج بن عنق ، وكان فاره الجسم يطاول السماء بقامته ــ رأى النقباء أمامه فأخذهم فى كمه مع فاكهة يحملها من بستانه ، وجاء بهم إلى ملكه ونثرهم بين يديه ... » ص ١٤٩ أين خيال الكاتب الإنجليزى مؤلف قصة « جلفر » وقصوره من خيال سادتنا العلماء « الطيبين » فى هذه « الإسرائيليات » . لقد اشتط القصصى المسكين فى خياله هازلا فما ظفر بغير هذه البدائع « المقدسة » التى أوردها سادتنا الأبرار جادين بل مسرفين فى الجد والإيمان . إن لم تكن أعجبتك هذه فنى الكتاب عشرات أمثالها . ولقد زعمت لك قبل أن المؤلف لم يكن عمله فى كتابه هذا إلا الجمع ، وأنا أنزل عن هذا الزعم هنا مرة واحدة لأن المؤلف استعمل هنا عقله فسكت عما تذكره الاسرائيليات عن « عوج بن عنق » هذا فقد ذكر ما ذكرته من أنه كان « يطاول السماء بقامته » ولكنه لم يقل ما قالته من أنه ــ لطوله هذا ــ كان يمد يده فيخرج الأسماك من أقصى قيعان البحر ويرفعها أمام الشمس فيشويها فى حرارته ويأكلها هنيئاً مريئاً .

والمعجزات فى الكتاب أكثر من أن يحيط بها عقل ، وأعجب كيف حملها الكتاب ، ففى كل حركة يتحركها موسى وقومه وأعداؤه بل فى كل همسة معجزة ضخمة وفى كل معجزة ضخمة معجزات أصغر منها ، وإن تكن المعجزات فى « إقناع » العقل سواء فلا صغيرة فيها ولا كبيرة إلا من حيث المساحة ، وفى الكتاب يبدو « يهوه رب الجنود » الذى اختار « يهود » شعباً له وفضلهم على سائر خلقه ــ يبدو قائماً قاعداً لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ، ولا يهتدى إلى حل مشكلات « شعبه المختار » سواء ما شجر منها بين بعض أفراده وبعض وما شجر بينهم وبين الشعوب الأخرى التى قدر للشعب المختار أن يحتك بها ويساجلها الكراهة والتنازع بل « يتطوع » بكرهها ومنازعتها لوجه « يهوه » أو لوجه « الشيطان »

أورد المؤلف فى كتابه بالتفصيل كل ما قيل فى موسى من الإسرائيليات الواردة فى الروايات الإسلامية ، وألم بأطراف مما ورد فيه ذكر موسى من التوراة ، فتحدث بنسبه ومولده ونشأته وهربه إلى مدين وعودته إلى مصر رسولا ، وخروجه منها ببنى إسرائيل قائداً لهم ، والطريق الذى سلكه بهم ، وما جرى لفرعون وجنده فى مطاردتهم ، وما حدث له ولقومه فى صحراء سيناء من سياسته الشاقة لهم ، ونزول التوراة عليه وعبادتهم العجل فى غيابه ، وقصته مع هارون أخيه بعد رجوعه بالتوراة حين وجدهم يعبدون العجل ، وقصته مع الخضر (العبد الصالح) وقصته مع قارون وإيذائه إياه وانتقام الله منه إذ خسف به وبداره الأرض ومقامه مع قومه فى التيه أربعين سنة ، وقصة بلعام بن باعوراء العالم الإسرائيلى « وكان فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين

يكتبون عنه ويرصدون غزير علمه » فغضب الله عليه لأنه لم يشكره يوماً على ما أعطاه ، وتحدث المؤلف بما حدث على يد موسى من معجزات فى هذه المواقف كلها ، ومن هذه المعجزات ما ذكره القرآن ومنها مالم يذكره و « تطوع » أصحاب «الإسرائيليات» بذكره ، وذكر المؤلف قصة هرون أخيه وموته ثم موت موسى ودخول « يهود » أرض الكنعانيين ، تحت قيادة خليفته عليهم « يهود » إلى « الحجاز » ، ولا موضع لمثل ذلك فى سيرة موسى .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه « اتخذت القرآن الكريم إمامى ، والأحاديث النبوية عمادى ، وآثار الصحابة والتابعين سندى ، ورواية الثقات من المفسرين مرشدى ، وما تراضى عليه المؤرخون واللغويون مصدرى ، ورتبت القول بما يتفق ومجرى الحال من ولادته حتى وفاته » ص ٦ . وهذا تعريف بمصادر الكتاب ناقص من ناحية وزائد من ناحية ، فهو ينقل عن التوراة وكتب علماء الآثار مثلا معلومات كثيرة ، ولا يرفض كثير من « ثقات المفسرين » ما فى « الاسرائيليات » من شطط ومحال . وتعريفه بالكتاب ومصادره وكيفية الانتفاع بها مجمل غامض لا يفيد من يريد المراجعة والمحاسبة .

ومن أعجب العجب فى الكتاب أن مؤلفه إذا ذكر آية من القرآن ذكر رقمها وسورتها ، وينقل عن التوراة آيات برمتها فلا يذكر أرقامها فى إصحاحاتها — إلا مرة واحدة نقل فيها نقلا وأشار إلى أنه من سفر الخروج (ص ١٠٣) دون تعيين الاصحاح ولا رقم الآية فيه — وينقل عن مصادره الأخرى ومنها كتب التفسير وكتب عبرية مخطوطة ، وكتب لعلماء الآثار الغربيين ، وكتب لمؤرخين وطنيين وأجانب فلا يشير مرة واحدة فى هامش صفحة إلى إسم الكتاب الذى نقل عنه صفحة نقله إلا مرة واحدة ذكر فيها خبرا ، وأشار إلى أنه من رواية « الامام القرطبي والنسفى والنيسابورى ، وسواهم من أئمة المفسرين » ص ٢٧ . وهذا سير عجيب بل سير مريب لأنه يفترض أن كل هذه المصادر البعيدة معروفة للقراء فلا داعى لذكرها ما عدا القرآن فهو مجهول ولذلك لا غنى عند ذكر الآية من ذكر رقمها فى سورتها . هذا مع أن الكتاب ألف باللغة العربية كى يقرأه أقل من يعرفونها دون سواها ، فهو يكاد يكون مؤلفاً لعامة المسلمين وحدهم .

والمؤلف يسوق قصة موسى كما وردت فى القرآن وقصته كما وردت فى التوراة على أنهما متكاملتان ، وهذا السياق يوقعنا فى خطأ كبير ، وهأنذا أقرر — ولا أدرى أحداً سبقنى إلى قرارى هذا — أن الصورة التى يتبينها القارىء فى نصوص القرآن لموسى تختلف اختلافاً كبيراً عن الصورة التى يتبينها له من تأمل نصوص التوراة رغم اتفاق القصتين فى معظم الوقائع العامة ، وأن الله فى نظر موسى كما ذكر القرآن يختلف اختلافا كبيرا عن « يهوه » فى نظر موسى كما ذكرت التوراة ، فإن موسى المؤمن بالله الواحد غير موسى الذى اختص هو وقومه بعبادتهم « يهوه » مرة ، و « إلوهيم » — ومعناها الآلهة — مرة أخرى .

والمؤلف ينقل عن التوراة مسلماً بصحتها ، ولا أريد أن أصدمه برأى الثقات من علماء المسلمين ، ومبلغ ثقتهم بهذه « التوراة » كما فهموا من نصوص القرآن ، لا أريد صدم المؤلف بذلك رغم أنه مسلم بل عالم من علماء الأزهر ، ولكنى أشير عليه أن يعيد قراءة التوراة كلها بفهم وتدبر ، وأنا واثق من أنه سيغير رأيه فيها كل التغيير ، وليسمح لى أن أهمس فى أذنه بأن الجهل التام شر من بعض العلم ولاسيما فى هذه المسائل التى تؤخذ كلها . فليحط خبراً بما يريد الاعتماد عليه من المصادر ، وإلا فحسبه مصادره الاسلامية وحدها ، وشفيعه أنه من « علماء الأزهر » لايثق إلا بما يثق به دينه وعلماؤه الفاهمون ، فأما تقحم المعضلات بلا أهبة وخطف جملة من هنا ونبذة من هناك دون استيعاب ولا تمحيص فإثمه أكبر من نفعه .

لقد نقل المؤلف — كما أسلفت — عن كثير من علماء الآثار والمؤرخين الغربيين ، وهو يهتم بذكر التفصيلات التافهة فكان عليه — لذلك — أن ينظر فيما أصدروا من أحكام خطيرة هى فى حاجة إلى إبداء رأيه فيها لخطرها وخطر أصحابها . فالعالم النمسوى المشهور سيجموند فرويد — وهو يهودى غير متهم — يذهب فى ترجمته لموسى أنه مصرى لا يهودى ، ويرى غيره أن موسى مات قتيلا لا حتف أنفه وأن اليهود هم الذين قتلوه حين ضاقوا به وبإصلاحاته ، وغيره يرى أنه تعلم فى « جامعة عين شمس » على أيدى كهنتها ، ومنهم من يرى أن فرعون المشار إليه فى التوراة والقرآن ليس ملكا مصريا بل أحد الحكام الصغار فى أقاليمها الشمالية الشرقية ، ومنهم من يرى أن بنى إسرائيل لم يتوغلوا داخل حدود مصر ، ولم يتجاوزوا حدود صحراء سيناء

أثناء ضربهم فى الأرض شرقا وغربا ، ويستدل قائل ذلك على قوله بسكوت التاريخ القديم عن ذكر هؤلاء الاسرائيليين بأى إسم من أسمائهم المعروفة قديما وحديثا ، ومن هـذه الأقوال ما لا يتعارض مع نصوص القرآن ومنها ما يتعارض معها ، فهل عند فضيلة المؤلف علم شاف بهذه الأحكام التى لم تصدر جزافا ، وهل عنده حجة للرد على ما يتعارض منها مع نصوص القرآن ؟ إنا فى انتظار الجواب ، وهو أولى من يدلى برأيه فى هذا المجال الذى اختص به وعرف فيه حتى ما ذكره الفربيون كما يدل عليه نقله عنهم ، ولعـل فضيلته لا يبخل علينا بالجواب ، كى تتم فصول الـكتاب .

والمؤلف يعلم — أو يجب أن يعلم — من دراسة الفرق الـكلامية الاسلامية ، أن منهـا من تأثروا أو دافعوا أهل نحلة تسمى « المانوية » وكان المانويين يصدقون بنبوة عيسى ويرفضون نبوة موسى ، لأسباب منها أن « الإله » كما وصفته التوراة ، شيطان متوحش شرير شغوف بالخراب والفساد وإراقة الدماء ، وقارىء التوراة إذا حاول أن يتبين صفات « يهوه رب الجنود » وسيرته مع « شعبه المختار » وجب أن يتصوره مخلوقاً شيطانياً لا حد لأنانيته فى الحب والتدليل لشعبه المختار ، وهو أعجز المخلوقات حيلة فى سياستهم وسياسة خصومهم ، فبينما هو راض عنهم كل الرضا إذا هو سـاخط عليهم كل السخط ، وهو مفرط الحقد والـكراهة لأعدائهم ، فهو لذلك ولأنه لا حد لقدرته ولعدم حيلته — ينزل ضرباته على هؤلاء الأعداء فى إسراف وجنون وقسوة لا حد لها ، وينتقم لأتفه الأسباب أبشع إنتقام ، وهو رغم قدرته التى لا حد لها — مخلوق « جبان » يهاب ما لا يهابه إنسان له شجاعة عادية ، فهو ينـكص عن محاربة بعض أعدائه وأعدائهم لأن لهم فى الحروب عجلات قوية فهو يتركهم وشأنهم معهم ، ولا يخوض معهم فى حربهم خوفا من هذه العربات ... إلى غير ذلك من الفروض المستحيلة التى لا يستطيع العقل أن يحتفظ بوحدته معها ، ويكاد ينسحق تحت وطأتها . وكنت أود أن أدلى بتفصيل شاف للقراء فى هذا الموضوع وغيره مما ألمت إليه هنا لولا ضيق المقام وربما قدمت هذا البيان قريبا فى كتابى « أصول الزندقة وتطورها » .

ولقد آن لنا أن ننظر إلى قدماء حكام مصر فى موقفهم إزاء قدماء الإسرائيليين نظرة ترضى الدين ولا تغضب الحقيقة ولست داعياً إلى ذلك عن عصبية للوطن ولا استخفاف بالدين بل عن رغبة فى العدل ومتابعة أحكام العقل ، وحسبنا التهم الباطلة التى ألصقها اليهود بالمصريين منذ آلاف السنين ونقلها عنهم الأمم الأخرى — حتى العرب — دون تمحيص ، وأنا أدعو إلى ذلك عائذاً بالله من شر كل هوى أعمى يدفعنى إلى ما يثلم عقيدتى ، ويضلنى عن الحق .

هذا وفى الـكتاب عشرات المآخذ نـكتفى منها بما أوردناه ونسكت عن بقيتها فلا نذكرها إجمالا ولا تفصيلا .

أما بعد فدار الفـكر العربى طابعة هذا الـكتاب هى وغيرها من دور النشر ، شديدة الضن بمالها وجهدها على المؤلفين الـكادحين ، وكنا نربأ بدار الفـكر أن تنشر هذا الـكتاب ، فإن تـكن غايتها الربح وحده ففى نشر « ألف ليلة » وأمثـاله ما يكفل لها ربحاً أكبر ، وإن كانت تهدف إلى خدمة الدين إرضاء للعامة ففى نشر « دلائل الخيرات وأمثاله » ما يكفل لها ربح رضاهم ومالهم أيضا ، ولقد آن للهازلين أن يجدوا ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

محمد خليفة التونسى



مجنـــــون !!

للكاتب الفرنسى جى دى موباسان

هل أنا مجنون ؟ أو لست إلا غيوراً ؟ لست أدرى ! ولكنى أعانى عـذاباً شديداً . لقد ارتكبت فعلا جنونياً ، فعلا وحشياً حقـاً . ولكنها الغيرة الجارفة ، والحب الطاغى الغادر الذى لا أستطيع منه فكاكا ، والألم الممض الذى أقاسيه ، ألا يكفى كل ذلك لأن يدفعنا إلى اقتراف الجرائم وارتكاب الحماقات دون أن يكون الاجرام متأصلا فى قلوبنا أو فى عقولنا . ؟

أواه ... أنى أتعذب ، أتعذب عذاباً شديداً مستمراً ، مضنياً ، مخيفاً . لقد أحببت زوجتى حباً جنونياً . ولكن ... هل هـذا صحيح ؟ هل أنا حقاً أحبها ؟ كلا . لقد كانت تسيطر علىّ جسداً وروحاً ، وتقيدنى بأغلالها . كنت ولا زلت أحـد ممتلكاتها ، بل لعبتها . كنت عبـد ابتسامتها ، وشـفتيها ، ونظراتها ووجهها ، وتلافيف جسمها . كنت ألهث تحت سلطان جمالها .

ولذلك كرهت فى ذلك الجسد المرأة ، واحتقرتها ، ولعنتهـا . ولا زلت أمقتها ، وأذدريها وألعنها ، لأنها خادعـة ، حيوانية مدنسة ، آثمة . أنها الشيطان فى صورة امرأة ، والحيوان البوهيمى المجرد من الضمير ، والوحش البشرى الذى لا يعرف الرحمة . بل هى أدنى من ذلك ، فلم تكن إلا جسداً بديماً جميلا تسكنه الرذيلة .

إن أوائل أيام صـلاتنا كانت عجيبة جميلة . كنت أرقد بين ذراعيها فى نشوة ، وشفتاها القرمزيتان المنفرجتان ترتعشـان ، وعيناها تثيران فى نفس التعطش إلى الحب . لقد كانتا رماديتين ظهراً ، ثم تميلان إلى الخضرة عند الغروب ، وزرقاوين عند الشروق إنى لست مجنوناً ، ولذلك أقسم أنه كانت لهما تلك الألوان الثلاثة . وتنفرج جفونها الثقيلة فى بطء فتكشف عن نظرة من العواطف المتقدة سرعان ما تتلاشى فأشعر برجفة تهز كيانى ، ورغبة قاهرة فى قتل ذلك الحيوان الثاوى فى ذاتها حتى تصبح لى ... أنا وحدى .

وعندما كانت تخطر فى غرفتى ، كنت أشعر بوقع خطواتها يتردد فى فؤادى ؛ ثم تبدأ خلع ملابسها ، ويسقط رداؤها فتبدو سافرة أمامى . وهنالك تندفع الدماء فى عروقى ، ويلهث صدرى ، وتتخاذل ساقى ، وأشعر برهبة غامضة تجرف قلبى .

كنت أنتظر أولى نظراتها كل صباح ، أنتظرها وأنا فى ثورة وكراهية واحتقار لذلك الحيـوان المتربع فى كيانها الذى كنت عبداً له . أن مجرد تفكيرى وخشيتى من أن تنكشف تلـكما العينان الزرقاوان عن فتور وملل يجعلنى أحس بنار سريعة تتقد فى فؤادى فتحرقنى وتزيد من حنقى وكراهيتى .

وفى ذات يوم لاحظت أنها فاترة نحوى ، فنظرت إلى عينيها فوجدت فيهما تلك النظرة الباردة العابسة . وعندئذ عرفت ، وشعرت ، وأدركت ، لقد انتهى كل شىء ، انتهى إلى الأبد ... ولم يكن هناك أدنى شك فى ذلك ؛ لقد تبين لى الدليل فى كل ساعة ، بل فى كل لحظة .

وحاولت ، وناديت الذراعين والشفتين ، فكانت تتحول عنى فى ضيق وهى تتمتم قائلة دعنى ... أنك ثقيل ... ألا تترك لى فرصة للراحة ؟ !

وعندئذ شعرت بالغيرة المستعرة ، وذقت مرارة الخـديعة ، وضاق صدرى غيظاً ، وعرفت جيداً أنها ملتنى ، وأن شعورها الحيوانى الفاتر الآن سوف يلهبه رجـل غيرى يوما ما . كنت غيوراً فى جنون ولـكنى لست مجنوناً ... كلا ... بالطبع كلا .

وانتظرت وارتقبت ولـكنها لم تخنى . ومع ذلك ظلت باردة هادئة . وكانت أحياناً تقول لى « إنى أنفر من الرجال » وعيناها تؤكدان ذلك عندما كانت ترنو إلى .

وصرت أغار من دلالها ومن برودها ، وأغار من وحدة لياليها ومن حركاتها ، وأغار من أفكارها الآثمة بل من كل شىء يتعلق بها .

كنت عندما أستيقظ صباحاً وأنظر إلى عينيها ، تلـكما العينين الطفأتين ، يضيق صـدرى غضباً وأشعر بثورة جارفة فى نفسى تعصف بى وبنزوة طارئة تدفعنى إلى خنقها ، وأن أضغط على عنقها

الجميل حتى أرغمها على الاعتراف بما فى صدرها من أسرار .

هل أنا مجنون ؟ ... كلا ...

وفى ذات ليلة وجدتها وقد غمرتها سعادة لا أدرى كنهها . فاستنتجت أن عاطفة جديدة قد تولدت فى ذاتها . بل تأكدت من ذلك تأكدا لا يتزعزع . لقد كانت تنتفض انتفاضة من أشبع رغبته ، ملتمعة العينين باسمة الثغر ، مشرقة الوجه . وتظاهرت بعدم المبالاة . ولكنى كنت أراقبها من طرف خفى ، ومع ذلك لم أكتشف شيئاً ! وانتظرت أسبوعاً ، ثم شهراً ، ثم فصلا ، فكانت تزداد جمالاً فى عاطفة غامضة وقد غمرتها نشوة من السعادة المبهمة. وفجأة وضح لى الأمر ، واستنتجت ، وعرفت ! إنى لست مجنوناً . أقسم إنى لست مجنوناً .

ولكن ... كيف أعبر ، وكيف أشرح ، وكيف أفسر ؟ !

كان ذلك فى ليلة عادت فيها من نزهة ممتطية صهوة جواد . وترجلت عنه بوجنتين ورديتين ، وصدر لاهث ، وساقين متعبتين وعينين مجهدتين . ثم تهالكت جالسة على مقعد منخفض . ورأيتها على هذا الحال فعرفت أنها قد وقعت فى حب غيرى . إذن لم أكن مخدوعاً ! وتحاشيت نظراتها وأنا فى ذهول . والتفت صوب النافذة فرأيت الخادم يقود الجواد إلى حظيرته . ثم نظرت إليها ، كانت تتبع الجواد بعينيها ، وهو يسير فى نشاط ، حتى إذا ما اختفى عن ناظريها استلقت على المقعد وراحت فى سبات عميق .

وقضيت الليل مسهداً أفكر . كنت أحاول أن أخترق سراً لا أشك فى وجوده . من ذا الذى يستطيع أن يصل إلى أعماق نفسية المرأة ؟ ومن ذا الذى يمكنه أن يكشف دلالها الغامض وخيالها العجيب ؟

وأصبحت ترحل فجراً وقد امتطت صهوة جوادها فيركض بها فى السهول والغابات . وكانت تعود فى كل مرة مجهدة كأنها مقبلة من موقعة غرامية . وفهمت ، وأصبحت أغار من ذلك الجواد ، وأغار من الريح التى تداعب شعرها ، ومن الأفنان التى تهمس فى أذنيها ، ومن أشعة الشمس التى تقبل وجنتيها ، ومن ذلك السرج الذى يلمس جسمها . أغار من كل هذه الأشياء التى غمرتها بالسعادة والبهجة والنشوة والتى تنهك قواها فتعود إلى فى شبه غيبوبة .

وعزمت على الإنتقام . وجعلت ألاطفها وأوليها اهتمامى . وأمسك بيدها أعينها على الترجل بعد عودتها من نزهتها . وكان الحيوان المتوثب يندفع نحوها ، فتربت على رقبته وتقبله فى خياشيمه دون أن تمسح شفتيها ، وتمتزج رائحتها برائحته الغريبة .

وانتظرت اليوم والساعة ، ساعة الانتقام . كانت تسير كل صباح فى طريق يخترق غابة صغيرة فخرجت قبل الفجر وقد تزودت بحبل ومسدس أخفيته فى صدرى وكأنما أنا ذاهب إلى مبارزة وأسرعت صوب ذلك الطريق ، وشددت الحبل بين شجرتين ، ثم رقدت وسط الحشائش وأنا أرهف السمع ، فسمعت صوت ركضات الجواد آتية من بُعد ، ثم لمحتها مقبلة تحفها الأفنان والجواد مندفع بها . أواه . إنى لم أكن مخدوعاً . لقد كانت فى سرور ظاهر ، والدماء تتصاعد إلى وجنتيها ، وقد تلألأت عيناها وهى تهتز فوق الجواد فى نشوة جارفة .

واصطدم الجواد بالحبل فكبا ثم سقط على الأرض مكسور القدمتين وتلقفتها بين ذراعى القويتين ثم أنزلتها على الأرض . واقتربت من الجواد . كان ينظر إلىَّ فى غضب . ثم حاول أن يعضنى ، فصوبت المسدس إلى أذنه وأطلقت عليه رصاصة كأنى أطلقها على رجل .. على منافس لى . وفى نفس الوقت سقطت على الأرض أثر ضربة من سوط وقعت على وجهى فنظرت فرأيتها تهم بالاعتداء علىَّ مرة ثانية ، فأطلقت عليها رصاصة أخرى فاخترقت صدرها الجميل ...

... خبرنى إذاً .. أأنا مجنون ؟ ! .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة



العدد ٨٠٦ — الاثنين ١٣ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. ٨٠٦ — Lundi — 13 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٨ — ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المنبـــوذة

— ١ —

جمعني مجلس من مجالس المنصورة الأدبية ببعض السيدات الحديثات من اللائي يتزعمن دعوات الخير، ويتصدرن حفلات التـكريم، ويغشين أندية الرياضة. وكان مجلسى من الصالون بين سيدتين رشيقتين أنيقتين لهما اطلاع على الأدب ومشاركة فى الثقافة. فجرى الحديث بينهما وبينى أول الـكلام فيما يشغل الناس من أمر فلسطين ومصير اللاجئين؛ ثم أفضى إلى ذكر ما تبذلان من الجهد الجاهد فى معونة الهلال الأحمر ومبرة محمد على، فنم سياق حديثهما وما شاب أداءه من نبرات الزهو وحركات العجب على ما تضمران من حب الظهور ورغبة الشهرة، فى طوايا ما تظهران من حب الخير ورغبة المنفعة. والمرأة الجميلة الغنية لا تجد فى الحياة المصرية مظهراً لفتنتها، ولا معرضاً لزينتها، ولا سبيلا لشهرتها، إلا فى الحفلات الخيرية والخدمات العامة: فهى تشترك فيها بالشعور والحضور لتظهر، وتتبرع لها بالجمال والمال لتُذكر. بله ما تشعر به من الرضا والغبطة بمنافستها للرجل فى ميدان عمله، ومساعدتها للوطن على تحقيق أمله.

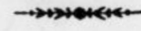
ثم انتقلنا إلى حديث الأدب فذكَّرتنى إحداهما بما كتبته فى الرسالة عن (مثل المرأة الحديثة) فشكرت بعضه وأنـكرت بعضه. وكان الذى أنـكرته ما يرمى إلى تقييد المرأة وقصر كفايتها على تربية الطفل وتدبير البيت ومعاونة الرجل. ثم مضت تنوه بما يكون للمرأة الحرة المستقلة من أثر فى الأسرة وبلاء فى المجتمع إذا شاء الرجال أن يُفردوها بشؤون البيت ويشركوها فى أمور الوطن. وفى اللحظة التى كانت تقول فيها: « إن المرأة روح الأمة والرجل جسمها؛ وإن الزوجة رأى الأسرة والزوج عزمها، طغى على صوتها الحماسى صوت سيدة نَصَف كانت تتحدث فى تأثر وامتعاض إلى هلال من عقائل المدينة فيهن ربة الدار؛ فأصخنا وأصاخ الجلوس فإذا هى تروى حادث الطلاق الذى وقع فى الأيام الأخيرة بين فتى محافظ أبوه من نبلاء الريف، وبين فتاة حرة أبوها من أطباء المدينة. وكان سبب هذا الطلاق الذى أعقب الزواج أن العروس كانت مغرقة فى التحرر، مسرفة فى التجدد، فسمت بنفسها على أسرة العريس، ورمت حماها بالرجعية وحماتها بالأمية، وطلبت أن تسيطر على أرزاق البيت وعلى أذواق أهله، فتبدل أثاث الغرف كل سنة، وتغير زى النساء كل شهر، وتقيم حفلة استقبال كل أسبوع. ثم اقترحت أن يزال الجدار الحاجز بين البهو والردهة ليـكون منهما مرقص متى أريد الرقص ومقصف متى أريد القصف؛ وأن يُقلع الشجر المثمر فى الحديقة لينشأ على مكانه ملعب للتنس وحوض للسباحة. وكان المطلب الأخير ألا يدخل البيت ريفيون من أقارب الزوج ولا فلاحون من رجال العزبة. فلم يستطع الزوج معها صبراً، ولم يجد أبوه لترويضها حيلة، فـكان الفراق وكانت الفضيحة!!

فلمـا سمعت جارتاى الخبر وكانتا على علم به من قبل، قالتا

الصهيونية هى الخطر الأول

فى حاضر الشرق العربى ومستقبله

للأســـتاذ عمر حليق



قد يكون الـكاتب أو القـارئ العربى أو كلاهما مصابا بمركب « اليهودية » إذا جاز لنا استعارة هذا التعبير من مصطلح علماء النفس ، ولـكن أى تعليل لا يعترف بأن المشـكلة الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله لا ينصف الحقيقة ويساير منطق الحوادث والأشياء .

ولنترك الشرق العربى ، ولنترك فلسطين لنتعرف على لون من ألوان الخطورة التى تحيكها اليهودية العالمية فى أمريكا وهى البلاد التى بلغ اليهود فيها أوج النفوذ وما يتبعه من رخاء وقوة وجاه .

فى هذه الحرب الباردة التى يشنها الروس والانجلوسكسون فى برلين وهيئة الأمم وأقصى القارة الأسيوية وفى كل ناحية من نواحى الحيـاة السياسية والاقتصادية والفـكرية تلعب اليهودية العالمية بالنار لعبة أكبر الظن أنها ستحرق نفسها مرة ثانية فى أقل من عشرين سنة . أين تقف اليهودية العالمية — وهى عالية منظمة كما تشهد بذلك فلسطين — أين تقف من هذا الصراع ؟

إن النزاع بين المـاركسية السوفياتية وبين الديمقراطية الانجلوسكسونية حقيقة لا مفر لـكلتيهما من التسليم بها .

فالماركسية السوفيانية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين تعترف فى تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار ، ما لم تحول العـالم بأسره إلى الشيوعية عن طريق الثورة وما يسبقها من ممهدات . فهى بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطير معاً . ولن تنفع فى دفع هذه الحقيقة ملايين الخطب والتصريحات التى تصـدر عن موسكو وعن فيشينسـكى من منار الأمم المتحدة . ذلك لأن هذا التوسع منصوص عليه فى التعاليم الشـيوعية وفى الدساتير الشيوعية وفى ثورات الشيوعية وكتبها المقدسة وفى ماركس وانجلس ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية ، وإن لم تـكن دساتيرها وفلسفتها السياسية وأنظمتها الاقتصادية تتطلب مثل هذا التوسع السوفياتى — فللغرب توسع استعمارى تقليدى من نوع مماثل فى السوء — إلا أن هذا التحدى السوفياتى يضع الديمقراطية الغربية فى نفس الوضع الهجومى الذى تقف فيه روسيا السوفياتية ، ويجعل أمريكا وهى معقل هـذه الديمقراطية فى هذه الأهبة التى تستعد فيهـا المواجهة للتوسع السوفياتى ولسحقه وإبادة الماركسية الثوروية من الوجود فى المراحل النهائية إذا استطاعت ذلك .

أين يقف اليهود ، وهم قومية لها فى كل معسكر جالية ضخمة العدد ، قوية النفوذ ؟

فى روسيا نفسها نجد العنصر اليهودى فى الحزب الشيوعى وفى ألسنته الشعبية والفـكرية بارزا أشد البروز .

فرئيس تحرير برافدا ، وإسفستيا ، وكبار المعلقين فى راديو موسكو ، وكبار كتاب المقالة السياسية (أمثال اهرنبرغ) يهود ، ومراسلا تاس فى أمريكا وفى هيئة الأمم يهوديان كذلك .

وفى بولندا يبرز العنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم هناك أشد البروز فى وجه مجتمع كاثوليكى يمقت بحكم تعاليمه وتأصل التقوى فيه الشيوعية مقتاً — لعل الفاتيكان خير من عبر عنه فى أكثر من مناسبة .

وعلى سبيل المثال فإن الوفد البولندى لهيئة الأمم مؤلف من خمسة أعضاء رئيسيين كلهم يهود .

بلسان واحد : « المودرنة للمودِرن ، والقديمة للقديم ! والمخطئ هو الذى ينزل فى غير أهله ، ويقع على غير شـكله ! » .

ثم تركنا القوم يعلقون على الحادث والحديث بما يشاءون ، وانتقلنا إلى مائدة الشـاى ثم عدنا حيث كنا . وعادت جارتى اليسرى إلى حديث التقييد والانطلاق ، وكانت جارتى الأخرى قد فتحت محفظتها وأخرجت منها قلم الروج أو الاصبع الأحمر وأخذت تجدد به صبغة شفتيها ، ثم أعادته وأخرجت سيكارة انجليزية وأشعلتها ، وقطعت صاحبتها الحديث وفعلت فعلتها . ثم لحظتا بعض الهنوات على زينة المدعوات وأزيائهن ، وتبادلتا بعض الغمزات على كلام المتحدثات وآرائهن . ثم أقبلتا علىّ تستأنفان ما كنا نخوض فيه من الحديث فوجدتانى شارد اللب مطرق الرأس مطبق الجفنين كأنما أخذتنى فترة النعاس ، فقالتا لى : ماذا عراك ؟ فقلت لهما : ذكرى بعثها فى الخاطر هذا الأحمر على شفتيكما وخديكما ! فقالتا : أنعم بذكرى تظفرنا منك بحديث ، وتمتعنا بلذة الموازنة بين القديم والحديث ...

(للحديث بقية)

احمد حسن الزيات

وفى رومانيا مدام بوكر وزيرة الخارجية (وهى ابنة حاخام) تحكم البلاد حكم السيد المطلق السلطة.

وكان لليهود فى انقلاب تشيكوسلوفاكيا اليد الطولى، وفى هنغاريا وقسم الاحتلال الروسى فى النمسا وألمانيا عددهم ونفوذهم فى الحكم والتوجيه الفكرى والسياسى ظاهر.

ترى ما مبلغ عداء العناصر القومية فى تلك البلدان لهذه السيطرة اليهودية؟ لا يمكنك أن تجد الجواب فى الصحف المحلية — فهذا غير معقول — ولا تجده كذلك فى الصحف الأجنبية فى الدول الديمقراطية، فكلمة «اللاسامية» أصبحت — بفضل الضغط والدعاية اليهودية المنظمة — وسيطرتهم على معارض الإعلان ودور النشر والإذاعة والسينما، وباء لا يلمسه الملفقون والكتاب فى العالم الغربى إلا ويضمون مستقبلهم الأدبى والاقتصادى فى يد «الجستابو» اليهودى الذى يطلق على نفسه فى أمريكا «مجمع مقاومة التشهير» وميزانيته للسنة الحالية، ٦ ملايين دولار!

ولكن الظاهرة الخطيرة أن هذا الضغط، هذا الجستابو اليهودى بشدته وجبروته أخذ يدفع العناصر الجريئة فى أمريكا إلى أن تحاربه بنفس السلاح — بالتشهير على طريقة جوبلز. فى النشرة الأخيرة التى أصدرها هذا المجمع اليهودى نفسه يعترف بأن موجة العداء ضد اليهود فى أمريكا قد ارتفعت ارتفاعاً مخيفاً.

وهذه الظاهرة تدعو إلى التساؤل: ذنب من هذا؟ ذنب اليهود أم غير اليهود؟ الجواب أن الذنب على الغطرسة، وعلى روح التحدى والخداع والمواربة التى تتملك العقلية اليهودية فى كل مكان وفى كل جيل فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم فوضى الشغب العنصرى الذى بليت به ألمانيا فى ظل النازية، وبليت به روسيا القيصرية، وأسبانيا الكاثوليكية من قبل، وتبلى به العراق مثلا اليوم.

قلنا إن النزاع بين الشيوعية السوفياتية والرأسمالية الأمريكية حقيقة لا مفر من التسليم بها على شناعتها. واليهود فى أمريكا يعلمون ذلك ويعلمونه أكثر من كل المواطنين، وذلك لأن وعيهم السياسى شديد فهو يتمشى مع عقليتهم ونشاطهم الاقتصادى. ولكن أين يقف اليهود؟

اليهود هم العنصر الرئيسى فى الحزب الشيوعى الأمريكى، وذلك بشهادة هذه التحقيقات التى لا تزال اللجنة البرلمانية الأمريكية تلاحقها منذ أكثر من سنة. واليهود وراء حزب هنرى والاس وهو حزب مهادنة الروس بأى ثمن.

ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيانية فى الجامعات ومعاهد العلم الأمريكية عالية جداً، والكتاب الذين يعالجون مواضيع العلاقات السوفيانية والأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود بينهم عالية جداً، ولذلك كان من الصعب، بل من المستحيل على الأصوات الأمريكية الخافتة التى تفهم قضية فلسطين وقضايا العالم العربى أن تقنع الرأى العام الأمريكى بخطورة محالفة موسكو والصهيونية فى فلسطين، على المصالح الأمريكية.

ولذلك كان من الصعب جداً على خبراء السياسة العسكرية فى أمريكا وبريطانيا أن ينجحوا فى ضم أسبانيا إلى البرنامج العسكرى لأوربا الغربية.

وحتى فى مشكلة برلين، حيث التوتر على أشده بقف والتر ليمان وهو معقب سياسى يهودى خطير النفوذ يطلب أن تحل مشكلة برلين على حساب الشعب الألمانى بأن يبنى خط الدفاع العسكرى فى فرنسا وراء مناجم الرور وفحمه! ويسوى خلاف أمريكا وروسيا، بأن ينسحب الطرفان ويترك الشعب الألمانى لمقدراته، ببؤسه وحطامه ليبيد! ولزيادة التعريف بليمان هذا أقول إنه وضع مشروعاً لحل قضية فلسطين قبل أن يضع تقريره برنادوت بأربعة أشهر، ومشروع برنادوت صورة فوتوغرافية لمشروع ليمان!

ومن قبل والتر ليمان هذا شرع يهودى أمريكى آخر، هو هنرى موجنتاو عند ما كان وزيراً للمالية بواشنطون زمن الحرب وبعد انتهائها، يمحو مقومات الثقافة والاقتصاد والكيان الحيوى لألمانيا بواسطة مشروع جهنمى اكتشف الأمريكان خطورته قبل أن يتم تحقيقه فأقيل مورجنتاو، وهو الآن يدير المجهود الحربى ليهود فلسطين فى أمريكا.

ومن وجهة النظر الأمريكية البحتة فإن إحياء ألمانيا ضرورة لازمة.

ما الذى يفيده الشرق العربى من هذه الصورة اليهودية الخطيرة؟ الجواب يفيد فى مراقبة تسرب النفوذ اليهودى فى ألسنة الرأى العام والتوجيه الصحفى والثقافى فى العالم العربى؛ فحركة «الكاتب المصرى» يجب ألا تتكرر، وديكتاتورية السينما والإعلانات اليهودية والأنباء الخارجية، وتمكن اليهود فى النفوذ الاقتصادى العربى يجب أن يوقف بأى ثمن. إن هذا النفوذ هو الذى أعمى الأمريكان والروس معاً، ومعهم عشرات الدول الأوربية عن مأساة العرب فى فلسطين، وعن مأساتهم فى السودان ومراكش

والجزائر وتونس . كتبت جريدة « الجويش كرونيكل » اليهودية فى لندن تقول إن يهود شمالى أفريقيا يعتقدون بأن كيانهم مرتبط بالاتحاد الفرنسى ، أمام بعبع الجامعة العربية !

وفى عالم مضطرب ، وفى شرق يحاول بناء حضارة ومجد أصيل ، يجب أن يعلم أن اليهودية العالمية تشكل أخطر ما يواجهه من شرور . إنه خطر تكرر فى أجيال سابقة وثقافات سابقة وفى التاريخ لنا عبرة .

(نيويورك) عمر حليق

مجال الأدب بين مظاهر الشعور

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

يرى علماء النفس للشعور مظاهر ثلاثة : فهو تفكير إذا كان بحثاً عن حقائق الوجود لمعرفة أسبابها ، واستنباط قواعدها ، وإدراك ما بين بعضها وبعض من صلة أو تنافر ؛ وهو وجدان إذا صحبه إحساس باللذة والألم ، فالحب والبغض ، والسرور والحزن ، والرجاء واليأس ، والخوف والغضب ، كلها وجدانات تتصل بالنفس فتحدث بها لذة أو ألماً ؛ وهو إرادة إذا حفز المرء إلى العمل ، ودفعه إليه ، كالرغبات والنيات .

وإن بين هـذه المظاهر النفسية اتصالا وثيقاً لا يتأتى معه انفصال واحد عن صاحبيه ، وإن كان المظهر الغالب لأحدها ؛ فمن المحال أن نجد ألماً فى أنفسنا من غير أن نبحث عن سببه ونبذل طاقتنا فى سبيل إبعاده . ويستحيل أن نفكر فى عمل عقلى من غير أن نشعر بارتياح إذا سهل الأمر وانقاد ، وامتعاض إذا اعتاص والتوى . والأعمال الإرادية يصحبها التفكير والوجدان ، ولا تستقل بنفسها أبداً .

غير أن الصلة التى تربط هذه المظاهر بعضها ببعض قد تكون طبيعية ، إذا كانت التجربة نفسها تستدعى هذا الترابط بطريق تداعى المعانى ، كما إذا وصل إليك نبأ نجاحك مثلا ، فإن خواطر شتى تفد إلى نفسك من كل صوب : ما بين سرور وابتهاج بما ظفرت به ، وتفكير فى الوسائل التى انتهجتها ، فوصلت بك إلى تلك الغـاية السعيدة ؛ إلى رغبات وعزمات تصمم عليها ، ويدفعك إليها هـذا الظفر المحبوب ، وبينا ترى بعض هذه الخواطر واضحاً جلياً للنفس ، يحتل بؤرة الشعور أو الحواشى القريبة منها ، تجد بعضها الآخر غامضاً خفياً لا تكاد تشعر به ،

وتكون الصلة غـير طبيعية إذا لم تكن التجربة مستدعية لها بطريق تداعى المعانى ، كما إذا كنت تدرس نظريات الهندسة ، فسئمت العمل وتركته فليس بين نظريات الهندسة والسأم من صلة .

ليس التفكير الخالص بميدان للأدب ، وإنما هو مرتع للعلم وحده ، أما الأدب فمجاله الإحساس بالحسن الذى يثير فى النفس لذة ، أو بالقبح الذى يبعث فيها ألماً ، فالأدب تعبير عن هذا الإحساس ، وتصوير له ، فهو لسان الوجدان وترجمانه ، إذا كان العلم لسان التفكير والمبين عنه .

تسمع قول قُرَيْط بن أُنَيْف يعاتب قومه الذين لم ينجدوه ويمدح بنى مازن ؛ لأنهم أخذوا بيده ونصروه :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصرى معشر خُشُن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ... ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهمُ قوماً إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

فالشاعر هنا يصور لنا نقمته على قومه ، وازدراءه كثرة عددهم لخورهم وجبنهم ، حتى ليقابلون ظلم ظالمهم بالصفح والغفران ، وإساءة المسيئين إليهم بالعفو والإحسان . يلتمسون لضعفهم المعاذير ، من الخضوع لتعاليم الدين ، فكأن الله لم يخلق غيرهم لخشيته . أما بنو مازن فهو معجب ببسالتهم وإقدامهم ، يمنعون حماهم أن يستباح ، ويجد أعداؤهم فيهم خشونة لا تلين ، يسرعون إلى نصرة أخيهم قبل أن يطلبوا منه برهاناً على ما قال ، فلا عجب أن تمنى استبدال قومه بغيرهم .

تحدث الشاعر فى تلك القطعة عن إعجابه وسخطه ، أى عن إحساسه بالجمال والقبح ، ونجح فى تصويرهما ، مستعيناً على ذلك بألوان من الخيال ، تكاد تلمس بها خشونة جانب من نصروه ، وترى بها الشر مكشراً لهم عن أنيابه ، وتبصرهم طائرين لا يلوون على شىء ، ومورداً هذه المناقضات التى ما كان يليق أن تكون ، ومتهكما بهم تهكما مرا لاذعاً ، ويشعر القارىء لهـذا الشعر بلذة أثارها فينا نجاحه فى التصوير ، وبراعته فى التعبير .

بينما نحن لا نعد من الأدب هذه المقالات العلمية التى تخاطب التفكير وحده ، من غير أن تشرك الوجدان معه .

على أن الأديب قد يستعين بقضايا الفكر على تصوير هذا الإحساس ، كما فعل المتنبي عند ما أراد أن يصور حيرته اليائسة من الوصول إلى أن يدرك كنه الحياة ومصير الوجود فقال :

تخالف النــــاس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف فى الشجب

فقيل : تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز والتعب

وهنا نجد الطريق ممهداً للحديث عن هدف الأدب ، والحق أننا نقف بهذا الهدف عند حد الإثارة الوجدانية ، فلا نطالب منه أن يمدنا بأفكار صادقة عن الحياة ، ولا أن يثير فينا النزوع إلى الأعمال الصالحة ، أى أنه ليس مهمته التعليم والإصلاح ، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يزودنا بالأفكار ، أو أن يحرك إرادتنا للعمل ، سواء أكان ذلك مقصود اللأديب أم غير مقصود ؛ فقد يقف الأدب عند حد الإثارة الوجدانية فحسب ، كما فى أدب الطبيعة ، وشعر الغزل وكثير من المراثى والرسائل ، والمقالات العاطفية المحضة ، مثل قول البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختــــال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوّما

يفتّقها برد الندى فكأنه ... يبث حديثاً كان قبل مكتما

فمن شجر رد الربيع لباسه ... عليه ، كما نشرت وشياً منمنما

أحل ، فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين إذ كان محرما

ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجىء بأنفاس الأحبة نعّما

وقول القشيرى :

حننت إلى ريّا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعبا كما معا

فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً ... وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا

قفا ودعا نجداً ، ومن حل بالحمى ... وقلّ لنجد عندنا أن يودعا

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعــا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وجالت بنات الشوق يحنن نزّعا

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى ... وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا

وأذكر أيام الحمى ، ثم أنثنى ... على كبدى من خشية أن تصدعا

وليست عشيات الحمى برواجع ... إليك ولكن خل عينيك تدمعا

وقول ابن الرومى يرثى ابنه .

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى ... فجودا فقد أودى نظيركما عندى

ألا قاتل الله المنــايا ورميها ... من القوم حبات القلوب على عمد

توخّى حمام الموت أوسط صبيتى ... فلله كيف اختار واسطة العقد

على حين شمت الخير من لمحاته ... وآنست من أفعاله آية الرشد

طواه الردى عنى فأضحى مزاره ... بعيداً على قرب ، قريباً على بعد

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها ... وأخلفت الآمال ما كان من وعد

لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه ... فلم ينس عهد المهد إذ ضم فى اللحد

محمد ، ما شىء توهم ســـلوة ... لقلبى إلا زاد قلبى من الوجد

أرى أخويك الباقيين كليهما ... يكونان للاحزان أورى من الزّند

إذا لعبا فى ملعب لك لذّعا ... فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد

فما فيهما لى ســـلوة بل حرارة ... يهيجانها دونى وأشــقى بها وحدى

وحيناً يمدنا بمعلومات عن الحياة ، ونظم الكون والمجتمع على شريطة أن يكون ذلك ممتزجاً بشعور الأديب ، وناشئاً عن تجربة شخصية له ، كما ترى ذلك فى ألوان الأدب الاجتماعى والسياسى وفى شعر الحكمة كقول زهير :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يجعل المعروف فى غير أهله ... يعــد حمده ذماً عليه ويندم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ... ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلــم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقول المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئــيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وما قتل الأحرار كالعفو عنهمُ ... ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وقيدت نفسى فى ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيــالا

من أطاق التماس شيء وغلابا ... واقتساراً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى ... أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقديماً عدوا حسن إيراد الحجة من البلاغة ، وضربوا بذلك المثل بقوله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم ؟ ! قل : يحييها الذي أنشأها أوّل مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون ؛ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

وحيناً يثير الأدب فينا الإرادة ، ويدفعنا إلى العمل . وأظهر ما يتجلى ذلك في الخطابة ، فإنها كثيراً ما ترمي إلى إثارة التفكير المصحوب بالوجدان والمتبوع بالعمل كخطبة عبد الله بن طاهر في جنده ، وقد تجهز لقتال الخوارج : « إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذابّون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ، وأهل معصيته ، الذين أرشدوا وتمردوا ، وشقوا عصا الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون وعدتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع الذي دلكم الله عليه ، والجنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها . غضوا أبصاركم ، وأخفتوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : « إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر » .

فأنت تراه قد أثار وجدانهم ، بما عرضه عليهم من الأفكار ليدفعهم إلى الجهاد .

وكما في الآيات القرآنية التي ترمي إلى تحريك الإرادة مثل قوله سبحانه : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وكقول الشاعر

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزُرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وأكثر ما يحرك الأدب الإرادة من غير أن يأمرها بذلك ، كما في الروايات التمثيلية الخلقية والاجتماعية ، وكما في كثير من الشعر ، وربما كان هذا هو ما حدا الأقدمين إلى أن يوصُّوا أولادهم بحفظه ودراسته ؛ بل ربما كان هو المعنى الذي لحظوه عندما وضعوا لهذا اللون من القول الجميل اسم الأدب . قال معاوية لابنه : « يابني ، اروِ الشعر وتخلق به ، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات فما ردني عن ذلك إلا قول ابن الإطنابة :

أبت لي همتي ، وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مكارم صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

وأنت ترى الشعر نفسه لا يطلب إقداماً ، ولا يحث على ثبات ، ولكنه حديث عن هذا النزاع الذي دار بنفس قائله ، وهو في ميدان القتال ، وكيف استطاع أن يثبت في هذا الميدان ، يحمله على الثبات ماض مليء بالجهاد ، وهمة تأبى النقيصة ، وقلب مولع باكتساب الحمد ، ونفس اعتادت الإقدام على المكاره ، وضرب هامات الأبطال دفاعاً عن مآثره ، وحماية لعرضه . وليس في الشعر سوى هذا ، ولكن معاوية رأى في صاحبه بطلا جديراً بالاقتداء

وبما قدمناه يتبين أن هذا الخلاف على أن الإصلاح الاجتماعي من أهداف الأدب خلاف ظاهري ، يزيله تحديد معنى الأدب ، وتحديد مجاله ، أما وقد قلنا : إن كل ما في الحياة يصلح أن يكون موضوعاً للأدب ؛ على أن يتناول من ناحية إحساس الأديب بما فيه من جمال أو قبح ، فلا ضير على الأديب إذاً أن يتناول مسألة خلقية أو اجتماعية يعالجها ، أو أن يدعو إلى فضيلة أو ينهى عن مأثمة ، على شريطة أن يكون ذلك من تجاربه ، وأن يثير فينا الوجدان ، فيرضى فنعمل ، أو يكره فنكف .

الأديب حر في أن يتناول ما يشاء من تجاربه ، من غير أن نضع له خطة ينتهجها ، وكل ما نطالبه به أن يرسم لنا شعوره ؛ ولذا نرى من الأدباء من أحس بجمال المشورة فمدحها ، كبشار بن برد إذ قال :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فإن الخوافي قوة للقوادم

ومنهم من لم ير فيه جمالاً ، كعبد الملك بن صالح حين قال : « ما استشرت أحداً إلا تكبّر علي ، وتصاغرت له ، ودخلته العزة ، ودخلتني الذلة ، فعليك بالاستبداد ؛ فإن صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون ، فتضعضع شأنك ، ورجفت بك أركانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصائحه » . وكلا القطعتين من الأدب .

أما التعبير الإباحي فليس من الأدب ، ولا الفن الجميل ، لأننا نعني بالإثارة ، تلك الإثارة الوجدانية الروحية الخالصة ، أما إثارة الغريزة الجنسية فليس من عمل الأدب ، ومثل هذا اللون من القول مثل الصور الخليعة الماجنة لا يعدان من الفنون الرفيعة .

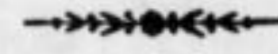
أحمد أحمد بدوي

المدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

طرائف من العصر المملوكي :

عبرتان من عبر التاريخ

للأستاذ محمود رزق سليم



هاتان عبرتان من عبر التاريخ — وكم فيه من عبر — نسوقهما إلى زعماء العرب وشعوبها ، في هـذه الأزمة الخانقة والآونة الحاسمة التي يعبرون بها أو تمر بهم . ولعل فيهما متعظاً ومعتبراً

في كل عبرة منهما نزل خطب ، وألمت شدة ، وحزبت ضائقة ووقف عدو لدود بالمرصاد .

أما في الأولى فقد التأمت الصفوف وتنادت الأصوات وتصافت النفوس ولت الأيدي واجتمع الهوى ، حتى أصبح المسلمون — أو بعضهم — جبهة واحدة ، فردوا العدوان ودفعوا الطغيان وكانت عاقبتهم نصراً مؤزراً وغلباً مظفراً .

أما في الثانية فقد تغيرت القلوب وانتثر الشمل وتفرقت الأيدي ، وأضمر الغدر ، وحيكت الخيانة ، فكانت العاقبة خساراً ودماراً ، وشقوة وبواراً .

هما موقفان من مواقف الأمة المصرية وقادتها ، كان أولهما في مطالع العصر المملوكي ، وكان ثانيهما في أخرياته . يتمثل في الأول مزايا الإقدام والشجاعة ، وعواقب الحزم والعزم ، وفوائد الوحدة والتعاون ، بما يحق الحق ويصون الكرامة ، ويُبقي العزة ويؤثل المجد ، ويضفي المهابة . ويتمثل في الثاني مثالب الخور والجبن ، وعواقب التردد والضعف ، وغرم التفرق والخلف . بما يهدر الحق ويشيع الذل ويمكن للفساد ، ويصوح به نبت الحياة .

أقبل عام ٦٥٦ هـ يحمل في جعابه للأمم الإسلامية سهاماً مريشة ، وعلى مناكبه رماحاً مشرعة ، تنذر بالويل والثبور ، والهلاك والدثور . فها هم أولاء التتار قد نسلوا من أواسط آسيا بعد أن خربوا الديار وأباحوا الذمار ، بقلوب فاجرة ، وأفواه فاغرة وحب السفك تغلي به دماؤهم ، وتضطرب أعضاؤهم ، وقد هيئوا العدة ، وجمعوا الكيد ، فتجهم بهم وجه الأفق ، واربدت بهم صفحة السماء ، واكفهر جو القدر وأرجف المسلمون في كل مصر أن حدثاً جللا سيقع . فتدافعت سيول التتار إلى بغداد والعراق ، بعد أن خلفوا وراءهم أمماً باكية وشعوباً ممزقة وعروشاً مثلولة فأعملوا ببغداد فصول روايتهم ، وأزالوا من سمائها شمس الخلافة العباسية ، وأثخنوا في أهلها ما شاء لهم العرام والشراسة وحب السفك والفتك .

تسامع الناس بأخبارهم في ديار حلب والشام ومصر ، وأخذت الفرائص ترتعد هلعاً وفزعاً تترقب هبوط هذا الوباء التتري آونة وأخرى . وكانت ديار حلب والشام مقسمة دولا صغيرة متنابذة متعادية متواثبة يحكمها بقايا من أمراء بني أيوب . بينما كانت مصر قد تأثل فيها للمماليك دولة عتيدة وسلطنة مجيدة جهد مؤسسها عز الدين أيبك في توطيد دعائمها وتثبيت أركانها منذ عام ٦٤٨ هـ . ثم خلفه ابنه المنصور ، وكان حدثاً صغيراً ، فأقام الأمير « قطز » المعزي مملوك أبيه نائباً لسلطنته وفوض أمور الدولة إليه . وكان على دمشق أمير من الأيوبيين اسمه الناصر ، ترددت الأطماع في نفسه أن يدهم مصر ويستأثر بملكها . فلذلك كان بينه وبين سلطان مصر دخل وجفاء . وبينما كان الناصر بين الخوف والطمع إذ وافته رسل « هولا كو » التتري تطالبه برسالته التي يهدده فيها ويتوعده ، ويدعو إلى الدخول في طاعته . وبين سطورها

يخاطبه ويقرو . « إذا وقفت على كتابي هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه رُوى زمين ، تأمن شره وتنل خيره . كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت من قبل فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى « كروان سراي » ، فإن كانوا في الجبال نسفناها ، وإن كانوا في الأرض خسفناها .

أين النجاة ولا مناص لهارب   ولى البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت   في قبضتي الأمراء والوزراء

فقُـزّعت أحشاء الناصر ، وصُكت ركبتاه ، وسقط في يده ولم يدر ما يصنع . فأرسل إلى « قطز » يستجديه معونة مصر ، بعد أن كان طامعاً في ملكها وكان « قطز » قد شمر بالخطر القريب ، وفطن إلى الشر المرتقب فأخذ يعد للأمر عدته ، ويتخذ له أهبته . وتحيل حتى خلع سلطانه « المنصور » وقفز بنفسه إلى سرير الملك ، ليكون طلق اليد حر الإرادة في تدبير الأمور ، في هذا الوقت الحرج والموقف الشائك . غير أن وثوبه إلى العرش قد أحقد بعض الأمراء عليه وأحنقهم ، فتجهموا له ، وهموا به فأخذ يترفق بالثائرين حتى هدأ من ثورتهم ، ويتلطف بالحانقين الحاقدين حتى فلل من حنقهم وثبط من حقدهم ، واعتذر إليهم بأنه لا مأرب له في ملك أو سلطان ، ولا مطمع في عرش أو تاج وإنما همه الأول أن يكونوا يداً على من سواهم ، وأن يدفعوا عن أنفسهم وديارهم خطر التتار ، الذين ما دخلوا قرية إلا أفسدوها ، ولا مصراً إلا جعلوا أعزة أهله أذلة ، ولا بلداً إلا عبثوا بتراثه ، أولئك التتار الذين ضجت لهم الأرض وملئوا فجاجها بالدماء ، وعُرفوا بأنهم القوة التي تغلب ، والوباء الذي لا يستطاع كفاحه .

ويذكر بعض المؤرخين أن هذا السلطان « قطز » هو محمود ابن ممدود ، وأنه ابن أخت جلال الدين شاه خوارزم الذي أباد التتار ملكه وعفوا أثره . وقع محمود هـذا في الإسار ، وتنقل به ذله من دار إلى دار ، حتى دفع به القدار إلى مصر ، فابتاعه سلطانها « المعز أيبك » فاستأثر برقه . وكان حبيباً إلى قلبه قريباً إلى مجلسه ، أثيراً عند تدبيره . فملا نجمه ، وزكت فيه مخايل الإمارة ، وروى في أعماقه صوت الثأر وصلصل جرس الانتقام فما هو إلا أن ملك الناصية وأخذ بالزمام ، حتى قاد أمراءه وجنوده بمقاد الحزم وذكرهم بواجبهم المقدس حيال الاسلام ، وأنهم إن أحجموا باد . وإن أقدموا ساد . وهاهم أولاء يرون دوله تسقط فتبيد واحـدة إثر أخرى . فراعهم بهذا الخطاب ، وملكهم بمنطقه الخلاب ، فألقوا إليه السلم ، وتوافدوا إلى حظيرته زمراً زمراً ، بعد أن بث فيهم عزماً من عزمه ، وحماساً مما يتقد في جسمه .

تطايرت الأخبار منذ أوائل عام ٦٥٨ هـ إلى مصر ثوب التتار على حلب ودمشق وغيرهما من بلاد المسلمين ، وما اجترحه أولئك الطغاة فيها من قتل وسبي ، وسلب ونهب ، وتخريب وتدمير وتشريد ، وظلم وجور ، وعجت التخوم والمسالك بالفارين واللاجئين من وجه البغي والعدوان .

وجاء النذير إلى مصر ، ووفدت إليها رسل هولاكو — بعد أن أسر الناصر وخرّب دياره — ومعهم رسالة إلى سلطانها يقول فيها : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز ، الذي هو من جنس المماليك الذين هـربوا من سيوفنا إلى هـذا الإقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا . وقد سمعتم أننا قـد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب . فأي أرض يأويكم ، وأي طريق تنجيكم ، وأي بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال » ... الخ .

حزم « قطز » رأيه وشاور أمراءه ، فأيقنوا جميعاً بالخطر

الداهم والشر المستطير. وأنهم إن لم يأخذوا الطريق على عدوهم بقلب شجاع ونفس مغامرة وروح فادية، دهمهم في عقر دارهم، وأزال ملكهم، وخرب ديارهم، وهم البقية القوية من جند الإسلام. ولهم عبرة بما اجترح التتار في الشام والعراق والجزيرة وأواسط آسيا. فقر رأيهم على قتل رسل «هولاكو» وعلقوا رءوسهم على باب زويلة، وأعلنوا في الناس بالجهاد، والخروج في سبيل الله، دفاعاً عن النفس والعرض والدين. وأعجل الجنود عن شئونهم، ودُبِّر المال؛ ورأى السلطان تواكل بعض الأمراء، فقرعهم تقريعاً شديداً، وقال لهم: «يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون. وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته. فإن الله مطلع عليه. وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين» فأقبل الأمراء عليه يقسمون له يمين الطاعة والولاء.

نفر جيش مصر بعدده وعدده، يتقد حماسة ويفيض رغبة في القتال وعلى رأسه سلطانه «قطز» الشجاع الباسل الصنديد. يحف به أمراء باعوا نفوسهم لله، يحدوهم الولوع إلى لقاء التتار، فإما حياة كريمة ونصر مؤزر، وإما موت لا يقاس به موت.

وهناك في عين «جالوت» بفلسطين، التقى الجمعان في معركة حامية سالت فيها أنهار الدماء، وتجمعت أكداس الأشلاء. ولما اشتد وطيسها على المسلمين صرخ «قطز» من الأعماق قائلا: «وا إسلاماه» فدوى صوته في آذان جنوده. وكأنما كانت صرخته إشارة بالكر، أقدموا لا هيبة ولا وجل، وأخذوا التتار من كل جانب حتى قتل قائدهم «كتبغا» وولت فلولهم لا تلوى على شيء. فتبعهم المسلمون إلى «بيسان» فدارت بها رحى معركة جديدة، دحر فيها التتار وأسلموا للفرار، تاركين من ورائهم قتلى قد ضاق بها الفضاء.

استطاع جيش مصر وحده بهاتين الموقعتين أن يحمي بلاد الشام من شر التتار، وأن يقذف بهم إلى غير رجعة بعيداً عن أرض مصر، فلم تطأها لهم قدم. وتعتبران نقطتي تحول حاسم في تاريخ مصر لا تقلان في أهميتهما عن موقعة «العلمين» في الحرب الأخيرة.. وبدت بهما قوة التتار خرافة لا سند لها، وأن التغلب عليها مستطاع، متى صدق الإيمان، واجتمع الصبر والتعاون، واتحدت القلوب. وقد عاشت سلطنة المماليك يمدها بفضل شجاعة «قطز» وموقفه الرائع، أكثر من قرنين ونصف.

أما في الموقف الثاني فقد كان في عام ٩٢٢هـ على عهد سلطان مصر قانصوه الغوري، الذي اقتيد إلى العرش بين بكائه وتحيبه رهبة وإشفاقاً من المصير. فقد كانت البلاد مزقتها الفتن الداخلية والحروب الأهلية، ولج بين بنيها الخلف، وصنع بهم ما يصنع السيف. وخوت خزائنها على عروشها. ولم تعد بها إلا حثالات وشراذم من أمراء وجنود، تملأ كل شرذمة العصبية لنفسها، وحب الجهاد لمنفعتها، غير آبهة لسواها إلا مزاحمة ومجالدة، ولم يعد يعنيهم من شئون البلاد شيء إلا استغلالها. بينما كانت دولة العثمانيين في آسيا الصغرى تبسط سلطانها وتنشر طغيانها. وما وافى عام ٩٢٢ هـ حتى أخذت تمهد لغزو الشام ومصر. ووطئت أنباء استعدادها آذان البلاد. فاضطر الغوري إلى الخروج عن البلهنية والطمأنينة، إلى العمل على اللقاء. وشرع يجمع القادة والجند ويحثهم على التهيؤ للخروج إلى الجهاد، فكان كأنه يستجديهم شيئاً لنفسه، لا أنه يتقاضاهم القيام بواجبهم. لذلك اثاقلوا عنه ولم يخفوا إليه. وكان كل ما حوله يخذل عن القتال ويثبط عن النفور إليه إلا بقية ممن لا تزال بهم بقية من ضمير، وقبس من إخلاص، وإثارة من كرامة.

وكانت بالسلطان غفلة لا تنبغي لمثله في وقت شدة وضيق، وكلما وردت أخبار تومى إلى الصلح والتراضي بينه وبين العثمانيين هش وبش، وهلل وكبر، وفرح واستبشر. ولعله كان يرى من وراء ذلك إلى حسم العداء وحقن الدماء، ولاسيما أن العثمانيين إخوان في الدين. ولكن اللهج بالصلح ضعف، واشتهاء الموادعة خور، والاستسلام للعافية جبن.

وكانت تجيئه رسل السلطان سليم فيبهرونه باللسان المعسول، والهدية النفيسة، فيلقاهم لقاء الحافل، ويعاتبهم عتاب الخليل، وما كانوا إلا ليمهدوا للظفر بالغافلين. وبث العثمانيون العيون لينقلوا إليهم أخبار مصر وجيشها الباسل وسلطانها المغوار، فلم يعمل أحد على قطع دابرهم والقضاء عليهم، وبعث نائب السلطان بالشام إليه يجأر بالشكوى مما بالشام من غلاء فاحش وجدب ضارب، وينكر أن للعثمانيين رغبة في القتال، ويدعو السلطان إلى القبوع والقعود.

ومهما يكن من شيء فقد أنصف السلطان نفسه، وأعد العدة

وأنفق المـال ، وجمع الجند وعين القادة ورتب أمر الخروج إلى الشام لملاقاة بنى عثمان . وهو لا يعلم أن العثمانيين قد اتصلوا ببعض أمرائه فوجدوا منهم نفوساً هزيلة وقلوباً عليلة لا تكبر الأمانة ، وتستعذب الخيانة فى سبيل الطمع غير المشروع ...

خرجت مواكب الجيش تترى ناسـلة إلى دمشق فحلب ، وعليها طلاوة وبها خيلاء ، يحسب من يراها أنها إلى النصر تسير وإلى الغلب تطير . وهو لا يعلم أنها تجمع قوماً إن لم يمزقهم الضعف فقد فرقهم الخلاف ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، عمادها فريقان من المماليك هما « الجلبان والقرانصة » ، وبينهما عداء مستحكم اضـطرمت ناره وتطاير شراره ، وقد تمـكن منهم الفسـاد وحب العناد .

لا نريد أن نسهب إسهاباً تاريخياً فى وصف مظاهر الضعف فى الجيش المصرى ، ولا فى أنباء قتاله حينذاك ، فقد امتلأت بهذه الأنباء بطون الموسوعات .

وحسبنا أن نذكر أن هذا الجيش — على علاته — التى جيش العثمانيين على كثرة جنده ووفرة عدده ، فكاد يذهبه بدداً ويفرقه طرائق قدداً ، وذلك فى موقعة « مرج دابق » لولا أن أطلت الخيانة بقرونها ، وطلع الغدر عليه مطلع الشيطان . فانحاز بعض القادة عن سلطانهم بلا سبب ، ودبت الوقيعة بين القرانصة والجلبان فشغلتهم أنفسهم عن واجبهم ، فكر العثمانيون عليهم وطعنوا القلب ، وفيه السلطان يدافع عن شرفه وكرامته ، وقد أسفه تفرق الأنصار عنه ، وفرار الأصحاب منه . فاضطرب لبه ، وامتلأ بالحسرة قلبه . وفلج لوقته وتهاوى عن متن جواده وتناولته سنابك الخيل . ودارت الدائرة على جيش مصر ، ورجعت إليها فلوله باكية حزينة .

وتعتبر موقعة « مرج دابق » المشئومة من المواقع الفاصلة فى تاريخ مصر . فتحت أمام العثمانيين الطريق إلى غزوها وتمام إخضاعها . وهـكذا جثت مصر والشام أمام الغزاة ، ووقعتا فريستين سمينتين لهم ، فلبثوا بهما زهاء ثلاثة قرون تعسة شقية ، لم تسعدا فيها بيوم هناء .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حديث إلى العرب *

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يأتى هذا الحديث ، ومؤامرة الدول الكبرى على فلسطين العربية تنكشف ، ونوايا الأمم الغربية الكبيرة والصغيرة ومواقفها من الصهيونية والعرب تتضح وتفتضح ، ويظهر خبيئها المستور ، وقد فقد العرب جميع أصدقائهم تحت ضغط المصالح التى فى أيدى الدول الكبرى ، والقضية الفلسطينية تجتاز دورها النهائى ، بعد أن أوشك أن يتم الاتفاق الدولى على تمزيق فلسطين وتقسيمها والاعتراف بإسرائيل دولة الإرهاب ، وجميع التيارات الظاهرة والخفية فى اللجنة السياسية التابعة لهيئة الأمم ، كلها تتجه اتجاهاً واحداً فى مسألتين : هما أن لليهود الحق فى إقامة دولتهم ، وأن تكون القدس دولية يعين عليها حاكم من قبل هيئة الأمم المتحدة ، وأن تتولى لجنة توفيق معينة من قبل الهيئة تحديد تخوم تلك الدولة ، ويكون الباقى للعرب . وسواء اتصل العرب بهذه اللجنة أم قاطعوها ، فهى ستمضى فى مهمتها على ضوء ما تسفر عنه قرارات اللجنة السياسية أو هيئة الأمم .

ولم يكن — كما ترون — لعبث اليهود المتكرر بالهدنة ، ولا لتشريدهم مئات الألوف من العرب الآمنين ، ولا لقتلهم وسيط هيئة الأمم ، ولا لافتضاح المؤامرة بينهم وبين الشيوعيين التى ثبتت بالوثائق والدلائل القاطعة ، ولا لاعتدائهم المتعمد على مقدسات المسيحية والإسلام ، أى تأثير فى تغيير سياسة هيئة الأمم ومجلس الأمن نحوهم ، بل بالعكس كلما زادوا إمعاناً فى انتهاك الحرمات ، وإقبالا على تحطيم كرامة الهيئة ، زادتهم تأييداً وتدليلا .

أما العرب ، فقد تلقوا هذه المؤامرات والمكايد بصبرهم المعهود ... فوفودهم لا تزال تجادل وتكافح فى المجال السياسى الدولى بدون جدوى ، وجيوشهم لا تزال تحترم الهدنة ، وشعوبهم لا تزال تنتظر ما تستقر عليه قرارات حكوماتهم بعد انكشاف المؤامرة ، ولم يكن هذا النضج السياسى لدى العرب الذى أوشك أن يتحول إلى احتراق وخمود ، أى تأثير فى المجامع الدولية والضمير العالمى الخرب بمقدار ما كان لأفاعيل اليهود واعتناقهم مبدأ الاعتماد على الأمر الواقع والتمهيد به إلى تحقيق آمالهم والتدرج به نحوها خطوة خطوة .

ولقد أعذر العرب بصبرهم إلى العالم أجمع ، وسواء كانوا محمولين على صبرهم هذا ، كما يحمل على السقم السقيم ، خضوعاً للضرورات ، وتفادياً من الوقوع فى شرك المؤامرات الدولية التى تتمنى أن يزلوا ويخطئوا لتحكم عليهم ومعها الحجة بإدانتهم ، أم كان صبرهم هذا طبيعة فيهم ونضجاً خلقياً وسياسياً منهم ، وجنوحاً للسلام حين يدعو داعيه ، ولو كانت دعوته خداعاً ... سواء أكان هذا أم ذاك ، فقد وضح الصبح لعيونهم ورأوا على ضوئه كرامتهم المهانة ومركزهم الدولى الممتهن ، وصبرهم المتهم بالضعف والعجز والبلادة ، ومثلهم العليا التى لا تقدر لها ، وكميتهم المهملة التى لا وزن لها ، وفشل هذا الدور من كفاحهم السياسى فشلا ذريعاً لا يمكن نكرانه ولا التهوين من نتائجه .

والسؤال الآن الذى يتردد على فم الدنيا هو : ماذا يفعل العرب بعد ذلك كله ؟ هل يريدون أن يحيوا أم يريدون أن يفنوا ؟ هل يطيلون الصبر على هذه النظرة العالمية الظالمة إليهم ، أم يردون إلى أنفسهم اعتبارها ويثبتون وجودها ؟ هل يريدون أن يبقوا على عدوهم فى ديارهم ليجلب عليهم بخيله ورجله ، وليكون لهم عدواً وحزناً ونحساً ورهقاً وخبالا ، أم يقضون عليه وفى أيديهم روحه قبل أن يستفحل شره ، ويستحيل ذئبه الخسيس إلى أسد شجاع ؟

هل يعلمون ويعقلون أهدافه الواسعة الطامعة فى بلاد العرب كلها من النيل إلى الرافدين ، وما بعدهما ، وأحلامه فى محو أهلها وتحويلهم إلى عبيد وحيوانات بشرية ، وزرعها كلها يهوداً ، أم يغفلون عن هذه الأهداف ولا يدركون مداها ويحسبونها قاصرة على فلسطين الصغيرة وحدها ؟ !

(١) أذيع من محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية فى مساء أول ديسمبر سنة ١٩٤٨

لئن شاء العرب لحولوا سم السرطان الصهيونى الذى فرضته عليهم القوى الغشوم ترياقاً يوقظ بلسمائه وموجماته قوى الكفاح الكامنة فى كيانهم المعنوى والمادى، ويثير فيهم حمى الحقد والثأر ومجازاة الشر بالشر وعزائم المقاومة التى خدروها وأناموها فى عالم لا تنام فيه لقوى الشر والبغى عين!

أجل ... إن شاء العرب، كان فى هذا الشر الجديد ميلاد لقوى جيوشهم الحديثة وحرية اقتصادياتهم الوفيرة، وكان فيه دفع حثيث لهم إلى السباق الدائم بين الأمم نحو العلم المادى الذى يعتمد عليه عدونا، ويسرع إلى استغلال أسراره، يتخذ منها أسلحته وخيوط شباكه حديثاً كما كان يسرع إلى استخدام السحر والجن قديماً، كما ورد فى آثاره ...

وإن شاءوا كان فيه دافع عنيف إلى توحيد قلوبهم توحيداً حقيقياً، يولده الدم المتحد، والعقائد المشتركة، والمصالح المشتركة، والأخطار المشتركة، فلم يعد هذا الزمن يحتمل تفرق كلمتنا وعيشة دولنا عيشة القبائل التى لا تجمعها وحدة متينة، وليصيبن بغداد وعمان والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وصنعاء وغيرها من عواصم العرب ما أصاب القدس وحيفا ويافا إذا قالت كل أمة أو حكومة فيها: نفسى ... نفسى ... وحسب كل جيش من جيوش العرب أن نصره أو هزيمته له وحده!

وهذا التوحيد الحق للقلوب والجهود فى جميع أقطار العرب، هو السلاح الضرورى الأول الفعال الذى لا جدوى لأى سلاح بدونه، وما أتى العرب ولا أصابهم ما أصابهم للآن إلا من تفريطهم فى هذا السلاح. فعلى الشعوب العربية أن تدفع زعماءها وقادتها، إذا ترددوا، على هذا التوحيد دفعاً لا هوادة فيه ولا تباطؤ، فإن الحرب بيننا وبين أعدائنا حرب فى كل لحظة، وعلى كل ثغرة، وفى كل ميدان، ومن كل فرد، فدولة إسرائيل المزورة، إذا قامت، ستكون كلها معسكراً يعمل فيه النساء والرجال والكبار والصغار ليل نهار، ويعده بالأخبار والأسرار، وينفذ خططه طوابيره الخامسة فى كل بلد عربى محيط به، والصهيونيون يعلمون مقدماً ما يبيته لهم العرب وما توعدوهم به من خنق عسكرى واقتصادى وسياسى، ولذلك سيعملون بنفوذهم الذى لا ينكر فى العالم وفى البلاد العربية على إحباط ذلك إذا لم نتيقظ لهم، وسيكون أول عمل لهم هو إفساد ذات البين فى علاقات الشعوب العربية داخلها وخارجها، وضرب طبقاتها وأحزابها بعضها ببعض عن طريق الدعوات الاقتصادية والعمالية، وإفساد عزائم الشباب وقوامهم بإضرام الشهوات وشغلهم بها عن آفاق مجدهم وكرامتهم، وعما يبيت لمستقبل أوطانهم وعقائدهم.

والصهيونيون لم ينالوا ما نالوه من نفوذ بالغ فى العالم، ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بشعورهم بجنسهم المشترك وهدفهم المشترك وتوحيد قيادتهم وتدبير خططهم، وتوزيع رجالهم على المعسكرات العالمية المختلفة، وصدورهم كلهم فى جميع أنحاء العالم عن رأى واحد وقلب واحد. ولا شك أنهم لم يكونوا لينالوا ما نالوه، لو أنهم افترقت قلوبهم وتخاذلت قواهم وشكوا فى قادتهم. فإذا أراد العرب أن يخنقوا دولتهم، فلا سبيل إلى ذلك إلا بدوام إذكاء الشعور بوحدة العرب، وبإيقاظ كل فرد إلى أداء واجبه فى ضرائب الدم وضرائب المال، وتضحية الصغائر والكماليات، حتى يتغلب الجسم العربى على سموم هذا السرطان!

وإذا كان الصهيونيون يحاولون أن يسرقوا ويغصبوا ديارنا، لأنهم يدركون أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية لهم، فأولى بنا ونحن وارثوها والمالكون لها، أن يكون دفاعنا عنها أضعاف هجومهم عليها!

أجل ... أولى بصاحب الدار أن يقاتل أضعاف قتال اللص، فلا يكون اللص أعرف منه وأكثر تقديراً لممتلكاته وأشد حرصاً على اقتنائها. وإذا كان هذا هو المعقول والواجب فى الدفاع عن دار ومتاع خاص، فإنه أكثر وجوباً فى الدفاع عن الأوطان والمقدسات والحرمات. واليهود يدفعون دماءهم وأموالهم وجهودهم راضين مغتبطين، لأنهم يشترون بها وطناً وأملا وتاريخاً مزوراً مفقوداً، منذ ألفى سنة، فأولى بنا ونحن نملك الوطن والأمل والتاريخ ألا نضيعه، وإلا كنا غير جديرين به ولا بالحياة. ومعاذ العرب أن يرضوا لأنفسهم وأمجادهم أن تفنى، ولكرامتهم أن

تهان على هذه الصورة وعلى رؤوس الأشهاد فى أشد قضايا التاريخ ظلماً وبهتاناً !

وإن الجامعة العربية لتهيب بالشعوب العربية وتنادى كل فرد عربى أن يجند نفسه ويثير جميع قوى الكفاح التى ترسب خثارها فى دمه للدفاع عن مثله العليا وأوطانه وكرامته ، وهو الذى لا ينام على ثأر ولا يرضى بضيم ، فما بالهين على العربى أن يرضى لكرامة شعوبه ودوله السبع أن تداس فى مجتمع الدول لإرضاء طغمة من الإرهابيين أعداء البشر بإقامة دولة ملفقة لهم فى أعز بقاعه عليه ، وفى مهد المسيح الذى عبد قلوب البشر للسلام ، وكانت دعوته وروحانيته وحياته كلها رداً على مثل اليهود وأخلاق اليهود ومادية اليهود ، الذين يريدون أن يقيموا دولتهم على أرض مهده ، بعد أن طردت روحه منها « رأس الأفعى اليهودية » وشردتها .

وإن ما لدى العرب الآن من قوى معنوية ومادية راهنة ، تتزايد على مر الأيام ، لكفيلة إذا صمم العرب وتيقظوا وعملوا ، أن تحطم هذه الأفعى ، مهما تألبت لنصرتها قوى الشر والظلم ، وإن أصوات شعوب العرب وساستهم ورجال حكوماتهم قد أصبحت كلها تتنادى فى كل قطر بوجوب استئناف الكفاح فى الميادين كلها وتعبئة القوى جميعها . وقد تساوى رأى المتطرفين والمعتدلين فى البلاد العربية فى وجوب أخذ الأمر باليقظة والعمل الدائم والكفاح المستمر ، بعد أن تكشفت الرغوة عن الصريح فى سياسة الأمم المتحدة !

دعونا من حديث الماضى ومسئولياته ، فإنه حديث يبلبلنا ويفرقنا ، ولننظر شعوباً وحكومات إلى الحاضر والمستقبل بروح السخط والاحتقار لروح الغرب وضميره ومنظماته التى سمحت لنفسها أن تمكن للسارق فى دار المسروق ، مما لم يحدث له مثيل فى التاريخ ، ولنتفاءل ونأمل ولا نيأس من روح الله ، ولكن تفاؤلا غير غافل ولا أبله فى هذا الصراع الذى ربما يطول ، ولنحذر حرب الإشاعات الكاذبة التى هى من أسلحة عدونا ، وليكن شعارنا : هو الإيمان بحقنا ، والإصرار عليه ، والعمل على نواله بكل قوانا المادية والمعنوية !

عبد المنعم خلاف

شاعر وعصفور

(فى أحد الأيام استفاق الشاعر من قيلولته ، على صوت عصفور صغير دخل غرفته ، وراح يدف بجناحيه على أرضها وهو يحاول الطيران . فآواه الشاعر عنده أياماً ريثما قويت جناحاه ثم أطلقه . وقد أوحت له هذه الحادثة القطعة التالية)

أهلاً بعصفور صغير لاجىء ... قذفت إلىَّ به يدُ الأقدارِ
ما ذا أتى بك يا صغير لغرفتى ... أحسبتنى طيراً من الأطيار
هل أملك البلهاء للطيران قد ... ساقتك لكن قبل حين مطار
كم ذا ترفُّ لكى تطير مسارعا ... والهر منتظرٌ بأرض الدار
فاشكر إلهك إذ هداك لساحتى ... فكفاك عطف الوالدين جوارى
وحللت من كنفى بعش آمن ... أحمى وأمنع من ذرا الأشجار
لك من خيالى إذ تطير مرافق ... ومتى صدحت أجبت بالأشعار
أرفقت لى فأتيت تؤنس وحشتى ... يا ألطف الخلان والزُّوَّار
حسبى وحسبك جو شعر آمنٌ ... فالجوُّ ممتلئٌ من الأخطار
عجباً كلانا طار قبل أوانه ... ونأى الطموحُ بنا عن الأوكار
فبدأت بالأسفار مثلى يافعاً ... وأنا بلغت نهاية الأسفار
فوقانى الله الوحوش أناسياً ... ويقيك ربك كل طير ضارى
مرِّن جناحك فى فنائى طائراً ... ثم انطلق لتطير دون عثار
لا تخش من أسرى ففيه لك البقا ... ما إن ترى حرية كإسارى

(دمشق) **أحمد الصافى النجفى**

حب المنطق

(مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ ثروت أباظه)

تعشَّقتها حسناء يحرُسُ حسنها
وتحمى جناها حارس من ضميرها
يرفُّ ضياء النُّبل فوق جمالها ... ويأرج عطر الطهر فوق عبيرها
لقد أقبلت تختال فى ثوب عفة ... فيا حسنه ثوباً سما عن حريرها
إذا ضمَّنا صفوُ اللقاء تمثلت ... لعينى ملاكا من سمو شعورها
فأنهل من كأس يضاعف نشوتى ... شمائل ساقيها ولطف مديرها

توفيق عوضه

الصداقة في رأى ابن المقفع

للشيخ محمد رجب البيــــومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

فى رأيي أن تشدد عبد الله فى اختيار رصفائه قد جمله فى جنة وارفة من إخوانه ومحبيه ، فكانوا قرة عينه وبهجة فؤاده ، يهيم بأحاديثهم ويهيم بأخبارهم ، ولم يؤثر عنـه أنه ارتاب يوماً من الأيام فى أحدهم فظن به الظنون ، وهذه مزية التحفظ الشديد ، ونحن نسمع فى كل مكان من يندبون الوفاء ، ويبكون النبل فى الحياة ، زاعمين أن الصداقة سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فـكل قرين يشكو من قرينه فى الـكثير الأغلب ، وسبب هذه الضجة المفتعلة ، أننا لم نفهم الفرق الواضح بين الصداقة والصحبة ، فإذا صاحب إنســان زميلا وقدم إليه بعض المعونة الأخوية ، ثم وجد منه نفوراً لا ينفق وما أسلف إليه من نفع ، قام يندد بضياع المروءة والوفاء وأولى به أن يندد بنفسه ، إذ لم يختر من يجزيه الإحســان بالإحسان ، بل عمد إلى طينة سنجة ، فغرس فيها بره ثم تعهده بالرى فمات الزرع ، وجف الماء ، ولو أنه غرس معروفه فى تربة مختارة منتقاه ، لآتت أكلها ولم تنقص منه شيئاً ، ولأبصر نفسه — كابن المقفع — فى جنة مورقة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ولـكن فاته ذلك فى حينه فهب من فوره يبكى المروءة ويندب الوفاء !! . . لا يا هؤلاء . . .

ونحن نعلم أن الأديب أو الفيلسوف أو كل ذى موهبة فنية ، فى حاجة ماسة إلى من يجاذبه أطراف الحديث ، ويخوض معه فى شتى الأبحاث ، ولقد تألقت فى عصر ابن المقفع كواكب لامعة فى سماء الأدب ، وكانت صلته بها صلة مودة وحب ، فهو صديق الجميع يؤثرهم ويؤثرونه ، وأنت تعجب كل العجب حين تراه يجمع بين صداقة المتناصرين والمتباغضين ، فهو صديق حماد وبشار ووالبة وإبان ومطيع ، ولا ريب أن عبد الله كان يلاقى كثيراً من الإرهاق والعنف فى التوفيق بين أمزجة متباينة ، ونفوس متصاولة ، وكنت أسأل نفسى مراراً ألا يكون الجمع بين صداقة الأضداد مما يحدث لديهم الريبة فى نفس عبد الله ؟ وهل يطيب لبشار مثلا أن يبوح بسره لصاحبه وهو يعلم أنه صديق حماد ؟ سؤال دقيق يتطلب إجابة دقيقة ، وكأنى بابن المقفع وقد أدركه تمام الإدراك ، فأجاب عنه فى ملاطفة هادئة حيث قال « وإذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك ، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه عنك أو لعورة يسترها منك ، أو غائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما أغناه أن يحضره ذو ثقتك » وهذا كلام مقبول من بعض نواحيه ، وإن كنا لا نميل إلى الأخذ به ، لأن كل خصيم من بنى الإنسان يسلق خصيمه فى غيبته وحضوره بلسان حاد ، وخاصة إذا كان من طراز حماد وبشار ، فلو أن ابن المقفع تصدى دائماً للدفاع عن أصحابه لثقل كثيراً على أعدائهم وما استطابوا ذلك منه فى كثير أو قليل ، وما كان أغناه عن هذا المأزق الحرج ! على أنه — فى الواقع — لم يثبت على رأيه الأول فقد اتضح له تطرفه الزائد فأتى بما يناقضه حين قال فى موضع آخر « إن من علامة الصـديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً ، وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لصديقى محباً وإنه يهون على قطيعة من كان كذلك » وإذن فقد اتفق معنا الـكاتب ، وتحلل من رأيه الأول ، بعد أن خطأه الواقع المرير .

ولقد كانت المجالس الأدبيـة — كما هي الآن — لا تخلو من نقاش حاد يتطاحن فيه الأصدقاء ، وكل يؤيد رأيه بما يسعفه خاطره ويرتاح إليـه ضميره ، ولـكن من الناس من لا يراعى حرمة الحديث ولا يصون كرامة الصـديق فيندفع فى تنقصه اندفاعاً يخرج به عن حدود اللياقة والذوق ، وكان عبد الله يضيق بهذا الطراز من الأصدقاء منتهى الضيق ، ولقد كتب الفصول الممتعة فى أدب الحوار وطريقة الحديث ، فكان مرشداً حـكيما لأصدقائه ومريديه . اسمعه يقول فى نصح وتوجيه « لا تلتمس غلبة صديقك والظفر عليه فى كل رأى ، ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان ، وحجتك عليه إذا وضحت ، فإن إخواناً قد يحملهم حب الغلبة وسفه الرأى فى ذلك على أن يتعقبوا الـكلمة بعد ما تنسى ، فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الأصحاب ، وذلك ضعف فى العقل ولؤم فى الأخلاق » والناس هم الناس فى

كل زمان فما يشكو منه ابن المقفع أشكو منه الآن ، بل ربما وجد في زماننا من يفوق من تقدمه ، في مضمار التوقح والسفه ، فيختلق الرأى الدنىء اختلاقاً ، ثم ينسبه إلى غيره منددا مشهراً ، وهناك قوم من المتناظرين لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ، فمتى يعتصم هؤلاء بحبل من الخلق القويم ؟!

ويلوح لى أن الكاتب كان ملتهب الصدر من هذه الناحية — وحق له أن يلتهب — فلم يكتف بما سطره فى الأدب الكبير والأدب الصغير مما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بل عقد فى « كليلة ودمنة » فصلا مسهباً يدور حول هذا الموضوع ، وقد جعل فيه اللسان أساس المصائب ، ومفتاح النوائب ، فهو يقذف بالكلمة الواحدة صغيرة ضئيلة فتبدد الشمل ، وتفرق الجمع ، وتوقد نار الحرب ، وأمام القارىء باب « البوم والغربان » وفحواه أن معركة حامية قامت بين الفريقين بسبب غراب طائش تكلم فى حق البوم بما لا يليق ، وبعد أن فصل الكاتب قصته تفصيلاً منطقياً يستشرف إلى النتيجة الحاسمة ، عمد إلى هدفه الأصيل ، فقال على لسان بوم يتوعد الغراب الأحمق ، ويهدده بعاقبة لسانه ، وما جره على قومه من كوارث فادحة يتفجر لها براكين العذاب .

قال الكاتب الحكيم « اعلم أن السيف يقطع به الشجر فيعود فينبت ، والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب فى اللحم ثم ينزع فيخرج ، والنصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تستخرج ، ولكل حريق مطفىء ، فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللحزن الصبر ، ونار الحقد لا تخبو أبداً . وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر العداوة والبغضاء »

وأنت لو فتشت فى كتب التربية والأخلاق ما وجدت توجيهاً أفضل من هذا التوجيه . وليت شعرى من يبلغ مبلغ ابن المقفع ؟ وقد رسم القاعدة أولا ثم ثنى بالدليل المسكت ، وعقب أخيراً بالمثال الحكيم .

بقيت مسألة دقيقة تجول فى خاطر كل صديق ، وهى تحديد العلاقة بين الصداقة والنفعة ، ونحن نرى كثيراً من الكاتبين يلقون القول على عواهنه فيحكمون أن الصداقة تتعارض مع النفعة تعارضاً تاماً ، وأن الذى يصادق ليقطف ثمرة ، أو يحصد ذرعاً فهو نفعى وصولى ، مع أن هناك ناحية لا يجب أن يغفل عنها غافل ، وهى أن النفعة والصداقة صنوان متلازمان لا يفترقان ، وأن الخلاف لا ينبغى أن يتجه إلى المفاضلة بينهما كمضوين منفصلين ، إذ ما من صديق إلا وينتفع به صديقه إن مادياً وإن أدبياً ؛ فهو على الأقل يرفه عنه همومه ، ويتحمل جانباً من سره ، ويزيل ما بنفسه من كبت داخلى قتال ، وكل أولئك منافع غالية لا تقدر بمال أو عتاد ، ولكن ينبغى أن يتجه الخلاف إلى ناحية أخرى تأتى بعد التسليم بحدوث النفعة من الصداقة ؛ ولعلها تنحصر فى السؤال الآتى : هل تكون الصداقة وليدة النفعة ؛ أو تكون النفعة وليدة الصداقة ؟ ! فإذا كانت الصداقة وليدة النفعة فهى الصداقة الوصولية المادية التى يحتقرها المثاليون ، ويزدريها الأخلاقيون ، والتى ندد بها ابن المقفع أشد تنديد فى مواضع عدة من كتاباته . وقال عن أصحابها فى تبرم واضح « ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطى كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير ، لا يريد بذلك نفع الطير ، وإنما يريد بذلك نفع نفسه ؛ فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد » .

أما إذا كانت النفعة وليدة الصداقة فهى بلا ريب مودة مثالية فاضلة ينشدها عشاق الفضيلة وأرباب المروءة ، إذ أن الإنسان مهما عظم جبروته وطغى سلطانه ، فى حاجة قوية ، إلى من يطلع على خبيئة سره ، ويستكشف ذات صدره ، فيشاركه الرأى ويقاسمه التفكير ، وهذه هى الصداقة بمعناها الصحيح ، وقد حبذها ابن المقفع بكل قواه ، وله فيها حكم بينة ، كأن يقول « اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى الشدة ، ومعونة على خير المعاش والمعاد ، فإذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية ، فاعلم أنك قد ابتليت معه إما بالمؤاساة فتشاركه فى البلية ، وإما بالخذلان فتحتمل العار ، وأن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معموراً ، ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم بالمرصاد ، فإن الكريم إذا عثر لا يأخذ بيده إلا الكرام ، كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة » .

وباب الحمامة المطوقة فى كتاب « كليلة ودمنـة » يدور حول المنفعة المتولدة من الصداقة ، بل أن ابن المقفع جعل مزية الصداقة الوحيدة هى ما يعقبها من معونة الأصدقاء ، ومسـاعدة الإخوان ، فالحمامة لم تنج من الشرك إلا بفضل صديقها الفأر ، والظبي لم يفلت من الصياد إلا بمعونة صديقه الغراب ، والسلحفاة لم تتمتع بالحياة إلا بمساعدة الجرذ ، وهـكذا يضرب الحـكيم النابغة أمثاله للناس « وما يعقلها إلا العالمون » .

وإذا كان الرجل قد أجاد فى الحديث عن الصـداقة إجادة محمودة ، فإنه أبدع فى الـكلام عن العداوة إبداعاً يستدعى الانتباه ، ويقيني أنه لم يلح فى إكبار الصداقة إلا بعـد أن حيكت له الدسائس ، وذاق من الأعداء صنوفاً أليمة من الـكيد والختل ، وليس بغريب على نابغة كابن المقفع أن يكثر حساده ومبغضوه ، وهل يحسد من الناس غير المبجل فى عشيرته ، المعظم فى دولته ؟ وهل يتعرض الشانئون لغير من يبزهم فى المنزلة ، ويرتفع عنهم فى المـكانة ، ألم يطعنوا على الرجل فى دينه وخلقه وتقواه ! ! محن مظلمة غشيت النابغة العظيم كقطع الليـل فملمته كيف يجيد الحديث عن الوشاة والأعداء ، بل إن أعظم فصل فى كليلة ودمنة وهو باب الأسد والثور يدور حول الأفاكين من الوشاة ، وكيف يبذرون بذور الشقاق بين الأحبة والأصفياء ، وقد اصطبغ فيه حديث الـكاتب بصبغة شاحبة مشجية حتى لتتصور كلماته أنيناً يتردد فى قنوط وحرمان ! !

وقد يبدو لمن يطالع ابن المقفع فى باب العداوة والـكيد أنه عفو صفوح يتتبع السيئة الحسنة ، لأن له من العبارات ما ينطق بالتسامح والحنو كأن يقول « ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، وللعامة بشرك وتحننك » ولـكن من يتعقبه تعقباً جدياً يدرك مقدار يقظته وانتباهه ، وما أحب أن أحلل أقواله تحليلا يتشعب معه القول فى فجاج شـاسعة بل أنقل إلى القارىء بعض ما أثر عنه فى مؤاخذة الأعداء ، قال ابن المقفع

١ — إن كنت مكافئاً بالعداوة والضر فإياك أن تكافىء عداوة السر بعداوة العلانية ، وعداوة الخاصة بعداوة العامة ؛ فإن ذلك هو الظلم . ومن الحيلة فى أمرك مع عدوك أن تصـادق أصدقاءه ، وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم فى سبيل الشقاق والتلاحى حتى ينتهى ذلك بهم إلى القطيعة والعداوة له .

٢ — قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ، ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلها ، وإذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل .

٣ — الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فإن كان بعيداً لم يأمن سطوته ، وإن كان مكثباً لم يأمن وثبته ، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره ... وإن صرعة اللين والرفق أسرع وأشـد استئصالا للعدو من صرعة المـكابرة ، فإن النار لا تزيد بحدتها وحرارتها إذا أصابت الشجرة أن تحرق ما فوقها ، والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها .

وقد يوجد من يؤاخذ ابن المقفع على اختراع هـذه الأسلحة الفتاكة فى حرب العدو ، وربما ظن الظنون بنابه الأزرق ، وشك فى دخيلة نفسـه ونحن لا نتردد فى تبرئة الـكاتب مما قد يعلق ببعض الأذهان حيث لا نرى جناحاً فى الـكيد لمن يسوء ، بل أن على الرجل الذى يحترم رجولته أن يضرب أعـداءه ضربة قاصمة حتى لا يسمح للعقارب المؤذية أن تنفث سمومها فى الظلام !

لقد اجتهد عبد الله فى تحديد قوانين الصداقة والسمو بها إلى أفق ملائكى تهب فيه النسمات العاطرة ، ولـكنه اصطدم بغرائز دنيئة تدعو إلى الهبوط فى وهدات مظلمة منتنة ، فلم يجد بداً من محاربتها محاربة صارمة حتى يهىء لمثله العليا أن ترفرف فى جوها الرفيع ، ولقد مات الـكاتب وترك من أقواله فى الصداقة ظلا وارفاً يفىء إليه المخلصون ، فيأكلون من ثمره الحلو ، ويستنشقون نسيمه المنعش فى لذة وارتياح .

حسب ابن المقفع وفاء أن تتقطع أحشاؤه شوقاً إلى أصدقائه ، وأن يأرق فى حنادس الظلام ليسائل البرق الخاطف عن أصفيائه الأعزة ، ثم يعمد إلى قلمه الرشيق فتسجل عواطفه الجياشة الموارة ، فى سطور عبقة يتضوع أريجها مدى الأحقاب المتتاليات !

أى نابغة الفرس العظيم ، لقد دعوت إلى مكارم الأخلاق فى دنيا وضيعة دنيئة ، وناديت بالوفاء فى معشر جبلوا على الخيانة والغدر ، فهنيئاً لك كفاحك المرير فى حومة الشرف ، وجهادك الشاق فى ساحة النبل والوفاء .

فقل للذى يبغى مداه منافساً طمعت لعمر الله فى غير مطمع

(جزيرة الروضة) **محمد رجب البيومي**

الأدب والفن فى أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو :

لقد بذل لبنان منتهى النشاط فى الإعداد لمؤتمر اليونسكو ، وأنفق كثيراً فى الأوجه المختلفة المتعلقة به من تشييد وتأثيث وضيافة وغير ذلك . ودعت مصر أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو إلى عقد دورة فيها عقب انتهاء مؤتمر بيروت العام ، فلبوا الدعوة وسينزلون ضيوفاً على الحكومة المصرية من يوم ١٢ إلى ٢٦ ديسمبر الحالى ، ويزورون فى خلال ذلك المتاحف والآثار ، والدور العلمية ، وتقام لهم بعض الحفلات ، ويشاهدون التمثيل فى الأبرا .

ولا شك أننا — لبنان ومصر — نقصد إلى الدعاية لبلادنا ، ونسير فى وسائلنا لذلك على ما عرفنا به من الكرم والسماحة ، ولا علينا أن الدول الغربية عند ما تدعو إلى عقد المؤتمرات العالمية لا تبذل لها ما نبذل بل لعلها ترى إلى الاستفادة الاقتصادية من وجود أكبر عدد ممكن من مندوبى الدول فيها ، فنحن أحفاد حاتم الطائى ، ونحن أبناء الشرق الروحيون ...

ولكن عند ما يشاهد أولئك المندوبون الضيوف الكرام منشآتنا وبناياتنا الفخمة الضخمة ، من تليد وعتيد ، ويرون الأنوار الساطعة فى ميادين عواصمنا — لا ينبغى أن نغتر بظاهر ثنائهم ، فإن لهم عيوناً نافذة تلمح ما وراء هذه المظاهر من الحياة البادية للشعب ، وهى حياة شاسعة تشغل تلك المظاهر جزءاً صغيراً جداً منها ... فبناء الجامعة — مثلا — بالغ الروعة ، وبها عدد من الأساتذة الأعلام لا يقلون فى مستواهم العلمى والفكرى عن أمثالهم فى أرقى الأمم ، ولكن هذه قمة الهرم والباقى سفح لا يشرف ما به من نسب الأمية والجهالة ، ومسرح الأبرا يتيم فى القطر وأرستقراطى ، والأنوار الساطعة لا تعشى البصر عن رؤية الأكواخ ومساكن الفقراء ... الخ

وأنا أريد أن أفرض أن ضيوفنا سينخدعون بما نغرقهم فيه من ضباب الحفاوة والمظاهر ، وما أحب إلينا ذلك ، ولكن أخشى أن ننخدع نحن بصنعنا ... فنظل على ما نقوم بتمثيله ونحن فى أشد الحاجة إلى أن نعيش أكثر الوقت فى واقعنا ، نواجهه ونرفعه حتى نصل إلى الحد الذى نستمد فيه تمثيلنا من واقع الحياة .

التعليم المصرى فى السودان :

وهذه مسألة من صميم اختصاص منظمة اليونسكو ، فليت وفد مصر يثيرها فى المؤتمر ، أليس من مبادئ اليونسكو نشر التعليم فى أرجاء العالم ؟ فلتقل للانجليز لم يقفون فى وجه انتشار التعليم فى السودان ويعوقون الجهود المصرية فى هذا السبيل ؟

فقد تضمن خطاب العرش فى افتتاح الدورة البرلمانية الحاضرة أن الحكومة المصرية تعمل على إنشاء مدرسة ثانوية فى الأبيض ومدرستين ابتدائيتين إحداهما فى كسلا والأخرى فى بور سودان ومدرستين أوليتين إحداهما فى واو والثانية فى بور . فبلبل ذلك الخاطر الإنجليزى فى السودان ، لأنهم يعطون التعليم للسودانيين بقدر وعلى النحو الذى يريدونه ، من حيث تهيئته تهيئة آلية ، وتشبيعه بالروح الموالية لهم ، أما المدارس المصرية فهى الخطر كله ، وأقل ما فيها أنها تجمع أبناء الوادى على ثقافة واحدة ، وهى تشعر السودانيين بأن للحكومة السودانية الإنجليزية شريكا فى النفوذ هناك ، وحكام السودان من الإنجليز يحرصون على أن يقروا فى أذهان إخواننا بالجنوب أنهم — أى الإنجليز — كل شىء هناك ، وليس لمصر معهم حول ولا طول .

فما كان من الخاطر الإنجليزى المبلبل فى السودان إلا أن أفضى لسانه فى مؤتمر صحفى بالخرطوم — على الطريقة الإنجليزية الرقطاء — أن حكومة السودان تشكر مصر على شعورها نحو التعليم فى السودان إلا أنها ترى أن تتعاون وزارة المعارف المصرية مع مصلحة المعارف السودانية على إنشاء هذه المدارس المقترحة والإشراف عليها بدلا من أن تكون تابعة رأساً لتلك الوزارة ، لأنه ليس من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم فيها لكل منهما برنامجه الخاص .

ومعنى ذلك أن إدارة المدارس المقترحة تكون «ثنائية» ومعنى الثنائية فى العرف الإنجليزى بالسودان أن ينفرد الإنجليز بكل شىء

هناك دون مصر ، طبقاً لخرافة «الحكم الثنائى» المشهورة ..

ثم كيف كان من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم يوم أنشئت مدرسة الملك فاروق فى الخرطوم ومدرستان أوليتان فى جبل الأولياء وملكال ، ثم أصبح ذلك الآن مخالفاً لمصلحة البلاد ؟ أكان من المصلحة لأنه وقع فى سنة ١٩٤٣ فى خلال الحرب يوم كان «الحلفاء» يخطبون الود ويبذلون الوعود ويستجدون الثقة والمونة ، ثم صار الآن من غير المصلحة ... ؟ على أن النظامين قائمان ، حتى قبل إنشاء المدارس الحكومية المصرية ، فهناك منذ زمن مدارس أهلية برنامجها مصرى ، ويقبل أبناء السودان على هذه وتلك على رغم العقبات التى تضعها الحكومة السودانية فى سبيلهم ، والتى منها عدم الاعتراف بالشهادات المصرية فى التعيين بالوظائف ، والالتحاق بالمدارس العالية التابعة لحكومة السودان ، وغير ذلك .

وبعد فإذا كان الهدف الأول لليونسكو القضاء على أسباب الحروب فى عقل الإنسان ، فهذه هى عقول الإنجليز فى السودان .

الصهيونى والفرقة المصرية :

«الصهيونى» مسرحية ألفها ، وأخرجها ، وقام بدور البطل فيها ، الأستاذ يوسف وهبى بك ؛ ومثلت فى هذا الأسبوع على مسرح الأوبرا الملكية . وهو يقدم لنا فيها شاباً ماجناً خليعاً مدللا متعطلا على الرغم من أنه درس الهندسة الميكانيكية ونال فيها أعلى الشهادات ، وهو ابن (باشا) عسكرى قديم : يسخط عليه أبوه لأنه ولد (خسران) وفجأة يهبط على المنزل بطائرة ويعلن أنه أصبح ضابطاً فى سلاح الطيران بالجيش المصرى تلبية لنداء الواجب فى حرب الصهيونيين بفلسطين ، وفى هذا الموقف نرى البطل الطيار (يوسف وهبى) يقلب الجو الذى كان ينبغى أن يكون رائعاً ، إلى مهزلة .. يسخر فيها من أبيه «الرجل العسكرى» ويتندر عليه .

وتسود هذه الروح وهى تكلف الظرف والفكاهة فى غير موضعها — أكثر مواقف الرواية ، ومن ذلك ما يحدث عند ما يفاجئ الأسرة شاب يدعى أنه «سامى» ابن الباشا من زوجته الأجنبية التى خرجت به من مصر صغيراً ، وأنه لما علم بأن مصر تحارب فى فلسطين أسرع إليها ليؤدى واجبه ، ويظهر فيما بعد أنه جاسوس صهيونى ، وهو المقصود بعنوان الرواية ، يدخل هذا الشاب على أسرة الباشا فيستقبلونه ويدهشون للسانه المصرى فيقول لهم : إنه كان يدرس اللغة العربية فى كلية اللغات الشرقية بألمانيا ، وينطق بعبارات فصيحة ، فيقول له «عزت» المهندس الضابط

* وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول على دعوة الدكتور طه حسين بك ليكون أستاذاً زائراً بها ، وقد قابل أحد أساتذة الكلية الدكتور طه وفاتحه فى هذا الأمر ، فأبدى الدكتور عدم رغبته فى العودة إلى الجامعة وأنه سيرفض تلك الدعوة .

* قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى معالى الأستاذ الشاعر العراقى الشيخ محمد رضا الشبيبى رئيس المجمع العلمى العراقى — لحضور مؤتمر مجمع فؤاد للغة العربية ، وهو أول مؤتمر يحضره بعد انتخابه عضواً فى المجمع ، وسيستقبله فى جلسة الافتتاح الأستاذ العقاد بكلمة ترحيب وتعريف .

* اعترض مندوب لبنان فى مؤتمر اليونسكو على عدم اعتماد اللغة العربية فى عداد اللغات الرسمية للمؤتمر مع أنها لغة خمس دول مشتركة فى اليونسكو ، وأيده مندوبا مصر والمملكة السعودية ، ودارت مناقشة انتهت بإحالة الموضوع إلى إحدى اللجان لدراسته . وفى نفس الجلسة تقرر اتخاذ الاسبانية لغة رسمية .

* كان المجمع العلمى العربى فى دمشق طلب إلى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تصوير كتاب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر توطئة لنشره . ويعمل المعهد الآن فى تصوير الكتاب الذى يقع فى سبعة آلاف صفحة ، وقد أوشك أن ينتهى منه .

* توالى لجنة الأدب بالمجمع اللغوى النظر فى الانتاج الأدبى المقدم لمسابقة سنة ١٩٤٨ — ٤٩ وتنتهى من عملها فى أواخر فبراير القادم وتعلن النتيجة فى مارس وقد تقدم فى البحوث أربعة وفى القصة ثلاثة عشر وفى الشعر أحد عشر

* كان قد اختير المراقب العام للاذاعة فى الخبراء الملحقين بوفد مصر فى مؤتمر اليونسكو ، وقالت مجلة الإذاعة إن حضرته سيوافى الإذاعة بأنباء المؤتمر ، وإلى الآن لم يسمع من الإذاعة شىء من أنباء المؤتمر لا من مندوبها ولا نقلا عن الصحف كدأبها فى نشرة الأخبار .

* لوحظ أن الأغنية الجديدة التى ألفها رامى وغنتها أم كلثوم تتكون من عدد كبير من ألفاظ البكاء والأنين والدموع والشجن ...

الطيار :(دابيكلم نحوى كان ... دا ينفع فق !) وهذا كلام ليس بائخاً فحسب بل هو من فكاهات الطبقة العامية البحتة ...

هذا وقد أجاد فؤاد شفيق الذى مثل دور الباشا ، فى دعابته ، وهو ممثل مطبوع على الظارف بإلقائه وحركاته وتعبير ملامحه .

وأجادت أمينة رزق فى تمثيل «منى» بنت أخى الباشا ، أجادت فى القيام بدور الفتاة الكريمة ذات الإحساس النبيل ، التى تتألم إزاء إعراض « عزت » عنها ، ووالداه يلحان فى زواجه منها . وقد رفعت المسرحية فى دورها عن مستواها المسف ... وكذلك فعلت سامية رشدى التى مثلت الزوجة التركية الطيبة ، والأم التى تكاد تهلك أسى على مصير ولدها .

وقد توالت فى أواخر الرواية المفاجآت وازدحمت المصادفات مما كاد يخرجها عن مألوف الواقع فى الحياة ، فقد كشف أمر الجاسوس الصهيونى بعدة مصارفات محكمة ، كأن الأقدار تشترك فى تأليف الرواية . . . وقد أفرغ يوسف وهبى المؤلف طاقته الصاخبة فى التأليف ، حتى لم يبق له منها شىء فى التمثيل ... فقد مثل « عزت » فصغر حتى صار شاباً فى الخامسة والثلاثين ، صغر (بالمكياج) ولكنه ظل جامد الحركة ، تتعاقب عليه الأحداث وهو هو لا تغيير ولا تعبير . ويوسف وهبى إنما يعبر بالحنجرة والصوت الجهير والتلويح باليد وما شابه ذلك ، وهو ينجح فى هذا اللون من التمثيل حتى يبلغ القمة ، ولكن دوره فى هذه الرواية لم يكن كذلك .

والمسرحية ترمى إلى الإشادة بالوطنية المصرية ، ولكن الموضوع شىء ، وطريقة معالجته وأدائه ونصيب ذلك من الفن الراقى شىء آخر . فالرواية تشبه (الاسكتشات) التى تقدمها الفرق الاستعراضية ، وما أشك فى أن « شكوكو » كان أليق من يوسف وهبى بدور « عزت » .

ومما يؤسف له أن الفرقة المصرية بعد أن بدأت موسمها بمسرحية « مصر الحاكم بأمر الله » وكان يرجى أن تسير فى هذا المستوى ، وقد ألف لها محمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحيتين جديدتين لم تظهرا بعد . أقول مما يؤسف له أنها أخذت بعد ذلك فى برنامج لا يبشر بنجاح الموسم النجاح المرجو لفن المسرح فى مصر بعد أن انحصر فى الفرقة التى ترعاها الحكومة . وقد أعلن أن الفرقة ستمثل بعد « الصهيونى » روايات أخرى قديمة ليوسف وهبى ، وقد تكون هذه الروايات نجحت فى وقتها . ولكن هل تصلح الآن للنهضة المرجوة ، وهى تحتاج إلى التجديد ، وإلى الفن الراقى ؟

لا أقول إن يوسف وهبى يستند إلى رعاية الدولة وإعانتها للفرقة المصرية ، فيعمد إلى إظهار نفسه كل شىء فى كل شىء ... فى التأليف ، وفى الإخراج ، وفى التمثيل ، وفى النقد بالحكم على براعته فى الإعلانات التى يصدرها باعتباره مديراً عاماً للفرقة ، وهذا (أنه مدير عام) الطرف الخامس للأطراف التى يريد أن يجمع المجد منها كلها — لا أقول ذلك إلا خوفاً على الفرقة المصرية أن تعصف بها هذه الجهود الترامية ونحن فى عصر الاختصاص، فليكبح يوسف وهبى جماح عبقريته الشاملة ويترك التأليف على الأقل ويفسح للآخرين من أهله أن يساهموا فى خدمة المسرح وتغذيته ورفعته .

الحادثة الهامة :

قرأت الكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد عزيز بيتوغن بعنوان « أوهام لغوية » ونسب إلىّ وهماً منها فى بعض ما كتبت ، وهو « والحادثة الهامة فى القصة أو العقدة فيها ، ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » قال : « واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول الحادثة المهمة ، ففى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ، وأهمك من الأمر : ما أقلقك وأحزنك » .

وفى هذا الكلام وهمان لغويان ، أتاه الأول من وقوفه عند « الصحاح » فاعتمد « أهمه » وأنكر « همه » ، ولو أنه فتح معجماً آخر لوجد أنهما موجودان بمعنى واحد ، ففى القاموس المحيط « همه الأمر هماً ومهمة حزنه كأهمه » . وفى المصباح المنير « أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هماً من باب قتل مثله » فالهامة من هم والمهمة من أهم ، واستعمال كل منهما كاستعمال الأخرى ، ويبدو لى أن استعمال أيهما فى الدلالة على الأهمية آت من حيث أن الأمر المقلق يدعو إلى الاهتمام .

الوهم الثانى فى قوله : « قاموس الصحاح للجوهرى » لأن القاموس علم على كتاب الفيروزابادى مأخوذ من القاموس بمعنى البحر ، وليس كل معجم قاموساً كما وهم حضرته .

ويظهر أن السيد بيتوغن يريد أن يكون معقباً لغوياً ، فأنصحه بالحذر من « الأوهام » وأتمنى له أطيب التمنيات .

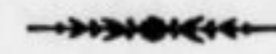
عباس خضر



اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا(١)

تأليف الدكتور جمال الدين الشيال



إن الذين يحملون العلم إلى الناس بالتأليف أو النشر أو الترجمة أو بالمجلات، إنما يحملون إليهم من نور الله ليستضيئوا به وليزدادوا نوراً. وحملة العلم سواء كان أدباً أو علوماً طبية، أو غيرها، وسواء كان أصحاب مجلات يتخذونها ندوة للفكر وأصحابه إنما يفترضون على أنفسهم رياضة علمية طويلة شاقة قبل أن يبلغوا مرتبة العلماء. وفي هذه الرياضة العلمية يشترط الإخلاص الذي هو جماع الفضائل وطريق الراغب السالك طريق العلم. وكم من مشتغل بالعلم يمضي ويطويه الزمان المشئوم في غير رحمة بجهوده الطويلة وآماله العريضة؛ فإذا أنزل الله نوره على عبده فتح له من أبواب العلم ونشره ما يرفع له ذكراً.

ومن الذين فتح الله عليهم وهداهم في التاريخ إلى جوانب طريفة فجعلهم مرجعاً للأجيال التي تلتهم والتي تليهم المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي صاحب كتاب اتعاظ الحنفا الذي الذي نشره الدكتور جمال الدين الشيال. فقد امتاز المقريزي بنظرات طريفة وملكات مواتية، وجلد على العمل وتوفيق رباني عجيب فيما ألف. وترك من بعده أخباراً تاريخية طويلة تقع في مجلدات عديدة ضخمة، بعضها معروف منشور وبعضها مخطوط ينتظر النشر. وقد عني بنشر كتبُ المقريزي جماعة كبيرة أجلة من المؤرخين منهم الأستاذ فيت مدير دار الآثار العربية الملكية المصرية الآن، ومنهم الدكتور زيادة أستاذ التاريخ المصري بجامعة فؤاد، ومنهم ناشر كتاب اتعاظ الحنفا الدكتور الشيال، الذي نتحدث عنه اليوم.

وليس هذا أول كتاب ينشره الدكتور الشيال للمقريزي، فقد نشر له من قبل كتابين قيمين، الأول كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأزمات الاقتصادية، وهو على حجمه جليل القدر عظيم النفع، والثاني: نحل عبر النحل. وهو كتاب قيم بثروته اللغوية الضخمة، كنا نود لو لم يهاجر الدكتور أبو شادي إلى أمريكا حتى يعرف الجمهور ويعرف أمثالنا ممن لا يعرفون عن النحل إلا القليل قيمة هذا الكتاب. أما من الناحية التاريخية، فذلك الكتاب يحوي أخباراً تاريخية قليلة. ثم هذا الكتاب الثالث الذي نعرض له اليوم، وهو كتاب اتعاظ الحنفا .. في تاريخ الدولة الفاطمية ..

وللنشر أصول صارمة تجعل مجرد النسخ مهمة دقيقة مضنية. فإذا انتهى النسخ عن المخطوطات المختلفة ابتدأت مهمة جديدة هي إقامة النص وإصلاح خلله. فإن كثرة نسخ الكتاب تدخل عليه كثيراً من الأخطاء. ومن الناشرين من يلتزم بعد ذلك توضيح النص بالهوامش.

ولكن مهمة الدكتور الشيال تعقدت لأن المخطوط في برلين ولا سبيل إليه، فرجع إلى نشرة الكتاب القديمة. وكانت مليئة بالأخطاء فأصلح ذلك كله بمقارنة النص المنشور بالنصوص التاريخية الأخرى، ثم إنه التزم التعليق حتى تضخمت الهوامش وبلغت حداً كبيراً. وقد كان ربع هذا كافياً. ومن الخطأ أن يتصور الناشر نفسه شارحاً، فمجال الشرح طويل لا يحتمله النشر. ودليل ذلك أن الدكتور الشيال لم يشرح نقطاً كثيرة بحل عن الحصر كما شرح أشياء كثيرة فوق الحصر. فأنت تتحير حين تقرأ النص بين هوامشه الكثيرة، وقد تهمل هذه الشروح لكثرتها. فإذا صبرت فقرأت كل ذلك وجدت شيئاً غير مشروح إلى جانب شيء مشروح. ولعل أنفع شيء للناشر والكتاب والجمهور جميعاً أن توضع كافة الشروح والتعليقات في مقدمة بأول الكتاب، فيستطيع المستعجل أن يكتفي بها ويستطيع غيره أن يهتدي بها في قراءته للكتاب. وقد جرى على ذلك النهج كثير من الناشرين حتى أصبح لزاماً علينا أتباع

---

(١) هو الجزء الثاني من مكتبة المقريزي الصغيرة، نشره الدكتور الشيال وطبعته دار الفكر العربي سنة ١٩٤٨.

منهجهم إلا إلى منهج أحسن .

وقد كنا نحب أن ينبه الدكتور الشيال قراءه وقراء المقريزى إلى أن هذا الكتاب لا يعد من أئمة كتبه ، وأن صبر المقريزى على جمع الأخبار خانه هـذه المرة ، وأن جزءاً هاماً جـداً من الكتاب قد ضاع حتى ليعد الجزء الباقى منه شيئاً يسيراً إلى جانب الضائع . وقد ذكر الدكتور الشيال هذا الفقد ، ولم يعلق عليه ؛ وقد نلتمس له أعـذاراً كثيرة منها أنك إن ألححت فى ذلك زهدت القراء أولا وعدمت الناشر الطابع ؛ وفى ذلك كارثة محققة تصيب العـلم قبل أن تصيب العلمـاء . والناس أحوج إلى من يشجعهم ويشوقهم إلى تراثنا العلمي القديم .

ومن حق الناس مع ذلك أن يعلموا أن الكتاب قد يكون مسودات جمعها المقريزى وفى نيته أن يرجع إليها ثم لم يأذن له وقته بذلك . وإن كان من حقهم أن يعلموا أيضاً أن ذلك فرض أرجحه أنا ، وقد لا يرى الأستاذ الشيال ذلك ، وقد يضع هذا الكتاب فى مصاف كتبه الأخرى . وقد كان عليه أن يعرفنـا بقيمة الكتاب لعله يلفت نظرنا إلى ما لم نلتفت إليه .

فإذا عرفت أنه كتب مقدمة طويلة فى خمس عشرة صفحة لم تتسع لذلك التمست له العذر ، لأنه يحرص على أن لا تطول المقدمة . ونحن على عكسه كنا نريد أن تتسع المقدمة لذلك وأن تتسع أيضاً لـكثير من الشرح المودع فى الهوامش إيداعاً شبيهاً بالتستر والاستخفاء .

وكل ما مضى ملاحظات عن المقدمة وما كنا ننتظره منها . وهى بعد ذلك مقدمة ممتازة حقاً واضحة وضوحاً تاماً فى أسلوب رصين معتنى به . تفهمها بمجرد قراءتها وتستوعب ما يريد صاحبها أن يقول فى رفق ولذة ، فتحمد له ذلك وتنشط نفسك له

وإذا كان الأستاذ حريصاً على الأسلوب هذا الحرص فإنى أرى له أن يتجنب المضافات إليها قبل ذكر المضـــاف ؛ فإن للصحفيين أن يستطيبوا ذلك التركيب الركيك الخاطىء ، أما مثله فلا يقع فى مثله . فإن تـكرار المضاف إليه مستثقل فى العادة وهو لا يجوز فى النحو إلا فى عطف ما يكثر اصطحابهما ممـا يرجع إلى صنف واحد، فتقول يد ورجل زيد؛ ولـكن لا تقول دار وغلام زيد . ومثل هذا التركيب قد يرد فى الشعر للضرورة ، ولا يباح فى النثر وقد ركب الأستاذ هـذا التركيب ثلاث مرات اجتمعت فى صفحة واحدة هى صفحة س .

ولنقفز بعـد ذلك إلى آخر الكتاب . نجد فيه ملحقات كثيرة منها ما قدمه الناشر على أنه استـكمال لنص الكتاب وبدل من الجزء الفاقد ، ومنها جداول وضعها الناشر نفســه ، وهذه الملحقات كما ترى مختلفة فى طبيعتها ، بعضها للمؤلف وبعضها للناشر . ولهذا كان من الواجب أن تختلف التسمية باختـلاف الملحقات ، كأن تسمى ما ينسب منها للمقريزى ذيلا أو صلة وهى تسمية مألوفة معروفة عند القدماء ، وكأن تسمى ما ينسب للناشر ملحقاً . وشىء آخر ، هو أن الناشر جعـل كل جدول ملحقاً فتـكاثرت الملحقات تكاثراً يكاد القارئ يضل فى ثناياه . وشىء ثالث ، هو أن أحد هـذه الجداول وضع لشرح قسم خاص من الـكتاب فإذا طابقت بينهما وجدت الناشر أقام جدوله على رواية واحدة وأهمل سائر الروايات .

ومن قلة الإنصاف للناشر مع هذا أن تجرح هذه الملحقات بشىء من النقد . لأن الناشر وفق فى جمعها وتعب فى البحث عنها وصور بها الجزء الفاقد خير تصوير . ولكنه مجرد تصوير للجزء الفاقد لم يقصد به الحصر . ففى كتب المقريزى عن الفاطميين شىء كثير لم يوضع ضمن الملحقات . غير أن الدكتور الشيال إنما اقتصر على كتاب خاص من كتب المقريزى هو — المواعظ والاعتبار ، فنقل عنه ، وقد ذكر سبباً دعاه إلى ذلك لا نقره عليه ، ولـكن هذ القسم الملحق قد أحيا الكتاب وصوره لنا فوضع أمام أعيننا الجزء الموجود ورسم لنا تخطيط المفقود منه .

ولنرجع بعد ذلك إلى الكتاب نفسه لأننا لم نعرض إلى الآن إلا لمقدمته وملحقاته .

الكتاب منشور نشراً صحيحاً سليما . نظر فيه الأستاذ الناشر فأمعن النظر ، وجبر أخطاء النشر القديم ، وتكلف فى سبيل هذا التصحيح عناء وجهداً يستحقان كل الحمد والثناء ، فرجع إلى مراجع كثيرة ضبط بها النص : والمعروف أن التزام النص دون مسه إلا بالاختصار قاعدة جرى عليها القدماء ، لاعتبارهم التاريخ علماً نقلياً لا يجوز التصرف فيه إلا بأقل قدر مستطاع . وضبط الدكتور الشيال كذلك أسماء الأعلام وأسماء الأماكن

ضبطاً تاماً ، وعرّف بها ، فرجع فى ذلك إلى المصادر التاريخية والجغرافية القديمة . وقد كان ينبغى عليه أن يزيد على ذلك فيضع فى الكتاب خريطة جامعة . ثم حسنة أخرى : هى أنه فصّل النص إلى فقرات ، وأضاف إليه عناوين دون أن يتجاوز الحد . ولم يضع هذه العناوين جزافاً ، وإنما أخذها من مصادرها . فاستقام له النص استقامة محمودة ، وأصبح مفهوماً واضحاً . وهذا غاية ما ينتظر من الناشر الأمين ، والمؤرخ الثبت .

غير أن الكمال لله وحده ، هو وحده المنزه عن السهو والخطأ . وقد تورط الناشر فى أخطاء قد يحسن التنبيه إليها . أما بعضها فيتصل بقراءة النص وهوقليل جداً . وأما بعضها الآخرفلا نشك أن المطبعة هي التى ورطته فيه . ومثل هذه الأخطاء المطبعية مما يقع فيه الناس جميعاً ، ومما يقع فيه الناقد نفسه أيضاً . ولكن ذلك لا يبررها .

وقد كانت مطبعة بولاق الأميرية القديمة تحسن ضبط الطبع؛ والمطابع فى أوربا اليوم تعنى بضبط الطبع أكبر عناية ، وتتخذ المراجعين على حسابها ، ولا تقتصر على تصحيح المؤلف . بل قد تنبه المؤلف على أغلاط سها عنها . فإن خلل الضبط يمس سمعة المطبعة أكثر مما يمس غيرها . وقد وضع الناشر قائمة طويلة للتصويبات ، إلا أنه لم يصوب غير الأخطاء الظاهرة ، وترك ما عداها لذكاء القارئ .

والقارئ لا يحب فى العادة أن يتعدى دور القراءة والاستفادة ؛ فإذا كلفته فوق ما يبتغى من القراءة أضجرته وأثقلت عليه . ومن حق أن آخذ له بحقه وأن ألوم المطبعة والناشر . وكيف لا ألوم وقد سمح الناشر لنفسه أن يلوم صاحب النشرة الأولى ، وأن ينبه على أغلاطه واحدة واحدة . ووجود هذه الأغلاط رغم اليقظة وتحرى الضبط توضح لك ما قلته منذ حين : وهو أن كثرة النسخ تدخل على النص من الأغلاط ما لم يكن فيه . ولهذا كان النشر فناً من الفنون التى تحتاج إلى طبيعة خاصة ، وكان الناشر جديراً باحترام القارئ وتسامحه واحتمال ما يقع فيه من سهو . وإليك الأخطاء التى وقعنا عليها :

لعلى بن أبى طالب ولدان سماهما عمر ، وميز بين العمرين بالأكبر والأصغر ، فلما جاء ذكر أحدهما (ص ٦) أصلح لفظ الأكبر وجعله الأصغر ، ثم جاء ذكر الأصغر (ص ٧) فلم يدخل عليه تعديلاً ولم ينبه عليه ، فترك فى النص عمربن أصغرين

وفى ص ٨ : فولد الحسن ... وحسناً وإبراهيم وجعفر، (بدون النصب فى جعفر) وشبيه بهذا أو من قبيله ص١٠ س ٤

وقد ترك النص غير مستقيم ص ٩٩ س ٧ ، ٨ ، وكان إصلاحه ميسوراً . ومن هذا القبيل أيضاً ص ١١٢ س ١٢ ، ١٣ لو حذف : « فتح سوسة بالسيف » لاستقام النص . وشبيه به لفظ « فوقع » ص ١٢٢ س ١٥ ، ثم ص ١٢٣ س ٦ ، فإنه غير مفهوم .

وفى ص ١٢٤ س ١٣ ذكر قلمة كتامة نقلا عن ابن الأثير وهى قلعة كيانة . والفرق بين . وقراءته على ما أراد الناشر فوقع فى خطأ أكبر .

وفى ص ١٨٦ س ٦ قال : « دخل المعز لدين الله أفريقية » وصوابها : رحل المعز لدين الله [عن] أفريقية . والتاريخ المذكور لحركة المعز هذه هو الذى يحتم تصحيحنا .

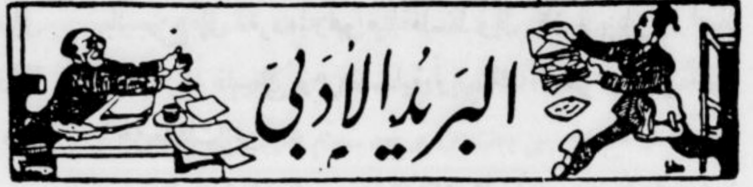
وقد يريد الناشر التنبيه على قراءة مخالفة ، ثم نجد القراءة المخالفة فى الهامش كالأصل فى المتن مثل ص ١٠٦ ه ٥ ، ومثل ص ١٤٤ ه ٢ ، ص ١٣٠ ه ٢

ثم إن من الهوامش ما يطول من غير مبرر ظاهر مثل هامش ص ٢ ، وقد كان يكفى الإشارة إلى صفحتى و ، ز ، من المقدمة . ومثل هذا هين ، وقد يستلطف التكرار . غير أنه فى ص ٣٥ أحال فى الهامش رقم ١ إلى الذى يليه مع أن الذى يليه لا يتصل به إطلاقاً

أما الأخطاء المطبعية اليسيرة فكثيرة العدد ، وقد تقدمنا بلوم المطابع ووفيناها حقها من اللوم والفائدة من التنبيه على هذه الأغلاط ضئيلة ليسرها . ولذلك نضرب عن ذكرها .

ولنلخص ما قلنا : مقدمة رصينة واضحة ، ونص أقيم خير إقامة ، وملحقات بعضها تذييل من كتب المقريزى ، وبعضها جداول من وضع الناشر . ثم شروح مستفيضة . فإذا استثنينا الأخطاء التى وقعنا عليها ، لم نجد غير انتقادات على الشكل فى ذاته وتوزيع الشروح فى كل مكان .

وحسب الأستاذ الناشر أننا نثنى على ضبط النص ، فذلك



إلى درناوى صريح :

ورد لى ما لا يقل عن ٣٢ خطاباً من نواح مختلفة من البلاد العربية بمناسبة ما كتبته عن الصهيونية ثم عن دعوتى إلى الإسلام . إلا أن أمامى خطاباً من أديب من درنة من برقة فى ليبية . وهو موقعه بهـذا الإسم المستعار « درناوى صريح » . وهو الوحيد الذى لم يصرح باسمه وبإمضائه ، وأنا مضطر أن أجاوبه عن طريق الرسالة ، وهذا ما أقتطفه من رسالته قال :

« وددت لو سكت حضرة الأستاذ أحمد عادل وعـدل عن دعوتكم إلى الإسـلام . ما فائدة المسلمين بما ترى فى هـذا العصر (إذا زاد عددهم واحداً) وهم يربون على خمسمائة مليون نسمة . (ما نفعهم) بعد الذى جرى فى فلسطين المقدسة وسيجرى عما قريب فى مكة المكرمة (يعنى إذا كان المسلمون لا يمدون أيديهم للانقاذ) إن الإسلام بالإشارة لا ينفع ولا يضر . والإسلام الحقيق دين قول وعمل معاً ، وما ضر المسلمون فى هذا العصر إلا أنهم يعرفون الله (ولكنهم) لا يتبعون ما أمر به . وإذا استثنينا الخلفاء الراشدين والصحاب والتابعين والأولياء الصالحين من عباده المخلصين وأحصينا الإسلام وغربلناه لوجدنا الإسلام الصحيح قليلا من هذا العدد الكثير . نحن اليوم فى حاجة ماسة للعربى المجاهد من أمثال الأستاذ نقولا الحداد والذى سن قلمه الكاوى وقت اللزوم وجعله وقفاً لخدمة العروبة والإسلام وإنقاذ فلسطين ، وذلك بتنبيه العالم على صفحات المجلات والجرائد إلى الصهيونية وتبيين حاضر اليهود وماضيهم « الزفت » مع الأنبياء والمرسلين ونياتهم السيئة نحو العالم العربى » الخ ...

فأولا ، أشكر الأستاذ الدرناوى الذى يقاسى الآن تحت نير الاستعمار الأجنبى الذى يعتبره سلمة تمنح لوصاية أجنبية — أشكر له حسن ظنه بى عظيم الشكر . وما أكتبه فى القضية الصهيونية لا يساوى قطرة دم مما يسفكه أولادنا فى ميادين القتال فى سبيل إنقاذ فلسطين . وبكل أسف أقول إن هذه الدماء تسفك فى ذمة بعض العرب الزعمـاء الذين ظهر أخيراً أن فيهم خونة (الخيانة العظمى) يشترون السلاح من مال أمتهم ثم يبيعونه لليهود . إنى آسف كل الأسف أن أضـطر إلى أن نفضح أنفسنا . ولكن الصبر على المضض يضاعف البلوى . لا أريد أن أتمادى فى هذا الموضوع المؤلم ...

أساس عمله . أما ما عداه فهو متفضل به على القارئ رغبة فى معونته وحرصاً على نفعه .

ولنا إلى ذلك ملاحظات على قائمة المراجع وعلى الفهرست الأبجدى ، ولكنها ملاحظات تتصل بطريقة العرض . وليس لها محل ما دمنا لم نتفق فى الشرق العربى بعد على أوضاع ثابتة عامة لها

فالكتاب كما ترى مضبوط مشروح ، فلا يهولنك ما ترى من كثرة الملاحظات فإنها لا تمس إلا الشكل ونحن إنما نريد بذلك التنبيه على خلل التنسيق .

والدكتور الشيال بعد هذا كله قد وقف نفسه على تاريخ مصر كما فعل المقريزى وجعله مادة الدروس التى يلقيها فى كلية الآداب بالاسكندرية . وقد دفعه حبه لأستاذه عبد الحميد العبادى بك إلى أن يهدى إليه الكتاب . والواقع أن هذا الإهـداء قد وقع موقعاً حسناً من تلاميذ العميد المؤرخ ؛ فإن فضله على أجيال المؤرخين المصريين المعاصرين لا ينكر . فهو أول من خرج عن التقليد القديم فى دراسة التاريخ الإسلامى ، ونحا به إلى الناحية العلمية الصرفة ، ثم تبعه تلاميذه وزملاؤه فوجدوه قد شق لهم الطريق وقرب بين منهج الشرقيين والمستشرقين . وللعبادى بك فى نفوس الآلاف الذين تتلمذوا عليه منذ ربع قرن أو يزيد منزلة كبيرة وتقدير عظيم . فهو شيخ المؤرخين غير منازع . وإن له من تلاميذه كتباً حية . وله مقالات تعد نماذج فى ذاتها وصوراً رائعة وهى التى نشرها فى المجلات ، وقد جمع منها ثلاثين مقالة تتناول كلها العصر الأول وعصر بنى أمية ، وسماها : « صور من التاريخ الإسلامى » . أما مقالاته عن العصر العباسى فستظهر قريباً إن شاء الله . ولكن العبادى بك أهل بغير ذلك لكل إهداء وتكريم من تلاميذه الكثيرين ...

محمد عبد الهادى شعيره
أستاذ مساعد بكلية الآداب باسكندرية

وثانياً ، أن أحد الأدباء فتح علىّ باباً كنت أتحاشاه طول حياتى وهو عرضه الإسلام علىّ . وقد أفهمته بصراحة أنى أقرب منه إلى الإسلام ، فلم يقتنع . واقترح على آخر أنه ما دمت اعتقد أن الإسلام كالنصرانية فلماذا لا أعلن إسلامى ؟

عجباً ! ألكى أزيد ملايين المسلمين واحداً وأنقص ملايين النصارى واحداً ؟ « إنى أخرج من قضاء الله إلى قضاء الله » .

يا عزيزى ، إن الدين الإسلامى كالدين النصرانى عقيدة للعمل لا للقول . وما دمنا نتجادل بالأقوال وننسى واجب الأعمال فنحن إلى الوراء ، فى حين أن العالم كله ومنه اليهود إلى الأمام .

كدت أيأس من تقدمنا فى ميدان الكفاح المالى ، ميدان بقاء الأفضل والأقوى . أكثر الله من أمثالك أيها الدرناوى (من درنة) لعلكم تنهضون بالأمة العربية وتدفعونها إلى الأمام .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة بمصر

النسبة إلى فلسطين :

نشرت جريدة الأهرام الغراء كلمة لأحد مدرسى معهد طنطا تحت عنوان (فلسطى) خطأ فيها استعمال النسبة الشائعة (فلسطينى) إلى فلسطين معتمداً على ما جاء فى (القاموس المحيط) فى فصل الفاء باب الطاء ، وهو فلسطون وفلسطين ... كورة بالشام ... تقول فى حال الرفع بالواو ، وفى النصب والجر بالياء ، أو تلزمها الياء فى كل حال ، والنسبة فلسطى اه

وأقول : اختلف اللغويون فى النسبة إلى فلسطين أهى فلسطينى أم فلسطى وهذا الاختلاف فرع عن الاختلاف فى حقيقة فلسطين أهى مفردة وجميع حروفها أصلية أم لفظها لفظ جمع المذكر السالم فتنزل منزلته وتجرى مجراه فتعامل معاملته ، فمن قال بالأول نسب إليها على لفظها بدون تغيير فيقول : هو فلسطينى وهى فلسطينية ، ومن قال بالثانى عاملها معاملة هذا الجمع فرفعها بالواو فيقول مثلا : عاشت فلسطون عربية ، ونصبها وجرها بالياء فيقول : دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من الصهيونية العالمية ، وتآمرت الدول الأجنبية على فلسطين لتحقيق المآرب الاستعمارية ، وطبق عليها قاعدة النسب إلى الجموع وهى تقضى بالرجوع إلى مفردها وهو هنا فلسط وإن كان لم ينطق به أصلا فقال : هو فلسطى وهى فلسطية وإليك النصوص التى تثبت صحة ما قلت :

جاء فى لسان العرب فى الكلام على (قنسرين) ما نصه : قنسرين وقنسرون كورة بالشام فمن قال قنسرين فالنسب إليه قنسرينى ، ومن قال قنسرون فالنسب إليه قنسرى لأن لفظه لفظ الجمع ؛ ووجه الجمع أنهم جعلوا كل ناحية من قنسرين كأنه قنسر ، وان لم ينطق به مفردا ... والقول فى فلسطين والسيلحين ويبرين ونصيبين وصريفين وعاندين كالقول فى قنسرين اه

وجاء فى القاموس وشرحه وقنسرين وقنسرون وهو قنسرى عند من يقول قنسرون ... وقنسرينى عند من يقول قنسرين إلى آخر ما سبق من اللسان .

وجاء فى اللسان وشرح القاموس فى الكلام على (نصيبين) ما نصه : ونصيبين اسم بلد وفيه للعرب مذهبان منهم من يجعله إسماً واحداً ويلزمه الأعراب كما يلزم الأسماء المفردة التى لا تنصرف فيقول هذه نصيبين ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين والنسبة نصيبى ، ومنهم من يجريه مجرى الجمع فيقول هذه نصيبون ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين قال : وكذلك القول فى يبرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين والنسبة إليه على هذا نصيبينى ويبرينى وكذلك أخواتها ؟

قال ابن برى رحمه الله ذكر الجوهرى أنه يقال هذه نصيبين ونصيبون والنسبة إلى قولك نصيبين نصيبى وإلى قولك نصيبون نصيبينى قال والصواب عكس هذا لأن نصيبين إسم مفرد معرب بالحركات فإذا نسبت إليه أبقيته على حاله فقلت هذا رجل نصيبينى ، ومن قال نصيبون فهو معرب إعراب جموع السلامة فيكون فى الرفع بالواو وفى النصب والجر بالياء ، فإذا نسبت إليه قلت هذا رجل نصيبى فتحذف الواو والنون قال وكذلك كل ما جمعته جمع السلامة ترده فى النسب إلى الواحد .

فتقول فى زيدون اسم رجل أو بلد زيدىّ ولا تقل زيدونى فتجمع فى الإسم الأعرابين وهما الواو والضمة .

وجاء فى شرح القاموس قال الأزهرى فى التهذيب : نونها (فلسطين) زائدة ، وقال غيره بل هى كلمة رومية والعرب فى أعرابها على مذهبين الخ

وجاء في (معجم البلدان) قيل إنها سميت بفلسطين بن سام ابن أرم بن نوح عليه السلام. أو بفلسطين بن كلثوم، أو بفليشين ابن كسلوخيم من بني يافت بن نوح ... ثم عربت إلى فليشين الخ

بعد هذه النصوص الواضحة لا أرى وجها لتخطئة فلسطيني وفلسطينية تلك النسبة الدقيقة الصحيحة المألوفة، ولو أنصف اللغويون لذكروا هذه النسبة بجوار النسبة (فلسطى) كما صنعوا في قنسرين ونصيبين ... فنجوا من القصور والتقصير وأرشدوا القراء إلى الحقيقة ولعلهم تركوها لأنها واضحة أو لفهمها من نظائرها.

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي

فارس الخوري :

«فارس الخوري» من الشخصيات الخالدة التي لا تنسى، خدم وطنه وأمته، وضرب في ميدان السياسة الدولية بسهم وافر بيض فيه وجه سوريا ووجه الأمة العربية جماء، ولهذا الرجل في سوريا احترام بالغ من مختلف الطبقات، فهو بين السياسيين شيخهم وإمامهم، وبين العلماء والمثقفين أستاذهم وزعيمهم، وبين رجال الحكم صديقهم وكبيرهم، وعند الناس جميعاً «فارس الخوري» وكفى ...

قالت عنه مجلة «المصور» الغراء[1] بأنه من فرسان الثورة العربية وممن نجح في استغلال الاحتكاك الإنجليزي الفرنسي المتخلف عن الحرب في سوريا، وأضافت بأنه اختلف — بعد التطهير والنجاح — مع أنداده فكان ممن جوزي جزاء سنمار .. وقالت بأنه لا يستند إلى عصبية حزبية تجعل منه صاحب نفوذ في بلده، ولذلك فهو قانع بما أصاب من نجاح، وهو قانع بدوره الهادىء خارج الحدود ...

وأفهم من هذا أن «فارس الخوري» لم يقدر حق قدره وإنه مازال بحاجة إلى عصبية تؤيده، وحزبية تسانده، ليبلغ مكانه اللائق في بلاده، ولذلك قنع بأن يكون مندوباً عن سوريا ورئيس وفدها في مجلس الأمن، وواجب أن ألفت نظر «المصور» الغراء إلى أن «فارس الخوري» قد بلغ مكانه اللائق، وقدرته الأمة، وأحسنت له الجزاء، فانتخبته (نائباً) عنها وهو في أمريكا، ولم يتقدم لمنازعته مرشح آخر فانتخب بالتزكية، ثم انتخبه المجلس النيابي رئيساً له كذلك في هذه الدورة وفي الدورة السابقة، وكان في حقبة مضت رئيساً للوزراء.

وفي نظري أن «فارس الخوري» لا يطمع إلى أبعد من هذا، وهو قانع بما أصاب من صيت ذائع واسم لامع وشهرة تسامق الفرقدين، وحسبه أنه في عداد المباقرة الخالدين.

(القاهرة) **عمر الخطيب**
(في الفيحاء)

(١) في العدد رقم ١٢٠٩ .

وزارة المعارف العمومية

إدارة تقرير الكتب المدرسية

بقضى القرار الوزاري رقم ٧٧٣٣ بتاريخ ٩/٢/١٩٤٨ بأن تقوم المدارس بشراء الكتب اللازمة لمكتباتها بمعرفتها على أن تسترشد عند اختيار هذه الكتب بقوائم تمدها الوزارة بأسماء الكتب التي تراها صالحة لمكتبات كل فرع من فروع التعليم.

ولما كانت الوزارة حريصة على أن يدرج بالقوائم المذكورة كل ما يكون نافعاً من الكتب فهي ترجو حضرات المؤلفين الذين يرغبون في إدراج مؤلفاتهم بهذه القوائم أن يتقدموا بها إلى إدارة تقرير الكتب المدرسية لتقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة نحو فحص هذه الكتب واتخاذ قرار بشأنها

٨٣٥



الضــالة

للأستاذ عبد المغنى على حسين

كانت دار الحاج إبراهيم ، بطرف القرية الصغيرة الهادئة ، تشهد مرحا فوق العادة من صغار ساكنيها وأحاديث اهتمام من كبارهم . فهذا أحمد أحد أبناء الحاج إبراهيم ، فى العاشرة من عمره ، لبس جلباباً جديداً ، وراح ينظر مبتهجاً إلى خطوطه الزاهية الألوان ، ويجد فى هشاشة جدته أعظم نشوة وطرب ، وعى رأسه طاقية من القماش نفسه ، وفى رجله الحذاء الذى يلبسه فى الأعياد . وهذا أخوه محمود ، يصغره بسنتين ، هو صورة مصغرة منه فى الجسم والثياب . وهذه أختهما الصغيرة سعدية ، تضحك فرحة بجلبابها الأحمر ، وعلى رأسها المنديل الجديد الفاقع الاصفرار .

وجلس الحاج إبراهيم على المصطبة بمدخل الدار ، يبرم مغزله بأصبعيه ، ويلاحق استطالة الفتلة بالصوف المنفوش ، ويخاطب امرأته فيلقى إليها بأوامره ويبادلها الرأى والجدل فى اهتمام واغتباط .

إنهم معتزمون السفر إلى مصر ، يعنى القاهرة ، لزيارة آل البيت بمناسبة مولد السيدة زينب ، وليوفوا نذراً عليهم لها طال تأجيلهم إياه عاماً بعد عام ، وليقضوا بضعة أيام عند قريبة لهم نزحت إلى القاهرة واستوطنتها منذ بعيد .

فلما دخلوا على قريبتهم ومعهم مقادير من الزاد ذى الروائح الشهية والطعوم اللذيذة من فطائر ريفية وقشدة وما إليها رحبت بهم أعظم ترحيب . ثم جلسوا يتذاكرون الماضى ، ويستعرضون أحوال الأقارب والأنسباء واحداً واحداً وواحدة واحدة ، ثم أخذ الضيوف يبدون إعجابهم بما رأوا فى المدينة الكبيرة من عجاب وجمال ، يراه الحاج إبراهيم للمرة الثانية فى حياته وتراه امرأته وأبناؤهما للمرة الأولى ، تلك الأضواء المتلألئة والعمائر الباذخة والمتاجر الزاخرة وزحمة مواكب المركبات والخلائق التى لاتنى ولا تنتهى ، وكل ما فيها مسرع عجل كأنما يسابق الذى أمامه ويفر مما وراءه ، وكأن حياته على الأرض ليست سوى ثوان فهو يستغلها على هذا النحو طيراناً ونهباً .

وفى الصباح بكر الضيوف إلى الخروج ، ليؤدوا الزيارة ويوفوا النذر ، ويملأوا عيونهم من مناظر المدينة . ثم عادوا آخر النهار ومعهم بعض حلوى المولد من عرائس ولعب .

فلما كان آخر يوم لهم بالقاهرة ، وقد اعتزموا الرجوع إلى قريتهم فى الغد ، خرجوا لقضاء حوائج لهم وليستمتعوا بفرجة أخيرة على زحمة المدينة وقت الأصيل وبهجة أضوائها بالليل . فلما قضوا أربهم وقفوا بمحطة للترام ليستقلوه عائدين .

وكان الزحام شديداً ، والمركبات تأتى غاصة ، كأنها أكداس بشرية تتحرك . وجاءت المركبة التى يريدونها بعد طول انتظار لكن ليس فيها موضع لقدم أو مسكة ليد ، فلما أراد الحاج إبراهيم أن يركب هو وأهله صاح فيهم « الكمسارى » ليبتعدوا ونفخ فى زمارته بشدة وانطلق .

وجاءت مركبة ثانية وثالثة ولا يمكنهم الركوب ، حتى عيوا من طول الانتظار . وجاءت مركبة آخر الأمر تريثت فى وقفتها بعض الشىء فاستجمع الحاج إبراهيم نفسه وأهله ليحشروا بين الراكبين بأية طريقة ، ورفع ابنته الصغيرة بين يديه فاندست وغاصت فى داخل المركبة بين الواقفين وهم بأركاب امرأته وابنه . ونظر الكمسارى فرأى أربعتهم يريدون الركوب وليس لهم موضع ، والوقفة طالت ، ولم يكن رأى الطفلة التى أركبت ، فصاح فيهم صيحته ونفخ نفخته وانطلق ، وجرى الحاج إبراهيم وراء المركبة وهو يصيح بالكمسارى مستوقفاً لينزل ابنته أو يركبوا معها ، وصاح بعض الراكبين بالكمسارى ليفعل ذلك ولكن الكمسارى لم يفطن إلى ما حدث بالضبط إلا بعد أن كانت المركبة قد استكملت سرعتها والرجل يجرى ليلاحقها بين السيارات المتدفقة بسرعة مخيفة من كل ناحية .

وزمر الكمسارى مستوقفاً السائق لكن السائق أصم أذنيه عن زمره وقال فى نفسه إن الذى فاته النزول فى المحطة السابقة

يضيره كثيراً أن ينزل فى المحطة القادمة .

وعجز الحاج إبراهيم عن ملاحقة المركبة ، وأشفق على امرأته وابنيه أن يجروا وراءه فيصيبهم شىء فتوقف وعاد إليهم ، وأمرهم بأن يبقوا فى موضعهم ولا يبرحوه أبداً حتى يلحق بالبنت ويعود بهـا إليهم .

وكانت المركبـة قد بلغت المحطة التالية فأنزل الـكمسارى الطفلة الباكية وقال لها : اجرى عودى لأبيك .

وجرت الطفلة عائدة متتبعة شريط الترام ، لـكنها لم تمش إلا قليـلا حتى رأت شريط الترام يتفرع إلى فرعين فى شارعين مختلفين ، فوقفت متحيرة فى أى الطريقين تمشى لتجد أهلها . ثم تخيرت أحدهما ... وكان الطريق الخاطىء !

وجاء الحاج إبراهيم مسرعاً صوب محطة الترام ،ؤملا أن يجد ابنته واقفة عندها . فلما لم يجدها غاص قلبه إلى رجليه ، ووقف ينظر حوله طائر اللب . ثم أخذ يسائل عنها من بلقى من الناس فلم يجد أحداً يعرف من أمرها شيئاً .

ومشى واسع الخطى إلى المحطة التالية لعل ابنته تكون أنزلت عندها ، ثم وقف هناك يحوقل ضارباً كفاً بكف .

ومشى محطة ثالثة ورابعة ... حتى يئس من هذا الهيام على غير طائل . وذكر الذين تركهم واقفين فى غربة مخيفة وقلق ممض فعاد أدارجه إليهم .

والطفلة أين ذهبت ؟!.. لقد أخذت تسير وتبكى ، وتقف تنظر حولها باحثة عن أهلها ؛ ثم تسير وتبكى ... حتى يئست من لقائهم فقعدت تعول وتنتحب .

وكان الناس يمرون بها رائحين غادين ، لـكن لدى كل من شئونه ما يشغله عن طفلة تبكى وما قد يكون أبكاها من تافه الأسباب . لم يكن يقف عندها إلا بعض الصبية بدافع الفضول وليضحكوا من طريقتها الريفية فى العويل والبكاء . ومر بها رجل استلفته بكاؤها فوقف برهة يسائلها عن خطبها ثم نفـد صبره وشيكا لما أبطأت فى الجواب ومضى لشأنه .

ثم أقبل رجـل فى مقتبل العمر يمشى الهوينى ، فليس لديه كغيره من الناس همل مهين يقصد إليه . واستلفته بكاؤها فوقف برهة ينظر إليها . وفهم بسرعة ما حدث لها فلمعت عيناه بذكاء شرير وافتر فمه عن ابتسامة كريهة وأسنان ذهبية .

وناداها « سعدية !! » .وكان قد سمعها تسمى نفسها لبعض الصبية الواقفين .

— سعدية !! .. أبوك أرسلنى إليك ... تعالى ! . إجرى !

وانتبهت الطفلة كغريق لمست يده شيئاً ، ونظرت إلى الرجل وكفت عن البكاء .

واستطاع الرجل بقليل من اللباقة والحنان المصطنع أن يستهوى الطفلة الملهوفة فأسلمته ذراعيها وانطلقا .

وركب وإياها الترام — كما قال له أبوها ! — ثم نزل وإياها فى مكان ما . ومشى إلى باب فطرقه وفتحت الباب فتـاة طويلة نحيلة ، فى عينيها المرهاون لكل كثير ، وعلى وجهها الضامر أصباغ دامية . ونظرت الفتاة فلما رأت أنه هو أدخلته ، وهى تبادله تحيات غير طيبات ، وتتحفه متلطفة ببعض السباب . ونظرت إلى الطفلة ، وضحكت ضحكة صارخة ، فغمز لها الرجل بعينه أن تسكت . قالت الطفلة « أين نحن ؟! » قال لها الرجل « فى بيت خالة لك » ثم مشوا إلى حجرة تجلس فيها امرأة بدينة . قال الرجل للطفلة « هذه خالتك » اقعدى هنا ، وسأذهب لآتى بأبيك »

ونظرت المرأة البدينة من الطفلة إلى الرجل ومنه إليها ولم تقـل شيئاً . ووقفت الطفلة تنظر حولها فى دهشة وريبة ، لـكن الأمل كان أغلب عليها وهى تنظر إلى الرجل الذاهب ليأتى بأبيها .

وقعدت كما قيل لها . وجاء لها بعشاء حسن فأكلت منه ، فلم تلبث أن أحست بخدر ، وراحت فى نوم عميق .

وعاد الرجل فى آخر الليل ... قالت له المرأة البدينة «ما الذى أتى بك ؟! »

— لآخذ أتعابى ... كلام جميل !.. ما الذى أتى بى !!

— أى أتعاب ؟!.. طفلة لا تصلح لشىء !

— طفلة !.. إنها شجيرة بازغة سوف تثمر جوهرا ... إنها دجاجة صغيرة ستبيض ذهباً... انظرى إلى جسمها السوى وقسماتها الحلوة ... سـلام عليها حين تطول وتكتمل ، ويعلو نهداها ، ويشكو خصرها من ردفها !.. ستكون النظرة إليها عندئذ بكذا. وسيهوى إلى بيتك ألوف الرجال مسلوبى القلوب مملوئى الجيوب . هيا انقدينى مائة جنيه ، ولا أقول ألفاً مما ستأتيك به من ألوف .

— مائة !! مائة من الجن يركبونك !! مائة !!

وجرى على هذا النحو الحوار ، والسلمة المسكينة راقدة فى خدرها العميق .

من لأبيها وأمها فى ذلك الوقت بجرعة من مخدر !.. عندما عاد الرجل المسكين إلى المرأة المسكينة بغير البنت دقت صدرها ، ووقفا ينعتان الليلة السوداء . وأرشدهما الناس إلى إبلاغ البوليس ففعلا ، ثم عاد إلى قريتهما بقلبين ينفطران .

وعبثا سألوا ، وعبثا نادوا . إن ابنتهم زالت من الوجـود المعروف . لقفها الشيطان وغاص بها فى عالم الظلمات .

كان أسوأ الفروض عندهم أنها لقيت حتفها على صورة ما . وكان يهدهدهم أمل فى أنها عند بعض كرام الناس . لم تكن تخطر ببالهم ، من لطف الله بهم ، تلك المباءات المعفنة بجسم المجتمع المريض .

قالت المرأة الثكلى لزوجها : حاج إبراهيم ! السـيدة زينب غضبت علينا لتأخيرنا وفاء نذرها .

ونذروا للسيدة نذراً آخر ، لـكن يظهر أن السيدة زينب لم تكن راغبة فى نذرهم الثانى ... لو كانت السيدة زينب تملك من أمور دنيانا شيئاً لـكانت غيرت منها الشىء الـكثير ، ولو كانت تغضب من الناس حقاً لما أغضبها إلا هذا الاعتقاد العجيب ، والقول بأنها من أجل ذلك السبب التافة تلجأ لمثل هذا الانتقام القطيع .

واستيقظت الطفلة فى اليوم التالى ، وجلست تفرك عينيها وتنظر حولها مشدوهة . قالت «أين أبى ؟!» قالوا لها صح النوم!. جاء وأنت نائمة ، ولما لم تستيقظى قال أبقوها هنا لتتعلم وتتمدن ، وسأحضر من البلد لأراها من حين لحين » وكانت لا تزال تحس ثقلا برأسها ، فعـادت إلى نومها العميق المريب تتخلله مباهج ولذائذ عجيبة .

وأخيراً زال عنها الخدر والنعاس ، وأفاقت إلى الوحشة الموجعة ، والريبة فى المكان والسكان كما يفيق الذى أجريت له جراحة على آلام الجرح الـكبير . فعولجت فى الحـال بمزيج مناسب من الأيهام والإغراء والإرهاب . قيلت لها مختلف الأكاذيب ، وجىء لهـا بلذيذ المأكولات وبهيج الملبوسات ، أما انتقاضاتها ومحاولاتها الأفلات فقمعت فى الحال بعقوبات رهيبة حتى استسلمت للذى ليس منه بد .

كانت تبكى أهلها سراً عندما تخلو لنفسها ثم أخذت تسلو شيئاً فشيئاً ، وتنسى قليلا قليلا ، ثم اعتادت ما يحيطها ، ثم أخلدت إليه ، ثم ألفته ، ثم لم تعد ترى الحياة إلا سهر الليل ونوم النهار وأحاديث الدنس ومشاهده وكل ما يتعلق بصناعته .

تخرجت سعدية فى معهد الشيطان ، فلما اكتملت أنوثتها واستوت لم تكن بحاجة إلى أغواء وكانت هى المغوية .

لم تعد تبكى أهلها . بل لم تعد تذكر منهم إلا ظلالا حائلة طافت بناظريها أيام الصغر ، ومشاهد القرية والدار والحقل صارت أطياف أحلام لا تخطر لها إلا فى منام . إنها اليوم امرأة حضرية تجيد التزين والمشى فى الطرقات بخطرة ونظرة وبسمة يتهاوى لها كثير من الرجال . حياتها سهر وخمر ولهو وعبث وتقود كثيرة تأتى وتذهب ، ورجال كثيرون يجيئون ويمضون . متعة متصلة فيما يبدو ، لـكن آه كم هى مملة ومضنية . أين هى من خفقة حب حقيقية ، وخلجة حنان طبيعية . إنها متعة الجسد وحده والروح فى حرمان ، وما أتعسها متعة .

ثم آه من صناعة كل عدتها رواء الشباب ، وكل يوم يمر يحدث فى العدة ثلمة ليس لها التئام . كل الصناعات يزداد صاحبها على مر الأيام قدراً إلا هـذه الصناعة فلا تزيد الأيام صاحبها إلا رخصاً .

إن سعدية كانت ولدت لتكون امرأة قروية تتزوج رجلا قروياً وتلد له بنين وبنات وتمشى إلى الحقل حافية فى أثواب بسيطة سوداء وتأكل الخبز القدد وتافه الأدام . حياة شظف وخشونة ، لـكن آه ! إن فيها قلبين يتجاوبان ، ونعمى الأمومة لا تعدلها نعماء .

أى الحياتين أفضل ؟!.. لـكن ما جدوى المفاضلة بينهما ؟ . وهل كان لسعدية فى أمرها أى اختيار ؟ .. إن الذى هى فيه قد أريد لها وكان .

نعم لا أحد عنعها الآن أن تخلع زينتها ، وتغسل أصباغها ، وترمى عنها أثوابها الفاضحة ، وتخرج تائبة منيبة وتتزوج رجلا إن

وجد ، أو تقضى بقية العمر متبتلة طهوراً عاملة لكسب عيشها بعرق الجبين . لكن الذى يستطيع أن يخلق نفسه هكذا خلقاً جديداً لا يكون إلا ملاكا أو قديساً ، وسمدية لم تكن ملاكا ولا قديسة بل كانت امرأة عادية كغيرها من ملايين النساء .

هذه الخواطر كانت تطوف بنفس سمدية فى بعض الأحيان فلا تلبث أن تنفضها كلها عنها بهزة كتف وتنصرف إلى شىء آخر وهى أن تلوك بشدقيها مضغة اللاذن .

وذات يوم وهى تتخطر فى الطريق رأت رجلين قرويين أحدهما يكبرها بسنتين ويصغرها الآخر بمثلها ، ومعهما قروى عجوز مهدم وقروية عجوز لا تكاد تبصر . لم تكفها منهم كغيرهم من الناس نظرة عابرة بل علقت بهم عيناها لا تستطيعان عنهم حولا . ودارت بها الدنيا وهى تهوى بذاكرتها عبر السنين إلى أعماق الماضى البعيد . وتبعتهم عن كثب وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان .

ورأتهم يدخلون ضريح السيدة زينب . لقد عادوا يتوسلون إليها كما تعود إليهم ابنتهم المفقودة . وماذا تصنع السيدة زينب فيما أقيم فيه العباد ؟ إن الله ربها وربهم لا يغير شيئاً بهم مالم يأت التغيير من جانبهم . ما حيلة السيدة زينب فيما لا يريده الله .

وطفرت من عينى سمدية دموع حرى . دموع لم تعرفها منذ فقدت أهلها أول مرة . وهؤلاء هم أهلها على بعد خطوات منها . هل تذهب إليهم وترتمى عليهم ؟ إن ثيابها وزينتها وسحنة وجهها ونغمة صوتها كلها مطبوعة بطابع داعر . وهى إن ذهبت إليهم فسينكرونها حتما ولن يعرفوها أبداً ، وإن استطاعت أن تعرفهم بها فلن يمحوا عنهم عارها إلا قتلها . خير ألف مرة لهم ولها أن يبقوا على ظنهم من أنها لقيت حتفها صغيرة على براءة وطهر ، أو أنها ، إن كانت تعيش ، فعلى أى حال غير هذه الحال .

وأشاحت بوجهها عنهم وولت مدبرة .

لقد كانت طفلة ضالة ، وهى اليوم امرأة ضالة .

عبد الغنى على حسين

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٧ — الاثنين ٢٠ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٠٧ — الاثنين ٢٠ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٤٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله

في اليوم الثالث من يناير ١٩٤٩

عدد «الرسـالة»

الهجـرى «الممتـاز»

حافـلا كعادته

بالشهى الطلى من ثمار الثقافة الاسلامية الصحيحة

مدبجا بأقـلام

أعلام البيان فى العالم العربى

16 em Année No. 807

Lundi — 20 — 12 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٨ — ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى سبيل سياسة إيجابية للجامعة العربية

للاستاذ عمر حليق

من الأخطاء التى ارتـكبها العالم المتمدن اعتقاده أن العلة الأساسية التى جملت تاريخ الإنسانية فى الخمسين سنة الأخيرة سلسلة من الحروب الداخلية والخارجية هى فســـاد المذاهب السياسية ، وأن الدواء الوحيد لها هو تغيير هذه المذاهب . ومن هنا تولدت الأنظمة النازية والفاشـية والشيوعية والديمقراطية المعاصرة والاشتراكية ، ومن هنا كذلك تألفت عصبة الأمم المنحلة ، وهيئة الأمم القائمة .

هذا الاعتقاد خاطىء لأن التجارب المريرة التى مرت بها الانسانية فى ظل هذه النظم — نازية أو ديموقراطية أو شيوعية فى عصبة الأمم أو فى هيئـة الأمم المتحدة — كلها لم تُشف الانسانية من علة الحروب ومن علة الشقاق الداخلى ومن علة التناطح فى العلاقات الدولية .

هذا الاعتقاد خاطىء لأنه يعالج النظم قبل أن يعالج الفرد الذى يتبنى هذه النظم ويتولى تنفيذها أو يعمل على تقييد نفسه بالتزاماتها . وهو خاطىء لأنه فى حماسته لتحقيق الأهداف ينسى أو يتجاهل خطورة السبل والوسائل .

فمصيبة النازية والشيوعية والديمقراطية الغربية ، ومصيبة عصبة الأمم وهيئة الأمم ليست فقط فى المبادىء والفلسفات التى بنيت عليها ، فـكلها مبـادىء تتوخى — نظريا على الأقل — إسعاد المجتمع الذى تعمل فيه وتوفر له الاستقرار والرخاء .

ولـكن المصيبة فى الأفراد الذين تولوا ويتولون العمل لها ، ومصيبة الوسائل والسبل المتخذة لتحقيقها .

وجامعة الدول العربية هى واحدة من هذه المذاهب السياسية التى شـعر سكان الشرق العربى بحاجتهم إليها فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم ؛ وفى هذه الفترة الدقيقة التى تمر بها المجتمعات الصغيرة المتقاربة المتشابكة التى تنطق بالضاد .

وفى هذه الأزمة النفسانية العاصفة التى تجتاح العالم العربى ، وفى أعقاب هذه النـكسات السياسية فى هيئة الأمم والعسكرية فى الميدان تتناول ألسنة الرأى العام الجامعة العربية بالنقد اللطيف حينا والعنيف أحيانا . وفى هذه الأزمة تتعرض المبادىء والفلسفة التى بنيت عليها الجامعة العربية لخطر جسيم . ولعل هـذا الخطر هو أو هى ما يواجه الشرق العربى فى تاريخه الحديث ، وفترة فاصلة فى مستقبله .

وفى هذه الأزمة النفسانية قد يقع العرب فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الـكثيرون حين ألمت بهم أزمات مشابهة ، فهم فى بلبلتهم الفـكرية والعاطفية يميلون لأن يجسموا موطنا واحدا من مواطن الضعف فى نظرة ضيقة ، بل هم أميل إلى البحث عن لون من الحياة جديد .

وتكرر المأساة من جديد وهكذا دواليك .

فليس من الغريب إذن أن يتخذ بعض الناس هذه النظرة نحو جامعة الدول العربية وفكرة الوحدة العربية إجمالا فأن هذه النزعة وليدة شعوبية متأصلة ، ولكنها فى أغلبها تخرج من أزمة نفسية .

ولهذا ، فان الأزمة التى تواجهها الجامعة خطيرة خطورة الفكرة التى تحملها . ولنقرر قبل كل شىء أن الفكرة والمبادىء التى بنيت عليها وتدعو إليها الجامعة العربية هى مبادىء سليمة . هذه أمور أساسية مستمدة من صميم الفكر السياسى والاقتصادى المعاصر ، ومن صميم المقدمات الثقافية (وهى تشمل السياسة والاقتصاد والعاطفة) التى يعيش عليها الناطقون بالضاد فى الشرق الأدنى .

هى مستمدة من صميم الفكر السياسى المعاصر لأنها دعوة إلى التآلف الأقليمى والتكتل السياسى ، على أساس المصلحة الحيوية المشتركة فى السياسة والاقتصاد والعصبية الثقافية وجميعها دعائم ضرورية للحياة الشريفة .

والجامعة العربية هى أول محاولة جدية للتعاون الأقليمى على أحدث ما أنتجته الفلسفة السياسية المعاصرة . والتعاون الأقليمى منصوص عليه فى ميثاق الأمم المتحدة ، ويحتل مكانة بارزة أشد البروز فى تكوين هيئة الأمم المتحدة الداخلى وفى نشاطها ونشاط فروعها والوكالات الخاصة الملحقة بها .

فمحاولة حلفاء الغرب توحيد أوروبا الغربية ومحاولة الروس فى شرق أوروبا ، ودول العالم الجديد فى مشروع الحلف الأمريكى مسبوقة بمحاولة الجامعة العربية للتكتل على دعائم أمتن وأبعد شأوا وأرفع فى مقاييس الخير والشر فى العلاقات الدولية .

ومع ذلك فان الجامعة العربية تواجه أزمة من طراز حاد ، والسبب فى ذلك لا يرجع إلى مبادئها وأهدافها ولكن إلى الأفراد والسبل التى تحمل الدعوة إلى هذه المبادىء وتعمل لتحقيقها .

وقد أصبح التنديد بالزعماء والقادة من قبيل الكلام المبتذل ، ولقد جسمته ألسنة الرأى العام العربى ، فجعلته السبب الوحيد فى هذه الأزمة التى يمر بها العرب اليوم ، ومن النادر أن نرى فى هذا التنديد دراسات منتقدة للسبل والوسائل وللنواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تتحداها هذه الأزمة .

وعلة الجامعة العربية هى فى افتقارها إلى إدارة رشيدة وخطط عملية ووسائل مرضية لتحقيق الهدف والفكرة التى تعمل لها فإنك لن تستطيع بلوغ هدف قبل أن تضع للوصول إليه خططا وبرامج عملية وجهازاً إدارياً حازماً لتنفيذها .

والجامعة العربية فى حالتها الحاضرة تحتاج إليهما جميعاً .

ولقد اعتدنا فى الشرق العربى أن نتناول القادة من حيث (وطنيتهم) وما إلى ذلك من بقايا عهد النضال ضد الحكم الأجنبى . وقل أن نتناول القادة والزعماء من حيث مقدرتهم وصلاحيتهم ومؤهلاتهم العلمية واستعداداتهم النفسية . وكل توجيه سياسى لا يتوخى دراسة القادة على مثل هذا الضوء توجيه مشوه ضعيف .

والجزء الأكبر فى هذه المقدمة الحادة التى جلبتها الجامعة العربية على نفسها والتى خلقتها ظروف وملابسات طارئة ، هى فقدان الكفاية والمؤهلات والاستعداد العلمى والنفسانى فى الجهاز الإدارى ومراكز التوجيه والمسئولية فيها .

فالجامعة لا تزال تنظر إلى نفسها ، ولا يزال الناس ينظرون إليها على أنها رمز للوحدة العربية ، بدل أن تنظر إلى نفسها كبرنامج للوحدة وكمشروع إنشائى .

والجامعة عربية « بدوية » من حيث أنها تتناول الأشياء فى نظرة شاملة على حين يتجه العالم نحو التحليل والتخصص . والجامعة فى نظرتها هذه لا تجارى النزعة « العلمية » التى أخذت تتمكن من العقلية العربية المثقفة .

فى هذه السنوات الثلاث التى مرت على الجامعة منذ تأسيسها أحرزت تقدماً سياسياً ملحوظاً وملموساً ، ولكنها قصرت تقصيراً مخجلا فى الاقتصاد والمواصلات الفكرية والتعاون الثقافى والاجتماعى ، وذلك لأن المشرفين عليها يبدو أنهم لا يقدرون قيمة هذه النواحى فى التعاون الإقليمى الصحيح ، والسياسة ليست وسيلة للتعاون الاقتصادى والفكرى ولكنها نتيجة لها.

هذه الأصوات الناشزة التى تصدر هنا وهناك وهذا الركود السياسى البادى فى المملكة السعودية واليمن هى وليدة قصور الوسائل فى الجهاز الإدارى للجامعة العربية .

وهذا القصور لا يرجع إلى الصخور الشماء التى تقف فى سبيل برامج الدوائر الثقافية والاقتصادية فى الجامعة . ولكنه يرجع إلى فقدان هذه البرامج .

لقد عجزت مثلا الإدارة الاقتصادية فى الجامعة عن أن تضع

لها أصبحا رفيعاً فى هذه الثورة الصناعية التى تحتاج نجداً والكويت وتكاد تفصل شرق العالم العربى عن غربيه وأواسطه ، اقتصادياً واجتماعياً . فلا غرابة إذن أن سياسة البترول (وهى سلاح خطير فى العلاقات الدولية) فى الجامعة العربية مقيدة باعتبارات سياسية محلية .

إن طائفة من الدراسات وسلسلة من المؤثرات وثغرات الخبراء تفيد الجامعة فى هذه الثورة الصناعية الخطيرة فى ظهران والبحرين والكويت فوائد جسيمة للتعاون السياسى والاقتصادى ولمستقبل الوحدة العربية إجمالا .

فهو أولا : محاولة لتعريب آبار الزيت تدريجياً فتوفر العمل والانتفاع المادى والمهنى لألوف السعوديين والسوريين والمصريين وغيرهم من العرب فى هذه المنشآت التى يختص بها الأمريكان ذهب الصحراء ، ولربط قلب الجزيرة بالهلال الخصيب ووادى الكنانة من طريق استيطان هؤلاء العمال . وأى خطر على المستقبل الاجتماعى والثقافى — ولا نقول السياسى — للوحدة العربية وللتعاون الإقليمى جاثم فى هـذه الألوف من العمال الأمريكان والطليان وغيرهم الذين أنشأوا فى قلب نجد والكويت قطعة من أمريكا ومستعمرات إيطالية و « جوالى » أجنبية الثقافة والولاء لا تبدو خطورتها إلا حيث ترسخ جذورها هنا وهناك كما رسخت فى الاسكندرية وفلسطين .

وهى ثانياً : تحيط البيت السعودى بمجموعة عربية مستنيرة تعرف ما يفعله الاستغلاليون الأمريكان فى ذهب الصحراء وترقبهم فى ذكاء العالم الخبير بدل أن تترك البترول والبيت السعودى المالك والمجتمع السعودى إجمالا والتعاون الاقتصادى العربى فريسة فى يد الاستغلاليين العالميين ومعهم حفنة من المرتزقة العرب الذين ضربوا نطاقاً حديدياً على البلاد السعودية وأثار هذه العزلة الاقتصادية فى البلاد السعودية علاوة على أضرارها السياسية الوخيمة (كما تشهد قضية فلسطين) كونها نقطة أمريكية استراتيجية فإن لها خسائر اقتصادية جسيمة على باقى أقطار العالم العربى ؛ هذه الخسائر لا يقدرها إلا الذين أتيح لهم الاطلاع على فخامة التبادل التجارى الذى تمتص به عشرات الشركات التجارية فى نيويورك الدخل القوى للملكة السعودية فى جميع أوجه التبادل التجارى وبعملة صعبة كالدولار الأمريكى الذى يحتاج إليه الاقتصاد العربى فى سوريا ومصر والعراق ولبنان وفلسطين حاجة ماسة . والقصور فى هذا التعاون الاقتصادى ملموس فى أكثر من ناحية ، وليست سببه موانع سياسية فقط . ولكنه فى أساسه قصور فى التعريف بفوائده ودراسة فوائده المادية والعملية دراسة علمية وتعميمها بنباهة وعلى نطاق واسع . هو قصور فى الوسائل والسبل . والواقع أن الجامعة العربية قد أهملت استعمال أمضى الأسلحة لتدعيم كيانها والأهداف التى تدعو إليها ، وهى دعائم الرخاء والاستقرار فى هذا الجزء الهام فى العالم .

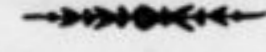
هذه الذئاب التى تجثم على أطراف الشرق العربى لتنهش منه وتعيش على خيراته ما الذى يدفعها إلى ذلك ؟ ما سر تنافس الروس والأمريكان والبريطانيين على هذا الشرق ؟ وهذه الثعالب الراقدة بين ظهرانينا تستثمر الملايين فى الشركات «المصرية» وفى مشاريع اليهود فى فلسطين ، أليست وليدة المعرفة بالإمكانيات المغرية الكامنة فى الشرق العربى ؟ كم يعلم المواطن العربى عن هذه الإمكانيات ؟ لمحات خاطفة فى الصحف السيارة لا تشفى الغليل ولا توقظ فى النفس وعياً اقتصاديا صحيحاً . الفائدة التى تجنيها الجامعة العربية والفكرة التى تعمل لها عظيمة لو أن الدوائر المختصة فى الجامعة جمت أو كلفت من يدرس هذه الإمكانيات فى إسهاب ودقة لتعممها على أوسع نطاق ؛ ولم تترك ألسنة الرأى العام العربى والمثقفين العرب فى معلوماتهم عن الوضع الاقتصادى فى الأقطار العربية فريسة المعلومات المشوهة المغرضة التى تصدرها المصادر اليهودية والشركات الأجنبية فى عشرات البحوث والنشرات . ولماذا يكون المواطن العربى أجهل الناس بوضع بلاده وخطورتها فى الاقتصاد الدولى ؟ قد لا تلام الجامعة العربية وحدها على هذا التقصير . فالخبرة الفنية متوفرة فى معاهد العلم والدوائر الحكومية والحكومات والأوساط العلمية العربية والمثقفون الخبيرون يشاركون الجامعة وزر هذا الإهمال الضار .

وخذ مهزلة التعاون الثقافى . كأن الثقافة صرف ونحو وترجمة. ليس للجامعة العربية نشرة واحدة محترمة تحمل رمز هذا التعاون ورسم المناهج له ، وليس لها وسيلة واحدة فى وسائل المواصلات الفكرية لتنقل إلى بيروت وبغداد أنباء البحث ونجد والكويت، والصحف العربية لا تزال فريسة الدعاية الأجنبية الخبيثة عن طرق وكالات الأنباء الأجنبية حتى فيما يتعلق بالشؤون العربية الصرفه . وكم من بلبلة أوجدتها هذه الوكالات فى الحياة العربية الداخلية بوسائلها الخبيثة . وشكراً لمصر التى تكاد تحتكر الإنتاج الفكرى والصحفى فتؤلف نوعا مشوها من الوحدة فى الاتجاهات

أول أبطال الحروب الصليبية :

عمـــاد الدين زنـكى

للأستاذ أحمد أحمد بدوي



لم يكن الصليبيون يستطيعون أن يجدوا وقتاً أنسب من هذا الوقت الذى اختاروه للانقضاض فيه على بلاد الشام ؛ فقد كان النظام الإقطاعى يومئذ يمزق وحدة هذه البلاد ، ويوهن من قواها ؛ فلم يستطع أمراء الإقطاعات المتفرقون أن يصدوا هذا الجيش اللجب الذى بعثت به أوربا لالتهام تلك القطعة من الأرض ، فسقطت فلسطين وجزء من سوريا بين أيديهم ، وأسسوا بها إمارات صليبية هى إمارة الرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس ؛ ورغم ما بذله أمراء البـــلاد مجتمعين حيناً ، ومتفرقين حيناً ، من الجهود فى حرب الصليبيين لم يستطيعوا استخلاص البلاد من أيديهم ، أو صد عدوانهم ؛ ورأينا الفرنج وقد امتدت حدودهم من ماردين وأنطاكية فى الشمال إلى مدينة العريش لدى حدود مصر . وأخذت جيوشهم تضخم وقسوتهم على من بجوارهم من العرب تشتد ، ونهبهم ما يطيقون نهبه يزيد فى كل يوم ، وأصبحوا يرتكبون كل عظيمة لا يهابون قصاصاً ولا عقوبة ، واحتملت البلاد المجاورة لهم كل ما لا يستطاع حمله من الذل والإرهاق ، ففرضت عليها الضرائب الثقيلة لا تميز فى ذلك بين مسلم ومسيحى .

تلك كانت حال البلاد عند ما ولى عماد الدين زنكى إمارة الموصل . وقد لوحظ فى اختياره لهذه الإمارة ما عرف عنه من الكياسة وحسن الإدارة ، والشجاعة فى حرب الصليبيين ؛ فرأى الأمير الجديد أنه لا يستطيع النهوض بهذا العبء ، وشمل الأمة ممزق ، ووحدتها مبعثرة ، فوضع نصب عينيه أن يوحد البلاد تحت قيادته ، ويجمع أمرها فى يديه ، حتى يحمل على عدوه حملة رجل واحد ، ويستخلص من بين براثنه الوطن المغتصب ؛ فضم إلى إمارته معظم بلاد الجزيرة ، ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام ، وحاول الاستيلاء على دمشق حتى تتم له وحدة البلاد ولكنه لم يوفق .

ورأى عماد الدين أن إمارته — وقد اتسعت رقعتها — فى حاجة ماسة إلى الإصلاح الشامل ؛ فنصب نفسه أباً لشعبه وسهر على إصلاح شئونه المالية ، حتى يستند إلى دعامة قوية من المال فيما صمم عليه ، وكانت البلاد قد خربت قبـــله ، لطول غارات الصليبيين عليها ، وصار كثير منها غير مزروع ، وانقطعت التجارة لتعرضها لنهب الفرنج ، فبذل زنكى جهوداً جبارة فى إحياء الزراعة ، وإعادة الرخاء إلى إمارته ؛ فرجع الفلاحون إلى أرضهم ، وبنيت المدن المخربة ، وعاد إلى التجارة الحياة ، كما أخذ العابثين بالنظام ، وقطاع الطرق بالشدة والقسوة ، وحكم إمارته بعين يقظى تنقل إليه عيونه كل ما يجرى فيها وفيما حوله من البلاد ، حتى لا يؤخذ على غرة . ونهض بالبـلاد نهضة ثقافية ، فكان هو ووزيره جمال الدين الجواد من حماة رجال العلم والثقافة . وأحاط نفسه بنخبة ممتازة من الرجال أغدق عليهم خيره ، ولم يكن من صفاته التلون والتغير على أصحابه ، فكانوا لذلك يخلصون له فى النصح ، ويبذلون نفوسهم فى سبيله ، وبهذا كله استطاع أن يجمع قوى هذه الإمارة ويوجهها إلى الصليبيين يحطم بها ما استطاع من قوتهم

كان الفرنج ينظرون إلى هذه الإمارة الناشئة بعين الريبة ، فما هو إلا أن صمم عمـاد الدين على لقائهم عند حصن الأثارب

الفكرية والعاطفية ، مشوهاً لأنه يفتقد عناصر التوجيه القومى المنظم الذى يجب أن يقع عبئه على الدوائر المختصة فى الجامعة العربية . وفى نشاط جامعة الحلف الأمريكى (الولايات المتحدة وجاراتها اللاتينية الجنوبية) فى هذا المضمار دروس وخبرة تصلح للاقتباس والقدوة المفيدة . وبعد ، فهذه وغيرها من أوجه العجز لا تنفى مطلقا متانة المبادىء التى تدفع العرب إلى الوحدة والتعاون الإقليمى إلى أبعد حدود التعاون . ولكنها ألوان فى القصور مرجعها فقدان الاستعداد لدى القائمين على شئون هذه المنظمة الإقليمية التى تحتل اليوم على الرغم من كل ذلك مكانة خطيرة فى الأوساط الدولية . والذين أتيح لهم الاتصال عن كثب بهيئة الأمم والوكالات الفنية العالمية يقدرون هذه الخطورة حق التقدير . هو قصور فى الاستعداد وضعف فى الوسائل والسبل لتحقيق هذا التعاون .

وإذا كان التحدى سبيل إلى الرقي والتقدم ، فإن هذا القصور — الذى هو جزء من الأزمة التى تواجه الجامعة ومعها العرب فى مختلف أقطارهم — هو نوع من التحدى . والأزمات فى جلها أنواع من التحدى . وتاريخ التمدن كما قال المؤرخ توينبى Toynbes تحد وإجابة .

نيويورك **عمر حليق**

سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وهو حصن قريب من حلب ، اشتد ضرره على أهلها ، فلا يكاد يمر يوم من غير غارة عليهم ، أو نهب لأموالهم . حتى جمع الفرنج فارسهم وراجلهم يريدون أن يسددوا إلى تلك الإمارة ضربة قاضية ، لا تقوم لها بعدها قائمة . ولعل الخوف من هذا الحشد الذى جمعوه قد داخل نفس بعض أصحاب العماد ؛ فأشاروا عليه بالعودة ، ولكن الحماسة المتدفقة فى صدره ملأت نفوس جنده همة وإقداماً ، فأقبلوا على أعدائهم فى إيمان وبسالة يريدون أن يظفروا بالشهادة فى سبيل الله . ولقد صبر الفريقان وأبلوا فى المعركة أشد البلاء ، ثم ظفر المسلمون بأعدائهم وانتصروا عليهم ، وانهزم الفرنج هزيمة منكرة . قتل منهم عدد ضخم ، ووقع الكثير من فرسانهم فى الأسر وأذاقهم المسلمون من بأسهم ما أدخل فى نفوس عدوهم الرهب والوهن ، فلم يستطع الفرنج لقاء عماد الدين عند ما مضى مجداً بجنده إلى قلعة حارم بالقرب من أنطاكية ، وبذلوا له نصف دخل المدينة على أن يعقد بينه وبينهم هدنة ، فأجابهم إلى ذلك ، حتى يعطى جيشه الناشئ فرصة للراحة والاستعداد ، وعاد بعد أن رأى الفرنج أن البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصارى همهم أن يحفظوا ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا فى ملك جميع البلاد.

رأى الفرنج هذا الخطر فأرادوا تحطيمه ، ومضى ملك بيت المقدس إلى أعمال حلب يهاجمها ، وجاءت طائفة من فرنج الرها تغير عليها ، فاستقبلهم عامل حلب وهزم الأولين ، وأباد الآخرين . وأراد عماد الدين أن يثأر من عدوه ، فانقض بجنده على اللاذقية وأثخن فى الفرنج قتلا ، وأسر منهم سبعة آلاف أسير ، وكانت الغنائم أكثر من أن تحصر ، وأخذت الروح المعنوية تقوى عند المسلمين ، بينما دب الوهن والخوف إلى نفس أعدائهم ، فلم يثأروا لأنفسهم ، ومضى زنكى يكيل لهم الضربات المتلاحقة ، ويأخذ منهم القلاع والحصون ، ويسترد المدن والقرى ، ويمنح أهلها الأمان والسلام حتى ضج الفرنج ، وأرسلوا إلى ملك القسطنطينية يستصرخون به ، ويحرضونه على أن يصل لينقذ البلاد قبل أن تملك ، فأقبل على عجل ، ثم مضى إلى حلب يريد أن يستولى عليها فلم يجد فيها مطمعاً ، فذهب إلى قلعة شيزر ، ولم تكن خاضعة لزنكى ، يريد أن يجعلها قاعدة يشن منها هجومه . ولعل ملك الروم ظنها سهلة المنال ، وأن العدو اللدود زنكى لا يعنى بأمرها فحاصرها ، ونصب عليها سبعة عشر منجنيقاً ، ولكن صاحبها أرسل يستنجد بعماد الدين فجاء إليه مسرعاً بجيشه ؛ غير أن ملك الروم كان قد جمع من الجند عدداً ضخماً ؛ فرأى العماد أن يستخدم الحيلة فى هزيمته ؛ فكان يسير كل يوم إلى شيزر هو وجنده ، ويقفون بحيث يراهم الروم ، ويرسل سرايا تأخذ من ظفرت به منهم ، ثم إنه أرسل إلى ملك الروم يقول له : إنكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى ، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم ، وإن ظفرتم بى استرحتم ، وأخذتم شيزر وغيرها . فأشار فرنج الشام على ملك الروم بلقائه ، فلم يفعل ، وقال : أتظنون أن ليس له من الجند إلا ما ترون؟ إنما هو يريد أن تلقوه فيجيئه من نجدات المسلمين مالا حد له . وكان زنكى يرسل إلى ملك الروم يوهمه أن قلوب الفرنج متغيرة عليه وأنهم سينفضون من حوله إن هو أقبل على الحرب ، ويرسل إلى الفرنج يخوفهم من ملك الروم ، ويقول لهم : إن ملك بالشام حصناً واحداً ملك بلادكم جميعاً . فخاف كل من صاحبه ، ورحل ملك الروم عن شيزر وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها ؛ فتبع زنكى جند عدوه وظفر بالكثير منهم ، ووقع فى يده جميع ما تركه الفرنج غنيمة باردة ، وقد بهر هذا النجاح شعب عماد الدين وخلده الشعراء فى قصائدهم .

وكان أعظم ما قام به عماد الدين ، أنه حطم إمارة كاملة من إمارات الصليبيين ، تلك إمارة الرها ، ففى جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة سقطت المدينة فى يده بعد أن حاصرها حصاراً عنيفاً . وقد فكر فى أن ينزل عقوبة مخيفة بالصليبيين انتقاماً لما اقترفوه من مذابح عندما دخلوا بيت المقدس وأنطاكية وغيرهما ، ولكن إنسانيته غلبت غضبه ، فلم يقتل عدا المحاربين أحداً ، ولم يأسر رجلا ولا امرأة ولا طفلا . ولم يستول على ممتلكات أحد ، وأمر جنده بإعادة ما أخذوه فعاد البلد آمناً عامراً

كان لسقوط الرها دوى عظيم فى جميع الأرجاء . وكان فتحاً عظيما ملأ قلوب المسلمين غبطة وبهجة ، وأقبل الشعراء يهنئون عماد الدين بهذا الفتح وأكثروا وأطالوا ؛ فمن ذلك ما قاله ابن منير:

صفات مجدك لفظ جل معناه ... فلا استرد الذى أعطاكه الله
يا صارماً بيمين الله قائمه ... وفى أعالى أعادى الله حداه
أصبحت دون ملوك الأرض منفرداً ... بلا شبيه ، إذ الأملاك أشباه
فداك من حاولت مسماك همته ... جهلا وقصر عن مسماك مسماه
أبن الخلائف عن فتح أتيح له ... مظلل أفق الدنيا جناحاه
فتح أعاد على الإسلام بهجته ... فافتر مبسمه واهتز عطفاه

أبقاك للدين والدنيا تحوطهما من لم يتوجك هذا التاج إلاهو

ترك عماد الدين زنـكى حامية قوية فى الرها ، وأخذ يتابع انتصاراته على الصليبيين ويستخلص من أيديهم ما بقى من إمارة الرها ، وبينا هو يحاصر إحدى القلاع اغتاله وهو نائم أحد مماليكه باغراء أعدائه وذلك فى ربيع سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

كان زنـكى إلى جانب شجاعته وبسالته سياسياً ماهراً ، يهادن عدوه ، ويلين إذا رأى ذلك ضرورة أو كان محتاجاً إلى وقت يجمع فيه شمله ، ويعد عدته فإذا رأى الفرصة موانية انقض لا يلوى على شىء ، ويفرق بين خصومه بالحيلة والمكر حتى يأخذ كلا على حدة ، وساعده على النجاح فى حروبه ما بثه من العيون فى بلاد عدوه تأتيه بالأخبار وتنقل إليه حقيقة الحال .

مات عمـاد الدين وألقى عبء إكمال جهاده على عاتق ولده نور الدين ، وأرجو أن أوفق فى كلة أخرى إلى بيان المدى الذى بلغه الابن العظيم فى تحقيق آمال والده البطل الـكبير .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

علم النفس والقضاء الجنائى

للاستاذ حسين الظريفى

ما من أحد يحضر مجلس القضاء إلا تملـكه الشعور بالحرمة والـكرامة اللتين تغمران جو المـكان . لا فرق فى ذلك بين من كان من المتقاضين أو السامعين والقاضى نفسه ، وهو على منصة القضاء ، ليمازجه نفس الشعور الذى يشعر به سواه ويدخل مع الداخلين فى ذلك الجو الخاص الذى تفرضه طبيعة القضاء على كل من حضر مجلسه . فالجميع سواء فى تلقى المعنى الخالد الذى يوحى به حكم القانون فيما يعمل العاملون .

إن هذه الحرمة التى كانت وما تزال ، وستبقى إلى الأبد ، وهى أقوى شعور يمتلك أنفس الناس وهم وقوف أمام عدل القانون — قد صاغت الـكلمة القديمة التى تقول بأن روح القضاة من مصدر إلهى ، وجعلت قضاة القرون القديمة يعتقدون فى أنفسهم القدرة على استجلاء غوامض الأشياء ، مهما تعقدت العقد ، وامتد بها الأمد ، ولم يقو عليها من أحد . ولـكننا نجـد اليوم أن تلك الـكلمة القديمة قد أصبحت كلة جوفاء لا تدل إلا على معنى تاريخى ولا ترمز إلا إلى ذلك الشعور الذى كان يمتلك الإنسان فى زمن كان . فعصمة القضاء من الأخطاء لم تعد مما يدعيها أحد على أحد . والقضاة أنفسهم لايدعونها على الناس ولا يرتضون أن ينسبها لهم الناس . وهم فى أعماق نفوسهم يشعرون بثقل أمانة العدل المودع إليهم توزيعه على المتقاضين ، ويحققون ويدققون فيما يحـكمون ، لعلمهم أنهم مثل غيرهم عرضة للخطأ ، وإنهم قد يضلون السبيل ، ويفقدون الدليل ، وينوءون بالعبء الثقيل .

والقوانين الأصـولية تفصح فى إجراءاتها عن مدى حفظ حقوق المتقاضين من أخطاء القضاة ، فالحـكم لا يصـدر إلا وله معقب ممن صدر عليه ، ومحكمة أعلى يلوذ بها ذلك المعقب لتفادى أخذه بما لم تقدمه يداه . ثم إن الحـكم يعلن فى جلسة علنية وعلى ملأ من الناس ، ومن حق كل سامع له أن يستعرضه ويعرضه وأن يبدى الرأى فيه ، وتلك تعليقات الفقهاء على أحكام القضاء دلائل موائل على مدى ما يمـكن أن يخطأ فيه القضاة .

والقاضى الجنائى ، كالقاضى المدنى ، قد يخطئ فى فهم النص وفى تطبيقه على الوقعة ، ولـكنه ينفرد عن القاضى المدنى بما قد يقع فيه من الخطأ فى معرفة الجانى ، وفى تعيين مدى أخذه بجريرته ونوع وشدة العقاب الواجب فرضه عليه ، فتلك ميادين فسيحة لا يجرى فيها القاضى المدنى ، ويلزم بالجرى فيها القاضى الجنائى ليتخطى الخطأ ويصيب الصواب فيما يقضى به على الأظناء .

ومما لا ريب فيه أن الشهادات المدلى بها أمام القضاة وسائر البينات المعروضة عليه ، لا تكفى وحدها دليل نفى أو إثبات ، فهناك الشخصية التى تدور عليها هذه البينات ، وهى شخصية المتهم ، ولا بد من إيضاح الخطوط الدقيقة التى تتجاذب أو تتنافر عندها تلك الأدلة مع شخصية المتهم لتقوم حجة له أو عليه ، وهذا ما يضطلع به علم النفس وما تسديه يداه . ثم هناك ماهية الجريمة ، فإنها هى الأخرى لا تقدر حق قدرها إلا بعد إيجاد نقط اتصالها بشخصية المجرم ، وذلك مايعنى به علم النفس أيضاً ويقوى عليه . بل إن الأدلة نفسها لا بد من النظر إليهـــا على ضوء هذا العلم قبل الأخذ بها أو طرحها ، حتى إذا ثبتت إدانة المتهم وعد مجرماً وأريد فرض العقاب عليه ، برزت أمام القاضى الجنائى مسألة خطيرة هى تعيين درجة مسئوليته عن جريمته ، وهنا تنفتح أمام القاضى الجنائى أبواب علم النفس الحديث لتفتح مغالق هذه المسؤولية فى الأعماق البعيدة من نفسية المجرم .

والواقع من الأمر أن المجرم يحمل فى جوانحه نفسية شاذة

معقدة قد ترسبت فيها أعقاب وراثة طويلة ، واستقرت عندها تربية منزلية واجتماعية عليلة وبيلة ، وبتفاعل هذه بتلك وتلك بهذه ، نشأت عنده الميول الإجرامية ، ثم أتيحت لها فرصة العمل بشكل اعتداء على المجتمع .

إن العمل مهما كان شكله وموضوعه لا بد أن يكون ناشئاً عن حافز داخلي ، ولابد لتقدير هذا العمل وإعطائه القيمة الحقيقية له ، وتعيين درجة مسؤولية صاحبه عنه ، من إزالة الستار عن ذلك الحافز الذي يكمن وراءه . والمجرم مهما كان مالكا لروعه وهدوئه عند مقارفته الجريمة ، لا بد أن يكون خاضعاً لتأثير خفي في نفسه ، فهو رجل شقي غير سوي ، ومقدار شقائه يجب أن يقدر بمقدار ما له من حرية إرادة تجاه ذلك العامل غير الشعوري الذي يمكن أن ندعوه بعامل الجريمة .

إن تحقيق العدالة في تطبيق الإجراءات الجنائية على الوقائع والجناة بحيث تؤدي إلى معرفتهم لا تكفي وحدها دون أن تنضم إليها العدالة في تطبيق قانون العقوبات على الجناة ، بحيث تفرض على كل جان العقوبة المؤثرة فيه ، فتنزل عنده بمنزلة الدواء وتمنحه الشفاء من علة ما فيه من الميل إلى الإجرام .

وقد يقع الفعل الذي يمنعه القانون ويعاقب عليه دون أن يؤاخذ عليه الفاعل ، وذلك فيما إذا كان في حالة يعفى فيها من العقاب ، تلك حالة تستوجب حسن تطبيق القانون ، ولا سبيل إلى حق هذا التطبيق إلا عن طريق دراسة نفسية الفاعل مضافة إلى دراسة طبيعة الظرف الذي وقع فيه الفعل .

ذلك بعض ما أمكنت الإشارة إليه في هذه الكلمة القصيرة ، وهي تفصح عن المدى الذي يصل إليه ويتغلغل فيه علم النفس من مباحث المجرم والجريمة في القوانين الإجرائية الجنائية والعقابية . ولاختلاف هذه المباحث في موضوعاتها وتشعب أصولها وفروعها ذهب علماء الفقه الجنائي لا إلى إحداث علم نفس خاص يعنى بموضوع المجرم والجريمة ، ويستقل بمباحثه عن علم النفس العام ، ولكن بتقسيم هذه المباحث إلى موضوعات ، وإفراد كل موضوع منها بعلم نفس خاص له أسلوبه وأغراضه ودوره الذي يؤديه في ساحة القضاء .

وهكذا وجد علم النفس القضائي ، وهو العلم الذي يحلل فيه القاضي الجنائي نفسيات جميع أفراد الدعوى العامة من شاك يمثل الهيئة الاجتماعية في شخصية النيابة العمومية ، ومن متهم ، ومجني عليه ، وشهود إثبات ، وشهود دفاع وخبراء ووكلاء ، ثم هو قبل ذلك وبعد ذلك يحلل نفسيته تجاه أدلة الدعوى وتجاه أفرادها ليأمن شر ما يكمن وراء شعوره من منازع ودوافع الانحياز إلى جهة التجريم أو البراءة ، فيحتفظ بحياده القضائي في كل مرحلة من مراحل الدعوى وفي كل إجراء من إجراءاتها ولا يغفل عما يفعل .

تلك هي نظرة القاضي إلى نفسه ، وأما نظرته إلى أفراد الدعوى الآخرين ، فإنها توقفه على حالة المتهم الماثل أمامه أبرئ هو أم مسيء ، وهل يصدق هذا الشاهد أو ذاك في شهادته هذه أو تلك ، أم هو يكذب فيها عن عمد أو عن غير عمد ؟ وهل هناك مؤثرات شعورية أو غير شعورية لامست ولابست الخبراء والوكلاء فتأثروا بها عن شعور أو عن غير شعور فأعرضوا عنها أو استجابوا لها ، ومدى تأثير ذلك في أقوالهم وأعمالهم في جميع درجات التحقيق والمحاكمة ؟

وُجد علم النفس الجنائي ، وهو العلم الذي يفسر الجريمة بالتفسير العلمي ، ويحلل نفسية المجرم ، ويمد يده إلى جذور الإجرام فيه .

ووجد علم النفس القانوني ، وهو العلم الذي يضمن للقاضي حسن تطبيق نصوص القانون العقابية على الوقائع الجرمية من حيث تعيين درجة المسؤولية التي يمكن إلقاؤها على عاتق الجاني

وهكذا نجد علم النفس القضائي يسير في ركاب القاضي الجنائي من أول مراحل الدعوى إلى آخرها فيحفظه من مغبة الحكم على البريء والإفراج عن المسيء ، ويبين من هو الفاعل .

ونجد علم النفس الجنائي يظهر في قاعة المحاكمة عند ما ينتهي علم النفس القضائي من تعيين الفاعل فيقوم فيه بدور التحليل ورد الجريمة إلى أصولها وبواعثها لتعيين كونه مجرماً أو غير مجرم ، ثم يأتي الدور لعلم النفس القانوني ، وهو دور غير حتمي ، وفيه يضع القاضي مواد القانون في الموضع الذي أراده الشارع بالقياس إلى تعيين موقف الفاعل من الظروف المبيحة لارتكاب الفعل أو المعفية من العقاب ، ويقرر كون الفاعل مسؤولا أو غير مسؤول

تلك هي العلوم النفسية الثلاثة التي لا غنى عنها لكل قاض جنائي يهمه الاضطلاع بأعباء الدعوى العامة على الوجه الذي يحقق العدل وريح الضمير ويزيد من ثقة الناس بالقضاء .

(بغداد) **حسين الظريفي المحامي**

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٤ —

يرجع السر فى أن قبيلة تميم نالت قسطا كبيراً من عناية الرواة وغلبة ذكرهم لها ومعرفة الكثير مما انفردت به إلى أنها كما قدمت فى مقال سابق كانت تسكن جانب نجد المجاور للعراق.

ومعلوم لنا أن التنافس العلمى والسبق فيه كان ميدانه البصرة والكوفة المواجهتين لصحراء العراق حيث يخرج منهما — وعلى الأخص البصرة — العلماء والمتأدبون إلى البادية ليأخذوا اللغة من أفواه أربابها الذين لم تفسدهم العجمة. وكان إليهما يقصد الراغبون فى رواية الشعر ومأثور القول وضبط اللغة وغريبها على أعلام شيوخهما كأبى عمرو وأبى عبيدة، والأصمعى وأبى زيد، وخلف وحماد، والمفضل الضبى وابن الأعرابى، وغير هؤلاء وأولئك ممن كانت لهم فى العربية وعلومها قدم راسخة فلا عجب أن كانت تميم — وبطونها كثيرة — هى أول ما يروى لها ويؤخذ عنها. يضاف إلى هذا ما قدمته فى المقال الأول من أن البصرة والكوفة قد شملتا فى مبدأ إنشائهما عددا كثيرا من تميم، وهذه من تكملة ما خالفت فيه غيرها وبخاصة الحجازيين:

١ — «عسى» من أفعال المقاربة تستعمل تامة بمعنى أن ما وليها يعرب فاعلا لها وذلك إذا ما جاء بعدها «أن والفعل» كقول الله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم».

وتستعمل ناقصة بمعنى أن يكون لها اسم وخبر مشبهة «كان» فى العمل وذلك إذا ما جاء بعدها اسم ظاهر أو اتصل بها الضمير فيعرب اسماً لها، وبعده «أن والفعل» فيعرب خبراً لها كقول الله تعالى «عسى الله أن يأتى بالفتح». إلا أن أهل الحجاز لا يلحقون بعسى الضمائر ولا التأنيث. يقولون: هند عسى أن تقوم والمحمدان عسى أن يقوما، والمحمدون عسى أن يقوموا ...، لذلك تعتبر عندهم فى مثل هذا التركيب مكتفية بفاعلها غير محتاجة لخبر. أما التميميون فيلحقون بها التأنيث والضمائر يقولون: هند عست أن تقوم والمحمدان عسيا ... والمحمدون عسوا ...، فتكون فى مثل تركيبهم هذا ناقصة. وإذن فتميم تستعملها ككان الناقصة دائما، وأهل الحجاز لا يجعلونها كذلك إلا فى حالة ما إذا تلاها اسم ظاهر وبعده «أن والفعل».

والقرآن الكريم فى أغلب قراءاته لم تقع فيه الضمائر مع عسى إلا فى موضعين «قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا» و «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض» وقرأ عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب «لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن» بالإضمار فيهما على لغة تميم «عسوا أن يكونوا ... عسين أن يكن ...».

ثم إن عسى فيها لغتان: (ا) أن تكون على وزن سمى، (ب) أن تكون على وزن لقى. غير أن الثانى منهما هجر استعماله على إطلاقه واقتصر فيه على اتصاله بتاء الفاعل أو نون النسوة أو «نا». ومن العجب أن أبا حيان فى البحر نقل عن أبى بكر الأذفوى[1] وغيره قولهم: إن هذا الكسر لغة الحجازيين. وقد رأينا أن ذلك لا يكون إلا حين الاتصال بالضمائر السابقة وأن الحجازيين لا يلحقونها فاذا صح ما نقله أبو حيان عن الأذفوى يكون إلحاقهم الضمائر بعسى منتقلا إليهم من تميم إذ الأصل فى الاستعمال ما قدمته نقلا عن تفسير أبى حيان نفسه وعن الأشمونى وليس استعمال قبيلة للغة قبيلة أخرى بالأمر البعيد وعلى الأخص الحجازيين الذين خالطوا كل القبائل واقتبسوا من لغاتهم ما راق لهم. ومواسم الحج وأسواق العرب المشهورة لها أكبر الأثر فى تقارب اللغات وتفهم الألفاظ والتراكيب المنتشرة بين القبائل المختلفة. قال أحمد بن فارس بعد أن تكلم فى كتابه الصاحبى على اختلاف لغات العرب ما يأتى: «وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل».

---

(١) قال ابن الجزرى فى كتابه غاية النهاية: «أذفو بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وفاء، مدينة حسنة بالقرب من أسوان». فلعل سكانها الآن، يفضلون ما اشتهرت به قديما بالإعجام على ما ينطق به اليوم بالإهمال.

هذا وقد قرأ نافع المدنى « عسيتم » فى موضعيها السابقين بكسر السين وقرأ الباقون بفتحها .

٢ — فى اسم الإشارة المفرد للمذكر والمؤنث لا تلحق به تميم اللام فى حالة البعد بل تلحق به كاف الخطاب فحسب . لكن الحجازيين يلحقون به اللام مع الكاف . فعند تميم « ذاك وتيك » للبعيد وعند الحجازيين « ذلك وتلك » ومن هذا يتبين لنا أن بعض النحاة حين يقولون . هذا للقريب ، وذاك للمتوسط وذلك للبعيد ، فيه خلط بين لغات القبائل إذ وجدوا صيغا ثلاثا فعللوا لها وفرقوا بينها . ونحن إذا لاحظنا مثلا كلمة « ذاك » فى إشارتنا نجدها أوضح فى البعد من « ذلك » لما فيها من إطالة لحرف المد وافية بالغرض . وما تزال فى كثير من قرى مصر بالصعيد تستعمل « داك » بالدال المهملة فى الإشارة البعيدة للمذكر ، و « ديك » المؤنثة البعيدة . والواقع أن الشىء إما قريب[1] منك حسا أو معنى ، أو بعيد منك كذلك . وفى اللغة الانجليزية « this that » وفى الفرنسية « Ci la »

ومما يلحق بهذا أيضاً « هناك وهنالك » ، فالحجازيون هم الذين يلحقون اللام وتميم لا تلحقها جريا على قاعدتها من أنها لا تلحق اللام . وكذلك أولاء يمدها الحجازيون غير أنهم يلحقون بها الكاف فقط فى حالة الإشارة إلى البعيد ، وتميم تقصرها وتلحق بها الكاف أما قبائل قيس وأسد وربيعة فإنها تقصر أولاء كتميم لكنها تلحق بها اللام[2] مع الكاف ، وقد ورد على لغتهم :

أولا لك قومى لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل إلا أولا لكا

ومما يلحق بهذا أيضاً أن تميما لا تقول « هذه » فى وصل الكلام وإنما تقول « هذى » فاذا وقفوا قالوا « هذه » ، أما الحجازيون وقيس فيقولون « هذه » فى الوقف والوصل . ولم يرد فى القرآن الكريم استعمال « هذى ولا ذاك ، ولا تيك ولا هناك ، ولا أولا لك ولا أولاك » بل كل ما جاء فيه على لغة الحجازيين « إن هذه تذكرة » ، « وذلك هو الفوز العظيم » ، « تلك الرسل » ، « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » ، « هنالك الولاية لله الحق » .

ويضاف إلى ما تقدم أن قبيلتى تميم وقيس تقولان « هاهِنَّا » بكسر الهاء وتشديد النون وغيرهما بضم ففتح بدون تشديد .

٣ — « إما » التى للتفصيل تنطقها قبائل تميم وأسد وقيس بفتح الهمزة ، ففى مثل « أنت إما كريم وإما بخيل » يفتحون همزتيهما وبعض منهم يقلب ميمها الأولى مع ذلك ياء . وقد روى لرجل من عبد القيس يقال له سعد وكان عاقا لأمه :

يا ليتما أمنا شالت نعامتها أما إلى جنة أما إلى نار

وروى أيضا « ايما إلى جنة ايما إلى نار » .

فاذا استعملت تميم « أما » الشرطية المفتوحة الهمزة قلبت ميمها المدغمة الأولى ياء . ويبدو أن الشعراء فى صدر الإسلام كانوا — تظرفا منهم أو لانتشار اللغات — يقحمون لغة قبائل أخرى ليسوا منها لشهرتها بين العرب ومعرفتهم لها ، ولذا نجد عمر بن أبى ربيعة وهو حجازى يروى بيته الآتى على لغة تميم :

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى وأيما بالعشى فيخصر

٤ — ما فتىء وما يفتأ فلان يعمل كذا — من أخوات كان — تقولها تميم ما أفتأ فلان وما يفتىء فتجعله رباعيا . ولم يرد فى كتاب الله إلا قوله تعالى « تالله تفتأ تذكر يوسف » ولم يقرأ بها أحد على لغة تميم .

٥ — لعل — من أخوات إن — تنطقها تميم لغن بالغين المعجمة والنون قال الفرزدق :

قفا يا صاحبى بنا لغنا نرى العرصات أو أثر الخيام

وليس فى القراءات الصحيحة هذا الاستعمال .

٦ — « الهة » : تأثرت بعض بطون تميم بالفرس ، كما تأثرت بذلك قبيلة لخم وما جاورها ، فبنو سعد بن زيد مناة من تميم ولخم ومن قاربها يبدلون الحاء هاء . قال النعمان بن المنذر لرجل ذكر عنده رجلا : أردت أن تذمه فمدهته . وقال رؤبة بن العجاج وهو من بنى سعد بن زيد مناة :

---

(١) وهذا ما سار عليه ابن مالك وما رجحه الصبان على الأشمونى ، وقال إنه عزى لسيبويه .

(٢) ذكر المرحوم حفنى ناصف فى مميزات لغة العرب ، والمرحوم الرافعى فى تاريخ الأدب أن تميما كقيس وأسد وربيعة في استعمال أولا لك ونقلهما قد يكون من شرح التوضيح ، الذى رجح خلافه الصبان وهو ما ذكرته .

لمـا رأتنى خـلق المـوه براق أصلاد الجبين الأجله

بعـد غـدانى الشـباب الأبله

ومنها : لله در الغانيات المده . أراد : الأجلح والمدح .

وقد وردت ألفاظ كثيرة فى كتب اللغة مترادفة وليس من فرق بينها إلا أن هذه بالحاء وتلك بالهاء مع أن الوزن والترتيب واحد . فـكل ما ورد من ذلك ، إنما هو نطق القبائل المتأثرين بالفرس . وفى رأيى أن جميع الألفاظ التى أبدلت حاؤها هاء يجب أن تحفظ كأثر أدبى تاريخى ولا ينبغى أن نستعملها فى أساليبنا . ولذلك يجدر أن يلاحظ هذا من يقومون بوضع المعاجم فينخلوها ويضموها إلى أصـولها المتفرعة منها ، مشيرين إلى عدم جواز استعمالها ولا ينبغى أن يضعوها فى مواد مستقلة . وأعتقد أنه لا يجوز لنا أن نقول فلان مليه حينما نريد أنه مليح . ومدهت فلانا حينما أقصد أننى مدحته ولا معنى لأن نجعل ملح أو مدح فى باب الحاء فصل الميم ومله أو مده فى باب الهاء فصل الميم فى معاجم اللغة وأذكر أننى كتبت فى هذا الشأن بحثاً واسعاً نشر أغلبه وفيه قواعد وضوابط يمكن الاسترشاد بها لمن شاء .

٧ — العنعنة : تحرص القبائل النجدية على أن توضح الهمزة وبخاصة فى أول الـكلمة أو آخرها خشية أن يجور عليها بدء النطق أو الوقف فيقوون الهمزة إلى أن تـكاد تقارب العين وفى بعض الأحيان ينطقونها عينا ، وهذا ما يسمى حينئذ عنعنة وقد نسب إلى تميم وقيس أنهما تقولان فى أن عن وفى أسلم عسلم وقد جاء من ذلك :

فـما أبن حتى قلن يا ليت « عننا »

تراب و « عن » الأرض بالناس تخسف

ويبدو أن تميا تقلب الهمزة الأخيرة فى بعض الأحيان عينا فقد ورد أن قبيلة تميم تقول فى الخباء خباع .

٨ — الـكشكشة والـكسكسة : وكما تحرص القبـائل النجدية على توضيح الهمزة تحرص كذلك على إبراز الحركة الأخيرة إذا كان فى الوقوف عليها لبس وذلك فى كاف المخاطبة إذ أن الوقف عليها بالسكون يجعلها تلتبس بكاف المخاطب فللفرق بينهما قلبوا كاف المؤنثة شينا ثم توسعوا فى ذلك فقلبوها فى حالة الوصل أيضاً ، وهـذا ما يسمى كشـكشة ، وقد روى لقيس ابن اللوح :

فعيناش عيناها وجيدش جيـــدها

سوى عن عظم الساق منش دقيق

وأصله عيناك وجيدك ومنك . وفى البيت شاهد آخر وهو همزة أن التى أبدلت عينا . ومن كشـكشتهم ما يكون بالحاق شين ساكنة بكاف المخاطبة حين الوقف عليها (رأيتكش). وهذه الـكشـكشة وتلك فى قبائل تميم وقيس وأسد وربيعة . وبعض بطون هذه القبائل يجعلون بعد كاف المخاطبة أو بدلها سينا وذلك ما يسمى الـكسكسة .

قال الزبيدى فى مقدمة شرح القاموس: الـكشكشة فى ربيعة ومضر والـكسكسة فيهم أيضاً . وقال الأشمونى : الـكشكشة فى لغة تميم والـكسكسة فى لغة بكر من ربيعة . وفى شرح الرضى على كافية ابن الحاجب : ناس كثير من تميم وأسد يجعلون مكان كاف المؤنث شينا .

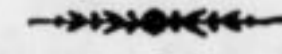
غير أننا نجد صاحب القاموس — وشارحه الزبيدى أيضاً — تارة يقول الـكشكشة لتميم والـكسكسة لبكر . ومرة يقول الـكسكسة لغة تميم لا بكر وقيل الـكسكسة لهوازن وهى من قيس ، ومرة يقول : كشـكشة أسد وكسكسة ربيعة ويوافقه فى ذلك أحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى . ومرة يقول الـكشكشة فى بنى أسـد أو فى ربيعة . ومرة يقول إن إبدال الـكاف التى للخطاب شينا لغة بنى عمرو من تميم . وعلى كل حال فإن بطون تميم جمعت بين النوعين ماذلك إلا لمجاورتها كما سبق أن قدمته فى مقال سابق — لمختلف هذه القبائل من أسد وقيس وربيعة .

لـكن أهل اليمن يجعلون الـكاف شينا مطلقا وسمى ذلك شارح القاموس « الوتم » وسماه الأستاذ هاشم عطية فى كتابه الأدب العربى نقلا عن بعض المصادر « الشنشنة » والقلقشندى فى صبح الأعشى ، قصر أهل اليمن على حمير ، وقصر الـكاف على التى للخطاب . هذا ولم تقع فى القراءات الصحيحة تلك الأنواع من قلب الـكافات شينا أو سينا أو إلحاق شين أو سين . وقد سمع فى قراءة شاذة : قد جعل ربش تحتش سريا

طرائف من العصر المملوكي :

صلاح الدين الصفدي المؤرخ

للأستـاذ محمود رزق سليم



إذا عُنينا في هذا المقال بالحديث عن صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي مؤرخاً ، فليس معنى ذلك أن هذه الصفة وحدها خصوصيته التي بها امتاز ، ولأجلها ذكر وفضل بين أعلام الأدب العربي . ذلك لأنه كان كاتباً مترسلا له منهج ، وأديباً كيساً له ذوق ، وشاعراً قادراً ذا نزعة . وهذا إلى جانب أنه من هواة التأليف ، بمعنى أنه ذو فن في اختيار موضوعاته ، وله ولوع بتلمس مادتها من بين الغرائب التي تند عادة عن الأذهان ، أو لا تفطن إليها في هوادة ويسر . وكل خصوصية من هذه ، جديرة بالدرس والبحث والتمحيص حتى تبرُز نفاستها للعيان .

والصفدي إلى جانب هذا وذاك — مكثار في نثره وشعره وتأريخه ، لا يرضى في عمله الأدبي بالموجز المقنع أو القليل النافع ، ولم يعمل قط بتلك الحكمة التي تقول : « خير الكلام ما قلّ ودلّ » . وكأنما كان يشعر أن ليس وراء الإيجاز إعجاز ، ولا في الاقتضاب إعجاب . وأن القل إما أن يبقِ شيئاً في ضميره ، أو يعبر عن عجزه وتقصيره . وإذا كان الأديب بعد أن يبعث خواطره مقالة باهرة ، أو ينفث مشاعره قصيدة عامرة ، يشعر أنه لم يبعث جميع ما في فؤاده ، ولم ينفث كل ما في نفسه ، وأن شيئاً في أعماقه لا يزال يقلقه ويؤرقه ، التمسنا العذر لصلاح الدين الصفدي في هـذا الإكثار الذي لم يبغ من ورائه إلا أن يبرز أكثرمايستطيع إبرازه من خفيات خواطره ، ومدخرات نفسه ، جاهداً في أن لا يبقى في طواياها بقية يقلقه بقاؤها . — وهذا هو ما ينبغي أن يكون عليه الأديب ، حتى يمتع الناس بأكثر أدبه وفنه . وفي سبيل ذلك الإمتاع يتناسون له غثه وسقطه . وإن كان الأديب الموهوب معجباً معجزاً في إكثاره أو إقلاله .

كان الصفدي إذاً مكثاراً ، طبعه في ذلك طبع الأديب الملىء لا يهدأ لسانه لهجاً بالأدب وترديداً له ، وفي نفسه مشاعر تجيش ، وفي أطوائه أحاسيس تثور . وكان له مذهب في الكتابة والشعر يلتزم فيهما أموراً وقيوداً على رأسها الجناس ، فقد كان متعصباً للجناس مخالفاً في ذلك مذهب أدباء عصره الذين كلفوا بالتورية ولم يشغفوا بالجناس إلا إذا خرج مخرج التورية . وكان مولعاً — كما أعتقد — بمداعبة أدباء عصره ، ومن مسالكه إلى تلك الداعبة أن يسطو على شعر أحد أنداده ، فيسرق معانيه

---

٩ — المجمجة : اشتهر عن قضاعة وهي يمنية[1] من قبائل حمير أنها تقلب الياء المشددة الأخيرة جيما وذلك لضعف الياء فقلبوها حرفا قويا وهو الجيم لكن « فقيما » من دارم من تميم كثيراً ما تقلب الياء وسطا أو آخرا مشددة أو مخففة جيما تقول في أيِّل المشدد أجل وفي أزيم المخفف أزجم وفي غلامى غلامج وفي تميمى تميمج ما ذلك إلا حرصاً على إبانة الحروف ، وقد سمع في المشدد :

خالى عويف وأبو « علج » المطعمان اللحم « بالعشج »

وسمع في المخفف :

لا هم إن كنت قبلت « حجتج » فلا يزال شاحج يأتيك « بج »

ولم ترد هذه اللهجات المستكرهة في قراءة صحيحة لكتاب الله الكريم .

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوي

---

(١) رجح جورجي زيدان في كتبه أن قضاعة من القبائل العدنانية بدون أن يبدى حجة على ترجيحه وقد فعل ذلك بعض الكتاب الحديثين أيضا . والواقع أن الاختلاف بين مؤرخي العرب قديم ولكني أرجح أنها يمنية لما يأتي :

١ — قبيلة كلب بطن من قضاعة ومعلوم أن معاوية بن أبي سفيان والأمويين كانوا يثيرون العصبية اليمنية وكانت كلب تناصر معاوية ، وقد اتفقت الكتب على أنها يمنية .

٢ — قبائل اليمن اعتادت نظام الملك والإقامة في الأراضي الخصبة ، نزحوا إلى شواطىء تهامة ، ثم نزحوا منها إلى أرض العراق والشام ولم يستوطنوا داخل الجزيرة اللهم إلا الأوس والخزرج الذين أقاموا بالمدينة وهي خصبة . وبطون قضاعة وأخوتها بطون كهلان انتشرت في تلك البقاع الخصبة وأسست الممالك ، وكان الملك في الشام والعراق للقضاعيين قبل الكهلانيين ، أما العدنانيون فما كانوا يعنون بالملك ولا بالاستقرار في الحضر .

أو ألفاظه ، أو يسلبه شيئاً منها ، حتى يثيره ويهيج خاطره . وفى مقدمة هؤلاء الأنداد شاعر العصر وخله الجمال بن نباتة المصرى؛ فكان من جراء ذلك كله ، أن شغل الصفدى أهل عصره وأثار ثائرة أدبائه ، بل والأدباء من بعده . فألف فيه ابن نباتة كتابه « خبز الشعير » الذى جمع فيه سرقاته من شعره . وحمل عليه ابن حجة من بعده فى خزانته ، ونعى عليه جنونه بالجناس حتى ألف فيه كتابه « جنان الجناس » . وأنشد ابن أبى حجلة المغربى يقول عن الصفدى وسرقاته مورياً :

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه فى الريح

وهكذا ترى بين قدامى النقاد من لا يرحمون الأديب ، ولا يتسكيسون فى نقده ، ولا يترفقون بسقطاته ، ولا يعتذرون لنته على أن الصفدى ، قد قدم المعذرة لنفسه بين يدى نقاده وقرائه ، عما اجترح ، فقال فى مقدمة كتابه « ألحان السواجع » ما يلى :

« وليعذر الواقف على ما هو منحط العمل ، غير راق إلى درجة الكمال بدره ، ولم تشرق شمسه فى الحمل ؛ فإن فيه أشياء لم تهذبها الروية ، وأعجلها الارتجال ، وألقاها الفكر من رأس القلم فجاءت فيه بُنَيَّات الطريق لعدم الوصول إلى ربات الخدور والحجال

وليس يعاب المرء فى يوم جبنه إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس »

هذا كله كلام يقال عن الصفدى إذا كان الحديث عن كتابته الفنية أو شعره . أما إذا كان الحديث عن كتابته فى التاريخ ومؤلفاته فيه ، فإن مسلك الكلام يتغير ، ومجرى القول ينحرف . فالمؤرخ المكثار له جلاله وخطره . حقاً قد يسوق مثل هذا المؤرخ قارئه إلى شئ من الشك ، يدفعه إلى حسن النظر ودقة التمحيص ، كما قد يختلط فى قوله ، التافه والمرذول ، بالنافع والمقبول . ولكنه ، حتى فى هذه يستطيع الباحث فيه والمعقب عليه أن يستنبط أموراً لها قوتها وقدرتها فى مجال الاستدلال التاريخى .

وقد برز فى العصر المملوكى جملة من كبار المؤرخين المكثرين الذين لم يقنعوا بالقليل ، فوضعوا فى تاريخ بلادهم وغيرها الموسوعات الجامعة . منها ما هو فى التاريخ السياسى العام ، ومنها ما هو فى تراجم الأعلام ، ومنها ما هو فى الخطط والآثار ، إلى غير ذلك . ويرى المطالع فى مستطرداتها ، طرائف جمة معجبة مطربة ، فى نظم البلاد وإداراتها وآدابها وتقاليدها ومزاج أهلها وروح مجتمعها . وتوالوا على هذا الغرار زمناً بعد زمن ، وجيلا إثر جيل . وقد كان من نصيب القرن الثامن الهجرى أن لمع فيه نجم الصلاح الصفدى مؤرخاً ، فضلا عن لمعانه أديباً وناقداً .

ولد الصفدى بصفد عام ٦٩٦ هـ أو ٦٩٧ هـ . وشرع منذ حداثته يتعلم صناعة الخط حتى مهر فيها . ومال إلى الأدب وسماع الحديث . ونبه فى الكتابة والنظم . وأخذ يطوف فى طلب العلم بين آفاق مصر والشام ، حتى برز بروزاً واضحاً بين أدباء البلدين ونهج من دونهم منهجه الخاص الذى أشرنا إلى طرف منه . وراسل وساجل وداعب وعقد لواء المحبة والصداقة بينه وبين كثيرين من أفذاذ جيله . واشتغل بالتأليف وجمع الأدب ومخاصة آثار معاصريه . وولى عدة مناصب منها : كتابة السر بحلب ، وتصدى للتدريس بجامع دمشق فى أخريات حياته ، وتوفى بها عام ٧٦٤ هـ .

وتنقسم مؤلفات الصفدى إلى نوعين : ١ — مؤلفات أدبية ٢ — مؤلفات تاريخية . وفى الحق أن من الصعب أن نفرق بين النوعين ؛ وذلك لأن كتبه الأدبية — وإن كانت فياضة بصنوف الشعر والنثر والنقد ، يروى فيها ويقرن وينقد وينوع ما شاءت له مجموعاته الفريدة — لم تخلص لوجه الأدب ، بل تتخللها السير والأخبار ، ويملؤها ذكر الحوادث وقص الوقائع . وكتبه التاريخية — وإن كانت فى صلب التاريخ وذكر حوادث الرجال وسرد أنبائهم — لم تخلص لوجه التاريخ ، بل يتخللها الكثير من الشعر والنثر . فهى مدد عظيم للأدب ، كما أنها معين فياض للتاريخ .

وكتبه التاريخية كلها فى تراجم الرجال . وهذا يدلنا على تأصل الروح الأدبية فيه ، لأن كتب التراجم تمت — عادة — إلى الأدب بصلة قوية كما تمتُّ للتاريخ . ولولا أن تراجمه تحتوى على سير الملوك والأمراء والقادة ومن لف لفهم من أهل السياسة والإدارة والحل والربط ، لعددناها بين الكتب الأدبية الخالصة . فهى بلا ريب منهل عذب لتاريخ الأدب ورجاله — وليس معنى

ذلك أن الرجل بعيد عن ميدان التاريخ الصراح . لا ! بل إننا لنشعر شعوراً قوياً — كلما تصفحنا مؤلفاته — بأصالة النزعة التاريخية فيه .

وأفضل ما تمتاز به مؤلفات الصفدى بنوعيها العناية بتراجم معاصريه وتسجيل نصوص من شعرهم ونثرهم مع نصوص من شعر المؤلف ونثره . وهكذا ترى أنها مصادر فريدة لأدب جيله وتاريخ رجاله وأن من كتب بعده فى أخبار الرجال اعتمد عليها اعتماداً ملحوظاً عند حديثه عن الجيل المذكور . كما أنها تدلنا دلالة ملموسة على ذيوع الروح الأدبية فيه ، وعلى تمدد آفاقها التى سرحت إليها ، وذلك لكثرة ما سجل من تلك النصوص فيها ، مع تنويهها .

وأبرز موسوعات الصفدى التاريخية كتابه « الوافى بالوفيات » ولعل الصفدى قرأ كتاب ابن خلكان (٦٨١ هـ) . « وفيات الأعيان » وهو جزآن فى التراجم ، فرآه ضئيلا لم يف بتراجم كثير من الأعلام . فأحب أن يستدرك عليه ويعقب بما وسمه عليه . فألف لذلك كتابه « الوافى بالوفيات » وهو اسم متأثر بتسمية ابن خلكان غير أن فيه دلالة على فكرة مؤلفه .

وقد ذيل ابن شاكر الكتبى كتاب وفيات ابن خلكان ، بجزأين صغيرين فى كتاب سماه « فوات الوفيات » أقل شأناً من وفيات ابن خلكان فى كثير من خصائصه .

ولكننا لا ندرى بالضبط أى الرجلين : الصفدى أم ابن شاكر سبقت إليه فكرة التعقيب والاستدراك . ونحن نعتقد أن الصفدى أسبق ، لأن ابن شاكر كلما ذكره الصفدى فى « فواته » قال « رحمه الله » . ونذكر هنا — بهذه المناسبة — أن الرجلين ماتا فى عام واحد هو (٧٦٤ هـ) . كما جاء فى درر ابن حجر . غير أنه من الغريب أن ابن شاكر انتهى من تأليف « فواته » عام ٧٥٤ هـ . فهل مات الصفدى فى هذا التاريخ أو قبله وغلط فى ذلك ابن حجر ؟ أم أن إضافة « رحمه الله » إلى الصفدى من صنع الناسخين أو الطابعين ؟ .

ومهما يكن من شىء ، فقد ألف الصفدى كتابه « الوافى » — وهو من أسبق مؤلفاته — ليفى فيه بتراجم الأعلام من كل صنف بدون تفريق بينهم فى العصور أو الأمصار أو الفنون أو الحرف . وبلغت أجزاؤه نحو الخمسين ، بها من التراجم بين موجز ومطول . ومن سوء الحظ ، أن الأحداث بددت هذه الأجزاء وفرقت شملها ، ولو جمعت وطبعت لألقت أضواء ساطعة جديدة على أدب مصر والشام وتاريخهما .

وفى دار الكتب المصرية منه سبعة عشر جزءاً بالتصوير الشمسى عن مخطوطة . وبها أيضاً الجزء الأول فى طبعة أنيقة ممتازة ، طبعت فى الآستانة عام ١٩٣١ م بإشراف جمعية المستشرقين الألمانية .

وقد تحدث المؤلف فى خطبة الكتاب عن الأمة الإسلامية ورجالها ومآثرهم . ونوه بالغرض من كتابه . واختتم بذكر أسماء من ألفوا فى السيرة النبوية مع بيان مؤلفاتهم فيها .

واتبع الصفدى فى إيراد التراجم الترتيب الهجائى . غير أنه ابتدأ بالمحمدين ثم الأحمدين تيمناً باسم الرسول عليه الصلاة والسلام . ويهمنا أن ننوه بشيئين : أولهما أن الصفدى قدم مؤلفه بمقدمة عظيمة القيمة جليلة النفع . وهى مثبتة فى الجزء المطبوع . وقد رأيتها مطبوعة على حدة فى كتيب ، وكان طبعها عام ١٠١٢ م بباريس تحت إشراف « إميل أمار » ومعها ترجمة لها وتعليقات عليها بالفرنسية . وتتكون هذه المقدمة من أحد عشر فصلا ، ويبدو أنه متأثر فى بعض فصولها بما كتبه أبو الفداء فى مطلع كتابه « المختصر » . وقد تحدث فى الفصل الأول عن السنين التى أرخت بها العرب ، كموت كعب بن لؤى ، وعام الفيل . وانساق فى خلاله إلى ذكر اشتغال العرب بالنجوم ، وخلق آدم وظهور الاسكندر ، وما قيل فى ذلك . والطوفان وذى القرنين ، وما بين المرسلين من السنين إلى غير ذلك . وفى الثانى تكلم عن مادة « أرخ » من الناحية اللغوية وما اشتق منها وطريقة العرب فى التعبير مؤرخين بالأيام والليالى . وفى الثالث تكلم عن كيفية كتابة التواريخ وتحديد الأيام . وفى الرابع تكلم عن « النسب » من الناحية الصرفية ، ثم بين أهميته التاريخية مشيراً إلى مفارقات طريفة وقعت للتشابه فى صيغ النسب . وفى الخامس تكلم عن العلم والكنية واللقب ، وترتب كل منها على النسبة . والفصل السادس هو فصل هام فى علم الإملاء ورسم الحروف . وتكلم فى السابع عن مناهج المؤرخين فى ترتيب التراجم أو الحوادث ، وعن طرق ضبطهم لحروف المعجم والمصطلحات الخاصة بذلك .

وفي الثامن تحدث عن لفظ « الوفاة » وما يشتق منها « والأجل » واختلاف المذاهب في تحديده . وفي الفصل التاسع ، تكلم عن فوائد التاريخ من ناحية ضبطه للحوادث ، وأورد طرائف تاريخية ظهرت فيه ضرورة تحديد تاريخ كل حادثة . وتكلم في العاشر عن أدب المؤرخ وما ينبغي له من علم وخلق . وفي الفصل الحادي عشر ذكر عدداً ضخماً من كتب التاريخ وأسماء مؤلفيها . فهو سجل هام من هذه الناحية .

أما الشيء الثاني الذي أحببنا أن نشير إليه ، فهو أن المؤلف اختص معاصريه بسبعة أجزاء من أجزاء كتابه « الوافي » جعلها على حدة وسماها « أعيان العصر وأعوان النصر » وهو مؤلف ممتع جداً ، ترجم فيه الصفدي لمئات من أهل عصره سواء منهم من لقيه ومن لم يلقه . وأودع تراجمهم نصوصاً من أشعارهم أو نثارهم ، ندر أن تجدها في سواه . فهو — في نظرنا — أهم كتب التراجم لأعلام النصف الأول من القرن الثامن وإذا علمنا أن ابن حجر العسقلاني ألف كتابه القيم « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » في أربعة أجزاء ، وأن مؤلف الصفدي « أعيان العصر » ثلاثة أمثاله ، بأن لنا قدره وعظيم أهميته .

وأجزاء هذا الكتاب ، لا تزال مغتربة عن وطنها ، وفي دار الكتب المصرية منه ثلاثة أجزاء هي الثالث والسادس والسابع يقع كل منها في مجلدين . وهي مصورة تصويراً شمسياً عن نسخة مخطوطة .

ومن أمتع كتبه التاريخية كتاب « نكت الهميان في نكت العميان » . وهو مطبوع وذو موضوع طريف ، وهو الحديث عن العميان وبيان أحوالهم شخصية وغير شخصية ، وشرعية وغير شرعية ، وما يدور حولهم من نوادر وفكاهات وحوادث أدبية طريفة ، وترجمة النابهين منهم . ويحتوي الكتاب على عشر مقدمات ونتيجة واحدة . وفي المقدمات المذكورة جملة بحوث نافعة في فنون العربية المختلفة وتعتبر المقدمة الأولى ذات قيمة في فقه اللغة إذ بحث فيها عن مادة « العين والميم » وما يتصل بها من الحروف ، وما تدل عليه من المعاني ، ورأى أن هذه المادة مهما اتصل بها من الحروف تدل على التستر أو نحوه . وبحث عن مادة « أعمى » . وتكلم عن تفضيل السمع على البصر أو العكس

وفسر قوله تعالى : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ، وقوله « وما يستوي الأعمى والبصير » . وتعرض للحديث الشريف الخاص بقصة الأقرع والأبرص والأعمى ، الذين آتاهم الله ما يريدون ، فلم يشكره منهم إلا الأعمى . وتحدث عن بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالعميان كالإمامة في الصلاة ، ووجوب الجمعة إلى غير ذلك .

أما النتيجة فهي في صلب التاريخ إذ ترجم فيها لنحو ثلثمائة وخمسين كفيفاً ، سواء منهم من ولد أعمى ، ومن كف بصره بعد ولادته . وأورد في كل ترجمة الحوادث البارزة في تاريخ صاحبها وشيئاً من شعره أو نثره إذا كان أديباً وهكذا .

ولهذا المؤلف خصوصيات نافعة فمنها أن فيه تراجم لأعلام معاصرة للصفدي وأنه جرى في ضبط كثير من الأعلام مجرى ابن خلكان في ضبطها ، أي أنه ضبط نطقها بالحروف ، وأنه حدد مواقع بعض الأماكن ، وأنه أودعه شيئاً من آثاره الأدبية وآثار بعض معاصريه .

وعلى نمط من هذا المؤلف ، أخرج كتابه « الشعور بالعور » وهو في تراجم هذا الصنف من الرجال . ومنه مخطوطة بدار الكتب . وللصفدي كتاب « التذكرة الصفدية » في أكثر من خمسين جزءاً ، في دار الكتب منها خمسة مخطوطة ، في خلالها فصل عن تاريخ الآداب العربية وفنونها ونشأتها ، وفصل آخر فيمن ولي دمشق من أول عهد بني العباس إلى عصر المؤلف . وهي مليئة — إلى جانب ما تفيض به من النصوص الأدبية بأخبار الأعلام وحوادثهم .

وترى هذه الروح سارية من الصفدي في معظم مؤلفاته ، مثل كتابه « ألحان السواجع بين البادي والمراجع » وهو مخطوط بدار الكتب كذلك ، وبه أخبار وسير ووقائع بجانب ما يمج به من أنباء المراسلات ونصوصها ، مما كان بين الصفدي وأنداده .

وبعد فهذا رجل من رجال العصر المملوكي ، يضيق مقال واحد عن أن يستوعب أخباره وأسفاره ، آثرنا أن ننوه هنا بإحدى خصوصياته ، لعلها تنم عن علمه وفضله ، وأدبه ونبله .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

التفكير بين الإنسان والحيوان

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

كشفت البحوث النفسية فى مجـالى الإنسان والحيوان عن حقيقة قد تطامن من غرور الإنسان بعض الشيء ، تلك هى أن الحيوان لا يسلك سلوكا آلياً بحتاً كما ظن ديكارت الفيلسوف الفرنسى ، بل ولا يسلك سلوكا غريزياً بحتاً كما اعتقد الـكثيرون زمناً طويلا ، وإنما سلوكه فى كثير من المواقف ينم عن قدر من الذكاء العملى يمكنه من التصرف إزاء ما يجد من مواقف تصرفاً كفيلا بتحقيق أغراضه . فهو لا يهتدى بالفطرة وحدها التى تسم السلوك بطابع الجمود ؛ وإنما هو يعدل سلوكه ويبتـكر الوسائل الجديدة ، حتى ليسهل علينا أن نلاحظ — لدى الحيوانات العليا على وجه الخصوص — أنماطا من السلوك تتصف بالمرونة وتنم عن قدر من الذكاء لا يقل كثيراً عن ذكاء الأطفـال فى نفس المواقف . ومن التجارب العلميـة ما يثبت قدرة الحشرات على الاستفادة من التجارب الماضية فى التـكييف للظروف الجديدة ، وفى هذا تـكمن البذرة الأولى للذكاء .

وكلما صعدنا فى السلسلة الحيوانية زاد ذلك القدر من الذكاء العملى الذى يبلغ أقصاه لدى الـكلاب والقردة . وبذلك تتلاشى الأسطورة القديمة التى تفصل فصلا حاسماً باتاً بين عالم الحيوان المحكوم بالغريزة ، وعالم الإنسان المحكوم بالعقل ، وتسفر الحقيقة التى لا مراء فيها : ألا وهى أن الـكائنات الحية تنتظم سلسلة متصلة الحلقات من أسفل إلى أعلى ، منطقها التطور من الأشكال الدنيا للحياة إلى الأشكال العليا فى غير ما اختلاف حاد يكسر وحدة الحياة على ظهر الأرض ، وتضيق الشقة الفاصلة بين الإنسان والحيوان . فـكلاهما يسلك سلوكا غريزيا وكلاهما يسلك سلوكا عقلياً رائده الذكاء . فما الفارق إذن بين ذكاء النوعين ؟

الإنسان من حيث السلوك العقلى فى قمة الحيوانات ؛ فهو أقدرها على السلوك سلوكا عقليا . هو فى حياته يصارع الطبيعة وأحداثها ، لا بحكم الفطرة فحسب ، بل يفوق الحيوان قدرة على استغلال ذكائه فى صراعه هذا مع الطبيعة . تقسو عليه ببردها وقيظها وأمطارها فيهرع إلى الأشجار يتخذ من أغصانها بيوتاً . تتوالى عليه فصول السنة بعضها فيه الخصب ووفرة الغذاء ، وبعضها جدب لا طعام فيه ، فيبتكر الوسائل يتجنب بها المجاعة ، ويهتدى بعد تدبر وإعمال روية إلى ما نعرفه من مختلف أساليب خزن المياه وحفظ الأطعمة ، وعدم الاكتفاء بما تدر الأرض بطبيعتها ؛ فيزرع ويستغل كامن قواها . يخشى هجمات الوحوش الضارية ، وعدوان القبائل المعادية ؛ فيتخذ العدة لذلك بصنع الأسلحة مستخدماً كل ما تقع عليه يده من أحجار وأشـجار ومعادن . وهو إذ يفعـل ذلك يهتدى بذكائه ، بتفـكيره العملى الذى يتطور مع الزمن تطوراً يكشف عنـه ما لاحظه العلماء المنقبون عن آثار العصور البائدة من تطور الآلة الإنسـانية من الآلة الحجرية القديمة إلى الحجرية الحديثة إلى المعدنية ؛ والأسلحة من الأحجار إلى النبال فالخناجر والسـيوف فالبنادق حتى القنبلة الذرية فى العصر الحديث .

وهكذا فى كل ميدان من ميادين الحيـاة يستخدم الإنسان تفـكيره وسيلة لتحقيق أغراضه ، وهذا هو الأصل فى التفـكير : وظيفة حيوية عملية تعين الحيوان على الصمود فى الحرب الخالدة بينه وبين قوى العالم الطبيعى التى لا تعرف التراجع ، وذلك أن الفطرة وحدها لا تـكفل انتصاره .

بيد أن اختلاف التفـكير الإنسانى عن التفـكير الحيوانى ليس اختلافاً فى المرتبة أو الـكمية فحسب ؛ بل هو اختلاف فى النوع أو الـكيفية أيضاً . فتفـكير الحيوان عملى كله ، هو برمته وسيلة إلى العمل ، إلى الحياة والبقاء . لا يستغل الحيوان قدرته العقلية المتواضعة إلا فى إرضاء مطالبه الغريزية : من الاغتذاء ، والاحتماء ، وحماية الصغار ، والتناسل الخ . أما الإنسان فبعد إرضاء مطالبه الغريزية يستـغل قواه العقلية فى الـكشف عن أسرار ما يدركه من ظواهر الـكون والبحث عن علل الحوادث التى تقع تحت ناظريه ، وتفسير التغيرات التى تطرأ على مختلف الـكائنات . ولا شك أن الحيوان كالإنسان فطر على حب الاستطلاع لـكل جديد تجنباً لما قد ينطوى عليه من خطر ، أو طمعاً فيما قد يدره من خير ونعمة ؛ ولـكن الإنسان يتجاوز هذه الحدود النفعية فيستطلع أحياناً من أجل المعرفة فى ذاتها ، ويجنى من وراء ذلك لذة لا تقل عن اللذات الجسدية التى يجنيها من وراء إشباع ميوله الغريزية الأخرى .

لذلك كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يفـكر أحياناً من أجل التفـكير فى ذاته ، بل والذى يجاوز ذلك إلى التفـكير فى التفـكير : يحصى أساليبه ، ويفتش عن مصادره ، ويسجل

من وحي السودان :

أشواق النيل !

(إلى أخي المجاهد في الجنوب !)

أخي يا أخي ... يا أخي بالجنوبْ
دماءٌ تراقُ وشعبٌ يُهانْ
لقد صرخ النيلُ والشاطئانْ
متى يا أخي ينعم التوأمانْ
ففي قلب مصر ... أخي رغبتانْ
جـلاء الدخيل ... ومجـد الجنوب

أخي يا أخي طال عهـد الجمودْ
وضلت بنـا خادعات الوعودْ
وهل يصدق المهـد قلبٌ حقود !
يدسُّ مع الوعد سُمّ الوعيدْ
أخي يا أخي آن حطم القيودْ
وحان الجـلاء . وبعث الجنوب

أخي موكب الدّهر ماض يسيرْ
وويلٌ لمن لم يجدّ المسيرْ
ليلحق بالرّكب قبلَ المصيرْ
وسيّان هام العـلا . والقبور !
لمن يا أخي مل عيش الأسير
فثر . يا أخي . يا أخي بالجنوب .

حسين محمود البشبيشي

أخطاءه ، وينقب عن أسباب الوقوع في الخطأ ، ويمهد السبل الموصلة إلى المعرفة . والإنسان عندما يفكر هذا النوع من التفكير نقول إنه يفكر تفكيراً نظرياً لا غرض له إلا المعرفة . على أن هذه المعرفة تعود عليه بالنفع العملي وتزوده بأمتن الأسلحة التي تكفل له النصر في معركة الحياة على قوى الطبيعة الناشمة التي لا تبالي بغير المضي في الطريق المرسوم وفق قوانين جامدة لا تتزحزح ولا تتزعزع . وسأحاول في مقال قادم أن أكشف عن فارق جوهري آخر هو السر في طفرة الإنسان وتربعه على عرش الكائنات الحية ، وتمرده على الطبيعة تمرداً بلغ به حد استغلال قواها لمصلحته والسيطرة عليها بفهم أسرارها وفضح خباياها .

عبد المنعم المليجي

أيها العابرون*

عبرت والخضم يصخب والمو ج مخيف يطبق الأسماعا
ومضت تمخر العباب وفي الأفـ ـق أعاصير تستفز القلاعا
موجة إثر موجـة تترى كجبال قد اقتلعن اقتلاعا
وعلى الفلك ساهرون ولكن لا يطيقون في الخضم دفاعا
أيهـا العابرون كيف أمنتم ثورة البحر فاندفعتم سراعا
دون زاد وفي الطريق خطوب جامحات فهـل حملتم متاعا
ثورة اليم لا تطاق إذا لم تحمل الفلك عـدة وشراعا
وقلوباً من الحديد تشظت فاكتسحت قوة وجلت صراعا
لا نفوساً إذا الأعاصير هبت فزعت خيفة وطارت شعاعا

أين ربانك يا فلك وأبان المصير
وعلى الدفة من لا يدرك الأمر الخطير
زخر اليم للموج اصطخاب وهدير
فاسبحي كالطير أو عودي كما شاء القدر
إن دنيا البحر ، يا فلك ، عناء وخطر

وانبرى من مجاهل الغيب صوت هادىء النبر خافت الألحان
هاتف مثلما تموج على الثغر تسابيح شاعر حيران
أيها العابرون قد عسعس الليـل ثقيل الخطا على الأجفان
والخضم الرهيب كالرعد في الأفـق ، وكالنار في فم البركان
وطواغي الأمواج تعبث في البحـر كخيل طليقة الأرسان
وأرى الفلك لا تطيق اتزانا بين موج معربد غضبان
سخر اليم من بقايا شراع يتلاشى كقبضة من دخان
ومسامير خاويات ولوح كشموع تلح في الذوبان
وإذا ما استبد بالفلك موج أفلت الحبل من يد الربان

أتراها وهي بين الموج تطفو وتعوم
وعلى الأفق أعاصير ورعد وغيوم
ونسـور تتلظى كالمنايا وتحوم
تعبر اليم وتطوى موجة البحر الغشوم ؟
أم تراها تتوارى بين طيات العدم
فينال الحوت ما شاء وينتاش الرخم ؟

ابراهيم الوائلي

(*) من ديوان : فجر وضباب .

ألحان الساكن الثائر

بين المآمي ساكن وسنان
يبدو عليه الصبر والإيمان
وقد يضاعف الأسى الكتمان
ورب كتمان هو البيان

معذب مستسلم لما به
هومه تصهر من شبابه
وهو بطيل الصمت غير آبه ..
كأنه ينعم في عذابه !

يقول مفصحاً لسان حاله :
كذلك الزمان مع رجاله ..
وما حلا أو مرّ من فعاله ..
لا بدّ للمرء من احتماله !

تحسبه — يا صاح — في سُبات
فلا تعير أيّها التفات
لفارق في لجة الحياة
يستعرض الأهوال في ثبات !

لا يشتكي لصاحب حميم ..
ولا يئنّ وهو في الجحيم ..
فلا ترى من سره المكتوم ..
إذا اختبرته سوى الوجوم !

تثور في هيكله الرزين
جحافلٌ شتّى من الشجون
فيلتقي الشدّة بالهوين
ويحجب الثورة بالسكون !

لم تغتمض في راحة عيناه
فكلها متاعبٌ دنياه
إذا سعى أخفق في مسعاه
وإن أوى نبا به مأواه !

حامد بدر

نظرات فى كتـــاب
الفكر الاجتماعى
للأستاذ كامل كيلانى

— ١ —

فى فترة عارضة من فترات السآمة والملل ، أعقبت ساعات جاهدة من العمل ، فتحت هذا الكتاب كما اتفق ، فكان أول ما وقعت عليه عيناى تلك الصورة التى قبسها المؤلف ، حين عرض لعبادة العرب للأشجار والحجارة[1] ، وهى تمثل للقارىء لونا عجيباً من أخيلتهم ، وترسم صورة رائعة مما استقر فى أخلادهم ، وتجلو بعض ما كانوا يتناقلونه من الأساطير عن معبودتهم «العزى» التى كانوا يتخيلونها شيطانة ثائرة ، تبدو — لمن يراها فى صورة حبشية غضبى — ، تأتى ثلاث سَمُرات (شجرات من أشجار الطلح) نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، وهى تصرُف بأنيابها (تسحقها وتحك بعضها ببعض حتى يسمع لها صوت) .

وما كدت أبلغ قول المؤلف المفضال :

« وكذلك كانت عبادتهم لذات أنواط ، فقد اعتقدوا أن معبوداتهم الحية كانت تحل تلك الأشجار والأحجار » .

حتى طويت الكتاب ، على عادتى كلما بلغت من المطالعة فترة يحسن الوقوف عندها ، والتفرغ لهـا . وسرعان ما استغرقنى التفكير ، وأسلمنى التأمل إلى عوالم فسيحة من الحقائق التى تفوق الخيال فى غرابتها ، ولم أتمالك أن رجعت القهقرى حتى بلغت العصر الجاهلى الذى طالما عشت فيه ، تارة فى صحبة مؤرخى العرب والفرنجة ، وتارات فى صحبة المبدعين من الشعراء والكتاب وبا طالمـا نعمت بالتجوال فى ذلك العصر الغابر ، وأنست بارتياد روائعه فى رفاقة أستاذى « المعرى » . وطالما انتفعت بإشاراته فى رسالة الغفران وما إليها من بديع آثاره . كما انتفعت بصحبة العلامة « دوزى » فى ارتياد كثير من تلك المجاهل السحيقة ، حين ترجمت طائفة من فصوله الممتعة التى أودعتها كتاب : « ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام » .

فلا عجب إذا عاودنى الحنين والشوق إلى استئناف الدرس حين طالعت تلك الفقرات :

« وذو الشوق القديم — وإن تعزى —
مشوق حين يلقى العاشــقينا »

ولا عجب إذا تواثبت الخواطر ، وتدافعت الذكريات ، فلم أدر أيها أثبت وأيها أدع ، ولا عجب إذا نسيت أن على أ كتب مقدمة موجزة فى بضع صفحات ، لا دائرة معارف فى عشرات من الأسفار المطولات :

ورأيتنى أستعرض — عن غير قصد — طائفة من أمثال هذه الأسـطورة العربية الشائقة التى أثبتها المؤلف المفضال فى كتابه النفيس ، متمنياً أن يتعاون معه طائفة من أعلام القصة لاستغلال أمثال هذه الأسطورة العربية البارعة ، بعد أن تظاهرهم طائفة من كرام الباحثين على درس هذا التراث الحافل ، وتعرف رموزه وحل معمياته ، وتجلية ما غمض من خوافيه وأسراره ، وأن يُعنوا بإحيائه كما عنى غيرهم من شعراء الغرب وأعلام كتابه وباحثيه ، وأفذاذ علمائه وقصاصيه ، باستغلال ما ظفروا به من الأساطير الإغريقية وما إليها من أساطير الأمم القديمة .

ولم أتمالك أن شكرت للمؤلف عنايته المحمودة بهذا اللون الفكرى البديع . ورأيتنى أجرى على عادتى فى التعليق على هامش ما أقرأ من نفائس الكتب .

وانثالت المعانى والصور وتتابعت ، حتى خشيت — كما أسلفت — أن تدفعنى إلى تأليف سفر ضخم . فاجتزأت بإثبات بعض ما قاله « المعرى » فى هذه الشجرة المحظوظة التى أطلقوا عليها « ذات أنواط » ، فقد أشار إليها فى رسالة الغفران إشارة نافعة حين عرض للحديث عن أشجار الفردوس فقال :

« وذات أنواط شجرة كانوا يعظمونها فى الجاهلية . وقد روى أن بعض الناس قال : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » .

وهنا قبس « المعرى » قول أحد الشعراء :

« لنا المهيمن يكفينا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط »

وفى بعض هذا دليل على ما بلغته ذات أنواط من خطر الشأن ورفعة المنزلة .

وقد شغل المعرى — فى أكثر من موضع من نفائس

---

(١) أنظر صفحة ١٠١ من الكتاب .

كتبه — بهذه الشجرة ، التي ظفرت — على حقارتها — بمثل هذا التكريم ، وأفردها الحظ بما لم يظفر به غيرها من إجلال وتعظيم ، فأضفى عليها عبادها من القداسة هالة باهرة ، فتنتهم وسحرت ألبابهم واستعبدتهم . فأكبروا من أمرها ما صغر ، ومجدوا من شأنها ما حقر ، ولم يكتفوا بعبادتها فى جاهليتهم ، فراحوا يكاثرون الرسول صلى الله عليه وسلم بها ، ويطالبون إليه أن يهيىء لهم شجرة تماثلها وتساميها فى قداستها وشرفها .

وهكذا أدركها الحظ — على عقمها من الثمر — كما يدرك بعض الأغمار التافهين من الناس ، فيضفى عليهم ألواناً من النباهة والرفعة ، على ما ركب فى طباعهم من العقم والحقارة والعجز . وفى هذا يقول المعرى :

« والجد يدرك أقواماً فيرفعهم وقد ينال إلى أن يُنشِد الحجرا

وشرفت ذات أنواط قبـــائلها

ولم تباين — على علاتها — الشجرا »

وكانت « ذات أنواط » سمرة (شجرة طلح) ، لا تكاد تختلف عن تلك السَّمُرات الشائكة الثلاث التى كان الجاهليون يتخيلون معبودتهم « العزى » قادمة عليها فى صورة حبشية .

ولا تختلف عن السمرات التى أشار إليها امرؤ القيس فى معلقته حين قال :

« كأنى غداة البين ، يوم ترحلوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل »

وشجر الطلح معروف ، وقد أشار إليه المرحوم شوقى بك حين قال :

« يا نائح الطلح أشـــباه عوادينا

نأسى لواديك ؟ أم نأسى لوادينا ؟ »

كما أشار إليه « المعرى » ونبه إلى إجداب هذا الشجر ، وعقمه من الثمر ، فى قوله :

« وأبغضت فيك النخل ، والنخل يانع

وأعجبنى — من حبك — الطلح والضال »

وقد ألف العرب أن يطلقوا على شجرة الطلح « أم غيلان » وإلى هذه الكنية أشار « المعرى » فى تهكم بارع :

« سل أم غيلان الصموت عن ابنها

وبنات أوبر ، من أبوها أوبر ؟ »

— ٢ —

والطلح — فيما يعلم القارئ — شجر عظام من شجر العضاه ، الذى لا يثمر غير الشوك ، ترعاه الإبل إذا أعوزها الزاد ، فلا تكاد تستسيغه إلا مضطرة ، وقلما تسلم من غصصه وعلله . فلا عجب إذا اتخذوه رمزاً للشر ، وصاغوا من « السَّمُرة » لفظ : « السمرمرة » : لقب الغول ، وجعلوا من شجرها مزاراً لتلك الشيطانة الحبشية المفضى التى تقدم السمرات الثلاث — كما تمثلها الأسطورة — نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، تحرُق الأرَّم (تحك أنيابها حتى يسمع لها صريف) من شدة الغيظ .

فلا عجب إذا استخرج العرب — من هذا الشجر وثمره — ألفاظاً تدل على طائفة من معانى الشر ، فاشتقوا الطلاح (الفساد) من الطلح ، كما اشتقوا من ثمره الشائك ألفاظاً منطوية على طائفة من معانى السحر والإفك والكذب والأذية(١) .

فإذا سأل القارىء : «ولماذا خصوا هذه السمرة بهذا اللقب؟ وكيف أطلقوا عليها : « ذات أنواط » ؟ همس فى أذنه بعض مؤرخى العرب ، ومنهم « ابن الأثير » .

« إنها سميت كذلك لأن المشركين كانوا ينوطون بها سلاحهم (يعلقونه) ويعكفون حولها » .

وربما همس فى أذنه بعض الباحثين : « إنهم أطلقوا عليها ذلك اللقب ، لما تميزت به مما كان يتدلى من أغصانها الكبيرة من أنواط » .

والنوط — كما يعلم القارىء — هو القفة الصغيرة التى تحمل ثمار هذه الشجرة ، السامقة المقيم .

— ٣ —

وهكذا أسلمتنى هذه الأسطر القلائل إلى طائفة من التأملات أزاحت ما كان مستولياً على نفسى من السآمة والملل ، ونفضت عنى غبار الفتور والكسل ، وأعادت إلى النشاط ، فأقبلت على الكتاب أقرؤه من أول سطوره ، متنقلا بين فصوله الشائقة ، من صفحة إلى صفحة ، حتى انتهيت إلى خاتمته ، وأنا شيق إلى الاستزادة من حديث هذا الباحث الموفق المثمر الذى لا يمل البحث ، ولا يمل قارئه من متابعته فى عوالمه الفسيحة .

ورأيت المؤلف يتنقل بين مجاهل التواريخ التى طويت على مر الأزمان ، وعفى عليها تطاول الأمد ذيول النسيان ، فلم يبق

---

(١) يقال أعضه الرجل : جاء بالإفك والعاضه : الساحر وحية عاضه : تقتل من ساعتها إذا نهشت .

الدهر — من آياتها وحقائقها وأحداثها — إلا ظنوناً وأحداساً وأحيلة، لا تـكاد تثبت على الاختبار والبحث. ثم لا يزال مؤلفنا يتنقل فى فصوله الشائقة حتى يبلغ المدى من رحلته الفكرية، وينتهى إلى عصرنا الحافل بألوان من الحقائق، تكاد - لغرابتها - تفوق عجائب الخيال.

— ٤ —

وهكذا صحبت المؤلف وهو يتابع سير الإنسان، منذ أقدم العصور، حين كان يقيم مع قبيلته بين الأشجار، وفى الكهوف وقد اكتسى جسمه بشعر كث يصارع الوحوش ويطاردها فى الأدغال، ويقتات بالبذور، ويعيش على لحوم فريسته التى عزقها بأظافره ويقطعها بأسنانه، كما يفعل أضرابه من الوحوش.

ثم لا يزال المؤلف يساير الإنسان القديم مرتقياً به، فى أسلوب تصويرى جذاب حتى يصل إلى العاصر الحاضر، فى قُرابة مائتين من الصفحات الحافلة بالملاحظات والتوجيهات، بعد أن ضمن التوفيق فيما قبسه وتخيره من الكتب: عربية وأجنبية، وفيما عرض له من تحليل ومناقشة، وتأليف بين أشتاتها، وتمحيص لرواياتها، منذ صحب الإنسان الأول إلى أن أبلغ العصر الحاضر: عصر الآلات والمناجم والبخار والكهرباء والطائرات والسيمى والراديو والتلفزيون. ولم ينسه ذلك المعرض الحاشد — الذى افتن فى إقامته وتنسيقه — ما وراء تلك الصور المادية من السجايا والأخلاق الإنسانية ونشأة العادات، وأثر الأديان والشرائع والقوانين فى الأفراد والجماعات، وأى حافز دفع الإنسان إلى منازعة الوحوش فى الغابات، وأى قوة أمكنته من قهرها والتغلب عليها، بفضل ما منحه الله من عقل وتفكير. وكيف استقبل الإنسان فجر المدينة وهو — فيما يقول المؤلف —: «يتقدم ببطء من جمع الأطعمة إلى الصيد، ومن الجماعة المشتتة إلى القبيلة ومن ثم يتطور فيشكل نظاما اجتماعيا، ويوزع الوظائف بين الأفراد. كما لم ينسه أن يعرض لنهضات «مصر» و «بابل» و «فلسطين» و «الهند» و «الصين» و «اليونان» و «الفرس» و «رومة».

— ٥ —

وقد ألم المؤلف — على ذلك — إلمامة بارعة بأنواع الزواج فى الجاهلية، وقبس طائفة من الأمثلة تبين اختلاف نظمها وتباين عاداتها ولم يفته أن ينبه إلى ما ألفته بعض قبائل العرب فى زمن الجاهلية «من نسبة أولادهم إلى أمهاتهم قبل أن ينهاهم الإسلام، وكان نهيه صريحاً فى قوله تعالى: «ادعوهم لآبائهم، هو أقسط عند الله».

وهى — فيما رأى ويرى غيرى من الباحثين — عادة جرى عليها الروم فى قديم الزمان، ولعلهم كانوا أسبق إليها من العرب.

وقد أشار المعرى فى لزومياته إلى هذه العادة، إشارة ساخرة قاسية، فقال.

«وحب الصحيح آثرت الرو م انتساب الفتى إلى أمهاته
جهلوا من أبوه، إلا ظنونا وطلا الوحش لاحق بمهاته»

— ٦ —

أما بعد:

فقد كانت مفاجأة سعيدة، حين تفضل مؤلف هذا الكتاب النفيس فعهد إلى بتقديمه، ولم يكن عمر التعارف بيننا يزيد على دقائق معدودة، كانت كافية للتآلف. ولا غرو فى ذلك فإن الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

وهكذا أغنت اللحظات القليلة عن العشرة الطويلة، وكانت — على قصرها — كافية لانسجام روحينا، فخيل إلينا أننا تعارفنا منذ النشأة الأولى وكان من ثمرات هذا اللقاء العارض أن عرفت شغف المؤلف بالبحث والاطلاع، وعنايته بتتبع آثار «ابن النديم» صاحب الفهرست والترجمة له فى مجلة المجمع العلمى العربى[1]. وتوفره على درس الدعوة الإسماعيلية فى رسائل إخوان الصفا[2] وإقباله على كتابة فصول النقد وأعمال البنوك فى كتاب: النظام الاقتصادى فى فلسطين[3].

وكتابه: التطور الاجتماعى والاقتصادى لفلسطين العربية[4]

وهكذا رأيت مؤلفنا يتنقل فى بحوثه النافعة، من عالم الاقتصاد إلى عالم الأدب، كما يتنقل فى حياته اليومية بين بنك الأمه العربية ومكتبته الضخمة الحافلة بألوان الثقافة والأدب، فيذكرنا قول ابن المقفع:

(١) انظر المجلد الصادر سنة ١٩٣١
(٢) انظر مجلة الجامعة الأمريكية الصادرة ببيروت سنة ١٩٣٣
(٣) أصدرته الجامعة الأمريكية ١٩٣٩
(٤) صدر عام ١٩٤٧ فى القدس

« أمران يحتاج إليهما من يحتاج إلى الحياة : المال والأدب » ولا ريب أن الأمم – كالأفراد – لا غنى لها عن بناء نهضتها على أساس متين ، يرتفع بناؤه على هاتين الدعامتين .

– ٧ –

وكان من ثمرات هذا اللقاء السعيد أن أتاح لى الظفر بقراءة هذه الخلاصة الممتعة التى تأنق مؤلفها فى عرض تاريخ الحضارة الإنسانية عرضاً تصويرياً أخاذاً ، يخيل إلى قارئه أنه يشهد شريطاً من أبدع ما أخرجته السيمى فى العصر الحديث .

وقد علم القارىء مما أسلفت أننى لم أكد أقلب صفحات كتابه حتى رأيت ما تفتحت نفسى له ، وشجعنى على البدء بقراءته من أوله ، فلم تنته الجلسة حتى أتممته ، وأنا شديد الأسف على انتهائه ، وبودى لو امتد هذا السفر التاريخى الحافل فى أضعاف صفحاته ، ليؤدى إلى رواد الثقافة أضعاف فائدته ، ويحقق لهم الكثير مما تتوق إليه نفوسهم الظامئة إلى أمثال هذه البحوث ، التى وفق أصحابها إلى جمع أشتات المعارف ، وأحسنوا عرضها ، بعد أن أحسنوا استيعابها وفهمها .

– ٨ –

وازدحمت الخواطر فى ذهنى – كما أسلفت – وتوائبت التعليقات ، كلما انتقلت من صفحة إلى صفحة ، وخشيت أن إعاود قراءة الكتاب مرة أخرى فيضطرنى ذلك إلى الوقوف عند كل فكرة طريفة – وما أكثر ما يحويه من طريف الأفكار – وربما اقتضانى ذلك أن أتوسع فى الشرح والتعليق فتصبح مقدمة الكتاب أضعاف حجمه .

ورأيت أن مؤلف الكتاب كان قادراً على الاضطلاع بمفرده بهذا العبء الثقافى التوجيهى كله ، لو أمكنته فسحة من وقته المزدحم بما ينوء به من شواغل الأعمال ، وما يضطلع به من تبعات ثقال ولكنها الظروف القاهرة ، أعجلت المؤلف كما أعجلتنى ولعله قصد إلى الإيجاز قصداً ليحقق لقارئه فى صفحات قليلة ما تستوعبه المطولات المستفيضة ، وهو غرض نبيل ، والحاجة إلى المختصرات مطلب جليل ، لا يقل عن الحاجة إلى المطولات . وربما زاد عليها فى بدء عصور النهضات ، لترغيب الزاهدين فى القراءة ، وتمهيد ما توعر من طرائقها أمامهم .

وحسناً صنع المؤلف حين عنى بتوجيه قارئه إلى أمهات الكتب ليحبب إليه البحث ، بعد أن عنى بتوجيهه وإرشاده وفتح آفاق جديدة له .

وأما أجدر المؤلفين بالأخذ بهذا المنهج ، فهو من الأهداف النافعة ، يتوخاها طالبو الإصلاح فى مستهل النهضات ، تستقبلها الأمم التى طال عهدها بالنوم ، وآن لها أن تنفض عنها غبار الخمول

– ٩ –

أكرر القول : إنى وجدت فى كل صفحة من صفحات الكتاب بابا للمناقشة ومجالا للأخذ والرد والتعليق ، ومثاراً للخلاف حينا ، والموافقة أحيانا .

وهذه أول مزايا الكتاب المثمر الناجح وحسبى دليلا على نفاسة ما أقرأ ، أن يثير فى نفسى ألواناً من البحث والتمحيص ، ويحفزنى إلى ارتياد مختلف الميادين الفكرية التى صرفتنى عنها عوادى الزمن وشواغله .

وقد كان من حسن حظ المؤلف والقارىء أن يتضافر على كاتب المقدمة ضيق الوقت ، وزحمة العمل ، ووعكة الصحة ، وقلة الصفحات المخصصة للتصدير ، فتمجله كل هذه الأسباب مجتمعة عن التفصيل والإسهاب اللذين تحاشاهما مؤلف الكتاب .

وكان من حسنات عصر السرعة الذى نعيش فيه ، وما أوجبته المطبعة التى لا تعرف التريث والبطء ، ولا تبالى الوعكة ولا المرض ولا تحفل الشواغل وزحمة العمل ، أن تمد المقدمة فى حيز من الصفحات ثابت ممدود ، وزمن من الساعات مؤقت محدود . ولولا ذلك لامتد بى نفس القول كما امتد بـ « المعرى » منذ ألف عام ، حين أجاب عن رسالة « ابن القارح » برسالة الغفران ، فى أضعاف حجمها ، وكما امتد نفس القول بالأمير « شكيب أرسلان » حين تصدى لتقديم كتاب « حاضر العالم الإسلامى » ، فزادت صفحات مقدمته على مقدمة « ابن خلدون » ، وتجاوزت شروحه وتعليقاته أضعاف حجم الرسالة التى عهد إليه مترجمها أن يقدمها .

ولا عجب فى ذلك ، فإن نفس القول إذا مددته امتد ، وتداعى المعانى لا يعرف الوقوف عند حد :

« والفكر حبل متى يمسك على طرف
منـــه ، ينط بالثريا ذلك الطرف
والعقل كالبحر ، ما غيضت غواربه شيئاً ، ومنه بنو الأيام تغترف »

كامل كيلانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

في مؤتمر المجمع اللغوي

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الثلاثاء الماضي بافتتاح مؤتمره السنوي ، وهو الذي يحضره الأعضاء الأجانب ويستمر نحو شهرين ، واحتفى في هذا الحفل باستقبال عضوين جديدين هما الأستاذ محمد رضا الشبيبي والأستاذ خليل السكاكيني .

افتتح الاجتماع معالي الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا رئيس المجمع بكلمة حيى فيها الأعضاء ورحب بالزميلين الجديدين ، ومما قاله أن المجمع يعالج مشكلات اللغة وقضاياها باعتباره هيئة علمية بحتة ليس من شأنها أن تنفذ قراراتها إلا ما يكون من عرضها على الهيئات العلمية ونشرها في المطبوعات والمجلات ، وأبدى معاليه السرور بما يلاحظ في المجتمع العربي من الدلائل على الرغبة في تقبل أعمال المجمع بقبول حسن .

ثم ألقى الأستاذ شوقي أمين ، بالنيابة عن كاتم سر المجمع ، كلمة أجمل فيها ما قام به المجمع من أعمال في العام الماضي وبرنامج العمل في هذا المؤتمر .

وبعد ذلك وقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته في استقبال الأستاذ الشبيبي فقال : إنه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد ، لأنه شاعر ناقد باحث لغوي ناشر للعلم واللغة .

وعند ما تكلم عن شعره اكتفى بالعرض المجمل ، فوصفه بفصاحة اللفظ ونصاعة المعنى وسلامة العبارة ، وأنه ينظم الشعر في أغراض شتى ولا يقصره على غرض واحد ، وألقى أمثلة من شعره بدأها بأبيات قال إنها من قصيدة نونية

وقال الأستاذ العقاد : إن الأستاذ الشبيبي أعانه البحث الطويل في الأدب واللغة على تمييز الكلام وتصحيح النقد ، وأورد ما قال إنه جاء في مقدمته لديوان الحبوبي تعقيباً على مذهب بقراط وابن خلدون في تكوين الطبائع والأخلاق ، وهو « والذي أراه أن لاستعداد الفطرة والغريزة تأثيراً أكبر من تأثير البيئة والوسط ، ورب سماء صافية الأديم وضاءة المنظر ، وتربة جافة الهواء معتدلة الحرارة تنبت رجلا سمج الطبع والخلق . ورب إقليم شديد الحرارة قليل النور بليل الهواء يخرج رجلا سليم الطبع رقيق الشعور » .

وفي انصرافنا من الحفل قال لي صاحبي الشاعر العراقي الأستاذ ابراهيم الوائلي : إن الشبيبي لم يكتب مقدمة لديوان الحبوبي ، وإنما الذي كتب مقدمة هذا الديوان هو الشيخ عبد العزيز الجواهري ، ويظهر أن النص الذي أتى به العقاد مأخوذ من « العراقيات » ، وهي مجموعة تضم عشرة من شعراء العراق ، فيها ترجمة للحبوبي بقلم الشبيبي .

ثم قام الأستاذ الشبيبي فألقى كلمة طيبة في تحية المجمع وشكر الأستاذ العقاد . ومما قاله أن للشعوب العربية في هذه المرحلة من مراحل يقظتها مطالب ، ومن أحوج ما تحتاج إليه الائتلاف في الأرواح وتقارب في المشارب والأذواق ، وتجاوب بين العواطف والأفكار ، وهذا مطلب جليل لا يتيسر لنا إلا إذا جمعتنا من لغة العرب جامعة أدبية كبرى ، واعتصمنا من هذه الفصحى بحصن حصين ، وجدير بهذا الأدب العربي الحديث أن يرى عاملا فعالا من عوامل الإنشاء والبناء ، وخليق به أن يتغلب على غيره من العوامل المفرقة الهدامة .

وقد جرت تقاليد المجمع على أن يتحدث العضو الجديد في حفلة الاستقبال عن سلفه حديثاً مسهباً ، ولكن الأستاذ الشبيبي اكتفى بالإشارة إلى مكانة سلفه الأستاذ الكرملي وفضله ، واعداً بأن يعود إلى تفصيل الكلام عنه في فرصة أخرى .

ثم كان من قسمة الأستاذ خليل السكاكيني أن يقدمه الدكتور منصور فهمي باشا ، إذ كشف القناع عن ناحية قال إن الأستاذ السكاكيني لا يحب إثارتها ، ولذلك حذره من الإشارة إلى أي ناحية من جهوده الأدبية الضاربة في ماض بعيد ، ربما يستنتج منها مدى عمره المبارك المديد؛ وعلى رغم هذا التحذير مضى الدكتور منصور باشا في هذه الدعابة فروى أن مدرساً كهلا استقبل الأستاذ السكاكيني في حيفا من عدة سنين بخطبة قال فيها إنه سمع عاطر الثناء على فضله وأدبه من المرحومة حماته ، وكانت صغرى تلميذات الأستاذ في دار المعلمات ... ثم قال إن الأستاذ سكاكيني يخفي

عمره لأنه يدين بفلسفة القوة فى كل أمر من الأمور؛ فهو يناوئ الشيخوخة وبكره أن ينتمى إليها أو يذكرها؛ فإذا نظر من خلال فلسفته إلى اللغة فإنه لا يروقه منها إلا ما اتسم بالقوة والسلامة. وأفاض بعد ذلك فى بيان جهوده فى الإصلاح العلمى ومكانته فى عالم الأدب واللغة.

وكان الدكتور منصور فهمى باشا قد قال فى مستهل كلمته إن حلول السكاكينى، وهو من أهل القدس، محل الشيخ مصطفى عبد الرازق فيه ما يبشر بأن بركة فلسطين ستلتق بالآثار المباركة لسلفه.. ولكنه لم يلبث بعد هذا الكلام أن رق فى مداعبة معلم الغابرين والحاضرين، ومربى الحوات الفضليات...

وألقى بعد ذلك الأستاذ السكاكينى كلمة طلية أودعها كثيراً من النظرات الفلسفية الرائعة، وقد قال فى أولها: إذا كنتم تقيسون العمر بالسنين فقد بلغت من الكبر عتيا، وإذا كنتم تقيسونه بالأعمال فأنا لا أزال فى دور الطفولة، وإذا كنتم تقيسونه بما يلقاه المرء من الهناء والسرور فإنى لم أولد

ثم أخذ فى الحديث عن الشيخ مصطفى عبد الرازق فحلل صفاته ومواهبه تحليلا وافيا وأفاض عليه بما هو أهله من الثناء والتمجيد، ولكنه جنح فى آخر الأمر إلى عبارات مألوفة فى التقريظ والمبالغة؛ إذ قال: لو لم يسبقه الخليل لكان أول من وضع العروض، ولولم يسبقه أرسطو لكان أول من وضع المنطق، ولولم يسبقه ابن خلدون لكان أول من وضع علم الاجتماع. واستمر فى هذه الفروض، ماراً بعديد من العلوم والمعارف وأوائل واضعيها...

نظرات في أدبنا المعاصر:

أذاعت محطة لندن العربية يوم الجمعة الماضى حديثاً للدكتور طه حسين بك عنوانه «نظرات فى أدبنا المعاصر» قال فيه إن الأدب العربى الحديث فى مصر مر بثلاث مراحل، الأولى مرحلة الحرية التى دفع إليها الوعى الوطنى بعد الحرب العالمية الأولى، وكان الأدب فى هذه المرحلة من حيث علاقته بالشعب ذا صبغتين اتصالية وانفصالية، فكان الأدباء متصلين بالشعب حين يعبرون عن مطالبه وحقوقه السياسية، وكانوا منفصلين عنه حينما كانت تتعلق كتابتهم ببعض النواحى الدينية والاجتماعية، ولكن الشعب لم يلبث بعد ذلك أن تطورت أفكاره وأصبح يستسيغ ما كان ينكره. والمرحلة الثانية تبدأ من حوالى سنة ١٩٣٠ حين مال السياسيون إلى أخذ الأمور بالرفق والاعتماد فى

كشكول الأسبوع

* وجه خمسمائة من أقطاب الفكر فى فرنسا، نداء إلى هيئة الأمم المتحدة بأن تكافح الحرب وتعتبرها عملا غير مشروع فى حل المشاكل. وقد كتب الأستاذ توفيق الحكيم يقترح على رجال الأدب والفكر فى مصر ان يحذوا حذوهم.

* انتهى فى هذا الأسبوع مؤتمر اليونسكو الثالث ببيروت، وقد تقرر أن يعقد المؤتمر الرابع سنة ١٩٤٩ فى باريس، والخامس سنة ١٩٥٠ فى فلورنسا.

* وصل إلى القاهرة يوم الأحد الماضى أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو، وقد دعاهم معالى وزير المعارف فى المساء إلى حفلة شاى فى (شبرد) ودعا إليها الدكتور طه حسين بك.

* كتب الأستاذ كمال منصور بجريدة البلاغ مقالا قال فيه إن أساتذة كلية الآداب تنكروا للدكتور طه حسين بك وهم صنائعه. وقد استدعاه عميد الكلية وأمر بالتحقيق معه باعتباره خريج الكلية ومنتدبا إلى قسم الدراسات العليا بها. وقد أجرى التحقيق معه فعلا، ورفع الأمر إلى مدير الجامعة توطئة لمحاكمته.

* اختارت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية، بعض الأساتذة وتعاقدت معهم على العمل فى ترجمة أمهات الكتب العالمية، وستبدأ بترجمة كتاب الآداب العربية للمستشرق بروكلمان.

* سجلت الإدارة الثقافية الأناشيد التى اختارتها مما قدم إليها فى مسابقتها، وأخرجت عدة نسخ مسجلة لكل نشيد منها، لكى توزع على دور الإذاعة العربية كلها. وعلى ذلك سيذاع من هذه الأناشيد ما ليس لصاحبه «واسطة» فى الإذاعة المصرية — من بقية الإذاعات العربية...

حل الشاكل على مضى الوقت ، فى ذلك الحين بدأ الأدباء أيضاً يتراجعون فى ميدان الحرية الذى كانوا فيه يركضون ، ويحاسبون أنفسهم فيما يكتبون قبل أن تحاسبهم السلطات ، فاعترى الجمود الأدب ، ولا يزال رانياً عليه . والمرحلة الثالثة جاءت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفيها امتداد لجمود المرحلة الثانية ولـكنها تتميز بنزوع الأدباء إلى الكتابة فى الحال الاجتماعية من حيث تصوير مظاهر الشقاء ومعالجة الأعداء الثلاثة ، الجهل والفقر والمرض ؛ وهو تصوير يبدو قاتماً لسوء الحال التى يصورها ، ويغلب التشاؤم على الأدب لذلك . وهناك مع هذا أدباء هربوا من ذلك الجمود ومن هـذا الأدب الاجتماعى البائس ، إلى التاريخ : فهيكل يكتب فى حياة محمد وحياة الخلفاء ، والعقاد يؤلف العبقريات ، ويتجاوزها إلى التأليف فى الإله ، وطه حسين (المتكلم لا يزال الدكتور طه) يكتب على هامش السيرة ويتجاوز ذلك إلى عثمان وأحلام شهرزاد . وذلك لأن الأديب يشعر بالحاجة إلى الراحة ، وقد وجد أدباؤنا راحتهم فى التاريخ .

بقية الهاربين :

هناك من كبار أدبائنا — غير من ذكرهم الدكتور طه — من هربوا من الأدب كله إلى الرد على رسائل القراء الشاكين من مصلحة التنظيم ، وحل معضلات الحب التى تعرض لبعض الشبان والفتيات . .

الشخصية والجريمة :

فى يوم الجمعة الماضى انعقدت مناظرة بقاعة يورت التذكارية موضوعها « الشخصية والجريمة » اشترك فيها الدكتور أمير بقطر والأستاذ سلامه موسى والسيدة سمية فهمى والأستاذ مظهر سعيد . وقد دارت المناقشة بينهم فى الإجابة عن هذه الأسئلة : ما ذا يقصـد بالشخصية وبالجريمة ؟ وهل الشخصية موروثة أو مكتسبة ؟ وهل يورث الإجرام أو يكتسب ؟ وإلى أى حد ينبغى أن يعفى المجرم من المسؤولية ؟

ومجمل ما اتفقوا عليه أن الشخصية هى مجموعة الصفات الجسمية والوجدانية والأخلاقية وتفاعلها ، وأن الشخصية الحسنة هى التى يلائم صاحبها بين تصرفاته وبين المجتمع ويتحمل تبعة أعماله ، والسيئة هى غير الملائمة المتخففة من المسؤولية ؛ وأن كلا من الشخصية والإجرام يتكون من الوراثة ومن البيئة ، وقد اختلف المتناظرون فى أيهما — الوراثة والبيئة — أكثر أثراً وإن كانوا متفقين على وجودهما فى الشخصية والجريمة .

وقد اختلفوا فى تعريف الجريمة ، فبدأت السيدة سمية بأن الجريمة لا حقيقة لهـا ، لأن ما يعتبره بعض البلاد جريمة قد لا يعتبره كذلك بلد آخر ، وما يستنكر ارتكابه فى زمن قد يستساغ فى زمن آخر ، ومثلت لرأيها بفظائع الحرب ومعاونة العلماء على استحداث المدمرات التى آخرها القنبلة الذرية ، مما يوصف بالبطولة والوطنية ، وهو فى الواقع وحشية منكرة . ووافقها الأستاذ سلامة قائلا إن الجريمة تتبع العرف وإنها ليست إلا الأعمـال التى لا يقرها المجتمع . وخالفهما الدكتور بقطر والأستاذ مظهر ذاهبين إلى أن الجريمة كل تصرف يخرج على النظام ويقع منه ضرر على الفرد والجماعة وهي تكون فى زمن معين ومكان محدد . واشتد الخلاف بينهم عندما عرضوا للسؤال الرابع وهو الخاص بإعفاء المجرم من المسؤولية ، فقالت السيدة سمية والأستاذ مظهر بوجوب النظر فى حال المجرم من حيث نوع شخصيته ، فلا يعاقب ذو الشخصية المريضـة كالذى يسمى « السيكوباتى » وغيره مما كونته ظروف البيئة تكويناً سيئاً ، وخالفهما الدكتور بقطر والأستاذ سلامة ، فقال الثانى إن المجرم من أى نوع متأثر فى إجرامه بالوراثة والبيئة على اختلاف تقدير حظه من كل منهما ، فكل مجرم لا يد له فيما يرتكب إذا أخذنا بقاعدة الإعفاء من الإجرام الاضطرارى . وقال الدكتور بقطر إنه لاحظ فى أثناء وجوده أخيراً بأمريكا ، أن الجرائم هناك قد كثرت بفضل علماء النفس الذين يعللون دوافع الإجرام تعليلا يعفى المجرمين من العقاب أو يخففه عنهم ، ويفسح القضاة لهذه التحليلات النفسية ، ويصدرون أحكامهم بناء عليها .

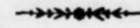
تعقيب :

لقد تبينت فى خلال هذه المناظرة بالمشاهدة والمثل العملى — أن العامية لا تصلح أبداً لغة للأفكار العلمية ، وذلك أن المتناظرين وخاصة السيدة سمية فهمى والأستاذ سلامة موسى ، كانوا يلجئون إلى التعبيـير العامى فلا يسعفهم فى إبراز ما يجول بخواطرهم ، فيستنجدون بالتعبير الفصيح ، فمن واتاه بلغ به ، ومن استعصى عليه اضطرب وملكه العى ، وقد وقعت السيدة من ذلك فى حرج شديد ، وإن بدا — على رغم تعثر لسانها — تمكنها من دقائق الموضوع ، وقد كانت تشكو من ضيق الوقت وعدم اتساعه



زوجات

ترجمة الأستاذ أحمد الصاوي محمد



كتاب رائع ، ذلك الكتاب الذي يقدمه الأستاذ أحمد الصاوي محمد إلى قراء العربية . وبهذا الكتاب يثب الصاوي وثبة أخرى في الطريق الذي بدأه منذ سنين ، حين راح ينقل شتى الألوان من ثقافة الغرب إلى الشرق ، ويمزج بين هذه وتلك مزجاً موفقاً يقرب الشقة بين ذوق وذوق ، وبين فهم وفهم ، وبين شعور وشعور .

و « زوجات » يصدر معه كتابان آخران للصاوي هما « فوشيه » و « العبرة من الماضي » ... ثلاثة كتب ومن قبلها بضعة وعشرون كتاباً ، تكون في مجموعها ثلاث مدارس كما يحلو للأستاذ الصديق أن يصنف كتبه فينسب كلا منها إلى مدرسة خاصة ؛ فهناك مدرسة العبقرية ، ومدرسة الحرب والسياسة ، ومدرسة المجتمع ... وإلى هذه المدرسة الأخيرة ينتسب كتاب اليوم « زوجات » .

لمعالجة موضوع المناظرة ، والواقع أن الوقت كان يضيع بالتلجلج وتكرار العبارات العامية من غير طائل ، ولو أنهم أعدوا للمناظرة ودونوا أفكارهم في « تجربة » قبل الظهور على المسرح ، لأتوا بما يرجى منهم في مثل هذه المناظرة ، فهم معروفون بالدراسة والبحث وسعة الاطلاع ، ولكن الارتجال والاستهانة باللغة الصالحة للتعبير العلمي الدقيق ، جعلاهم يقضون نحو ساعتين فيما لا يستحق هذا الزمن من أمثالهم ، وقد شعر الحاضرون بذلك ، وكانوا جمهوراً كبيراً ، أتوا ليستمعوا إلى هؤلاء الأعلام ، ولم يضنوا على عقولهم بثمن الدخول الذي تتقاضاه الجامعة الأمريكية ولعلها الوحيدة في مصر التي تفرض أجراً على سماع المحاضرات والمناظرات العامة.

عباس خضر

يقدم إليك الصاوي في هذا الكتاب ثمانية ألوان من الطبيعة الإنسانية ، في كل لون منها امرأة .. هي زوجة . وعلى اختلاف الميول وتباين الأهواء وافتراق النزعات ، تختلف الصور وتتباين الملامح وتفترق السمات ، ويتمثل لناظريك معرض من معارض الصراع القوي العنيف ؛ صراع العواطف والأفكار .. فيه لوحات نفسية ، وفيه نماذج بشرية ، وفيه ما فيه من حيرة العقل ولوعة القلب ووقدة العاطفة واشتعال الوجدان!

وأقف بك وقفة متأنية ، متأملة ، عند الزوجة الأولى صاحبة « الكراسة الحمراء » ، تلك التي قضت العمر محلقة بالفكر على أجنحة الخيال ، تحلم حلماً طويلاً لا نهاية له .. حلم أرض الميعاد ! هي قصة من روائع الأدب الفرنسي المعاصر لخصها الصاوي من قبل ثم عاد فنقلها إلى العربية نقلا أميناً ، كاملا ، احتفظ فيه بروح الفن في لغته الأصيلة ؛ أما صاحبها فهو أندريه موروا عضو الأكاديمي فرانسيز وأما اسمها الحقيقي فهو « أرض الميعاد » ، ولكن قلم الصاوي شاء أن يخلع عليها اسماً آخر هو « الكراسة الحمراء » .. وقبل أن ألخص لك هذه القصة التي تشغل من الكتاب ما يقرب من ثلثيه ، قبل هذا أود أن أشير إلى قصة أخرى ظهرت في أفق الأدب الفرنسي ، هي قصة « الباب الضيق » لأندريه جيد صاحب جائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٤٨ . . في قصتي جيد وموروا ناحية جديرة باهتمام القارىء المتمكن والناقد الذواق ؛ ناحية يلتقي فيها الكاتبان ويفترقان بعدها في كل شيء !

أندريه موروا في « أرض الميعاد » فنان ، وأندريه جيد في « الباب الضيق » إنسان .. وكلاهما يبلغ القمة في ميدانه : هذا في إنسانيته وذاك في فنه . وكلاهما يمضي بعد ذلك في طريق ؛ تنزع القصة الأولى إلى الناحية الموضوعية أكثر مما تنزع إلى العرض والتحليل ، على حين تقتصر القصة الثانية على الناحية التحليلية الخالصة ، هناك حيث تطغى الألوان النفسية والظلال الإنسانية على كل ما عداها من ألوان وظلال ! وبعد ذلك أيضاً يمضي كل منهما في طريق ... فبينما نجد موروا يصهر العواطف الإنسانية في بوتقة الشهوة الجسدية العارمة ، تلقى جيد يصهرها في بوتقة اللذة الروحية الهائمة ؛ هناك شيء من الإباحية السافرة المتجردة ، وهنا شيء من الصوفية القلقة الغامضة . . . وفي كلتا القصتين صراع ملح عاصف عنيف ، هو في « الباب الضيق » صراع بين روح وجسد ، وهو في « أرض الميعاد » صراع بين روح وأجساد!

فى نطاق هذا الصراع الروحى الشاذ تتفق القصتان ويلتقى الـكاتبان ، ولا أقول إنه اتفاق كامل أو التقاء كامل ، ولـكنه اتفاق والتقاء على كل حال ، يتمثلان فى شخصيتين وضعهما جيد ومورروا تحت مجهر التحليل النفسى وهما « إليسا » بطلة « الباب الضيق » و « كاير » بطلة « أرض الميعاد » . كلتاهما خلقت تنشد الحب الذى لا تدنسه شهوة ، ولا يشوه من قداسـته لذة ، ولا يعبث بطهره إثم ، وهذا هو الحب المثالى الذى تضيق به دنيا البشر ، وكلتاهما لقيت فى سبيل هذا الحب آلاماً مبرحة وعذاباً لا يطاق ، وتلك حال من يعيشون على الأرض وقلوبهم متعلقة بالسماء ، لا شىء غير الصراع .. صراع القلب والعقل ، صراع الفكر والعاطفة ، صراع الجسـد والروح ! ... أما موروا فقد شاء لبطلته أن تخضع لمنطق الحياة والناس على ما فيه من قسوة ومرارة ، ولـكنه خضوع المجبر المغلوب على أمره حين تتألب عليه القوى فيلقى السلاح ، وتظل المعركة إلى الأبد محتدمة فى نفسه وشعوره ؛ وهذا هو منطق الفنان ! ... أما جيد فقد آثر لبطلته أن تقاوم حتى النهـاية ، وأن تحمل من الشقاء فى سبيل مثلها العليا فوق ما يحمل طوق الأحياء . لقد استحال حبهـا الإنسانى على مر الزمن حباً إلهياً فيه من شفافية التصوف ما يقرب بينها وبين الله . . . وفى فصل اليوميات من « الباب الضيق » تهتف « إليسا » من الأعماق مشيرة إلى « جيروم » : « يا إلهى ، تمنيت لو نقبل كلانا عليك ، تدفع أحدنا قوة الآخر ! لو نمشى كل طريق الحياة حاجين يقول أولهما للثانى : استند إلى ذراعى يا أخى إذا تعبت ، فيجيبه : حسبى أن أراك إلى جانبى ! ولـكن لا ؛ إن الطريق التى توصينا بها يا إلهى طريق ضيقة ، ضيقة حتى ما يستطيع سلوكها قرينان ! ... يا إلهى ، لم اخترت لنفسى مرارة الحرمان ! أتراني أطلب غير الحب فتنـة أعذب وأقوى ! آه لو علاك دفع نفسينا معاً بقوة الحب إلى ما وراء الحب نفسه ! » وهذا هو منطق جيد .. منطق الإنسان !

وأعود بك مرة أخرى إلى قصة أندريه موروا . . . نشأت كاير منذ صباها المبكر تتطلع إلى الحب بعينين حالمتين وقلب ظمآن ، ولـكن مربيتها الإنجليزية ذات الطبع البارد والوجدان الفاتر كانت تحذرها دائماً من أخطار الحب ، ونزوات العاطفة ، وغواية الرجال .. كانت كلما حملتها أحلام اليقظة على جناح الأمل إلى أرض الميعاد ، ردها صوت المربية العجوز إلى أرض البشر : إحـذرى يا فتاة إن الرجال ذئاب ، تقودهم إلى مهاوى الرذيلة شهوات وغرائز ! وشبت كاير عن الطوق ولا يزال فى نفسها وسمعها من دروس المربية العجوز رنين وأصداء ! ... أما أبواها فقد تلقت عنهما من الدروس ما طبع نظرتها إلى الحياة بطابع القلق والحيرة والترجح بين قسوة الواقع ومثالية الخيال ؛ كان أبوها ضـابطاً كبيراً عوده جنوده أن يأمر فيطاع ، وعودته الطاعة العمياء أن يرى فيمن حوله آلات يدفعها فتندفع !

وهكذا عاشت كاير . . لا يسمح لها أن تبدى رأياً ، ولا يؤذن لها أن تعلق على أمر ، ولا يتاح لها أن تعترض على وضع من الأوضاع . . . أما أمها فكانت امرأة شاذة غريبة الأطوار ، لا تعترف بهذه العاطفة المقدسـة التى يسميها الناس حباً ، وكثيراً ما كانت تضم صوتها إلى صوت المربيـة العجوز فى تحذير ابنتها من لعنة الحب ، وخبث الطوية عنـد الرجال ! . . ومما ترك أثراً عميقاً فى نفس كاير أنها كانت كلما قادها الخيال إلى حلم كل عذراء ، إلى ليلة الزفاف ، ارتفع صوت مربيتها ليقول لها فى دهشة مقرونة بالعجب والاستنكار : « ليلة الزفاف ؟ ألا تعلمين ما هية ليلة الزفاف ؟ ! ... تصورى مذلة أن تتجرد المرأة أمام رجل ، وأن تظل عارية تماماً رهن مشيئتـه ، وطوع إرادته ، وتحت رحمته ! ... آه من شناعة هذا كله ! »

فى هذا الجو الملبد بالقسوة ، المفعم بالرهبة ، الحافل بالشذوذ ، عاشت كاير ... ومن هذا الجو الخانق خرجت إلى الحياة لتواجه الحقائق بعقلية الأب والأم « ومس برنكر » المربيـة العجوز ، عدوة الرجال ! ولـكنها كانت أبداً تحلم بأرض الميعاد ، أرض العبقرية ، أرض النبوغ . أرض الوحى والإلهام .. كانت تتمنى أن تصبح يوماً كاتبة عظيمة أو شاعرة عظيمة ، وحين لم يتحقق لها شىء من هذا كله ، راحت تحلم بأن تكون زوجة لـكاتب عظيم أو شـاعر عظيم ، وما أجلها من أمان عذاب وهى تتخيل نفسها إلى جانبه ، تعطف عليه فتوحى إليه ، وتلهبه فتلهمه ، ويذوقان معاً أول قطرة من قطرات الخمرة المسكرة .. خمرة الفن والمجد والخلود !

ولـكن الأيام تمضى بها فى طريق كل معالمه صخور وأشواك .. لقد دفعت بها إلى أحضان رجل لا يفهم لغة الفن ، ولا موسيقى العواطف ، ولا نبضات القلوب ؛ وهكذا قدر لـكاير أن تعيش فى رحاب زوج لا يكاد يرى المرأة إلا من وراء منظار الشهوة المحترقة ، الشهوة التى تنشد الجسد ولا تعبأ بنداء الروح ، الشهوة التى لا تصغى لصوت غير صوت الغريزة ، صوت الحيوانية المتأججة فى الأعماق ! . كان « ألبير لاراك » ملكاً من ملوك

المال ، وفى بيته عاشت كلير كما تعيش الملكات ، ولكن شيئاً واحداً كان يحيل النور فى عينيها الساحرتين ظلاماً ، ويلهب روحها بسياط العذاب ، ويفجر الألم فى أعماقها تفجيراً .. هو تلك العلاقة الجنسية « الشائنة » التى يفرضها عليها منطق الحياة والأحياء ! . . . هـذه الروحانية الشفافة التى كانت تحلم بها فى أرض الميعاد ، وهذا الهيام العلوى الذى كان يربطها بالسماء ، وهذا الشعور المثالى الطليق المحلق فى آفاق الخيال ، هذا كله قد تحطم على أرض البشر . . . ويا ويح الخيال حين يرتطم بقسوة الحقيقة ومرارة الواقع ! حتى هذا الطفل الذى أنجبته لم يثر فى حنايا الضلوع عاطفة ، ولم يشعرها يوماً بحنان الأمومة ؛ لقد كان يذكرها دائماً بأنه أتى إلى الدنيا عن هـذا الطريق الذى كانت تبغضه ، وتنفر منه ، ورمض جوانحها بالعذاب . طريق العلاقة الجنسية « الشائنة » ، علاقة « الشقاء المقدس » لا الرباط المقدس! هكذا كانت تشعر كلير، وتنظر إلى منطق الحياة والناس!

أرض الميعاد ، ولا شىء غير أرض الميعاد .. أين من يقودها إلى هذه الأرض التى أقامت لها فى معرض الفكر صوراً فاتنات ، وحشدت لها الخيال يمدها بكل ما فى إبداعه من ألوان وظلال !. لقد وجدته ، وجدته أخيراً وكأنهما كانا على ميعاد ، وجدته فى شخص شاعر عظيم فتنها برقته ، وغزا قلبها بعبقريته ، وسحرها بلطف حديثه ، وكان اسمه .. « كريستيان منتربيه » !

وفى هـذا الظل الظليل من عبقرية الحب وحنان الحبيب ، نسيت كلير أن لها زوجاً وبيتاً وابناً .. كل خلوة مع الشاعر ، وكل رحلة مع الشاعر ، وله ألف نزهة تهيئها الأحلام تحت ضوء القمر ! . وتصل أنباء الزوجة إلى الزوج بعد أن أصبحت حديثاً تجهر به الشفاه ، وينتهى الأمر بينهما إلى الطلاق . ويعود هو إلى أشجانه ، وتعود هى إلى كريستيان منتربيه !

وفى رحاب الزوج الجديد عاشت كلير .. عاشت فى رحاب الرجل الذى ضحت فى سبيله بالزوج والابن وكل نعيم يهيئه المترفين سلطان المال ! وكم عطفت عليه فأوحت إليه ، وكم ألهبته فألهمته ، ولكنها لم تذق معه تلك الخمرة المسكرة ... الخمرة التى عتقتها الأوهام فى دنان أرض الميعاد !. لقد كان الشاعر وا أسفاه بشراً كـكل البشر !! وفى تلك الرسالة التى بعثت بها كلير إلى كريستيان بعد اثنى عشر عاماً من زواجهما ، يصور أندريه موروا بريشة الفنان المبدع ، كل ما كان يعتلج فى نفس بطلته من صراع رهيب بين الروح والجسد ، ظل إلى أن ودع الشاعر الحياة ، أقباساً من وهج اللوعة وفنوناً من عبقرية الألم ! .

ونقتطف هنا فقرات من هذه الرسالة الملتهبة :

« يا حبيبى الأعز ، إننى منذ مقامى هنا قد بدأت ثم مزقت عشر مرات رسالة كنت أريد وكان ينبغى لى أن أوجهها إليك منذ وقت طويل . إن ما لدى وعلى أن أقوله مؤلم لى ، وأخشى أن يسبب لك ألماً . . . إننى لا أظن يا كريستيان أنك تستطيع أن تتصور إلى أى حد قد تألمت منذ اثنى عشر عاماً ، لقد كنت معجبة بك ، لقد كنت أحبك ، لقد كنت غير راغبة فى أن أكون لك . لا لك ولا لسواك . وما كان أسعدنى لو بقيت إلى جانبك صديقة ، أو لو استطعت خاصة أن أكون ملهمة ، ولكنك لم ترد ذلك ! وقد استسلمت خافضة جناح الذلة لأنى خشيت إذا أنا قاومتك أن أفقدك . . . لقد توقعت منك إذا أنا فرضت على نفسى تضحية إعطاء نفسى ، أن أجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت مما لم يكشف لى الزواج عنه الحجاب ، غير أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، ولم ينكشف لى الحجاب عن الوادى العجيب ، ولم ألمح أرض الميعاد يا كريستيان !

إنى أحبك يا كريستيان ولا أحب سواك ، وإن من عناصر مأساتى أننى لك وسوف أكون مخلصة إخلاصاً لا يأتيه الشك ولا ينال منه شىء ولو بلغ بى اليأس والقنوط حد الجنون .. إنك لو أردت فوضعت فى زواجنا من الشعر بقدرما تصنع فى غراميات الأبطال الذين تخلقهم ، فربما كنت أبلغ من الحرارة الدرجة العالية علواً خارقاً ، الدرجة اللازمة لتصهر تحفظى وتذيب جمودى . . . إن فى الحياة الزوجية — على النحو الذى يخيل إلى وكما أتصورها — شيئاً متكرراً ، شيئا فاحشاً يثلج بدنى ! وإنى أفترض أننى مخطئة ، وأن المرأة الطبيعية العادية تجد شيئاً طبيعياً عادياً هذا « الهوى الجسدى الأعظم » كما هو عندكم أيها الرجال كل مساء، من دون أن تتلف هذه الحركات والإشارات فى كل مرة بالشعر والقلق والجمال . لكن ما حيلتى وقد خلقت هكذا ؟ ! .. إن أعصابى تحترق شيئاً فشيئاً من تكرار هذه المأساة ، بل إن عقلى نفسه قد اضطرب ! وتتصاعد فى كيانى أبخرة الضغن والغيرة ، وأحياناً الحقد ، على تلك المخلوقات البريئة التى كل جريمتها عندى أنها تتذوق لذات تأباها على طبيعتى ... ! »

بعد هذه الزوجة الشقية التعسة ، تجد ست زوجات أخرى لخص الصاوى حياتهن عن قصص ومسرحيات مطولة فى الأدب الفرنسى ، وسترى أن واحدة منهن قد لقيت من الشقاء والتعاسة



الخطـــاب

للكاتب الانجليزى كولين هوارد

هتف الرجل الصغير قائلا وقد بدت على محياه دلائل الارتباك وهو واقف بجوار الصندوق — أنى مسرور لرؤيتك !

فتوقف ونادت إليه قائلا — مرحباً ... السيد سيمسن ، أليس كذلك ؟

كان سيمسن وزوجه حديثى العهد بالحى ، ولم أكن قابلتهما أنا وزوجى إلا مرة أو مرتين .

وأجابنى سيمسن قائلا « أجل — هذا صحيح ! » وكان يبدو أنه مسرور لتعرفى عليه سريعاً . واستطرد قائلا « أنى لأتساءل : هل أستطيع أن تقرضنى ثلاثة أنصاف من البنسات؟»

فدفعت بيدى أبحث فى جيبى ، وأنا أسمعه يقول « إن زوجتى قد سلمتنى هذا الخطاب لألقيه فى صندوق البريد ، ولكنى لاحظت الآن فقط أن المظروف خال من طابع البريد » .

قلت مرفها — خل عنك ... فكثيراً مايحدث ذلك .

قال يجب أن يسافر هذا الخطاب الليلة — لابدأن يسافر! ولا أظن أنى سأجد مكتباً للبريد مفتوحاً فى هذا الوقت المتأخر من الليل . أتظن ذلك ؟

كانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة . فأمنت على أقواله .

واستطرد يقول — لذلك فكرت أن أحصل على طابع بريد من هذه الآلة ، عندما وجدت أنى لا أحمل نقوداً صغيرة

فقلت له بعد أن بحثت فى جيبى عبثاً — أنى شديد الأسف . أخشى ألا يكون معى مثل هذه النقود .

فصدرت عنه آهة تدل على الأسف ، قلت - لعل عابر سبيل يمر ... فقاطعنى قائلا — لايوجد أحد ...

ونظرت إلى جهة من الطريق ونظرهو إلى الجهة الأخرى . ثم التفت إلى ناحيتى والتفت إلى ناحيته دون جدوى . وأخيراً هممت بالرحيل . ولكنه يبدو وحيداً مرتبكا وقد أمسك بيده مظروفا أزرق اللون فلم أقو فى الواقع على تركه وهو فى هذه الحال . فقلت له — دعنى أخبرك ما الذى نفعله . من الأفضل أن ترافقنى إلى دارى . أنه على مقربة من هنا . وسأحاول أن أحصل لك على نقود صغيرة .

فقال سيمسن — أنه للطف منك حقاً !

وفى الدار ، استطعت بعد لأى أن أعثر على ثلاثة أنصاف من البنسات فأعطيتها إياه فأخذها منى شاكراً ، ثم جعل يدون فى مذكرته — بطريقة رجال الأعمال — قيمة القرض ، ثم رحل . وراقبته وهو يذرع الطريق بخطواته ، ثم يتوقف ، ثم يعود إلىّ . وقال لى — إنى آسف لإزعاجك مرة أخرى . الحقيقة إنى لا زلت غريباً عن هذا الحى ، وهأنذا قد ضللت الطريق . لعلك ترشدنى إلى مكتب البريد .

وحاولت إرشاده ، وقضيت بعض الوقت أشرح له موقع المكتب دون جدوى . وأخيراً وجدت نفسى فى حيرة كحيرته عند ما صرح قائلا — أخشى أنى لم أفهم ... فقاطعته قائلا — من الأفضل أن أرافقك . فعاد يردد قائلا — إنه للطف كبير منك!

وسرنا فى طريقنا حتى وصلنا إلى مكتب البريد . ووضع سيمسن قطعة من النقود فى ثقب الآلة ، فسقطت داخلها فى صليل عال دون أن يظهر للطابع أى أثر . ونظر إلىّ سيمسن نظرة حائرة وكأنه يتساءل ما الذى يستطيع عمله . فشرحت له قائلا « أن الآلة فارغة من الطوابع . » فتأوه فى أسف ، انصبح

ما لقيت كابر ، وهى « زوجة الكاتب » . . . وأن أخرى قد لقيت من ذل الحياة وقسوة الأيام أضعاف ما لقيت بطلة أرض الميعاد ، وهى « زوجة الضابط » . . . وأن ثالثة قد واجهت العاصفة بصبر وثبات ورجاحة عقل حتى بلغت الشاطىء ، وهى « زوجة الوالى » .. أما مسرحية « أزواجها الثلاثة » فقد كانت بمثابة البسمة المشرقة وسط مآسى الدموع !.. أما الزوجة السابعة والأخيرة فبطلة قصة مصرية كتبها الصاوى بقلمه تحت عنوان « زوجة الطبيب » ، ولعل هذه القصة هى الثغرة الوحيدة فى هذا الكتاب ، الثغرة التى ينفذ منها الناقد إلى شخصية الصاوى الفنية ككاتب قصة .. لقد كان فيها مجال رحب للخيال المفتن ولكن الصاوى وجه كل عنايته إلى الإطار دون أن يحفل كثيراً بتلوين الصورة ، ومن هنا فإن الحركة النفسية قد اعتراها شىء من الجمود ، مبعثة تلك اللمسات السريعة العابرة فى مواقف تحفل بعنف الصراع وفورة العاطفة !

أنور المعداوى

لنا أن طوابع أنصاف البنسات قد نفد أيضاً ووقف سيمسن مضطرباً حائراً . وإذا بالظروف يسقط منه ويقع على الأرض فاستعاده وقد تلوث بالوحل . وصاح فى انفعال « انظر ، لقد تلوث بالوحل ! » ثم طرق على الآلة الفارغة فى حنق وهو يقول «حسن، ما الذى نستطيع عمله الآن ؟ » فاستنتجت من سؤاله هذا أنه قد أشركنى فى حيرته ، فسألته « أمن الضرورى أن يسافر هذا الخطاب الليلة ؟ » . فأجاب « نعم ! نعم إن زوجتى قد ألحت على أن ألقيه هذه الليلة . قالت ولكن من الأفضل أن ألقيه الليلة إذا كنت تعرف ما أعنى » .

وكنت أعرف ما يعنيه من قوله هذا ، أو على الأقل أعرف زوجه مسز سيمسن . وتذكرت فجأة ما جعلنى أقول له « أتعرف. أن عندى دفتر طوابع للبريد فى دارى ! » .

فقال فى لهجة لا تخلو من التقريع « كان يجب أن تفكر فى ذلك من قبل ! » .

فقلت « من الأفضل أن نسرع وإلا فاتنا موعد سفر الرسائل » وأسرعنا الخطى ، وكان هذا من حسن حظنا ، لأنه استغرق بحثنا مدة طويلة قبل أن نجد الدفتر وإذا به خال من طوابع البريد.

وجعل سيمسن يقلب الفكر وهو يقول « يا لخيبة الأمل ! »

قلت « عجباً ! أكاد أقسم أن الدفتر كان ممتلئا بالطوابع ! » .

فسأل فى حزن « ولكن ... ماذا أفعل فى خطابى ؟ » .

قلت « سنضطر أن نلقيه دون طابع » وكان اهتمامى بذلك الخطاب قد بدأ يقل تدريجيا .

قال وقد عاوده الأمل « أوه — أأستطيع أن أفعل ذلك؟! »

قلت « ما الذى تستطيع عمله خلاف ذلك ؟ كل ما هناك أن من يتسلم الخطاب يدفع ضعف قيمة أرساله فى الصباح الباكر » . قال « إنى لا أود أن يحدث ذلك » .

قلت « ولا أنا . ومع ذلك . فليكن . أنها متاعبه وليست متاعبنا . أسرع الآن وإلا فاتنا آخر موعد لاستلام البريد . »

وأسرع سيمسن فى حماسة ، فصحت به « انتظر ... إن المكتب فى الناحية الأخرى من الطريق » .

فعاد وهو يلهث قائلا « آسف . أظن أنى ضللت الطريق مرة أخرى . » .

ولم أحاول أن أشرح له ثانية ، بل أمسكت بذراعه فى قوة وقدته إلى مكتب البريد فى اللحظة التى كاد يتم فيها استلام الرسائل — وكنت أعرف أنى بمراقبتى إياه سأوفر على نفسى بعض الوقت — ثم ألقى بخطابه بين الرسائل الأخرى ، وأخيراً عدت به إلى داره .

وقال وهو يودعنى : « أشكرك شكراً جزيلا على كل ما فعلته . أنى لا أعالك من التفكير ... ما الذى كنت أفعله بدونك ؟ .. أن ذلك الخطاب .. أنه لا يحوى سوى دعوة للعشاء موجهة إلى ... يا إلهى ! » .

— ماذا ... ما الأمر ؟ .

— لاشىء ... لقد تذكرت أمراً ...

— ما هو ؟

ولكنه لم يفه بكلمة ، بل اتسعت عيناه وهو يحدق فى طويلا ؛ وأخيراً حيانى وأسرع إلى الداخل .

وعجبت وتساءلت وأنا أسير عائداً إلى دارى ما الذى تذكره ؟ ولكن ... ما لبث أن زال عجبى فى الصباح الباكر عندما دفعت لساعى البريد ثلاثة بنسات قيمة استلامى مظروفاً أزرق اللون بغير طابع . . قد تلوث بالوحل ! !

محمد فهمى عبد الوهاب

انتــــــظروا

عدد «الرســـالة» السنوى «الممتاز»

فى يوم الاثنين ٣ يناير سنة ١٩٤٩

وهو حافل كعادته بأروع ما يكتب فى موضـــوعه

لصـــفوة من أقطـــاب البيـــان

فى مصر والعـــــالم العربى

نسخه محدودة وثمنه ثلاثون مليما

سكك حديد الحكومة المصرية

مواعيد فصـــل الشـــتاء

يتشرف المدير العام بإحاطة الجمهور أن مواعيد القطارات فى فصل الشتاء سيبدأ العمل بها من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وقد أعدت جداول الحائط ودفاتر الجيب للبيع للجمهور .

ويوجه النظر إلى التعديلات التى ادخلت على مواعيد بعض القطارات لا سيما الفاخرة وإلى القطارات الجديدة التى أضيفت وعلى الأخص فى الوجه القبلى لتحسين الخدمة .

المدير العام

عبد المجيد بدر

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٨ – الاثنين ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ – السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٠٨ — الاثنين ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣١٠٥١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 808

Lundi — 26 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨٠٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٨ — ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الأسرة المنبــــوذة

— ٢ —

نعم يا سيدتى أذكر أنى كنت وأنا صبى أمر فى طريقى إلى لـكتاب بمنزل المعلم يوسف النجار فأجده كل صباح جالساً تحت جداره فى يمناه قدومه وفى يسراه يد فأس يسويها ، أو بسخة محراث يقويها ، أو ورش طنبور يجدده ؛ وأصحاب هذه الأدوات من شباب القرية قيام من حوله أو قعود ينتظر كل منهم دوره ليقدم آلته أو ليسأل حاجته . وكان مظهر النجار المرح ومنظر حلقته الصاخبة يغريان صبيان الـكتاب بالوقوف فيقفون ليسمعوا هذا يستحثه بالسب لأنه عوّقه عن الحولى ، وذلك يبادره بالعتب لأنه غشه فى خشب الزّحافة ، وذلك يركبه بالدعابة لأنه غبنه فى ثمن النورج ؛ ثم ليروا المعلم يوسف مكباً على عمله ، ووجهه متهلل بالضحك ، ولسانه متحرك بالمزاح ، يجزى على السباب بالنكتة اللاذعة ، ويحتج على العتاب بالحجة البارعة ، ويرد على الدعابة بالسخرية المرة . حتى إذا انصرف الفلاحون إلى حقولهم ، انصرف هو إلى دورهم ، فتسأله هذه إصلاح المطرحة ، وتسأله تلك تثبيت الباب ؛ وهو يجيب كل طلب بابتسام ، ويؤدى كل عمل باهتمام ؛ لأنه يقوم لأهل القرية جميعاً بنجارة البيت والغيط مسانهةً فيأخذ من كل أسرة كيلتين فى موسم القمح وكيلتين فى موسم الذرة . ومن هذه الجباية السنوية يجتمع له ثروة من الحب تظهر بركتها فى عيشه الرضى وباله الرخى وزيه الجميل واستبد النجار الوحيد بخير البلد وارتفع به الغنى إلى طبقة أعيانه . ونظر يوسف فى أمره فلم يجد فى نفسه حاجة يتمناها على الله غير زوجة تكون لعُشه الخالى سكينة وزينة . والتمسها فى فتيات القرية فلم ينلها ، لأن الفقيرة أقل مما يبغى ، والغنية أكثر مما يستطيع . فأشارت عليه أمه العجوز أن يتزوج من قرية أخواله وهى على بُعد كيلين من قريته ؛ فدله نصيبه على فتاة رأيناها بعد زفافها عليه ودخوله بها فإذا منظرها يملأ العين ويشغل الفؤاد : جسم بضٌّ ممتلىء يكاد الثوب من رِيّه يلتصق به ، وقوام سبطٌ معتدل يتثنى تثنى الغصن الأملد ، ووجه مشرق اللون كأن على كل صفحة من صفحتيه وردة جورية ، أو تفاحة أمريكية ، وساعدان عبلان يحليهما ، من الرسغين إلى المرفقين ، أساور من الزجاج الأحمر المذهب ، ويدان رخصتان تزينهما أسطار من الوشم الأخضر المنمنم وهندام مدنى جرىء ، ظل حديث الدور والمصاطب مدة طويلة !

كثر الفضول حول دار النجار ، فكل امرأة تريد أن ترى وكل رجل يحب أن يسمع ، ومضت الأيام ومال بعض الجارات على بعض يقلن وهن يملأن جرارهن من النهر : إن لامرأة المعلم يوسف لوناً حين يتنفس الصبح ، ولوناً حين يمتع الضحى ؛ لونها فى طلعة الشمس أسمر حائل ، ولونها فى ميمة النهار أزهر مشبوب !

ثم مضت الأيام وقالت جارة لصواحبها وهن يحملن الحطب إلى البيوت : لقد رأيت بعينى محمد العطار يقف على باب النجار ويعطى زوجه شيئاً فى السر فأخذته مسرعة وهى تتلفت ، وغيبته

فى ثوبها وهى تهمس ، ومحمد العطار هذا بائع جوّال ينتقل بحماره وُخرجه بين القرى المتجاورة ، فيبيع اللبان اللدْن والصابون المسّك والمناديل المزركشة والفوانش الملونة ، وسلعاً أخرى تتصل بالزينة والتجميل يُسارُّ بها النساء ، فينفرن منها ويطول حديثهن عنها .

ثم مضت الأيام وجاءت جارة أخرى تعرض على جاراتها وهن يخبزن رُغفانهن فى الفرن المشترك . حُقةً صغيرة من الصفيح الأخضر على غطائها المستدير مرآة ، وفى جوفها الفارغ آثار من صبغ أحمر ؛ وتقول أنها التقطت هذه الحقة خفية من دار النجار ؛ وهى تؤكد أن هذا الأحمر هو (حُسنُ يوسف) الذى طالما أغراهن به العطار ؛ وترجح أن هذه المرأة الفاجرة تصبغ به وجهها ؛ ولا يجرؤ على تغيير خلقة الله إلا الغوازى فى القرى وبنات الهوى فى المدن . ولابد أن تكون هى من هؤلاء أو من أولئك .

وانتشر الخبر فى القرية انتشار الظلام ، فلم يبق من لا يعرف أن زوجة المعلم يوسف تستعمل حُسن يوسف .

ثم مضت الأيام وغدوتُ ذات صباح إلى الكتاب ومررت فى طريق إليه بدار النجار فإذا الحال غير الحال والمنظر غير المنظر : تقوض المجلس وأقفر المكان ، فلا الرجل قاعد تحت جداره ينجرُ ولا الجمع حاشد من حوله ينتظر ! وأسأل نفسى وأسائل الصبيان : ما ذا صنع الدهر بالمعلم يوسف ؟ لم يعُد رجل يستأجره لعمل ، ولم تمد امرأة تزوره فى حاجة ! فيقولون لقد قاطعه القريب وتحاشاه البعيد ، لأنه تزوج من الخبيزة ! والخبيزة كما علمت من بعد ، اسم يطلقه أهل المنصورة وضواحيها على الواخير ، وواخير الفسق ما لحارات اليهود من تعدد الأسماء فى مختلف الأنحاء ، على مسماها القذر الواحد .

وطال احتباس الرجل فى بيته وتعطله من عمله حتى صدىء قدومه ومنشاره ، وبيع فى الدين متاعه وعقاره . فاقترحت عليه أمه أن يطلق زوجه إبقاء على سمته وصحته وصنعته ؛ فقال لها فى إباء وألم : وما ذنب هذه المسكينة يا أماه ، وإنك لتعلمين كما أعلم أنها طاهرة الثوب قاصرة الطرف ، وإنما جنى عليها هذه الجناية تقليدها البرىء لابنة عمها المتزوجة فى القاهرة . وقد حرمت على نفسها منذ أن شاع ما شاع أن تتزين حتى بالزجاج ، وأن تتجمل حتى بالكحل . والرأى عندى أن نهاجر تحت الليل إلى عزبة من العزب المنشأة فى أطراف بلقاس فنستأنف هنالك حياة جديدة وعسى الله أن يجملها بفضل براءتنا واستكانتنا موفقة سعيدة .

وأصبح الناس فاذا دار النجار مفتوحة بعد أن ظل بابها مغلقا أثناء الأنهار سنةً وشهرين لم يدخل منه داخل ولم يخرج منه خارج . فنفذ المارون بأبصارهم إلى دهليزها فلم يلحظوا حركة تبدوا ولم يسمعوا صوتا ينبعث ؛ فتسللوا إليها حذرين مستطلعين فلم يجدوا وا أسفاه إلارَبعا أوحش بعد أنس ، وروضاً صوّح بعد بهجة ، وشملا تبدد بعد اجتماع .

ثم مضت الأيام وتعاقبت الأعوام وفعل الزمن فعله فى العقول والميول فأصبحنا فإذا الرجل هو الذى يشترى الأحمر لزوجته لتصبغ ، ويخلع المعطف عن ظهر أمه لتعرَى ، ويشعل السيجارة لأخته لتدخن ، ويقدم الراقص إلى إبنته لترقص ! !

ما أقربنا من ذلك الزمن وما أبعدنا عن تلك الحياة ! ! كان الولد يشب ثم يتزوج ثم يولد له ويبتليه الله بالتدخين فلا يستطيع أن يعلن ذلك لأبيه ، ولا يجرؤ على أن يدخن فى حضرة من يكبره . وكان الأخوة لأب وأم يعيشون فى دار واحدة ثم لا يرى أحدهم زوجة الآخر . وكانت المخدَّرة إذا مهّلت من حجابها ، أو تبرجت بين أترابها ، انتفت منها العشيرة وتحامتها الجيرة . ثم أمسينا فاذا المرأة هي التى تدبر الأمر وتسير العرف وتحجب الرجل . وإن مجلسى منكما هذا المجلس ، وظهوركما علىّ هذا الظهور ، لشاهدان على هذه الحال !

فقالت جارتاى بلسان أوشك أن يكون واحداً فى لفظه : تلك سنة الحياة يا أستاذ ! قِدمٌ ينسخه تجدد ، وتأخر يدفعه تقدم ، ورق يخلفه تحرر ! فقلت لهما إن ألفاظ التجدد والتقدم والتحرر كألفاظ الحق والعدل والاستقلال ، لها فى كل ذهن معنى ، وفى كل نظام صورة ، وفى كل أمة دلالة . لقد تقدمنا فى التعليم ولم نتقدم فى التربية ، وجدّدنا فى الصوَر ولم نجدد فى الفكرة ، وتحررنا من السوط ولم نتحرر من الهوى ، ... وهنا سحبت جارتى اليسرى من محفظتها سيجارة أخرى ، ثم بحثت عن علبة الثقاب فلم تجدها ، فاضطررت إلى أن أقطع الحديث وأدور بين الجماعة ، لألتمس لها من بعضهم ثقاباً أو ولاعة ! !

احمد حسن الزيات

سيكولوجية الحظ والنجاح

للدكتور فضـــــل أبو بكر

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
والحظ عنى بالجهال فى شغل
(الطغرائى)

الحظ أو البخت أو الجد أو غير ذلك من المترادفات العديدة التى تعنى حسن الطالع والمصادفة الموفقة ، إنما هى ألفاظ كثيرة الانتشار تجرى على كل لسان بل وفى كل زمان ومكان .

والاعتقادفى الحظ من سعيده أو سيئه ليس مقصوراً علينا نحن معشر الشرقيين دون غيرنا من أمم الأرض ؛ فالغربيون بالرغم عن دعوتهم بأنهم أكثر منا واقعية — وإن كانوا أجنح إلى المادية — يؤمنون أيضاً بالحظ وربما سبقونا فى هذا المضمار .

كلمة الحظ يرددها خاصة الناس وعامتهم . يرددها الغنى فى لهفة وجشع يود المزيد ويخشى الفقر والاملاق ، وهو يشكر للحظ ابتسامته فى كثير من الأحيان ، لأن الثراء يجذب الثراء من غير كبير عناء ، وإنما العناء والمشقة هما فى بداية الأمر عند وضع حجر الأساس لصرح ذلك الثراء . والأمل وما فيه من حياة لمحتضر ، ومال لمعوز ، وسعادة لشقى ، وأنس لشجى ؛ هذا الأمل يخول الفقير المعدم أن يترقب ابتسامة الحظ وإن كانت ابتسامة شاحبة حينا وعبوساً وتنكراً من جانب فى معظم الأحيان فيتبرم بحظه ويشكو من قسوة دهره .

ظاهرة الحظ قديمة كالأزل ، فقد ندب آدم - عليه السلام - حظه وشكا من سوء طالعه الذى أوقعه فى الخطيئة بأكله من الثمرة المحرمة وما ترتب على ذلك من عقوبة وحرمان هما فقدانه الفردوس وخروجه منه ، فكانت جناية جناها على نفسه وعلى بنيه من بعده .

والإنسان من أقدم العصور قد شخص ببصره إلى السماء يرصد نجومها ويترقب ما يجرى فى عالمها ، يسائلها عما يخبئه له الغيب من حظ سعيد أو نحس يحل به . وقد تمخض عن ذلك علم « التنجيم » ثم تطوره بمرور الزمن إلى علم ثابت الأساس هو علم الفلك الحديث . ولأسباب مشابهة — إن لم تكن مطابقة — بحث عن « حجر الفلاسفة » الذى إذا ما لامس معدنا ما صيره ذهباً فجاب بذلك السعد والغنى ؛ وقد كان ذلك من أكبر العوامل فى وجود علم الكيمياء القديم الذى تطور منه علم الكيمياء الحديث ...

وتلك التمائم والأحجبة التى لجأ إلى استعمالها الإنسان منذ أزمان بعيدة ، وما زالت بعض الشعوب البدائية تستعملها إلى يومنا هذا ، إنما ترمى كلها إلى غاية واحدة هى جلب الحظ السعيد ودرء النحس والأذى .

كذلك العرب ، كانوا فى جاهليتهم يتفاءلون ويتشاءمون ، يؤمنون بحسن الحظ ويتقون شر النحس وسوء الطالع ، يتشاءمون من بعض الحيوانات وخاصة بعض الطيور مثل البوم والغربان . وها هو شاعرهم يقول من قصيدة يعاتب فيها قومه ويفاخر بتسامحه وبكونه يدرأ السيئة بالحسنة :

وإن زجروا طيراً بنحس تمر بى　　زجرت لهم طيراً تمر بهم سعداً

بيد أن بعض الناس ، برغم فكرة الحظ السائدة — أو ظاهرته كما يحلو لى أن أسميها — لا يؤمنون بالحظ ، ويعتقدون بأن الايمان بالحظ فيه شىء من ضعف الايمان بالقضاء والقدر وإن كنا لا نشاركهم فى هذا الرأى ، إذ أن الاعتقاد فى القضاء والقدر لا ينافى بحال من الأحوال الإيمان بوجود السعد والنحس .

وهناك بعض من الناس ينكرون الحظ ويحسبونه ضرباً من الخيال والخرافة ورأيهم فيه هو رأيهم فى « الغول والعنقاء » وينعتون من يؤمن بالحظ « بالمشعوذين » والمهووسين .

وفئة أخرى تؤمن بالحظ فى قرارة نفسها وتنكر ذلك أمام غيرها لأن فى ذلك خروجاً عن العرف على سبيل « خالف تعرف » كما أن فى ذلك — كما يتوهمون — دليلا على القوة والاعتماد على النفس والاعتداد بها .

بعض ظواهر الحظ ومتناقضاته :

نشاهد فى كثير من الأحيان أن نفراً من الناس قد يلازمهم الحظ السعيد طيلة حياتهم فيفوزون بالجاه والثراء ويصلون إلى القمة من أقصر طريق وبغير عناء شديد ، مع أن مؤهلاتهم

لا تتناسب مع ما حصلوا عليه بل تتناقض معه فى بعض الأحيان ، وقد يختلف الناس فى تعليل ما يشاهدون ولكنهم يتفقون جميعاً بأن ذلك النفر محظوظ سعيد .

وترى أيضاً بعض ذوى الأعمال من الرجال يغامرون فى مشروعات ضخمة ينفقون فيها المبالغ الكبيرة من المال من غير وجل ولا خوف مستبشرين متفائلين ، يكاد الواحد منهم يجزم مقدماً بنجاحه فى شىء من الالهام وقد تسفر النتيجة فى معظم الأوقات عما توقعوه ، مع أن نجاحهم قد لا يكون ناتجا عن تفكير أو تبصر فى عواقب الأمور ، ومثل هذا النفر يرسم لهم الحظ خطاً يسيرون عليه سيراً « آلياً » بخطوات ثابتة .

كذلك ما نشاهده حول « الموائد المستديرة » للعب الميسر نرى بعض اللاعبين قد تكاثرت أرباحهم وقد يكون ذلك ناتجاً عن كونهم أمهر من خصومهم ، ولاسيما فى بعض الألعاب التى تحتاج إلى مهارة مثل النرد والدومينة و « البردج » ، ولكن هنالك أنواعاً من الميسر لا تحتاج إلى حذق أو دراية فى كثير أو قليل مثل أوراق « اليانصيب » إذ من الناس من يفوز بربحها مرات عديدة مع أن غيره قد يكون أكثر مواظبة على شرائها ، وقد يشترى منها الشىء الكبير ومع ذلك يخسر على الدوام .

ومن الناس من يلازمهم النحس طيلة الحياة ، رغما عما يتصفون به من كفاية ودماثة أخلاق ؛ وإذا حصلوا على شىء من الجاه ، فهو أقل بكثير مما يستحقون . والكاتب البلجيكى « ماترلنك » وهو كاتب درامى مشهور نال جائزة نوبل سنة ١٩١٣ يضرب لنا مثالا ناطقاً لبعض منكوبى الحظ فى وصف جاء منه : « أتيح لى أن أتتبع عن كثب حياة صديق بائس خانه الحظ ولازمه النحس فى كل خطوة خطاها . كان مثالا لدماثة الخلق ورجاحة العقل ، ورغما عن ذلك فقد أخفق فى معظم ما تصدى له من عمل ، كما كان يجيد ألعاب الفروسية ، ويحسن استعمال المهند القرضاب ومع ذلك فقد هزمه خصم هزيل ثلاث مرات متوالية وجرح فى كل مرة ، وكان ذلك على أثر خصومة سياسية أفضت بهما إلى المبارزة وألجأتهما إلى تحكيم السيف ، كما تخلى عنه معظم أصدقائه رغما عن وفائه لهم إذ الناس ينفرون ممن ينفر منهم الحظ ، ويقبلون على من يقبل عليهم . ولم تكن حياته الغرامية بأسعد حظا من حياته الاجتماعية ، فقد أحب وأخلص فى الحب ولكنه لم يجن من حبه إلا الخيانة ولم يحصد غير الغدر » .

ظاهرة قانون التسلسل والتتابع :

يقول المثل « إن المصائب لا تأتى فرادى » ، وهو يطابق تماما المثل الفرنسى « un malheur ne vieut jamais seul » نشاهد فى كثير من الأحيان بأن المصائب تتلاحق ويسبب بعضها بعضا ، كما أن النجاح والسعادة يفضيان إلى غيرهما فى شبه سلسلة ذات حلقات سعيدة .

ويمكن أن نطبق هذا القانون على سيرة بعض عظماء الرجال مثل هتلر ونابليون وغيرهما من كبار الناس . ولنأخذ مثلا لذلك نابليون بونابرت .

لما كان نابليون طالباً فى المدرسة الحربية بباريس قال عنه يوماً بعض أساتذته : « إن هذا الطالب القرصق جنسية وأخلاقاً سوف يتبوأ مكانا عاليا إذا واتاه الحظ » . وقد صدقت نبوءة ذلك الأستاذ وسطع نجم نابليون وتألق .

امتاز نابليون فى حصار ميناء طولون سنة ١٧٩٣ ، وهزم الانجليز وأنصارهم من الفرنسيين الملكيين ، ورقى إلى وظيفة جنرال على أثر ذلك ، كما انتصر انتصاراً باهراً فى حملته على الايطاليين سنة ١٧٩٦ ثم فوزه على النمساويين سنة ١٨٠٠ ، ثم هزيمته للروس سنة ١٨٠٥ ، وبروسيا الشرقية سنة ١٨٠٦ ، ثم هزيمته لأسبانيا والبرتغال بعد ذلك ، وهكذا أضحى نابليون سيد أوربا وأعظم رجل بها .

ثم بدأ يخونه الحظ ويأفل نجمه رويداً رويداً وكان بدء ذلك بعد حملته الغير موفقة ضد الروس سنة ١٨١٢ ، إذ حلت بجيوشه هزيمة منكرة فى سهول روسيا المترامية الأطراف المكسوة بالجليد ففتك البرد بجيوشه التى لم تجد مأوى ولا قوتاً ؛ وبعد ذلك هزيمته فى « ليبزج » سنة ١٨١٣ ؛ واحتلال فرنسا سنة ١٨١٤ ونفى نابليون فى جزيرة « ألبا » ، ثم فراره منها وجمعه لفلول جيوشه التى هزمت هزيمة نكراء فى واقعة « واترلو » سنة ١٨١٥ ونفيه فى جزيرة « سنتهيلانة » ، حيث ظل بها يعانى من قسوة الطقس آلاما جسمية ، ومن قسوة الهزيمة والاخفاق آلاما نفسية ، حتى قضى نحبه سنة ١٨٢١

إن سيرة هذا البطل تخضع لقانون التتابع فى صورة واضحة . نجاح متلاحق متواصل يجذب بعضه بعضاً حتى إذا ما وصل إلى القمة أعقبه هبوط متواصل أيضاً كما لو كانت الجاذبية تعمل عملها بجذبها إلى مركزها كل جسم من الأجسام ، وكما تفعل مع جسم قذفته إلى أعلى طبقات الجو فهو يصل إلى غايته القصوى ، ثم بفعل الجاذبية يهبط فى خط أقرب إلى الشكل البيضاوى على حد قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تم

أو قول الآخر :

ما طار طير وارتفع ... إلا كما طار وقع

تبدو هذه الظاهرة أى ظاهرة قانون التتابع غريبة حقاً ، وأكبر عامل يمكننا أن نعلل به هذه الظاهرة هو الثقة بالنفس والايمان بمقدرتها . إن الثقة بالنفس أساس كل نجاح ، والنجاح بدوره يزيد من تلك الثقة ويقوى الايمان ، فيتضاعف المجهود ويصدق العزم ، وهكذا يجذب النجاح بعضه بعضاً فى معظم الأحيان كما يحدث عكس هذا عندما تضعف الثقة بالنفس ؛ يحدث الإخفاق وتتوالى المصائب والإخفاق بدوره يزيد من إضعاف الثقة بالنفس والروح المعنوية ، وهكذا فى شبه دائرة خبيثة حتى تنعدم نهائياً الثقة بالنفس حيث لا يكون غير الهبوط والإخفاق .

الأحاسيس التى تبشر بالسعد أو تنذر بالنحس :

هذه ظواهر مشاهدة لدى الكثير من الناس وقد قصت علينا سيدة تشتغل بالتجارة أنها تشعر مقدما بما إذا كان التوفيق سيحالفها فى عملها أم سوف يخونها الحظ ، فزعمت أنها فى الحالة الأولى تشعر بنشاط يغمرها وبشر يشع من محياها كما تجد فى نفسها مقدرة على التعبير والاقناع وقلما يفلت الزبون — فى مثل هذه الأحوال — من قبضتها كما أن توفيقها فى إبرام صفقة رابحة يرفع من روحها المعنوية ويكثر من تفاؤلها .

كذلك تروى لنا السيدة المذكورة أنها تشعر فى أحيان أخرى بانقباض فى النفس وقلق — علمتها التجارب بأنهما مقدمة لعدم التوفيق والنحس فيما تقوم به من أعمال ، وإنها لتجزم مقدماً — فى مثل هذه الأحوال بالخسارة ، أو على الأقل بقلة الربح .

ومثل هذه الأحاسيس يشعر بها لاعبو الميسر ، بل هم أعرف بها من غيرهم .

وهنالك ظاهرة « التخاطر » التى أثبت علم النفس وجودها كما اعترف وأقر بها « بيرجسن » ، وهى أن ترى رأى العين صديقاً أو قريباً بمناسبة حادث خطير وقع لهما أو تسمع صوتهما وأنت فى كلتا الحالتين متمتع بجميع قواك العقلية ، وفى حالة صحو تام .

كذلك قد يكون هذا التخاطر فى صورة أحلام ، وقد تنبىء هذه الظاهرة — سواء كانت فى حالة يقظة أو فى نوع من الأحلام — بما سوف يحدث من خير أو شر .

بعض الطرق المؤدية للنجاح :

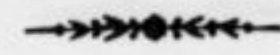
١ — الاعتماد على النفس : هو أساس كل نجاح فى الحياة وهو ناتج عن القوة والثقة بالنفس ، كما أن عدم الثقة بالنفس هو علامة الضعف ومدعاة للتردد ؛ والمتردد لا شك فاشل على حد المثل الانجليزى القائل « He who hesitates is lost » .

٢ — تجنب سوابق الإخفاق : إن الإخفاق سابقة تجر إلى غيرها لأن فى ذلك إضعافا للثقة بالنفس ، وإذا تكررت فقد تخلق عقدة نفسية عصية الحل ومركباً للنقص يصعب الخلاص منه كما يحدث فى « فسيولوجية » الهضم مثلا إذا أصيب إنسان مرتين أو ثلاث مرات متوالية بسوء الهضم فقد يخلق فى نفسه نوعاً من الخوف « Phobie » كفيلا باحداث اضطراب قد تطول مدته . لهذا كان على الطالب الذى يريد أن يدخل فى امتحان هام — كالمسابقات — ألا يقدم على ذلك إلا بعد تحضير كاف يكفل له النجاح وألا يقول — كما يقول الكثيرون — : دعنى أجرب حظى .

دكتور
فضل أبو بكر
عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

إسماعيل في شعر شوقي

للأستاذ أحمد أحمد بدوى



لأسرة شوقي صلة قديمة بإسماعيل سمحت له في إحدى قصائده أن يقول إنه ولد ببابه ، وكان لأبيه وجده من قبل ، صلة بآباء إسماعيل ، قال الشاعر في مقدمة كتابه الشوقيات : « أخذتني جدتي لأمي من المهد ، وكانت منعّمة موسرة فكفلتني لوالديّ وكانت تحنو عليّ فوق حنوّهما ، وترى لي مخايل في البرّ مرجوّة حدثتني أنها دخلت بي على الخديو إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري ، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعتُ على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدّتي : اصنعي معه مثل هذا ، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي ؛ قال : « جيئي به إليّ متى شئت . إني آخر من ينثر الذهب في مصر » وتلك القصة تدل على ما كان بين أسرة الشاعر وعاهل مصر الكبير من رباط وثيق . ومن المؤكد أن لو كان امتدّ الزمن بإسماعيل في مصر ، حتى نضجت مواهب شوقي في الشعر لكان شاعره الأثير ، فقد عرف هذا العاهل برعايته للأدب وحبه للشعراء ، ولكن الأيام لم تلبث أن أبعدته عن العرش سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ، وشاعرنا طفل لا يعدو العاشرة من عمره بكثير أخذ الزمن يمضي ، وإسماعيل مبعد عن بلاده حتى وافته منيته في مارس سنة خمس وتسعين وثمانمائة وألف ، واستقبلت مصر جثمانه ؛ وهنا يثور الشعر في صدر شوقي أمام هذا المشهد الفذ من مشاهد الحياة ، فيضع قصيدة إسماعيل ، يحدثنا فيها عن حياته أو عن العبرة في حياته ؛ وإن الجو الذي تخلقه هذه القصيدة ، وتحيط به القارئ جوّ حزن وأسى ، والشعور الذي تبعثه في النفس شعور أسف على أن تكون هذه الخاتمة خاتمة ملك ملأ عين الدنيا وسمع الزمان حيناً طويلاً من الدهر .

ليت شعري أ كانت تلك الحياة غير حلم بهيج امتدّ ما شاء له الله أن يمتد حتى إذا انقضى الحلم لم يجد صاحبه شيئاً منه في يديه

حلم مدّه الكرى لك مدّا ... وصدى تبتغي لحلمك ردّا
وحياة ما غادرت لك في الأحياء قبلا ، ولم تذر لك بعدا

ولم لا تكون حياة إسماعيل تلك الحياة ، وقد جمعت الضدين : السعادة والبؤس ، وعظمة السلطان ، وارتفاع الشأن ، ثم الانزواء في مكان ناء حيث لا أمر ولا نهي ، ولا تاج ، ولا صولجان :

لم ير الناس مثل أيام نعما ... ك زماناً ولا كبؤسك عهدا
كنت إن شئت بدّل السعد نحساً ... وإذا شئت بدّل النحس سعدا
قائماً بالعطاء والسلب فينا ... كالليالي أو أنت أكبر أيدا
يتمشى القضاء خلف نواهيـ ... ـك حديد الأظفار يطلب صيدا
ويظل السراة منك كريم ... رضيت رفده المناية رفدا
ومعز يصيّر القيد تاجاً ... ومذل يصيّر التاج قيدا
أنت من مثّل السعادة لو لم ... يك ذاك النعيم أخذاً وردّا

ولقد أنصف شوقي إسماعيل وكان صريحاً عندما وصف نفسية إسماعيل بأنها نفسية أبيّة تبغض أن تجد يداً أجنبية تحاول أن يكون لها نصيب في ملكه وسلطانه ، فالعاهل العظيم لا يؤوده الدين ، ولو كان في ضخامة الجبال ، ولكن الذي لا يستطيع احتماله ، ولا يطيق عليه صبراً ، أن يجد دائنه يحاول أن يفرض عليه سلطانه أو أن يسلبه شيئاً من حرية الرأي والعمل :

قصد الدهر منك ركن المعاني ... ورمى طودها الذي كان طودا
والأبيّ الذي أبى المصر في الملك شريكا لو أنّ ذلك أجدى
لم ينؤ بالجبال ديناً ولكن ... ودّ منه الغريم ما لم يودّا

ولقد رجع شوقي القهقرى ، فعاد إلى ذلك المهد الذي استقبلت فيه مصر ارتقاء إسماعيل عاقدة عليه كبار الأماني والآمال وها هو ذا الأمير النبيل يحقق آمال وطنه فيه بتلك الهمة العالية التي تريد أن تحيل الجهل علماً ، والضعف قوة ؛ فهاهي ذي يده تشيد في كل يوم للعلم صرحاً ، وتنشئ للوطن جيشاً ، وتقيم مظاهر الحضارة والعمران لتصبح مصر جديرة بأن تنال ما هي أهل له من عظمة وجلال ، وها هو ذا العاهل العظيم يصغي إلى أمنية بلاده في الحكم النيابي ، فتنال الأمة ما تتمناه ، ويصون لها مظهرها الخارجي ، فوفوده تترى إلى الملوك تنبئهم بأن مصر استيقظت تريد أن تظفر بمكانها نبيلة كريمة ، وإذا كان لسلاطين الترك على مصر شيء من الأمر ، فهدايا إسماعيل تعرف كيف

تستخلص حقوق مصر من أيديهم ، والمال فى سبيل الآمال رخيص مهما كان كبير المقـدار . استقبلت مصر إسماعيل يوم ولايته بقلب عامر بالآمال :

لبس الشرق من لقائك تاجاً   وتلقى أعوام رشـدك عقدا
وجرت فيه بالسـعود جوارٍ   لك منئين مصر ملكا ومجدا
كلَّ يوم صرح بشَيَّد للعلـم ، وظلٌ يمدُّ فى مصر مدًّا
ولواء ، وعـدَّةٌ ، وعـديد   ونظامٌ نرى به الشهب جندا
وغزاة فى البيض والسود تبغى   مصر فيهـا مجدَّداً مستردًّا
وبريد لهـا تسـيل به القضب ، وثان بالبرق أجرى وأهدى
وخطوط بها التنـائى تدان   وبحـارٌ به الأقاليم تنـدَى
وبيـوتٌ لله ترفعُ فيهـا   وقصورٌ تُشادُ للحكم شيدا
وأمانىٌّ للرَّعيَّـةِ توفى   وحقوقٌ فى كلِّ يوم تُؤدَّى
ووُفودٌ إلى الممالك تزجى   وثمينٌ إلى الخوانيق يُهدى

وفى هذا البيت الأخير سياسة إسماعيل نحو سلاطين آل عثمان يهدى إليهم ثمين الهدايا ، ليظفر منهم بما يحقق آماله وأمانيه .

ولـكن إسماعيل يسير إلى غاياته فى غير تمهل ، ويمضى إلى هدفه غير متلبث ولا وان كأنه كان يخشى — والعمر قصير — ألا يحقق آمال قلبه الـكبير ، وهنا يتحدث شوقى وكأنه يهمس إلى الأمير العظيم أو يناجيه بأن فى التأنى السـلامة ، وما كان أخلق الأناة أن تحفظ التاج لربِّ التاج ، وأن تصون السعادة والمجد للراعى والرعية ! وما كان أخلق الحذر بأن يصون العرش من تلك الأيدى التى امتدت رقيقة ناعمة ، فلما ملـكت أصبحت شديدة عسراء . ولنصغ إلى هذه المناجاة الحزينة :

يا كبير الفؤاد والهم والآ   راب مهلاً مهلاً رويداً رويدا
لم تـكن حقبة أساءت علياً   فى جنى عمره لتحفظ ودًّا
خذلت منه واحد الترك والعرب ، وسامت سيف المشارق غمدا
لا غراماً بحاسـديه ولـكن   رهباً أن يبلـغ الشرق قصدا
ولأنت ابنه الذكى فهــلا   جئت بالطلبة الطريق الأسدا
فتأنيت ، والتأنى فــلاح   وهو يا ثاقب النهى بك أجدى
وحميت الأيدى العوادى أن تد   نو ، وأن تمتلى ، وأن تتصدى
بالغت بعـد لينها لك فى المـ   ـر ، وصار الوعيد ما كان وعدا
وإذا العصر والملوك خصوم   لك ، والناس والمحبون أعدا

ويختم هذه المناجاة بهذا البيت الحزين المبدوء بلو :

ولو أنا صـــنا وصنت ، لعشـنا الدهر فى العز والسيادة رغدا

وكأن هذه المناجاة قد أثارت فى نفس الشاعر الـكبير ذكرى هذا اليوم الذى لا ينسى فى تاريخ إسمـاعيل ، وهو يوم افتتاح قناة الـويس . وهل شهدت مصر فى تاريخها الحديث مهرجاناً مثله ، جعل اسم إسمـاعيل على كل لسان ، وذكر مصر فى كل مكان . أين هذا اليوم الذى جعل البحرين يلتقيان ، وأضافت مصر فيه ملوك الزمن ، وعظماء الأمم ، يجدون عند إسماعيل ، كرماً أندى من البحر ، وأعذب من ماء النيل . ما بال هؤلاء الملوك قد تغيروا مع الدهر ، وانقلبوا انقلاب الأيام ! وما بال تلك الصور قد مرت كأحلام الليل ، لا يلبث الصبح أن يتنفس حتى تمضى ولا تعود !

نهضت مصر بالزمان نزيلا   وبأهليـــه يوم ذلك وفدا
خطروا بين زاخرين ولاقوا   ثالثاً من نداك أحلى وأندى
بين فلك يجرى وآخر راس   ولواء يحدو ، وآخر يحدى
وملوك صـيد يراح بهم فى   واسع الريف والصعيد ويغدى
صور لم يكنَّ حقاً ، وحلم   لجع الصبح فيه لـمـا تبدى

وهنا لا ينسى شوقى أن هذا الجلال الذى بدت فى ثيابه البلاد قد دفعت مصر ثمنه غالياً ، قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، وكأن عقل الشاعر ضاق عن أن يدرك كيف أنفقت فتساءل قائلا :

وقناطير يجفـل الحصر عنها   كل يوم تمـدها مصر عدا
ليت شعرى ؟ هل ضمن فى الماء ، أم هل   بضـــمر المـاء للودائـع ردا

ولـكن الشاعر كان عظيم التفاؤل فأقسم ليعودن هذا المال إلينا كما ذهب ، ولسوف تـكون تلك القناة مصدر سعادة الوطن كما كانت ينبوع بؤسه وشقائه فيقول :

ليعيدنها إليـنـا بوقت   زمنٌ طالما أعاد وأبدى
إن ماء أجرت يداك لنرجو   أن سيحيى البلاد من حيث أردى

ويخيل إلى أن سر هذا التفاؤل إنما هو التأدب أمام ذكرى الراحل الـكريم ، أما الحوادث التى مرت على الوادى بسبب القناة فقد أوحت إليه بالسخط على حظ مصر منها . وها هو ذا يقول فى قصيدته الـكبيرة التى يؤرخ فيها لـكبار الحوادث فى وادى النيل

جمع الزاخرين كرها فلا كا   نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عنــــد أبيض للبرايا   حصة القطر منهما سوداء

وليس منشأ تلك النظرة السوداء إيمانه بأن تلك القناة عمل باطل لا خير فيه للوطن ، بل هي — كما قال في أسواق الذهب — عز الغد ، وكنز الأبد . والمنجم الأحد ، والوقف الذي إن فات الوالد فلن يفوت الولد .

وإذا كان هذا المجاز – كما قال أيضاً — هو حقيقة السيادة ، ووثيقة الشقاء أو السعادة ، خيط الرقبــة ، من اغتصبه اختص بالغلبة ، ووقف للأعقـاب عقبة — فلن تـكون مصر السعيدة الرابحة إلا إذا كان لها خالصاً ، وسلطانها عليه تاماً . ولقد كان شوقي صادقاً في ثورته ، شأن كل مصري يرى على ضفتي القناة جنوداً وعُدَّة ليس لمصر فيها فتيل ولا قطمير ، يقول شوقي لولديه أنظرا ترى على العَـبْرين عـبرة الأيام ، حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام ؛ جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بمرانه وعلينا أزواده ، ديك على غير جداره خلا له الجو فصاح ، وكلب في غير داره انفرد وراء الدار بالنباح .

ولا زال هذا شعورنا إلى اليوم ، فما دامت القناة ليست لنا فهي خطر البلاد الأغبر ، من التقاء الأبيض بالأحمر . ولعل ما تنبأ به شوقي يتحقق في القريب فتحيا البلاد بالقناة ، وتصبح ينبوع عز ومجد ورخاء .

وإذا كان يوم افتتاح القناة من أيام إسماعيل التي لا تنسى ؛ فهناك من آثاره الغر المخلدة مالا ينساه التاريخ ولا تستطيع مصر أن تنساه يوماً ؛ فقد أنشأ لهـا جيشاً مدرباً قادراً ، فتح به أرجاء السودان وقسمه ونظمه ، وإن ارض السودان لجديرة أن تفتدى بالمال والدماء . وقد امتدت الآمال بإسماعيل ، وداعبته الأماني ، تغريه أن يملك كل منابع النيل . فلم يكفه خط الاستواء ، وراح إلى الحبشة يغزوها ، يريد تلك المنابع التي تجلب الخير إلى مصر مع طميها . وكم ودّ أن يركز فوق تلك المنابع رايته ، فـكانت غزوة مشئومة أودت بجيش مصر ، ولننصت إلى الشاعر يحدثنا بزهو وفخار عن جهود إسماعيل في السودان :

وملـكت السودان في الطول والعر   ض ، وفي شأنه لمعظم عبـــدا
نلت بالمال والدما منه أرضاً   بجبال الياقوت والدر تفدى
ثم نـظّمته ممـــالك كانت   نار تنظيمها سلاماً وبردا
فهنئنا به السـعادة عمراً   وأصبنا به المعين المدا
وطريق البلاد نحو المعالي   وسياجاً لملك مصر وحداً

ولكن هذه النغمة الفرحة لا يلبث أن يشوبها الألم والحسرة عند الحديث عن غزوة الحبشة وما نال جيش مصر القوى فيها .

ليت لم تفش بعده في حماها   حبش الـكر والخديعة أسدا
سلبوا مصر أي جيش كريم   كان للمجد والفخار أعـدّا

وما أشد الحسرة تنبعث من هذا البيت :

أنت أنشأته فلم تر مصر   جحفلا بعده ، ولم تر جندا

وهنا تنهار آمال إسماعيل في فتح تلك الديار .

ونفضت اليدين يأساً على الرغـ   م كأن لم تجد من الصبر بدا
وإذا لم يكن من الله عون   فاطّراح الآمال بالنفس أبدى

وحين انتهى شوقي إلى هذا الحد ، وقف يتأمل العبرة في هذه الحياة المجيدة التي قلب الدهر لهـا ظهر المجن ، « وما إسماعيل إلا قيصر لو أنه وفق ، والإسـكندر لو لم يخفق » . ولقد راع شوقي أن رأى الناس يشبهون الدهر في غدره وتقلبه ، فأين الملوك الذين وفدوا إليه ، وأين السادة الذين تربوا ببابه ، وأين الأصدقاء الأوفياء ؟ لقد أعرض كل هؤلاء وجفوا ، وكفر بالنعمة قوم لو لا إسماعيل ما عرفوا معنى الحياة .

ما لمصر رآك في العز لا يـ   ـسل دمعاً ، ولا يبلل خدا
أين ود عهدت منه وعطف   وولاء مؤكد كان أبدى
وملوك له أتتك وسادا   ت حداها إليك وفداً وفدا
أبت الناس فيك للناس إلا   أن يجاروا الزمان وصلا وصدا
فرأيت الحميم أول جاف   ووجدت الولي في البؤس ضدا
ورجالا لولاك لم يعرفوا العيـ   ـش أبوا أن يقدّموا لك حمدا
ما رأوا بعدك الأمور ولـكن   يحسنون الـكفران حلا وعقدا

ولقد مر بمصر من الأحداث ما كان مدعاة لأن يذكر الناس هذا العـاهل ، وما كان ينتظر منه لو أنه ظل على العرش يحوطه ويرعاه . ولقد كان الظرف الذي أنشئت فيه تلك القصيدة مدعاة لأن يثير في نفس الشاعر هذا المعنى ، وما كان أخلق دهاء إسماعيل أن يمر ببلاده وقت العاصفة بسلام لو أنه لم يقص عن عرشه إقصاء

بان مجد البلاد إذ بنت والصفـ ـو ، وكان الرجاء حياً فأودى
ودهتك الخطوب فينا فلم تتـ ـرك صواباً لنا ولم تبق رشدا
ولقينا من الحوادث ما لم يك يعيا به دهاؤك ذودا
فبكى البائسون منك حساماً طالما قدَّ هامة الخطب قداً
وبصيراً إذا المشورات لم تنجد ذويها ساس الأمور مُسدا

والآن بعد أن قضى حقوق التاريخ ، ووقف يستقبل هـذا الجسد الهامد ، عاد إلى وطنه بعد طول غيبة ، ليرقد فيـه رقدة الأبد ، وليستريح بعد ما قاساه من عناء الغربة ، وبعد البنينَ ، وفقدان الصحة والشباب ، والجاه والسلطان ، وإن مصر لوفية وإن ظُن منها الجفاء ، مقبلة وإن خيل منها الإعراض ، لا تحمل لخادمها بغضاً ، ولا تكن له حقداً ؛ وإذا كانت الظروف قد جرت على مصر بعض المحن فقد غفرت مصر لإسماعيل كل شيء ؛ فقد كان يبغى لها المجد وضخامة السلطان ، وترك لها ما خلد من جليل الآثار .

نازح الدار ما لبينك حـد ولقرب الديار زادك بعدا ؟ !
هكذا من قضى حنيناً وشوقا وأنيناً مع الظلام وسهدا
شاكياً للبنين والأمر والصحـ ـة والجاه والشبيبة فقدا
عد إلى مصرك الوفية وانزل فى ثراها واسكن من المهد لحدا
لا تقل أعرضت بلادى وصدت مصر خير هوى وأكرم عهدا
وقبيح بالدار أن تعرف البغض وبالمهد أن يباشر حقدا
غفرت مصر ما مضى لعليّ وبنيـه وللحفيد المفدى
ولآثارك الجلائل فيـها والجسم من نأيها خر هـدا

وختم شوقى قصيدته محاولا أن يظهر سأمه من الحياة وبرمه بها ، ولـكنه ضعف ونزل عن مستوى قصيدته الأول : ولم يدل شعره على انفعال حقيق حاد .

لقد أنصف شوقى إسماعيل فى تلك القصيدة فذكر بإعجاب مآثره على هذا الوطن ، ولم ينس أن يبين برفق فضل الأناة والإصلاح على مهل .

ولشوقى مقطوعة أخرى قالها حين أشرف فى مدينة نابلى على الدار التى كان يقيم فيها إسماعيل ، وهنا ذرف عبرتين أثارهما فيه هذا الزمن المتقلب وما مر بإسماعيل من إدبار بعد عز ونعيم ، فها هو ذا يضطر إلى مغادرة داره والرحيل عن بلاده ، ويستقبل فى كل يوم من الدهر آلاماً مبرحة حتى تنتهى متاعبه بالموت :

أبكيك إسماعيل مصر وفى البكا بعد التذكر راحة المستعبر
ومن القيام ببعض حقك أننى أرثى لعزك والنعيم المدبر
هذى بيوت الروم كيف سكنتها بعد القصور المزريات بقيصر
ومن العجائب أن نفسك أقصرت والدهر فى إحراجها لم يُقْصر
ما زال يخلى منك كل محلة حتى دفعت إلى المكان الأقفر

وشوقى فى غير هذا الشعر الذى خصه بإسماعيل وأنشأه من أجله لا يكاد يعرض لذكره إلا مقترناً بأسمى آيات الإجلال والتكريم ، فهو وفى لأبناء إسماعيل ؛ لأنه ولد ببابه وارتدى آلاءه فمن العار أن يخونه فى بنيه .

أأخون إسماعيل فى أبنائه ؟ ! ولقد ولدت بباب إسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيته فلبست جزلا وارتديت جميلا

وعند افتتاح الجامعة المصرية ، وكان الفضل فى إنشائها لابنة إسماعيل الأميرة فاطمة لا ينسى شوقى أن يشيد بولائه لبيت إسماعيل وأن يرى فى عمل الأميرة قبساً من نور والدها المعظم فيقول :

شمائل كان إسماعيل معدنها قد يخرج الفرع شبه الأصل للناس

وكثيراً ما نراه فى حديثه مع المغفور له فؤاد الأول يلقبه بابن إسماعيل ويدعوه أن يقفو فى الإصلاح إثر المصلح الكبير :

هلمّ مثال إسماعيل وانسج على منواله اللبن الجساما

وأحب أن أشير إلى موضعين آخرين أطال فيهما شوقى الحديث عن إسماعيل . أما الموضع الأول فالقصيدة التى ودَّع بها اللورد كرومر ، وقد أقام له رئيس الوزراء يومئذ مصطفى باشا فهمى حفلة وداع فى دار الأوبرا ، وخطب اللورد فى هذه الحفلة فأهان الأمة وأهان الخديو إسماعيل فى وجه الأمير حسين كامل ولم يراع شيئاً من الأدب ولا المجاملة ، فأنشأ الشاعر فى ذلك الحين قصيدة ثائرة ، تعبر عن نفس كايمة وقلب موتور . وليس المجال مجال تحليل تلك القصيدة الرائعة ، ولـكننى أكتفى هنا بدفاع شوقى عن إسماعيل ، فقد تمدَّح المحتل بأنه جلب لمصر الغنى ومدَّ لهـا أسباب الحضارة ، وقضى على إسراف إسماعيل وتبذيره فخاطبه قائلا :

قالوا جلبت لنا الرفاهة والغنى جحدوا الإله وصنعه والنيلا

وحيـاة مصر على زمان محمـد وبهوضها من عهـد إسماعيلا
ومدارساً يبني البلاد حوافلا حظ الفقير بهن كان جزيلا
قد مدّ إسماعيل قبلك للورى ظل الحضارة في البلاد ظليلا
إن قيس في جود وفي سرف إلى ما تنفقون اليوم عدّ بخيلا
أو كان قد صرع المفتش مرة فلكم صرعت بدنشواى قتيلا
لا تذكر الكرباج في أيامه من بعـد ما أنبتّ فيه ذيولا

وما أجل هذا التهكم يزجيه شوقي للمحتل الذى يمدّ من سيئات إسماعيل إكثاره من بناء القصور :

وامدح قصوراً شادهنّ بواذخاً قد أصبحت مأوى لـكم ومقيلا
لو أنهُ لم يبنهـا لتخـذتمو منها المضارب والخيام بديلا

والموضوع الثاني قصيدة أنشأها يُحيي بها المؤتمر الجغرافي الذى وفد إلى مصر في عهد الملك فؤاد ، وكان إسماعيل قد أنشأ في عهده سنة خمس وسبعين وثمانمائة وألف جمعية جغرافية وكان المؤتمر نزل بدارها فـكان في ذلك ما يجـدِّد ذكر إسماعيل قال يخاطب رجال المؤتمر :

كفى بدار تبوأتم أرائـكها من عبقرية إسماعيل عنوانا

ولقد هاجت به الذكرى فذكر أنه لو أدرك عهد إسماعيل لنال ما لم ينله المتنبي من سيف الدولة :

ولو مشت بي الليالي تحت كوكبه غادرت أحمد نسياً وابن حمدانا

وقد وجد شوقي المجال لإحياء ذكرى إسماعيل فأخذ يعـدّ مآثره وجليل أعماله :

ذو همة كفؤاد الدهر لو نظرت إلى بعيد دنا ، أو جامح لانا
باني المآثر بمعجزن الملوك بنى بكل أرض لـكسرى العلم إيوانا
مدّ الـكنانة أطرافاً ووسّـعها ملكاً وأترعها خيلاً وفرسانا
وفجّر المـاء في جناتها فسقى ما كان بين عيون النيل ظمآنا
ونص في ثبج الصحراء رايتها كالنجم يهدى بأقصى الليل حيرانا
لا تبرح الخيل بالسودان ملجمها حتى تنازل بالصومال أرسانا
ولا حقيقة من ملك ومن وطن حتى ترى السيف دون الملك عريانا

وقد أفصح شوقي في هذه القصيدة فذكر أن الذى أحبط جهود هذا العامل ، فلم يجن ثمار عمله ، هو إنجلترا أدهى الممالك وشيطان الدول ، فأينما كان يتجه يجد منها ما يفسد عليه غايته :

شيطان ملك وفتح قد أتيح له أدهى الممالك والدولات شيطانا
لم يمض في غارة إلا أصاب لها كيداً ينازعه الغايات يقظانا

وهكذا ضاعت آمال إسماعيل التى بناها ، يريد بنـاء ملك عريض وطيد :

خيـال ملك تلمّسنا حقيقته فأخطأتنا ، وكانت حظر (يابانا)
لم نصح من عرس دنياه وموكبها حتى سحبنا على الأحلام نسيانا

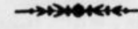
وفي تلك القصيدة تعرّض شوقي لتهمة إسراف إسماعيل ، ودافع عنه بأنه إنما أسرف في سبيل بناء الملك والنهضة والإصلاح

وبعد فهذه صورة إسماعيل في شعر شوقي الذى كان يرى فيه — فضلا عن ذلك كله — خالق نهضة الفـكر في مصر والشرق وبهذا العنوان أهدى إليه الجزء الأول من شوقياته .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

الرمزية في التفكير الانساني

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي



مهما سما حظ الحيوان من الذكاء ، وأيا كانت قدرته على تعديل سلوكه والتصرف والاحتيال إزاء المواقف الجديدة تحقيقاً لأغراضه ، يبقى برغم ذلك فرق جوهري يميز الذكاء الإنساني من ذكائه ، فرق يولد فروقاً أخرى جوهرية هي السر في تربع الإنسان على عرش الكائنات الحية ، وسيطرته على الطبيعة بقدر ما يكشف من أسرارها وقوانينها . وسأحاول في هذا المقال أن أشرح هذا الفارق والفروق الأخرى الفرعية . أما الفارق الأصلي هو : أن الذكاء الإنساني ليس ذكاء حسياً فقط بل ذكاء رمزيا أيضاً ، فالوظيفة الرمزية في التفكير الإنساني هي الفيصل الحق بين عقل الإنسان وعقل الحيوان ، ولذلك ينبغي أن نذكر أن كلمة تفكير لا تطلق على الحيوان إلا تجاوزاً — إنما التفكير الحق هو التفكير الرمزي .

بيان ذلك أن الحيوان يدرك الموجودات المادية إدراكاً حسياً ، أي تنطبع صور الأشياء التي يحسها بحواسه على صفحة الذهن . فهو يدرك كائنات مفردة أو جزئية — حسب التعبير المنطقي — ويستعيد صورها في غيبتها ، ويتعرف عليها إن رآها بعد ذلك . الكلب مثلا : يرى صاحبه فيدركه إدراكا حسياً ، ويرى غريباً فلا ينقطع عن النباح مما يدل على أنه أدرك الغريب ، وعلى أنه يستطيع التمييز الحسي بين شيئين كما استطاع التمييز حسياً بين صاحبه وبين الغريب . وإذا تغيب صاحبه ردحا من الزمن وعاد بعده إلى بيته ، اندفع نحوه وقد بدت عليه علامات الارتياح التي تنم عن وجود القدرة على التذكر والتعرف فالحيوان يحظى إذن بعديد من القوى العقلية الموجودة لدى الإنسان كالإدراك الحسي وترابط الصور ، والتمييز والتخيل والتعرف والتذكر ، بل إن بعض الحيوانات حتى العصافير تتحرك حركات استدل منها بعض علماء النفس الحيواني على وجود الأحلام لديها . بيد أن هذه العمليات جميعاً لا تتجاوز المستوى الحسي بأي حال ، فما يكون في ذهن الحيوان إذ يدرك أن يتخيل أو يحلم ليس إلا صورة أو مجموعة من الصور الحسية لأشياء جزئية مشخصة ، تتوالى على صفحة الذهن ، متداخلة متشابكة متفاعلة ، كما تتوالى صور الفلم على الشاشة البيضاء .

إن المادة التي يعالجها عقل الحيوان هي صور الموجودات الجزئية الموجودة في زمان معين ومكان بالذات ، والمتصفة بالصفات الحسية كاللون والطعم والرائحة والشكل والحركة والصوت واللمس ، وليس بمقدور الحيوان — أيا كان ذكاؤه — أن يسمو إلى إدراك المعاني الكلية التي يستخلصها الإنسان من مدركاته الحسية . فالإنسان لا يقف عند حد إدراك الأفراد إدراكا حسياً وتذكرها وتخيلها ، ولكن يدرك أيضاً ما تشترك فيه من صفات ويسقط أوجه الخلاف ، ويجرد بذلك المعنى العام الذي يدل عليها جميعاً . يدرك عمراً وزيداً وفلانا وفلاناً من الناس ، ويتغاضى عن الصفات التي يختلفون فيها من طول وشكل ودين وأخلاق ، ويدرك فوق ذلك أنهم جميعاً — بصرف النظر عن حالاتهم الخاصة — يشتركون في صفة الإنسانية . لا يدرك الكلب والقط والعصفور فقط ، بل ينتزع من أفراد كل نوع من هذه الأنواع معنى عقلياً — لا حسياً — هو معنى الحيوانية الذي ينطبق على أفراد الحيوان جميعاً بنفس الدرجة . يدرك الإنسان تصرفاً من التصرفات الجزئية ويحكم عليه بأنه خير ، ويدرك تصرفاً آخر ويحكم عليه بأنه شرير ، فهو يدرك إذن معنى الخير ومعنى الشر إطلاقاً ، أي بغض النظر عن الفاعل وظروف الفعل . يدرك الإنسانية والحيوانية ، والخير والشر ، واللذة والألم ، والموت والحياة ، والحرارة والبرودة ، والسعادة والشقاء ، دون نظر للأمثلة الجزئية التي تدل عليها هذه المعاني ، ومن هنا كانت العملية العقلية التي تتغاضى عن الجزئيات بصفاتها الحسة لتستخلص المعنى العام الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تدعى عملية التجريد .

وظيفة التجريد تزود الإنسان بالمعاني التي ترمز إلى ملايين المدركات الحسية ، فتوفر عليه مجهوداً عقلياً جباراً ومجهوداً جسمياً أكبر . لذلك كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يتجاوز عقله المستوى الحسي إلى المستوى العقلي المطلق من قيود الزمان والمكان ، وكان أقدر الحيوانات على التصرف والتكيف للظروف ، فهو

لا يحتاج إذ يفكر إلى تمثل صور الوجودات التى يفكر فيها ، بل يكفى أن يستحضر معنى واحداً كالإنسانية يقوم مقام الملايين من الأفراد الجزئية المحسة . الحيوان يتعامل بالمواد المحسة ، والإنسان قد يدع الموقف الحسى جانباً ، ويرجع إلى عقله متعاملا بالرموز التى تمثل عناصر الموقف . فهو إذ يريد أن يشيد بناء ضخما ، لا يستحضر المواد الأولية من حجارة وأخشاب وحديد وأسمنت ثم يعمل فكره فى هذا الخليط مجرباً بانياً ثم هادماً ليصلح ما فسد ويقوم ما انحرف ، ولكنه يتناول القلم والقرطاس ويسطر المربعات والمثلثات والدوائر وغير ذلك من الرموز الهندسية والمعادلات الجبرية والحيل الميكانيكية حتى يتم التصميم . وما التصميم إلا مشروع عقلى صرف ، تم نتيجة التأليف بين رموز عدة ، فهو بدوره رمز يمكن تنفيذه فى الواقع فى أى وقت وفى أى مكان وبأى نوع من المواد . ثم يشرع الإنسان بعد ذلك فى تنفيذ التصميم بتشييد بناء هو حالة مفردة جزئية من حالات عدة فى حيز الإمكان .

يتفرع عن القدرة الرمزية إذن قدرة إنسانية فريدة هى الاختراع الذى نخطئ إن اعتبرناه مستنداً إلى الذكاء العملى اليدوى وحده ، وهى السر كذلك فى القوة الفكرية العظيمة والإنتاج الإنسانى الصميم ، أعنى به « اللغة » ، فاللغة مجموعة من الرموز يحملها ما أدرك من صفات وما أحس من مشاعر وما يبغى من آمال ، وينقلها إلى غيره عن طريق الإشارة أو الإيماءة أو اللفظ ، فيكفى أن أتفوه بلفظ إنسان حتى تبرز فى ذهنك الصفات التى ينطوى عليها معنى الإنسانية الذى يرمز إلى جميع أفراد الإنسان ، وتتتابع على صفحته صور حسية عدة ، مختلطة مبهمة ، مثيرة مجموعة من الذكريات والأخيلة والأحاسيس لا حصر لها .

طالما ردد الفلاسفة « إن الإنسان حيوان ناطق » ، ورددنا نحن قولهم هذا دون تدبر لحكمة اختيارهم لفظ النطق للدلالة على التفكير . وبعد ما أسلفنا تتبين العلاقة الوثيقة بين اللغة وبين الرموز ، بين اللفظ وبين الفكرة ؛ فاللغة نتاج القدرة الرمزية ، واللفظ المنطوق به حامل للفكرة المعقولة موشاة بخليط من المشاعر النفسية التى لا تنفصل بحال عن مجرى التفكير ، ويتبين صدق الفلاسفة إذ جعلوا النطق — أى التفكير الرمزى — فيصلا بين الإنسان وسائر الحيوان ، يتبين صدقهم لسببين :

الأول : أنه رفع الإنسان فوق الزمن وحرره من قيود المكان وأكسبه قدرة عقلية فائقة لم تكن لتتيسر له لو اقتصر على التعامل بالجزئيات ، وقدرة عملية ممتازة تتضح أكثر ما تتضح فى المخترعات والمنتجات الصناعية والفنية المختلفة .

والثانى : أنه شكل حياة الإنسان الاجتماعية تشكيلا راقياً ؛ ذلك أن اللغة يسرت اتصال الناس بعضهم ببعض اتصالا فكرياً وعاطفياً فى آن واحد ، فهى أداة التعبير عما يدور فى الذهن من معان ، ووسيلة الربط بين القلوب بما تنقل من مشاعر .

تؤدى اللغة كل ذلك بأيسر وسيلة وأروعها ، وهى لا تربط بين فردين فى صعيد واحد فقط ، بل تصل بين أفراد وأقوام تفرقوا شيعاً فى شعاب الأرض قاصيها ودانيها ؛ ولا تربطنا بالأحياء فقط بل بالسلف وقد واراه التراب ، وطواه التاريخ فى عصوره السحيقة . ألفت اللغة إذن بين القاصى والدانى ، وبين الأحياء والأموات ، وبين الصغار والكبار ، وبين المتمدنين والبدائيين . وتيسر بفضلها خزن التجارب والمعارف نقوشاً على جدران المعابد ورموزاً فى بطون الكتب سجلا خالداً يغنى عن تجشم الصعاب التى تجشمها غيرنا ، ويوفر علينا جهداً هو حقيق أن يبذل فى تحصيل معارف جديدة وكسب تجارب مفيدة ، تضيف إلى تراث الإنسان ذخائر جديدة . ولما كانت اللغة بمثابة النافذة التى نطل منها على نفوس البشر وعقولهم كانت بحق أداة الوحدة الاجتماعية أو عامل التكامل الاجتماعى — على حد تعبير مدرسة علم النفس التكاملى — عامل التأليف بين عقول البشر وقلوبهم وأذواقهم حتى قال بعض المفكرين إنه إذا كان للأفراد متفرقين عقول خاصة ، فلهم مجتمعين عقل عام يسمونه « العقل الجمعى » الذى يتولد عن اجتماع عقول الأفراد ويزيد عن مجموعها . فالأفراد مجتمعين يكتسبون كياناً مستقلا عن كيان الأفراد ، وللمجتمعات منطق خاص يعلو على منطق الأفراد ، وإرادة تفرض نفسها على إرادة الأفراد الجزئية ، ونفوذاً يكسر من شوكتهم .

وغير خاف أن التكامل الاجتماعى ، أو متانة البناء الاجتماعى ميزة حظى بها الإنسان — بفضل الوظيفة الرمزية — بينما الحيوان لا يزال فى مرتبة دنيا من حيث الترقى الاجتماعى . ألا صدق الفلاسفة الذين فصلوا بين الإنسان والحيوان بوصفهم الإنسان بالحيوانية والنطق .

عبد المنعم المليجى
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

أبو خليــــل القباني

باعث نهضتنا الفنية

ونفوبض أركانه مسرحه بدمشق

للأستاذ حسني كنعان

(تابع)

نقل الوالي « صبحي باشا » الذي كان يعطف على القباني ويشجعه في عمله الفني والترفيه عنه وتحسين مسرحه ، وأقيم مقامه حمدي باشا في دمشق ، ثم نقل هذا الباشا وأقيم مقامه غيره ، وما من والٍ أتى دمشق إلا كان مناصراً ومشجعاً وآخذاً بيد هذا القباني .

وكان معجباً بعظيم فنه ، ولكن الولاة هنا كانوا متفاوتين ومتباينين في التشجيع ، فالبعض منهم كان يشجعه لنصرة الفن ونهضة البلاد وتغذية العقول وتنويرها ، والبعض كان يشجعه لمرام وغايات سياسية القصد منها إشغال الشعب ولهوه وصرفه عن النظر للمعايب وكشف العورات ، إلى أن آل الأمر في ولاية دمشق إلى الوالي « مدحت باشا » ذلك الداهية التركي المعروف صاحب حادثة الطائف وصاحب المواقف العظيمة في المناداة بالحرية والعدالة والمساواة .

والغالب على الظن أنه أقصى عن دار الخلافة إقصاء وأبعد إلى دمشق خشية استشراء حركته التحريرية وقتئذ .

وخنق في الطائف بتحريض الحاكم بأمره جبار بني عثمان ..

وكان هذا الوالي من كبار ساسة الأتراك وعظماء رجالاتهم ، وقد مكث في دمشق أربع سنوات على التحقيق عمل فيها من الإصلاح والتشييد والبناء ما خلد له في هذه الديار أعظم الذكر ، وهو الذي خط « سوق مدحت باشا » جعل بدايته من باب الجابية ونهايته في أول حي الخراب الموصل إلى باب توما وحي اليهود ، وإلى هذا فقد أصلح المساجد وعبد الطرقات ووسع الشوارع وأكثر من فتح المدارس ، فازدهرت دمشق في زمانه أيما ازدهار ، فأحبه أهلها وعرفوا فضله ومازالوا حتى الآن يذكرونه بكل خير ومكرمة ، ويتحدثون عن إصلاحاته وأعماله ، ولا تزال السوق التي أقامها هنا تكنى باسمه إلى هذا اليوم وهي من أكبر أسواقنا التجارية ، وتضارع بشهرتها سوق الحميدية .

رأى هذا الداهية المجرب أهل دمشق غارقين في ليالي القباني وحفلاته فوجدها فرصة سانحة للاصلاح والعمران ، وأراد أن يزيدهم مما هم فيه من لهو ومتعة ، فأدنى القباني من مجالسه ، وصار يتردد على مسرحه وينشطه كما كان يفعل سلفه «صبحي باشا» وكان يجلسه في مجالسه الخاصة بجانبه ويغدق عليه المنح والأعطيات حتى غدا لديه من أقرب المقربين يستشيره في أمور البلد ويركن له ويعول عليه ، لأنه رأى فيه صفات الفنان المخلص لفنه المولع بعمله ، وقد لقبه بلقب « كوميدي » الشرق ...

لم يطل بقاء مدحت باشا في دمشق كما طال أمد سلفه ، ولكنه في خلال هذه المدة الوجيزة التي وجد فيها خلف من الآثار العمرانية والأعمال الإصلاحية ما يعجز عن الإتيان بمثلها من أقاموا في دمشق السنين الطوال من الولاة والحاكمين ، وفي سرحة من سرحات ذلك القلم المدنف نقل مدحت باشا من دمشق ، وأقيم مقامه « الوالي فاضل باشا » .

وكان هذا الوالي ضعيفاً خائر العزائم مفلك الأعصاب يفزع من خياله ، فاغتنم خصوم القباني فرصة ضعف هذا الحاكم ، وأخذوا يدسون عليه ، ويناوئونه في عمله حسداً ولؤماً وغيرة فوجدت وشاياتهم وتخرصاتهم عنده آذاناً صاغية ، وقلباً واعياً .

وكانوا من الأشرار الذين تأكلت أكبادهم من السل حسداً وخسة ودناءة .

فبدا للقباني أن يترضى هذه الفئة الخطرة بالمال والرشوة وباعطائهم بطاقات دائمية يدخلون بها المسرح من غير أجرة إسكاتاً لهم وإخراساً لأفواههم ، فوجدوا بهذا الصنيع باباً للكسب ، جرأهم على طلب المزيد منه ، وجرأ غيرهم على إقتفاء آثارهم ، وبعد أن كان القباني ينفق ثلاثة أرباع دخله على المسرح وترقيته وجلب الناقص إليه غدا ينفق هذا الفائض من الدخل على إسكات الخراسين الهمازين المفسدين ، فطمع فيه الناس وهان على خصومه أمره ، فأفسدت عليه هذه البادرة عمله ، ولم تقتصر

هذه الرشوات على تلك الفئة من أبناء البلاد والزكرتية والقبضايات أمثال « أبو قاعود ، وأبو زطام ، وأبو إصطيف » بله تمدتهم إلى الشيوخ الإنتهازيين المرتزقين الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ، فصاروا إذا ما بدا منه قصور فى هذا الباب أثاروا الدهماء عليه من سواد الأمة وسوقتها باسم الدين ، وقديماً كان وتر الدين فى مثل هذه المواقف حساساً يستولى به الخاصة على العامة .

أما فى هذه الأيام فلقد قامت الوطنية مقام الدين فى مثل هذه الحالات وتضاءل تأثير الدين ولذا قال أحدهم فى هذا المعنى :

أحبـــولة الدين راكت من تقادمها
فاعتاض عنها الورى أحبولة الوطن

وكان الوالى الباشا منهمكاً فى تثبيت مركزه وإشغال أهل الشام عنه بغيره ، فراق له هذا النزاع القائم فى الشام ما بين جماعة القبانى ومريديه وما بين خصومه وحساده ، فأضرم النار وأذكاها ليلهيهم عنه على قاعدة فرق تسد ، فانقسم الناس فى هذا السبيل إلى قسمين ، قسم بجانب القبانى يناصره ويسانده ، وهو الطبقة الراقية المثقفة فى البلاد ، وقسم يناهضه ويما كســه وهى طبقة الرعاع والجامدين الرجعيين ، فاشتد الأمر على القبانى وعظم الكرب وحار فى أمره .

وكانت المهاترات والتراشق بالحجارة والشتائم توجه إليه وإلى أنصاره كلما أبصره خصومه صبحاً ومساء .

وكانت كثيراً ما تقع الواقعة ما بين أهــل باب السريجة مسقط رأسه وباب الجابية التى نشأ فيها وترعرع ، وما بين حى العمارة والقيمرية مواطن خصومه ومنافسيه ، فيقتتلون من أجله بالحجارة والمدى والخناجر ، وتنقلب ساحات هذه الأحياء إلى ساحات قتال تنذر بأفدح العواقب وأسوأ الخواتيم ...

ولقد خرجت هذه الخصومات عن كونها داخلية صرفة ، فانتقلت أخبارها إلى الخارج .

ولما رأى المنافسون أن لا قدرة لهم على تقويض أركان مسرح القبانى ، ودك معالمه ومنع صاحبه من مزاولة العمل نظراً لدفاع الرأى العام الواعى المثقف عنه ألفوا وفداً وعلى رأسه ابن النعبرة الشيخ سعيد ، وكان شيخاً متحذلقاً ثرثاراً وهو أشــد خصومه عليه قسوة ونقمة وكيداً وحسداً .

ركب هذا الوفد المتظلم المستعدى البحر ووجهته دار الخلافة العثمانية « إستانبول » عاصمة الدولة ، ولــا وصل هذا الوفد إلى دار الخلافة مكث فيها مدة وهو يحتال للوصول إلى مقر السلطان دون جدوى ، لأن الوصول إلى « عريسة » الأسد وقتئذ أهون من الوصول إلى مقر عبد الحميد نظراً لــكثرة الإحتياطات والرقباء والعيون والأرصاد المنبثة حوله ...

ولما يئس هذا الوفد من مقابلة الداهية الجبار هم بالعودة من حيث أتى ، بيد أن أعصاب رئيسه السيد النعبرة الفولاذية لم تطاوعه على العودة إلى الشام دون أن ينال من صاحبه ويلحق به الأضرار التى ينتظرها له .

وبينما هو يفكر فى أمره إذا به يسمع من أحد أطراف الحاشية التابعة « ليلديز » أن السلطان سيصلى صلاة العيد فى أيا صوفيا ، ففرح هذا المنافس الماكر فرحاً شديداً لهذا النبأ ، وأزمع أن يرفع إليه شكواه وهو فى طريقه إلى المسجد مهما كلفه الأمر ، وقد أعد لهذا الأمر عدته وهيأ له أسبابه .

وبينما كان موكب المليك ماراً فى عربته الفخمة التى يجرها الخيول المطهمة الرافلة فى أبهى وأجمل أحلاس الدمقس والحرير والأطالس ، وفى أعناقها القلائد الذهبية والفضية مــدلاة تمشى بنمالها الذهبية مشية الطاوس زهواً وتيها بما تحمله ، إذا بصوت يدوى كالرعد مزمجراً من أعلى شرفة مطلة على الموكب يجأر صاحب الصوت بقوله :

يا مليك الزمان وصاحب العرش والصولجان ، يا خادم الحرمين الشريفين وإمام القبلتين ، يا أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين إن الشام التى أحبتك وذابت أكبادها تحناناً إلى ظليل عرشك أوفدت هذا الوفد إليك تستعديك على عــدوك وعدو الله هذا القبانى الأفاق المستبد الذى أحدث خروقاً فى الدين بترقيصه الفتيان المرد على المسارح وتهريجه وتمثيله مما لم تطق الشــام على مثله صبراً ، يحدث فى عصر أنت فيه الإمام الأوحد والركن الشديد، فأنقذنا بارعاك الله من هذا البلاء المحتم ، وإذا لم تنقذنا منه لا يعبد الله فى أرض الشام بعد هذا اليوم أبداً .

ولــا ترجمت كلمة هذا المتحذلق المنافق إلى المليك بالحرف الواحد خشى سوء العاقبة وأصدر إرادته السنية بمنع القبانى من العمل وإغلاق مسرحه ، فحملها هذا النعبرة الذى غير على القبانى ونــكد صفو عيشه وعاد بها إلى دمشق يزف لأصحابه البشرى .

(دمشق) (يتبع) حسنى كنعان

الشعر فى الســـودان

للأســـتاذ على العمارى

— ٥ —

على الرغم من وجود عدد غير قليل من الشعراء فى السودان، فإن منزلة الشعر غـير مرموقة، ورايته غير مرفوعة، وما زال كثير من الناس — حتى بعض المتعلمين — ينظرون إلى الشعر نظرهم إلى شيء تافه ليس بذى بال، وقد كان الظن غير ذلك، فإن علماء السودان الأعلام قد أحسنوا إحساناً محموداً حين نزلوا إلى ميدان الشعر، وهم أهل التقوى، وأهل الورع، فقالوه، وتناشدوه، ونشروه على الناس. وحسبنا أن نعـلم أن من كبار العلماء أمثال الشيخ أبى القاسم، والشيخ الضرير، والشيخ البنا الكبير، قد قالوا شعراً فى النسيب، ومن هذا النسيب نسيب رقيق عذب، وربمـا كان يظن الجاهلون أنه مما لا يليق بمكانة العلماء. ولقد سرنى أن رأيت عالماً فاضلا هو شيخ علماء السودان الأسبق الشيخ أبو القاسم (١) هاشم يقول نسيبا مستقلا، على قلة استقلال هذا الغرض فى شعر العلماء.

ولقد أحسن الأسـتاذ الفاضل سعد ميخائيل واضع كتاب شعراء الســودان حين قال عن هذا العالم الجليل «ترى صورته وما عليه من برد الجـلال والوقار فتظنه فقيها سيسمعك الشعر بروح الفقهاء، بينما هو يحمل بين جنبيه مع التقوى والنزاهة قلباً رقيق الحاشية» نعم إن أكثر شعره فى المدائح النبوية، ولـكن تشبيبه لا يصدر إلا عن نفس ذات أريحية وهزة. والحق أن التزمت ليس من صفات العلماء الفاقهين لحقيقة العلم، وإنمـا هو خلة أنصاف العلماء. قال الأصمعى: أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة، وكان من أعقل من رأيت:

يأيهـا الســائل عن منزلى ... نزلت فى الخــــان على نفسى
يغدو علىّ الخــــبز من خابز ... لا يقبل الرهن ولا ينسى
آكل من كيسى ومن كسرتى ... حتى لقـد أوجعنى ضرسى

فقال: اكتب لى هذه الأبيات، فقلت أصلحك الله، هذا لا يشبه مثلك، وإنما يروى مثل هذا الأحداث، فقال: اكتبها، فالأشراف تعجبهم الملح. هكذا.. الأشراف تعجبهم الملح، ومن تزمت فإنما يتزمت على نفسه.

وقيل لأبى السائب المخزومى: أترى أحداً لا يشتهى النسيب؟ فقال: أما ممن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا

وقيل لسعيد بن المسيب رضى الله عنه: إن قوماً من أهـل العراق لا يرون إنشاد الشعر! فقال: لقد نسكوا نسكا أعجميا!

وأنا فقد أعجبنى أن أرى فى علماء السودان من يخرج عن الأغراض الجافة المتزمتة إلى أغراض أخرى مقبولة طيبة، قرأت للشيخ أبى القاسم قوله:

سلاها فهل قلبى ســـلاها وهل جرى ... حـديث ســـواها فى فمى ولسانى
ألا إننى قد ضقت ذرعا وشفنى ... صـدود الذى أحببته فجفانى

وقوله:

ما على عشــــاقها من حرج ... إن حب الحسن فى الطبع كمين
وعـــدتنى وصلها فازداد ما ... بى من الشوق إليها والحنين

إلى أشعار أخرى فى وصف المحبوبة، والشوق إليها، والحديث عنها، والحنين إلى وصلها والتمتع بها.

وقديماً مرت سكينة بنت الحسين على عروة بن أذينة — وكان على زهـده وورعه وكثرة علمه وفهمه رقيق الغزل كثيره — فقالت له: أنت الذى تزعم أنك غير عاشق وأنت تقول:

قالت وأبثثتها وجـــدى فبحت به ... قد كنت عنـــدى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط... فليكن. أليس ابن قتيبة يقول، وهو يتحدث عن الشاعر العربى وابتدائه بالنسيب ليميل نحوه القلوب، يعلل ذلك فيقول: لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام».

ولـكن، هل يمكن أن نعتبر النسيب فى شعر المدرسة القديمة التى نتحدث عنها، نسيباً معبرا عما فى النفوس، حاكيا عواطفها

(١) يقول صاحب شعراء السودان: أن لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أبو القاسم هاشم اليد البيضاء فى ترقية المعهد العلمى بالسودان، فقد نظمه، وأدخل عليه المـكتبة العلمية التى كادت تكون فى صف أكبر المـكتبات العلمية، وهو صاحب الفضل فى نموها وترقيتها. أقول: والأمر كذلك، وما زال هـذا المعهد يرقى على أيدى شيوخه، وسيصل إلى ما نأمله له إن شاء الله.

٣١٠٥٢

وأحوال الوجد والصبابة ؟

وقد سبق أن أجبت عن مثل هذا السؤال ، فقلت : إن هذا النسيب نسيب تقليدى أكثر منه معبرا عن واقع الحياة ، ذلك أن الشعراء فى ذلك العصر حبسوا أنفسهم فى الشعر القديم ، وأطلوا على الحياة من نوافذه ، فكانوا صورة منه لا من حياتهم ، وقلدوه فى الغرض والطريقة ، وإن كان البون بعيداً فى الديباجة والمعانى . ونحن نضع بين يدى القارىء صورة للنسيب تكاد تكون عامة : ليس من البشر من تجافى الهوى قلبه ، فإن الهوى كرم فى الطبع ، يمثله اللفظ الرقيق ، والأخلاق الغر ، وهو الحياة ، والقلب من دونه بلقع من البلاقع لا ماء فيه ولا شجر ، أو هو مسرحة جرداء لا ظل ولا ثمر ، وأما العاذل فهو غليظ القلب ، جافى الطبع ، والحبيب . . الحبيب كل المحاسن حارت فى محاسنه ، فما القمر ، وما الكثيب ، وما غصن البان ؟

وهو مهفهف القد ، ضامر الخصر ، يكاد من ثقل الأرداف ينبتر ، ريقه عذب ، وثغره مؤشر ، عابث بصبه ، حانث فى وعده ، سود غدائره ، بلج محاجره ، دعج نواظره ، فى طبعه خفر ، وهو يصبى الحليم ، ويشفى السقيم ، وهى الظبى جيداً ومقلة ، وخدها الورد ، وعيناها السحر .

وهكذا يدور النسيب كله فى هذه الدائرة ، ولا يخرج عنها إلا القليل . ولكل شاعر حظ منها قل أو كثر ، وهذه أوصاف قد ألفناها كلها فى الشعر القديم ، ولئن كنا نقرؤها هناك مسوقة فى صور بديعة فيها الصنعة والروعة ، فإنا نقرؤها هنا — فى الأعم الأغلب — ساذجة غفلا .

قلت إن النسيب تبتدأ به القصائد ، وقل من الشعراء من خرج عن هذا التقليد ، وأكثر الشعراء من المشايخ وهؤلاء قل أن يقولوا غزلا مستقلا ، ومن عجب أن أكثر تخلصهم إلى أغراضهم يكون بإنكار الحب . هذا شاعر يدعى الهوى ، بل يقول إنه لا حياة له بدونه :

فتركتنى ما أستفيق من الهوى   ونصبتنى للعاشقين مثالا

وهذا الذى لا يستفيق من الهوى ، والذى كان الغانيات أنسه ، يمتع بهن سمعه وبصره ، هو الذى يقول :

أماطت لثاما دونه الشمس زينب   ولاح لنا منها بنان مخضب
وحيت فأحيتنا ومال بعطفنا   حديث من الماذى أحلى وأعذب
فأصبحت مشغوفا وملت إلى الصبا   على أن رأسى يا ابنة القوم أشيب
لعمرك ما هاجت غرامى خريدة   ولا قادنى نحو الغواية مطلب
ولكن وجدا بالفضيلة هاجنى   فجاء بأبياتى هوى وتصبب
عشقت التى تدعى الفضيلة إنما   يقال لها فى مذهب الشعر (زينب)

نعم . وقد يقال لها ليلى ، أو مهدد ، أو دعد ، أو هند ، أو ما شاءوا من هذه الأسماء التى هى من الكنايات فى مذهب الشعر ، ولا وجود لها إلا فى ثنايا السطور .

وقد يجىء الشاعر بما لا يصدقه الواقع ، فيدلنا بذلك على أن للصناعة فى هذا الشعر مكانا .

نحن نعرف أن المرأة السودانية كهى فى صعيد مصر ، محجبة متمنعة ، دون الوصول إليها أهوال وأهوال ، ولكنى مع إعجابى بهذه الأبيات وإحساسى بحرارة الحب فيها ، أرى أن صاحبها نهج فى غير نهجه ، وسلك غير الطريق :

أستغفر الله لى شوق يجدده   ذكر الصبا والمغانى أى تجديد
وتلك فضلة كأس ما ذممت لها   طعما ، على كبر برح وتأويد
أرنو لسالف أيام لهوت بها   مع الأحبة حيناً مورقا عودى
إن زرت حيا أطافت بى ولائده   يفديننى ، فمل مودود بمودود
وكم برزن إلى لقياى فى مرح   وكم ثنين إلى نجواى من جيد
لو استطعن وهن الساحات دمى   رشفننى رشف معسول المناقيد
يا دار لهوى على النأى اسلمى وعمى   ويا لذاذة أيامى بهم عودى

ولهذا الشاعر المبدع الشيخ محمد سعيد العباسى غزل رقيق ، بل كل شعره رائع ، يقول :

يا بنت عشرين والأيام مقبلة   ما ذا تريدين من موءود خمسين
قد كان لى قبل هذا اليوم فيك هوى   أطيعه ، وحديث ذو أفانين
ولا منى فيك والأشجان زائدة   قوم ، وأحرى بهم ألا يلومونى
أزمان أمرح فى برد الشباب على   مسارح اللهو بين الخرد العين
والعود أخضر ، والأيام مشرقة   وحالة الأنس تغرى بى وتغريبى
أفديه فاز الحافظ وقل له   أفديه ، حين سمى نحوى يضربنى
يقول لى وهو يحكى البرق مبتسما   يا أنت ، ياذا ، وعمداً لا يسمينى
أنشأت أسمعه الشكوى ويسمعنى   أدنيه من كبدى الحرى ويدنينى

وفى هذا الشعر تسجيل لتقليد عند إخواننا السـودانيين ، ذلك أن المرأة — مهما طال عهدها مع زوجها — فإنها لا تدعوه باسمه ، فذلك حيث يقول (وعمداً لا يسمينى). هذا ما أعرفه عن الزوجة ، فهل تستحى العاشقة كذلك أن تدعو صاحبها باسمه ؟ العلم عند الحب !!

ومن الشعراء من ينساق مع عاطفته ، فيشبب تشبيباً مكشوفا ويذكر ما نال من التمتع مع صاحبته ولكنه يلتفت حواليه فيضطر إلى أن يذر الرماد فى العيون ، فيؤكد أنه لم يأت ما يسخط المروءة والدين :

كلما استعذب الدعابة منى   لج فى عتبه ليمعجم عـودى
وإذا اهتاج من حـرارة قبلا   تى ، أوما إلى بالتهـــديد
فإذا ما اندفعت أثمه أســـلم لى ثغره الشهى الورود
يتغاضى عن احتكاكى فى الخصـــر ، ويلتذ عنـد مس النهود

أليس هذا فعل امرأة صناع فى الغزل ؟ أليس هو حديث عاشق مدمن ؟ ولكنه يسخر من القراء حين يقول :

لا تظنوا بى الظنون فإنى   يعلم الله واقف فى حـدودى

بخ ! بخ ! قـــد عرفناك فقف حيث شـــئت !

ولست فى الواقع أقضى على الشعر السودانى بالتقليد فى النسيب لأن الشعراء خلت قلوبهم من الحب ، لا فإن لكل إنسان من الحب نصيبا ، كما يقول ابن قتيبة ، وإن حب الحسن لـكمين فى الطباع كما يقول شيخ علمائهم ، ولـكن شـتان بين إنسان يحب حباً هادئاً رزينا ، لا يوحى بشعر ، وبين إنسان يلذعه الحب ، وتكوى الصبابة قلبه ، فيعبر عن ذلك بشـعر تحس وأنت تقرأه بأن فيه رائحة كبد تشوى على جمرة الهوى . وعند أكثر هؤلاء الشعراء لم يلق الحب فى أشعارهم شيئاً من حرارة الجوى ، أو رقة الوصال .

ومـما يلفت النظر أنك لا تكاد تجد فى هذه الأشعار وصفا للغادة السودانية ، فكل محبوباتهم يخجل البدر منهن ، وقد سرق الورد حمرة خدودهن ، وربما وجدنا لبعضهم لمحة خفيفة . قرأت للشيخ إبراهيم أبو النور ، وهو من علماء المعهد العلمى هذه الأبيات :

تخال الوجـــه منها بدرتم   وتحســب ثغرها حب الغمام
وقد زادت مـلاحتها بشرط   على الخـــدين خطط بانتظام
محجبة فـــلم تبرز لشمس   ولم تعرف محطات الـــترام

والذى استوقفنى فى هذا الشعر أمور ، فإنه ذكر الشرط ، وهو ما يصنع فى أوجه السودانيات من علامات الجـال ، ولـكل قبيلة من القبائل أشراط معينة ، بحيث يمكن معرفة القبيـلة بمجرد النظر فى الوجه ، وهى عادة لا تزال موجودة فى كثير من القبائل . وطريقة صنعها أن يؤتى بموسى ، فتخط ثلاثة خطوط مستطيلة فى كل خد من خـدى الطفل ، وهذه عامة . وبعض القبائل تضيف إليها شرطاً مستعرضا أو شرطين ، مستقيما أو مائلا ويعتدون ذلك من علامات الجمال .

وقد حدثنى الشيخ أبو النور هذا — وهو عالم واسـع الاطلاع — أنه قرأ فى تاريخ عبد القادر الجزائرى أنه لـما ذهب إلى مكة سئل عن هذه الأشراط ، أهى موجودة عند العرب ، فأجاب بالإيجاب ، وذكر على ذلك شاهداً قول شاعرهم :

رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى   جمالا ، وقد زاد الملاحة بالقرط
فقلت أريد اللثم قالت بخفية   فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط

ثم قال الشيخ : وتسمى هذه الشروط الشلوخ واللعوط ، وهذه الأخيرة من لغة حمير ، وأنشد على ذلك قول الشاعر :

وبى حبشية سـلبت فؤادى   فـلم يمل الفؤاد إلى سـواها
كأن لعوطها طرق ثلاث   تسـير به النفوس إلى هواها

وعندى أن هذا الشعر أقرب إلى الصدق ، من الشعر الذى يصف المحبوبة بأنها بدر السماء ، أو زجاجة خمر :

أما الأمر الثانى الذى لفت نظرى فى شعر هذا الشيخ فقوله : ولم تعرف محطات الترام . وهل محطات الترام هنا كما هى فى كثير من البلدان ، ملتقى المشاق ، ومكان لصيد الظباء الحرام .

وكدت أوقن بأن هذا شعر شاب عصرى ، لولا أن الشيخ دلنى بباقى القصيدة على أنه من العلماء ، وحسبك دليلا على هذا قوله :

فمنى بالزكاة على فقير   ومسكين كئيب مستهام

ولم ينس الشعراء النؤى والأحجار والأطلال ، لتتم صورة التقليد للشعر العربى ، فهذا شاعر يعيش فى عاصمة البلاد يقول :

أما وقد شـطت بعهدى دارها   ولقيت بعد فراقها الأهـوالا
فتعال للاطلال نندب ماضيا   ولى وأياماً مررن عجالا

(وبعد) فإنى على أى حال معجب بهذا النسيب سواء كان صدى لنفس مكلومة ، أو كان تقليداً للشعر القديم ؛ فإنه من حظ الشعر هنا أن يفيض هذا الغزل على ألسنة العلماء ، وإنه لـكسب للأدب وللشعر ، وللتاريخ .

علي العماري
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

الأدب والفن في أسبوع

بين أديبين :

كان الأستاذ توفيق الحكيم قد كتب في أخبار اليوم كلمة بعنوان « الأديب المنفى » ، قبل أن يعود الدكتور طه حسين بك من أوربا ، أبدى فيها شعوراً رقيقاً نحو الدكتور ، لما أذيع من أنه ساخط على بعض العلاقات والشؤون المتصلة به في مصر .

وبعد أن رجع الدكتور طه إلى مصر تحدث إلى الأستاذ بعض من يشتغلون بالإيقاع بين الناس أن الدكتور أول تلك الكلمة تأويلا سيئاً واتهم الأستاذ الحكيم بانعدام حسن النية فيما كتب ، فلم يخف إلى لقائه وزيارته بعد العودة ...

وتطوع الأستاذ أنور المعداوي لتصفية الجو بين الأديبين الكبيرين ، فأنهى إلى الدكتور طه وساوس الحكيم ، فقال الدكتور : الأمر على عكس ذلك فأنا قد قرأت الكلمة وسررت بها وبالطبع لم أجد فيها ما يحمل على سوء الظن ، وإن هذا الذي نمى إلى الأستاذ توفيق هو من الدس الدنيء الذي نشكو من انتشار أصحابه في هذه الأيام . وقد كنت في إسبانيا قبل أن تصل إلى الكلمة ، وألقيت في جامعة مدريد محاضرة عن الأدب المصرى الحديث ، كان لتوفيق الحكيم فيها أكبر نصيب ، فقد أظهرت فضله وسبقه في التأليف المسرح وشغل ذلك نحو نصف المحاضرة ثم ابتسم الدكتور طه ابتسامته اللطيفة وقال : ألا ترى أن ما بلغ توفيق الحكيم كان يدعوه إلى أن يصحح الموقف ويعمل على إزالة ما علق به من غبار ؟

والواقع أن مجالس أدبائنا عامرة بالأحلاس الذين يتقربون إليهم بأمثال تلك الدسائس ، وقد يحمل بعضهم على ذلك رغبته في أن يظهر بمظهر المتصل المطلع الذي يعرف ما قال فلان والذي هو من الشأن بحيث يتحدث إليه فلان عن فلان !

ومما يدعو إلى الأسف أن أدباءنا يأخذون بهذه الترهات ويتأثرون بها في علاقاتهم . ومن العجيب أنهم كفوا من الخصومات الأدبية ، ولكنهم لم يبرؤوا من الصغائر الشخصية . مع أن الأولى هي الأجدر أن تكون من دون الثانية .

وتدل القصة السابقة على أنه من الممكن أن يقضوا على القيل والقال بالمواجهة والتواصل ، ويتبينوا حقيقة ما يقال لهم . وهم أولى الناس بذلك ، لأنهم الحصفاء الذين يمحصون الكلام ويعرفون زيفه من صحيحه .

مؤلف « نحو المجد » :

طغيان رجال المسرح والسينما على المؤلفين ، داء متفش يشكو منه الجميع ، فكثير من الأفلام لا يعرف الناس لها مؤلفين ، كاللقطاء حرموا النسبة إلى الآباء ، وكما يتبنى الراغب في الولد لقيطا يتلقب المخرج على الفلم ، فيسنده إلى إخراجه ويسكت عن تأليفه . والأصل في ذلك — على ما يبدو لى — ذلك النوع من الإنتاج الذي يلفقه المخرج من الروايات الأجنبية ، وتطور ذلك إلى استضعاف المؤلف وإرضائه ببعض النقود ، وهذا النوع الضعيف التافه من المؤلفين متوافر في السوق مع الأسف ، وقد استراح إليه المخرجون والممثلون ليتسموا بميسم الأدب والثقافة إلى جانب الإخراج والتمثيل ، فيشبعون « مركب النقص » كيلا يقال إنهم غير مثقفين ...

ولكن الأمر تطور بعد ذلك فقد دخل ميدان التأليف نفر من ذوى الكفاية والكرامة ، ولا يزال أولئك المخرجون على ما عودوا ، متمسكين بحق الانتحال ، مدفوعين بدافع القصور الذاتي ... وهنا بدأ الصراع ، ورأى الناس أخيراً أمثلة منه ، وتجمع بعض هؤلاء المؤلفين وتحدث بعضهم إلى بعض ، قالوا : كيف يغمط حقنا ونحن أصحاب الخلق والإبداع في هذه الفنون ؟ وكيف يقدم علينا كل من هب على الشاشة ودب على المسرح ، وعملنا هو القلب ولا تخرج أعمالهم عن الإطار والتلوين ؟

وآخر مثل من ذلك الصراع ما جرى في فلم « نحو المجد » الذي عرض يوم الاثنين الماضي في يوم الجامعة الخيرى ، بدار سينما رويال تحت الرعاية الملكية السامية ورياسة معالى وزير المعارف . مؤلف القصة وكاتب الحوار هو الأستاذ عبدالحميد يونس المدرس بكلية الآداب ، ولكن ظهرت الإعلانات عن الفلم

وليس فيها اسم المؤلف ، وليس هـذا فحسب ، بل نجد أنفسنا أمام نوع جديد فى ذلك المضمار فالمخرج لم يكتف بالاقتصار على إسناد الإخراج إليه ، فأضاف جديداً فى « الفن » إذ كتب فى الإعلانات « تأليف وإخراج الأستاذ حسين صدقى » ومعنى ذلك أنه يدعى التأليف ! فراع ذلك مؤلف القصة وكتب إلى المخرج ينبهه إلى هذا التصرف العجيب وينذره ، إن لم يقف سـبيل الإعلانات ، وبغير (أكاشبهاتها) أن يتخذ سبيله إلى القضاء .

ومن حيث أن الفلم تحت الرعاية الملكية السامية وإشراف معالى وزير المعارف ، ومن حيث أن المؤلف مدرس بالجامعة والفلم جامعى يعالج مشا كل طلاب فى الجامعى ، ومعروض فى يوم الجامعة الخيرى ، فلم يكن من اللائق أن تلابسه هذه المهزلة ويعتدى على حق مؤلفه هـذا الاعتداء المنكر .

البكاء الجميل :

سمعت من المذياع فى أحد أيام هذا الأسبوع ، تمثيلية « الشهداء » وهى تتضمن قصة الخنساء وفجيعتها فى أخويها معاوية وصخر ، ثم إسلامها واغتباطها باستشهاد أولادها الأربعة فى إحـدى الحروب الإسلامية . وهى تمثيلية جيدة لست أدرى كيف غلطت الإذاعة فقبلتها ... وليتها تـكثر من هذا الغلط ...

وقد مثلت الخنساء فتاة ذات نطاق فصيح وصوت عذب ونبر حلو حتى فى البكاء ... ومما أنشدته من شعر الخنساء هذا البيت :

إذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

والمعنى الذى قصدته الخنساء مفهوم ، فهى ترى بكاءها على أخيها حسناً جميلا لأنها تستعذبه وتلذه . ولكن الفتاة الممثلة أوحت إلى خاطرى معنى آخر ، فقد كانت تنشج بصوت لا أثر للحزن فيه لأنها لم تندمج فى الدور ، وكانت توقع كل بيت وكل كلمة على هذا النشيج المصنوع وهى كما أسلفت ذات صوت عذب حلو ، فكان بكاؤها جميلا فى المسامع ، لا كجمال بكاء الخنساء .

أو كما قال الدكتور طه حسين فى إحدى مقالاته بالأهرام : إن الشاعر يقول البيت أو الأبيات تعبيراً عما فى نفسه ، ولا يدرى ماسيحدثه وماسيثيره بعد ذلك من شتى الخواطر والمشاعر فى مختلف النفوس على تعاقب الأزمان والأجيال

كشكول الأسبوع

* طبعت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بحثاً للدكتور محمد عوض محمد بك ، عنوانه « الصهيونية فى نظر العلم » وتقوم الإدارة بتوزيعه .

* ظهر العدد الخامس من مجلة المجمع اللغوى ، وقد مضى نحو عشر سنين على ظهور العدد الرابع .

* قالت جريدة النهار اللبنانية إن مندوب تركيا فى اليونسكو همس فى أذن أحد الصحفيين : « مؤتمر كلام ، كلام بكلام بكلام ... نأمل أن يثمر نتائج عملية لأحفادكم أنتم الشباب » .

* كتب أديب ناشىء كلمة فى الأهرام قال فيها : « نحن رجال الفكر والفن والأدب » ويذكر بهذا الشويعر الذى قال إنه أشعر الشعراء . فقيل له : اسكت أنت حتى يقول ذلك الناس . قال: والله لقد مكثت ثلاثين سنة فما قالها أحد . .

* وقال ذلك الأديب فى تلك الكلمة إن المخرجين الأمريكيين آلهة صغار بالنسبة ليوسف وهبى . وقد علق على ذلك أحدهم فقال : نعم ليس يوسف وهبى إلهاً صغيراً فقدر مثل الحاكم بأمر لله !

* صدر قرار مجلس الوزراء أخيراً بمضاعفة أجر الترجمة فى وزارة المعارف ، وذلك أن الوزارة كانت تحاسب المترجمين الذين يقومون بترجمة الكتب التى تختارها للثقافة العامة باعتبار الكلمة بمليم ، فأصبحت الآن الكلمة بمليمين

* أذاعت محطة لندن العربية مساء الاثنين الماضى برنامج رثاء للمرحوم الأستاذ محمد محمود جمعة الذى كان يعمل فيها معلقاً على الحوادث . وكان قد جاء أخيراً إلى مصر وعين مدرساً بكلية دار العلوم .

* سئل أحد النقاد : كيف تكتب فى النقد المسرحى وأنت لم تشتغل بالمسرح ؟ فقال : وهل يجب على أن أبيض البيضة لأعرف إذا كانت جيدة أو فاسدة ؟ .

القسم السوداني الإنجليزي :

« أقسم مخلصاً وأعلن صادقاً أنني أؤيد المؤسسات السودانية التي تأسست بمقتضى هذا القانون ، وأن أبذل جهدي في كل الأوقات للعمل لمصلحة السودانيين » .

هذا هو نص القسم الذي طلب إلى أعضاء الجمعية التشريعية بالسودان أن ينطقوا به . وليس من همي هنا أن أتعرض له ، من حيث اعتراض بعض الأعضاء عليه ، لأنهم يرفضون التقييد بقوانين فرضت عليهم ، وإنما يؤيدون ويحلفون على القوانين التي يضعونها ، ولا من حيث غضب الحاكم العام على هذا الاعتراض .

إنما أريد أن أنبه إلى هذه الصيغة الإنجليزية في القسم ... فالقسم في العربية يذكر فيه المقسم به فيقال — مثلا — : أقسم بالله . أما الاكتفاء بفعل القسم فهو من عمل الإنجليز .

وهكذا تستهل الجمعية التشريعية السودانية ، استهلالا إنجليزيا حتى في القسم !

الهمزة الحيرى :

من المسائل التي يهتم بها الآن مجمع فؤاد الأول للغة العربية تيسير الإملاء . وتواصل اللجنة المنوط بها هذا العمل اجتماعاتها . لتفرغ من إعداده ، وتقدمه إلى مؤتمر المجمع ، بغية الموافقة عليه في هذه الدورة .

وفي أحد اجتماعات لجنة الإملاء حمل الدكتور أحمد أمين بك على أوضاع الهمزة المختلفة حملة صادقة فقال : كيف تنفرد الهمزة بهذا التقلب فلا تستقر على حال ، فترسم مرة على ألف ، ومرة على واو ، ومرة على ياء ، ومرة مفردة . ويلقى الكاتب في تقليبها على هذه الأوضاع المختلفة عناء أي عناء ... وما هي إلا حرف كسائر الحروف التي لا تتغير بتغير الحركات ؟

وأذكر أن الأستاذ رفعت فتح الله المدرس بكلية اللغة العربية كان له بحث في هذا الموضوع نشر منذ سنين بجريدة الأهرام تحت عنوان « الهمزة الحيرى » ويغلب على ظني أنه اقترح فيه أن ترسم الهمزة على ألف أو تكتب ألفاً في جميع الأحوال . وكم لهذا الاقتراح — لو نفذ — من أثر في كسب الأوقات والجهود التي تضيع في تعليم وتعلم رسم الهمزة التي احتارت وحيرت الناس معها ، فأكثر مشاكل الإملاء من هذه الهمزة .

وما إخال المجمع إلا يرحب بمثل ذلك . فهل يرى الأستاذ رفعت أن يقدم بحثه إلى المجمع ؟

من طرف المجالس :

كنا في مجلس أستاذ كبير ، إذ أقبل أحد المكثرين من التأليف ومعه مجموعة ذات عدد من مؤلفاته ، وقدمها للأستاذ الذي أخذ يلقي على كل منها نظرة ، ثم فرغ منها والتفت إلى المؤلف قائلا : ألفت كل هذا ؟ يظهر أنك « قاضي » .

وتبادل الجالسون ابتسامة خفية ذات معنى لا أدري هل قصده الأستاذ أو جاءت التورية عفواً على لسانه ... ؟

الإذاعة بين البلاد العربية :

تضع الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، مشروعاً جديداً يقتضي تعاون محطات الإذاعة في الدول العربية على تعريف البلاد بعضها ببعض . وذلك بأن تختار كل محطة طائفة من المحاضرين تتعاقد معهم ليتحدثوا عن بلادهم في كل نواحي حياتهم : من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية . ثم تسجل هذه الأحاديث وتتبادل دور الإذاعة المسجلات لإذاعتها فيتم بذلك التعارف بين البلاد العربية على نطاق واسع .

ومما يشمله المشروع أن تسجل كل محطة نخبة مختارة من الألوان القومية للفنون في بلادها كالموسيقى والغناء والأزجال وغيرها وتتبادل مسجلاتها أيضا .

عباس خضر



المآصر فى بلاد الروم والاسلام (*)

تأليف الأستاذ ميخائيل عواد

فى مطلع عام ١٩٤٨ ، أصدر الأستاذ ميخائيل عواد كتيباً صغير الحجم ، طريف الموضوع ، سماه : « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » . ذكر فى مقدمته : « أن مواده نشرت فى ستة أعداد من مجلة المقتطف فى سنتى ١٩٤٤ — ١٩٤٥ م ، وأنه رجع إليها بعد ذلك ، فزاد فيها وهذب حتى استوى منها هذا الكتاب الجديد » .

والأستاذ ميخائيل عواد باحث دقيق ، واسع الحيلة ، كثير الأناة ، جميل الصبر على مشاق البحث ، ومتاعب التنقيب ، يعمل فى هدوء وصمت وأدب ، وهو مثل أخيه الأستاذ كوركيس عواد من تلاميذ مدرسة فقيد العربية الأب أنستاس الكرملى ، أخذا عنه ، وورثا طريقته فى البحث والاستقصاء ، والعناية الفائقة ، والدقة والإتقان فى كل ما يكتبان ، وقد أخرجا منفردين ومجتمعين آثاراً قيمة ، ونشرا أبحاثاً دقيقة مما يذكرها لهما قراء العربية بالإعجاب والتقدير .

وكتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » الذى أصدره الأستاذ ميخائيل عواد أخيراً صغير الحجم فى نحو تسعين صفحة مع فهارسه الخمسة التى استغرقت عشرين صفحة منه ، ولكنه مع صغر حجمه بحث قيم ، وموضوع جديد على المكتبة العربية . ويظهر من الاطلاع عليه أنه مجهود شاق ، وعمل عظيم فى بابه ، وحسب القارئ الكريم أن يعلم أن مؤلفه رجع — فى إعداده — إلى نحو تسعين مرجعاً قديماً بين مخطوط ومطبوع ، وأبحاث ومقالات فى المجلات .

وقبل أن نعرض لكتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » ، ونبين مقدار التوفيق الذى بلغه مؤلفه فى بحث موضوعه نرى أن نضع بين يدى القارىء الكريم موجزاً فى مفهوم « المآصر » ، ومعناها فى اللغة ومبناها من حيث التصريف ، ثم ما يقصد منها عند الإطلاق حتى يكون على بصيرة ، ويستطيع الحكم — وهو على بينة من أمره — على مجهود الأستاذ صاحب المآصر ، ومقدار حظه من التوفيق .

فالمآصر جمع مأصر ، والمأصِر بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر الصاد ، اسم مكان على وزن مفعل بكسر العين من أصر يأصر بمعنى حبس يحبس ، فالمأصر على ذلك موضع الحبس ومكانه هذا معنى المأصر فى اللغة ، ومبناها فى التصريف ، ويطلق المأصر فى كتب الأقدمين ويراد به مكان حبس السفن فى البحار والأنهار ، أو مكان حبس السابلة فى الطرقات لتستوفى منهم العشور والضرائب ، وبأسلوب آخر ، فالمأصر قديماً مثل موضع استيفاء ضرائب الدولة فى نظامنا الحديث ، وقد يكون هذا الموضع على ساحل بحر أو شط نهر ، وقد يكون على طريق عام

ولابد لهذه المآصر — حتى تستطيع حبس السفن والسابلة — من وسائل تساعدها على ذلك الحبس والمنع ، فهناك الحبال والسواحل التى تمد على مداخل الموانىء فى البحار ، أو تمد على عرض النهر ، وهناك بعض السفن الصغيرة التى يستعان بها على ذلك الحبس والمنع . حتى يمكن استيفاء الضرائب . إلى غير ذلك من الوسائل التى لا بد منها فى مثل هذه الأعمال .

وهذه الوسائل التى يستعان بها من حبال وسلاسل وسفن تسمى مواصر . والمواصر جمع ماصر . والماصر اسم فاعل من مصر بمعنى حجز ومنع ، ففى تاج العروس للزبيدى ، فى مادة مصر : والمصر بالكسر الحاجز ، والحد بين الشيئين كالماصر ، وفى التهذيب : والماصر فى كلامهم الحبل يلقى فى الماء ليمنع السفن عن السير حتى يؤدى صاحبها ما عليه من حق السلطان .

ومما تقدم يتضح جلياً أن المآصر مواضع حبس السفن فى البحار أو الأنهار ، أو مواضع حبس السابلة فى الطرق العامة حتى تستوفى حقوق السلطان ، وأن المواصر وسائل ذلك الحبس من حبال وسلاسل وسفن

(*) تفضل مؤلف هذا الكتاب ، فأهدى إلى نسختين منه ، فأردت أن أشكره ؛ فتوفرت على قراءته مع ضيق الوقت وانشغال البال ؛ وكتبت عنه هذا المقال . برهان

ويظهر أن الأستاذ ميخائيل عواد مؤلف كتاب « المآصر في بلاد الروم والإسلام » اختلط عليه الأمر ، فلم يدرك الفرق بين المأصر بالهمزة ، والماصر بالألف ، وظنها شيئاً واحداً . يدل على ذلك أنه لم يرجع إلى مادة « مصر » في مرجع من المراجع اللغوية التي نقل عنها واعتمد عليها في مادة « أصر » ، مع أن كل تلك المراجع تكلمت على « المأصر » في مادة « أصر » وعلى « الماصر » في مادة « مصر » . وإلى القارئ نبذة من تصدير المؤلف تؤكد اعتقاده بأن السلاسل والحبال والسفن تسمى المآصر ، مع أنها من الوسائل التي من حقها أن تسمى بالمواصر . قال : وأهم ما يسترعي الاهتمام في كثير من هاتيك الموانئ وجود سلسلة ضخمة من الحديد تعترض الميناء ، فتحده من جهة البحر ، رسخ أحد طرفيها في صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ، وربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع وضع داخل برج مطل على الميناء من جهته الثانية ، ويجلس في البرج المذكور شخص يطلق عليه اسم صاحب القفل بيده الأمر والنهي في خروج السفن من الميناء ودخولها إليه ، فيعمل على رفع السلسلة أو على خفضها . وشبيه بهذا ما كان يجري في بعض الأنهار ؛ غير أنه كثيراً ما استبدلت السلاسل بالقلوس ، والأبراج بالسفن النهرية [1] كما سيجيء تفصيله ، ويطلق على هذه كلها « المآصر » وكانت الثغور ذات المآصر تتمتع من جهة البحر بسلام لا يضارعها فيه إلا تلك المدن التي تحيطها الأسوار [2] ويحرسها الحراس ، فالمأصر إذن الحصن الحصين لبعض الموانئ ، وسدها المنيع تدفع به عنها كل غزو يأتيها من جهة البحر [3] » .

وقد جره هذا الاعتقاد باتحاد معنى المأصر والماصر إلى أغلاط كثيرة في ثنايا الكتاب ، فإنه قال في ص٩ : وقد نسب إلى المأصر نفر من الناس . ثم نقل من كتاب الأنساب للسمعاني ترجمة أبي بشر يونس بن حبيب الماصري بعد أن وضع الهمزة فوق ألف الماصر والماصري في تلك الترجمة في نحو عشرة مواضع !

وصاحب كتاب الأنساب لم يعرض للمأصر بالهمزة أبداً ، ولم يذكر أحداً منسوباً إليه ، وإنما ذكر مادة الماصر بالألف ، وذكر أن المنسوب إليه هو يونس بن حبيب الماصري ، وأورد ترجمته . ويونس بن حبيب الماصري معروف بهذه النسبة في كل التراجم والأنساب قبل السمعاني وبعده ، فلم يقل أحد أنه مأصري منسوب إلى المأصر بالهمزة ، بل الكل مجمعون على القول بأنه ماصري منسوب إلى الماصر بالألف . فهذا الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبي الشيخ المتوفى في سلخ المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة عن خمس وتسعين سنة يذكر في كتابه طبقات المحدثين بأصبهان [1] يونس بن حبيب على أنه منسوب إلى جده الأعلى قيس الماصر ، وترجمة أبي الشيخ ليونس ابن حبيب هي أقدم ترجمة له . ويظهر أن كل من ترجم ليونس بعده أخذ عنه حتى ليغلب على الظن أن نص السمعاني منقول حرفياً عن أبي الشيخ . وابن أبي الشيخ هذا ولد بعد وفاة يونس ابن حبيب بنحو سبعة أعوام ، فهو أقرب المؤرخين عهداً من يونس بن حبيب ، وأعرفهم بأخباره وأحواله ونسبته .

وهذا مؤرخ آخر هو أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ يذكر يونس بن حبيب الماصري في كتابه أخبار أصبهان على أنه منسوب إلى جده الأعلى قيس الماصر ، ويترجمه ترجمة قريبة جداً من ترجمة أبي الشيخ [2] .

هذا رأي مؤرخين جليلين ممن سبقوا السمعاني ، وإلى القارئ بعد ذلك رأي مؤرخين آخرين ممن أتوا بعد السمعاني .

فهذا ابن الأثير يقول في كتابه « اللباب في تهذيب الأنساب [3] » : الماصري بفتح الميم وسكون الألف وكسر الصاد وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى الماصر ، والمشهور بهذه النسبة يونس بن حبيب الخ .

وهذا السيوطي يقول في كتابه « لب اللباب في تحرير

---

(١) قلت : القلوس جمع قلس . وهو حبل ضخم من ليف أو خوص . وصواب هذه العبارة أن يقول : استبدلت القلوس بالسلاسل ، والسفن النهرية بالأبراج ، فإن الباء في مثل هذا الأسلوب تدخل على المتروك كما هو معروف .

(٢) قلت : الصواب أن يقول : التي تحيط بها الأسوار .

(٣) من تصدير المؤلف صـ ٦

(١) راجع النسخة المخطوطة من هذا الكتاب المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ص ١٥٨ — ١٥٩

(٢) راجع كتاب « أخبار أصبهان » جـ ٢ ص ٣٤٥ طبع ليدن سنة ١٩٣٤ م .

(٣) راجع الورقة ١٦٦ جـ ٢ من النسخة المصورة المحفوظة في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ وهي نسخة جيدة غاية في الإتقان كتبت برسم الخزانة العالية الملكية المخدومية سنة ٧١٨ هـ بخط عبد الغني بن عبد المؤمن بن إبراهيم العجمي الصوفي . وهي في مجلدين في ٥٢٨ ورقة

الأنسـاب[1] » : الماصرى بكسر المهملة وراء . إلى قيس الماصر الخ .

هذا ، ومن المعروف أن نص كتاب الأنساب للسمعانى الذى نشره مرجليوت مشحون بالأخطاء .

وقد ورد فى النص الذى نقله الأسـتاذ ميخائيل عواد عن الأنساب فى ص ٩ بعض الأخطاء فى نص الأصل ، فلم يتنبه لها الأسـتاذ ، ومرّ عليها مرّ الـكرام ، وتنبه لبعضهـا وحاول تصحيحها ، فزادها فساداً ! وتوهم الخطأ فى بعض جمل الأصل مع أنها صحيحة فحرفها وأفسد معناها . فمن النوع الأول : فى ص ٩ س ١٤ : العجلى المصرى . وهو خطأ وصوابه : العجلى الماصرى[2] .

وفى ص ٩ س ٢٠ : أمام الحجاج مع الفراء . وهو خطأ فى الأصل صوابه : أيام الحجاج مع القراء[3] .

ومن النوع الثانى ما صنعه فى نص صاحب الأنساب فى ص ٩ س ١٨ الذى يقول فيه : وكان — الحديث عن قيس الماصر جد يونس بن حبيب — أول من مصر الفرات ودجلة . حيث قال : كذا . والصواب : مأصر الفرات ودجلة ، وصنع هذا الصنيع نفسه فى نص كتاب لب اللباب للسيوطى الذى نقله فى ص ١٠ س ٤ ، ٥

ونص الأصل هنا صحيح لا غبار عليه ، وقد ورد كذلك فى طبقات المحدثين بأصبهان لأبى الشيخ ، وفى كتاب أخبار أصبهان لأبى نعيم الأصبهانى ، وفى اللباب فى تهذيب الأنساب لأبن الأثير وفى لب اللبـاب فى تحرير الأنساب للسيوطى ؛ ومعناه صحيح أيضاً لأن كتب اللغة — كما قدمت — تذكر المصر ، والماصر بمعنى الحاجز ، فمعنى مصر الفرات ودجلة ، حجز الفرات ودجلة ، ومنع المرور منهما . ولـكن المؤلف لايعرف الماصر بمعنى الحاجز ، ولم يرجع إلى مادة « مصر » فى كتب اللغـة ، فتوهم أن قول صاحب الأنساب : مصر الفرات ودجلة خطأ ، فأصلحه وجعله : مأصر الفرات ودجلة . فاخترع من عندياته فعلاً لم تذكره كتب اللغة ، وليس له معنى صحيح ، وأفسد نص الأصل مع أنه صحيح !

ومن النوع الثالث ما فى ص ٩ س ١٨ ، ١٩ ، فقد ورد فى نص الأصل ما يلى : فهى قليس المـاصر . وهى جملة مضطربة يظهر عليها التحريف » فأصلحها الأستاذ ميخائيل إلى : فهى قلس المأصر . ولـكن هذا الإصلاح زاد النص تحريفاً جديداً فوق تحريفه . والحديث هنا عن قيس الماصر . وصحة العبارة هى هكذا : وكان أول من مصر الفرات ودجلة ، فهو قيس الماصر . فقد ورد فى طبقات المحدثين بأصبهان لابى الشيخ هكذا : وكان أول من مصر الفرات ودجلة ، فسمى قيس الماصر ، وكذلك وردت هذه الجلة فى اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير .

وهذا تحريف آخر وقع من المؤلف حرف فيه نص الأصل الصحيح الذى لا يجوز غيره . فقد جاء فى نص السمعانى فى ترجمة يونس بن حبيب : وهو ابن بنت حبيب بن الزبير الخ . وكذلك هو فى طبقات المحـدثين بأصبهان لابى الشيخ ، وأخبار أصبهان لابى نعيم الأصبهانى ، ولـكنه تحرف فى كتاب المآصر فى بلاد الروم والإسلام ج ٩ص١٥ إلى : وهو ابن أخت حبيب بن الزبير ولم يدركه المؤلف .

ويظهر ان الأستاذ ميخائيل عواد أصبح قوى الإيمان باتحاد معنيى المآصر والمواصر ، فمع أنه ينقل فى ص ٢٠ عن كتاب (رسوم دار الخلافة) لهلال الصابئ نصاً صريحاً بأن القلوس غير المآصر ، وأنها أداة من أدواتها ، ومع أنه يقول فى ص٣٩ : المآصر ذات الـسلاسل الحديد ، والأبراج المنيعة الخ . وهذا صريح فى أن الأبراج المنيعة والـسلاسل الحديد غير المآصر أقول : مع هذا وذاك ، إن الأستاذ ميخائيل عواد يسـير فى سائر الـكتاب على اعتقاد الاتحاد فى المعنى بين المآصر والمواصر .

هذا الغلط فى الخلط بين المأصر بالهمزة وبين الماصر بالألف عيب كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسـلام) البارز الذى يكاد يذهب بكل محاسنه . فإن القـارئ لا يستطيع — وهو يقرأ أحد فصـول الـكتاب — أن يجزم : هل الحديث الذى يقرأه حديث عن المآصر حقاً ، أم هو حديث عن المواصر . وإنما جعله الأستاذ المؤلف حديثاً عن المآصر لاعتقاده بأن المآصر هى المواصر ؟ . وهـذا الشك يرد على كل ما أورده الأستاذ فى كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام) . ويبدو أن أكثره حديث عن المواصر ، وإنما جعله الأستاذ حديثاً عن المآصر . وإن الأستاذ ميخائيل عواد ليحسن صنعاً لو أعاد النظر فى كتابه هذا ، وأفرد المآصر فى بحث خاص ، والمواصر فى بحث آخر حتى يكون عمله ذا قيمة علمية ويؤتى ثمراته الجنية .

هذه نظرة عامة فى كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام)

(١) راجع « لب اللباب فى تحرير الأنساب » ص٢٣٤ طبعة ليدن سنة ١٨٤٠ م .

(٢) راجع الورقة ١٦٦ جـ ٢ من النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة تيمور باشا من اللباب فى تهذيب الأنساب تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ

(٣) راجع ص ١٥٨ ، ١٥٩ من طبقات المحدثين بأصبهان لأبى الشيخ المخطوط المحفوظ فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

أردت بها وجه الحق ، والنصح للأستاذ المؤلف . وفى الكتاب بعد ذلك هنات هينات لا يمكن أن يخلو من مثلها كتاب . وأنا عارض بعضها فيما يلى عرضاً سريعاً حتى يتدارك بها الأستاذ المؤلف عند إعادة النظر فى الكتاب :

(١) بحث المآصر فى كتب اللغة وما إليها . كان حقه أن يكون بحثاً قائماً بذاته ، لا أن يجعل ضمن الباب الأول المعقود للمآصر النهرية بالعراق .

(٢) أشار المؤلف فى التصدير إلى ميناء أطرابلى العجيب ، ونقل شيئاً مما قاله ابن حوقل واليعقوبى عن هذا الميناء ، ولكنه لم يعرض له فى صلب الكتاب .

(٣) وردت كلمة (الموانئ) فى ص ٥ ، ٦ ، ٣٩ مرسومة هكذا : (الموانىء) وهو خطأ فى الرسم .

(٤) يقول المؤلف فى ص ٩ : إن الجواليقى نبه إلى خطأ شائع فى لفظ المآصر — يقصد المأصر — وقع فيه أكثر اللغويين الذين تطرقوا إلى ذكرها ، فقال : (. . وهو المأصر بكسر الصاد ، وفتحها خطأ الخ) والظاهر أنه نسى أنه نقل مثل هذا التنبيه على خطأ فتح الصاد عن الحريرى قبل ذلك فى ص ٧ .

(٥) فى ص ١٢ س ١٢ : حدثنا شعبة عن ابن إسحق . فقال المؤلف : لعله أبى إسحق . وقد ورد هذا الاسم صحيحاً فى ص ٧٠ ، فلو أن المؤلف رجع إلى الاسم هناك لما تردد .

(٦) فى ص ١٧ نقل النص الآتى : (وقد كان المكارى يبالغ فى أذى الناس ، وأخذ أموالهم ، ويقول : أنا قد فرشت حصيراً فى جهنم) . فعلق على كلمة (حصيراً) فى الحاشية بقوله : (الحصير الحبس : قال الله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) سورة الإسراء الآية ٧

وفى هذا التعليق غلطتان الأولى تفسير الحصير هنا بالحبس ؛ لأن المقصود بالحصير فى كلام المكارى هو ذلك الذى يفرش فى المنازل ويتخذ من البردى والأسل . قال فى تاج العروس : الحصير سقيفة تصنع من بردى أو أسل ، ثم يفرش . سمي بذلك لأنه يلى وجه الأرض . وفى الحديث : أفضل الجهاد وأكمله حج مبرور ثم لزوم الحصر بضم فسكون جمع حصير للذى يبسط فى البيوت قال الشاعر :

فأضحى كالأمير على سرير وأمسى كالأسير على حصير

والغلطة الثانية فى جعل الآية التى أوردها السابعة من سورة الإسراء مع أنها الثامنة .

(٧) فى ص ١٩ س ٣ وردت كلمة ملأ . وصوابها ملا بغير همزة مراعاة للوزن .

(٨) فى ص ١٩ ، ٢٠ ، ٦٠ ، ٦١، ٦٤ وردت كلمة الصابئ مرسومة هكذا (الصابىء) وهو خطأ فى الرسم .

(٩) فى ص ٢٠ س ٧ قال : وقد مر بنا غير نبأ . وهو يقصد : وقد مر بنا أكثر من نبأ ، وقد تكرر نحو هذا الأسلوب منه فى ص ١٤ ، ٢١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٢ .

(١٠) فى ص ٣٤ س ٤ نقل هذا النص : لما كان الثامن والعشرين من شعبان الخ ، ولم ينبه إلى الخطأ فى كلمة العشرين . إذ الصواب العشرون .

(١١) فى ص ٦٠ س ١١ وردت جملة : منها لتثبيت الجسور وصوابها : منها تثبيت الجسور .

(١٢) فى ص ٦٢ س ٥ قال : ونسج البرجمى هذا فى استيفاء المبالغ من الضرائب والمآصر ونحوهما . فما معنى المآصر هنا؟

(١٣) فى ص ٦٢ س ١٧ ، ١٨ وردت جملة : وهو تحريف ظاهر . وصوابها : هو تحريف ظاهر بغير واو .

(١٤) فى ص ٦٣ س ١١ : قلت وراجعم . صوابه : قلت راجعم . بغير واو .

(١٥) فى ص ٦٥ س٤ : وخرج الطائع لله فى تلقيه (لتلقى عضد الدولة) . وصوابه أن يقول . (تلقى عضد الدولة) بغير لام.

(١٦) فى ص ٧٠ أعاد رواية خبرين عن مسروق سبق له ذكرهما فى ص ١٢ . ومع أن رواية ص ٧٠ فيها زيادة هامة فى أحد الخبرين تتمم المعنى ، وتصحيحاً لاسم راو تشكك المؤلف فى اسمه فيما سبق . فإن المؤلف لم يتنبه لشىء من ذلك ولم ينبه إليه

وبعد فإن فى كتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » على صغر حجمه مجهوداً علمياً ، وبحثاً قيما ، وعناء كبيراً ، بذل فى سبيل إعداده وإخراجه ، ولا يقلل من قيمة كل أولئك هذه الملاحظات التى لاحظتها على عمل الأستاذ المشكور ، فإنه أول بحث فى بابه : لم يطرقه أحد من قبله ، فكان حقيقاً أن يكون وعر المسالك كثير المخاوف والمجاهل . وقد وضع الأستاذ ميخائيل عواد بكتابه هذا الصور والمعالم على ذلك الطريق المجهول ، فسهل مهمة الباحثين من بعده ، فاستحق شكر قراء العربية على هذه الثمرة التى قدمها إلى المكتبة العربية . وإذا كانت هذه الثمرة غير تامة النضج فليس ذلك ذنباً يؤاخذ عليه ، وحسبه أنه بذل ما فى طاقته ، واستفرغ الجهد .

برهان الدين الداغستاني

فهرس الموضوعات للسنة السادسة عشرة من الرسالة

مطبعة الرسالة